مجلة الأزهر

١٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

١٠٥

المجلد الخامس والسبعون ـ القسم الأول

السنة ١٤٢٣هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان - ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- من وحي الهجرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- من الجديد عن حادث الهجرة
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- دلائل القدرة الإلهية
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- هل كان ابن رشد فيلسوفًا ماديًا؟
للدكتور / محمد عمارة
- الهجرة تذكير وإيناس
للشيخ / الطاهر الحامدي

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

المحرم ١٤٢٣هـ - إبريل ٢٠٠٢م - الجزء الأول - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

من الجديد عن ح

-١-

منذ قررت مصر الاحتفال رسميا بعيد الهجرة المحمدية فى أول المحرم من كل عام، والصحف اليومية، والمجلات الدورية تمنح هذه المناسبة الكريمة قسطها الأوفى من التحليل والتفسير، بحيث لو جُمع ما كُتب فى الصحف لكان مكتبة مستقلة، ولا أكتم القارىء أن أدباء الجيل الماضى كانوا أكثر اهتماما بهذه المناسبة من أدباء اليوم، إذ كانت لدينا حينئذٍ مجلات أدبية، « كالرسالة » و« الثقافة » تصدر كل عام عدداً مستقلا بذكريات الهجرة وما يجرى مجراها من أمجاد الإسلام على مدَ عصوره المتلاحقة، وبكل عددٍ نوابغُ الفكر العربى من كبار الأدباء يبسطون ويحللّون، ويؤيّدون ويدفعون، مما يجعل المناسبة الكريمة ذات صدىً فكرىّ يتجاوب فى أرقى مستوياته، فَيحيى الشعور، ويَفْسح طريق الأمل، ويزيد المؤمنين يقينا واعتصاماً، ولا أنكر أن الإذاعات المختلفة تتجاوب بهذه الذكرى محتفلةً محتشدة، ولكن الثمرة غير الثمرة، والأريجَ غير الأريج، لقد كان من عجائب الصدف أنّىِ فى بعض هذه المناسبات، قد استمعت إلى حديث تقليدى عن الهجرة فى إذاعةٍ ما، ثم أدَرْتُ المفتاح لأستمع إلى حديثٍ مماثل فى إذاعة ثانية وثالثة ورابعة، وكانت النتيجة أن المتحدثين جميعا يتشابهونَ ويتماثلون، فما فتح الله على أحد بطريفٍ يدل على شخصيته! وكأنّ الموقف لا يتطلب إلاّ السّرد التاريخى محوطاً ببعض الآيات والأحاديث، مما يعرفه طلبة المدارس فى الصفوف الأولى! أيْن هذا كلّه من عددٍ ممتاز من مجلّة شهيرة « كالرسالة » تسطع على القراء بما يخلب ويروع.

ـادث الهجرة النبوية

حديث مشتهر

وقد رأيتُ أن أتحدث هذا العام عن بعض مواقف الهجرة التى تداولتها المصادر المتعددة فى القديم، والمراجعُ المتداولة فى الحديث، هذا الموقفُ هو موقف الشيخ النجدىّ فى دار الندوة حين اجتمع المشركون للتآمر على حياة رسول الله ﷺ بعد أن انتقل المهاجرونَ من المسلمين إلى المدينة المنوَّرة، فاستعاضوا أهلاً بأهل، والتفّ حولَ الإسلام من تعهّدُوا على نصرته ليلة العقبة مسترخصين دماءهم فى ذات الله! وسيلحق رسول الله بهم فيصبحُ ذا شوكة حربيّة تقف للمشركين بالمرصاد، واذنْ فلا مفرَ منْ مُواجهة الموقف فى اجتماع دار الندوة، لتجتمعَ الكلمةُ المشركةُ على أمرٍ حاسم يْدفعُ النذر الغاشية! وهو مَا سجله الله فى كتابه حين قال :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

قُلنا إن حديث الندوة ذائع مشتهر، ومَع ذُيوعه المدوِّى، نجدهُ يَحتاج إلى تعقيب مفيد، يبدّد ما غشيهُ من ضباب ساعدت الكتب المتعاقبة على انتشاره، فكيف رُوِى هذا الحديث فى أوائل مصادره من كتب التراث.

إننا نرجعُ إلى ابن اسحاق فى « سيرته » فنجده يقول ببعض التصرف :

« إن قُريشاً اجتمعت فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون من أمر النبى ﷺ حين

(١) سورة الأنفال آية: ٣٠

خافوه، فغدُوا فى اليوم الذى اتَّعدوا له، وكان يُسمَّى يوم الزّحمة، فاعترضهم إبليس على هيئة شيخٍ جليل، فوقفَ على باب الدار، فقالوا: مَن الشيخُ؟ قال: شيخٌ من أهل نجد، سمع بالذى اتعدّتم له، فحضرَ معكم ليسمع ما تقولون، وعسَى ألاّ يَعدمكم منه رأىٌ ونُصح، قالوا: أجل، فادخلْ، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش من كلّ قبيلةٍ، من بنى عبد شمس شيبة وعتبة وأبوسفيان، ومن بنى نوفل طعيمة ابن عدى، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر، ومن بنى عبدالدار النضر بن الحارث ومن بنى أسد البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ومن بنى مخزوم أبوجهل ومن بطونٍ آخرين كلها من قريش!

فقال بعضهم: إنّ هذا الرجل قد كان أمره ما كان، ومارأيتمْ، ومانأمنُه أن يثب علينا بمن اتّبعه من غيرنا، فأجمعُوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا، فمِنْ قائلٍ: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه!

فقال الشيخ النجدىّ: لا والله ما هذا برأىْ، فلو حبستموه لخرجَ أمرهُ من وراء الباب الذى أغلقتموه دونَه إلى أصحابه فلأَوْشكوا أن يَثبُوا عليكم فينزعوه من أيديكم.

ثم تشاوروا، فقال قائل، نُخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا خرج عنا، فلا والله ما نبالى أين ذهب، ولا حيث وقع!

فقال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا برأى، أما رأيتُم حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبتَهُ على قلوب الرجال، ولا نأمنُ أن يحلّ على حىٍّ من العرب فيغلب عليهم، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم.

فقال أبوجهل: والله إنّ لى فيه لرأياً، هو أن تأخذُوا من كلّ قبيلة، فتىً شابا جلداً، نسيبا وسيطاً، ومع كل فتى سيفٌ، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربةَ رجلٍ واحد، فيقتلونه فنستريح ويتفرّق دمه فى القبائل كلها، فلاَ يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا.

فقال الشيخ النجدى: القولُ ما قال الرجل، ولا رأىَ غيره، فتفرّقوا وهم مجمعون على ذلك»

هذا ما جاءَ فى المصدر الأول، وما رددَّته الكتب إلى يومنا هذا، ونحنُ لا ننكر الاجتماع، فقد ثَبتَ بنصّ القرآن الكريم، ولا ننكرُ أنهم انتهوْا إلى وجُوب اغتيال رسول الله! ﷺ وقد مكروا ومكرَ الله، والله خير الماكرين! ولكننا نتساءل عن إبليس، وعن الشيخ النجدى الذى تراءى فى صورته، وهلْ كان ماجَاء فى الرّواية بشأنه، ممّا يعقل أن يتردّد دون تعقيب.

٢- مــــؤرخ ناقـــــد

كانَ المؤرخ الإسلامى الكبير الأستاذ عبدالوهاب النجار ذا فكرٍ صوّال دءوب، فهو يقف أمام كثير من المسلمات ليعصف بقرارها المطمئن، عن براهين دامغة، وأدلّةٍ حاسمة، إذ كان كما قال الأستاذ على الجارم فى رثائه:

لهُ حججٌ يُسمّيها كلاما وما هِى غير أسيافٍ تُسلّ
وآراءٌ ترى فيها ابن بحرٍ يصول كما يشاء ويستدل

وابنُ بحرٍ هو الجاحظ، وحسبكَ أن يقرنَ الجارمُ صديقه النجار بالجاحظ، وقد وقفَ الأستاذ النجار أمام حديث الشيخ النجدى موقف المرتاب، فذكرَ فى بحثٍ ضاف نشره مُسلسلاً «بمجلة الإسلام» سنة ١٣٥٧هـ أنّه يستريب فى هذا الأمر، إذ لا يُعقل أن تُدخلَ قريشٌ فى أمرها إنساناً لا تعلم عنه شيئا إلاّ أنه نجدىٌّ، ولِمَ لا يكون هذا النجدىّ عينا للمسلمين ماداموا لم يعرفوا شيئا من أمره فكيفَ أجازُوا له التصدّر دون احتياط، ثم إذا كانَ إبليس قد تَزَيّا بزىَّ الشيخ النّجدى، فمنْ أنْبأَ القوم أنّه إبليس، ولم لا يكون آدميّاً حقّا، مع أنّ رؤية إبليس مُستبعدةٌ، لأنّ الله ـ عز وجل ـ يقولُ عنه:

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٢] ثم إن الله ـ عز وجل ـ قد سمّى مؤامرة المشركين مكرا، والمكرُ هو: التدبير فى الخفاء، فهل يكونُ منه أن يجتمع ممثلو القبائل جميعا ماعدا بنى عبد مناف، وفيهم أصهارهم وأصدقاؤهم الذين يُسارعون فى نقل ماائتمروا به، فيفسد المراد، وهل يجوز أن يحضر فى مثل هذا الأمر الخطير شخص غريب لايدرون عنه شيئا؟

هذا لبابُ ما قاله الأستاذ النجار، وأنا أضيف إليه، أنّ الثابت أنّ الاجتماع كان فى دار الندوة، وهى المنتدىَ العامّ الذى أنشأه قصىٌّ بن كلاب تجاهَ البيت الحرام، لتُرسمَ فيها خطط قريش التجاريّة، ومايكونُ من عقود الزواج، أو إعلان الحرب، أو عقد التحالف، وكان من شروط روّادها، أن يتجاوزَ الواحدُ منهم سنّ الشباب إلى الكهولة، بحيثُ لا يحضر غير المجربين من ذوى الحنكة والدهاء، فهل يعقل أن تُشترط الشروط الدقيقة فى أصحاب الندوة ثم يطرقها شيخ لايعرف من أين جاء ليتصدّر المجتمعين، وليكونَ صاحبَ الترجيح فيما يُقال، فهو يعترض على الرأى الأوّل، ويخالف الرأى الثانى، ويختار رأى أبى جهل، فيكون اختياره موضع الحسم الصريح، وهو بعدُ، غريبٌ دخيل!!

---

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٧.

إن حديث الشيخ النجدى لايَثْبتُ لنقاش، وأذكرُ أنّ الأستاذ محمد لطفى جمعة قد قال متهكما بصدده فى كتابه (ثورة الإسلام) : يظهر أنّ حضور الندوة كان مُباحاً للإنس والجنّ، حتى غَشيها إبليس نفسه، وإذا كانَ شعراء أوروبا قد أشْخَصُوا إبليس فى قصّة فاوست لجيته، وهاملت لشكسبير بعدَ المسيح بسبعة عشر قرنا، فلا عَجب إذا سَبقهم العرب إلى ذلك، وفى اعتقادنا أنّها خرافة تدل على أن زعيم القوم كان شيطانا.

ومن الحق أن نقول: إن تعقيب الأستاذ النجار، قد استغلَّه كاتبٌ لاحق، دون أن يُشير إليه، وكأنّه قد اهتدى إليه من ذات نفسه! وهذَا ممّا يجبُ أن يكونَ موضع المؤاخذة إذ يلزمُ اللاّحقَ أن يعترف بما نقل عن السابق، وهو اعترافٌ يَصفُهُ بالدقة والأمانة اللّتين ترفعانِ من قدره، أكثرَ مما يَرفعَه اختلاسٌ مشبوه.

ومن الطريف أن نذكر أنّ بعض كتّاب السيرة، وهو الصالحى صاحب (سبل الهدى والرشاد) قد ذكر فى الجزء الثانى من كتابه فى حديثه عن بناء قريش للكعبة، حين حَكّمت رسول الله فى وضع الركن قبلَ مبعثه الشريف، ما خلاصته أنّ إبليس قد تَصوَّر فى هيكل شيخ نجدىّ لينهىَ قريشاً عن تحكيم محمد بن عبدالله! واذنْ فلإبْليسَ سابقةٌ أولى فى زيّه النجدى! عند بعض المؤرخين. وهذا ما يُستبعدُ تماما، إذ لو كان له من الحقيقة أصل ثابت، لتداوله كُتَّاب السيرة من قبل الصالحى ومن بعده وهم كثيرون.

-٣-

ونشير إلى ناحية أخرى مما سجّله الكاتبون عن حادث الهجرة، فقد عمد بعض أصحاب الروايات القصصية إلى أسلوب خَيالى فى وصف الرحلة الشاقة التى قام بها رسول الله ﷺ مع صديقه أبى بكر فى أشد ضروب الكيد والحيطة من قريش، إذ تحدثوا عن هذه الرحلة المضنية وكأنها نزهةٌ ترفيهيّة، حيثُ إن عناية الله فى تصورهم قد مهدت الطريق دون عقبات، وأنا أعلم أن عناية الله قد حاطت نبيّه الكريم فى شتى المواقف، ولكنْ هذه العناية قد امتحنته بشتى الصعاب المرهقة، ليكون مثلا يحتذى عند الشدائد، فإذا كان الرسول قد تعرض للمحن فى مواقف كثيرة كيوم الهجرة ويوم أحد، ومطلع غزوة حنيْن، فذلك مما أراده الله لقائد الأمّة المحتذَى، ودليلها البصير فى حالك الأزمات! وهذا ماغفل عنه من جعلوا رحلة الهجرة نائية عن المشاق، بعيدة عن العقبات، لقد كان هناك طَريقان يسلكهما السائر من مكة إلى المدينة، الطريق الشرقى المحاذى لنجد، ويجاوز طوله ثلاثمائة ميل والطريق الغربى

المحاذى للبحر الأحمر ويبلغ مائتين وخمسين ميلاً، وطبيعى أن يكون الطريق القصير نسبيا هو المختار، ولكن الدليل لم يسر على سنته بالمهاجرين، فأخذ ينحرف عن الاتجاه المباشر يمنة ويسرة، كلما أحس بتربص المتابعين من قريش، وقد عينوا الأرصاد فى أماكن شتى، فكان هذا الانحراف المتكرر فى صحراء مرهقة، وجبال صماء، وقيظ محرق، ورياح تذرو الرمال، مما أمدّ أجل الرحلة القاسية، فوصل الصاحبان إلى مشارف المدينة بعد ثمانية أيام لم تَخْل لحظةٌ فيها من عناء، ثم تلبثا ثلاثة أيام فى قباء، ينشدان الراحة من عناء مطبق، ليستقلا بعد ذلك إلى المدينة، فعلى الذين يكتبون السيرة بالأسلوب الروائى ألا يتجاوزوا هذه الحقائق لما تحمل من عبر ساطعات، ثم إن الاستقبال الحار للرسول بالمدينة لم يمنع بعد فترة قصيرة أن يضيق المهاجرون بجو المدينة الذى لم يألفوه فكان ممّن اشتد بهم المرض أبوبكر وبلال، وعامر ابن فهيرة، حتى أنشد الصديق فى مرضه:

كل امرئ مُصبَّح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقد تألم الرسول لما نزل بأصحابه فرفع يده إلى السماء قائلاً: «اللهم طيّب لنا المدينة كما طيّبتَ لنا مكة وبارك لنا فى مدّها وصاعها!

إن الهجرة درس من دروس الأخلاق العملية، ذات المشاق الجسام، وعلى الكاتبين أن يبرزوا هذه المشاق ليكون للمسلمين فى رسولهم بالغ الأسوة، وأى مشقة أقسى من هجرة فردٍ أعزل، تبذل قريش المتغطرسة مائة ناقة لمن يأتى به حيًا أو ميّتا! وهناك عشرات من خابرى الدروب، وعارفى منعرجات الطرق قد بهرهم الجزاء الضخم، فحدثتهم الأمانى أن ينهضوا فى كل فج، وأن يرصدوا كل مكمن، ليفوزوا بالغنم الهائل: وقد فعلوا، ولكن الله الذى أعمى أبصارهم، وهم أمام حجرة الرسول ليلة هجرته، قد أعمى أبصارهم، فعادوا خاسرين،

هذا بعض ما يقال فى حديث الهجرة، وخواطر المؤمنين حول حادثهما السعيد، لا تقف عند حد، فلعلّى أعود إليها من جديد.

د./ محمد رجب البيومى

من وحى الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

بمناسبة ذكرى هجرة رسول الله ﷺ نقدم هذه الآيات من تفسير فضيلة الإمام الأكبر لسورة التوبة بدءاً من الآية رقم ٣٨ إلى الآية رقم ٤٠.

وقد بدأت الآيات حديثها عن غزوة تبوك بتوجيه نداء إلى المؤمنين نعت فيها على المتثاقلين عن الجهاد، وحرضت عليه بشتى ألوان التحريض.

قال الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)
إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

التوبة: ٣٨ - ٤٠

قال الإمام ابن كثير: هذا شروع فى عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال فى شدة الحر، وحمارة القيظ[1].

وتبوك: اسم لمكان معروف فى أقصى بلاد الشام من ناحية الجنوب، ويبعد عن المدينة المنورة من الجهة الشمالية بحوالى ستمائة كيلو متر.

وكانت غزوة تبوك فى شهر رجب من السنة التاسعة، وهى آخر غزوة لرسول الله ﷺ.

وكان السبب فيها أن الرسول ﷺ بلغه أن الروم قد جمعوا له جموعا كثيرة على أطراف الشام، وأنهم يريدون أن يتجهوا إلى الجنوب لمهاجمة المدينة.

فاستنفر ﷺ الناس إلى قتال الروم، وكان ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورى بغيرها حتى يبقى الأمر سراً.

ولكنه فى هذه الغزوة صرح للمسلمين بوجهته وهى قتال الروم، وذلك لبعد المسافة، وضيق الحال، وشدة الحر، وكثرة العدو.

وقد لبى المؤمنون دعوة رسولهم ﷺ لقتال الروم، وصبروا على الشدائد، والمتاعب وبذلوا الكثير من أموالهم، ولم يتخلف منهم إلا القليل.

أما المنافقون وكثير من الأعراب، فقد تخلفوا عنها، وحرضوا غيرهم على ذلك، وحكت السورة - فى كثير من آياتها - ما كان منهم من جبن ومن تخذيل الناس عن القتال، ومن تحريض لهم على القعود وعدم الخروج.

« وبعد أن وصل الرسول ﷺ والمؤمنون إلى تبوك، لم يجدوا جموعا للروم. فأقاموا هناك بضع عشرة ليلة، ثم عادوا إلى المدينة »[2].

وقوله - سبحانه -: ﴿ ٱنفِرُواْ ﴾ من النفر وهو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لسبب من الأسباب الداعية لذلك.

يقال: نفر فلان إلى الحرب ينفر، وينفر نفراً ونفوراً، إذا خرج بسرعة ويقال: استَنفر الإمام الناس، إذا حرضهم على الخروج للجهاد. ومنه قوله ﷺ :

« وإذا استنفرتم فانفروا » أى: وإذا دعاكم الإمام معه للجهاد فاخرجوا معه بدون تثاقل.

واسم القوم الذين يخرجون للجهاد: النفير والنفرة والنفر.

ويقال: نفر فلان من الشىء، إذا فزع منه، وأدبر عنه، ومنه قوله - تعالى -:

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[3]

وقوله: ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ ﴾: من الثقل ضد الخفة. يقال: تثاقل فلان عن الشىء، إذا تباطأ عنه ولم يهتم به.. ويقال: تثاقل القوم: إذا لم ينهضوا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٩) بتصرف وتلخيص.

(٢) لمعرفة تفاصيل غزوة تبوك:راجع «سيرة ابن هشام» (٤/١٥٩) طبعة الحلبى.

(٣) سورة الإسراء الآية (٤٦).

لنجدة المستجير بهم. وأصل ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ تثاقلتم، فأبدلت التاء ثاء ثم أدغمت فيها، ثم اجتلبت همزة الوصل من أجل التوصل للنطق بالساكن.

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله:

﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

أى: ما الذى جعلكم تباطأتم عن الخروج إلى الجهاد، حين دعاكم رسولكم ﷺ إلى قتال الروم، وإلى النهوض لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه؟

وقد ناداهم - سبحانه - بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة فى قلوبهم، وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان الصادق من طاعة لله ولرسوله. والاستفهام فى قوله:

﴿ مَا لَكُمْ ﴾ لإنكار واستبعاد صدور هذا التثاقل منهم، مع أن هذا يتنافى مع الإيمان والطاعة.

قال الجمل: و ﴿ مَا ﴾ مبتدأ، و﴿ لَكُمْ ﴾ خبر، وقوله: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ حال. وقوله:

﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ﴾ ظرف لهذه الحال مقدم عليها. والتقدير: أى شىء ثبت لكم من الأعذار. حال كونكم متثاقلين فى وقت قول الرسول لكم: انفروا فى سبيل الله[(٤)].

وقوله: ﴿ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ متعلق بقوله:

﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ على تضمينه معنى الميل إلى الراحة، والإخلاد إلى الأرض، ولذا عدى بإلى. أى: اثاقلتم مائلين إلى الراحة وإلى شهوات الدنيا الفانية، وإلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكرهتم الجهاد مع أنه ذروة سنام الإسلام.

وإن التعبير بقوله - سبحانه -:

﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ لفى أسمى درجات البلاغة، وأعلى مراتب التصوير الصادق، لأنه بلفظه وجرسه يمثل الجسم المسترخى الثقيل الذى استقر على الأرض.. والذى كلما حاول الرافعون أن يرفعوه عاد إليه ثقله فسقط من بين أيديهم، وأخلد إلى الأرض.

وذلك لأن ما استولى عليه من حب للذائذ الدنيا وشهواتها، أثقل بكثير من حبه لنعيم الآخرة وخيراتها.

وقوله سبحانه -:

﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾

إنكار آخر لتباطئهم عن الجهاد، وتعجب من ركونهم إلى الدنيا مع أن إيمانهم يتنافى مع ذلك.

وقوله:

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

بيان لحقارة متاع الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة الدائم.

والمعنى: أى شىء حال بينكم، أيها المؤمنون، وبين المسارعة إلى الجهاد عندما دعاكم رسولكم ﷺ إليه. أرضيتم براحة الحياة الدنيا ولذائذها الناقصة.

---

(٤) حاشية الجمل على الجلالين (٢/٢٨٢).

إن كان أمركم كذلك، فقد أخطأتم الصواب، لأن متاع الحياة الدنيا مهما كثر فهو قليل مستحقر بجانب متاع الآخرة الباقى، ونعيمها الخالد.

قال الآلوسى ما ملخصه: ﴿ فِي ﴾ من قوله:

﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

تسمى بفى القياسية. لأن المقيس يوضع فى جنب ما يقاس به. وفى ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها، ويستدعى الرغبة فيها، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة فى بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة ورفعتها.

وقد أخرج أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن المستورد، أخى بنى فهر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه فى اليم، فلينظر بم ترجع»(٥).

وقال الفخر الرازى: أعلم أن هذه الآية تدل على وجوب الجهاد فى كل حال، لأنه سبحانه نص على أن تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر، ولو لم يكن الجهاد واجبا لما كان هذا التثاقل منكرا. وليس لقائل أن يقول: الجهاد إنما يجب فى الوقت الذى يخاف هجوم الكفار فيه، لأنه ﷺ، ما كان يخاف الروم عليه، ومع ذلك فقد أوجب الجهاد معهم.. وأيضا هو واجب على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين. والخطاب فى الآية للمؤمنين الذين تقاعسوا فى الخروج إلى غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ(٦).

ثم هددهم - سبحانه بالعذاب الأليم، إن لم ينفروا للجهاد فى سبيله فقال:

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾

أى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ ﴾، أيها المؤمنون، للجهاد كما أمركم رسولكم ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ الله ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فى الدنيا بإنزال المصائب، بكم، وفى الآخرة بنار جهنم.

وقوله: ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى: ويستبدل بكم قوما يطيعون رسوله فى العسر واليسر، والمنشط والمكره.. كما قال:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾(٧).

قال صاحب المنار: قيل المراد بهؤلاء القوم: أهل اليمن، وقيل: أهل فارس وليس فى محله، فإن الكلام للتهديد، والله يعلم أنه لا يقع الشرط ولا جزاؤه.

وإنما المراد يطيعونه - سبحانه - ويطيعون رسوله، لأنه قد وعده بالنصر؛ وإظهار دينه، فإن لم يكن هذا الإظهار بأيديكم. فلابد أن يكون بأيدى غيركم ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾(٨).

وقد مضت سنته تعالى بأنه لا بقاء للأمم التى تتثاقل عن الدفاع عن نفسها وحفظ حقيقتها

---

(٥) تفسير الآلوسى (١٠/٨٥).

(٦) تفسير الفخر الرازى (بتصرف وتلخيص) (١٦/٦٠).

(٧) سورة محمد الآية (٣٨).

(٨) سورة الحج (٤٧).

وسيادتها، ولا تتم فائدة القوة الدفاعية والهجومية إلا بطاعة الإمام، فكيف إذا كان الإمام والقائد هو النبى الموعود من ربه بالنصر(٩).

والضمير فى قوله: ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾ يعود إلى اللّه تعالى –.

أى: إن تباطأتم أيها المؤمنون عن الجهاد، يعذبكم اللّه عذاباً أليما ويستبدل بكم قوماً سواكم لنصرة نبيه، ولن تضروا اللّه شيئاً من الضرر بسبب تقاعسكم. لأنكم أنتم الفقراء إليه، وهو سبحانه الغنى الحميد.

وقيل: الضمير يعود للرسول ﷺ أى: ولا تضروا الرسول شيئا ما من الضرربسبب تثاقلكم عن الجهاد، لأن اللّه قد وعده بالنصر ووعده كائن لا محالة.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تذييل مؤكدا لما قبله.

أى: واللّه تعالى –: على كل شىء من الأشياء قدير، ولا يعجزه أمره، ولا يحول دون نفاذ مشيئته حائل، فامتثلوا أمره لتفوزوا برضوانه.

فأنت ترى أن هذه الآية وسابقتها قد اشتملت على أقوى الأساليب التى ترغب فى الجهاد، وترهب من النكوص عنه، وتبعث على الطاعة لله ولرسوله.

ثم ذكرهم – سبحانه – بما يعرفونه من حال الرسول ﷺ حيث نصره اللّه تعالى على أعدائه بدون عون منهم، وأيده بجنود لم يروها فقال:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾.

قال ابن جرير: هذا إعلام من اللّه لأصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه، وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم بأنه فعل ذلك به، وهو من العدد فى قلة، والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة(١٠).

والمعنى: إنكم أيها المؤمنون، إن آثرتم القعود والراحة على الجهاد وشدائده، ولم تنصروا رسولكم الذى استنفركم للخروج معه. فاعلموا أن اللّه سينصره بقدرته النافذة، كما نصره، وأنتم تعلمون ذلك، وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ أى: أحد اثنين.

والثانى: أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه.

يقال: فلان ثالث ثلاثة، أو رابع أربعة.. أى: هو واحد من الثلاثة أو من الأربعة.

فإذا قيل: فلان رابع ثلاثة أو خامس أربعة، فمعناه أنه صير الثلاثة أربعة بإضافة ذاته إليهم، أو صير الأربعة خمسة.

وأسند ـ سبحانه ـ الإخراج إلى المشركين مع أن الرسول ﷺ قد خرج بنفسه بإذن من اللّه ـ تعالى ـ لأنهم السبب فى هذا الخروج حيث اضطروه إلى ذلك، بعد أن تآمروا على قتله.

قيل: وجواب الشرط فى قوله:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ محذوف وقوله:

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ تعليل لهذا المحذوف.

---

(٩) تفسير المنار (١٠/٥٩٥) بتصرف وتلخيص.

(١٠) تفسير ابن جرير (١٠/١٣٥).

والتقدير: إلا تنصروه ينصره اللّه فى كل حال.

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ﴾ سبحانه وقت أن أخرجه الكافرون من بلده ولم يكن معه سوى رجل واحد.

وقال صاحب الكشاف: فإن قلت. كيف يكون قوله: ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ جوابا للشرط؟.

قلت: «فيه وجهان» أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد. ولا أقل من الواحد، فدل بقوله:

﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت.

والثانى. أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا فى ذلك الوقت. فلن يخذل من بعده[11].

وقوله: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ حال من الهاء فى قوله ﴿ أَخْرَجَهُ ﴾ أى أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر الصديق – رضى اللّه عنه –.

وقوله: ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ﴾.

والغار: النقب العظيم يكون فى الجبل. والمراد به هنا: غار جبل ثور. وهو جبل فى الجهة الجنوبية لمكة، وقد مكثا فيه ثلاثة أيام.

وقوله:

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

بدل ثان من قوله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ﴾.

أى: إلا تنصروه فقد نصره اللّه وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة، ووقت أن كان هو وصاحبه أبو بكر فى الغار، ووقت أن كان ﷺ يقول لصاحبه الصديق: «لا تحزن إن اللّه معنا بتأييده ونصره وحمايته».

وذلك أن أبا بكر وهو مع النبى ﷺ فى الغار، أحس بحركة المشركين من فوق الغار، فخاف خوفا شديدا لا على حياته هو، وإنما على حياة النبى ﷺ فلما رأى النبى ﷺ منه ذلك، أخذ فى تسكين روعه وجزعه وجعل يقول له:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

أخرج الشيخان عن أبى بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار، وهم على رءوسنا فقلت. يارسول اللّه، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما، لا تحزن إن اللّه معنا»[12].

وقوله:

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾

بيان لما أحاط اللّه به نبيه ﷺ من مظاهر الحفظ والرعاية.

---

(11) تفسير الكشاف (٢/٢٧٢).

(12) أخرجه البخارى فى تفسير سورة التوبة (٦/٨٣) وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (٧/١٠٨)

والسكينة: من السكون، وهو ثبوت الشيء؛ بعد التحرك. أو من السكن بالتحريك وهو كل ما سكنت إليه نفسك، واطمأنت به من أهل وغيرهم.

والمراد بها هنا: الطمأنينة التى استقرت فى قلب النبى ﷺ فجعلته لا يبالى بجموع المشركين المحيطين بالغار، لأنه واثق بأنهم لن يصلوا إليه.

والمراد بالجنود المؤيدين له. الملائكة الذين أرسلهم سبحانه لهذا الغرض: والضمير فى قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى النبى ﷺ.

أى: فأنزل اللّه سكينته وطمأنينته وأمنه على رسوله ﷺ وأيده وقواه بجنوده من الملائكة لم تروها أنتم، كان من وظيفتهم حراسته وصرف أبصار المشركين عنه.

ويرى بعضهم أن الضمير فى قوله:

﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى أبى بكر الصديق، لأن الأصل فى الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور هنا هو الصاحب ولأن الرسول لم يكن فى حاجة إلى السكينة. وإنما الذى كان فى حاجة إليها هو أبو بكر، بسبب ما اعتراه من فزع وخوف.

وقد رد أصحاب الرأى الأول على ذلك بأن قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الضمير فيه لا يصح إلا للنبى ﷺ وهو معطوف على ما قبله فوجب أن يكون الضمير فى قوله:

﴿عَلَيْهِ﴾ عائدا إلى النبى ﷺ حتى لا يحصل تفكك فى الكلام.

أما نزول السكينة فلا يلزم منه أن يكون لدفع الفزع والخوف، بل يصح أن يكون لزيادة الاطمئنان، وللدلالة على علو شأنه ﷺ.

قال ابن كثير قوله:

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أى. تأييده ونصره عليه أى. على الرسول ﷺ فى أشهر القولين. وقيل. على أبى بكر.

قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة. وهذا لا ينافى تجدد سكينة خاصة بتلك الحال، ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أى: الملائكة[١٣].

وقوله:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾

بيان لما ترتب على إنزال السكينة والتأييد بالملائكة.

وقوله بكلمة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. كلمة الشرك، أو كلمتهم التى اجتمعوا عليها فى دار الندوة وهى اتفاقهم على قتل رسول اللّه ﷺ.

والمراد بكلمة اللّه: دينه الذى ارتضاه لعباده، وهو دين الإسلام، وما يترتب على اتباع هذا الدين من نصر وحسن عاقبة، أى: كانت نتيجة إنزال السكينة والتأييد بالملائكة، أن جعل كلمة

(١٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٥٨).

الشرك هى السفلى، أى. المقهورة الذليلة. وكلمة الحق والتوحيد المتمثلة فى دين الإسلام هى العليا أى: هى الثابتة الغالبة النافذة.

وقراءة الجمهور برفع ﴿ كَلِمَةَ﴾ على الابتداء. وقوله: ﴿هِىَ﴾ مبتدأ ثان: وقوله: ﴿ ٱلْعُلْيَا ﴾ خبرها، والجملة خبر المبتدأ الأول.

ويجوز أن يكون الضمير ﴿هِىَ﴾ ضمير فصل، وقوله: ﴿ ٱلْعُلْيَا ﴾ هو الخبر وقرأ الأعمش ويعقوب ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ﴾ بالنصب عطفا على مفعول جعل وهو:

﴿ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.

أى: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وجعل كلمة اللّه هى العليا.

قالوا: وقراءة الرفع أبلغ وأوجه، لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت، ولأن الجعل لم يتطرق إلى الجملة الثانية وهى قوله:

﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ لأنها فى ذاتها عالية ثابتة، بدون جعلها كذلك فى حادثة معينة. بخلاف علو غيرها فهو غير ذاتى، وإنما هو علو مؤقت فى حال معينة، ثم مصيرها إلى الزوال والخذلان بعد ذلك.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله.

أى: واللّه تعالى: ﴿ عَزِيزٌ ﴾ لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينصر من عاقبه ناصر، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فى تصريفه شأن خلقه، لا قصور فى تدبيره، ولا نقص فى أفعاله.

هذا، ومن الأحكام التى أخذها العلماء من هذه الآية: الدلالة على فضل أبى بكر الصديق – رضى اللّه عنه – وعلى علو منزلته، وقوة إيمانه، وشدة إخلاصه لله تعالى ولرسوله ﷺ.

ومما يشهد لذلك، أن الرسول ﷺ عندما أذن اللّه له بالهجرة، لم يخبر أحدا غيره لصحبته فى طريق هجرته إلى المدينة.

ولقد أظهر الصديق – رضى اللّه عنه – خلال مصاحبته للرسول ﷺ الكثير من ألوان الوفاء والإخلاص وصدق العقيدة(١٤).

قال الالوسى ما ملخصه: واستدل بالآية على فضل أبى بكر.. فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر.. فعن الحسن قال: عاتب اللّه جميع أهل الأرض غير أبى بكر فقال:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية.

ولأن فيها النص على صحبته للرسول ﷺ ولم يثبت ذلك لأحد من الصحابة: لأنه هو المراد بالصاحب فى قوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾ وهذا مما وقع عليه الإجماع.

---

(١٤) راجع قصة الهجرة فى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٨٠) طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٥.

هجرة الرسول والطبع العربي (*)

للأستاذ الدكتور / على عبد الواحد وافى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

زود الله الشعب العربى المجيد بصفتين كريمتين لعلهما لم يتوافرا فى أى شعب آخر بمقدار توافرهما لديه؛ إحداهما شدة التعلق بالوطن الأصلى؛ والأخرى شدة الميل إلى التنقل والهجرة، وشاءت قدرة البارىء الحكيم ـ وقد كرم هذا الشعب، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا، وخصه فى سلم الرقى الاجتماعى واللغوى بأمور تعد من قبيل المعجزات ـ أن يخصه بمعجزة أخرى فى ميوله النفسية، فزوده بهذين الميلين المتضادين المتنافرين (التعلق بالوطن والميل إلى الهجرة)، ولكنه ألف بينهما فى نفوس أفراده، فأصبحا بنعمته منسجمين تمام الانسجام، يشد كلاهما أزر الآخر ويكمل نقصه ويخفف من غلوائه.

فما كان العربى لتنسيه هجرته حقوق وطنه الأول، ولا لتنال من مكانته عنده، أو تنقص من حبه له أو حنينه إليه.

وما كان تعلقه بوطنه الأول ليحول بينه وبين الهجرة منه إذا كان فى هجرته رفع لشأن بلاده، أو توسيع لرقعة ملكها، أو مد لنفوذها وسلطانها، أو تخفيف من أعبائها، أو دفاع عن مذهب يقتنع به، أو فرار من ضيم أصابه، أو ابتغاء للرزق، أو سعى لبغية المكارم والمجد. وفى هذا يقول الشنفرى شاعرهم الجاهلى:

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

ويقول أدباء العرب: إن أقذع ذم وُجِّه إلى عربى هو قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن لأى:

(*) مجلة الرسالة (العدد الممتاز) ٦ يناير سنة ١٩٤٧.

دع المكارم لاترحل لبـغـيـتـهـا
واقـعـد فـإنك أنت الطاعم الكاسي

أما حبهم لأوطانهم الأولى، وشدة حنينهم إليها، فلا أدل على ذلك من حنين الرسول ﷺ إلى مكة بعد هجرته منها، مع أن أهلها قد أخرجوه منها وساموه وشيعته سوء العذاب، ومع أنه قد كان فى هجرته منها نشر للإسلام وتوطيد لدعائمه. فقد روى أن أصيلا الغفارى قدم المدينة على رسول الله ﷺ من مكة قبل أن يضرب الحجاب؛ فقالت له عائشة: «كيف تركت مكة؟»؛ فقال: «اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأحجن ثمامها، وأغدق إذخرها، وأنشر سلمها[1]»؛ فقال رسول الله ﷺ وقد أثار هذا حنينه إلى وطنه الأصلى: (حسبك يا أصيل لاتحزننى» وفى رواية: «إيهاً يا أصيل! تدع القلوب تقر»[2]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ فى مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلىّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك». وعن الضحاك رضى الله عنه أنه قال: «لما خرج النبى ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل -الله تعالى- عليه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[3]

(قال أى مكة)[4]، ولا أدل كذلك على حب العرب لأوطانهم الأولى وشدة حنينهم إليها من عنايتهم فى وثنيتهم بالحج إلى مكة، حتى لقد ارتقت هذه الشعيرة لديهم إلى مصاف الفرائض الدينية الهامة. وما الحج فى نشأته الأولى إلا مظهر من مظاهر حنين العرب إلى وطنهم الأول ومنشأ أجدادهم الأولين وهو الحجاز. فمن المحقق أن الحجاز كان المهد الأصلى للشعب العربى، ومنه انتشر هذا الشعب الكريم فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العالم.

وأما شدة ميلهم إلى الهجرة كلما دعاهم إلى ذلك داع جدى فلا أدل عليه من هجراتهم المتوالية فى فجر تاريخهم وفى عصور جاهليتهم وإسلامهم.

فمن الحجاز واليمن اتجهت فى فجر التاريخ موجات الهجرة العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم.

فمن هذا القسم نزح الساميون إلى العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشأوا مملكة بابل - ومن هذا القسم كذلك نزح

---

(١) أحجن أى بدا ورقه؛ والثمام على وزن غراب نبت يسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة؛ وأغدق أى أزهر؛ والإذخر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب؛ وأنشر أى خرج ورقه واكتسى، والسلم والطلح واحد، والحديث مروى عن الخطابى فى غريب الحديث عن الزهرى.

(٢) أخرجه الترمذى.

(٣) القصص (٨٥).

(٤) رواه الإمام أحمد، قال أخبرنا أبوسلمة بن عبدالرحمن أن عبدالله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى ﷺ .. إلخ.

الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب التى عرفت باسم الشعوب الكنعانية وهى التى تفرع منها الفينيقيون والعبريون ـ ومن هذا القسم كذلك هاجر بعض قبائل الإسماعيليين (أى أولاد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –) إلى خليج العقبة حيث تكون من سلالاتهم الشعب النبطى وهو مخترع الخط النبطى المتصل الحروف الذى انشعب منه خطنا العربى الحالى ـ ومن هذا القسم كذلك هاجر عرب الرعاة أو الهكسوس إلى مصر حيث أنشئوا ملكا كبيراً ونشروا حضارتهم العربية على ضفاف النيل ـ ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أقدم العصور قبائل عربية كثيرة إلى الهند والحبشة والسودان وشمال أفريقيا وشرقها ـ ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المعدية (أولاد معد) التى كانت تقطن الحجاز إلى الشام، وبعض القبائل القحطانية التى كان موطنها اليمن إلى الشمال والشرق. فنزلت منها غسان بالشام والأوس والخزرج بالمدينة (وهاتان القبيلتان الأخيرتان قحطانيتان هاجرتا من اليمن إلى المدينة وإليهما هاجر الرسول ﷺ وفيهما تكون الأنصار رحمة – الله عليهم ورضوانه–).

وكذلك كان شأن العرب فى عصورهم التاريخية السابقة للإسلام مباشرة، والتى اشتهرت باسم العهد الجاهلى. وقد جمعت لنا كتب الأدب طائفة كبيرة من أخبار هجراتهم وتنقلاتهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم؛ حتى إننا لانكاد نجد قبيلة استقرت فى موطنها الأصلى. وقد ساعد على تتابع هجراتهم وكثرة تنقلاتهم عدم خصوبة أرضهم، واشتغال معظمهم بمهنة الرعى، وسعيهم وراء الكلأ والماء وساعد على ذلك أيضا كثرة حروبهم الأهلية التى لم يكد يخمد لها سعير فى هذه العصور؛ فكانت القبيلة التى تكون فى موطنها عرضة للعدوان أو تغلب على أمرها تنزح فى الغالب عن ديارها؛ كما حدث لمعظم بطون تغلب بعد أن هزمتها بكر فى حرب البسوس.

أما هجراتهم بعد الإسلام فحدث عنها ولا حرج؛ فقد انتشروا فى جميع بلاد العالم المتحضر فى ذلك العصر من الصين شرقا إلى الأندلس غرباً، ومن أقاصى السودان جنوباً إلى آسيا الصغرى والبلقان وفرنسا وإسبانيا شمالا، فنشروا فى هذه البلاد دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم ودمهم العربى، وأسسوا بنيان ملكهم فيها على تقوى من الله ورضوان وفى هذا يقول شاعرهم الرحالة أبودلف (وهو خزرجى من سلالة الأنصار الكرام) :

فنحن الناس كل الناس فى البر وفى البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل فى كل أرض خيلنا تسرى
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر

فلم يكن إذن حادث هجرة الرسول ﷺ وجماعة من أصحابه من مكة إلى المدينة غريبا على الطبع العربى؛ بل كان هذا الطبع يحتمه تحتيما فى مثل الظروف التى تمت فيها هذه الهجرة، كما حتم من قبل ذلك فى ظروفَ مشابهة لهذه الظروف هجرة نفر إلى

بلاد الحبشة وإلى المدينة نفسها من السابقين الأولين إلى الإسلام. فقد أشرنا فيما سبق إلى أن العربى كان يندفع بطبعه إلى الهجرة من بلاده إذا دعاه إلى ذلك داع من مصلحة عامة أو خاصة أو أصابه ضيم بين عشيرته وهذه الأسباب جميعا كانت متوافرة فى هجرة الرسول ﷺ.

ومع أن أهل المدينة كانوا يتألفون حينئذ من قبائل قحطانية تختلف فى أصولها الشعبية عن القبائل العدنانية التى ينتمى إليها الرسول ﷺ فقد آثر الهجرة إليهم دون غيرهم لأسباب كثيرة أهمها فى نظرى ثلاثة أسباب:

أحدها: أن أخوال أبيه – عليه السلام – كانوا قحطانين من أهل المدينة فكان طبيعيا، حسب مألوف العرب، وقد خذله عصبته وساموه سوء العذاب ووقفوا فى سبيل دعوته، أن يلجأ إلى بعض فروع خئولته يلتمس منهم العون والحماية فالخئولة أقرب الناس إلى العربى بعد عمومته. بل يظهر أن العرب فى مرحلة ما من أقدم مراحل تاريخهم كانت لحمة نسبهم بخئولتهم أوثق من لحمة نسبهم بعمومتهم.

وثانيها: أنه قد آمن به قبل هجرته عدد كبير من أهل المدينة وبايعوه على الدفاع عن دينه فكان طبيعيا أن يؤثرهم على غيرهم بهجرته ويتخذ منهم أنصاراً لنشر رسالته:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٥)

وثالثها: أن أهل المدينة وضواحيها كانوا أكثر استعداداً لقبول فكرة التوحيد التى جاء بها الدين الإسلامى من بقية أهل الحجاز ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى كثرة احتكاكهم بالموحدين من اليهود والنصارى الذين كانت تتألف منهم حينئذ جاليات كبيرة عربية وغير عربية فى المدينة نفسها وفيما يتاخمها من مواطن، صحيح أنه قد ظهرت بمكة قبيل الإسلام مدرسة الحنيفيين الموحدين الذى انحرفوا عن الشرك والوثنية (ومن أجل ذلك سموا بالحنيفيين أى المنحرفين) وعبدوا الله وحده على ملة إبراهيم وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وكان من هؤلاء محمد بن عبدالله نفسه قبل ان يبعث رسولا، كما كان منهم نفر من قريش، ولكن أعضاء هذه المدرسة كانوا يتألفون من بعض النابهين والمتفلسفين من سكان مكة، أما دهماء الشعب نفسه فكانت شديدة التعلق بدينها الوثنى، سادرة فى ضلالها القديم، تقتفى آثار آبائها فيما كانوا يعبدون وهذا هو عكس ما كان عليه الأمر فى المدينة فمع أنه لم ينشأ فى الأوس والخزرج مدرسة متفلسفة كمدرسة الحنيفيين بمكة فإن السواد الأعظم من الشعب نفسه كان مهيئا تهيئة كبيرة لعقيدة التوحيد.

---

(٥) الحشر (٩).

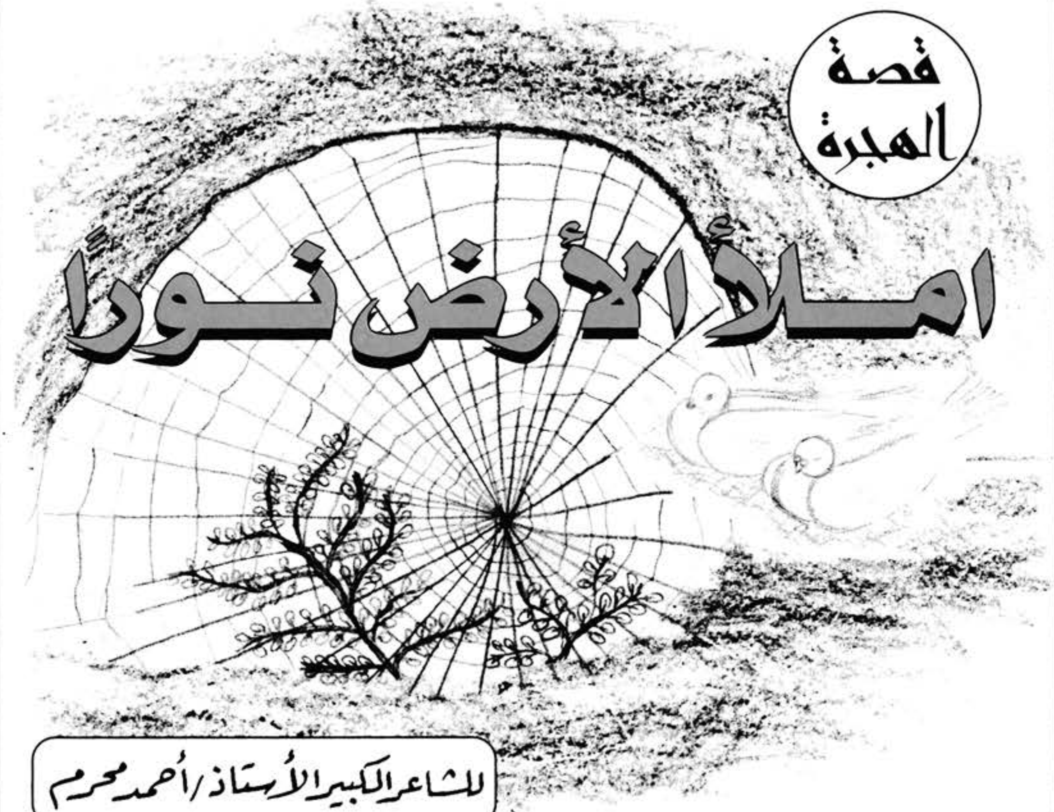

قصة الهجرة

املأ الأرض نوراً

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

املأ الأرض يا (محمد) نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلّى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عَبَّ سيلُ الفساد فى كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئتَ ترمى عُبابه بعباب ... راح يطوى سُيولَه والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخر يشمل البسيطة مدا ... ويعم السبع الطباق هديرا
ولدتك الكواكب الزهر فجراً ... هاشمىَّ السَّنا، وصبحا منيرا

يصدع الغيهبَ المجلّل بالوحى الملقَى ويكشف الديجورا

أنكر الناس ربهم وتولَوا   يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس   جعلوا البغي شرعة والفجورا؟
تلك أربابهم، أتملك أن تنـ   ـفع مثقال ذرة أو تضيرا؟
قهروها صناعة، أعجبُ الأر   باب ما كان عاجزًا مقهورا
ما لدى (اللات) أو (مناة) أو (العزى) غناءُ لمن يقيس الأمورا
جاءدين الهدى وهبَّ (رسول الله) يحمي لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته   فتداعى، وكان خطبًا عسيرا
جثمتْ حوله الحصونُ وظن القومُ ظن الغباء أن لن تطيرا
هدَّها ذو الجلال حصنًا فحصنًا   بالحصون العلى، وسورًا فسورا
بالرسول الهادي وبالصفوة الأمـ   ـجاد يَقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس، تلقى الرَّدى المهـ   ـراقَ مثلَ الغدير يَلقى الغديرا
إن في القتل للشعوب حياةً   وارفًا ظلُّها، وخيرًا كثيرا
ليس من يركب الدَّنية يَخشى   مركب الموت بالحياة جديرا

***

أمِن الحق أن تصدَّ قريشٌ   عن فتاها وأن تُطيل النكيرا؟
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم   فاستجابوا جهالة وغُرورا؟
أُولعوا بالأذى فألفوا رسولَ الله جلدًا على البلاء صبورا
كلما أحدثوا الذنوب كبارًا   وجدوه لكل ذنب غفورا
ما بِه نفسُه فيغضبُ يرضيها وترضيه ناعما مسرورا
إنه الله لا سواه، ودينٌ   ملَك النفسَ، واسترق الشعورا
يجدُ الناس والمقادير فيه   ويرى ما عداه شيئا يسيرا
أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتلُ يميط الأذى ويشفي الصدورا
كذبوا، ما دمُ الهِزبرِ أماني مهازيرَ يكثرون الهريرا
إنّ نفس الرسول أمنعُ جارا   من طواغيتهم وأقوى مجيرا

رَبٍّ آتيــــتَــــه علـى القـــوم نصـــرا فـــتـبــــاركتَ حـــافظا ونـصـــيــرا
أنت نَجّـيـتـــه فـهـاجــر يقـضى الـ ـحق لا خـــائفـــا ولا مـــذعـــورا
يومَ ضـــجّت جـبـــال (مكـة) ذعـــرًا وتمنت هـضـــابهـــا أن تمـورا
تـتـنـزّى أسـى وتمـسكـهـــا تمـ ـنعهـــا من ورائـــه أن تسـيـرا
هى لولاك لارتمت تقـــذف الصـــخـ ـر وتـزجى هبـــاءها المنثـــورا
هاجـهـــا من جـوى الفـراق وحـر الـ ـوجـد مـــا هاج بيـتك المعـمـورا
كـــاد يهـــفـــو فـــزدته منك روحـــا فـــانثنى راجحَ الجـــلال وقـــورا
يالـهـــا من (مــحــمــد) نظرات زخــرت رحـمـــةً وجــاشت ســعـيـرا
نـظرات شـــجـــيـــة لا تـعُـــد الـ ـــأهـــل أهـــلا ولا تــرى الـــدور دورا
قـــال: مـــا فى البـــلاد أكـــرم من مكـ ـة أرضـــا ولا أحبَّ عـــشـــيـــرا
فـاسكُنى يا همـــوم نفســـى إن اللـــــه أمـضـــى قضـــاءه المقـدورا
وتولى ولـلأمـــور مـــصـــيـــر يشـــتـــرى ربَّه، ويرجـــو المصـــيـــرا
يوم يمـــشى (الصـــديقُ) فى نـوره الز اهى، يـوالى رواحـــه والـبـكـورا
لا يـرى دونـه حـــيـــاةً ولا يـر هب فى اللـه لائمــــا أو نـذيـرا
يـنـصـــر الحق ثـائـرا يمنـع البـــا طل أن يســـتـــقـــر أو أن يثـــورا
دائمَ الكـرِّ والصـــراع مُلحًـــا لا يطـيـق القـــرار حـــتى يبـــورا
أقـــبلَ القـــومُ يســـألون: أتحت الـ ـأرض أم جـــاور الطريدُ النســـورا
نفـضـوا الهـضب والجبـال وشـقـوا الـ ـأرض طرًا رمـــالهـــا والصـــخـــورا
ويح (أســـمــاء) إذ يشـد (أبو جـــهـــــل) عـلى خـدرها المصـون مـغـيـرا
صـاح: أسـمـاءُ أين غـاب (أبو بكـــــــر) أجـيـبى، فـقـد سـألنا الخبـيـرا
قـــالت: العلم عنده، مـــا عـــهِـدنا أجَمَ الأُسْـد تســـتـشـــيـر الخـدورا
فـرمـاهـــا بلطـمـة تُعـرض الأجـــيـــالُ عن ذكـــرها صـــوادف صُـــورا
قـــذفت قـــرطهـــا بعـــيـــدًا، ورضّت من وجـــوه النبى وجـــهـــا نضـــيـــرا
(غـــارَ ثـور) أعطـاك ربك مـــا لـم يعط من روعـــة الجـــلال القـــصـــورا

أنت أطلعت للممالك دنيا ساطعا نورها، ودينًا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا كان من قبلُ عنده مذخورا
مخفرُ الحق لاجئا يتوقى قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفتْ حوله الشعوب حيارى من وراء العصور تدعو العصورا
اهدئى أيها الشعوب فإن الـ ـحق أعلى يدًا وأقوى ظهيرا
لا تراعى فتلك دولته العظـ ـمى تناديكِ أن أعِدّى السريرا

***

(صاحب القائم) المتوج بالعِزْ فانِ: بوركتَ صاحبًا ووزيرا
أنت واليته وعاديت فيه من توخّى الأذى وأبدى النفورا
ليت شعرى: أصبت حية واد تنفُثُ السمّ، أم أصبت حريرا؟
نفثت سمها فما هز (رِضْوَى) من وقار، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ النبى فما ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أعـ ـطاك سبحانه فأعطى شكورا
أىّ رأس حملت يا حامل الإيـ ـمان سمحا والبرِ صفوا طهورا

***

اتق الله يا (سراقة) وانظر إنما الرأى أن تكون بصيرا
أتظن الجواد قد خرق الأر ض يحابيك أم تظنه مسحورا
أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضا مستطيرا
غرك القوم فانطلقت ترجيـ ـه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين حظا وفيرا
فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر (بِسُوارَىْ كسرى) فديتُ (البشيرا)
قل لأهل (النياق) أوتيتُ أجرى جللا، فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيرا

الهجرة حدث تاريخي عظيم

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت فى المنام: أنى أهاجر من مكة: إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى (أى وهمى وظنى) إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب »:(١) لقد كانت الهجرة من مكة إلى يثرب: حدثا فذا من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب أن تظل معانيها ماثلة فى قلوب المؤمنين، تحمل إليهم سمات المجد والعظمة والبطولة، حقاً إنها تجدد الإيمان، وتبعث اليقين، وتشد العزم، وتقوى الأمل، وتنير السبيل أمام المكافحين الذين يطلبون بكفاحهم ونضالهم العزة والشرف، ويطلبون بجهادهم الله، والدار الآخرة، لا يبتغون مالا أو جاها، وإنما يبتغون للعالم صلاحاً وإصلاحاً، وأمنا واطمئنانا، وسلاما ووئاماً..

وإننا إذا ذكرنا الهجرة فلنذكر الإيمان القوى، والجهاد المرير، والكفاح الشاق، والصبر الطويل، أمام أعداء ألدَّاء، وفجرة كفرة أشداء، يريدون أن يبقى عهد الشرك، وأن يطول ليل الباطل !! والمسلمون يومئذ قلة: فى ضعف ومسكنة وذلة، يتخطفهم الناس من حولهم، ونالتهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ حتى رأى النبى ﷺ: أن يشير على أصحابه بالهجرة: إلى بلاد الحبشة، لينعموا فى جوها الطليق بالحريات الكاملة: حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاستعلان بشعائر الدين، قائلا لهم: « لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه » فهاجر

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر.

(١) أخرجه البخارى.

إليها جماعة من المسلمين، وكان من بينهم: عثمان بن عفان، وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها منهم غير صغارهم: ثلاثة وثمانين شخصا، فأمنهم النجاشي وأكرم وفادتهم، ثم كانت الهجرة إلى يثرب، حيث استقبلت النبي ﷺ: استقبالا رائعا، لم تشهد له مثيلا من قبل.. وتقع يثرب في سهل خصب شمالي مكة، قرب سلسلة الجبال التي تفصل قطاع نجد عن تهامة، وهي أرض تكثر فيها الحدائق والبساتين، والحقول المزروعة، وتتناثر فيها أشجار النخيل.. وكانت السيادة في هذه الواحة الخضراء الناضرة لقبيلتي الأوس والخزرج وقد شرفهما النبي ﷺ فيما بعد بلقب الأنصار، وزاد في تكريمهم فقال: «لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار»[٢].. وكانت القبيلتان في صراع دائم داخلي: أفضى إلى تقسيم يثرب إلى معسكرين متناحرين كانت الحرب بينهما سجالاً، حتى لقد أصبح الرجل من كلا المعسكرين لا يستطيع أن يخرج في حاجة له، دون أن يعرض نفسه للخطر، ولاشك أن كلا الفريقين قد ضاق ذرعا بهذه الحال التي لا يمكن أن تطاق طويلا، ولم يكن هناك أحد من أفرادهما يملك من النفوذ الأدبي قدرا كافيا لجمع الصفوف وتقريب وجهات النظر، فكان لابد لهذه الحال من رجل عظيم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ومدلول يأتي من خارج يثرب، فكان ذلكم الرجل العظيم هو محمد ﷺ، وكانت الهجرة إليها.. فقد فطن رسول الله ﷺ إلى أن دعوته خليقة بأن تلقى في يثرب من حسن الإصغاء، وطيب القول مالا تظفر بمثله في مكان آخر ومن ثم كانت الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ، كيف لا وهي نموذج حي متجدد على مر العصور، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال، مقدم أروع القيم والمثل، وأحكم التدابير التي تكفل نجاح من يلتزمها، فهي عمل بطولي فذ..

إن هجرة نبينا من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً ولا خوفا ولكن تنفيذا لخطة محكمة مرسومة، وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق، فلم يهاجر رسول الله ﷺ خوفا من بطش قريش وجبروتها، بل تنفيذاً لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين من يثرب إلى مكة في موسم الحج، لم يهاجر رسول الله ﷺ في سبيل مال أو جاه، أو تطلعا لمجد يتطاول به على خلق الله، لم يهاجر حقداً على ظالميه من أهل مكة، أو حنينا إلى منصفيه من أهل المدينة، بل كان دعاؤه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» كانت هجرته حبا للبشرية كلها، وإيمانا بالحرية وتأميناً لها، وحفاظا عليها..

لقد كانت الهجرة بحق عملا بطوليا قام على أساس من التخطيط، وما يتطلبه من

(٢) أخرجه البخاري عن عبدالله بن زيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما.

تدبير وإحكام وبعد نظر، لذا نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله – تعالى – لنبيه، قال الله – تعالى –:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

لقد حدد رسول الله ﷺ هدفه من الهجرة، وكان الأسلوب الذى اتبعه فى رحلته كفيلا بتحقيق هذا الهدف، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة، ويتفق مع الظروف المحتملة، ونظم هذه الوسائل تنظيما محكما، ثم نفذها بأسلوب واقعى سديد، فنجحت خطته وأدرك غايته، وكان من أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الفرد المناسب، بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة التى وقع عليها الاختيار فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته.. فأبو بكر الصديق، لمرافقة الطريق والتمويل، وعلى بن أبى طالب، لرد الودائع، وللنوم على فراش رسول الله ﷺ للتعمية على الكفار، وعبد الله بن أبى بكر، للأخبار (قلم مخابرات).. وأسماء للتموين، تساعدها أختها عائشة، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه، وليطعمهما: اللحم واللبن، وعبد الله ابن أريقط، لإخفاء النوق عنده، ثقة بأخلاقه وأمانته، وإن كان مشركا، وما سبق ذلك من حلف مع الأنصار فى بيعة العقبة ثم إرساله مصعب بن عمير إلى المدينة بين يديه واعظا لتمهيد الطريق، حتى دخل فى الإسلام كثير من البيوت.. حقا إن قصة الهجرة تبعث فى النفوس الأمل، وتوحى بأنه ما من محنة إلا فى طيها منحة، وما من بلاء إلا ويعقبه هناء.. إنها رهيبة فى بدايتها، ولكنها جليلة فى نهايتها، فقد مهدت للدعوة الإسلامية أن تأخذ طريقها إلى القلوب والآذان، ومكنت للمسلمين أن يعلنوا عقيدتهم فى حرية وأمان، وكانت بخيرها وآثارها برداً وسلاما على الإنسانية أخرجتها من ظلمتها، وأنقذتها من وهدتها، وهدتها من حيرتها، ودفعت بها إلى طريق الخير والصلاح..

وهكذا كانت الهجرة نصرا للمؤمنين، ونورا للمجاهدين، فتمتعوا بالحرية بعد التضييق عليهم من المشركين، وبالكرامة بعد الهوان.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المجاهدين وسيد المهاجرين وعلى آله وصحبه وسلم.

(٣) التوبة (٤٠).

(٤) العنكبوت (٦٩).

من قصص الهجرة

محنة مؤمن

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

كما يمرق السهم، اندفع عياش بن أبى ربيعة نحو الحارث بن يزيد عندما رآه يسير بظهر قباء وهو يصيح :

-لم أترك الهدى يا ابن يزيد .

وقبل أن يتنبه أحد إلى المفاجأة الخاطفة كان الحارث بن يزيد فى الغابرين، وتعالت الأصوات :

- جُنَّ عياش . . قتل رجلا مسلماً .

- أى شىء صنعت يا عياش؟ . . إنه رجل مسلم . !

- يا عياش . . أنت امرؤ لاتزال فيك خصال الجاهلية!

- أيقتل المسلم أخاه يا عياش؟

- اذهبوا به إلى رسول الله ﷺ ليحكم فيه بما أنزل الله .

والتف جماعة حول عياش الذى وقف واجماً فاغر الفم من الدهشة، وكأنما أصاب تفكيره الجمود فلا يحير جواباً ولا يجد ما يقول، وشده أحدهم من ذراعه وتبعه آخرون إلى المسجد وهو يقول بصوت حزين واهن :

- يا رسول الله . . كان من أمرى وأمر الحارث ما علمت، وإننى لم أشعر بإسلامه حين قتلته .

أطرق النبى ﷺ وشق على عياش أن يكون أول مسلم يرفع سيفه فى وجه أخيه فى مجتمع تتجسد فيه مشاعر المودة والإخاء، مجتمع جعله النبى ﷺ مثاليا فى الحب والمودة والإيثار، وكل ما هو طيب يقرب الإنسان من ربه، ويوطد علاقته بأخيه الإنسان .

جلس عياش فى المسجد لا يبرحه . . يفكر فى جرمه الذى لا يعتقد أن تقديم نفسه لسيف القصاص كاف لمحوه . . وقرر أن يعتزل الناس منزويا فى ركن من أركان المسجد .

وبينما كان عياش فى ركنه يجتر همه ويقلب عينيه فى السماء، والدموع تترقرق فيهما، والندم يرسم خطوطه وألوانه على وجهه، والكلمات فى حلقه مشرذمة الحروف لا يستطيع الجمع بينها

وكأن الندم يقف في حلقه ليحول بينه وبين همس الدعاء، وبينما هو على هذه الحال إذ يصله من قبل النبي ﷺ من يبلغه حكم الله في فعلته:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١).

استراح عياش إلى حكم الله، وإن كانت الحادثة التي أحفظته على يزيد لا تزال بين الحين والآخر تتراءى في أفق خياله كلما نظر إلى عمر ابن الخطاب صديقه ورفيقه في رحلة الهجرة، وناصحه الذي لم يطعه.

شق على أسماء بنت مخربة – سيدة نساء بني مخزوم، وصاحبة الكلمة المسموعة فيها والمنافسة الوحيدة – لأبي طالب بن عبدالمطلب في تجارة العطور والتي تعد من أغنى أغنياء قريش – شق عليها أن يخرج على طاعتها أحب أبنائها إلى قلبها «عياش» وهي التي كانت تعده – مع إخوته: أبي جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وعبدالله، وعياش ابني ربيعة، ليكون أحدهم سيد قريش، ومع أنها لم تكن مخزومية، إلا أنها تحب أن تكون سيادة قريش في أحد أبنائها المخزومين ولم يعوذها الجاه ولا المال لتحقيق هذا الهدف الذي بدأت منذ حين تعد له العدة وتعمل جاهدة على تحقيقه، ولهذا كان إسلام أحد أبنائها «عياش» صدمة قاسية قوضت آمال هذه الداهية الطموح، فدعت ابنيها أبا جهل والحارث ابني هشام، وجعلت تستثير فيهما النخوة، وتذكرهما بمكانة عمهما عمرو أبي ربيعة والد عياش، صاحب الرمحين في حرب الفجار، وابنه العدل عبدالله بن أبي ربيعة الذي كان يكسو الكعبة من ماله عاما وتكسوها قريش عاما، فهو عدل لقريش كلها. وأقسمت بالآلهة جميعا ألا يمس رأسها مشط، وألا تستظل من شمس حتى ترى عياشا.

لم يمض على وصول عياش وعمر بن الخطاب إلى المدينة غير يومين حتى وصل الأخوان أبو جهل والحارث ابني هشام، أخوا عياش لأمه وابنا عمه، وجعلا يزينان له العودة، ويذكرانه أن دينه الذي اتبعه يدعو إلى بر الوالدين، وأخبراه بقسم أمه، وتعهدا ألا يحولا بينه وبين العودة إلى المدينة مرة أخرى. وظهر من عياش ميل إلى تصديقهما، فقال له عمر ابن الخطاب ناصحا:

– يا عياش.. إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لوقد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال عياش وقد نمت نبرات صوته عن ضعف ورقة:

(١) النساء (٩٢).

- أبر قسم أمي ولي مال هناك فآخذه.

- والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما ولما رأى إصرار عياش على مخالفته واتباعهما قال له:

- أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما.

مضى ثلاثة الأخوة إلى مكة، وعياش مطمئن إلى وعد أخويه، ولم يدر بخلده أن يكونا قد خدعاه، حتى إذا كان بينهم وبين مكة بضعة أميال قال أبو جهل لعياش:

- والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟

وأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه وربطاه. كان شعور الزهو يرسم قسمات أبي جهل عند دخولهم مكة نهارا وهو يشير إلى عياش المربوط فوق ناقته ويصيح:

- هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.

لم يكن الألم النفسي الذي عاناه عياش بأقل من ألم السياط التي كانت تهوي على ظهره من أبي جهل وصديقه الحارث بن يزيد من كنانة، والذي لم يكتف بالمساهمة في جلد عياش، بل سخر منه وبكّته بقوله:

- يا عياش.. لئن كان الذي كنت عليه الهدى، لقد تركت الهدى.. وإن كان ضلالة لقد كنت عليها. فنظر إليه عياش وقال متوعدا:

- والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك يا خالد بن يزيد.

كان عمر يجلس واجما في المسجد وهو يستعيد أحداث رحلته مع عياش وكيف احتمله أخواه ليفتناه، وإن ذلك ليضيف حزنا إلى حزنه على هشام بن العاص الرفيق الثالث الذي كان مفروضا أن يهاجر معهما وحُبس في مكة، ولكنه تنبه على صوت النبي ﷺ يقول:

- من لي بعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام؟

فنهض الوليد بن الوليد خفيفا يقول:

- أنا لك بهما يارسول الله.

طالت غيبة الوليد بن الوليد حتى كان الرسول ﷺ إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره دعا:

« اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد » كان الوليد بن الوليد في مكة يتظاهر بالاهتمام بوالده الوليد ابن المغيرة الذي يعاني سكرات الموت، ولكنه ظل دائب البحث عن المحبوسين حتى رأى امرأة تحمل طعاما فقال لها:

- أين تريدين يا أمة الله؟

- أريد ذينك المحبوسين.

فأدرك أنها تريد عياشا وصاحبه، فتبعها حتى عرف محبسهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له. فلما كان المساء، تسور الجدار ووضع مروة « حجراً » تحت قيدهما وضربه بسيفه فقطعه، وانطلق بهما إلى المدينة.

الهجرة تذكير وإيناس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

فى مثل هذا اليوم من ١٤٢٢ عاما أو تزيد أضاءت طلعته البهية ﷺ على أرض ذات نخل كانت تسمى «يثرب» فتحول اسمها إلى «المدينة المنورة».

وطاب هواؤها ونقلت حُماها إلى «الجحفة» واستضاءت بنوره ﷺ الذى شاهده أهلها فرددوا بتلقائية وحب ترحيبا بالكريم الحبيب المنتظر:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا يا خير داع

وواجب علينا أن نروى القلوب الظمأى فى زمن القيظ المميت برحيق السيرة العطرة والسلسبيل العذب والقدوة الحسنة لنجدد الإمداد بالنور المحمدى ونحيى ما ذبل من صلتنا بالله - سبحانه وتعالى - فنحيل دنيانا من الجدب إلى النماء، ومن الظلمة إلى النور، ومن القسوة إلى الرحمة ومن الضلال إلى الهدى.

وفى الحديث عن الهجرة تذكير وإيناس للمسلمين، تذكير لهم بحقائق الدين الذى هوجم فى مكة وعودى أهله بما هو فوق طاقة البشر. وإيناس لهم بتأييد الله للمؤمنين الصادقين الصابرين فى كل وقت وما أدراك ما تأييد الله للمؤمنين من عباده:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(١).

قاطعنى صاحبى كأنه يتوسل إلىَّ فى رجاء ومودة قائلا: هل من الممكن أن تترك الحديث عن الهجرة اليوم وتجيبنى عن أسئلة – لا أكتمك سرا إن قلت – ألحت علىَّ وأقضت مضجعى، ثم أردف يقول: ولعل فى الإجابة عنها تذكيرا وإيناسا

(١) المدثر (٣١).

للمسلمين! قلت: عافاك الله يا صاحبى، هات ما عندك، أسأل الله أن يجعل فى الإجابة إيناسا وتذكيرا. قال: كيف يجرؤ مسلم أن ينكر حديثا صحيحا ذكره الإمام مسلم فى صحيحه؟

قلت: ما هكذا يا صاحبى تؤخذ الأمور ولا تناقش مسائل العلم! قلت: لعل الرجل أنكر صحة ثبوت الحديث فهو ينكر نسبته إلى رسول الله ﷺ فهو لم ينكر ما ورد عن النبى، إنما أنكر ثبوت الحديث للنبى. وفرق بين القولين بين رجل يثبت عنده قول النبى ﷺ وهو يرفضه وبين آخر يزعم أن النبى ﷺ لم يقل هذا الكلام الذى هو منسوب إليه ويصبح الأمر فى الحالة الأخيرة محصورا فى الإمام مسلم وفى تثبته ومنهجه وضبطه فى إخراج مسنده ثم لا يخلو الأمر إما أن يكون المعترض على الإمام مسلم من أهل العلم والمعرفة بالحديث وعلومه، أو يكون صاحب هوى يهرف بما لا يعرف فإن كانت الأخرى فلا تقم لكلامه وزنا لأنه جاهل فيما يتكلم فيه متكبر يتنكب طريق العلم السوى والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

فهو ليس من أهل الذكر ولا يريد أن يسأل أهل الذكر وكما يقولون: «شفاء العى السؤال»

وتلك هى المصيبة الكبرى وهى أكبر آفة تصيب أمة، أن يتصدى للرأى فيها من لا يعرف، لأنه إن كان من أهل العلم لا يمكن أن يقلل من شأن الإمام مسلم أو يرفض حديثا رواه. فالإمام مسلم لم يكتسب هذه الثقة بين أهل العلم لمنصب أو جاه، إنما اكتسب هذه الثقة من منهجه وعلمه ورسوخه وزهده وورعه. وما أدراك ما الورع والزهد فى حياة علماء الحديث وصاحبك لا يرقى إلى معرفة منهج المحدثين فضلا عن معالجة هذا العلم والإفتاء فيه. ورفض أو قبول أحد من أهل الحديث فكيف بربك تلغى عقلك لتستمع إلى كلام دعى فى غير مجاله وغير تخصصه.

إن العالم اليوم يحترم التخصص الدقيق فلا يمكن فى عالم اليوم - مثلا - أن أترك جراحا ماهرا فى عالم المخ والأعصاب وأستمع إلى كلام مشعوذ دعى، فضلا عن أن العاقل لا يمكن أن يقبل كلام طبيب عيون فى جراحات المخ والأعصاب، وهكذا فى كل التخصصات وكما يقولون: «أهل مكة أدرى بشعابها».

قال صاحبى: اسمح لى أن أقول لك: إنك شديد التعصب للإمام مسلم وأهل الحديث! قلت: لن أقول لك إنها تهمة لا أرفضها وشرف لا أدعيه. بل أقول إنه شرف أحاول أن أصل إليه طول حياتى وأن أحشر فى زمرتهم بعد مماتى.

إن منهج علماء الحديث وما تركوه لنا من تراث فى التحرى والتدقيق والورع والزهد والخوف من الله منهج تفرد به قومنا يا صاحبى.

وإن كل أمة على وجه الأرض تأخذ من تاريخها وتدع لأن الرواية عندهم مفقودة والورع عندهم لا وجود له. وعلماء الحديث يتعاملون مع النصوص بالأمانة؛ لأنه دين فليس منهجهم من منطلق إحراز السبق فى الدنيا أو المحمدة عند الناس، وهناك فرق بين من يسعى للدنيا ومن

(٢) النحل (٤٣).

يرجو الآخرة، الذى يسعى فى الدنيا ولها يرجو محمدة الناس والذى يسعى للآخرة لله وفى الله.

إن منهج أهل الحديث مؤسس على رجاء أن تصيبهم رحمة الله استجابة لدعوة النبى ﷺ حيث قال: «رحم الله أمرءا سمع منى حديثًا فبلغه كما سمعه»(٣).

وما تركه القوم – والحمد لله مسطر فى كتبهم – خير شاهد على ما قلت وأسوق لك واقعة تدرك منها دقة هذا العلم وأمانة أصحابه.

وأيضا لا بأس أن تهدى هذه الواقعة لأصحاب اللافتات البراقة «حقوق الإنسان»، و«جمعيات الرفق بالحيوان» إذ لا معنى للرفق بالحيوان مع إهدار رفق أوجب. ألا وهو الرفق بالإنسان.

والواقعة مع هذا ترتبط برواية الحديث.

قال صاحبى: ما علاقة الرفق بالحيوان وحقوق الإنسان بالحديث وعلومه؟

قلت: إن جماعات «الرفق بالحيوان»، و«حقوق الإنسان»، و«سفراء النوايا الحسنة» وما شاكل ذلك هى لافتات براقة جميلة فى مظهرها ومظاهرها، أما الرفق عند علمائنا فهو أمانة، وحقوق الإنسان عندهم دين، والنوايا الحسنة فرض فى كل قول وعمل، لا يحتاج فى ديننا إلى كاميرات وصحف وقنوات أرضية وفضائية، ولا إلى بدلات أو دعاية، والواقعة تقول: إن رجلا ذهب وسافر ليأخذ حديثا ممن سمعه ليثبت سماعه منه فرآه منصرفا عنه متجها إلى كلب يعالج يده، فهم أن يرجع ظنا منه أن صاحبه ليس أهلا للرواية فلما فرغ من معالجة الكلب أقبل إلى صاحبه كأنه يعتذر إليه قائلا: إنا ببلاد لا تكثر فيها الكلاب ورأيت هذا الحيوان أقبل علىَّ رافعا يده كأنه يرجونى أن أعالجها فما أحببت أن أقطع رجاءه فىَّ لأنى سمعت أن رسول الله ﷺ قال: «قطع الله رجاء من قطع رجاء من رجاه» فقال الآخر: جزاك الله خيرا على فعلك وقولك، أنا ما جئت إلا عن هذا الحديث أسمعه منك وشكر صاحبه وقفل راجعا.

أما الواقعة الثانية فهى أن رجلا نفرت ناقته فأراد أن يتألفها فأومأ إليها كأنه يقدم إليها علفا فلما جاءت أمسكها ولم يكن ثمة علف ولا طعام ورآه رجل جاء ليأخذ منه حديثا فرجع ولم يأخذ منه شيئا وقال: إنه رجل لا يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ.

قلت لصاحبى: تأمل هذه الوقائع ذات الدلالة البليغة المؤثرة، حيث إنها صادقة فِطْرِيَّة فلم تحتج إلى دعاية أو إعلان أو تحضير حتى يتم التصوير والبث وذلك شىء أصيل فى الدين وفى الناس!!

ثم أردفت قائلا: إن الإنكار للسنة يأخذ أشكالا عديدة وليس شكلا واحدا فتارة يكون بالطعن فى رواة الحديث وتارة بالطعن فى أصحاب الأسانيد والجوامع. وتارة بالزعم أنه يدافع عن الدين نفسه وأنه يريد تنقية الدين ويرفض أحاديث بزعم أنها تخالف القرآن وهى خدعة رديئة لا تنطلى على بصير ولو علم هؤلاء جَهد علماء الحديث فى علمهم وبحثهم لما

(٣) اخرجه ابن حبان.

تفوهوا بما قالوا ولولا ضيق المجال لسردت لك التراث الطيب الذى خلفوه لنا من المؤلفات.

وهذا الاحتماء المزيف بالقرآن الكريم خدعة «رديئة» كما قلت، فإن الشيطان يسول لهم ذلك ويلهمهم بالمعرفة وهم مخدوعون. على أنهم فى رفضهم للأحاديث وطلب الاحتكام للقرآن هنا زعم نتوقعه بل وننتظره فى شوق.

لعلك تقول: كيف تنتظره فى شوق؟ أن تتوقعه معقول ومقبول لضعف الاستعداد العلمى ولسوء البضاعة التى يتاجرون فيها، أما أننا ننتظره فى شوق فذلك فى حاجة إلى بيان.

وإليك البيان قلتُ: إن سيدنا محمداً مرسل من عند الله - تعالى - مؤيد بالمعجزات الباهرة وبعض هذه المعجزات حدثت فى حياته الشريفة ﷺ وبعضها أخبر بأنها ستحدث ونحن نتلهف ونتشوق إلى وقوعها كما أخبر ﷺ فذلك من دلائل نبوته التى يظهرها الله كل يوم فمنها ما أخرجه أبوداود والحاكم وأحمد قال: «يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله». فالنبى ﷺ أخبر بأنه سوف يجىء أناس يرفضون حديثه بزعمه أنهم يحتكمون للقرآن وحده فهى إذن نبوءة نحن ننتظر تحققها ووقوعها فلو لم تحدث لكانت خبرا كاذبا، أما وإنها قد وقعت وخرج أناس يرفضون حديثه ﷺ فلا يغرك منهم ادعاء أنهم يحتكمون للقرآن وحده فهذا باطل يلقونه فى وجوه الناس يتوارون به من سوء ما أضمروا فإنهم لايريدون الدين أصلا

ففى حجية السنة سطر العلماء - وأنا أقول العلماء - كتبا شافية ضافية لن أحيل المتكلمين برفض السنة عليها لأنهم يبغون أهدافا لن تجدى معها كتابة العلماء.

قال صاحبى: أرحتنى جزاك الله خيرا وعندى سؤال آخر!!

قلت مقاطعا مهللا: أنا لم أفرغ مما أريد!

إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى، إلى القرآن نفسه، انتفض صاحبى كأنه قد لُدغ قائلا: هل ينكرون القرآن قلت: إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد.

قال صاحبى متسائلا فى نزع كأنه يسمع لأول مرة هذا الزعم بأن عمر أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم: هل يملك أحدا كائنا من كان أن يلغى نصا من كتاب الله أو يوقف عمله؟.

قلت على الفور مبادرا: دع أسئلتك وتداعياتها الآن واسمع منى فلعلك تجد الإجابة فيما أقوله لك؟

قال: لك ما تريد.

قلت: هذه أكذوبة قديمة وحيلة رديئة كما قلت وصاحبك قليل البضاعة ضحل المعلومات حديث عهد بملاعب المفترين والشياطين فلما طالع هذه الفرية خيل إليه أنه عثر على ضالته، فلا بأس بأن يستعملها ويلقيها فى ملاعب الرأى والجدال يبرر بها ما يريد أن يفعله مع القرآن الكريم لكن هيهات هيهات فلن يصلوا إلى هدفهم، إن أغلب هؤلاء عندهم رغبة مدفونة فى حب الظهور لم يحققوها فى مجالهم فبعد أن لفظتهم الدنيا التى يلهثون وراءها ولم ينالوا منها أخذوا يبحثون عن مجال يظهرون فيه فسولت لهم أنفسهم أمرا فصبر جميل والله المستعان. على أن هناك آخرين يمارسون هذا اللون لكنهم والحق يقال أكثر اطلاعا وأكثر دربة وأكثر مكرا نشأوا على هذا المنهج وليسوا طارئين عليه كمن يبحثون عن عمل يمارسون وشغل يسدون به فراغا فى نفوسهم بعد أن انصرف الناس عنهم يقول هؤلاء يبغون تعطيل النصوص القرآنية والعبث بها بزعم أن هذا هو واجب التفاعل مع النصوص داعين الناس إلى التفاعل الإيجابى - هكذا - مع نصوص القرآن!!! أليست هذه خدعة رائجة فى هذا العصر، لا أنكر أنهم يملكون ذكاء فطريا دون شك لكنه شيطانى وأصحاب اطلاع وافر أشهد به لا يقدر عليه صاحبك الكهل الآن حيث ذهب أكثر عمره. ومع الذكاء والاطلاع لا تخطىء العين فيهم ظلالا ماركسية. يقولون مثلا: لقد كان هناك «ديالكتيك» صاعد بين القرآن والمجتمع فى عصر النبوة، أما الآن، فثمة ديالكتيك هابط بفعل - ما زعموه - من تخلف أدى إلى تقديس النص - هكذا - ولعلك تعلم أن من مصطلحات الماركسية المشهورة - «الديالكتيك»، «والجدلية» - فهذه مسلمات لا تقبل الجدل ولا النقاش ولا حتى السؤال عن معناها فى الفقه الماركسى.

فهو يقول: إن القرآن كان ينزل على الرسول ﷺ بحكم من الأحكام ثم ينزل بعد ذلك تخفيف للحكم أو تدرج فيه - فصاحبنا الخليط من الماركسية والتغريب - يزعم أن هذه تفاعل بين القرآن والمجتمع أو الناس مع النص فكان التغيير إلى الأحسن والأيسر، أما الآن فلا، ولنا أن نسأل ما الذى يريده الآن بعد انتقال النبى ﷺ وبعد انقطاع الوحى؟

إنه يريد تحوير النصوص بفعل ما يسميه «ديالكتيك» صاعدا لصرفها عن معناها، تأمل هى نفس الدعوة ونفس الهدف لكن صاحبنا أكثر دربة واطلاعا كما قلت من المتقاعد العجوز!! لكن هل يملك أحد أن يعطل نصا فى كتاب الله؟ - أبدا..

هم ينسبون ذلك لعمر ولا يمكن لشخص كائنا من كان أن يلغى نصا من كتاب الله. كذلك يزعمون مع سهم المؤلفة قلوبهم، صاحبنا الشاب الماركسى المطلع يفهم ذلك جيدا ويعرفه ويعرف الرد عليه تماما أما صاحبك المتقاعد العجوز فهو مسكين لا يعلم شيئا ولا يستطيع ولا هو قادر على أن يفعل بعد فوات العمر إنما رأى الشبهة ولقلة اطلاعه تصور أنها جديدة وطازجة فقدمها فرحا بها مبهورا دون أن يدرك أنها منتهية الصلاحية فهو قليل الخبرة حديث عهد بمجال الشبهات الفاسدة طامح إلى الشهرة بغير حدود.

قلت لصاحبى: سوف أفرد بإذن الله مقالا لهذه الشبهات القديمة البالية. أبادر فأقول: إنه ليس من عندى لكن من التراث بأقلام الأساتذة العلماء أهل التخصص، حتى أريك أنها شبه فاسدة منتهية الصلاحية ضبطتها أجهزة الفحص الرشيدة فى حينها وألقت بها فى محرقة المخلفات صونا للمجتمع والناس. لكنى أقول لك باختصار: إن أى حد من حدود الله - تعالى - مثل الزنا والخمر والسرقة له شروط فليست المسألة اهتبالا للانتقام من البشر بل هو عدل ينبغى أن يسود وتقويم وعلاج يقدم لمرضى وليس شهوة انتقام مرذولة، فثمة شروط فى الشىء المسروق والمكان الذى سرق منه، فإذا لم تنطبق الشروط فهل تقطع يد الرجل الذى أخذ المال بزعم أنه سارق.

فإذا قال حاكم عادل وفقيه مستقيم الفقه سليم الصدر لا تقيموا الحد، فواقعة السرقة لم تتحقق وهل يُلقى فى وجهه المتعطشين للدم أو الراغبين فى التحلل على السواء أنه يعطل النص ولا يقيم الحد؟!!.

إن الأمر فى الإسلام جد مختلف عما يشيع المرجفون ويتلهف المتشددون فليس الإسلام متعطشا للدم ولا لقطع الرقاب والأيدى فعلماء الحديث وعلماء الفقه أيضا عندما يتكلمون فى «أبواب الحدود» يصدرون الباب بحديث النبى ﷺ «ادرأوا الحدود بالشبهات»[٤] كلهم يفعل ذلك بلا استثناء من غير اتفاق مدبر أو مفتعل، إنما هى سماحة الدين نفسه تنساب من قلوبهم وأفكارهم وتسطر أقلامهم ما نطق به الصادق المصدوق الرحمة المهداة ﷺ فشعار المسلمين لأن يخطىء الإمام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة فهل لو أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - طبق شروط القطع ووجدها لم تتوافر فى المختلس أو خائن الأمانة يلام من جهة المتشددين ويتهم من جهة المتسيبين المفسدين أما من وسط عاقل أليس منكم رجل رشيد يقول إن عمر أعمل النص بشروطه التى أظهرتها رحمة الدين نفسه كما أن سهم المؤلفة قلوبهم معلول لعِلة وكما يقولون: المعلول يدور مع العلة وجوداً وعَدما كما وردت فى حيثيات الإلغاء لو كلف نفسه بالاطلاع على سيرة عمر وهذا ما تقتضيه أمانة البحث وأظن أن فى ذلك كفاية.

بادرنى صاحبى قائلا: مهلا ثمة أسئلة أخرى.

قلت لصاحبى: مرحبا بالأسئلة، لكنه قد يتملكنا العجب عندما نجد أناسا فى موكب تجديد الخطاب الدينى يهرولون ويسرعون دون وعى أو إخلاص، لقد فاجأهم الزعيم بهذه الدعوة الرشيدة، فهم يهتفون دون وعى بموقفهم، أين كانوا يقفون بالأمس، ولمن يهتفون؟ فلهؤلاء وهؤلاء نستعير كلمة للعقاد نختم بها، قالها لمن شغبوا عليه فى ميدان السياسة، قال رحمه الله: «إيه يا خفافيش السياسة، أعثيتم نفوسنا، أعثى الله نفوسكم الضئيلة، لا هوادة بعد اليوم، السوط فى اليد وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت، وسنفرغ لكم أيها الثقلان».

---

(٤) أخرجه ابن سعد.

دلائل القدرة الإلهية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن دلائل القدرة الإلهية فى السموات والأرض على خالق الكون وعلى وحدانيته وأنه المحيى والمميت دلائل تفحم كل الملحدين والوجوديين وأرباب المذاهب الهدامة قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(١).

إن قدرة الله ـ تعالى ـ على كل شىء واضحة لدى كل مؤمن، فإن الله ـ سبحانه ـ هو الذى خلق السموات والأرض، وبيده مقاليد كل شىء، وهو المحيى والمميت وهو على كل شىء قدير، وهو الذى يبعثنا بعد الموت، وأدلة البعث كثيرة وواضحة تمام الوضوح، ولاينكرها إلا جاحد ومعاند، فالله ـ سبحانه ـ خلق الإنسان من العدم، وهو الذى يحييه ويبعثه، وفى هذه الآيات الكريمة، رد على من أنكر البعث واستدلال قوى ببدء الخلق على إعادته فإن الله ـ تعالى ـ الذى خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، ومن نطفة ضعيفة، قادر على إعادته بعد موته ولقد جاء أبى بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفى يده عظم رميم، وهو يفته، ويذروه فى الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم يميتك الله ـ تعالى ـ ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار».

---

(١) يس (٧٧ : ٨٠).

ونزلت هذه الآيات من آخر سورة «يس»:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

والآية عامة فى كل من أنكر البعث، والألف واللام فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ للجنس يعم كل منكر للبعث ولقد مات أُبى ابن خلف على الكفر والضلالة كما أخبر الرسول ﷺ.

وإن الله ـ تعالى ـ الذى أنشأ تلك العظام البالية أول مرة هو الذى يحييها ويبعثها وهو بكل خلق عليم، يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت وفيها ما رواه الإمام أحمد بسنده: قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟.

فقال: سمعته ﷺ يقول: «إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا جزلا، ثم أوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى، فامتحشت - أى احترقت فخذوها فدقوها فذروها فى اليم، ففعلوا فجمعه الله ـ تعالى ـ إليه ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله عز وجل له».

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وهو فى الصحيحين بلفظ: «إنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فى يوم رائج أى كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله ـ تعالى ـ البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو رجل قائم، فقال له: ما هلك علي ما صنعت، قال: مخافتك، وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له» ثم أوردت الآيات الكريمة دليلا آخر على قدرة الله ـ تعالى ـ وعظمته وعلى الموت والحياة وعلى البعث، وذلك بما فى الكون من مخلوقات وبما أنبته الله ـ تعالى ـ فى الأرض من أشجار، فهو ـ سبحانه ـ قد بدأ خلق الشجر أخضر نضرا مثمرا ثم هو ـ سبحانه ـ الذى يعيد الشجر حطبًا يابسًا توقد به النار.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

وقال قتادة فى هذه الآية: يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك: شجر المرخ والغفار يأتى من أراد قدح النار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد.

إنها قدرة الله ـ تعالى ـ الذى يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء فهو الفعال لما يريد لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء، فكيف ساغ لأولئك الجاحدين والمعاندين أن ينكروا البعث؟ وشواهده من الوضوح بمكان بحيث لا ينكره صاحب عقل، ولكن إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

لقد اتضح دليل البعث من خلق الإنسان ووجوده بعد العدم وبعد أن لم يكن شيئا

مذكورا وهذا دليل على أن البدء من العدم أكبر والقادر على خلق الإنسان من العدم وعلى خلقه أول مرة قادر على إعادته وعلى البعث والنشور والحساب والعقاب، وهذا دليل من نفس الإنسان ومن خلق الإنسان.

وهناك دليل آخر كونى، يتضح من هذه الأشجار التى خلقها الله - تعالى - وجعل من شجرها الأخضر نارا يوقدون منها، وأنها أدلة قوية وشواهد ناطقة بأن الله - سبحانه - قادر على البعث والإعادة، قادر على الحياة والموت، قادر على كل شىء، لأنه خالق كل شىء، فلا معبود غيره ولا رب سواه، تبارك الله رب العالمين.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

وفى هذه الآيات الكريمة استدلال على البعث، وعلى إعادة خلق الأجساد، وذلك بالتنبيه والإشارة إلى خلق السموات والأرض، فالسموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والأرض وما فيها من جبال وبحار، وقفار وأشجار وأنهار فى خلق هذا الكون الفسيح، والملكوت الكبير أكبر دليل على البعث والنشور، وعلى إعادة الناس، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فخالق هذه المخلوقات وهو الله - سبحانه وتعالى - قادر على خلق الناس، وإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، فهو الذى بدأ الخلق وهو الذى يعيده وهو على كل شىء قدير.

وقال - تعالى - فى آية:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

فهو - سبحانه - لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو سبحانه الخلاق العليم، لا خالق سواه فهو الواحد الأحد القادر العظيم الذى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء.. وأمره تعالى نافذ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه إذا أراد نفذ المراد وأمره واحد لا يحتاج إلى تكرار:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

وهو - سبحانه - المنزه عن الخلق، الملك القدوس إليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر وله المرجع والمآب، وهو العادل الذى يجازى كل إنسان بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، له كل شىء وإليه ترجعون.

وتنزيه الله - تعالى - وتسبيحه من أهم ما ينبغى أن تشتمل عليه عبادة المسلم آناء الليل وأطراف النهار فى عمله وسيره وعبادته، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى العبادة، وفى تسبيح الله وحده وشكره، روى الإمام أحمد - بسنده - عن

---

(٢) يس (٨١ : ٨٣).

(٣) الأحقاف (٣٣).

حذيفة وهو ابن اليمان ـ رضى الله عنه ـ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع الطوال فى ركعات وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال: «الحمد لله ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعة، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاى».

وفيما رواه أبوداود بسنده عن عوف بن مالك الأشجعى ـ رضى الله عنه ـ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه: «سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال فى سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة.

والآيات الكريمة، تؤكد وتوضح الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على قدرة الله العزيز الحكيم، وعلى البعث، وإعادة الناس.

والإيمان بالبعث أو اليوم الآخر من صميم العقيدة الإسلامية، ومن أركان الإيمان بالله ـ تعالى ـ ففى حديث جبريل حين سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وفى رواية قال: إن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر»(٤).

واختلف فى المراد بالجمع بين الإيمان بلقاء الله ـ تعالى ـ والبعث، فقيل: اللقاء يحصل بالانتقال إلى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة، وقيل: اللقاء ما يكون بعد البعث عند الحساب.

وقال الإمام النووى، وأما وصف البعث بالآخر، فقيل هو مبالغة فى البيان والإيضاح وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل سببه أن خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الأرض، فقيد البعث بالآخر ليتميز.

هذا، الإيمان بالبعث أعظم دافع للإنسان ليأخذ من حياته زادا لآخرته كى يفوز برضا ربه ـ سبحانه وتعالى ـ فى اليوم الآخر.

وكما ثبتت أدلة البعث والإعادة عن طريق خلق الإنسان وخلق الأكوان فقد ثبت كذلك عن طريق الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ حكيم وعادل.

فمادام الخالق حكيما وعادلا فيستحيل عليه العبث والظلم، كما قال سبحانه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٥).

---

(٤) أخرجه البخارى ١/٢٠، ٦/١٤٤.

(٥) المؤمنون (١١٥، ١١٦).

من آيات الله فى السماء

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

السماء ذات الحبك

يقول الله - تعالى - فى قرآنه الكريم: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾(١). وقد جاء فى التفسير أن الحبك جمع حبيكة: أى مسير النجم، وقيل حبكها صفاقها، يقال فى الثوب الصفيق حسن الحبك، وقال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء، والحسن والاستواء، فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، ويقال: حبك الشئ: أحكمه. فتبارك الله العلى القدير الذى أوجد هذا الكون بإرادته المباشرة المطلقة، وجعل بناءه آية فى الروعة والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولا شقوق ولا خروق ولا صدوع، وتمجد الله الخالق الواحد الذى أخبر عن عظيم سلطانه وآثار قدرته.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

(١) الذاريات (٧، ٨).

وبيّن غـاية الإحكام والإتقـان فى بديع خلقه وباهر صنعته، فقال عز من قائل:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(٢).

قال ابن عباس ومجاهد: «هل ترى من فطور» أى شقوق، وقال السدى: «أى من خروق»، وقال قتادة: أى هل ترى خللا يابن آدم؟

وقال الإمام الفخر فى تفسيره الكبير: المعنى إنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل رجع خاسئا مبعدا لم ير ما يهوى من الكلال والإعياء.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى مواضع مختلفة، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون وبنائه، وذلك فى مثل قوله – تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٣).

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(٤). وجاء فى تفسير قوله – تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾(٥).

إن الله – سبحانه وتعالى – جعل كل كوكب من الكواكب فى الكون بمنزلة لبنة (طوبة) من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشدّ هذه الكواكب – وغيرها من الأجرام السماوية – إلى بعضها البعض برباط الجاذبية مثلما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها من مواد تتماسك بها. والتشبيه بالمبانى أحد الصور البيانية الرائعة التى استخدمت كثيرا فى القرآن والسنة، مثال ذلك قوله – تعالى – فى سورة التوبة:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٦).

وقول الرسول ﷺ فى المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين فى حديثه الشريف: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(٧).

---

(٢) الملك (١:٤).
(٣) ق (٦).
(٤) القمر (٤٩).
(٥) الشمس (٥).
(٦) التوبة (١٩).
(٧) إتحاف السادة المتقين ٢/٢٠٢.

ونبه الله – تعالى – فى مواضع عدة من القرآن الكريم إلى بالغ قدرته فى إحكام بناء السماء وجعلها مكللة بالكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام التى لا تحصى دون تفاوت أو خلل فى هذا البناء. قال تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾(٨).

وجاءت الإشارة إلى حدوث الانفطار أو الانشقاق فى الكون عندما أخبر الله – سبحانه وتعالى – عن علامات الساعة وأهوال يوم القيامة، وذلك فى مثل قوله:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾(٩).

وقوله:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾(١٠)

وقوله:

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾(١١)

أما مايقول به علماء الطبيعيات عن وجود ثقوب فى الكون، فهو وصف غير دقيق، وتسمية على غير مسمى لبعض الظواهر الفيزيائية والفلكية، أو الأجرام السماوية، التى جذبت انتباه الباحثين حديثا، ولكنهم لم يتوصلوا بعد إلى نظرية علمية محددة بشأنها.

وكلمة «الثقب»، وجمعها: أثقب وثقوب، هى الترجمة العربية الشائعة للكلمة الأجنبية Hole التى أطلقها العلماء على تلك الظواهر أو الأجرام، وهى تعنى لغة: الخرق النافذ، لكنها تأخذ فى قاموس العلم الطبيعى معنى اصطلاحيا مستقلا يختلف من ظاهرة لأخرى. فهناك الثقب الأوزونى Ozone hole فى إحدى طبقات الغلاف الجوى، ويقصد به نقص، أو نضوب، نسبة الأوزون المعتادة فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية. وهناك الثقب الكهربى Electric hole الذى اصطلح العلماء عليه اتفاقا لكى يعبر عن تصورهم لما يمكن أن يكون عليه سلوك المواد شبه الموصلة كهربيا. وهناك الثقوب السوداء Black holes فى أعماق الفضاء الخارجى، وهى ليست بالثقوب التى تعنيها لغتنا العربية، ولا هى سوداء كما يدل اللفظ الذى نتداوله فى حياتنا، ولكنها تسمية أطلقت على أجرام سماوية لا تراها عيوننا ولا تكشفها حواسنا وأجهزتنا.. ومن ثم لايصح أبداً أن ينصرف الذهن إلى الربط التام بين ما يعنيه لفظ «الثقب» كمصطلح

(٨) النازعات (٢٧–٢٨).

(٩) الانفطار (١).

(١٠) الانشقاق (١، ٢).

(١١) الحاقة (١٦).

علمى ذى دلالات خاصة، وبين ما يعنيه فى لغتنا العربية من أنه «الخرق النافذ».

فسبحان الذى أحكم بناء السماء ذات الحبك، وجعل جميع الأجرام السماوية تتحرك بسرعات محددة لتسلك مساراتها المحددة التى قدرها الله - تعالى - لها فى فضاء السموات، لتكون من دلائل القدرة على وحدانيته.

القمر إذا اتسق

ما أكثر ما أقسم الحق - جل وعلا - بمخلوقاته فى القرآن الكريم ليخبر بما تحتوى عليه هذه المخلوقات من أسرار عديدة وإعجازات مبهرة لا حصر لها. ويكشف العلم تدريجيا عن هذه الأسرار والمعجزات الدالة على عظمة القسم الإلهى وقدرة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى.

ولما كانت الأرض تتمتع بميزة وجود قمر واحد تابع أمين لها، يرافقها طوال رحلة المجموعة الشمسية، فإن هذا القمر بدوره لابد أن يتمتع بميزات فريدة تستدعى عظمة القسم الإلهى فى قوله تعالى:

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾(١٢)

قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن: إذا اجتمع وامتلأ، وقال قتادة: إذا استدار، ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسعه، أى أصبح بدراً كامل الاستدارة ليعكس للناس أقصى استضاءة ممكنة. ويحدث الاتساق عندما يكون القمر فى جهة من الأرض والشمس فى الجهة الأخرى، حيث تقل العواصف والزوابع والأنواء الكهربية.

ولقد ساعد التقدم العلمى والتقنى فى عصر الفضاء على كشف الكثير من الحقائق الجديدة عن القمر، من ذلك ما كشفت عنه التجربة - باستخدام أشعة الليزر - من حدوث تغير طفيف جدا فى المسافة بين الأرض والقمر، حيث وجد أن تصحيحا يقدر بحوالى مائة متر يجب إدخاله على القيمة المعروفة حاليا لمتوسط بعد الأرض عن القمر، والتى تساوى ٣٨٤ ألف كيلو متر. ومتابعة تحليل ودراسة هذا التغير مع مرور الشهور والأعوام من شأنه أن يساعد على فهم أفضل لطبيعة حركة كل من الأرض والقمر فى الفضاء الكونى.

وعندما قامت رحلة السفينة الفضائية (أبوللو-١٧) إلى القمر فى عام ١٩٧٢ تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان من قيادة «مركبة قمرية» لمسافة ٨٠ كيلو مترا فوق سطح القمر، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية وتم تحليلها فى معامل

---

(١٢) الانشقاق (١٨-١٩).

الأبحاث الأرضية، واستدل العلماء من نتائج التحليل على تجانس كثافة مادة القمر والاعتقاد بعدم وجود «نواة» معينة سائلة له على غرار نواة الأرض، أو منطقة «اللب»، والتى تحتوى على الحديد والنيكل كمصدرين رئيسيين لمجالها المغناطيسى.

من ناحية أخرى، قام علماء السفينة الفضائية أبوللو بوضع أجهزة لتسجيل الزلازل على سطح القمر وإرسال بياناتها بصورة مستمرة إلى مراكز الاستقبال الأرضية، وقد تم تسجيل العديد من «الزلازل القمرية» التى تحدث على هيئة هزات شدتها أقل من الهزات الزلزالية الأرضية، ويعتقد أن يكون بعض هذه الهزات ناشئا عن سقوط النيازك الهائمة فى الفضاء الكونى واصطدامها العنيف بسطح القمر. أما البعض الآخر من الهزات القمرية فيحدث بسبب شقوق داخلية فى القمر يبلغ عمقها ٨٠٠ كيلو متر تقريبا، وتدل السجلات الزلزالية على أن هذه الهزات استمرت فترة زمنية تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دقيقة. وهناك أيضا اعتقاد بأن قوى المد والجزر ربما تكون لها علاقة وثيقة بحدوث الهزات الناشئة عن زيادة نشاط الشقوق وتحركاتها عندما يقترب القمر فى مساره من الأرض.

ولعل أكثر المظاهر وضوحاً على سطح القمر هى الفوهات التى تنتج عن نشاط بركانى أو بسبب اصطدام الصخور المتنقلة بين الكواكب مع سطح القمر، ولقد ساعدت الصور الفوتوغرافية التى التقطها ملاحو الفضاء على معرفة المزيد عن خصائص هذه الفوهات.

ولاشك أن هذه الحقائق العلمية عن القمر لا تتعارض مع كونه أجمل الأجرام فى السماء بالنسبة لنا لما يمدنا به من نور تبلغ شدته أقصاها كلما اكتمل وأبدر، فضلا عن أهميته القصوى فى تحديد الزمن وحسابه. ولسوف يواصل الإنسان سيره على القمر، وربما سيمشى ذات يوم على غيره من الأجرام السماوية، مصححا تصوراته الخاطئة عن هيئة الكون وساعيا فى الوقت نفسه إلى معرفة المزيد عن آيات الله المنبثة فى السماء.

***

مواقف إسلامية

أمومة من صنع الإيمان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته، فقال: من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن، كن له سترا من النار»[(١)].

وفى رواية: «..فأطعمتها ثلاث تمرات: فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة.. لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها.. بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت فقال: إن الله أوجب لها بها - بالتمرة - الجنة»[(٢)].

تمهيد:

تأخذ العبادة خطها الرأسى.. تعظيماً لله - تعالى - ثم خطها الأفقى.. شفقة على عباده.. وإذا كانت البنت بحكم تكوينها أضعف من أخيها.. فهي أحوج إلى مزيد من الشفقة.. لتعتدل كفتا الميزان.. وذلك: بالإنفاق عليهن.. والصبر على تصرفاتهن.. من حيث كانت البنت «ابتلاء».. يكره الناس فى العادة استقبالها.. ولا يكفى الإنفاق، وطيب الأخلاق.. وإنما يتم ذلك كله وهى حاضرة فى بؤرة الشعور.. كما يفهم من قوله ﷺ: (من عال جاريتين)، والعول هو: القرب.. بمعنى أن تربية البنت لا تتم «بالمراسلة».. وإنما تكون معنا.. وفى دفء العواطف تتنامى شخصيتها.. ثم تنضج فى حرارتها لتكون أما بعد أمها.. وامتدادا لحياتها.

وتمام الحديث السابق:

(من عال جاريتين حتى تبلغا.. جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين) وضم أصابعه[(٣)]، وواضح أن صحبة الرسول ﷺ

---

(١) مسلم: باب البر والصلة ج١٦/١٧٩.

(٢) نفس المرجع والموضع.

(٣) مسلم ج١٦ فضل الإحسان إلى البنات/ ١٨٠.

فى الجنة سلعة غالية.. وإذن.. فهى لمن يدفع الثمن، والثمن هو كما يفهم من مجموع الأحاديث الواردة فى هذا الشأن هو:

أ- أن يضم البنت إليه.. وفى بيته.. ينشر عليها من رحمته.

ب- ألا يضيق ذرعا بالبنات.. مهما كان عددهن ومهما تعقدت مشكلاتهن.

جـ- أن يظل معها وفيا.. يزاملها حتى تتجاوز أخطر مراحل العمر.. (حتى تبلغ).

الجـــــزاء

والجزاء بعد ذلك هو:

١- تكون البنت سترا من النار.. تزحزحه عنها.

٢- ثم لتدخله الجنة بعد ذلك.

٣- ليكون فى صحبة رسول الله ﷺ والصحبة فى ذاته منزل لو تعلمون عظيم، إن مجرد الرعاية.. والاستشعار عن بعد.. لا يكفى من قبل أم تخلت.. أو أب مشغول، وإنما هى الرعاية المباشرة والشاملة:

أ- غذاء للجسم.

ب- وغذاء للعقل بالعلم.

جـ- والإرادة بالصقل.

د- والقلب بالملاطفة والتكريم.

ويعنى ذلك: أن يدخر الوالدان للبنت أفضل أوقاتهما.. وأعدلها مزاجا.

دور الأم

ولأن الجنس للجنس أميل.. وبه آنس.. فإن للأم هنا دورها المرموق في تربية البنت.. بل وفي تربيتها علي أوفى معانى الإحسان كما يشير الحديث الشريف: (فأحسن إليهن)، وإذا كان هناك من يبخس البنات حقهن قائلاً:

(إنهن يلدن الأعداء، ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء)، إذا كان هناك من يقول ذلك.. فإن موقف الأم يشجب هذا الاتجاه مؤكداً أن البنت:

(تفاحة القلب.. وريحانة العين.. يُعنّ على الزمان.. ويذهبن جيش الأحزان)

لولا بنيات كزغب القطا
وددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع
فى الأرض ذات الطول والعرض
إن هبت الريح على بعضهم
امتنعت عينى عن الغمض

وقال بعضهم:

أحب البنات.. وحب البنات
فرض على كل نفس كريمه
فإن شعيبا لإحدى ابنتيه
أخدمه الله موسى كليمه

مغزى موقف الأم

وقد كانت هذه الأم تحب بناتها.. وبهذا الحب احتلت مكانها بين الكرماء: لكنها دفعت الثمن أولاً.. فاستحقت هذا التكريم: ذلك بأن الرسول ﷺ يقول: (من ابتلى من هذه البنات بشىء..)، وليس المقصود البلاء بالشر.. ولكن المقصود هو: من قدر الله له.. بدليل أنه - تعالى - يبتلى بالخير كما يبتلى بالشر:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٤).

أهميـــة تربيـــة البنـــت

وإنه لحق أن يقال: إن تربية البنت أصعب منالاً.. لحساسية وضعها تحت سقف البيت..

ومن مظاهر هذه الصعوبة:

قد تخطب الصغرى.. قبل الكبرى

وقد يخطىء الابن.. ثم يخرج من البيت مغاضبا

أما أخته.. فهى لا تستطيع ذلك.

وإذن.. فإن تربيتها تحتاج إلى ربان ماهر.. يتحلى بمزيد من الصبر.. والصبر جميل.. وفاء لحق هذا الكائن الضعيف فى رقابنا.

ماذا فعلت الأم؟

ونتأمل موقف الأم الرءوم من خلال الحديث الشريف.. وكيف تحملت مسئولياتها تجاه بناتها.. فيطالعنا الموقف بما يلى:

(١) لقد تعلمت الأم من «العصفور» درساً:

إن العصفور يحب الغناء.. ولكن مهمته الأولى هى:

١- بناء العش أولاً:

٢- ثم البحث عن غذاء لصغاره!.

وها هى ذى تبحث عن الحب.. لزغب الحواصل، لا مكان للرفاهية.. ولابد من لقمة الخبز.. أولاً.. ذلك بأن جمال البنت «صحة» وليس هو ذلك التزويق أو تلك المساحيق!

ولقد كان «ابن سينا» يكتب بعض وصفاته للمرضى.. بالشعر!.. لقد كان مكفول الحاجة.. معتدل المزاج.. مباركا.. فكان بيت الشعر سبيله إلى مرضاه.. فكان فى نفس الوقت لونا من الرفاهية.. التى ينبغى تأجيلها.. حتى يستوفى البيت حاجاته الملحة.

(٢) ولقد أدركت الأم بحسها البصير أن طعام «العزة» أغلى وأعلى، لقد كان من الممكن أن ترسل البنتين إلى أية دار فى المدينة تسألان الناس: أعطوهما.. أو منعوهما.. لكنها رأت ان بناتها أحوج إلى معنى العزة.. منهن إلى لقمة الخبز، فكان تصرفها ماضيا لتحقيق ذلك: لقد مدت يدها هى ولم تمتد يد ابنتها وامتدت إلى أمها أم المؤمنين ..

وإذن.. فلا هى.. ولا ابنتها حملت منةً من أحد!!

وما أكثر الفارغين والفارغات.. الذين يعيرون البنت بأنها كانت خادمة.. أو كانت سائلة.. ولكن حكمة الأم هنا حمت البنات من هذا المصير.. بهذا القلب الكبير!

ومن أجل هذا قررت ما يلى:

أ- أن تذهب - بالذات - إلى الرائد الذى

---

(٤) الأنبياء (٣٥).

لا يكذب أهله.. إلى رب العائلة الكبير.. تفادياً للإحراج لو سألت غيره! منطلقة من عقيدة تؤكد: أنه ﷺ ولى من لا ولى له.. ومن ترك دينا فعليه قضاؤه.. ومن كان جائعاً فعليه غذاؤه!.

ب- ثم إنها تصون كرامة البنتين.. وتستبقى حياءهما حين تذهب معهما.. لتنوب عنهما فى السؤال.. إبقاء على مشاعر الكرامة أن تطير شعاعا.. حتى إذا صارت البنت بعد ذلك زوجة.. لم تجد من يمن عليها بمعونة.. أو يؤذيها بكلمة نابية.

٣ لقد صارت الأم قدوة تجسد معنى العدل.. بل ومعنى الإيثار، لقد أعطت الأم كل واحدة.. تمرة، وتلك هى قيمة العدل والمساواة.. والتى بمقتضاها تحب الأخت أختها، والتى عززتها الأم.. بشق التمرة الباقية نصفين.. وفى شق هذا الجرم الصغير: تحرٍّ التسوية.. التى يجىء النصفان بها متعادلين تماما.. تعادلا لا يبقى فى نفس البنت أثراً.. لأثره!.

ومع ذلك كله تبدو وقيمة الإيثار.. الذى ترقت به الأم فى سلم الكمال صاعدة: الإيثار الذى خرج من بيت النبوة عملا.. لا حديثا يروى.. لقد آثرتها عائشة - رضى الله عنها - وابنتيها بكل ما فى البيت.. فكيف لا تؤثر هى.. ابنتيها.. فلذة كبدها؟!! إنه الإيثار المشتق من إيثار بيت النبوة.. والذى جاء على أوفى معانيه، ذلك بأن التمرة التى تخصها لم تكن فى جيبها ولا فى خزانتها أو فى حجرها، ولو كان الأمر كذلك.. لكان الجود بها ممكنا.. ولكنها رفعتها فعلاً إلى فيها.. ثم سال لها لعابها.. وتهيأت المعدة الحاوية لاستقبالها.. ولم يمنعها ذلك من انتزاعها من نفسها.. وردها إلى ابنتيها.. اللتين سوف يحبانها.. لهذا الإيثار.. حبا يدعم الحب بين الأخوات كلهن.. ليكون الإيثار شرعة البيت ومنهاجه.

العود الحميد

وتعود الأم إلى بيتها قريرة العين بما رأت وما سمعت.. وإذا كانت قد عادت بتمرة واحدة.. أو ثلاث.. فقد كان ذلك هو كل ما فى بيت النبوة.

ولا يعنينا فى الإحسان حجمه.. وإنما القلب الكبير من ورائه.. والذى يسع المحاويج.. تأتيه من كل فج عميق.. ويكفى أن يشعر المحتاج ان بجانبه قلبا كبيرا.. يقف معه فى الملمات.. وما أكثر المرائين الذين يملأون الجيوب.. ثم يأخذون من القلوب كرامتها.. ولكن الأسرة تعود بكرامتها.. وعزتها.. وما فاتها من الدنيا شىء تبكى عليه!.

من ملامح بيت النبوة

ولكن ماذا عن بيت النبوة من خلال هذا الموقف؟

أ- ليس فى بيت النبوة إلا تمرة واحدة!!، ومع ذلك كان أسعد البيوت على الإطلاق، إنه البيت الذى تبرع بآخر ما يملك.. ليحس

بأقصى ما يملك إنسان من الرضا.. حين آثر به القيمة.. على متاع زهرة الحياة الدنيا.

ب- وإذا كانوا يقولون اليوم: إنه إذا كان الزوج بحرا.. فيحب أن تكون الزوجة «سدا» حتى يضع حداً لإنفاق الرجل.

إذا كانوا يقولون ذلك.. فقد كانت عائشة - رضى الله عنها - بحرا إلى جانب البحر.. وكانت - وهى التى تربت فى بيت تاجر غنى هو الصديق - كانت نعم الزوجة التى رضيت من الحياة الزوجية بصحبة رسول الله ﷺ حتى تبرعت بكل ما فى البيت غير عابئة بما يترتب على ذلك من آثار.

جـ- ثم هى تقف إلى جانب الزوج العظيم، تنقل إليه خبر هذه الأم.. أى تنقل إليه.. «نبض الشعب» بآلامه.. وآماله.. صادرة فى كل ذلك عن إحساسها العميق بمسئولياتها كأم للمؤمنين، ترعاهم.. وتأسوا جراحاتهم.. وتحل المعقد من مشكلاتهم.

د- ثم تأمل إعجابها بما فعلت الأم:

إن مشاعر الإعجاب هنا.. تذكرنا بنماذج للغرور فى دنيا الناس تأبى أن يسبقها إلى الفضل غيرها.. من تلك القوى الشعبية الصاعدة.. لتظل الفضيلة حكرا على القمة العالية.. ولكن المتقين.. يتجهون إلى هدف واحد.. ومن ثم فهم لا يختلفون.. ما دام الكل يصب فى هذا الهدف.. وإذا اختلفوا يوما.. فإنهم يختلفون أيهم يقدم للحياة أكثر من غيره.. تماما كهؤلاء الذين رفض كل واحد منهم أن يشرب قبل أخيه جرعة ماء.. حتى ماتوا جميعاً شهداء الوفاء.. قبل أن يموتوا شهداء المعركة!.

مسك الختام

ومسك الختام هنا:

ما كان من تقديره ﷺ لعمل العاملين.. وتنويهه بما يحرزون من سبق فى مجال القيم.. مما يسعد الحاكم الذى يرى أثر دعوته فى سلوك أمته، وما يترتب عليه من تفتح المواهب فى هذا المناخ الصحى.. وفى زحام الحياة وضجيجها قد لا يسمع أحد صوت أحد.. ولكن اليد الحانية تمتد بالعطاء إلى المحروم.. ومن خلال هذا الزحام.. تنتشله من وهدة الهوان.. ليظل أبدا هو الإنسان.. الإنسان.. الذى هو أغلى من كل ما تحفل به الأكوان.

وإذا كانوا هناك.. يقولون: إذا اشتعلت النار فى حجرة بها طفل.. وتمثال جميل.. ولم يكن إلا إنقاذ واحد منهما.. فأنقذ التمثال.. لأنه لا يعوض؟! إذا كان من مقررات بعض الفلسفات فإن الإسلام لا يهمه إلا الإنسان.. الذى هو أثمن درة فى تاج الوجود.. فإذا كان هذا الإنسان بنتاً.. سوف تكون غداً.. أماً.. إذن.. فما أخطر المهمة.

فالأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

وإذ يقول «فورد» ملك السيارات عن زوجته:

إنها «المؤمنة».. لأنها كافحت معه حتى

وصل إلى ما وصل إليه.. ولو لم تكن هذه السيدة لما حققت بعض ما أنجزت.. فما أجدرنا أن نغالى.. بأمنا التى لم تسهم مع زوجها فى بناء مصنع، وإنما أسهمت معه فى بناء الإنسان!!.

الموقف.. بلغة العصر

بعد الفراغ من كتابة هذه الصفحات.. قرأت ما أسعدنى.. مما يؤكد أن نهر العطاء مازال يقطع رحلة الحياة.. وأن الأم العربية المسلمة مازالت تحتفظ بهذه الروح الكادحة المجاهدة.. وقد يغيب العائل.. ويرحل الرفيق.. ثم يترك من بعده ذرية ضعافا.. لكن الأم.. تحمل الراية من بعده.. راضية بقدرها:

تقول واحدة من الأمهات المجاهدات:

كانت دائماً سعادتى لا حدود لها وأنا أرى نظرات الدهشة الشديدة وعدم التصديق عندما يعلم الناس أننى «أم ابنتى» الشابة ولست أختها كما اعتقدوا.. وكان قلبى لا يتسع لكل ضحكاتى السعيدة بذلك فتنطلق منه إلى شفتى مهللة.. حتى كان الأسبوع الماضى حيث نظرت إلى ابنتى – وهى تعبث بشعرى – وفى عينيها البريئتين هول مفاجأة، وقالت: يا ماما.. يا.. كل هذا الشعر الأبيض؟ وضحكت هذه المرة أيضاً، ولكن ضحكة عتاب، ألا تعرف هذه الجميلة سبب هذه الشعيرات البيضاء.. إنه أنتم يا أحباب القلب.. وحبات العين، وروح الحياة.. إنه أنتم يا أولادى وفلذة كبدى.. أنا لا ألوم ولا أعتب ولا أشكو – بل على عكس ذلك فأنا بقلبى وعقلى وروحى مدينة لكم بالشكر، نعم.. شكراً على كل سهر احترقت به وأنا أنتظر عودتكم من شوارعنا المجنونة، شكراً على كل أرق اعتصرنى ليالى طوالاً وأنا أبحث عن حل لمشاكلكم المعقدة، شكراً على كل نبضة قلب طائشة فقدت صوابها خوفاً من أخطائكم المتهورة، شكراً على كل شوق اشتعل فى قلبى لغيابكم فى سفر طويل، شكراً على كل دمعة أدفأت وسادتى وأنا أدع الله لكم بالنجاح وأخشى عليكم الفشل، شكراً لكل ذلك، فإن أيديكم الحبيبة الصغيرة التى أعطتنى هذه الهموم والآلام.. هى نفسها التى تحملنى لبداية طريقى إلى الجنة فبالقلق والأرق والسهر ينفتح لى هذا الطريق، وبالرعاية والهداية والعطاء تضاء لى جوانبه، وعسانى بكل ذلك أن أنال غاية الغايات، وأن أكون أنا عند أقدام هذه الجنة الموعودة التى قال عنها رسولنا الكريم: «إنها تحت أقدام الأمهات».

وما أكثر الأمهات الكريمات اليوم.. واللائى آد ظهورهن ثقل حملهن.. وإنهن ليلتفتن يميناً وشمالاً.. باحثات عن يد تمتد إليهن من خلال زحام الحياة..

وماتزال الأم الشريفة مع حاجتها كما يقول شيخنا الغزالى:

حافظة للود..

حامية للعرض

فهى فى عبوديتها أشرف من كل: حرّ.. أبيض.. يسوِّد بخيانته بياض الحياة!

من الإرهابي؟

٢

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

الرجوع إلى القرآن والسنة

وقد أخطأ الغرب فى اتهامه الإسلام بالإرهاب، لأن الحكم على الشىء فرع عن تصوره، هكذا يقول علماء المنطق العقليون، وعلماء الأصول الإسلاميون والذين يتهمون الإسلام والمسلمين الآن بالإرهاب عليهم أن يتصوروا حقيقة الإسلام، الذى يدين به الآن مليار ونصف مليار من المسلمين يفترشون مساحات واسعة فوق سطح الكرة الأرضية، ومفتاح الإسلام الأول هو القرآن الكريم، فهل إذا رجعنا إلى القرآن لكى نتصور الإسلام كما وضع أسسه القرآن نجد هذا الإسلام إرهابياً كما يزعمون، وأن المسلمين إرهابيون تبعاً للإسلام؟!

ومع الرجوع إلى القرآن، ينبغى الرجوع إلى السُنَّة النبوية، ثم إلى الواقع التاريخى للدولة الإسلامية فى عصر النبوَّة، والخلافة الراشدة، وهى الفترة التى تأسس فيها الإسلام منهجاً وسيرة وسلوكاً، إذن كان ينبغى على من يتهمون الإسلام والمسلمين بالإرهاب أن يؤسسوا أحكامهم بالوقوف على المصادر التى أشرنا إليها لو كانوا طلاب حق يريدون أن يكون لما يقولون احترام وتقدير عند الناس.

وقبل أن نستعرض موقف القرآن فى هذا الصدد نشير إلى فِرْيَة افتراها خصوم الإسلام، ثم انطلقوا منها بلا ضوابط يكيلون للإسلام التُهَم فى كل اتجاه، تلك الفرْيَة هى قولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف وسفك الدماء وأن الأيديولوجية التى حكمت تصرفاته تتلخص فى هذا الخطاب الإسلامى الصامت لغير المسلم: أسلم أو تُقْتَل، والإسلام برىء من هذا كل البراءة.

فهذا هو القرآن (دستور الإسلام الأول) ينادى جماعة المؤمنين (المسلمين) هذا النداء الخالد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(١)

---

(١) البقرة (٢٠٨).

إنه نداء عــام ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وقد أُكد هذا العموم بقوله –تعالى–:

﴿ كَآفَّةً ﴾ أى لا يشــذ منكم أحــد عن الدخول فى السلم (السلام) وأن الشذوذ عن هذا المبــدأ العــام اتبــاع لخطوات الشــيطان، والشيطان عدو المؤمنين.

والأمر هنا ﴿ ٱدْخُلُواْ ﴾ للوجوب والإلزام، وفى آية أخرى يقرر الإسلام حُرمة الدماء لجميع الأحياء دون تفرقة بينهم فى العقيدة والدين والمذهب، ومما وقع الاتفاق عليه بين فقهاء الأمة أن دم كل إنسان مصون باعتباره إنساناً دون اشتراط أى وصف آخر، وأن صون دمه يتحقق بولادته حياً.

وقد أخذ الفقهاء هذا المبدأ من قوله –تعالى–:

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٢)

وقد تكرر هذا النهى مرة أخرى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)

ثم هَوَّل القــرآن من قــتل النفس ظُلمــاً وعـدواناً، وجعله مساوياً فى الشناعة لقتل الناس جميعاً، فقال –عز وجل–:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٤).

وليس فى الإسلام نص واحد فى كتاب الله، أو سُنَّة رسوله يبيح قتل إنسان بسبب عدم دخوله فى الإسلام، أو لأنه يعتنق عقيدة وديناً غير عقيدة الإسلام ودين الإسلام.

والدعـوة إلى الله كـانت تخلو من الإكـراه والضـغط وأساسـها هو البلاغ الواضح، وبعد البـلاغ يُتـرك الناس وشأنهم، وقـد تقـرر هذا المبدأ فى قوله –تعالى–:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(٥)

كما يحصر القرآن مهمة الرسالة فى مجرد البـلاغ وينفى أن يكون للرسـول حق الضـغط على من يدعـوهم إلى الإسـلام وفى ذلك ورد قوله –تعالى–:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(٦)

وفى قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(٧).

تأكيد لحصر مهمة الرسول ﷺ فى البلاغ دونما سواه، بل إننا نجده يقرر حرية الاعتقاد بعد البلاغ فى عبارات شديدة الوضوح على المراد منها، ترى ذلك فى قوله – جل وعلا–:

---

(٢) الإسراء (٣٣).
(٣) الأنعام (١٥١).
(٤) المائدة (٣٢).
(٥) البقـرة (٢٥٦).
(٦) الغاشية (٢١، ٢٢).
(٧) الرعد (٤٠).

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾(٨) .

هذا هو فى إيجاز منهج القرآن فى الدعوة إلى الله، لا ترى فيه سيفاً ولا رمحاً، وإنما هو بيان قولى يمهد طريق الإيمان للراغبين، ويقيم الحُجة لله على المعرضين، ويقطع أمامهم الأعذار.

إن استقرار الأمن العام والخاص من أولويات الإسلام للمسلم، ولغير المسلم.. وإذا تعرض هذا الأمن للخلل فإن القرآن يحاصر الذين يشيعون الإرهاب والتخويف وترويع الآمنين أياً كانت عقائدهم وانتماءاتهم، ويضع بين يدى ولاة الأمر مجموعة من العقوبات الرادعة للإرجاف والمرجفين، وفى ذلك ورد قوله - جل شأنه - :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٩)

إن كل عقوبة من هذه العقوبات الأربع تناسب جريمة من جرائم هؤلاء المحاربين (الإرهابيين) وأخف هذه العقوبات هى (النفى) من الأرض، وقد نص العلماء على أنها عقوبة للتخويف والترويع، وهو أخف الجرائم.

كما فسروا النفى بالإبعاد من الوطن، أى: التغريب. أما إذا قتلوا ونهبوا، فالعقوبة القتل. وإذا مثَّلوا وقتلوا، فالعقوبة هى القتل والتصليب، وإذا اقتصروا على التخويف ونهب الأموال، فالعقوبة هى تقطيع الأيدى والأرجل.

وبهذه الإجراءات الحاسمة يحارب الإسلام الإرهاب والمحاربين، بلا رحمة، لأنهم يعبثون بالأمن ويعيثون فى الأرض فساداً.

فكيف يكون الإسلام دين إرهاب وعنف؟!.. وها هو ذا يكافح الإرهاب بقوة لا هوادة فيها.

وتشريعات الإسلام فى ما يتعلق بنظام المجتمع فى الحياة الدنيا ليست وقفاً على المسلمين، وإنما هى واحة مُظِلَّة لكل فرد من أفراد المجتمع.

فعِرض غير المسلم حرام مثل حُرْمة عِرض المسلم.

ومال غير المسلم حرام كحُرْمة مال المسلم.

ودم غير المسلم حرام كحُرْمة دم المسلم.

وأمن غير المسلم مَصون مثل صون أمن المسلم.

فأين تجد - يا ترى - رائحة للإرهاب عالقة بالإسلام فى الجانب الذى تقدم ذكره.

آيات يخطئون فى فهمها

ولكن فى القرآن الكريم آيات، قد يتمسك بها مَنْ يتهمون الإسلام بالإرهاب، وأنه لا يرى لمن يخالفه فى العقيدة إلا القتل والقتال، كما

---

(٨) الكهف (٢٩).

(٩) المائدة (٣٣).

قد يتمسكون بحديث واحد صحيح النسبة لرسول الإسلام ﷺ.

وليس لهم لا فى الآيات القرآنية، ولا فى الحديث أى دليل على ما يقولون. بل إن القرآن الكريم، والسُنَّة النبوية - قولاً وعملاً- يدحضان هذه الفرْيَّة التى روجها خصوم الإسلام قديماً، ويروجها الغرب الصليبى حديثاً، وبيان ذلك ميسور لمن أراد.

فمن الآيات التى قد يتمسكون بها قول الله - تعالى- :

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠).

يفهمون من هذه الآية أنها تحرض على قتل المشركين وتضيق الخناق عليهم، وأنهم - أى المشركين - لا ينجوُن من سيف المسلمين إلا إذا دخلوا فى الإسلام، لأن الآية جعلت توبة المشركين من الكفر، وإقامتهم للصلاة شرطاً فى كف القتل عنهم.

وهذا الذى يفهمونه لا أساس له من الصحة، ولم يكن الكفر والإشراك سبباً قط فى قتل المشركين ومطاردتهم. وإنما تتحدث هذه الآية عن مشركى العرب فى بدء الدعوة إلى الإسلام، لأنهم وقفوا لها بالمرصاد فى ذلك الوقت، واضطهدوا الذين سارعوا بالدخول فى الإسلام، وأخذوا يعذبون من استطاعوا تعذيبه منهم، حتى اضطر المسلمون إلى الهِجرة ثلاث مرات :

مرتين إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، وحتى بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة، لم يتوقف عداؤهم للإسلام وكيدهم للمسلمين، واستمرت مؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين ثمانى سنين بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وبذلوا كل ما فى وسعهم للقضاء على الإسلام، ومن أبرز ما قاموا به تجييش الجيوش لغزو المدينة فى غزوات بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب. حتى عقد الهدنة الذى تم فى صلح الحديبية لم يوفوا به ونقضوه.

إذن، فإن هذه الآية تتحدث عن قوم قد أضرموا نار العداوة، وأزكوها، وألقوا فيها بكل ما يملكون من ثقل حربى.

ومع هذا حَرَّم الله القتال فى أربعة أشهر سماها أشهر حُرُماً، وحذر المسلمين من القتال فيها، وهى هدنة استفاد منها المشركون، كما استفاد منها المسلمون، حيث حُقِنَتْ دماء الطرفين.

وبعد انتهاء الهدنة، أمر الله المسلمين أن يستأنفوا قتال هذا العدو اللدود، الذى ظل يطارد الدعوة طوال عهديها المكى والمدنى، فهذا الأمر كان استئنافاً لجهاد العدو، الذى لم يتغير موقفه من الدعوة.

فالقتال المأمور به فى هذه الآية لم يكن موجبه شرك المشركين، بل كان موجبه دفع خطر المشركين على الدعوة، ولو أنهم بقوا على شركهم دون الوقوف فى طريق الدعوة

---

(١٠) التوبة (٥).

واعتداءاتهم على المؤمنين بها، وإيذائهم إياهم في أنفسهم وأموالهم، لما أهدر الإسلام دماءهم، ولما أمرهم بقتالهم، فلا دليل -إذن- في هذه الآية على اتهام الإسلام بالإرهاب والعنف.

وقريب من هذه الآية قوله -تعالى-:

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾(١١).

وهي -كذلك- لا دليل فيها على اتهام الإسلام بالإرهاب. وتركيب الآية يدل على براءتها مما يريدون منها، لأنها تأمر المسلمين بأن يقاتلوا المشركين مجموعين كما يقاتلهم المشركون مجموعين، ففيها أمر بقتال في مواجهة قتال فعلاً.

وباختصار فإن معنى هذه الآية نوجزه في هذه العبارة:

«قاتلوا من يقاتلكم» وليس في هذا عنف ولا إرهاب، لأن كف أي إنسان الخطر عن نفسه حق له مشروع، حتى في النظم الوضعية الحديثة، التي يندرج فيها هذا المعنى تحت مبدأ:

«المعاملة بالمثل» وحتى ما يسمى بـ«القانون الطبيعي» يقر بهذا المبدأ.

ومن أشهر ما يؤيدون به دعواهم: أن الإسلام دين إرهاب، وأنه يرى القتل مصيراً محتوماً لكل من يخالفه في العقيدة، قول الله -تعالى-:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(١٢)

ولو أن هؤلاء المتحاملين على الإسلام، دققوا النظر في صيغة الآية، لظهر لهم فساد المعنى الذي فهموه لها، وهو أن الإسلام دين دموي إرهابي، لا يرى لمخالفيه إلا القتل.

حاشا لله أن يكون هذا هو المراد من هذه الآية، لأنها تتحدث عن ظرف خاص وطائفة خاصة من أهل الكتاب، هم اليهود. ولم يكن سبب الأمر بقتالهم كونهم يهوداً، ولا كونهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا كونهم لا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله، ولا كونهم لا يدينون دين الحق.

هذه الأوصاف لم تكن هي الأسباب المنشئة للأمر بقتالهم، والذي يدل دلالة قاطعة على أن تلك الأوصاف لم تكن هي الموجب لقتالهم ما ورد في الآية نفسها:

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.

لأن القرآن جعل إعطاء الجزية منهياً لقتالهم، ولم يجعل دخولهم في الإسلام هو المُنْهي لقتالهم.

بل كان الموجب لقتالهم جرائم بشعة اقترفوها ضد الإسلام والمسلمين، منها:

نقض العهود التي أخذها عليهم المسلمون،

(١١) التوبة (٣٦).

(١٢) التوبة (٢٩).

وقد نصت تلك العهود على أن اليهود يكونون أمة مع المسلمين، ولكنهم نقضوها وتآمروا فيما بينهم، ومع مشركى العرب على ضرب الإسلام والمسلمين.

هذا هو السبب، فهو قتال لدفع خطر واقع فعلاً من اليهود على الدولة الإسلامية الناشئة، حيث كانوا يمثلون عصبة مجرمة داخل الدولة، التى أقرتهم على عقيدتهم، ومنحتهم الحرية الدينية التامة فى أداء شعائرهم، والحرية التامة فى العمل للحياة الدنيا، فى الزراعة والتجارة والصناعة.

فقابلوا الإحسان بالإساءة والجميل بالقبيح، والإخلاص بالمكر والخداع.

ومن الآيات التى أساءوا فهمها ليشوهوا حقائق الإسلام قوله -تعالى-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(١٣).

يفهمون أن هذه الآية تحرض كل مجتمع إسلامى على قتال كل من يجاورهم، وهذا خطأ شنيع، وحقيقة المراد من هذه الآية أن المسلمين كانوا قد علموا أن الفرس والروم يريدون غزو عاصمة الدولة الإسلامية الناشئة (المدينة المنورة) وعزموا على مبادأة الدولتين بالقتال، ولكنهم اختلفوا حول بمن يبدأون؟!.. أيبدأون بالروم وهم أقرب مكاناً إلى المسلمين؟!.

أم يبدأون بالفرس، وهم أبعد مكاناً؟!.

فنزلت هذه الآية ترشدهم إلى قتال الأقرب إليهم مكاناً، وهم الروم.

فأنت ترى أن المراد من هذه الآية أمر خاص وليس عاماً، وبذلك تبرأ الآية من الفهم الفاسد الذى تمسك به من يصفون الإسلام بالإرهاب والدموية والعنف.

أما الحديث فهو:

«أُمِرْت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»(١٤).

هذا الحديث أجمع أهل العلم على أنه خاص بمشركى العرب، لا يتعداهم إلى غيرهم.

فالعرب لا عذر لهم فى البقاء على الكفر، لأنهم يعرفون رسول الإسلام معرفة عميقة، فهو بينهم نشأ، يعرفون صدقه، وأمانته، والقرآن بلُغَتِهم نزل، فهم أقدر الناس على فهم مراميه، لذلك لم يقبل الإسلام منهم أى بديل، مثل الجزية، عن الإسلام.

هذا هو التوجيه الحق فى فهم هذه النصوص الشرعية، فليس فيها أدنى شبهة على اتهام الإسلام بالإرهاب أو التَبَرُّم بمخالفيه فى العقيدة، وكيف يكون الإسلام إرهابياً وهو دين السماحة والعدل والحرية والمساواة.

***

---

(١٣) التوبة (١٢٣).

(١٤) البخارى ومسلم: كتاب الإيمان.

الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي

تأليف

د/ محمد ياسين مظهر صديقى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

تاريخ كل أمة هو ذاكرتها التى تمدها بأسباب الحياة، فهو يماثل من الشجرة جذرها الذى ينبث فى شتى مناحى التربة، حاملاً لأغصانها خلاصة الأغذية الحيوية، فكما أن أطراف الجذور ليست مجرد أطراف من الشجرة مُغَيَّبة فى الأرض، لم يعد للجذع حاجة إليها، ولا ارتباط بها. فكذلك تاريخ كل أمة لا يمكن لأى قطاع منها أن يستغنى عنه، أو يواصل مسيرة الحياة دون الاعتماد عليه؛ أى أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بمعزل عن تاريخه، ولا أن يستعير تاريخ غيره ليعتمد عليه؛ فهو عمدة الحياة وعصبها، وليس ترفاً يمكن لفظه وعدم الالتفات إليه.

وحاجة الإنسان إلى تاريخه لا تعنى أن يسجن الإنسان نفسه فيه، ولا أن يلغى نشاطه الخاص اعتماداً على جذوره، فالتطور والنمو يلزمان الإنسان أن يستعين بما فيه ليتلاءم مع حاضره، ويضفر من هذين مستقبله، كى تظل الحلقات الحيوية الثلاثة متواصلة حية، مثمرة؛ فهو من أبرز خصائص الإنسان التى تميزه من بين الكائنات الحية.

ولما كان للتاريخ هذا الدور الفعال فى حياة كل أمة.. رأى فيه المغتصبون من بنى البشر أفضل الوسائل التى تُهَيِّىء لهم فرصة اغتصاب الغير، وما له من خصوصيات، مع الاطمئنان إلى أنه لن يثور على مغتصبه، ولن يسعى لاسترداد حقوقه؛ فما على المغتصب إلا أن يفصل فريسته عن تاريخها ليصبح كالشجرة المقطوعة الجذور.

وفصل الإنسان عن تاريخه يتحقق بوسائل كثيرة، من بينها: خداعه بأن واقعه الحيوى يقتضيه أن ينصرف عن ماضيه، ويشتغل بحاضره، فالماضى كان له ناسه بظروفهم وحاجاتهم، ومادامت الحاجات والظروف تتغير، فلا يصح لشىء من الماضى أن يشغل عن الحاضر.

فإذا لم يستجب الإنسان لتلك الخدعة، لجأ المخادع إلى تشويه هذا الماضى، بحيث يصبح عبئاً عليه فى مسيرته، لا يملك إلا أن يتجاهله، أو يتبرأ منه، أو لا يستمد منه إلا الغذاء الفاسد، والقدوة الشاذة.

التاريخ الإسلامى ميدان رحيب

ومن يتجرد من المؤثرات، ويتأمل تاريخ البشرية، يلاحظ أن مصدر الخداع إما مواطن متمذهب، يدفعه تعصبه الأعمى لمذهبه، وحرصه على تسيده إلى تشويه الحقيقة، ليفرض مذهبه. وإما مغتصب غريب، تدفعه رغبته فى الاغتصاب والتسلط إلى هذا التشويه ليخضع الفريسة، ويتم له احتواؤها.

كما يلاحظ أن التاريخ الإسلامى كان من أرحب الميادين ـ إن لم يكن أرحبها ـ التى اتسعت لتشويه المخادعين من هاتين الفئتين ـ المتمذهبين من المواطنين، والمتسلطين من الغزاة الأغراب ـ وذلك لشمولية الإسلام، وما تعنيه تلك الشمولية من امتداد فكرى، وسلوكى، واتساع لشتى ميادين الحياة، وانفتاح على كل نشاط حيوى، وتسخير لجميع الإمكانات البشرية فى اقتحام الكون بكل أبعاده وأغواره، من كل ما سمح لتعدد الرؤى، ونشوء الأفكار المتباينة، والاختلاف فيها، والتحاور حولها، والتمذهب بها، والتعصب لها.

ثم ما تعنيه شمولية الإسلام تلك، من تطلع الآخرين إلى الوقوف فى وجه انتشاره، والعمل على صده، والصد عنه، بل والسعى إلى غزو أرضه، واغتصابها، وقهر أبنائه، حتى لا تقوم لهم قائمة.

ومن هنا... تشابه ما يصنعه بعض المسلمين

بالتاريخ الإسلامى مع ما يصنعه هؤلاء الآخرون المعادون بهذا التاريخ، حتى بدا فى بعض الأحيان كأنه يخرج من مشكاة واحدة، وبدا فى أحيان أخرى أن هناك التقاء متعاوناً بين هؤلاء وأولئك.

ومن هنا... أصبح على كل مسلم أن يلم بما أصاب تاريخ أمته، وأن يعمل القادر منهم على تنقية هذا التاريخ مما أصابه من تشويه وتزييف، فإن لم يستطع كان عليه أن يكشف ما نزل بهذا التاريخ من مصائب، التزوير، وويلاته على أيدى هؤلاء المؤرخين المسلمين الذين أعمتهم العصبية، فزيفوا تاريخ أمتهم، وأيدى المؤرخين الغزاة - من الأوروبيين وغيرهم - الذين دفعهم الغرض الجاهل إلى التوسل بالتزييف والتضليل فى سطوهم الغازى.

ولقد تصدى لكشف هذا الزيف كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين الذين استنارت بصائرهم وأبصارهم بنور الحقيقة، وتحرروا من ربقة التعصب الأعمى، والغرض الحقود، كما نرى فى الكتاب الذى نقدمه هذا الشهر.

الكاتب والكتاب

أما الكاتب فهو الهندى المسلم، الدكتور محمد ياسين مظهر صديقى، الأستاذ بجامعة عليكَرة الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، وأما الكتاب فهو واحد من منشورات رابطة الجامعات الإسلامية، ترجمة الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم، من اللغة الأوردية، وقدم له الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى - رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، وصدرت الطبعة الأولى باللغة العربية سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، فى أربع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط - نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالجيزة - مصر.

والكتاب غير مفصل ولا مبوب، فقد اكتفى فيه بعناوين الموضوعات، مسبوقة بتمهيد، ومذيلة بخاتمة، مع إبراز بعض العناوين فى الفهرس، فبدت كأنها رءوس فصول، أو عناوينها.

وقد استعرض المؤلف فى أثناء ذلك أكثر من ثلاثين قضية تاريخية تعرضت لهجمات المغرضين، وتزييف المزيفين.

التاريخ الإسلامى بين حجرى الرحى

والمؤلف فى التمهيد (المؤرخون القدامى: القرن الأول والثانى الهجرى) يذكر أن من بين مؤرخى هذين القرنين من توافرت فيهم الثقة، من أمثال: عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، وأبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١١٩هـ/ ٧٣٦م، ومحمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ/ سنة ٧٤١م، وعبد الله بن أبى بكر بن عمر بن حزم المتوفى سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، وموسى بن عطية المتوفى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م، ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٤هـ/ ٧٦٢م، وأن منهم من يوجه لهم النقد، لما شاب كتاباتهم من إفراط وتفريط، مثل: وهب بن منبه، المتوفى سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٣٣هـ/ ٧٤٠م، وابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠هـ/٧٦٨م، وأبى معشر السندى المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٨م.. حيث تأثروا - فيما سجلوه - بما أملته عليهم توجهاتهم السياسية، وميولهم المذهبية، وعصبياتهم القبلية.

بل إن مؤرخاً مثل على بن محمد المدائنى، المتوفى سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. لم تسلم بعض رواياته من الضعف، ولا خلت من الميول المذهبية والفكرية، على الرغم من أن جميع المؤرخين، وكُتَّاب السِيَّرْ يتفقون - بصورة عامة- على الثقة فى رواياته، والاطمئنان إلى قيامها - فى جملتها - على منهج تاريخى صحيح، وإلى أنها تتفق مع العقل والقياس.

ويضيف المؤلف إلى ذلك تقويمه مؤرخى القرنين التاليين - الثالث والرابع الهجرى - فيشير إلى أن منهم من تأثر بالعوامل الشخصية، برغم حرصه على الاحتياط الكامل، والدقة فى النقل والتحليل، مثل عبدالملك بن هشام، المتوفى سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. ومنهم من قصر نفسه على رواية الأخبار مع إسنادها إسناداً صحيحاً، دون دراسة أو تحليل كاشف، مثل محمد بن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠هـ/ سنة ٩٢٣م. حتى وصفه النقاد «بأنه جامع للروايات أكثر منه مؤرخاً»، وأن منهم من التزم الحيدة، مثل أحمد ابن يحيى البلاذرى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، حيث وضع الروايات العراقية جنباً إلى جنب مع الروايات الشامية.

رحلة المستشرقين مع الإسلام

ويذكر المؤلف أن معظم مؤلفى القرن الرابع، حتى السادس الهجرى (العاشر حتى الثانى عشر الميلادى) يتمتعون بإحساس ناضج بالتاريخ، وإن قصروا توجههم الأساسى على عصرهم، دون غيره، واكتفوا بالأخذ عن شيوخهم الكبار السابقين.

ثم يجمل القول فيهم، مقرراً أن بعض من لم يبرأ - من هؤلاء المؤرخين - من العصبيات الاجتماعية، والمحاباة القبلية، والميول السياسية، والخلافات الفقهية، والنزاعات المذهبية.. قد صدر عن نقص فى المعرفة، وأن كثيرين منهم قد صدروا عن قصد وعمد، فكان هؤلاء وأولئك عوناً لمعارضى الإسلام من المستشرقين فى هجومهم الفكرى المتواصل على الإسلام، استجابة لما امتزجت به نفوسهم من الكراهية للإسلام، والحقد عليه.

فمنذ فشلت قوة السيف والمدفع فى إطفاء نور الإسلام تحت عنوان «الحروب الصليبية»، لجأ العالم الغربى إلى استخدام حركة الاستشراق الخادعة، فتعرض الإسلام لحرب من لون جديد، مع نهايات القرن الحادى عشر الميلادى، بقيادة (جربر دى أرالياك)، و(قسطنطين الأفريقى)، و(أدلرد باغ)، و(روجر بيكن)، وغير هؤلاء ممن مهدوا الطريق بعد ذلك أمام (فولتير)، و(أليكسندروس)، و(هيلبيرت)، و(دانتى)، و(غوليوم بوستل)، و(جوزيف اسكالبيه)، وغيرهم ممن قاموا بطبع أبحاث تطفح بالعداوة للإسلام، لتغرى بعد ذلك بالتوجه إلى وضع خطط عملية محكمة، يسير عليها المستشرقون بداية من القرن السادس عشر إلى وقتنا الحالى، وكان من أشهر قادتها: (وليم بدويل)، و(ب. فاتيه)، و(هاتينجر) الذين دفعتهم العصبية الدينية إلى تركيز جهودهم على تشويه السيرة النبوية، ثم قامت جماعة أخرى منهم بالهجوم على الإسلام نفسه، يحدوهم - فى كل تحركاتهم - التعصب الدينى الأعمى، والغرور الغربى الجاهل، مثل: (جان جاك سبدلو)، و(ديفرجيه)، و(بيرون)، و(جوزيف وايت)،

و(وليم موير)، و(جولد تزهير)، و(فان كريمر) وغيرهم كثير.

وفى الفترة الأخيرة ارتدى الهجوم على التاريخ الإسلامى من رداء الفكر العلمى، القائم على البحث، وأسس التحليل النقدى، مبالغة منهم فى إخفاء مقاصدهم، وبلوغ مآربهم، تحت ستار العلم والبحث المنهجى، فترك المستشرقون أسلوب الكراهية المكشوفة، والعداء المعلن، ولجأوا إلى التخفى وراء طريقة العرض العلمى المعتمدة على إثارة الشبهات والشكوك فى التاريخ الإسلامى بطريقة خبيثة، ظاهرها المنهج العلمى، وباطنها التعصب والحقد والكراهية، وطعن الإسلام، فاستطاعوا أن يخدعوا كثيراً من البسطاء والغافلين، ممن فتنوا بالألفاظ البراقة،والنعوت الطنانة.

الحداثة وتزييف التاريخ الإسلامى

وتحت عنوان: (الاتجاهات الجديدة فى كتابة السيرة والتاريخ)رصد المؤلف أربعة اتجاهات حديثة، سيطرت على كتابة السيرة والتاريخ الإسلامى، لا يخلو اتجاه منها عن الخطأ أو الزيف وقصد التضليل. .

١- فذكر أن من هذه الاتجاهات ما قام على إخضاع التاريخ الإسلامى لنظرية التفسير الاجتماعى والاقتصادى للتاريخ؛ فقد أغفل المؤرخون الاشتراكيون الدوافع الروحية، وتتبعوا العوامل والمحركات الاجتماعية والاقتصادية، مستجيبين لنظرية الصراع الطبقى والجدلى التى أفرزتها النظريات المادية؛ بحيث لا يرون الأحداث إلا فى ضوء دافع مادى؛ إذ الدوافع المادية وحدها - فى تقديرهم - هى المسئولة عن حركة التاريخ الإسلامى، وهذا يعنى أنه لا وجود لتأثير العوامل الدينية والأخلاقية، فى التاريخ.

مارجليوث

وكان من نتائج هذا... أن هؤلاء المؤرخين صاغوا التاريخ الإسلامى على أساس أنه تاريخ للصراع الطبقى، كما وضح فيما كتبه المستشرقون (هوبرت كرايم)، و(د.س. مارجليوث)، و(برنس لون كتان)، و(برنارد لويس)، ومكسيم رودنسن)، وما كتبه عبدالحى شعبان، وأحمد عباس صالح، ومحمود أمين العالم، ومحمود إسماعيل، وعبدالمنعم حامد، وغيرهم من الكُتَّاب والمؤلفين المسلمين الاشتراكيين والماركسيين.

٢- وأن منها ما قام به أولئك الذين قصدوا إلى تجريح التاريخ الإسلامى، والطعن فيه، متوسلين إلى ذلك بالبحث فى روايات التاريخ الإسلامى ومصادره، لينتقوا من بينها الروايات التى تخدم أهدافهم، وتصدِّق مزاعمهم التى يريدون أن يقرروها.

فإذا لم يجد هؤلاء فى الروايات ما يفيدون منه، أطلقوا العنان لخيالاتهم، فافترضوا أحداثاً ومواقف لا أساس لها فى الواقع، اللهم إلا فى خيالهم المريض، ليقرروا ما يريدون تقريره، ويبرزوا النتائج التى تحقق أهدافهم، مغمضين أعينهم وعقولهم عما يشوبها من الخطأ البيِّن؛ فهم لا يهتمون بتوثيق بياناتهم بالمصادر المعتمدة، بل قد يطعنون فى تلك المصادر، أو يتجاهلونها تماماً.

ولعل من أبرز من يمثل هذا الاتجاه... المؤرخ الهندى (خورشيد أحمد فاروق)، والمؤرخان العربيان : (جورجى زيدان، وفيليب حتى).

وغالباً ما يلجأ هؤلاء إلى تقديم كتاباتهم فى هيئة خادعة، حتى يقدمونها فى هيئة علمية، مما يرهب القارىء، ويؤثر فيه، بحيث يخدع عن الحقيقة، ولا يستطيع الوقوف عليها، ولا إدراك ما وراء كتاباتهم.

٣- وأن من هذه الاتجاهات المغرضة اتجاهاً يضم بعض العلماء والمفكرين المسلمين الجدد غير المؤهلين تربوياً وعلمياً ليكونوا مؤرخين، ولكنهم تصدوا لبحث التاريخ الإسلامى فى بعض مراحله أو عصوره، فجاءت كتاباتهم خالية تماماً من الإدراك التاريخى السليم، مفتقرة إلى الأصالة المنهجية، وعمق التفكير، وبدلاً من ذلك... أقاموا بعض نظرياتهم بناءً على أفكارهم وميولهم ومزاعمهم التى اعتنقوها وآمنوا بها سلفاً، فهم لا يقفون على الحدث من مختلف أبعاده، ولكنهم يكتفون بمشاهدته من جانب واحد، فقبلوا الأخبار والروايات التى تتفق مع نظرياتهم وأفكارهم، وغفلوا ـ أو أغفلوا ـ عن جميع الروايات والأخبار التى تتعارض مع وجهتهم، أو يمرون عليها مروراً سريعاً، وذلك لجهلهم بالمعلومات الحديثة.

٤- والاتجاه الرابع هو ذلك الاتجاه غير الإسلامى، الذى يقوم على نظرية التفريق بين الدنيا والدين ـ أو بين الدولة والدين ـ الناتجة عن الرهبانية النصرانية، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح تام فى التاريخ الإسلامى بُعَيْد النصف الثانى من القرن الأول الهجرى، حيث جاءت جهود العلماء الانتهازيين ونظائرهم من المفكرين والمؤرخين ناقصة وخاطئة؛ إذ استغلوا الحيل الشرعية، والخدع الفقهية، فأفادوا منها فى تحقيق أهدافهم، وجعلوا يشرحونها بطرق عكسية أحياناً، وملتوية أحياناً أخرى، فأخطأوا فى كتابة التاريخ، وكان الواجب عليهم أن يتبعوا الأسلوب العلمى الصحيح؛ فيثبتوا خطأ ما هو خطأ، وينقدوه بموضوعية محايدة، ثم يبرزوا ما هو صحيح، ويؤيدوه، وفقاً لما يجب على المؤرخ؛ من تنقيح الروايات، وتحليل الأحداث والوقائع.

جرجى زيدان

بدايات تزييف التاريخ الإسلامى والخطأ فيه

وبعد هذا العرض النظرى لما أصاب التاريخ الإسلامى ـ من تشويه وتزييف وخطأ ـ بدأ المؤلف فى دعم ما استعرض من وقائع التاريخ الإسلامى، ابتداء من منشأ سيدنا محمد ﷺ بعد أن نبه إلى ما بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى من تلازم، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، كما نبه إلى أن الكتابة عما قبل البعثة النبوية لا يمكن فصله عن التاريخ الإسلامى كذلك؛ لأنه يتضمن خلفية هامة للكتابة عن الإسلام، ولا يفهم التاريخ الإسلامى بدون الوقوف عليها.

ومن هنا بدأ المؤلف ـ تحت عنوان (العهد النبوى) ـ باستعراض مواقف المستشرقين ومن احتذاهم من المؤرخين من اسم محمد ﷺ ونسبه.

فذكر أن (مرجليوث) ومن تبعه راحوا يحطون من قدر نسبه ﷺ ويقللون من قدر حسبه،

ويقـولون: بأنه من أسرة اجـتـمـاعيـة مـتـواضـعـة، مـسـتـندين إلى أن حـالتـه الماليـة بعـد وفـاة والده (عبدالله) كانت غير طيبة، مما اضطره إلى احتراف رعى أغنام أهل مكة فى طفـولتـه، مما يدل على تدنى المستوى الاجتماعى له ولأسرته.

وذكـر المؤلف أن هؤلاء- فى سبـيلهم إلى تقرير ذلك- أغـفلوا الشـواهد التـاريخـية التى تثبت أنه ﷺ أحد أفراد أسرة بنى هاشم التى تتمتع بأشرف نسب، والتى كـان لهـا شرف السـيـادة فى الأشـهـر الحرم على قريش مكة، حتى كـان لها شرف تحمل مسئولية السقاية بين أشراف قريش، طبقا لأصول تقـسيم المسـئوليـات بين القـبـائل، فكان ينظر إلى أسرة بنى هاشم نظرة إعزاز واحترام فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وأغفلوا ما كان مشتهرا فى العرب آنذاك من أن يقوم أبناء الشرفاء والأحرار برعى ماشية الأسرة، لأن الرعى كـان حـرفـتـهم، وكـان دليلا على ثراء العديد من القبائل.

كـما أغـفلوا العلاقة الحـميـمة بين أسرتى هاشم وأميـة اللتين تنتـميان إلى عـمومة واحدة من بطن بنى عـبـد منـاف... وافـتـرضـوا أن بين الأسـرتين تنافـسـا، جـعل بـنى أمـيـة يعـارضـون بنى هـاشم، ويواجـهـونهم، بل ويناصبونهم العداء، الذى امتد بهم إلى معارضة الإسلام والتآمر ضدهم، منطلقين - فى هذا الافتراض - من خلفية ما كان بعد ذلك من اختلافات الفتنة الكبرى.

والحقيقة أنه لم تكن هناك منافسة بهذه الصورة بين هاتين الأسرتين، لا فى الجاهلية، ولا فى عـهـد الرسـالة، إذ هـمـا كلتـاهـمـا لـم تكونا فـقـط من أهم أعضاء بنى عبد مناف، بل كـان بينهـمـا صلة قرابة متينة لا تنفصم عراها، وصلة محـبـة وانسجام لا تنقطع أوصالها بأى حال.

هذا... فـضـلا عـمـا كـان بينهـمـا من صلة مـصـاهرة ظلت سلسلتـهـا مـسـتـمـرة بين هـاتين الأسـرتين.. برزت فى زواج عـثـمـان بن عـفـان من ابنتى مـحـمـد ﷺ وفى زواجه ﷺ من أم حـبـيـبـة بنت أبى سفيان، وما كان بينهـما من روابط تجارية واجتماعية، تمثلت فى العلاقة المتينة بين أبى سفيان الأموى، والعباس بن عبدالمطلب الهاشمى.

ولقد استغل المؤرخون الجدد من (الماركسيين) وغيرهم، ممن حاولوا تفسير التاريخ - وفقا لمعتقدهم الماركسى - على أساس فكرة الصراع بين الطبقات، حـيث وجـدوا فى تلك الروايات الخـاطئـة مـأربهم، فـراحـوا يصـيـغـون التـاريخ الإسـلامى على أسـاس فكرهم الشـيـوعى، ليـجـعلوه تـاريخ صـراع بين الطبقات.

قصد التزييف يقود إلى التاريخ الانتقائى

وعلى الرغم من أن المسـتـشرقـين المزيفـين ومن حذا حذوهم من المؤرخين لـم يضعوا وقـائع ولادته ﷺ وطفـولتـه، ومـرحلة شبـابه الأولى على مـحك التـاريخ الموضـوعى المحايد، حـيث اعـتـبـروا جـمـيع أحـداث سيرة محـمـد ﷺ قبل بعثته روايات غير تاريخية، أو مجرد حكايات.

على الرغم من ذلك... نراهم يحـرصـون على إثبـات قـصـة بحـيـرا الراهب بكل الوسـائل، مع أن أكثر المؤرخين المسلمين، ونقاد الحديث، وعلمـاء الجرح والتعديل ينفون هذه القصة، ويرونها - من حيث أصول الرواية والدراية - قصة موضوعة.

عمر بن الخطاب والقدس

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

فى عصر الخلافة الإسلامية واصل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب سياسة الفتح الإسلامى وتوالت الفتوحات الإسلامية تقدمها فى فلسطين وفى ٢٠ من أغسطس ٦٣٦م هزم المسلمون القوات البيزنطية فى معركة اليرموك وأمام النصر الإسلامى ترك هرقل بلاد الشام إلى غير رجعه.

ثم جرت المفاوضات بين القادة المسلمين وبين البطريرك « صفرونيوس » واشترط تسليم المدينة المقدسة لعمر بن الخطاب نفسه واستجابت القيادة الإسلامية لذلك وقبل عمر بن الخطاب.

وتقول الرواية : إن صفرونيوس ركب إلى خارج المدينة للقاء عمر ثم اصطحبه عائدا إلى أورشليم. ولابد وأن مظهر عمر الزاهد مقارنة بالبيزنطيين الذين كانوا يرتدون ملابسهم الفخمة، فقد دخل المدينة على ظهر بعير أبيض مرتدياً ملابسه المعتادة، والتى رفض أن يستبدلها احتفاء بتلك المناسبة. وقد شعر بعض المسيحيين أن الخليفة لابد وأن يكون على درجة عظيمة من الزهد بعد أن لاحظوا أن الخليفة المسلم قد جسد المثل المسيحى « للفقر المقدس » بدرجة من الإخلاص تفوق إخلاص مسؤوليهم.

عبر عمر أيضا عن مبدأ التراحم التوحيد أكثر من أى ممن فتحوا أورشليم قبله، وربما باستثناء الملك داود فقد أشرف على أكثر من غزوة للمدينة سلاماً، ودون أى إراقة للدماء لقد كان فتحا لم تشهد مثله المدينة فى تاريخها الطويل والمأساوى فى غالب الأحوال

فبمجرد أن استسلم المسيحيون لم يحدث قتل أو تدمير للممتلكات، أو محاولة لإجبار السكان على اعتناق الإسلام ولو أخذنا احترام سكان المدينة السابقين معياراً لسلامة وقوة العقيدة التوحيدية يمكننا القول هنا: إن الإسلام قد بدأ ولايته الطويلة هناك بداية حسنة جداً.

وكان عمر قد طلب مشاهدة الأماكن المقدسة واصطحبه صفرونيوس من فوره إلى كنيسة القيامة، وفى هذا الصدد يجب ذكر أن القرآن يبجل المسيح كأحد أعظم الأنبياء، غير أنه ينفى أنه صلب، كما أن محمدا ﷺ قد حقق فى حياته نجاحاً مؤزراً خلافاً لنبى الله عيسى ومن ثم يرى المسلمون أنه من الصعب الاعتقاد أن يموت أحد أنبياء الله بذلك الأسلوب المخزى ويبدو أن العرب كانوا قد سمعوا أيضا بأفكار الدوسيين والمانويين والتى كانت منتشرة فى أنحاء كثيرة من الشرق الأدنى وتقول: إن المسيح بدا تخيلاً وأنه توفى؛ إذ أن الجسد الذى كان على الصليب كان مجرد وهم، أو صورة زائفة (ينص القرآن الكريم على أن المسيح لم يقتل أو يصلب).

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(١).

بيد أن عمر لم يبد شيئا من تلك الشوفونية حتى أثناء الحماس المبدئى الذى صاحب ذلك النصر الهام فبينما كان واقفاً إلى جوار المقبرة حان موعد الصلاة فدعا صفرونيوس الخليفة للصلاة حيث كان واقفاً، لكن عمر رفض رفضاً مهذباً، كما رفض أيضاً الصلاة فى مبنى كنيسة الشهيد القسطنطين وبدلاً من ذلك توجه إلى الخارج وصلى على الدرجات إلى جانب طريق كاردو ماكسيموس المزدحم. وفيما بعد وضح عمر الأمر للبطريرك قائلا: إنه لو صلى داخل الأماكن المسيحية المقدسة، لصادرها المسلمون وحولوها إلى مساجد. وبعد ذلك مباشرة كتب عمر صكا منع المسلمين من الصلاة على تلك الدرجات أو بناء مساجد هناك وقام بعد ذلك بالصلاة فى كنيسة النيا، ومرة أخرى أكد على أن يظل المكان فى أيد مسيحية.

بيد أن المسلمين كانوا يحتاجون إلى موقع يقيمون فيه مسجداً دون ضم أملاك مسيحية كما كانوا أيضاً متشوقين لرؤية معبد سليمان الشهير وطبقا للمؤرخ الوليد بن مسلم فقد حاول البطريرك إيهام عمر أن كنيسة الشهداء وباسيلقا صهيون المقدسة هما «مسجد داود» إلا أنه فى النهاية قاد عمر ومرافقيه إلى جبل المعبد.

وكما يقول المؤرخ الإسلامى مجير الدين فإن عمر حينما وصل إلى بوابات المعبد القديمة المتهالكة انتابه الفزع لدى رؤية القاذورات التى كانت تحيط بذلك الحرم المقدس إحاطة تامة، والتى استقرت على

(١) النساء (١٥٧).

درجات البوابات حتى أنها فاضت من المبنى إلى الطريق التى كانت البوابات تفتح عليه، وكانت تلك القمامة قد تراكمت إلى أن وصلت تقريباً إلى سقف المدخل.

وتقدم صفرونيوس وتبعه المسلمون بصعوبة شديدة وحينما وصلوا للقمة فلابد وأنهم قد حملقوا مرتاعين عبر الاتساع الموحش لدكة هيرود والتى كانت مازالت مغطاة بالأنقاض والقمامة. ولم ينس المسلمون قط تلك الصدمة التى تلقوها عند لقائهم بذلك المكان المقدس الذى كان صيته قد وصلهم فى بلاد العرب النائية، ومن ثم فإن بعض المسلمين قد قالوا إنهم أطلقوا على كنيسة القيامة كنيسة «القمامة» انتقاماً لسلوك المسيحيين غير الورع تجاه جبل المعبد.

وبعد أن استوعب صدمة الموقف أخذ يحمل حفنات من الروث وكسارات الحجارة فى عباءته ثم أطاح بالقمامة إلى وادى هنوم وسرعان ما اتبعه مرافقوه إعلاناً لسياسته التطهيرية.

وبمجرد إزاحة القاذورات عن الدكة استدعى عمر كعب الأحبار وهو خبير يهودى فى الإسرائيليات كان قد اعتنق الإسلام وكان أمراً طبيعيا للمسلمين أن يأخذوا بمشورة اليهود بشأن التنظيمات الخاصة بموقع كان مقدساً لأسلافهم، وتوضح المصادر اليهودية والإسلامية أن اليهود شاركوا فى تطهير الجبل ويقال إن عمر كان قد سافر إلى بيت المقدس مع مجموعة من حاخامات طبرية كما يقول أبو جعفر الطبرى المؤرخ المتميز الذى عاش فى القرن العاشر: إن عمر بدأ لقاءه بكعب بتلاوة سورتى الأسراء والكهف اللتين تحويان سرداً لقصص سليمان والمعبد بينما لا يرد فى سورتى الإسراء والكهف أى ذكر لداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لكن تروى المصادر العربية أن عمر تقدم فصلى بالناس وقرأ بهم سورة «ص» وهى السورة «٣٨» وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم مرة أخرى سورة «بنى إسرائيل أى سورة الإسراء» ثم ركع ثم انصرف، وبعد ذلك طلب من كعب أن يشير إلى أفضل مكان للصلاة على الجبل وانتقى كعب موقعاً شمال الصخرة. إذ رفض عمر اقتراح كعب وقرر بناء المسجد عند الحافة الجنوبية للدكة فى موقع رواق هيرود الملكى حيث يقع المسجد الأقصى الآن ويمكن للمسلمين من ذلك الموقع التوجه إلى مكة وكان مبنى المسجد خشبياً متواضعاً يتماشى مع مبدأ التقشف للمسلمين الأوائل وكان أول من وصف المسجد هو الحاج المسيحى أركولف الذى زار بيت المقدس حوالى ٦٧٠م وأذهله التباين بينه وبين فخامة المعبد الذى كان هناك فكتب قائلا إن «المسلمين الآن يترددون على بناء خشبى متواضع للصلاة أقاموه دون تشذيب بواسطة ألواح وعوارض كبيرة تم رفعها على أنقاض بعض المبانى القديمة المتهدمة غير أن المسجد كان متسعاً يستوعب نحو ثلاثة آلاف مصل وكانت القبائل العربية هناك والتى اعتنقت الإسلام تؤم مسجد عمر لصلاة الجمعة.

حريـــة المواطــن والمعتقــد

لم يجبر الفاتحون أحدا من مسيحيى بيت المقدس على اعتناق الإسلام وفى الواقع فإن اعتناق بعض الأهالى الإسلام لم يلق تشجيعاً حتى القرن الثامن، كما يورد الطبرى وثيقة العهد الذى تم إنجازه بين عمر ومسيحيى اورشليم فإنها تعبر بدقة عن السياسة الإسلامية تجاه الشعوب المهزومة، ونص الوثيقة وهى تسمى العهد العمرية هو:

« هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء « القدس » من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا يسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بهم من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، عمرو ابن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية ابن أبى سفيان، عمربن الخطاب، كتب وحضر سنة ١٥ هـ. « النص من كتاب « إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى » تأليف محمد بن شهاب الدين شمس الدين السيوطى ج٢ ».

ومثل غيرهم من رعايا الإمبراطورية الإسلامية أصبح يهود ومسيحيو بيت المقدس أقليه محمية « ذميين » وكان عليهم أن يتخلوا عن جميع وسائل الدفاع عن النفس وعن حمل السلاح وبدلاً من ذلك وفر لهم المسلمون الحماية العسكرية ونظير ذلك كان الذميون يدفعون الجزية وكان على الحجاج المسيحيين دفع رسم دخول قدره دينار إذا هم أتوا من خارج الإمبراطورية الإسلامية وبذلك يصبحون ذميين أثناء إقامتهم.

ولم يكن نظام الذميين نظاماً كاملاً فقد طورت فيما بعد بعض التشريعات الإسلامية أن النظام سمح للناس من مختلف العقائد أن يتعايشوا فى تناغم نسبى، وضمن بشكل أساسى أن تعامل الأقليات معاملة شرعية كريمة ومن المؤكد أن النظام يعتبر تحسيناً هائلاً على القانون البيزنطى الذى كان يضطهد بشكل متزايد الأقليات مثل اضطهاده لأتباع العقيدة الواحدة والسامريين واليهود.

وهكذا فلم يكن من المستغرب إذا أن يرحب أناس مثل النسطوريين والمسيحيين من أتباع الطبيعة الواحدة بالمسلمين وأن يجدوا الإسلام أفضل من بيزنطة وفى هذا الصدد يكتب مؤرخ القرن الثانى عشر ميخائيل السريانى قائلا: إن المسلمين لم يستعلموا عن عقائد الناس المعلنة ولم يضطهدوا أحداً بسبب إعلانه عن عقيدته وذلك خلافاً لما فعله اليونانييون الذين هم أمة من الهراطقة.

أما الأماكن المقدسة للمسيحيين فكانت تتركز جميعها تقريبا على التل الغربى وعلى هذا ظلت تلك المنطقة بالكامل منطقة مسيحية ولم يستوطن الفاتحون المسلمون ذلك الجزء من المدينة برغم أنه كان ذا مناخ ملائم وأكثر برودة من منطقتهم أسفل الحرم ومنع المسلمون أيضا من ارتياد الكنائس الواقعة على جبل الزيتون ووادى قدرون وخاصة كنيسة الصعود وقبر العذراء حيث كانت هذه الأماكن تجسد مواقع وأحداثا هى موضع تبجيل من قبل المسلمين كذلك وسمح للمسيحيين ببناء وترميم كنائسهم دون قيود وفى الواقع فقد كان هناك فيض من تشييد الكنائس فى فلسطين والشام فى القرنين السابع والثامن الميلاديين، كما سمح أيضا للمسيحيين بتسيير مواكبهم وإقامة صلواتهم أما المكان الوحيد الذى كان المسلمون يتعبدون فيه بأعداد كبيرة فهو حرمهم الخاص بهم أى جبل المعبد الذى لم يكن قد شهد مشهداً لأى من الطقوس المسيحية.

وبعد الفتح مباشرة وافق عمر صفرونيوس على عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس، غير أن عمر قام بإلغاء ذلك الترتيب فيما بعد فلم يكن هناك سبب وجيه لأن ينكر على اليهود حق سكنى مدينة داود، ولذا قام عمر بدعوة سبعين عائلة من طبرية للاستيطان فى بيت المقدس وخصصت لهم المنطقة الواقعة حول بركة سلوام فى الركن الجنوبى الغربى من الحرم. وقام اليهود بتنظيف المكان واستعملوا أحجار الأنقاض لبناء مساكنهم الجديدة وسمح لهم أيضا بتشييد معبد عرف «بالكهف» قرب الجدار المساند الذى يعتقد أنه كان موجودا فى الأقبية أسفل الدكة، وتقول بعض المصادر: إنه كما سمح للمسيحيين بالصلاة فى مسجد المدينة فقد سمح أيضا لليهود بالصلاة على الدكة نفسها وكانت قد تم توظيف بعض الذميين من اليهود والمسيحيين حراساً وخدماً فى الحرم وقد أتاح لهم ذلك الامتياز الإعفاء من دفع الجزية ومن المحتمل أن اليهود كانوا على استعداد للقيام بتلك الأعمال عن طيب خاطر حيث منحهم الفتح الإسلامى أملاً جديداً فقد كان الأباطرة البيزنطيون قد جرموا الديانة اليهودية كما أوشك هرقل على إجبار اليهود على أن يُعَمَّدُوا مسيحيين، لذا كان اليهود على استعداد لمؤازرة المسلمين خاصة وأن عقيدة المسلمين التوحيدية أكثر قربا لليهودية منها للمسيحية.

كما أن المسلمين لم يحرروهم فقط من ظلم بيزنطة، لكنهم أيضا منحوهم حق الإقامة الدائمة فى المدينة المقدسة، ولايثير الدهشة إذن أن يتسبب هذا التغيير فى إلهام اليهود ببعض الأحلام الرؤياوية خاصة وأن المسلمين حاولوا تطهير المعبد، وأصبح هناك تساؤل عما إذا كان ذلك يعنى التمهيد لتشييد المعبد النهائى الذى سيقيمه المسيح المنتظر وهكذا ظهرت قصيدة عبرية قرب نهاية القرن السابع ترحب بالعرب المبشرين بالمسيح المنتظر وتترقب، آملة أن يجتمع شمل يهود الشتات، وأن يعاد بناء المعبد، وحينما لم يصل المسيح المنتظر استمرت نظرة اليهود الراضية عن الحكم الإسلامى فى أورشليم ففى خطاب كتبه حاخامات أورشليم فى القرن الحادى عشر تذكر هؤلاء الرحمة التى أظهرها الإله لشعبه حينما سمح «لمملكة إسماعيل» أن تفتح فلسطين وعبروا عن غبطتهم لوصول المسلمين إلى أورشليم حيث كان فى صحبتهم أناس من أبناء إسرائيل أرشدوهم إلى موقع المعبد وتوطنوا هناك معهم إلى ذلك الحين.

فقد ظل شعب فلسطين خليطاً عرقياً كما كان دائماً ولم يسمح للفاتحين المسلمين باستيطان المناطق الجديدة فقد سمح لهم فقط بالبقاء كحامية عسكرية صغيرة كانت تعيش بمعزل عن السكان المحليين فى مجمعات عسكرية خاصة كما سمح لبعض القادة بامتلاك الضيعات فى الأراضى غير المسكونة وكما رأينا فإن المسلمين لم يحاولوا الاستيطان فى الجزء المعتدل المناخ ببيت المقدس بل أقاموا فى منطقة أسفل قاعدة الحرم بجانب الحى اليهودى وظل بيت المقدس مدينة مسيحية إلى حد كبير. بها منطقة إسلامية مقدسة واحدة وقد روى أن النبى محمدا ﷺ قد قال ما معناه: إن من تكلم العربية فهو عربى وبالمثل فإن من يتكلم اليونانية يدعى هيلنستى وكان من الطبيعى أن يتخذ سكان فلسطين الأصليون العربية لغة رئيسية لهم بمرور الوقت.

واستمر العرب يدعون المدينة المقدسة إما بيت المقدس أو إيلياء ويتجلى تقدير المسلمين للمدينة فى نوعية الأشخاص الذين اختيروا لحكمها فقد وقع الاختيار على معاوية بن أبى سفيان حاكما لبلاد الشام أى فلسطين وسوريا، وأوكل إلى عمير بن سعد أحد قادة جيش المسلمين المسيطر. أمر جند فلسطين وعرف عنه معاملته الكريمة للذميين وأصبح عبادة بن الصامت وهو أحد خمسة من أهم المتخصصين فى علوم القرآن قاضى بيت المقدس وأقام بعض صحابة النبى المرموقين مثل: فيروز الديلمى وشداد بن أوس فى بيت المقدس بعد أن جذبتهم قداستها.

***

اغتيال إسلامية فيلسوف!

هل كان ابن رشد فيلسوفا ماديًا ؟!

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

كان ابن رشد ـ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ـ[٥٢٠ ـ ٥٩٤هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م]ـ فيلسوفا حكيما. ومتكلما مسلما.. وفقيها مالكيا.. وقاضيا للقضاة.. وطبيبا عظيما.. وأديبا.. ولغويا.. أبدع فى ميادين هذه الفنون والعلوم آثارا خالدة، تشهد على «التخصص ـ العميق» مع «الموسوعية» التى أحاطت بكل هذه الميادين.

فله فى علم الكلام: [مناهج الأدلة فى عقائد الملة] وفى المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال].. وفى الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد].. وفى اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و[الضرورى فى النحو] و[كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله فى الطب أكثر من عشرين كتابا، أشهرها: [كتاب الكليات].. أما فى الفلسفة ـ التى صارت أشهر ميادين إبداعاته ـ فله من الشروح والتآليف مايزيد على التسعين كتابا.

وإذا كانت الشهرة بالفلسفة قد غلبت على ابن رشد، فإن مرجع ذلك لم يكن فقط إمامته لهذا الفن فى عصره، وإنما لغلبة ملكة التفلسف عليه فى كل فن أو علم كتب فيه.. فهو قد فلسف علم الكلام الإسلامى، فارتفع ببراهينه عن جدل المتكلمين الذى غلب على الاحتجاج فيه.. وفلسف علم الفقه، عندما جعل كتابه [بداية المجتهد] موسوعة فى فلسفة اختلاف الفقهاء فيما اختلفوا فيه.. وكذلك كان [فصل المقال] و[تهافت التهافت] كتابين فى فلسفة المنهج، وحكمة الاختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين.

تلك حقائق لا يختلف فيها العارفون بأبى الوليد.

وإذا كان «ابن الأبَّار» [٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢٦٠م] قد أجاد التصوير لمكانة ابن رشد بين علماء عصره، وفى سياق العلم الإسلامى والعالمى، عندما تحدث عنه فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية. درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا. عُنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوَّد فى ما صنف وقيّد وألّف واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يُفْزَعُ إلى فتواه فى الطب كما يُفْزَعُ إلى فتواه فى الفقه، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب، حتى حكى عنه أبوالقاسم بن الطيلسان: أنه كان يحفظ شعرى حبيب والمتنبى، ويكثر التمثيل بهما فى مجلسه، ويورد ذلك أحسن إيراد»(١).

فإن أهمية هذا الوصف تتعدى تصوير «الموسوعية ـ المتخصصة» لابن رشد، إلى الإشارة إلى كماله العلمى، وفضله الخلقى، والتواضع الذى زان شرف مكانته الاجتماعية والعلمية، فجعله جامعا إلى العلم العدالة الجامعة التى اشترطها الإسلام وحضارته فى العلماء قبل الأمراء!.

فابن رشد، الذى كانت حياته الفكرية تجسيدا للصراع الفكرى بين تيارات الفلاسفة وفرق المتكلمين، هو الذى يضع ضوابط العدالة لهذا الصراع فيقول: «إن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحيّر العقول»(٢).. وهو الداعى إلى أن تكون «حياة» العالم تجسيدا «لفكره»، وذلك حتى يجد فكره طريقا ممهدة إلى القلوب والعقول «فإنما تكون الأقاويل التى يُحَثّ بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحُسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وُجد فينا الخُلق الذى نحث عليه كان قولنا فى الحث عليه أشد إقناعا»(٣).

أما العدالة الجامعة بين إنصاف «الآخرين» وبين الاعتصام بالحق الذى نؤمن به كمسلمين، فإن ابن رشد يحدد منهاجها، فيقول: «فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظر فى الموجودات، واعتياد لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك، وما أثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم»(٤)!.

وإذا كانت الأرض ممهدة لدارسى «ابن رشد الفيلسوف».. أو «ابن رشد الفقيه».. أو «ابن

---

(١) أرنست رينان [ابن رشد والرشدية] ص٤٣٥، ٤٣٦ ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧م.

(٢) [تهافت التهافت] ص٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ.

(٣) [تلخيص الخطابة] ص١٤٠، ١٤١، تحقيق: د. محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

(٤) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص٢٨. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م.

رشد الطبيب».. فإنها ليست كذلك بالنسبة لدارسيه «مفكرا».. أى دارسى موقعه الفكرى بين تيارات الفكر ومذاهب النظر والخيارات المطروحة على الأمم فى التقدم والنهوض.. ففى هذا الميدان احتدم الخلاف حول موقع ابن رشد، منذ عصره.. وحتى كتابة هذه الصفحات!.

ولم يكن «سوء الظن» أو «الاختلاف فى موقع ابن رشد من مذاهب النظر وألوان الفكر ومذاهب التقدم» نابعًا من غموض فى منهاج فيلسوفنا، أو نقص فى وضوح فكره، بقدر ما كان نابعا من «الهوى» حينا، ومن النظرة الجزئية وحيدة الجانب إلى قطاع معزول من فكره ـ عن بقية القطاعات ـ فى أغلب الأحايين!.. فالذين رأوه شارحا لأرسطو [٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م] قد حمّلوه أحمال فيلسوف اليونان!، والذين رأوه ناقداً لفرق المتكلمين الإسلاميين، حملوه على الفلسفة بالمعنى اليونانى وعلى «العقلانية» التى لا «نقل» فيها.. فخلت هذه النظرات الجزئية لقطاعات مبتورة من أعمال أبى الوليد خلت من المنهاج الذى حدّده الرجل للناظرين فى مذاهب النظر وتيارات الفكر.. وهو المنهاج الذى لم يبتدعه، وإنما استخلصه من معيار النظر الإسلامى، وهو: عرض «الحكمة» ـ التى هى «الإصابة فى غير النبوة».. أى الصواب الذى يصل إليه «العقل البشرى» ـ بصرف النظر عن دين صاحبه واتجاه مذهبه ـ على «الحكمة» التى نزل بها الكتاب العزيز ـ أى الإصابة التى جاءت بها الرسالة السماوية الخاتمة ـ فما اتفقا فيه ـ العقل.. والنقل ـ كان هو الحكمة بإطلاق، لأنهما هدايتان من الخالق الواحد ـ الذى أنزل الكتاب والحكمة ـ لهداية خليفته الإنسان.

فإذا كان الرسول ﷺ قد بعث إلى الناس ليعلمهم الكتاب والحكمة: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتول عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»(٥).. وإذا كانت «الحكمة» ـ كما عرفها الحديث النبوى ـ هى «الإصابة فى غير النبوة»(٦).. فإن النظر العقلى فريضة إلهية، والإصابة العقلية التى يثمرها هذا النظر ضرورة دعت إليها آيات الوحى والتنزيل، ليتزامل الكتاب والحكمة فى هداية الإنسان.

«فالحكمة ـ[عند ابن رشد] ـ هى النظر فى الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان»(٧).. والبرهان هو: «النظر بالعقل فى الموجودات»(٨).. فإن هذا النظر فى الموجودات بالعقل هو السبيل الإسلامى لمعرفة الصانع الواحد لهذه الموجودات ـ وفى ذلك جوهر الدين وأُولى فرائضه ـ، لأن ذلك هو سبيل «الاعتبار فى الموجودات، ودلالة الصنعة فيها. فإن من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع، ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع»(٩)، ولذلك جاء الكتاب بإيجاب هذه الحكمة ـ النظر العقلى والبرهانى فى الموجودات ـ فلقد «أوجبه الشرع.

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾(١٠).

---

(٥) البقرة: ١٢٩.

(٦) رواه البخارى.

(٧) [تهافت التهافت] ص١٠١.

(٨) [فصل المقال] ص٢٢.

(٩) المصدر السابق ص٢٦.

(١٠) الحشر: ٢.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾(١١) .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾(١٢) .

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٣) ، (١٤)

فالنظر العقلى، والفحص فى الموجودات بالبرهان : « حكمة . . إسلامية » أوجبها الشرع، لأنها هى طريق الوصول إلى جوهر الدين والتدين ـ معرفة الذات الإلهية ـ . . ومن هنا تأتى علاقة المؤاخاة بين هذه « الحكمة » وبين « الشريعة » فى المنهاج الإسلامى، الذى صاغه ابن رشد . . ويأتى ضبطه، الذى يميز إسلامية الحكمة، إذا هى التزمت العدالة الإسلامية فى النظر، والفضيلة والخلق الإسلاميين فى صناعة البرهان . . وبعبارة ابن رشد « فمن كان أهلا للنظر . . هو الذى جمع بين أمرين:

أحدهما : ذكاء الفطرة .

والثانى : العدالة الشرعية، والفضيلة العلمية والخلقية . . »(١٥) .

لكن . . . . . ومع كل هذا الوضوح والتحديد فى المنهاج الرشدى للنظر العقلى ـ الذى بلور فيه منهاج الإسلام ـ فى جعل الحكمة العقلية فريضة إلهية، والأخت الرضيعة للشريعة السماوية، وهو المنهاج الذى شهدت إبداعاته الفكرية لدقة تطبيقه له وشدة التزامه به . . فقد اختلف الناس فى الموقع الفكرى لابن رشد اختلافا شديدا . . فوقف به البعض عند « ذكاء الفطرة »، دون العدالة الشرعية، عندما رأوا فى « حكمته » الفلسفة التى لا تلتزم بالشريعة، ولا تعرض « إصابة العقل » على « إصابة النبوة » . . بل واشتط البعض فرآه داعية لإقامة الفلسفة ـ اللاإسلامية ـ على أنقاض الدين؟!

فرح أنطون

د. مراد وهبه

● ففرح أنطون [١٢٩١ ـ ١٣٤٠هـ / ١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م] ـ وهو علمانى مارونى ـ يقول: « إن فلسفة ابن رشد عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم »(١٦) .

● والقس يوحنا قمر، يقول: « إن ابن رشد هو أبعد فلاسفة العرب، بعد المعرى، عن الإسلام »(١٧) .

● والدكتور مراد وهبه ـ وهو « ماركسى . . وأستاذ للفلسفة الغربية » ـ يقول: « إن ابن رشد يُخضع الدين للعقل . . وداعية لفصل الدين عن

---

(١١) الأعراف : ١٨٥ .

(١٢) الغاشية : ١٧، ١٨ .

(١٣) آل عمران : ١٩١ .

(١٤) [فصل المقال] ص٢٢ ، ٢٣ .

(١٥) المصدر السابق. ص٢٨.

(١٦) [ابن رشد وفلسفته] ص٣٣ ، ٣٧. طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(١٧) [ابن رشد] ج٢ ص٣١. طبعة بيروت. المطبعة الكاثوليكية.

الدولة.. ومؤسس للتنوير الغربى والعلمانية الغربية»[١٨].

ولقد جاءت هذه الأحكام ـ مع افتراض حُسن النية وسلامة الطوية ـ من أن هؤلاء الباحثين قد انطلقوا للحكم على ابن رشد من دراستهم لتيار «الرشديين اللاتين»، الذى صارع الكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا إبان بدايات النهضة الأوروبية ـ والذى لعب دورا ملحوظا فى التأسيس للتنوير والعلمانية ـ فحسبوا مقالات «الرشديين اللاتين» على فيلسوف قرطبة المسلم.. غير ناظرين إلى الدراسات الجادة والكثيرة التى قوّمت فلسفة ابن رشد، وحددت موقعه الفكرى انطلاقا من إبداعاته الفكرية وإضافاته وانتقاداته المبثوثة فى شروحه على أرسطو، وفى ضوء مقارنة هذه الإبداعات بمقولات «الرشديين اللاتين».. وهى الدراسات التى جعلت «رينان» [١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م] ـ وهو أبرز دارسى ابن رشد من فلاسفة الغرب المحدثين ـ يقول: «إن القدر قد جرى بأن يكون ابن رشد ذريعة لانطلاق أشد الأحقاد اختلاقا، وأشد ضروب الصراع العقلى عنفا، كما جرى بأن يكون اسمه علما يخفق على تلك الآراء التى لم يفكر فيها مطلقا على وجه التأكيد»![١٩]

الإمام محمد عبده

وجعلت «آسين بلاسيوس» [١٨٧١ ـ ١٩٤٤م] ـ وهو من أبرز المستشرقين الغربيين، وأخبرهم بتراث الإسلام، وأعدلهم أحكاما ـ يقول: «إن من الواجب أن نشير إلى تلك الفكرة الوهمية التى كان جميع المؤرخين ضحية لها، وهى أنهم متى وجدوا جماعة من «المدرسيين» الذين نطلق عليهم فى العصور الوسطى، وفى عصر النهضة، اسم «الرشديين»، فإنهم لايترددون أن يلقوا على رأس ابن رشد كل النظريات التى تتميز بها هذه الجماعة»![٢٠]

كما جعلت الإمام محمد عبده [١٢٩٥ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] وهو من أفقه الناس بإبداعات ابن رشد ـ يقول ـ فى ختام نقده لآراء فرح أنطون ـ وبعد عرض فلسفى لمذهب ابن رشد ـ: «فهل بعد هذا يُعد الفيلسوف ماديا، ومذهبه مذهبا ماديا قاعدته العلم؟!.. لا.. بل إلهى، ومذهبه مذهب إلهى قاعدته العلم، قائل بخلود النفس، وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها..»[٢١].

(١٨) [مدخل إلى التنوير] ص١٤١، ١٥٦، ١٥٩. طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤م

(١٩) د. محمود قاسم [نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكوينى] ص٤١. طبعة مكتبة الأنجلو ـ القاهرة.

(٢٠) المرجع السابق. ص٢٠، ٢١.

(٢١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٣ ص٥٢٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب (٢٣).

من قادة الفتوحات الإسلامية

النعمان بن مقرن المزنى

بطل نهاوند

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

فى جمادى الأولى أو الثانية من عام (١١) للهجرة بدأ نجم بطلنا يبزغ فقد فجع المسلمون بانتقال رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، وظن الكثيرون أن الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ ففشت الردة فى قبائل العرب، ووقف خليفة رسول الله أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - موقفا صلبا لا يلين وأصر على محاربة المرتدين، وظل منتظرا فى المدينة عودة أسامة بن زيد وجيشه من حرب الروم ليبدأ فى حرب المرتدين، ولكن قبائل عبس وذبيان لم تمهله إذ خرجت زاحفة نحو المدينة، لضرب دولة الإسلام فى مركزها الرئيسى ومن ثم محوها، ولكن هيهات.

أخذ أبو بكر يعد العدة للمواجهة ونظر حوله ينتقى قادته، فوقع بصره على ثلاثة أشقاء هم: النعمان، وعبدالله، وسويد، أبناء عمرو بن مقرن المزنى.

وخرج أبو بكر على رأس الجيش على ميمنته النعمان، وعلى ميسرته عبدالله، وعلى الساقة[1] سويد وخرجوا فى آخر الليل فما طلع الفجر إلا وقد وضعوا السيف على رقاب المرتدين من عبس وذبيان، وتتبع النعمان فلولهم فقتل من قتل وأسر من أسر.

وبعد الفراغ من حروب الردة بدأت معارك من نوع جديد إذا اصطدمت الدولة الإسلامية الوليدة بأطماع الروم والفرس، ورغبتهما فى السيادة والسيطرة على القبائل العربية المتاخمة لحدودهما مما كان يعنى تهديدا مباشرا وخطيرا، يزيد من خطورته أنه يأتى من القوتين العظميين الوحيدتين فى العالم آنذاك، ولم يكن هناك بديل آخر سوى الحرب.

فأرسل الصديق الجيوش إلى العراق الواقعة تحت الاحتلال الفارسى وإلى الشام الواقعة تحت الاحتلال الرومانى، وتتابع الانتصارات وتهتز الأرض من تحت الماردين، ففى الشام أنهت معركة اليرموك الوجود الرومانى تماما فى بلاد الشام حتى أن قيصر هرقل قال يومها وهو يغادر سوريا: «سلام عليك يا سوريا.. سلام لا لقاء بعده».

وفى الجبهة الشرقية اندحرت جحافل الفرس الجرارة تحت سنابك خيل جيش سعد بن أبى وقاص فى القادسية، وكان لبطلنا (النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى) دوره الفعال فى كل أيامها، بل إنه عندما طلب الفرس إرسال وفد من المسلمين إليهم ليتعرفوا على مطالب المسلمين كان النعمان بن مقرن هو أمير هذا الوفد الذى ضم أربعة عشر رجلا فيهم عاصم بن عمرو، والمثنى بن حارثة، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس.. وغيرهم.

وبعد انكسارهم فى القادسية حشد الفرس جموعهم فى نهاوند، وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك، فأمر من ينادى فى الناس: «الصلاة جامعة»، فاجتمع الناس، وقام عمر على المنبر فأخبرهم بأمر حشود الفرس فى نهاوند وسألهم المشورة، فأشار عليه البعض بأن يجمع الحشود ويخرج على رأسها ليدحر جموع الفرس، فى حين تحفظ البعض الآخر على هذا الرأى الذى يخلق فراغًا سياسيًا كبيرًا بمقر الحكم فى المدينة المنورة فالدولة قد اتسعت رقعتها وهى بعد لاتزال وليدة فى حاجة إلى من يسير بها وسط ما تمر به من مصاعب وأخطار.

وهكذا كانت المشكلة الرئيسية هى اختيار قائد هذا الجيش.

واستمر النقاش وعمر حائر يقلب فى وجوه القوم بصره عله يظفر ببغيته فأبصر رجلا يصلى فى خشوع، فأخذ يتأمله، وسأل عنه، فقيل له: هذا النعمان بن مقرن المزنى.

ويمعن عمر التفكير، فالنعمان بطل من أبطال حروب القادسية شهد إلى جوار سعد بن أبى وقاص جميع الوقائع فيها وأبلى فيها البلاء كله، حتى أن سعد ولاه على خراج (كسكر) مكافأة له على بلائه، وهو قبل ذلك كان من الفئة القليلة التى ثبتت على الإسلام فى مواجهة طوفان الردة.

وكان النعمان قد كتب إليه يشكو من استعماله على خراج (كسكر) وكيف أنه يرغب فى الجهاد: «مثلى ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتنى عن

(١) المؤخرة.

كسكر، وبعثتنى إلى جيش من جيوش المسلمين[٢].

وما أن فرغ النعمان من صلاته حتى ابتدره عمر قائلا: «لقد انتدبتك لأمر عظيم»!

فقال له النعمان: «يا أمير المؤمنين إن كنت تريدنى لجمع الصدقات فإنى لا أصلح لذلك، وإن كنت تريدنى للجهاد والاستشهاد فى سبيل الله فإنى أصلح له».

فقال له عمر: «بل أريدك للجهاد والاستشهاد»[٣].

وانتهى الحوار بين الرجلين، وعاد عمر بن الخطاب إلى موقعه فوق المنبر وقال: «لأولين الحرب رجلاً يكون غدا لأسنة القوم جزرا[٤]»[٥].

ودعا عمر بن الخطاب السائب بن الأقرع، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن، وقال له: إن قُتل النعمان فوليُّ الأمر حذيفة بن اليمان، وإن قُتل حذيفة فوليُّ الأمر جرير بن عبدالله البجلى، وإن قُتل جرير، فالأمير المغيرة بن شعبة، وإن قُتِل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس.

وأوصى أمير المؤمنين عمر، النعمان بقوله: «إن قِبَلَكَ رجلين هما فارسا العرب: عمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد الأسدى، فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا من الأمر»[٦].

وصار النعمان قائدا لجيش يضم وجوه الصحابة وفرسان العرب إذ كان فيهم: عبدالله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبدالله البجلى، والقعقاع بن عمرو التميمى، ومجاشع بن مسعود، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، وربعى بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد، وقيس بن مكشوح المرادى[٧]، فإذا كان هؤلاء هم رجال النعمان، فكيف بالنعمان نفسه؟!.

وشق النعمان طريقه تجاه نهاوند حيث حشد الفرس جموعا بلغت مائة وخمسين ألفا، فى حين كانت جموعهم يوم القادسية تبلغ مائة وعشرين ألفا، فقد قرر الفرس أن معركة نهاوند هى فرصتهم الأخيرة فإما الانتصار وإما الاندحار.

وفى ذلك أورد الطبرى رواية عن زياد بن جبير عن أبيه: «لم أر والله مثل ذلك اليوم، إنهم (الفرس) كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب، وقد قرن[٨] بعضهم بعضا سبعة فى قران، وألقوا حسك الحديد[٩] خلفهم، وقالوا: من فر منا عقره حسك الحديد»[١٠].

واحتشدت هذه الجموع الفارسية خلف خنادق منيعة تحول بين المسلمين وبينهم، فجمع النعمان وجوه الصحابة وكبار قادته من حوله يستشيرهم ويأخذ آراءهم فيما هم مقدمون عليه، وانتظر النعمان أن يسمع من اثنين عينهما له عمر بن الخطاب وهما: عمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد.

---

(٢) الطبرى ١٢٦/٤.

(٣) الكامل فى التاريخ ٨/٣، ٩، البداية والنهاية ١١٩/٧.

(٤) الجزر: القطع والاستئصال.

(٥) الأخبار الطوال صـ ١٣٥.

(٦) المصدر السابق صـ ١٣٥.

(٧) الطبرى ١١٥/٤.

(٨) قيد.

(٩) قطع قاتلة من الحديد المدبب.

(١٠) الطبرى ١١٩/٤.

وقد أشارا وأحسنا فأما عمرو بن معدى كرب فقد أشار على النعمان أن يشيع بأن أمير المؤمنين توفى ثم ينسحب بجميع الجيش حتى إذا علم الفرس بذلك خرجوا من وراء خنادقهم يطلبون المسلمين.

أما طليحة فقد أشار بأن تتقدم إلى العجم فرقة من الفرسان تتحرش بهم وتغريهم على الالتحام بها مبارزة بالكر والفر، بينما يترصد سائر الجيش فى أماكن إلى الخلف، فإذا التحموا بها تظاهرت بالانكسار وظلت تتراجع وتتراجع وخلفها جموع العجم ثم تستدير فرقة الفرسان للمواجهة الحقيقية انقضاضا على جموع الفرس فإذا التمسوا الفرار وجدوا النعمان بباقى الجيش يقطع عليهم الطريق.

ولقى رأى طليحة القبول فى نفس النعمان وأوكل إلى قائد فرسانه القعقاع بن عمر التميمى مهمة التحرش بالفرس، وهى مهمة نفذها القعقاع بدقة ومهارة حيث ظل يتراجع ويتراجع ساحباً القسم الأعظم من جيوش الفرس خلفه حتى حانت لحظة الحسم.

وتجمع المسلمون فى صدر النهارصبيحة يوم الجمعة، وعهد النعمان إلى المسلمين عهده، وأمرهم أن يلزموا أماكنهم، ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا. فى حين أخذ الفرس يرمون جموع المسلمين بالنبل، والمسلمون لا يتحركون وإنما يستترون من السهام حتى كثرت فيهم الجراح، فصاح بعضهم قائلين للنعمان: «ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما لقى الناس، فما تنتظر؟ إئذن للناس فى قتالهم». ولكن النعمان يكتفى بأن يقول لهم: «رويدا.. رويدا» فأعادوا عليه القول فكرر عليهم مقولته: «رويدا.. رويدا».

ولكن الجراحات كثرت وتتابعت فاستشاط المغيرة بن شعبة غضباً فقال للنعمان: «لم أر كاليوم فشلا، إن عدونا يتركون يتأهبون، ولا يُعجلون، أما والله لو أن الأمر إلىَّ قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع، ولو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال»

ابتسم النعمان فى مواجهة غضب الصحابى الجليل، وأجابه بإجابة القائد الورع المتبع لسنة رسول الله ﷺ: «رويدا ترى أمرك وقد كنت تلى الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو فى المكث مثل الذى ترجو فى الحث، ربما باكرت القتال، ثم لم يسود الله وجهك، فالله - عز وجل - يشهدك أمثالها، فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك.

إنه والله ما منعنى من أن أناجزهم إلا شىء شهدته من رسول الله ﷺ ذلك أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة(١١) وتهب الأرواح(١٢) ويطيب القتال، فما منعنى إلا ذلك».

وظل النعمان منتظرا حتى زالت الشمس عن كبد السماء وبدأ الظل يميل، ثم قال: «نصلى إن شاء الله، ثم نلقى عدونا دبر الصلاة»(١٣).

«لقد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هو أدى ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه. والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله. واذكروا ما

---

(١١) يقصد صلاة الظهر. (١٢) الرياح. (١٣) الطبرى ١١٥/٤.

مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة. فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه.

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذى لهم فى ظفركم وعزكم، والذى عليهم فى هزيمتكم وذُلكم.

وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم. فأما ما أخطروا لكم فهذه الرئة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا. فلا يكونن علي دنياهم أحمى منكم على دينكم واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين من بين شهيد حى مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملاءمة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل منكم مسلط على ما يليه.

فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا. فإذا كبرت التكبيرة الأولى فشد الرجل شسعه(١٤) فأصلح من شأنه، وليتهيأ من لم يكن تهيأ. فإذا كبرت الثانية فشد الرجل إزاره، وليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض ويتهيأ لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معا.

اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يُذل به الكفار، ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

« أمنوا يرحمكم الله »(١٥).

فأمن المسلمون وقد اغرورقت أعينهم بالدمع من كلمات قائدهم.

واصطفت جيوش المسلمين فى مواجهة جيوش الفرس الذين ربطهم قادتهم بالسلاسل حتى لا يفروا، وأخذ النعمان موقعه فى قلب جيش المسلمين تحت راية التوحيد فكبر التكبيرة الأولى ثم الثانية، فالثالثة، حيث اندفع النعمان بالجيش حاملا رايته، والمسلمون من خلفه يكبرون، وراح النعمان يصول فوق فرسه يمينا ويسارا مخترقا صفوف الفرس غير هياب حتى رُمِىَ بسهم فسقط من فوق فرسه، ويبصر سويد بن مقرن شقيقه وهو يسقط من فوق فرسه فيسحبه إلى فسطاطه دون أن يدع أحدا من المسلمين يعلم بمصابهم فى قائدهم، ويستبدل سويد ثيابه بثياب النعمان ويمتطى فرسه حاملا سيف النعمان مكبراً وسط الجنود يحضهم على عدو الله وعدوهم حتى كتب لهم النصر.

وبعد المعركة التمس المسلمون قائدهم ليهنئونه بالنصر فلم يجدوه فتساءلوا: أين الأمير؟، وذهب بعضهم يلتمسه فى فسطاطه وكان أول من دخل عليه معقل بن يسار الذى يروى هذا المشهد فيقول: « أتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه مر إداوة ماء كانت معى. فقال: من أنت؟ قلت: معقل. قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح الله ونصره. قال: الحمد لله، أكتبوا إلى عمر(١٦). ثم فاضت روحه إلى بارئها.

---

(١٤) رباط النعل.

(١٥) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ٤/١١٩.

(١٦) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٣٦)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير، (٣/ ١٩، ٢٠)، فتوح البلدان، ٧٦.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الظلمات.. وسراجها

قال سيدنا أبوبكر الصديق - رضى الله عنه :- الظلمات خمس، ولكل واحدة سراج:

الذنوب ظلمة وسراجها: التوبة، والقبر ظلمة وسراجه: الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه: لا إله إلا الله، والصراط ظلمة وسراجه: اليقين، والآخرة ظلمة، وسراجها: العمل الصالح.

الخوف من النفاق

جاء رجل إلى حذيفة - رضى الله عنه - فقال له: يا أبا عبدالله، إنى أخشى أن أكون منافقا، فقال: تصلى إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله منافقا.

فى زيادة البر.. زيادة للحب

دخل معن بن زائدة على أبى جعفر فقال له: كبرت يا معن، قال: فى طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هى لك يا أمير المؤمنين، قال: أى الدولتين أحب إليك أو أبغض دولتنا أو دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلىّ، وإن زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب إلىّ، قال: صدقت.

الهروب من الضيف

نزل بمروان بن أبى حفصة ضيف، فأخلى له المنزل ثم هرب منه مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة، فخرج الضيف فاشترى ما

يحتاجه ثم رجع وكتب إليه:

يأيهـــا الخـــارج من بيـــتـــه
وهـاربـا من شـــــدة الخـــــوف
ضـــيـــفك قـــد جـــاء بزاد له
فـارجع تكن ضـيـفـا على الضـيـف

أفرأيت إن وقف وحرك رأسه

وقف معاوية بن مروان على باب طحان، فرأى حمارا يدور بالرحى فى عنقه جلجل، فقال للطحان: لم جعلت الجلجل فى عنق الحمار، فقال: ربما أدركتنى سأمة أو نعاس، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف فصحت به فانبعث، قال: أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك رأسه، فقال له: ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير وهو القائل: وقد ضاع له باز: أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازى.

قيل

قريبك من قرب منك خيره، وابن عمك من عمك نفعه، وعشيرتك من أحسن عشرتك، وأهدى الناس إلى مـــودتك من أهدى بره إليك.

حقا

إذا كنت فى إدبار، والموت فى إقبال فما أسرع الملتقى.

غلت الأسعار

قيل لأبى حازم: غلت الأسعار، فقال: ما يهمكم من ذلك إن الذى يرزقنا فى الرخص هو الذى يرزقنا فى الغلاء.

دعاء

«اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك، وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك».

الشباب.. والفراغ!!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

عن الفراغ الزمنى.. والفراغ الفكرى.. والفراغ الروحى.. والفراغ الحضارى.. يدور هذا الحوار فى هذه السطور.

ولسنا نزعم بالطبع أننا يمكن أن نضع كل الحلول لكل هذه التعقيدات فى مثل هذه الإطلالة الكاشفة، لأن وضع هذه الحلول يحتاج إلى تعبئة شاملة فى كل الاتجاهات: نفسيا، واجتماعيا، ودينيا، وفكريا، وما لم نفطن إلى حتمية هذه التعبئة الشاملة، فإن مستقبل الشباب المسلم يمكن أن يصاب بكثير من ارتباك الشكل، وبكثير من ارتباك المضمون.

إن حسن النية فى هذا الصدد قد يصبح جريمة فادحة حين يسلبنا التطور التقنى المعاصر هذه الأجيال من شبابنا المسلم، لأنه ليس بحسن النوايا يصاغ مستقبل الأجيال.. فلنكن على وعى حقيقى بطبائع المرحلة، وليكن تخطيطنا لواقع الشباب ومستقبله جميعا من خلال فهم المعادلة الحضارية الراهنة، فإنه بدون هذا الفهم يمكن أن نضيع كل شىء، حتى أمل البقاء.

وإذا كان الفراغ الزمنى حقيقة واقعة فى حياة شبابنا المسلم ـ وهو كذلك للأسف ـ فإننا لا نستطيع أن ندين الشباب وحده فى هذا المجال، لأن الإدانة تمتد فتشمل المسئولين عن هذا الشباب وعن تمكينه من أداء دوره الفاعل، والخروج بطاقاته وإمكاناته من دائرة التمزق أو التسيب أو الإحباط، إلى دوائر التحقق الرائع الذى يملأ الحياة حركة مجدية، ويحيل الزمن التاريخى إلى ساحة جدل فاعل يحرك من حوله كل محاور الأشياء.

ولسنا نطالب ـ كالآخرين ـ بأن توضع لهذا الشباب برامج فوقية تتعلق بالمثال الذى يصعب على المراحل السنية للشباب أن تتجاوب معه، أو أن تعيشه واقعا معشوقا لها بالفعل، لأن هذه البرامج محكومة بالبوار فى نهاية الأمر.. ولكننا نطالب بأن توضع لهذا الشباب نوعيات من البرامج المدروسة الفاهمة، التى تستوعب اهتماماته الشبابية، وتستثير خياله وطاقاته معا، وتحقق له نوعا من المتعة الروحية والمادية إلى جوار تحقيقها لغايات اجتماعية ودينية معينة.

فقد لا نفلح مع الشباب إذا أردناه على الجد الخالص، ولكننا نفلح معه إذا سددناه فى طريق الهواية الهادفة، التى يمكن أن نملأ إطارها الخارجى بآلاف المعطيات الفكرية والعقائدية.

إن الرياضة البدنية -مثلا- يمكن أن تحيل الإنسان إلى حيوان فاره القدرات ثم لا شىء.. ولكن الرياضة يمكن كذلك أن تجعل من الإنسان طاقة عضلية وطاقة روحية، يتعلم الشباب من خلالها كيف يتعامل مع الآخرين، وكيف يتعاون على تحقيق الهدف، وكيف ينضبط سلوكيا، وكيف يفتح صدره للهزائم على أنها مدخل إلى تعلم النصر، وللانتصارات على أنها حصاد قوى متعاونة، وليس مجرد مغالبات عشوائية قد لا تفضى إلى قرار!!

وإذا كانت الرياضة البدنية جزءا من معادلة استيعاب الشباب كطاقة نحرص على أن نحميها من التبدد، لنحقق من خلالها وجود المؤمن القوى، الذى هو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فإن التكوين الفكرى والعقائدى هو كل المعادلة التى تضىء واقع الشباب ومستقبل الشباب كذلك على السواء.

وفى هذا الصدد، ينبغى أن نحرص على انتخاب القيادات الشبابية القادرة والمؤمنة، إن القيادة المثقفة ثقافة مادية فحسب يمكن أن تجرف جيلا إلى بحار الخواء العقيدى، الذى يعصف فى النهاية بكل شىء: بالثقافة. وبالشخصية.. وبالحاضر.. وبالمستقبل.. وبكل الأشياء.

وكذلك القيادة المؤمنة فحسب، أى التى قطعت صلتها بواقع الفكر، وواقع كل العصور.. إن مثل هذه القيادة تجر الشباب إلى ظلام الانغلاق ومن ثم إلى البرم بواقع كل ما فيه يصادم الواقع المعاصر.

نحن إذن فى حاجة إلى قيادة تقبض على حركتى: الإيمان الصميم.. والثقافة الشاملة.. لأن هذه القيادة وحدها هى التى تنقل إلى الشباب وعيها الفاهم وإيمانها الركين، وتشكل منه فيلقا عقائديا يمكن أن يفتح العالم بكلمة الحق وسيف الاعتقاد.

وبديهى أننا -هنا- لا نريد أن ننزل إلى رصد جزئيات هذه المحاور الكلية، من ضرورة فتح أبواب النوادى الرياضية والثقافية وربط الشباب بالمسجد كمنطلق إيمانى وفكرى، وعقد لقاءات إسلامية للشباب المسلم فى كل الأصقاع، وزرع المكتبات حتى على أرصفة الشوارع واستراحات الطريق، إلى آخر ما يمكن رصده فى هذا الاتجاه، لأن كل أولئك مفردات الظاهرة التى إن تحققت تحققت معها مفرداتها، وهى بداهات أو ينبغى أن تكون كذلك فى وعى الجميع.

ولنتذكر دائما أن هذا الشباب أمانة فى أعناقنا، وأن مواجهته بمنطلق الإدانة قد تفضى إلى البوار وليس إلى الانتصار، فلنضع البديل قبل الاتهام، فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل كما يقولون.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد أن الفراغ الزمنى فى حياة الشباب المسلم ظاهرة ناشئة من انسحاب هذا الشباب من تبعاته العقيدية، لأنه لو تصدى

لحمل هذه التبعات لأعجزه حتى أن يجد الزمان التاريخى الذى يحقق فيه رسالته ودوره، لا أن يجد الفراغ الذى يلتهم زمانه ودوره على السواء.. أى أن عقائدية الشباب يمكن أن تستقطب كل زمانه وطاقاته، وما يقدر على تحقيقه من فعل، ولا تدع له أن يتسكع فى فراغ الزمان باحثا عن دور، وعن هوية وحتى عن مكان فى المكان.

والفراغ الفكرى ظاهرة من الظواهر اللافتة فى حياة شبابنا المسلم المعاصر ولكنها ليست ظاهرة شاملة والحق يقال، فإن من شبابنا المسلم من يأخذ نفسه فى قضية الثقافة مأخذ الجد، فهو يلتهم ما يتاح له من حصاد فكرى وثقافى ودينى واجتماعى على كل المستويات، ومن هنا فنحن لا ننظر إلى المستقبل هذه النظرة السوداوية المتشائمة، وإن كنا لا نغفل جوانب السلب وعناصر القصور فى هذا الاتجاه.

فليس يكفى مثلا أن يكون بين شبابنا من يقرأ، لأن طموحنا يمتد إلى أن يقرأ كل الشباب.. وإذا كانت الأديان الأخرى -غير- الإسلام- يمكن أن تفرط قليلا أو كثيرا فى قضية القراءة، فإن الإسلام الذى كانت أول كلماته إلى الأرض: (اقرأ) لا يمكن أن يفرط، لا قليلا ولا كثيرا، فى قضية القراءة.

والقراءة -فى الإسلام- محكومة بشروط معينة، فهى قراءة شاملة من جهة، (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[1]، وهى قراءة هادفة من جهة أخرى: (مثل ما بعثنى الله به كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى الله به، فعلم وعمل، وضل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به)[2] ومتى استوت القراءة على هذين الأفقين: الشمول.. وترجمة المثال إلى واقع، فقد أخذت اتجاهها الصحيح إلى تشكيل مستقبل حضارى راشد الحركة.

وإذا كان عالمنا المعاصر يموج بتيارات الفكر، ويتمخض كل يوم عن جديد، ويدل كل شعب بما ينجب من حركات بازغة، فى الفكر، والفن، والحياة، فلماذا لا ندخل نحن هذا الجدل العالمى مسلحين؟ لماذا لا يمتلىء شبابنا المسلم بكل فكر العالم شرقه وغربه على السواء، قديمه وحديثه معا، يتمثل هذا الحصاد تمثلا ذاتيا ليبدعه بعد، حركة فكرية مسلمة، لها منظورها الخاص، الذى تدخل به حوار العصر غير جبانة ولا راعشة؟ لماذا لا يكون لنا أدبنا الخاص القادر على عبور القارات؟ وفكر قادر على حوار كل الفلسفات؟ وإيماننا المبثوث حتى فى الكلمة الشاعرة والفكرة الخاطرة، والاستقصاء العميق؟ لماذا لا نتوجه بكل الطاقة إلى صناعة هذا الشباب المسلم المتمرس؟

(١) كشف الخفاء ١/٤٣٥، ابن كثير ٦/٣٥.

(٢) الترغيب والترهيب ١/٩٩.

ولماذا لا نطرح أمام وعيه كل الاختيارات الثقافية والفكرية، حتى يصبح قادرا على التمييز والفقه. محصنا ضد عوامل التفتيت والتذويب؟؟؟

قد يحسن أن يقرأ شبابنا فى مرحلة سنية وثقافية معينة، نوعية من القراءة بذاتها، ولكن لا يمكن أن يستمر كذلك، لأنه مطالب- فى هذا العصر بأن يكون صوت إسلامه المفكر، يجادل عن مقولاته، ويقتحم الأسوار على أعدائه، ويضع راياته على ربوات الفكر العالمى بلا مبالاة.. ولن يستطيع هذا الفعل التاريخى إلا إذا قرأ العالم كله: شرقه وغربه، قديمه وحديثه، منطقه الراشد ومنطقه غير المنطقى، من خلال هذه الوضعية وحدها يستطيع أن يدخل حوار الفكر وأن يفتح بإسلامه الأرض، وأن يمكن لصوت التوحيد أن يتعالى على لجب الأصوات المنكرة.

إن الذين يقولون بحصار الفكر الشبابى، فى الموروث من جهة، وفى الفكر الصديق من جهة أخرى، يهملون أولوية بادهة، وهى أن الموروث الحى هو الذى يخوض كل بحار المغامرة المعاصر الحى، وأن الفكر النقيض له من أولوية القراءة ما للفكر الصديق، وربما كان أولى، لأن صدامنا التاريخى الفادح ليس مع الأصدقاء وإنما هو مع الأعداء، وأول أصوات الهزيمة صوت الهروب من منطق الواقع الآنى فلماذا نحكم على أنفسنا هكذا عبثا بقدر الهروب؟؟؟

وحين يقال: إن الشباب المسلم المعاصر يعانى من فراغ روحى، يصبح البديل الحتمى هو ضرورة الامتلاء الروحى.. ولكن هذا الامتلاء الروحى لايتحقق بقانون، ولا يتحقق بالتمنى أن يتحقق، ولا يتحقق بانتظار أى معجز خارجى يحيل الفراغ الفارغ إلى امتلاء ملىء.. هذه سذاجات فكرية تجر العائشين عليها إلى مزيد من التخبط القانط، وإلى مزيد من الإحباط الرهيب، لأن تصنيع أية حضارة لا يمكن أن يتحقق من خلال أى أسلوب مصدم للحضارة، والحضارة المنشودة -فى مستواها الروحى- ليست مجرد خيالات واهمة، وليست مجرد كل تاريخى كسول يرمى أعباءه على الأغيار ثم ينام.. إن الحضارة الروحية مكابدة كادحة، ومجاهدة، حتى يتحقق عالم روحى حقيقى يفرض حلوله بثقة فى قلب حركة التاريخ، وهذا يعنى أن حضارة الإسلام الروحية ليست حضارة هامشية، وإنما هى امتداد لمعنى خلافة الله فى الأرض ينبغى -من خلال وعيه بهذه الوضعية القمة أن يحيل جدبها إلى خصب، وخواءها إلى امتلاء، وكنودها الكافر إلى إشراق إيمانى يتهلل به وله ومعه وجه الحياة.

ولسنا نميل إلى شىء من المبالغة حين نؤكد أن شبابنا المسلم فى طريق امتلائه الروحى ينبغى أن يمر بمناطق المعاناة الحقيقية، فلا نفرش له الساحة بالورود، ولا نخيل إليه أنها رحلة على ضفاف شاطىء وديع، وإنما ينبغى أن نملأ وعيه الشبابى بأن وضعيته القيادية تفرض عليه تاريخا من المعاناة التى لا تهدأ، والعمل الذى لا ينتهى، وأن إيمانه الحقيقى لا يتم إلا بالمكابدة فى سبيل تطويع الآخرين لهذا الإيمان، وأن كل القيم المجردة تبقى مجرد قيم مجردة ما لم يترجمها الواقع الإيمانى إلى حركة حياتية حية.

شكر النعمة وجحودها

١

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وفضل الله عليه دائم ومستمر، يقول الله ـ تعالى ـ:
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾(١). والمراد بالنعمة جنس النعمة سواء أكانت فى النفس أو المال أو الولد، أو فيما سخره الله للإنسان فى الكون برا وبحرا وجوا، فهى من كثرتها وتنوعها لا يستطيع الإنسان حصرها..
والنفس الإنسانية تتطلع دائما إلى المزيد من النعم والفضل والخير، وحبها فى التمتع بالصحة والعافية والسلامة من المرض والعاهات لا حدود له، ورغبتها فى الغنى والثروة واكتناز المال ملحة وقوية..

ومن كرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده أنه يستجيب لدعائهم وسؤالهم النِّعم التى يطلبونها، مع أنه ـ عز شأنه وجلت قدرته ـ أسبغ على عباده النِّعم المتنوعة التى تدل على كمال قدرته وعظمته.. فخلق السموات وما حوت من أجرام، والأرض وما ضمت من خيرات، وأنزل الماء من السماء فأخرج به الثمرات المتعددة الأنواع والأصناف، المختلفة فى الطعم والمذاق ليتمتع بها الإنسان، وسخر وذلل وطوّع السفن لتجرى فى البحر –بقدرته وأمره– ليستخدمها الإنسان حسب ما يريد ويقصد، وسخر الأنهار بمائها العذب لينتفع الإنسان بمائها فى الشرب وسقى الدواب والزرع، وسخر الشمس والقمر دائمين فى مسارهما ومدارهما بلا انقطاع وبدون اضطراب ولا خلل، وسخر الليل والنهار بأن جعلهما متعاقبين يأتى أحدهما فى أعقاب الآخر لينتفع الإنسان بكل منهما: فالليل ينتفع به فى الراحة والنوم، والنهار ينتفع به فى المعاش وطلب الرزق:

(١) النحل (١٨).

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾(٢).

ومع كل هذه النعم المتعددة التى أنعم الله بها على عباده، والتى لا يستطيعون حصرها وعدّها لكثرتها وتنوعها، فإنه يعطى العباد – بفضله– ما يسألون زيادة على ذلك.. وهذا العطاء يستوجب شكر الله وطاعته والالتزام بعبادته.. ولكن الإنسان –إلا مَنْ عصم الله– لا يقابل هذه النعم بالشكر والامتثال!! بل يقابلها بالكفر والجحود والنكران!! فالإنسان شديد الظلم لنفسه، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣).

ويشير الله ـ تعالى ـ فى آيات أخرى إلى بعض نعم الله على الإنسان على وجه التحديد، ويقرر ـ سبحانه ـ أن هؤلاء الجاحدين الكافرين يعرفون هذه النعم التى أنعم الله بها عليهم، والتى ذكرها وعدها على وجه التحديد، ومع ذلك ينكرون هذه النعم ولا يعترفون بفضل الله عليهم، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٤).

هذا الإنسان الجاحد الكافر تراه وتشاهده فى حالة ضعفه وفقره ومرضه وحاجته يدعو الله كى يكشف عنه ما لحق به من ضر، وما نزل به من بلاء.. فإذا استجاب الله لهذا الدعاء، وكشف عن هذا الإنسان الضر، وأعطاه الله –بفضله وإحسانه– النعم تمرد هذا الإنسان على خالقه، وادعى أنه أوتى

---

(٢) النبأ (١٠ : ١٦).

(٣) إبراهيم (٣٢ : ٣٤).

(٤) النحل (٧٨ : ٨٣).

هذه النعم بكسبه هو وسعيه هو، وأنه لا فضل لله عليه!! ولكن ليعلم هذا الجاحد أنه أعطى هذه النعم على سبيل الابتلاء والاختبار ليتبين ويتميز الشاكر من الجاحد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق، ولا يدركها ويفطن إليها إلا من استنارت بصيرته، وشرح الله صدره، وسكن الإيمان قلبه، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

وهكذا الإنسان دائما فى حالة فزعه القوى، وخوفه الشديد، وإحاطة الغم والكرب به، وتوقعه الهلاك المحقق يلجأ إلى الله بالدعاء فى السر والعلانية ويتضرع إليه فى ذلة وخضوع وانكسار، راجيا النجاة من هذه الشدائد والدواهى المظلمة، معلنا أنه سيكون من الشاكرين المعترفين بفضل الله، فإذا ما استجاب الله للدعاء فكشف الغمة، وأزال البلاء، وفرج الكرب، ويسر العسير، عاد الإنسان لكفره وشركه وجحوده وعصيانه، حانثا لوعده، مخلفا لعهده، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(٦).

ونعم الله على الناس اختبار وابتلاء لهم، فمنهم من يرسب فى الامتحان بأن يجحد هذه النعم وينكر فضل الله عليه، ويتطاول بتلك النعم على قومه، ويتجاوز الحدود فى ظلمهم والاعتداء عليهم والاستخفاف بهم، وفى استعمال نعم الله فى المعاصى واقتراف السيئات، وينسب تملك تلك النعم إلى اجتهاده هو، وإلى علمه هو، وإلى ذكائه هو، فيحل عليه غضب الله ونقمته، ويسلب الله منه نعمه...

ومنهم من ينجح فى الاختبار بأن يعترف بأن هذه النعم من فضل ـ الله تعالى ـ ومن كرمه وإحسانه، فيؤدى حقوقها، ويشكر الله عليه، ولا يتكبر ولا يتعالى ولا يغتر، فيفوز برضاء الله ورحمته، ويضاعف له نعمه.

وقد ضرب الله لنا أمثلة للفريقين فى القرآن الكريم كى نتعظ ونعتبر.. يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

---

(٥) الزمر (٤٩).

(٦) الأنعام (٦٣، ٦٤).

وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٧).

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾(٨).

والله ـ سبحانه وتعالى ـ غنى عن خلقه، فلا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم، فضرر المعصية يعود على العاصى، ونفع الطاعة يعود على المطيع، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(٩).

إذن فإن جحود النعمة ونكرانها، وعدم شكر الله عليها يكون سببا لزوال هذه النعمة، ونزول عقاب الله وغضبه على المنكرين الجاحدين، فيذيقهم الله عذاب الجوع والحرمان بعد اتساع الرزق ورغد العيش، ويلبسهم ثوب الخوف والفزع بعد الأمن والأمان والاطمئنان، يقول الله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(١٠).

وهذه سنة من سنن الله فى خلقه، التى تقضى بسلب النعم من العصاة الجاحدين الظالمين لأنفسهم، الذين ينكرون نعم الله ويغيرونها ويبدلونها بارتكابهم الذنوب واجتراحهم السيئات، وعصيانهم أوامر الله، وعدم استعمالهم نعم الله فى الطاعة والعبادة والشكر، يقول الله ـ جل وعلا ـ:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١١).

يتبـــــع

***

(٧) القصص (٧٦ : ٨٢).
(٨) النمل (٤٠).
(٩) لقمان (١٢).
(١٠) النحل (١١٢).
(١١) الأنفال (٥٣).

القدرة الإلهية وإلهام الحيوان

للدكتور / حسين عباس الأنصارى (*)

إلهام الأحياء

لا شك أن إلهام الأحياء من أكبر الأدلة على وجود الخالق الملهم سبحانه وتعالى.

فالحيوان يتصرف عن طريق الإلهام تصرفات لا تحكُّم له فيها مثل الإنسان المفكر.

بل إن الإنسان أحياناً يتصرف بقوة الإلهام والعاطفة بعيداً عن العقل ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى عاطفة الأمومة، ونحن نسمع دائماً عن أم ألقت بنفسها فى اليم وراء وليدها الذى جرفه التيار، ظناً منها أنها ستنقذ حياته، وتنسى فى غمرات تلك العاطفة الجياشة أنها لا تجيد من قواعد السباحة شيئاً، وبعد قليل تلفظ أنفاسها بين الأمواج العاتية مستشهدة فى سبيل أنبل عاطفة.

ومن أمثلة الإلهام فى الكائن الحى ما يفعله حيوان (الأكسيلوكوب) الذى يعيش منفرداً فى فصل الربيع ومتى باض مات، فالأمهات لا ترى صغارها حتى تساعدها فى غذائها، لذلك فإن الأم تعمد إلى قطعة من الخشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة، ثم تجلب أطلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بها ذلك السرداب ثم تبيض بيضة، ثم تأتى بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفاً لذلك السرداب وتصنع بعد ذلك سرداباً آخر لبيضة أخرى، فمتى فقست البيضة وخرجت الدودة، كفاها الطعام المدخر سنة!!..

إن هذا مثلاً فذاً يدحض شبهة القائلين بأن الضرورة هى الموجدة للأشياء، فلو كانت الضرورة تستطيع أن تحنو على مثل هذا المخلوق الضعيف

(*) طبيب بالتأمين الصحى.

وتقدم له كل ما يحتاج إليه من غذاء ومأوى لما تحملت هذه الأم كل تلك المشقات فى سبيل ضمان الحياة لصغيرها الذى لم ير النور بعد.

ويتحدث الجاحظ ـ عالم الحيوان العربى الشهير ـ عن إلهام بعض المخلوقات فيقول: إذا دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ مرت بين يديه مراً غير مفيت وأطمعته فى نفسها ليتبعها فتمر الفراخ فى رجوعها إلى موضع عشها... فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها، طارت وقد نحته إلى حيث لا يهتدى الرجوع منه إلى موضع عشها.

والنعجة ترى الفيل والجاموس والبعير فلا يهزها ذلك، وترى الضبع وهى لم تره من قبل ذلك، وعضو من أعضاء تلك البهائم أعظم، وهى أهول فى العين وأشنع، ثم ترى الأسد فتخافه، وكذلك الببر والنمر. فإن رأت الذئب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الأجناس لو كانت مجموعة فى مكان واحد، وليس ذلك عن تجربة ولا لأن منظره أشنع وأعظم، وليس فى ذلك علة إلا ما طبعت عليه من تميز الحيوان عندها.

أما الخيل فقد ضربت أمثلة رائعة على الحنان والحب نحو وليدها حيرت العقول، وكثيراً ما نرى مُهْر الخيل مربوطاً بجوار أمه وهى تجر عربات النقل لأنها لا تتحرك خطوة واحدة دون أن يكون وليدها بجانبها.

وقد رأيت بنفسى مشهداً رائعاً لأنثى الخيل وكان نهر النيل فى بداية فيضانه وتيار الماء جارفا، حيث نزلت الفرس إلى المياه وسط هذه الأمواج العاتية تغالبها وتتغلب عليها لتلحق بوليدها الذى حمل فى مركب إلى جزيرة وسط النيل. وبالفعل غالبت كل هذه الأمواج فى دقائق معدودات ولحقت بوليدها تشمه وتتمسح فيه على الرغم من أنها كانت فى غاية الإنهاك والتعب وكأنها تقول له الحمد لله الذى جمعنى وإياك ياقرة عينى.

والفرس إذا مات صغير لها نهنهت بصوت مسموع، وقد تنزل الدموع من عينيها منهمرة وهى تودعه الوداع الأخير.

سبحان الرحيم الرحمن الذى وضع جزءاً من مائة جزء من رحمته فى الأرض تتراحم به الخلائق.

ثعبان السمك يعيش فى الأنهار وعندما يكتمل نموه ببلوغ العاشرة من عمره يهاجر من البرك والأنهار فى مختلف أنحاء العالم فى رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة إلى الأعماق السحيقة فى جزر الهند الغربية جنوبى برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض وتنتهى بذلك حياتها حيث تموت. وبعد مدة تخرج الصغار من البيض فتكون مخلوقات صلبة شفافة كأنها خيوط صغيرة لها عيون بارزة وتتهيأ للعودة إلى مواطن آبائها فى رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات فى بعض الجهات لتصل إلى مصاب الأنهار التى عاش فيها آباؤها!!.. سواء كانت أنهارا فى أوروبا أم ترعا فى أواسط إفريقيا أم بحيرات فى آسيا، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكى فى المياه الأوروبية أو ثعبان أوروبى فى المياه الأمريكية!!.. ما أعظم تدبير الخالق. فأى هادٍ هدى تلك الصغار التى خرجت من البيض بعد موت آبائها، حيث إنها لم

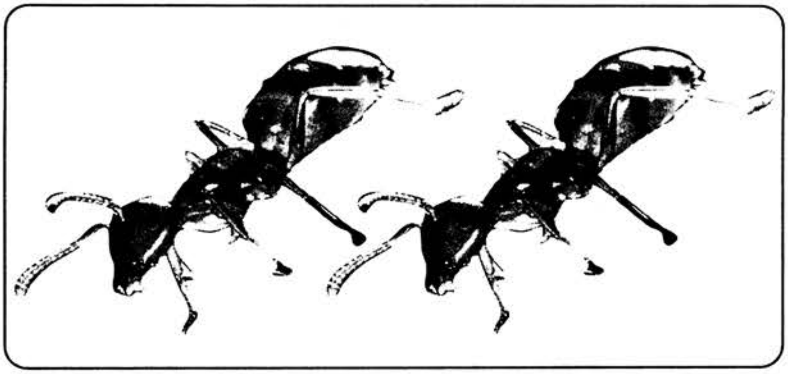

ترها حتى تخبرها بلغتها الخاصة عن عنوان مسكنهم الأصلي؟!.. لاشك أنه الدليل الرائع على إلهام الملهم سبحانه وتعالى.

الإلهام في النمل

من أعجب ممالك الحشرات مملكة النمل، التي تكاد تكون أروع مملكة تتجلى فيها عناية الخالق وعجيب صنعه. فالنمل يعيش عيشة جماعية تعاونية إلى أبعد الحدود، ضارباً المثل الأعلى في إنكار الذات. وكثيراً ما نشاهد جماعة من النمل تحمل حشرة من الحشرات أضعاف وزنها عشرات المرات وبفضل تعاونها تستطيع حمل تلك الكتلة الثقيلة إلى مساكنها لتكون غذاء لها جميعا وقت الحاجة.

والنمل يتكلم بلغة خاصة فيما بينه، ونحن نلاحظ ذلك جليا حينما نراقب نملة قد وجدت طعاماً لا تقدر على حمله بمفردها فتذهب على التو مسرعة إلى جحرها، وبعد برهة قصيرة نجدها قد عادت ومعها عدد كاف من النمل لحمل هذا الطعام سويا. إنها لا تخطىء موضع الطعام على بعد المسافة.

والقرآن الكريم يحدثنا عن لغة النمل وذلك في سورة سميت باسم النمل. يقول تبارك وتعالى:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾(١).

وعن عجائب صنع النمل يقول العالم رويال ديكنسون «إن النمل قد زرع مساحة قد بلغت خمسة عشر متراً مربعاً من الأرض»!!.. وأنه وجد جماعة من النمل تقوم بحرث الأرض على أحسن ما يقضى به علم الزراعة، فبعضها زرع الأرز، وجماعة أزالت الأعشاب، وغيرها قامت لحراسة الزراعة من الديدان.

ولما بلغت عيدان الأرز نضجها كان يرى صفاً من الشغالة لا ينقطع يتجه إلى العيدان فيتسلقها إلى حب الأرز، فتنزع كل شغالة من النمل حبة وتنزل بها سريعاً إلى مخزن

(١) النمل (١٧:١٩).

تحت الأرض، وقد طلى العالم أفراد النمل بالألوان فوجد أن الفريق الواحد من النمل يذهب دائماً إلى العود الواحد حتى يفرغ ما عليه من الأرز، ولما فرغ النمل من حصاد الزرع هطل المطر أياماً، وما أن انقطع المطر حتى أسرع إلى مزرعة النمل ليتعرف أحواله فوجد البيوت تحت الأرض مزدحمة بالعمل والعمال، ووجد كل نملة تخرج من البيت وهى تحمل حبة من الأرز فتذهب بها إلى العراء فى جانب مائل من الأرض مُعَرَّض للشمس، وما أن جف الأرز حتى عادت به الشغالة إلى المخازن تحت الأرض مرة أخرى.

الإنسان آية الإبداع

على قمة المخلوقات يتربع الإنسان، وهو الآية العظمى على إبداع الخالق. فهو المخلوق الصغير الحجم، الضعيف الجسم، القوى التفكير، ذو العقل السامى. والبديهة الحاضرة، الذى استطاع أن يسخر كل شىء فى هذا الوجود بما نفخ الله فيه من روحه.

يقول الدكتور كريس موريسون: «إن الإنسان وحده هو الذى أوتى عقلاً بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر به تفكيراً عالياً. والغريزة ليست إلا كنغمة واحدة من الناى، نغمة جميلة، ولكنها محدودة، بينما العقل البشرى يحتوى على كل الأنغام التى لكل الآلات الموسيقية فى أوركسترا، والإنسان يمكنه أن يوفق بين تلك الأنغام جميعاً».

ويقول الدكتور روبرت هورتون كاميرون: «إننى أعتقد بوجود الله لأنه وهبنى التمييز الأخلاقى، فالجنس البشرى لديه إحساس فطرى بما هو خطأ، وما هو صواب.. ويختلف الإنسان فى جميع الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الأرضية الأخرى، فهو خليفة الخالق على الأرض».. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾(٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٣)

سبحانك ربى.. ما أعظم رحمتك، وما أكرم إحسانك، وما أكثر نعمك علينا. خلقتنا ورزقتنا، وفضلتنا على كثير ممن خلقت تفضيلاً.. لكننا لم نقدرك حق قدرك، بما ران على قلوبنا من المعاصى، وما غاب عن بصائرنا من حسن فضلك، فاهدنا ربنا سواء السبيل، وأخرجنا من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى.

(٢) البلد (٨:١٠).

(٣) البقرة (٣٠).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارئ الذى رمز لاسمه غ . خ . ن جاء بها سؤالان : الأول عن حكم قراءة القرآن مع الحدث الأصغر أى من غير وضوء .

والثانى يقول فيه : متى نسجد سجدة السهو ولماذا؟ ومتى تكون سجدة واحدة؟ ومتى تكون سجدتين؟

● وفى البداية أقول للأخ السائل : إن القرآن الكريم كلام الله القديم الذى ليس بحس ولا صوت، المنزل على محمد ﷺ المعجز، المتعبد بتلاوته وهو الذى تحدى الله ورسوله به العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سورة مثله أو بأقصر سورة منه فعجزوا، وهو ما بين دفتى المصحف الشريف قال تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾(١) .

قال العلماء : معنى كونه كريماً أى : جامعاً لصفات المدح فالكريم ما كان طاهر الأصل ظاهر الفضل فصيح اللفظ صحيح المعنى، ولأنه قرآن أى مقروء باستمرار لا يُمل ولا يُسْأم بكثرة التلاوة، والقرآن لأنه كريم يظل أبد الدهر مهما كرر كالكلام الغض والحديث الطرى فهو مع قدمه المستمد من قدم قائله يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة وما قرع سمعَ أحد من قبل ولذلك فإن الملائكة الذين علموه قبل النبى ﷺ بألوف السنين حين يسمعونه من المسلم يتلذذون به تلذذ السامع لكلام يقرع سمعه لأول مرة(٢)، قال القرطبى فى تفسيره : (قرآن كريم أى : ليس بسحر ولا كهانة ولا مفترى بل هو كريم محمود جعله الله معجزة لنبيه ﷺ وهو كريم على المؤمنين لأنه كلام ربهم وشفاء لما فى صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه، وقيل كريم أى غير مخلوق، وقيل كريم لما تضمن من كريم الأخلاق ومعالى الأمور، وقيل لأنه يُكْرَم حافظه ويُعَظَّمُ قارئه(٣) .

والكتاب المكنون هو كتاب فى السماء كما قال ابن عباس - رضى الله عنهما - أو هو اللوح المحفوظ أو الكتب السابقة كالتوراة والانجيل

---

(١) الواقعة (٧٧:٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى مجلد ١٥ صـ ٣٢٣ ط دار الغد العربى بتصرف.

(٣) تفسير القرطبى جـ ٧ صـ ٦٣٩٤ ط كتاب الشعب.

والزبور لأن فيها ذكر القرآن الكريم ومن ينزل عليه ﷺ وقيل هو المصحف الذى جُمِع القرآن فيه من عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه[(٤)].

أما قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ فعلى جعل الكتاب المكنون اللوح المحفوظ، فالمراد بالمطهرين الملائكة فهو إخبار من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أى لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون من الذنوب والآثام، وهم الملائكة ومن كان مطهراً من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم، فهو كقوله تعالى:

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾[(٥)].

وفى هذا رد على الكفار الذين كانوا يقولون إن الجنَ تنزل به من السماء فتلقيه على محمد كالكهنة.

أما على جعل الكتاب المكنون هو المصحف الذى بأيدينا كما جاء فى كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم وفيه: لا يمس القرآن إلاّ طاهر، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) ولقول فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر ـ رضى الله عنهما ـ عندما أراد أن يأخذ الصحيفة التى بها القرآن: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام واغتسل وأسلم، وقيل:

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أى لا يقرؤه إلا الموحدون، ولذا كان ابن عباس ـ رَضى الله عنهما ـ ينهى أن يُمكن أحد الكفار من قراءة القرآن الكريم، وقال بعضهم: لا يجد طعمه وبركته إلا المؤمنون به فهو كقوله ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً) وقيل لا يوفق للعمل به إلا السعداء ولا يجد ثوابه إلا المؤمنون.

هذا كله على أن الآية خبر لا إنشاء، إما على جعلها انشاء ولا ناهية أو على جعلها خبراً بمعنى الإنشاء فتكون نهياً عن مس المصحف بلا طهارة ويكون المراد بالمس المس بالجارحة وهذا رأى جمهور العلماء مستدلين بحديث ابن عمر السابق وما كتبه الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم وما روى عن فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر ـ رضى الله عنهما ـ وروى عن أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ وجماعة من السلف أن المحدث يجوز له أن يمس المصحف ظاهره وحواشيه والخالى من الكتابة، أما المكتوب فلا يمسه إلاّ طاهر.

هذا عن حكم مس المصحف بلا قراءة. أما القراءة فتجوز باتفاق العلماء للمحدث حدثاً أصغر أى لغير المتوضىء أن يقرأ القرآن الكريم بلا مس أى يقرأ من محفوظه أو يقرأ من المصحف من غير أن يمسه أو يمسه بحائل.

وعليه فنجيب السائل بأن قراءة القرآن من غير وضوء جائزة. والله أعلم.

●● أما عن السؤال الثانى وهو عن سجود السهو فنجيبه بما يلى:

لقد شرع سجود السهو جبراً للصلاة عند ترك ماليس بركن على سبيل السهو أما ترك الركن فلا

---

(٤) المصدر السابق بتصرف.

(٥) عبس (١٣ : ١٦).

يجبر بسجود السهو بل يجبره الإتيان به وإلا بطلت الصلاة وقد صح أن الرسول ﷺ سها في صلاته فجبر هذا السهو بالسجود، قال بعض العلماء: إن سهوه ﷺ كان للتشريع وإلا فالرسول قرة عينه في الصلاة فكيف يسهو مالم يكن للتشريع؟!

أما عن سؤاله متى يسجد المصلى للسهو؟ فقد جاء فى فقه السنة مايلى:

يُشرع سجود السهو فى الأحوال الآتية: -

١) إذا سلم قبل إتمام الصلاة لما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتى العشى أى الظهر أو العصر فصلى ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة فى المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده على ظهر كفه اليسرى وخرجت السُرعان من أبواب المسجد - أى خرج المتسرعون - فقالوا قصرت الصلاة وفى القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفى القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة فقال: لم أنس ولم تقصر فقال: «أكما يقول ذو اليدين؟» قالوا: نعم فقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه»(٨).

٢) الزيادة على الصلاة لما رواه الجماعة عن ابن مسعود أن النبى ﷺ صلى خمساً فقيل له: أزيد فى الصلاة فقال: وماذاك فقالوا: صليت خمساً فسجد سجدتين بعدما سلم.

٣) عند نسيان التشهد الأول أو نسيان سنة من سنن الصلاة لما روى أن النبى ﷺ صلى فقام فى الركعتين فسبحوا به فمضى فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين ثم سلم.

٤) عند الشك فى الصلاة لحديث «إذا شك أحدكم فى صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم اثنتين فليجعلها واحدا، وإذا لم يدر اثنتين صلى أم ثلاثا فليجعلها ثنتين، وإذا لم يدر أثلاثاً صلى أم أربعا فليجعلها ثلاثا، ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل أن يسلم سجدتين»(٩) وهذا الحديث يدل أن المصلى يبنى على الأقل وهذا مذهب الجمهور ليرغم الشيطان.

من كل ماسبق يُعلم أن محل سجود السهو بعد التشهد الأخير لكن هل قبل السلام أو بعده خلاف بين المذاهب فقال الشافعية يسجد قبل السلام ولا يتشهد. وقال الحنفية: بعد السلام ويتشهد بعد سجدتى السهو، وقال المالكية: إن كان السهو عن نقص فى الصلاة سجد قبل السلام وإن كان عن زيادة سجد بعد السلام وفى الحالتين يتشهد بعد سجدتى السهو.

هذا وسجود السهو فى كل الأحوال السابقة وعند كل المذاهب سجدتان لا سجدة واحدة كما جاء فى السؤال ولعل الأخ السائل التبس عليه سجود السهو مع سجود التلاوة فسجود التلاوة سجدة واحدة ويكون عقب قراءة آية من آيات السجدة الخمس عشرة ثم يعود للقراءة بعد السجدة.

وكل من سجود السهو وسجود التلاوة سنة إلا إذا كان الإنسان مأموماً وسجدها الإمام فيجب على المأموم أن يتابعه، ومعنى كونهما سنة أى من تركهما فصلاته صحيحة، والله أعلم.

---

(٦) رواه البخارى - مسلم.

(٧) رواه أحمد.

كيف نقدم إسلامنا للغرب؟!

نشرنا فى العدد السابق إجابات للدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمد عمارة في معرض الإجابة عن هذا التساؤل، وفى هذا العدد نواصل تقديم إجابات علماء الإسلام.

يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق: أنه لابد من تكاتف جميع المؤسسات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية بالتوجه بالخطاب للغرب بأسلوب علمى وتقديم الإسلام الصحيح والتركيز على المبادىء الإنسانية التى فى مقدمتها الديمقراطية والحرية واحترام الآخرين وحرمة الاعتداء عليهم. على أن يثبت هذا التصور من خلال التقنيات الحديثة. مع استخدام السفارات والملحقين الثقافيين بها بتقديم هذا الخطاب للآخرين. خصوصا وأن الصورة لديهم عن الإسلام سيئة للغاية بفضل السياسة الصهيونية التى رسمها اليهود ومن لا يحبون الإسلام والمسلمين، على أن تكون هذه الرسالة وهذا التوجه الإعلامى تحت إشراف الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ووزارة الأوقاف وما يشابه ذلك فى الدول الإسلامية.

الدكتور مصطفى الشكعة يرى أن مسألة تصحيح صورة الإسلام فى الغرب أصبحت مسألة عويصة. لأن الولد الغربى تعلم كره الإسلام فى دراسته الأولى. فشب على معرفة مشوهة للإسلام. وشب يكره الإسلام نتيجة للصورة القبيحة التى قدم بها من قبل المدارس والمناهج الغربية التى تتفنن فى إلصاق التهم بالإسلام ظلماً وعدوانا. وهذا ولا شك تخطيط مجرم وغير أمين ولابد أن يقدم العلم بشكل أمين وتزييف

أجرى الحوار/ إسماعيل أبو الهيثم

العلم جريمة كبرى.

لذا يطالب الدكتور الشكعة أن تعقد المعاهدات الحكومية التى تفرض على الجميع أن يقدم علوم الآخر بشكل أمين ومنضبط، فما جدوى أن تعقد المؤتمرات والندوات لشباب تعلموا منذ صغرهم ان الإسلام دين قبيح ودين كله شروروين كله مثالب. لن يقتنع هؤلاء الشباب وإذا اقتنع البعض منهم فستكون النسبة قليلة جداً. فإذا كنا جادين فى تصحيح صورة الإسلام فى الغرب فلا مناص من الاهتمام الحكومى بذلك عن طريق المعاهدات التى تنقى المناهج الدراسية مما يشوب الأديان.

واستبعد الدكتور الشكعة أن تجعل الحكومات الإسلامية ذلك فى جدول أعمالهم مستدلاً على عدم تحركهم تجاه وأد بلد بلد إسلامى (أفغانستان) لم يسىء لبلد ما، أحرقت أرضه وسماءه، فهل تحركهم المناهج الدراسية المليئة بأفظع الاتهامات للإسلام؟! مع العلم أن الدور سيصيبهم جميعا!!

واقترح الدكتور الشكعة أن تستغل البعثات الدراسية للخارج فى تصحيح صورة الإسلام. وهذا يستدعى تزويد هؤلاء ببعض المراجع التى تبين سماحة الإسلام ورأيه فى كافة القضايا المعاصرة خصوصاً وأن أغلب هؤلاء الدارسين من النابهين وأغلبهم تستهويه الإقامة فى الغرب ومن ثم يتبوأ مركزا اجتماعيا يؤهله – إذا كان على دراية كافية بالإسلام – من تصحيح

هذه الصورة المغلوطة عنه.

وأضاف الدكتور الشكعة أن سبب إسلام بعض الغربيين خصوصاً فى أمريكا يرجع إلى جيل الستينيات الذين فرضت عليهم الظروف السياسية آنذاك البقاء فى الغرب من تكوين لوبى إسلامى فى أمريكا.

وطالب الدكتور الشكعة بفتح فرع لجامعة الأزهر فى كل من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وانجلترا أسوة بإقامة فروع لجامعاتهم عندنا. الأمر الذى سيؤدى إلى أحد أمرين. إما أن تسوء سمعة جامعاتهم التى تقدم عن عمد تشويهاً وتزييفا للإسلام، وإما أن تصلح هذه الجامعات من شأنها.

وتعجب الدكتور الشكعة من تأخر إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالخارج خصوصاً وأنه كتب تقريراً هو وفضيلة المرحوم الشيخ محمد الغزالى أثناء وجودهما فى احتفال الأمم المتحدة بمرور ٥٠ عاماً على انشائها عام ١٩٩٥ ومازال الموضوع قيد البحث. وأرجع الدكتور الشكعة تأخر هذا القرار إلى أن الأمور لا تمشى إلا إذا تدخل رئيس الدولة وكثيرا ما حلت أمور مستعصية بعد تدخل الرئيس ومن هنا ناشد الدكتور الشكعة الرئيس محمد حسنى مبارك إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالغرب وهو رجل فاعل وقادر ومقبول.

كما طالب الدكتور الشكعة المسلمين المغتربين بأن يكونوا قدوة وأن يكونوا من حسن المنظر وحسن السلوك بحيث يقال عنهم إن دينهم مثالاً للأمانة والأدب. خصوصا وأن السلوك يعتبر عاملا قويا جداً فى التأثير على الغير. ولنا فى انتشار الإسلام فى شرق آسيا من خلال التجار الأمناء الدليل على ذلك.

وضرب الدكتور الشكعة مثالاً على ذلك بقوله فى أول حضور له فى المحافل الدولية: كان اجتماع لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا عقد فى كندا. وكان البروتوكول يستدعى أن يفتتح حاكم المدينة الاجتماع. وعندما طلب منه ذلك. طلب مهلة لإعداد نفسه حيث إنه لا يعرف شيئا عن الإسلام. وفى الغد حضر الاجتماع. وقال للحضور: لقد فعلت شيئا قبل مجيئى إليكم. استدعيت قائد السجون فى المدينة وسألته كم مسلم عندكم فى السجون، فأجاب: لا يوجد فرد واحد مسلم فى السجون، فقلت: إذن هو دين عظيم، ويشرفنى كثيراً أن أفتتح مؤتمره.

الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر يرى أن صورة الإسلام الحقيقية واضحة تماما للغرب على الوجه الذى أراده رب العالمين. لأنهم درسوا ذلك جيداً على مدى القرون الماضية وقد اتصلوا بالحضارة الإسلامية اتصالاً مباشراً عن طريق الأندلس، وعرفوه معرفة جيدة من خلال الاتصال بأهله فى بلاد المسلمين ولكن الصورة التى يصورون الإسلام بها هى من خلق عقولهم وخيالهم وأهدافهم المشبوهة للتنفيث عن أحقاد تملأ قلوبهم نحو الإسلام، ولا شأن لنا بإزالة هذه الأحقاد من القلوب لأنها أحقاد أزلية، لابد وأن توجد بين الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب. وتلك معركة مستمرة إلى أن تقوم الساعة، مادام هناك من يتربص للخير والحق والصواب. وواجبنا فى هذا المقام لابد وأن يسير فى اتجاهين متوازيين:

أولهما: تقديم المزيد من التعريف بالإسلام، ليس لتوضيح الصورة الصحيحة فحسب وإنما للاستمرار فى واجب تبليغ الدعوة الاسلامية إلى قيام الساعة.

ثانيهما: عن طريق تصحيح الإسلام فى سلوكنا نحن قبل كل شىء. بمعنى أن نطبقه تطبيقا صحيحا بحيث يتوافق السلوك مع ما ندعوا إليه غيرنا. لأن من الخطر أن يتخلف التطبيق عن الدعوة النظرية لأن ذلك من شأنه أن يسيىء إلى المسلمين والإسلام، على أساس أن الاسلام غير ممكن التطبيق، ولو كان ممكن التطبيق لطبقه المسلمون على أنفسهم قبل أن يدعوا الآخرين إليه.

ولقد اتفق فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية مع الاتجاه الذى أشار إليه الدكتور أبو كريشة حيث قال: إننا كى نقدم الإسلام للغرب علينا أولاً أن نكون كتاباً حياً، ومثالاً يمشى على قدمين، ولن نكون كذلك إلا إذا بدأنا فى مراجعة أنفسنا كأمة، وأدركنا لماذا لا يبقى فينا من الكتاب إلا رسمه ومن الدين إلا شكله!! إننا نحتاج لأكثر من الكلمات والأحرف، نحتاج إلى بعث الروح فى هذه الكلمات لتكون طاقة دافعة وقوة خلاقة، وهذا لا يأتى تصنعاً وتكلفاً، ولا يأتى بالقانون غريب أن يتحول الدين نفسه الذى جاء لتحرير الإنسان من التجمد والموت الفكرى والروحى والضميرى، ليصبح تناول الناس له نوعاً جديداً من التقليد والعادات والتجمد والموت. لابد من التفاعل مع المستجدات، ولابد من تجديد المفاهيم، ولابد من تطوير الأدوات دوماً لإبداع حياة جديدة ومتجددة، جوهرها دائم ومظهرها متجدد. إن المسلمين بحاجة إلى إعادة الفهم وتجديد المدخل لمعنى الدين ودوره فى الحياة، بعد أن اختزل معنى الدين إلى (فتوى) يحتاجها المسلم من العالم حول شرعية أو عدم شرعية أجزاء من المناسك، أو تعامل مالى، أو زواج وطلاق. فهذه الأمور على أهميتها وضرورتها إلا أنها ليست كل الدين. فالدين اتجاه كلى نحو الحياة يقوم على فهم الإنسان لمعنى الحياة، ومعنى إنسانيته، والرسالة التى هو مكلف بها على هذه الأرض.

واختتم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية حديثه قائلا: إن الإسلام حين وصل لأوروبا وكان أحد أسباب إخراجها من جهالة العصور الوسطى المظلمة لم يكن ذلك من خلال وعظ وإرشاد من علماء الدين، بل كان طاقة من الإستنارة وصلت من خلال أشخاص عاشوا معانى الدين، وتحولوا إلى أمثلة حية فى أعمالهم. كان كل عمل فى مجال الفلسفة أو الكيمياء أو الطب أو الفلك أو الرياضة أو الفن والمعمار نموذجاً لإنسان أعرب عنه الإسلام كيفما استوعبه ربما تتردد الكلمات مئات وآلاف المرات ولكنها لا تؤثر فى أى مخلوق لأنها خالية من الحياة ومن الطاقة، أما حين تكون كلمة واحدة صادرة من تجربة حية وعمل صادق فإنها قادرة على أن تغير العالم. إننا إن أردنا أن نقدم الإسلام للغرب فعلينا أن نكون أحياء أولاً لتصل كلمة الحق ويحيا بها من هو حى يسمع ويبصر.

أما الدكتور جودة المهدى عميد كلية القرآن الكريم بطنطا فيرى أن مفهوم الدعوة الإسلامية الحقة إنما هو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. وأن ما يحدث عندنا هو من قبيل الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أما الدعوة الإسلامية فلابد لها من استراتيجية شاملة ترتكز على ركائز متينة.

الركيزة الأولى: وضع الصورة الصحيحة للا... أمام الغرب من خلال قنوات الإعلام المخ... والدراسات الأكاديمية وترجمة الفكر الإسلامي... لغات العالم.

وأرجع الدكتور جودة الحالة غير الجيدة للإسلام لدى الغرب إلى عدم عرضه من خلال الأكفاء من أهله أو عرضه من غير أهله. ولذلك يجب أن نعتنى بالمراكز الإسلامية بالخارج وإمدادها بالكوادر المؤهلة لعرض الإسلام بصورته الحقيقية، حتى تكون مركز إشعاع. ولابد من تخريج الكوادر القادرة على مخاطبة الآخرين مزودة بالتضاريس وجغرافية وسيكولوجية البلد الموفد إليه، بحيث يذهب الداعى إلى بلد ما وهو يعرف هذا البلد كواحد منهم. وأكد الدكتور جودة على أنه إذا كنا جادين فى تصحيح صورة الإسلام فى الغرب فلابد من رصد ميزانية خاصة ويكون ذلك وفق استراتيجية منظمة خصوصاً وأن الموساد وأجهزة أخرى تنفق مليارات الدولارات للقضاء على الإسلام.

مَصدرُ العِزَّة

خطبة الجمعة

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، هو خالق الخلق، وواهب الرزق، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(١). أشهد أن لا إله إلا الله، هو صاحب الأمر، ومصدر البر ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، اعتصم بحبل ربه، واستضاء بنور كتابه، فكان خير المرشدين وزينة المفلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحابته، وحزبه وجماعته، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير.

يا أتباع محمد ﷺ :

لا تخافوا، فلن أحدثكم عن الوفاء والفداء، ولا عن الاستشهاد والشهداء فلقد أظن أنكم مللتم هذا اللون من الحديث، وكأننا قد رضينا بالواقع، على الرغم من احتلال الدار وضياع الثأر وثقل العار، وكأننا قد ألفنا أن توطأ الوجوه والأعناق بالنعال والأقدام. ولكني سأحدثكم عن آية من كتاب ربكم المجيد، في سورة فاطر، تقول :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(٣).

إن الآية تتكون من خمسة مقاطع كل مقطع منها فيه عظة وبلاغ لقوم يعقلون. المقطع الأول يقول :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾.

(١) الفرقان (٢).
(٢) الأعراف (٥٤).
(٣) فاطر (١٠).

والعزة هى : الرفعة والمنعة والاستعلاء وفى الكلمة أيضاً معنى القوة والشدة، والعزيز هو : الغالب لسواه، ولقد كان جبابرة المشركين يخافون إذا دخلوا فى الإسلام أن تزول عنهم زعامتهم وقيادتهم لغيرهم، ولذلك حاولوا الاعتزاز بالعناد والكفران، فأفهمهم القرآن أن العزة الحقيقية لا تكون إلا من اللّه، لأنه هو الذى خلق كل شئ، وأعطى كل شئ، وإليه يرد كل شئ، فمن أراد أن ينال العزة فليطلبها من مصدرها ومنبعها، ومالكها وواهبها، ومن كان يحب أن يصير عزيزاً فى الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، حتى يشمله برضاه وهداه، وبذلك يصبح عزيزاً، لأن اللّه جل جلاله هو مالك الدنيا و الآخرة، وله العزة جميعاً :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤) .

وإذا أيقن الإنسان أن العزة للّه وحده، أنف أن يخضع لغير اللّه أو يذل أمام سواه فلا يتضعضع أمام فقر، ولا يهون أمام قهر، بل لعلنا نسمعه يردد قول الشاعر الرامز الواعظ :

أيدركنى ضـيـم وأنت ذخـيـرتى
وأظلم فى الدنيـا وأنت نصـيـرى
عـار على راعى الحـمى وهو قـادر
إذا ضـاع فى البيـدا عـقـال بعـيـر

ولقد يتعزز الإنسان بقوة البدن فيأتيه المرض فيهده هدا، ولقد يتعزز بالمال، فإذا المال غول قاتل وشيطان مائل، ولقد يتعزز بالنسب والحسب، فيأتيه الضياع من كل مكان، ولقد يتعزز بالعلم ويغتر به فلا يزيده العلم إلا انحرافا وضلالا، ولقد يتعزز بالمنصب والجاه فتدور عليه الدوائر فيصبح أذل من الكلاب؛ أما الاعتزاز باللّه فباق دائم، يهون معه كل عسير، ولذلك قال القرآن :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥) .

ولا تناقض بين كون العزة للّه وحده، وكونها للرسول وللمؤمنين، لأن الله هو العزيز فى الحقيقة والواقع، وكل عز سوى عزه فهو فيض من عزته، والعزة كانت للرسول بواسطة قربه من اللّه العزيز، والعزة للمؤمنين كانت بواسطة إتباعهم للمعتز بالله سيدنا رسول اللّه، ولذلك يقول القرآن :

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(٦) .

وصلوات اللّه وسلامه على رسوله حين قال : « اطلبوا الحوائج بعزة النفوس فإن الأمور تجرى بالمقادير »(٧) . وقال : « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا »(٨) . والحديث عن العزة مفصل مبسوط فى كتاب « أخلاق القرآن » .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ولقد قال السابقون : إن الكلام الطيب هنا هو التوحيد أو الذكر أو التلاوة أو النصيحة أو العلم أن نقول : إن الكلم الطيب هو كل ما وافق القرآن والسنة، وكل ما كان حقاً متجرداً لوجه الحق، وما فيه إخلاص وإرادة خير للمسلمين وكل ما كان دالا على هدى أو محذراً من ردىء أو داعياً إلى

---

(٤) آل عمران (٢٦). (٥) المنافقون (٨). (٦) النساء (١٣٨، ١٣٩).
(٧) كشف الخفا ١/١٥٥. (٨) الترغيب والترهيب ٤/١٧٩، مجمع الزوائد ١٠/٢٤٨.

خير، أو آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر والتمسك بالكلام الطيب هو أول خطوة نحو اكتساب العزة من اللّٰه، وانظر كيف يخبرنا أن الكلم الطيب كأنه شئ أعطى قوة الصعود بنفسه إلى مكان الرضى والقبول، ولا عجب فالنطق بالكلمة الطيبة منة عظيمة من اللّٰه على الإنسان، ولذلك يقول القرآن :

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٩)

ولقد تستطيع الكلمة الطيبة أن تحقق خيراً كثيراً، أو تمنع شراً مستطيراً، ومن هنا قال رسول اللّٰه : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(١٠)، ولقد جاء في السنة أن العبد إذا قال :سبحان اللّٰه وبحمده، الحمد للّٰه ، لا إله إلا اللّٰه، واللّٰه أكبر تبارك اللّٰه، أخذهن ملك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة، إلا استغفروا لقائلهن، حتى يحيى بهن وجه الرحمن.

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ وهذه هى الخطوة الثانية نحو اكتساب العزة من اللّٰه، والعمل الصالح هو العمل المستقيم النافع، وقمة هذا العمل هو أداء الفرائض، لأن الحديث القدسى يخبرنا بأنه «ليس فى التقرب إلى اللّٰه أفضل من تنفيذ ما افترضه اللّٰه على عبده» . ولننظر جيداً كيف جعل القرآن الكلام الطيب يصعد بنفسه، والعمل الصالح يرتفع برفع سواه، وليس ذلك استخفافاً بشأن العمل، وإنما هو تمجيد لقيمة الكلمة الطيبة، كى لا يستخف الناس بشأنها، والإنسان الحيوان فى العمل، ولكنه يتميز أول ما يتميز بالنطق والكلام، والعمل الصالح فى الإسلام، يبدأ بكلمة لابد منها هى كلمة التوحيد : لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه فكأن أساس العمل أو مقدمته هو الكلمة الطيبة. ولنتذكر هنا أن القرآن فى هذه الآية - كما فى غيرها - يحثنا على الرفعة والصعود والتسامى. فالعزة التى يحدثنا عنها رفعة. والكلم الطيب يصعد، والصعود سمو ورفعة، والعمل الصالح تعلو به إرادة الله ، والعلو رفعة ، فكأن شأن أبناء الإسلام أن يكونوا على الدوام فى رفعة وصعود واعتلاء.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ .

أى الذين يقترفون الآثام ويكتسبونها ويتوسعون فيها بمكرهم ووقاحتهم، لهم عذاب مؤلم موجع، وهذه هى الصورة المقابلة لصورة الفائزين أصحاب الكلم الطيب والعمل الصالح والسيئات تشمل السئ من القول والسئ من العمل، فكأن السيئات هنا هى النقيض المعارض للكلم الطيب والعمل الصالح.

﴿ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ أى يفسد ويبطل، وبذلك لا يثمر ولا ينفع، بل ويظهر اللّٰه زيف الماكرين الآثمين لأصحاب البصائر والعقول، لو ستروه لأنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّٰه - ولو بعد حين - على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، ولفظة ﴿ يَبُورُ ﴾ لها دلالتها المصورة المعبرة فى العاقبة الوخيمة التى يصير إليها أهل الإجرام والفساد. وهكذا عدل الجزاء:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(١١).

● ألقيت بمسجد التليفزيون فى يوم الجمعة (٢) من ذى القعدة سنة ١٣٩٢هـ. يناير سنة ١٩٧٢م.

---

(٩) الحج (٢٤).

(١٠) الترغيب والترهيب ٣/٢٢٥.

(١١) الزلزلة (٧، ٨).

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/معوض مبروك عباس

● **السؤال من الطالب حمدى محمد محمود - بهندسة الزقازيق يقول:**

أرجو من سيادتكم الإجابة عن سؤالى الذى يحيرنى منذ فترة طويلة وان يتولى أحد العلماء الأفاضل الإجابة عليه.

حتى أوفر على أسرتى بعض نفقات الدراسة فى الكلية أعمل فى مجال إصلاح التليفزيونات والتسجيلات الكهربائية وقد نبهنى بعض الأخوة إلى ضرورة التثبت من هذه الشغلة. هل هى حرام أم حلال؟ وهل إصلاح التليفزيونات يعين أصحابها على المعصية؟ وبالتالى أنا مشارك لهم فى هذه المعصية؟ وهل هناك فرق فى الحكم بين اصلاح التليفزيونات وإصلاح التسجيلات؟ أم هو حكم واحد؟ وهذه المسألة تحيرنى كثيرا فهل ما أكسبه من هذه المهنة حلال أم حرام؟ واذا كانت مشاهدة التليفزيونات بها جدل حول الحل والحرمة (الحل بالطبع للبرامج التى تلتزم بالقيم الاسلامية والشرعية) فهل لو تأكد ان صاحب تليفزيون ما يستخدمه فيما أحل الله فقط فهل يجوز لى ان أصلحه له؟

وهذه المسألة تحيرنى جداً بكل ما فيها من تساؤلات فارجو من سيادتكم مشكورين اجابتى وإزالة حيرتى.

جزاكم الله عنى وعن كافة المسلمين خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد فنفيد أولا بأننا نحيى هذا الطالب المجد الذى يعمل ويشارك أسرته تكاليف الحياة الصعبة فى هذه الأيام ليوفر

لنفسه نفقته فى أيام الدراسة وللإجابة عن سؤاله نقول له بأن التليفزيون سلاح ذو حدين إذا استعمله صاحبه فى المعرفة والبرامج الدينية والأحاديث التى تعلم الناس أمور دينهم ودنياهم فهذا جائز شرعا ولا شئ فيه وأما اذا استعمله صاحبه لرؤية البرامج الخليعة والأفلام الهابطة التي تثير الغرائز فهذا حرام.

والحرمة خاصة بمن يستعمله فى هذه المحرمات أما أنت إذا قمت باصلاح التليفزيون أو التسجيل فلا شئ عليك ولا حرمة فى الأجر الذى تأخذه ويجوز لك ان تصلحه وأنت مطمئن القلب وإنما الإثم على صاحبه الذى يستعمله فيما يغضب الله هذا والله أعلم

● السؤال من أبى أنس سامى عبدالرحمن – الشرقية:

الاستاذ/مدير تحرير مجلة الأزهر

بعد السلام عليكم

أود القيام بسنة العقيقة لمولودى – الذكر – ويتاح لذلك مبلغ ٣٠٠ جنيه وعلمت ان ثمن الشاة الواحدة والتى تصلح للعقيقة يتراوح بين ٢٥٠ : ٣٠٠ جنيه وأنى أستطيع شراء لحماً بالكيلو من الجزار وبنفس المبلغ ولكن ثلاثة أضعاف ما يمكن الحصول عليه من الشاة.

وأنا متردد بين إختيار تطبيق السنة بإراقة الدماء «دماء الشاة» وهو سوف يترتب عليه عدد قليل من المدعوين للعقيقة أو شراء اللحم جاهز وإحضار عدد كبير من الفقراء والأغنياء.

أرجو إفادتى

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فنفيد بأن الأصل فى العقيقة ان تكون ذبيحة تذبح في اليوم السابع للمولود بأن يذبح شاة للمولود وتجهز ويطعم منها الأصدقاء والجيران والفقراء والمساكين احتفالا وشكرا بنعمة الله بهذا المولود ولكن إحضار اللحم بثمن الذبيحة فلا يعتبر عقيقة وإنما يعتبر وليمة للأهل والأصدقاء والجيران فالأفضل اتباع السنة التى أمر بها الرسول ﷺ بإراقة دماء شاة عقيقة عن المولود وليس لنا ان نبذل ما أمرنا به الرسول ﷺ وإنما نتبع أوامره ولا نبتدع من عند أنفسنا ولو كان فيه إطعام أكثر هذا والله أعلم

● ومن القارىء حسن على حسن ورد هذا السؤال:

وصيتى: أقر أنا حسن على حسن بأننى امتلك شهادات استثمار مجموعة (ب) البنك الأهلى المصرى مسجلة باسم الغير قيمتها الإسمية (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف جنيه يستطيع ابنى سحب قيمتها الحالية من البنك وهى أقل من القيمة الإسمية فى حالة وفاتى أوصى ابنائى وبناتى بسداد نصيب كل منهم عند استلامه فى مصارف زكاة المال حيث لم أقم بسداد زكاة المال عن هذا المبلغ وأبرئ ذمتى من هذا المبلغ الذى كنت اعتمد على عائده فى معيشتى أثناء حياتى.

ويبقى لأبنائى وبناتى المنزل الكائن بشبرا والله على ما أقول شهيد.

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فنفيد بأن على السائل ان يسارع باخراج الزكاة عن هذا المال قبل وفاته حتى لا يحاسب على ذلك يوم القيامة أما إذا أوصى أولاده بأنه يخرج كل منهم زكاته عن نصيبه فى الميراث من هذا المال فيجب على أولاده تنفيذ وصيته وإخراج الزكاة ولو خص كل منهم أقل من نصاب الزكاة وكان الواجب على هذا السائل ان يخرج زكاة ماله عن السنوات السابقة والله أعلم.

● يسأل السيد / خليل مجودة خليل فرغل من أطفيح - جيزة:

ما رأى الدين فى مدفن قديم به رفات أحد المسلمين ونظراً للمبانى السكنية التى أحاطت به من كل الجهات وتأثير الصرف الصحى على ذلك المدفن فهل يصح نقله لجبانه أخرى بعيداً عن المساكن أم يتنافى مع الدين أفيدونا أفادكم الله.

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فنفيد بأن لو تحققنا بأن مياه الصرف الصحى وصلت إلى داخل المدفن فلا مانع من نقل رفات الميت إلى مدفن آخر ويجمع فى كيس ويحافظ على العظام حتى لا تكسر وتدفن فى مدفن آخر لأن فى ذلك تكريم للميت والله أعلم،

● السؤال من م.ع.ع يقول:

برجاء التكرم بافادتنا نحو مشروع التكافل الاجتماعى للعاملين بالهيئة العامة للرقابة على الصادرات والواردات حيث اننى من ضمن المشتركين فى هذا المشروع وملأ الشك قلبى من حيث هل المشروع حرام أم حلال وهذه الأصول المتداولة للمشروع كالتالى:

١- جارى البنك الأهلى ١٧٠٧٥٤,١٨

٢- شهادات البنك الأهلى ٨٣٧٩٠٠٠,٠٠

٣- سلف للعاملين نقدا بفائدة ٨٪ سنويا ٥١٥٧٨٣,٥٧

٤- استثمار بنك الاهلى ٨٠٠٠٠٠٠,٠٠

٥- شهادات ذات عائد شهرى ٥٠٠٠٠٠,٠٠

برجاء التكرم بفتوانا حتى تطمئن قلوبنا

●● الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فنفيد بأن مشروع التكافل الاجتماعى بأن يخصم من مرتب العامل جزء معلوم ليسترده بعد خروجه إلى المعاش أو الورثة لو توفى حسب القواعد والقوانين المعروفة هذا العمل لاشئ فيه لأنه يعتبر من نوع التعاون بين (الموظفين) فى هذه الهيئة ونوع من أنواع البر والتعاون:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ المائدة/ ٢

أما الأرقام التى ذكرها السائل فى سؤاله فلا شئ فيها سوى رقم ٣ ثلاثة وهى السلف للعاملين بفائدة ٨٪ فإنها حرام وتعتبر ربا لأن كل قرض جر نفعا فهو ربا فهذه السلف حرام والله أعلم

صرخة فى وادٍ

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

مع بزوغ شمس عام هجرى جديد نبتهل إلى الله - تعالى - مخلصين أن يكون عام وبركة وإزدهار يطيب لكل مسلم أن يحدث بنعم الله التى تغمر كل جوانب حياته وتعم بالنماء شتى شئونه صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها. أقول هذا وأنا اطلع على إحدى رسائل القراء فى مجلة لاتقرؤها الكثرة من الناس. ومالفت انتباهى فى الرسالة أمران غالباً ما يغيبان عن بال الجمهرة الغفيرة من البشر ولا يهمنى هنا اسم المجلة ولا اسم القارئ كل مايعنينى هو أنه أمريكى ومن هنا يكتسب كلامه شيئًا من الأهمية.

أما الأمر الأول فهو التحدث بنعم الله سبحانه والإقرار بالآراء التى تطرى فتغمر حياة الذين اختصهم الرسول ﷺ بالثناء من توجيه يقول فيه «من أصبح آمناً فى سربه، معافا فى بدنه، عنده قوت يومه فكأنى حيزت له الدنيا بحذافيرها»، إنهم الذين أشاد الشاعر بقناعتهم تعليما لنا فقال:

إذا ما كنت ذا قلب قنوع

فأنت ومالك الدنيا سواء

واسمع معى بأذن قلبك وأقرأ بعين بصيرتك هذه الكلمات التى ربما احسست فيها شيئا فى المبالغة لكنها المبالغة المحمودة التى تذكر الانسان الذى كثيراً ما ينسى نعم الله عليه وتدعوه إلى النأى بنفسه عن الجحود وان يكون على الدوام شاكراً نعم الله التى لا تحصى.

يقول القارئ: «إذا كانت الحظوظ الدنيوية مواتية والنعم سابغة بحيث اننا نجد من الطعام أطايبه ومن الشراب لذيذه فنأكل ونشرب فى وارف ظلال صحة وعافية وإذا كنا نلبس من الهندام أبسطه وعندما يقبل الليل نجد مكاناً آمناً يؤوينا وسقفاً يظلنا فننام هانئين فعلينا أن نذكر أن ثلاثة ارباع سكان الكرة الارضية لاتتوافر لهم هذه النعم مجتمعة فمن وجد المطعم والمشرب قد لايتوفر له الملبس وقد لايتيسر له المسكن والمركب وتزداد نعم الله علينا وتتوالى فيصل الامر ببعضنا أن يتوفر فى حافظته من النقود مايريد وقتما يريد بل يحتفظ فى البنوك بما يفيض عن حاجته فهو محظوظ لاشك بل هو من جماعة لاتزيد نسبتهم على ٨٪ من سكان العالم».

ولا ينسى القارئ الدور الخطير والجوهرى للعبادة التى تعود على الإنسان بالامن النفسى والسلام القلبى والطمأنينة الروحية فيقول: «فإذا كان بإمكانى أن أعبد ربى دون خوف من اضطهاد وقد امنت بفضل الله من أن يتحرش بى أحد إذا كان ذلك يتوفر لى فحالى أفضل من

حال الكثيرين» بل ان القارئ يوجه كلامه إلى طائفة اقتضت حكمة الله ان لا ينعم عليهم بنعمة البصر مذكراً إياهم بماهم فيه من نعمة عظيمة هى نعمة العلم والقراءة فيقول «ان أولئك الذين وهبوا القدرة على القراءة اما باللمس أو عن طريق الاستماع لهم اكثر حظاً من ثلث هذا العالم من البشر الذين لا يزالون يتخبطون فى ظلام الجهل والامية» ثم يستطرد القارئ فى تعداد نعم الله على كثير من عباده الذين اغفلوها وتناسوها وجهدوها ويدلى ببعض الحقائق التى لنا عليها بعض التحفظات فيقول «انه على الرغم من الأحداث المأساوية التى شهدتها الولايات المتحدة فاننا أوفر البشر حظاً فى الولايات المتحدة فالفرد عندنا اكثر الناس تمتعا بالحرية الشخصية» وهو قول مردود عليه لان الحرية مسئولية وحريتك تنتهى عندما تبدأ حرية الأخرين ثم يقول «انهم اكثر الشعوب وفرة فى الموارد وارقى الشعوب ديمقراطية» وهو ايضاً ادعاء فى حاجة إلى نظر فمن الذى قال إنهم اكثر الشعوب ديمقراطية وماهى الا ديمقراطية تستند أولاً وقبل كل شئ إلى سلطة المال ثم من الذى قال إن الديمقراطية أفضل من الشورى الاسلامية التى تهتم بالكيف لا بالكم وبالرأى السديد الصائب لا بالكثرة الغوغائية وبعد أن يعبر القارئ عما بداخله من حزن واسىّ ينتقل إلى النقطة الثانية التى جعلتنى أهتم برسالته وأحس أنها صرخة فى واد سحيق ونداء فى أذن صماء لاتريد الاقرار بالوقع ولا الاعتراف بالحقيقة ولا لشئ إلا تمادياً فى الحماقة وسدوراً فى الغى ونفوراً من صوت الحق.

ثم يتطرق القارئ إلى نقطة جوهرية لم يدل فيها بكثير من التفصيل فيقول: «إننا فى أمريكا نعتقد جازمين أن كل البشر لهم الحق غير المشروط فى ادارة شئون حياتهم بأنفسهم وبناء مجتمعاتهم بالطريقة التى تمكن ابناءه ذكورا وإناثاً من استثمار امكانياتهم وتكريس كل قدراتهم وتوظيف مواردهم لهدف سام هو حياة مزدهرة لكل من يعيش فى تلك المجتمعات» ثم يُثير قضية بديهية فيقول «ان البشر بطبيعتهم ذوو مصالح مشتركة ومنافع متبادلة تتداخل وتتشابك بحيث لايستطيع احدهم أن يعيش بمعزل عن صاحبه»

ويضيف القارئ «ان الفرد والأسرة والمجتمع والكون كل ذلك يشكل سلسلة متداخلة الحلقات وثيقة العرى ينجذب بعضها لبعض بكثير من الوشائج والصلات فمسئوليتنا اذن متكاملة لاتنحصر فى اسرنا وذواتنا الضيقة انما تتعداها إلى كل ماحولنا وإلى البيئة المحيطة بنا ثم يؤكد القارئ على المسئولية الشخصية والمبادرة الايجابية للفرد التى جعلها الإسلام الحنيف جوهر التقدم يقول القارئ «ان الامر بيد كل واحد منا فهو يمكن ان يختار طريق اللامبالاة وهو إذ ذاك يحفر قبره بيده ويدق بنفسه أول مسمار فى نعشه وإما إن أصر على أن يكون إمعة وصمم على انتهاج طريق الخير فهو إنما يبنى جنته بنفسه ويبذر ماسيجنيه خيراً عميماً وحصاداً نافعاً - إن شاء الله - إن التقوى والضمير الحى تدفعنا وتحفزنا إلى النهوض بحياتنا وتحديث اساليب عيشنا بما لايتعارض مع القيم والمبادئ والمثل الراسخة من الدين والخلق الكريم والارتقاء بالنفس.

من الأدب العبرى

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

الأدب مرآة الشعوب، يعكس المكنونات الدفينة لها.
وفى محاولة لسبر أغوار هذه الجماعة الصهيونية سنتعرض لبعض ما كتبوه فى أدبهم.

بعد أن نعم اليهود فى بلاد المشرق الإسلامى بالأمن والأمان، وحققوا الكثير مما يصبون إليه فى البلاد التى احتضنتهم ثم هاجروا تحت دعاوى صهيونية زائفة راحوا يجترون ذكرياتهم عن هذه البلاد وكيف كانوا يخدعون أهلها وكتبوا بإسهاب للأجيال اليهودية القادمة تاريخ وجودهم فى هذه البلاد كى يأخذ الخلف عن السلف دروساً فى الغش والخداع تحت مسميات مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها الخداع.

ومن القصص الشائعة عن يهود مصر قصة الربىّ (موسى بن ميمون)(١) والتى تحمل عنواناً فى غاية الغرابة هو: كيف انتصر ابن ميمون على عدوه.

وموسى بن ميمون حجة الدين اليهودى لدى يهود العالم بالإضافة لكونه عالماً فى الفلسفة وطبيباً ماهراً مما جعل سلطان مصر فى ذلك الحين يختاره طبيباً خاصاً له، مما أزعج المقربين للسلطان وقد حاول كثير من الأطباء إبعاده عن هذا المنصب العالى، وكان هناك طبيب اسمه كمون على صلة بكبار رجال البلاط حيث ذهبوا إليه يستفسرون كيف يسمح السلطان أن يضع حياته تحت يد يهودى فابتسم السلطان ثم قال:

لو قدر لى أن أموت فسوف أموت بإحدى ثلاث:

الأولى: أن يميتنى الله من غير سبب ظاهر وليس لى دخل فى هذه الحالة.

والثانية: أن أطعن بخنجر من الخلف وليس لى أيضاً أى حيلة.

أما الثالثة: أن يُدسَّ السُّم فى طعامى أو شرابى وهذا ما أحاول أن أتجنبه، وموسى بن ميمون ضليع فى السُّميات وهذا ما دعانى إلى اختياره طبيباً خاصاً لى.

فرجع العلماء حائرين يبحثون عن خبير مسلم فى السُّميات يحل محل هذا اليهودى المشكوك فيه وبعد عناء توصلوا إلى طبيب مسلم خبيير فى السُّميات

(١) S. D. Goitein: The Land of Shaba PP. 97-100.

اسمه « كمون ».

فأحضروه وذهبوا به إلى السلطان يعرضون عليه أن يبقى معه بالإضافة إلى ميمون اليهودى. فرفض السلطان قائلاً:

إن وجود طبيبين فيه خطر على حياتى ولست فى حاجة إلا لطبيب واحد. وسأعقد لهما امتحان ومن يتفوق على زميله يصبح طبيبى الخاص، وجمعهما وأمر بأن يقيم كل منهما فى جناح خاص به، وأمر بأن الطعام الذى يأكله أى منهما لابد وأن يمر على زميله، حيث يضع فيه السُّم وعلى الآخر أن يكتشف نوع السُّم ويفسده ثم يأكله بعد ذلك، ومن يبقى منهما على قيد الحياة فهو المتفوق فى علمه وسيكون طبيبى الخاص ففرح كمون لأنه خبير فى السُّميات وترياقها، وقال « ميمون »: سمعاً وطاعة أيها السلطان المفدى.

وكان « كمون » يضع السُّم فى أكل ميمون بانتظام ولكن بلا فائدة، لأن « ميمون » كان يفسد السُّم بالمضادات ويأكل الطعام كله.

أما « كمون » الذى كان يجرب كل أنواع المضادات كى يكتشف نوع السُّم ولكنه لم يقدر، فتوجس فى نفسه بأن اليهودى يعرف نوعاً من السُّم لم يهتدى إليه، فامتنع عن أكل الطعام نهائياً، وعاش على لبن بقرة السلطان حيث كان يتسلل مع كل فجر يحلب من لبنها ويشرب، واعتلت صحته وأصبح لا يقوى على السير.

واعترت الدهشة كل من بالقصر فى كل مرة يظهر فيها ميمون اليهودى ويرونه حياً معافى فكان يضحك كلما التقى بكمون ويقول له.. ستشرب السُّم اليوم يا كمون!

وأصبح « كمون » شاحب الوجه ضعيف البنية، وذات فجر وبينما يشرب « كمون » كوبا من اللبن حلبه لتوه من البقرة نزل إليه ميمون واحتضنه وبكى، وقال له سامحنى، أنت الذى حضرت كى تقطع عيشى من هذا القصر، وإنك شربت السُّم وستموت حالا، إنها النهاية إن الحليب مسموم، والبقرة مسمومة.

فاهتز كمون وحرص « ميمون » على الإمساك بكوب اللبن الذى شرب نصفه، ووقع « كمون » على الأرض وقد فارق الحياة وعيون رجال السلطان لا تنام.

فقد هرعوا إلى مخدع السلطان وأخبروه أن اليهودى قد سمم البقرة وشرب من لبنها المسلم، ثم فارق الحياة وعلى الفور استل السلطان سيفه وخرج إليهم وهو يصيح:

والله لو فعل هذا (ابن ميمون) لحرقت جميع اليهود فى مملكتى.

وعلى الفور بادره ميمون قائلاً: لك الحق يا سلطان هذه هى كوب اللبن التى كان يشرب منها، احضروا طفلاً رضيعاً يشرب ما تبقى منها، فإن مات، إفعلوا بى وباليهود ما تشاءون.

وفعلاً أمر السلطان وأحضروا طفلاً رضيعاً لإحدى العاملات بالقصر وشرب اللبن ولم يصب بسوء ففرح السلطان فاقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر وفى إحدى المناسبات الخاصة باليهود سألوه كيف انتصرت على « كمون » هل استخدمت السحر فقال لهم ميمون.. لا سحر عند يعقوب لقد زرعت الوهم فى نفسه فقتله.

ولما عرف السلطان ذلك قال له:

« إنك خبير ليس فقط فى الجسد بل فى أمراض النفس ».

● إذا تأمل القارىء هذه القصة فإنه لا يحتاج إلى كثير عناء أو سابق خبرة أو حنكة حتى يعلم مدى ما

بهـا من تلفيق وأن مـا بهـا من وقـائع مـا هو إلا كـذب صراح.

فانظر معى وتأمل.. كيف يصور الكاتب السلطان العربى وقد ملأه الخوف مما يحيط به من أعداء فهذا يريد أن يدس السم فى الطعام وهذا مستعد أن يطعنه بخنجر لو أتيح له ذلك.. وهو بعد سلطان أبله حصر أسباب الموت فى هذه الحالات الثلاثة.

– ثم ما حيرة العلماء مع طبيب يهودى يعمل فى القصر؟

ومتى كـان المسلمون يخشون أن يتعاملوا مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى؟ والتاريخ يشهد بعكس ذلك..

وتشهد بذلك سماحة الدين الإسلامى.

ولكن صاحب القصة لا يهمه إلا أن يمحو كل ما هو جميل فى الإسلام بل ويأتى بنقيضه.

ثم نجد السلطان يختار طبيباً ماهراً فيجعله طبيبه الخاص، وعندما يطلب منه كبار رجال البلاط المقربون أن يستعين بطبيب مسلم إلى جوار الطبيب اليهودى نراه يداخله الشك ويخشى المؤامرة!!

ثم هو بعدُ رجل غليظ القلب لا يعبأ إلا بحياته ولا يهمه كثيراً أن يموت أحد الطبيبين ليتأكد أن الذى بقى على قيد الحياة هو الأكثر حنكة؟! هل هذا سلطان مسلم؟!

ثم هذا الطبيب المسلم كمون يضع السم لزميله الطبيب كى ينجو هو.. وميمون (الطبيب اليهودى) يفسد عليه صنعيه.

وهذا الطبيب المسلم وقد خاب سعيه يتسلل مع كل فجر (لا ليصلى لله ويطلب منه العون ولكن) ليسرق لبن بقرة السلطان.

ثم يموت كمون بعد أن شرب كوباً من اللبن لا من أثر سم وضعه له الطبيب اليهودى ولكن من أثر الوهم.. فاليهودى طاهر اليد لم يدنس يده بوضع السم للمسلم ولو فعل لم يُلم لأن المسلم كان البادىء فى وضع السم له كما تقول القصة.

واليهودى لا يخطو خطوة لا يعرف ما بعدها، فبعد أن يسقط الطبيب الأبله (كمون) يحرص الطبيب اليهودى على أن يمسك بدليل براءته، وهو المتبقى من اللبن.

وأى سم هذا الذى يصل إلى ضرع البقرة فيسمم اللبن بدرجة تكفى لقتل رجل ولا يؤثر فى البقرة!

ثم يصل الكاتب سريعا إلى ما يحب أن يلصقه فى المسلمين وحكامهم، فيتوعد السلطان المسلم الطبيب اليهودى أن يحرق جميع اليهود فى المملكة إذا ثبت أنه وضع السم للبقرة!

وهذا السلطان مرة أخرى يأمر بإعطاء ما تبقى من اللبن لطفل رضيع ولا يعبأ لو مات الطفل فهو طفل رضيع وفى نفس الوقت ابن لإحدى العاملات بالقصر فمتى نظر الإسلام والمسلمون إلى العاملين عندهم نظرة دوينة أو أنهم أناس من الدرجة الثانية!

ثم انظر إلى كل هذا الفرح الذى عم كل القصر وأولهم السلطان وتأمل قوله: اقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر!!

سحرٌ فى قصر سلطان مسلم فى بلد مسلم هو (مصر).

ثم انظر إلى هذه الخاتمة التى تضع ميمون فى مصاف الأولياء: «لا سحر عند يعقوب» هذا ما تنطق به كلمات القصة ولا أقول سطورها بضع كلمات كاذبة جمع بينها الافتراء فأفرزت هذا الأدب اليهودى المغرض!!

بين الصحف والمجلات

اعداد الأستاذ / محمود الفشني

لقد صم العالم وبكم وعمى عن تطبيق الشرعية الدولية والقوانين التى تحرص على مصلحة العالم وسيادة كل دولة على حَدة.

فكيف وصل العالم الى درجة الإعاقة وأصبح صامتاً وصُمت أذُنيه والأكثر من هذا تدخل الولايات المتحده فى الشئون الداخلية والتعدى على سيادة كل دولة ينصّبون حكامهم ويقتّلون حكاماً أخرين بل يقتلونهم والعالم الإسلامى كغثاء السيل.

وفى هذه الأيام وصل بهم الجرم إلى التدخل فى السياسة التعليمية والتربوية للدول وخاصة الدول الإسلامية.

وهذا ما لخصة لنا الكاتب الكبير أحمد رجب فى نصف كلمة ولكنها كلمات كبيرة يعبر بها عن قضايا أمة بحالها وهذه الكلمات فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١٩ / ٢ / ٢٠٠٢ قال فيها ردا على المتسائلين :

لا أعرف على وجه التحديد الأسلوب الذى تريده أمريكا لتدريس الدين فى البلاد الإسلامية، يجوز أنها ستحذف الصلوات من المناهج وأن يقتصر المسلم على صلاة الصبح، ويجوز أنها لا تريد مسلماً شافعياً أو حنفياً بل تفضل المذهب العولمى.

ويجوز أنها ستقدم معونات سخية لإنشاء مدارس دين تيك أواى

إعـــدام؟؟

المسجد الأقصى.. على المقصلة!!

تحت هذا العنوان فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٣١ / ١ / ٢٠٠٢ للاستاذ عبدالعزيز محمد المحامى قال فيه :

اذا كان شارون، قد صرح بأنه سيسمح للإسرائيليين وقطان المستعمرين بالصلاة فى القدس ومن حول المسجد الأقصى وقبة الصخرة، دون تحسب لرد الفعل لهذا العدوان على المقدسات، فإن فى ثنايا ذلك وفى خفاياه أن يقوم شارون وعصاباته، أن يدس جماعات، تقوم بتلغيم الأقصى وتفجيره، والخلاص منه فى ضربة واحدة وإلى الأبد!! وهذا الذى نقوله ليس تطيراً ولا تشاؤماً إنما هو مخطط مرسوم ينتظر اللحظة المناسبة لتنفيذه!! وليس أكثر من هذه الفترة مناسبة لتنفيذ ذلك كله فى ضربة واحدة!! وهو يعلم أن الفلسطينيين والعرب والمسلمين،لا يملكون الآن وإلا الدموع يذرفونها مدراراً، وإلا بيانات الشجب والادانة، وإلا الصرخات واللعنات يتبارون ويتسابقون فيها!!

فى عام ١٩٨٩ نشرت مجلة التايم الأمريكية،

تحقيقاً مطولاً، أبرزت فيه بوضوح أن: التراث الدينى اليهودى يؤكد أن أمر الله فى العهد القديم ببناء الهيكل أمر لا رجعة فيه!! وأشارت هذه المجلة فى تحقيقها أيضاً: أن إعادة بناء الهيكل فى موقعه الأصلى يمثل فكرة متسلطة لدى المتدينين فى الولايات المتحدة، والذين يأخذون بحرفيه العهد القديم، يعتبرون أن اقامة الهيكل الجديد، هى شرط أساسى ليتحقق المجئ الثانى للمسيح!! ولم يكن هذا الكلام، تعبيراً عن التمنى فحسب، ولكن جرت المحاولات فى أعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ و١٩٨٤ و١٩٨٥ لنسف المسجد الأقصى، ومن بعد وضعت خطط عسكرية كاملة، وضع أحدها الضابط الإسرائيلى ميناحيم ليفنى وهو قائد كتيبة مهندسين فى الجيش، بعد أن تمكن من الحصول على صور استطلاع جوى للموقع، واتفق مع أحد الطيارين العسكريين على قصف المسجد من الجو، ولكن السلطات الإسرائيلية أوقفت التنفيذ لأن اشتراك طائرة وطيار عسكرى قد يكشف الاشتراك الحكومى فى العملية!! لكن هذا الضابط لم يسكت وأعد خطة بديلة، بقيام وحدات عسكرية مسلحة ومزودة بالرشاشات وكميات من المتفجرات تكفى لنسف المسجد كله!! بل إن هؤلاء قد صنعوا نموذجاً للهيكل الذى سيتم اقامته على أنقاض المسجد فى احدى قاعات فندق الأراضى المقدسة فى القدس!! وكذلك فإن كبير الحاخامات فى إسرائيل وهو شولومورين قال علناً فى اجتماع حاشد إنه لا يستطيع أن يغادر هذا العالم دون أن يؤمن لليهود الصلاة من جديد على تل الهيكل!! وجاء المؤرخ اليهودى ديفيد سولومون ليقول إن كل يوم يمر على اليهود دون أن يبدأوا فى بناء الهيكل هو وصمة عار فى جبين الأمة اليهودية!.

وأخذ كل الرؤساء الأمريكيين يرددون ذات الكلمات والأفكار، فى عبارات مبهمة وصريحة فى كثير من الأحيان. فالرئيس كارتر لم يتردد فى الكشف عن هويته الحقيقية والكامنة فى كل أعماله المطلية بالكلمات الطيبة وقال: إن المسيحيين من كل الطوائف يشعرون بالقرابة التى تربط ما بينهم وبين إسرائيل من خلال الدين!! فالمواطنون الذين يشكلون قلب أمريكا مقتنعون تمام الاقتناع بأن الصلات الدينية والأخلاقية والعلاقات السياسية والالتزامات الاستراتيجية للأمتين الأمريكية والإسرائيلية مترابطة ومتشابكة بشكل حميم لا انفكاك له! فكارتر الرئيس المؤمن، فى أدائه لواجبه الدينى!! جعل دوره فى تأمين المشروع الصهيونى نحو تحقيق سيادة إسرائيل وحيازتها لكل الأرض المتعاقد عليها مع الإله يهوه من النيل إلى الفرات!! ولاشك أن هذا الفكر اللا عقلانى، قد تسلل إلى المجتمع الأمريكى حتى وصل إلى رؤوس الرؤساء الأمريكيين، وبات موجها لسياستهم وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط!! الأمر الذى يتبين من ثناياه، تلك المؤمرات والمخططات، التى تؤكد أن هدم المسجد الأقصى وتدميره، وإقامة الهيكل الثالث فوق أنقاضه بات وارداً فى ظل ظروف الهيمنة الأمريكية، وسعار شارون وزمرته الحاكمة، العنصرية التى تفعل كل شئ ولا أحد يقف فى مواجهته ولا يضع سقفاً لجموحه!! وهو يعرف أن الثمن لن يكون إلا بكاء وعويلاً، وبيانات الشجب والتنديد، والمزيد من الانسحاق أمام القوة والغطرسة الإسرائيلية والأمريكية التى تسيدت العالم ووقفت على قمته.

● نكتفى بما قاله الكاتب فى مقاله معبراً عن حال أولى القبلتين وثالث الحرمين.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

هــذا الصــعيد الصــابر

امتلأت نفسى بالأسى أسفاً على إخواننا فى الجنوب مرتين: مرة حين قرأت لعبدالرحمن الأبنودى هذه الكلمات حيث يقول:

«فى كوسوفا تجد الحرائق مندلعة من الدور «الجميلة» وترى الشوارع الواسعة (المسفلتة) برغم مرور الدبابات وانفجار الألغام، وتكتشف كم هى رائعة تلك البلاد المحترقة التى لم تبخل حكومتها المعادية فى أن تجعل منها أماكن جميلة، على عكس بلادنا وقرانا... بعد أن تغادر القاهرة بثلاثة أمتار إلى الجنوب سوف تكتشف أنك انتقلت إلى قطر آخر وعالم مهمل لا يمت بصلة إلى مصر كأن القاهرة وبعض مدن الشمال هى سكنى الصرب وكأن صعيد مصر مأهول بالألبان نشن عليهم حرب الإبادة»(١).

يا إلهى.. هل يعانى أبناء الصعيد.. إلى الدرجة التى أحس فيها كاتب كبير من أبناء الجنوب مثل الأبنودى أن أبناء الوطن الواحد ضربتهم التفرقة حتى صاروا مثل الألبان والصرب؟!

يومها قلت: لك الله أيها الجنوب.

أما المرة الثانية.. فقد كان الأسى والحزن شديدا، اجتاحنى مثلما اجتاح أبناء وطنى جميعا.

حيث كنا ننتظر أن ننال من العيد فرحة، بعد كل هذا الشحن النفسى الأليم، منذ أحداث سبتمبر وما تبعه من تداعيات.

حتى جاء حادث قطار الصعيد ليخطف هذه الفرحة المنتظرة فمع احتراق هذه العربات السبع واحتراق ثلاثمائة واثنين وسبعين من أبناء الصعيد بالاضافة إلى من لم يتم التعرف عليهم.

قلت للمرة الثانية.. لك الله أيها الجنوب.

ولنا الله جميعا وليلهمنا ربنا الصبر على ما حل بهذا الوطن الصبور

(١) عبدالرحمن الأبنودى .. الأخطاء المقصودة، ص ١٥١. طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ (الهيئة المصرية العامة للكتاب).

وجاءت كلمات الرئيس مبارك تدعو الجميع للتجمل بالصبر والإيمان حيث إنها :

«**إرادة الله ولا راد لقضائه**».

وفى نفس الوقت أمر بإجراء تحقيق شامل للوقوف على الأسباب ومجازاة المتسبب، وللوقوف على أوجه القصور وعلاجها لمنع تكرار مثل هذا الحادث الأليم حيث قال :

«لن أسمح بأى محاولة لإخفاء الحقيقة»

«طلبت تحقيقاً شاملاً لحادث قطار الصعيد لتحديد المسئولية ومحاسبة من قصر فى أداء واجبه».

وتوالت الأخبار عبر الصحف الكل يحاول تجلية الموقف :

جريدة الأخبار قالت : انفجار موقد بوتاجاز فى القطار وراء الكارثة.

الأحرار قالت : عربات قطار الموت انتهى عمرها الافتراضى منذ عشر سنوات.

الوفد : ٣٧٢ مواطنا لقوا مصرعهم فى أسوأ كارثة قطارات.

وعلى أية حال، وأيا كانت الأسباب- حتى تظهر النتائج النهائية للتحقيق - فهناك نقاط لابد أن نطرحها، ولابد أن يتعهدها كل صاحب قلم أمين وكل صوت يجهر بالحق، لأنها تتعلق بالحقوق والواجبات، وتتعلق بسلوكنا كأفراد ولأننا جميعا - أفرادا وجماعات، ومواطنين ومسئولين - مسئولون أمام ربنا - تبارك وتعالى - حافظنا أم فرطنا؟

لأجل ذلك لابدلنا أن نحاسب أنفسنا جميعا ونشير إلى نقاط التقصير عند كل منا حتى نعلم مواقفنا ايجاباً وسلباً.

أولا : محصل القطار... أهم رجل فى هذا الموضوع غير أنه لا يعنيه غير تحصيل قيمة التذكرة ومع أهمية هذا العمل وصعوبته إلا أن على عاتقه الكثير من الواجبات.

- فواحدة من واجباته.. أن يبلغ سائق القطار عن حدوث مثل هذه الكارثة.. أو يبلغ شرطة السكك الحديدية. فهل سأل أحد من المحصلين نفسه ماذا يفعل وكيف يتصل بقائد القطار إذا حدث أمر خطير مثل ما حدث؟! وهل تلقى العاملون فى هذا المرفق الحيوى التدريبات والدورات الجادة اللازمة لمثل هذه الأمور؟ أم أنها مجرد دورات تدريبية لزوم الترقى فقط؟

- وواحدة من واجباته - أيضا- أن يعرف ماذا يفعل فى الحالات الحرجة : كتعرض أحد الركاب لغيبوبة مثلا.. هل يتركه يموت أم ماذا يفعل؟!

ومن واجباته - أيضا - أن يعرف ماذا يفعل تجاه راكب يحمل مواداً قابلة للاشتعال، معرضا حياة الآخرين للخطر فليس التواكل من الدين فى شئ.

* **أما القائمون على الصيانة :**

فعليهم، بالاضافة إلى التأكد من صلاحية العربات للسير، عليهم - أيضا - أن يتأكدوا من صلاحية هذه العربات - وما بها من دورات مياه - للاستخدام الآدمى. والأمر ليس ترفا بل ضرورى للغاية حيث تحتاج الرحلة إلى الصعيد الساعات الطويلة بالاضافة إلى وجود أصحاب الأعذار ويكفى أن نقول : إن كل عربة قد يكون فيها راكب أو أكثر يعانى مرض السكر.

هذا ما يجب أن يهتم به القائمون على الصيانة وليس تحصيل جنيه من الراكب الذى يتسلل إلى المخزن ليحصل على مقعد قبل ازدحام القطار!!

أما الراكب.. فعليه مسئولية الحفاظ على هذا المال العام وهذه المركبة التى تقله، فلايجب، ان يعتدى عليها بالتخريب قل ذلك أو كثر.. وفى رأيى أن حفر الاسماء «**لذكرى الخالدة**» نوع من التخريب.

وعلى الراكب - أيضا - مسئولية الحفاظ على دورات المياه نظيفة بعداستخدامه لها، فعليه أن يتركها كما يحب أن يراها.

وعلى الراكب أيضا أن يحرص على دفع التذكرة حتى ولو لم يأته المحصل.

وقد كنا نحرص على ذلك صغارا، ورحم الله صديقا لنا كان حريصا - وهو على فراش الموت - أن يدفع قيمة تذكرة لم يأت المحصل ليحصلها منه، ولم يتسع وقته حينئذ أن يشترى تذكرة من شباك التذاكر بمجرد نزوله من القطار.. ظل هذا المبلغ يؤرقه حتى زرناه فى مرضه فدفعه لأحدنا، ليقوم بهذا الواجب.

ولكننا - للأسف - نسمع عن شباب فى الجامعة يتباهى بأنه «زاغ» من المحصل. وإن كانوا قلة إلا أن ذلك يدل على غياب الوعى الدينى اللازم لمثل هؤلاء الشباب.

أيضا نسمع من يلقى النكات فى الحفلات العامة، ويكون المثير للضحك فيها (الزوغان) مرة أو أكثر من المحصل!!

فيبدو الأمر كما لو كان شيئا عادياً!

وهذا يدفعنا إلى الكلام عن دور أجهزة الاعلام المختلفة وأهمية التأكيد على انتقاء الكلمة.

ودور رجال الوعظ وهو الأكثر أهمية، فالقانون أى قانون.. لا يخلو من ثغرات ينفذ منها المتلاعبون.

إلا قانون الله، لا تعرف الثغرات إليه سبيلا فعلينا مخاطبة الوازع الدينى لدى أفراد المجتمع.

- نعود مرة أخرى لدور الراكب.

فبرغم انتشار أجهزة التليفون المحمول فى أيدى الكثير من الركاب لم يدر بخلد أحد منهم أن يتصل بالشرطة أو المطافىء.

- جميعنا رأى ذلك المربع الزجاجى فى عربات القطار وقرأ عبارة: «فى حالة الخطر اكسر هذا الزجاج وشد جزرة الفرامل».

ولكن لم يقم أحد من الركاب بفعل ذلك، بل قفز بعض الركاب من نوافذ القطار أثناء سيره!!

ولعل السبب فى ذلك أن المعلومات التى يستعان بها فى الأزمات لابد أن تكون ثابتة فى الأعماق وواضحة ووضوحا كبيرا.

ومن هنا يبرز دور الإعلام وبخاصة التليفزيون، فى رسم سلوك المواطن فى الأزمات وفى مثل هذه المواقف الحرجة.

ونذكر له ما قدم من قبل:

- تنبيه عن خطورة عبور الطريق من أمام الأتوبيس أو الشاحنات الكبيرة، لما فى ذلك من حجب الرؤية وما يتبع ذلك من خطر.

- التأكيد على أهمية حزام الأمان لقائد السيارة ومن بجواره.

- إلى غير ذلك من نصائح تفيد المجتمع نتمنى أن يهتم بها القائمون على تخطيط برامج التليفزيون، فهى أنفع للفرد والمجتمع من كثير من هذا الغثاء الذى يتمثل فى برامج المسابقات التى هدفها الأول أن يحفظ المشاهد أسماء الأفلام وأسماء أبطالها ومخرجيها... ألخ

وبعد... فإذا كانت النار قد أكلت منا أرواحنا،

فلابد أن نعى الدرس حتى لا تتكرر هذه المأساة.

وإذا كانت التحقيقات تدور بشكل جاد ودءوب فلابد أن نعى أن الهدف ليس مجرد ايقاع عقوبة بقدر ما هو أسلوب للوصول إلى معرفة الأسباب الحقيقية للمأساة لتلافيها مستقبلا..

ولا يجب أن يغلق الملف بمجرد مجازاة المتسبب، وإنما علينا أن نجعلها دائمًا فى الذاكرة وعلينا أن نتكاتف لإصلاح الخطأ فليس فى التجمل وتغطية أخطائنا أى سبيل لأن نكون دولة متحضرة.

وإذا كانت هذه النار قد أبانت عن نقاء العنصر المصرى بما قدم من مساعدات مالية كبيرة قدمها أفراد المجتمع وهيئاته إلا أن الجهود التى بذلت أثناء الحريق أوضحت غياب عنصر هام هو النظام، وأسلوب العمل.

وقد أظهر الحريق وجود نظام يعنى بالأمن بدليل وجود خمس طفايات فى القطار لكنه أبان عن قصور ذلك النظام بدليل أن هذه الطفايات «عهدة السائق» فهى معه فى الجرار!!

نسأل الله العلى القدير أن يلهمنا رشدنا فنعى الدروس المستفادة من هذه المحنة فنزداد بها قوة وليس فى قضاء الله للمؤمنين إلا كل الخير.

وإلى رسائل القراء.

الهجـــــرة الدائمـــــة

● **أرسل القارىء خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ـ كفر الشيخ هذه الكلمة بمناسبة الهجرة.. يقول فيها :**

أخرج البخارى فى صحيحه عن ـ عبدالله بن عمر (رضى الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيةٌ». والهجرة الدائمةُ هى الجهاد والنيه ولقد بيّن ـ النبى الأكرم ـ والرسول الأعظم ﷺ السبيل إلى الهجرة الدائمة الباقية المستمرة المتواصلة إلى يوم الدين فقال «المهاجرُ من هَجَرَ ما نهى الله عنه» «رواه مسلم».

فَمَنْ هَجَرَ المعاصى فهو مهاجُر وله ثوابُ المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ قُرناء السوء إلى صُحبة الأبرار والأخيار فهو مهاجُر له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ اتباع الهوى والتزم بأوامر الله ونواهيه فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ الجهل إلى العلم فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ الكسل إلى العمل فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ سُوء الخُلق وتخلق بأخلاق الإسلام فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

وَمَنْ هَجَرَ القُعود وقام لنصرة دين الله فهو مهاجرٌ له ثواب المهاجرين.

فياليت كل مسلم بدأ بنفسه فى الهجرة الدائمة التى توصله إلى بر الأمان ودخول جَنَّة المولى العدنان ـ حيث يكون بذلك رفيق خير الأنام ـ سيدنا ـ محمد ﷺ فى الجنان.

الهجرة النبوية بين العقيدة والعاطفة

واحتفاءً بمطلع العام الهجرى الجديد أرسل القارىء حاتم ابراهيم سلامه - خريج كلية أصول الدين يقول :

كما يعز على الانسان أن يفارق بيته الذى تربى فى ظلاله وبين جدرانه فإنه كذلك يعز عليه أن يفارق وطنه الذى تنسم عبيره، ونشأ فى أكنافه صغيراً وكبيراً، وذلك لأن الذكريات قد تغلغلت فى قلبه فصارت حباً كبيراً قال فيها الشاعر :

وحبب أوطان الرجال إليهمو
مآرب قضاها الشباب هنالكا

وحينما يتصفح متأمل آيات القرآن، تستلفت نظره صورة قرآنية لاتؤكد تلك الغريزة فقط، بل تؤكد أهميتها، وخطورتها، وهى صورة من مكر فرعون الخبيث الذى استغل تلك الغريزة جاعلاً منها، سلاحاً يواجه به دعوة الحق والنور، وليستنفرهم ضد موسى عليه السلام قال - تعالى - على لسانه :

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

الشعراء ٣٤، ٣٥ .

وكذلك قوله :

﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾

طه / ٦٣

* ولكن كيف بهذا الحب الذى يمثل غريزة فى الإنسان، كيف به لو اصطدم بمبادىء يؤمن بها ويعتقدفيها .. بل ويوقن تمام اليقين أن هذه المبادىء لاصلاح للبشر بدونها، ولا كرامة للعيش بغيرها، ان الإنسان قد يحب أشياء ويتمناها وفيها هلكته، ولايعلم أن البعد عنها فيه نجاته وسلامته.

إن رسول الله ﷺ حينما خرج مهاجراً من وطنه، نظر إليه وقال قولته الشريفة « والله يامكة إنك لأحب بلاد الله إلىّ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت » .. ولنتأمل معاً هذا القول الناصع فى مفهوم الوطن.

* يقول د.محمود عمارة : « وإذا كان للوطن بمفهومه القومى هذه المنزلة .. فإن وطن الروح أعز وأبقى !! واذا اصطرعت فى النفس محبة المكان .. ومسئولية الإيمان فلا خيار للمسلم ولا مفر من ركوب الأهوال ومقارعة الرجال .. ولن يتردد أبداً فى هجرة وطنه، انتصاراً لمبادئه التى هى حياته، ولقد كانت هذه واحدة من أينع الفضائل التى أخذ الرسول ﷺ أصحابه بها » .

مطعم ومقهى فى بيت المتوفى

ويرسل فضيلة الشيخ عثمان ابراهيم عامر عميد معهد الوسطانى الاعدادى للبنين ـ بمنطقة دمياط الأزهرية هذه الرسالة ينشد فيها اصلاح بعض سلوكيات المجتمع يقول فيها :

روى ابن هشام فى سيرته عن أم جعفر بنت محمد بن أبى طالب قال : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله ﷺ فقال لى : ائتنى ببنى جعفر قالت : فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يارسول الله : بأبى أنت وأمى مايبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم!! قالت : فقمت أصيح، واجتمعت إلىّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : لاتغفلوا من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم!! ص٢٩٠ ج٤ السيرة النبوية لابن هشام.

فنحن نرى فى هذا الهدى النبوى الشريف أنه من الواجب على المعزين ـ وبخاصة أقارب المتوفى ـ تجاه أهله وذويه أن يصنعوا لهم طعاماً وشراباً ـ ولو كان ذلك فى اليوم الأول فقط! حيث الحزن ثقيل، والمصاب فادح، والفراق مازال حياً فى النُّفوس لم يزل أثره بعد.

ولكننا ويا للأسف!! نلاحظ العكس من ذلك تماماً!!

فى هذه الأيام : نرى جلوس الأقارب من المعزين عند أهل الميت اليوم واليومين يُقَدمُ لهم الطعام والشراب من أهل الميت ليأكلوا ويشربوا ويتحول بيت المتوفى إلى مطعم لتقديم كافة الأطعمة للمعزين ومقهى لتقديم كافة الأشربة الخاصة بهذه المناسبة.

وربما تحول بيت الميت إلى فندق للمبيت اليوم واليومين وربما الأسبوع، وينسى هؤلاء أو يتناسون أنهم عبء ثقيل على بيت المتوفى والواجب عليهم أن يخففوا عن أهل المتوفى ويعينوهم على الصبر والتحمل لا أن يكونوا ضيوفاً ثقلاء عليهم. ليتهم يقرءون ما قاله أحد الشعراء فى المتثاقلين فى الضيافة :

لاتكن ضيفاً ثقيلاً
يكره الناس لقاءك
فعساه مستمداً
لك من قوم عشاءك
وعساه مستعيراً
لك من جار غطاءك
إن فى الفندق مأواك
وفى السوق غذاءك
رب من يلقاك هاشاً
كسر (الزير) وراءك!!!

من إبداعات القراء :

فى مدح خير البرية

شعر/جابر عبدالعليم مصطفى - المدرس بمعهد الزوازية الإعدادى الثانوى

سَلْ عُصْبَةً وَقَفتْ بالباب راصدَةً — خيرَ البريَّة فى غيظ وفى غَشَم
لكنْ عنايةُ ربِّى لاتفارِقُهُ — حتى أتَى الغارَ والصِّديقُ فى الظُّلَم
فالْتَفَّ حَوْلَهُمَا جُنْدٌ لحفظهما — جندٌ من اللَّه مثلَ الأُسْدِ فى الأَجمِ
باضَ الحمامُ على بابٍ وقد نُسِجَتْ — هذى الخيوط وقد أغنت من الأطم
والجمعُ ينظُر فى جِدٍّ وفى عَجَبٍ — وسيد الرسل يدعو الله من أمم
فيحفَظ الله خيرَ الخلق من خطَرٍ — ويرجع القومُ بالإِحْبَاطِ والنَّدَمِ

● المحرر.. ننشر هذه الأبيات من قصيدتكم «الدرر البهية» التى زادت أبياتها عن مائة وستين بيتاً ونأمل أن تتقبل اعتذارنا عن عدم نشر القصيدة كاملة حتى تتاح الفرصة لقراء آخرين.

فى رثاء شهداء قطار الصعيد

١ ـ فزع الجميع تألما بمرارة — هب الأنام بحرقة الإيلام
٢ ـ حل القضاء إرادة من خالق — وبقدرة القهار والعلام
٣ ـ هبَّ الجميع بلهفةٍ وتآلف — لإغاثة المكلوم فى إقدام
٤ ـ بمشاعر الإحساس من وجداننا — دعت القلوبُ برحمة بسلام
٥ ـ فارحم إله العالمين أحبةً — فى جنة الفردوس والإنعام

أنباء العالم الإسلامى

من أنباء مجمع البحوث الإسلامية

فى إطار حرص مجمع البحوث الإسلامية على نشر الوعى الدينى لدى المسلمين، وإيمانا منه بوجوب تبليغ رسالة الإسلام فى شتى بقاع الأرض لذا قامت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية بإصدار عدد من الكتب الإسلامية خلال الفترة من شهر مارس ٢٠٠١م وحتى فبراير ٢٠٠٢م وهذه الكتب هى:

- «**الإسلام والشباب**» ...

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم.

- «**نافذة على الإيمان**» ...

للأستاذ الشيخ / محمد مصطفى الطير.

- «**قصة البيت الحرام**» ...

للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم.

- «**الأزهر وعلوم اللغة العربية فى ألف عام - جزءان**» ...

للأستاذ الشيخ / محمد محمد الحسينى.

- «**ردود هادئة**» ...

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى.

- **رياض الصالحين» شرح وتحقيق - «ثلاثة أجزاء»** ...

لفضيلة المرحوم الشيخ / الحسينى هاشم.

- «**من أنوار الصحابة**» ...

لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور - وكيل الأزهر.

- هذا وستقوم الإدارة العامة للمطبوعات - إن شاء الله تعالى - تباعا بإصدار بعض أمهات كتب التراث وكذلك بعض كتب كبار العلماء حتى تتم الفائدة المرجوة من هذا العمل.

للأستاذ / محمد الشرقاوى

مسابقة الدكتور محمد شوقى الفنجرى للبحـــوث الإســـلامية

تشجيعا للبحث العلمى وخاصة فى مجال قضايا الإسلام والمسلمين فقد قررت اللجنة المشكلة بموجب حجة وقف المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الاسلامى بجلستها المنعقدة فى أول يناير ٢٠٠٢م لمسابقة عام ٢٠٠٣م ما يلى :

أولا : تخصيص مبلغ « ٣٠٠٠٠ » جم « ثلاثون ألف جنيه » جوائز أصلية لأحسن البحوث فى أحد الموضوعين التاليين :

١ـ التحديات التى تواجه العالم الإسلامى .

٢ـ الحل الإسلامى لمشكلة البطالة « دراسة مقارنة » .

وذلك بحد أدنى قدر ٢٠٠٠ جم « الفى جنيه » لكل فائز .

ثانيا : تخصيص مبلغ ٢٠٠٠٠ جم « عشرين ألف جنيه » جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية فى أحد الموضوعين سالفى الذكر وذلك فى حدود مبلغ « ١٠٠٠ »جم « ألف جنيه » لكل فائز ويقدم البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠٣م الى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة وذلك من عدد ثلاث نسخ بما لا يقل عن « مائة صفحة » ولا يتجاوز « مائتين » مع ملخص له من عدد ٣ « ثلاث » نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة .

ويتشرط فى البحث ان يكون « معداً » للمسابقة ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى وأن يكون متميزا ويتضمن اضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره .

هذا وللجنة شئون الوقف طبع أى بحث فائز متى قدرت ذلك، دون أى حق فيها، ويُقام حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة بشارع أبوالفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام .

تحسن أوضاع التعليم الإسلامى بهولندا

أثرت تداعيات تفجيرات ١١ سبتمبر ـ خلافا لما هو متوقع بشكل إيجابى على أوضاع التعليم الإسلامى فى هولندا حيث لفتت أنظار المسئولين السياسيين إلى ضرورة الانفتاح بشكل أكبر على الأقلية المسلمة والاصغاء لمطالبها بالحفاظ على هويتها الإسلامية .

وأكد « بلقاسم الناعس » مؤسس ورئيس أول مدرسة ثانوية إسلامية فى أوروبا أن مدرسة « ابن خلدون » الإسلامية الثانوية قد تم افتتاح مقر ثان لها بعد ١١ سبتمبر وأنها حصلت على مساعدات ومنح من السلطات المحلية ووزارة التربية والتعليم لأداء مهامها وانشاء بعض المرافق العلمية التى لم تتمكن من انشائها العام الماضى نتيجة عجز الإمكانيات .

وان المسئولين الهولنديين ادركوا عقب هذه الأحداث أن التعليم الإسلامى هو خير وسيلة لحماية الأجيال المسلمة الناشئة من خطر التطرف والعنف خصوصاً بعد أن اثبتت الأيام ان المدارس الهولندية « العلمانية والمسيحية » لم تنجح بدرجة كافية فى تربية أبناء المسلمين نتيجة قصورها فى معالجة العلاقة بين المناهج التعليمية المقررة ومتطلبات الهوية الخاصة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية

اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برياسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، وقرر عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وذلك فى النصف الثانى من شهر أبريل سنة ٢٠٠٢م وسيكون المؤتمر تحت عنوان «هذا هو الإسلام» ويهدف المؤتمر إلى ما يأتى:

أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح للإسلام

ثانيا: تنشئة أجيال جديدة واعية بمبادىء الإسلام.

ثالثا: تحصين المسلم من أية أفكار دخيلة

رابعا: إيجاد آليات جديدة للتعامل مع الآخر المختلف معنا فكرا ومعتقدا وسلوكا وثقافة.

خامساً: الاتفاق على صورة جديدة للخطاب الدينى تتناسب مع معطيات المرحلة

وستدور المحاور والموضوعات حول الآتى:

١ ـ الإسلام دين السلام.

٢ ـ الإسلام يحارب الغلو والتطرف.

٣ ـ الإسلام والتنمية.

٤ ـ الإسلام والتقدم العلمى.

٥ ـ الإسلام والعلاقات الدولية

٦ ـ الإسلام والمتغيرات العالمية فى القرن القادم.

وسيدعى لهذا المؤتمر كبار علماء المسلمين من مصر وخارجها إلى جانب السادة أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الاسلامية.

الظروف الراهنة استدعت عقد هذا المؤتمر لتجلية حقائق الإسلام وتبصير الأمة الإسلامية والعالم الخارجى بسماحة الإسلام، وأنه دين السلام والأمان والعدل ورعاية الحقوق، وتوضيح أنه لا يقبل الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو الأرض، ولا يقبل الظلم بكافة صوره وأشكاله، وأن الله -عز وجل- من أسمائه العدل والحق والسلام.

الإمام الأكبر يؤكد:

الفتوى يجب أن تكون صادقة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد من السادة الضباط العرب العاملين فى مكافحة المخدرات أعضاء البرنامج العربى السابع لمكافحة المخدرات الذى ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان بمجلس الوزراء وعددهم ٢٧ دارسا يرافقهم الدكتورة / سهير لطفى رئيس مجلس إدارة صندوق مكافحة المخدرات وذلك فى إطار فاعليات البرنامج التدريبى العربى الذى ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان.

تحدث فضيلته للسادة الضيوف عن أن الله - عز وجل - خلق الناس فى هذه الحياة ليحيوا حياة طيبة سعيدة وأنزل لهم الرسل والكتب لهدايتهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وأنزل التشريعات لتبين للناس الحلال الطيب وتأمرهم باتباعه، وتبين لهم الحرام الخبيث ليجتنبوه ويبتعدوا عنه، وهذه التشريعات أنزلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم، وقد أحل الله -عز وجل- التمتع بالطيبات من المأكل والمشرب والملبس وهى نعم أنعم الله -تعالى- بها على عباده واستدل على ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ كما حرم الله -عز وجل- الخبائث بكل أنواعها وأشكالها وذلك لما فيها من أضرار بالغة بعقل الإنسان وصحته وجسمه وما يتعلق بحياته لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم ما ينفعه وما يضره فما ينفعه أباحه له، وما يضره نهاه عنه وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة واضحة فى ذلك، وأشار فضيلته إلى أن الإسراف فى الحلال أمر غير مطلوب بدليل قول الله -تعالى- لنا:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف (٣١).

فمن باب أولى الابتعاد عن المحرمات بكل أنواعها وأشكالها وقال: على العلماء المتخصصين أن يوضحوا ذلك ويبينوه للناس كل فى مجال تخصصه.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتى دارت حول مكافحة المخدرات بكل أشكالها وألوانها وعن الرخص التى وردت فى الشرع حول قصر الصلاة وجمعها بالنسبة للمسافر، وحول زكاة المال وموعد إخراجها وتقديمها أو تأخيرها عن ميعاد الحول، وحول ترك طواف الوداع فى الحج لظروف قاهرة حالت دون آدائه، وحول الشروط الواجب توافرها فى إقامة صلاة الجمعة، وحول الشروط المطلوبة فى الفتوى، وقد أوضح فضيلته بأن الفتوى يجب أن تكون صادقة وعادلة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة، وأما أن تكون الفتوى لخدمة فرد أو مجموعة معين حسب الأهواء والرغبات فهذا ما لا تقره شريعة الإسلام.

وأكد فضيلته على أن شريعة الإسلام واضحة كل الوضوح وأنها جاءت لمصلحة الناس فكل ما يفيد الإنسان ويحفظ عليه حياته أحلته شريعة الإسلام وكل ما يؤدى إلى الضرر بها حرمته شريعة الإسلام.

الإمام الأكبر

الأزهر يضم الآن ستة آلاف وخمسمائة معهد

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر واللواء عثمان شاهين محافظ المنوفية يرافقهما الحاج محمود العربى بافتتاح معهد العربى الابتدائى النموذجى بقرية أبو رقية مركز أشمون، ويضم المعهد عشرين فصلا دراسيا وصالة كمبيوتر، ومركزا لتحفيظ القرآن الكريم أقيم على مساحة ١٠٠٠م٢ ومكون من ستة طوابق ويضم ثلاثين فصلا ويقبل الطلاب من سن أربع سنوات وتكلف أكثر من مليون جنيه كما تفقدوا مجمع العربى الأزهرى والذى يضم معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية وقراءات بتكلفة أكثر من سبعة ملايين جنيه وكلها على نفقة الحاج محمود العربى.

شكر فضيلة الإمام الاكبر القائمين على بناء المعاهد الأزهرية بالجهود الذاتية وقال: إن عدد المعاهد الآن بلغ ستة الاف وخمسمائة معهد تم إمداد عدد منها بأجهزة كمبيوتر، وبإذن الله هناك خطة لإدخال الكمبيوتر لجميع المعاهد الأزهرية، وأعلن فضيلته أن الأزهر الشريف سيظل قلعة صامدة ومنارة للعلم والإشعاع لخدمة الإسلام والمسلمين بمصر وخارجها، وأشار فضيلته إلى أنه تم البدء فى تطوير المناهج، وإنشاء معاهد نموذجية تقبل التلاميذ والتلميذات من سن أربع سنوات، وتدرس فيها اللغة الأجنبية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جامعة أم درمان

استقبل فضيلة الأمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ محمد عثمان صالح رئيس جامعة أم درمان بالسودان، والدكتور/ إبراهيم عبد الباسط المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر حيث دار الحديث حول استعراض أوجه التعاون بين مصر وأزهرها الشريف وجامعة أم درمان بالسودان، وأعرب الضيف عن سبب زيارته للأزهر الشريف وذلك لتجديد التعاون والمحبة وأن زيارته هى تبركا وتقربا لتجديد العهد بالأزهر وشيخه وعلماء المسلمين الذين يذخر بهم الأزهر الشريف، وتقديراً لما يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامى كله من علم نافع حيث يوضح أسس التعامل الإسلامى الصحيح بين الناس، لأن العلم رحم بين أهله ونحن نحترم شيوخنا ونجلهم فالعلماء ورثة الأنبياء، كما أعرب الضيف عن أن زيارته أيضا من أجل دعوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة السودان الشقيق، وجامعة أم درمان وأشار إلى أن الدعوة الرسمية ستأتى من السيد الرئيس / عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان تقديرا لمكانة شيخ الأزهر الشريف وأوضح الضيف بأنه يتابع جولات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى تهتم بشرح وتوضيح المفاهيم الصحيحة للإسلام وأن جولات فضيلته فى دول الغرب لتوضيح مبادىء الإسلام وحقيقته السمحة أمر محمود ومشكور ومطلوب

فى الوقت نفسه كما شرح فضيلة الإمام الأكبر زيارته الأخيرة للمملكة المتحدة (بريطانيا) والتى التقى فيها بالسيد / تونى بلير رئيس وزراء انجلترا وكيف أن التفاهم كان إيجابيا بينهما وأوضح فيها فضيلته الفرق بين الجهاد فى الإسلام وبين الإرهاب حيث يقومُ الغرب بالخلط بينهما .

السفير العمانى بالقاهرة يؤكد على أهمية التعاون العلمى مع الأزهر

● استقبل فضيله الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى السفير / عبد العزيز الهنائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة يرافقه السيد / أفلح بن سليمان الطائى المستشار التعليمى بالسفارة، ورحب فضيلته بالضيف الكريم وصحبه، ودار الحديث حول تبادل العلاقات الثقافية والعلمية بين السلطنة والأزهر الشريف والتأكيد على التعاون العلمى الصادق وخاصة فى العلوم الدينية والعربية، وشرح فضيلته أهمية دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين من شتى بقاع الدنيا حيث يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من ٩٥ دولة على منح للدراسة، حيث يتلقون العلم فى معاهد الأزهر وكلياته الجامعية جنبا إلى جنب مع الطلاب المصريين وبعد تخرجهم فى الأزهر يعودون إلى بلادهم يعلمون أبناء بلادهم ويبصرونهم وينقلون إليهم ما تعلموه فى الأزهر الشريف .

وأشاد الضيف بالأزهر وعلمائه والرسالة التى يضطلع بها منذ القدم وحتى اليوم فى توضيح وتصحيح مفاهيم الإسلام وقيمه العظيمة التى تمتاز بالتوسط والاعتدال ودراسة المذاهب الإسلامية، وأشار إلى أن الأزهر الشريف هو المرجعية العلمية التى يرجع إليها العلماء فى كل الدنيا فى الأمور الدينية وأن الأزهر لا يدخر وسعا فى إرسال البعثات من العلماء إلى دول العالم لتبصير الناس بأمور الدين والإجابة الصحيحة عن الأسئلة التى تؤرقهم .

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على التعاون بين الأزهر الشريف وبين السلطنة وبخاصة اللجان المشكَّلة لبحث المناهج التعليمية والدينية لتدريس هذه المناهج بالسلطنة حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر .

سفير اليمن بالقاهرة يشيد بدور الأزهر فى بيان سماحة الإسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى السفير / عبد العزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة يرافقه الدكتور / جمال على ناصر العنسى المستشار الثقافى المساعد لشئون الجامعات بسفارة اليمن .

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف ودار الحديث حول طلب زيادة أعداد الطلبة من اليمن للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، وأعرب فضيلته عن أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة العلمية لأبناء اليمن الشقيق .

وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية لدى حكومة وشعب اليمن لما تمتاز الدراسة فيه بالحكمة والوسطية والاعتدال والسماحة والبعد عن العصبية أو الانحياز

لمذهب معين وقال: إننا نحرص على تواجد الأزهر الشريف دائما فى اليمن وعلى تطوير العلاقات بين بلدينا، والأزهر الشريف بالنسبة لنا هو منارة لكل المسلمين على مدار السنين والأعوام يقدم العلم النافع ويصحح المفاهيم ويوضح للمسلمين أمور دينهم.

شكر فضيلة شيخ الأزهر السيد السفير على حديثه الطيب مؤكدا على دور الأزهر الشريف فى تصحيح المفاهيم الإسلامية وفى بيان الوجه السمح للإسلام ثم أشار فضيلته إلى أن العالم اليوم يشهد تطورات كثيرة وهناك خلط فى المفاهيم وبدورنا نقوم بتصحيحها حتى لا يتم الخلط بين الجهاد والأرهاب، فالإرهاب هو اعتداء على الآمنين وعدوان على الأرواح والأموال والممتلكات وهو ما تحاربه شريعة الإسلام، وأما الجهاد فى الإسلام فَشُرِع لرد العدوان والتصدى للظلم والدفاع عن الأرض والعرض والمال، ونصرة المظلوم، وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لمن يمد يده بالسلام.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمد سيد أبو العلا رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يؤكد:

لسنا مع صراع الحضارات ومن يفهم غير ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جوردى بوجول رئيس وزراء مقاطعة كتالونيا الأسبانية والسيد / أنطونى سوبيرا وزير الصناعة، والسيد / أنطونى نجرة رئيس الغرفة التجارية ببرشلونة والسيد / بدرو لوند سفير أسبانيا بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف وألقى الضوء على أن مناهج التعليم بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال وأن التعليم يبدأ فى الأزهر منذ الحضانة وسن الطفل أو الطفلة أربع سنوات ومدة الدراسة به سنتان ثم يليه التعليم الابتدائى ومدة الدراسة به ست سنوات، والتعليم الإعدادى ومدة الدراسة به ثلاث سنوات، ثم التعليم الثانوى ومدة الدراسة به ثلاث سنوات وبه تخصص الأدبى والعلمى ثم التعليم الجامعى وبه حوالى سبعين كلية، بها مختلف التخصصات من هندسة وطب وزراعة ولغات وترجمة ورياضة بدنية وعلوم وتجارة وهذه الكليات منتشرة فى القاهرة وفى محافظات الجمهورية إلى جانب كليات: الشريعة والقانون، واللغة العربية، وأصول الدين، والدراسات الإسلامية، والدعوة كما توجد كليات خاصة بالبنات.

كما أشاد فضيلته بحضارة أسبانيا العريقة وحضارة مصر والصلة القديمة بين الحضارتين.

شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة والشرف الذى حظوا به بتواجدهم فى مشيخة الأزهر الشريف، وقالوا: إن الهدف من الزيارة هو إقامة علاقة مع المسئولين السياسيين والدينيين فى مصر، لأن مصر تلعب دورا هاما ومحوريا فى حوض البحر المتوسط، ولأسبانيا أيضا دورها، وتطرق الحديث للمشكلة

الفلسطينية التى تشغل بال الأسبان وأن الجانب الدينى له مكانة كبيرة لدى دولة أسبانيا والمسلمين المقيمين بها، وأن الإسلام يحتل مكانة كبيرة فى أسبانيا وينتشر بها.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أننا من الناحية الدينية نرى أن إخواننا فى فلسطين قد وقع عليهم ظلم كبير وفاحش من قتل وحصار وهدم للمنازل والمصانع، والأراضى الزراعية بما فيها من محاصيل وزراعات مختلفة، والعدوان من إسرائيل هو أقبح أنواع العدوان، وعلى العالم بأسره أن يقف بجانب الحق الفلسطينى، وأن تتخذ من الإجراءات ما يكفل لهم الحماية من القتل والظلم والعدوان، ولابد من تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإعطاء كل ذى حق حقه، ونحن بجانب إخوننا فى فلسطين فى المطالبة بعودة المفاوضات، والمطالبة بحقوقهم التى كفلها لهم الخالق -عز وجل- وهذا موقفنا بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى يعود السلام والأمان إلى هذه البقعة المقدسة، وتكون القرارات ملزمة للطرفين، ومن الواجب على مجلس الأمن أن يرسل قوة دولية تفصل بين الطرفين، ولكن أن تظل الأمور هكذا فليس هذا من الدين، وليس من العدالة ترك المعتدى يقتل ويعذب ويعتدى، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية مواصلة العمل على تنفيذ ذلك.

وأوضح الضيوف أن الإسلام فى أوروبا يتزايد يوما بعد يوم، والتعاون هناك سهل طالما وجد التسامح وربما فهم الغرب خطأ النظرة الإسلامية حول التسامح، ونحن نقف إلى جانب القضية الفلسطينية ولكن إمكانياتنا ضعيفة لذلك يصعب التدخل دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكننا كإتحاد أوروبى لا نستطيع أن نفعل ذلك بمفردنا.

وحول سؤال عن الحوار بين الأديان، قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف: إن بالأزهر لجنة للحوار، وقد قام بابا الفاتيكان بزيارة الأزهر الشريف وأصدرنا بيانا مشتركا بأن الأديان السماوية تدعو إلى التسامح والتعاون، وقد أوضحت أن القرآن الكريم يبين فى آياته أن الناس جميعا كلهم من أب واحد وأم واحدة، والأديان السماوية أنزلها الله -عز وجل- لسعادة البشر وليس لشقائهم، ونحن على استعداد للتعاون فى هذا الشأن من خلال التحاور وقد أوضحت أنه لا تحاور فى العقائد، فلكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله -عز وجل- وإنما الحوار يكون من أجل إظهار سماحة الأديان ونصرة المظلوم وتقديم العون والمساعدة للمحتاج، وحول سؤال عن صراع الحضارات، قال فضيلته إن الحوار عند العقلاء هو للتقارب والتعاون والتفاهم والتلاؤم، والحضارات يأخذ بعضها من بعض ولكل دولة حضارتها فالشرق له حضارته، والغرب أيضا له حضارته، ومن أجل ذلك تأخذ الحضارات وتستفيد من بعضها فلسنا مع صراع الحضارات، ومن يفهم غير ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح، ونحن نرحب بالحوار، وأبوابنا مفتوحة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الفهـــرس

● من الجديد عن حادث الهجرة النبوية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٢
● من وحـــى الهجـــرة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ٨
● هجرة الرسول والطبع العربى
للأستاذ الدكتور/ على عبدالواحد وافى ١٦
● املأ الأرض نوراً (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ٢٠
● الهجرة حدث تاريخى عظيم
للشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ٢٤
● محنـــة مؤمـــن
للأستاذ/ شوقى محمود أبوناجى ٢٧
● الهجرة تذكير وإيناس
للشيخ/ الطاهر الحامدى ٣٠
● دلائل القدرة الإلهية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٣٦
● من آيات الله فى السماء
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٤٠
● أمومة من صنع الإيمان
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٤٥
● مَن الإرهابـــــى؟
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٥١
● كتـــاب الشـــهر:
الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين ٥٧
● عمر بن الخطاب والقدس
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٦٤
● هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟!
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠
● النعمان بن مقرن المزنى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٧٥
● طـــرائف.. ومواقـــف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٨٠
● الشـــباب.. والفـــراغ
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٨٢
● شكر النعمة وجحودها (١)
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٨٦
● القدرة الإلهية وإلهام الحيوان
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى ٩٠
● رســـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٩٤
● كيف نقدم إسلامنا للغرب؟!
أجرى الحوار/ إسماعيل أبوالهيثم ٩٧
● خطبة الجمعة: مصدر العزة
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٠٠
● اســـتفتاءات القـــراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٠٣
● صرخة فى واد
للأستاذ/ مجدى بشير ١٠٦
● من الأدب العبـــرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٠٨
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١١
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ١١٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٠
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٢

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إسرائيل تجرنا لحرب أمريكا

هذا الغيظ المحزن الذى ملأ القلوب حسرة على ما يجرى فى فلسطين من توحش العصابة الصهيونية بقيادة السفاح شارون يرجع فى أساسه إلى شعورنا المحض بأننا لا نحارب إسرائيل وحدها، فإسرائيل في حرب سنة ١٩٧٣ كانت ستلقى حتفها المدمّر حين عبر الجيش المصرى مسلحا بالثقة فى النّصر، وقد ظلّت الأيام الأربعة الأولى تصرخ وتستغيث حين أبصرت خاتمتها المروّعة، وحينئذ أدركتها أمريكا بجسرها الجوى الذى يحمل معدات الدولة العظمى وعقول قادتها لتمنع سقوط الدولة الباغية، وقام وزير الخارجية اليهودى «كسينجر» إذ ذاك بألاعيبه الماكرة. حتى خرجت من الحرب بما حفظ وجهها أمام من لا يعرف خبايا الأمر، أما الذين تأملوا الموقف بدراسة الفاحص المتمرس فقد عرفوا أن إسرائيل ليست بشيء، وإنما هى أمريكا!

كذلك نجد الآن إسرائيل تتغطرس فى كبرياء متوحش، وهى تعلم كل العلم أن أمريكا من ورائها، ستدفع عنها كل مقاومة تجتاحها، وبهذه الثقة المفرطة أخذت تسلط نيرانها الوحشية على الآمنين فى القُرى والمدن، ولها من تصريحات

أبواق الصهيونية فى أمريكا ما يزيدها تكبرا واستعلاء، بل إن مندوبى الخارجية الأمريكية ورسل بوش الابن الذين يظهرون الحياد الكاذب يُسرون ما لا يعلنون، وإذا أرادوا وقف هذا الدمار فكلمة واحدة من الرأس القابع فى البيت الأبيض تكفى لمنع هذا الفجور الآثم، وتردّ الذيلَ على عقبه خائرا منكس الرأس. ولكن المأساة الحقيقية ترجع إلى النيّات الخبيثة التى توجه هؤلاء المبعوثين. وهم أمام كل فاحص لا يحاولون مَنع الحريق، بل يصبون الزيت على النار، فتزداد اشتعالا لذلك نكون صادقين إذا واجهنا الموقف فى وضعه المكشوف. فقرّرنا أننا فى هذه المعركة الضروس لا نحارب إسرائيل. ولكننا نحارب أمريكا بجبروتها الهائل، وطغيانها الرهيب.

وشىء آخر تريده إسرائيل، تريد أن تندفع مصر إلى الحرب، لتواجه السلاح الأمريكى، والقادة من جنرالات الدولة الحاكمة فى العالم بأمرها. وإذ ذاك تأذن لذيلها أن يندفع فى الأرض العربية من جديد ليحتل أماكن شريفة فى سيناء ولبنان يتحسر غيظا على أنه فقدها بإرادة مصر ولبنان وقوة مصر ولبنان لذلك كان الصوت العاقل يحول دون هذه الإرادة المستترة التى يخطط الأعداء لتحقيقها، وقد كشفت أمريكا عن وجهها الدميم حين أيدت الباطل تأييدا سافرا لا يحتاج إلى دليل، وأكبر ما يبعث على الأسف أن حلفاءها فى أوربا يعرفون حقيقة موقفها وقد خالفوه صراحة فى هيئة الأمم وفى مجلس الأمن ثم هم لا يقومون بدور حاسم فى إحقاق الحق وتعرية الباطل عن ثيابه الخادعه، بل يكتفون بتصريحات لا تقدم ولا تؤخر. وليس لهم من الجراءة ما يجعلهم يقفون أمام الطغيان موقف النظير من النظير، ونحن لا ننكر أن الشرفاء من كتّاب الصحف قد لمسوا هذا الخزى الشنيع فى موقف أمريكا تجاه إسرائيل وعبروا عنه، ولكن أبواق الصهيونية من ناحية أخرى تحاول أن تسكت هذه الأصوات، ولكن يطول الوقت بهم، إذ لابد أن ينجلى الليل، وأن يتحقق قول الله فى إسرائيل:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

إن نقطة الضعف لدى بعض العرب أنهم يُصدقون أمريكا حين تبتسم ابتسامة الغدر ويظنونها تسعى لإنصافهم من العدو الغادر على حين أنها مع العدو فى خندق واحد، منذ ظهرت مأساة فلسطين، فقد كانت المشجع الأول على إنشاء هذه الدولة البغيضة فى عهد ترومان، وهى التى أجهضت انتصار العرب على العصابات الصهيونية إذ ذاك سنة ١٩٤٨ حتى نكصوا على أعقابهم بعد أن لاحت تباشير النجاح، ثم أخذت تمدها بالأسلحة الجهنمية إلى الآن، وقد ظهر

---

(١) الأعراف (١٦٧).

للعيان تناقضها الفاضح فى موقفها من العراق حين جعلت تصمم على التفتيش الفورى على ما تظنه مخزنا للأسلحة النووية على حين أنها تحرم هذا التفتيش على إسرائيل وتحمى وجوده دون حياء، وإذا اعترضها معترض من الحياديين، قالت إن إسرائيل لابد أن تحمى نفسها! فماذا تقول الآن، وإسرائيل بفضل ما أمدتها به من الأسلحة الفتاكة والأدوات الماحقة، هى التى تشعل النار فى ديار الآمنين!! إن للسياسة الأمريكية منطقا لا يعرف الحياء، إذ لو سلكت عن صدق سبيل الحق لما تورطت فى هذا النفاق الخادع، وأقول الخادع بالنسبة للأغرار الذين تغرهم ابتسامات السياسيين من تجار الكلام، أما الشعب العربى نفسه فقد تأكد عن يقين خطر السياسة الأمريكية، وأنها الباعث الأول على امتداد الاضطراب فى العالم العربى، إن لم يكن فى العالم كله، حين أصبحت صاحبة الكلمة الأولى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وهو وضع خطير للإنسانية جمعاء، ولعل الأصوات التى ارتفعت فى اليابان والصين والهند وكوريا وإيران تندد بهذا الجبروت الطاغى تمتد إلى جميع أنحاء العالم فتوقظ المخدوعين فى أوربا، والنائمين عن إدراك هذا الخطر الذى امتدت خيوطه العنكبوتية إلى شتى البقاع، بل إن للباطل جولة لابد أن تنتهى، وستنكشف الحقائق لكل ذى عينين من هؤلاء المخدوعين الغافلين.

لقد اشتعلت المظاهرات الغاضبة فى شتى نواحى العالم العربى، بل تجاوزتها إلى العالم الأوروبى نفسه، حين اندفعت المظاهرات إلى السفارات الأمريكية معلنة احتجاجها على هذا العدوان البغيض، وانطلاق المظاهرات إلى السفارات الأمريكية يدل دلالة واضحة على أن العالم قد فهم اللعبة التى تقوم بها أمريكا وأنها لم تعد تعبث وراء الستار بل تؤدى جريمتها السافرة واضحة أمام العيان، وقد أصبحت بجيوشها المنتشرة فى كل مكان مصدر رعب للعالم جميعه، بل إنها تركت المنطق الواضح، وهاجمت دولة صغيرة هى دولة الأفغان، هاجمتها بكل أدوات التدمير لتبحث عن فرد واحد!! وهو وضع لا يكاد يصدق! إذ ليس من المعقول أن يسكن فرد يقال أنه اعتدى على أمريكا فى ١١ سبتمبر فى بلد ما لا صلة لمواطنيه به ثم تساق الدبابات والطائرات لتنسف هذا البلد الأعزل نسفا، ولعل الأرواح البريئة التى صعدت إلى الله شهيدة معذبة تكون دليل الاتهام الصارخ لهذه الوحشية الطاغية، ونحن نثق أن عدالة السماء لابد أن تأتى وأن الله ـ عز وجل ـ يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢).

المحرر

---

(٢) الشعراء (٢٢٧).

افتتاحية العدد

قدّمـــوا النّـ

نحرص على تقدم الدراسات الاجتماعية، ونرى فى كثرة المؤلفات الدائرة حولها مايفيد وينفع، لأن كل دراسة جادة تعود بالخير على الإنسان، وقد ظهرت من المؤلفات الجامعية أمثلة جادة تتوخى البحث الهادف، ومن حقنا أن ندلى ببعض انطباعاتنا الخاصة حول هذه المؤلفات، ولن نتعرض لأسماء الكتب والمؤلفين، لأننا لانريد التجريح والنقد ولكن نلفت النظر إلى ناحية هامة يتجاهلها أكثر هؤلاء، وهى من الأهمية بالمكان الأول.

يتلقى الطالب الجامعى فى الدراسات الإنسانية مذكرات أساتذته فيفهمها فهماً جيداً يساعده على النجاح آخر العام، ويراها من وجهة نظره المبتدئة صواباً عين الصواب، إذ لايمكن أن يتصور أن أستاذاً كبيراً فى هيئة التدريس الجامعى يطبع كتاباً فى تخصصه ويقوم بتدريس أبوابه، ثم يكون هذا الكتاب محدود النظرة، يعرض وجهة نظر معينة دون أن يعرض مايخالفها وقد تكون الوجهة المعروضة ذات خطأ يستلزم أن تعرض الوجهة المهملة بإزائه لتكتمل جوانب الرؤية الدقيقة الشاملة ولكن الذى نقرؤه فى المذكرات الجامعية لايقدم الوجهة الصائبة فى بعض مايتناول من الدراسات، فيخرج الطالب آخر العام بمعارف ذات نقص ملموس، وقد تكون ذات تقصير فادح إذا مست جانباً خطيراً من تاريخ العقيدة الدينية دون أن تهتدى إلى الوجه الصحيح!

وقبل كل شيء يجب أن نجهر بالحق دون مهابة، فنقرر أن أكثر الذين يكتبون فى آفاق الدراسات الإنسانية من تربية واجتماع وعلم نفس وتاريخ حضارة وأخلاق، أكثر هؤلاء الأساتذة الكاتبين قد اقتصرت معلوماتهم الإسلامية على ما أخذوه فى المرحلة الثانوية وحدها، فهم لايعرفون من حقائق الإسلام غير ماألم به طالب المدرسة الثانوية فى البلاد العربية وهو مقدار لايسمح بإعطاء فكرة صادقة عن الإسلام، فإذا أضيف إلى ذلك أن أكثر هؤلاء لم يمتحنوا فى الدين فى الشهادة الثانوية، إذ تقضى بعض اللوائح فى كثير من الدول أن يقتصر الامتحان فى التربية الدينية على ما قبل الشهادة العامة فحسب، فلك أن تحكم

ـــص القـــرآنى

بأن طالب المدرسة الثانوية يذهب إلى الجامعة وهو فى معارفه الدينية لايكاد يختلف عن الشاب الذى لـم يتلق دراسة دينية ما، إذ أن هذا الشاب يعرف بحكم بيئته الإسلامية مايلزم من أمور العبادات والأخلاق على وجه عام شائع لايستند إلى تحصيل ولاينتفع بتوجيه.

هذا الطالب الذى عرف القشور السطحية عن دينه يتوجه إلى الجامعة ليدرس العلوم الإنسانية كما حذقها أساتذته الذين جعلوا كتب أوربا مرجعهم الأوحد، فإذا قضى سنواته الجامعية وتفوق فى الليسانس فقد يبعث إلى كلية أوربية، وقد يلتحق بالدراسات العليا بجامعته ثم ينال الدكتوراه فى موضوع تخصصه، وقد ألم بكلامه ونظرياته ومراجعه فى نطاق أجنبى تام لا يتصل بالإسلام فى شىء، ثم يعين بعد ذلك مدرساً فأستاذاً مساعداً؛ فأستاذاً بالجامعة، ليشرح مادته كما جاءت بها أوربا المادية دون أن يستعين برأى الإسلام فيما يشرح للطلاب المسلمين من مسائل! وهنا تكون الكارثة الطامة، إذ يتعرض صاحب هذه الدراسة مثلاً إلى نشأة الدين، فيجده فى رأى من ينقل عنهم من رجال الاجتماع وليد أساطير وخرافات فرضتها سلطات خاصة ليكون فى النهاية طقوساً وعبادات وصفحات وقوانين!

لايظن القارىء أنى أبالغ أو أتهكم، ولكنى أتحدث عن واقع ملموس مؤلم، فقد قرأت مذكرات جامعية مختلفة، بعضها خاص بتاريخ التربية، وبعضها خاص بمادة الاجتماع، وبعضها يؤرخ للقانون، هذه المذكرات المختلفة فى علوم مختلفة، تتحدث عن شىء فى تاريخ الإنسان تسميه المرحلة الدينية! وتقول فى توضيح هذه المرحلة: إن الإنسان بعد الطوفان أخذ يستعمر الأرض، وقد رأى من مظاهر الطبيعة ما أفزعه، فهو يسمع الرعد ويرى البرق ويشهد فعل النار وتدمير السيول فيعتقد بقوة جبارة تفزعه وتخيفه، وإذ ذاك يستكين ويخاف ويجعل من هذه القوة المخوّفة الراهبة آلهة، فيكون

الرعد والبرق والشمس والقمر والبحر آلهة ذات سلطان ثم تأتى شخصيات آدمية لتدعى النسبة لهذه الآلهة، فتأخذ رياسة كالتى كانت للسحرة والكهان، ويظل الحاكم يملك الناس بانتسابه للآلهة وبتخدير العقيدة الدينية (وقد انبثقت هذه العقيدة منذ فطامها من تلك العوامل النفسية و القدرية التى عاشت فى ذات الإنسان من الدهشة والخوف والتطلع صوب الأمل القريب والبعيد، إذ من ذات الإنسان تسللت أشعته الفكرية ناظرة نظرتها الأولى فى جنبات الكون المحيطة به، وسبر بفكره الثاقب أغوارها، وصنع من هذا الفكر طريقه إلى الطمأنينة وتبدد خوفه حينما ارتكز بعقيدته الوليدة على وجود ما صنعه إلهام فكره من آلهة).

ثم تنتهى المرحلة الدينية لتحل المرحلة العلمية القائمة على التجربة والاستقراء والاستنباط، وهى المشاهدة فى عصر النهضة وماتلاه، هذا الكلام يتردد فى صفحات وفصول تزدحم بالمراجع المحتشدة وكلها لأساطين فى الغرب وللمشاهير من علماء الاجتماع والتربية دون أن تجد جواره ما يوضح الفكرة الإسلامية فى هداية الناس وبعث الرسل، وأول مايدهشنا أن الحديث هنا عن مرحلة مابعد الطوفان، أى عن مرحلة بعد نوح ـ عليه السلام! فإن الطوفان إذا أطلق بمفهومه العام لاينصرف إلى غير طوفان نوح الذى تداول ذكره فى الكتب السماوية المقدسة.

وإذا وجد اليوم فيما اكتشف من الآثار مايدل على تعدد الطوفان فى أزمنة مختلفة، فذلك كله وليد اكتشافات حديثة لاتختلط بهذا الحدث التاريخى الذى سجلته التوراة وذكره القرآن، ونحن نعلم علم اليقين أن أتباع نوح ممن نجوا من الطوفان كانوا ذوى عقيدة دينية هى عقيدة التوحيد، مصداقاً لقول الله –عز وجل– فى كتابه العزيز:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾(١).

فالذين عاشوا بعد الطوفان كانوا يعرفون التوحيد، ويؤمنون بالله وحده، ولم يكونوا جميعاً يتخذون من البرق والرعد والنار والشمس آلهة، إذ أن الإنسان قد ولد مزوداً بغريزته

(١) الشورى (١٣، ١٤).

الدينية التى تهديه إلى عبادة رب واحد لاشريك له، وماحصل من انتكاس فى العبادة كان خطأ يتطلب التصحيح، لذلك توالت الأنبياء وتتابعت الرسل ليصححوا هذه الأخطاء، وإن رسالة نوح قد جاءت لتنهى عن عبادة الأصنام، ولتعيد الوحدانية ساطعة واضحة، كما أشرقت فى قلب آدم ـ عليه السلام ـ ومن تبعه من المؤمنين.

اسمع قول الله –عز وجل– على لسان نوح –عليه السلام–:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾(٢).

فمن هذا النص الكريم وأمثاله الكثيرة فى كتاب الله نعلم أن التوحيد الخالص كان ذا أنصار وأشياع قبل الطوفان وبعده، وأن القول بأن تأليه البرق والرعد والشمس كان مظهراً عاماً للحياة الدنيا فى سيرها بعد الطوفان، وخطوة فى طريق القول بإله واحد. هذا القول مخالف للفكرة الإسلامية التى تؤكد أن الإنسان قد فطر على التوحيد الخالص، وأن ما ارتكست فيه الإنسانية من شرك كان خطأ فاحشاً استوجب بعثة الرسل فى آماد مختلفة لتؤدى رسالة السماء نقية خالصة! حتى جاء محمد ﷺ فاكتملت على يديه الرسالة الصحيحة وأعاد الحنيفية السمحة كما نطق بها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع من سبقه من المرسلين، وبرسالة محمد وضعت أتم الشرائع الإصلاحية، وأقيمت المعاملات الإنسانية على نهج خلقى قويم!

نقول ذلك ونؤكده لأن أكثر أصحاب المذكرات الجامعية يتحدثون عن الأخلاق الفاضلة وعن قوانين المعاملات ووسائل الارتباطات الإنسانية كأشياء منفصلة عن الدين، ولئن صح ذلك لدى بعض الأديان المعاصرة فإن الإسلام منبع الأخلاق ومصدرها لدى المسلمين، وليس الخلق الإسلامى اصطلاحاً اجتماعياً يتغير فى زمن، ويرجع إلى صورته الأولى فى زمن آخر،

---

(٢) نوح (١٠: ٢٥).

كما يتوهم الذين يظنون أن أساليب الحضارة ترتفع ببعض الأخلاق وتنحدر ببعضها الآخر وفق الظروف والملابسات، لأن الأخلاق فى الإسلام دوائر عامة تشمل الجزئيات، هذه الدوائر تتسع للفضائل وتضيق عن الرذائل، معتمدة على التكوين النقى للإنسان ومقدرة تغيير الأحوال وتبدل الظروف، فهى تتسع وتشمل حتى تحتضن كل خير ومعروف، كما تقف موقفها الصارم من دعوات التحلل والانحدار، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

لقد كان على الأساتذة الذين يشرحون ويكتبون ويناقشون، أن يعرفوا أن أكثرية تلاميذهم مسلمون، وأن أمانة دينهم تلزمهم أن يعرضوا رأى الإسلام فى كل ما يدرسون، ونحن نعرف أن الدراسات الإنسانية بعيدة الجذور فى حقل التأليف العلمى، فهناك من علماء الشرق من أسهموا بنصيبهم الكبير فى هذه الدراسات، فلماذا نغفل كتبهم الذائعة ونرتكز كل الارتكاز على ما قيل فى أوساط بعضها يناوىء الإسلام علانية، وبعضها الآخر يناوئه فى استتار، وقل أن تجد من يحايده، وأقل من القليل من يسلك مسلك الإنصاف! وقد رأيت أحد هؤلاء يضع فى مذكراته تحت العنوان مباشرة فى مطلع فصل من الفصول قول برجسون: (إن الدين كما يبدو ليس أساساً للأخلاق، ولكنه عون لها، إذ من الممكن تصوّر أخلاق بغير دين).

ثم أخذ الكاتب يبنى فصله الطويل على هذا القول، دون أن يخالفه فى شىء، ولسنا بصدد مكانة الفيلسوف الكبير (هنرن برجسون) ولكننا لانستطيع أن نتصور أخلاقاً تعيش بغير دين كما يتصور، لأن الدين هو الذى يجعل المعيار الأخلاقى ثابتاً لاتميل به العواطف والأهواء ولاتجترئ الأقلام المغرضة على تفسيره تفسيراً ينحرف به من النقيض إلى النقيض كما رأينا لدى من يزيفون النصوص الواضحة تزييفاً ماهراً دقيقاً لينطقوها بغير ما جاءت به، ولو كان لديهم دين حى قوى لوقف أمامهم حائلا دون التمويه الخادع، والتأويل المتعسف، وهم فى قرارة أنفسهم يعرفون أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ثم يظهرون تمسكهم بالنصوص.

ونحن بعد ذلك ندعو أصحاب الدراسات الإنسانية فى كل مجال من مجالاتها المتعددة أن يدرسوا الإسلام فى كتبه الصحيحة ثم يعرضوا رأيه جوار مايعرضون من الآراء، كما يجب أن يكون حكم القرآن واضحاً بارزاً أمام المسلمين من الطلاب، إذ أنه كتابهم الذى لايأتيه الباطل، ولابد أن يردوا مورده الصحيح.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى – :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

سورة البقرة : ٢٣٣

والمراد بالوالدات الأمهات سواء أكن فى عصمة أزواجهن أم مطلقات لأن اللفظ عام فى الكل ولا يوجد ما يقتضى تخصيصه بنوع من الأمهات. ويرى بعض المفسرين أن المراد بالوالدات هنا خصوص المطلقات لأن سياق الآيات قبل ذلك فى أحكام الطلاق، ولأن المطلقة عرضة لإهمال العناية بالولد ونرك إرضاعه.

وحولين أى عامين. وأصل الحول – كما يقول الراغب – تغير الشىء وانفصاله عن غيره.

والحول : السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس فى مطالعها ومغاربها قال – تعالى – :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

ومنه حالت السنة تحول وحالت الدار تغيرت، وأحال فلان بمكان كذا أى أقام به حولا(١).

وعبر عن الأمهات بالوالدات، للإشارة إلى أنهن اللائى ولدن أولادهن، وأنهن الوعاء الذى خرجوا منه إلى الحياة، ومنهن يكون الغذاء الطبيعى المناسب لهذا المولود الذى جاء عن طريقهن.

وقوله: ﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ جملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى، إذ التقدير ليرضعن. أى: عليهن إرضاع أولادهن.

وعبر عن الطلب بصفة الخبر، للإشعار بأن إرضاع الأم لطفلها عمل توجبه الفطرة وتنادى به طبيعة الأمومة.

قال الجمل: وهذا الأمر للندب وللوجوب، فهو يكون للندب عند استجماع شروط ثلاثة، قدرة الأب على استئجار المرضع، ووجود من يرضعه غير الأم، وقبول الولد للبن الغير. ويكون للوجوب عند فقد أحد هذه الشروط(٢).

وليس التحديد بالحولين للوجوب، لأنه يجوز الفطام قبل ذلك، بدليل قوله:

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ وإنما المقصود بهذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا فى مدة الرضاع، فإذا اتفق الأب والأم على أن يفطما ولدهما قبل تمام الحولين، كان لهما ذلك إذا لم يتضرر الولد بهذا الفطام، وإن أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم أو العكس، لم يكن لأحدهما ذلك قال القرطبى ماملخصه: وقد انتزع مالك - رحمه الله - ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هى ماكان فى الحولين، لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة، ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة.. لقوله - تعالى - :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

فهذا يدل على ألا حكم لما ارتضع المولود بعد الحولين. وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لارضاع إلا ما كان فى الحولين» وهذا الخبر مع الآية ينفى رضاعة الكبير وأنه لاحرمة له. وقد روى عن عائشة القول به، وروى عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يرى رضاع الكبير، وروى عنه الرجوع عنه وسيأتى تحقيق هذه المسألة فى سورة النساء(٣).

وفى وصف الحولين بكاملين، تأكيد لرفع توهم أن يكون المراد حولا وبعض الثانى، لأن إطلاق التثنية والجمع فى الأزمان والأسنان على بعض المدلول إطلاق شائع عند العرب فيقولون: هو ابن سنتين، ويريدون سنة وبعض الثانية.

وفى هذه الجملة الكريمة:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ .

بيان لمظهر من مظاهر رعاية الله - تعالى- للإنسان منذ ولادته، بل منذ تكوينه فى بطن أمه

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص ١٣٧.
(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ١٨٨.
(٣) تفسير القرطبى جـ ٣ ص ١٦٢.

جنينا، فقد أمر -سبحانه- الأمهات أن يقمن بإرضاع أولادهن فى تلك المدة، لأن لبن الأم هو أفضل غذاء لطفلها فى هذه الفترة، وأسلم وسيلة لضمان صحته ونموه، ولصيانته من الأمراض النفسية والعقلية، فقد أثبت الأطباء الثقاة أن الطفل كثيرا ما يصاب بأمراض جسمية ونفسية وعقلية نتيجة رضاعته من غير أمه، كما أثبتوا أن عناية الأم بطفلها فى هذه الفترة عن طريق إرضاعه ورعايته، تؤدى إلى تحسن أحواله.

وقوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم. أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، فإذا أراد الأبوان أن ينقصا مدة الرضاع عن الحولين كان لهما ذلك. فالجملة الكريمة خبر لمبتدأ محذوف أى هذا الحكم لمن أراد أن يتم مدة الرضاعة.

وقوله:

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

بيان لما يجب على الآباء أى: وعلى الآباء أن يقدموا إلى الوالدات ما يلزمهن من نفقة وكسوة بالمعروف أى بالطريقة التى تعارف عليها العقلاء بدون إسراف أو تقتير.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت لم قيل:

﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ دون الوالد؟ قلت: ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم، لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات، كما قال المأمون بن الرشيد:

فإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله - تعالى - :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٤).

وقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تعليل لإيجاب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف ولهذا فصلت هذه الجملة عن سابقتها، وقوله:

﴿وُسْعَهَا﴾ منصوب على أنه مفعول ثان لتكلف، والاستثناء قبله مفرغ أى أن أبا الولد لا يكلف فى الإنفاق عليه وعلى أمه إلا بالقدر الذى تتسع له مقدرته بدون إرهاق أو مشقة.

وتلك هى سنة الإسلام فى جميع تكاليفه، فالله - تعالى - ماكلف عباده إلا بما يستطيعونه ويطيقونه بدون عسر أو عنت قال - تعالى - :

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٥).

وقال - تعالى - :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

وقوله:

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾.

تعليل للأحكام السابقة الموزعة بين الأب والأم، والتى أساسها رعاية حق هذا الوليد الذى أتى عن طريقهما.

والمضارة مفاعلة من الضرر، والمعنى: لاينبغى أن

(٤) لقمان (٣٣)، تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٧٩.

(٥) البقرة (٢٨٦).

يقع ضرر على الأم بسبب ولدها، بأن يستغل الأب حنوها على وليدها فيمنعها شيئا من نفقتها، أو يأخذ منها طفلها وهى تريد إرضاعه، أو يكلفها بما ليس فى مقدورها أو ما يخالف وظيفتها، ولا ينبغى كذلك أن يقع ضرر على الأب بسبب ولده، بأن تكلفه الأم بما لا تتسع قدرته مستغلة محبته لولده وعنايته بتنشئته تنشئة حسنة.

قال الجمل: و ﴿لَا﴾ فى قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ يحتمل أن تكون نافية فيكون الفعل مرفوعاً، ويحتمل أن تكون ناهية فيكون الفعل مجزوماً، وقد قرئ بهما فى السبع، وعلى كل يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للفاعل وللمفعول(٦).

والمعنى على الاحتمالين وهو أنه لا يجوز أن يضر كل واحد منهما صاحبه أو يضر من صاحبه بسبب حنوه على ولده واهتمامه بشأنه.

وأضاف الولد إلى كل منهما فى الموضعين للاستعطاف، وللتنبيه على أن هذا الولد الذى رزقهما الله إياه جدير بأن يتفقا على رعايته وحمايته من كل ما يؤذيه، ولا يجوز مطلقاً أن يكون مصدر قلق لأى واحد منهما.

وقدمت الأم فى الجملة الكريمة، لأن الشأن فيها أن يكون حنوها أشد، وعاطفتها أرق، ولأن مظنة إنزال العنف والأذى بها أقرب لضعفها عن الأب.

فالجملة الكريمة توجيه سديد، وإرشاد حكيم، للآباء والأمهات إلى أن يقوم كل فريق منهم بواجبه نحو صاحبه ونحو الأولاد الذين هم ثمار لهم.

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾.. إلخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض.

أى: وعلى وارث الأب أو وارث الصبى- أى من سيرثه بعد موته- عليه مثل ما على الأب من النفقة وترك الإضرار فهذه الجملة الكريمة سيقت لبيان من تجب عليه نفقة الصبى إذا فقد أباه، أو كان أبوه موجوداً ولكنه عاجز عن الإنفاق عليه.

قال الآلوسى ما ملخصه: والمراد بالوارث وارث الولد فإنه يجب عليه مثل ما وجب على الأب من الرزق والكسوة بالمعروف إن لم يكن للولد مال وهو التفسير المأثور عن عمر وابن عباس وقتاده.. وخلق كثير وخص الإمام أبو حنيفة هذا الوارث بمن كان ذا رحم محرم من الصبى... وقال الشافعى المراد وارث الأب- يجب عليه عند موت الأب كل ما كان واجباً على الأب- وقيل المراد بالوارث الباقى من الأبوين، وقد جاء الوارث بمعنى الباقى كما فى قوله ﷺ: «اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى»(٧) وعلى أية حال فالجملة الكريمة تغرس معانى الإخاء والتراحم والتكافل بين أبناء الأسرة الواحدة، فالقادر ينفق على العاجز، والغنى يمد الفقير بحاجته، وبذلك تسعد الأسرة، وتسودها روح المحبة والمودة.

وقوله:

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ١٨٩.

(٧) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ١٤٧.

معطوف على قوله:

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ لأنه متفرع عنه والضمير في قوله: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾ يعود على الوالدين.

قال القرطبي: والفصال والفصل: الفطام وأصله التفريق، فهو تفريق بين الصبي والثدي. ومنه سمي الفصيل- لولد الضأن- لأنه مفصول عن أمه والتشاور: استخراج الرأي- بما فيه المصلحة- وكذلك المشاورة من الشور وهو اجتناء العسل، يقال شرت العسل- إذا استخرجته من مواضعه- والشوار: متاع البيت لأنه يظهر للناظر والشارة هيئة الرجل والإشارة: إخراج ما في نفسك وإظهاره(٨).

والمعنى: فإن أراد الأبوان فطاماً لولدهما قبل الحولين، وكانت هذه الإرادة عن تراض منهما وتشاور في شأن الصبي وتفحص لأحواله، ورأيا أن هذا الفطام قبل بلوغه الحولين لن يضره فلا إثم عليهما في ذلك.

وقال بعضهم: وأيضاً لا إثم عليهما إذا فطماه بعد الحولين متى رأيا المصلحة في ذلك، وقد قيد- سبحانه- هذا الفطام للصبي بكونه عن تراض من الأبوين وتشاور منهما، رعاية لمصلحة هذا الصبي، لأن رضا أحدهما فقط قد يضره، بأن تمل الأم الإرضاع أو يبخل الأب بالإنفاق ولأن إقدام أحدهما على الفطام بدون التشاور مع صاحبه قد يؤثر في صحة الصبي تأثيراً سيئاً لذا أوجب- سبحانه- التراضي والتشاور فيما بينهما من أجل مصلحة صبيهما.

ثم قال- تعالى-:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

أي: وإن أردتم- أيها الآباء- أن تسترضعوا مراضع لأولادكم، ورضي الأمهات بذلك، فلا إثم عليكم فيما تفعلون ما دمتم تقصدون مصلحة أولادكم، وعليكم أن تسلموا هؤلاء المراضع أجرهن بالطريقة التي يقرها الشرع، وتستحسنها العقول السليمة، والأخلاق القويمة.

واسترضع- كما يقول الزمخشري- منقول من أرضع. يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي فهي متعدية إلى مفعولين، والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.

وقوله: ﴿ مَّآ ءَاتَيْتُم ﴾ حذف مفعولاه أي آتيتموهن إياه و ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بسلمتم أي بالقول الجميل، وبالوجه المتعارف المستحسن شرعاً ويجوز أن يتعلق بآتيتم وأن يكون حالا من فاعل سلمتم أو آتيتم والعامل فيه محذوف أي متلبسين بالمعروف.

ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

أي: اتقوا الله في كل شئونكم والتزموا ما بينه لكم من أحكام، واعلموا أن الله- تعالى- لا تخفى عليه أعمالكم، فهو محصيها عليكم، وسيجزي المحسن إحساناً والمسيء سوءاً.

(٨) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ١٧٢.

السُّنة

السَّلَم

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيرى (*) / إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قدم النبى ﷺ المدينة، وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين، فقال: «من أسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم، الى أجل معلوم».

رواه الخمسة

يتعلق بشرح هذا الحديث مباحث :

(١) بيان معنى السلم وهل هو مرادف للسلف؟

(٢) بيان شروط السلم .

(٣) حكمة إباحة هذا النوع من المعاملة مع أنه قد يضر المحتاجين أكثر مما يضرهم الربا .

(٤) هل السلم موافق للقياس أو هو على خلاف القياس؟

(١) السلف والسلم: بمعنى واحد فى اللغة، فقد عبر النبى ﷺ عن السلم بالسلف فى الحديث الذى معنا، فقال : «من أسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم الخ». على أن السلف قد يطلق على القرض بدون منفعة . فإذا أسلف شخص آخر عشرين جنيها مثلا الى أجل بدون أن يأخذ منه سلعة ينتفع بها، فإنه يقال لذلك : سلف، ولا يقال له سلم. وظاهر أن المراد بالسلف فى الحديث إنما هو السلم، لأنه قال : «من أراد أن يسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم». وهذا بيان لشروط البدل الآتى بيانها . وقد عرفت أن القرض لا بدل له وإنما يرد المقترض رأس المال بدون زيادة .

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

أما معنى السلم فى اصطلاح الفقهاء : فهو عقد على شئ اجتمعت فيه ثلاثة أمور :

(أحدهما) أن يكون ذلك الشئ من الأشياء التى يصح بيعها، فلا يجوز السلم فى الخمر والخنزير ونحوهما.

(ثانيها) أن يكون ذلك الشئ وهو المبيع موصوفا بما يرفع عنه الجهالة التى تؤدى إلى النزاع.

(ثالثها) أن يكون ذلك المبيع مؤجلا. فها هنا أربعة أمور : أحدها : المشترى الذى يملك النقدين من ذهب أوفضة ونحوهما، ويسمى هذا (مسلِما) أو مسلفا أو رب السلم. ثانيها : بائع السلعة المؤجلة، ويقال له مسلم إليه. ثالثها : السلعة المبيعة كالسمن والزبد والقمح، ويقال له مسلَم فيه. رابعها : الثمن الذى يدفعه المسلِم، ويقال له رأس مال السلم.

وبهذا يتضح لك أن السلم هو عقد بيع لابد فيه من بائع، ومشتر، وسلعة تباع، وثمن لهذه السلعة، إلا أنه يفارق البيع فى أن السلعة فى البيع تكون حاضرة بخلاف السلم، فإن السلعة فيه تكون مؤجلة بحيث لو لم تكن السلعة مؤجلة فإنه لا يسمى سلما بل يكون بيعا إذا استكمل شرائط البيع. وقد خالف فى ذلك الشافعية وقالوا : لا يشترط فى المسلم فيه (المبيع) أن يكون مؤجلا بل يصح أن يكون حالا. فالمدار عندهم فى تحقيق السلم هو أن يبيع شخص لآخر سلعة موصوفة وصفا يرفع عنها الجهالة بلفظ سلم، كان يقول له : أسلمت إليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الصفراء أو الشامى أو نحو ذلك على أن أقبضها فى زمن. كذا. فإذا كان المبيع حاضرا وقال له : أسلمت إليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الحاضرة، فإنه ينعقد سلما عندهم. ولا بد من أن تشتمل الصيغة على لفظ السلم عند الشافعية على المعتمد، بخلاف غيرهم من الأئمة فإنهم يشترطون تأجيل المسلم فيه (المبيع)، ولايشترطون أن تكون الصيغة بلفظ السلم، بل تصح بلفظ البيع والشراء وغير ذلك من الألفاظ التى ينعقد بها البيع. أما الذين اشترطوا تأجيل السلعة فقد اختلفوا فى أقل الأجل، فقال المالكية : أقل الأجل أن يزيد على خمسة عشر يوما ولو بلحظات. وقال الحنابلة والحنفية : إن أقل الأجل فى السلم هو شهر كامل.

هذا والسلم معروف عند العامة (بالتسليف) على القطن أو القمح أو المسلى أو غير ذلك من السلع، بمعنى أن صاحب السلعة يبيعها بثمن معين ويأخذ ثمنها على أن يسلمها فى وقت معين. وهذا غير السلف المعروف فى المصارف المالية، فإنه من باب رهن العين، وهو جائز إذا لم يكن فيه فوائد ربوية. فالفرق بين السلم والسلف المعروف فى المصارف أن السلم لا يلزم أن تكون العين موجودة عند بيعها، ويلزم أن يقبض البائع ثمنها حالا. أما السلف المعروف فى المصارف فإن العين تكون موجودة وتودع فى مخزن

البنك ويسلف عليها ما يتفقان عليه، وهذا هو الرهن.

(٢) أما شروط السلم فهى شروط البيع مع زيادة يسيرة اقتضاها تأجيل المبيع، وهى ضبط المبيع ضبطا تاما يرفع النزاع عند تسليم السلعة. فمن الشروط المشتركة بين البيع والسلم أن يكون العقد واقعا بين عاقلين، فإذا وقع من مجنون أو صغير غير مميز فإنه لا ينعقد رأسا. أما الصبى المميز الذى يعرف معنى البيع والشراء وما يترتب عليهما من فوائد ومضار، فإن بيعه أو سلمه ينعقد موقوفا على إجازة الولى أو الوصى، فإذا أقره فإنه ينفذ وإلا فلا. ولم يخالف فى ذلك إلا الشافعية، فإنهم قالوا : إن البيع لا ينعقد إلا إذا وقع من بالغ، أما الصبى فإن بيعه لا ينعقد ولو كان مميزا، ومثله الأعمى ولو كان بالغا عاقلا، لأنه يكون عرضة للغبن لسبب عدم رؤية السلعة. وظاهر أن السلم مثل البيع فى ذلك بلا فرق.

ومنها : أن يكون العاقد مختارا، فلا ينعقد بيع المكره ولا شراؤه.

ومنها : أن يكون المبيع أو المسلم فيه طاهرا، فلا يصح أن يكون النجس بحسب ذاته كالخنزير أو الذى عرضت له نجاسة يتعذر إزالتها، مبيعا ولا ثمنا. ولا يخفى أن هذا من محاسن الشريعة، لأن قواعدها دائما تشتمل على ما فيه مصلحة النوع الإنسانى، فإن قواعدها تشتمل على تحريم ما يضر الإنسان فى بدنه أو فى كرامته وخلقه، ولم تحظر على الناس إلا الخبائث الضارة القذرة، فأباحت لهم الطيبات وحرمت عليهم الخبائث. وعلى هذا يكون تحريم بيع النجس وشرائه إنما هو لفائدة المجتمع. على أن بعض المجتهدين الذين أدركوا أغراض الشريعة الإسلامية وعرفوا ما تقصده من فائدة الناس، أباحوا بيع الأشياء النجسة التى يمكن الانتفاع بها فى غير الأكل، وفى غير الأماكن التى ينبغى أن تكون دائما نظيفة، بشرط أن لا يترتب على استعمالها ضرر أو أذى. ومنها الدهن المتنجس، والعذرة المخلوطة بالتراب (السباخ) و (الزبل) النجس الذى ينتفع به، فإن كل ذلك يصح بيعه وشراؤه عند الحنفية. إنما الذى لا يصح بيعه بالإجماع، وهو : الميتة، والخنزير، والخمر، والدم. على أن الأئمة قالوا : إذا كانت هذه الأشياء مملوكة لشخص غير مسلم ويبيحها له دينه فإن له أن يبيعها لأهل ذلك الدين خاصة، بحيث لو باعها لمسلم فإن بيعه يكون باطلا.

ومنها : أن يكون المبيع (أو المسلم فيه) مقدورا على تسليمه، فلو باع شخص لآخر سلعة لا يقدر على تسليمها فإن بيعه لا ينعقد، وعليه أن يرد ثمنها إذا كان قد قبضه. ولا يشترط فى السلم أن يكون المبيع مملوكا عند قبض الثمن، بل يجوز أن يبيع عينا سيملكها فيما بعد، بشرط أن يكون قادرا على أن يملكها فى الوقت المحدد لدفعها، كالقطن والذرة، والقمح، والسمن، والعسل ونحو ذلك من الاشياء التى توجد فى أزمنة معينة من السنة. ولهذا قيل : إن السلم على خلاف القياس كما سنبينه بعد.

وذلك لأنه يشترط فى المبيع أن يكون مملوكاً للبائع وقت البيع، فإذا لم يكن مملوكاً فإن البيع لا يصح، والسلم ليس كذلك، فإن المبيع فيه مؤجل غير مملوك للبائع وقت العقد. فمقتضى هذا الشرط أنه لا يصح، ولكن الشارع قال : إنه صحيح.

ومنها : أن يكون المبيع معلوما والثمن معلوما علما يرفع النزاع بين المتعاقدين، فإذا باع شخص لآخر حيوانا أو غلة أو فاكهة أو غير ذلك بدون أن يبينها بيانا وافيا، أو يراها المشترى بنفسه أو بمن يثق به، فإن البيع يقع باطلا، لأنه اشترى شيئا مجهولا قد يفضى إلى النزاع والخصام. ومن ذلك ما إذا قال شخص لآخر : اشتر ناقتى بالثمن الذى يحكم به فلان، أو اشتر شاة من قطيع الغنم التى أملكها.

ومنها : أن لا يكون العقد مؤقتا كأن يقول له : بعتك هذا البعير بكذا لمدة سنة، فإن هذا البيع يكون باطلا. ومنها غير ذلك من الشروط التى ذكرناها موضحة فى الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

وحاصل ما ذكر فى باب السلم من الشروط التى لم تذكر قبل : هى بيان جنس المسلم فيه (المبيع)، وبيان رأس المال، وبيان نوع المبيع، وبيان صفته وقدره، بالكيل فى الأشياء التى تباع كيلا، والوزن فيما يباع بالوزن، والعد فيما يباع بالعد. مثال ذلك أن يقول شخص لآخر : أسلمت إليك جنيهين مصريين فى أردب من القمح البعلى أو المسقى الجيد أو المتوسط على أن أستلمه فى وقت كذا. فهذا هو عقد السلم فى أردب من القمح، لأنه قد اشتمل على بيان جنس المبيع، وهو القمح، وقدره وهو أردب، ونوعه وهو كونه بعليا أو مسقيا، ووصفه وهو كونه رديئا أو جيدا أو متوسطا، وبيان رأس المال وهو الجنيهان إلخ. على أن الشافعية لا يشترطون ذكر الوصف بل يقولون : المدار فى ذلك على ضبط المبيع بأى عبارة كانت. وعلى هذا القياس فيما يباع بالعد أو الوزن كالبطيخ والعجوة ونحوهما.

ويشترط أن يكون رأس المال وهو الثمن حالا، فلا يجوز تأجيله باتفاق المذاهب، وإن اختلفت آراؤهم فى بعض أمور لا يترتب عليها كبير فائدة فى موضوع القبض. فالحنفية يقولون : يشترط أن يكون رأس مال السلم وهوالثمن مقبوضا فى مجلس التعاقد، سواء كان ذهبا أو فضة، أو كان سلعة معينة أوغير ذلك من العملة. والمالكية يقولون : إذا تأخر قبض الثمن عن المجلس، فإن كان ذلك بشرط، بطل العقد، وإن لم يكن بشرط فبعضهم يقول بجوازه وبعضهم يقول ببطلانه. وعلى كل حال فلا يصح السلم إلا إذا قبض البائع الثمن فى مجلس العقد عند جمهو الأئمة.

ويشترط أيضا أن يكون الصنف المبيع فى السلم موجودا فى الأسواق، بمعنى أن يكون كثير التداول كالحبوب والفواكه والزبد والسمن والقماش المعتاد ونحو ذلك، فإن لم يكن كثير الوجود كالجواهر النفيسة التى لا وجود لها فى الأسواق فإنه لا يصح شراؤها سلما، لأن المشترى قد يدفع ثمنها والبائع قد

لا يستطيع الحصول عليها، فيقع بينهما النزاع والشريعة الإسلامية دائما تحث الناس على المودة والإخاء، والتمسك بكل ما يزيد الروابط، ويقوى وسائل التعاون والتناصر.

هذا ويصح السلم فى كل شئ يباع بالكيل أو الوزن أو العد، أو يباع بالذراع كالقماش والبسط والحصر. أما الحيوان فإنه يصح السلم فيه عند الأئمة الثلاثة ما عدا الحنفية فإنهم يقولون : لا يصح السلم فى الحيوان مطلقا، فإذا باع شخص لاخر خروفا صفته كذا ونوعه كذا وسنه كذا بثمن يقبضه حالا على أن يدفع الخروف بعد ذلك بشهرين مثلا عند حلول عيد الأضحى، فإنه جائز عند الأئمة الثلاثة خلافا للحنفة. على أن الحنفية يقولون بصحة السلم فى السمك استثناء من الحيوان، ثم إن كان النسمك طريا وكان لا ينقطع عادة كسمك نهر النيل ونحوه فإنه يصح السلم فيه فى كل الأوقات، وإن كان ينقطع فى بعض الأزمنة كالسمك الموجود فى البحيرات التى يمنع منها الصيد فى أوقات معينة فإنه لا يصح تعيين مدة القبض فى هذه المدة. ومثله السمك الجاف المملح (البكلاه). ولا من التعيين بالوزن أو العد، وتعين الصنف بما هو متعارف بين الناس.

(٣) أما حكمة تشريع السلم وإباحته فهى ظاهرة، لأن الناس قد يحتاجون الى المال الذى يستعينون به على العمل فى مزارعهم وتربية ما يملكونه من حيوانات أو نحو ذلك فلا يجدونه، فيقف دولاب عملهم، وتتعطل مزارعهم، ويحرمون من نتائجها ونتائج حيواناتهم، وفى ذلك ضرر شديد يلحق الناس، والشريعة الاسلامية إنما هى شريعة رحمة وعطف، فليس من أغراضها سد باب العمل فى وجوه الناس، وليس من عاداتها أن تغلق الأبواب فى وجوه المحتاجين فتمنعهم من قضاء حاجاتهم بحجة أن ذلك يتنافى مع قواعدها العامة، بل هى فى الواقع لم تشرع شيئا إلا وهو مطابق لمصلحة المجتمع الإنسانى، وموافق لما تقره الفطرة السليمة والعقول الصحيحة. فإنها ما حرمت الربا إلا خوفا على المحتاجين من قسوة المرابين ومطامعهم التى قد خربت بيوتا عامرة، فضلا عما فى الربا من قسوة تنافى الرحمة الإنسانية التى أودعها الله ـ تعالى ـ فى قلب الإنسان من حيث هو إنسان كامل، وهى بذلك لم تسد باب المعاملة التى فيها ربح مشروع، بشرط أن لا يترتب على ذلك غبن فاحش أو إرهاق للمحتاجين. والسلم هو بيع وشراء، غاية ما هناك أن السلعة المبيعة لا تكون موجودة وقت البيع، فهى مؤجلة كتأجيل الثمن وتعجيل السلعة، فإذا باع شخص مثلا لآخر ثوبا من القماش بجنيه وأجل قبض الجنيه شهرين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل، فإنه جائز بلا خلاف. والسلم هو عكس ذلك، فإنه كما عرفت دفع الثمن وتأجيل الثوب، فإذا اشترى ثوبا بجنيه وأعطى التاجر الجنيه على أن يحضر له الثوب بعد شهر مثلا، فإنه جائز متى كان الثوب معينا. فأى فرق بين الحالتين؟

قد يقول بعض الناس : إن السلم بالصورة المتبعة فى البلاد الإسلامية قد يكون أشد

ضررا وأعظم أذى للفقراء الذين يضطرون إلى المال الذى يسد حاجاتهم الضرورية، فيذهبون إلى أرباب الأموال ويبيعونهم السلعة التى تساوى عشرة بخمسة، وذلك شر من الربا، فإن فوائده لا تصل إلى العشر.

والجواب على ذلك : هو أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الربا لما فيه من أخذ مال بدون عوض، وحرمت كل ما يترتب عليه ضرر وإجحاف بالأفراد أو الجماعات، فهذا النوع من المعاملة، وهو السلم، إذا تحقق فيه ضرر أحد المتعاقدين حال التعاقد، فإنه يكون حراما مثل الربا بلا فرق. أما إذا كان التعامل به كالتعامل بغيره يحتمل أن ينتفع به البائع والمشترى، بصرف النظر عن العوارض الأخرى التى قد يترتب عليها خسارة أحد الفريقين، فإنه يكون جائزاً بلا كلام : مثلا : إذا اشترى شخص من آخر قنطار من السمن بسعر الرطل ثلاثة قروش على أن يستلمه منه فى وقت يساوى الرطل فيه أربعة قروش أو نحوها، فإن ذلك يكون بيعا مقبولا، فإن البائع قد استلم الثمن وعمل فيه بما يسد حاجته، وبما قد ينمى محصوله، فيتضاعف بذلك ربحه، والمشترى قد ربح ربحا معقولا ينتفع به أيضا، فتتبادل المنفعة بين الناس كتبادل السلع المبيعة بلافرق. إذا استغل المشترى حاجة البائع المضطر فاشترى منه الرطل بقرشين أو أقل فإنه يكون قد غبنه غبنا فاحشا يترتب عليه من الآثام ما يترتب على الربا بدون فرق.

(٤) ومن هذا تعلم أن السلم إنما وافقت الشريعة الاسلامية عليه لما فيه من تبادل المنافع بين الناس كالبيع بلافرق ما، إلا أن البيع قد يكون الثمن فيه حالا ومؤجلا، والسلم يجب أن يكون الثمن فيه حالا والسلعة مؤجلة. وقد عرفت أن بعض الأئمة يقول : إن السلعة فى السلم لا يجب تأجيلها، وعلى كل حال فمن قال: إن السلم على خلاف القياس، فقد فهم أنه داخل تحت قوله ﷺ : «لا تبع ماليس عندك» والسلعة التى لا يملكها الشخص الآن قد لا يقدر على ملكها عند حلول الأجل، فلهذا كان السلم على خلاف القياس. ولكن قد يجاب عن ذلك بأن السلم يشترط فيه أن يكون المبيع موصوفا معينا مقدورا على تسليمه غالباً، فلا يجوز السلم فى غير ذلك، فإذا وجد عارض يمنع من القدرة على تسليمه فذلك لا ينافى صحته، كالبيع بثمن مؤجل إلى أجل معلوم فإنه قد يعرض للشخص مانع يمنعه من الدفع عند حلول الأجل. فهل هذا الفرض يبطل البيع أو يحرمه؟ كلا، فإذا كان الشخص على ثقة من قدرته على تسليم العين عند الأجل المحدود، لم يكن فرق بين تأجيل الثمن وتأجيل العين المشتراة، فلم يدخل السلم تحت هذا الحديث، لأن المراد به النهى عن بيع ما ليس مقدورا للإنسان : كأن يبيع جوهرة نفيسة غير موجودة فى الأسواق أو نحو ذلك. وهذا المعنى لازم لأن الأحاديث التى وردت فى إباحة السلم صحيحة متفق عليها. وحديث : «لاتبع ما ليس عندك» يمكن حمله عليها بدون حاجة إلى استثناء. ومما لاريب فيه أن تأويله على هذا الوجه ظاهر لا تعسف فيه.

مـــات المعتصم

لفضيلة الأستاذ الشيخ / الطاهر الحامدى

يتيمة أمة العرب
مات أبوها المعتصم
ومات صلاح الدين أخوها
ماعادت تملك غير الحزن
على الرجلين
وكلا الرجلين
خلف تيجانًا مرتعشة
وسيوفًا بتراء
ماعادت تقطع
وكلا الرجلين
خلف ألسنة أطول من نعل متهالك
وعقولا لا تعرف معنى الجد
لاتعرف غير الهزل
وبيانات ممجوجة
كالعلك الماسخ
لايدرك أمة .. تصرخ ياويلى
من عهر الصهيونازى الفاجر
فكرامة أمة خلف القضبان حبيسة
لاتجد صلاح الدين
ولا المعتصم يغيث

●●●

عشعش حب الدنيا فى قلب الفارس
ماعاد يقاتل أو يصلح لقتال
لكن أصبح صرافا ماهر
يجمع دينارات وجنيهات
يحصيها ويكدسها
أرصدة فى كل بنوك الدنيا
يودع فيها
إلا بنكا فى بلد عربى
يحمل اسما عربيا
أفرخ حب الدنيا فى قلب الفارس
جبنا وكراهية للموت
تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

●●●

أصبحنا كغثاء السيل
تسيرنا الأمواج
حيث تسير

لامن قلة

بل نحن كثير

لكن لانملك من أمر الدنيا شيئًا ؟؟

لاعلما حصلنا

ولامبدأ يعرفه الناس لنا

لاهدفا يسعى الشعب إليه

أو عملا نتقنه فى دنيا الناس

لانزرع قمحا

لا نملك قوتا

نتسول خبز الأطفال

ونجوع إذا منعت أمريكا الرفد

هل يعقل أن نملك رأيا

إن كنا لانملك قوت اليوم

من لايزرع لا يحصد

ومن لايحصد لايأكل

ولا رأى لجائع

فالجائع لايرهبه الناس

أصبحنا كغثاء السيل

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

●●●

هل يمكن أن نذكر غاندى

فنقاطع كل بضائع أمريكا

ونقول جبان من يأكل كنتاكى

جبان من يأكل همبورجر...

جبان من يشرب كوكا

أو بيبسى.. جبان

جبان من يعمل فى ضخ البترول

فترسله أمريكا نارا يحرق

أبناء فلسطين

●●●

هاقد أصبحت الأمة

قصعة لحم وثريد

تتناوشها كل ذئاب الدنيا

فالفارس ماعاد يدافع

عن عرض يهتك

أو طفل يقتل

أو شيخ يغتال

بعنا الدين بدنيا ذائلة وسراب

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

يقول المصطفى ﷺ :

«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[1]

(١) سنن أبى داود (٤/٤٨٣) ومسند أحمد (٥/٢٧٩) بألفاظ متقاربة.

حديث كلماته تنضح بالألم وتفيض بالحسرة.
لكن ماعادت للأمة آذان تسمع.
أو عمل يجدى أو ينفع
أو عقل يستوعب حجم الكارثة
أو ضوء يقين
يهديها فى ظلمات الشك
أين تسير؟
وكيف تسير

●●●

نزين بالقرآن وبالسنة
خطبا جوفاء
وبيانات الشجب المعتادة
وبعد هدوء العاصفة نعربد
وننصب أقواس النصر الخداعة
وننسى الله
وننسى السنة والقرآن
ويحذرنا أكرم رسل الله محمد ﷺ
فيقول:
«لاتجعلونى كقدح الراكب. فإن الراكب يملأ قدحه ويضعه ويرفع به متاعه.
فإن احتاج إلى الشرب شرب
أو إلى وضوء توضأ
وإلا أهرقه.
ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره!(٢)

●●●

يامالك يابن انس
ما أروع قولك أن أفتيت
ماأعظمها فتيا أن قلت
قتل الثلث لإصلاح الثلثين
كنا نستنكرها من قبل
لكنا نفتى قتل النصف
لإصلاح النصف الآخر
حتى تلد الأرض رجالا أحرارا.
لإصلاح النصف الآخر
بل قتل الثلثين
لإصلاح الثلث الباقى
من لايرضى بتر الفاسد للإصلاح
سيقتل جوعا
سيقتل غدراً وهواناً
ويذوق الذل من الوغد الدون
زعيم الصهيونا زية.. شارون

●●●

أوصى الفاروق عمر
بالتقوى ينصلح الناس

(٢) مسند الفردوس للديلمي (٥/٥٧، ٦٨).

بالخوف من الله

ومراقبة الله

بذلك قال الفاروق

يوصى سعدا حيث يقاتل

التقوى والخوف من الله

والورع صفات

والزهد كذلك

صفات زانت جند الله

فى السلم وفى الحرب

كذلك قال الفاروق عمر

يوصى سعداً

قائد جيش النور

فى معركة الفرس

بنور الإسلام

أضاء بلاد الفرس

قال عمر للقائد والجيش

«أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله. على كل حال

فإن تقوى الله أفضل عدة على العدو.

وأقوى المكيدة فى الحرب.

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم.

وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله.

ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة

لأن عددنا ليس كعددهم ولاعدتنا كعدتهم

فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة

وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا

واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون.

فاستحيوا منهم ولاتعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على أعدائكم

اسأل الله ـ تعالى ـ ذلك لنا ولكم

ذلك قول الفاروق عمر

●●●

وإن تتولوا ياسادة

سيكون النصر لأمر الله

كما وعد الله

برجال أحرار

ونساء أحرار

وأطفال أكثر إيمانا ويقينا

فكما وعد الله

إن تتولوا يستبدلكم برجال أحرار

ونساء أحرار

وأطفال أكثر إيمانا ويقينا

ويكون النصر.. بإذن الله

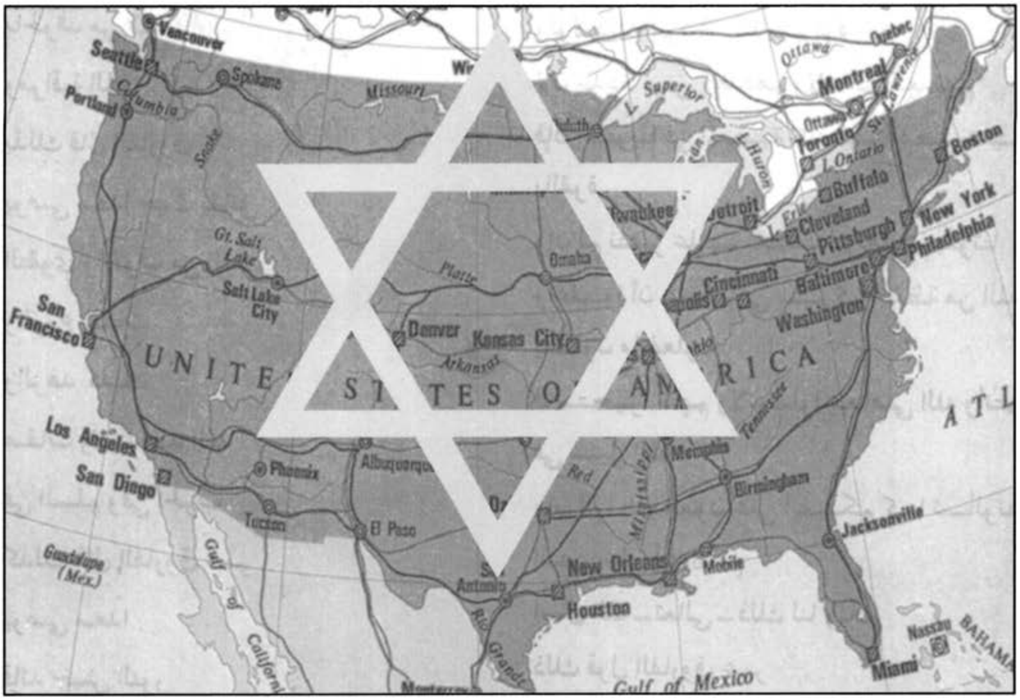

النفوذ اليهودى فى أمريكا

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

فى الحقيقة أن النفوذ المتعاظم الذى يحظى به يهود الولايات المتحدة الأمريكية، وهرولة كبار المسئولين الأمريكيين إلى خطب ودهم، وكسب ثقتهم، لا ينبع من فراغ، ولكن يعززه التواجد الفعال والنشط لكثير من المنظمات اليهودية والصهيونية في أمريكا، وما تتمتع به من قوة سياسية، واقتصادية، وإعلامية هائلة، إذ أن الأمريكان من أصل يهودى يستحوذون على إدارة العديد من الشركات الضخمة، والمصارف العالمية، وهيئات التأمين الكبيرة، ومراكز التجارة، ومؤسسات الاتصال والإعلام. فاليهود يسيطرون على أهم وكالات الأنباء، وأشهر دور الصحف الأمريكية، وأكبر شبكات التليفزيون، والكثير من المسارح والعديد من دور السينما.

فقد أسس وكالة «رويتر» ووكالة «اسيوشيتدبرس» اليهودى «جوليوس رويتر»، كما يمتلك اليهودى «روبرت ميردوخ» بعض الصحف والمجلات الأمريكية، إضافة إلى امتلاكه صحيفة التايمز اللندنية، والصنداى تايمز، وأيضاً عدداً من المجلات البريطانية.

ومن المهم أن نؤكد أن اليهود الأمريكان يسيطرون على أشهر شبكات التليفزيون الأمريكية وهى :-

- شبكة تليفزيون ايه بى سى A.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ليونارد جونسون».

- شبكة تليفزيون سى بى إس C.B.S من خلال رئيسها ومالكها اليهودى «ويليام بيلى».

- شبكة تليفزيون إن بى سى N.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ألفريد سلفرمان».

ولاشك أن هذه الوسائل الإعلامية التى يديرها ويسيطر عليها يهود أمريكان تقوم بدور مهم فى ممارسة تأثير فعال على الرأى العام الأمريكى فى اتجاه تأييد إسرائيل ودعمها، وأيضا التوجيه السياسى لأفكار، ومواقف حوالى ٢٥٠ مليون أمريكى، فهى تقدم العديد من البرامج والمسلسلات التليفزيونية التى تدعم بها مواقف إسرائيل فى الصراع الدائر على الساحة الفلسطينية، كما يستغل اليهود العاملون فى الحقل السينمائى قضية فلسطين فى انتاج عشرات الأفلام التى تؤكد على أن فلسطين هى أرض الميعاد التى وعد الرب اليهود بها، تُروِّج بالباطل أنها ملك لهم، وما الفلسطينيون إلا غزاة محتلون، وإيهام الرأى العام أن الصراع الدائر على أرض فلسطين ما هو إلا صراع من أجل استرداد حق يهودى من غاصب عربى فلسطينى طارئ، فى محاولة خبيثة لتزييف الحقائق، وتضليل للرأى العام، مما يدل على الدور الإعلامى المضلل الذى سخرته الصهيونية له ولكن لنا أن نتساءل كيف يتأتى لأقلية يهودية لايزيد عددها على سبعة ملايين نسمة تشكل نسبة ٣٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تتمتع بهذا النفوذ الكبير؟ ويقال بهذا الصدد أن أهم ما يميز اليهود عن سواهم من الجماعات فى المجتمع الأمريكى أنهم أقلية منظمة للغاية، وثرية، ومترابطة، ونشطة، لذلك فهم يتمتعون بكل المقومات الفاعلة لجماعة الضغط فى السياسة الأمريكية، ويمارسون نفوذهم على النحو الذى يحقق مصالحهم الذاتية، بالإضافة إلى أنهم محاورون جيدون للغاية، برغم قلة عددهم فى المناصب المرموقة بالإدارة الأمريكية. فعلى مدار التاريخ الأمريكى يُذكر أنه لم يتجاوز عددهم ١٢٠ يهودياً، موزعين فى مناصب حكام ولايات، وأعضاء كونجرس، ووزراء، ولكن مما يضاعف من نفوذهم تركزهم فى عدد معين من أكبر الولايات الأمريكية أهمها نيويورك، فلوريدا، نيوجرسى، كاليفورنيا، وميتشجان، وبنسلفانيا، وماريلاند. ومن ناحية أخرى يُلاحظ ارتفاع درجة الوعى السياسى بين يهود أمريكا الذى يتجلى بوضوح فى ارتفاع نسبة التصويت بينهم إلى أكثر من ٩٠٪ كما تشير إلى ذلك الإحصاءات، بينما النسبة العامة فى المجتمع

الأمريكى لا تتجاوز ٦٠٪ فى أفضل الأحوال. لذلك بنى الجمهوريون (أعضاء الحزب الجمهورى) – على مدى عشرين عاماً – جسوراً تربطهم بالناخب اليهودى، فأصوات الناخبين اليهود جائزة سياسية برغم ضعف النسبة التى يمثلونها وهى ٣٪ من إجمالى عدد الناخبين، ولكنهم يُعْتبرون عاملا ترجيحياً فى نتائج الإنتخابات، وربما الأهم من ذلك أنهم يتبرعون بسخاء لتمويل الحملات الانتخابية، ويقدمون ما بين الربع إلى النصف فى تمويل الحملات الانتخابية للمرشحين من الحزب الديمقراطى. وفى هذا الإطار تزداد قوة النفوذ الحقيقى ليهود أمريكا، ومدى تأثيره على كثير من مرشحى الكونجرس والرياسة الأمريكية. لذلك يحرص هؤلاء المرشحون على كسب ود اليهود فى أمريكا حتى يحصلوا على أصواتهم لدعم موقفهم الانتخابى، وهذا ما فعله « بوش » الثانى أثناء إحدى حملات دعايته الانتخابية للرياسة الأمريكية فى ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٠ عندما وقف أمام مؤتمر « إيباك » وهى « لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة » والمعروفة باسم اللوبى اليهودى موجهاً خطابه قائلا : « إن تأييدى لإسرائيل ليس مشروطا بنتيجة مفاوضات العملية السلمية، فالعلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل تفوق العملية السلمية فى الأهمية، ويجب على خصوم إسرائيل معرفة أن إدارتى ستحرص على استمرار العلاقات الخاصة مع إسرائيل، ولو لم يتوصلوا إلى إقامة السلام الحقيقى مع الدولة اليهودية » . ولم يكد الرئيس الأمريكى « بوش » الثانى يدخل البيت الأبيض فى بداية عام ٢٠٠١ حتى أضاء الضوء الأخضر لحكومة شارون، وترك الساحة الفلسطينية لشارون ليمارس عدوانه على شعب فلسطين، وحصاره، فى مدنه وقراه ونفضت إدارة بوش يدها من التدخل لوضع حد لهذه الممارسات العدوانية الإسرائيلية، وأوفى الرئيس « بوش » بما وعد به اليهود أمام مؤتمر « إيباك » فى تفضيله العلاقة المتميزة مع إسرائيل عن إقامة سلام حقيقى بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وتأسيساً على هذا النفوذ الهائل ليهود الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الجماعات اليهودية فيها لا تتورع فى إعلان غضبها، ومناهضتها للإدارة الأمريكية إذا ما تعارضت مصالحها مع مصالح أمريكا، ففى أعقاب إعلان قيام دولة إسرائيل فى الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ سعت العديد من المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية مثل الكونجرس اليهودى الأمريكى، ولجنة فلسطين الأمريكية اليهودية، والمجلس الدولى للنساء اليهوديات، ومنظمة العمال الصهيونية الأمريكية، والمنظمة الصهيونية الأمريكية، والمحافظون الصهاينة الأمريكان، ومنظمة « حداش » التى كانت تضم ٣٠٠ ألف عضو – إلى مناهضة الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس « ترومان » ووزارة خارجيتها عام ١٩٤٩ بسبب رفضها خطة إسرائيلية لتطوير حوض نهر الأردن، وخطة دولية لإعادة إسكان ٢٠٠ ألف فلسطينى فى الأردن، وقيام يهود أمريكا

بتظاهرة، واعتصامهم أمام الخارجية الأمريكية، واعتبروا الرفض الأمريكى للخطة الإسرائيلية تصرفاً غير مقبول، وهو بمثابة قطع للمساعدات الأمريكية عن إسرائيل، ولقد بلغ هذا الصلف اليهودى منتهاه، عندما طلب الرئيس « بوش » الأول من الكونجرس فى سبتمبر ١٩٩١ - تأجيل الموافقة على تقديم ضمانات قروض قدرها ١٠ مليارات دولار لإسرائيل فى صورة قروض تجارية لمدة ١٢٠ يوماً فغضب يهود أمريكا غضباً جارفاً، وبدأوا فى إرسال سيل من خطابات الاحتجاج إلى البيت الأبيض، ولنواب الكونجرس، ولصفحات الجرائد، وقالت « جاكلين ليفين» وهى زعيمة بارزة بالمجلس اليهودى الأمريكى: « سيعتبر يوم ١٢ سبتمبر ١٩٩١ فى تاريخ اليهود هو يوم خيانة كبرى، وإذا لم تكن كلمات الرئيس إشارة واضحة، ومقززة بمعاداته للسامية فهى على الأقل قريبة جداً من ذلك ».

وأصر « بوش» على رفض إقرار ضمانات القروض، ولكنه فى نفس الوقت بادر بعقد لقاء مطول مع « شوشاتا كاردين » رئيسة مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية للتصالح معها خاصة بعد اتهامه بمعاداة السامية. وكان أول احتكاك بين الرئيس الأمريكى « ريجان » واللوبى اليهودى « إيباك » بشأن صفقة طائرات أواكس التى طلبتها السعودية من الإدارة الأمريكية، وقتذاك والتى اعترض عليها اللوبى اليهودى - من أجل أمن إسرائيل - ووصفها بأنها تشكل خطراً على إسرائيل. وفى نهاية الأمر استطاعت إدارة ريجان الخروج من هذه الأزمة بنتيجتين:

الأولى: أن اللوبى اليهودى معارض عنيد.

والثانية: أن اللوبى اليهودى يمكن أن يكون صديقاً جيداً أيضاً. لذلك فإنه بعد انتهاء أزمة طائرات الأواكس بحصول السعودية عليها، سعى المسئولون فى الإدارة الأمريكية إلى الاتصال بلجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة (إيباك)، ووجَّهوا الدعوة إلى كبار مسئوليها للاشتراك فى تخطيط سياسة الحكومة الأمريكية، وقد ذكر بعض المحللين السياسيين الأمريكيين إلى أن إشراك « إيباك » فى التخطيط السياسى سيقلل من معارضتها لأى سياسات أو قرارات تتخذها إدارة « ريجان » فيما بعد، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة من صداقة إيباك فى أمور كثيرة. ومن جانب آخر، فإن « إيباك » وهى اللوبى اليهودى تتولي، بصورة منتظمة، عملية حشد الصفوف خلف إقرار الكونجرس الأمريكى للمساعدات الخارجية. والحقيقة التى يؤكد عليها كثير من المحللين السياسيين الأمريكيين، أن الضغط الذى يمارسه اليهود على الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب من أجل الموافقة على المساعدات التى تقدمها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل هو جزء قليل من عمل كبير تقوم به « إيباك »، فمن بين ١٥٠ شخصاً كانوا يعملون فى إيباك، خلال التسعينات، تفرغ منهم ستة فقط لممارسة الضغط، ومقابلة أعضاء الكونجرس للتأثير على أصواتهم لصالح إسرائيل، أما الباقون، وهم ١٤٤ شخصاً فكان يتكون منهم فرق ثلاث:

الأولى: تعمل فى مجال الأبحاث لإمداد اللوبى اليهودى بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط، بداية من قضايا المياه إلى تكنولوجيا الصواريخ.

والثانية: تقوم بنشر سلسلة من الكتيبات، والتقارير الصحفية، مثل تقرير الشرق الأدنى، والذى يشمل عرضاً، وتحليلاً للأنباء المتعلقة بإسرائيل لتقديمه لأعضاء الكونجرس للاسترشاد به فى اتخاذ القرارات التى تؤيد المواقف الإسرائيلية، وتدعم الوجود الإسرائيلى فى فلسطين.

والثالثة: تشتغل بأعمال الإدارة، والتمويل، وجمع التبرعات لتلبية احتياجات إسرائيل.

هذا ويمارس اللوبى اليهودى (إيباك) عمله ونفوذه، وضغوطه من خلال العديد من اللجان التابعة له، من أهمها اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، ولجان العمل السياسى، وعددها ٣٣٠٠ لجنة، واللجنة القومية للعمل السياسى، ومؤتمر الزعماء، ويمثل الذراع الدبلوماسى القوى لجميع المنظمات اليهودية الأمريكية، التى يهيمن عليها، ويضمها فى إطاره. وبفضل تعاون اللوبى اليهودى مع إدارة الرئيس «ريجان» عام ١٩٨١، أثناء فترة رياسته، فقد قطفت إسرائيل - فى خريف ١٩٨١ - ثمار هذا التعاون بالتوقيع على اتفاق تحالف عسكرى رسمى مع الولايات المتحدة الأمريكية، وصارت بذلك شريكاً استراتيجيا لأمريكا، يتبادلان معاً المعلومات التكنولوجية، ويتعاونان سوياً فى مجال الاستخبارات العسكرية، بالإضافة إلى دعم الترسانة العسكرية الإسرائيلية بالأسلحة الحديثة والمتطورة من جانب أمريكا، مع التزام الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بضمان أمن إسرائيل.

وجدير بالذكر أنه فى غضون ما يربو على نصف قرن من إعلان قيام إسرائيل، كانت ولاتزال «منظمة اتحاد النداء اليهودى» هى الآلية الفاعلة لمختلف المنظمات اليهودية الأمريكية، فعن طريقها يتم التخطيط والإعداد لحملات التبرع، لتمويل خدمات التعليم، والدفاع، والرعاية الاجتماعية، التى تصل جملة تكاليفها إلى حوالى ٤ مليارات دولار، بالإضافة إلى ما يقدمه اتحاد النداء اليهودى إلى الوكالة اليهودية سنوياً من تبرعات تبلغ حوالى ٣٠٠ مليون دولار لتمويل استيطان اليهود، واستيعابهم فى المجتمع الإسرائيلى. وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين أن إدارة الرئيس الأمريكى «كلينتون» كانت من أبرز الإدارات الأمريكية التى اعتمدت القيادات اليهودية فى اللوبى اليهودى المؤيدة لإسرائيل، نذكر منهم بصفة خاصة «مادلين أولبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية، و«وليام كوهين» وزير الدفاع الأمريكى، و«دنيس روس» المبعوث الأمريكى فى الشرق الأوسط.

وأخيراً يمكن القول أن النفوذ اليهودى فى أمريكا تعاظمت قوته فى كل قطاعات المجتمع الأمريكى، ومازال يهيمن على مجريات السياسة الخارجية الأمريكية، ويدفعها فى اتجاه دعم إسرائيل، واستمرارها قوية.

بين الصحف والمجلات

اعداد الأستاذ / محمود الفشني

دمــــاء وأحـــــزان

إن قلبى يقطر دماً وجسدى من الحزن قد وهن. الناس تحجرت عيونهم وتوجهت نحو السماء يطلبون العون من الله بعد أن صمت الآذان فقد دفنت العروبة ولا نملك جميعاً سوى البكاء والشجن.

وكما قال مجدى شندى فى «الأسبوع» فى عددها الصادر فى ١ / ٤ / ٢٠٠٢ :

كلنا أصبحنا على حافة الانفجار نطالب سيوفا مكسورة أن تنال من رقاب الأعداء، ورجالاً ملأتهم الشروخ بأن يصبحوا صناديد تصرخ فى آبار قديمة وتضع على أعيننا نظارات نحاول أن نرى بها الشوك ورداً، والجبن بطولة، والتخاذل حكمة والانبطاح سياسة والانسحاق واقعية، والتمسك بأهداب الكراسى وطنية ولو على حساب رقاب الشعب العربى وكرامته.

وهذا صوت الأستاذ جمال الشاعر فى مقاله الأسبوعى بالأهرام فى عدده الصادر فى ٢٦ / ٣ / ٢٠٠٢ :

إن تشريح أجسادنا ونحن أحياء أهون علينا من استيلاء اليهود على فلسطين وعلى القدس كما قالها فى يوم من الأيام السلطان عبدالحميد الثانى وصدق حدسه حين قال : «إذا ماضاعت وحدة المسلمين وضاعت الخلافة فإن اليهود

يستطيعون أخذها بأتفه الأثمان، وقد كان.. ياقوم..، ولا بأس يا قوم من طول ومن عظم جسم الأفيال وأحلام العصافير.. عصافير العقل طارت إذن.. ولا ندرى ماذا نفعل نحن أمة العرب.. نحن على قلوبنا مراوح ومكيفات برداً وسلاماً.

بينما إسرائيل تطبق فلسفة نيتشه.. عش فى خطر.. وهى الفلسفة التى تستنهض الهمم وتستنفر العقول فيصبح الإنسان سوبرمان « رجل خارق » والغريب أن إسرائيل تمثل لنا نفس الخطر والتهديد.. ولا يدفعنا ذلك إلى شحذ الطاقات وتوحيد الجهود والوحدة والحلم العربى الذى بدونه لن يتحقق لنا أى شىء.

وبغير الوحدة سوف يتجرأ علينا السفهاء.

الإرهاب أمريكى

هكذا عبر جهاد الخازن فى جريدة الحياة اللندنية فى عددها الصادر فى ٢ / ٤ / ٢٠٠٢ تحت عنوان « عيون وآذان » الإرهاب أمريكى – إسرائيلى وقد آن الأوان أن يقف القادة العرب وقفة صدق– إن لم يكن وقفة عز، مع أنفسهم وشعوبهم ويقولوا إن العدو هو الولايات المتحدة، وأن يعاملوها على هذا الأساس وهذه ليست دعوة إلى الحرب وإنما مجرد المقاطعة.

ماذا أقول للقارىء اليوم. أقول له: أخفض رأسك يا أخى فقد عاد عهد الاستعمار والاستعمار هذه المرة أمريكى – إسرائيلى ينفذه جهلاً رئيس أحمق يديره يمين الحزب

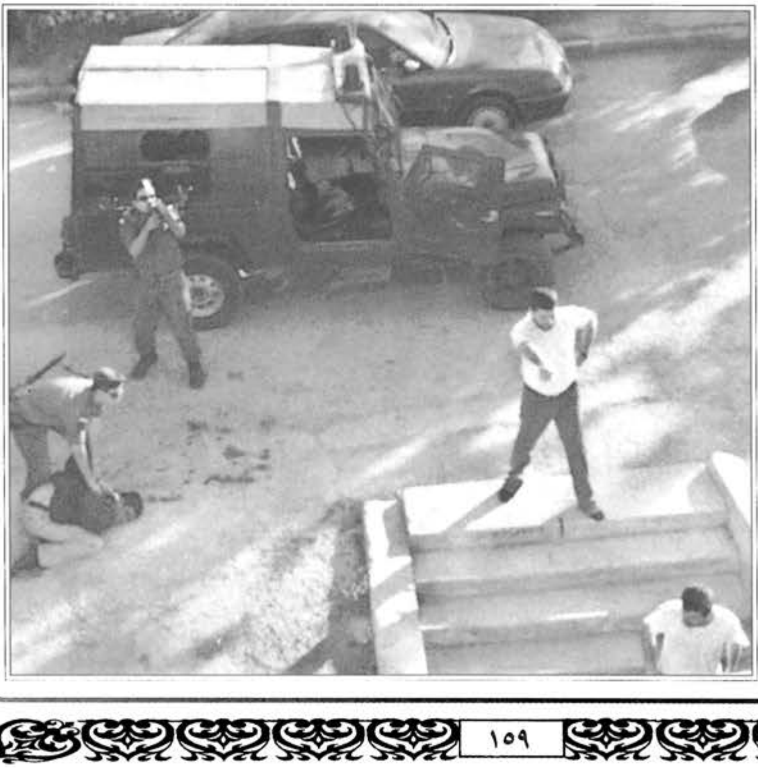

الجمهورى واليهود الأمريكيون من أنصار إسرائيل فى الإدارة الأمريكية.

وهم التضامن العربى

تقول بثينة الناصرى فى جريدة «الأسبوع» فى ١ / ٤: القانون الدولى لن ينصفنا يوما من الأيام وكأننا نسينا أننا نحتكم إلى المعتدى والجانى الذى صنع منذ خمسين عاماً مأساتنا.

إن ما يجرى فى فلسطين هو نسخة مكررة من سيناريو الإدارة الأمريكية فى أفغانستان وهو أمر متفق عليه، ولاشك - للخلاص من كل أعداء الولايات المتحدة والصهيونية العالمية مرة واحدة وإلى الأبد، إنه مخطط شرير لترتيب أوضاع المنطقة وسيعقب فلسطين العراق.

غــداً ينطــق الحجــر

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» (١).

كلمات ابتهل بها أطهر خلق الله، وأعز خلق الله على الله إلى الخالق البارئ المصور رب العزة، وذلك بعد أن لاقى ﷺ أقسى صنوف الاضطهاد والتنكيل على يد كفار قريش ومن والاهم.

وعلى الفور كانت الاستجابة الإلهية للداعى الكريم، فكان أن وقعت تسرية الله له بالإسراء والمعراج من المسجد الحرام بمكة المكرمة ثم إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف، قبلة المسلمين الأولى، فوجد فيه أنبياء الله يتقدمهم إبراهيم، وموسى، وعيسى وقد جمعهم الله له ليكونوا فى استقباله، فصلى بهم ﷺ فى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا.. إلى سدرة المنتهى.. ليرى الملائكة والأنبياء، وكثيراً من العجائب والآيات التى تدل على قدرة الله(٢).

وتزداد وشائج الصلة قوة بقرآن يُتلى، أوحى به المولى – عز وجل – لأشرف خلقه:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

كدليل على قوة وعمق الارتباط بين المسجدين فمن يفرط فى المسجد الأقصى فكأنه فرط فى المسجد الحرام.

ثم نأتى إلى عهد الخليفة الراشد الفاروق عمر ابن الخطاب – رضى الله تعالى عنه –

أورد الحافظ إسماعيل بن كثير فى البداية

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/ ٤٢٠).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية صـ ١٠٨: ١١٥.

(٣) الإسراء (١).

والنهاية: أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق، كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلوا الجزية أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم فى جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس فى ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار على بن أبى طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم بينهم، فهوى ما قال على ولم يهو ما قال عثمان.

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورءوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد ابن أبى سفيان، فترجَّل أبو عبيدة وترجّل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر، فهمّ عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة، فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله - ﷺ - ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبَّى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ فى الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفى الثانية بسورة بنى إسرائيل[٤]، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت والله اليهود. ثم جعل المسجد فى قبلى بيت المقدس - وهو العمرى اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه فى ذلك، وسخّر أهل الأردن فى نقل بقيتها. وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود[٥].

العهـــدة العمريــــة

ونص العهد العمرى، وهو وثيقة الأمان التى بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب لبطريرك النصارى صفرونيوس سنة ٦٣٧ - هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرفنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد ﷺ وهدانا من الضلال وأنقذنا به من التهلكة ووحد قلوبنا، ونصرنا على الأعداء وثبت أيدينا وجعلنا أخوة متحابين فاحمدوا الله ياعباد الله على هذه النعمة.

أما بعد فهذا عهد منى أنا عمر بن الخطاب أعطى للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف فى الاشتمال على الرعاية والقسوس، والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين كانوا وأين وجدوا أن يكون عليهم الأمان لأن الذمى إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا ولتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ماقد جرى منهم فى

(٤) هى سورة الإسراء.

(٥) البداية والنهاية (٧/٦١).

الطاعة والخضوع وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم ودياناتهم وكافة زياراتهم التى بيدهم داخلا وخارجا وهى : القيامة وبيت لحم مولد عيسى (عليه السلام) الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الثلاثة أبواب قبلى وشمالى وغربى، وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك وهم الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضرة النبى الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنين نحسن إليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافة البلايا فى البر والبحر وفى دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لايؤخذ منهم شئ، وأما الذين يقبلون إلى الزيارة الى القيامة يؤدى النصرانى إلى البطريرك درهما وثلثا من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ مأأمرنا به سلطانا أم حاكما أم واليا يجرى حكمه فى الأرض غنى أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات. وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام: عبدالله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وبقية الأخوة الصحابة الكرام. فليعتمد على ماشرحنا فى كتابنا هذا ويعمل به ويبقى فى أيديهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل.

فى العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية. وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعبدالرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان(٦).

ومنذ الفتح العمرى سنة ١٥هـ/٦٣٦م أصبحت فلسطين - فضلا عن كونها عربية، لأن الاحتلال الرومانى لها قبل ذلك لاينفى عنها عروبتها بحال - أصبحت إسلامية حتى كان السابع من يونيو سنة ١٠٩٩م حيث هاجمت الجحافل الصليبية المدينة المقدسة واستولت عليها بعد مذابح مروعة سقط فيها عشرات الآلاف من المدافعين عنها شهداء. ويحلل الراهب الإنجليزى (متى الباريزى) هذا الحدث مهاجما الفكرة الصليبية والجهاز الكنسى البابوى فى الغرب بقوله:(٧) « .. لقد ألمح كل من كونت بواتييه وكونت بروفانس إلى البابا، من طرف خفى، أن جشعه وحبه الشديد للمال هما السبب فى كل هذه الكوارث لقد أغشى المال بصيرته..

... رحماك ياربى.. يامن بيدك الانتقام لنا.. متى ستشحذ سيفك البتار حتى يتوهج كوميض البرق وينغمس فى دماء أمثال هؤلاء القوم حقا، إن آثامنا وخطايانا هى التى جلبت علينا كل تلك المصائب والويلات.

---

(٦) الطبرى، أحداث سنة ١٥هـ.

(٧) انظر: د. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم اللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية - بيروت ص٣٣٨.

. . . وهكذا نرى البابا، وهو أبونا الروحى الذى اقتفى خطى الإمبراطور قسطنطين، وكان الأجدر به أن يحذو حذو القديس بطرس، يسبب الكثير من القلاقل والاضطرابات فى العالم»أ هـ

واستشعر العرب الخطر الداهم المحدق بهم، فبادروا إلى توحيد صفوفهم ولم شملهم لمقاومة الفرنج الغزاة، وتطهير البلاد المقدسة منهم.

وفى مواجهة الإحساس العربى المتنامى بأنهم أصحاب الديار، وأن الفرنج هم الدخلاء، عمد الغزاة إلى بناء القلاع والحصون، واستجلاب الجنود المرتزقة من أوربا وحشد الذخائر والأسلحة.. ولكن هيهات لأرض أن تقبل نبتا شيطانيا اغتصب لجذوره أرضا ليست له فمصير الجذور هو الذبول ومتى ذبل الجذر مات النبت وهو ماحدث مع مملكة اللاتين التى أسسها الصليبيون فى القدس حال غزوهم لها فى ٧ يونيو سنة ١٠٩٩.

فقد اجتمعت كلمة المسلمين حول قائدهم البطل صلاح الدين الأيوبى الذى قادهم إلى نصر مؤزر فى معركة حطين قرب بحيرة طبرية فى ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ أعقبه دخول القدس يوم الجمعة ٢٧ من رجب ٥٨٣هـ/ ١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م، أى بعد مايقرب من مائة عام من الاحتلال.، فليقرأ الجاهلون التاريخ وليستلهموا عبره.

ولكن هيهات أن يستسلم الصليبيون، فقد أبت انجلترا التى تزعمت الحملة الصليبية على بيت المقدس منذ قرون مضت ممثلة فى ملكها ريتشارد الملقب بـ(قلب الأسد) أبت أن تعترف بهزيمتها تلك فى حطين، ولنقرأ القصة منذ بدايتها لندرك حقيقة التآمر (الأورو أمريصهيونى).

كانت البداية فى ١١ من أغسطس سنة ١٨٤٠ فى مذكرة كتبها «بالمرستون» وزير خارجية بريطانيا الى سفيره فى تركيا مستغلا تداعيات الصراع الذى نشب بين محمد على باشا والى مصر وبين السلطان العثمانى جاء فى هذه الرسالة:

يقوم بين اليهود الآن المبعثرين فى كل أوروبا شعور قوى بأن الوقت الذى ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين آخذ فى الاقتراب.. ومن المعروف جيداً أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن الواضح أن أى قطر يختار أعدادا كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التى سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.. فإذا عاد الشعب اليهودى تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون فى هذا حائلا بين محمد على ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة فى المستقبل.

وحتى اذا لم يؤد هذا التشجيع الذى سيقدمه السلطان لليهود لم يؤد بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم فى حدود الإمبراطورية العثمانية إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسترى الحكومة التركية فى الحال كم سيكون مفيدا لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين فى كثير من الأقطار بقانون واحد

(٨) وثائق فلسطين الصادرة عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ص١ ١٩٨٧ ص٩.

بسيط كهذا[8].

وفى عام ١٨٩٥ ألف مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) كتابا بعنوان: «الدولة اليهودية» ومما جاء فيه:

نتيجة العداء للسامية، شعر اليهود المضطهدون بالكراهية للذين يضطهدونهم وهذا بدوره يزيد من الاضطهاد لهم وهكذا تدور المشكلة فى حلقة مفرغة.

وتساءل هرتزل عن الحل، الحل هو - كما يقول - فى أن يمنح اليهود السيادة على جزء من الأراضى يمكن اليهود من أن يعيشوا حياتهم كأمة.. وما بعد ذلك يترك لليهود يتصرفون فيه بأنفسهم.

إن إقامة دولة جديدة ليس بالشىء المستحيل. وستكلف وكالتان متخصصتان القيام بهذا العمل هما «جمعية اليهود» و«الشركة اليهودية» وستخول الجمعية السلطات للتفاوض مع الحكومات بكونها ممثلة للشعب اليهودى وسيكون هدفها خلق الدولة اليهودية أما الشركة فهى لتمويل هذه العمليات.

وأثار هرتزل التساؤل التالى: هل ستكون الدولة فى فلسطين أم فى الأرجنتين؟ وقال: إن الجمعية هى التى ستحدد. ثم قال: إن الأرجنتين من أخصب بقاع العالم ومساحتها كبيرة وتعداد سكانها ضئيل وجوها معتدل ولا شك أن جمهورية الارجنتين ستجنى مكاسب هائلة من وراء إعطائنا قطعة من الأرض أما فلسطين فلها ذكريات تاريخية وأن مجرد ذكر اسم فلسطين يثير شعبنا ويحفزه وإذا ما وافق السلطان على إعطائنا فلسطين فإننا فى مقابل ذلك سنتعهد بتنظيم الأحوال المالية لتركيا وسنعمل على أن نظل مرتبطين بكل أوروبا التى ستضمن بقاءنا وستقوم الشركة اليهودية بتنظيم الشؤون التجارية والمالية للدولة الجديدة[9].

وفى سبيل تنفيذ هذا المخطط أرسل هرتزل مع أحد أصدقائه إلى السلطان العثمانى عبدالحميد رسالة يعرض فيها حل الأزمة المالية التى تعانى منها تركيا مقابل الحصول على فلسطين وجاء فيها:

تصرف عشرين مليون ليرة تركية لنصلح الأوضاع المالية فى تركيا ندفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال مدخول الحكومة الحاضر الذى هو ثمانون ألف ليرة تركية فى السنة، وبالثمانية عشر مليون تتحرر تركيا من بعثة الحماية الأوروبية أما أصحاب الأسهم من الفئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة فسوف نحملهم على الرضى بإزالة البعثة وذلك بإعطائهم امتيازات خاصة، فوائد أعلى وتمديدا لملكية الأرض إلخ[10] ورد السلطان العثمانى على رسول هرتزل فى ١٩/٦/١٨٩٦ بقوله:

إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقى فانصحه أن لا يسير أبدا فى هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لى بل لشعبى لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا لقد حاربت كتيبتنا فى سورية وفى فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد

(٩) المصدر السابق ص١٠: ١٣.

(١٠) المصدر السابق ص ١٨.

الآخــر فى « بلفنة » لأن أحــدا منهـم لم يرض بالتسليم وفضلوا أن يموتوا فى ساحة القتال الإمبراطورية التركية ليست لى وإنما للشعب التركى، لا أستطيع أبدا أن أعطى أحدا أى جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. إنما لن تقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتشريحنا لأى غرض كان(١١).

ولكن هرتزل لم ييأس فكتب إلى السلطان العثمانى اقتراحا بإنشاء جامعة يهودية فى القدس جاء فيها:

لى الشرف أن أتقدم لحكمة جلالتكم المتناهية بالاقتراح التالى: إنى أدرك الصعوبة التى تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شبان تركيا لتلقى التعليم فى الخارج وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع، خاصة فى تأثرهم بالأفكار الثورية مما يجعل الحكومة أمام أحد أمرين. إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمى أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية على أن هناك حلا للمشكلة وأنا أسمح لنفسى بكل اتضاع أن أقدم لحكمة جلالتكم هذا الحل.

إننا معشر اليهود نلعب دورا هاما فى الحياة الجامعية فى أنحاء العالم والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان كما أن هناك عددا كبيرا من العلماء والمتخصصين فى جميع الحقول التعليمية، لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية فى إمبراطوريتكم ولتكن فى القدس مثلا عندها لن يضطر الطلاب العثمانيون إلى الذهاب الى الخارج بل يبقون فى بلادهم ويتلقون فيها أفضل التدريب وهم ضمن أحكام بلدهم، والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهنى ومدارس الزراعة، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو أفضل وعندها تقوم بدورها فى خدمة العلم والطلاب والبلاد(١٢).

فى عام ١٩١٦ وضعت اللجنة السياسية المنبثقة عن المنظمة الصهيونية خطوط برنامج توطين اليهود فى فلسطين طبقا لآمال الحركة الصهيونية وقدمته الى « مارك سايكس »:

١ ـ الاعتراف رسميا بالشعب اليهودى فى فلسطين (ونقصد هنا بالشعب اليهودى، اليهود الموجودين حاليا فى فلسطين واليهود الذين سيهاجرون إليها مستقبلا) كنواة للوطن القومى اليهودى وأن يتمتع هذا الشعب بجميع حقوقه المدنية والسياسية.

٢ ـ أن تمنح الحكومة البريطانية لجميع اليهود فى مختلف أنحاء العالم حق الهجرة الى فلسطين وأن تسهل لليهود فى فلسطين وسائل الاستقرار وشراء الأراضى.

٣ ـ أن تبارك الحكومة البريطانية تكوين جمعية يهودية هدفها استعمار فلسطين وأن تكون هذه الجمعية تحت حماية الحكومة وسيكون من أعمال هذه الجمعية مساعدة اليهود على الاستقرار فى فلسطين بجميع الطرق الممكنة وأن تساعد وتشجع على الهجرة بكافة الوسائل(١٣).

وعد بلفور

وفى ١٩١٧/١٠/٣١ أعلن آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا الوعد المشئوم المشهور باسمه « وعد بلفور » وجاء فيه:

---

(١١) نفس المصدر السابق ص١٩.

(١٢) المصدر السابق ص٣٧.

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٤٤.

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الآخرى(١٤).

وهكذا أصبح الحديث يتناول حقوق اليهود تحديدا وحقوق الطوائف الأخرى والمقصود بها السكان الأصليين.

وكتب بلفور إلى ممول الحركة الصهيونية (روتشيلد) يقول:

عزيزى اللورد روتشلد:

يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى».

وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيونى علما بهذا التصريح(١٥).

وتتوالى حلقات المؤامرة الدولية وتوضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى الذى يمهد السبل لقيام الكيان الصهيونى على أرض فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل مساء يوم الجمعة ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ على جزء من أرض فلسطين تم تحديده بمعرفة الأمم المتحدة ثم ابتلعت إسرائيل فلسطين كلها فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتصل المأساة إلى ذروتها.

واليوم يقف الرئيس الأمريكى جورج بوش ليدافع عن حق اسرائيل فى الحياة والعيش فى سلام على أرض اغتصبتها من أهلها ويسلب هذا الحق من أهلها الأصليين ويصمهم بـ(الإرهابيين) ويتحدث تارة أخرى عن السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الوقت الذى يزود فيه الكيان الإسرائيلى بأحدث مافى ترسانة السلاح الأمريكية من أجل إبادة العرب، واضعا فى ذهنه بلا شك التجربة الأمريكية البشعة فى التعامل مع الهنود الحمر، السكان الأصليين لأرض الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن هيهات هيهات.

فغداً ينطق الحجر.. سلاح المقاومة الفلسطينية الباسلة.. أجل غداً ينطق الحجر هكذا أخبرنا نبينا- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى «يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله»(١٦) صدق رسول الله ﷺ.

---

(١٤) نفس المصدر السابق ص ٨٤.

(١٥) نفس المصدر السابق (٨٤ : ٨٥).

(١٦) أخرجه مسلم.

من أجل مواجهة أكثر فعالية

فى كنفنا

قصة للأديب الصهيونى: يهودا بورلا

يعرضها ويعلق عليها

دكتور/ محمد حسن عبد الخالق

لقد سكن أبناء الديانات الثلاث في مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين، لم يقترب هذا من ذاك طوال الأيام.. وإذا اضطر يهودى أن يمر فيما ندر بين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف.. لأن سكانه يتربصون السوء باليهود.

والحاج (أمين العميد)، من الرجال الميسورين يسكن فى أحد الأحواش التى تعيش فيها أسر يهودية ويمتلك حوشين قرب بيته يَعْهدُ بتأجيرهما لليهود، وهو رجل محترم واثق من نفسه يقيم شعائر دينه ويحج إلى مكة، وله محل يبيع فيه الخضراوات فى سوق العرب، عرف بين اليهود كإنسان مشاكس سليط اللسان قبل أن يبيع لأى يهودى تظهر على وجهه علامات الغضب والغيظ. وفى الصباح لا يبيع بيعته الأولى ليهودى إطلاقا، وإذا جاء إليه أحدهم قال له « اصطبحنا » (١).

(١) وردت بالعربية.

ويحضر إليه فى الصباح الباكر العديد من اليهود، وبخاصة يومى الخميس والجمعة، يقفون من بعيد وسلالهم الفارغة فى أيديهم يراقبونه حتى يأتى عربى مسلم أو مسيحى يشترى أولاً، كان يحترس فقط من « الاستفتاح » ولم يتسلم الحاج أمين ثمن البضاعة من يد يهودى قط. ولهذا فقد وضع سلة صغيرة بجواره يضع فيها اليهود النقود.

وكان حقده تجاه اليهود وليد الكره والعداء الدينى، وقد تقبل اليهود هذا الوضع رغماً عنهم ولم يظهروا أمامه شيئا.

ويسكن لدى الحاج أمين الحاخام « شبتاى فارقس » بائع الحليب، ليس من مجموعة الربانيين ولا يعد من الأتقياء، يجيد عدة حرف بسيطة، لم يكن « تلميذ حاخام » لكنه عارف بالتوراة، ويدعى بأن آباءه كانوا من الربانيين فى مدينة (منسطير) فى البلقان حيث يسرى فيهم وقار إسرائيل وأنه يعرف ما لايعرفه الآخرون ويحكى عن آبائه، بأنهم ليسوا كالربانيين الخاضعين البؤساء وعندما كان فى مدينة (منسطير) طلب من الوالى أمرا ما لأبناء الطائفة وعندما رفض الوالى، عاد إلى بيته وطوى العباءة الرسمية المنقوشة بالذهب والتى كانت تعطى « للحاخام باشا » من قبل المملكة العثمانية وأرسلها مع الشماس لبيت الوالى وقال:

إن كانت أقوال الحاخام باشا لا تسمع فلماذا العباءة، وطلب منه، إرسالها للسلطان ولا حاجة له بها، وذهل الوالى واستجاب لطلبه.

وكان يسير طوال اليوم لابساً قفطانا بسيطا بدون معطف، ليس هذا بسبب الفقر ولكنه لإظهار التواضع ولكى يكون مختلفا عن الآخرين. يبيع الحليب فى الصباح والمساء، يحب العزلة.

وتزداد كآبة الحاج أمين بعد رجوعه من الحج ودفن ابنه الرابع بيديه، ويتعرف الحاخام على الحاج أمين من بعد، ويعرف – شأنه شأن الآخرين – بهذا المسلم « عدو إسرائيل » وفضل الابتعاد عنه حتى لا يصيبه ما أصاب الآخرين ولكن شخصية هذا الشرير جذبت الحاخام شبتاى كحبال السحر، كل يميل للآخر دون أن يدرى. فقد كان الحاخام شبتاى يلقى عليه التحية كلما رآه والحاج أمين يتصرف معه بلطف (صـ ٩٥).

« وكان الحاخام شبتاى يراجع همسات قلبه وأفكاره ويقول لمن حوله: نظرة هنا إلى بيت المقدس ونظرة أخرى لهيكل سليمان، ونظرة هناك إلى هذا السهل تجذب القلب.. وتلك هى قوة القداسة لجبل « موريا »، قوة القداسة الممتدة هناك فى الجو.. تأكدوا بأنفسكم أن القداسة موجودة حتى فى المنفى.. مئات الأجيال فى التشرد، إنها تمتد، تمتد فى الجو.. آه.. آه.. ما كان لنا وماضاع أيضا لنا! (صـ ٩٧).

وطوال ثلاثة أيام لم ير الحاخام شبتاى الحاج أمين، وحاول أن يسأل عنه فى بيته لكن كعادة المسلمين أبوابهم دائما مغلقة، وذات يوم رآه يربط وجهه بشال أحمر فحياه وعرف أن إحدى أسنانه تؤلمه، فعرض عليه خلعها، لكن الحاج أمين أخبره بأنها السنة الأمامية وأن خلعها سيعكر جمال وجهه. وفى النهاية يقتنع الحاج أمين ويخلعها ويضع له مثلها من الخشب.

ويقول الحاخام شبتاى: لماذا وضع الله العقل فى رأس الإنسان؟

من أجل أن يفيد نفسه والآخرين.. كيف اخترع الأوروبيون كل أنواع الآلات؟ بالمحاولة، ويجب أن

نحاول، فإن يد الإنجليز هى الطولى، وعقل الإنجليزى عجيب، والياباني له عقل مخترع للحيل، ففى الحرب التى دارت رحاها بين موسكو واليابان أفقدت عقل موسكو، ويحكى عن حادثة وقعت وكان الضباب يخيم على البلاد، والروس يحاصرون قلعة منيعة لليابان، ويقوم اليابانيون بعمل خدعة وهى وضع القبعات حول أسوار القلعة وبجانبها رؤوس البنادق، ويطلق الروس النيران حول القبعات لمدة ثلاث ساعات حتى فرغت ذخيرتهم عندئذ أطلق اليابانيون نيرانهم ودمروا المعسكر كله.

والألمانى خبير ماهر فى فنون الحرب عندما حارب الفرنسيين كان يفصل بينهم نهر كبير، وفى ظلام الليل حضر آلاف من الجنود الألمان سراً (صـ ١٠٠) وحولوا مجرى النهر، وقام الفرنسيون فى الصباح فلم يجدوا النهر.

وأثناء الحوار يدخل كلب ضال ويقوم الحاخام شبتاى ويلقى إليه بكسرة خبز ويعطيه ماء ويقول، يجب عمل الإحسان مع الكلب إنها شعيرة».

ويقول للحاج أمين: الكلب يحفظ المودة، ولا يوجد بين الحيوانات من يصون العيش والملح كالكلب.

أما القط، فهو كلب أسود غدار، ويحكى قصة القط الذى قتل صاحبه. لأنه ضربه.

ويقول الحاخام شبتاى للحاج أمين، أراك مهموماً، فيحكى الحاج أمين للحاخام شبتاى وهو حزين، ويقول:

لقد وضعت زوجتى أول أمس ولداً، وقد مات لى أربعة أطفال بعد (الختان) بعدة أسابيع علماً بأنهم قد ختنوا فى أعمار مختلفة ويواسيه الحاخام شبتاى قائلا: اتوكل على الله الولد سيعيش (صـ ١٠١).

وفى اليوم التالى وبعد أن فرغ الحاخام شبتاى من توزيع الحليب، والحاج أمين يجلس مهموما أمام منزله يحييه ويبشره بالخير ويقول له:

«إن الله قد وضع هذه الأفكار فى رأسى.

لقد وجدتك جالساً فى الصباح ولم أتحدث إليك وقلت فى نفسى.. لو ظل هكذا حتى أعود بعد ساعتين فهى علامة على أن الله أراد بك خيراً.. تقبل هذه الموعظة من جار يهودى! نيتى طيبة، إن أعجبك ما أقول أو كما تشاء.. إصحبنى إلى المنزل.. وصحبه الحاج أمين وجلسا يتحدثان.

يقول الحاخام شبتاى:

بعد أن حكيت لى موضوع «الختان» وقع فى قلبى نور من السماء.. من عند الله. وقلت فى نفسى «ربما كان على المولود الجديد أن يختن وهو ابن ثمانية أيام مثلما يحدث عندنا وأن تختنه فى بيتك أو فى معبدنا فما تريد؟ إنها أصول الشعيرة كما قال الله لأبينا إبراهيم، وتسميه باسم يهودى وسوف يكون مفتدى من قبل اليهود، وهذه الإشارات جاءت إلىّ من السماء» (صـ ١٠٤).

ويندهش الحاج أمين، فيقول الحاخام شبتاى:

«لدينا فى توراتنا: على الانسان أن يقول الحقيقة بلا خوف حتى وإن أصابه ضرر.. وهناك أنسان قوى يستطيع تحمل الحقيقة والعديد لا يملكون هذه القوة.

فيبادره الحاج أمين قائلا: ما الهدف الذى ترمى إليه يا شبتاى؟

فى عائلتى.. فكرت كثيرا فى الأديان.. أياما عديدة.. وليالى طويلة، ومن يفكر فى هذا يشوش

عقله.. وهناك أسئلة كثيرة تحتار فى الإجابة عنها، وعلى كل إجابة تجد ثلاثة أو أربعة أسئلة.... إلخ وفى توراتنا لا توجد أقوال. وليس هناك أى نقص، مثل هذه الشعرة (ويقتلع شعره من شاربه) فى مقابل الأديان الأخرى.... إن توراتنا تحترم كل الأديان، لن تجد فيها كلمة سيئة، لقد عبد الإنسان قديما الأوثان، الشجر والحجر.. وفى توراتنا يجب أن تدمر وتداس وكل العالم يؤمن بإله إسرائيل.. إن إلهنا معروف لدى كل الأرض.. إن الإنسان يخطىء ويتمادى فى أخطائه بدون أن يفكر، إنك ترى اليهود بعين حقودة سيئة، بسبب البؤس والإذلال.. وهذا الموضوع لا يروق فى عين الله، كلنا، كل البشر متساوون خلقنا إله واحد، وإن بدا لأحد منا أنهم يغضبون عليه من السماء، فعليه أن يفكر.. ماذا أفعل؟ ما الذى يحدث؟ ما الذى يجب علىّ أن أصلحه؟ وفى النهاية يأتى الإصلاح من السماء (صـ ١٠٥).

إن ختن المولود الجديد بعد ثمانية أيام من ميلاده وسمى باسم عبرى سيكون حقا مسلما كاملا طاهرا، ولابد من (الإصلاح)، وطالما أنكم كنتم ولسنوات عديدة ضد اليهود - فيجب الإصلاح «الكفارة» وإذا سمى باسم يهودى، سيكون كفارة أمام الله وسوف يعيش بعون الله، هذا اعتقادى الحقيقى، إنها محاولة، وما الضرر وكما تريد (صـ ١٠٧).

ويسأله الحاج أمين:

- هل هذا الموضوع مكتوب فى توراتكم؟

- غير مكتوب.. وقد حدثت لدينا كثير من المعجزات، وتعرف الكثير عن الجدل الذى كان بين شيخ مسلم وقسيس مسيحى وحاخام يهودى، وكانت الحقيقة ترى النور دائما بجانب اليهودى، وببساطة: المصدر والجذر لكل الأديان توراة موسى والأديان كلها فروع، وإذا رأيت الفروع تعطى ثمارا طيبة، فهى إشارة إلى أن الجذر حى سليم.

الحاج أمين - إنك تمجد دينك ونحن نرى غير ذلك!

إننى أفهم رأيك، وأنت تخشى قول الحق ولكن بصراحة: لعلك تتساءل إن كان المصدر والجذر هم اليهود، لماذا ترانا هكذا مهملين، محتقرين من كل الأمم.. هذا صحيح لقد فرض علينا إما أن نكون فى الكواكب أو الأعماق، إما فى أعلى عليين أو فى أسفل سافلين، يجب على كل اليهود أن يكونوا أطهار حافظى كلام الله بالكمال والتمام، وحينئذ سيتغير كل شىء، وطالما يوجد بيننا رجال السوء، فإنهم يخربون ويزعزعون كل شىء، الحلول الوسط لا تصح عندنا، وضرب مثلاً: إن الثوب العادى لو وقعت عليه بقعة من الممكن لبسه يوميا، أما الثوب الغالى، لو وقعت عليه بقعة أفسدته. البداية لليهود والنهاية لليهود (صـ ١٠٩).

وبعد يومين يحضر أخو الحاخام شبتاى، إلى أخيه الذى لم يزره منذ سنوات عديدة وينهره قائلا: ماذا تريد أن تفعل، هل تريدنى أن أدخل فى متاهات مع الأتراك والمسلمين، وتقحمنى فى موضوع خطير كهذا مع كل الطائفة، ماذا لو مات المولود.. من ينقذك من أيديهم (صـ ١١٢) وشرد الحاخام شبتاى، وأخبره بأنه تحدث مع الحاج أمين ومع رئيس المحكمة اليهودية، وأن الحاج أمين ضاع النوم من عينيه، ثم فرح بعد أن وافق «المفتى» ووافقت والدة الطفل والأقارب.

وفى حفل بهيج هرع اليهود والمسلمون إلى المعبد اليهودى ومعهم الحاج أمين وأسرته وكانت أصوات الدفوف تسمع فى الشوارع القريبة لمسكن الحاج أمين. دف الختان وأصوات الغناء التى تجرى للعوائل المحترمة من اليهود، وتفتح النوافذ ويطل منها العرب واليهود للتعرف على هذه العائلة المحترمة التى ولد لها هذا الطفل الذى يقودوه للمعبد وزوجة الحاخام شبتاى تحمل الطفل على ذراعيها ويمتلئ المعبد بالجمهور والمنشدون ينشدون المقامات العربية المحببة والحاج أمين يجلس بجوار الحاخام شبتاى الذى يشرح له طقوس شعيرة الختان.

وحسب الاعتقاد اليهودى أن النبى إلياهو يحضر حفل كل ختان يهودى، وكلما سأل الحاج أمين عن سبب التأخير، أجابه الحاخام شبتاى بأن النبى إلياهو، لم يحضر بعد، وفجأة يصيح الشماس، هاقد حضر النبى إلياهو ووضع (جابى المعبد) الطفل على ركبتيه وهو يكرر بدون توقف فى اليوم الثامن يختن لحم غرلته » (ص ١١٣).

وسمعوا الخاتن وهو يقول: « ويسمى باسم إسرائيل وإسماعيل – بن صهيون محمود »

ويصيح الجمهور: بشرة خير، ويهزون رؤوسهم بالموافقة على هذا الاسم وكل إنسان يهودى هزه هذا الموقف يشعر أنه قريب بالروح والدم للمولود الصغير، فقد جاء اليوم ليكون هذا الطفل « فى كنفنا ». وعاش الولد دون مرض وهو يبلغ العامين من عمره، لجأ الحاج أمين إلى الحاخام شبتاى لاعتقاده بأن اليهود لديهم وسائل مفيدة.

ولم يستطع الحاخام شبتاى دخول منزل الحاج أمين بسبب عادات العرب ولهذا كان يرسل زوجته ومعها العلاج وتخبره بما يحدث فى منزل المسلم (صـ ١١٤) ولما مرض الطفل بمرض الجدرى سمح الحاج أمين للحاخام شبتاى أن يعوده وكان الحاج أمين يتصدق على فقراء المسلمين فنصحه الحاخام شبتاى بأن يتصدق لمعلمى المزامير عند حائط المبكى وقبر راحيل.

وقد صام شبتاى أيام (الإثنين والخميس) كى يبرأ الطفل!! ويعطى الحاج أمين حوالة مالية كهدية للحاخام شبتاى.

ويبلغ الطفل الثامنة من عمره معافاً يتمتع ببنية جسدية جيدة ولكنه دائم العراك مع أولاد اليهود ويسبب المشاكل لوالديه وينصحه الحاخام بأن يدخل ابنه « الحيدر – الكُتاب اليهودى » ويدخله فعلاً ولكنه كان يسبب المشاكل أيضا. وبعد ذلك يدخله الحاج أمين إلى « تلمود توراة – مدرسة دينية يهودية » ويصحبه فى الصباح ويحضره فى المساء، وهو يسبب المشاكل أيضا. وكل يوم يقوم الولد بضرب أولاد اليهود حتى تسيل الدماء منهم (صـ ١٠٨).

أما والدته فكانت تقول له:

– يا بنى، ألم نقل لك مراراً بأنه من الواجب عليك أن تحب أولاد اليهود أنت فداء لهم. لقد وهبوا لك الحياة، يجب أن ترحمهم وعلينا حفظ الجميل.

فيرد الولد منفعلا ويقسم بأنه سوف يقتل كل أولاد اليهود. إنى عدوهم وهم أعدائى

وينفعل الأب على ابنه ويسبه ويترك الصبى المدرسة الدينية اليهودية ولا يعود إليها.

وتخاف الأم على ابنها وتنصح الأب بمغادرة المكان ويخرج هو وعائلته من القدس والصبى يبلغ الثالثة عشرة من عمره.

وتتغير ظروف الحاخام شبتاى وتداهمه الشيخوخة، أما الفتى فقد كبر وأصبح ضابطاً فى الشرطة وعين فى القدس ضابطاً فى الحى اليهودى وقد بلغ السابعة والعشرين من عمره.

ولما عرف الحاج أمين هذا صحب زوجته وابنه وذهبوا إلى القدس لزيارة الحاخام شبتاى ولما فتح لهم الحاخام شبتاى انهار وقال: أنا لم أفعل شيئا أيها الضابط، فطمأنه الحاج أمين وقال له: إن الضابط هو لكم، والآن سيحافظ على حياتكم.

وتنعقد الكلمات على لسان الحاخام شبتاى وبعد أن شربوا القهوة، غادروا المكان ويندم الحاخام شبتاى ويقول: جاء اليوم ليصبح هو بالذات (مأموراً) الرئيس علينا، لهم العزة والسلطة ولنا الذل والهوان، يحضر اليهود إليه يتوسلون، يطلبون، لماذا تغيرنا عن كل أمة ولغة، إننى أشعر بالذل والهوان.

وتسأله زوجته: لقد بقى على قيد الحياة لأنه احتمى بظلنا! فيرد عليها: إن هذا هو الأسى بعينه: نعطيه الحياة بأيدينا. - وقد يصبح وزيراً على إسرائيل، عندئذ نحتمى بظله، نطلب كرمه لماذا؟ وإلى متى؟

واعتصر قلبه بداخله على حظ إسرائيل

حيفا - أبريل سنة ١٩٢٨.

التعليــــــق

نحن بصدد عمل أدبى جمع فيه المؤلف عددا من المحاور التى أراد من خلالها أن يبث أفكاره التى تمثل الفكر الصهيونى المتطرف.

بدأ يسرد العمل الذى كتب عام ١٩٢٨ قبل احتلالهم فلسطين وإقامة دولتهم واختار القدس حيث يعيش فيها أبناء الديانات الثلاث. ووصف ما زعمه «ذل اليهود على يد العرب»، ولم ينس أن يصف الحاج أمين بـ«عدو إسرائيل» ويتمنى له - بسبب احتقاره لليهود - أن يدفع الثمن غالياً ويموت جميع أبنائه.

والخطاب الدينى اليهودى لم يصغه الأديب كخطبة فوق منبر، ولكنه بدهاء شديد قام بتأسيسه داخل عمل أدبى من خلال بطله اليهودى فى حوار مع عربى مسلم متدين وخلاصته: أن اليهودية هى الجذر والمصدر والأصل، وباقى الأديان فروع ويقصد بهذا «فضل اليهودية على المسيحية والإسلام» وهو لم يأت بجديد لديهم فهناك عشرات المصادر العبرية التى تناولت هذا الموضوع، ولكن الخطاب هنا موجه لغير اليهود. ودائما يركز على عبارة «إله إسرائيل» كما لو كان المولى - سبحانه وتعالى - خاص بهم.

وفى نفس الوقت أراد أن يقول لبنى جلدته من اليهود: «تعالوا معى نبحث عن وسيلة للتقارب والتعايش بين اليهود والمسلمين، وقد أحضرت لكم الوسيلة التى احتاجوا فيها إلينا، حتى لو منحناهم حق الحياة، هل سيحفظون الجميل، هل سيكفرون عن ذنوبهم وعن احتقارهم لنا، صدقونى أيها اليهود مهما فعلنا معهم فالنتيجة معروفة لأن العداء مصدره دينى.

كما اختار الجيل الثالث «الإبن» وهو يمثل جيل الدولة الجديدة التى ينوون إقامتها على الأرض العربية ويكاد الأدباء العبريون أن يتفقوا على قتل الجيل الأول الذى يمثل الأجداد فى أعمالهم الأدبية وتهميش الجيل الثانى وهو يمثل الآباء، والاهتمام بإطلاق البطولة على الجيل الثالث، جيل الأحفاد، حيث نرى أن الابن المولود فى كنفهم، أول ما اشتد ساعده خرج يؤذى أولاد اليهود وعندما نهره والداه: انفعل وصمم على قتل أولاد اليهود جميعا الذين يمثلون جيله.

وباختصار قال ليهود العالم: لو منحتم العرب حق الحياة لن تسلموا من شرهم والحل سلب حياتهم، وهو ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية.

وتناول فى خطابه الدينى موضوع الختان، والختان هنا له دلالته الخاصة الدينية والدنيوية التى يفهمها اليهود وقد اختاره الأديب عن وعى ودراسة سيكولوجية عميقة

فقد ورد فى سفر التكوين بالإصحاح السابع / ٤ : ١١.

«أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غُربتك كل أرض كنعان مُلكاً أبدياً. وأكون إلههم.

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى. أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر فى أجيالكم».

ولم ينس أن يختم عمله الأدبى بعبارة «واعتصر قلبه بداخله على حظ إسرائيل» والمقصود زمن كتابة العمل الأدبى.

● إن أقصى ما كانوا يحلمون به هو الجلوس بجانب العربى أو مصافحته فى فلسطين وجاء اليوم الذى يحددون فيه إقامة رئيسه.

● لقد لفظهم العالم أجمع واحتضنهم المسلمون وفى النهاية تنكروا لهم

● يعترف الأديب دون وعى منه بأن الله سخط عليهم لأنه يوجد بينهم رجال السوء فماذا يقولون الآن وبينهم شارون؟!

أسئلة كثيرة تثار فى الأذهان

● والسؤال الذى يطرح نفسه:

● هل هناك عمل أدبى واحد تناول وجودهم وتعاملهم مع العرب؟

● هل حاول أديب عربى أن يبرز عشرات النقائص التى كانت ولا تزال متأصلة فيهم.

● كتبنا الكثير عن الصراع العربى – الصهيونى باللغة العربية والعالم لا يعرف العربية، كم عدد الكتب التى ترجمت للغات العالم الحية؟

● هل ترجم أى عمل تناولهم إلى لغات العالم الحية؟

● هل قمنا عن طريق الأدب بالغور فى العقلية اليهودية بقصد تعريتها وتقديمها على حقيقتها للعالم أجمع؟

فلسطين وسياسة أمريكا (*)

للشاعر العربي الأستاذ/ فؤاد الخطيب (**)

قيلت هذه القصيدة منذ خمس وستين عاما وكأنها تصف سياسة أمريكا اليوم

هُو الصَّوْتُ دوَّى من فِلَسْطِينَ عالِيا ... وأَوْغَلَ يَغْشَى الشَّرْقَ والغَرْبَ شاكِيا[(١)]

فَهَلْ سَمِعَتْ منهُ «العُروبةُ» مِنْ صَدًى ... وهَلْ نَشَدَتَ لِلْعَارِ بِالسَّيْفِ ماحِيا[(٢)]

وهلْ خَلَعَتْ عَنهَا النهارَ تَفَجُّعًا ... وهَلْ لَبِسَتْ حُزْنًا عَلَيْهَا اللَّيَالِيا[(٣)]

وإن جَبُنَ الأحْيَاءُ عَنْ أخْذِ ثَأرِهَا ... هَزَزْتُ مِنَ المَوْتَي الجُدُودَ الأوالِيا[(٤)]

ومَرَّغْتُ وَجْهِي فى الثَّرَى أَلْثُمُ الثَّرَى ... وصِحْتُ فَحَرَّكْتُ العِظامَ البَوالِيا[(٥)]

فأيْنَ عُهُودُ النَّاكِثِينَ ومَا ادَّعَوْا ... وكَيْفَ تولَّوْا يَحْمِلُونَ المَخَازيا[(٦)]

فإنْ نَهَشَتْ أفْواهُهُمْ شِلْوَ لَحْمِها ... وإنْ لَحَسَتْ مِنهُ الدَّمَ الغَضَّ قَانِيا[(٧)]

(*) من الديوان ص ٣٨٦ وتتناول القصيدة عهد الرئيس ترومان الذى أيد الاستعمار الصهيونى بكل ما استطاع.

(**) كان فؤاد الخطيب باشا رئيسًا للديوان الأميرى فى شرق الأردن، ثم سفيرًا للمملكة العربية السعودية فى أفغانستان، وله ديوان كبير نشرته دار المعارف.

(١) دوى: اشتد وارتفع، أوغل: ذهب بعيداً.

(٢) نشدت: طلبت.

(٣) التفجع: التحسر.

(٤) الأواليا: الأوائل.

(٥) مرّغت: عفرت وقلّبت.

(٦) الناكثين: الناقضين لعهودهم، تولوا: أدبروا.

(٧) الشلو: العضو المفصول عن الأعضاء، الغض: الطرى، قان: أحمر شديد الحمرة.

فَــيَــــاوَيْلَـهُـمْ مِـنْ أَكْلَـةٍ فِى بُطُونِـهِمْ مَــشَى المُهْلُ فِـيهَـا مِنْ جهَنَّمَ حَـامِـيَـا[٨]

ويَا أيّهَــا المُرْتَـادُ سِلْعَــةَ رِجْــسِـهِمْ رُويدَكَ سِــمْـسَــاراً بِهَــا ومُــرَابِـيَــا[٩]

أَيـأْذَنُ كُـــرْسِىُّ «الـرِّئَـاسَــةِ» أَنَّـهُ يَـرَاكَ وكِــيــلاً لِلْيَــهُــودِ وداعِــيَــا[١٠]

فَــتَـنْطِقُ عَنْـهُـمْ مُنْذِراً كُلَّ كَــاشِـحٍ وتُطْلِقُ مِنْهُم فى البِـلادِ الأَفَـاعِـيَــا[١١]

وهَلْ وَجَـدُوا الجَـبَّـارَ «هتلر» عَــاتِـيـاً كَـمـا كُنْتَ جَـبَّاراً عَلَى العُـرْبِ عَـاتِيَـا[١٢]

لئِنْ فَلَّ، وهْوَ المُوغَــرُ الصَّــدْرِ، غَــرْبَهُمْ فَــإِنّكَ قَــدْ نَكَّلْتَ بالْعُــرْبِ بَاغِــيَــا[١٣]

سَلِ الصَّــرَخَـاتِ الفَـاجِـعَـاتِ فَـإنَّهَـا لَقَــدْ زَلْزَلتْ حَـتَّى الجِبَـالَ الرَّوَاسِــيَـا[١٤]

وَجَــفَّتْ ثُدِىُّ المُرْضِــعَــاتِ مِنَ الأسَى وأَمْــسَتْ ثُدِىُّ المُرْضِــعَــاتِ المآقِــيَــا[١٥]

سَــقَى الدَّمْعُ مِنهَــا كلَّ طِفْلٍ وطِفْلَةٍ وقَــدْ نضَبَ الدّمْعُ الّذى انْصَبَّ هامِـيَــا[١٦]

وأنْتَ تَحُضُّ المُجْــرِمِــينَ مُــحَــرِّضَــاً وتَلْبَسُ لِلسِّلْمِ المُسُــوحَ مُــرَائِيَــا[١٧]

تُـعَـــزِّزُ دِينـاً مِنْـهُ لَفَّـــقْتَ «دَوْلَةً» صَــدَمْتَ بِهَــا الإسْلامَ والشَّــرْقَ غَــازِيا[١٨]

شَـــدَدْتَ إِلَيْـــهَــا الرَّحْلَ مِنْ كلِّ آبِقٍ وقُــمْتَ وراءَ الرَّكْبِ لِلرَّكْبِ حَــادِيا[١٩]

وخُنْتَ تُـرَاثاً لِلمَــسِــيحِ مُــقَــدَّسَــاً فَكُنْتَ عَــدُواً لِلمَــسِـيحِ وقَــالِـيَــا[٢٠]

---

(٨) المهل: شراب حار أُعد لأهل جهنم.

(٩) المرتاد: الطالب، السلعة: البضاعة، الرجس: القذر.

(١٠) الداعى: النصير الهاتف المؤيد.

(١١) الكاشح: العدو المبغض، الأفاعى: يذكر بكلمة المسيح لليهود: يا أولاد الأفاعى.

(١٢) هتلر: الزعيم الألمانى وكان من أشد أعداء اليهود، عاتيا: جاوز الحد فى الجبروت.

(١٣) فل: كسر، الموغر الصدر: المغيظ الحانق.

(١٤) الرواسى: الثوابت.

(١٥) ثُدِىّ: جمع ثَدْى، المآقى: مجارى الدموع.

(١٦) نضب: جف، هام: مصبوب.

(١٧) المسوح: ما يلبسه النساك من ملابس التقوى، تحض: تحث.

(١٨) تعزز: تؤيد.

(١٩) آبق: هارب، الحادى: السائق.

(٢٠) قاليا: مبغضاً.

وفِى «بيتِ لحمٍ» أنْتَ أطْفأْتَ نُورهَا ... ومِنْ «بَيْتِ لحْمٍ» أشْرَقَ النُورُ هَاديا[٢١]

ومَا اخْتَرقَتْ سكِّينُ «شيلُوك» مُهْجَةً ... مِنَ العُرْبِ إلاّ عَدَّكَ العُرْبُ جَانِيا[٢٢]

ألَسْتَ الَّذى نَصَّلْتَهَا فَاسْتَلَلْتَهَا ... وكُنْتَ لَهَا الزَّنْدَ الَّذى انْدَسَّ خَافِيا[٢٣]

وكَمْ سَبقتْ لِلْقَومِ منْكَ ضَحِيَّةٌ ... تَرَقْرَقَ منهَا عَنْدَمُ الدَّمِ جَارِيا[٢٤]

فَكَانَ خِضَاباً فِى يَدَيْكَ وزِينَةً ... عَلَيْكَ تَبُذُّ الْمُتْرَفَاتِ الغَوانِيا[٢٥]

أَتَذْكُرُهُمْ بعدَ القُرُونِ الَّتِى خَلَتْ ... وأَنْفُضُ ذِكْرَ اليَوْمِ والأَمْسِ نَاسِيا[٢٦]

وأَنْسِفُ نَفْسِى فِى سَبِيلِ حَيَّاتِهِمْ ... لأنّكَ تَأْبى أنْ أصُونَ حَيَاتِيا[٢٧]

وأَكْفُرُ بالأرْضِ الَّتِى أنَا نَبْتُهَا ... وأرْخِصُ تُرْباً مِنْ فِلَسْطِينَ غَالِيا

وكُلُّ ذِرَاعٍ مِنْهُ بَلْ كُلُّ ذَرَّةٍ ... تَضُمُّ شَهِيداً مِنْ بَنِى العُرْبِ مَاضِيا[٢٨]

وتَنْهَضُ بالتّارِيخِ فَهْوَ بِمَشْهَدٍ ... وقَدْ نَبَشَتْ عَنهُ القُرونَ الخَوالِيا[٢٩]

وإنَكَ حَرَّمْتَ السِّلاحَ لأَنَّنِى ... رَمَيْتُ وقَدْ اثْخَنْتُ فِى القَوْمِ رَامِيا[٣٠]

فإنْ زُدتَ عَنِّى مَا أبَحْتَ غُزَاتَهُمْ ... فَإِنَّ وراءَ الْمَنْعِ لِلْغِلِّ شَافِيا[٣١]

فَسَوْفَ أشُدُّ الأزْرَ غَيْرَ مُضَعْضَعٍ ... وسَوْفَ أُعِدُّ الظُّفْرَ يَنْبُتُ نَامِيا[٣٢]

وأشْحَذُ نَاباً بَيْنَ فَكَّيَّ طَاحِناً ... فَتُبْصِرُ كَيفَ اللَّيْثُ يَبْطِشُ ضَارِيا[٣٣]

---

(٢١) بيت لحم: القرية التى ولد فيها المسيح.

(٢٢) شيلوك: اليهودى المرابى المعروف وقد تحدث عنه شكسبير.

(٢٣) نصّلتها: جعلت لها نصلا، الزند: الساعد، اندس: استتر.

(٢٤) عندم الدم: الدم الأحمر كالعندم، وهو نبت شديد الحمرة.

(٢٥) تبذ: تفوق.

(٢٦) أنفض: أزيل.

(٢٧) أنسف: أفنى وأهلك.

(٢٨) الذراع: من المقاييس، ماضيا: شجاعاً لايبالى.

(٢٩) بمشهد: بمرأى العين، الخوالى: المواضى.

(٣٠) أثخن: بالغ فى الجرح والقتل.

(٣١) ذوت: منعت، الغل: الحقد.

(٣٢) الأزر: القوة والظهر، مضعضع: مزلزل لايتماسك.

(٣٣) أشحذ: أسن، الضارى: الذى تعود الافتراس.

أمِنْ بَعْدِ مَرْمَى القَوْمِ مِنْ عُقْرِ دارِهِمْ ... لَقَدْ جَزَرَ البَحْرُ الَّذِى كانَ طَامِيا[٣٤]

فإنْ عَصَفَتْ رِيحُ الحَوادِثِ فِى غَدٍ ... سَتَسمعُ كَيْفَ المَوْجُ يَصْعَقُ طَاغِيا[٣٥]

ومَا كُنْتُ خَوَّاراً إذا الخَيْلُ أقْبَلَتْ ... وقَدْ أرْخَصَ المَجْدُ النُّفُوسَ الْغَوالِيا[٣٦]

هِىَ الجَوْلَةُ الأولَى ولِلْعُرْبِ كَرَّةٌ ... وغَيْرُ بَعِيدٍ كلُّ ما كانَ آتِيا[٣٧]

وقَدْ عَرَفَتْ عنَّا فِلَسْطِينُ أنَّنَا ... وإنْ نَحْنُ فَارَقْنَا اسْتَطَعْنا التَلاقِيا[٣٨]

وكَمْ خَطَرتْ فِيها الرِمَاحُ عَوالِياً ... وكَمْ سَفَرتْ بِيضُ الصِّفَاحِ مَواضِيا[٣٩]

وقَدْ شَهِدَتْ «حِطِّينُ» كَيْفَ تَحَطَّمَتْ ... فَهَلْ حَدَّثَتْ عنها الأعادِى الأعَادِيا[٤٠]

أتَبْذُلُ بَيْتِيَّ لِلدَّخِيلِ تَبَرُّعَاً ... وتُرْغِمُ أَنْفِى أنْ أَجُوبَ الفَيَافِيا[٤١]

ويَمْلِكُ أرْضِى ثُمّ أطْلُبُ غَيْرَهَا ... مِنَ الأرْضِ أسْتَجْدِى المُهَاجِرَ نائِيا[٤٢]

وكَيْفَ أعُقُّ الدَّارَ والرَّمْلَ والحَصَى ... وأنْزَحُ مَبْكِيّاً عَلَىَّ وبَاكِيا[٤٣]

وأكْبَرُ ذَنْبٍ لِى هُوَ «الدِّينُ» وَحْدَهُ ... ومَا كُنْتُ لَوْلاَ «الدِّينُ» أخْشَاكَ عَادِيا[٤٤]

ولا امْتَدّ نَحْوِى مِخْلَبٌ مِنْكَ مُرْهَفٌ ... فَمَزّقَ مِنّىَ الشّمْلَ يَنْزِفُ دَامِيا[٤٥]

وكُلُّ مَسِيحِىٍّ لَدَيْكَ ومُسْلِمٍ ... يُعَدُّ غَرِيباً عَنْ فِلَسْطِينَ قَاصِيا[٤٦]

---

(٣٤) عقر الدار: وسطها، جَزَر: رجع المد إلى الخلف. طامياً: ممتلئاً.

(٣٥) يصعق: يرسل صوته شديداً.

(٣٦) خواراً: جباناً ضعيفاً، الغواليا: الغالية الثمن.

(٣٧) كرة: رجعة.

(٣٨) التلاقى: الرجوع إلى الأرض بعد الهجرة.

(٣٩) خطرت: اهتزت، عوالياً: شوامخاً. الصّفاح: السيوف العريضة.

(٤٠) حطين: الموقعة الحاسمة التى انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى.

(٤١) ترغم أنفى: تكرهنى وتجبرنى، الفيافيا: الصحارى.

(٤٢) أستجدى: أستعطى وأتسول.

(٤٣) أنزح: أغترب.

(٤٤) عادياً: ظالماً.

(٤٥) المرهف: الحاد القاطع، ينزف: يسيل.

(٤٦) قاصيا: بعيداً.

ولَوْ هُوَ أَلْقَى «الدِّينَ» عَنْهُ تَمَرُّداً ... وبَاتَ يَهُودِىَّ «العَقِيدَةِ» رَاضِيا(٤٧)

لأَصْبَحَ مِنْهَا فِى الصَّمِيمِ تَمَكُّناً ... وكَانَ لَدَيْهَا مِنْ عُتُوِّكَ نَاجِيا(٤٨)

وكُلُّ يَهُودِىٍّ لَدَيْكَ مُخَوَّلٌ ... لَهُ الحُكْمُ يَخْتَارُ القُرَى والمَغَانِيا(٤٩)

وإِنْ كَانَ زُطِّيّاً وكَانَ ابْنَ غَيَّةٍ ... وأَبْرَصَ بَرّاقاً وأَسْحَمَ دَاجِيا(٥٠)

ومَا غَابَ «بِلْفُورُ» الّذِى بَاتَ رِمَّةً ... وقَدْ عَفِنَتْ حَتَى تَرَاءَيْتَ تَالِيا(٥١)

ولَسْتُ أُبَالِى الظَّالِمِينَ وإِنَّنِى ... سَأَبْعَثُ فِيهِمْ مَا يُشِيبُ النَّوَاصِيا(٥٢)

وكَيْفَ يُطَاعُ الجَوْرُ فِى ظِلِّ جَائِرٍ ... يُدَمِّرُ شَعْباً لَمْ يَجِدْ مِنْهُ وَاقِيا(٥٣)

لَهُ الوَيْلُ إِنَّ اللَّيْلَ يَضْؤُلُ فَانِياً ... وإِنَّ وَرَاءَ الفَجْرِ لِلْحَقِّ حَامِيا(٥٤)

---

(٤٧) يريد تركه كل دين سوى اليهودية.

(٤٨) العتو: التجبر والظلم.

(٤٩) خَوّله: ملّكه.

(٥٠) الزطىّ: يريد الخسيس الأصل، ابن غيّة: ابن غير شرعى.

(٥١) صار رمة: كناية عن موته، والرمة: الرفات البالية.

(٥٢) أبالى: أعبأ وأهتم، النواصى: مقدمة شعر الرأس.

(٥٣) الجور: الظلم.

(٥٤) يضؤل: ينكمش، حامياً: نصيراً.

قصة العدد

وامُثنياه !!

بقلم / عابر سبيل

١ جلست هالة إلي أختها سلمى بنت حفصة اليتميّه تسألها عن زوجها المثنى بن حارثة الشيباني لِمَ يُطيل الرحلة مغتربا فلا يُرى بمنزله إلا الحين بعد الحين؟!

فقالت سلمى : وما في ذلك يا أختاه ! إن زوجي سيد قومه بل سيد بني شيبان جميعا ، وله عليهم حقوق السيادة ، حين يحمي الزمار ويمنع الحريم ويكسو العاري ويطعم الجائع ! أفيظلّ قابعاً في منزله ، لا ينهض لمروءة ، ولا يسير في إصلاح ذات البين ، ولا يجمع الأنصار ليوم القتال !

فردت هالة أي قتال يا سلمى ! لماذا لا نعيش في أمن وهدوء ؟

فنظرت سلمى كالمستنكرة وصاحت ! كأنك لا ترين الخيول على شاطئ الفرات يركبها العجم من بني فارس. ليتحكّموا فيمن يروْن من عرب بكر وربيعة ، ويرغموهم على حمل الأثقال ، كما يصادرون بعض ما يروقهم من الخيل والغنم والإبل ، وفينا نحن العرب مَن يساعدهم على الطغيان ! لقد شاهد المثنى وأخواه المعنّى ومسعود بعض ما يفعل هؤلاء ، فأقسموا على أن يناوئوا القوم وجها لوجه ، وقد دارت المعركة يوم الفرات ، حين قاد المثنى بني شيبان ومن انضم إليهم من عرب السواد ، ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم مذعورين ، واختلطت دماؤهم بماء الفرات !

فقالت هالة : كانت معركة لا تُنسى ، ولكني أخشى عواقبها المنتظرة ، إذ أن الأعاجم لن يسكتوا عن هذه الكارثة : وسيندفعون إلينا بجيش جرار ، فماذا نصنع ؟

فابتسمت سلمى وقالت في ثقة : وهل غاب ذلك عن المثنى وعن أخويهْ المعنَّى ومسعود إنّهم يسيحون في ديار العرب ، ليعدّوا العدّة ويجمعوا الأبطال ، وقد عاد المعنّى ومسعود منذ أمد قريب ، ومازلنا ننتظر أوبة المثنى ، على أني علمت من مسعود أن رحلته قد تطول !

فشخصت هالة متفحصة وجه سلمى ثم قالت : كأنه أبعد المسير فجاوز السواد إلى ما وراء نجد وتهامة وصار بحيث لا تعلمين مأواه.

فعجلت سلمى تقول: بل أعلم أنه رحل إلى المدينة المنوّرة مشرق الدين الجديد، وقد رأى فى نبى الإسلام عزّا للعرب، ومجداً للقبائل، والمثنى رجل مروءة وفضل، وقد سمع آيات القرآن فلمست شغاف قلبه إذ دعت إلى ما يحب من كريم الخصال وشريف الخلال وسيرجع ظافرا - بإذن اللّه ! معه الحزم والعزم، ومعه الثقة والإيمان، أنا أدرى به ياهالة ! فغدا ستعرفين !

٢

لم تمض أيام حتّى رجع المثنى إلى دياره، فسارع القوم إلى لقائه فى شوق، ولكنّ سحابة من التفكير الجاد أخذت تعلو وجهه وتثنيه عن الكلام إلاّ قليلا

فصاح به أخوه المعنّى: ما هذا يا مثنى، لم نكد نعلم مجيئك حتّى عمّنا السرّور، وهرعنا للقائك لنسمع ما جدّ من أنباء الإسلام فى مكة والمدينة، وكناّ نظن أنك لن تمهلنا لحظة واحدة، حتّى تفيض وتسهب، ولكننا نرى فى وجهك حيرة لم نعهدها ! لقد قارعت الأهوال من قبل فى أعنف مواقف البأس، فلم نر فى قسمات وجهك ما يدل على الأسى لحظة واحدة، ولكنك الآن على غير ما نعهد

فنظر المثنى نظرة طويلة ثم قال : صدقت فيما قلت يا معنّى، ولو لم تقل كلمة واحدة لقرأت فى وجهك كلّ ما قلت، كما أقرأ فى وجوهكم جميعا ما تضمرون، وما سكوتى الآن إلا حصر للمعانى الكثيرة، التى يموج بها صدرى، وأحاول أن أكشف عنها فى ترتيب واضح كيلا ينتشر القول دون تحديد !

قال المعنى :ومتى خالفك المنطق؟ أنت تقول كل شيء فى تعقل واتزان قل يارجل وهات مالديك، فقد زدتنا شوقا لما تُكن.

فاعتدل المثنى فى مجلسه وتطلع فى وجوه القوم كأنه يريد معرفتهم جميعا مع إلمام بمن تخلف من كرام قومه، حتى إذا ملك زمام نفسه ابتدأ فقال :

لقد ذهبت إلى المدينة المنورة، وقابلت خليفة رسول الله أبا بكر، وأعلنت إسلامى عن حب واعتقاد، وسّرنى كل السرور ما لمست هناك من حرص على الحق وحرب للباطل، ودعوة إلى الإخاء والتعاطف، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، كما سمعت من سيرة رسول اللّه ما جعل هذه المعانى واقعاً مشهودا لااختلاف عليه، وعشت فى مهد الإسلام أياماً هى أجمل ساعات العمر، وأنفس لحظات الحياة، ثم ودّعت الخليفة الراشد ، بعد أن عاهدته على البر والتقوى، وجئت فرحا أعلن لكم مشرق الدّين الجديد فى نفسى، ناقلاً شعاعه الوضئ إلى نفوسكم جميعا، ولكنّى فى الطريق بين نجد والفرات سمعتُ ما أحزننى ! سمعت أن قبائلَ من العرب قد ارتدت عن الإسلام، وخرجتْ عن طاعة خليفة رسول اللّه . ولم تُبد من الأسباب ما يجعل لخروجها وجها من الوجوه غير التحلّل من تبعات الرجولة والكرامة والعزّة، سمعت ذلك فأدركنى غمّ لا مزيد عليه، واشتعلت جمرة الغضب فى صدرى، وأنا ما انتظرت دون كلام بينكم الآن، إلاّ لأخفّف بعض ما أعانى ! حتى دفعنى المعنّى إلى الكلام.

صاح المعنّى: وماذا سمعت عن موقف أبى بكر من هؤلاء! أفصْح يا مثنى فالأمر خطير؟

قال المثنى : علمت أن المسلمين قد اجتمعوا للتشاور فكان من رأى عمر بن الخطاب أن يتريث أبو بكر فلا يعجل بالحرب، ومعه نفر ينحون منحاه ، ولكن خليفة رسول الله قد أعلنها مدويّة

صارخة، أنه لا تريث ولا انتظار فهؤلاء مرتدون ! ولا سبيل غير القتال، وفعلا أُعدّت الكتائب، وهُيئت الجيوش، وقد عزمت على أن أكون معكم على رأس الكتائب المجاهدة، لنؤدى حقّ الكرامة، ونعّوض ما فاتنا حين أسلم الناس فى الجزيرة، وتأخر إسلامنا عنهم، فتحملوا من أعباء الجهاد ما لم نشارك فيه بقلامة ظفر ! لقد جاء أوان الاستدراك !

سرت الحميّة فى نفوس بنى بكر بن ربيعه آل المثنى وازدادت اشتعالا فى صدور بنى شيبان أقرب أقرباء البطل الباسل، وصاح مسعود أخو المثنى وكان صامتا يترقب.

يا قوم ! لقد أسفنا كثيرا حين تأخرنا عن ركب الإسلام، ولم يكن منا أحد بين شهداء بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، ومؤتة، وخيبر! ووالله لقد كنت أعتزم الذهاب إلى المدينة لأبحث عن استشهاد فى معركة جديدة وهاهى ذى حرب الردّة قد قامت على قدم وساق ففيم النكوص !

صاح المثنى : أى نكوص ! كلّنا جنود فى الميدان.

انتهى المجلس المتحمسّ، ورجع المثنى إلى منزله، فوجد زوجته سلمى تستقبله باسمة، فقال لها : أنت تتكلّفين الابتسام يا سلمى، فأنا أعرف أنك غاضبة علىّ إذ ذهبت إلى ندوة بنى شيبان عند رجوعى قبل أن ألمّ بك، ولكنىّ كنت فى شغل مؤرق وأردت أن أعجّل بلقاء القوم فأنفض ما لدّى.

قالت سلمى : أنا سعيدة أبتسم عن إخلاص لا عن تكلّف وحين جاءنى النبأ السّار بمقدمك، حمدت الله على سلامتك، وقلت : ما اتجه إلى الندوة مباشرة إلا لأمر جللّ، ولو كان فى طوقى أن أحضر مع المجتمعين لسارعت إلى لقائك هناك ولكنى أرسلت أخى «حابس» إلى الندوة ، وقد جاء إلىّ منذ وقت قصير، وأخبرنى بكل مادار، ففرحت لاعتزامك حرب المرتدين، فقد تهيأ الميدان

ابتسم المثنى قائلا : حياك الله وحياً حابساً أخاك فقد شاركنا الرأى، كما وفّر علّى أن أعيد عليك ما دار هناك، فأنا أعرف شوقك لأنباء القتال!

نظرت سلمى فى تودّد وقالت، أنباء القتال يا مثنى ! شتّان بين معارك الأمس ومعارك الغد، لقد كنا فى الجاهلية نقاتل لأمور هينة لا ترتفع إلى ذروة سامية، أما فى الغد فسنقاتل فى نصرة الإسلام، سنقاتل لارتفاع كلمة اللّه ! ستكون الشهادة تاجا لمن استشهد فتصير عقباه أجزل مثوبة من عقبى الحىّ المنتصر، لكم أتمنّى أن أصحبك فى حرب هؤلاء ! كما صحبتك فى يوم الفرات!

فقال المثنى، كنت رئيسَ القوم يوم الفرات، فصاحبتك فى الحومة عن ارتياح، ولكنّ قيادة هذه الحرب ستكون للعلاء بن الحضرمى قائد جيوش المسلمين بالبحرين، وقد اتفقت معه على أن أقود كتائب بنى شيبان، ولم يعن لى أن أتحدث عن النساء.

فقالت سلمى : لقد جاءنى الكثير عن أنباء الغزوات النبوية، فعرفت أن السيدات كن يغشين ميادين القتال، لمداواة الجرحى، وتهيئة الزاد، وإصلاح السلاح، وحمل مزاود الماء، وفيهن من جالدتْ بالسيف وطعنت بالرمح، فالأمر صريح، وليس فى حاجة الى استئذان العلاء، سأكون معك لأشد أزرك بالتشجيع إذا عجزتُ عن أن أخوض حرّ الصراع !

ولم يكد ينتهى الحديث إلى هذا الموضع، حتى طرق باب المثنى، وعجلت سلمى باستقبال الوافد، فإذا هما المعنّى بن حارثة ومسعود بن حارثة أخوا المثنى! فنهض البطل للقائهما، ولم يلبث مسعود أن قال: وفد الساعة رسول العلاء بن الحضرمى، ولم يبق مجال للانتظار، وقد شاع الخبر فى منازل بكر جميعها، ولم أسمع غير صيحات الاستحسان! وأصوات التكبير تملأ الآذان!

٣

قال المثنى: يا قوم إن الأحداث تدفعنا، قبل أن نندفع، وإنّ من أمارات النجاح أنّ تجتمع بكر جميعها على رأى واحد، بل أن تجتمع النساء ليشاركن فى الحومة فهذه سلمى تتأهب لمصاحبتنا، وإذا علمت نساء بكر فهنّ ناهضات واثبات! إننا سنتجه للبحرين تحت قيادة العلاء ولا ندرى لنا وجها بعدها، وإخالنا سنتبع المرتدين فى كل صقع حتّى ينقشع الظلام

تحقق النصر فى حروب الردّة بعد أن واصل المثنى جهاده بالبحرين متتبعا آثار المارقين حتى استولى على القطيف وتابع الزحف إلى دلتا الفرات، فكان اسمه يسبقه فيوقع الذعر فى الفلول الهاربة، وله خيمة ينصبها فى كلّ صقع يتجه إليه، ومعه زوجته سلمى تساعده بالرأى والرمح معا! وهكذا أصبح لربيعة وشيبان قدرهما الراجح فى معارك الإسلام، وهو قدر يدفع إلى المزيد كى لا يقف عند حدّ

قالت سلمى للمثنى: وماذا سيصنع خليفة رسول اللّه بعد أن همدت حروب المرتدين؟

فقال المثنى: علمت أن الجيوش الإسلامية ستتجه إلى بلاد الشّام، لتحررها من الرومان، وكنت أود أن تتجه إلى فارس لتحررها من المجوس عابدى النار

فعاجلت تقول: ولماذا لا تذهب إلى الخليفة فتقترح عليه أن يعجّل بحرب المجوس، ونحن معه، إذ أنّ خبرتنا بالفرس ستكون عامل ترجيح!

فأطرق المثنى بعض الوقت! وقال لسلمى فى هدوء: لقد اعتزمت أمرا لم أطلعك عليه بعد! لقد اعتزمت أن أجمع القبائل العربية الضاربة حول الفرات جميعها، لأتقدمها إلى منازلة العجم تحت راية الإسلام، لاسيما أن انتصارات حرب الردة قد زادت من حماسة هؤلاء، وسأجد نفسى أمام فريقيْن متواطئين، فريق العرب الذين لم يؤمنوا بالإسلام بعد، وقد ظلوا على ولائهم لسادتهم من الفرس، وفريق الأعاجم ذوى الغطرسة والاستعلاء، وسيظن هؤلاء وأولئك أنى لست وحدى، ولكنى قائد جيش الخلافه فيمتلئون رعبا وحذرا، وحين آخذهم على غرة فى المعركة الأولى ستصل الأنباء إلى أبى بكر فيمدنى بجيش الله!

قالت سلمى : إن أحلامك منذ عرفتك تتحول إلى حقائق واقعة، جربت ذلك بنفسى معك عدّة مرات، وإخال هذا الحلم قريب التحقيق!

فرد المثنى :قريب التحقيق أو بعيده لا أبالى، لأنى فى معارك الإسلام قد ضمنت رضوان الله حيا أو شهيدا، ولا أمل فوق ذلك، ولن يغلب جيش ذو عقيدة مخلصة ومن أبطاله أسود بكر وربيعة وتغلب وشيبان!

وما مر أسبوع واحد حتى كانت كتائب المثنى تنقسم إلى ثلاث فرق، وقد أخذت تُساحل الخليج الفارسى لتبلغ مصب نهرى دجلة والفرات، ثلاث

فرق يقودها أبناء حارثة الشيباني: المثنى والمعنى ومسعود، فأُخذ الفرس على غرّة وما ثبت منهم من أحد، وعادت جيوش المثنى مثقلة بالغنائم، سعيدة بفرحة الانتصار!

هنا قال المثنى لسلمى: لقد تحقق الحلم الأوّل، وطارت أنباء النصر إلى أبى بكر، وقد علمت أنه سأل قيس بن عاصم فى دهشة: مَن هذا الرجل الفرد التى سرّتْنا وقائعه قبل أن يبلغنا اسمه، فقال قيس بن عاصم: «إنه المثنى بن حارثة الشيباني، رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، إنه المثنى» فقال أبو بكر: «ومن يأتينى به! فقد عرفته من قبل، إذ أعلن إسلامه وتهيّأ لنصرة الإسلام».

قالت سلمى: وإذن فلابد أن ترحل إليه، وستبلغ ما تريد! فقال المثنى: ذلك ما اعتزمت عليه ولن أحيد.

ذهب المثنى للقاء الخليفة الراشد وهو فى أيامه الأخيرة، فما رآه حتّى هش له ورحب، وكأنه تفرّس ما يجول بخاطره من المعانى، فقال له: جئت يا بطل شيبان وجنود نا تتجه إلى حرب الروم، فقال المثنى: وماذا يمنع أن نأخذ منها بعْضا يشاركنا فى حرب الفرس

قال أبو بكر: ولماذا تتفرق الجنود فى جبهتين، لنعمل على الائتلاف فى جبهة واحدة، فإذا كتب الله النّصر زاد الجند إيمانا ويمموا شاطئ الفرات

فانطلق المثنى يقول: يا خليفة رسول اللّه، كان الفرس ذوى هيبة فى النفوس قبل أن ننازلهم يوم الفرات، ويوم ذى قار! إذ كان انتصار العرب فى هذيْن اليومين فاتحة سجل جديد، ثم كانت معركتى الأخيرة بعد حروب الردّة فاذهلت الأساورة والمرازبة، وذوى التيجان الحمراء فأخذوا يعملون لنا كلّ حساب، وقد اجتمع كسرى بذوى جنده، ليقول لهم: لا تستهينوا بالمسلمين، لأن العرب قد اعتزوا بالإسلام، وأرى ألا نترك الفرس يتجمعون ويعدّون الذخائر انتظارا لما يتوقعون! ولابدّ من عون الخلافة بمدد يقف معنا دون إبطاء.

قال أبو بكر: ومن أين أيها البطل؟ والجيش قد زحف إلى الشام.

فقال المثنى: علمتُ أن الخليفة أشار بعدم انتظام المرتدين فى غزو الرّوم، وقد عادوا للإسلام حرمانا لهم من ثواب الجهاد، ولستُ معه فيما أشار ونفّذ، لأن الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة يحسّون مرارة الندم، ويودّون أن يكفروا عن مروقهم فى حرب إسلاميّة تبيض وجوههم بعد سواد، فإذا أصدر الخليفة أمره بالتجاوز عن جرمهم السالف، فإنه يفتح الباب واسعا للتوبة النصوح، وسيجد من يبذل نفسه طواعية ليحوز رضا الله بعد أن جابه بالعصيان! وأدار أبوبكر الفكرة فى رأسه فاقتنع بها، وقال: على بركة الله يامثنى، قم إلى منبر المسجد وأعلن خطتك فى الهجوم، وأشعْ ما قررته من التحاق التائبين بالجيش الغازى، وما أسرع ما اهتبل البطل السانحة، فانتظر حتى حانت صلاة العصر، وقدمه عمر بن الخطاب فاعتلى المنبر خاطبا وكان فيما قال: أيها الناس لايعظمن عليكم لقاء هذا الوجه من الفرس، فإنا بنى ربيعة من بكر وشيبان قد إتسعنا فى ريف فارس، وغلبنا الفرس على السواد جميعه، وما كان معنا أحد من أهل الجزيرة العربية فإذا انضم إلىّ رهط من الفئة المؤمنة فالنصر دان قريب! ولأمر أراده الله مات أبوبكر قبل أن

يرحل المثنى بجيشه فنهض عمر بإعداد الجحفل المنشود، وجعل قيادته لخالد بن الوليد، ولم يحمل البطل الشيبانى فى نفسه شيئا لإمارة خالد، إذ كان من التسامى بحيث قدر رأى أمير المؤمنين وأطاعه مرتاحا قريرا، فسيان لديه أن يرأس الجيش أو يرأس سواه، متى اجتمعت الكلمة على الهدف المنشود.

رجع المثنى إلى عرينه، فأسرع بتهيئة الكتائب، وقدم المعنى ومسعودا أخويه لخالد بن الوليد، وقال إنهما يخبران ساحة المنطقة، ويعرفان أماكن الكر والفر على شواطىء الفرات، ولخالد فراسة حازمة فقد ناقش البطلين مناقشة الدارس المتفحص، ورأى أن يكونا رائديهْ فى المعارك المفاجئة، ولم يكن من خطة سيف الله أن يضيع الفرصة بالترقب والانتظار، خشية أن يفطن العدو إلى نقطة ضعف لم تكن معلومة لديه فيفاجئه بما يعوق نجاحه، فأمر بالزحف السريع، ودار القتال فى معارك الولجة وذات السلاسل والأنبار ظافرة مكتسحة، وانتظر المثنى أن يواصل مسيرة النصر حتى ترفرف راية الحق، ولكن عمر عجل باستدعاء خالد ليقود معركة اليرموك بالشام، واستجاب القائد الظافر، ونظر المثنى فإذا العبءيقع عليه وحده بعد أن قال له خالد: ارجع إلى إمارتك منصورا فأنت سيد الموقف، ولم يكن سيف الله يعلم أن أمرا صدر من قيادة المدينة بتولية أبى عبيد بن مسعود.

إن النفوس الطاهرة ذات المعدن الذهبى الأصيل لترتفع عن مطامع الأنانية المريضة، وبعض الذين فاجأهم تأمير أبى عبيد من أبطال بكر وربيعة وأسد وشيبان قد قدموا للمثنى، وفى عيونهم ما ينبئ عن الاعتراض، وقد عرف البطل ما تكن النفوس، بل إن سلمى زوجته قد لمحت فى الوجوه ماينبىء بالثورة، فلم تدع المثنى يتكلم، بل صاحت بالقوم، لسنا فى الجاهلية كالأمس، ولكننا اليوم فى سبيل الله! سيان أن يكون المثنى وأخواه فى المقدمة أو الساقة فعين الله تنظر، والشهادة هى الموعد!

وفى الجبهة الأخرى أخذ رستم قائد الفرس يحشد عشرات الآلاف من أبطال المجوس مصمما على أن يقذف بالعرب نهائيا من أرض العراق، ومعه الخيول والفيلة والسلاسل، أما الخيول، والفيلة فمما يتوقعان، وأما السلاسل فقد أعدها ليربط بها الجنود فى المعركة فلا يستطيع أحد أن يفر إذا التهبت النار! ورأى المثنى كثافة الجيش الفارسى إذ بلغ أضعاف الجيش العربى، فتأكد أن فى استطاعة الكثرة الكاثرة أن تطوق القلة القليلة بسياج لاتجد منه البراح، فأشار على أبى عبيد أن ينسحب من الحيرة إلى خفاق إذ يجد فى الصحراء ملاذا للانسحاب إذا ضاق به الامر وكانت المشورة سديدة قبلها القائد فى ارتياح فانتقلت الحرب من ميدان إلى ميدان.

ليت أباعبيد - رحمه الله - واصل استماعه لمشورة المثنى، فقد اقترح البطل الشيبانى ألا يعبر المسلمون الجسر إلى قتال الفرس، بل يتركونهم كى يتقدموا، فإذا اضطروا إلى الانسحاب لم يعق فريقهم مد الفرات، ولكن أبا عبيد صمم على أن يتقدم إلى الفرس بكتائبه عابرا جسر الفرات، ومادرى أن الفيلة تفاجىء المسلمين لأول مرة فى الميدان وقد أحدثت الرعب فى الصفوف، وكان من الحزم أن يتقهقروا ليتدبروا الأمر ولكن أحد المتحمسين من العرب قد هدم الجسر ليجبرهم على الانتظار، واندفعت الفيلة فاندفع الفارون إلى الماء غرقى فى لجه المتلاطم، وأدرك المثنى هول

المأساة فجازف بنفسه ومعه أخواه صامدين أمام المعبر ليبنى الجسر من جديد، وكانت بطولة خارقة أسعفت الكثيرين، ولكن الضحايا قد تهاووا قبل بناء الجسر فبلغوا قدرا يؤسى عليه، وفيهم القائد المتحمس أبوعبيد بن مسعود - يرحمه الله!

واذا كانت الحرب سجالا، يوم لك ويوم عليك، فقد انتقم المثنى ليوم الجسر بما حازه من النصر الظافر فى معركة البويب، وقد عرف جزع المسلمين من الفيلة فأعد أمضى السيوف بأسا، وتقدم ليضرب الفيل المهاجم فى محجر عينه إذ لايحول الجلد الصفيق عن إصابته، وارتاع الفيل ففر ومن ورائه مئات الفيلة، وتركت المعركة للخيول والسيوف، وسقط مسعود أخو المثنى صريعا، فصاح المثنى، يابنى الإسلام كلنا مسعود فلا تهنوا هكذا الشهادة ياقوم! وأخذ يندفع وكأنه يطلب الشهادة عامدا، حتى النصر ولكنه عاد منه مثخنا بالجراح!

أحس البطل أن يومه قد حان، لأن جراحه فى معركة البويب كانت أكثر من أن تحتمل، فدعا المعنى أخاه، وزوجته سلمى، وقال فى صبر: لا أظن أجلى سيمتد ، ولكنى أسمعكم وصيتى الحربية للقائد الجديد حين يفد من المدينة، فهو لا يعرف شيئا عن طبيعة المكان، وعليه أن يحاذر ماوقعنا فيه من أخطاء، وأخذ يحدد أمورا كانت غائبة عن الحسبان، وفى تذكرها مايغير وجه المعركة من هزيمة إلى انتصار، وكان وجهه مؤتلقا بالبشر وهو يتحدث! ثم نظر فوجد زوجته سلمى تجهش بالبكاء فصاح بها، أتبكين ياسلمى وقد أديت واجبى وتطلعت إلى رحمة الله! كلا لن أراك غير مبتسمة، فأعدى سمعك لتنقلى عنى كل ما أقول.. ولم تك غير ساعات حتى صاح الصائحون مات المثنى فإلى رحمة الله!

ثم جاء بطل القادسية سعد بن أبى وقاص ليتولى زمام الأمر بعد خالد وأبى عبيد والمثنى، فسارعت سلمى بنت حفصة التيمية، والمعنى بن حارثة الشيبانى للقائه، وقد بهراه بما أبديا من المشورة، وأظهرا من الإخلاص، فأخذ يترحم على المثنى، وقابل أبطال البويب فحدثوه عن جهاد المثنى وأخويه وزوجته بما ملأ صدره إعجابا، وكان من تقاليد العرب حينئذ إذا ترملت زوجة قائد باسل أن يبنى بها خلفه لتظل محفوظة الكرامة فلا تهون، وعرض سعد على سلمى أن يقترن بها! وقال: إنه يريد أن يكون قريبا من نفسها، فيعلم من أمور الحرب ما يجهل، وستكون صاحبة مشورته كما كانت عند المثنى! ورأت سلمى أن الرجل فى حاجة إليها فأجابت!

وفى يوم القادسية أصيب سعد بمرض عاقه عن القيادة فأخذ يدير المعركة من نافذة القصر وقد جالت الفيلة ببأسها الشديد فى قبائل أسد وبجيلة وبكر، فأحدثت فزعا رهيبا بين المسلمين، ورأت سلمى ماحل بالقوم، فامتطت فرسها صارخة «وامثنياه! ولا مثنى اليوم للحرب»! وسمع المسلمون نداء سلمى وعز عليهم أن تصرخ باكية، فتهاووا على الموت مستبسلين، حتى تم النصر بعد هول هائل لايحد مداه، ورجعت سلمى إلى سعد، فقال لها: رحم الله المثنى، فقد جلب النصر ميتا ، كما جلبه حيا من قبل!

قالت سلمى: يرحمنا الله جميعا ياسعد!

لسنا إرهابيين

مراحل القتال فى الإسلام وضوابطه

لا ننكر أن مبدأ القتال موجود فى الإسلام، وهذا أمر لا يضيره، ولا يسمح في الوقت نفسه باتهامه بالإرهاب والعنف؛ لأنه أولاً مبدأ عام وسنة من سنن الحياة لا تخلو منه رسالات السماء ولا النظم الوضعية، على اختلاف منازعها.
ولأنه ثانيا، خاضع فى الإسلام لمجموعة من الضوابط والقيم الأخلاقية، بما ليس له وجود في غير الإسلام وقد مر وضع القتال فى الاسلام بعدة مراحل نذكرها قبل ذكر الضوابط التى يلور فى إطارها القتال.

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

المرحلة الأولى: مرحلة الحظر، فقد قضى الإسلام ثلاثة عشر عاما من عمره المبكر كان القتال فيها محظوراً. وهى الفترة التى قضاها الاسلام فى مهده الأول (مكة المكرمة) قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، وكان السابقون إلى الإسلام إذا أرادوا قتال المشركين لدفع أذاهم كان الرسول ﷺ يقول لهم:

« إنى لم أوذن بقتالهم، فلجأوا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين فراراً بدينهم.

المرحلة الثانية: مرحلة الإذن بالقتال، بدأت هذه المرحلة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة. وبعد أن هيأ النبى ﷺ، المناخ لقيام الدولة الإسلامية الناشئة، ولأول مرة فى التاريخ، بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وعقد الاتفاقية مع اليهود. وعمل الصحيفة الجامعة، التى كانت بمثابة دستور حددت فيه الحقوق والواجبات بين أهل المدينة كلهم. وتحديد العلاقات بينهم.

وكان أول مانزل فى هذا الشأن قوله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

(١) الحج (٣٩، ٤٠).

ومن أبرز مايلاحظ هنا، أن الإذن بالقتال كان استجابة لحاجة ملحة، فهو لم يؤذن به ليكون وسيلة اعتداء، بل لدفع ظلم واقع من قوى جائرة، على طوائف لم تجرم فى حق أحد فالقتال المأذون فيه قتال دفاع عن النفس والعقيدة وبعد صدور الإذن بالقتال أصبح مباحاً لا واجباً ولا محظوراً.

وكان التطبيق العملى للإذن بالقتال انتشار مجموعات صغيرة (السرايا) مسلحة بأسلحة خفيفة، تخرج وتتجول حول المدينة فى شكل دوريات أمنية نشطة. لا تعتدى على أحد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأمر الوجوبى بالقتال، وكان لابد منها، إذ كثرت الأطماع من أعداء الاسلام فى الإغارة على المدينة، وحشدوا الحشود وأعدوا العدة. وكان لابد من الدفاع عنها. وصد المغيرين عليها.

ففى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة، وقبل غزوة بدر الكبرى، نزل الأمر الوجوبى بالقتال فى قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾(٢).

فالقتال المأمور بوجوبه فى الإسلام، قتال دفاعى لا عدوانى قتال لرد عدوان وخطر واقع فعلا، أو متوقعا قامت الدلائل على وشك وقوعه.

إنه ليس قتالا للتوسع على حساب الغير، وليس قتالاً من أجل عصبية أو فرض الإسلام على الناس، وهم له رافضون وليس قتالا لمحو الكفر من الوجود كما يزعم الحاقدون على الإسلام.

إنه قتال فى مواجهة قتال، ولا يملك أحد أن ينكر على الإسلام شرعية القتال الدفاعى عن الأنفس والديار وحماية العقيدة التى جاءت بها رسل الله، رسولا تلو رسول، حتى ختموا بالرسول الخاتم محمد ﷺ.

***

الآيات التى تقدمت ذكرت طائفة من ضوابط القتال فى الاسلام. وهى:

● أن يكون القتال فى الإسلام جهاداً خالصا في سبيل الله لا من أجل فرض زعامات أو مبادىء أرضية أو عنصرية أو أطماع خسيسة، أو حب السيطرة.

● أن يكون قتالا فى مواجهة قتال، لا عدوان فيه.

● أن لا يعتدى المقاتلون المسلمون على أحد من غير الذين يحملون السلاح ويقاتلوننا، أو الذين يؤدون خدمات مباشرة لصالح العدو الحامل سلاحا.

وبذلك كان الإسلام أول من شرع عدم الاعتداء على الأهداف المدنية كالنساء والأطفال والشيوخ والأحبار والرهبان فى معابدهم، والدور والزروع والأشجار والماشية

(٢) البقرة (١٩٠).

كل هذه المعانى مندرجة تحت قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾.

● التخويف والتحذير لجماعة المسلمين المقاتلين من تجاوز القيم الأخلاقية فى القتال:

«إن الله لا يحب المعتدين»

● الاستجابة الفورية لوقف القتال إذا بدرت من العدو بوادر صادقة على وقف القتال من جانبه وفى تقرير هذا المبدأ السلمى العظيم نزل قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣)

● جواز العفو عن الأسرى بعد أن تضع الحرب أوزارها مع معاملتهم بالحسنى. وفي هذا نزلت الآيتان الكريمتان:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾(٥).

ففى هذه الآية شدة على من بدأنا بالقتال، ثم رحمة على من يقع فى الأسر من العدو، فلإمام المسلمين (رئيس الدولة) أن يسلك معهم بعد انتهاء الحرب واحداً من أمرين:

إما أن يمن على الأسرى ويخلى سبيلهم مجانا، وإما أن يأخذ فدية من القادرين منهم، وكان فى إمكان القرآن أن يأمر بقتلهم لو كان الإسلام دين عنف وإرهاب.

وفى الحديث الشريف:

«لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصْبروا»(٦).

ومما تقدم ندرك أن ضوابط الإسلام فى شئون القتال ثلاثة أنواع:

الأول: ضوابط وقيم أخلاقية قبل البدء فى القتال.

الثانى: ضوابط وقيم أخلاقية فى أثناء القتال.

الثالث: ضوابط وقيم أخلاقية بعد توقف القتال.

فأين - اذن - حروب العصر الغاشمة، الظالمة، أين هى من عدالة الحرب الإسلامية وضوابطها الحكيمة الرحيمة؟.

***

(٣) الأنفال (٦١).

(٤) الأنفال (٧٠).

(٥) محمد (٤).

(٦) فتح البارى (١٠/ ١٩٠).

الأمة الوارثة.. وبشائر التمكين

للدكتور/ حمدى فتوح والى

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم.. ورجاءهم فى مستقبلهم.. وما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين، الذى يحملون اسمه، ويجهلون كنهه ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه بالمعرفة واليقين.

وتزداد تلك الحاجة إلحاحاً أمام تلك الهجمات الشرسة التى تشن على الإسلام بصور مختلفة، وبطرق متعددة، يجمعها جميعاً الرغبة العارمة فى القضاء على هذا الدين عقيدة وشريعة، ونظاماً للحياة، يحدوها أمل جديد، ويدفعها حقد قديم، ويغريها غياب فكرى عن بعض أهل الإسلام. ممن تربوا على أفكار الغرب، وتشبعوا بفلسفته. وتلقوا تعليمهم فى مدارسه. مما أطمع أهل الغرب فى سهولة إنجاز مهمتهم. وإحكام قبضتهم ونشر عقيدتهم، والإجهاز على ماتبقى من شريعة الإسلام.

ولما كانت الشيوعية قد سقطت فكرة ونظاماً، فإنه لم يبق أمام الغرب نظام يخشى أثره، ويتقى خطره، ويملك أسباب السيادة ومقومات القيادة إلا الإسلام ويكمن خطر المنهج الإسلامى فى نظر الغرب فى قدرته الفائقة على إقناع العقول، وإمتاع النفوس والتسلل فى سهولة ويسر إلى القلوب. كما يكمن فى قدرته على الاتساع والانتشار، وتملكه لأسباب السيادة والقيادة والاستعلاء الشامخ على كل تخبطات الغرب التى فشلت فى مخاطبة العقول وإسعاد القلوب. وتلك الأسباب التى امتاز بها الإسلام هى التى ملأت قلب الغرب رعباً، وحملته على اتخاذ موقف العداء القوى، والانقضاض الوحشى على كل مايوحى بالقوة، أو يشعر بالتميز، أو يشير إلى امتلاك مقومات القيادة للأرض مادياً أو معنوياً. وإن ذهب يغطى ذلك العداء بغطاء وهمى صنعه بمكر. وجهز الدعاية له بذكاء، وهيأ أذهان العالم لقبوله بدهاء، فراح يعلن الحرب على الإرهاب لافتة، ويمارس الحرب على

الإسلام حقيقة وواقعاً ومن هنا رأيت من الضرورى أن أميط اللثام عن مكانة منهج الإسلام بين جميع مناهج الأرض كما حددها الله، وكما أراد لها أن تكون.

هذا الإسلام الذى جهله الغرب فمضى يحاربه بقوة، ويسعى للقضاء عليه فى لدادة وغلظة. وجهله أهله من المسلمين فأداروا ظهورهم له، واستقبلوا جحيم الغرب يحسبون سرابه ماء، حتى إذا جاؤوه لم يجدوه شيئاً.

وماذا يمكن أن يجد المسلمون عند أناس قطعوا صلاتهم بربهم وأعلنوا الحرب على خالقهم عندما دعاهم للإيمان به فكفروا، وأخذ عليهم العهد فغدروا، وائتمنهم على كتبه فحرفوها، وعلى شريعته فعطلوها وأفسدوها، فاستحقوا الطرد من رحمته، والحرمان من معيته، ولم يعودوا أهلاً لحمل أمانته وتبليغ دعوته.

وقصة استخلاف الله لأهل الكتاب مبسوطة فى كتاب الله ـ تعالى ـ يقصها الله علينا تبصرة وذكرى، وبياناً لنعمته علينا، حيث عافانا مما ابتلاهم به وحذرنا مما وقعوا فيه، من استبدال الكفر بالإيمان.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾(١).

وقال الله:

﴿إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢).

ذلك هو نص العهد الذى أخذه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بنى إسرائيل وهذا هو الميثاق الذى عاهدهم عليه، واضحة بنوده، ظاهرة حدوده، يشتمل على وعد كريم، ينشط النفوس السوية إلى سرعة التنفيذ، وإحسان التطبيق، وهو الوعد الكريم بمعيته وحسن مثوبته، وشمولهم برحمته، ومحو ذنوبهم، وتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنته.

وبجانب هذا الوعد الكريم يخوفهم من مخالفته، ويهدد من يقعد عن التنفيذ، ويكسل عن التطبيق بجزاء تنخلع منه النفوس، وتقشعر منه الجلود، وتوجل من هوله القلوب، وذلك فى قوله:

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

لكن نتيجة هذا الميثاق العظيم وهذا الوعد الكريم تأتى مذهلة مرعبة كما حكاها ربنا بقوله:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾(٣).

---

(١) المائدة «١٢».

(٢) المائدة «١٢».

(٣) المائدة «١٣».

يقول صاحب الظلال: «لقد نقضوا ميثاقهم مع الله.. قتلوا أنبياءهم بغير حق، وبيتوا القتل والصلب لعيسى- عليه السلام- وهو آخر أنبيائهم، وحرفوا كتابهم- التوراة- ونسوا شرائعها فلم ينفذوها ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفاً لئيماً ماكراً عنيداً، وخانوه، وخانوا مواثيقهم معه.. فباؤا بالطرد من رحمته وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هدى الله»(٤).

ولم يقف أمر اليهود فى عداوتهم لربهم عند مجرد العصيان والجمود بل تطاولوا عليه سبحانه فقالوا:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾(٥).

بل زادوا فى تطاولهم عليه سبحانه فقالوا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾(٦) وقد أجمل الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أبرز صفاتهم، التى تحدد جوهر جبلتهم، وتكشف عمق جريمتهم بقوله:

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٧)

وتأمل معى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَزَالُ ﴾ لنرى أبدية وقوع الخيانة منهم ما بقيت منهم بقية إلى يوم القيامة، فبجانب دلالة الفعل بنفسه على الاستمرار، فإن مجيئه مضارعاً يفيد التجدد والحدوث. وهو مايجب أن تفهمه أمتنا عند تعاملها مع هذه الفئة الكافرة الماكرة الجاحدة الخائنة إلى أن تقوم الساعة.

وتأمل معى أيضاً كلمة: ﴿ خَآئِنَةٍ ﴾ حيث جاءت نكرة لتفيد عموم الخيانة «الفعلة الخائنة.. والنية الخائنة.. والكلمة الخائنة والنظرة الخائنة. يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة ﴿ خَآئِنَةٍ ﴾ لتبقى الخيانة وحدها مجردة تملأ الجو وتلقى ظلالها وحدها على القوم. فهذا هو جوهر جبلتهم وهذا هو جوهر موقفهم مع الرسول ﷺ ومع الجماعة المسلمة».

تلك كانت تجربة مع أهل الكتاب الذين يشاركوننا اليوم عمارة هذا الكوكب.. وتلك كانت نتيجة التجربة وتأبى إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورحمته أن يترك الأرض بغير قيادة، أو يترك أمرها إلى قيادة غير ربانية، تعبد هواها وتخضع لشيطانها.

ومن هنا كان هذا الخطاب الإلهى الكريم لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام. مدعوون إلى الإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده. كما أخذ عليهم ميثاقه. ويسجل عليهم شهادته سبحانه بأن هذا النبى الأمى هو رسوله إليهم- كما أنه رسول إلى العرب، وإلى الناس كافة – فلا مجال لإنكار رسالته فهى من عند الله أولاً، ولا مجال للادعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب، أوليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانياً.

ويبين لهم طبيعة ماجاء به هذا الرسول ووظيفته فى الحياة البشرية بقوله:

---

(٤) فى ظلال القرآن، سيد قطب ٢/٨٦٢.

(٥) المائدة «٦٤».

(٦) آل عمران «١٨١».

(٧) المائدة «١٣».

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(٨)

وهما وصفان لهذا المنهج العظيم الذى جاء به الرسول الكريم. أما مهمة هذا النور الذى اختص الله به نبيه وأرسله به إلى العالمين فهو هداية أهل الأرض جميعاً إلى سبل السلام، إنه «السلام» هو مايسكبه هذا الدين فى الحياة كلها.. سلام الفرد وسلام الجماعة.. وسلام العالم. سلام الضمير وسلام العقل وسلام الجوارح. سلام البيت وسلام الأسرة وسلام المجتمع والأمة وسلام البشر والإنسانية. السلام مع الحياة.. والسلام مع الكون والسلام مع الله رب الكون والحياة.. ذلك السلام الذى لاتجده البشرية ولم تجده يوماً إلا فى هذا الدين، وإلا فى منهجه ونظامه وشريعته ومجتمعه الذى يقوم على عقيدته وشريعته.

ويؤكد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا النداء بدعوة أهل الكتاب مرة أخرى إلى الاستماع لما جاء به رسول الله ﷺ بقوله:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٩).

وبهذه المواجهة الحاسمة لاتعود لأهل الكتاب جميعاً حجة من الحج، فى أن هذا الرسول الأمى لم يرسل إليهم فالله ـ سبحانه ـ يقول:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾.

وياله من مقام كريم وشرف عظيم- أن ينسب الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إليه هذا الرسول العربى الأمين. وأن يوجهه إلى مخاطبة أهل الكتاب إعلاناً لمسئوليته عنهم وتكليفهم بالاستماع إليه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٠).

والمتأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أنها صدرت بفعل أمر للرسول ﷺ يحمله تكاليف دعوة أهل الكتاب وانتهت الآية بفعل أمر للمسلمين بأن يتمايزوا بإسلامهم ويعتزوا بانتسابهم إلى ربهم، وأن يعلنوا فى عزة وفخر هذا الانتساب الكريم. فى مقابل انحياز أهل الباطل إلى باطلهم، وإصرارهم على عنادهم واغترارهم بقوتهم واعتزازهم بسلطانهم.

وهذه العبارة على قصرها هى أقوى أسلحة هذه الأمة وأعظم مؤهلاتها أمام التحدى الحضارى المفروض علينا اليوم.

إن التزام المسلمين بإسلامهم، واعتصامهم بكتابهم، واستعلائهم بدينهم: عقيدة وشريعة ونظاماً. يعنى استكمال المسلمين لمقومات الأمة الوارثة، كما يعنى قدرة تلك الأمة على تولى زمام القيادة دون انحياز لعنصر أو لون أو لغة أو جنس وإنما هو الانحياز لمنهج الله وحده، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله.

إن الشهادة بأنا مسلمون تعنى وراثة الكتاب، وتولى القيادة وإخلاص الوجهة، وإعلان الحكم

---

(٨) المائدة «١٥».

(٩) المائدة «١٩».

(١٠) آل عمران «٦٤».

لله رب العالمين، وهذا يعنى بداية إعداد الأمة لتحمل أعباء قيادة البشرية بمنهج الله إلى الله، وكان بداية هذا الإعداد تكوين القيادة الربانية ممثلة فى رسول الله ﷺ على عين الله الذى ناداه بقوله:

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾(١١).

ورباه على لذة القرب، وجلال الحب بالقيام الدائم بين يديه تهيئة لتلقى وحيه واستقبال أمانته.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾(١٢).

ثم يقوم الرسول ﷺ فى أصحابه يعدهم لأعظم أمانة وأخلد رسالة «يغذى أرواحهم بالقرآن، ويربى نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات فى اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق وتحرراً من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات ونزوعاً إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح الجميل وقهر النفس، ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويذكى جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخاً فى الدين وعزوفاً عن الشهوات وتفانياً فى سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم وفقهاً فى الدين يطيعون الرسول فى المنشط والمكره، وينفرون فى سبيل الله خفافاً وثقالاً، قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعاً وعشرين مرة فى عشر سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلى عن الدنيا، وهانت عليهم رزيئة أبنائهم ونسائهم فى نفوسهم، وانحلت العقدة الكبرى عقدة الكفر والشرك فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول جهاده الأول فى ميدان نفوسهم وانتصر على الجاهلية فى المعركة الأولى فكان النصر حليفه فى كل معركة.

حتى اذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا فى الدنيا رجال الآخرة، وفى اليوم رجال الغد، لاتجزعهم مصيبة ولايشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة ولاتستخفهم قوة، ولا يريدون علواً فى الأرض ولافساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، ودعاة إلى دين الله واستخلفهم الرسول ﷺ فى عمله ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته»(١٣).

وإذا كانت البشرية بالأمس قد وجدت لها من جنود الله من يروض جموحها ويكسر شوكتها، ويتوجه بها إلى الله ـ تعالى ـ فمن لجاهلية هذا العصر؟! وهى التى شأنها أوعر، وحقيقها أخبث ومواجهتها أشد وأعنف.

هذا ماسنحاول بيانه فى وقت يحين بإذن الله تعالى.

(١١) الطور «٤٨».
(١٢) المزمل «٥».
(١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبى الحسن الندوى ط ١٩٩٠ ص١٢٧.

حضارة قوم نوح

١

للدكتور/ على أحمد على

قوم نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعتبرون القبيلة الأولى البارزة ـ فى وضوح ـ من بعد الأسرة الأولى ـ أسرة آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك ما علمناه من التنزيل العزيز، ولقد يكون من بعد آدم ومن قبل نوح قبيلة أو قبائل، وذلك أمرٌ وارد قطعا، لكنا لكى نريد تحديدا دقيقا لموضوعنا.. نقول: نحن لا نعلم قوما من قبل نوح أرسل فيهم رسول بيقين إلا قوم نوح هؤلاء، فأما قوم « إدريس » ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا قطع حاسما بين أيدينا يذكر لنا أنهم من قبل نوح، ففى الأمر خلاف: أكانوا قبله أم من بعده، وما تطرق إليه الاحتمال تركنا أمره حتى حين، لندرس عن يقين حقيقة مؤكدة، ولن تكون من بعد آدم إلا فى قوم نوح وليس من شك أن قبل هؤلاء القوم أسرا وآباء بدليل قول الملأ من قوم نوح للناس فى معرض تكذيبهم لرسالته، ورغبتهم فى صرف الناس عن دعوته:

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(١).

ونود أن نوضح ـ ابتداء ـ أن هذا البحث ليس مختصا بديانتهم، وإنما هو مختص بدراسة حضارتهم، وقد نعرج إلى ديانتهم وإلى رسالة نوح عرضا يخص أيضا دراسة الحضارة، لأن « الدين » أساس فيها، ولنبدأ بما يجب البدء به، أعنى: مكان قوم نوح - عليه الصلاة والسلام.

فأين كانت مساكن قوم نوح..؟

إن حديث القرآن الكريم يؤكد لنا أنهم آخر ذرارى آدم ـ عليه السلام ـ ذلك أن نوحا ـ إذ نجا هو ومن آمن من قومه من بعد الطوفان ـ يعتبر أبا البشرية الثانى، فأين كانت ـ إذا ـ مساكن الهالكين المكذبين من أمته؟!

(١) المؤمنون (٢٤).

إننا نتلمس الإجابة عن هذا السؤال لدى الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد، من كتابه: (سكان هذا الكوكب) حين تعرض لبحث «مكان نشأة الإنسان» على هذا الكوكب، وركز - رحمه الله تعالى - في بحثه، في هذا العهد السحيق، على «مكان» هذه النشأة، ورأى أنه ينبغي أن يتوفر لهذا المكان أمران حيويان:

أ- إمكان الحياة فيه.

ب- ويسر ارتياد الإنسان منه لمناطق المعمورة شرقا وغربا.

وانتهى - رحمة الله عليه - إلى خير الأماكن التي توفر هذا الهدف، فإذا هو مكان:

«يمتد شمالا من سهول تركستان إلى هضبة إيران إلى سهول دجلة والفرات وخليج العجم [الخليج العربي] إلى شمال جزيرة العرب وبادية الشام»(٢).. ونقول:

إن جزءا من هذه المنطقة كان - بمشيئة الله تعالى - مستقر قوم نوح - عليه السلام - ونزيد أنه كان أقرب إلى الجزيرة العربية جدا، مستظهرين لذلك بقول نبي الله «هود» - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لقومه من العرب البائدة التي ظهر قوامها في هذا العهد السحيق - بالأحقاف من الجزيرة العربية - وقد أنذرهم عاقبة وثنيتهم بقوله:

﴿ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾(٣)

وقد ذهب بعض المفسرين، ومنهم الإمام النيسابوري إلى جواز أن تكون مساكن «عاد» قوم «هود» هي نفس مساكن الهلكى من قوم نوح خلفهم «عاد»(٤) عليها، قال - رحمه الله: أي خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع أ هـ(٥).

وما ذهب إليه الإمام النيسابوري بتفصيل ذهب إليه الأئمة: الزمخشري، ووافقه النسفي والخازن. كل في أحد القولين المبسوطين ثمت(٦).

ونزيد - أيضا - بيانا لهذا القرب - بما ظهر في الجزيرة العربية من أوثان قوم نوح - عليه السلام فقد روى البخاري في صحيحه - بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما (ودّ) كانت بدومة الجندل، وأما (سُواع) كانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع(٧).

وكان لرسول الله ﷺ بعوث لهدمها، ذكرتها كتب السير في تاريخه - عليه الصلاة والسلام - على أنا نلاحظ - بوضوح - أن أماكن هذه الأوثان شملت أعالي الجزيرة وجنوبها.

---

(٢) د/محمد عوض محمد - سكان هذا الكوكب - فصل: نشأة النوع البشري.

(٣) الأعراف (٦٩).

(٤) القبيلة التي بعث فيها هود.

(٥) هامش الطبري ٨/١٤٠ ط أولى على نفقة السيد عمر الخشاب.

(٦) الإمام الزمخشري- الكشاف ١/٥٥٤، والنسفي والخازن ٢/١٠٣.

(٧) صحيح البخاري ٦/١٩٩ ط الشعب.

طرح الحضارة

للحضارة طرح مادى، فليست حديثا عن المآثر والبطولات، بل هى أبعد تماما عن الكلمات البراقة والأناشيد الحماسية يتحدث بها إنسان أو أكثر، مسئول أم غير مسئول عن مجد قومه، أو ضخامة ثروتهم، أو مالهم من قوة ضاربة أو منزلة دولية، فلقد يكون لدولة كل ذلك، ولكنها ـ فى نفس الوقت ـ مجردة من كل حضارة فضلا عن فقدها كما كبيرا من معالم الإنسانية الرفيعة.

إن للحضارة « ثوابت » مادية ينالها السمع والبصر والفؤاد، تعتبر ـ جميعا ـ طرح الحضارة والمقياس الدقيق لمنزلة أمة ـ لتبين: أين هى من مدارج الحضارة، فى القمة هى، أم فى الطريق إليها، أم لم تقطع فيها شوطا بعد؟!

وتلك الثوابت هى:

أ- النظم: أى نظم الحكم فى المنطقة « مناط البحث »، وإدارتها، وشئونها المختلفة من تشريع فى مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما يطرحه ذلك كله من أسلوب حياة، وأخلاق وعادات. وملكية وصناعات ونقود وموازين ومقاييس.. إلخ.

ب- الدين: ويعنى كنه العقيدة فى أولئك القوم « محل البحث » ومنشآته من أماكن عبادة، وإدارة، وثقافة تخصه، وطريقة ممارسته: من صلاة.. وقربان.. وحسنة أو خطيئة.. وثواب أو عقاب.. ثم مصير الإنسان فى ظل هذه العقيدة.

جـ- الفنون فى هذه البلدة وتلك المنطقة: من عمارة.. ونحت.. وتصوير.. ونقش.. وأزياء، فالثياب وتفصيلها وما عليها من تطريز.. كل ذلك فن بدوره بجانب أنه صناعة، وما يقال فى الأزياء يقال كذلك فى الأثاث الذى تحويه منازلهم وعماراتهم، كل ذلك من معالم الحضارة.

د- الآداب والعلوم: من طب وفلك وتقويم. وقصص أو أساطير... الخ.

هـ - التاريخ:

وفى ضوء هذه الثوابت نبحث مدى الحضارة التى كانت فى قوم نوح ـ عليه السلام؛ فبهذه الثوابت يتبين لدارسى الحضارة ما على القوم من رقى إنسانى، فالذين يعيشون فى إطار نظام يكفل لهم حياة رغدة أو محتملة، ويكفيهم شر أعدائهم، ويتمتعون باقتصاد ما، وصناعة أية صناعة ولكل فرد أسرته، وعقيدته: يأويه مسكن يرضاه، ويعيش هو، والملأ من قومه ممتعين بفنون مختلفة، ترقرق من مشاعرهم، وتسمو بوجدانهم: من عمارة ونحت وأدب وفنون، عالمين بحساب أوقاتهم، وعلى خبرة بأرضهم، وكيف هى صيفا وشتاء، ولهم من الطب ما يطمئنون إلى ما عرفوا من وسائله.. لاشك أن قوما على هذه الدرجة أو قريبا منها هم قوم متحضرون ليسوا كالبدو على أية حال.

وفى ضوء هذه « الثوابت » قدم مجمع اللغة العربية بمصر تعريفه للحضارة، فاعتبرها: « مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى » وعن ثوابتها قال:

«الحضارة: مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى»[٨].

والتعريف اختصار بليغ جامع لهذه الثوابت.

وغنى عن البيان أن ننوه بأننا ندرس حضارة قوم لم يعرف التاريخ - بمناهجه الحديثة - الطريق إليهم، وليس - إلا الله وحده - صاحب العلم بهم، ثم إنه لا يتم لمؤرخ عمله الحق إلا إذا:

أ- توفرت له الحقائق.. ب- وسجلها بأمانة..

والله وحده صاحب ذلك، قال - تعالى:

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾[٩].

فأما المؤرخ فهو بين الأمرين على منزلة لا يعلمها إلا الله. تبارك وتعالى.

فلا عجب أن يقول - ديورانت - فى مقدمة قصة الحضارة :

(معظم التاريخ ظن وبقيته من إملاء الهوى)

ونحن نعتمد فى بحثنا هذا على (الوحى).. على كتاب الله الكريم، ثم على ما ثبت صحيحا عن رسول الله ﷺ، أى أننا نعتمد - فقط - على «الوحى» الصادق ليس غير.

وهو «المصدر» الذى تعمد الغرب لأمور أن يستبعده من كل بحوثه. هدانا الله وإياه وفى ضوء هذا المصدر نتلمس «الثوابت» التى قدمناها.. نتلمسها فى قوم نوح فى عهدهم هذا السحيق لنرى: أكانت لهم حضارة.؟ وما قيمتها فيهم..؟! ثم نكر - فى النهاية - على منهج الغرب.

نظم قوم نوح

فى ثلاث وأربعين آية - فى التنزيل العزيز - جاء ذكر نوح وقومه:

ومنها نعلم أن نوحا وقومه جمعهم «مجتمع» هم فيه أقدم جماعة إنسانية من بعد آدم - عليهما السلام - وقد اعتبر نوح - بعد الطوفان - أبا الإنسانية الثانى - كما قلنا من قبل.

الأسرة: وفى هذا المجتمع كانت الأسرة: من زوج وزوجة وولد - أو - أولاد، ففى الكتاب العزيز من حديث إرشاد نوح لهم قوله - مذكرا إياهم بنعم الله - تعالى - عليهم:

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[١٠] وجاء فى دعائه ربه قوله:

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾[١١]

---

(٨) المعجم الوسيط: مادة حضارة. وانظر فى: «ثوابت الحضارة» تفصيلا:

أ- بلاد ما بين النهرين La mesopotanie تأليف: ل. ديلا بورت. الكتاب رقم (٣٥) من سلسلة الألف كتاب.

ب- الحيثيون: تأليف. أ. ر. جرنى R. gurney الكتاب رقم (٤٥١) سلسلة الألف كتاب. مطابع البلاغ.

جـ- الحضارة اليونانية. د/السيد مصطفى حجاج - جامعة عين شمس - كلية الآداب - بلا تاريخ أو مطبعة.

د- الحضارة المصرية والحضارة الشرقية - د/على إبراهيم حسن - نشر مكتبة مصر - الفجالة.

(٩) الأعراف (٧).

(١٠) نوح (١٢).

(١١) نوح (٢٨).

وقوله – عليه الصلاة والسلام – فى رجاء حار لولده حتى لا يهلك مع الهالكين:

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾(١٢).

ويهلك الولد، ويناشد نوح ربه:

﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾(١٣) ويرشده الحق – سبحانه وتعالى – إلى علامة الطوفان:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾(١٤).

أى زوجتك وأولادك.

فالآيات جامعة لكل عناصر الأسرة فى هذا المجتمع.

الطبقات: ويحدثنا القرآن الكريم عن طبقات هذا المجتمع، فنعلم منه أن مجتمع قوم نوح جمع فئتين من الناس: فئة على غنى ونفوذ.

وأخرى صفر منهما، لابد أنها كانت تعيش على كد وفقر.

يدلنا على الطبقتين استنكاف الطبقة الغنية ذات النفوذ أن تؤمن برسالة نوح – استكبارا، وتقذرا واشمئزازا من الطبقة الدنيا، وقالوا لنوح:

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾(١٥)

يقولون: ما اتبعك – يا نوح – إلا الذين هم دوننا فى كل شىء.. اتبعك هؤلاء الذين لا قدرة لديهم على النظر والتأمل، ويسارعون إلى القناعة بالأمور بلا روية ولا تفكير، فليس لهم من الثقافة ما لنا، وليس لهم من الرأى والتدبير ما نتمتع به مما يجعلنا نرفض ما تدعو إليه من وحدانية لانراك – وهم معك – إلا كاذبين.

الحكم: وفى تصوير القرآن الكريم لعظماء هذا المجتمع، قدمهم لنا بلفظ:

﴿ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾(١٦) أى قوم نوح و﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ يعنى: وجوه القوم وكبراءهم فهؤلاء – بغير شك – يمثلون القوة والنفوذ فى هذا المجتمع، وليس – فى الكتاب العزيز ذكر لملك على قوم نوح – عليه السلام – كما ذكر الملكية فى غيرهم، فكيف كان تكوين الحكم فيهم، أكان لهم نظام أشبه بالنظام الجمهورى، أم كان لهم مجلس يدير فى مجموعه شئون بلده؟ فأما الأول فلا دليل عليه، وأما الثانى فمحتمل جدا، إذ هو أشبه بالمجالس القبلية أو الجمهورية التى لا يرأسها فرد بعينه، وإن خضع المجلس فى النهاية لأقواهم نفوذا.

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى (مجلس لهم) وذلك إذ يقول نوح:

---

(١٢) هود (٤٢ ، ٤٣).

(١٣) هود (٤٥).

(١٤) هود (٤٠).

(١٥) هود (٢٧).

(١٦) الأعراف (٦٠).

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾(١٧).

يقول نوح:

يا قومى إن كنتم ضقتم بطول إقامتى فيكم واعظا مذكرا إياكم بحجج الله وبراهينه على أنه هو – وحده – الإله الحق لا إله غيره، فاجتمعوا وتشاوروا فى أمرى وادرسوه دراسة واعية واضحة، وانتهوا إلى حكم واضح فىَّ ثم أتونى فنفذوه.. أى لست أبالى بكم(١٨).

وحكم ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ برفض دعوة نوح، واتهموه بالجنون، وتمادوا فى تهديدهم له بالرجم حتى الموت إذا لم يكف عن دعوته، فقالوا:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾(١٩).

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾(٢٠)

ومن هذه الآية الأخيرة نتبين أن للقوم ـ أيضا ـ فى نظمهم ـ وسائل ردع وعقاب لمن يعتبرونه أصاب خطيئة، ولا يعنى «مجلسهم» لأمر نوح أن لا مجلس لهم سواه يعنى بأمورهم وشئونهم الأخرى لقد انصرف جهد القوم فى صد الناس عن دعوته، ونجحوا فى ذلك إلى أبعد حدود النجاح، فصرفوا المجتمع: غنيه وفقيره عن الإيمان بدعوة نوح، وانكبوا مشركين على أوثانهم:

﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٢١).

ثم معذرة إذ تجاوزنا مضطرين دراسة ما تبع كل (ثابتة) من هذه الثوابت كما وردت بالجدول المتقدم سواء فى ذلك (النظم) أو غيرها من معالم الحضارة، ضرورة ما يجب علينا من إلحاق النتائج بأسبابها مباشرة، وإن كنا لن نترك بحال شيئا منها – بمشيئة الله تعالى– فنحن مثلا لا نستطيع الحديث عن الصناعات من حيث هى تابعة للنظم وجزء من أجزائها، لأن الحديث عن «الصناعات» ناتج حتما عما بين يدى هذا المجتمع من أدوات وأحوال يدير بها شئونه، فإذا ما تحدثنا عن هذه الأدوات وتلك الشئون كان من نتائجها المباشرة الحديث عن الصناعات، وجاء الحديث عنها فى مقامها المحمود، طبيعة إلحاق النتائج بأسبابها، من أجل ذلك جاء تأخيرنا للحديث عن الصناعات أو غيرها.

دين قوم نوح

كان القوم مشركين وثنيين:

يتجلى شركهم فى إقرارهم بالله ومعرفتهم بوجوده، وأن له ملائكة، لكنهم لم يخصوه ـ سبحانه ـ بالعبادة دون غيره، فجعلوا لله – تعالى – شركاء رمزوا إليها بأوثانهم: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر» وأكبوا على عبادتها، وتمادوا عليها علوا واستكبارا.

قال لهم نوح: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٢٢).

﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(٢٣)، ومضى فى دعوته

---

(١٧) يونس (٧١).

(١٨) راجع تفسير الآية الكريمة لدى ابن كثير، والسيوطى، والخازن.

(١٩) المؤمنون (٢٥).

(٢٠) الشعراء (١١٦).

(٢١) هود (٤٠).

(٢٢) هود (٢٦).

(٢٣) الأعراف (٥٩).

ألف سنة إلا خمسين سنة، وهم ينأون عنه وينهون عنه، يقولون:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾(٢٤) أى لم يبعث بشرا لنا مثلك:

﴿ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾(٢٥).

وازدادوا عتوا بأن تحدوه أن ينزل بهم العذاب الذى أنذرهم به، يقول نوح:

﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾(٢٦).

فيقولون:

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٢٧).

أى أنزل بنا هذا العذاب الذى تخيفنا به، ولا نعتقد أنك صادق ورفضوا الوحدانية حيث هى «مسئولية» و«جزاء» ورضوا ان يرتعوا بلا مسئولية ولا جزاء حتى أخذهم الله بالطوفان أخذ عزيز مقتدر – جل علاه.

وإنكار الوحدانية يعنى إنكارهم للجزاء، فهو إنكار لليوم الآخر، فحياتهم الدنيا كل شىء ولا شىء بعدها. وذلك عينه هو المصير الإنسانى فى عقيدتهم الوثنية، إن لم يكن كل وثنية.

فكيف كانت عبادتهم لأوثانهم؟

ليس بين أيدينا أخبار تقطع بهذه الكيفية، وإن كنا نعلم أن العبادة فى الوثنيات من أمثالها تعنى: السجود للوثن، والتمسح به، والذبح له، والدعاء باسمه، وصب الدماء واللبن عليه، وتزيينه بما أمكن من ذهب أو جوهر، واتخاذ أرض حوله تعتبر حرماً له، والنداء باسمه والتضرع به ليس طلبا للمغفرة، ولكن طلبا للنصر والنفوذ والكسب فى الدنيا، فليس للآخرة حساب لدى القوم.

هذا ما نعرفه من مظاهر عبادة الوثن كما حُملت إلينا عن عُبَّاده فى العصور التاريخية، فأما عن قوم نوح، فلسنا بمستطيعين أن نعتبر هذه الكيفيات نفس ممارسات القوم لأوثانهم(٢٨).

فقد تكون وقد لا تكون، أو يكون جزء منها قائما بجانب شعائر أخرى غير ما ذكرنا.

وكل ما نستطيع أن نؤكده ضرورة القيام بحق هذه الأوثان كما يتصورونها، فيكون لها – مثلا – كاهن واحد، أو أكثر، يختص كل منهم بواحد منها، كما يكون لها كذلك (سادن) أى خادم، أو أكثر يتولى شئون حفظها وصيانتها، وصيانة حرمها.

ومن الكاهن والسادن معا تتوالى «أساطير معجزات الوثن» التى تروق وتروج بين العامة والقدر الحق الذى يتعلق بشأنها هو جزء من تاريخها أورده لنا الحديث الصحيح عند البخارى فيما أورده من تفسير لسورة نوح، قال – بعد ذكر الأوثان الخمسة، أنها:

«أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبدت».

وأورد الإمام ابن حجر شرحا مستفيضا للحديث يتبين منه قدم الوثنية التى ورثها قوم نوح(٢٩).

«يتبع»

---

(٢٤) المؤمنون (٢٤). (٢٥) نوح (٧). (٢٦) هود (٢٥، ٢٦).

(٢٧) هود (٣٢). (٢٨) راجع لابن الكلبى: الأصنام.

(٢٩) ابن حجر – فتح البارى ٥١١/٨ باب ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق.

القرآن دستور الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أعظم ما يقف عليه المسلم فى القرآن؛ حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق فى أسمى درجاته، وحديث الطهر فى أنقى صوره، لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

قال الله ـ تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

وقد أقسم الله ـ تعالى ـ على ذلك، فقال :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة، وذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء. فقال :

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾[4]

وحين سمع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ رسول الله ﷺ يقول : « ستكون

---

(١) الحجر (٩).
(٢) الواقعة (٧٥:٨٠).
(٣) الحشر (٢١).
(٤) الرحمن (١:٧).

فتن » . . إلخ، سأله عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول ﷺ قائلا : « كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾(٥) من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم » .

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت :

أولا : فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٦) .

وقال :

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾(٧) .

وقال :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٨) .

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٩) .

ثانيا : فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١٠) .

بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحاً قال تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١١)

---

(٥) الجن (١).

(٦) النحل (٤٤).

(٧) النحل (٦٤).

(٨) الإسراء (٩).

(٩) طه (١٢٤:١٢٦).

(١٠) البقرة (٢٣).

(١١) الإسراء (٨٨).

وفيما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «ما من الأنبياء نبى الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث، من بين يديه ومن خلفه:

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٢).

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(١٣).

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(١٤).

ولما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر فزعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذى يعلم الرسول أغلب ما يأتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(١٥).

بل إنهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال ولا يهدأ لهم بال شان كل متحد فمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء وأخرى : بل هو شاعر:

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾(١٦).

وعندما فكر الرسول ﷺ فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا إن محمداً كاهن، فرد الوليد هذا الرأى: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ـ أى الكلام الخفى ـ ولا بسجعه واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد الوليد هذا الرأى بأنه لا تبدوا عليه لهذا الزعم ظاهرة واقترح غيرهم أن يتهموا محمداً بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئاً، وبعد حوار اقترح الوليد

---

(١٢) فصلت (٤١:٤٢).

(١٣) الشعراء (٢١٠:٢١٢).

(١٤) الشعراء (٢٢١:٢٢٢).

(١٥) النحل (١٠٣).

(١٦)الأنبياء (٥).

عليهم أن يقولوا للحاج من العرب: إن هذا الرجل ساحر البيان وإن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته، ا هـ «حياة محمد، لهيكل».

وفى صدد بيان تلك الفرى التى افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها، ويبددها فى قول الله ـ تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١٧).

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحى الإلهى فى أجل صورها وأسماها وهى آيات الله البينات التى اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحى، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة «الأحقاف» إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب، وما خلق من السماوات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذى يهدى للتى هى أقوم، وكلاهما يتضافران فى بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله ـ تعالى ـ ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التى لا لبس فيها ولا غموض:

﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾(١٨).

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾(١٩).

إن نهايتهم ونهاية ماعبدوا فى الدنيا عجز ومهانة. وأما نهايتهم فى الآخرة فهى وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم:

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾(٢٠).

وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد فى جلاء ووضوح..

بعد هذا أخذت الآيات فى إثبات قضية الوحى الإلهى فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا:

﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٢١).

---

(١٧) الأحقاف (٧:٨).
(١٨) الأحقاف (١:٣).
(١٩) فاطر (٤٠).
(٢٠) الأحقاف (٦).
(٢١) النمل (١٣).

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا فى صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لأن هذا لا ينبغى أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[22].

وهنا تأتى الإجابة أمرا من عند الله ـ تعالى ـ يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتى عليها من القواعد، فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدى إيمانكم لو آخذنى ربى؟

﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[23].

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به:

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾[24]

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[25]. فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم، وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق أخذت فى مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ﷺ فهو لا يختص نفسه بشئ ولا يصدر فى أمر إلا عن وحى الله، لأن قلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه إلى سر ما من الأسرار وأنه ليس أول رسولٍ جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل:

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[26].

أما ما أشارت إليه الآية:

﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية أما ما يحدث فى الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين إنذار الرسول ﷺ بعقاب الله ـ تعالى ـ لهم:

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

كما أخذت الآيات بعد ذلك فى إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بنى إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين، أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها أيضاً عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبدالله بن

---

(22) السجدة (3).

(23) الأحقاف (8).

(24) الأحقاف (8).

(25) الأحقاف (8).

(26) الأحقاف (9).

سلام » لما سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر، فقال له: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول شرائط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال ﷺ: « أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته » فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقام، ثم قال: يا رسول الله؛ إن اليهود قوم بهت فإن علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبى ﷺ: « أى رجل عبدالله فيكم؟ » فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: « أرأيتم إن أسلم عبدالله؟ » قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر، قال سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٢٧).

ورحم الله البوصيرى إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادى إليها ملقى السلم

نفعنا الله ـ تعالى ـ بالقرآن الكريم ووفقنا إلى العمل به إنه سميع مجيب.

***

(٢٧) الأحقاف (١٠).

الآثار النفسية في أسلوب القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

من روائع أسلوب القرآن الكريم أنه يتجاوز ظاهر السياق ومايوحى به المدلول العادى للألفاظ إلى إبراز التأثير النفسى الذى يستهدفه الكلام، حيث إن الهدف للدين بصفة عامة، وللقرآن الكريم بصفة خاصة أن يصل إلى أعماق النفوس، فيؤثر فيها تأثيرا يتحقق معه اليقين والاقتناع، ومثال ذلك أن محمدا ﷺ كان فى بدء رسالته متشوفا إلى ظهور الدين، وهو يعانى مع القلة التى آمنت به صنوفا من الأذى والتكذيب والتسفية والاضطهاد، منتظرا أن يواتيه نصر الله وتأييده بصفة عاجلة.

فالله ـ سبحانه ـ ينزل إليه وعدا مؤكدا بأن عطاء الله إياه قادم لامحالة فى قوله تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾[1].

والأسلوب العادى المتوقع هو أن يكون التعبير نحو ولسوف يعطيك ربك ما تريد من النصر والتأييد، أو نحو ولسوف يعطيك كل ما تتمنى، أو نحو ولسوف يعطيك عطاء لم يعطه أحدا قبلك، أو نحوا من هذا، وحين نتأمل مدلول مثل هذه العبارات نجد أنها تفيد عظم العطاء وفيض الجود ولكنها لاتشبع النفس، ولاتلقى فيها الإحساس بعدم الحاجة إلى المزيد، فصاحب المال لو أعطى واديا من ذهب لابتغى ثانيا ثم ثالثا وهكذا، وصاحب الملك لو أعطى ملكا عظيما يتطلع إلى بسطة أوسع وأعظم فى الملك فيتجه إلى الغزو والفتح، وكذلك كل صاحب نعمة مهما عظمت يتطلع إلى المزيد منها ومن غيرها، وإذن فلو كان تعبير القرآن ولسوف يعطيك ربك كل ما تتمنى أو نحو ذلك فلن تتحقق القناعة النفسية أو السعادة التامة بهذا العطاء، وإنما تتحقق السعادة والقناعة بشعور المرء بأنه راض عما أعطيه، لأن الرضا يجعله لايتطلع إلى المزيد، حيث التطلع إلى المزيد يعنى أنه غير راض رضا حقيقيا عما لديه.

ولذلك تجاوز أسلوب القرآن كل التعبيرات التى تفيد تحقيق الآمال والتطلعات لدى الرسول الكريم وركز فى الثمرة والفائدة من كل نعمة وكل عطاء وهى أن هذا العطاء فيه كل الكفاية ولايحتاج الى مزيد، وكأن الله ـ سبحانه ـ يقول لرسوله الكريم: ثق بأن ربك سيعطيك العطاء الذى لاتجد فى نفسك بعده أى شعور بأنك فى حاجة إلى مزيد.

ومن دقة تعبير القرآن أنه كان يمكن أن يكون التعبير ولسوف يعطيك ربك حتى ترضى، وهو معنى صحيح، ولكنه لايبلغ تحقيق مراد القرآن، لأن التعبير بلفظ (حتى) يعنى أن العطاء متدرج، والتدرج يعنى أن الرسول الكريم ومعه المسلمون يظلون فى كل درجة من درجات النصر والتأييد من الله يتطلعون إلى المزيد من الله، ولكن الله يقول لرسوله العظيم انتظر العطاء الأكبر، الذى لاتجد فى نفسك معه حاجة إلى مزيد، وقد تحقق هذا فى فتح مكة الذى عبرت عنه سورة النصر:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[2]

وكانت هذه السورة آخر مانزل على رسول الله من القرآن بعد حجة الوداع، بينما سورة الضحى التى تضمنت الوعد بالعطاء العظيم كانت من أوائل السور التى نزلت فى بدء الإسلام بمكة.

ومراعاة لهذا الفارق الزمنى بين الوعد فى بدء الإسلام وتحقق الوعد فى آخر حياة النبى ﷺ كان التعبير بلفظ (سوف) فى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ فقد كان يمكن أن يكون التعبير نحو وليعطينك ربك فترضى، فيكون وعدا بشئ عاجل، أو بنحو وسيعطينك ربك

---

(١) الضحى (٥).

(٢) النصر (١: ٣).

فترضى، فيكون وعدا بشئ قريب، ولكن التعبير كان بلفظ: ﴿ وَلَسَوْفَ ﴾ الذى يعنى وعدا بشئ بعيد نسبيا حتى يوطن النبى والمسلمون أنفسهم على الصبر وعدم تعجل النصر.

ومن روائع هذا الأسلوب لفظ (أعجبك) من قوله تعالى:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾(٣).

فمضمون الآية الكريمة أن الله حرم على نبيه الكريم أن يتزوج بعد نسائه التسع، لا بأن يضيف إليهن أخرى أو أخريات، ولا أن يستبدل بهن أخرى أو أخريات، وكان السياق المألوف أن يقال مهما يكن حسنهن، أو مهما يبلغن من الجمال، أو نحو ذلك، ولكن شيئا من ذلك لايؤدى ما يؤديه تعبير: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ لأن المهم ليس الجمال لذاته، ولكن المهم هو صدى هذا الجمال ووقعه فى نفس الرجل، فقد توجد امرأة بارعة الجمال ولكن بعض الناس قد يقولون إنها ليست جذابة، أو أن جمالها بارد، أو نحو ذلك مما يعنى عدم تأثير جمالها فى النفس، وبالتالى عدم إثارة العاطفة نحوها، بينما توجد أخرى دون هذه المرأة فى الجمال ولكنها تثير العواطف بأضعاف ما تثيره تلك البارعة فى الحسن، وكم من جميلات يزهد فيهن أزواجهن أو خطابهن، وكم من متوسطات فى الجمال يتنافس عليهن الرجال، وإذن فقد يبقى الجمال ويكون موجودا ومع ذلك يوجد الزهد فيه والانصراف عنه أو عدم الاهتمام به، ولكن طالما يوجد الإعجاب فلا يعقل أن يوجد الانصراف أو عدم الاهتمام لأنهما بطبيعة الحال لايتفقان، وأقرب مثال لذلك أنه قد يرى شخص أو يعرف امرأة بالغة الحسن فيستطيع شخص آخر أن ينفره منها بسهولة بل أن يبغضه فيها بأن يذكر لها بعض المساوئ، بينما المعجب من الصعب أن ينتزع أحد إعجابه مهما ألقى فى أذنيه من تشويه المعجب به، كما يقول شوقى (......... عبثا تقنع المفتونا).

ومن روائع هذا الأسلوب (إن يريدا) فى قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾(٤)

فالموقف خلاف بين الزوجين، ومن حرص الإسلام على كيان الأسرة، وتعظيمه لرابطة الزوجية، يجعل القرآن الكريم الوسيلة إلى المحافظة على هذه الرابطة ليس وعظا ولامجرد ترغيب، وإنما بالنهج البالغ الحكمة والوصول إلى أعماق النفوس، فالزوجان هنا فى حال خلاف وتنازع، وهذا الخصام فى العادة تكون له خلفيات وخصوصيات فيما بين الزوجين لايطلع عليها أولا يشتم رائحتها إلا الأقارب المقربون، فلو عرض أمرهما على قاض أو حكم خارج هذه القرابة فسيقضى فى موقف يشوبه بعض الغموض والخفاء بالقياس إليه، فاختار القرآن حكمين:

(٣) الأحزاب (٥٢).

(٤) النساء (٣٥).

﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ليكونا أقرب إلى العلم ببواطن هذا الخصام، ولكن يبقى احتمال ليس بعيدا عن الواقع، وهو أن يتسرب الخلاف أو الخصام القائم بين الزوجين إلى الحكمين، فينحاز كل منهما إلى الطرف الذى ينتمى إليه، فيدور الحكمان فى حلقة مفرغة، ولايرغبان فى إنهاء الخلاف، حيث يصبح الحكمان كأنهما هما الخصمان لانحياز حكم الزوج نفسيا إلى موقف الزوج، وكذلك الحكم الآخر فى انحيازه نفسيا إلى موقف الزوجة قريبته.

وهنا تبدو دقة تعبير القرآن، فقد كان التعبير العادى المنتظر أن يقال فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ليحاولا التوفيق بينهما، أو ليبذلا جهدهما فى الإصلاح، أو نحو ذلك من السلوك الظاهر المحسوس، ولكن القرآن يتجه بأسلوبه إلى العمق النفسى الذى تتوقف عليه النتيجة وهو:

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ فالإرداة والرغبة النفسية فى الإصلاح لدى الحكمين هى التى ينتظر معها الوفاق بين الزوجين، ويروى أن عمر - رضى الله عنه - بعث حكمين ليصلحا بين زوجين فعادا دون أن يحققا صلحا، فزجرهما عمر قائلا: لو أردتما إصلاحا لوفق الله بينهما مشيرا إلى الآية الكريمة المذكورة فرجعا مرة أخرى مدفوعين بإرادة الإصلاح فوفق الله بين الزوجين.

فالفارق بين المحاولتين، الأولى الفاشلة، والثانية الناجحة، أن الحكمين كانا فى المحاولة الأولى يؤديان عملا سطحيا محسوسا بصرف النظر عما يبذلان فيه من جهد، وبصرف النظر عما قد يكون لديهما من نوازع نفسية أو عصبية، ولكن الحكمين فى المحاولة الثانية كانا يتصرفان بدافع نفسى قائم على الرغبة والإرادة.

ومن هذا الأسلوب لفظ (يضيق صدرك) من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(٥).

والمروى أن هذه الآيات نزلت فى شأن نفر من أعيان مكة كانوا يجيدون التفنن فى الاستخفاف برسول الله ﷺ والاستهزاء به من مثل قولهم كما ينقل القرآن عنهم:

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٦)

والذى تضمنته الآيات من كفرهم نوعان، أحدهما الاستهزاء برسول الله ﷺ والآخر الشرك حيث: ﴿ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ والنوعان لايوازن بينهما من حيث العقيدة فكلاهما كفر صريح، ولكن ينظر إليهما من حيث التوجيه، فالاستهزاء موجه إلى شخص الرسول الكريم، والشرك موجه إلى ذات الله - سبحانه - واللافت للنظر أن الله - سبحانه - لايعجل العقاب على مايوجه إلى ذاته سبحانه اكتفاء بهذا الوعيد البالغ الرهبة رغم أنه غير قريب فى قوله تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ والذى يدل على عدم قربه

---

(٥) الحجر (٩٥: ٩٧).

(٦) الحجر (٦).

لفظ ﴿ فَسَوْفَ ﴾ أما الذى استحق العقاب العاجل فهو ما وجه إلى الرسول الكريم ليس مجرداً من الإيذاء، فقد كان ﷺ أصبر الناس على الأذى، ولكن الاستهزاء بالذات أوجع الأذى وأشده إيلاما للنفوس، لأن المرء قد يتحمل ألوانا من الأذى لأنه يشعر بقوة فى ذاته وكيانه فهذا الأذى لم يهدم كيانه، ومادام كيانه قائما فإنه يستطيع أن يتحمل وأن يقاوم، ولكن الاستهزاء والاستخفاف يعنى هدم الكيان، بل إن هذا الكيان أصبح موضع السخرية والاستهزاء، ووصف القرآن لأثر الاستهزاء فى نفس الرسول الكريم أوضح دليل على أنه لاشئ أبلغ فى إيلام النفس من السخرية والاستهزاء، فإن الرسول الكريم كان جبلا راسخا فى كل شئ، ومنه تحمل الأذى، فقد ظل قرابة عشرين عاما يتحمل كل صنوف الأذى من المشركين فى مكة، ومن المنافقين واليهود فى المدينة، ولكن الشئ الوحيد الذى يؤكد القرآن أنه يضيق به صدره هو الاستهزاء به:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

ففى التعبير عدة مؤكدات صريحة أو ضمنية لتحقق ضيق صدر النبى بما يقولونه عنه من أوصاف الاستهزاء، منها (اللام) ومنها (أن) ومنها ما تفيده (قد) من تحقق الحدوث، ومنها مايفيده لفظ (نعلم) من اليقين بحدوث الضيق، ومنها ما تفيده صيغة المضارع فى (يضيق) من تجدد حدوث الضيق بالاستهزاء بخلاف ما لو كان التعبير بضاق صدرك، كل هذا يعنى أن النبى الكريم أصبح فى حالة من الألم والضيق تحتاج إلى تدخل سريع من القدرة الإلهية، فكان الإنقاذ الإلهى بوعده بأن الله سيكفيه هؤلاء المستهزئين ويكف عنه مصدر الاستهزاء، ولكن أسلوب القرآن يريد أن يملأ نفس الرسول الكريم يقينا بأن العقاب الدنيوى العاجل قد تقرر لامحالة فكأنه وقع فعلا، فجاء هذا الوعيد للمستهزئين بلفظ الماضى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ﴾ وكأن العقاب وقع فعلا، لأن مايقضيه الله فكأنه وقع فعلا من باب الحديث عن القيامة بلفظ: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾(٧).

وكان عقاب الله العاجل لهؤلاء الخمسة المستهزئين متنوعا، فكان أهونهم عقابا من مات حتف أنفه وهو الوليد بن المغيرة، وكان منهم من عمى لينالـه شئ من الهوان الذى كان يريده للنبى، ومنهم من هاجت برأسه القروح فظل يضرب الحائط برأسه حتى مات، على أن وعد الله لنبيه لم يكن العقاب لهم فى الدنيا، وإنما الوعد هو أن يكفيه إياهم، وقد ماتوا جميعا قبل موقعة بدر، والشاهد فى هذا أن الأسلوب العادى أو المألوف هو إبراز غضب الله على هؤلاء أو مدى كره رسول الله لهم أو نفوره منهم أو تعرضه لاستهزائهم أو نحو ذلك، ولكن أسلوب القرآن ينفذ إلى الأعماق ليبرز المعاناة النفسية ومايصاحبها من المشاعر والأحاسيس كما فى تعبير: ﴿ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾.

ومن روائع هذا الأسلوب ﴿ءَانَسْتُم﴾ من قوله

---

(٧) سورة النحل (١).

تعالى فى شأن الوصاية على أموال اليتامى:

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾(٨).

فالآية الكريمة تتضمن حكما شرعيا هو أن الوصى على مال اليتيم عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله إذا تحقق أمران، أحدهما أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ، والآخر أن يحسن اليتيم التصرف، والآية الكريمة تأمر بإجراء اختبار وابتلاء لليتيم للتأكد من صلاحيته وأهليته لإدارة أمواله قبل أن يسلم إليه ماله، وللعلماء والمفسرين خلافات كثيرة حول الموضوع، هل يكون الاختبار قبل بلوغ اليتيم أو بعده؟ وهل المراد بالرشد رشد العقل أم رشد التدين؟ وعن السن التى يدفع إليه ماله فيها إذا لم يتحقق رشده عند البلوغ ونحو ذلك من الخلاف، ولكن الذى يعنينا هنا هو دلالة لفظ: ﴿ءَانَسْتُم﴾ فإن الأنس (بضم الهمزة) وهو ضد الوحشة يعنى فى مدلول الآية وجود اطمئنان فى النفس إلى أن اليتيم بلغ طور الرشد وحسن التصرف، فإن هذا الطور تختلف الآراء فى الحكم عليه، فليس هناك علامات محددة يمكن أن تقطع بوجود الرشد، أو بدرجة الرشد، والمال محط الطمع والرغبة كقوله تعالى:

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾(٩) فالوصى على مال اليتيم قد يجد من اليتيم رشدا وحسن تصرف، ولكنه يزعم أنه ليس رشدا، أو أنه رشد ناقص، ليزيد الوصى من أمد الوصاية إذا كان طامعا فى شئ من هذا المال، أو إذا كان هذا الوصى عفيف النفس لاينتفع بشئ من مال اليتيم فقد يشعر بأن رعايته لمال اليتيم عبء ثقيل يريد أن يتخلص منه ليريح نفسه، فينتهز أدنى مرحلة من مراحل رشد اليتيم فيبادر بتسليم ماله إليه وهو يشعر بأن رشد هذا اليتيم فى حاجة إلى نضج، فيأتى تعبير:

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ ليحسم الموقف بأن يحمل الوصى مسئولية نفسية يطلع عليها الله ـ سبحانه ـ ويدرك الوصى مسئوليته عنها دون غيره من الناس، وذلك حين يشعر فى داخل نفسه شعورا واضحا تطمئن (وتأنس) إليه نفسه بأن اليتيم قد بلغ رشدا يمكنه من حسن إدارة ماله والتصرف فيه، حينئذ يجب عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله، وهذا الفيصل الحاسم لايحققه إلا لفظ: ﴿ءَانَسْتُم﴾ بخلاف مالو كان التعبير نحو فإذا رأيتم منهم رشدا أو وجدتم أو نحو ذلك مما لايمس الضمير أو العمق النفسى الذى تدور حوله المسئولية عند الله، من باب الحديث الشريف المتفق عليه:

«إنما الأعمال بالنيات ......»(١٠) وقوله تعالى:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١١).

---

(٨) النساء (٦).

(٩) الفجر (٢٠).

(١٠) أخرجه البخارى ١/٢، ٨/١٧٥.

(١١) البقرة (٢٢٥).

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟!

شتان بين « الرشدية الإسلامية » و« الرشدية اللاتينية »

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

لقد أرادت النهضة الغربية الحديثة - بالوضعية.. العلمانية - وعقلانية التنوير اللادينية - إقامة قطيعة معرفية مع اللاهوت النصرانى، وحذف « جملته المعترضة » من سياق تطورها الحضارى، لتأسيس نهضتها الحديثة على تراثها الإغريقى.. فقدمت لذلك نظرية الحقيقتين:

أ- العقلية العلمية الوضعية.. التى تؤسس عليها النهضة.

ب- والدينية - التى لا تخضع لمناهج العلم، ولا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية.

ولقد نسبوا القول بالحقيقتين إلى ابن رشد.. وسمى فريق من رواد هذه الدعوة أنفسهم « بالرشديين ».

ولقد كانوا - فى الحقيقة - منطلقين من الأرسطية - كما رأوها فى شروح ابن رشد لأرسطو- وليس من الرشدية - التى قدمها ابن رشد فى إبداعه الخاص.. ومن هنا جاءت جناية النظرة الجزئية، وحيدة الجانب، لهؤلاء الذين لم يروا من ابن رشد سوى الشروح على أعمال فيلسوف اليونان.

وإذا كان فرح أنطون - وهو طليعة العرب الذين نقلوا هذه النظرة المغلوطة إلى لغتنا العربية - إنما صنع ذلك وهو يؤسس - مع مجموعة من المثقفين الموارنة الذين سعوا - تحت

مظلة السلطة الاستعمارية فى بلادنا إلى إحلال النموذج الغربى فى النهضة والتقدم - النموذج الوضعى العلمانى - محل النموذج الإسلامى - الجامع، بشمولية منهاجه، بين الدين وسائر ميادين العمران الدنيوى.. فسعى إلى الاحتماء بفيلسوف مسلم، وهو يقدم الخيار الحضارى اللاإسلامى إلى الأمة المسلمة.. فإن خلفاء فرح أنطون - الذين تجاوزوا «وضعيته المنطقية» التى جاورت بين «الدين» و«العلم» مع الفصل بينهما - إلى «الوضعية المادية» التى تتجاوز «الدين» بتأويله، فتخضعه للعلم والعقل - إخضاع إلغاء، وليس وقوفا عند الفحص والنظر والفقه- هؤلاء الخلفاء يصنعون اليوم - فى مواجهة تعاظم ظاهرة الإحياء الإسلامى - ذات الصنيع مع ابن رشد.. صنيع الاستدعاء القسرى لفيلسوف قرطبة، لجعله «الساتر» الذى يتحصنون به، وهم يحاولون إقامة قطيعة معرفية مع الإسلام، وذلك بإحلال التنوير الغربى- الوضعى- والعلمانية الغربية - اللا دينية - محل الوحى والغيب والشريعة، عزلا للسماء عن الأرض، وإحلالا «للدين الطبيعى» محل الدين السماوى، واستبدالا عاما وكاملا «للنسبى» «بالمطلق» و«للعقل» «بالنقل»، و«للسلطة البشرية» «بالنسيادة الشرعية» - بحسبان هذه الثنائيات، فى الإسلام، كما هى فى الفكر الغربى، من «المتقابلات.. المتناقضات».

ولقد سلكوا إلى ذلك أبوابا عدة، فى مقدمتها، ومن أهمها باب التزييف لمذهب ابن رشد فى التأويل!.. حتى لقد صوروا دعوتهم إلى إحياء فلسفة ابن رشد: دعوة إلى تبنى الخيار الغربى العلمانى فى التقدم والنهوض، دون مواربة أو تأويل! الأمر الذى جعلنا نختار - فى الحديث عن ابن رشد المفكر - تحديد موقعه الفكرى بين خيارى النهضة: الغربى.. والإسلامى، وتحرير حقيقة مذهبه فى التأويل، تبيانا لحقيقة مكانه من مذاهب الحكمة وتيارات الإصلاح.

فرح أنطون

الدعــــوى

يقول أصحاب هذه الدعوى - «الجديدة - القديمة» التى تربط ابن رشد بمقولات «الرشديين اللاتين»، وبتأسيس التنوير الغربى والعلمانية الغربية: إن الاتهامات التى أصدرها أسقف باريس، فى مارس سنة ١٢٧٧، والتى حرمت ثلاث عشرة قضية فكرية للرشديين اللاتين.. ومنها:

١- إنكارهم علم الله للجزئيات الحادثة..

٢- وإنكار العناية الإلهية فيما يخص الأفعال الإنسانية..

٣- وقولهم بقدم العالم..

٤- وتقديم الفلسفة على الشريعة..

٥- وإنكارهم الخوارق والمعجزات

٦- وقولهم بحقيقتين مختلفتين، فلسفية ودينية، وصادقتين معا..

يقولون إن هذه القضايا هى أفكار ومقولات رشدية.. وأن أهمها هو نظرية «الحقيقة المزدوجة»، ومفادها: إمكان صدق نتيجتين متناقضتين فى آن واحد، أى إحداهما صادقة فى مجال العقل والفلسفة، والأخرى صادقة فى مجال الإيمان الدينى.. وأن فلسفة ابن رشد - هذه - قد أفرزت تيارا رشديا فى أوربا أسهم فى الإصلاح الدينى وفى التنوير»[1].

بل لقد تجاوزوا هذه الحدود لهذه الدعوى - التى سبقهم إليها فرح أنطون - إلى ادعاء أن ابن رشد «قد أخضع الدين للعقل.. بالتأويل».. وهو ادعاء يفضى إلى أن ابن رشد قد تجاوز وألغى الحقيقة الدينية، عندما اعتمد - بالتأويل - حقيقة واحدة، هى الحقيقة العقلية.. ورأوا أنهم بهذا التجاوز قد اكتشفوا ما لم يكتشفه فرح أنطون.. فلقد «اتجه فرح أنطون إلى ضرورة الفصل بين العلم والدين. وحجته فى ذلك أن العلم يوضع فى دائرة «العقل»، لأن قواعده مبنية على المشاهدة والتجربة. أما الدين فيوضع فى دائرة «القلب» لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد فى الكتب من غير فحص فى أصولها، ومعنى ذلك أن لكل منهما دائرة يتحرك فيها بحرية كما يشاء دون أن يكون أحدهما تابعا للآخر».

ويضيف الدكتور مراد وهبة - متجاوزا دعوى فرح أنطون فيقول: «وفى رأيى أن هذا الاتجاه مخالف لما يذهب إليه ابن رشد، إذ أن ابن رشد يُخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل من أجل الكشف عن المعنى الباطن للنص الدينى الذى يتفق ومقتضيات العقل. وأعتقد أن هذا المفهوم عن التأويل لابن رشد هو الذى أصبح مقبولا فى أوربا، بل أصبح أساساً لما يسمى بـ«الهرمنيوطيقا» أى علم التأويل»[2].

د. مراد وهبه

ونحن لن نقف «مكتفين - فى رد دعوى تأسيس ابن رشد لعلم التأويل، بمعناه الوضعى الغربى - والذى يعنى تجاوز الدين وإخضاعه للعقل - لن نقف عند تناقض هذه الدعوى مع ما قاله صاحبها من أن هذا التأويل الغربى قديم قدم الفلسفة اليونانية «فالهرمنيوطيقا Hermeneutics لها علاقة بهرمس Hermes.. والهرمنيوطيقا واحد من مؤلفات أرسطو - عن الهرمنيوطيقا - Peri Hermeneius»[3].

وإنما سنعمد إلى الإبداع الفكرى لابن رشد، عارضين مقولات «الرشديين اللاتين» على هذا الإبداع، لنرى هل هناك نسب حقيقى بين هذه المقولات وبين فكر أبى الوليد؟.. ولنتبين حقيقة الموقع الفكرى لفيلسوف قرطبة من مذاهب النظر وتيارات الفكر ومذاهب الأمم فى التقدم والنهوض.

(١) [مدخل إلى التنوير] ص ١٣٤، ١٣٥، ١٤١.
(٢) المرجع السابق. ص ١٥٥، ١٥٦.
(٣) المرجع السابق. ص١٣٩.

العلم الإلهي بالجزئيات

لقد كان إنكار «الرشديين اللاتين» علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ للجزئيات الحادثة، هو فهمهم لمقتضى التصور الأرسطى لنطاق فعل الذات الإلهية.. فالله، فى ذلك التصور، قد خلق العالم، وحركه، ثم أصبح لا يدرى من أمر تدبيره شيئا.. فهو كصانع الساعة، الذى انتهت علاقته بها بعد صنعه لها.. ومن ثم فهو لا يعلم ما يحدث فى هذا العالم من جزئيات.. وليس هكذا التصور الإسلامى لنطاق فعل وتدبير ورعاية الذات الإلهية لكل الموجودات.. فالله ليس مجرد خالق للعالم، وإنما هو أيضا مدبر للكون المادى والاجتماعى البشرى.. والقرآن يقدم هذا التصور:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤)

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(٥).

فى مقابل التصور الوثنى الجاهلى – المماثل للتصور الأرسطى –:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٦).

والذى جعلهم يرجعون بما وراء «الخلق»، من التدبير والعلم بالجزئيات الحادثة. إلى الطواغيت والأوثان.. فالخلق لله.. والتدبير لغير الله:

﴿ فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾(٧)

ولقد كان فكر ابن رشد، فى هذه القضية إسلامياً خالصاً.. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عنده، عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكليات.. لكن هذا العلم الإلهى مفارق لعلمنا الإنسانى، لأن علمنا الإنسانى صادر عن الموجودات، ومُسبب عنها، ومتغير بتغيرها، ومعلول لها.. بينما العلم الإلهى سبب فى وجود هذه الموجودات.. فالمغايرة ليست بين الكلى والجزئى فى العلم الإلهى.. وإنما هى بين كل العلم الإلهى وبين علم الإنسان..

«إن علمنا معلول للمعلوم به، فهو مُحْدَث بحدوثه، ومتغير بتغيره، وعلم الله ـ سبحانه ـ بالوجود على مقابل هذا، فإنه علة للمعلوم الذى هو الموجود، فمن شبّه العلمين أحدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصهما واحدة، وذلك غاية الجهل.. وكيف يُتَوَهَّم على المشائين أن يقولوا إنه ـ سبحانه ـ لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات، وهم يرون أن الرؤيا الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة فى الزمان المستقبل، وأن ذلك العلم المنذر يحصل للإنسان فى النوم من قتل العلم الأزلى المدبر للكل، والمستولى عليه؟!..»(٨) «فالعلم القديم إنما

---

(٤) الأعراف: ٥٤.

(٥) طه: ٤٩، ٥٠.

(٦) العنكبوت: ٦٣.

(٧) الأنعام: ١٣٦.

(٨) [فصل المقال] ص٣٩. وانظر كذلك [تهافت التهافت] ص ١١٠، ١١٢، ١١٤.

يتعلق بالموجودات على صفة غير الصفة التى يتعلق بها العلم المحدث، لا أنه غير متعلق أصلا »[٩].

وإذا كانت التصورات الأرسطية والوثنية – وكذلك التصور النصرانى – لنطاق فعل الذات الإلهية، والتى تراه مجرد خالق للعالم، غير مدبر له، فتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، هى المنطلقات للتصور العلمانى، الذى يحرر العالم من حاكمية الشريعة الإلهية.. فإن قطع ابن رشد بأن « الله ـ تبارك وتعالى ـ هو الفاعل للكل، وموجده، والحافظ له – وهو المدبر للكل، والمستولى عليه »[١٠].. يجعله على النقيض من التصور العلمانى لنطاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية، ومن ثم ينفى علاقة فكره بتأسيس العلمانية الغربية.. كما ينفى علاقة هذا الفكر الرشدى بمقالة الرشديين اللاتين فى نفى العلم الإلهى بالجزئيات..

علاقة العناية الإلهية بالأفعال الإنسانية

وإذا كان « الرشديون اللاتين » قد أسسوا تنويرا وضعيا وماديا يقف بالإنسان عند حدود هذا العالم، منكرا العناية الإلهية فيما يخص تدبير الانسان وأفعاله الإنسانية.. فإن ابن رشد – الذى رفض أدلة المتكلمين التى استدلوا بها على وجود الذات الإلهية – قد حصر هذه الأدلة فى دليلين اثنين:

أولهما: دليل العناية الإلهية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجل العناية به..

وثانيهما: اختراع الله ـ سبحانه وتعالى ـ جواهر الأشياء والموجودات.. فقال عن دليلى « العناية » و« الاختراع »: « إنه إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت الطريقة الشرعية – التى نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدتها الصحابة – للإقرار بوجود « البارئ ـ سبحانه ـ تنحصر فى جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه: دليل العناية.

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة فى الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه: دليل الاختراع »[١١].

وفى علاقة « العناية الإلهية »، والتقدير والقضاء الإلهيين، بالأفعال الإنسانية، لا يدع ابن رشد مجالا لأى شبه بين مذهبه الإسلامى وبين المذاهب المادية والوضعية للتنوير الغربى.. فهو يقطع بأن الإرادة الإنسانية، فى الفعل والترك، إنما يتدخل فى إيجادها وفى تحديد نطاق فعلها العوامل، والظروف والأسباب والملابسات التى خلقها الله خارج الإنسان ومن حوله، بل وفى داخله، مما لا دخل للإنسان الفاعل فيها.. فالإرادة والفعل الإنسانيين محكومان بخلق الله

---

(٩) ضميمة فى العلم الآلهى [فصل المقال] ص ٧٦.

(١٠) المصدر السابق. ص ٣٩، ٤١.

(١١) مناهج الأدلة ص ١٥٠، دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

وعنايته وقضائه وقدره.. «فالله ـ تبارك وتعالى ـ قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد.. لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التى سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها، كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعا.. بإرادتنا، وموافقة الأفعال التى من خارج لها، وهى المعبر عنها بقَدَر الله.

وهذه الأسباب التى سخرها الله من خارج ليست هى متممة للأفعال التى نروم فعلها أو عائقة عنها فقط، بل هى السبب فى أن نريد أحد المتقابلين. فإن الإرادة إنما هى شوق يحدث لنا عن تخيّل ما، أو تصديق بشئ. وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا، بل هو شئ يعرض لنا من الأمور التى من خارج.. ولما كانت الأسباب التى من خارج تجرى على نظام محدود، وترتيب منضود، لا يخل فى ذلك بحسب ما قدرها بارئها عليه، وكانت إرادتنا وأفعالنا لا تتم، ولا توجد بالجملة إلا بموافقة الأسباب التى من خارج، فواجب أن تكون أفعالنا تجرى على نظام محدود، أعنى أنها توجد فى أوقات محدودة، ومقدار محدود. وإنما كان ذلك واجبا لأن أفعالنا تكون مُسَبَّبَة عن تلك الأسباب التى من خارج، وكل مُسَبَّب يكون عن أسباب محدودة مقدرة، فهو، ضرورة، محدود مقدر. وليس يُلْغَى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التى من خارج فقط، بل وبينها وبين الأسباب التى خلقها ـ الله تعالى ـ فى داخل أبداننا.

والنظام المحدود الذى فى الأسباب الداخله والخارجة، وأعنى التى لا تخل، هو القضاء والقدر الذى كتبه الله ـ تعالى ـ على عباده وهو اللوح المحفوظ[١٢].

هكذا جعل ابن رشد (العناية الألهية) محيطة بالإنسان، ترعاه، وتدبر أمره، وتسهم فى تحديد فعله وتركه، بل وتسهم فى صنع إرادة الفعل والترك لدى الإنسان.. فأين من هذا المذهب الرشدى «والرشدية الإسلامية» إنكار العناية الإلهية عند «الرشديين اللاتين»؟!.

وفى ضوء هذا الربط الرشدى بين الأفعال الإنسانية الإرادية وبين العناية الإلهية، نرى مذهب ابن رشد فى السببية.

فعلى حين اجتمعت مذاهب التنوير الغربى «اكتفاء الطبيعة بذاتها» واستغنائها – فى إفراز المسببات – بالأسباب الذاتية، الموجودة فى ظواهرها وقواها، عن أية أسباب فوق الطبيعة ووراءها.. نجد لابن رشد، فى السببية، مذهبا إسلاميا، يرد كل الأسباب الطبيعية إلى مسبب الأسباب وموجدها ـ سبحانه وتعالى ـ فهو، فى تقرير العلاقة بين الأسباب والمسببات، ينبه على أن رفع هذه العلاقة ـ علاقة السببية ـ أو إنكارها يوقعنا فى مذهب «الصدفه» و«المادية»، فيقول: إنه «متى رفعنا الأسباب

(١٢) المصدر السابق. ص ٢٢٥– ٢٢٧.

والمسببات لم يكن ها هنا شيء يرد به على القائلين بالاتفاق، أعنى الذين يقولون: لا صانع ههنا، وإنما جميع ما حدث فى هذا العالم إنما هو عن الأسباب المادية »(١٣).

فالقول بعلاقة الأسباب بالمسببات ـ برأى ابن رشد ـ لازم لكل مؤمن بوجود فاعل وموجد للوجود – وهذا نقيض المذاهب المادية – ولكن قيام علاقة السببية بين الأسباب والمسَبَّبَات لا يعنى، عند ابن رشد، إنكار الفعل الإلهى، المُسَبِّب لجميع الأسباب، والقائم عليها، وفوقها.. وبهذا يجمع ابن رشد بين فعل الأسباب وبين سلطان خالقها عليها – ومن ثم على المسَبَّبَات – وهو ما غفل عنه الباطنية وبعض المتكلمين.

وفى صياغة هذا المذهب – الذى ينهى الخلاف المفتعل حول السببية فى الفكر الإسلامى – يقول ابن رشد: « وإنما الذى قاد المتكلمين من الأشعرية إلى هذا القول – « نفى علاقة الضرورة بين الأسباب والمُسَبَّبَات » – الهروب من القول بفعل الطبيعة التى ركبها الله فى الموجودات التى ههنا، كما ركب فيها النفوس، وغير ذلك من الأسباب المؤثرة. فهربوا من القول بالأسباب لئلا يدخل عليهم القول بأن ههنا أسبابا فاعلة غير الله ».

ثم يقدم ابن رشد الحل لهذا الذى أشكل على بعض المتكلمين، فيقول: « وهيهات، لا فاعل ههنا إلا الله، إذ كان مخترع الأسباب، وكونها أسبابا مؤثرة هو بإذنه وحفظه لوجودها. وأيضا، فإنهم خافوا أن يدخل عليهم من القول بالأسباب الطبيعية أن يكون العالم صادرا عن سبب طبيعى، ولو علموا أن الطبيعة مصنوعة، وأنه لا شيء أدل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة فى الإحكام، لعلموا أن القائل بنفى الطبيعة قد أسقط جزءا عظيما من موجودات الاستدلال على وجود الصانع العالم، بجحده جزءا من موجودات الله. وذلك أن من جحد جنسا من المخلوقات الموجودات فقد جحد فعلا من أفعال الخالق ـ سبحانه ـ ويقرب هذا من جحد صفة من صفاته.

إن من جحد كون الأسباب مؤثرة بإذن الله فى مُسبباتها فإنه قد أبطل الحكمة وأبطل العلم، وذلك أن العلم هو معرفة الأشياء بأسبابها، والحكمة هى المعرفة بالأسباب الغائية، والقول بإنكار الأسباب جملة هو قول غريب جدا عن طباع الناس »(١٤).

وبهذا المذهب الرشدى فى « العناية الألهية ».. وفى السببية التى وضعها فى إطار العناية الألهية – يقف ابن رشد على النقيض من مذهب« الرشديين اللاتين »، الذين أنكروا العناية الألهية لأفعال الإنسان.. وعلى الضد من فلسفة التنوير الغربى– المادية والوضعية – التى قررت « اكتفاء الطبيعة بذاتها » نافية التأثير فيها والتدبير لها من فوقها وورائها.

---

(١٣) المصدر السابق. ص ٢٠٠.

(١٤)المصدر السابق. ص ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣١.

مواقف إسلامية

دروس.. فى بناء الرجال

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

كان فتى من «طيء» يجلس إلى «الأحنف» وكان يعجبه.

فقال له يوماً: يا فتى:

هل تزين جمالك بشيء؟ قال: نعم:

إذا حُدثت.. استمعت.

وإذا عاهدت.. وفيت.

وإذا وعدت.. أنجزت.

وإذا ائتمنت.. لم أخن

فقال الأحنف:

هذه المروءة حقا!

مفتاح شخصية الأحنف

كان الأحنف - رضى الله عنه - صريحا: ظاهره كباطنه.. وإذا كان من تفاضل بين ظاهر الإنسان وباطنه.. فإن تزيين الباطن بالقيم الجميلة أفضل وأنبل:

قال مصعب بن الزبير:

حدثنى الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عند فتح «تُستر» فقال يا أمير المؤمنين: إن الله قد فتح عليك «تستر» فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين: إن هذا - يعنى الأحنف - الذى كف عنا بنى مرة حين بعثنا رسول الله ﷺ فى صدقاتهم. وقد كانوا هموا بنا.

قال الأحنف:

فحبسنى عمر عنده. بالمدينة سنة:

يأتينى كل يوم وليلة. فلا يأتيه عنى إلا ما يحب.

فلما كان رأس السنة. دعانى فقال:

يا أحنف: هل تدرى لم حبستك عندى؟

فقلت: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر:

إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم.

فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا أحنف!

وفى رواية: قال عمر:

يا أحنف: إنى قد بلوتك وخبرتك. فرأيت علانيتك حسنة.

وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك(١).

الأحنف يبذل فطرته

وفى هذا الموقف الذى نحن بصدد التعليق عليه. وفى حواره مع هذا الفتى تنكشف لنا طبيعته الصريحة الجلية.. حين يعجبه الجمال البادى.. لكنه الجمال مع إيقاف التنفيذ حتى يكون له من جمال الباطن وشاح!

وعلى هذا المحور كان حديثه مع الفتى فى هذا الموقف.

والذى نطالع من دروسه مايلى:

تواصل الأجيال

إن الأحنف الشيخ يدنى منه ذلك الفتى الذى آثره على غيره ليكون جليسه وأنيسه.

وهكذا تتواصل الأجيال فيما يشبه النهر الذى لا يكف عن الجريان عبر المستقبل الواعد:

يحضر الفتيان مجالس الأشياخ.. هذه المجالس التى تتحول إلى دروس فى الدعوة لا يحس فيها المدعو بضغط أو إكراه..

وإنما هى اللفتة العابرة.. أو اللمسة غير المباشرة.. والتى تتفتح بها مدارك الجيل على حقائق الأشياء التى لا تتمكن من قلوبهم فى قاعة الدرس.. بقدر ما ترسخ فى مجالس الأنس!

لفت نظر

ويلفت الأحنف نظر الشاب الذى قد يفتن بشبابه.. إلى جمال هو أبقى وأثقل فى الميزان وهو: جمال المبادىء.

فلا بأس أن تكون حسن الهيئة. منسق الهندام. جميل الطلعة.. ولكن قبل هذا.. وفوق هذا لابد أن تحمل فى صدرك قلبا سليما.

وأن يكون فى هذا القلب من عواطف الخير ما تسعد به الحياة والأحياء.

وإذا كان بعض الناس لهم ألسنة ولهم أقلام تغرف من قلوبهم لتصير حبراً على الورق.. فإن رجال المبادىء يتقدمون خطوة أخرى.. ليصبوا هذه المبادىء عملا يرطب جفاف الحياة.. وجفاء الأحياء.

إن المعادن تتفاضل:

١ - بالجوهر.

٢ - وبالصانع.

أما فيما يتعلق بالبشر: فإن أصل الناس واحد.. والصانع واحد.

وإذن فلا تفاضل بينهم من هذه الجهة.. وإنما التفاضل بالتقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢).

إن مجرد اللسان اللافظ.. والقلب الحافظ لا يكفى لتحصيل الجمال.

---

(١) رواه الحافظ مصعب من طريق أبى نعيم.

(٢) الحجرات (١٣).

مقيـــــاس..ومقيـــــاس

إن مقياس التفاضل اليوم هو: الأنانية والمنفعة الشخصية.

وقياسها: كل ما يشتهى وينفع..

الكل يتفانى فى سبيل: الجمال. والنسب. والنشب!

أما شريعة الحق كما تبدو من فحوى توجيه الأحنف فهو:

كل ما يحقق الكرامة ويعم نفعه البشرية.

وقد تجاهلنا ذلك فكان ما كان: الظلم، والكبرياء، والتباغض، بقدر ما يحقق مقياس الحق ما يلى: الحب. والتعاون على البر والتقوى..

وهنا تكون الحضارة.. بعكس ما تفرزه الأنانية من تفرقة عنصرية يعانى منها عالم اليوم..

هذا العالم الذى وكله الله ـ تعالى ـ إلى نفسه.. فمضت به إلى غير مدى.. وعلى غير هدى، فماذا حدث؟

صارت الحياة ـ بالتعبير الاقتصادى «شيكا» بلا رصيد.. وما أكثر العمائر التى تشق الفضاء شقا.. وما أكثر الحظائر المكتظة بالخيل المسومة ولكن.. لا بركة فيها!!

معنـــى المـــروءة

وقد استجمع الفتى خلال المروءة.. التى كانت مزيجا مباركا من المبادىء.. مما يفرض على المربين أن يوجهوا حملة التطهير إلى الباطن.. وهذا ما فطن إليه سلفنا الصالح فركزوا عليه.. لا إنكارا على من يتمتع بنعيم الدنيا.. وإنما توجيها إلى استثمار ما به يكون الإنسان إنسانا..

يقول ابن الجوزى فى صيد الخاطر «٤٥٩»: (تأملت خصومات الملوك. وحرص التجار. ونفاق المتزهدين.. فوجدت جمهور ذلك على لذات الحس. وإذا تفكر العاقل فى ذلك.. علم أن أمر الحسيات قريب. يندفع بأقل شىء. وأن الغاية منه لا يمكن نيلها. وإن بالغ.. عاد بالأذى على نفسه أضعاف ما ناله من اللذة: كمن يأكل كثيراً.

فالسعيد من اهتم لحفظ دينه. وأخذ من ذلك بمقدار الحاجة.

واعجبا!!

هذا الملبوس: إذا كان وسطا.. خَدَم.. وإذا كان مرتفعا خُدِم!

فإن نظر إليه اللابس معجبا به.. فإن الله لا ينظر إليه حينئذ. والمشروب: إن كان حراما.. فعقابه أضعاف لذته.

فعليك بالتوسط، وتفكر فى أحوال السلاطين: كم قتلوا ظلما. وكم ارتكبوا حراما. وما نالوا إلا يسيرا من لذات الحس.. فانقشع غيم العمر عن حسرات الفضائل الفائته.. وحصول العقاب)

فاحذر...

وأعلم انه: ليس فى الدنيا أطيب عيشا من منفرد عن العالم.. بالعلم فهو أنيسه وجليسه.. قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا تضييع دين، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف بالقناعة باليسير. إذ لم يقدر على الكثير.

القافلة تسير

ولقد سارت قافلة الإيمان مستوعبة هذه المعانى.. فوصلت بإذن الله ـ تعالى ـ إلى مرفأ اليقين..

روى: أن سعد بن ضمرة الأسدى.. لم يزل يغير على «النعمان بن المنذر» يستلب أمواله. حتى عيل صبره. فبعث إلى «ابن ضمرة» يقول:

إن لك عندى ألف ناقه.. على أن تدخل فى طاعتى. فوفد عليه. وكان صغير الجسم. فاقتحمته عينه. وتنقصه.

فقال:

مهلا أيها الملك! إن الرجال ليسوا بعظم أجسامهم. وإنما المرء بأصغريه: قلبه. ولسانه. إن نطق.. نطق ببيان. وإن صال.. صال بجنان.. ثم أنشأ يقول:

يا أيها الملك المرجو نائله
إنى لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الأجسام.. إن لنا
أحلام عاد.. وإن كنا إلى قصر
فكم طويل: إذا أبصرت جثته
تقول: هذا غداة الروع ذو ظفر
فإن ألم به أمر فأفظعه
رأيته خاذلا للأهل والزمر

فلما انتهى قال له النعمان: صدقت. فهل لك علم بالأمور؟ قال: إنى لا نقض منها المفتول. وأبرم منها المحلول. وأجيلها حتى تجول. ثم أنظر فيها إلى ما تؤول. وليس للدهر بصاحب.. من لا ينظر فى العواقب. قال:

فتعجب النعمان من فصاحته وعقله.

ثم أمر له بألف ناقة. وقال له: يا سعد إن رحلت وصلناك.

فقال: قرب الملك.. أحب إلىّ من الدنيا وما فيها.

فأنعم عليه وأدناه.. وجعله من أخص ندمائه

وهكذا فرض.. سعد.. احترامه على الملك.. لا بسيفه البتار.. ولكن بخلقه العظيم الذى به كسب الجولة.. واتخذ له فى ديوان الملك موقعا متميزا.

إن القيادة لا تنال أبدا.. بالمظهر.. ولا بالدعوى.. وإنما هى فقط.. بالتقوى.

وهذا هو الفتى الشاب.. محمد الفاتح.. دليلنا على الطريق: فبعد أن فتح القسطيطنية قال: لا يؤمنا فى الفجر إلا رجل صلى الفجر جماعة. ولم يتخلف منذ كلف!

ولم يتوفر هذا الشرط إلا فى القائد الفاتح.. فصلى بهم.. ولقد كان «صلاح الدين» يصحب ولديه: العادل والفاضل ليكونا معه فى مسجد عمرو بن العاص يطلبان العلم هناك!

الأحنف وأخلاق السيادة

ولقد كان الأحنف فى توجيهه للفتى منطقيا مع نفسه:

فقد روى أن رجلا قال له: بم سدت قومك.. مع أنك لست بأشرفهم. ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا؟

فقال له الأحنف:

سدت قومى بخلاف ما فيك يا ابن أخى!

فقال له: وما ذاك؟

قال: بتركى من أمرك مالا يعنينى. وعناك من أمرى مالا يعنيك!

ولئن كان لدى السائل شىء من الجفاء.. فإن هناك منصفين يعودون بالحق إلى نصابه. ومنهم.. هشام بن صفوان الذى سأله هشام بن عبدالملك بم بلغ فيكم.. الأحنف ما بلغ؟ فقال: إن شئت أخبرتك بخلة واحدة.. وإن شئت بخلتين. وإن شئت بثلاث. قال: فما هى؟ قال: أما الخلة: فكان من أقوى الناس على نفسه..

وأما الخلتان: فكان موقى الشر.. ملقى الخير.

وأما الثلاث:

فكان لا يحسد ولا يبخل. ولا يبغى.

من ملامح المنهج الإسلامى التربوى

من ملامح المنهج الإسلامى فى بناء الرجال.. ما يبدو من توجيه الأحنف للفتى:

فالأحنف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يعترض على جمال الفتى.. وإنما اعترف به..

لكنه يريد أن يرتفع به إلى أفق أعلى.. وجمال أبقى يريد أن ينتقل به من الجمال.. إلى الكمال.. وبهذه اللمحة المعبرة الموحية.

إن رجلا من العابدين لم يكتشف أن بقلبه خللا إلا بعد ثلاثين عاما قضاها فى العبادة.. فأكد بذلك صعوبة الإبحار فى خضم هذا القلب.. حتى يصير سليمًا معافى من علل الباطن.

وإذن.. فما أصعب المهمة.. مهمة إصلاح القلب الذى لا ينظر الله إليه إلا وهو فى أفضل حالاته..

فإذا نجحت البداية.. بدأ السير فى الاتجاه الصحيح

وما أكثر ما تخدعنا المظاهر عن المخابر:

وربما كان الثوب وزرا.. ولو كان تحت الركبة.. فقد يغتر صاحبه ناظرا إلى غيره من عل.. ظانا أنه هو الملتزم وحده!

جذور الموقف

ولقد كان الأحنف يستلهم سنة رسول الله ﷺ وهو يرشد ذلك الفتى:

فليس الجمال فى ذاته عيبا.. لكن العيب هو الاكتفاء به!

إن الأحنف لم يعترض على جمال الفتى.. ولكنه يلفت نظر الشباب فى شخصه إلى أن الشخصية لا تتم كمالا إلا بكنز آخر مدفون فى الأعماق هو: منظومة الأخلاق.. الأمر الذى يفرض على الشباب أن يكون من اهتمامهم فى بؤرة الشعور.. ومن ثم ففى هذا الكنز وحده.. فليتنافس المتنافسون يقول ﷺ:

«لا تنظروا إلى من هو فوقكم. وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله(٣)».

وفى رواية: (إذا رأى أحدكم من فضل عليه فى الخلق والرزق).

---

(٣) متفق عليه.

إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[٤]. وعندما خرج قارون (على قومه فى زينته).

عندما خرج عليهم مستعليا.. غارقا فيها.. مدلا بها.. كانت هناك ردود فعل مختلفة:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾[٥].

وهذا هو منطق السطحيين الذين انبهروا بما شاهدوا.. والذين تصدى لهم الذين أوتوا العلم والإيمان:

لقد رأى الفريقان «قارون» فى زينته.. رأوه بالعين الباصرة.

ولكن العوام وقفوا عند السطح البادى.. حيث قيدتهم هذه الزينة الصارخة.

أما أهل العلم فقد تجاوزوا رؤية البصر.. إلى نظرة البصيرة حين أدخلوا العقل طرفا فى القضية:

لقد فكروا.. وقدروا.. ولم تأسرهم الرياش البادية.. ناصحين العوام بأن هناك ما هو أغلى من هذه الزينة التى ترون وهو: ثواب الله

وينتهى الموقف إلى سقوط الغرور.. الذى ابتلعته الأرض.. فى لحظة من زمان.. وتستيقظ بصائر المخدوعين.. مقرين بصحة ما قرره العلماء المخلصون:

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٦].

والحديث الشريف الذى معنا يمكن لهذا المعنى فى قلوب الذين آمنوا.

فكما أن الإسلام حريص على صحة الإنسان الجسمية.. فهو أحرص على صحته النفسية.

حين ينهاه عن النظر إلى من فضل عليه فى الرزق. أول المال. أو الحسب لأن الإنسان ـ كما يقول ابن جرير وغيره.

إذا رأى من فضل عليه فى الدنيا. طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله ـ تعالى.

وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود فى الغالب.

وأما إذا نظر فى أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها.. ظهرت له نعمة الله ـ تعالى ـ عليه.. فشكرها. وتواضع. وفعل فيها الخير.

وهذا معنى: «فإنه أجدر ألا تردوا نعمة الله».

بين الرؤية.. والنظر

ويلاحظ أن الرواية الأخرى تقول: «إذا رأى أحدكم..».

---

(٤) رواه مسلم ج ١٦/١٢١.

(٥) القصص (٧٩).

(٦) القصص (٨٢).

يعنى إذا انبهر لمجرد رؤية نعم الغير.. فراعته أحجامها وتنوعها.. إذا حدث ذلك.. فليحول اتجاه بصره.. إلى من هو دونه..

ثم ليدخل عقله طرفا فى القضية.. ناظرا بعين بصيرته ليتأكد له أنه وإن فضل عليه ألف.. فهو أفضل من عشرات الألوف..

فالرؤية بالعين المجردة.. وإن فرضت عليه مشاهد.. تراءت له.. إذا كانت الرؤية البصرية طارئة لا يملك الإنسان دفعها.. فإن النظر.. يعنى: التفكير.. والموازنة.. واختيار الواقع.. وأنت واصل بهذا التفكير وتلك الموازنة إلى المعنى الذى قرره الشاعر القائل:

لو كانت الأرزاق تجرى على الحجا

هلكن إذن.. من جهلهن.. البهائم!

واقعية الحديث الشريف

والحديث الشريف لا ينكر على المسلم أن يتمنى مثل ما للغير.. ولكنه يحميه من الاسترسال مع أمانيه.. فرارا بك من الهموم التى سوف تأكل عافيتك!

هذه الهموم التى سوف تتحول إلى مخزون من الحقد.. الذى هو أعظم عيوب العقلاء.. وإنه لمرعى الحمقى.

من فقه الحديث

ولاحظ من فقه الحديث الشريف أن يقول:

«لا تنظروا إلى من هو فوقكم»

أنه لم يقل:

.. إلى من هو أفضل

فإن ما ترونه أغنى منكم وأقوى.. ليس بالضرورة «أفضل» منكم.. فقد يكون الفارق بينك وبين الغنى والقوى شاسعا.. لكنه بالمقياس الأخلاقى.. تحت قدميك.. وإذن.. فلا بأس من الجمال يأسر الرجال.. لكن البأس كل البأس أن نقف عنده.. ناسين جوهره الحقيقى.

فلا تسترسلوا مع خواطر النفس لو رأيتم جمالا.. أو مالا.. وبخاصة إذا علمتم أن ذلك الظاهر ليس له وزن عند الله - تعالى.

«ان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٧).

إن الفقر الى الله - سبحانه - هو عين الغنى:

فأفقر الناس إلى الله.. أغناهم به. وأذلهم له.. أعزهم.

وأضعفهم بين يديه.. أقواهم. وأجهلهم عند نفسه.. أعلمهم بالله.

وأمقتهم لنفسه.. أقربهم إلى مرضاة الله»(٨).

شاهد من الواقع

ونذكر ذلك الرجل الذى كان يحزنه أن يمشى حافيا.. فلما دخل المسجد.. وجد رجلا مقطوع القدم.. فحمد الله - تعالى - والذى لا يحمد على مكروه سواه. وهذا المقطوع نفسه.. إذا نظر إلى من قطعت يده

(٧) مسلم ج ١٢١/١٦.

(٨) طريق الهجرتين/٤٢.

مع رجله.. سوف يحمد الله ـ تعالى ـ كما حمده أخ له من قبل. أجل سوف يحمد الله الذى أخذ عضوا.. لكنه أبقى أعضاء.

من ثمـــرات النظـــر

سوف ينتهى به التفكير إلى الاقتناع بما قرره العلماء وهو: لا تتكالب على الدنيا.. فإنك فيها تنال ما قدر لك من رزق.. فى عمرك الذى سوف تعيشه.. وبعد ذلك: ستحاسب على رزقك. وعمرك. فاشغل نفسك بما قدمت لغد. نافس أهل الآخرة ـ ودعك من أهل الدنيا

إن المال: غنى أرباب الدنيا: الذى فيه يتنافسون. وإياه يطلبون وحوله يحومون. ولا أحب إلى الشيطان. وأبعد من الرحمن.. من قلب ملآن بحب هذا الغنى.. والخوف من فقده.

قال بعض السلف: إذا اجتمع إبليس وجنوده.. لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء:

مؤمن.. يقتل مؤمنا. ورجل.. يموت على الكفر. وقلب.. فيه خوف الفقر. وهذا الغنى محفوف بفقرين: فقر قبله. وفقر بعده. وهو كالغفوة بينهما(٩).

ويصير الأمر على ما يقول الشاعر:

وتنقضى الحرب محمودا عواقبها

للصابرين.. وحظ الهارب الندم

سبيل النجــاه

وسبيل النجاه ألا نكتفى برؤية العين.. فالحواس خادعة.. وإنما هى البصيرة.. هى النظر.. كما أشار الحديث.. هذا النظر إلى من هم دوننا.. لنظفر بهذه الحقيقة وهى:

إن أفقر الناس إلى الله: أغناهم به.. وأذله لهم.. أعزهم. وأضعفهم بين يديه.. أقواهم. وأجهلهم عند نفسه: أعلمهم بالله.. وأمقتهم لنفسه.. أقربهم إلى مرضاة الله(١٠).

القلوب.. والقوالب

إن العبرة بما فى القلوب.. لا بما تحويه الجيوب!

فكل ما شئت.. والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف.. ومخيلة.

وإن الله ـ تعالى ـ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده..

والخيل نعمة: وبعض الخيل: ستر.. يتعهدها الرجل لمصلحته. وبعضها أجر.. يتعهدها الرجل للجهاد. وبعضها وزر يتعهدها صاحبها للخيلاء!

فالفرس: هى.. هى.. ولكن ما فى قلب صاحبها هو الذى يعطيها قيمتها.

وكذلك: التلفاز.. والسيارة: فهما للرجل كالخيل: هو بذاته.. وهى بذاتها.. لا شىء فيهما.. ولكن المهم: كيف نستغلها؟ ولماذا؟

تلك هى القضية! فالعبرة بالمخابر.. لا بالمظاهر.. بما يستكن فى القلوب.. لا بما يبدو فى القوالب.

---

(٩) طريق الهجرتين/ ٤٢ ـ ٤٣.

(١٠) المرجع والموضع السابق.

الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى

تأليف

د/ محمد ياسين مظهر صديقى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

لما أدرك أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم خطر التواصل بين المسلمين وتراثهم الخالص من الشوائب، كان من أسلحتهم الماضية لصرف المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام.. العمل الدائب على تشويه الإسلام، إما بتقديم مقوماته وقيمه فى هيئة تنفر منها، والصد عنها، وإما بتقديم تراثه ـ بأشخاصه وأفكاره ـ فى صورة مهينة، تفقد الشخصيات الإسلامية تأثيرها الفعال، وتصرف عن الاقتداء بها، وتجعل الفكر الإسلامى سطحيا هزيلا، لا دور له فى النمو الحضارى. وتصم سلوكيات المسلمين بالانحراف والضعف، والصدور فيها عن الدوافع الشخصية النفعية.

ولذلك حرص كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين على كشف هذا الصنيع التشويهى والتزييفى الذى ابتلى به التاريخ الإسلامى منذ بدايات الحروب الصليبية، حفاظا على تجلية الحقيقة، وإيمانا منهم بأن ذلك ضرورى فى الإسهام بنفخ روح الحياة فى الصحوة الإسلامية، وتمكين المسلمين من أداء دورهم الحيوى على نحو ما رأينا فيما ذكره مؤلف هذا الكتاب.

رفض البعثة النبوية

وتحت عنون (البعثة النبوية) ذكر المؤلف أن أكبر اعتراض أثاره المستشرقون هو اعتراضهم على الوحى الإلهى لمحمد ﷺ، مقررا أن هذا الاعتراض ناشئ، إما عن عدم درايتهم بالمصادر الإسلامية، وإما عن جهلهم بحقيقة الوحى الربانى. وإما عن تعصبهم الدينى وعداوتهم للإسلام، وإما عن هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة.

تيودور نولدكه

وقدم المؤلف أمثلة لهؤلاء المستشرقين اللامعين فى ميدان الثقافة العربية والإسلامية، مثل (لامانس) الذى يقرر: أن الوحى الإلهى كان نتيجة أضغاث أحلام.، وحدس ذاتى، بينما يرى غيره أن نزول الوحى كان نتيجة غيبوبة طارئة، أو لخداع حسى، أو هلوسة وهذيان. وطائفة ثالثة من المستشرقين ترى أن الوحى ملازم لحالات الهستريا. ومن هؤلاء المستشرقين(نولدكه) الذى يرى أن الوحى كان نتيجة لحالات عصبية، حين تنتهى يحدث الوهم، على الرغم من أن الغرب يتوج هذا المستشرق مفسرا للقرآن الكريم.

وكذلك كتب (وليم موير) أن الرسول ﷺ قد انتابته الشكوك والشبهات فيما يصله من إلهام، حتى ظل حائرا، ويرجع ذلك إلى الطعام الذى كان يأكله الرسول ﷺ على الرغم من أن الغرب توج هذا المستشرق بجعله مؤرخ الإسلام.

كما ذكر المؤلف أن كثيرا من المستشرقين يزعمون أن القرآن من صنع محمد، وأنه استفاد فى صنعه من تعليمات الإنجيل والتوراة فى منطقة الشام. غافلين عن أن القرآن الكريم جاء مصدقا ومكملا للتعليمات الإلهية الصحيحة الموجودة فى التوراة والإنجيل وجميع الصحف السماوية، وغافلين عن أن الشرائع التى تنزلت على جميع

الأنبياء السابقين كانت مناسبة لزمانهم وظروفهم ومستواهم الحضارى، ثم جاءت الشريعة المحمدية مكتملة، لا تتحمل التغيير ولا التبديل، بينما العقائد والأصول الدينية لدين محمد تتفق تماما مع العقائد والأصول الدينية التى قدمها جميع الأنبياء السابقين، كما تنبه إلى ذلك ورقة بن نوفل العالم المسيحى، والنجاشى إمبراطور الحبشة المسيحى، وعبدالله بن سلام العالم اليهودى.

ولو أن هؤلاء المستشرقين التزموا بأصول البحث التى قرروها، لرأوا أن شهادات المعاصرين - فيما يتعلق بنزول الوحى على محمد ﷺ قد تجاوزت الحد كثرة وتواترا، من ناحية الشهادة التاريخية، ولرأوا أن معارضى محمد قد اعترفوا برسالته ﷺ رغم أنهم ينكرونها بألسنتهم، ولرأوا أنهم أمامه - ﷺ - أمام حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، فقد عرف أهل شبه الجزيرة العربية جميعهم تقريبا حق الرسالة التى قدمها لهم، واعترفوا بالكلام المنزل عليه، وآمنوا به، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين أمام أكبر حقيقة تاريخية تلزم المؤرخ المحايد أن يعترف بها، وتفرض عليه عدم إنكارها، إلا إذا نحى حياده العلمى جانبا، واستسلم لتعصبه الأعمى الذى يقوده بعيدا عن الأصول البحثية المقررة. والمنهج العلمى المحايد الذى يتشدقون به دائما، ويتوهم كثير من باحثينا أن الغربيين ملتزمون به.

والاعتراض على القرآن الكريم

وكما كشف المؤلف مناحى الغرض، والتعصب الأعمى، والجهل الفاضح فى موقف المستشرقين من نبوة محمد ﷺ كشف ما فى نقدهم للقرآن الكريم من جهل تام بكثير من نصوصه، وتجاهل للمنهج العلمى الذى أصَّلوه فى شتى الميادين النقدية الآخرى.

فالناظر إلى اعتراضاتهم على القرآن الكريم يلاحظ ما وراءها من قصور فى فهمهم، وعدم إدراكهم للسور والآيات المكية والمدنية. وعدم فهمهم أحكامها. هذا إلى أن جهلهم بظروف البيئة التى واكبت نزول بعض الآيات، وما تتضمنه من تعليمات.. هذا الجهل جعلهم يرون أن القرآن جاء استجابة للبيئة العربية وتحدياتها فقط، وأن أحكامه نسبية، ترتبط بملابستها، ولا تشمل الإنسان فى جميع أحواله وبيئاته.

فجهل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم، وتعصبهم الأعمى، صرفهم عن الوقوف على حكمة نزول القرآن منجما، وماوراء ذلك من مراعاة لحاجات الإنسان إلى الإعداد والتهيئة - دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا - لاستقبال ما يتضمنه من أحكام، وإلا ما استطاعت الأمة تحمله ولا استيعابه. ولو أن هؤلاء تخلصوا من الجهل، وتخلوا عن التعصب، لوقفوا على ما فى التدرج فى نزول القرآن من أدلة صدق الرسالة المحمدية.

وذكر المؤلف أن المستشرقين - استمرارا منهم فى حبس أنفسهم داخل الغرض المتعصب - ينكرون - أو يتجاهلون - تدوين القرآن الكريم فى العهد النبوى، ويصرون على أن التدوين كان فقط على عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ولو أنهم تخلصوا من الغرض والتعصب الأعمى، واحتكموا إلى الأسس العلمية المقررة لرأوا أن الروايات المتواترة تشهد على أن القرآن الكريم تم

تدوينه فى العهد النبوى، وأن الخليفة الأول أبا بكر الصديق ـ بناء على طلب عمر بن الخطاب ـ كون جماعة من الصحابة لتدوين القرآن فى شكل كتاب، حفظ لدى أم المؤمنين حفصة، ثم قام عثمان ـ رضى الله عنه ـ بإعداد نسخ من هذا المصحف، وأرسلها إلى أمصار الدولة الإسلامية، حتى يجنب القرآن أى اختلاف، ويظل محفوظا على نسق واحد بالكتابة، والنطق، والحفظ.

ولكن هؤلاء المستشرقين ومن جرى وراءهم نقبوا وراء أى شبهة، ونفخوا فيها باسم التحليل العلمى والنقد التاريخى، ليضخموها، كى يخدعوا بها الضعاف، ويغرسوا بها الشك فى نفوسهم.

والتشكيك فى تعذيب المسلمين فى مكة

وكان تعرض المسلمين فى مكة لشتى ألوان التعذيب مما تناوله المؤلف من الأحداث التى حاول المستشرقون منحها، بقصد التهوين من صمود المسلمين الأوائل، فقد ادعى عدد من المستشرقين أن الإيذاء الذى أوقعه المشركون بالمسلمين فى مكة إنما كان مقصورا على السخرية، والتعريض والهجوم بالكلام والشتائم، وزعموا أن الروايات التى تتعلق بتعذيب المسلمين فيها مبالغة من المؤرخين المسلمين، متجاهلين ما تصرح به الروايات الموثقة من أن عدداً من الصحابة ـ وبخاصة الضعفاء منهم ـ كانو بلا حول ولا قوة، وأنهم تعرضوا لإيذاءيحطم الصخر، ويزلزل الجبال. ولعل من أشهر هؤلاء المعذبين: بلال بن رباح الحبشى، وخباب بن الأرت التميمى، وعمار بن ياسر، ووالداه ياسر وسمية، وزنيرة، وأم عبيس. وقد بلغ المشركون فى تعذيب بعضهم درجة وضع الأحجار الضخام الملتهبة على صدورهم والكى بالنار فى مواضع عديدة من أجسامهم، وضرب بعضهم على الرأس حتى تفجرت منها الدماء.

وكما أوقع التعذيب بالمستضعفين أوقع برجال من الأسر المعروفة على يد أقاربهم، كما حدث لعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد العدوى، وغيرهم كثير من السادة والسيدات.

بل إن الرسول ﷺ لم يسلم من بعض هذا الإيذاء الذى طوره مشركو مكة، فأصابوا به بنى هاشم جميعهم ـ من أسلم منهم ومن لم يسلم ـ حيث حاصروهم مع المسلمين فى شعب بنى هاشم، وقاطعوهم اجتماعيا، واقتصاديا مدة طويلة أملا منهم فى أن يلجئوا المسلمين إلى الرجوع عن الإسلام.

ويعلل المؤلف ذلك الموقف من المستشرقين بأن بعضهم قصد من وراء ذلك التبرير لفرار بعض حواريى المسيح ـ عليه السلام ـ وغدرهم به وقت الشدة، وأن بعضهم أرادوا توجيه الأنظار بعيدا عما حدث من حركات غير أخلاقية فى صحراء سيناء من المتآمرين ومثيرى الفتن على سيدنا موسى ـ عليه السلام.

ويرى أن هؤلاء المستشرقين يتجاهلون ـ فى سبيل أغراضهم تلك ـ أن ما قامت به قريش فى مكة من تضييق الخناق على المسلمين، وحصارهم وتعذيبهم كان من أبرز الأسباب التى ألجأت المسلمين إلى الهجرة للمدينة، وترك

أرضهم التى ألفوها وعاشوا فيها. مخلفين وراءهم أملاكهم ومنازلهم وتجاراتهم، وأسباب حياتهم المختلفة.

وتزييف دوافع الهجرة

ويبرز المؤلف موقف المستشرقين وأتباعهم من هجرة المسلمين إلى المدينة، حيث جعلهم الغرض الجامح يشيعون أن الذى دفع المسلمين المكيين للهجرة إلى المدينة إنما هو سوء أحوالهم الاقتصادية، فخرجو إلى المدينة لا يملكون مالا ولا متاعا. ويشيعون أن المسلمين فى المدينة كانوا سيئى الحال مثل المكيين، فكان المكيون عبئا ثقيلا على المدنيين. ساءت بهم الحياة الاقتصادية.

ويخلص هؤلاء المستشرقون من هذا الزيف إلى غرضهم الأصلى، وهو الزعم الكاذب أن محمدا ﷺ لم يجد أمامه من سبيل سوى أن يتبع طريقة المعيشة القديمة، باستخدام أسلوب الإغارة على القوافل التجارية، والإغارة على القرى المجاورة، فكان ذلك منه ﷺ بدءا لسلسلة الغزوات والسرايا الى استمرت طويلا، والتى كانت تقوم على غنائمها الحياة المدنية كاملة.

وينبرى المؤلف لتبيين ما فى هذه المزاعم من التزوير المغرض الذى وجد فيه المؤرخون الماركسيون فرصتهم ليؤكدوا دور العوامل الاقتصادية فى التاريخ الإسلامى.

فيذكر أن هذه الادعاءات يكشف زيفها وقائع عديدة قررتها الروايات التاريخية المتواترة ومنها:

١ ـ أن أنصار المدينة قد أظهروا تضحيات مثالية،حيث استضافوا إخوانهم المهاجرين لعدة سهور، وحاولوا أن يقتسموا معهم أملاكهم وأراضيهم، وأشركوهم معهم فى التجارة والزراعة.

٢ ـ أن المهاجرين رفضوا الاعتماد على ضيافة الأنصار وثرواتهم، فقد انصرف كل منهم ـ تجارا وحرفيين وعمالا ـ إلى مباشرة حرفته وعمله، فكانوا وسيلة مؤثرة فعالة فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى المدينة، على نحو ما صنع عبدالرحمن بن عوف الزهرى، الذى شكر مضيفه سعد بن الربيع، وطلب منه أن يدله على طريق السوق، حيث بدأ يستغل مهارته التجارية، فتحقق من كسبه فى أيام قلائل ما مكنه من أن يتزوج، وكذلك صنع كثير من المهاجرين.

٣ ـ أن التحليل والنقد التاريخى للسرايا التى أمر بها ﷺ على مدى سنتين من وصوله إلى المدينة، يوضح أن أيا منهم لم يكن بدافع اقتصادى، بل كان الهدف منها كلها سياسيا تبليغيا، فقد كان رسول الله ﷺ يهدف إلى عقد معاهدة صداقة وتعاون مشترك مع جيرانه، وقد تم ذلك على عهده ﷺ.

وكان الهدف ـ إلى تلك الغاية السياسية ـ قصد جمع المعلومات، والوقوف على الظروف الجغرافية لبعض الأماكن، كما حدث فى واقعة (نخلة) كما كان الهدف فى بعض المهمات عملا حربيا خالصا، فالذى دفع إلى مهمة «عسفان» إنما هو مواجهة الهجوم المكى على مراعى المدينة، مما اضطر معه المسلمون إلى القيام بتلك المهمة.

٤ ـ أن الواقع التاريخى ينفى التوجه الاقتصادى، فالأماكن التى شهدت هذه المهمات

كانت بعيدة عن طرق التجارة، والمهام الموكلة إلى القائمين بها، كانت فى مناطق محدودة، ولمدة معينة، حتى إنه لم يقع صدام مع القوافل فى معظم الأحيان، فيما عدا سرية (نخلة) بل إن هذه السرية لم تكن إلا لمعرفة الظروف، والتعرف على أحوال المنطقة. ونظرا للظروف التى تغيرت فجأة حيث تم الهجوم على فصيلة من جند المسلمين ـ اضطر المسلمون إلى الاستيلاء على القافلة المكية.

ومع ذلك.. فإن رسول الله ﷺ أظهر عدم رضاه عما حدث، ولم يلمس بيده مال الغنيمة حتى غزوة بدر.

من هنا.. يتبين أن المهمات الأولى كانت بهدف تبليغى دعوى سياسى، ولا أثر هناك للدافع الاقتصادى، على ما صرح به النص القرآنى فى الآيات من ٥ إلى ٢٠ من سورة الأنفال، وعلى ما أوضحته الأحاديث النبوية التى رواها البخارى ومسلم، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة الحديث، وما قرره سير الأحداث والوقائع والغزوات كلها، من أن أول أهداف رسول الله ﷺ فيها جميعها كان إعلاء كلمة الله، والجهاد فى سبيل الله.

العلاقات مع اليهود

ويلاحظ المؤلف أن معظم المستشرقين ومن تابعهم من المؤرخين ـ فى سبيلهم إلى مسخ التاريخ الإسلامى ـ قدموا علاقة النبى ﷺ باليهود فى هيئة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، لكنهم صاغوها فى هيئة خادعة، حيث ادعوا أن النبى ﷺ حاول اجتذاب اليهود إلى الإسلام بالتقرب اليهم، فألبس الإسلام ثوب اليهودية. فتبعهم فى الاحتفال بصوم يوم عاشوراء، وجعل البيت المقدس قبلة المسلمين فى الصلاة، وأحل ذبيحتهم والزواج من نسائهم، فلما رفضوا تلك المحاولات منه ﷺ بما سيطر عليهم من غرور وعجرفة، وعصبية دينية، وشعور بالتفوق الاقتصادى والاجتماعى ـ بدأ يعارضهم وينقدهم نقدا عقليا مقرونا بمواجهتهم بحزم وشدة، فأوضح ما هم عليه من إفراط وتفريط، وما أدخلوه على التوراة من تحريف وتبديل، وما قاموا به من تحايل على الأحكام الإلهية، تيسيرا لانغماسهم فى المساوئ، وتجاوزهم الحدود الإلهية فى المعاملات وغيرها.

وادعوا أن معارضته ﷺ ـ لليهود عملياً تمثلت فى فرض صوم رمضان بدلا من يوم عاشوراء، والتوجه فى الصلاة إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس ومع استعراض المؤلف هذه الادعاءات الكاذبة، أخذ فى استعراض أدلة زيفها وفسادها، فذكر أن فرض صوم رمضان لا علاقة له بصوم يوم عاشوراء، لأن صوم رمضان فريضة، وصوم يوم عاشوراء نفل، ولأن المسلمين مازالوا يصومون هذا اليوم باعتباره سنة، ولو أنه ﷺ قصد معارضتهم لحرم صوم هذا اليوم. كما إن حل ذبيحة أهل الكتاب ـ وليس ذبيحة اليهود وحدهم ـ وحل الزواج من النساء الكتابيات لم يطرأ عليه أى تغيير، ولو أنه ـ ﷺ ـ أراد معارضتهم لحرم ذبيحتهم ، ولحرم الزواج من نسائهم،

وهذا يعنى ـ كما ذكر المؤلف ـ أن المستشرقين وأعداء الإسلام حاولو إعطاء بيانات خاطئة عن الإسلام، بقصد مسخ التاريخ الإسلامى، وإظهاره

مخالفا فى كل شئ للدين اليهودى والمسيحى، تقريرا لنظرتهم الخاطئة التى ترى أن الإسلام والمسيحية واليهودية ديانات منفصل بعضها عن بعض.

وإنهم أغفلوا فى سبيل ذلك ـ ما قرره القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة من أن جميع الأديان التى جاء بها جملة الأنبياء تتفق ـ فى أصولها ـ مع الإسلام، وأن علماء تلك الديانات ورهبانها هم الذين قاموا بتحريفها ومسخها بما يبتعد بها عن الحقيقة.

وأغفلوا أن الإسلام ـ من هذا المنطلق ـ يعترف بالدين اليهودى والدين المسيحى قبل تحريفهما، لصدورها جميعا من منبع واحد، كفل اشتراك جميع الديانات السماوية فى الأصول والعقائد، لعدم الحاجة البشرية إلى تغيرها، مع اختلافها فى بعض الشرائع والقوانين استجابة لما يستلزمه الزمان وظروف الناس من تغير.

ولو أن هؤلاء المستشرقين قصدوا الحقيقة، لأمعنوا النظر المحايد فى تلك العلاقات، فعرفوا ذلك الذى غاب عنهم أو تجاهلوه، وأغمضوا أعينهم عنه، ليسلم لهم ما قصدوا إليه من تشويه وتزييف، ومسخ.

حول الإجراءات التشريعية والتنفيذية فى المدينة

ويلفتنا المؤلف إلى حرص الرسول ﷺ على جعل المؤاخاة أساس المجتمع فى المدينة ليخلص المجتمع الإسلامى من الامتيازات القبلية، وليقيمه على مبدأ «نحن» بدلا من «أنا وأنت» وأنه فى سبيله إلى تحقيق ذلك المبدأ عقد معاهدات صداقة بينه وبين القبائل المحيطة بالمدينة والمقيمة داخل المدينة من اليهود وغيرهم، دون الدخول فى الإسلام، فكان ما عرف باسم (صحيفة الرسول)

وبمقتضى هذه الصحيفة تخلص رسول الله ﷺ من بعض قبائل اليهود الذين خانوا العهد، مثل قينقاع بما أثاروه من النزاع والفتن.

والنضير بتآمرهم على رسول الله ﷺ ومحاولتهم قتله، وقريظة بما كان منهم من نقص للمعاهدة فى وقت حرج ودقيق، وتعاون مع جيوش الأحزاب المتداعية لحرب المسلمين.

وعلى الرغم من أن ما اتخذته الدولة من إجراءات ضد القبائل اليهودية كان بسبب خروجهم على ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ عمد المستشرقون إلى تضخيم تلك الإجراءات من جهة، ومن جهة أخرى إلى إغفال جرائمهم التى ارتكبوها فى حق الدولة الإسلامية، والزعم أن تلك الإجراءات اتخذت ضدهم بسبب تمسكهم بديانتهم اليهودية، مغفلين أن أكثر من عشرين أسرة يهودية بقيت بعد ذلك فى المدينة، ولم تتخذ ضدها أية إجراءات سياسية أو اقتصادية، ومغفلين فى الوقت ذاته أن صفحات التاريخ الإسلامى شاهد عادل، وحكم فصل على أن المسلمين لم يغدروا بأحد، وحافظوا على صيانة معاهداتهم وشروطها بكل أمانة وإنصاف، كما يشهد بسمو سلوكهم الأعداء الذين هزموا.

وكما حاول المستشرقون النفاذ بمفترياتهم من خلال العلاقات اليهودية، حاول التسلل بتلك المفتريات من خلال وصفهم نظام الحكم فى

المدينة، فاخترع بعض المستشرقين ـ وعلى رأسهم (مونتجمرى وات) ـ نظرية فحواها: أن النظام الذى أقامه محمد ﷺ فى المدينة قد قام على أسس قبلية وفاقية، تضم تقريبا تسع قبائل كبيرة، كانت تمثل تسع وحدات سياسية، من بينها وحدة تضم المهاجرين، وعلى رأسها محمد ﷺ وكان لكل قبيلة من الثمانى الأخرى رئيس، فكان هؤلاء الرؤساء الثمانية متساوين معه فى المرتبة والمكانة، ولم يكن له عليهم أى أفضلية.

ويضيفون إلى ذلك محاولة أخرى، ليقرروا من ورائها أنه لم يكن هناك دولة إسلامية تحكم جميع القبائل الأخرى، وأنه ﷺ لم يكن حاكما للمدينة.

وهؤلاء المستشرقين ـ فى محاولاتهم وافتراءاتهم تلك ـ يغفلون جميع الروايات التاريخية الثابتة بالتواتر، ويغفلون ـ فى سبيل ذلك ـ عما تقوم عليه محاولاتهم من تناقض، وأباطيل، وزيف.

ففى بيعة العقبة اعترف مسلمو المدينة برسول الله ﷺ زعيما وقائدا، مثلما اعترف به مسلمو مكة بعد الهجرة، فكان ﷺ بعد الهجرة رئيس جميع المسلمين بلا استثناء، وبعد دستور المدينة أصبح ـ ﷺ ـ القائد السياسى للمدينة بأكملها بما فيها من يهود وغيرهم، فاليهود ـ على الرغم من عدم اعترافهم بمحمد رسولا ـ قد أقروا بزعامته السياسية بمجرد موافقتهم على الصحيفة السياسية، فكان هو الحاكم الأعلى للمدينة، والقائد الدينى والسياسى للجميع. وقد التزم ـ ﷺ ـ فى تحقيق ذلك ـ نهجا سياسيا محددا، يقوم على العدل والإنصاف، حيث طالب العرب بالموافقة على أحدا أمرين، إما قبول الإسلام والتزامهم بفرائضه وأحكامه، وإما البقاء على دينهم مع الاعتراف بالتفوق السياسى للدولة الإسلامية، والدخول معها فى معاهدة صلح وأمان، وعدم عدوان.

ورفض عالمية الرسالة الإسلامية

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأتباعهم ـ فى تقويمهم رسالة محمد ﷺ يرتكزون على مزاعم تجافى الثوابت التاريخية، وتتجاهل النصوص الإسلامية، وتغفل المقررات المنطقية، وتعمى عن الواقع الصارخ، ويناقض بعضها بعضا.

فهم يدعون أن محمداً ﷺ كان رسولاً للعرب دون غيرهم، وأن رسالته كانت مقصورة على المنطقة التى عاش فيها، وأنها كانت وقفا على زمانه فقط، ويوغلون مع الأوهام والضلال، فيدعون أن ما جاء به محمد ﷺ إنما هو انقلاب أو ثورة، وأنه لا شرف له ﷺ فى ذلك، لأن المجتمع العربى كان متعطشا لهذه الثورة الاجتماعية والأخلاقية، وحين وجد هذا المجتمع إمكانات قدوم مثل هذه الثورة فى شكل الإسلام رحب به، وقبله.

ومع أن هؤلاء المستشرقين ـ وفى مقدمتهم مونتجمرى وات، وريتشارد بيل ـ قد واجهوا صعوبة فى إثبات مزاعمهم وأفكارهم تلك.. تجاهلوا تماما كل الروايات الإسلامية المتوارثة وصرفوا النظر عما تضمنه الكتاب المقدس من أدلة وشواهد، وعملوا على تأويلها بما يتوافق مع مقاصدهم الضالة.

وإلى هذا وذاك.. رفض هؤلاء المستشرقون كل ما يشهد بعالمية الرسالة المحمدية فى إنسانيتها، على الرغم من وجود هذه الجماعات الضخمة من البشر مختلفى الجنسيات والمواطن التى تدين بالإسلام اليوم، وتعترف به ﷺ رسولا للناس كافة وعلى الرغم من بقاء القرآن الكريم محفوظا إلى اليوم بما يتضمنه من أدلة الإعجاز المتنوعة، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين بعيدون كل البعد عن المناهج العلمية المقررة، والأصول البحثية القديمة والحديثة، وأنهم مستغرقون فى الإصرار والعناد والتغاضى عن جميع الحقائق والشواهد اليقينية.

وهؤلاء المستشرقون ـ فى سبيلهم لدعم أوهامهم الضالة ـ هونوا من درجة انتشار الإسلام فى العهد النبوى، فذكروا أن نشر الإسلام فى العهد النبوى قد تم على نطاق محدود جدا، زاعمين أن الحياة النبوية فى مكة كانت محدودة النجاح، وأن محمدا فى المدينة لم يستطع أن يقوم بالتبليغ لا ضطراره إلى مواجهة قريش وغيرها من القبائل فى حروب مستمرة.

ولكى يدعموا هذه المزاعم قسم بعضهم حياة الرسول ﷺ قسمين، فجعلوه رسولا مكيا مرة، ورسولا مدنيا مرة أخرى، ثم قرروا أنه فى مكة بدأ رسولا، بينما بدأ فى المدينة قيصرا وحاكما سياسيا، حيث أنهى الرسالة فى المدينة، وأبطل تبليغ الدين، وقضى معظم وقته فى الحرب، وفى إقامة للتنظيم السياسى، حتى إن القبائل التى اعتنقت الإسلام ـ مثل هوازن وغطفان ـ إنما أسلمت لتنال الرفعة السياسية.

ومبالغة منهم فى التمويه والتزييف راحوا يرتبون قوائم بقبائل مهاجرى مكة وأسرهم، مسقطين منها أسماء كثيرة من الرجال، ومغفلين أسماء النساء تماما، حتى كأنهم لا يعترفون بوجودهن، ولا بدورهن الحيوى.

وكان قصد هؤلاء المستشرقين من وراء ذلك: أن يثبتوا دعوى ضعف انتشار الإسلام فى المرحلة المكية.

ومن هنا.. أغفلوا إسلام أبى ذر وقبيلته وجارتها قبيلة أسلم، وأغفلوا إسلام كثير من القبائل الأخرى، مثل خزاعة، وأزد شنوءة. وأهم من هذا كله أغفلوا إسلام معظم أهل المدينة، وتجاهلوا أنهم شرفوا بالإسلام فى العهد المكى، حيث أسلم معظم قبائل الأوس والخزرج قبل الهجرةمن مكة، حتى كان كل بيت مدنى بيتا للإسلام، من كل ما يقرر هذا أن النجاح الشامل إنماكان من ثمار كفاحه ﷺ فى مكة.

الإسلام دين ودولة

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأذنابهم إنما رأوا محمدا ﷺ فى مكة رسولا، وفى المدينة حاكما سياسيا، لأنهم حبسوا أنفسهم داخل التصور الضيق للدين الذى تعارفوا عليه فى أوربا ولأنهم ـ بتعصبهم وجهلهم ـ يفتقرون إلى الحس التاريخى، فالإسلام يقوم على عدم التفرقة بين الدين والدنيا، ومطالعة الحياة المدنية لرسول الله ﷺ تقرر أنه قام بتشكيل الأمة، وتنظيم الحكومة الإسلامية طبقا لما جاء به القرآن الكريم، مما يصبغ

السلوك السياسى بالصبغة الدينية. كما تقرر أن كل ماقام به ﷺ من غزوات وسرايا كان فى سبيل تقوية الإسلام، من كل ما يصبغ السلوك الدينى بالصبغة السياسية.

وإلى هذا وذاك.. فإن الرسول ﷺ فى أثناء كفاحه العسكرى والسياسى لم يتوقف عن بذل جهده فى تبليغ الإسلام ونشره، سواء بدعوة اليهود فى المدينة، أو بدعوة ما بقى من القبائل العربية على غير الإسلام، أو بإرسال الدعاة للتبليغ بالدين فى مختلف المناطق.

ولكن الهوى المضل أعمى هؤلاء المستشرقين عن رؤية الحقيقة، وصرفهم عن فهم طبيعة السياسة النبوية ومتغيراتها.

كما إن زعم هؤلاء المستشرقين أن أكثر القبائل العربية لم يقبلوا الإسلام خصوصا اليهود والنصارى.. هذا الزعم مانشأ إلا عن هذا الجهل والتجاهل، لأن الواقع الموثق يقرر أن جميع القبائل كان يدور فى داخلها صراع بين الإسلام والكفر، حيث أسلم من كل قبيلة بعض بطونها وأسرها، بينما ظل بعضها الآخر على دين آبائه. ولكن تعصب المستشرقين سمح لهم بأن يعترفوا بذلك، لأنهم وجدوا فيها اعترافًا منهم بأن من المسيحيين من قبلوا الإسلام عن رغبة وطواعية.

ومن ظلام هذا المزاعم الاستشراقية تولد زعمان آخران، قرروا فى أحدهما: أن الدولة الإسلامية كانت محصورة فى وسط الجزيرة العربية، لم تشملها جميعها. وقرروا فى ثانيهما : أن الدولة الإسلامية كانت تفتقد المركزية، إذ كانت تقوم على النظام القبلى القديم.

مغفلين ـ فى الزعم الأول ـ أن الدولة الإسلامية قامت منذ البداية دولة مدنية ونتيجة للمهمات الأولى، والمعاهدات، والصحيفة النبوية، والغزوات والسرايا أخذت تتسع تدريجيا فى جميع الجهات، حتى إذا كانت غزوة بدر اتسعت الدولة بسرعة جهة الحدود الغربية وبعد غزوة الخندق وخيبر وصلت حدودها الشمالية إلى مدى بعيد، وبعد فتح مكة وحنين وغزوة الطائف ضمت إليها المناطق الشرقية والجنوبية، حيث أصبحت تضم شبه الجزيرة العربية بأكملها، وكان الجميع يطبقون أحكام الرسول ﷺ فى كل المعاملات السياسية والنظامية.

ومغفلين ـ فى الزعم الثانى ـ أنه ﷺ أسس نظاما عسكريا ومدنيا وماليا، وكان هو القائد الأعلى فى نظام الجيش، مع نقل مسئوليات الجيش إلى نوابه المختارين وفى النظام المدنى تم تقسيمه إلى نظام مركزى، ونظام إقليمى مترابط، فكانت شئون الحكم تدار بالتعاون بين المسئولين المحليين والإقليميين ومسئول الحكومة المركزية، تحت إشرافه ﷺ وإرشادات الأحكام القرآنية. وفى النظام المالى كان هناك عمال الصدقات المركزيين يقومون بتحصيل الزكاة والصدقات من المسلمين، والجزية والخراج من غير المسلمين، ثم يقومون بإرسال نصيب الحكومة المركزية ـ وهو الخمس ـ إلى المدينة وكذلك كان يصنع العمال المحليون، حيث يجمعونها لدى الوالى أو الحاكم.

ولا ريب فى أن هذا الإحكام والدقة فى النظام إنما كان ثمرة من ثمار كون الإسلام دينا ودولة فى وقت واحد.

ثم أى علاقة بين هذا النظام المركزى المفصل فى دقة وإحكام، وبين النظام القبلى الذى يزعمه هؤلاء المستشرقون.

وخلفــــاء الرســـول ﷺ

وذكر المؤلف أن ما صنعه المستشرقون وتابعوهم من تزييف ومسخ فى السيرة النبوية، صنعوه مع تاريخ الخلفاء الراشدين، فبذلوا جهودهم المتوالية لمسخ الأحداث المتعلقة بمؤسسات الخلافة، انطلاقا من تعصبهم الأعمى.. وعداوتهم الحاقدة للإسلام، وجهلهم الفاضح بطبيعة التوجهات الإسلامية، ففسروا ما كان من أحداث واختلافات بين الصحابة بأنها كانت نتيجة المطامع الشخصية، وفسروا ما كان من ارتداد بعض المسلمين بأنه عصيان سياسى، ورغبة فى التحرر من التسلط السياسى والعسكرى للخليفة، وأن ذلك كان دليلا على أن تلك القبائل لم تقبل الإسلام إلا فى الظاهر فقط. وعللوا انتشار الفتوحات الإسلامية فى بلاد الفرس والروم بأنه كان استناداً للطاقة العسكرية الضخمة التى خلفتها حروب الردة، حيث اضطر الخلفاء الراشدون إلى ذلك لتخليص الدول من مشكلة الفائض العسكرى.

ووفق منهج المؤلف.. كشف زيف هذه المزاعم جميعها، وبين ما تقوم عليه من تضليل وخيالات وهمية، ونبه إلى تجاهل هؤلاء المستشرقين ما كان من لجوء المرتدين والمتمردين إلى المناطق الخاضعة للعراق وإيران، ثم الإغارة على المناطق الإسلامية بتعضيد من الحكومات هناك، فلم يكن هناك مفر من تقدم الجيوش الإسلامية للهجوم على المناطق المغيرة، وكذلك كان الحال على جبهة الشام، فقد قام عمرو بن العاص، وخالد بن سعيد بسلسلة من الإجراءات التأديبية ضد المرتدين والبغاة من قبائل قضاعة وكلب وغيرهما، حيث تطور الأمر إلى اصطدام مع القبائل الموالية للبيزنطيين.

وعلى الرغم من وضوح هذه الدوافع أبى المستشرقون وأتباعهم إلا أن يخترعوا من الأسباب والدوافع ما يشوه صورة الإسلام، ويسيء إلى المسلمين، ويجعلهم مجرد طامعين فى عوائد الخراج والجزية، حتى تطور الأمر بهم إلى الثورة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

وبعــد:

فالكتاب – على قلة عدد صفحاته – زاخر باستعراض ماخلعه المستشرقون وتلاميذهم على أحداث المرحلة النبوية والخلافة الراشدة من تزوير وتزييف، وما ألبسوها من خيالاتهم المريضة من أباطيل وضلال.

وقد حاول المؤلف – فى هذا الاستعراض – أن يرد على هؤلاء المستشرقين، ويدفع مزاعمهم الضالة، ولكن حجم الكتاب – على مايبدو – وقف به دون بسط هذه الردود، فجاءت مجملة الإجمال المخل فى كثير من الأحيان، واكتفى باستعراض الأحداث والقضايا التى استغلها المستشرقون ليشوهوا

الإسلام، فقدمها فى هيئة رءوس موضوعات، مع شىء قليل من التفصيل والإيضاح.

والمتأمل فى نهج المؤلف يلمس أنه متحمس لموضوعه تحمسا أوقعه فى خطأ ما كان يصح أن يقع مثله فيه، على الرغم من وضوح الحقيقة، واشتهارها، ففى أثناء دفعه زعم المستشرقين أن رسول الله ﷺ جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين ليغرى اليهود بالدخول فى الإسلام بعد الهجرة.. فى دفعه هذا الزعم قال ص ٦٦: «ويعــــرف طلاب السنوات الأول من دارسى التاريخ الإسلامى أن تحويل قبلة المسلمين فى الصلوات الخمس عن بيت المقدس قد تم قبل عدة سنوات من الهجرة فى وقت لم تكن هناك لقضية إرضاء اليهود أومهادنتهم مكان، ولم تكن فكرة الهجرة إلى المدينة حتى قد وردت على الخيال».

ولو أن المؤلف تأنى قليــلا قبل أن يقــول ذلك، ونظر فيما تضمنته كتب الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ وما أثر من أسباب النزول، وما ذكرته كتب السيرة النبوية.. إذن لعرف أن تحويل القبلة كان فى المدينة بعد الهجرة، ويتوج هذا كله ماارواه الإمام مالك - بإسناده - عن سعيد بن المسيب أنه قال: «صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين[1].

ولعل الذى أوقع المؤلف فى هذا الخطأ هو شدة تحمسه لموضوعه، لأنه لم يكن فى حاجة إلى تعمد مثل ذلك الخطأ، فقد دفع مزاعم المستشرقين فى قضية تحويل القبلة بدفوع قوية. وما كان عليه إلا أن يستهجن تجاهل المستشرقين - فى هذه القضية - ماصرح به القرآن الكريم فى قوله - تعالى - : مخاطبا رسوله ﷺ:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

هذا إلى أن المتـــأمل فى الشكل الفنى للكتاب يلاحظ أن المؤلف - بعد تبويبه وتفصيله - قدم موضوعه فى هيئة تجهد القارىء وتضلله عن المقاصد السامية التى تضمنها الكتاب. كما إنها أصابت المؤلف نفسه بقسط وافر من الإجهاد والإعنات، تمثلت فى اضطراره إلى التكرار فى بعض الأحيان، وخلط بعض الموضوعات ببعض.

بيد أن هذه الهنات لا تمثل شيئا كبيرا أمام مابذله المؤلف من جهد، وماقدمه من فكر واضح، ورأى حاسم، ورؤى يجب أن يلم بها القارىء المسلم وغير المسلم، فالحق أحق أن يتبع، وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) الموطأ: كتاب القبلة حديث ٧ وصحيح البخارى: كتاب الصلاة ، حديث ٣١ وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث٢ والرسالة للإمام الشافعى، فقرة ٣٦٦ بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٢) البقرة (١٤٢).

كتاب
الحيوان

تأليف

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

التعريـــف بالمؤلـــف

أبو عثمان عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أديب وعالم موسوعى اشتهر فى القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، وشغف منذ نشأته بالبصرة بالقراءة وتحصيل المعرفة حتى إنه اعتاد أن يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها ليطالع الكتب التى لا يقدر على اقتنائها، مما ساعده على أن يلم بمختلف العلوم والمعارف، ويحصل على ذخيرة وفيرة من ثقافة عصره ومعارف السابقين.

تتلمذ الجاحظ على أكابر اللغويين والفقهاء وعلماء الكلام، وخالط الناس على اختلاف طبقاتهم، فأخذ الفصاحة من شفاه العرب ودرس اللغة والأدب والشعر والأخبار على أشهر علماء البصرة أمثال: أبى عبيد بن المثنى، وأبى زيد الأنصارى، والأصمعى، ودرس النحو على الأخفش، ودرس علمى الكلام وأصول المعتزلة على أبى اسحق النظام، ثم انتقل إلى بغداد وأفاد من علمائها كثيراً، واتصل بالحكام والأمراء والخلفاء فأكرموه وقدروا فضله ونبوغه وأحلوه المكان اللائق بأدبه وعلمه. عاصر الخليفة المهدى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وتوفى عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م فى البصرة بعد أن جاوز عمره التسعين عاما.

وقد خلف الجاحظ مؤلفات عديدة فى شتى مجالات المعرفة، وصلت حوالى ثلاثمائة كتاب ورسالة، مزج فيها جميعا بين العلم والأدب، فلم يقتصر – فيما يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه « ضحى الإسلام »– على ذكر البراهين النظرية، بل استعان بالتاريخ والشعر وبما يعرف من أحداث، وما جرب هو نفسه من تجارب.. ومزج ماتعلم بما قرأ، وبما سمع، وبماشاهد، وبما جرَّب.. ووضع هذا كله فى أسلوب سمح فضفاض يزيد طلاوته تقديره للنادرة الحلوة والفكاهة العذبة. ولعل أبلغ وصف لتراث الجاحظ ما قاله « أبوالفضل بن العميد » الوزير من أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا: فقد كان يهزأ بالخرافات والآراء الشائعة غير المعقولة، وأظهر فى كتابه « البخلاء » موهبته كناقد ساخر لمجتمعه، حيث تناول البخل والبخلاء من منظور حوارى جدلى صوَّر فيه أخلاق الناس وطبائعهم فى مجتمع البصرة وفى حياتهم العادية، فاعتبر بهذا الكتاب رائداً من رواد القصة القصيرة والأدب الواقعى. وفى كتابه « البيان والتبيين » تصدى للشعوبية ودعا إلى وحدة الأمة وتماسك عناصرها وأجناسها على أساس العقيدة، وفى كتابه « المحاسن والأضداد » قارن بين حضارة العرب والعجم موضحا جوانب التكامل والتميز بأسلوب متفرد. أما كتابه « الحيوان » فهو موسوعة أدبية وعلمية شاملة تستحق أن نتوقف عندها ونتحدث عنها بشيء من التفصيل.

أهمية كتاب الحيوان للجاحظ

جاء كتاب الحيوان خليطاً من المعارف العامة والملاحظات الخاصة، حاول فيه أبوعثمان أن يوفق بين العقيدة وبين التفكير العلمى وما يقبله العقل الإنسانى، متخذاً من الكون بكل ما فيه برهانا على ما يقول. والحيوان اتجاه جديد عند العرب فى بحث حقائق الكون، لم يهتم به الإنسان كثيراً فى العصور القديمة، إلا فيما يحتاج إليه فى طعامه أو كسائه أو مداواته، أو استخدامه فى تيسير أعماله ونشاطاته المختلفة.

وكان الجاحظ سباقا إلى إدراك أهمية ما نسمية اليوم « الثقافة العلمية للجميع » . فهو يؤمن بأن العلم مشترك إنسانى، ليس ملكا لأمة دون أمة، وأنه إنما وضع ليفيد منه جميع الناس على اختلاف أجناسهم ونحلهم ويقول مؤكداً هذه الغاية من تأليف كتابه :

« وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم لأنه وإن كان عربيا أعرابيا وإسلاميا جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب (القرآن) والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة . ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ، ويشتهيه الفاتك كما يشتيه الناسك، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجد ذو الحزم، ويشتهيه الغُفل كما يشتهيه الأريب، ويشتهيه الغبى كما يشتهيه الفطن . . . » .

ومصادر كتاب الحيوان هى مصادر ثقافة العصر الذى عاشه الجاحظ، وما أضاف إليها من خبراته ومعارفه ومشاهداته، فقد أخذ عن اليونان والهنود والفرس، وتأثرت ثقافته بما أخذ واقتبس عن هذه الأمم، لكنه كان نزاعا إلى التجديد، فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر من عناصر آداب الأمم المعروفة فى عصره المشهورة بالعلم والحكمة والأخلاق والآداب، ويقول فى ذلك : « . . . وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان، وحوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئا . . وقد نُقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرية إلى قرية، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكنّا آخر من ورثها ونظر فيها . . » . وهذا يعنى أن أبا عثمان بذل غاية الجهد فى تحرى الحقيقة وإيصالها إلى الناس، وبعد التثبت والتجربة والعقل والبرهان ليكون الحكم فى النهاية أقرب إلى الحق والصحة .

وأدرك الجاحظ المفهوم الحقيقى لعملية تطور الفكر البشرى، ودور العقل والإرادة فى دفع هذه العملية إلى الأمام باستمرار، فقال فى كتابه الذى بين أيدينا : « وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا، كما أن من بعدنا يجد من العبر أكثر مما وجدنا » . وأكد مراراً فى كتابه على أن الفرق ما بين الإنسان والحيوان إنما يتمثل فى القدرة على التفكير وصولاً إلى حرية الاختيار، فهو يقول : « إن الفرق بين الإنسان والبهيمة، والإنسان والسبع والحشرة، والذى صيّر الإنسان إلى استحقاق قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(١) .

ليس هو الصورة، وأنه خلق من نطفة وأن أباه خلق من تراب، ولا أنه يمشى على رجليه ويتناول حوائجه بيديه، لأن هذه الخصال كلها مجموعة من البُلْه والمجانين والأطفال والمنقوصين . . والفرق الذى هو الفرق إنما هو الاستطاعة والتمكين، وفى وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة . . » .

ومن هنا نلاحظ أن أبا عثمان كان ينطلق فى بحثه من مسلمة الإيمان، فهو يرى أن البحث فى هذه الكائنات على اختلافها حجما وتكوينا ووظيفة يعتبر وسيلة من وسائل الاعتبار والتأمل فى حكمة الخالق من

(١) الجاثية (١٣).

هذا التنوع العجيب فى خلق الكائنات، فالنمل لا يقل شأنا فى تمثيله حكمة الخالق عن الفيل أو الإنسان.. بل ربما هو أكبر شأنا فى ذلك، إذا اعتبر الإنسان بالخفى والدقيق من الأمور، ويقول فى ذلك:

« .. ونحن نرى أن التمثيل ما بين خصال الذرّة (أى النملة) والحمامة والفيل والبعير والثعلب والذيب أعجب. ولسنا نعنى أن للذرة ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه، ولا أن لها غناء الفرس فى الحرب والدفع عن الحريم. لكنا إذا أردنا مواضيع التدبير العجيب من الخلق الخسيس، والحس اللطيف من الشيء السخيف، والنظر فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجن والملائكة، لم نذهب إلى ضخم البدن وعظم الحجم ولا إلى النظر إلى الحسن ولا إلى كثرة الثمن.. »

ولذلك اتسعت موسوعة الجاحظ لتشمل كل ما عرفه الجاحظ من حقائق علمية ومعارف فى المعتقدات والمذاهب وعقائد العامة وأقاصيصهم ونوادر الأعراب وأشعار العرب وأقوال الحكماء، مهما بدت لعين الناظر ضئيلة فى قيمتها المعرفية.

والجاحظ فيلسوف طبيعى سار على غرار النظام فى منهج تحرير العقل واعتبار الشك والتجربة أساساً للبحث قبل الإيمان واليقين. ويزداد المنهج التجريبى عند الجاحظ وضوحًا وتأكيداً عندما نعلم أنه كان يلجأ دائماً إلى التجربة ليتحقق بنفسه من صحة نظرية من النظريات أو رأى من الآراء. ولكل تجربة عنده هدف وغرض، ففى بعضها كان يقطع طائفة من الأعضاء ليرى هل ستعود وينمو بدلاً منها، وفى بعضها كان يعطى الحيوان جرعات مختلفة من السموم والمواد الكيميائية ويلاحظ تأثيرها على الحيوان، وحينا كان يرمى بتجربته إلى معرفة بيض الحيوان والاستقصاء فى صفاته، وكان حينا يقدم على ذبح الحيوان وتفتيش جوفه وقانصته، ومرة كان يدفن الحيوان فى بعض النبات ليعرف حركاته، ومرة كان يذوق الحيوان، وفى أوقات كان يبعج بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده، كذلك كان يجمع أضداد الحيوان فى إناء واحد مع بعضها البعض ليعرف تقاتلها ويلاحظ سلوكياتها، كما مارس التشريح على بعضها ليتعرف على أحشائها ووظائفها. وكان يفتح الأرحام ليرصد مراحل تطور الأجنة وأشكالها وأعدادها.

وأجرى الجاحظ بنفسه تجارب الارتباط الشرطى على كلب محبوس للتعرف على ذكائه ورد فعله، فكان سابقا بذلك عالم البيولوجيا « بافلوف » بعدة قرون. كما قارن بدقة بين سلوك القرد والإنسان. واكتشف تأثير الهرمونات على الجسم، ولاسيما هرمون الذكورة الذى تفرزه الخصية فى الرجل والحيوان. وطبق نظريته على الحيوان المخصى بالذات، وسجل ملاحظاته بشأن لحم الحيوان المخصى بقوله: « لدنا ورطبا وطيبا إن كان عضلا صلبا ». وبيّن أن الإخصاء يسقط الشعر من الجلد ويجعل الجلد أملس رقيقا وصافيا فى اللون، ويتغير الصوت ونبراته لدى المخصى، وكان وصفه يتوافق مع رأى علم وظائف الأعضاء الحديث.

ومن الناحية التنظيرية كان الجاحظ سباقا إلى القول بمفهوم نظرية التطور فى الحيوان، ولكن على أساس قدرة الله - تعالى - فى تدرج الكائنات للنوع الواحد، بخلاف ما جاء به دارون من مفهوم الانتخاب الطبيعى فى كتابه « أصل الأنواع » فقد أكد الجاحظ على أن الصور الأصلية للأنواع تفرعت إلى صور جديدة بالتكوين المتدرج لخصائص جديدة ساعدتها على التكيف مع الظروف البيئية التى تعيش فيها.

وسجلت موسوعة الجاحظ إشارته المبكرة إلى مفهوم الهندسة الوراثية وتحسين النسل (الأيوجينيا) عندما تحدث عن التهجين المولد وعبر عنه بالنتاج المركب، ومن ذلك قوله: «إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل». وعرف النتاج المركب بأنه ولادة بين جنسين مختلفين من الحيوان ومن الناس، والنتاج المركب ممكن بين عدد من أجناس الحيوان: بين الذئب والكلبة، بين الحمار والفرس، بين الحمام البرى والحمام الأليف، ثم هو غير ممكن بين عدد آخر من أجناس الحيوان كالتيس والنعجة، أو كالبقرة والجاموس على قرب ما بينهما فى الشكل.

ولقد ميّز الجاحظ بين الأمور الواقعية فى مجال النتاج المركب وبين الخرافات والأباطيل التى انتشرت فى أيامه، فيقول: «وقد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل (ويقصد به التهجين بين أنواع حيوانية بعيدة بنسبها عن بعضها) فادعوا أموراً ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان.. ومثل هذه الأقوال لايحققها الامتحان (التجربة) وما عندنا معرفة بها». وتشكك الجاحظ فى الأقوال حول تسافد الكلاب مع الثعالب، والثعالب مع الهرة الوحشية، وسفّه هذه الأقوال بعد تفنيدها، ووصف أهلها بأنهم ناقلون غير مدققين، ومقلدون غير مطبقين. ورأى الجاحظ أن أرسطو لم يثبت بعض الأمور بالعيان والسماع والامتحان والتجربة، وقد أتى فى كتاب «الحيوان» على بعض أقوال أرسطو فى الحيوان ففندها وأظهر نواحى الضعف فيها، وأوضح كيف أن أرسطو لو لجأ إلى التجربة لتحقيقها لما قال بها ولما أتى على ذكرها.

وينبغى ألا يفهم من مناقشتنا لبعض محتويات كتاب الحيوان للجاحظ أننا نحاول إثبات ممارسة الجاحظ للمنهج العلمى التجريبى كما يمارسه العلماء المعاصرون، فالجاحظ من علماء القرن التاسع الميلادى، وليس من الإنصاف أن نقيّمه بمقياس العصر الحاضر، ولكننا نذهب إلى تأكيد ما يحمله من صفات الباحث المدقق والعالم المجرب فى مرحلة مبكرة من تاريخ التفكير العلمى، فهو من رواد الحقيقة ويحاول الوصول إليها عن طريق التجربة وإعمال العقل، بل كان فى كثير من الأحيان يشك فى النتائج التى يتوصل إليها ويستمر فى الشك وتكرار التجربة، ويدعو إلى ذلك كله حتى تثبت صحة النظريات والآراء، وتتجلى له الحقيقة ويتعرف على مواضع اليقين والحالات الموجبة لها.

ترجمة المصطلح العلمى عند الجاحظ

من ناحية أخرى لا يقتصر كتاب «الحيوان» للجاحظ على أنه موسوعة تشتمل على شتى المعارف، بل إنه يصلح أن يكون مصدراً من مصادر اللغة والبحث فى المصطلح العلمى. ذلك أن أبا عثمان قد أفاد كثيراً من ثراء اللغة العربية الزاخرة بالألفاظ والتعابير عن الأشياء والألوان والأصوات بجميع هيئاتها وأشكالها ودرجاتها، ولم يدخر وسعاً فى البحث فى أصول العربية عن أنسب الألفاظ والتعابير التى يمكن أن تخدم العالم الطبيعى، خاصة وأن عامة المترجمين الأوائل لم يكونوا يتقنون العربية إتقانا كافيا لتأدية المعانى المطلوبة لترجمة المصطلحات العلمية. ونجده، على سبيل المثال، يصنف الحيوان إلى فصيح وأعجم، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان، ومن الأعجم «مايرغو، ويثغو، وينهق، ويصهل، ويشحج (أو يشمخ)،

ويخور، ويبغم، ويعوى، وينبح، ويزقو، ويضغو، ويهدر، ويصفر، ويصوصى، ويقوقى، وينعب، ويزأر، وينزب، ويكشّ، ويعجّ (أو يبحّ).. فالعالم بحاجة ماسة إلى عالم دقيق باللغة التى يعبر بها عن علمه، وقد استطاع الجاحظ أن يوسع إطار العربية ليشتمل على كثير مما جدّ على الفكر فى عصره، لكن دون تضييق على نفسه أو على العلم الذى هو بصدده، فما لا يوجد له مقابل فى العربية من أسماء أجنبيه، يضعه بلفظه الأجنبى وبحروف عربية، وهو المنهج الذى يتبعه العلماء الآن عند ترجمة المصطلحات العلمية إلى العربية، أو تعريبها.

وهكذا جاء كتاب «الحيوان» للجاحظ موسوعة شاملة أفاد منها كل من جاء بعده، وحظيت باهتمام الكثيرين من العلماء والمؤرخين والباحثين، لكن أبا عثمان يعتذرفى تواضع جم عن أوجه القصور فى إتمام هذا الكتاب الذى استغرق تأليفه سنين طويلة، موضحاً أسباب ذلك بقوله: «وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أنى لو تكلفت كتابا فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر والطفرة والتولد والمداخلة والغرائز والتماس، لكان أسهل وأقصر أياما وأسرع فراغا لأنى كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار وتتبع الأمثال واستخراج الآى من القرآن والحجج من الرواية، مع تفرق هذه الأمور فى الكتب وتباعد مابين الأشكال.. فإن وجدت فيه خللاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشئ فى غير موضعه، فلا تنكر بعد أن صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأت عليها كتابى..».

أهم المؤلفات المحققة للجاحظ

١- البيان والتبيين

ـ حققه حسن الفاكهانى ومحمد الزهرى الغمراوى، القاهرة، المطبعة العلمية، ١٨٩٥م، مجلدان.

ـ حققه محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٩١٤م، ٣ مجلدات.

ـ حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م، ١٩٥٠م، ج١: ٤٤٣ص، ج٢: ٣٧٢ ص، ج٣: ٣٨٤ص، ج٤: ٤٠٢ص.

٢- التاج فى أخلاق الملوك:

ـ حققه أحمد زكى باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٤م، ٢٨٣ ص.

ـ حققه إبراهيم الزين، وأديب عارف الزين، بيروت: دار الفكر ودار البحار، ١٩٥٥م، ٣٤٤ ص

ـ حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٧٠م، ١٩١ ص

٣- المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب:

ـ حققه فان فلوتن، ليدن: بريل، ١٨٩٨م، ٤١٦ ص.

ـ صححه محمد أمين الخانجى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٦م، ٢٦٠ ص.

ـ حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، ٢٣٧ ص.

٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان.

ـ حققه محمد مرسى الخولى، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٢م، ٤٦٢ ص.

-حققه عبدالسلام هارون، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ٦٨٦ ص.

٥- مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ

-حققه ريشر وشتوتجارت، ١٩٣١م، وهى تضم ٢٩ رسالة للجاحظ.

٦- الحيوان:

-حققه محمد بدر الدين النعساني الحلبي: القاهرة: المطبعة الحميدية، ١٩٠٥م، ج١: ١٩٨ص، ج٢: ١٣٦ ص، ج٣: ١٧٠ص، ج٤: ١٥٧ص، ج٥: ١٧٧ ص، القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٠٧م، ج٦: ١٧٧ص، ج٧

-حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٠-١٩٤٧م، ج١: ٤٨٠ص، ج٢: ٤٨٣ ص، ج٣: ٥٤٨ص، ج٤: ٥٠٣ص، ج٥: ٦١١ ص، ج٦: ٥١٥ ص، ج٧: ٥١٦ ص، ج٨: ٣٣٤ ص.

-حققه فوزى عطوى، دمشق: مكتبة محمد حين النورى، د.ت. ٧ مجلدات.

٧- البخلاء:

-حققه فان فلوتن، ليدن: بريل، ١٩٠٠م، ٢٢٧ ص.

-حققه أحمد العوامرى وعلى الجارم، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، ١٩٣٨م، ج١: ١٩٢ص، ج٢: ٢٥٩ص

-حققه طه الحاجرى، القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨م، ٥٠٧ ص.

-حققه محمد على الزغبى، بيروت، مكتبة العرفان، ١٩٥٥م، ج١: ١١٣ص، ج٢: ١٤١ص

-حققه أحمد ظافر كوجان، دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٦٣م.

-حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م، ٣١٥ ص.

مراجع للاستزادة

١- قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب: سلسلة الألف كتاب (٤) ، مكتبة مصر، القاهرة، مقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٥٦م

٢- د. وديعة طه النجم، منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان، نصوص ودراسة، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م

٤- د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى، دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧م

٥- عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م

٦- د. عبدالحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، دار المعارف ١٩٨٠م.

انظموا أوطاننا أسرا

للشاعر / محمد مصطفى حمام

رأى الدين. فى قضايا التعدد والتقييد مصورا فى شعر حسن للأستاذ / محمد مصطفى حمام.

تَزَوَّجُوا ، وانظموا أوطاننا أسراً ... لا تتركوا وطن الأمجاد منتشرا
لا تجعلوا البيت والتزويج مشكلة ... ويَسِّرُوا من أمور العيش ما عسرا
لا تخشوا الفقر، كم من أسرة شبعت ... عِزّاً ومالاً ، وفرد خاب وافتقرا
ولا تخافوا شقاقاً فى بيوتكمو ... بل اضمروا الحب يبق الحب منتصرا
فإن تعاظمكم خلف وأعْضَلَكُم ... فخالفوا أمرَ التفريق إن أمرا
واستخلصوا حَكَمَاً من أهلِكُم وخذوا ... من أهلها حَكَمَاً واسترحِموا القدرا
ولستُ أرضى سوى الأهلين محكمة ... وليبق سِرّى وسر البيت مُدخَرا
فإن قضى الله تفريقاً فنازِلَة ... إن تلق صبراً فطوبى للذى صَبرا
وربما كان فى التفريق منفعة ... قد يبرأ الجسم من عضو إذا بُتِرا
حياتنا صفحات تلك واحدة ... منها فذا رابح فيها وذا خَسِرا

***

ومَنْ يُعَـددْ زواجـاً دون ملجـئـة ... فـقـد أتى بِضِـرار أو أتى ضَـرَرا
ليس التَـعَـدُد إلا رُخْـصـة فـإذا ... أسْـرَفتَ فـيـهـا ركـبتَ الحـمق والخطرا
مَنْ ينتَـقِص حق أولاد لثـانيـة ... لم يلق من ربه عـفـواً إذا اعـتـذرا
وفى التَـعَـدُد إن أدرَكْتَ حكمـتـه ... برٌ رخى وجـبـرٌ للذى كُـسِـرا
مَنْ للمُطلَّقـة الحـسناء يعـصـمُـهـا ! ... وللعـوانس تفنى عـمـرها ضـجـرا !!
ولـلأرامـل، والأحـزان تعـصـرهـا ... والحـزن يفـتك بالأعـواد إن عـصـرا
ومَنْ لأم اليـتـامى، هل تقـوتهـمـو ... بالخدِ مُـعْـتَـصـراً والقَـدِ مُـهـتَـصـرا !!
ومـا الغـطاء لمن زَلَّت وسـاورهـا ... من الفـضـيـحـة طيف يرسل النذرا
ومـا السـبـيـل إلى ذُرِّية نُجُـب ... إن كُنتَ زوج عـقـيم حظهـا عـثـرا !
هو التـعـدد يهـدى الغـارقـين إلى ... بَـرِّ الأمـان ويبـنى بيـنـنا أسـرا
هو التـعـدد كم آوى اليـتـيم وأشـ ... ـباه اليتيـم وكـم واسـى وكـم سترا
هو الحـلال الذى ينـفى الحـرام وكم ... حـمى من الفُـحْشِ أنثى أو حـمى ذكـرا
عـدِّد إن اسـتطعتَ لكن عـادلاً لبـقـاً ... لا تعطينَ الهـوى سـمَـعـاً ولا بَصَـرا
واحكـم رَعَـاك الله بالحب الصـحـيـح ... تَجِـد مـغناك لا غـيـرة يشكو ولا غـيـرا
واسـأل ضـمـيـرك فى أمـر التـعـدد، لا ... تلجـأ لقـاضٍ ولا تسـتـأذن البَـشَـرا
إذا جـرؤت على قـاضى السـمـاء فلن ... تكون يومـاً بقـاضى الأرضَ مـزدجـرا

* * *

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يستغفر الله من الحمد لله

قال السرى السقطى: منذ ثلاثين عاما وأنا فى الاستغفار من قولى مرة: الحمد لله فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: وقع ببغداد حريق فاستقبلنى أحد الناس قائلا: نجا حانوتك فقلت: الحمد لله!!

فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت حيث أردت لنفسى الخير دون الناس.

يربطون الحجارة

دخل أعرابى مدينة لأول مرة، فهاجمته كلابها وكادت تعضه، فأراد أن يأخذ حجرا من الأرض فاستعصى، فقال: لعن الله أهل هذه القرية يطلقون الكلاب، ويربطون الحجارة.

هجر القرآن

قال ابن القيم: هجر القرآن أنواع:

أولاً: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

ثانياً: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.

ثالثاً: هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

رابعاً: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

خامساً: هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب.

وكل هذا داخل فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[1]

حقاً

على قدر حبك الله يحبك الخلق، وبقدر خوفك من الله ـ تعالى ـ يهابك الخلق.

(١) الفرقان (٣٠).

مباراة.. وصفية.. صوفية

دخل أربعة من الصالحين على أبى يزيد البسطامى فقدم لهم قدحا من عسل عليه شعرة؟

فقال الأول: العقل أصفى من القدح، والعلم أحلى من العسل، والصدق أدق من الشعرة.

وقال الثانى: الجنة أصفى من القدح، ونعيمها أحلى من العسل، والصراط أدق من الشعرة.

وقال الثالث: قلب المؤمن أصفى من القدح، وكلام الله أحلى من العسل، والحق أدق من الشعرة.

وقال الرابع: الإسلام أصفى من القدح، وخلو الطاعة أحلى من العسل، والورع أدق من الشعرة.

وقال أبويزيد البسطامى: المعرفة أصفى من القدح، ومحبة الله ـ تعالى ـ أحلى من العسل، وخوفه أدق من الشعرة.

اذهب فأنت حر

قال بخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال: يا مولاى هذا خطأ، أغلق الباب أولا، ثم أقدم الطعام، فقال له: اذهب فأنت حر، لعلمك بأسباب الحزم.

أخى

لاتلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولاتعب أحدا منهم بما فيكا

لاتكونوا من جبابرة العلماء

قال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولاتكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

الليل.. قبل النهار

سئل ابن عباس: هل الليل كان قبلها أو النهار؟

فقال: أرأيتم إلى السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟

ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

دعاء

يارب لاتجعل قدمى تزل فى الطريق إليك ولاقلبى يضل فى التطلع إليك، أنت العون الذى أبتغيه، والخير الذى أتمناه فى الدنيا والآخرة.

الشاعر الداعية:

الشيخ محمد زكى ابراهيم
رائد العشيرة المحمدية

للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الجيوشى

الشعر هبة من الله يضفيها على من يشاء من عباده، فتنطلق بها ألسنتهم، وتعبر عن أشواقهم وآمالهم وآلامهم، وتسجل نعم الله فى الأرض وفى السماء، ومنهم من يستغل هذه النعمة فى توجيه النفوس إلى الخير، والكشف عن آثار القدرة الإلهية فى الأرض وفى السماء وفى النفس الإنسانية، مستلهماً قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1].

فدافعوا عن الحق، ونطقوا بالحكمة، وأرشدوا إلى طريق الهدى والصواب، وعبروا عن أشواق النفس الإنسانية، وتطلعها إلى السموّ والرقىّ والصفاء والنقاء.

وقد عرف التراث العربى العديد من هؤلاء منذ فجر الدعوة الإسلامية، والعصور التى تلت ذلك الفجر حتى أيامنا هذه، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله -سبحانه-:

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2].

(١) الذاريات الآيات من (٢٠ : ٢٣).

(٢) الحج الآية (٢٤).

ومنهم فريق آخر استغل هذه الملكة أسوأ استغلال فآذى الناس، وتعرّض للحرمات، وسلقهم بلسانه وشعره حتى خافوه، وتحاشوه خشية أن ينالهم من شره، ويصيبهم من أذاه، وهؤلاء هم الذين عناهم الله -تعالى- بقوله:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾(٣).

وقد عرفت العصور المتتابعة نماذج من الفريقين، فمن الأولين حسان، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، الذى يقول للرسول ﷺ:

نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة
القرآن فيه مواعظ وترتيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت فىّ الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ومن الفريق الثانى الحطيئة الذى لم يسلم أحد من لسانه حتى إنه إذا لم يجد أحدا يناله بلسانه هجا نفسه، فقد خرج ذات يوم، وقد هاجت شرته، لعله يجد أحداً يطوقه بلسانه كما تفرغ الحية سمها فيمن يسوقه سوء حظه إلى طريقها، فلم يجد أحداً، فكأنما بلسانه ألم يضر به، فلما لم يجد أحدا مرّ ببئر فنظر فيها فبدا له خياله فى الماء، فقال:

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما
بشر فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه
فقبّح من وجه وقبح حامله

ولم تسلم زوجه من لسانه، فقال:

أطوّف ما أطوّف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لطاع

حتى أمه التى أوصى الله بها، وأمر الرسول بالإحسان إليها، وجعل الجنة تحت أقدامها، لم تسلم من الحطيئة الذى وسمها بأقبح الصفات وأعلنها ببغضه لها مما يشعر عن خلل نفسى فى تكوينه، فقال:

جزاك الله شرا من عجوز
ولقاك العقوق من البنينا
تنحىّ فاجلسى منى بعيدا
أراح الله منك العالمينا
إغربالا إذا استودعت سرًّا
وكانونا على المتحدثينا
ألم أظهر لك البغضاء منى
ولكنْ لا أخالك تعقلينا
حياتك ما علمت حياة سوء
وموتك قد يسرّ الصالحينا

وقد هجا الزبرقان بن بدر فشكاه لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذى ألقى به فى الحبس لما تناول الزبرقان تناولا قاسيا فى قوله له:

---

(٣) الشعراء الآية (٢٢٤) (٤).

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وهدده بقطع لسانه حتى لا ينال أحدا بسوء، وقد قال أكثر من قصيدة يستعطف بها عمر حتى سمع قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فبكى عمر لما سمع هذه الأبيات، فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم فى قصة ليس هنا مجال عرضها.

تلك هى آثار الشعر فى البناء والهدم، والخير والشر، والحب والبغض، والمدح والهجاء، والرضى والغضب، ولقد قال رسول الله ﷺ فى تأثير الكلام نثرا وشعرا: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»(٤).

وشيخنا -رحمه الله - قد وُهبَ مَلكة شعرية مبدعة، وكان الشعر يجرى على لسانه، ويتدفق من خاطره دفاقا كالنبع ينبثق منه الماء الصافى عذبا رويا، والذى يقرأ مراحل حياة الشيخ - رحمه الله -يدرك عن يقين أنه كان قادرا على أن يجعل كلامه كله شعرا يفيض عنه تلقائيا كما يفوح العطر من الزهر وينبعث الضياء من الشمس، وينهمر الماء من السحاب.

والدارس للطاقة الشعرية عند الشيخ - رحمه الله-، لابدّ له أن يقف على إنتاجه كله، ويراجعه مراجعة المتأنى الدارس حتى يستطيع أن يعطى صورة صادقة لهذه الطاقة الخلاقة التى أفاضها الله على الشيخ، واحتوتها القصائد التى هتف بها على مدى عمره الطويل المبارك، وليس ذلك متيسرا للباحث الآن حتى يقدم دراسة مستوعبة لهذا التراث الطيب الغزير، فهناك القصائد التى قالها فى شبابه، والتى سماها الحصائد، ناظرا إلى قول النبى ﷺ: «وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم»(٥). ويفهم من هذه التسمية أن الشيخ -رحمه الله- ليس راضيا عن اتجاهاتها؛ لأن فيها مافى الشباب من اندفاع وقوة، وفى ذلك يقول تحت عنوان «ندمت»:

استغفر الله إنى قد ندمت على
ما كان من بعض أقوالى وأشعارى
قد قلت ما قلت جهلا أو بمعذرة
وقد أنبت، فهب لى رب أوزارى

ولكن الدارسين لتراث الشيخ يرون أنها تمثل مرحلة من مراحل النضج الشعرى للشيخ -رحمه الله-، ولهذا فإنى أهيب بالإخوة القائمين على نشر تراثه أن يعملوا على إخراجها كاملة حتى تهيئ للدارسين فرصة للوقوف على التطور الفنى لشعر الشيخ.

وهناك القصائد التى قالها بعد مرحلة الشباب، والتى سماها «هشيم المحتظر»، وهناك المجموعة التى أطلق عليها «أنسام طوى» والمجموعة التى أعطاها اسم «فى حضرة الله»، والمجموعة التى عنوانها «المولد المحمدى».

كل هذا الإنتاج الغزير غير ميسر للباحث الاطّلاع عليه الآن، وليكون البحث وافيا عن

---

(٤) الموطأ (٩٨٦) وأحمد ٤/٢٦٣.

(٥) أخرجه أحمد (٥/٢٣٦).

مكانة الشيخ الشاعرية لابد له أن يَطّلع على هذا الانتاج الوافر.

والموجود بأيدينا الآن هو «الجزء الأول» من ديوان «البقايا» والجزءان الأول والثانى من ديوان «المثانى». وسنحاول جهد المستطاع أن نقدم تصوّرا للشيخ شاعرا راجين أن يتهيأ فى المستقبل للباحثين كل ما قاله الشيخ فى مجال الشعر، وهو شئ كثير له قيمة أدبية رفيعة، واتجاه متميز تحتاج الحركة الأدبية المعاصرة أن تقف على اتجاهاته لتكشف للباحثين عن مجالات جديدة لها قيمتها الفنية فى الشعر المعاصر، وحينئذ سيعلم الدارسون للأدب، والمعنيون بالحركة الشعرية المعاصرة أن هناك شاعرا موهوبا، لم يتكلف الشعر، وإنما كان يغلبه الشعر فيسجله حينما يفيض به قلبه كالنبع رائقا عذبا نقيا حتى اللحظات الأخيرة التى كان فيها يودع الحياة، وهذا أمر يثير الإعجاب حقا، حينما تجد شاعرا، وهو يتهيأ للقاء ربه يفيض قلمه بهذا السحر الحلال فى شعر عذب رائق يتدفق يرسم الطريق لمن سيحمل الراية بعده.

مع كبار الشعراء

ظهرت الطاقة الشعرية المبدعة لدى الشيخ – رحمه الله–، وهو لما يزل طالبا فى الأزهر حتى إن كبار الشعراء كانوا يطلبون لقاءه وهو ما يزال يافعا، حينما يطلعون على ما يفيض به قلمه ظنا منهم أنهم سيلقون شاعرا قد أنضجته السنون، ومن ذلك لقاءه مع حافظ إبراهيم حيثما نشر أبياته التى ينتقد فيها ظاهرة النذور لأهل الصلاح من الموتى، والتى يقول فيها:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة
قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها
بحر النذور وتقرأ الآيات
ويُقال هذا القطب باب المصطفى
ووسيلة تقضى بها الحاجات

يقرأ الشيخ –رحمه الله– وهو لما يزل طالبا– هذه الأبيات وحافظ آنذاك شاعرا ملأ الدنيا وشغل الناس، فينشر ردا عليها فيه الحكمة، وبُعد النظر، وتوجيه الشاعر إلى ما فاته التنبه إليه، فيقول:

ما كل حىّ كان أهلا بيننا
للرزق حتى يحسد الأموات
فلربَّ ميت كان أنفع للورى
من ألف حىّ ليس فيه حياة
أوليس رزق الميت هذا عائدا
حتما إلى حىّ له حاجات
فالفضل كل الفضل للميت الذى
يهب الحياة لشبه من قد ماتوا

ولم يكد (حافظ) يطّلع على أبيات الشيخ الشاب حتى أخذ يبحث عنه يريد أن يتعرف عليه، لأن أبياته تدل على شاعر جهير، ولما التقى به إذا به يكتشف أنه طالب بالأزهر، فهنأه وشجعه، وتودد إليه، وكانت هذه بداية مشجعة لمن كان يريد أن يكون له فى عالم الشعر موطئ قدم؛ ولكن الشيخ الشاب آنذاك لم يكن يعنيه إلا أن يشير إلى أن هؤلاء الأموات الذين ينتقد حافظ البذل إلى مدافنهم كانوا نافعين للمجتمع فى حياتهم، ويمتد نفعهم أيضاً إلى أفراد المجتمع

بعد مماتهم، فهم خير ألف مرة من أحياء، لكنهم بالنسبة للناس أموات لايرجى من ورائهم نفع لضعيف، ولا عون لمحتاج، فهم أولى بأن يسموا أمواتا، وكان ما يبدو فى شعره من قوة وأصالة ونضج داعيا إلى كبار الشعراء أن يلتقوا به، ويتعرفوا عليه، حتى إن (شوقى) كان يعجبه ما ينشر للشيخ فى مجلة (أبوللو) فطلب لقاءه وشجعه وأثنى على شعره، وقدمه لجلسائه من رجال الشعر والأدب، وهكذا كان شعره هو الذى يقدمه لكبار الشعراء والأدباء فى صدر شبابه، وقد قرأ له العقاد قصيدة سينية نشرت فى مجلة الفجر التى كان يشرف عليها، فلفتت انتباهه إلى أن هذا لابد أن يكون إنتاج شاعر متمكن، فطلب إلى سكرتير تحرير المجلة أن يسعى لتحديد موعد يلتقى فيه بالشيخ الشاعر الشاب.

والحقيقة أن الطاقة الشعرية التى كان يتمتع بها الشيخ –رحمه الله– كانت طاقة فذة تجذب إليها كل من يقف على إنتاجها، ولولا أن الشيخ انصرف عن الشعر، واتجه إلى العلم والدعوة والتصوف لكان أحد كبار الشعراء فى عصرنا، ويصدق عليه قول الإمام الشافعى –رضى الله عنه–:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد

كانت شاعرية الشيخ –رحمه الله– تلفت الأنظار إليه فى أى مكان حلّ فيه، قال أحد الأئمة: كنت عضوا بإحدى دورات التدريب العالمى للأئمة والوعاظ بمدينة البعوث بالقاهرة،

أحمد شوقى

حافظ إبراهيم

واستمعت لأول مرة إلى محاضرة فى التصوف الإسلامى شدتنى إلى السيد المحاضر شداً عنيفاً، فما أن انتهى حتى تقدمت إليه بإلحاح مع بعض أعضاء الدورة، فسألته: نريد أن نعرف فضيلتكم؟ فإذا به يقضى لحظات ثم ينظر إلىّ قائلاً:

فضيلتى أننى مقرٌ
بأن شأنى هو الرذيلة
أخاف ذنبى رجاء ربى
وليس لى دونها فضيلة

فكتبت هذا وكتبه زملائى بشغف، ثم قلت: إنما نريد أن نعرف الإسم، فسكت هنيهة، ثم قال:

ماذا تفيد من اسمى
وَهْمُ يجرُّ لِوَهْم
قد ضللتنا الأسامى
جهلا فحسبك علمى

وكتبنا مشدوهين، ثم أقسمت عليه أن يذكر اسمه؛ فإذا به يقول:

اسمى محمد واسمى
إذا أردت زكىٌ

يـا لـيـت أنـي بـاســـــــمـي
هــذا وذا لـي حَـــــــــــرِيٌّ
عـــــدوت قـــــدري إن قــــد
زعـــــمت أنـــيَّ شــــــــيءٌ

وانطلق من بيننا كـالسـهـم، لا يلوى، ولا ندركـه، فكانت لحظات ربانيـة بحقّ عـادت بنا عمليا إلى عـهـود السلف الصالح، وقصصهم الغريبة، ورقائقهم العجيبة.

الذى يطالع ديوان «البـقـايا» يلاحظ أمـورا تأخذ بلبه، وتستولى على تفكيره، كيف تحقق لصاحب الديوان هذه الميزات الفريدة التى تنطق بها قصائده:

أول هذه الأمور: السهولة الممتنعة والعاطفة المتدفقة التى تملك القلب وتأسره.

وثانيها: النفس الطويل الذى يتجاوز المائة من الأبيات فى قوة متماسكة، وسهولة آسرة وعاطفة جياشة.

وثالثها: الوفاء للقيم والأخلاق والإخوان.

ورابعـهـا: السماحة التى تشعر القارىء أنه يمشى فى رياض من المحبة والسماحة وحُسن الصلة بالخالق – جل وعلا.

وخامسها: أن الصوفى الحقيقى ليس معزولاً عن أحداث بلده ولا قضايا أمته، وإنما يعايشها، ويشارك فيها ويضرب المثل لغيره كى يقتدوا به.

فالسهل الممتنع قاسم مشترك فى كل قصائد الديوان، ولكننا لانستطيع أن نقدم الديوان كله دليلاً على هذه الميزة، ولذلك سنختار ما يقنع القارىء والمستمع ومن ذلك قصيدة تضرع وإنابة:

يـــارب أذنـــبـــت لــكـــن
فى خـــيـــفـــة منك ربى
قـــد كـــان قلبى يبكى
وأنـــت أدرى بـــقـــلـــبـــى
وأنـــت أدرى بـصـــدقـى
مـــنـــى وأدرى بـــكـــذبـــى
يـا غـــافـــر الـذنب إنـى
قـــد اعـــتـــرفت بـذنـبـى
يـا قـــابـل التـــوب صلنى
واقـــبـل بـفـــضـلك تـوبى
مـــالى إليك شـــفـــيـع
إلا اعـــتـــرافى وحـــبِّى
والســـتـــر منك دليـل
على قـــبـــولى وقـــربى
عـــجـــبـت والله منى
وطـــاش والـــلـــه لُـــبـــى
وأذهـلـنـى قـــضـــايـا الـقـ
ـضـــاء فى غـــيـب غـــيـــبى
فـكـيـف أمـــضـى لخطب؟
يـــلـــوح فـــى إثـــر خـــطـــب؟
وكـــيـــف أنجـــو بـلطـف
من بـعـــد لـطـف يـلـبـىّ؟
وكـــيـــف أبـأس لـكـن
يـحـــقـق الـلـه إربـى
فـلـيس يـهـــتـك ســـتـرى
ولـيـس يـنـضـح عـــيـــبى
لـكـنـنـى من شـــقـــائى
أضـــلَّ بـــابـــى ودربـــى

لازلت فى التيه أمضى
لغير وجه وصوب
تبددت فلسفاتى
وضاع جدى ولعبى
يا رب هل من سعى
إليك يكشف كربى
ظلمتُ قبلا شبابى
واليوم أظلم شيبى
وذاب قلبى من خو
فى، وحسرتى أىّ ذوبِ
أنى أثيم مقصّر
قد ضاق بى كل رحب
بكيت حتى بكانى
قساة أهلى وصحبى(٦)

وتمضى القصيدة على هذه الوتيرة الآسرة التى يشعر قارئها أنها تعبر عن ذات نفسه، وأنه يحاور ذاته فى لغة رشيقة آسرة ثم يختم الشيخ قصيدته بمقطع يتجه فيه إلى خالقه – جل وعلا – يعبر فيه عن اعترافه بالذنب وخوفه من ربه، وشعوره بالأرق حينما يتذكر ما أقدم عليه من خطايا، ولكن ذلك كله لا يمنعه من أن يؤمل فى الحصول على النجاة والفوز بالعفو من العفو الغفور ويعرض ذلك كله فى سهولة، ورشاقة فى التعبير فيقول:

يارب أذنبت لكن
فى خيفة منك ربى
كم أرقتنى الخطايا
ولست بالمتأبى
هل من نجاة لعبد
على المعاصى مُكبِ
يا رب عفوك أرجو
إن نلت ذاك فحسبى(٧)

وقد يعالج الشيخ بعض القضايا التى شغلت أفكار المتكلمين والفلاسفة مثل قضية الجبر والاختيار، فيعرضها فى قالب غاية فى الوضوح كأنه يهمس إليك وأنت تقرأ القصيدة، فتشعر بالوضوح والطمأنينة كأنك تقرأ مناجاة بين حبيبين. يقول تحت عنوان «حيرة وابتهال»:

تُرى هل أنا مجبور
هنا أم أنا مختار
فإن أنا كنت مختارا
فكيف يروقنى العار
وكيف أقارف الآثا
م؟ والديان جبار
وإن أنا كنت مجبورا
ففيم تمسّنى النار
كذلك حدثتنى النفس
واحتارت كما احتاروا
ولكنى حسمت الأمر
فالأقدار أقدار
وسلمت الأمور له
وللتسليم أسرار
فأشرق باليقين علىَّ
ظلام النفس أنوار
إلهى أخجلتنى منك
أوزار وأوضار

(٦) ديوان البقايا ص١٣٨ – ١٤١.

(٧) ديوان البقايا ص٣٢.

وطـوّف بـى عـلـى الأبـوا
ب آمـال وأوطـار
وإنـى إن أكـن أجـرمـت
مـالى قط إصـرار
وإنـك يـا إلـه العـرش
غـفّـار وسـتـار
وخـفـتك من ذنوبى تلك
حـتى كـدت أنهـار
فـرحت ألوذ بـالأعـذار
والأعـذار أقـدار[٨]

أما النفس الطويل ففى الديوان عدة قصائد، وسنختار قصيدة (إلى ولدى المقاتل المصرى)، وفيها ترى الفيض المتدفق، وتعطيك المثل العملى على أن التصوف لايعنى أن تنعزل عن الحياة، وإنما تشارك فيها، وهكذا كان الشيخ –رحمه الله–، فقد كان يتردد على الجبهة قبل معركة العاشر من رمضان ويعيش مع الجند حتى أنزل الله نصره، وقد سجل الشيخ –رحمه الله– آثار هذه الزيارات فى ملحمة من ثلاث عشرة لوحة تضم أكثر من مائة بيت قدم لها نثرا بالكلمات التالية: «لى فى الجبهة أبناء من الصلب وأبناء فى الله، وكل من فى الجبهة أولادى، وأنا لا أتفرغ للشعر، ولكنه يغلبنى قهرا فى بعض الأحيان وهذه القصيدة كانت نوعا من الهيمنة التى لم أستطع الفكاك منها إلا بعد أن رفعت قلمى عن آخر بيت فيها.. فإذا هى لوحات فنية شعرية شتى متعانقة لكل منها وجه وروح مستقل، فهى هديتى إلى هؤلاء الأبناء الأبطال.

يقول فى اللوحة التاسعة، وجعل عنوانها (رسالة والد):

ولـدى يـرعـاك مـولا
ك، فـقـد صـرت وليّـه
سـبح النيل بأمـجـاد
ك، والشـمس المضيـئة
والـريـاض الـزهـر فـى وا
ديـك والأرض الـرويـة
والعـمـارات العـوالى
والـربـوع الأزهـريـة
والصـحـارى والبـرارى
ومـغـانى الأزبكيـة
والحكـومـات الدوانى
والشـعـوب الأجنبيـة
أنـت فـى سـينـاء لكـن
لـم تـفـارق أصـغـرية
فـالصـواريخ تدوّى
والصـدى فى أذنيـه
وحـشـود النار والنور
تـراءى لـى جـليّـه
وغـبـار القـصف بالطور
سـرى فى رئتـيـه
وأرى شـخـصك يا بنى
مـاثلا فى مـقلتـيـه
بطلا يسكب أمـجـادا
وفـخـرا فى يديه
يـا بـاعـث أيـام .. جـالـوت
وحـطـين الـهـنـيـة[٨]

(٨) يشير إلى موقعه حطين التى انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين وعين جالوت التى انتصر فيها قطز على التتار – راجع ديوان البقايا ص٥٩، ٦٠.

الإمام الزيلعى ومنهجه الفقهى فى نصب الراية

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

حياته

هو الإمام، الفاضل البارع، المحدث المفيد، الحافظ المتقن، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفى الزيلعى، رحمه الله.

الزيلعى، نسبة إلى «زيلع» بلدة على ساحل الحبشة، قاله السيوطى فى «اللباب» وإليها نسبة شيخه فخر الدين الزيلعى، الفقيه، صاحب «تبيين الحقائق، فى شرح كنز الدقائق» فى ست مجلدات كبيرة، ونسب إليها عدة رجال من علماء زيلع الحنفيين، وترجم لبعضهم فى كتاب «قلادة النحر، فى وفيات أعيان الدهر»[1]. للشيخ أبى محمد محمد الطيب بن عبدالله، من علماء القرن العاشر للهجرة.

قال تقى الدين بن فهد المكى، فى ذيل «تذكرة الحفاظ». للذهبى: تفقه، وبرع، وآدام النظر والاشتغال، وطلب الحديث، واعتنى به. فانتقى، وخرج، وألف، وجمع، وسمع على جماعة من أصحاب النجيب الحرانى، ومن بعدهم: كالشهاب أحمد بن محمد بن فتوح التجيبى «مسند الإسكندرية»، والشهاب أحمد ابن محمد بن قيس الأنصارى «فقيه القاهرة والإسكندرية».

وقال تقى الدين أبو بكر التميمى فى «الطبقات السنية»[2]. اشتغل، وسمع من أصحاب النجيب، وأخذ عن الفخر الزيلعى، شارح الكنز، وعن القاضى علاء الدين التركمانى، وغيرهما، ولازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرج أحاديث الهداية، وأحاديث الكشاف، فاستوعب ذلك استيعابا بالغا.

---

(١) نسخته الفوتوغرافية فى - ست مجلدات كبيرة - فى دار الكتب المصرية، تحت رقم (١٦٧) - من التاريخ.

(٢) نسخته المخطوطة فى التيمورية، من دار الكتب المصرية، تحت رقم (٥٤٠) من التاريخ، فى - أربع مجلدات.

قال في الدرر «يعني به الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة»: ذكر لي ـ شيخنا العراقي ـ أنه كان يرافقه في مطالعة الكتب الحديثية، لتخريج الكتب التي كانا قد اعتنيا بتخريجها، فالعراقي لتخريج أحاديث الإحياء، والأحاديث التي يشير إليها الترمذي في الأبواب، والزيلعي لتخريج أحاديث الهداية، والكشاف، فكان كل منهما يعين الآخر، ومن كتاب الزيلعي في تخريج أحاديث الهداية استمد «الزركشي» في كثير مما كتبه من تخريج أحاديث الرافعي.

وكان من منهجه كما يذكر ابن حجر العسقلاني ما صورته ـ بعد أن ذكر غالب ما نقلناه هنا من الدرر منه ـ جمع تخريج أحاديث الهداية، فاستوعب فيه ما ذكره صاحب الهداية من الأحاديث، والآثار في الأصل، وما أشار إليه إشارة، ثم اعتمد في كل باب أن يذكر أدلة المخالفين، ثم هو في ذلك كثير الإنصاف، يحكي ما وجده من غير اعتراض، ولا تعقب غالبا، فكثر إقبال الطوائف عليه، واستوعب أيضا في تخريج أحاديث الكشاف[٣] ما فيه من الأحاديث المرفوعة خاصة، فأكثر من تبين طرقها، وتسمية مخرجيها على نمط ما في أحاديث الهداية، لكنه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة التي يذكرها الزمخشري بطريق الإشارة، ولم يتعرض غالبا لشيء من الآثار الموقوفة.

وقال الأستاذ الكوثري: والزيلعي أعلى طبقة من العراقي، وعمله هذا معه ـ أي مرافقته في التخاريج ـ يدل على ما كان عليه من الأخلاق الجميلة والتواضع، وتخاريجه شهود صدق على تبحره وسعة اطلاعه في علوم الحديث، من: معانيه، وأسماء رجاله، ومتونه، وطرقه، وقد رزقه الله الانتفاع بها، والتداول بأيدي أهل العلم بالحديث على مدى القرون، وكان بعيدا عن التعصب المذهبي، يحشد الروايات، وقد لا يتكلم فيما له كبير مجال.

وقال الشيخ «محمد أنور الكشميري، ثم الديوبندي» رحمه الله تعالى: كان الحافظ جمال الدين الزيلعي، من المشائخ الصوفية، الذين ارتاضت نفوسهم بالمجاهدات والخلوات، وتزكت قلوبهم عن الرذائل والشهوات، كما

(٣) وقد أخطأ النواب، صديق حسن خان في كتابه.. الأكبر ـ في أصول التفسير، حيث جعل تخريج أحاديث «الكشاف» للحافظ ابن حجر، وتلخيصة للحافظ الزيلعي، وذكر هذه الأوصاف ـ التي ذكرها ابن حجر لتخريج الزيلعي ـ لتخريج ابن حجر، فعكس الأمر، ونبه عليه، الفاضل الشيخ النسكنوي في.. تعليقات الفوائد البهية.. والعجب أنه كيف خفي عليه هذا! مع أن ابن حجر ولد بعد وفاة الزيلعي بأحد عشر عاماً، فكيف يمكن أن يلخص الزيلعي كتاب ابن حجر؟! ولم يكن هو عند ذاك في عالم الوجود، وكثير له في تراجمه أمثال هذه الأوهام.

كان من أكابر المحدثين الحفاظ، بحور العلم والحديث، وترى من آثار تزكية نفسه أنه لا يتعصب لمذهبه شيئا، بل يمشى مع الخصوم، ويسايرهم بغاية الإنصاف.

ويقول الشيخ المحقق ابن الهمام، صاحب «فتح القدير» وهذا بخلاف الحافظ ابن حجر، فيتطلب دائما مواقع العلل، ويتوخى مواضع الوهن من الحنفية، ولا يأتى فى أبحاثه ما يفيد الحنفية، ويقول شيئا، وهو يعلم خلاف ذلك، ولا يليق بجلالة قدره ذلك الصنيع، وحاشاى أن أغض من قدر الحافظ ابن حجر الذى يستحقه، وإنما هى حقائق ناصعة، ووقائع ثابتة، يجب على الباحث الناقد أن يعرفها.

وفاته ومكان دفنه

أما وفاة هذا الإمام الجليل، فقد اتفقت كلمتهم، ممن ترجم له ـ كابن حجر، وابن فهد، والسيوطى، والتميمى، والكفوى ـ على وفاته فى «المحرم سنة اثنتين، وستين، وسبعمائة» ٧٦٢ ـ هجرية وزاد ابن فهد تعيينه: «بالحادى عشر من المحرم»، ولم يتعرض أحد منهم لذكر تاريخ ولادته، ولم أظفر بها، مع تتبع، ودفن بالقاهرة، واتفقت به كلمة من تعرض لوفاته والعجب أنه لم يعين أحد قبره، ولا جهته، من أصحاب التراجم، ورجال الطبقات، والمؤلفين، فى خطط القاهرة، وآثار مصر: كالمقريزى، وغيره، والمتصدين لذكر مزارات الأولياء، وقبور الصالحين بالقاهرة، كالسخاوى، وغيره، إلا أن على باشا مبارك فى «الخطط التوفيقية» ذكر عند ذكر، شارع باب الوزير، فى ص١٠٣ ـ ج٢، عطفة الزيلعى، وقال: عرفت بضريح الشيخ الزيلعى المدفون بها، اهـ، ولم يعينه من هو، فوصلت إلى العطفة المذكورة الواقعة فى ـ شارع المحجر ـ برفاقة صديقى المحترم الشيخ عبدالمجيد الدسوقى عطية، وبمساعدة الأستاذ الفاضل إبراهيم بن مختار الزيلعى، فألفينا فى آخر العطفة بيتا مغلقا، واطلعنا إلى شبكته، فإذا هو مكتوب على غلاف المرقد الشريف: هذا مقام الإمام عبدالله الزيلعى، وكان خارج البيت فوق الباب، كتابة فى حجر منحوتة، فقرأنا فيه كلمة: عبدالله وكلمة «الزيلعى»، ولكن كان فى القلب شىء، فاستظهرت بالأستاذ «حسن قاسم» عالم هذه الآثار، فذهب وقرأ اللوح، بعد أن أتعب نفسه، فإذا هو «أبو عبدالله» المتوفى عام ٨٢٩، فاتضح أنه غيره، ثم الأستاذ «حسن قاسم» يجزم بأن ضريحه بقرافة القاهرة، بباب النصر، بيد أنه اندثرت المقبرة هنا، فلا يعرف اليوم قبره أحد، والله أعلم.

نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية

من أهم كتب الإمام الزيلعى وهو من الكتب الرائدة فى ميدان فقه السنة الحنفى هذا الكتاب ـ إنه ـ كما أصبح ذخيرة نادرة

للمذهب الحنفى ـ كذلك أصبح ذخيرة ثمينة لأرباب المذاهب الأخرى، من المالكى، والشافعى، والحنبلى، فكما أن الحنفية يفتقرون إليه فى التمسك بعراها الوثيقة، كذلك أصحاب سائر المذاهب لا يستغنون عنه أبدا.

ولا بدع لو قلت: إنه دائرة المعارف العامة، لأدلة فقاء الأمصار، حيث أحاط بأدلتها، فلا يرى الباحث فيها بخسا ولا رهقا.

ومنها: أن هذا الكتاب الفذ، خدمة جليلة للأحاديث النبوية ـ على صاحبها الصلوات والتحيات ـ أكثر مما هو خدمة للمذهب الحنفى، فليكن أمام الباحث الحثيث، أنه كما يحتاج إليه الفقيه المتمسك بالمذهب، كذلك يحتاج إليه المحدث. فأصبح مقياسا ونبراسا للفقهاء، والمحدثين.

ومنها: أنه نفع الأمة فى الأحاديث، بتعقبها بجرح وتعديل، مع سرد الأسانيد، ثم ذكر فقه الحديث وفوائده، فالفقيه البارع، يفوز بأربه من فقه الحديث، والمحدث الجهبذ، يقضى وطره من أحوال الرواة، ولطائف الأخبار، والتحديث.

أما عن صاحب الهداية فيقول الحافظ عبدالقادر القرشى فى «الجواهر المضيئة» على ابن أبى بكر بن عبدالجليل الفرغانى، شيخ الإسلام، برهان الدين المرغينانى، العلامة المحقق «صاحب الهداية» ا، هـ.

تفقه على أئمة عصره، كمفتى الثقلين، نجم الدين «أبى حفص عمر النسفى» وابنه أبى الليث، أحمد النسفى» والصدر الشهيد «حسام الدين عمر» والصدر السعيد «تاج الدين أحمد» و«أبى عمرو عثمان البيكندى»، تلميذ شمس الأئمة «السرخسى» وغيرهم.

وأقر له بالفضل، والتقدم، أهل عصره، كالإمام فخر الدين ـ قاضى خان ـ وصاحب المحيط، وصاحب الذخيرة، والشيخ زين الدين العتابى، وظهير الدين البخارى، صاحب «الفتاوى الظهيرية» وغيرهم.

توفى رحمه الله – تعالى – سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ٥٩٣ هـ.

الهداية

صنف كتابا سماه «بداية المبتدى» جمع فيه كتابى: القدورى، والجامع الصغير للإمام محمد بن الحسن الشيبانى، وزاد عليهما مسائل عند الضرورة، ثم شرحه بكتاب سماه «كفاية المنتهى» فى ثمانين مجلدا، ثم اختصره فى كتاب سماه «الهداية» صنف «الهداية» فى ثلاث عشرة سنة، وبقى صائما فى عهد تأليفه لهذا الكتاب، لم يطلع على صومه أحد.

قال إمام العصر، المحدث، الشيخ «محمد أنور الكشميرى الديوبندى» رحمه الله:

ليس فى أسفار المذاهب الأربعة كتاب بمثابة كتاب «الهداية» فى تلخيص كلام القوم، وحسن تعبيره الرائق، والجمع للمهمات فى تفقه نفس، بكلمات كلها درر وغرر.

وقال: وقد صدق من قال من بعض أفاضل الشيعة: إن كتب الأدب العربى فى المسلمين ثلاثة: التنزيل العزيز وصحيح البخارى وكتاب «الهداية» ا. هـ.

ذكر صاحب كشف الظنون من شروح الهداية، والتعليقات عليها والتخاريج لأحاديثها، قدرا كبيرا يجاوز ستين شرحا.

أما شرح الزيلعى للهداية المسمى «نصب الراية ـ لتخريج أحاديث الهداية» للإمام الحافظ الفقيه الناقد الشيخ «عبدالله بن يوسف الزيعلى».

فيتميز شرحه بأنه لا يتعصب لمذهب بل يجد فيه الحنفى صفوة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكى فيه نقاوة ما خرجه ابن عبدالبر فى «التمهيد» و«الاستذكار» وخلاصة ما بسطه عبدالحق فى كتبه، فى أحاديث الأحكام، والشافعى يرى فيه غربلة ما خرجه البيهقى فى «السنن» و«المعرفة» وغيرهما وتمحيص ما ذكره النووى فى «المجموع» و«شرح مسلم» واستعراض ما بينه ابن دقيق العيد فى «الإلمام» و«الإمام» و«شرح العمدة» وكذلك الحنبلى يلاقى فيه وجوه النقد فى «كتاب التحقيق» لابن عبدالهادى، وغير ذلك من الكتب المؤلفة فى أحاديث الأحكام، بل يجد الباحث فيه سوى ما فى الصحاح، والسنن، والمسانيد والآثار والمعاجم من أدلة الأحكام أحاديث فى الأبواب، من مصنف ابن أبى شيبة ـ أهم كتاب فى نظر الفقيه ـ ومصنف عبدالرزاق، ونحوهما.

من أقوال أئمة الجرح والتعديل، ومن كتب العلل المعروفة، وهذا مما جعل لهذا الكتاب ميزة عظمى بين كتب التخاريج.

والذى ينظر فى منهج كتاب شرح الهداية تيقن ان الحنفية فى غاية التمسك بالأحاديث، والآثار فى الأبواب كلها، لكن لا تخلو البسيطة من متعنت يتقول فيهم، إما جهلا، أو عصبية جاهلية، فمرة يتكلمون فى أخذهم بالرأى، عند فقدان النص، مع أنه لا فقه بدون رأى، ومرة يرمونهم بقلة الحديث، وقد امتلأت الأمصار بأحاديثهم، وأخرى يقولون: إنهم يستحسنون ومن استحسن فقد شرَّع.

والشرع لله وحده، إنما الرسول صلوات الله عليه ـ مبلغه، وقصارى ما يعمل الفقيه فهم النصوص فقط، فمن جعل للفقيه حظا من التشريع، لم يفهم الفقه والشرع، بل ضل السبيل، وجعل شرع الله من الأوضاع البشرية، وحاشى لله أن يجعل للبشر دخلا فى شرعه ووحيه.

شكر النعمة وجحودها

٢

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

أما شكر الله على نعمه، والاعتراف لله بفضله، والامتثال لأوامر الله ونواهيه، والالتزام بطاعته، واستخدام هذه النعم فيما يرضى الله، فإن ذلك يكون سبباً فى جزاء الشاكرين بدوام نعم الله واستمرارها عليهم، بل وفى زيادتها ونمائها، وسبباً فى نجاتهم من غضب الله ونقمته وعذابه الذى ينزله على الجاحدين لنعمه، يقول الله - تعالى: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾(١).

وعندما أنعم الله - سبحانه وتعالى - بنعمه الكثيرة على سيدنا موسى - عليه السلام - التى منها أنه اصطفاه واختاره من بين الناس الموجودين فى زمانه برسالته، وبتكليمه لله - تعالى - بغير واسطة: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٢) طلب الله من سيدنا موسى أن يقابل هذه النعم العظيمة بالشكر، يقول الله - تعالى:

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٣).

ولأن دوام النعمة واستمرارها، بل وزيادتها ونماءها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر الله عليها، والاعتراف بفضله، واستعمال هذه النعم فى الطاعة وفيما يرضى الله... ذكر سيدنا موسى قومه بنعم الله الكثيرة عليهم، وأن الله نجاهم من ظلم وقهر فرعون وحاشيته وأتباعه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، ويقتلون أبناءهم الذكور، ويبقون على الإناث فقط إزلالاً لهم، وطلب من قومه مقابلة هذه النعم بشكر الله والاعتراف بفضله عليهم، وبَيَّن لهم أن تقديم الشكر لله على نعمه يكون سبباً لزيادتها ونمائها، وحذَّرهم فى الوقت نفسه من سوء عاقبة جحود نعم الله، واستعمالها فى غير ما يرضى الله، وأن ذلك يكون سبباً لعذاب الله يوقعه عليهم عقاباً لهم.

(١) القمر (٣٥). (٢) النساء (١٦٤). (٣) الأعراف (١٤٤).

وأوضح سيدنا موسى لقومه أن شكرهم للنعمة أو جحودهم لها لا ينفع ولا يضر الله ـ تعالى ـ فهو غنى عن العالمين، وإنما أثر ذلك يعود عليهم هم، يقول ـ الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(٤).

وفى الحديث القدسى عن النبى ﷺ فيما رَوَى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: « .... يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، ياعبادى لو أن أولكم وآخرهم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط، إذا أدخل البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه »(٥).

.. ولأن شكر الله على نعمه بإخلاص، والاعتراف بفضله عن يقين، من الصفات الحسنة التى تلقى القبول والرضا من الله ـ تعالى ـ أثنى الله ـ جل وعلا ـ على سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ لأنه كان كثير التضرع والدعاء فى السراء والضراء، وكان ممن يشكرون الله على نعمه، فضرب الله به المثل لقوم سيدنا موسى لإثارة عزائمهم نحو الإيمان، وحثهم على الإقدام على فعل الأعمال الصالحة، وليتخذوه قدوة حسنة فى شكر الله على نعمه، يقول ـ تعالى:

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾(٦)

ولقد خص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض الأنبياء بنعم جليلة قصرها عليهم... فمنح بفضله وإحسانه سيدنا داود عِلْم الزبور، وعلّم صناعة الدروع، ومنح بكرمه سيدنا سُلَيْمان عِلْم منطق الطير والحكم السديد بين الناس، فقابلا هذه النعم بالاعتراف بها، ودعاء الله أن يلهمهما المداومة على شكره، والتوفيق إلى العمل الصالح الذى يرضاه، وأن يمنع عنهما كل ما يؤدى إلى كفر هذه النعم، وأن يحسن خاتمتهما بقبولهما ضمن عباده الصالحين الذاكرين الشاكرين، يقول الله ـ تعالى:

---

(٤) إبراهيم ٦، ٧، ٨.

(٦) الاسراء (٣)

(٥) سنن أبى داود، تاريخ البخارى ٤/ ٣٤٠.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٧) .

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى لا يفتر عن شكر الله بالقول والعمل، ليلا ونهارا، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه «أى تتشقق» فقالت له عائشة: «يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟.. فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكورا»(٨).

وإظهار نعمة الله والحديث عنها والإخبار بها مطلوب للاعتراف بفضل الله، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بذلك، يقول - تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(٩)، كما أمر الله بنى إسرائيل بذكر نعم الله عليهم، والقيام بأداء حقوقها، والإكثار من الحديث عنها، والإعلان عن شكرها بالقول والعمل، يقول الله - تعالى:

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾(١٠).

والرسول ﷺ يحض على تقديم الشكر لمن يقدم المعروف والمساعدة والعون، فعن النُعْمان ابن بشير - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

وإذا كان ذلك مطلوبا لمن يقدم الفضل من البشر فمن باب أولى تقديم الشكر لله - جل وعلا - على نعمه وآلائه التى لا تعد ولا تحصى.

وقصة الأبرص والأقرع والأعمى التى يحكيها لنا رسول الله ﷺ فيها العبر والعظات لأولى الألباب، وترشدنا إلى أن نعم الله على عباده هى اختبار وابتلاء وامتحان لهم: فمن وُفِقَ فى الاختبار واجتاز الامتحان بنجاح، نال رضاء الله واستحق دوام تلك النعم وزيادتها، ومن تعثر فى الاختبار ورسب فى الامتحان حُرِمَ رضاء الله واستحق زوال تلك النعم.

---

(٧) النمل (١٥:١٩).

(٨) أخرجه مسلم (٢١٧٢/٤).

(٩) الضحى (١١).

(١٠) البقرة (٤٠).

فعن أبى هُرَيْرَة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة فى بنى إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرص فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعْطى لوناً حسناً، وجلداً حسناً، قال الملك: فأىُّ المال أحبُ إليك؟.. قال: الإبل أو قال البقر، شك إسحاق فى الأبرص والأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر، قال: فأعْطى ناقة عشراء فقال: (الملك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: شعرُ حسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأُعْطى شعراً حسناً، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟.. قال: البقر، فأُعْطى بقرة حاملاً فقال: (المَلَك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أىُّ شىء أحبُّ إليك؟.. قال: أن يَرُد الله إلىّ بصرى فأُبصِر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟.. قال: الغنم، فأُعْطى شاة والدا، فأنتج هذان وَوَلّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الجبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبَلَّغْ عليه فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس! فقيراً! فأعطاك الله؟.. فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال (الملك): إن كنت كاذباً فَصَيَّرَك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع فى صورته (السابقة) فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال (الملك): إن كنت كاذباً فَصَيَّرَك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الجبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رَد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فَرَد الله إلىّ بصرى، فخُذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أُجْهِدُك اليوم شيئاً أخذته لله «لا أشق عليك برد ما تأخذه وتطلبه من مالى لله» فقال (الملك): أمسك مالك فإنما ابْتُليتم، فقد رُضى عنك وسُخط على صاحبيك»(١١).

اللهم اكتبنا من الشاكرين لنعمك، المعترفين بفضلك، الخاضعين لعزتك، المسلمين لقدرتك، الراجين لعفوك، السائلين لكرمك، الطامعين فى رحمتك، المستظلين بظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

(١١) رواه البخارى ومسلم.

صَرخَةٌ فِي وَادٍ

٢

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

قدمنا فى العدد السابق رسالة القارىء الأمريكى التى يقر فيها بما أنعم الله عليه من نعم المركب والملبس والمسكن، التي لا تتوافر لكثير من البشر فى وقت واحد والتى بين فيها مدى الفجوة الكبيرة بين الأثرياء والفقراء.

وحتى تزداد الصورة وضوحاً نقدم للقراء سطوراً أخرى أدلى بها قارىء برازيلى من الذين لم يتأثروا بالطنين الإعلامى السمج الذى لا هم له إلا ترديد مزاعم اليهود والصهاينة المجانبة للحق على طول الخط يقول القارىء البرازيلى: « برغم تأثرى الشديد بضحايا الحدث المروع وما نتج عنه من دمار فليس بمقدورى أن أفهم أو أستوعب أو حتى أقتنع بوجهة النظر التي تفتقر إلى العقلانية والمنطق والتى تشوبها مسحة أحادية الجانب لا تظهر فقط إلا نصف الحقيقة وتتغاضى تماما عن النصف المهم.

إنها وجهة النظر التى تسود الإعلام الغربى والأمريكى بشكل عام وهى تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تركز الاتهام على واحد من الجناة فقط لا تريد أن تتعداه بحال فالجناة لديها إما حماس أو حركة طالبان أو الفلسطينيون » ثم يستطرد القارىء البرازيلى ويقدم لنا بشكل مكثف وبأسلوب مركز وجهة نظره التى نرى أنه حرى بنا عرضها بكل تجرد وحيادية فيقول: « ربما كانت أمريكا تجنى وتحصد ما زرعت من آلام ومعاناة للآخرين. إن كل ما حدث لم يكن سوى نتاج طبيعى للعولمة التى تسعى أمريكا بدأب فى فرضها على العالم لتكون بديلاً شرعيا لحقبة استعمارية انتهت ولم تكد الشعوب تلتقط منها أنفاسها بعد وعلى كل حال – والكلام لايزال للقارىء البرازيلى – إذا كان الجناة هم الفلسطينيون فلا ينبغى أن يغيب عن بال أى منا ما يعانى ذلك الشعب

المسكين من إسرائيل التى تمارس عليه أقصى أنواع التطهير العرقى وأشد أساليب الاضطهاد الدينى وهدم المساكن وتجريف المزروعات وقتل الشيوخ والنساء والأطفال وهى أمور لا حيلة لهؤلاء الناس معها ولا ذنب، لأنها فى حقيقتها نتيجة لأحداث سياسية وتقسيمات استكبارية تلت الحرب العالمية الثانية التى كان لأمريكا فيها دور فعال تمثل فى اعترافها بالكيان الصهيونى فور الإعلان عن نشأته وأما إن كان الجناة – والكلام أيضا لايزال للقارىء البرازيلى – هم من يزعمون أنهم متطرفوا أفغانستان أو طالبان فلابد أن نذكر أن هذا البلد يعيش وضعاً حرجاً صعباً والسبب أنه فى السنوات التى تلت الحرب الباردة وفى أثنائها كان ذلك القطر المنكوب ضحية بل فريسة للغزو السوفيتى المتوحش والزحف الأحمر الشرس من جهة ووقوداً لا ينفد لحروب قبلية دموية آثمة تغذيها من طرف خفى أو ظاهر الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

ثم يختم القارىء البرازيلى الجرىء رؤيته الثاقبة قائلاً: لقد سئمت أشد السأم ومللت من وسائل الإعلام التى تهيمن على كل الأفكار هناك دون أن تورد حرفاً واحدا يقدم تعرية ونقدا تاريخيا واجتماعيا لوجهة النظر التى تتعامى عن الحقائق، تلك الحقائق التى يعلو صوتها يوما بعد يوم ويصر المغتصبون على أن يصموا عنها الآذان».

وبعد فلله در الشرع الإسلامى الحنيف الذى حذر نبيه المصطفى ﷺ من النظرة الأحادية الجانب ونهى فى أكثر من موضع عن الكيل بأكثر من مكيال، ودعا على الدوام إلى وحدة المعايير والمقاييس والعدل المطلق فى التعامل مع كل القضايا، فمن منا لا يذكر يوم سرقت المرأة المخزومية فتشفعوا إليه ﷺ بحبه وابن حبه أسامة بن زيد حتى لا يطبق عليها حد القطع فيتلون وجهه الشريف ويحمر غضباً ويقول: «أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة» ثم يخطب الناس فيقول: «أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

أجل تشخيص للداء ووصف للدواء، إنه الشرع الشريف الذى لا يتميز فيه إنسان بسبب قوته أو ماله أو حاله أو سلطانه أو لونه، إنما يتميز بتقواه وعمله الصالح، فهل يدرك تلك الحقيقة أولئك الذين اغتروا بقوة لا محالة زائلة والذين ساندوا الظلم فلا مناص لهم من أن يجرفهم الظلم فى طريقه؟

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارئ سمير عبد الكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية والتقارير العلمية بالمجلس الأعلى للآثار وسط الدلتا. يقول فيها:

بعدما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلى ورأى بعض آيات ربه الكبرى بصبحة جبريل عليه السلام بعد ذلك عرضت عليه النار ورأى فيها إناساً يعذبون على حسب معاصيهم ثم رأى فى الجنة أناساً يتنعمون والسؤال هو: هل تم حساب هؤلاء وهؤلاء فأدخل المذنبون النار وأدخل المتقون الجنة؟ أم أنهم أدخلوا بغير حساب انتظارا ليوم الحساب الآتى لا ريب فيه وهل سيعودون إلى الأجداث ليخرجوا منها عندما ينفخ فى الصور يوم القيامة وهل سيحاسب هؤلاء مرة ثانية لأنهم لم يدخلوا النار أو الجنة بغير حساب وثمة سؤال آخر هل رأى الرسول هذه المرائى رأى العين وليست وهمية.

وأخيرا هل الانبياء الذين رأهم الرسول فى السموات السبع سيعودون إلى قبورهم ليقوموا مع سائر البشر للحساب يوم القيامة أفيدونا أفادكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفى بداية الاجابة أشكر الأخ السائل اهتمامه بأمور الدين ورغبته فى معرفة حقائقه التى قد لا تخطر على بال كثير من الناس.

ثم أقول له إن الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وصراط وميزان وحوض وكوثر الإيمان بكل هذا عنصر مهم من عناصر الإيمان عموما كما جاء فى الحديث الصحيح الذى سأل فيه سيدنا جبريل سيدنا رسول الله عندما جاء فى صورة رجل ليعلمنا أمور ديننا قال للرسول ﷺ ما الإيمان؟ فأجابه صلوات الله عليه: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر..» فقال له صدقت، وكلمة اليوم الآخر تشمل كل ما ذكرته لم مما سبق.

على أن القرآن الكريم ظل يتنزل فى مكة ثلاثة عشر عاماً يقرر هذه العقيدة ويؤكدها ضمن عقائد

الإسلام الأخرى فكثر فيه الحديث عن يوم القيامة بصورة متباينة وأساليب شتى وأطلق على اليوم الآخر أسماء كلها تهز القلوب وتقرع الأسماع فهو الطامة والصاخة والحاقة والقارعة وهو يوم الزلزلة ويوم الفصل ويوم القيامة ويوم التناد ويوم التلاق ويوم الفزع الأكبر وهو اليوم الذى يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهو اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ويوم الدين والجزاء، وقد جمع كثير من المؤلفين والمفسرين أحوال هذا اليوم ومراحله وما يجرى فيه فى كتب قيمة منهم القرطبى فى التذكرة والشيخ سيد قطب فى مشاهد القيامة، لذلك كان من الطبيعى أن يرى الرسول ﷺ رأى العين بعض المثل والنماذج والصور لطوائف من المعذبين والمنعمين فى ليلة الإسراء والمعراج الذى رأى فيها صلوات الله عليه بعض آيات ربه الكبرى ولا شك أن الثواب والعقاب والجنة والنار من هذه الحقائق والآيات الكبرى وأؤكد أن ما رآه الرسول ﷺ حقيقة هى مثل ولا تتجاوز عالم المثل أشبه ما تكون بالصور والمشاهد التى عرضها القرآن الكريم ليوم القيامة الأمر الذى حدا ببعض علمائنا الأفذاذ ومؤلفينا الكبار أن ينكر رؤية رسول الله ﷺ لهذه المرئى ليلة الإسراء ويذهب إلى أنه ﷺ رأها مناماً فى ليلة أخرى فيقول رحمه الله ورضى الله عنه «وقد رويت سنن أن رسول الله ﷺ رأى فى هذه الرحلة صوراً شتى لأجزية الصالحين والظالمين وتناقلت كتب السيرة رواية هذه الصورة الجليلة على أنها وقعت ليلة الأسراء والمعراج، والحق أن ذلك كان رؤيا منام فى ليلة أخرى من الليالى المعتادة كما ثبت ذلك فى الصحاح[1] ويخالفه فى ذلك المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألبانى فيقول «يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن البخارى فى أماكن من صحيحه ولكن هذا لا ينفى أن يكون ﷺ رأى ليلة الأسراء بعض الأجزية بل هذا هو الواقع كما فى حديث أنس - رضى الله عنه: لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم، أخرجه أحمد وسنده صحيح.

ومادامت هذه مثل وصور وليس لأناس بعينهم فلا يقال هل حوسب هؤلاء أم لا وهل سيعادون إلى قبورهم ثم يحاسبون مرة أخرى يوم البعث والنشور أم لا.

ثم أن هذه المثل لم تقتصر على ذكر المعذبين والمنعمين بل اشتملت على مرائى أخرى ترمز إلى طبيعة الدين الإسلامى ووحدة الأديان كلها وإلى تكوين الفرد المسلم النقى والأسرة الطاهرة والمجتمع النقى من ذلك أنه ﷺ قال: «فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فأخترت اللبن فقال جريل للرسول ﷺ اخترت الفطرة، ويعلق الشيخ البوطى على هذا فيقول: «وفى اختيار النبى ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة قوية على أن الإسلام هو دين الفطرة

---

(١) فقه السيرة للداعية الكبير الراحل الأمام الغزالى رحمه الله ص ١٤٤.

أى الدين الذى ينسجم فى عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة فليس فى الإسلام شئ يتعارض والطبيعة الأصلية فى الإنسان ولو أن الفطرة كانت جسماً ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامى الثوب المفصل على قدره(٢). ومن المرائى التى راها الرسول ليلة الإسراء ولا صلة لها بالعذاب والنعيم أنه ﷺ رأى امرأة مزينة حاسرة عليها من ألوان الزينة ما لا يعلمه إلا الله فأعرض صلوات الله عنها حين نادته وتعرضت له وفى هذا رمز للزهد فى الدنيا وزينتها لكنه كما يقول الدكتور عبد العزيز كامل- ليس زهداً سلبياً عاجزاً ولكنه زهد القادر الذى يرتفع بوجوده فوق شهوات الدينا إلى العمل الدائب من أجل غاية كبرى(٣).

ومن الأمور التى تشير إلى انتشار الإسلام فى البقاع التى انتشرت فيها الأديان السماوية السابقة نزول الرسول ﷺ بأمر جبريل عليه السلام وصلاته فى سيناء حيث ناجى موسى ربه وفى بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام.

ومما يدل على وحدة الدين كله لقاؤه صلوات الله عليه وسلامه بالأنبياء جميعا وإقرارهم برسالته وإمامته حيث قدموه جميعا ليصلى بهم إماما فى المسجد الأقصى وفى هذ اعتراف من الرسل بأنه خاتمهم وإمامهم وأن رسالته مهيمنه على كل الرسالات ومصدقة لها وناسخة لها جميعا وصدق الشاعر:

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتم

وعلى هذا فالمرائى والصور التى رآها الرسول ﷺ ليلة الأسراء والمعراج ليست كلها للمنعمين المعذبين وإن كانت جميعها رموزا لما يجب أن يكون عليه الدين من الصفاء والنقاء والطهر والعفاف والرفعة والقوة فالذى يزرع ويحصد فى وقت واحد كلما حصدوا عاد زرعهم كما كان يرمز إلى المجاهدين الذى يعملون على قوة الإسلام، والذين يعرضون عن الطعام الطيب ويأكلون الطعام النيئ الخبيث يرمزون إلى الزناة وكذا صور اللاتى يعلقن من ثديهن كل ذلك يرمز إلى استنكار الزنا ويدعوا إلى ما ينبغى أن يكون عليه المجتمع المسلم من طهر، وهذه الدعوة إلى الطهر موجهة إلى الأسرة كلها وتتكامل مع الطعام الطاهر والاعراض عن الشهوة والأقبال على الجد والجهاد وفى هذا الجو العفيف النظيف تتكون الأجيال الصالحة التى تستطيع أن تحمل أمانة السير بالمجتمع فى طريقه الصاعد إلى الخير(٤).

والخلاصة أن كل ما رأى النبى ﷺ ليلة الإسراء كان رأى العين حتى الأنبياء لكنها رموز ومثل هذا والله أعلم وبه التوفيق وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢) فقه السيرة للبوطى ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) مواقف إسلامية للدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف الأسبق ص١٢٤ من سلسلة اقرأ.

(٤) المرجع السابق ص١٢.

خطبة الجمعة

جهلة بالسنة (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

الحمد لله ـ عزوجل، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢) **أشهد أن لا إله إلا الله، القائل:**

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٣)، **وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المخلصين، وأتباعه المؤمنين:**

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(٤).

يا أتباع محمد ﷺ :

نعق ناعق منذ حين فى بلد عربى فتهجم على سنة سيد الأنام محمد ﷺ، وحاول التشكيك فى أصح كتاب بعد كتاب الله ـ عزوجل ـ وهو صحيح الإمام البخارى الذى أجمعت الأمة المؤمنة على أنه أصدق كتاب بعد القرآن الكريم، ومن أعجب العجب أن هذا الناعق افترى على الإمام البخارى فى أكثر من جهة، فألقى ظلا على صدقه فى الرواية مع أن البخارى هو الرجل الثقة الأمين الحافظ، الذى قضى حياته فى خدمة السنة، وسهر الليالى فى تمحيصها، وطوى الفيافى والقفار فى سبيل التثبت من نصوصها.

ونسب هذا الناعق إلى الإمام البخارى ما لم

(١) ألقيت فى يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٨ ابريل سنة ١٩٦٦م.

(٢) الفرقان «١». (٣) النساء «٨٠».

(٤) الأحزاب «٤٧».

يقله، فكان مفترياً فوق تطاوله وخبث مقصده، ثم تقاصر عقله عن فهم نصوص نبوية، فشطح فى تفسيرها ونطح، فجمع على نفسه أكثر من سبة، وكسب لها أكثر من مذمة، ولعله حسب أنه سيهدم شيئاً من جلال مكانة البخارى فى أنظار المؤمنين، ولكن كيده ارتد إلى نحره، وكانت نعقته سبباً فى مسارعة الكثيرين من المؤمنين إلى تمجيد البخارى والدفاع عنه والترديد لسيرته العاطرة، ولو كان البخارى اليوم حياً لما ساءه مثل هذا التطاول، فهو القائل رضى الله عنه ـ : «المادح والذام عندى سواء»، والبخارى وهو فوق هذا قد أعطى أمثال ذلك المتطاول درساً فى أدب الحديث وصيانة الحرمات، وبخاصة حرمة من مات، فقال: «أرجو أن ألقى الله ـ عزوجل ـ لا يطالبنى أنى اغتبت أحداً» وليت هؤلاء يعتبرون ويتعظون ويذكرون قول من قال:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إنى أخاف عليكم أن تلتقوا

وَمِنْ خَلْط هذا الناعق الذى يهرف بما لا يعرف أنه قال : إن البخارى روى حديثاً لا يمكن قبوله ولا تصور معناه ولا نسبته إلى رسول الله ﷺ وهو قوله: «اختلاف أمتى رحمة»[٥]، وهذا الحديث أولاً غير موجود فى صحيح البخارى، لأن الذين رووه أئمة آخرون غير البخارى، وهو حديث حسن، ومعناه لا غبار عليه، وإذا كان ذلك المتهجم على السنة لم يستطع فهمه فما أجدره بأن يتذكر قول القائل:

وكم من عائب قولا صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

إن الحديث يقول: «اختلاف أمتى رحمة»، وهذا النص لا يصعب فهمه على أكثر من وجه مقبول وجميل، فالاختلاف الموصوف فى الحديث بأنه رحمة ليس اختلافاً فى الأصول أو العقائد والفرائض، وإنما هو اختلاف فى الفروع ووسائل التطبيق التى تختلف باختلاف البيئات والعصور والأزمان ولا جدال فى أن الناس قد اختلفوا فى الفهم والإدراك، وأنهم يختلفون، وأنهم سيختلفون، ولو أردنا أن نحمل الناس على أن يكونوا جميعاً فى كل شيء «صوراً طبق الأصل» من نموذج واحد، لما سار دولاب الحياة، ولا تجلت الهمم والعزائم، ولا ظهرت الحقائق أو الدقائق، ولا تبدت سماحة الإسلام الذى جاء بالنصوص العامة الكلية الصالحة لكل زمان ومكان، وترك أمام الأفهام والعقول مجالات فى فهمها واستنباط مدلولاتها، ومراعاة ظروف الحياة عند تطبيقها، وبذلك تتوافر عناصر البقاء والخلود أمام شريعة أرادها الله أن تظل قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قال خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز: «ما سرنى لو أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة» أى لم تظهر سماحة الدين وسهولته، لأن هذا راعى ظروف القوى، وذاك راعى ظروف الضعيف، وهذا لاحظ حالة الصحيح، وذاك لاحظ حالة العليل، وهكذا، ومن وراء هذه الجهود المتعددة المستقصية لألوان

(٥) اتحاف السادة المتقين ١/٢٠٤، ٢٠٥.

الاستنباط بقدر الطاقة تكون هذا التراث الإسلامى الضخم الذى تفخر به أمة محمد ﷺ حتى تقوم الساعة، وهذا هو الإمام مالك يضع كتابه العظيم «الموطأ» الذى ضمنه ما جمع من السنة وما اهتدى إليه من الرأى، فيطلب منه الخليفة هارون الرشيد أن يعلقه له على الكعبة، وأن يحمل جميع الناس على ما فيه من آراء، فيرفض الإمام ذلك ويقول للخليفة: «لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع، وتفرقوا فى البلدان، وعند كل منهم علم، وكل منهم على صواب».

ومن الميسور أيضاً أن نفهم هذا النص: «اختلاف أمتى رحمة» على أساس أن اختلاف مذاهب الناس فى البحث والإدراك والاستنباط يؤدى إلى خير، لأن هذا يتيح فرصا أمام حرية التفكير، فيكون هناك استعراض واسع لوجهات النظر المختلفة، والحقيقة بنت البحث، وكل باذل جهدا فى التفكير مشكور مأجور، ما دام مخلصا طاهر النية، ومن هنا ظهرت القاعدة الإسلامية المشهورة: من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وهى قاعدة تعد أروع الأمثال فى تكريم التفكير، وتقدير المجتهدين للوصول إلى حقائق الأمور، وفوق هذا نجد حجة الإسلام الغزالى سنة ٥٠٥ هـ يفسر هذا الحديث تفسيرا آخر(٦) بقوله: «الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل، وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: (اختلاف أمتى رحمة) أى اختلاف هممهم فى الصناعات والحرف». وهذا تفسير يذكرنا بما ينادى به المجتمع المعاصر من التزام «التخطيط» الذى يقتضى أن تتوزع الهمم والطاقات على مختلف الحرف والصناعات، حتى تتحقق للناس الأسباب اللازمة لتوفير مطالب الحياة وضرورات العيش، ومن هنا ندرك ما فى حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة، وما تفسير الغزالى السابق له من براعة وذكاء، فلولا اختلاف الناس فى مذاهب العمل ومسالك الحياة لتعطلت شئون، وفسدت للمعايش وجوه وأسباب، وهكذا سخر الله العباد فيما أراد، وكل ميسر لما خلق له، وفوق تدبيرنا لله تدبير.

يا أتباع محمد ﷺ: إن من الأغرار من يحسب أنه يستطيع إفناء الجبل الشامخ إذا عجز عن صعوده، ولو أن من جهل شيئاً تلمس الأسباب إلى تعلمه، بدلا من المسارعة إلى انكاره لكان هذا أليق بالعقل وأجدى على الإنسانية، ولن يضير سنة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه أن يجهلها جاهلون، أو يفترى عليها مفترون، فستظل بإذن الله عالية هادية، وسنظل نردد قول الرسول: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى»(٧). والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(٦) انظر كتاب الإسلام والاقتصاد ص ٧٧.

(٧) مجمع الزوائد ١٢٦/٤ ، ١٢٧.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ محمد الدرينى الجزار

● **سؤال من بعض الطلبة المبعوثين والوافدين:**

هل تجب الزكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتليفزيون وأدوات حديثة؟ وهل تجب الزكاة علي مصوغات وجواهر المرأة التى تستخدمها فى الزينة؟

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا زكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتليفزيون وأدوات حديثة إذا كانت للاستعمال. لأن شرط زكاة المال النماء وهذه الأشياء وإن كانت أموالا إلا أنها للاستعمال في المنزل.

وقد نص الفقهاء على أنه لا زكاة في دور السكنى وثياب البدن، وأثاث المنزل ودواب الركوب وسلاح الاستعمال، ومثل ذلك الأدوات المنزلية المسئول عنها إلا إذا اتخذت للتجارة، فحينئذ تنتقل إلى عروض التجارة، فتجب فيها الزكاة لتحقق شرط النماء.

وأما مصوغات المرأة وجواهرها التى تستعملها للزينة فقد قرر جمهور الفقهاء فيما عدا أبو حنيفة وأصحابه أنه لا زكاة فى الحلى المباح كالسوار للمرأة.. أما الحلى المحرم كالذهب للرجل فتجب فيه الزكاة. ويرى الشافعى - رحمه الله - وجوب الزكاة فى حلى المرأة إذا كان فيه إسراف والحنفية يوجبون الزكاة فيها مطلقا إذا بلغت نصابا ونحن نميل لرأى الجمهور. والله أعلم.

● **سؤال عن رأى الأئمة الأربعة فى صلاة الجنازة وهل تقرأ فيها الفاتحة وسورة من القرآن الكريم أم الفاتحة والدعاء فقط؟.. وهل تستوى الأنثى والذكر فى هذا؟.**

●● الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فصلاة الجنازة عند الحنفية ليس فيها قراءة قرآن أصلاً.. فالثناء بعد التكبيرة الأولى، والصلاة على النبى ﷺ بعد التكبيرة الثانية، والدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة.. والسلام بعد التكبيرة الرابعة.

وقال الشافعية قراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة ركن من أركانها والأفضل قراءتها بعد التكبيرة الأولى، وله قراءتها بعد أى تكبيرة، ومتى شرع فيها بعد أى تكبيرة وجب إتمامها.

والحنابلة مثل الشافعية، يرون قراءة الفاتحة ركناً من أركان صلاة الجنازة ويجب أن تكون بعد التكبيرة الأولى.

أما المالكية فيرون أن قراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة مكروهة. والدعاء بعد التكبيرة الثالثة عند جمهور الأئمة، ويرى المالكية أن الدعاء واجب عقب كل تكبيرة حتى الرابعة على المعتمد ولا فرق في صلاة الجنازة بين الأنثى والذكر - إلا فى الدعاء - فيجعل الصيغة فيها للمؤنث مثل أن يقول: « اللهم اغفر لها وارحمها » وفى الرجل يقول: « وأبدله زوجاً خيراً من زوجه » ولا يقول ذلك بالنسبة للأنثى.

وإن كان طفلاً يقول: « اللهم اجعله لنا فرطا اللهم اجعله لنا ذخراً وأجراً، اللهم اجعله لنا شافعاً ومشفعاً »

وليس المصلى ملزماً بصيغة خاصة فى الدعاء، بل يدعو بما شاء إن لم يحسن الدعاء المأثور، والله أعلم.

● سؤال من السيد / محمد عطية الحسينى يقول فيه:

أرجو أن تتكرموا فتقرروا رأى الدين الحنيف في مذهب البهائية وحكم معتنقيه؟

●● الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله. أما بعد فنفيد: -

أولاً: فإن مذهب البهائية مذهب باطل ضال مضل ليس من الدين الإسلامى في شىء، بل إنه ليس من اليهودية ولا النصرانية وباقى الأديان السماوية، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجا عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء منها، ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب، والألوهية لبعض آخر وأن الإيمان فى رأيهم هو متابعة هذا المذهب، والكفر فى جحده. وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلي غير ذلك من الخرافات.

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره وعلى ذلك فمعتنق مذهب لا يرث غيره مطلقاً ولا يورث.

ثانياً: لهذا صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠ م بحل المحافل البهائية ومصادرة أموالهم ومراكزهم. والله - تعالى - أعلم.

● سؤال من السيد / خالد عطية حسن يقول فيه:

تقدم شاب لخطبة فتاة وقدم لها شبكة ذهبية قيمة وهدايا أخرى وبعد ذلك فسخ الخطبة فهل له حق فى الشبكة أم لا؟

●● الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد فنفيد بأن: الشبكة إذا لم تكن جزءاً من المهر أو المهر المتفق عليه فإن كان الفسخ من جهة الخاطب فليس له حق فى الشبكة

وإنما تعتبر كهدية لا يجوز له أخذها لأن الفسخ من جهته وإن كان الفسخ من جهة العروسة فله استرداد الشبكة كاملة وإن كانت الشبكة هي المهر أو جزءا منه فله أيضا استرداد الشبكة أو المهر لأن المهر لأجل الاستمتاع بالزوجة وهذا لا يكون إلا بعد العقد. هذا والله أعلم.

وإن كان هناك بعض الآراء التي تفيد بأن الفاسخ من حقه استرداد الشبكة فهذا فيه ظلم للفتاة لأن الفسخ فيه تجريح لكرامتها، أما إذا كان هناك أسباب جوهرية لا يستطيع الفاسخ أن يبوح بها فمن حقه استرداد الشبكة. هذا والله أعلم.

● رداً على الاستفتاءين الواردين بطريق الفاكس لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر من المواطن الدكتور عثمان حسين المحولة إلي صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بإعداد الرد عليهما.

وبالاطلاع على الاستفتاءين تبين أن الأول يقول فيه: أنا متزوج منذ سبع سنوات ولم يرزقني الله بأطفال حتى الآن وكل التحاليل الطبية أكدت أن السبب الرئيسي هو عدم وجود بويضات لدى زوجتي ولديّ سؤالين:

الأول: هل بالإمكان شراء بويضة من امرأة أخرى وتخصيبها بسائلي المنوى قبل وضعها في رحم زوجتي كما تحدث الآن هذه العملية في معظم الدول الأوروبية.

الثاني: إذا كانت الاجابة بلا في السؤال الأول فهل بإمكاني الزواج من امرأة ثانية ثم أخذ بويضة منها بموافقتها ثم تخصيب البويضة بسائلي المنوى ووضعها في رحم زوجتي الأولى وما الحكم؟.

●● الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بالاطلاع علي السؤالين المذكورين أعلاه بأنه لا يجوز شرعاً في تلك الحالتين والله تعالى أعلم.

● السؤال مقدم من السيد الأستاذ فتحى زهران

يقول بعض الناس: إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار فهل هذا صحيح؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

فنفيد بأن دخول الجنة أو النار رهن بالإيمان والعمل ومشيئة الله - تعالى - وليس للقبر من حيث إنه مادة دخل في هذا الموضوع، ومع ذلك استحسن العلماء ألا يكون فيه شيء دخل النار كالآجر وهو الطوب المحروق جاء في تفسير القرطبي جـ ١٠ - ص ٣٨١ قوله: ويكره الآجر في اللحد وقال الشافعي: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى فلا يليق به الإحكام وقد حرم ابن حزم تجصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

ويؤيده ما جاء عن زيد بن أرقم أنه قال لمن أراد أن يبني قبر ابنه ويجصصه (الطلاء بالجير المعروف) جفوت ولفوت، لا يقربه شيء مسته النار.

هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو ندية فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله - تعالى - أعلم.

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

عندما تعجز الكلمات عن التعبير

جمعنى لقاء مع الشاعر فهمى سند وهو شاعر متميز نشرت له مجلة الأزهر عدداً من القصائد، فبادرته متسائلاً عما كتبه عن الأحداث الأخيرة فى فلسطين، ولكن الرجل أجاب والألم يعتصر قلبه: الأحداث أكبر بكثير من الكلمات، الظلم فاق الحدود والكلمات تعجز عن التعبير.

وفى مساء ذلك اليوم وأنا أتابع ما يحدث فى الأرض المحتلة، أتحول من قناة إلى قناة لمزيد من المتابعة استوقفتنى أنشودة وطنية وكأنها امتداد لما قاله صديقى الشاعر، فقد انتهت الأنشودة ببيت يقول:

ياخير جند الأرض قاطبة

الله ناصركم إن تنصروا الله

ولا شك أن هذه كلمات تدعونا إلى أن نذكر قول الله تعالى:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

محمد / ٤٧

ولا شك أن خير أجناد الأرض هم جنود الحق، هم الجنود الذين لا يغضبون لأنفسهم وانما يغضبون إذا انتهكت حرمات الله ومقدساته، هم

الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لنصرة الحق ولرفع الظلم.

وإذا كانت الكلمات قد وقفت عاجزة أمام أعمال الإبادة التى يواجهها أبناء وأطفال فلسطين، أقول إذا عجزت الكلمات عن التعبير، فقد حان وقت العمل، والعمل الجاد إذا أردنا أن يكون الله ناصرنا.

لابد أن نعمل على عودة فلسطين، وما بها من مقدسات.

والعمل الذى تؤديه الشعوب هو أقوى بكثير وأكثر تأثيراً وأمداً مما تفعله الجيوش فعلينا تبنى سياسة المقاطعة، لكل المنتجات التى تأتينا من أمريكا وبالطبع من إسرائيل، ويجب أن تكون تلك المقاطعة انطلاقا من مبدأ نصرة الحق.

بالإضافة إلى جمع التبرعات والتأكد من وصولها إلى هؤلاء المحاصرين فى فلسطين، والتأكد أن يد اليهود لا تمتد إليها بالتدمير أو الاستيلاء.

ولا بد أن تستمر المقاطعة ويستمر الدعم للشعب الفلسطينى حتى يرفع صبى مثل محمد الدرة أو زهرة مثل وفاء إدريس راية فلسطين فوق القدس لترفرف عزيزة أبية.

عندئذ سترفرف حولها تلك الأرواح الطاهرة التى بذلها أصحابها فداءً للوطن العزيز وقبل كل شيء فداء لأولى القبلتين وثالث الحرمين.

وأعتقد أنه من الضرورى لتفعيل هذا المطلب الشعبى أن يصدر مجمع البحوث الإسلامية ودار الإفتاء فتوى تؤكد على ضرورة التضامن مع الشعب الفلسطينى ومقاطعة كل من يعين اسرائيل على طغيانها. ولعل ذلك ينطلق من قول الرسول الكريم صلوات الله عليه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

متفق عليه

لم تسلم الحيوانات ولا الطيور ولا الديار من همجية اليهود

صـــرخة شـــاب مســلم

وحثاً للمسلمين في جميع بقاع الأرض للعمل على استعادة المسجد الأقصى كانت هذه الصرخة من القارىء محمد أحمد محمود كامل - إمام وخطيب بمطروح - يقول :

يجب علينا جميعا أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها أبداً، لا ينبغى أن يصبح الأمر الواقع من قتل لشباب فلسطين وهدم لبيوتهم وغير ذلك من أسباب الذلة والمهانة للمسلمين أمراً مفروضاً علينا ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى وسادة أرض النبوات، اليهود الذين قتلوا الأنبياء والذين حرفوا الكلم عن مواضعه والذين يقتلون أبناءنا كل يوم بالعشرات، والذين يهدمون بيوتنا بالطائرات والصواريخ لا يجوز أبداً أن يتوقع منهم السلام، من هنا يجب علينا الجهاد بكل الوسائل الممكنة استجابة لقول الله تعالى :

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

البقرة/ ١٩١

وفى أيامنا هذه يعتدى اليهود الظالمون على المسلمين فى فلسطين، يذبحون الأطفال والنساء، يقتلون الشيوخ والضعفاء، لا تأخذهم فى ذلك شفقة ولا رحمة، تجردوا من الإنسانية، غلظت أكبادهم، قست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة، فكان حقاً على جميع المسلمين أن ينفروا سراعاً لنجدة هؤلاء المظلومين ودفع عدوان الظالمين، فهيا يا أمة الإسلام ويا شباب المسلمين وكونوا كأسلافكم الأماجد نصرة للحق وتآزراً عند الشدائد وتسانداً فى الملمات والتفافاً حول راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، واستمساكاً بعروة التعاون والتضامن يكتب الله لكم القوة والمنعة والعزة والغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

الاعتمـــاد عـــلى النفـــس

الرسالة الثانية نقدمها للقارىء محمد محمود عطار/ طالب ماجستير - كلية التربية - طنطا يقول :

الاعتماد على النفس هو الطريق المؤدى إلى صون كرامة المسلم.

والعمل وسيلة من وسائل الاعتماد على النفس، فالعمل يحقق للإنسان العزة والكرامة.

والله - تعالى - يقول :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة المنافقون : الآية ٨)

والاعتماد على النفس فى طلب الرزق لا يتعارض مع الاعتماد على الله، ولقد نهى الفاروق عمر بن الخطاب الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات حين قال: «**يا معشر الفقراء: استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين**».

وما أعظم الإسلام الذى جعل الكفاح من أجل تحقيق أمن الحياة وسلامها صلاحا وعبادة ودينا.. وجعل نضال الإنسان من أجل عمارة الأرض وتقدم الحياة هدفا نتعبد به لله رب العالمين.

والله تعالى يقول:

﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: الآية ١٧)

مراسلات أدبية

بين حافظ وشوقى

أرسل شوقى إلى حافظ أبياتاً تعبّر عن لوعته فى منفاه بالأندلس، ورد عليه حافظ بأبيات من الوزن والقافية وقد رأى الأستاذ هلال الحبشى من خريجى كلية اللغة العربية بالمنصورة أن يتحف القراء بما دار بين الشاعرين، ونحن ننشر ما بعثه إلينا شاكرين له همته الأدبية، وراجين من القراء أمثال هذه المطارحات

قال شوقى:

يا ساكنِى مصر إنا لا نزالُ على ... عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمينا
هلا بَعثتم لنا من ماء نيلكم ... شيئاً نبُلّ به أحشاءَ صادينا
كلّ المناهلَ بَعْدَ النيلِ آسنة ... ما أبْعَدَ النيلَ إلا عن أمانينا

ورد عليه شاعر النيل «حافظ إبراهيم» بهذه الأبيات قائلا:

عجبتُ للنيلِ يدرى أن بلبله ... صادٍ ويَسقى رُباَ مصر ويسقْينا
وَاللّه ما طاب للأصحاب مورده ... ولا ارتضَواْ بَعْدَكم مِنْ عيشهم لينا
لم تنأ عنْه وإن فارقتَ شاطئه ... وقد نأينا وإنْ كُنا مقيمينا

من الأخطـــاء الشـــائعة

أما القارىء الأستاذ / إبراهيم نصحى محمد المدرس الأول بالأزهر كراديس - ديرب نجم فيواصل عرض الأخطاء الشائعة يقول:

هناك أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية ونريد أن نلقى الضوء على بعض منها:

١- من الخطأ أن تقول: تخرج إبراهيم من كلية اللغة العربية.

والصواب: تخرج إبراهيم فى كلية اللغة العربية، وجاء فى لسان العرب: وقد خرجه فى الأدب فتخرج. إذن فليس فيه معنى الخروج الذى يقابل الدخول.

فمعنى تخرج: تعلم وتأدب وتدرب. راجع لسان العرب مادة خرج.

٢- ومن الخطأ أن يكتب بعض الطلاب: أرجوا نقلى إلى معهد الزقازيق، ونرجوا الموافقة.

والصواب: أرجو - ونرجو. لأن القاعدة: لا تثبت الألف أمام الواو إلا إذا أفادت الجماعة فى فعل الأمر والفعل المضارع المجزوم أو المنصوب بحذف النون قال - تعالى -:

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾

يوسف / ٩٣

وقال تعالى:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾.

آل عمران / ٩٢

٣- من الخطأ: رأيت إنسانة تعنى امرأة.

الصواب: رأيت إنسانا بدون تاء وذلك لأن الإنسان يطلق على المذكر والمؤنث، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾.

البلد / ٤

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾.

العاديات / ٦

٤- من الخطأ: امرأة سافرة الوجه.

الصواب: امرأة سافر الوجه لأن الصفات الخاصة بالمؤنث لا تحتاج إلى علامة تأنيث والسفور خاص بالنساء، وكذلك: امرأة عاقر، وناشز.

نود الإشارة إلى أن قصيدة «رثاء شهداء قطار الصعيد» التى نشرنا بعضاً من أبياتها فى العدد السابق، هى للقارىء الشيخ حبيش حسن حسين شعبان خطيب طنسا. الذى نشكره على خطابه ونفيده أن عدم نشر قصيدته كاملة ألجأتنا إليه الضرورة، ويسعدنا مواصلة النشر له مستقبلاً.

المحرر

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

هـــذا هـــو الإســـلام

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته الثامنة (طارئة) بتاريخ ٢١ / ٣ / ٢٠٠٢م عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان (هذا هو الإسلام) فى الفترة من١٦ – ١٩ أبريل ٢٠٠٢م.

برياسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع وبحضور السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

وقد تم تحديد موضوعات المؤتمر والأبحاث التى تم اختيارها من قبل السادة أعضاء المجمع للكتابة فيها وبيانها كالآتى.

١ – الإسلام دين الإنسانية جمعاء – لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى.

٢ – الإسلام وتكريمه للعلم والعلماء – للأستاذ الدكتور / إبراهيم جميل بدران.

٣ – الإسلام وموقفه من غير المسلمين – للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم.

٤ – الإسلام وقضايا المرأة – للأستاذ الدكتور / جمال الدين محمد محمود.

٥ – الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب – للأستاذ الدكتور / عبدالرحمن العدوى.

٦- الإسلام دين الإنسانية جمعاء - للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز غنيم.

٧- الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب - للأستاذ الدكتور/ عبدالفتاح الشيخ.

٨- الإسلام وحقوق الضعفاء - للأستاذ الدكتور/ عبدالله النجار.

٩- الإسلام وفقه الأقليات - للأستاذ الدكتور/ عبدالمعطى بيومى

١٠- الإسلام دين التوسط والاعتدال - لفضيلة الأستاذ الشيخ/ فوزى الزفزاف

١١- الإسلام دين الحضارة - للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى.

١٢- الإسلام وموقفه من غير المسلمين - للأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان

١٣ - الإسلام والعلاقات الدولية - للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى

١٤ - الإسلام والتنمية الاقتصادية - للأستاذ الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى

١٥ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة مصطفى

١٦ - الإسلام والمتغيرات العالمية المعاصرة - لفضيلة الأستاذ الشيخ/ محمد محمد الراوى.

١٧ - الإسلام ورعايته لحقوق الانسان - لفضيلة للأستاذ الدكتور/ نصر فريد واصل.

١٨ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها - للأستاذ الدكتور/ أحمد كمال أبوالمجد.

١٩ - الإسلام وحرمة الدماء - للأستاذ الدكتور/ حامد عبدالحميد جامع.

٢٠ - الإسلام وقضية الأصالة والمعاصرة - للأستاذ الدكتور/ طه مصطفى أبوكريشة.

٢١ - الإسلام كرم الإنسان - لفضيلة الأستاذ الشيخ/ على محمد فتح الله.

٢٢ - الإسلام يدعو للتعاون والتكافل - لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومى

٢٣ - السلام فى نظر الإسلام - للأستاذ الدكتور/ محمود زقزوق.

٢٤ - الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف - لفضيلة الأستاذ الشيخ/ محمود عاشور.

٢٥ - الإسلام وموقفه من المذاهب - للأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة.

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

هذا وقد عرض على مجلس المجمع فى ذات الجلسة مذكرة لجنة التعريف بالإسلام بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٣/١/٢٠٠٢م بشأن كتاب الدكتورة/ ميرفت عمر - أمينة اللجنة القومية لليونسكو المتضمن موضوع الأخلاقيات فى إجراء البحوث البيولوجية والطبية والأخلاقيات فى تقنينات نقل وزرع الأعضاء والأنسجة البشرية.

وبعد المناقشة وبحث الموضوع قرر المجلس إرسال بيان مجلس المجمع فى موضوع نقل الأعضاء وتمسكه برأيه السابق فيه.

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنةالقرآن الكريم بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٦/١/٢٠٠٢م بشأن ما تم نشره فى جريدة صوت الأزهر (الصفحة الأخيرة) ضمن عددى (١١٤ ، ١١٥) بتاريخ ٣٠/١١ ، ٧/١٢/٢٠٠١م المتضمن عبارة وآية قرآنية تسىء إلى القرآن الكريم حيث لا يتيسر قراءتها للقارىء العادى وقد أحاط المجلس علما بالمذكرة.

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنة البحوث الفقهية بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ٩ / ١ / ٢٠٠٢م بشأن كتاب السيد أحمد محسن المصرى – مدير الإدارة العامة للشئون الإدارية – بوزارة الداخلية عن اعتبار الحج والعمرة من قبيل السياحة الدينية التى تخضع فى تنظيمها لقانون شركات السياحة وبعد المناقشة قرر المجلس :

الموافقة على ما جاء بالمذكرة من أن الحج والعمرة من العروض الدينية التى يلزم المسلم بأدائها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، والتكاليف الشرعية لا تعد من قبيل السياحة بالمعنى العصرى المتعارف عليه بمعنى الرفاهية .

تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل

كشفت مصادر روسية عن بدء تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل ، وقالت إن قيادة الجيش الإسرائيلى ستصدر أوامرها فى القريب العاجل بشأن ضم الجنود والضباط الروس السابقين ممن حاربوا فى أفغانستان والبلقان والشيشان وغيرها من المناطق الساخنة إلى فوج خاص سيحمل اسم « الفوج الروسى » .

وقالت صحيفة « كوميرسانت » الوثيقة الصلة بالأوساط اليهودية بحكم تبعيتها للملياردير اليهودى « بوريس بيريزوفسكى – إن هذه الفكرة اقترحت قبل قرابة الشهر من جانب عشرات الجنود والضباط الروس السابقين ممن يستوطنون اليوم الأرض الفلسطينية المحتلة .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٤ / ٣ / ٢٠٠٢

المؤتمر الإسلامى يتجاهل اقتراحاً باستخدام سلاح النفط

لم يبحث الاجتماع الطارىء الذى عقدته منظمة المؤتمر الإسلامى فى العاصمة الماليزية « كوالالمبور » الاقتراح المقدم من العراق وإيران بشأن تحويل النفط إلى سلاح إسلامى ضد الدول المؤيدة لإسرائيل وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وبرر وزير خارجية السعودية رفض الاقتراح فى حديث له مع صحيفة « لوموند » الفرنسية :

إن العرب بحاجة ماسة إلى نفطهم لأغراض التنمية وأنهم إذا أرادوا تعزيز أنفسهم أمام الهجمة الإسرائيلية فلا خيار أمامهم سوى الاستمرار فى استغلال نفطهم وغازهم .

وأضاف : إن إسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة وأنه ليست هناك أى بلد فى العالم يمكنه القول للدول العربية « نحن مستعدون لتزويدكم بكل ما تحتاجون من سلاح ومال ومن دون موارد نفطية .

وبدا واضحا من ردود فعل الدول– « الإسلامية » – المشاركة أن الاقتراح الذى لم يكن مدرجا على جدول الأعمال لقى استجابة فاترة من الدول – الإسلامية – الأعضاء المصدرة للنفط وفى طليعتها دول مجلس التعاون الخليجى .

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية

٣ / ٤ / ٢٠٠٢

ومازال مسلسل الاعتداء على المساجد فى أنحاء العالم مستمرا

تعرض مسجد فى منطقة «بوسانسكى دوبيتسا» بشمال البوسنة إلى عدوان جديد مؤخرا وقال شهود عيان أقدمت مجموعة مجهولة على كسر أبواب المسجد ونوافذه وإشعال النار فى محتوياته وقد تسبب ذلك فى خسائر مادية كبيرة ولم يسجل الحادث سقوط ضحايا.

وقال شهود عيان إن «عمر فيلادجيتش» رئيس المجلس الإسلامى بمنطقة «بوسانسكى دوبيتسا» اتصل بالشرطة وقوات المطافىء التى سيطرت على الحريق - وأضاف شهود العيان أن الاعتداء تم بعد أن أنهى المسلمون احتفالا بذكرى السنة الهجرية حضره مفتى «بينالوكا» الشيخ «أدهم تشامجيتش» وتعد حادثة مسجد بوسانسكى دوبيتسا واحدة من عشرات الحوادث ضد المساجد فى مناطق السيطرة الصربية والكرواتية فى البوسنة والهرسك وليست المساجد وحدها هى التى تتعرض للعدوان بل إن بيوت المسلمين كثيرا ما تتعرض للحرق وإطلاق نار من قبل المتعصبين الصرب والكروات وقد سجلت فى المدة الأخيرة حوادث قتل تعرض لها المسلمون العائدون حديثا لديارهم فى «سريبرينتسا» - شرق البوسنة - حيث أحرقت امرأة تجاوزت السبعين داخل بيتها واغتصبت فتاة فى السابعة عشرة بمدينة «فيشى غراد» - غرب البوسنة - قبل قتلها وقتل أحد المسلمين فى مدينة «بالى» - ٣٠ كيلو متر شرق سراييفو معقل صرب البوسنة سابقا حيث وجدت جثته خارج بيته وهى نماذج من حالات تتكرر باستمرار دون أن يكون هناك ما يدل على انتهائها فى الأمد القريب.

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٤ / ٣ / ٢٠٠٢

وفى باكستان:

مقتل اثنين فى هجوم بقنبلة على مسجد

ذكر شهود عيان فى مدينة «تشامات» الباكستانية أن اثنين قتلا وأصيب نحو «٣٥» آخرين فى هجوم بقنبلة على أحد مساجد المدينة الواقعة على الحدود مع أفغانستان.

وقالت الشرطة: إن رجلين ألقيا القنابل - أثناء خروج المصلين من المسجد وفرا هاربين. وقال شاهد عيان:

«أن الناس تجمعوا خارج المسجد بعد الصلاة عندما ألقى المهاجمان القنابل» وأغلقت كل المتاجر والأسواق أبوابها احتجاجا على الهجوم.

عن جريدة الشرق الأوسط

٣ / ٤ / ٢٠٠٢

الشرطة الهندية تقتل إسلاميين فى كشمير

قالت الشرطة الهندية فى الشطر الذى تسيطر عليه من كشمير أنها قتلت بالرصاص ما أسمتهم بالمتشددين الإسلاميين والذين كانوا متحصنين داخل مسجد منهية بذلك حصارها المسجد والذى استمر ١٢ ساعة وهذه هى المرة الثالثة فى غضون شهرين يحتمى ثوار فى مسجد فى المنطقة

المتنازع عليها فى جبال الهيمالايا وهى محور مواجهة عسكرية بين الهند وباكستان .

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية .

٢٠ / ٣ / ٢٠٠٢

التليفزيون الاسترالى يبث برنامجا عن الحج

« مشاعر جياشة تتحول بها مظاهر التوحد والابتهال والألفة إلى ما يشبه الإحساس العميق الذى يشبه الحلم لكنه ليست حلما بل حقيقة تدخل إلى المخيلة لتستقر بها طويلا فى رحلة تدوم وتدوم لأنها رحلة العمر » .

بهذه الكلمات تستهل البرفسورة المحاضرة فى جامعة لندن البريطانية «آمنة فيشر» الكلام عن تجربتها الأولى أثناء تأدية فريضة الحج التى يستعرضها الشريط الوثائقى التسجيلى «الحج : رحلة العمر» والذى عرضته قناة « أى بى سى » الاسترالية أخيرا من ضمن البرنامج المعروف « كومباس » بالتزامن مع انتهاء موسم الحج لهذا العام .

والبرفسورة فيشر هى واحدة من « ٦ » شخصيات إسلامية ثلاث نساء وثلاثة رجال من الجالية البريطانية يرافقهم الشريط الذى قامت بإنتاجه شبكة « بى بى سى » البريطانية أثناء مراحل تأديتهم لفريضة الحج انطلاقًا من العاصمة البريطانية مرورا بمحطات المناسك فى مكة وعرفة وصعيد منى وغيرها وقال بعض النقاد الاستراليين المتابعين للإنتاج الإعلامى والوثائقى عن الإسلام فى مرحلة ما « بعد ١١ سبتمبر » : إن الشريط حقق نجاحا وإقبالا من الجمهور الاسترالى والغربى لإطلالة على الركن الخامس فى الإسلام عبر لسان وأسلوب قريب من لغة الغرب ومفاهيمه .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٤ / ٣ / ٢٠٠٢

اكتشاف مقبرة جماعية بها « ١٦١ » مسلما فى البوسنة

عثرت السلطات البوسنية على مقبرة جماعية جديدة بها « ١٦١ » قتيلاً فى منطقة « كوترفرش » بمناطق الحكم الذاتى الصربى داخل البوسنة وقالت مصادر اللجنة الوطنية للبحث عن المفقودين : إن الضحايا كانوا من المدنيين الذين اعتقلهم الصرب سنة « ١٩٩٢ » فى مدرسة ابتدائية بمنطقة « جرابوفيتسا » التابعة لبلدية « كوترفرش » وقال لقاضى « حلمى أحمد وفيتش » الذى أصدر الإذن بنبش المقبرة الجماعية وإخراج رفات الضحايا بأنه توجد ثلاثة أماكن أخرى وصلتنا معلومات عن وجود مقابر جديدةبها .

من جهة أخرى شكا العائدون المسلمون إلى مقار سكناهم بمنطقة « كوترفرش » بعد عشر سنوات من التهجير من أن بلدية المنطقة التى يسيطر عليها الصرب تطالبهم بدفع فواتير الماء والكهرباء عن السنوات التى لم يكونوا موجودين فيها بمنازلهم وقال أحدهم : يطالبوننا بمبلغ ٢٠ ألف يورو وجميع الذين عادوا « ٢٧٠ » عائلة فقط ولا نملك هذا المبلغ وقال « محمد سباهيتش أحد العائدين : نعيش هنا بدون ماء والمشاكل تتفاقم باستمرار ونحن ندعو المجتمع الدول لحل هذه المشاكل مع الإدارة الصربية .

الشرق الأوسط

٣ / ٤ / ٢٠٠٢

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

تنظيم النسل يعالج بالإقناع والفهم السليم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من الدعاة من دولة الفلبين من الجنسين برياسة السيد/ سادودام سانى مدير الصحة بإقليم ماندنو بالفلبين والسيد إسماعيل إبراهيم المستشار الدينى بأوقاف الفلبين ترافقهم الدكتورة ميرفت محمود الأستاذ بالمركز الإسلامى الدولى للدراسات والبحوث السكانية وذلك ضمن برنامج الدراسات الذى يعده مركز البحوث والدراسات السكانية الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف شارحاً لهم رأى الدين فى تنظيم الأسرة، وأنه جائز شرعا مادام ذلك باتفاق الزوجين، وطبقا لما يقرره السادة الأطباء، وذلك فى حالة عدم تحمل الزوجة للحمل لأسباب طبية، كما يجوز للزوجين إطالة فترة الانجاب لتستعيد الزوجة صحتها من حمل سابق ويكون ذلك باتفاق الزوجين، كما يجوز تنظيم الأسرة طبقا لظروف الزوجين الاجتماعية، ونحن لا نقول بالمنع أو التحديد أو التعقيم فهذا حرام.

وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول هذا الموضوع ثم سلم كل واحد من السادة الضيوف نسخة من كتيب تنظيم الأسرة.

شكر الحضور فضيلته على الشرح الذى قدمه، وقدموا الشكر والثناء على البعثات الأزهرية التى يوفرها الأزهر الشريف لدولة الفلبين منذ أكثر من خمسين عاما لتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم.

الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد أعضاء مجلس النواب بالجمهورية اليمنية، ممثلين عن لجنة التعليم العالى والبحث العلمى ولجنة الصحة العامة والسكان ولجنة الزراعة ولجنة الدفاع ولجنة الحريات برياسة الأستاذ/ محمد نجيب سيف رئيس الوفد ويرافقهم السيد السفير/ عبدالعزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة، وذلك ضمن المشاركة فى برنامج الزيارة

العلمية للقاهرة فى إطار مشروع صندوق الأمم المتحدة للسكان.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بدولة اليمن الشقيقة وحضارتها العريقة وتاريخها المشرف وخدمتها للإسلام والمسلمين، وشرح لهم نظام الدراسة فى الأزهر الشريف وأنه يقوم على الفهم السليم للإسلام والمحافظة على القرآن الكريم وعلى اللغة العربية التى هى لغة القرآن وعلى سنة سيدنا رسول الله ﷺ وعلى دراسة الفقه الإسلامى بدون التحيز لمذهب معين والدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى، وأضاف فضيلته قائلاً: بأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، لأن الأصول والأسس واحدة ولا خلاف عليها، وإن وجد شىء من الخلاف فهو فى الأمور الفرعية وليس فى الأركان.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الحضور وكانت حول تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه وقد أوضح فضيلته أن الاختلاف فى الفهم يرجع إلى عدم فهم الأمور فهماً سليما، لأن تنظيم الأسرة مسألة اجتهادية، ومن يفهم الدين الإسلامى فهماً صحيحا يعلم أن الإسلام ضد التحديد بمعنى المنع، وكذلك ضد التعقيم، وضد أى أسلوب فيه الجبر أو الإكراه، وإنما مسألة تنظيم النسل متروكة للزوجين وتعالج بالإقناع وبالفهم السليم وبالطريقة التى يراها الزوجان مناسبة لهما.

شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء وعلى المعلومات التى قام بشرحها، وأشادوا بدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم وتوضيح صحيح الإسلام للمسلمين فى شتى أنحاء العالم سواء عن طريق إرسال العلماء للدول، أو عن طريق استقبال أبناء المسلمين لتعليمهم بالأزهر الشريف الذى هو القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن وعلومه على مدى أكثر من ألف عام.

باكستان قطعة من مصر ومصر قطعة من باكستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / جام كرم وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق بدولة باكستان، فيدرالى وسناتور فى البرلمان الباكستانى.

رحب فضيلته بالضيف قائلاً: نحن نعتبر دولة باكستان قطعة من مصر ومصر قطعة من دولة باكستان، ومصر تقف إلى جانب دولة باكستان منذ القدم، ونحن كأخوة مسلمين نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وندعو لدولة باكستان بالسلام والأمان والاستقرار، ولدينا من باكستان طلاب يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة على منح من الأزهر ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية التى يسكنها طلاب من خمس وتسعين دولة، كما أن للأزهر بعثة من العلماء يعلمون أبناء باكستان اللغة العربية والشريعة الإسلامية منذ زمن بعيد.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء مشيداً بجهود الأزهر الشريف ذلك الصرح العظيم الذى له مكانته العالية لدى أبناء باكستان بصفة خاصة ولدى أبناء المسلمين فى كل مكان.

كما قدم شكر حكومة باكستان للسيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ولحكومة

مصر وشعبها وأزهرها الشريف للمواقف الإيجابية تجاه قضية فلسطين، وأعرب عن تضامن باكستان مع الشعب الفلسطينى من أجل حل مشكلته كذا حل مشكلة كشمير، كما أعرب الضيف عن تطلعه لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة باكستان فى القريب العاجل.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة/ هازل ماكليون عمدة مسسوجا بكندا ترافقها السيدة/ أريس البرسن مديرة مكتبها، رحب فضيلته بهما ودار الحديث حول التعريف بالأزهر الشريف ومراحل التعليم المختلفة به والكليات التابعة لجامعة الأزهر والتى بلغت أكثر من سبعين كلية فيها جميع التخصصات، وأعربت عمدة مسسوجا عن تقديرها لمصر وللأزهر الشريف لمكانته العالية فى العالم وأشارت إلى أن ولاية مسسوجا بكندا يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٠ ألف نسمة ويوجد بالولاية ثلاثة مساجد كما تضم مدرستين إسلاميتين وقالت: إن ذلك له أهمية للمسلمين لممارسة شعائر دينهم وتعليمهم بكل حرية.

وقد أثنى فضيلته على هذا التسامح الذى يسود ولاية مسسوجا بكندا، وأنها تفتح أبوابها لكل من يعمر ويبنى وينمى ويرتقى بالمكان الذى يعيش فيه، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى دارت حول تعدد المذاهب الإسلامية موضحاً بأن جميع المذاهب تأخذ من كتاب الله ومن سنة رسوله الكريم وهى لا تختلف فى أصل من أصول الدين، وحول سؤال عن علاقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقداسة البابا شنودة، أوضح فضيلته بأن العلاقة بينهما علاقة ودية قوية تسودها المحبة والأخوة، وأن الزيارات بينهما متبادلة فى المناسبات المختلفة.

وقد أبدت الضيفة إعجابها بحديث فضيلته وبتواضعه الجم، كما أبدت إعجابها وسرورها بتواجدها فى مصر والأزهر الشريف قائلة: إن مصر بلد ذو حضارة عريقة، وشعبها طيب، وقيادته الدينية متسامحة ونقية.

الإمام الأكبر يستقبل القائم بأعمال المدير الإقليمى لشئون اللاجئين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ فينسنت كوشتل القائم بأعمال المدير الإقليمى لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين يرافقه السيد/ كريم الأتاسى رئيس قسم الإعلام فى الشرق الأوسط.

رحب فضيلته بهما مشيداً بجهود المفوضية من أجل خدمة اللاجئين الذين أضيروا فى أنفسهم وأموالهم، وأصبح من المحتم على كل عاقل أن يقدم لهم يد المساعدة حتى ينالوا حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأن الأزهر الشريف يؤيد هذه الجهود.

أعرب الضيف عن سعادته وشكره لهذا اللقاء وجهود الأزهر الشريف فى خدمة الطلبة الوافدين وتقديم المساعدة لهم وتوفير فرص الدراسة والإقامة، وطلب الضيف تقديم التوعية للناس من أجل إظهار الجانب الدينى السمح لتحمل وجود اللاجئين الذين أجبرتهم الظروف على هجر بلادهم حتى يقل العبء النفسى لهؤلاء اللاجئين.

وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يحرص على ذلك كل الحرص ومصر تستضيفهم بكل أدب وسماحة واحترام وتقدم لهم المعونة التى تسترهم وتحميهم، وسوف أدعم ذلك برفع

صوت الأزهر إلى المسئولين لتقديم كافة السبل لمساعدة ومعاونة اللاجئين.

شكر الضيف فضيلته على إيضاح صورة الإسلام لدى وسائل الإعلام وخاصة الإعلام الغربى كما أعرب عن رغبة المفوض السامى للأمم المتحدة لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد رحب فضيلته بأنه على استعداد لاستقبال الضيف فى أى وقت يحضر فيه إلى مصر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

شيخ الأزهر يؤكد على أهمية محاربة المخدرات والمسكرات

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية للدورة رقم ٣٠ من الدول العربية برياسة الدكتورة/ نادية جمال رئيس شعبة البحوث الكيميائية والبيولوجية بالمركز والمشرف على برنامج التدريب العربى لمكافحة المخدرات.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مثنياً على جهود العاملين فى مجال محاربة المخدرات وما يضر بعقل الإنسان أو ماله أو عقيدته أو كرامته أو شرفه، لأن الإسلام يحرم ذلك تحريماً قاطعا والأزهر الشريف يؤيد ذلك العمل الذى من شأنه محاربة المخدرات والمسكرات بكل أنواعها لما فيها من أضرار بالغة وخطيرة على عقل الإنسان وبدنه، ومن أجل ذلك كانت المحاربة للمحافظة على النشء وعلى شباب الأمة وخدمة للدين وللوطن وللمجتمع الذى نعيش فيه حتى يعيش الناس فى جو صحى ونظيف.

وقد وجه الحضور إلى الاستعانة بالأبحاث والكتب التى صدرت فى محاربة المخدرات

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول إمكانية الاستعانة بعلماء الدين فى برنامج العلاج من الإدمان، وأوضح فضيلته أن إدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف لا تدخر وسعاً فى تلبية هذا المطلب ونحن على استعداد لإرسال السادة العلماء لتوضيح هذه المسائل، وحول سؤال عن دور المسجد فى تصحيح مفاهيم الشباب وعصمتهم من الانحراف الفكرى أجاب فضيلته بأن المساجد تعمل طبقاً لخطة أعدتها وزارة الأوقاف والعلماء الموجودون بالمساجد على مستوى علمى عال، ومؤهلين للتصدى لأى انحراف فكرى عن طريق النصح والإرشاد، كما أجاب عن أسئلة حول عائد البنوك، وزكاة المال، والقروض، والعقيقة، وغير ذلك من الأسئلة التى طرحت.

الإمام الأكبر يستقبل سفير أستراليا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / روبرت نيوتن سفير استراليا بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بالضيف متمنياً له إقامة طيبة فى مصر وأن يوفقه الله فى عمله.

وقد أثنى السيد السفير على الأزهر الشريف وشيخه قائلاً: إن الأزهر هو المعهد العلمى الدينى المعروف فى شتى أنحاء العالم كمنارة دينية وعلمية، وطلب السيد السفير نبذة عن مواكبة الأزهر للتحديث الذى يشهده العالم الآن وأجابه فضيلته بأن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام تمتاز الدراسة فيه بالتوسط والاعتدال والبعد عن

التعصب الأعمى والعنصرية المقيتة، والإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة والدراسة به تدعو إلى نشر الأمان والسلام والتعاون، وتبادل المنافع بين الناس، وشرح فضيلته مراحل التعليم بالأزهر منذ الحضانة وحتى الجامعة ويتعلم فيه الطلبة والطالبات، والأزهر يدرس المواد التى تدرس فى مراحل التعليم الأخرى إلى جانب حفظ القرآن الكريم والتوسع فى المواد الشرعية والعربية وبذلك يسير وفق التطور الذى يشهده العالم.

وقال الضيف: إن دولة أستراليا مجتمع منفتح وبه أعداد كبيرة من المسلمين ومن غيرهم من كل الجنسيات وقال: إنه جاء للأزهر لتوثيق التعاون وللمساهمة فى فتح مجالات مفيدة لبلدينا، وأعرب فضيلته عن ترحيب الأزهر بكل تعاون مثمر من شأنه تبادل المنافع التى أحلها الله بين الناس، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

ويستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ تى توابا سفير سنغافورة بالقاهرة وذلك بمناسبة توليه عمله كسفير جديد لبلاده فى القاهرة، رحب فضيلته بالضيف قائلاً: إن سنغافورة من الدول الصديقة والأزهر يستقبل طلاباً من دول العالم ليتعلموا سماحة الإسلام ويسره ووسطيته فى كل مراحل التعليم من الحضانة وانتهاء بالجامعة ثم يعودون إلى بلادهم وقد تسلحوا بالعلم النافع ثم يقومون بدورهم فى تعليم أبناء بلادهم، وتطرق الحديث إلى تفسير معنى الجهاد، وأجاب فضيلته أن أقرب تفسير للجهاد هو الدفاع عن الحقوق مثل حق الحرية، وحق العقيدة، وحق الرد على الظالمين والمعتدين الذين يعتدون على الأموال والأنفس والمنازل كما يحدث الآن فى فلسطين، فشارون وزمرته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويقتلعون الزروع والأشجار، ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية للمحتاجين والمصابين. فالجهاد فى الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه فما يفعله الفلسطينيون جهاد، وما يفعله شارون وزمرته إرهاب لأنهم يعتدون على الأرض وعلى العرض.

الإمام الأكبر يؤكد:

الإسلام يمد يده بالسلام لمن يمد يده بالسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر مهيد مرآتو موتيلان وزير التربية والتعليم بمنطقة الحكم الذاتى لمسلمى الفلبين والوفد المرافق ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف كمنارة لأبناء المسلمين وبخاصة أبناء الفلبين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح، وأوضح فضيلته أن لدى الأزهر مبعوثين من العلماء فى الفلبين بالخطط والمناهج الدراسية والكتب التى تدرس فى الأزهر الشريف للاستعانة بها فى تعليم أبناء المسلمين هناك على غرار ما يدرسه الأزهر فى مصر، لأن الدين الإسلامى دين رحمة وسلام وتعاون وأنه يمد يده بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، وقدم فضيلة الإمام الأكبر دعوة للسيد الوزير لحضور المؤتمر الذى سيعقده الأزهر الشريف تحت عنوان [هذا هو الإسلام] فى ١٦ من ابريل ٢٠٠٢ وأن يشارك فى المؤتمر بالكتابة فى أحد الموضوعات المطروحة بالبرنامج.

ترقيات

قرار شيخ الأزهر
رقم (١٩٠) لسنة ٢٠٠٢م

شيخ الأزهر:

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له.

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه.

وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨.

وعلى قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية.

وعلى ما انتهى إليه رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بجلستها المنعقدة بتاريخ ٤ / ٢ / ٢٠٠١ ملف رقم (٨٦ / ٦ / ٥٧٠) من أن الاختصاص المفوض للوزير المختص بشئون الأزهر بمقتضى القرار الجمهورى رقم ٤٠٠ لسنة ١٩٩٩ ينعقد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر.

وعلى ما انتهى إليه رأى لجنة الوظائف القيادية بالازهر الشريف بجلستها المنعقدة بتاريخ ١٣ / ١٢ / ٢٠٠١م

قرر

المادة الأولى:

اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار يعين فى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك لكل من السادة

١ـ فضيلة الشيخ / محمد عبد الرحمن على عباس رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية.

٢ـ فضيلة الشيخ / محمود طه محمود لولح رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الإسكندرية الأزهرية.

٣ـ فضيلة الشيخ / عبدالصبور أمين عبدالرازق هيكل رئيس الإدارة المركزية للتعليم الإعدادى.

المادة الثانية:

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

that creatures whether they are animals, plants or minerals, are subject to one permanent and natural law. Each is characterized by certain elements and belongs to certain groups. In animals for instance, we find that the breed of Arabic horses is preferable to any other in the world. In minerals, we find that steel is the hardest sort of iron. And the human being is a kind of animal. Some human beings have superiority over others. These superior beings differ in their numbers from one country to another. Thus a country that has more supreme beings amongst its inhabitants must have superiority and authority over the rest. The Count's theory depends on the following principles;

1. An unknown supreme power has chosen a certain race to be entrusted with power and leadership.

2. Learning is the means of knowledge and superiority.

3. History records only heroes and they are our only leaders to whom we submit our obedience.

4. Nations have an urgent need to expansion, as a result of increase in products and birthñrate.

De Goulios theory comes to a conclusion that people who have white skin and pure blood must be the subject of one great empire that is to govern the whole world.

We don't deny that some people are superior to others, but the standard of superiority is neither race nor blood; it is their culture and education. The Quran says;

"And we raise some of them above others in rank". "Az-Zukhruf (32)

De Goulio considers blood and race to be a criterion for superiority and he forgets that Egypt, Iraq, Syria and Yemen were the cradles of ancient civilization. They were all prosperous at a time Europe was still living in the dark ages. And it is regretful to tell that the Count's theory was received with great enthusiasm in Europe in general and Germany in particular. Germans began to look with envy at the colonies that used to be occupied by England, Holland and France. Fredric Neitchie was also influenced by De Goulio's theory and this influence was evident in the Superman. All Germans were deceived by this lie and they thought themselves to be superior to other peoples; a bitter fact that caused the two world wars to break out.

Half a century after De Goulio's superstitious theory, people began to realize its destructive influence.

At last, they knew that the theory was a mere fable. And Europeans started a new look to happiness. They realized that equality, as enacted in Islam, is the only means to happiness. That is why Mr. Jipp was right when he said that Islam is still capable of offering a great service to mankind; no other institution whether religious or social, can bring equality among all the different races.

When the sunshine of Islam arose, equality was its first foundation; and it was marvelous from Umar (may Allah be pleased with him) to apply such a law in that age when Islam was in complete power. Thus even at that time, Umar preached equality guided on by Quran and Sunna.

The prophet (peace and blessing of Allah be up on him) stated the right of equality in his last pilgrimage, when he said:

"O people, your God is One; you are all the descendents of Adam and Adam was created from dust (earth). God favours only the righteous ones, for you are all equal, no difference between a red and a white. Now let God bear witness that I have informed you". It was said that Umar once saw a blind man begging and when he enquired about him, he came to know that this man was a Jew. "Why are begging"? Umar asked.

"Tribute, need and age", the Jews replied.

Then Umar took him to his own house and satisfied his needs at that moment. Then he sent to the one who keeps Muslim's money saying that those from whom we used to take tribute when they were.

Young should not be treated shamefully now that they are old.

It was also said that some people were waiting for permission to enter Umar's house. Among them were chiefs and slaves. When permission was granted, Bilal, Ammar and Sohaib went in first; that made Abu Sofian very angry and he said:

"I had never been humiliated like this before"

And When Sohaib saw that reaction, he asked "Why are you so angry? We are both (chiefs and slaves) had the permission to enter, and they were faster in answering the invitation. If you envy them here (at Umar's), God will provide them more in Heaven.

These are the ideal principles of Islam.

Muslims proclaimed equality according to the teachings of Quran and Sunna; not teachings imported from the French revolution as some ignorants say. The French revolution does called for freedom, equality and fraternity, but only to be confined to Europe. Freedom is for the West and not the East; the East must be occupied and humiliated. Of course, we all know about racial discrimination in Europe. In America itself, the Negroes of the south have suffered and are still suffering from racial discrimination.

Hereunder is a brief summary of the racial discrimination Theory in order to show its inhuman influence, for it was the cause of the destructive two-world-wars.

Count De Goulio, a French writer wrote a theory concerning human races. He stated in it that people must be classified according to their races. He said that those who have white skin have the priority in the field of civilization and progress. He even said that the white race differs according to the purity of their blood. There is what is pure and what is mixed blood, he said. He went on saying

The Fabulous Tale Of The Racial Discrimination Between The East And The West

By: Dr. M. R. El Baiomi

Mr.Jipp, the British orientalist says in one of his books:

"Islam is still capable of offering a great service to humanity. No other institution, whether religious or social, can bring equality among all the different races. The great Islamic communities in Africa, India, Indonesia; and the small ones in China and Japan; all show that Islam is the only power to bring unity among all sects and races of the world. If the East and the West disagreed, Islam would be the only resource we have to go back to in order to make peace between them "

Mr. Jipp's words are clearly obvious. He believes that equality among people is the only solution that may put an end to dispute and controversy as in Islam human beings are all equal. It is wonderful to know that the religion of Islam in its early Renaissance was the only law that declared equality among people wherever they were. In Islam righteousness is the only standard for superiority and all people are the descents of Adam and Adam was created from dust (earth). However, when we revise the history of other countries that were in power whether before or after Islam, we will see that each used to ascribe superiority to itself.

The Greek education, literature and philosophy flourished and were known all over the world. Even the Renaissance in Europe was due to it, but Greek thinkers viewed themselves with an eye of mightiness and superiority. They declared that other peoples were savages and barbarians. Plato in his (Republic) divided people to classes of masters and slaves, the first to govern and the second to be enslaved. Then Plato was followed by Aristotle who said in his (Politics) that it is not wrong for the Greeks to govern the barbarians. He also said that slaves would become savage and impudent if you treat them kindly. He added that Asian people are willing to be governed and enslaved whereas the Greeks are free and proud sect of people. He also wrote that the inhabitants of the cold regions are less intelligent and more courageous than other peoples. At last he came to a conclusion that the Greeks are the most favoured race in the world . The most disadvantageous thing is that his book was studied all over the world and his opinions were taken for granted.

Then the wheel of age turned round and the Romans began to declare that those who are not of Roman descendent are savages and barbarians. Moreover, they proclaimed superiority over other sects such as Germans, and Celts. Romans and Greeks both forgot that civilization firstly arose from the East. Principle of philosophy were founded near the Nile borders. Besides, the Romans and Greeks had their Alphabets borrowed from Syria and Lebanon.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾

سورة النازعات (٤٠ / ٤١)

﴾But for him who fears the standing before his Lord, and restrained himself from impure evil desires and lust. Verily paradise will be his abode.﴿ [An-Naziat: 40-41]

Allah also stated:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ سورة الرحمن (٤٦)

﴾But for him who fears the standing before his Lord, there will be two gardens (i.e. in paradise).﴿ [Ar-Rahman: 46]

When the second man mentioned his story, Allah rewarded him by widening the opening in the cave. His good deed was behind his deliverance and salvation.

Finally, the third man mentioned that he gave the labourer his due right although at the beginning the labourer refused the amount of maize agreed upon between them. He gave away to the labourer the cows and the shepherd he had brought after sowing that amount of maize and selling the yield. He was honest and fair. As a matter of fact, he sets a good example that those who combat avarice and those who are niggards and hide the favors that Allah had bestowed on them will be surely punished.

When the third man told his story, the opening in the cave was made wider. Then, the rock moved away completely. Consequently, the three men were finally released due to their obedience to Allah.

This Hadith is a true guidance for us. We must always take whatever the Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, brings us and give over whatever he forbids us. We must fear Allah, for Allah is strict in punishment.

Reference

An article entitled "Good Deeds Relieve Distress" by Sheikh Al Gebali, Al Azhar Magazine (Zul Hijja, 1422 A.H. March 2002).

The Hadith shows how the invocation of a person who is dutiful to his parents was fulfilled .The first man preferred his parents to his kids. Although his kids had been crying out of hunger, he disliked feeding them before his parents. He let his parents enjoy their sleep and didn't disturb them. He understood that at their old age they would get irritable if anybody woke them up before they finished their sleep.

The man had to wait with the milk in his hand to feed his parents as soon as they wake up. Although he worked hard looking after his sheep in the morning, he sacrificed his night's rest for the sake of his parents' comfort and for Allah's satisfaction. While making supplication to Allah in the cave, he was sure that Allah was All-Aware of his true intention because Allah knows all what the hearts conceal. On mentioning his story, Allah rewarded him by letting the rock that blocked the cave move a little.

Usually, parents love their children more than anything in the world and dutiful children do their best to please and satisfy their parents and provide comfort for them. However, their love to their parents is equal to their parents' love for them. This man forgot his feelings towards his kids completely to please his parents.

The second man abstained from committing a sin with the woman he loved most. When she reminded him of Allah and that he must fear Him, he left her. Although she was in a pressing need for money, she feared Allah and begged the man to let her. He saw that she remembered Allah at this time of difficulty, while he himself was at ease. So, he let her go out of fear from Allah.
Allah stated in the Qur'an:

theirs, continued till the day dawned. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out through which we can see the sky. So, Allah made for them an opening through which they could see the sky. Then the second person said: " O Allah! I had a female cousin whom I loved as much as a passionate man loves a woman. I tried to seduce her but she refused till I paid her one hundred Dinars. So, I worked hard till I collected one hundred Dinars and went to her. But when I was about to have a sexual intercourse with her, she said: O Allah's servant! Be pious to Allah! Do not deflower me except legally (by marriage)! So I immediately stood and left her .O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them with the amount of two thirds of the blocked way.

As for the third, he said, "O Allah! I employed a labourer against an amount of maize, and when he had finished his job, I gave him his due pay, but he refused taking it. Then I kept on sowing that maize for him (several times) till I managed to buy with the price of the yield some cows and their shepherd. Later on, the labourer came to me and said: (O Allah's servant! give me my right. I said (to him): "Go and take those cows and their shepherd". Then, he said you make a mockery of me. I said I make no mockery of you but this is your own. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them and the rock was removed completely from the entrance of the cave. (AlBukhari, Book of Addab)

Good Deeds

By: Hanan Abdou El Tahtawy

Allah is the sole Creator, The Provider, and The One in whose hand is the disposal of all affairs. Islam calls for love and obedience to Allah and having confidence in His mercy. Allah highly rewards those who do good and supports them at times of distress. Muslims must honor their parents, abstain from unlawful relation, avoid injustice and give everybody his due rights. Allah helps those who do such deeds and puts an end to their trouble. Moreover they will be highly rewarded in the Hereafter.

Narrated Abdullah Ibn Umar, may Allah be pleased with them, that Allah's Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, said: "While three persons were travelling, they were overtaken by rain and they took shelter in a cave in a mountain. Then a rock fell over the entrance of the cave and blocked it.

They said to each other: "Think of such good (righteous) deeds which you did for Allah's sake only, and invoke Allah by giving reference to those deeds so that Allah may relieve us from our difficulty." One of them said: "O Allah! I had my parents who were very old, and I had small children and I was working as a shepherd. When I return to them at night and milk (the sheep), I used to start giving the milk to my parents before my children. One day, I went far away in search of a pasture (for my sheep), and when I returned home it was late at night so found my parents sleeping. I milked (my sheep) as usual and brought the milk vessel and stood at their heads, and I disliked to wake them up from their sleep, however, I didn't give the milk to my children before my parents, though my children were crying (from hunger) at my feet. So this state of mine, and

AL-AZHAR
MAGAZINE
Safar 1423 A. H

ENGLISH
SECTION
APRIL. 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."
(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculy of Languages and Translation
Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهـــرس

● إسرائيل تجرنا لحرب أمريكا
المحرر ١٢٩
● قدموا النص القرآنى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٣٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٧
● السلم
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٤٢
● مات المعتصم
لفضيلة الأستاذ الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٤٨
● النفوذ اليهودى فى أمريكا
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٥٢
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٥٧
● غداً ينطق الحجر
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٦١
● من أجل مواجهة أكثر فعالية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٦٨
● فلسطين وسياسة أمريكا
للشاعر الكبير الأستاذ/ فؤاد الخطيب ١٧٥
● قصة العدد: وامثنياه
بقلم/ عابر سبيل ١٨٠
● لسنا إرهابيين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٧
● الأمة الوارثة وبشائر التمكين فى الأرض
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩٠
● حضارة قوم نوح
للدكتور/ على أحمد على ١٩٥
● القرآن دستور الإسلام
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٢٠٢
● الآثار النفسية فى أسلوب القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٢٠٨
● اغتيال إسلامية فيلسوف
للدكتور/ محمد عمارة ٢١٤
● دروس فى بناء الرجال
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٢٢١
● كتاب الشهر:
الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى
عرض ونقد أ. د. إبراهيم عوضين ٢٢٩
● أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٢٤١
● أنظموا أوطاننا أسرا
للشاعر/ محمد مصطفى حمام ٢٤٨
● طرائف .. ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٥٠
● الشيخ محمد زكى إبراهيم
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشى ٢٥٢
● الإمام الزيلعى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٢٦٠
● شكر النعمة وجحودها
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٢٦٥
● صرخة فى وادٍ
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٦٩
● رسالة .. و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٢٧١
● خطبة الجمعة: جهلة بالسنة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٢٧٤
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٢٧٧
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٨٠
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٢٨٥
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٢٩٠
● القسم الإنجليزى ٣٠٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

●●●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- فى ذكرى المولد النبوى

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

- المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية

هذا هو الإسلام

- من طاعة الله وعبادته

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

- من ملامح المنهج الإسلامى فى الدعوة

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيهاً مصرياً
● الدول العربية	٥٠ دولاراً أمريكياً
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولاراً أمريكياً
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

ربيع الأول ١٤٢٣هـ - يونيو ٢٠٠٢م - الجزء الثالث - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبـ

نعم إن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وقد تكون الأسوة مطمحاً محدوداً يستطاع الوصول إليه إذا انتمت إلى عظماء الرجال من غير الأنبياء، ولكنها بالنسبة إلى الأنبياء بعامة مطمح بعيد المدى وبالنسبة إلى محمد ﷺ أشد بعداً، ولايسوقنى إلى هذا القول عاطفة دينية لاتجد سندها من البرهان الواضح، ولكنى أؤكده عن يقين، حين أعرض من حياة رسول الله بعض المواقف التى تفجأ القارئ بغرابتها، فيظل حائراً يلتمس أسباب التعليل فلا يجد، ويعيد الفكر مرة وثانية وثالثة لينتهى إلى أن رسول الله فذ فى بابه، فقد صنعه الله على عينه، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

إن الرسول إنسان تزحمه الحياة ببلائها، فيكابد من الصعاب المرهقة مالايستطيع تحمله إلا بعون الله وتأييده ومن هذه الصعاب مايرجع إلى الأمور العامة فى صراع الخير والشر، واصطدام الهدى بالضلال، وقد يكون العبء فيه مشتركاً بين الرسول ومن حوله من أتباعه المخلصين، وهنا يتوزع الخطب فلا يرمى بثقله فوق كاهل واحد، كما قد يكون العبء خاصاً بمحمد ﷺ وحده، إذ يتغلغل إلى أعمق الأعماق من مشاعره حين يصاب فى فلذة من أفلاذ كبده، فيحس مايحسه الأب الشفيق من قارص الألم، ومرير الشجو، ويخيل لصاحب النظر العادى أن نبى الإسلام فى هول خطبه سيثأر لنفسه بالانتقام إذا قدر. وله الحق أن ينتقم ممن بغى دون حق، ثم تكون العاقبة أن يجد الآثم الصفح والعفو والمغفرة! وممن؟ ممن وتره فى أعز إنسان لديه أليست الأسوة فى هذا المجال مطمحاً بعيداً!! بل أقول إنه مطمح عسير، إلا على من اختاره الله لهداية الناس وقال فى شأنه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

---

(١) القلم (٤).

ـــوى «الأسوة الحسنة»

العفـــــو..العفـــــو

العفو فضيلة تقتعد الذروة الرفيعة بين الفضائل الإنسانية، لأن صاحبها ينتصر على غرائز الانتقام حين يسكت ألسنة الحفيظة، وتصمت عن هواتف الثأر، وينظر إلى واتره الأثيم، نظرة الشفق الرحيم، حيث توحى الدلائل بأنه سيكون بين شقى الرحى جزاء لما اقترفت يداه، ولن يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة، إلا إذا كان صاحبه ذا قدرة مهيمنة يستطيع أن يبطش بها دون تردد، فمن يعفو عن واتره دون اقتدار عليه، فهو متهم فى صفحه، كذلك لايكون العفو فضيلة خلقية رفيعة إلا إذا شمل العدو الخصيم، فالأب الذى يعفو عن جرم ولده، والصديق الذى يغضى عن زلة صديقه، والزوج الذى يتسامح عن هنات زوجه، وأمثال هؤلاء جميعاً لن يكونوا من كبار العافين عن الناس، إذ يبسطون سماحتهم على من يستشعرون نحوهم حنان القربى، وزلفى المودة، لأن لديهم من الدواعى النفسية مايرجح جانباً على جانب، أما العفو العظيم فهو من تصيبه فى أعز الناس لديه دون أن يسلف مايستحق النكال، إذ يكون اعتداؤك بغياً صريحاً، ثم تقع فى قبضته وقد دارت الأرض بك دوران المغشى عليه من الفزع، فلا تجد غير التسامح العاطف والصفح الغفور، هنا يكون العطف ذروة عالية لايلقاها إلا ذو حظ عظيم، فإذا أردت المثال لبعض مانعنيه فلتسمع!

كانت السيدة «زينب» أولى بنات رسول الله ﷺ ذات ملامح تقترب كثيراً من ملامح أمها السيد خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وهى بعد ذات حنو على أخواتها باعتبارها الفتاة الكبرى، فكان والدها العظيم يخصها لذلك بحب يلمس تأثيره فى نفسه، وحين ارتحلت أم المؤمنين إلى عالم الغيب، قامت الفتاة الكبرى مقام أمها، رغم زواجها من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع، إذ كانت تكثر زيارة المنزل الأول، وقد أسلمت منذ جهر والدها بالدعوة، لأنها تعلم من صدقه وإيمانه مارأت شواهده رأى العين، فما كان لها أن تتلكأ وإن تلكأ زوجها بعض الوقت لأشياء يميل إليها، فهى ذات رأى لايمس، على أن الزوج رحب بإسلام زوجته، تاركاً لها حرية الاعتقاد، كما تركت له أن يبطئ

حتى يطمئن، ثم هاجر محمد ﷺ إلى المدينة، ولم تستطع زينب أن تترك منزلها وولديها بمكة! فكانت تجد من الشوق لوالدها والحنين إليه مثل مايجد، واشتد كربها حين أعلنت قريش الحرب على رسول الله فى الموقعة الأولى ببدر، ونفر المكيون وفيهم زوجها أبوالعاص- إلى المدينة لاستئصال المسلمين، ولاتسل عن لوعة السيدة المؤمنة زينب بنت محمد حين جعلت تفكر فى مصير المعركة؟! أفينتصر المسلمون ويقتل زوجها أبوالعاص أم ينتصر الشرك ويقضى على والدها الحبيب! لقد اتجهت إلى الله تصلى فى خشوع دامع راجف وهى تقول: اللهم انصر أبى، واردد علىّ زوجى سليماً!! وياله من دعاء يحمل من دقيق المعانى ما يُعجز القلم عن الإفصاح!

ثم دارت الدائرة على المشركين، ووقع أبوالعاص بن الربيع أسيراً، وانطلق ذوو المنهزمين فى مكة يرسلون الفداء المالى، إذ لكل أسير فداؤه، وجاء النبأ إلى الزوجة الوفية فعرفت أن الله قد استجاب دعاءها، ولم تشأ أن تجعل الفداء مالاً من خالص الذهب والفضة كما فعل سواها وهى بعد ذات ثراء وافر، فأبوالعاص تاجر مشتهر الغنى، ولكنها نزعت قلادتها التى أهدتها لها أمها ليلة الزفاف، وبعثت بها إلى أبيها!! وفوجئ رسول الله بقلادة السيدة خديجة التى يعرفها جيداً توضع بين يديه، قال أصحاب السيرة: فأخذته رقة شديدة، وقال فى تأثير عميق، وفى نبرات حزينة: «إذا رأيتم أن تردوا لها قلادتها، وتعفوا عن أسيرها، فافعلوا!» ثم نادى أباالعاص وقال له: احمل القلادة إلى صاحبتها على شرط أن تبعث بزينب إلىّ! هذا عهد بينى و بينك! أفسامع أنت؟ قال: نعم، وستجئ إليك متى ذهبت!

كان الزوج وفياً بعهده فسرعان ما أبلغ زينب رغبة أبيها، فما وجدت بداً من الاستجابة ولم يطق أن يتحمل ساعات الوداع، فأمر أخاه «كنانة بين الربيع» أن يصحبها إلى المدينة، وكان كنانة شجاعاً رامياً للنبل، حامياً للظعينة إذا جد الجد، ولكن الريح لم تسر رخاء، إذ نشز هبار بن الأسود ناقماً غاضباً، يريد أن يفجع رسول الله فى فلذة كبده، فاعترض الراحلة مخترطاً سيفه، ونخس البعير نخسة قاسية، فسقطت زينب، وصادف سقوطها صخرة صلدة، وكانت ذات حمل، فأسقطت جنينها، وجرى دمها يسيل، وهال كنانة ماوقع ففوق النبل إلى هبار وجماعته، ورأوا منه ذا حمية وانتقام، ففروا هاربين! ولكن زينب أدركها الضعف، فخارت قوتها، وذوت بشاشتها، وقدمت إلى المدينة ودمها يسيل!

حزن رسول الله لما شاهد! لقد كان يتوقع أن يرى ابنته سعيدة نضرة، تقبل عليه فى بهجة وعناق ولكنه وجد الصفرة الكابية، والألم الصارخ، والصمت الحزين، ولاتسل عن مشاعره الغاضبة التى أرسلت نقمته على هبار بن الأسود المعتدى، فأعلن أنه هدر دمه! وهو إعلان مشتهر بين الناس، يوقع جزاء لمن اعتدى عن بغى!! وليت شعرى ماخطب هذا المعتدى! أيريد أن يثأر لقتلى بدر؟ وممن؟ من سيدة لم تشترك فى حرب!! أتلك هى الرجولة فى منطقه! وهبه انتهى إلى ماأراد! أفيحرز مجداً؟ وقومه يعرفون أنه انتصر على سيدة عزلاء!! ذات حمل ثقيل!

لم تكن أيام زينب بالمدينة ناعمة راضية إذ كانت تعتادها عقابيل تلك السقطة الأليمة، ووالدها يراها تشحب وتهزل، فيعتصم بالصبر، ويعلم الله أى ألم كان يعتصر فؤاده الشفيق، وأى غضب كان يعصف بمشاعره، ولكن الأمور تجرى كما أراد خالق الكون أن تسير، ولابد من الإذعان للمكروه، وقد حل فعلاً بزينب حيث ارتحلت إلى ربها، ويقول مؤرخو سيرتها العاطرة: إن عواقب السقطة الدامية كانت فاتحة مرضها الطويل حتى جاءها اليقين!

ودارت الأيام ففتحت مكة، وأصبح رسول الله سيد النهى فيها والأمر، وأيقن هبار بن الأسود أن ساعة الانتقام قد أزفت، لأن دمه مهدور من يوم زينب، فحاول الفرار فى كل متجه ولكنه أيقن أن الغلبة للإسلام، وأن جنود محمد ﷺ تلاحقه أنىّ سار!! فلم يجد بداً من أن يهجم على عرين الأسد، أياً كانت العاقبة، فوقوع البلاء خير من انتظاره فتقدم إلى سيد المرسلين يقول له فى انكسار: يانبى الله، لقد هربت منك فى البلاد، وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك، وصفحك عمن جهل عليك، فاصفح عن جهلى، فإنى مقر بسوء فعلى، معترف بذنبى!!

لاشك أن رسول الله تذكر مأساة زينب حين واجه هباراً، ولاشك أن الحزن قد عاوده ساعتئذ على ما أصابها! وهو الآن فى موقع القدرة من عدوه الجانى! وأى أب سواه لم يكن ليصفح هكذا دون انتظار! وإذا صفح فبعد تأنيب زاجر، وإيجاع ناقم، ولكن نبى الله يرتفع عن مؤشرات الموقف، فيقول فى تؤدة: «إذهب ياهبار فقد عفوت عنك» قالها والصحابة دهشون، إذ كانوا لايتوقعون!

المـــال..المـــال

حين قال الإمام البوصيرى فى بردته:

وراودتـه الجـبـال الشم من ذهب

وفـضـة فـأراها أيما شـمـم

لم يقصد المعنى الحرفى للبيت، لأن الجبال فى مكة والمدينة لم تكن من ذهب وفضة، ولكنه فكر فى زهد الرسول عن الطيبات وهى ملء يده، زهده فيما اجتمع له ذات غزوة من ثراء فياض ملأ الوادى الفسيح بشعابه الممتدة ثم لم يأخذ منه شيئاً! والبرهان ساطع لامجال فيه لأدنى شبهه، ففى غزوة حنين شاء قائدها المشرك مالك بن عوف أن يسوق مع المحاربين نساءهم وأطفالهم وأموالهم ومايملكون من أنعام ليكون ذلك أدعى إلى حماسة قومه فلا يفرون عن الميدان ساعة الهول ويتركون الأطفال والنساء والأموال، لذلك سال الوادى بشعابه زاخراً بالمال العينى من ذهب وفضة، والمال الحى من رقيق وحيوان، وهى غلطة حربية شنيعة لأن المنهزم إذا فكر لايفكر إلا فى نفسه أولاً، ثم دارت الدائرة على المشركين بعد جهاد مرير ذاق فيه المسلمون أشد البلاء بدءاً ثم قطفوا النصر خاتمة والأمور بعواقبها المنتهية لاببشائرها المبتدئة، وقد وقع فى أيدى المنتصرين ماساق المشركون من مال وعتاد،

وهو شئ لانظير له فى زمنه، إذ ترك الفارون أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف من النساء والبنين! أفتدرى. عزيزى القارئ ماأخذ الرسول من هذا الفيضان الزاخر؟

لم يأخذ درهماً واحداً! وخص به جميعه المؤلفة قلوبهم من أعداء الأمس، وفيهم من شمت بالمسلمين فى الجولة الأولى فقال: الآن بطل السحر لن تقوم لمحمد قائمة بعد اليوم!! وإن عجباً أعجب العجب أن يحوز هؤلاء كل ماغنم، حتى غضبت بعض الأنصار، وهم زادة الإسلام وحماته، وعرف رسول الله ما أثارهم من غضب فترضاهم بما شفى الصدور.

جاء فى كتاب «الإمتاع» للمقريزى: أن أباسفيان– وهو زعيم المؤلفة قلوبهم– رأى من الغنائم مابهره فقال لرسول الله ﷺ: أصبحت أكثر قريش مالاً! أعطنى مما غنمت يارسول الله! فقال ﷺ: «يابلال، زن لأبى سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل». فقال أبوسفيان: «ابنى معاوية يارسول الله؟. فقال: «زنوا له أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: «ابنى يزيد يارسول الله؟» فقال: «زن له يابلال أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: إنك لكريم، فداك أبى وأمى والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ثم سالمتك فنعم المسالم أنت!

وجاء صفوان بن أمية، فأعطاه الرسول مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ثم رآه يرمق شعباً مملوءاً نعماً وشياها، فقال له: أأعجبك هذا الشعب ياأباوهب؟ فقال: نعم قال: هو لك بما فيه، فقال صفوان: إن الملوك لاتطيب نفوسها بمثل هذا ماطابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبى!

هذا المال الزاخر لم يرجع منه رسول الله لنفسه ولا لأهله بشئ! وكان يقنع الناس جميعاً أن يجود بالنصف، بل كان المنتظر أن يُشبع السابقين الأولين من المهاجرين والذين آثروا وآووا ونصروا من الأنصار، ثم يرضى المؤلفة قلوبهم ببعض ماأخذوه، والبعض من هذا الفيضان كثير كثير، ولكنه رجع خالى اليد عامر القلب، وقد هجم عليه بعض الأعراب ساخطاً، وانتزع رداءه الشريف من فوق جسمه، وطالبه ببعض المال بعد أن وزعه، فقال الرسول: أدوا إلىّ ردائى أيها الناس! فوالله لو كان عدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم، ثم لاتجدونى بخيلاً ولاجباناً ولاكذاباً».

وهنا نتساءل: ماصنع الرسول، وهو رئيس المنتصرين، وسيد الجزيرة العربية بالرجل الذى قد تهجم عليه فى غلظة، ونزع رداءه من جسمه دون مراعاة لأدنى لياقة أو أدب! أما كان فى استطاعته أن يأخذه بالشدة بعد أن تجاوز كل حد، والكلمة كلمته، والمسلمون رهن إشارته! إنه لم ينظر للأمر من وجهة بشرية تعاقب المسئ بمثل مايعاقب من أجرم وتهور! ولكنه علم مايجره الضعف الإنسانى على الناس من اندفاع، وأنه أولى بأن يقدر هذا الضعف حق قدره، فيغفر للمسئ كى يراجع نفسه دون تأنيب! أليس هو المثل الكامل!

إن الشعاب الممتلئة بالغنائم يوم حنين، هى التى عناها البوصيرى فى بيته السالف، حين صور

الحقيقة فى ثوب خيالى زادها إشراقاً ولألأة! وأى شمم أعلى ذروه من شمم نبىّ، يترك الفيضان الزاخر، ويرجع إلى بيته وليس عليه غير ثوبه، فيحاول أن يغتصبه منه أعرابى عجول، ثم لايسمع غير العتاب الرقيق! ولا يرى غير النظر الشفيق!

الخبـــــرة النفســـــية

هذه الخبرة النفسية بضعف أولى الضعف، جعلت رسول الله ينتظر الشر من الأشرار، ولايستبعد وقوعه، وحتمت عليه إذا وقع الشر أن يعفو ويصفح إلا فى حد من حدود الله متى شاع الجرم واشتهر، وكانت مواقفه ترجمة صادقة عن شعور العفو الصادق، والعفو الصادق صفة كلية تجمع صفات جزئية كثيرة. فصاحب العفو حليم رحيم حصيف، أما أنه حليم فلأنه كظم غيظه أمام السيئة الواضحة، وأما أنه رحيم فلأنه قد تغمد الإساءة بعطفه وحنانه، وأما أنه حصيف فلأنه وقف على الأعماق المستترة فى النفوس، فرأى مايمتزج بها من الهدى والضلال وتوقع السقوط فى الإثم تارة، كما توقع النجاة منه تارة أخرى، وهكذا كان العفو معنى كلياً، وشجرة ذات فروع وأغصان.

ورسول الله حريص على أن يوضح العفو بالفعل والقول، أما الفعل فقد عرفنا من وقائعه ماسطرناه فى هذا المقال، وهو مثال من عشرات، وأما القول فما أكثر ما حث رسول الله ﷺ على العفو وما أكثر ماتلا من آيات الكتاب فى التسامح والغفران، بل ماأجمل ما أبرز من مزايا العفو فى حوار قصصى يأخذ باللب كأن يقول فيما رواه مسلم ـ رضى الله عنه ـ:

عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! قال: اللهم لك الحمد على زانية. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى . فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غنى! قال: اللهم لك الحمد على غنى . لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد على زانية.، وعلى غنى، وعلى سارق، فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته».

فالرسول فى هذا النمط القصصى البديع يفتح باب العفو عن السارق والزانية، ويقاس بهما أشباههما بل يفتح باب الأمل على من وقف السد الهائل فى طريقه فعاقه أن يسير، والمثل الكامل للإنسانية مبشر قبل أن يكون منذراً، وغارس للأمل فى أرض يتعهدها بالرى والتسميد حتى تؤتى أكلها الطيب! ولنا نحن المسلمين فى سلوكه المثالى أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فهل نستطيع؟

د./ محمد رجب البيومى

هــــذا هــــو الإســــلام

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر

تحت رعاية

السيد رئيس الجمهورية

٣ : ٥ من صفر سنة ١٤٢٣هـ

١٦ : ١٨ من أبريل سنة ٢٠٠٢م

تابع المؤتمر

أحمد السيد تقى الدين

هــــذا المؤتمـــــر

أخـى جــــــاوز الظـالـمـون المـدى
فــحق الجـــهـــاد وحق الفـــدا

مطلع لواحدة من أروع قصائد الشاعر الشهير «على محمود طه».. وجدت كلمات القصيدة ترن فى أذنى وأنا أجلس داخل قاعة المؤتمرات الكبرى بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر.. القاعة ضخمة وهائلة حقا.. ولكنها ضاقت بأعداد هائلة من علماء الأزهر تدفقت من شتى محافظات جمهورية مصر العربية، فضلا عن طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية، وجامعة الأزهر، وجمع حاشد من الطلبة الوافدين الدارسين بشتى الجامعات المصرية يضاف إليهم صفوة الصفوة من علماء الأمة الإسلامية الذين لبوا جميعا دعوة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لحضور هذا المؤتمر الذى جاء انعقاده فى أدق مرحلة تمر بها الأمتين الإسلامية والعربية، فى ظل هجمة شرسة على الإسلام، من أعدائه وممن فى قلوبهم مرض، واشتدت حدتها بعد أحداث نيويورك الشهيرة بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م إلى أن وصلت إلى حد إلصاق التهم الظالمة بالإسلام وأهله، بل أعلن الرئيس الأمريكى «جورج دبليو بوش» الحرب الصليبية على الإسلام بشكل سافر صريح لا يحتمل أى تأويل أو لبس.

وبدورها أعلنت إسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإسلام داخل الأراضى المحتلة بفلسطين فمضت تعربد وتقتل وتحرق، غير عابئة بالمواثيق والقيم الإنسانية، معيدة إلى الأذهان مذابح هولاكو البشعة فى بغداد والشام قبل انكسار التتار أمام الجيش المصرى فى عين جالوت.

هذه الكلمات ليست من إنشائى، وإنما هى كلمات التقطتها من أحاديث جانبية كثيرة كانت تدور بين علماء الأمة الإسلامية انتظارا لافتتاح المؤتمر.

اللافت للنظر أننى لم ألمس أى نبرة تشاؤمية فى أحاديث علماء الأمة الذين زاد عددهم على المائتين، وخاصة وفد علماء فلسطين الذين كان من السهل على الجميع تمييزهم بعماماتهم المميزة ومنهم سماحة الشيخ يوسف جمعة سلامة القائم بأعمال وزير الأوقاف والشئون الدينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك، والشيخ تيسير رجب التميمى قاضى قضاة فلسطين.. هذان الرجلان تحديدا كان من السهل على جميع الحضور أن يدرك مدى قوة وارتفاع معنوياتهما التف جمع غفير حولهما يسألونهما عن أخبار إخوانهم فى فلسطين، والرجلان يطمئنان الجميع فى ثبات بأن الجميع فى فلسطين قد جعلوا من قول الله - عز وجل -:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)

شعارا لهم يدفع عنهم أى إحساس بالانكسار أو اليأس والجميع على ثقة بوعد الله.

ولفت نظرى أيضا وأنا أقرأ جدول أعمال المؤتمر مشاركة عدد كبير جدا من الدول العربية والإسلامية فى أعمال المؤتمر أبرزهم فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف الذى حرص على تلبية دعوة فضيلة الإمام الأكبر، والمعروف أن سيادته من خريجى الأزهر، بل وقام بإعداد بحث شارك به فى أعمال المؤتمر بعنوان «الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة».

ومن أندونيسيا جاء الدكتور محمد شهاب رئيس مجلس العلماء الأندونيسى حيث قدم بحثا بعنوان «الإسلام دين العدالة الإنسانية» ومن المغرب الباحث الإسلامى الشهير الأستاذ الدكتور محمد الكتانى عضو أكاديمية المملكة المغربية والذى جاء بحثه بعنوان «الإسلام دين العقل والحوار».

غير أن أكثر ما لفت نظرى ودل على مدى ما بلغته قوة تلاحم أمتنا الإسلامية فى هذا المؤتمر هو بحث بعنوان «الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف» ويحمل اسم «آية الله عبدالأمير قبلان» نائب رئيس المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى بلبنان.. لقد حرص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى على أن

(١) آل عمران (١٣٩).

يكون هذا المؤتمر عنوانا وتأكيداً على تلاحم الأمة الإسلامية وتماسكها فى وجه ما يراد بها من مخططات فوجه الدعوة لكل علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم الدينية، فالموقف لا يحتمل الخلاف والتفرق، بل يحتم أن يكون شعار المرحلة هو قول الله - تعالى -:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

تمتمت شفاه الحاضرين بهذه الآيات الكريمة وهم يشاهدون العمامات الشيعية المميزة داعين لفضيلة الإمام الأكبر بالتوفيق فى عمله ومسعاه لجمع شمل علماء الأمة.

وفى أحد جنبات القاعة التف عدد من وعاظ الأزهر حول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى، الذى كان حريصا على تنبيههم لأهمية دورهم فى المرحلة الراهنة بقوله: «لابد أن نلجأ إلى الله - عز وجل - بالدعاء على الظالمين، إن خطباء المنابر عليهم أن يدعوا على اليهود من فوق المنابر، لا تستهينوا بهذا الأمر فهو لون من ألوان الجهاد، إنه الجهاد الروحى، لابد أن تدعوا عليهم بأن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وأن ينزل عليهم بأسهم وأن يعيد إليهم سهامهم المسمومة إلى صدورهم، يجب على علماء الأمة أن يشحنوا قلوب الأمة، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء على هؤلاء المعتدين فى جميع صلواتهم حتى تحيا الأمة من جديد».

جلست استمع إلى تلك الكلمات، وغيرها سمعته من الشيخ كمال جعيط «مفتى تونس»، وعلى بن السيد عبدالرحمن آل هاشم مستشار الشئون القضائية الدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة، والدكتور إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندى من سلطنة عمان.. وغيرهم وغيرهم.. لا مجال ولا مكان لليأس بل الأمل كل الأمل فى غد مشرق جديد على الأمة الإسلامية.

نجح المؤتمر قبل أن يبدأ فقد أنعش القلوب وأحيا الأمل فى الصدور.

وضجت جنبات القاعة بتكبيرات الحضور من علماء الأزهر فقد وصل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمصاحبة الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء والذى أنابه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى حضور المؤتمر وإلقاء كلمة نيابة عنه، وكان فى الكوكبة فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف، والسيد/ عبدالله السالمى وزير أوقاف سلطنة عمان، والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الديار المصرية، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

وتبدأ أعمال المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية «هذا هو الإسلام» أو مؤتمر «الأمل».

---

(٢) آل عمران (١٠٣، ١٠٤).

كلمة الافتتاح

لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور
وكيل الأزهر

فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف موضحا أسباب انعقاد هذا المؤتمر، ومرحبا بضيوفه الكرام فقال:

حين يلبس الباطل ثوب الحق، وتدلهم الخطوب، يحتاج الناس إلى من يحدد لهم المفاهيم ويهديهم إلى الطريق القويم.

من أجل هذا كان هذا المؤتمر، مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر: «هذا هو الإسلام».

جاء هذا المؤتمر ليبين للناس الحقائق، ويزيل ما علق بالإسلام من أباطيل، فقد لبس الباطل ثوب الحق، وتاه الناس، وأصبحوا فى حاجة إلى من يحدد لهم المفاهيم، ويبين لهم الحق من الباطل، والناس دائما عندما تختلط الأمور يلجأون إلى العلماء، وهم أحق الناس بأن يبينوا الحق من الباطل.

لهذا رأى مجمع البحوث الإسلامية أن ينعقد هذا المؤتمر الذى جمع هذه النخبة من العلماء ليقولوا كلمتهم.

هذا المؤتمر الذى كان فكرة راودت فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ووجدت من الصعاب ما وجدت، ولكن فضيلته أصر على أن يتم هذا المؤتمر فى الوقت المحدد له، وفى فترة وجيزة تم الإعداد له على أعلى مستوى.

لذا اجتمعت هذه النخبة من علماء المسلمين ليقولوا كلمتهم.. أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يكتب التوفيق لمؤتمرنا إن شاء الله.

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

ألقاها نيابة عن سيادته الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد

رئيس مجلس الوزراء

السادة أصحابُ الفضيلةِ والسماحةِ والمعَالى

الحفل الكريم

إنّه ليُسْعدنى أن أُرَحبَ بكم فى مصر، وفى ضيافة الأزهر الشريف، حيثُ تَعْقدون مُؤتَمَركُم الثانى عشر، فى تلك الظروف العَصيبةِ التى يتعرضُ لها الإسْلامُ لكثيرٍ من التُهَمِ الباطلةِ، خصوصاً بعد أحداثِ الحادى عشر من سبتمبر من العام الماضى.

وقد كان من توفيق الله ـ تعالى ـ لكم، أيها العلماء الأجلاء، أن اخترتُم عُنواناً حكيماً لهذا المؤتمر، ألا وهو: «هذا هو الإسلام»، وقد جعلتُم الهدفَ الأساسىَّ من هذا المؤتمرِ: بيانَ وتوضيحَ سماحة الإسلامِ وعدالته، وكيف أنَّه الدينُ الذى يُعْطِي كُلَّ ذى حقٍ حقَه، وأقَمْتُم الدليلَ الناصعَ على كُل ذلك بأسلوبٍ يُقْنِعُ كُلَّ ذى عَقلٍ سَليم، ويَرُدُّ عَلَى كُلِّ مُعْتَدٍ أثيم.

إن شريعةَ الإسلامِ قد اعْتَبَرَتْ الناسَ جميعاً من أبٍ واحدٍ ومن أمٍ واحدة، ومن الآياتِ القُرآنيةِ التى أكَّدَتْ هذه الحقيقةَ قولُ اللهِ ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ فى أولِ آيةٍ من آياتِ سُورَةِ النسَّاء:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(٢).

وقد تَضَمَّن هذا النداء للناسِ جَميعاً تَنْبيهَهُم إلى أمرين:

(١) الحجرات (١٣).

(٢) النساء (١).

الأمرُ الأول: وحْدَةُ الاعتقادِ بأنَ ربَهُم واحِدٌ لا شريكَ له، فهو الذى خَلَقَهُم من نفسٍ واحدة.

والأمرُ الثانى: وحْدَةُ النَوْعِ والتَكْوِين، إذ الناسُ جميعاً على اختلاف ألسنَتِهم وألْوَانِهم وأجْنَاسِهم، قَدْ جاءوا جميعاً من أصْلٍ واحِد. هو «آدم» ــ عليه السلام ــ.

والحقيقةُ الثانية التى أكَّدتها شريعةُ الإسلام: أن الناسَ جميعاً قد أوجَدهم اللهُ فى هذه الحياةِ، لِكَىْ يُعمِّروهَا بالقولِ الطيبِ، وبالعملِ الصالحِ، وبالسلوكِ الفاضلِ، وبالتعاونِ النافعِ. وبتبادلِ المصالحِ التى أحلَّها اللهُ ــ تعالى ــ فِيما بينَهم فقال:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(٣).

أى: وتعاونوا ــ أيها الناس ــ فيما بينكُم علَى كلِّ ما هو خيرٌ وطاعةٌ لخالقكُم. ولا تَتعاونوا على ارتكابِ القبائحِ والعدوانِ. فإن التعاونَ على الطاعاتِ والخيراتِ وتعميرِ الأرض يؤدّى إلى الرُّقىِّ والسلامِ والأمانِ. أما التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ فيؤدّى إلى التأخُّرِ والفسادِ والخُسران.

والحقيقةُ الثالثة التى قرَّرتها شريعةُ الإسلام: هى: تكريمُ الإنسانِ. وتسخيرِ هذا الكونِ لخدمته ولمنفعته. ويكفى لتأكيد هذه الحقيقةِ قول الله ــ تعالى ــ:

(٣) المائدة (٢).

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٤).

ومن مظاهرِ هذا التكريمِ لبنى آدمَ سواء أكانُوا من الذُّكورِ أم من الإناثِ: أنهُ خلقَهُم فى أحسنِ تقويم. كما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٥).

وأنّه ميَّزهُم بالعقل، وبالنطق، وبالاستعدادات المتعددة التى جعلتهُم أهْلاً لحملِ الرسالةِ والأمانة، التى عَجزتْ عن حَمْلِها السمواتِ والأرضِ والجبالِ.

وأنه سَخَّر الكثيَر من مخلوقاته لمنفعتهم ولمصلحتهم، وأنه ـ عز وجل ـ أعطاهُم من نعَمه مالاَ يُحصَى، وبسببِ هذا التكريمِ فَضّلهُم علَى كثيرٍ من المخلوقاتِ تفضيلاً عظيماً.

والحقيقة الرابعة التى أكّدتها شريعةُ الإسلام هى: أنها أَعطت لكلِّ إنسانٍ حقَّه فى الحياة الحرة الكريمة. وفى طلب العلْم، وفى حَقِّ التَّعبيرِ عَن رأيه بالأسلوبِ الحكيمِ، وبالموعظةِ الحَسنةِ، وبالمجادلة بالتى هى أحسن.

وأنها صَانت نفسَهَ وعرضه وأموالَه وجميعَ حقوقه من أىّ عُدوانٍ علَيها.

وَيكفى شريعةُ الإسلامِ فخراً فى حمايةِ النفسِ الإنسانية، وفى صيانتها من أى عُدوان عليها، إنها اعتَبرتْ أنّ من يقتلُ نَفْساً واحدةً، فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً، وأن من امتنعَ عن قتلِ نفسٍ واحدة، وحافظَ على حياتها وعلَى حُرمتِها، فكأنّه قد حافظَ على حياة وعلى حرماتِ الناسِ جميعاً.

يكفى شريعةُ الإسلامِ فخراً أن رسولَها محمداً ﷺ هو القَائل: «الإنسانُ بُنْيَانُ اللَّه، مَلعونٌ مَنْ هدَم بُنْيانَ اللَّه».

يكفى شريعةُ الإسلام فخراً أنها قررت أن من يدافعُ عن حقوقه، وعن حريته. وعن كرامته الإنسانية. وعن أمواله، وعن دينه، وعن أرضه، وعن عِرضه، وعن مُقدَّساته، ثم يموتُ فى حالة دفَاعه عن حُقوقه التى كفلَها اللهُ ـ تعالى ـ له فَهُو شهيد.

ففى الحديث الشريف، يقول رسول الله ﷺ: [مَنْ قُتُلِ دُونَ دَمِه فهو شَهيد ومن قُتِلَ دون عِرْضه فهو شهيد ومن قُتِلَ دون مَاله فهو شهيد](٦).

وعندما جاء إلى النبىِّ ﷺ رجلٌ فقالَ لهُ: يا رسول الله، أرأَيْتَ إنْ جَاءَ رَجلٌ يُريد أن يأخَذ مَالى؟ قالَ لهُ ﷺ: [لاَ تُعطه مالَك.. فقال الرجلُ: أرأيتَ إنْ قاتَلنى؟ قال ﷺ «قَاتِلْهُ»

(٤) الإسراء (٧٠).

(٥) التين (٤).

(٦) البخارى ٣/١٧٩.

فقال الرجل: أرأيتَ إن قَتلني؟ فقال له ﷺ «فأنْتَ شَهيد» فقال الرجل: أرأيتَ إن قتلته؟ قال ﷺ: «هُو فى النَّار».

والحقيقةُ الخامسة التى قررتَها شريعة الإسلام، هى: أن فضيلةَ العَدلِ على رأسِ الفضائلِ التى أمرتْ بها شريعة الإسلام.

لقد أمرتْ بالعَدل فى الأقوال، كما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(٧).

وأمرت بالعدلِ فى الأحكام، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾(٨)

أمرتَ بالعدلِ العام، مع الغَنى ومع الفقير، مع القوى ومع الضعيفِ مع القريبِ ومع البعيد، مع الأصدقاء ومع الأعداء.. وإذا كانت شريعةُ الإسلام قد جَعلتْ فضيلةَ العدلِ فى أسمى درجات الكمال، فإنها فى الوقتِ ذاته قد جَعلتْ رذيلةَ الظُّلم فى أحطّ دركاتِ النُّقصَانِ.

ويكفى لتحريمِ الظُّلم قولُ الرسول ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُملى للظَّالمِ حتّى إذا أخذَه لَمْ يُفلتْهُ»(٩) وقوله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلم فإنه ظُلُمَاتٌ يومَ القيامةِ»(١٠) وفى الحديث القُدْسىِّ: «يا عبادى

(٧) الأنعام (١٥٢).

(٨) النساء (٥٨).

(٩) البخارى ٦/٩٤.

(١٠) أحمد ٢/٩٢.

إنّي حرّمتُ الظُلمَ علَى نَفْسِى وجَعلتُه بينكُم مُحَرّماً فلاَ تَظَالمُوا»[11].

والحقيقة السادسة التى أكدتها شريعة الإسلام هى أنها أمرت أتباعَها أن يُقيموا عَلاَقَاتهم مَع غيرِهم علَى السَّلام وعلى الأمان، وعلى التعارف، مادام هذا الغير يبادلنا هذا السلام، وهذا الأَمانَ وهذَا التعارفَ. ويَكفى لتعريفِ العالَم أجْمَع بهذه الحقيقةِ قولُ الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[12]

يكفى لتعريفِ العالم أجمْع بهذه الحقيقة قولهُ ـ عز وجل ـ :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[13].

إن الإسلاَم يمدُّ يدهَ بالسلام إلى كلِّ من يَمُدُّ يدهَ إليه بالسّلام، ويُمدُّ يدهَ بالأمان إلى كلّ من يمد يدهَ إليه بالأمان، ويُمد يدهَ بالتعاونِ النافعِ إلى كلّ من يمد يدهَ إليه بالتعاون النافع.. إننا نُؤمنُ بتعاونِ الحضارات لا بتَنافُرِهَا، نؤمن بتقاربِ الحضارات لا بتَباعُدها. نؤمن باتصالِ الحضارات لابتَصادُمها..

والحضاراتُ كأمواجِ البَحر تَعلُو وتَرتفعُ وتَسمُو وتَنْفَعُ، فى الأممِ التى يكثرُ فيها عددُ العُلماءِ العُقلاء. وتَنْخفضُ وتَضْمحلُ وتتراجَعُ الحضاراتُ فى الأمِم التى يكثُر فيها عَددُ المتعَصّبينَ الجُهلاء.

لاَ مانع لدينا من أن ينتفعَ الغربُ بحضارةِ الشرقِ، وأن ينتفعَ الشرقُ بحضارة الغرب، مادَامت هذه الحضارةُ تجمعُ ولا تُفرِّق، وتَبْنى ولا تَهدم، وتُعمِّر ولا تُخرِّب، وتُصلح ولا تُفسد، وتَزْدهرُ معهَا القيمُ الشّريفة. والأخلاقُ الفاضلة، والأدابُ القويمة، والاستقامةُ على طريقِ الحقِّ والخير والكمال.

السادة العلماء الأجلاء ـ الحفل الكريم:

هذَا هُو الإسلامُ فى نَقائه وفى صَفائه.

هذا هو الإسلام فى عدالته وفى سَماحته.

هذَا هُو الإسلامُ فى رحمته وفى أمانته.

هذَا هُو الإسلامُ فى أحكامه وفى هِدَايته.

هذَا هُو الإسلامُ فى حَربه وفى سلْمه.

هذَا هُو الإسلامُ فى قيَمه وفى آدابه.

هذَا هُو الإسلامُ فى موقفه من غير المُسلمين.

هذَا هُو الإسلامُ فى تكريمه لبنى آدم أجْمعين.

واللهُ يَهدى مَنْ يشَاءُ إلى صَراطٍ مُستقيمٍ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(11) صحيح مسلم، البر والصلة والآداب، باب (15).

(12) الممتحنة (8).

(13) البقرة (190).

كلمة السيد / مأمون عبد القيوم

رئيس جمهورية المالديف

ثم ألقى السيد / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف كلمة الوفود :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

السيد مندوب رئيس الجمهورية الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، فضيلة الشيخ الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى، شيخ الأزهر، رئيس المؤتمر، أصحاب المعالى والفضيلة، والسعادة، الضيوف الكرام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيسعدنى - باسمى وباسم الوفود المشاركة فى هذا المؤتمر - أن نتقدم بالشكر والتقدير، إلى فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وعلمائه، ومسئوليه، وإلى حكومة وشعب جمهورية مصر العربية، لما

لقيناه جميعاً من حسن استقبال، وكرم ضيافة، وجميل رعاية.

كما أنا نشكر الإمام الأكبر على تكرمه بتوجيه الدعوة لنا، لحضور هذا المؤتمر الإسلامى العالمى الهام «هذا هو الإسلام» الذى يعقده مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

أيها العلماء الأفاضل والسادة الأعزاء!

إن مبادرة الأزهر بتنظيم هذا المؤتمر، قد جاءت فى وقت تواجه فيه الأمة الإسلامية تحديات خطيرة، ويسعدنا أن الداعى إلى هذا المؤتمر، هو الأزهر، أزهر العلم والمعرفة، أزهر العطاء والسخاء، أزهر الأمل والنور، أزهر التاريخ والبطولة، الذى بعلمه وعلمائه، حافظ على الإسلام وعلومه وثقافته، دون إفراط وتفريط، ودون تشدد وتعسف، منذ أكثر من ألف عام.

إن للأزهر فضلاً كبيراً على العالم الإسلامى؛ فهناك الآلاف من أبناء المسلمين، الذين يدرسون فى كليات الأزهر المختلفة، ويتخرجون فيها كل عام، ثم يعودون إلى بلادهم، حاملين المعرفة الإسلامية الصحيحة، ويؤدون الرسالة الملقاة على عاتقهم على الوجه الأكمل، عملاً بقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وهناك أيضاً بعثات الأزهر، وأساتذته ودعاته، الذين يقومون بواجبهم العلمى والدينى فى أرجاء المعمورة، وقد أحسن الشاعر حين قال:

إن للعلم أزهرا يتسامى
كسماء ما طاولتها سماء

كما كان للأزهر وشيوخه وعلمائه، دور بطولى عظيم، فى الدفاع عن الإسلام، وشعب مصر فى مختلف العصور، ومن ذلك ما قام به شيوخ الأزهر وعلماؤه الأكابر، أثناء الحملة الفرنسية فى مصر، مما كان له الأثر الكبير فى إجبار الجيش الفرنسى، على الانسحاب من مصر العزيزة الأبية.

والحقيقة أنه كلما ادلهم الخطب، وعظم الأمر، كان للأزهر دور بارز فى تعبئة الشعب المصرى تعبئة روحية قوية، كى يصمد أمام العدو حتى النصر، ومن ذلك ما حدث أثناء العدوان الثلاثى على مصر، منذ ما يقرب من خمسين عاماً.

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام:

ان أخطر التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخها الطويل، تلك الأحداث التى تجرى على أرض فلسطين الشقيقة،

---

(١) التوبة (١٢٢).

(٢) آل عمران (١٠٤).

من قتل وتعذيب، وتشريد لشعبها البطل، وهدم للمنازل والمخيمات، وانتهاك وتدنيس للأماكن المقدسة فى أراضيها، وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين. إن هذا يتطلب من الأمة الإسلامية تكاتف شعوبها، وتماسك صفوفها، وتضافر جهودها، لمساندة شعب فلسطين الباسل، وتقديم كل ما يمكن تقديمه من معونات مادية ومعنوية فى نضاله البطولى من أجل حريته واستقلاله وسيادته على أراضيه.

ومن تلك التحديات أيضاً، الحملة الإعلامية الظالمة، التى تقوم بها قوى البغى والضلال فى العالم، للنيل من الدين الإسلامى الحنيف، ومقاصده النبيلة، والادعاء بأن الإسلام دين يدعو إلى القتل والتخريب وإرهاب الآمنين، ومحاربة أتباع الأديان الأخرى.

ولاشك أن هذا ادعاء باطل، فالإسلام دين يدعو إلى الحرية والسماحة، وتكريم الإنسان، والمحافظة على النفس والعقل والمال والعرض، واحترام حقوق الآخرين، والعيش فى أمن وسلام مع الطوائف الأخرى، وأعتقد أنه فى استطاعة هذا المؤتمر، الذى تحضره هذه الكوكبة من جهابذة العلماء والمفكرين الإسلاميين، أن يقوم بدور كبير فى تصحيح الأوضاع، وتقديم الإسلام للعالم كله، فى صورته الحقيقية الوضاءة.

ونحن نرى فى أرض الكنانة، أجمل صورة لسماحة الإسلام وقيمه النبيلة؛ ففى مصر يعيش المسلمون والأقباط جنباً إلى جنب، فى إخاء ووئام وتآلف، كمواطنين صالحين، يعملون جاهدين، لتحقيق مزيد من التقدم والرخاء للوطن الأم.

ولا يخفى على أحد، ان الفضل فى هذا السلام الاجتماعى، الذى تنعم به مصر الحبيبة، يرجع - بعد الله سبحانه وتعالى - إلى قائد هذا البلد الأمين وزعيمه، الرئيس محمد حسنى مبارك، فالرئيس مبارك، بما حباه اللّه من حكمة وحصافة، وصدق وإخلاص لمصر وشعبها الأصيل، قد أرسى قواعد بنية اجتماعية وسياسية، كفلت لمصر، مجتمعاً يعيش فيه المسلمون وغيرهم فى مودة وسعادة واطمئنان.

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام:

أريد أن أقول، قبل أن أنهى كلمتى هذه، إننى فخور بكونى من أبناء الأزهر ومن خريجيه، وبأننى قد تلقيت علومى على مشائخه وأساتذته الكبار، جزاهم اللّه خيراً!

قال الزعيم مصطفى كامل: (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً)، وأنا أقول: (لو لم أكن أزهرياً لوددت أن أكون أزهرياً).

وقال الشاعر أحمد شوقى:

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثرا على سمع الزمان الجوهرا

وأنا أقول:

أكرمتنى يا أزهر الخير الذى
جمت محاسنه ولم تك مقصرا
يارب أنعم أزهراً وكنانة
من خير ما تجزى الكريم تخيرا

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته،،،

كلمـــــة
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

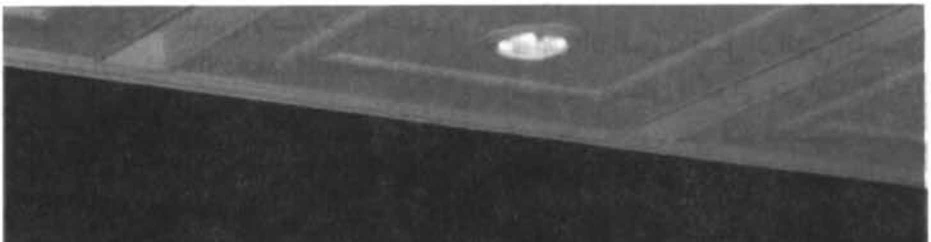

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السيد ممثل رئيس الجمهورية، رئيس مجلس الوزراء، السادة الحضور، ضيوفنا الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه لقاءات لم تقم من أجل متعة فائتة، ولا من أجل شهوة عابرة، وإنما هى لقاءات من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل أن نتعاون جميعا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

رأى مجمع البحوث الإسلامية أن يعقد مؤتمره الثانى عشر فى هذه الأيام العصيبة، وأن يكون موضوع هذا المؤتمر «هذا هو الإسلام» فى جماله ونقائه وسموه، فى عدالته، فى سماحته، فى شريعته التى تقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، وتقف فى وجه الظالم الباغى حتى يندحر.

ما أكثر الاتهامات الكاذبة التى وجهت إلى الإسلام، خصوصا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، ورأينا أن من الواجب علينا كعلماء أن نظهر الحقيقة، وأن نبين أن الإسلام دين يعطى كل ذى حق حقه، وأن نبين أن الإسلام دين يأمر أتباعه أن يدافعوا عن حقوقهم، وإذا قصروا فى هذا، فإن الله - سبحانه - سيحاسبهم عن هذا التقصير وهو القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾(١).

فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا، وفى الوقت نفسه بشرنا بأنه ما دام هذا الدفاع من أجل نصرة الحق، والدفاع عن المظلوم، وعن كل ما يجب الدفاع عنه، بين الله عز وجل أن نصره قريب لأن هذه هى السنة التى لا تتخلف ولا تتبدل، ما دام هناك العزيمة القوية، والإيمان العميق، وشرف المقصد والثبات على الحق، ومباشرة الأسباب التى تؤدى إلى النجاح.

محال ثم محال أن يخلف الله وعده، وهو القائل:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾(٢).

إنه نصر مزدوج، نصر فى الحياة الدنيا ونصرٌ:

﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾(٣)

لأجل هذه المقاصد أقمنا هذا المؤتمر الذى يحضره صفوة الصفوة من علماء العالم الإسلامى، وقدمت عشرات الأبحاث لبيان وجه الإسلام الجميل، أبحاث تناقش:

الإسلام دين الهداية والسماحة والسلام.

الإسلام ورعايته لحقوق الإنسان.

الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب.

الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف.

وغيرها من الأبحاث والموضوعات المهمة التى تبين وجه الإسلام السمح، وسيستمع العالم بأكمله إلى الكلمة الصادقة التى سيعبر عنها العلماء الراسخون فى العلم، كل فى مجال تخصصه، لبيان أن الإسلام هو الدين الذى يعطى كل ذى حق حقه، مبينين سماحة الإسلام وعدله، مبينين احترام الإسلام لحقوق المسلمين وغير المسلمين.

والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

---

(١) الحج (٣٨، ٣٩).

(٢) غافر (٥١).

(٣) الانفطار (١٩).

وتحدث الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف عن: مفهوم العدل فى التصور الإسلامى فقال:

مفهوم العدل فى التصور الإسلامى يمكن أن يبحث من جوانب مختلفة، أو منطلقات متعددة. فهناك مثلاً منطلق علم الكلام الإسلامى وما قاله علماء الكلام فى قضية العدل، وبصفة خاصة لدى المعتزلة الذين اشتهروا بأنهم أصحاب التوحيد والعدل، ويمكن أن يبحث أيضاً من منطلق الفكر الفلسفى الإسلامى الذى جعل العدل أحد أمهات الفضائل، بل جعله على رأس الفضائل، ويمكن أن يبحث كذلك من منطلق التاريخ الإسلامى لبيان مدى تطبيق قيمة العدل فى تاريخ المسلمين. ولكن قبل كل ذلك وبعده يأتى بحث مفهوم العدل فى التصور الإسلامى من منطلق المصادر الأساسية للدين الإسلامى، ونعنى بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وفى البداية نود أن نشير بصفة عامة إلى أنه من المعروف أن العدل يعد لدى كل الشعوب والحضارات قيمة من القيم الكبرى التى ينبغى على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها فى هذا العالم من أجل خير الإنسان وسعادته. والإنسان فى أصل فطرته الصافية يميل إلى العدل وينفر من الظلم. ولا نعدو قول الحق إذا قلنا إن العدل يُعد ضرورة حياتية لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة حقيقية بدونه.

والإسلام عندما يدعو إلى العدل فإنه بذلك يدعو فى الوقت نفسه إلى حرية الإنسان وكرامته وتأكيد حقوقه الإنسانية العامة. فالكفاح من أجل رفع الظلم عن المظلومين وإقرار العدل، وبالتالى إقرار الكرامة الإنسانية، يُعد واجباً إنسانياً وواجباً دينياً فى الوقت نفسه.

ولذلك جاء الأمر بالعدل ومقاومة الظلم فى القرآن الكريم صريحاً لا يحتمل التأويل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾(١)، كما جاء أيضاً فى الحديث القدسى المشهور: [يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..](٢).

(١) النحل: ٩٠.

(٢) صحيح مسلم، البر والصلة والآداب، باب ١٥.

وهذا الأمر الدينى يعزز الجانب الإنسانى الذى يرتكز على الطبيعة الإنسانية النقية التى تميل إلى العدل وتنفر من الظلم. وتضافر الجانب الدينى مع الجانب العقلى يقوى عزم الإنسان وتصميمه على سلوك سبيل العدل ومقاومة الظلم فى شتى صوره وأشكاله.

ويستطيع المرء أن يتبين بوضوح أن العدل - كما جاء فى القرآن الكريم - يتجلى فى الرحمة الإلهية التى تعم العالم كله بما فيه ومن فيه كما يقول القرآن الكريم:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٣]، تلك الرحمة التى لا تفرق بين الناس الذين هم جميعاً خلق الله يحكم بينهم بالعدل ويشملهم برحمته. وكل إنسان مطالب بالسعى إلى إقامة العدل والأمل فى تحققه من منطلق الرحمة الإلهية.

وعند التأمل فى مفهوم العدل يتضح لنا أن للعدل جانبين لا يجوز أن ينفصل أحدهما عن الآخر. فالإنسان من حيث طبيعته، أى من حيث هو كائن عاقل فى حاجة إلى العدل يطلبه ويسعى إليه. ولكن هناك وجهاً آخر للعدل يسير جنباً إلى جنب مع حاجة الإنسان له وطلبه إياه، ونعنى بذلك أن العدل نفسه يحتاج إلى الإنسان بوصفه كائناً عاقلاً حراً من أجل تحقيقه والعمل على إقراره. فالإنسان بدون العدل لا يستطيع أن يحيا حياة حقيقية على هذه الأرض. والعدل بوصفه قيمة مثالية ليست شيئاً دون أن يكون هناك إنسان يعمل على تحقيقها فى عالم الواقع. فالعدل ضرورى للإنسان مثلما أن الإنسان ضرورى لتحقيق العدل.

والعدل قيمة لا تتجزأ؛ فالمرء لا يمكنه أن يطلب العدل لنفسه وفى الوقت نفسه يريد إبعاده من نفسه ثانية بارتكابه الظلم فى حق الآخرين، فالناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة - كما يقول القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٤].

وعلى هذا الأساس ينبنى التضامن بين الناس والذى يقتضى العدل للجميع. فنحن مشتركون جميعاً فى الإنسانية ذاتها، ونحن جميعاً ننحدر من نفس واحدة. ومن هنا يشير القرآن الكريم إلى:

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٥].

---

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) النساء (١).

(٥) المائدة: ٣٢.

والعدل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحرية الإنسان. ومن أجل ذلك فإن فهم التصور الإسلامى للعدل يتوقف على فهم الدور الحاسم للحرية فى الإسلام.

ويجد المرء إشارة لذلك - على سبيل المثال - فى التأصيل الفقهى للحكم فى قضية يدور الأمر فيها حول الحرية. فلو حدث نزاع بين مسلم وغير مسلم حول طفل - وقال المسلم: هذا الطفل عبدى. وقال غير المسلم: إن هذا الطفل ابنى فعلى القاضى أن يحكم فى هذه الحالة بإثبات بنوة الطفل للأب غير المسلم نظراً لأن الطفل بموجب هذا الحكم سيكون حراً وليس عبداً(٦).

ويمكن القول بأن هذا التأكيد على حرية الإنسان كان يتردد فى التاريخ الإسلامى دوماً عندما تنطلق الشكوى من العدوان على الحرية، والذى كان يحدث بين الحين والآخر. وفى هذا الصدد نشير إلى تلك العبارة المشهورة التى أطلقها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب فى مواجهة العدوان على حرية بعض الأفراد من جانب بعض أصحاب النفوذ حين قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟». وقد قال ذلك بمناسبة حادثة مشهورة تتصل بوالى مصر عمرو بن العاص فى ذلك الوقت.

ولا يجوز فى نظر الإسلام أن يحمل الظلم البادى فى العالم الإنسان على اليأس من تحقيق العدل، فهذا اليأس قد يؤدى به إلى سلوك مغاير للعدل. وينبغى على الإنسان بدلاً من ذلك أن يدرك أن كمية الشر مهما كثرت فإنها لن تستطيع أن تمحو الخير من الوجود مهما قلت كميته، وسيظل دائماً هناك من يسير فى طريق العدل والرشاد مهما كثرت ظلمات الشر والفساد. وينبه القرآن إلى ذلك بقوله:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(٧).

وهنا ربط بين اتباع الحق والعدل. فالذى يعدل لأنه يتبع الحق يكون فى وسعه فهم الآيات الإلهية التى يمتلىء بها الوجود وتمتلىء بها النفس الإنسانية:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٨).

ومن هنا يشير القرآن إلى أن الله قد بين الآيات لهؤلاء الذين تمتلىء قلوبهم باليقين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى﴾(٩)

وكما سبق أن أشرنا فإن العدل لا يتجزأ. وهذا ما يطالب به القرآن فى صراحة ووضوح.

---

(٦) حاشية ابن عابدين، ج٤ ص ٤٦٥، القاهرة ١٣٢٥هـ.

(٧) الأعراف: ١٨١.

(٨) فصلت (٥٣).

(٩) آل عمران (١١٨).

وتحدث الأستاذ الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية عن: المفتريات التى يروج لها البعض عن الإسلام، قال:

من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض الدوائر دأبت على محاولة النيل من الإسلام وتشويه صورته، وقد تركزت هذه المحاولات أساساً فى الغرب، وإن كانت قد ظهرت فى أماكن متفرقة أخرى. ويبدو أن السبب فى ظهور تلك الحملات واستمرارها عبر القرون يتخلص فيما يلى:

أولاً: إما التعصب والتحيز ضد كل ما هو مختلف عن الغرب أو ما هو غريب عن المجتمعات الغربية، وقد يكون هذا التعصب دينيا أو ثقافيا أو عنصريا، وربما كان انعكاساً للشعور باختلاف المصلحة بين الأمة الإسلامية والغرب، أو نابعا من افتراض غير مبرر بأن الحضارة الغربية متفوقة على الحضارة الإسلامية.

ثانيًا: وقد يرجع هذا الوضع لسبب آخر، وهو الفهم الخاطىء أو السطحى للإسلام والجهل بجوهره وتعاليمه، وعدم القدرة على فهم نصوص القرآن والأحاديث النبوية فهما صحيحا، وذلك لصعوبة اللغة العربية وعدم القدرة على ترجمة النصوص بدقة.

وقد يكون العنصر الثالث هو أن البعض يخلطون بين الإسلام وبين سلوك بعض من ينتسبون إلى هذا الدين فى حقبة معينة وتحت ظروف خاصة.

وأخيراً فقد يكون هذا راجعا إلى تقصير من المسلمين فى إعطاء فكرة صحيحة عن عقيدتهم، سواء من ناحية الطرح النظرى أو فى الواقع العملى الذى يعيشه الناس ويلمسونه.

ولكى نتعرف على أبعاد هذا التحدى الذى نواجهه يجب أن نستقرىء أو نستعرض معاً الصورة المنطبعة عن الإسلام والمضمون الذى

ينسب له زورا وبهتانا، إما من غير المسلمين - وهذا هو الغالب - وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق فى التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، أو ربما كانوا مدفوعين فى هذا بالهوى والغرض، والرغبة فى تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى ولو سلكوا فى هذا سبيلا يترتب عليه النيل من الإسلام والتشهير به وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

ما هى عناصر تلك الصورة التى يروّج لها البعض عن الإسلام

أولاً: أنه دين يقوم على التعصب وعدم التسامح ويرفض الاعتراف بغيره، ويقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين يُصَنَّفون كأعداء لا يمكن قبولهم والتعايش معهم.

ومن الأُطروحات التى تقدم فى هذا الصدد أن الإسلام يقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، أو دار الإيمان ودار الكفر، أو إلى إسلام وجاهلية.

ثانيًا: أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضى ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة فى صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أى رغبة فى تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة بما يحققه المجتمع الإنسانى من تقدم وتحديث (حداثة modernism)، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور.

ثالثًا: أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة، وهو ما يؤدى إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التى نحت نحوه، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص فى موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ويقول بعض الشراح فى الغرب أن الحكام المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب، وبذلك يتخلصون من مسئولياتهم أمام الشعب وممثليه.

رابعًا: أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة، بل يعاملها كما لو كانت فى نصف مرتبة الرجل، وهو ما يتبدّى

من أحكام الإسلام المتعلقة بالميراث أو الشهادة:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(١).

رجلان أو رجل وأمرأتان

ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقبع ببيتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خامسًا: أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد فى الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادسًا: أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة فى التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا: قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية:

- القتل.
- والصلب.
- والرجم.
- قطع اليد.
- قطع الأيدى والأرجل من خلاف.

سابعًا: أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص فى القرآن أو السنة الشريفة.

ثامنًا: أنه دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلاً من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار.

تاسعًا: أنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين.

وهكذا نجد كثيرا من المفكرين والمسئولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى». ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعا عن النفس أو سعيا لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقا من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصرة الأمة الإسلامية.

مثال حديث: أسامة بن لادن والمبررات التى ساقها لتفسير عدائه للغرب وخاصة الولايات

(١) النساء: (١١).

المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين.

عاشراً: غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية».

حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متسمة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية.

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة.

ثالث عشر: أنه نظرا لصرامة وجسارة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيرا ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هُوّة سحيقة بين القول والعمل، والمظهر والمخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصا زائدا على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوسا غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين.

وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبًا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - هو خاتم الرسالات -هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.

صــوت من أمريكــا

وتحدث الدكتور/ حسان حتحوت من المركز الإسلامى لجنوب كاليفورنيا لوس أنجيلوس. فقال:

لم تكن مهمةُ الرسول ﷺ أن يُدخلَ الناس الإسلام ولكن أن يبلغه لهم"

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾(١).

ولم يَقْصُرْ اللّه - سبحانه وتعالى - هذه المهمة على النبى وحده بل كذلك على من تبعهُ فى حياته أو بعدها..

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(٢).

ولا يحتاج الإسلام فوقَ البلاغ لمن يقهرُ الناسَ على اعتناقه أو يتخذ من ظروفهم البيئية ضاغطا استراتيجيا لقبوله: يكفى أن تعرضه للناس بصدق وتقول هذا هو الإسلام «فتكون أديت وأعذرت، فمن يرد اللّه أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام.

ويكونُ بيانُ.. هذا هو الإســلام «أوجبَ فى الظروف التى تتعرض فيها صورته للتشويه من قِبلِ عدوٍ ماكر أو صديق قاصر.. كما هو الحال بعد أحداث سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة، على ساحة العالم كلّه، لكن بشكل مركز على الجبهة الأمريكية، وهو ما ارتأيت أن أشارككم فيه مؤتمركم هذا، الذى يتجه خطابُه ولا شك إلى المسلمين وغير المسلمين عربا وغير عرب،

(١) المائدة (٩٩).

(٢) يوسف (١٠٨).

مترجماً إلى ألسنة أخرى أولها الإنجليزى، ومن أولى من الأزهر بأن يتحدث عن الإسلام وباسم الإسلام والوفاء بواجبات الريادة والزعامة فى مشارق الأرض ومغاربها؟ أصاب الناسَ الفزع الأكبرُ عند وقوع الأحداث.. لا لأن ذلك جديد على العالم فالعالم مليء بالتخريب والتهديد وتقتيل الأبرياء، ولكن لأنه كان جديدا على أمريكا التى استقرت لها القوة والمَنعةَ والشعبُ الأمريكى يحيا داخل حدوده ماديا ومعنويا لدرجة كبيرة فإحساسه بباقى العالم إحساس باهت.

صُدمَ الشعب الأمريكى كله والمسلمون الأمريكانُ جزء منه وليسوا أجانب كما يحلو للكثيرين أن يتصوروهم. كان الشعب الأمريكى فى عنان واحد من الارتياع والألم لما أصاب البلاد والعباد.. لكن الشعب الأمريكى يمتاز بين شعوب العالم المعاصر بأنه ليس وحدة متجانسة، فهو - فيما عدا الهنودَ الحمرَ سكانَ البلاد الأصليين - كتلة جاءت من المهاجر تنتظم أعراقا وأجناسا وألوانا متفرقة، ثم استطاعت أن تنصب الموازين التى أفضت بها إلى أمة واحدة ذات كيان وثقافة وشخصية متميزة، ولكن دون أن تضيقَ باختلاف الخصائص والمنطلقات والأمزجةَ.. ولهذا أسفَرت حوادث سبتمبر عن اتضاح جبهات ذات معالم، أحبُّ أن أوجز لكم عنها، وما دمنا نحمل الأزهر مسئوليته العالمية فلابد أن نعينه على دراسة خريطة العالم وتضاريسها، خاصة أمريكا، فإنى لأحسب أن فى العالم الآن مضغة إن صلحت صلح وإن فسدت فسد، ألا وهى أمريكا.

د. حتحوت

وأبدأ بما لابد أنه أثار جزعكم ولهفَتكم وهو الحوادث التى تعرض لها المسلمون - بل أشباهُ المسلمين شكلا كالسيخ الهنود والمسيحيين من الشرق الأوسط، والتهديداتُ والعدوان على الأفراد أو المساجد. هى حوادث مؤسفة ولا شك ولكنها وإن كثُرَتْ لا تخرُجُ عن ظاهرة الحوادث الفردية، يرتكبها الأغرار والأشقياء والطائشون. ومن العادية فى نشرات الأخبار أن تلميذا يفتح النار على زملائه أو يقتل أستاذه أو يعدُّ لنسف مدرسته.. وقد خفتت خاصة بعد أن جرَّم القانون حتى إيذاءَ مشاعر المسلمين فيما يسمى جريمة الكراهية. ثم أثنى بالحديث عن الشعب الأمريكى فى مُجمله وفى قطاعاته العريضة. وأشهد أن فيه كثيرا من النبل ومن المحبة. من أول عرض الجيران على جيرانهم المسلمين أن يتسوقوا لهم إن تحرجوا من الخروج، وانهالت رسائل التضامن والتلاحم، وحذروا الحكومة أن تعيد مع المسلمين غلطتها مع اليابانيين الأمريكان عندما اعتقلتهم فى حربها مع اليابان مما اضطرها فيما بعدُ إلى الاعتذار ودفع التعويضات. وذاتَ يوم غزير المطر كنت أخطب الجمعةَ فى مسجدنا فإذا مظاهرة مسيحية كبيرة

ترفع لافتات بأننا جئنا لحماية المركز الإسلامى والوقوف بجانب إخواننا المسلمين والمسلمات، ورفضوا الدخول لاتقاء المطر رغم أن بينهم عجوزا على مقعد متحرك.. ولما تحرش أشقياء ببعض المسلمات المحجبات قامت مظاهرة نسائية مسيحية كلهُن يرتدين الحجاب.

هذا فيض من غمر.. أما على صعيد الجاليات الدينية فلم يسبق لنا أن تلقينا هذا العدد من الدعوات للمحاضرة عن الإسلام فى كنائس النصارى بل وبعض معابد اليهود.. وقد أثمرت سياسة الحوار مع أهل الأديان الأخرى خيرا كثيرا فى هذه الظروف، مع أننا حين بدأنا منذ خمس عشرة سنة، اتهمنا بعض إخواننا المسلمين بالمروق بل بالكفر. وما ذهبنا إلى تجمع دينى أو جامعى أو ثقافى إلا وأعجب القومُ بالإسلام وقالوا لم نكن نعرف!

ولنا فى الإعلام المكتوب والمسموع والمرئى انتصارات هى من فضل اللّه، ولكنه صندوق مفاتيحه بأيدى غيرنا ولعلها تستحق الدراسة الجادة من قِبل المسلمين.

والآن أقلب الصفحة إلى منظرٍ مختلف تماما.. الصهيونية واليمين المسيحى المتطرف والمتطرف خاصة والعياذ باللّه، حيث يؤذى الصهيونية ويهودها أن ينكسرَ احتكارها للأذن الأمريكية والعقل الأمريكى وظهور مسلمين يُحسنون الفهم والعرض والشرح، عمل إرهابى بالنسبة لهم، وتعرُّف المسلمين أخيرا طريقهم إلى صناديق الانتخابات ينذرهم بالويل والثبور بعد أن ظهر أن الانتخابات قد تحسمها الأعدادُ القليلة.. لقد كان رأسمالهم دائما إقناعَ الأمريكان أن المسلمين همج متوحشون لا ينبغى أن يكون لهم إلا نصيب الهمج والمتوحشين. فما الحيلة وهناك ملايينُ من الأمريكان المسلمين لا يبدون همجا ولا متوحشين واليمين المسيحى الصهيونى حلف معهم وهجومهم لا هوادة فيه وعلى كافة الأصعدة على المسلمين ونبى المسلمين وقرآن المسلمين وإله المسلمين. أسمعتم عن تصريح وزير العدل بأن إله المسلمين يريدك أن ترسل ابنك ليموت من أجله بينما إله المسيحية يرسل ابنه هو ليموت من أجلك! وسمعتم عن الاستشهادات الناقصة والملتوية والمنزوعة من سياقها من القرآن الكريم للزعم بأن الإسلام دين عنيف! وفى الأخير وكأنما تملكتهم الغيرة على الدين فتحوا جبهة الجدل عن الألغام البشرية بين شباب الانتفاضة فى فلسطين، وهل هى انتحار مقيت أو استشهاد حميد، وهو موضوع اختلفت فيه الآراء بين المسلمين وغير المسلمين، ولعلهم يريدون به إحراج خطيب مسلم فى ظروف تكتنفها الحساسية والتربص، ونقول لهم إن السؤال أكاديمى ليس له مردود عملى فسواء أمدحت هؤلاء الشباب أم قدحتهم فإن الحقيقة العلمية هى الجديرة بالاعتبار، وهى التى تقول إن من غير الطبيعى أن يتصرف الناس تصرفات

طبيعية فى ظروف غير طبيعية وأن العلاج ليس المدح أو القدح ولكن أن نهيىء للناس الظروف الطبيعية.

بل نقول لهم بكل وسائل الاتصال والإبلاغ المتاحة: إن الحاجة ماسة لا إلى رجل السياسة بل إلى رجل الدولة، الذى يستطيع أن يدرك المنعطف التاريخى الخطير الذى يشهده العالم وهو استنبات سلالة بشرية استبد بها القهر وهى كذلك لا تهاب الموت، ورأيناها تجاوز الشبان الفلسطينيين إلى الشابات، فإن استمرت فستصل إلى الكهول، فإن استمرت فستتجاوز حدود فلسطين، وآنذاك لن تستطيع قوة عسكرية أو تشريعات قانونية أو أحلاف دولية أن تصادرها، فالبدار البدار إلى حل منصف لقضية فلسطين لأن التأخير قد يكون باهظ الثمن.

وأخيرا وليس آخرا نتحدث عن المسلمين. ويسألنا إخوتنا فى بلاد المسلمين كيف يمكن تحسين صورة الإسلام بالغرب، فالحق أن صورة الإسلام بالغرب تصنعها صورته فى الشرق إلى حد كبير، التى لا تخلو مما ينبغى أن نواجهه بأمانة ونعمل على إصلاحه. كذلك تأخذ العاطفة بتلابيبنا أحيانا فنتجه إلى ما لا يثبت أمام الفكر الواعى والتمحيص الهادىء فى ظل الشريعة التى تعتبر ظروف الزمان والمكان والإمكان، فى الوقت الذى نعزف فيه خطوات عملية هادئة ولكن مؤثرة إن حافظنا فيها على الالتزام والنفس الطويل. ولقد أدركنا أيضا أن حماس المسلمين لدينهم يتجاوز كثيرا معرفتهم بهذا الدين وأخلاقه وأحكامه، والمسلم الجاهل المتعالم أضر بالإسلام من العدو المحترف.

ثم ائذنوا لى حضراتكم أن أصارحكم أننى وقد بلغت سبعيناتى المتقدمة خلصت إلى أن أزمة المسلمين الكبرى هى أزمة الحب. ولا أفصل ففى فطنتكم غُنية، بل كنت مرة أحاضر فى أمريكا ولاحظت غياب الحب بين المسلمين على مستويات شتى، وانبرى لى بعدها شاب من إياهم يقول: إن الحب كان لأجل هوليوود ونحن هنا لأجل الإسلام يا دكتور حتحوت! نموذج لعقلية شرط الإسلام عندها أن تكره. وصدعته بقول النبى ﷺ، (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا).

ثم لا تحسبوا يا سادتى الكرام أن حديثى هذا إليكم دردشة ضيف أو أسمار غريب، فالحق أننى فى قرارة نفسى أحس أن كل كلماتى هذه هى حديث عن الأزهر، فأبعاد رسالته هى العالم، ومداها هو التاريخ، وهو الجدير بأن يتجمع من حوله ومن ورائه المسلمون يصوغ منهم أمة الإسلام الحق ويجدون فيه زعامتهم المنشودة التى تتكلم فينصت هذا العالم.

أما فى أمريكا بعد أن يرسب التراب ويهدأ الغبار سيستبين الناس أن الله قد غرس للإسلام شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،

وقال سماحة الشيخ/ يوسف جمعة سلامة القائم بأعمال وزير الأوقاف والشئون الدينية، بدولة فلسطين خطيب المسجد الأقصى المبارك عن: الإسلام دين العدالة والرحمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف - حفظه الله - رئيس مجمع البحوث الإسلامية - رئيس المؤتمر.

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة، أيها الأخوة الأكارم.

أحييكم تحية من عند الله مباركة طيبة، تحية من المسجد الأقصى المبارك الذى بارك الله حوله، تحية من أرض فلسطين، أرض الأنبياء، أرض البطولات، أرض الشهداء، وبهذه المناسبة فإننى أنقل إليكم تحيات أشقائكم المرابطين فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الذين يتعرضون للحصار والقتل والتشريد، كما أنقل إليكم تحيات أخيكم الرئيس/ ياسر عرفات المحاصر فى مقره برام الله معلنين أننا شعب واحد، وجزء من أمة واحدة، مثمنين مواقفكم الداعمة للشعب الفلسطينى المرابط، ووقفتكم المشرفة معه حيث كان لهذه الوقفة الكريمة عظيمُ الأثر فى صمود شعبنا المرابط فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

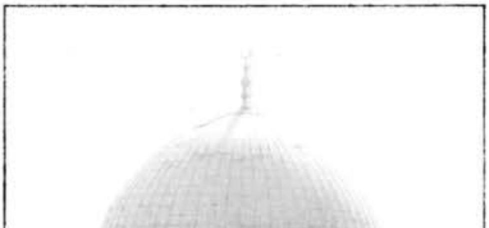

إنه لشرف لى أن أحضر هذا المؤتمر العتيد الذى يعقد فى أرض الكنانة بعنوان «هذا هو الإسلام» للرد على محاولات تشويه الإسلام، والعمل على إظهار سماحة الإسلام وعدالته، والوجه المشرق لهذه الرسالة السماوية العظيمة حيث سيتولى العلماء الأجلاء، والأساتذة الأفاضل الحديث عن ذلك من خلال بعض الموضوعات المطروحة وسأتحدث - إن شاء الله - حول موضوع [الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة].

ولأهميـة العدل فى الإسلام وردت مادة (العدل) فى القرآن (٢٨) مرة، ووردت كلمة القسط المرادفة لها (٢٥) مرة.

وللحث على العدل قال الله - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١)

وقال تعالى:

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

والإقساط هو العدل، والمقسطون هم العادلون، وقد أمر الله بالعدل فى الأحكام كما أمر به فى الأقوال، يقول تعالى:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾(٣).

وقا ل تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(٤).

كما ورد فى سنة الرسول ﷺ كثير من الأحاديث تحث على العدل وتشجع عليه وتدعو إليه، يقول رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا»(٥).

وكانت البشرية قبل بزوغ فجر الإسلام تعرف العدوان أكثر مما تعرف الحق، وتحترم القوة أكثر مما تحترم الحرمة، والإنسانية فى ظلمات بعضها فوق بعض، يفتك القوى بالضعيف، ويأكل القادر حقوق العاجز، ومع ذلك عرف العرب فى جاهليتهم حلف الفضول..(٦) (أن ينصروا المظلوم ويقفوا معه حتى يأخذ حقه من الظالم، وذلك الحلف الذى قال فيه الرسول ﷺ لو دعيت إليه فى الإسلام لأجبته)(٧).

وجاءت رسالة الإسلام، رسالة العدل والمساواة، حيث أشرقت الأرض بنور ربها وارتفعت كلمات رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا)(٨).

ومن قبل ذلك كله كان المثل الرائع على عهد النبوة لتطبيق العدل دون أن يميل مع القربى، أو يحيف مع الشنآن، ونضرب لذلك مثالين:

أولاً: عندما جاء أسامة بن زيد يشفع لمخزومية سرقت.. فكانت كلمات رسول الله ﷺ نوراً يهدى من بعده: (إنما أهلك الذين من قبلك أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد،

(١) سورة النحل، الآية (٩٠).

(٢) سورة الحجرات، الآية (٩).

(٣) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٢).

(٥) أخرجه مسلم.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص١٣٣.

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه.

(٨) أخرجه مسلم فى صحيحه.

والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[9].

ثانيًا: كان ذلك عندما تواطأ بعض المنافقين على اتهام يهودى ظلماً بسرقة وقعت بالمدينة من رجل من المنافقين يقال له «طعمة بن أبيرق»، فنزلت الآيات من السماء تنتصف لليهودى وتتهم أولئك المتآمرين -وهم جيرانه وأقاربه- بالخيانة، وذلك ما نزل من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[10].

وسار الصحابة على هدى نبيهم محمد ﷺ فى ذلك:

* فكان عدل عمر فيما يفعله مع الأمير الغسانى الذى لطم مسلماً فهشم أنفه حيث قال عمر: إما أن ترضيه وإلا أقدته منك، قال جبلة: تُقيده منى وأنا ملك وهو سوقة، قال عمر: إن الإسلام سوى بينكما، قال جبلة: إنى رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية فردد عمر ما قاله، قال جبلة إذن أتنصَّر، فقال عمر إذن أضرب عنقك...[11].

* وكان عدل على إذ وقف أمام عمر مع يهودى فلما كناه عمر غضب على، وكانت كتابة عمر إلى قاضيه يعلمه العدل بين الناس والمساواة بينهم.

فضيلة شيخ الأزهر /

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة /

أيها الأخوة الأكارم /

لقد أنعم الله - سبحانه وتعالى - على البشرية جمعاء برسالة سيدنا محمد ﷺ هذه الرسالة التى ختم الله بها الرسالات، وجاءت كاملة شاملة:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[12].

هذه الرسالة السماوية نزلت على سيدنا محمد ﷺ فى بطحاء مكة وفى خلال فترة وجيزة وبفضل الله وعونه، وإذ بهذه الرسالة تنتشر انتشاراً سريعاً فى أرجاء المعمورة.

هناك من يقول: إن الإسلام انتشر بالسيف.

هذا قول خاطىء فالإسلام لم ينتشر بالسيف، ولا بالقوة، ولا بالعنف، لأنه لو انتشر الإسلام بالسيف لزال الإسلام يوم أن زال السيف.

---

(٩) متفق عليه.

(١٠) سورة النساء الآيات (١٠٥ : ١٠٧).

(١١) القصة واردة فى كتاب التاريخ، وسيرة عمر رضى الله عنه.

(١٢) سورة المائدة الآية (٣).

فهذه بريطانيا كانت الشمس لا تغيب عن ملكها بفعل السيف، فلما زال السيف زالت لكن سيف الإسلام -على حد قول هؤلاء- زال، ولكن بفضل الله ورحمته نرى وجوهاً جديدة تدخل كل يوم فى دين الله أفواجا.

إن الإسلام قد انتشر بالأخلاق، وبالقدوة الصالحة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، هذا ما تحلى به التجار المسلمون يوم طافوا البلاد بأخلاقهم الكريمة وصفاتهم الطيبة، فدخل الناس فى دين الله أفواجا.

إن الحرية الدينية شيء شرعه وابتكره ديننا الإسلامى الحنيف..

إن صيحة:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١٣).

هذه الصيحة لم تعرف إلا فى كتابنا العظيم، وإن صيحة:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(١٤)، هذه الصيحة لم تعرف إطلاقاً فى ملة أخرى.

كانت أوروبا قبل القرآن وبعده، وكان العالم كله يعيش فى برك من الدم، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾(١٥)

عندما نتصفح كتب التاريخ فإننا نجد صفحات مشرقة عن التسامح الإسلامى، مع أهل الديانات الأخرى، وعن الأسلوب الطيب فى احترام الآخرين.

إننا نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- يرفض أن يصلى فى الكنيسة التى عرض عليه أسقف بيت المقدس أن يصلى فيها لماذا؟ حرصاً من عمر على بقاء الكنيسة لأصحابها، فقد قال للأسقف: لو صليت هنا لوثب المسلمون على المكان وقالوا: هنا صلى عمر وجعلوه مسجداً!!

كما نلاحظ المعاملة الطيبة من المسلمين تجاه أهل الكتاب وهذا ما دفع الكثير من أهل الكتاب للدخول فى هذا الدين الجديد لأنهم وجدوا فيه ضالتهم من السماحة واليسر والمحبة والأخوة.

فهذا رسول الله ﷺ وقد مرت عليه جنازة يهودى فقام النبى ﷺ لها، فقيل له: إنها جنازة يهودى فقال: «أليست نفساً»(١٦).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرى شيخاً متوكئاً على عصاه وهو يسأل الناس، فسأل عنه فقيل إنه كتابى، وفى رواية -نصرانى- فقال: «خذوا هذا وضرباءه

(١٣) سورة يونس الآية (٤١).

(١٤) سورة الكافرون الآية (٦).

(١٥) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(١٦) أخرجه الإمام البخارى.

إلى بيت المال فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وتركناه عند شيبه»[17].

وروى أن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- ذبحت فى بيته شاة فقال: أهديتم لجارنا اليهودى منها، قالوا: لا، قال: أهدوا إليه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[18].

إن صيحة:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[19].

تظهر عظمة هذا الدين، تظهر مدى مخاطبته للعقول لتختار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، طريق الخير وطريق الشر، طريق الحق وطريق الباطل.

فالإسلام لم يفرض على النصرانى أن يترك نصرانيته، أو على اليهودى أن يترك يهوديته، بل طالب كليهما -مادام يؤثر دينه القديم- أن يدع الإسلام وشأنه، يعتنقه من يعتنقه، دون تهجم مر، أو جدل سيء.

إن التسامح الذى عامل به الإسلام غيره، لم يعرف له نظير فى القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام، وفى مجتمع يضم أناساً مختلفى الدين، قد يثور نقاش بين هؤلاء وأولئك من الأتباع المتحمسين، وهنا نرى تعاليم الإسلام صريحة فى التزام الأدب والهدوء:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[20]

فالأخوة الإنسانية هى الأساس الذى تقوم عليه علاقات الناس حيث إن القرآن الكريم وضع دستوراً للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أيا كانت ديانتهم كما فى قوله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[20].

والعهدة العمرية التى أرسى قواعدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- مع بطريرك الروم صفرونيوس فى السنة الخامسة عشر للهجرة تمثل لوحة فنية فى التسامح الإسلامى الذى لا نظير له فى التاريخ، التسامح بين المسلمين والمسيحيين فى فلسطين الحبيبة، هذه العلاقة الطيبة التى مازالت وستبقى - إن شاء الله - ونلاحظها أيضاً فى بلاد عديدة كأرض الكنانة وغيرها.

---

(١٧) كتاب الخراج لأبى يوسف.

(١٨) أخرجه الإمام البخارى.

(١٩) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢٠) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

(٢١) سورة الممتحنة الآيات (٨ - ٩).

والمؤسف أن جهل شريحة واسعة من أهل الغرب المسيحى بحقيقة الدين الإسلامى، جعل أفراد هذه الشريحة يعادون المسلمين، ويكونون أكثر قرباً من اليهود الذين يكنون عداءً تاريخياً لكل من المسيحيين والمسلمين على حد سواء، فى حين أن الإسلام يميز تماماً بين اليهود والمسيحيين، فيعتبر «اليهود والذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا»، فى حين يصف القرآن الكريم النصارى بالقول:

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢٢).

واليهود يصفون السيدة مريم العذراء – عليها السلام – بأوصاف سيئة فى حين أن القرآن الكريم يصفها بأجمل وأطهر العبارات فى مواضع عديدة ويعتبرها أفضل نساء العالمين قاطبة فى عصرها، حيث يقول الله – عز وجل – فى محكم آياته:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢٣).

والملاحظ هنا أن كلمة «اصطفاك» تكررت مرتين فى الآية الكريمة، وهذا ما يحتم على المسلم المؤمن أن يضع السيدة مريم العذراء – عليها السلام – فى المرتبة المقدسة التى تستحقها.

وفيما يصر اليهود على الإساءة للسيد المسيح – عليه السلام – ويصفونه حاشاه –بأقذع الأوصاف، فإن القرآن الكريم يعترف له بالنبوة وبمعجزة التكلم فى المهد حيث يقول تعالى:

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾(٢٤).

ويقول تعالى فى نفس السورة:

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(٢٥).

وبالإضافة إلى ذلك أقول: إنه فى أول عهد الإسلام قبل الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة جرت معركة طاحنة بين الروم المسيحيين والفرس المجوس، كان النصر فيها للمجوس المشركين.

وفرح المشركون فى مكة بذلك النصر وشمتوا بالروم، فيما ابتأس المسلمون بسبب هزيمة المسيحيين من أهل الكتاب.

---

(٢٢) سورة المائدة الآية (٨٢).

(٢٣) سورة آل عمران الآية (٤٢).

(٢٤) سورة مريم الآيات (٢٤: ٢٦).

(٢٥) سورة مريم الآيات (٣٠: ٣٤).

ولما نزلت الآيات الكريمة التى تقول :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢٦)

فقد ابتهج المسلمون بهذا النصر .

فضيلة شيخ الأزهر /

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة /

أيها الأخوة الأكارم /

وها هو الشعب الفلسطينى مسلمين ومسيحيين يقف اليوم فى خندق واحد، حيث إن الإرهاب الإسرائيلى لا يفرق بين مسيحى ومسلم، وأن قنابل الاحتلال وطائراته موجهة ضد المسلمين والمسيحيين معا فكما تضرب القدس والخليل، فهى تضرب بيت لحم، وكما تعتدى على رام الله والبيرة وجنين، فهى تعتدى على بيت ساحور، وكما تهاجم طولكرم ورفح وجباليا، فهى تهاجم بيت جالا .

إن الهجمة الشرسة التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى فى هذه الأيام قد يتمت الأطفال، ورملت النساء، ودمرت البيوت والمصانع والمؤسسات، وجرفت المزارع والبيارات، وهاجمت مقرات السلطة الوطنية الفلسطينية حيث إن قوات الاحتلال تتبع سياسة الأرض المحروقة التى لا تبقى ولا تذر، حيث وصلت هذه الاعتداءات إلى المقدسات الإسلامية والمسيحية، حيث منعت المسلمين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه، وإغلاق المسجد الإبراهيمى فى الخليل أمام المصلين، وقصف العديد من المساجد فى نابلس، وجنين، وطولكرم، والخليل، وبيت لحم، ورفح، وغزة، وخان يونس، وجباليا وغيرها من المحافظات، كما امتدت هذه الاعتداءات إلى كنيسة القيامة حيث منعت سلطات الاحتلال المسيحيين من الاحتفال بأعيادهم، كما أنها تحاصر كنيسة المهد فى بيت لحم، وتقتل وتعتدى على العلماء المسلمين، ورجال الدين المسيحى .

ومع ذلك فإن القيادة الفلسطينية تسير على خطى العهدة العمرية، وتتمسك بها، وتسير على هديها حيث إنها تعمل جاهدة على تشكيل وفد إسلامى مسيحى مشترك لتظهر للعالم العلاقة الوثيقة بين أفراد الشعب الواحد . إن الأوضاع الراهنة فى فلسطين خطيرة جداً، ونحن بحاجة إلى دعم الأشقاء فى الأمتين العربية والإسلامية ليبقى هذا الشعب المرابط متمسكاً بحقوقه، مرابطاً على أرضه، مدافعاً عن عقيدته .

(٢٦) سورة الروم الآيات (١- ٦).

إننى أنتهز هذه المناسبة ومن خلال علماء الأمة أن أنقل أصدق آيات الشكر والتقدير من الشعب الفلسطينى المرابط ومن القيادة الفلسطينية وعلى رأسها الأخ الرئيس / ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين إلى الشعوب العربية والإسلامية على وقفتها المشرفة مع أشقائهم فى فلسطين، هذه الوقفة وهذه التبرعات الكريمة التى تبين بأننا أخوة فى السراء والضراء، وأننا أمة واحدة هى الأمة العربية والإسلامية وأننا ننتظر مستقبلاً زاهراً بإذن الله، وإن شاء الله سنصلى معاً وسوياً فى المسجد الأقصى المبارك وقد تحرر من أيدى المحتلين :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾[27]

كلنا ثقة بالله، بأن الليل مهما طال فلابد من بزوغ الفجر، فما بعد العسر إلا اليسر، وما بعد الضيق إلا الفرج، وإن الفرج آت بإذن الله، رغم المشككين، رغم الحاقدين، رغم أعداء الإسلام كلهم، وكما قال الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان لهم ركابا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٢٧) سورة الإسراء الآية (٥١).

كلمات متفرقة

● الشيخ تيسير التميمي «قاضى قضاة فلسطين» :

إن ما يحدث اليوم للأمة الإسلامية يستوجب على العلماء القيام بدورهم القيادى حتى تعود للأمة العزة والكرامة أمام العدوان الإسرائيلى المدعوم بلا حدود من أمريكا، خاصة وأن المسلمين يتعرضون لحرب اصطنعها أعداء الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، بدعوى تهم باطلة ألصقها الغرب بالإسلام من أجل الهيمنة على مقدرات الأمة الإسلامية.

ومن يستعرض كل ما أقرته المواثيق الدولية بشأن حقوق الإنسان سيتأكد أنها شعارات ليس لها واقعية فى التطبيق، وإنما تطبيق فقط لفرض الهيمنة الاستعمارية على العرب والمسلمين لصالح أمريكا، ومن ورائها إسرائيل، فأمريكا تكيل بمكيالين، فتعتدى على الدول باسم محاربة الإرهاب وتسمى الكفاح المشروع إرهابا فى مواجهة مجازر بشعة لم يسبق لها الحدوث على مر التاريخ، فالاحتلال الإسرائيلى دفن مئات الشهداء فى مقابر جماعية أمام مرأى العالم، ولذلك فإن ما يحدث فى فلسطين وصمة عار فى جبين المجتمع الدولى كله.

وهناك منظمات دولية وعلى رأسها الصليب الأحمر رفضت تقديم مساعدات للشعب الفلسطينى فى جنين، مع أن لها فروعا فى فلسطين، بادعاء عدم استطاعتهم الوصول للفلسطينيين بسبب الجنود الإسرائيليين، ويأتى ذلك فى الوقت الذى تتعرض فيه فلسطين لحرب إبادة فى ظل صمت دولى، لأنه حين يتعلق الأمر بالعرب والمسلمين تتجمد المواثيق والمعاهدات الدولية.

إننا إذا عقدنا مقارنة بين حقوق الإنسان فى الإسلام وبين ما يحدث فى فلسطين سنجد نقيضين على طول العمر، فالإسلام نهى عن قتل الأطفال والنساء، بينما نجد أن نصف قتلى الفلسطينيين على يد إسرائيل من النساء والأطفال، كما أن الإسلام أمر بعدم قتل العزل والجرحى، ومعاملة الأسرى بكل رعاية، كما أمر برعاية المقدسات بينما نجد إسرائيل تقتل العزل وتمنع وصول المساعدات الطبية للإجهاز على الجرحى وتعزل الأسرى، وتنكل بهم، وتعتدى على المقدسات، بل وتحولها إلى ملهى كما حدث فى يافا.

● الأستاذ الدكتور محمد سعيد البوطى «سوريا»:

إن الإسلام ليس به إرهاب، والغرب يعرف ذلك، ويعرف أنه دين العدالة الذى بنى أعظم حضارة استفاد منها الغربيون، المشكلة لا تكمن فى أن هناك شيئا يجهله الغرب، ومن ثم فليس هناك داع أن نكرر الحديث عن صفات الإسلام، لأن المشكلة هى أن هناك خطة صهيونية تتكون من أمرين، الأول: إفشال المشروع «الأورو أسيوى» الذى يهدف إلى إيجاد تقارب بين أوروبا وآسيا، من خلال شبكة من الخطوط البرية السريعة، لأن هذا لو حدث سيمثل قوة اقتصادية هائلة ومتحررة من الشبكة الصهيونية، وأما الأمر الثانى، فهو القضاء على هذا المشروع أو أى مشروع متحرر من القبضة الصهيونية.

هناك خطوات لابد منها لنصرة الفلسطينيين، أولها مقاطعة إسرائيل وأمريكا وقطع دابر البذخ والترف من حياتنا اليومية وتوجيهه للفلسطينيين والدعاء لهم بالاستمرار.

المشير/ سوار الذهب

● المشير عبدالرحمن سوار الذهب «الرئيس الأسبق لجمهورية السودان»:

إننا نعيش الآن وضعا متأزما يملؤنا بالإحباط، خاصة وأننا نرى أمما أخرى مثل البرلمان الأوروبى، يعاقب إسرائيل بعقوبات اقتصادية، فى حين لم يتحرك العالم العربى والإسلامى، على الأقل بنفس تلك الخطوات، ولهذا ندعو إلى أن تتوحد الأمة العربية، ولا نقصد بذلك الجيوش، وإنما الموقف والكلمة والعمل.

● الأستاذ الدكتور/ عبدالمحسن بن عبدالله التركى «أمين عام رابطة العالم الإسلامى»: إننا فى أزمة يتعرض فيها الإسلام إلى هجمة شرسة، وهذا يتطلب عدم الاكتفاء بتوجيه الخطاب للمسلمين فقط، بل للأمم الأخرى لتوضيح أن الإسلام هو رسالة إلهية ختم الله بها الرسالات، وهو دين العدل والرحمة، حتى مع غير المسلمين، فخطاب الأمة الإسلامية فى داخلها أمر ضرورى لإصلاح وحل كل المشكلات، لأنه كلما بعد المسلمون عن رسالتهم ظهرت الانحرافات.

إن الهجوم اليوم على الإسلام ليس أمرا جديدا، وإن التحديات التى ظهرت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م يمكن معالجتها من خلال تشخيص واقع الأمة الإسلامية من خلال رؤية واقعية، والعمل على إصلاح الواقع الداخلى لها، والتعاون بين المسئولين والعلماء، وتنشيط المراكز والجمعيات الإسلامية وفق منهج الوسطية الإسلامى.

● الشيخ محمد كمال الدين جعيط «مفتى تونس»:

إن الأحداث الجسام التى يمر بها عالمنا اليوم أدت إلى قيام تكتل واسع بزعامة الولايات المتحدة، غايته محاربة الإرهاب، وفى نفس الوقت توجهت أصابع الاتهام بغير دليل إلى المسلمين عامة، وزادت الدعوة إلى محاربة الإسلام، كما تم ترويج مفاهيم خاطئة ألصقت بهذا الدين، لذلك أصبح لزاما على العلماء أن يتصدوا لهذه الشبهات.

● المستشار على عبدالرحمن آل هاشم «مستشار الشئون القضائية والدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة»: إن السلام فى تعاليم الإسلام ضرورة من ضرورات الحياة الحرة الكريمة بين أجناس البشر، وفى الوقت نفسه، فالإسلام يمقت البغى ويحارب العنف ولقد دعا الله - تعالى - رسوله ﷺ إلى إيثار السلام، ثم كفل له النصر والتأييد إذا فكر أحد فى خصومته.

إن الله بعث المسيح عيسى بن مريم بالرحمة، وجعل فى قلوب أتباعه الرأفة، ومن ثم فإن من يوقدون نار الفتنة والحروب متسترين وراء الصليب فى زحف صليبى عارم لغزو الشرق ونهب ثرواته وهؤلاء ليسوا من أتباع عيسى - عليه السلام - بل هم مدعون كاذبون.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى – :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

البقرة: ٢٣٤

وقوله: ﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ ـ بالبناء للمجهول ـ أى تقبض أرواحهم فإن التوفى هو القبض.

يقال: توفيت مالى من فلان واستوفيته منه أى قبضته وأخذته. قال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾(١) أى يقبض الأنفس ويأخذها إليه بالموت حين انتهاء آجالها.

والمعنى: والذين يتوفاهم الله ـ تعالى ـ منكم ـ أيها المسلمون ـ ويتركون من خلفهم أزواجا. فعلى هؤلاء الأزواج اللائى ارتبطن برجالهم ارتباطا قويا متينا ثم فرق الموت بينهم وبينهن، عليهن أن

(١) سورة الزمر: (٤٢).

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ .

أى : عليهن أن ينتظرن انقضاء عدتهن فيحبسن أنفسهن عن الزواج وعن التزين وعن التعرض للخطاب مدة أربعة أشهر وعشر ليال، وفاء لحق الزوج المتوفى، واستبراء للرحم.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه : هذا أمر من الله ـ تعالى ـ للنساء اللاتى يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال. وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بالإجماع، ومستند هذا الإجماع فى غير المدخول بها عموم الآية الكريمة، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فقال : أقول فيها برأيى فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمنى ومن الشيطان. والله ـ تعالى ـ ورسوله بريئان منه : لها الصداق كاملا.

وفى لفظ : لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن يسار فقال : سمعت رسول الله ﷺ قضى به فى بروع بنت واشق. ففرح عبدالله بذلك فرحا شديدا. ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهى حامل فإن عدتها بوضع الحمل لعموم قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢)

وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشرة أيام للجمع بين الآيتين »(٣).

وقوله :

﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ اسم موصول مبتدأ.

و ﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ صلته، و ﴿ مِنكُمْ ﴾ فى موضع النصب على الحال من الواو فى :

﴿ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ و ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ وما بعده خبر عن الذين والرابط محذوف والتقدير : يتربصن بعدهم أربعة أشهر وعشرا.

والتعبير بقوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ تعبير دقيق حكيم أى : عليهن أن يمنعن أنفسهن عن النكاح وعن التزين وعن الخروج من منزل الزوجية ـ إلا إذا كانت هناك ضرورة لهذا الخروج ـ مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك لأن المرأة المؤمنة الوفية يأبى عليها دينها ووفاؤها لزوجها المتوفى عنها، أن تعرض نفسها على غيره بعد فترة قصيرة من وفاته، فإن هذا أمر مستهجن فى شرع الله وفى عرف العقلاء من الناس. إذ هذه المدة التى جاءت فى الآية التى حددها الله ـ تعالى ـ لمعرفة براءة الرحم من الحمل، وهى التى تخف فيها مرارة الفراق بين زوجين ربط الله بينهما برابطة المودة والرحمة.

ولقد ألغى الإسلام بهذا التشريع عادات جاهلية ظالمة للمرأة فقد كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها تغلق على نفسها مكانا ضيقا فى بيتها وتقضى فيه عاما كاملاً حداداً على زوجها فأبطل الإسلام

---

(٢) سورة الطلاق (٤).

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٨٤.

ذلك، ومن الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى ما ثبت فى الصحيحين عن أم حبيبة وزينب بنت جحش - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لا مرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»

والإحداد هو ترك الزينة، وعدم التعرض للخطاب، وعدم الخروج من منزل الزوجية إلا لضرورة. وفى الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكتحل؟ فقال: «لا - مرتين أو ثلاثا - ثم قال: إنما هى أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن فى الجاهلية تمكث سنة».

قال ابن كثير بعد أن ساق هذين الحديثين «قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا - أى مكانا ضيقا من البيت - ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر سنة»(٤).

وقال بعض العلماء: وقد حد الشارع للمتوفى عنها زوجها عدة هى فى جملتها أكثر من عدة المطلقات، لأن تلك ثلاثة قروء تجىء عادة فى نحو ثلاثة أشهر. وهنا يرد سؤالان:

أولهما: لماذا كانت العدة فى المتوفى عنها زوجها بالأشهر دون الحيض فلم تجعل أربع حيضات بدل ثلاث؟ ولماذا كانت الزيادة؟ ولم نجد أحدا تصدى لبيان الحكمة فى جعلها بالأشهر، ويبدو لنا أن الحكمة التى تدركها عقولنا - وإن كانت الحكمة السامية قد تعلو على مداركنا: هى أن عدة الوفاة تكون للمدخول بها وغير المدخول بها وللصغيرة والكبيرة، والأساس فيها هو الحداد على الزواج السابق الذى انتهى بوفاة أحد ركنيه، فلزم أن يكون بأمر يشترك فيه الجميع مادام السبب واحدا فى الجميع. وفوق ذلك أن العدة فى الوفاة لو قدرت بالحيض وهو أمر لا يعلم إلا من جهة المرأة، فربما تدفعها الرغبة فى الزواج إلى الكذب فتدعيه وهو لم يقع، وفى المطلقات العدة حق للمطلق فيستطيع أن ينكر عليها، أما فى حال الوفاة فصاحب الحق الأول قد مات وصار الحق لله خالصا. فحد ذلك الحق بالأشهر والأيام حتى لايكون مساغا للكذب وادعاء مالم يحصل، لأن الأيام والأشهر تعرف بالكتاب والحساب وليست أمرا يعرف من جهتها فقط.

أما الجواب عن الأمر الثانى وهو: لماذا كانت العدة بالوفاة أكثر فى الجملة من العدة الناشئة عن الطلاق؟ فيبدو بادى الرأى من الفرق بين حال الطلاق وحال الوفاة أن الطلاق نتيجة شقاق.

فالحداد على الزوج الذى ينشئه ليس قويا، ومعنى براءة الرحم وإعطاء الزوج فرصة للرجعة يكون أوضح فى معنى العدة، ويكفى لذلك نحو ثلاثة أشهر. أما حال الموت فمرارة الفراق فيها أوضح وأشد، ومعنى الحداد فيها

---

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٨٥.

يغلب معنى براءة الرحم، ولذا تجب على المدخول بها وغير المدخول بها، وإن الشارع قد جعلها لذلك أطول من عدة الطلاق.

وقد يرد سؤال ثالث وهو: لماذا حددت العدة بأربعة أشهر وعشر؟ وإن تقدير الأعداد كما يقرر الفقهاء أمر توقيفى خالص لا يجرى فيه القياس ولكن ليس معنى ذلك أنه لا حكمة فيه، وأن الحكمة يقررها العلماء فى أمرين:

أولهما: أن الأشهر الأربعة هى التى يظهر فيها الحمل ويستبين، وقد جعلت العشر بعدها للاحتياط.

وثانيهما: أن مدة أربعة الأشهر هى المدة التى قررها الشارع أقصى مدة للحرمان من الرجال. ولذلك جعل الإيلاء مدته أربعة أشهر.. فكان من التنسيق بين الأحكام الشرعية أن تجعل مدة الإحداد على الزوج فى حدود هذه المدة ومقاربة لها فى الجملة[٥].

وقوله:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

.بيان لما يترتب على انتهاء المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها. أى: فإذا انتهت المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها لتتجنب فيها التزين والتعرض للنكاح. فلا حرج عليكم بعد ذلك أيها المسلمون أو أيها الأولياء - فى ترك هؤلاء الزوجات الأرامل يفعلن فى أنفسهن ما تفعله المرأة الراغبة فى الزواج من التزين والتجمل ولكن بالطريقة التى يقرها الشرع، وترضاها العقول السليمة، والأخلاق المستقيمة.

وقوله: ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بفعلن، أو حال من النون أى حالة كونهن متلبسات بالمعروف ومفهومه أنهن لو خرجن عن المعروف شرعا بأن تبرجن وأظهرن ما أمر الله بستره فإنه فى هذه الحالة يجب على أوليائهن أن يمنعوهن من ذلك.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أى أنه محيط بدقائق أعمالكم لا يخفى عليه منها شىء فإذا وقفتم أنتم ونساؤكم عند حدوده أسعدكم فى الدنيا وأجزل مثوبتكم فى الآخرة، وإن تجاوزتم حدوده عاقبكم بما تستحقون

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٦]

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت للناس أفضل وسائل الحياة الشريفة، فأرشدت المرأة التى مات عنها زوجها إلى ما يحفظ لها كرامتها، ويدفع عنها ما يتنافى مع العفة والشرف والوفاء.

---

(٥) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة مجلة «لواء الإسلام» العدد الثامن السنة السادسة سنة ١٩٥٢.

(٦) سورة الشعراء: (٨٨، ٨٩).

توجيهات تربوية من القرآن الكريم

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

فيما يروى عن خاتم النبيين ﷺ حديث يردده المسلمون كل يوم من فوق المنابر، وفى أنهار الصحف. يتغنون به فى ترنم وتنغيم، دون أن يتعدى الشفاه إلى القلوب أو يتخطى آفاق الأقوال إلى ساحات الأعمال.

ذلكم هو الحديث الشريف الذى يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى»[1]. بل لقد صار هذا المعنى النبوى الهادى أنشودة مطربة يحملها الأثير عبر المذياع أحيانا، أو التلفاز أحيانا أخرى متمثلاً فى بيت من إسلاميات «شوقى» يصف فيه منذ ما يقرب من قرن من الزمان ما آلت إليه أحوال المسلمين:

بأيمانهم نوران، ذكرٌ وسُنة فما بالهم فى حالك الظلمات؟

وكأن مسلمى هذا العصر قد ابتلوا بداء الكلام ثم لم يهتدوا بعدُ إلى دواء العمل الجاد الواعى الذى أراده لهم دينهم الحنيف.

ونحن الآن بصدد بعض ما جاء فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإن المتدبر لكتاب الله - عز وجل - والمتأمل فيه ليجد من بين آياته البينات دستوراً هاديا للشباب فى كل زمان ومكان يتمثل فى وصايا الحكيم لقمان لولده وهو يعظه، وإنه لدستور يتألف من مواد حكيمة وضوابط محكمة يتصل بعضها ببعض فى نظام سماوى عظيم وسياق ربانى قويم.

---

(١) موطأ مالك (٨٩٩).

وهذه العظة القرآنية الهادية معين لا ينضب ينبغى على المربين أن ينهلوا منه ما شاءوا حين يريدون أن يتعرفوا على الطريقة المثلى للدعوة إلى الحق، ويمكن للشباب أن يتأسّوا به حين يريدون أن يستووا على الصراط المستقيم.

ولسنا فى مجال عرض سيرة ذلك الرجل الصالح الذى تروى بعض كتب التفسير عنه أنه خُيّر بين النبوّة، والحكمة فاختار الحكمة، ويكفينا هنا أن نحاول تذوق وصاياه الإنسانية الخالدة لولده، ونعرضها ـ قدر الطاقة ـ أمام شبابنا المعاصر الحائر، لعله يهتدى بها نبراساً وضاءً ينتشله من دوامة التيارات المتصارعة التى تحيط به من كل مكان.

ولئن كانت هذه الوصايا قد صدرت عن لقمان إلا أن ذكرها فى كتاب الله المجيد يدخلها ضمن التوجيهات القرآنية التى يسوقها القرآن إلى الناس كافة فى كل زمان وفى كل مكان، ومن ثمة فما أحرانا بمدارستها بل ما أجدرنا بممارستها، والإلحاح عليها الإلحاح كله بين أبنائنا وبناتنا فى هذا العصر المادى العجيب الذى أصبحت فيه القيم الأخلاقية الأصيلة أشبه بالعاديات الدارسة التى ينفض عنها الناس الغبار بين حين وآخر ليعرضوها ـ على أحسن الفروض ـ فى متحف قديم يرتاده هواة التحف، وعشاق «الأنتيكات» للتسلية والتسرية، دون التأسى والاقتداء.. حتى لقد جرفت المادية القاتلة ـ أو كادت باسم العلم البرىء ـ كل المعنويات الرفيعة، والأخلاقيات المنيعة.

وأخطر ما نتج عن ذلك من عواقب أثيمة، ونتائج أليمة ما نرى عليه كثيراً من الشباب التائه اليوم بين انجراف التطرف وانحراف المخدّر، ومتاهات التمزق والضياع.

ألا يلفتنا هذا إلى وصايا لقمان فى القرآن الكريم فنضعها منا موضع التذكر الدقيق، والتدبر العميق؟

إن الوالد عندما يعظ ولده فإنما هى العظة الخالصة، والنصيحة المخلصة النابعة من الكبد إلى فلذته، ومن القلب إلى سويدائه ومن العين إلى إنسانها.. وهى ـ إلى هذا ـ ثمرة التجربة الحية، والخبرة النقية يغذوها الوالد ولده شهية سائغة غنية بعناصر الحياة والنماء.

وليس شك فى أن مثل هذه النصيحة الأبوية المجردة سُداها الصدق المحض، ولُحمتها الأمانة الحقة لأنها صادرة عن والديّة مفطورة، وحنو مطبوع.

وناهيك بالوالد الذى آتاه الله الحكمة إصابة فى القول وصدقاً فى العمل وهو يعظ ابنه، لا شك فى أنه يغذوه مزاجا شهيا من حنكة العمر، ودقة الفكر، وثراء التجربة، وهكذا كان لقمان..

أنظر إلى قول الله ـ عز وجل:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(٢).

ثم تأمل كيف تتضمن الحكمة شكر الله عليها، وكيف يكون الكفر مقابلاً للشكر؟ ألا تذكر قول الله – تعالى –:

---

(٢) لقمان (١٢).

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(٣).

إن من البدائة الساطعة أن يعزو الحكيم النعمة للمنعم، وأن يعترف بالهبة للوهاب وإلا فقد الحكمة وسار مسار «قارون» الذى لم يعرف الفضل لعالم الغيب والشهادة ولم ينسب العلم لواهبه العلام فانتحل العلم لنفسه عندما سئل عن ماله فأجاب فى صلف وغرور

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾(٤) وإذا بالقرآن الكريم يرد عليه فى رد مفحم مبين:

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾(٥).

عجباً ألم ﴿ يَعْلَمْ ﴾ مدعى «العلم» بالنهاية المهلكة لأسلافه الهالكين؟

وكما يرفض المنطق السليم أن يجتمع العلم وادعاؤه فى آن، فإنه كذلك يأبى أن تلتقى الحكمة والكفران.

وليس من شك فى أن لقمان كان أحرى بشكر الله – سبحانه وتعالى – على نعمة الحكمة التى آتاه إياها، ولعل من صور هذا الشكر أن يبادر الرجل إلى نفع غيره من هذه الحكمة التى هى أقرب إلى التكليف منها إلى التشريف؟ فشرع ينقل ثمار حكمته الطيبة إلى ولده، أحب الناس إليه، وأقربهم منه وأولى الناس بالاستجابة له..

وإن صاحب الرسالة دائما ليتوق إلى أن تضىء رسالته للأقربين من ولده وعشيرته علهم يكونون له معوانا على السير بهذا الضياء إلى الآخرين.

أو لم يخاطب الله – سبحانه وتعالى – رسوله الكريم بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(٦)

ولعل لقمان كان يريد أن يصبح ولده مثلاً سلوكيا يحتذى لحكمة أبيه؟ ينقل إلى الناس بسلوكه القويم، ما لقنه أبوه من فكره الحكيم..

يقول لقمان لابنه:

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٧)

فما أجمل.. وما أجل!! أن يستهل الحكيم حديثه بنداء «يا بنى» فيستحضر عند ولده الرباط الدموى والروحى المتين الذى يصل الوالد بولده، وكذلك يعالج بقوله هذا اللين الرقيق ما قد يُصيب الولد من نفور عنيد ينأى به عن النصح الرشيد..

ولئن طُلب الاستهلال اللين فى حديث موسى الكليم مع فرعون الطاغية:

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٨).

فإن هذا اللين أحرى بأن يكون التمهيد الطبيعى الحانى للتوجيه الأبوى الرحيم..

وما أجل أن يبدأ لقمان وصاياه لابنه بالوصية العظمى والموعظة الكبرى وهى روح العقيدة

---

(٣) إبراهيم (٧).

(٤) القصص (٧٨).

(٥) القصص (٧٨).

(٦) الشعراء ٢١٤).

(٧) لقمان (١٣).

(٨) طه (٤٤).

ولبها، فيحثه على التوحيد الذى سمى أحيانا « مفتاح المفاتيح » من آمن به آمن بكل ما يترتب عليه من شئون الدنيا والآخرة حيث يستشعر فى أعماقه العبودية لله وحده الواحد الأحد فيستقيم أمره ويستوى سلوكه، وكلما ازدادت عبوديته لله وحده ازدادت سيادته على الناس جميعاً.

وعلينا أن نتأمل بعد ذلك اقتران عبادة الله والإيمان به بذكر الوالدين والأمر بالإحسان إليهما..

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٩)

وهو أمر أكده القرآن فى آيات أخرى كما نجد فى سور البقرة والنساء والأنعام.

كما قرر القرآن الكريم أهمية إحسان المرء إلى والديه وإسداء المعروف إليهما فى الدنيا بالخلق الكريم والحلم النبيل حتى وإن بذلا معه الجهد الجهيد لحمله على الشرك بالله - عز وجل - لأن الدنيا إن هى إلا رحلة قصيرة على الأرض لاتؤثر فى الحقيقة الأصيلة الخالدة ولأن الحساب على هذا ليس من شأن المرء ولكنه من أمر الله يوم القيامة حيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

وهنا نتبين تقديم التوحيد على شكر الوالدين، لأن صلة الروح أقوى من صلة النسب والدم..

ويواصل الوالد الحكيم استمالة ولده إليه بإبداء حدبه عليه، وهو يدعوه مرة أخرى ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ ثم يثير انتباهه فى قوة وعمق إلى تقوى الله فى السر والعلن لأنها:

﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١١)

وكأنه يحذره من اعوجاج العقيدة وسوء النية والتواء الطريق.. ﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾ هكذا يعود الأب الداعى إلى دعوة ابنه الحبيب بالنداء الرطيب الذى يفيض عطفا ورحمة يناديه به فى تكرار متعمد، والحاح مقصود، ويأمره بإقامة الصلاة وأدائها كما ينبغى أن تؤدى كلقاء نورانى متجدد بين العبد الموحّد وربه الواحد مما يجدد طاقته النورانية ويمنحه الدفعة إثر الدفعة إلى تحرى الصدق مع الله، ومن الناس فيحثهم على المعروف ويأمرهم به، وينفرهم من المنكر وينهاهم عنه ذلك لأن العبد الذى يقف فى صلاته بين يدى ربه فى خشوع عميق وخضوع خالص يعيش بين الناس، وقد صار كالميزان الدقيق الحساس الذى يستشعر مواطن الخلل فى قومه، ومزالق الزلل فى عشيرته مما يدفعه - فى دأب وإصرار - إلى إسداء النصح والإرشاد أملاً فى رجوع الخلق إلى ميزان الحق رحمة بهم ودعماً للطريق المستقيم.

---

(٩) لقمان (١٤).

(١٠) لقمان (١٥).

(١١) لقمان (١٦).

وهو قبل هذا وبعد هذا عليه أن يصدق نفسه فيكون القدوة الناطقة والأسوة الصادقة فلا يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، ولاينهى عن شىء ويأتى مثله، وليس شك فى أن هذا يحتاج من المربى إلى مجاهدة للنفس أى مجاهدة، وارتقاء بالذات أى ارتقاء واصطبار على الناس أى اصطبار.. إن ذلك من عزم الأمور:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١٢).

ولهذا تفيض حكمة الأب وهو يعظ ولده فيمسّ أدق الأمور السلوكية التى ينبغى أن يتحلى بها الابن فى حياته بين الناس وحسن استخدامه لأنعم الله عليه لأن حمد المنعم لا يتم على وجهه إلا بحسن استخدام النعم فيما خُلقت له. فنعمة العلم لايمنحها الخالق للعالم لكى يتطاول بهاعلى خلقه، ونعمة المشى لم تُهيأ للإنسان لكى يدك الأرض بقدميه وهو يعلم أنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا، ونعمة الكلام لم تيسر لصاحبها لكى يحولها إلى صراخ وصياح يؤذى بها خلق الله.

وكم نرجو للشباب فى هذا المجال أن يتدبر نصائح لقمان الهادية لولده عندما يحثه على الالتزام بآداب السلوك فيهيب به ألا يلوى عنقه - كالإبل المصابة بداء الصعر (١٣) - عتوا وتيها واستكبارا، وألا يرفع صوته فى صخب ممقوت إذ لو كان الصوت المرتفع مرغوبا فيه لكان أولى بهذا صوت الحمار الذى هو أقبح الأصوات وأكثرها إزعاجاً. ألا ترى أنه يبدأ بالزفير وينتهى بالشهيق؟؟(١٤) إن أقرب ما يدل عليه ارتفاع الصوت وحدته هو أن صاحبه قد فقد الثقة فى نفسه، وفى حجته، وهو يغطى هذا بقوة حنجرته فيرفع عقيرته فى غلظة منفرة، وزعاق مقيت، ولو كان قوى الحجة، واضح اليقين، سديد البرهان، إذن لخاطب الناس فى نبرات مهذبة وقرائن مرتبة تنطق بالحق فى سكينة واطمئنان.

﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾(١٥).

وإننا لفى عجب شديد حيث نرى بين أيدينا دستورا ساقه الله لنا رحمة بنا، وراحة لنا، لكى نربى أبناءنا وفق هداه، ثم نسعى - فى عناد شديد، وعنت جهيد - لابتكار دساتير «شبابية» أخرى وضعية لا تقيم المعوج، ولاتهدى الضال، جاهلين ومتجاهلين توجيه الخالق الذى هو أعلم بخلقه، وأدرى بصنعته:

﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(١٦).

ألا تلفتنا أحوال شبابنا اليوم إلى رعايتهم وهدايتهم وفق ما أراد الله.

---

(١٢) لقمان (١٧).

(١٣) الصعر: داء يصيب البعير يلوى منه عنقه.

(١٤) يروى أن البدء بالزفير والانتهاء بالشهيق هو من صوت أهل النار، وعن سفيان الثورى - رضى الله عنه - أن صياح كل شىء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله - عز وجل - منكراً «النسفى»

(١٥) لقمان (١٨، ١٩).

(١٦) الملك (١٤).

من طاعة الله وعبادته تحليل الطيبات وتحريم الخبائث

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

فى الآيات السابقة لهاتين الآيتين، وجه القرآن الكريم دعوته للناس جميعا أن يستمتعوا بما فى الأرض من الحلال الطيب ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان إلا أن جماعة من هؤلاء لم يستمعوا إلى دعوة الله ولم يهتدوا بهديه، وإنما اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه دون تمييز بين الطيب والخبيث، والحلال والحرام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

(١) سورة البقرة (١٧٢ ، ١٧٣).

(٢) سورة البقرة (١٦٨ : ١٧١).

بعد ما وجه الدعوه السابقة إلى الناس عامة، وجه الدعوة إلى المؤمنين وحدهم، وقد ناداهم بالوصف القائم فيهم وهو وصف الإيمان الذى يقتضى أن يستجيب له المؤمن، وأن يكون مهتديا بهدى الله، بعيدا عما حرم الله، وأن ينتبه المؤمن بعد بيان ما سبق، فلا يلتفت إلى ما كان عليه لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال: أرأيت أولئك العاصون الحمقى الذين أحل الله لهم خيرات الأرض وطيباتها، ولكنهم أحلوا بعضها وحرموا بعضها وهنا جاء الأمر بأكل الطيبات بعد بيان أحوال أولئك ليأكل المؤمنون من طيبات ما أحل الله ولا يضيقوا على أنفسهم كما ضيق أولئك.

وإن هذا الأمر الذى أمر الله ـ تعالى ـ به المؤمنين من الأكل من الطيبات، قد أمر به أيضا المرسلين ـ عليهم السلام ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾(٣)

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك(٤)، والطيبات: هى التى يستلذ بها الناس ويستطيبونها من الحلال ويقول الرازى فى تفسيره الطيب فى الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب، ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه، لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه، والحرام غير مستلذ لأن الشرع يزجر عنه وفى بيان الرسول ﷺ أن الله وجه الأمر إلى رسله كما وجهه للمؤمنين بالأكل من الطيبات، فى هذا البيان ما يشير إلى أهمية الحرص على الطيبات وأنه أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب على المؤمنين أن يحرصوا عليه غاية الحرص، ولذا فإن الأمر به جاء قبل الأمر بعمل الصالحات قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾.

وأن المال الطيب والأكل من الحلال يكون سببا للعمل الطيب وقبوله عند الله ـ تعالى ـ والمال الحرام، والأكل منه يورث العمل الخبيث ولا يقبل لصاحبه عمل ما.

وقد روى أن سعد بن أبى وقاص قال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال النبى ﷺ: (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده أن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت ـ أى حرام ـ فالنار أولى به»(٥).

(٣) سورة المؤمنون (٥١).

(٤) أخرجه أحمد ٢/٣٢٨.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/٢٩١

بل إنه لو تقرب إلى الله أو تصدق بالمال الحرام فإنه لا يقبل من صاحبه، ففى الحديث: «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به، أو أنفقه فى سبيل الله، جمع ذلك جميعاً ثم قذف به فى نار جهنم»(٦).

وقال ﷺ: (لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول)(٧) وفى قوله تعالى:

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة فلو جرى الحديث على الأسلوب الأول فى التكلم لقال واشكرونا، ولكنه التفت ليصرح باسم الله ـ تعالى ـ لتربية المهابة، وشكر الله ـ تعالى ـ على نعمه عبادة أمر بها الله ـ تعالى ـ فى قوله:

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ وقوله:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٨)

والشكر طريق لزيادة النعمة، قال سبحانه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٩). وطريق أيضا لرضاء الله على الإنسان وفيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) وفى قوله تعالى:

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ بيان من الله ـ تعالى ـ بأن شكر الله عبادة، فإن الله يعلم أنهم يعبدونه، وهم بالفعل يعبدونه فبين بقوله:

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أن شكر الله صاحب الفضل والإنعام على نعمه ورزقه وإباحة الطيبات من أهم وسائل العبادة، كما أن هذه العبادة كما يقول الآلوسى: بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة، وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهى لا تتم إلا بالشكر، لأنه من أجل العبادات، ولذا جعل نصف الإيمان وورد من حديث أبى الدرداء مرفوعا: يقول الله ـ تعالى ـ: (إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى.......) وبعد أن ذكر الطيبات وأمر بالأكل منها بين أنواعا من الحرام فقال:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

وقد جاء التعبير هنا بصيغة القصر التى تفيد حصر الحرمة فى الأمور المذكورة مع العلم بأن هناك أموراً محرمة أخرى، وذلك

(٦) إتحاف السادة المتقين ٦/٩.
(٧) مجمع الزوائد ١/٢٢٧.
(٨) سورة البقرة (١٥٢).
(٩) سورة إبراهيم (٧).

لرد اعتقادهم أن هذه الأشياء حلال وهو رد بأبلغ وجه وأقوى صورة مؤكدة، فالحصر مقيد بما اعتقدوه حلالا بقرينة أنهم كانوا يستحلون ماذكر.

وهذه الأمور المحرمة منها ما كان تحريمه لعلة فيه، وسبب منع حله ومنها ما كان تحريمه لغير علة فيه فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف أن الميتة والدم تأباهما النفوس السليمة واستثنى من الميتة السمك والجراد للحديث الذى أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وقد ألحق بالميتة أيضًا ما قطع من حى للحديث الذى أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى واقد الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة» والدم وقيد فى سورة الأنعام بالمسفوح وخص لحم الخنزير مع أن سائر جنسه حرام لأن معظم ما يؤكل من الحيوان هو اللحم وباقى أجزائه تابعة له ويدل ـ أيضًا ـ على أن عين الخنزير حرام سواء ذكى أم لم يذك هذا وقد اكتشف العلم الحديث أن بالخنزير بعض الديدان الشديدة الخطورة وقد سبق القرآن العلم الحديث إذ حرم الخنزير فى أوائل القرن الهجرى الأول وشريعة لها هذا السبق لجديرة بالثقة بها وتحريم ما حرمته وتحليل ما حللته وأما النوع الثانى وهو ما كان محرما بسبب التوجه به لغير الله وهذا السبب روحى يجافى سلامة العقيدة والاتجاه لله الواحد وهو المذكور فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ ومع هذا فإن شريعة الإسلام عرفت باليسر والسماحة وجعلت الضرورات تبيح المحظورات فأحلت لمن أضطر لهذه المحرمات أن يأكل منها بالقدر الذى تنتفى معه بالضرورة دون أن يتجاوزها أو يتعدى حدودها:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

فالدين يسر لا عسر قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١٠).

ولذا ختم الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ومن رحمته أنه أسقط الحرمة ورخص فى تناول هذه الأمور وقت الضرورة وهذه الأمور كانت محرمة فى التوراة إلا أن اليهود كتموا الآيات الدالة على تحريم بعضها رغبة منهم فى كسب مادى هو فى زعمهم كثير ولكنه عند الله قليل ولذا عقبت الآيات على ما سبق ببيان أنهم صائرون إلى النار وكأن ما يأكلونه هو نار فى بطونهم.

---

(١٠) سورةالحج (٧٨).

مواقف إسلامية

من ملامح المنهج الإسلامى فى الدعوة

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

كان صلح الحديبية - بعون الله تعالى - فتحا بينا.. هيأ به سبحانه الظروف لتنطلق الدعوة عبر الحدود.. ناشرة ظلها على الدنيا كلها.. فكان أن كتب ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.. فى إطار من الحكمة والموعظة الحسنة عز نظيره.

وإذا كانت مواقف الأمراء قد تباينت.. فإن موقف المقوقس فى مصر.. كان من أبرز المواقف التى كشفت عن لون من الحوار اتسم بالحكمة والمودة كرد فعل لدعوة وافته على جناحين من المودة والمرحمة.. فاض بهما قلب الرسول بما طبع عليه من رأفة ورحمة.. صادقت قلوباً رحبة كواديها الرحيب الخصيب، قلوباً تؤمن حين تؤمن على نحو تزول الجبال ولا يزول إيمانها فإذا لم يحن إيمانها.. كانت عند حسن الظن بها؛ كريمة فى ضيافتها حكيمة فى ردها.

ولقد وقع اختياره ﷺ على «حاطب بن أبى بلتعة» ليكون سفيره إلى المقوقس.. والذى تسلم خطاب الرسول ﷺ ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى: أما بعد:

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام.. اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١).

(١) آل عمران «٦٤».

فماذا فى الرسالة من معان؟

إنها دعوة صادقة.. هادئة.. تحمل المقوقس مسئولية فردية واجتماعية.. مسئولية إسلامه.. وإسلام شعبه معه.

فإن هو أسلم.. فله ثوابه المضاعف.. وإلا.. فقد باء بالإثمين معا.. وتأتى الدعوة الكريمة مشمولة بالحكمة.. والمودة، لا تسمع فيها جلجلة الألفاظ.. ولا ترى فيها من زخرف البيان ما يخطف الأبصار، وإنما ترى.. وتسمع.. نداء الحق يفرض نفسه على المدعو.. بلا إثارة وبلا تزويق.. وذلك واضح من مضمون الرسالة والتى تطالعنا بما يلى:

١- ناداه ﷺ «بعظيم القبط» وما فى ذلك من تحبب وتلطف به ثم سلم عليه تسليما ينشئ فى قلبه الأنس.. ثم محاولة التجاوب مع مضمون الرسالة النبوية.

وهو درس فى الدعوة يلجأ فيه الداعى إلى الاعتراف مبدئيا أو مرحليا بموقع المدعو الذى هو حاكم البلاد فعلا.. ثم محاولة الصعود به إلى أفق أعلى.. وهو ما تكفلت ببيانه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

٢- فقد خاطبت القبط بنداء حبيب لديهم هو: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

٣- وهم بحكم هذه الأهلية مدعوون إلى تأمل هذه الحقائق التى ضمت عليها الآية الكريمة.. والتى هى بلاشك موضع وفاق بين الراشدين من أتباع الرسل -أو هكذا ينبغى أن تكون- وهى:

أ- التوحيد: ﴿ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.

ب- رفض الشرك ﴿ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾.

جـ- الاعتزاز بالكرامة الإنسانية.. فلا نتركها تذوب فى دوامة الطغيان والاستعباد ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾.

٤- فإذا لم تحدث الاستجابة المطلوبة.. بل المتوقعة.. فقد أدى الدعاة واجب البلاغ.. وبلا صدام.. وتبقى من الأخوة بقية تجمعنا فيما يشبه التعايش السلمى: لكم دينكم.. ولى دين.

٥- ولا تخاطبهم الآية الكريمة قائلة: «فإن توليتم» لكنها تؤثر أسلوب الغائب «فإن تولوا» إشارة -والله تعالى أعلم بمراده- توحى بالبعد عن مواجهتهم بمعنى التولى والإعراض.. وما قد يثمره من إعراض قد يصدم إحساس القوم.. فتتوقف قنوات الاتصال.

٦- ثم تؤثر الآية الكريمة التعبير بالحرف «إن» وما تفيده من شك فى التولى عن دعوة هذا شأنها.. فلعل فى هذا تحريضا على الإيمان.

٧- ولو حدث وتولوا.. فما علينا بعد أن أدينا واجبنا.. والمطلوب فقط: أن ينصفونا من أنفسهم بالشهادة بأنا قد بلغنا.. ليتحملوا وحدهم نتيجة الإعراض.

٨- فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الآية مدنية: أعنى أنها نزلت يوم أن كان للإسلام دولة وجيش ونظام.. ومع ذلك لم تبح

للمسلمين فرض عقيدتهم بالقوة.. تبين لنا كيف أن الإسلام من القوة بحيث لا يفرض نفسه بالقوة.. وإنما ينتصر دائما بقواه الذاتية.. وبها يشق طريقه عبر المستقبل.

وتبقى قوة السلاح.. مرصودة: إرهابا للعدو.. وتأديبا له إذا دعا للجهاد داع.

من ثمار الحكمة

وقد وجد المقوقس نفسه أمام رسول كريم: يعرض الحقائق فى ثقة وبساطة.. وعمق.. ووضوح.

ولما لم يجد للتجريح ظلا فى الرسالة النبوية سأل حاطبا - رضى الله عنه - عن السر فى تنزهه ﷺ عما ألفه المقوقس فى خطابات القمم.. لاسيما إذا اتجه الخطاب إلى المخالف فى الدين.

وذلك قوله لحاطب - رضى الله عنه -: ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده!

ويجيبه حاطب - رضى الله عنه - قائلا: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟

فما باله حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟!

ووجد المقوقس نفسه مرة أخرى أمام سفير فقيه.. أريب.. يعبر بمنطقه أصدق تعبير عن صاحبه ﷺ.. فاكتملت فى ذهنه صورة الكمال البشرى الذى بدا فى حكمة الرسالة.. وحكمة الرسول معا فقال لحاطب: أحسنت جوابا.. أنت حكيم.. جاء من حكيم

وهنا تتأكد القاعدة القائلة: أرسل حكيما.. ولا توصه.. وكان ذلك الحكيم.. حاطبا - رضى الله عنه - والذى يعلمنا نجاحه فى سفارته ضرورة أن نؤهل للدعوة رجالها.. الذين لا يقتصر دورهم على مخاطبة الوجدان.. بالكلام الرنان.. وإنما مع ذلك.. وقبل ذلك مخاطبة العقل.. بالبرهان!

البرهان الذى ملك -هنا- على المقوقس أقطار نفسه.. فقرر دراسة الرسالة بعمق.. انتهى باعترافه بحقيَّة الإسلام وحكمة رسوله فيما يلى:

قال لحاطب - رضى الله عنه - إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه أى لا يأمر بمنكر ولا ينهى عن معروف ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب.

ووجدت معه آلة النبوة -أى مؤهلاتها- وهى: إخراج الغائب المستور والإخبار بالنجوى وسأنظر فى أمره وأمرى

وهكذا يجرى الله - تعالى - الحق على لسان المقوقس فيما يشبه التكذيب الرسمى لكل دعاوى الكفار حينئذ.

وكان اعترافه رسالة إعلامية موجهة إلى الكذابين أحبطت مفعول دعاياتهم الوثنية

الكاذبة الخاطئة.. بفضل داعية كان سلاحه القرآن.. الذى ينبغى أن نجتمع اليوم حول حقائقه.. متحدين.. لنفرض على الدنيا احترامنا بهذا القرآن الذى أدب الأمة فأحسن تأديبها.. كما قال أحد الباحثين:

«إن أدب القرآن هو أدب الحياة المناضلة بشرف. البناءة بسمو. المكافحة بتفاؤل. المدافعة ببأس. المهاجمة بحق. المتعاملة بحب. المتعاونة بوفاء. المرحة بوقار. المتنعمة باعتدال. العزيزة بتواضع. القوية برحمة. العاملة بقناعة. المترئسة بشورى. المرءوسة بيقظة. الحاكمة بحزم. المسالمة بحذر. المتحضرة بخلق. المتعبدة بعلم. الماشية على الأرض ونظرها فى السماء»(٢).

وهذه خصائص الداعية المسلم متمثلة فى حاطب - رضى الله عنه - والذى أثمرت حكمته ثمرتها ثم توجت بمجموعة من الهدايا.. هدايا المقوقس تعبيرا ماديا عن إعجابه بالإسلام.. ورسوله ثم سفيره.

لقد عاد.. بالرسالة.. والهدايا.. بعد أن ترك على أرض مصر قبسا من نور النبوة مباركا.

وأسأل نفسى الآن:

ماذا لو كان كتاب الرسول ﷺ نذيرا مدمدما؟

وماذا لو كان سفيره فظا غليظ القلب.. ثم رفض أن يأخذ ويعطى فى حوار مثمر هادف بحجة أن المقوقس طاغية لا يستأهل شرف الحوار مع داعية مسلم؟

أغلب الظن.. لو حدث هذا:

١- سوف يغلق الباب أمام شعب بأسره فيحرم من الإسلام.

٢- سوف يقتل السفير أو يطرد على الأقل.. ومن ورائه دعوة لم تجد من يحسن عرضها.. ولكن الحكمة فرضت نفسها.. فآتت أكلها.. فدخل شعب مصر فى دين الله أفواجا.. وتجلى البون الشاسع بين ظلم الرومان.. وعدل الإيمان على نحو ما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وما عجب هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذى فيه ينضح

وياليت قومى يعلمون أنه بالكلمة الطيبة.. والموقف الحكيم.. قد نحقق للدعوة نصرا تسير بذكره الركبان..

ولقد كان من رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة أن بقيت هذه الروح سارية المفعول.. فنال الحكماء باللين أضعاف ما ينالونه بالغشم.

---

(٢) د.السباعى، علمتنى الحياة «ص١٩٠».

أهديك التحية ضارعًا

ألقيت هذه القصيدة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٩هـ

لفضيلة الشيخ/ محمد أحمد الطاهر الحامدى

تحتفل «مجلة الأزهر» بالتراث القريب، كما تحتفل بالتراث البعيد ومن خير ما تقدمه فى مناسبة المولد النبوى هذه القصيدة الروحية التى تبرز الحب المتصل بين رسول الله ﷺ والصفوة من عارفيه، ولكل مقام مقال.

د. محمد رجب البيومى

أيصيبنى ضيم وأنت رجائى ... وذخيرتى فى الحشر عند لقائى
أرجوك فى الدارين ياعلم الهدى ... إن خفت أى كريهة وبلاء
ياملجأ العانى وجابر كسره ... يا موئل الضعفاء والبؤساء
ياباذل المعروف من كف لها ... فى الجود أكبر همة وعطاء
لو قدر التبر النفيس بجودها ... لم يعل قدر الترب والحصباء
أو قيس ما تهب الملوك بفيضها ... ماكان إلا مثل قطرة ماء
كف وسعت العالمين بها ندى ... وقضيت كل حوائج الفقراء
مالى بورد البحر وهى مليئة ... بالرى حافلة بكل رواء
وعلام التمس الشفاء بغيرها ... وهى الكفيلة وحدها بشفائى

***

ياساقى الصهباء خل شرابها ... هذا الشراب وهذه صهبائى
هذا الشراب العذب حب محمد ... هذا مدار سعادتى وهنائى
لولاه لم تطب الحياة ولم أجد ... فى العيش لا والله أى صفاء
لم أدر كيف يعيش من لم ينتسب ... لمحمد بمحبة وولاء

***

الشعر يامولاى كنت جفوته ... وسلوت كل رياضه الغناء
وصرفت عنه خواطرى لحوادث ... أعيت بهن قريحتى وذكائى

لكن أشواقى إليك وحاجتى — لعطائك الممنوح للشعراء
أوحت إلىّ بأن أعاود نظمه — وأعود للإنشاد والإنشاء
فأدم رضاك على ياخير الورى — واجعله بدء جوائزى وعطائى

***

إنى أمت إليك بالنسب الذى — هو فى الحقيقة رفعتى وسنائى
نسب الطريق ولا أقيس بعزه — شرف الملوك وعزة الأمراء
إن صح لى هذا فليس بضائرى — مافاتنى من منصب وثراء
ماقيمة الدنيا وقدر نعيمها — ومآلها لتصرم وفناء

***

ياسيد العظماء والأمراء — والحكماء والعلماء والأدباء
والله مابك حاجة لمدائحى — كلا ولا لك رفعة بثنائى
لكن أنا المحتاج ياغيث الورى — لنداك فى السراء والضراء
إن كنت ذا فقر فأنت لى الغنى — أو كنت ذا سقم فأنت دوائى

***

لما وفدت إليك التمس الرضا — وألوذ عند القبة الخضراء
وأويت للحرم الأمين وبغيتى — ميمون عطفك يا أبا الزهراء
ووقفت أهديك التحية ضارعا — من كثرة العثرات والأخطاء
وبكيت من ثقل الذنوب ولم أجد — شيئا يليق هناك غير بكائى
ألفيت عندك كل ماأملته — والله من كرم ومن إغضاء
جبرت مواهبك العزيزة خاطرى — وأست لواعج مهجتى الحراء
أيرد محسوب النبى سميه — ويخيب قاصد سيد الكرماء

***

ياغيث كل العالمين وغوثهم — يازين أهل الحضرة العلياء
يافاتحا باب الشفاعة عندما — تدهو الخطوب أماثل الشفعاء

يا واحـــدا ســـاد البـــرية كـلهـــا	وســـمـــا عن الأشـــبـــاه والنظراء
ياطالعـــا كـــالـشـــمس غـــرة وجـــهـــه	بل فـــوقـــهـــا فى رونق وبهـــاء
ســـعـــدت بمولدك العـــوالم كلهـــا	وتبـــاشـــرت بك ســـائر الأحـــيـــاء
وأتى لمكة غـــيـــثـــهـــا من بعـــد مـــا	ضـــاقت برقـــعـــة أرضـــهـــا الجـــدباء

***

أهلا بمولدك الســـعـــيـــد ومـــرحـــبـــا	بجـــبـــيـنك المتـــألق الوضـــاء
أهلا بطلعـــة خـــيـــر من وطئ الثـــرى	أهلا بمقـــدم أســـعـــد الســـعـــداء
أهـلا بـروح الكـون ســـــر وجــــوده	مـــاحى الضـــلالة كـــاشف الغـــمـــاء

***

لما بعـــثـت رفـــعـت أعـــلام الهـــدى	وخـــفـــضـت رأس الملة العـــوجـــاء
قـــومت مـــيـــزان العـــقـــول وزنتـــهـــا	بالحكمـــة النبـــوية العـــصـــمـــاء
وبنيت للتـــوحـــيـــد صـــرحـــا شـــامـــخـــا	قـــد كـــان قـــبلك واهـى الأرجـــاء
كـــانت عـــقـــول الناس قـــبلك فى عـــمى	وهديتـــهـم لمســـالك العـــقـــلاء
فـــأتيـــتـــهـم بالحق أبلج واضـــحـــا	ضلوا الطـريق لقلة البـــصـــراء
ودعـــوتهـم لله لا مـــتـــهـــيـــبـــا	بطش العـــداة ولا أذى الجـــهـــلاء
لم يثن همـــتك العليـــة مـــا بهم	من قـــســـوة وعـــداوة وجـــفـــاء
من كـــان يرعـــاه الإله فـــلا يرى	ضيما ولا يخشـــى مـــن البأســـاء

***

حـــملت يامـــولاى ثقل مـــهـــمـــة	شـــتى الخطوب كـــثـــيـــرة الأعـــبـــاء
ثقلت على جـــهـــدى ومـــست كـــاهلى	وســـواعـــدى وقـــواى بالإعـــيـــاء
لم أدر كـــيـف حـــملت ثقل مـــهـــمـــتى	وأنا الضـــعـــيف ممزق الأحـــشـــاء
لكن إذا وجـــهـت لى نظر الرضـــا	لم ألق أى مـــشـــقـــة وعنـاء
من كـــان مـــحـــمـــولا عليك فـــحـظه	أوفى الحـظوظ وأوفـــر الآلاء
فـــاشـــدد بعطفك مـــا وهى من همـــتى	وأمـــدنى بعـــزيمة ومـــضـــاء

لسنا إرهابيين

حُرِّيَّةُ الاعْتِقَادِ فِى الإِسْلَامِ

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

ومن الأسباب التى يستند خصوم الإسلام إليها الآن - ومن قبل - ليوهموا الناس أن الإسلام دين إرهابى دموى، متعطش للدماء، من هذه الأسباب اتهامهم الإسلام بأنه لا يسمح لعقيدة غير عقيدة الإسلام بالوجود، وأن طبيعته التوسعية تستهدف دخول كل الأمم والشعوب ولو بالقوة فيه؟

وهذا الذى يروجه خصوم الإسلام يبرأ منه الإسلام براءة الشمس من السواد.

فلا القرآن، ولا الحديث النبوى، ولا السلوك الإسلامى التاريخى فى صدر الإسلام الأول، والعصور التالية له - إلى الآن - لا شئ من هذه المصادر نجد فيها أثرا لهذه الدعوى، بل على عكس ما يدعون نجد حرية الاعتقاد فى الإسلام، أحد خصائصه الكبرى التى عرف بها، وإن أنكر الحاقدون.

القــــرآن

فمن الآيات التى تقرر حرية الاعتقاد فى القرآن. قوله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾(1).

وقوله تعالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾(2)

وقوله عز وجل:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(3)

هذا هو الأصل الذى أرساه القرآن، كتاب الإسلام الأول.

ولا يقدح فى هذا الأصل، مثل قوله تعالى:

(1) الكهف «29».

(2) البقرة «256».

(3) الغاشية «21، 22».

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾(٤)

لأن الجهاد أعم معنى من القتال، يكون بالحوار والجدل ومواجهة شبهاتهم بالحق المزيل لها. أما القتال فيكون بحمل السلاح، وهو لا يكون فى الإسلام إلا لمواجهة قتال أو خطر فعلى.

وفى القرآن آيات أخرى تدعم إرساء هذا المبدأ، وهو حرية الاعتقاد فى الإسلام.

السـنة

عاش رسول الله ﷺ ثلاثا وعشرين سنة داعيا إلى الله – عز وجل – ولم يؤثر عنه أنه توعد أو هدد أحداً بالقتل إذا لم يؤمن بما جاء به، ولا الله أمره بهذا. بل حصر الله مهام دعوته فى «البلاغ» الواضح، وكان مما قال الله له فى هذا الشأن:

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾(٥).

وقال: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾(٦).

أما سيرته ﷺ فى هذا المجال، فحدث عنها ولا حرج.

وأول ما نشير إليه ما صنعه مع اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام قد بلغهم، أنه لم يجبرهم على اعتناق الإسلام، وإنما عقد لهم عهداً بين ما فيه ما عليهم وما لهم، وجعلهم طائفة من طوائف المجتمع المدنى الإسلامى.

وفى ظل هذا العهد منح الإسلام اليهود حرية البقاء على عقائدهم، وممارسة شعائرهم الدينية فى حرية واسعة النطاق.

ولم يؤثر أن أحداً من المسلمين تحرش بهم، أو ضيق عليهم باعتبارهم يهوداً تخالف عقائدهم عقائد الإسلام ولكن لما نقضوا العهد، وطعنوا فى الإسلام، وتآمروا عليه، أجلاهم المسلمون عن المدينة، هذا باعتبارهم جماعات أصبحت مصدر خطر على حاضر الإسلام ومستقبله ولو كان الإسلام لا يسمح لوجود عقيدة غير عقيدة الإسلام أو يجبر غير المسلمين على اعتناق الإسلام، لكان له مع اليهود موقف آخر.

وكذلك صنع الإسلام فى حياة صاحب الرسالة ﷺ مع نصارى تغلب ونجران، وهم كانوا من مواطنى الجزيرة العربية، صالحهم وتركهم على عقيدتهم ومنح هؤلاء المخالفين لعقيدة الإسلام، الحرية التامة فى ممارسة شعائرهم الدينية وفق عقيدتهم. ولو كان الإسلام يضيق بمخالفيه فى العقيدة لكان له – كذلك – مع نصارى تغلب ونجران موقف آخر.

وما صنعه ﷺ داخل حدود الجزيرة العربية مع اليهود والنصارى، صنعه خارجها، فكان لا يرغم أحدا على اعتناق الإسلام، ولكن إما أن يسلموا اختيارا، وإما أن يميلوا إلى التصالح، وإما أن يختاروا القتال وكانت هذه هى منهج الخلفاء الراشدين من بعده.

ولم يؤثر أن المسلمين فى أى عصر من العصور أعلنوا الحرب على غيرهم لإجبارهم على الدخول فى الإسلام. ومن يدعى شيئا من ذلك فعليه الدليل.

---

(٤) التوبة «٧٣».

(٥) الرعد «٤٠».

(٦) فاطر «٢٣».

مكاتبات صاحب الرسالة

وبقى من السنة النبوية برهان قاطع على سماحة الإسلام، وإقراره الناس على عقائدهم – بعد البلاغ – وخلوه من جبر الناس بالقوة على اعتناق الإسلام ذلك البرهان يتمثل فى مكاتبات صاحب الرسالة ﷺ إلى ملوك الأمم ورؤساء الشعوب والعشائر فى أطراف شبه الجزيرة العربية وخارجها ونعرض أولاً نموذجا من تلك المكاتبات، ثم نتبعه بتعقيب كاشف عما فيه من سمات سماحة الإسلام:

كتب رسول الله ﷺ كتابا إلى النجاشى عظيم الحبشة، وكان نص هذا الكتاب هو:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله، فإنى أنا رسوله. فأسلم تسلم.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٧).

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك ».

هذه الرسالة تنتهج نهج عشرات الرسائل النبوية التى بعث بها محمد ﷺ إلى قادة الطوائف التى كانت تدين بغير الإسلام فى ذلك الوقت، أو لا دين لها.

أعد قراءة الرسالة، وابحث بين سطورها، هل تجد فيها كلمة واحدة فيها تهديد أو وعيد للنجاشى وقومه بشن الحرب عليهم إن لم يدخلوا فى الإسلام؟

قد يقول قائل: نعم. فيها ما يدل على التهديد وهى عبارة « أسلم تسلم » لأن معناها: إن لم تسلم لا تسلم. ونقول: هذه نصيحة لا تهديد. والمراد منها: السلامة فى الآخرة من الخلود فى النار، وليس معناها السلام من سيوف الإسلام فى الدنيا.

إن الرسالة لم ترتب على اقتناع النجاشى الدخول فى الإسلام أى عقوبة دنيوية عاجلة. بل قال له: « فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك » والإثم يعاقب الله عليه فى الآخرة. وليس من اختصاص أحد، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. رسولا كان أو غير رسول.

ثم انظر إلى دقة التبليغ فى قوله: « فعليك إثم النصارى من قومك ».

فالنصارى كانوا يفترشون مساحات واسعة من الأرض، والنجاشى ليس مسئولا إلا عن النصارى المقيمين تحت رعايته، لا عن غيرهم من نصارى العالم.

فهذا هو الإسلام يُقْرأ لكل ذى بصر بكل وضوح لن يظفر حاقد عليه أن يعثر على أدنى شبهة تدينه بالإرهاب أو الحجر على عقائد المخالفين لا فى مصادره التشريعية، ولا فى مواقفه التاريخية.

فهو يرعى حرية الاعتقاد، ولحرية الاعتقاد فيه ضوابط، هى موضوع الحلقة الآتية بإذن الله – تعالى –.

(٧) آل عمران « ٦٤ ».

الإسلام وحقوق الإنسان

١

للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال

يعد الإنسان - فى نظر الشريعة الإسلامية - خليفة الله فى الأرض ينميها ويرقيها ويرتفع بها موازناً وموائماً بين الحياة المادية والحياة الروحية فى ظل تقوى الله والقيم والمبادئ التى تحكم السلوك الإنسانى.

فكل مايحكم المجتمع فى شتى المجالات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً يعود إلى منطلق إسلامى، وتنظيم حياة الإنسان ونشاطه يقوم على هذا الأساس الذى يؤدى فيه كل فرد دوره فيعيش ويعمل وينتج فى مقابل حصوله على الأمن والسلامة والعدالة والحرية المنضبطة التى لاتؤدى إلى الفوضى أو ضياع الحقوق.

والعقيدة الإسلامية تقى الإنسان والكون ومايجرى فيه من الاضطراب حرصاً على سلامته وأمنه واستقراره فى صورة جياشة بالحركة والطهر والنقاء والارتباط بالخالق ـ جل وعلا ـ الذى لايغفل عن خلقه والذى هو مع الإنسان فى كل لحظة من حياته أو سانحة من فكره أو عمل يقوم به:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

« اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(٢).

وإن ارتباطنا بالإسلام يثرى حياتنا المستقبلية ومعرفتنا بما جاء به تدحض إفك المبطلين.

إن دراسة حقائق التاريخ الإسلامى ونصوصه المقدسة تكشف بناء حقيقياً للحياة فى مجالات السياسة والاجتماع والعلم والثقافة وارتباط ذلك كله بمبادئ الأخلاق ينبغى أن يكشف للجماهير فى أنحاء العالم لمعرفة حقيقته الخيرة وأن تبدو صفحاتها البيضاء الناصعة للإخصائيين والباحثين العلميين والمثقفين.

(١) المجادلة (٧).

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٣٢.

وبذلك يظهر نقاء جوهر الإسلام ورسالته فى إصلاح الحياة وتقدمها.

وحقوق الإنسان قد اهتمت بها المنظمات العالمية منذ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات. واحترام هذه الحقوق وعدم انتهاكها أو مخالفتها، وذلك – فى الغالب – منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان هذا نتيجة لما ذاقته الشعوب فى النصف الأول من هذا القرن من ويلات الحروب، وماحل بالدول والبلدان من آثار الحركات النازية والفاشية من قتل وتعذيب وتشريد.

وكانت نهاية الحرب العالمية أملاً فى أن يسود جو جديد من العدل والإنصاف وإحلال السلام والأمن فى العالم.

وإذا كان العالم قد اتجه هذا الاتجاه لتقنين بعض حقوق الإنسان وحراستها اتجاهاً مادياً بحتاً فإن الإسلام قد سبق هؤلاء باثنى عشر قرناً (إن نظرنا إلى بعض إعلانات سابقة لحقوق الإنسان قد ظهرت منذ أكثر من مائتى عام مثل إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذى ظهر سنة ١٧٨٩م فى ٢٦أغسطس) ولكن الواضح أن سبق الإسلام لما ظهر من وثائق لحقوق الإنسان بلغ مايقارب أربعة عشر قرناً.

وإن ماجاء به الإسلام من حفاظ على حقوق الإنسان جاء ممثلاً للتوازن بين الاتجاه المادى والاتجاه الروحى الإيمانى فإذا كانت حقوق الإنسان– فى الأعراف الدولية– مجرد حقوق مدنية فإنها فى الإسلام واجبات تكليفية يثاب المرء على تنفيذها ويؤاخذ على مخالفتها.

ولو رجعنا إلى الوثائق التى صدرت لرعاية حقوق الإنسان فى الغرب– فى أوربا وأمريكا– وقارات العالم والمعاهدات الدولية والمجالس التى تكونت لذلك ووازناً بين ما ظهر منها وما جاء به الإسلام لوجدنا مايبهرنا من عظمة المبادئ الإسلامية وتكريم الإنسان فى الإسلام.

لقد جاء الإسلام فوجد الإنسان يعانى من الامتهان والمذلة فى دول كانت توصف بالحضارة والمدنية كالإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومية، وانعكست آثار ذلك على البيئات الأخرى فى الجزيرة العربية وماحولها.

فسفك الدماء والحروب الطاحنة تأكل الأخضر واليابس والعدوان على الأعراض والأموال والأولاد يتم دون وازع وكان يسود فيهم مبدأ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوما) وكما قال زهير:

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

كان القوى يسخر الضعيف ويستولى على مقدراته دون مقابل إلا من فتات العيش وكان يرزح تحت قهر الآخرين ولايجد من يحميه.

وكان بالجزيرة العربية شئ من الرق الذى يجعل الأرقاء مستعبدين لسادتهم يتحملون شاق الأعمال من أجلهم ويذوقون ألوان العذاب كما أن أرباب الغنى يسومون الفقراء الخسف فهم يمثلون العمال الذين يكدون من أجل راحة الأغنياء، وكان بعض العرب يقتلون أولادهم خشية الفقر، ويئدون البنات خشية العار.

لذا يعد من مفاخر حقوق الإنسان فى الإسلام:

١- تكريم الإنسان وتحقيق المساواة بين بنى جنسه:

فقد جعل المولى - سبحانه - الإنسان خليفته فى الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٣)

وفضله على كثير من مخلوقاته فقال:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٤).

فأشار إلى تمييزه بمزايا العقل والتفكير ومانشأ عن ذلك من السيطرة على مافى الأرض، وتسخيره لخدمته والتطور فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن إلى غير ذلك.

والإنسان الذى كرمه الله هو الإنسان مطلقاً لافرق بين جنس وآخر ولابين أبيض وأسود ولابين صاحب دين وغيره فالكل سواء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٥).

وهم يرجعون إلى أصل واحد، يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٦).

والنفس الواحدة التى يرجع اليها كل بنى آدم هى آدم - عليه السلام.

وقد أشار الرسول ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع إلى هذا المبدأ الهام من تكريم بنى آدم ومساواتهم فى الحقوق والواجبات فلا تفاضل بالأحساب والأنساب- كما هى دعوى الجاهلية والطبقية- يقول ﷺ: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم أشهد»(٧).

فالناس سواسية فى الإنسانية، حكاماً ومحكومين، وأغنياء وفقراء، وذوى حسب وغيرهم، وذوى مناصب وسواهم، والذى يعاملون على أساسه فى التفاضل هو العمل الصالح.

وقد مر عالمنا بما يسمى بنظام الرق كما حدث فى الدولة الرومانية التى قسمت الناس إلى أحرار وعبيد، وأخضعت من سمتهم العبيد لسلطة الأقوياء الذين يزعمون أنهم أحرار، وبعد ثورات العبيد ظهر نظام آخر هو

---

(٣) البقرة (٣٠).

(٤) الإسراء (٧٠).

(٥) الحجرات (١٣).

(٦) النساء (١).

(٧) أخرجه أحمد ٥/٤١١.

نظام الإقطاع الذى يقسم الناس إلى أغنياء وفقراء، ويخدم الفقراء الأغنياء بالعمل فى إقطاعاتهم وصناعاتهم مقابل الزهيد من الرزق، وقد انتشر هذا النظام فى بقاع كثيرة من العالم.

لكن الإسلام أعلن تكريم الإنسان مطلقاً وحرر العبيد بطرق معروفة فى كتب الفقه الإسلامى منها الكفارات.

وقضى الإسلام على الإقطاع بنظام التوريث الذى يفتت الثروة ولايجمعها، وحرم الإسلام استغلال الإنسان للآخر أو تسخيره دون مقابل.

ولما ظهر النظام الرأسمالى إثر احتكاك أوربا والعرب المسلمين فى الحروب الصليبية (القرن الحادى عشر الميلادى) واستمر قرنين (من ٤٩٢هـ - ٦٩١هـ) نشطت على أساسه أوربا بكثير من الصناعات والحرف على يد الطائفة البرجوازية فظهر فى النظام الرأسمالى (حق الإرث وحق التجارة والاستثمار للأفراد وإعطاء كل جهده وثمرته) وهذه الحقوق أقرها الإسلام لكنه لم يقر نظام الاحتكار الذى برر نتيجة هذا النظام وأدى- مع أسباب أخرى- إلى ظلم العمال وإلى أخطار نجمت عن تنافس أصحاب الأعمال بما أدى إلى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م- ١٩٤٥م.

وظهر النظام الاشتراكى والماركسى تحت مسمى تحقيق العدل والمساواة والحرية لكن فى الواقع أن شيئاً من ذلك لم يتحقق بل ضاعت حقوق الأفراد كالإرث وغيره.

ولذلك فنحن لسنا مع من يقول: (إن الإسلام جاء بأحسن مافى الرأسمالية وأحسن مافى الاشتراكية أو الشيوعية).

٢- حق الحياة:

قدس الإسلام الحياة البشرية وعدها حقا لايجوز العدوان عليه، فبناء على المساواة بين البشر فى الحقوق والواجبات ومنع سيطرة طبقة على أخرى أو إنسان على آخر لايجوز فى الإسلام سلب حياة أحد، بغير حق وبناء على ذلك جاءت العقوبات الرادعة لمن تسول له نفسه العدوان على بنى الإنسان سواء كان بعيداً عنه أو قريباً.

فمن قتل إنساناً عمداً قتل قصاصاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾(٨)

وعقوبة القصاص مؤدية إلى حفظ الحياة وإلى ردع المجرمين وتخويفهم من ممارسة عدوانهم على أرواح الآخرين:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٩).

كما وضع فى حال القتل الخطأ روادع أخرى بتقدير الدية والكفارة:

---

(٨) البقرة (١٧٨).

(٩) البقرة (١٧٩).

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١٠).

وبذلك قرر الإسلام القصاص فى القتل العمد، والدية والكفارة فى القتل الخطأ، وبين أن الكافر الذى تعاهد مع المسلمين يعامل فى القتل الخطأ معاملة المسلم من الكفارة والدية.

وقد روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»(١١).

كما نهى الإسلام عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر ونعى باللائمة على من يئد البنات قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾(١٢).

وقال- عن وأد البنات:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(١٣).

وقال:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١٤).

وجاء كذلك قول الحق - تبارك وتعالى - عن قتل الأولاد:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١٥)

وقد شرع الجهاد لرد الاعتداء على النفس والدين:

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٢ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٩٣ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١٦).

---

(١٠) النساء (٩٢).
(١١) البخارى ٨/٢٤.
(١٢) الإسراء (٣١).
(١٣) التكوير (٨، ٩).
(١٤) النحل (٥٨، ٥٩).
(١٥) الأنعام (١٥١).
(١٦) البقرة (١٩٠ : ١٩٤).

وقال سبحانه:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١٧).

فمن له عهد لابأس بصلته والبر به والرحمة، ونهى الإسلام عن قتاله وكانت قتيلة أم أسماء بنت أبى بكر قد جاءت إليها بهدايا وهى مشركة فلم تقبلها فنزلت الآيتان.

ومن حفاظ الإسلام على الأنفس ومظاهر العمران وقت الحرب ماورد من أحاديث يوصى فيها النبى ﷺ بالرفق وعدم قتال من لايقاتل، كقوله ﷺ: «لاتقتلوا شيخاً فانياً ولاطفلاً ولا امرأة ولاتغلوا ولاتغدروا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»(١٨) وفيه: «ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا الذرية»(١٩) ويقول أبوبكر ليزيد بن أبى سفيان الذى بعثه أميراً على الجيوش الذاهبة إلى الشام: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم ومازعموا، وإنى موصيك بعشرة: لاتقتلن امرأة ولاصبيا ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجراً مثمراً ولانخلاً ولاتحرقها ولاتخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولابقرة إلا لمأكلة ولاتجبن ولاتغلل».

وقد نهى ﷺ عن المثلة وقد مثل المشركون فى غزوة أحد بسيد الشهداء حمزة ابن عبدالمطلب وحزن لذلك النبى ﷺ لكنه لم يقابل هذا بالمثل ونهى أن يترك الميت نهبا للوحوش والطير بل تدفن كما دفنت جثث قتلى بدر فى القليب وهو بئر جاف، ويهتم الإسلام بالأسرى فلا يجيعهم كما يفعل الأعداء، قال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾(٢٠)

ونهى النبى ﷺ عن قتل الأسير بالتجويع والتعطيش كما نهى عن تعذيب المرضى محافظة على إنسانيتهم.

(يتبع)

***

(١٧) الممتحنة (٨، ٩).

(١٨) الدر المنثور ٢٠٥/١.

(١٩) أخرجه أحمد ٣٥٨/٥.

(٢٠) الإنسان (٨).

الإسلام يخاطب المستقبل

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

١ إذا قلنا: إن الإسلام يخاطب المستقبل، فليس معنى ذلك أنه يهدر الماضى لأن هذا الماضى هو قاعدة انطلاقه الأولى، وليس معنى ذلك كذلك أنه يهدر الحاضر لأن هذا الحاضر هو جدلية الفعل التى يصير بها إلى المستقبل.. وإنما معناه أنه دين الماضى والحاضر والمستقبل، وأنه بهذه الوضعية الفذة قادر على مخاطبة كل الكون، ووضع الحلول لما يشكل على الإنسان فى الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد وكل مناشط الحياة.

وقد لا يفكر المسلم طويلاً فى هذه الوضعية الإسلامية الفذة، ربما لأنه مطمئن إلى شمولية إسلامه بلا حدود.. ولكنه قد يجيب عن أسئلة حول طبيعة هذه المقولة، لأن من صميم رسالة المسلم أن يناقش مع الآخرين كل القضايا وكل المقولات، وأن يجيب عن كل أسئلتهم الحائرة أو المغامرة!!.

وليس لقاء الإسلام بالمستقبل شيئا غائماً إلا فى أدمغة الذين يفكرون بهوى الحضيض أو حضيض الهوى إذا شئنا أن نقول، أما الذين يعرفون للفكر قداسته، ويضعون الحقائق فوق مستوى الشك، أو فوق مستوى العبث، أو فوق مستوى الحاجة إلى التبرير، فإنهم لا يثرثرون حول هذه القضية طويلا، لأنها من التوهج بحيث تبدو بادهة أو كالبادهة!!

الإسلام يخاطب المستقبل: هذه قضية تؤكدها روافد عديدة: هو كذلك لأنه «فطرة إلهية».. وهو كذلك لأنه «روح ومادة».. وهو كذلك لأنه «ثوابت ومتغيرات».. وهو كذلك لأنه «خاص وعام».. وهو كذلك لأنه «دنيا وآخرة».. بعبارة واحدة: هو كذلك لأنه «شمول»!!

٢ هو «فطرة إلهية»: أى قانون ربانى، يضع الزمان والمكان ضمن مفرداته الهائلة، وما دام القانون والزمان والمكان جميعا خلقا من خلق الله، فلا يمكن أن يقع بينها صدام من أى لون، إلا إذا شوه الزمان وجهه فارتدّ إلى زمان ردىء بلا منطق وبلا فحوى.. أو شوه المكان وجهه فارتدّ إلى مباءةٍ للانحدار وتخريب كل ما هو جميل على الأرض.. فى هذه اللحظة فحسب، يمكن أن يقع صدام مروع بلا حدود بين ما هو زمان وما هو مكان من جهة، وبين الإسلام كقانون يفرض على الزمان والمكان شروطه النظيفة من جهة أخرى!!.

على أننا لا نريد أن ننسى أن الإنســان هو المحور الواعى فى حركتى الزمان والمكان. ومادام ذلك كذلك فإن لجوء الإنسان إلى الإسلام يبدو حتمية وجودية بلا فكاك، لأن عرضية القوانين البشرية الحاكمة لا تتيح له أن يتأمل ذاته أو يتأمل الكون ولا تسلحه بإمكانات اليقين والقرار فى الأرض، ولا تعطيه هذا الحس الرسالى الذى يضعه فى إمامة القوى الحية الموجودة فى الوجود.. أما فى حمى الإسلام فإنه يتمدد حتى يصبح هو والآخرين، والآن والما بعد، والذات والموضوع.. أى يصبح جذر المعادلة الوجودية، وهذا فحوى خلافته لله فى الأرض.. أى أن وجود الإنسان فى الإسلام حركة طبيعية كبزوغ القمر أو فيضان الأنهار.. ووجود الإسلام فى قلب الإنسان حركة طبيعية كذلك، كولادة النهار من الليل، وولادة الليل من النهار!!

وإذن فتناغم الوجودين: الإنسانى والإسلامى، أى الكونى والعقدى، حتمة وجودية بادهة، إن اهتزت - من خلال العبث الإنسانى بحكمة القوانين آناً- فهى صائرة إلى القرار واليقين بلا تخلف على الإطلاق.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه فطرة إلهية!!

٣ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «روح ومادة»، وهو يستجيب فى طبيعته لحركة الخلود من خلال هذه الوضعية الفذة، فإذا كانت الأديان الأخرى تميل إلى شاطىء وتهمل كل الشاطىء الآخر، فإن الإسلام يحفظ على المعادلة الوجودية اتزانها، ويعطى للروح آفاقها العالية، وللتحقق المادى الوجودى أبعاده التاريخية.. ومن هنا كان المسلم الحقيقى إنسانا متعادلاً وقادراً علي إعادة التعادل إلى كل ما يهتز من مناطق الحب والخير والجدوى فى حياة الوجود.. وبهذه المثابة «تعادلية الروح والمادة»، كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى يستطيع -بجسارة رائعة- أن يخاطب المستقبل، لأنه لا يدخل السباق بقدم واحدة، ولا يطير إلى غاياته بجناح باسل وجناح مهيض، وإنما يلبى حاجة الطبيعة البشرية إلى روافد المادة، ويفتح أمامها ما تراحب من فعاليات الروح.

هو مادة من حيث يحرص حرصه الكامل على أن يدفع المسلم فى اتجاه احتياز الوجود بأسره، وتسخير ما فى الأرض لطاقاته الفاعلة، والاستمتاع النظيف بكل ما فى الكون من مباهج ولذائذ وجماليات.. وهو بذلك يتيح لإنسانه المسلم أن يكون على صداقة حميمة بكل ما يمنحه المستقبل من معطيات.

وهو روح من حيث يضع الجدوى فى قلب الحركة، والغاية فى قلب الوسيلة، والتعالى فى قلب المغالبة اليومية.. أى يضع الروح فى قلب المادة.. لأن الواقع التاريخى إذا انفرد بروح المباراة المادية تحطم عند أول صدام فى أول معركة، أما إذا أخلد فى قمة عنفوان الصدام إلى روح الملاينة فى المخاشنة، وإلى دفء الحب فى قمة الصراع، وإلى صوت الرحمة فى طوفان الغلاب الوحشى.. فإن المردود النهائى سيكون تعقيلاً فاهماً لحركة الاندفاع، وضبطاً كابحاً لجنون النوازع الهابطة، وتسديدها إلى أعلى حتى لا تفقد عينيها فى آبار الظلام!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه روح ومادة!!

٤ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «ثوابت ومتغيرات»: ثوابت تقف في التاريخ محوراً لحركة التاريخ، كالألوهية والنبوة والعقائد والفرائض.. ومتغيرات تدفع موج الزمن إلى مزيد من التجدد، وجدل الواقع إلى مزيد من الإبداع، وذلك في سائر منادح الحياة.. فرق واحد صميمي بين ثوابت الإسلام ومتغيراته من جهة وثوابت غيره ومتغيراته من جهة أخرى.. فالإسلام يحدد الثابت على أنه لا يقبل مجرد فرضية من فرضيات التغيير، ويحدد المتغير على أنه حركة تستلهم وجودها الصائر من قلب حركةالثابت.. بمعنى أن الألوهية في الإسلام - مثلا - لا تقبل التغيير على الإطلاق، وأن الفكر السياسي والاجتماعي والفني والاقتصادي في الإسلام يستلهم الواقع الثبوتي الإسلامي الذي لا يقبل الاهتزاز، على الرغم من جريان ذلك الفكر بأنماطه المتعددة في مجرى التطور والاستحالة!!

وبهذه المثابة -حقائق الثبات وحقائق التغير- كان الإسلام قادراً على مخاطبة المستقبل، لأنه من جهة لا يضيع المحور الثابت الذي يجذر وجوده في الوجود، ولأنه من جهة أخرى لا يرفض الجدل الحياتي الذي يستفيد بشروطه، ويفيد بشروطه كذلك.

وحين يضع الإسلام «الثابت» في مواجهة «المتغير» يعصم المتغير من سلوك الدروب المشبوهة النازلة، لأنه يعدل من حركة اندفاعه على ضوء هذا الثابت بلا ملال، ويأخذ من تجارب الحيد عن هذا الاتجاه، وتجارب الالتزام بهذا الاتجاه ما يؤكد - في المستقبل - خطواته على طريق الحب والفحوى والاعتصام بالأنقى وينأى بها عن مزالق الحقد والعبث والتهاتر المريض!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه ثوابت ومتغيرات!!

٥ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «خاص وعام»: خاص لأنه علاقة حميمة بين الإنسان المسلم والله، وعام لأنه لا يغلق نافذة تطل على أية أرض وأي إنسان، فقط يريد الإسلام أن ينشر جناحيه على أرض نظيفة، وأن يضع يده في يد إنسان ملتزم يرفض أن يدمر في داخله ممالك التفكير السديد!!.

إن الأرض التي تحمي وثنا يعبد، أو خرافة تشيع، أو طبقية تتأله، لا يتعامل معها الإسلام ولا يرضى أن يتعامل معها إلا بالمنطق الذي يكسر فيها شهوة العناد والإلحاد!! والإنسان الذي ينحني لبشر، أو يتعبد لمادة، أو يجن أمام فكر، لا يتعامل معه الإسلام ولا يرضى أن يتعامل معه إلا بالمنطق الذي يهزم فيه خواءه وانحناءه!!

من هنا كان الإسلام تكويناً خصوصياً يفضي إلى تكوينات عمومية، وهو يحرص في حركته دائماً على تحقيق هذين الجناحين

في المعادلة الواحدة، فلا الخصوصية تعزل نفسها عما يتغياه الإسلام من طموح إلى الأشمل ولا العمومية تعزل نفسها عما يحتفظ به الإسلام لنفسه من خصوصية بلا نظائر، إنه هنا يرنو إلى توازن حقيقي بين ما هو خاص وما هو عام بلا تفريط هنا وبلا إفراط هناك وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه خاص وعام!!

٦ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «دنيا وآخرة»: دنيا تمتلىء بالفاعلية والحركة وتجاوب الأشياء والأحياء، وآخرة تعطى للمجال آماداً أوسع، وللطموح مشروعية أنظف، وللكل أن يعمل اليوم في رقابة الغد، وأن يحصد غداً ما يزرع الآن.. وبهذه المثابة كان الإسلام أرحب وعياً للظاهرة الوجودية وللظاهرة الإنسانية على السواء، لأنه لم يحصر الواقع كله في مجرد حياة دنيا آفلة، وإنما أدخل في المعادلة – بقانون عادل تماما وحكيم تماما– حياة أخرى أوسع وأرحب، فإذا بالبشر يتعاملون بمنطق من سيمتاز غداً إذا أدركه الآن فوت، ومن سيثاب في الآخرة إذا حقق في الدنيا فعلا يضيء على طريق البشر شمعات!!.

أن يدخل الإسلام الآخرة –هكذا– في المعادلة، هذا معناه أن لا يقتتل البشر على الدنيا حتى الدمار، وأن يتجاوزوا محدودية الآن ليمدوا طموحهم للما بعد، وأن يتأملوا –حين يتأملون– واقعاً واقعاً، وواقعاً محتملاً، فيزرع تصور المحتمل فيهم نزوعهم إلى المستقبل، وشوقهم إلى التجاوز، وتطلعهم إلى الجراءة على المجهول!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه دنيا وآخرة!!

٧ والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «شمول»: أي لأنه يتحدد في مسئوليته عن كل الكون وكل الحياة، حتى عن الجانحين عن سوائه، حتى عن المعاندين لمنطقه، حتى عن الذين يرفعون في وجهه كل خناجر الحقد الأسود.. ولو أن الإسلام كان دعوة عرقية لتعصب للون ضد كل الألوان، ولو كان دعوة إقليمية لأغلق حدوده على أتباعه ودون كل البشر، ولو كان دعوة راعشة لتوقى أن يطرح نفسه على كل فكر العالم القديم والحديث والآتي.. ولكنه شيء مختلف تماماً.. لأنه فطرة إلهية، ولأنه روح ومادة، ولأنه ثوابت ومتغيرات، ولأنه خاص وعام، ولأنه دنيا وآخرة ولأنه شمول.. وكل هذه المحاور التي تشكل بعض جوهر الإسلام تؤكد له شموليته، وعجز أي من الماضي وحده أو الحاضر وحده، أو المستقبل وحده أن يكون إطاره الوحيد.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل.. كما يخاطب الماضي والحاضر.. من خلال هذه المسلمات!!

***

فلسفة العقوبات فى التشريع الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

يمكن الإلمام بأهم مايتعلق بالعقوبات فى الإسلام كما يلى:

النـوع: من حيث النوع العقوبات فى الإسلام على ثلاثة أنواع:

أولاً: القصاص، وهو العقوبة المحددة للجناية على الغير، فى النفس أو فى أحد الأعضاء.

ثانياً: الحدود، وهى عقوبات محددة لجرائم معينة، هى: الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر والإفساد فى الأرض.

ثالثاً: التعزير، وهو عقوبة يفوض الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء فى تقديرها على من يرتكب جرما لايدخل فى نطاق القصاص أو الحدود، فيقدرها بما يحقق الغرض من العقاب، سواء بالسجن أو الضرب أو اللوم أو الغرم المالى أو غير ذلك.

وقوانين العقوبات المعمول بها حاليا والتى تتعلق بكل ما ليس من باب القصاص أو الحدود تعد من قبيل التعزير.

الحقـــــوق

من حيث ملكية الحق فى العقاب تنقسم العقوبات فى الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم هو حق لله -تعالى-، بمعنى أن الله هو صاحب الحق فى العقاب، ويترتب على ذلك أنه لايملك أحد العفو عن الجانى إذا ثبتت عليه الجناية فى هذا النوع، وهى خمسة حدود: حد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وحد الإفساد فى الأرض الذى يسمى -أيضا- حد الحرابة، وحد قطع الطريق، وفى كل حال فالتسمية فى هذا الحد مأخوذة من صفة الجريمة، فقد وصفها القرآن بأنها إفساد فى الأرض، وبأنها محاربة لله ورسوله، ومن الناحية الواقعية هى قطع الطريق، وهذا الحد عقوبته واجبة، ولكن تحديدها متروك للحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء، لأن جرائم قطع الطريق مختلفة، فقد تتضمن القتل أوالسرقة أو الاغتصاب، أو الترويع، فالعقاب متروك للحاكم يقدره حسب نوع الجريمة، وحسب الوسيلة التى يراها أجدى فى تحقيق الأمن للمجتمع، ولكون الحاكم مفوضا فى هذا النوع فإن بعض فقهاء الإسلام يعدونه من التعزير وليس من

الحدود، بينما الفقهاء الذين يعدونه من الحدود ينظرون إلى مبدأ العقاب فيه حيث هو واجب ولايجوز العفو فيه إذا ثبتت الجريمة، والتفويض منصب على نوع العقوبة، وليس على مبدأ العقاب.

والأمر المهم هنا هو أن هذه الحدود كلها حق لله لأن الجناية فيها تتجاوز المساس بحقوق الأفراد إلى المساس بأمن المجتمع كله سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ففيما يتعلق بالزنا لو تصورنا مثلاً شخصًا يقف فى ناصية شارع ليتحرش بالنساء ويغريهن بالفساد، فجنايته على اللاتى يتحرش بهن وعلى أهلهن جناية مباشرة، ولكنه يجنى على أهل الشارع جميعا جناية غير مباشرة حيث يخافون جميعا على نسائهم وبناتهم، وفى حال السرقة لو تصورنا لصا فى حى من الأحياء، فإذا سطا هذا اللص على بيت فإنه يكون قد جنى على أهل البيت جناية مباشرة، ولكنه يجنى على أهل الحى أو البلدة جميعا حيث يتوجس كل منهم خيفة على بيته من السرقة فتكون جناية اللص على أهل الحى أو البلدة جناية غير مباشرة، وفى حالة شرب الخمر، فإن الشارب يجنى على عقله وعلى نفسه بالسكر وبالأضرار الصحية جناية مباشرة، والنفس بكل مكوناتها ملك لله وليس لصاحبها ، وفى حال السكر فإن السكران وهو فى غير وعيه قد يجنى على غيره فى العرض أو المال فتكون جناية مباشرة على المجنى عليهم، كما أن كل المحيطين بالسكران لا يتحقق لهم أو لهن الأمن على العرض أو المال فتكون الجناية حينئذ غير مباشرة، وكذلك القذف، فهو اتهام بالزنا، وهو جناية مباشرة على المتهمة أو المتهم بالزنا وعليهما معا إن وضحهما الاتهام، ويترتب على هذا الاتهام التشكيك فى نظافة عرض المتهمة وشريكها، فضلا عن التشكيك فى النسب، وهو أيضا جناية غير مباشرة على المجتمع المحيط بمن وجه إليهم الاتهام نتيجة صلتهم بمن وجه إليهم القذف، وأيضا خوفهم أن يلحقهم أو يوجه إلى أعراضهم قذف حين يشيع القذف فى المجتمع، والوضع فى حالة قطع الطريق أوضح، فهو جناية مباشرة على من قطعت عليه الطريق، وجناية غير مباشرة على المجتمع من حيث فقدانه أمن الطريق وهنا موضع التأمل فى حكمة التشريع الإسلامى فى جعله جرائم الحدود حقا لله لا يملك أحد حتى المجنى عليهم أو الحاكم العفو عن الجانى، لأن الجناية حينئذ لو كانت مقصورة على المجنى عليه لا تلحق أو لا تهدد غيره لكانت الجناية حقا شخصيا (مدنيا) يملك المجنى عليه أو نائبه العفو عن الجانى، ولكن كل جنايات الحدود كما رأينا فى أمثلتها تصيب بطريق غير مباشر أمن المجتمع المحيط بالجانى والمجنى عليه على نفسه أو عرضه أو ماله، لذلك كانت العقوبة فيها حقا لله لا يملك أحد العفو فيها، ولم يكن القانون الوضعى مخطئا فى تعليل عدم جواز العفو فى عقوبة الجنايات بأنها حق المجتمع، وإن كان التطبيق أى تحديد العقاب جائرا عن التشريع الإسلامى جورا شديدا.

٢ - والقسم الثانى من العقوبات هو القصاص، وهوحق للناس، فالمجنى عليه فى القصاص هو صاحب الحق فى تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجانى، وذلك فى الجناية على الأعضاء، فإذا قطع أحد يد شخص آخر فالمجنى عليه هو صاحب الحق، أما فى الجناية على النفس بالقتل فإن الحق ينتقل إلى الورثة فيصبحون هم أصحاب الحق فى تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجانى، ويتم ذلك كله عن طريق الحاكم أو نائبه وهو القضاء.

والنوع الأول وهو جرائم الحدود يقابله فى التشريعات الوضعية القانون الجنائى الذى يكون

العقاب فيه حقا للمجتمع فلا يملك أحد العفو فيه حين تثبت الجناية.

أما النوع الثانى وهو القصاص فيقابله فى التشريعات الوضعية القانون المدنى الذى يعالج الحقوق المدنية التى تتميز بأن صاحب الحق فيها يملك تنفيذ العقوبة كما يملك العفو عن الجانى أو الخصم كما فى حالة الدائن والمدين.

والفرق كبير بين نوعية هذا الحق فى التشريع الإسلامى والتشريعات الوضعية الحديثة، فالحقوق المدنية فى التشريعات الوضعية تدور حول الحقوق المادية والأدبية، أما فى التشريع الإسلامى فيضاف إلى ذلك التعدى على النفس وعلى الأطراف والأعضاءالتى يعبر عنها بجرائم القتل وجرائم العاهات.

وسنرى أن للإسلام حكمة اجتماعية شديدة الأهمية فى جعله القصاص حقا مدنيا.

٣ - القسم الثالث من العقوبات فى التشريع الإسلامى التعزير، وهو حق للحاكم أو من ينوب عنه فيما يتعلق بالعقوبات وهو القضاء باعتباره مسئولا عن تنظيم الحياة الاجتماعية وحمايتها وإصلاحها، ومعنى ذلك أن عقوبات هذا القسم فى حقيقتها حق للمجتمع، والحاكم نائب عنه.

فإذا كانت الجريمة أو المخالفة لاتدخل فى نطاق أحد القسمين السابقين فعقوبتها تسمى تعزيرا، وهى حينئذ غير محددة، لأنها لو كانت محددة لكانت ضمن أحد القسمين السابقين الحدود والقصاص، فالحاكم أو من ينوب عنه هو الذى يملك تحديدها، ويملك تنفيذها أو العفو عنها حسبما تقتضيه المصلحة العامة، ويتحقق به الهدف من العقوبة.

أهـــداف العقوبـــات

لاخلاف حول أن العقوبة جزاء عن جرم ارتكب، فليس هناك خلاف من الناحية التشريعية، ولكن يوجد خلاف بين بعض الفقهاء حول فلسفة العقوبات أو حول فهمهم للحكمة فيها، فيما يعرف بتعبير: هل العقوبات زواجر أم جوابر؟ بمعنى أن بعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو زجر الآخرين حتى لايحاول أحد تكرار هذه الجريمة، فحينما يرى العقاب منصبا على المجرم يرتدع ولا يقدم على الجريمة، وبعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو إنزال الجزاء بالمجرم فيكون هذا تكفيرا للذنب الذى ارتكبه بمزاولة الجريمة، فالعقوبة حينئذ تجبر الخلل الذى أحدثه ارتكاب الجريمة فى تدين مرتكبها، فيصبح بعد العقوبة طاهرا من هذا الذنب.

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى الاتجاهين، فأحيانا يشير إلى الزجر كقوله -تعالى- فى سياق عقاب الزانيين:

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

فهذا أمر صريح بأن تكون العقوبة علنية فى جمع من الناس لتكون زجرا لكل من تسول له نفسه مزاولة هذه الجريمة، وأحيانا يشير القرآن إلى أن العقوبة مجازاة للجانى حيث يقول سبحانه:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢).

(١) سورة النور (٢).

(٢) سورة المائدة (٣٨).

وحيث نال جزاء جريمته يسقط عنه ذنب هذه الجريمة.

فالخلاف ليس حول كون العقاب جزاء على الجريمة، وإنما حول مسألة الزجر عن تكرار الجريمة أو التكفير عن ذنبها، ولكن عند إلقاء نظرة على روح التشريع الإسلامى كله فيما يتعلق بالعقاب نجد القصد الأوضح دائما هو الزجر عن مزاولة الجريمة تحقيقا لصلاح المجتمع الذى هو هدف كل الشرائع السماوية، الذى انصبت عليه كل جهود الأنبياء والمرسلين والمصلحين فى تاريخ البشرية وذلك لما يأتى:

١ – تكفير الذنوب عند الله طريقه دائما هو التوبة إلى الله وليس العقاب، فحينما يشعر المجرم بالندم ويتوب إلى الله فيما بينه وبين نفسه فهذا سبيل الغفران عند الله بينما لو تصورنا مجرما يصر فيما بينه وبين نفسه على تكرار مزاولة الجريمة فمهما نزل به من عقاب فلا يتصور أن يكون العقاب تكفيرا لذنبه وهو مصر على معاودته.

٢ – من الملحوظ بوضوح أن التشريع الإسلامى لايصر على تنفيذ العقوبة إلا بوصفها آخر الحلول، بل نراه دائما يلتمس الوسائل لتفادى تنفيذ العقوبة، ففى كل جرائم الحدود نجد الحديث النبوى (ادرأوا الحدود بالشبهات) فمع ارتكاب الجريمة التى توجب الحد ومع تحقق وقوعها إلا أنه إذا وجدت أية شبهة يستفيد الجانى فى موقفه فإن التشريع يترك جانب ثبوت الجريمة مع أنه أقوى، ويميل إلى جانب الشبهة مع أنه أضعف، فتسقط العقوبة، كالسارق الذى تثبت عليه السرقة ولكن توجد شبهة مع أنه سرق بسبب الجوع أو الحاجة الضرورية الملحة، فتسقط عقوبة الحد، وكذلك فى عقوبة القصاص، فمع ثبوت الجريمة على الجانى إلا أن التشريع دائما يدعو إلى العفو عنه، بل يجعل الترغيب فى العفو أول ما يعرض على المجنى عليه، وكذلك فى حد المفسدين فى الأرض كقطاع الطرق نجد التشريع الإسلامى يحدد صنوفا رادعة عنيفة من العقاب، ولكنه يلغى كل هذه العقوبات مهما تعظم الجرائم إذا جاءوا تائبين من تلقاء أنفسهم قبل أن يقعوا فى قبضة السلطة، ففى القرآن: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٣).

ومن أمثلة الدعوة إلى العفو عن الجانى فى القصاص قوله – تعالى –:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾(٤).

وأمثلة إلغاء عقوبة الحدود لوجود الشبهة كثيرة تنفيذا للحديث الشريف المشار إليه (ادرأوا الحدود بالشبهات) ومن ذلك أن عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– عطل حد السرقة فى العام الذى حدثت فيه المجاعة فى المدينة فى خلافته، وقد أقر الصحابة والمسلمون هذا الحكم فأصبح إجماعا.

(٣) سورة المائدة (٣٣، ٣٤).

(٤) سورة الشورى (٤٠).

دعوة إلى العرب (١)

للأستاذ كمال النجمي ـ رحمه الله ـ (٢)

علت صيحة كالرعد دوى هزيمها ... تحامى صداها واتقاه غريمها
ألمت، بأسماع الطغاة فزلزلت ... وحز قلوب المؤمنين أليمها
هفت من فلسطين إلينا فنبهت ... نياما قلاها كهفها ورقيمها
وسالت لها منا حقود قديمة ... على الغاصب الباغى يجيش كظيمها
لقد جحد الباغى فلسطين حقها ... وأسرف فى جور عليها ظلومها
لها الله من مهضومة غيل أمنها ... وحال عذاباً خفضها ونعيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها ... وأسلمها للحادثات حميمها
وكان لها فى العرب لولا جمودهم ... حسام إذا ما اهتز ريع خصيمها
بنى يعرب تدعو فهلا أجبتم ... سليبة حق أثخنتها كلومها
أبوتكم ترنو لكم من قبورها ... وتدعوكم أمجادها وقرومها
هم جاهدوا فى الله حتى توطدت ... ديارهم أمناً وقرت تخومها
مضوا فى الدنا شرقا فأسلم فرسها ... وساروا بها غرباً فسلم رومها

---

(١) نظمت ونشرت فى الأهرام سنة ١٩٤٧ قبل استيلاء الصهيونيين على الجزء الأعظم من فلسطين: وقد مضى قرابة ستين عاماً، والحال ينتقل من سيء إلى أسوأ، ولم يتغير شيء غير أن أمريكا حلت محل انجلترا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(٢) شاعر عربى كبير تولى رياسة تحرير «مجلة الهلال» حقبة طويلة والقصيدة من ديوان (أنداء محترقة).

لهم ذكـريات يعـبق المسك إن سـرت ويذهب بالألبـاب سكراً شـمـيـمـهـا
فـسـيـروا على هدى الجـدود فـإنهم سـمـاوات حق لا تغـيب نجـومـهـا
دعـتكم فلسطين وقـد ضـاق سـجنهـا وزاد أسـاها قـيـدها وشكيـمـهـا
وحلت بهـا من وعـد بلفـور ظلمـة من الليل يعمى المبصـرين بهـيـمـهـا
مـرابعـهـا الفـيح الضـواحك أصـبحت يؤرث نيـران الشـجـون وجـومـهـا
حـدائقـهـا نهب الذبول زهورها وأشـجـارها نهب الرياح هشـيـمـهـا
تبكي الغـصـون الذاويات طيـورها ويرثي لورود الذابلات نسـيـمـهـا
فـأضـحت وقـد كـانت مناظر جنة تهـيج دمـوع الأوفـيـاء رسـومـهـا

***

بني يعـرب حـان التـأهب فـاشـحذوا عـزائمكم حـتى يصح سـقـيـمـهـا
وكـونوا كـمـا كـان الألى أنجـبوكم نفـوسـاً كـباراً واسـعـات همـومـهـا
إذا اتسـع إلهـم العـظيـم حـملنـه وقـمن به حـتى تضـيق جـسـومـهـا
فلسطين باب البـيـت روع أمنهـا وديس - وأنتم تنظرون - حـريمهـا
قـرابتنا الأدنون يسـتـصـرخـونكم فـبئست عـيون ليس يصحـو نؤومـهـا
سـراعـاً بني العـرب الجـحـاجح إنهـا حـيـاة هوان مـا يطاق جـحـيـمـهـا
ومـا الموت سم في الشـفـاء وإنما أراها حـيـاة لا تطيب سـمـومـهـا
فـلا توجلوا من مـوتة ليس بعـدها سـوى جنة فـيحـاء طاب نعـيـمـهـا
بكم غـدرت إنكلتـرا فـتـرقـبـوا بقـيـة غـدر سوف تهمي غـيـومـهـا
وثقـتم بهـا حـتى تبلج نضـرها ونيل لهـا بعـد الشـمـاس صـرومـهـا

بهـــا خــدع الشـــرق الغـــرير وغــره أقـــاويل إفك قـــالهن زعـــيـــمـــهـــا
وكــــان تبـــيع الكاذبين فـــهل رأى مـــواثقـــهم تبلى ويفنى رمـــيـــمـــهـــا
فـــيـــا أســفــا للعـــرب كـــيف تبـدلت عـــزائمـــهـــا ضــعـفـاً وجـهـلا علومـــهـــا
غـــدت فى الدنا ذيلا وكـــان من الدنا بمنزلة الرأس الكبـــيـــر قـــديمهـــا

***

فلسطين مـــا غـــيـــر الجـــهـــاد مطيـــة إلى المجـد يفـضى وخـدها ورسـيـمـهـا
وليس ســـوى الأرواح بعـــد وســـيلة يبلغك الحق الهـــضـــيم قـــويمهـــا
فـــلا تعـــدلى عنهـــا إلى الخطة التى عـــواقـــبـــهـــا مـــا إن يطاق وخـــيـــمـــهـــا
ولا تطلبى بالقـــول حـــقـــا مـــضـــيـــعـــا فـبـالسـيف يسـمـو للعلى من يرومـهـا
لقــد ســفــرت إنكلتـــرا وحليـــفـــهـــا بأوجـــه مـــئينٍ كـــالجليـــد أديمهـــا
وخلفـــهم الشـــذاذ من كل بقـــعـــة نفت لؤمـــهم حـــتى اســـتـــراح كـــريمهـــا
رنت لســـمـــاء القـــدس منهم طمـــاعـــة نواظر يقـــذى الناظرين دمـــيـــمـــهـــا
إذا عـــرجـــوا فـــيـــهـــا ونحن حـــمـــاتهـــا وكـــانوا شـــيـــاطيناً فنحن رجـــومـــهـــا
ونحن أناس يشـــهـــد الســـيف أننا به حين تعـــوج الأمـــور نقـــيـــمـــهـــا
لنا فى الأمـــور المدلهـــمـــات فطنة وطول أناة لا يخـــيـــب حكيـــمـــهـــا
ومـــا كـــان فـــتح الإنكليـــز ســوى الردى وإن زعـــمـــوه نعـــمـــة نســـتـــديمهـــا
وجـنـدهم كـــــانت لدينا ولم تزل أمـــارات شـــؤم لا يســـر قـــدومـــهـــا
لنا أنفس بالناس جـــد رحـــيـــمـــة وتقـــسـو إذا مـــا ضـــيم يومـــا رحـــيـــمـــهـــا
سنقـــســـو ذياداً عن حـــقـــوق بلادنا وننشـــدها حـــتى يرد هضـــيـــمـــهـــا
ليـــعلم جـــزار الشـــعـــوب بأننا ضـــراغم غـــاب لاتلذ لحـــومـــهـــا

حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

للدكتور

السيد أحمد فرج

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

لم تكن رواية (وليمة لأعشاب البحر) أول الأعمال الإبداعية التى اشتجرت حولها الآراء، واحتدمت بسببها المناقشات ولن تكون آخرها؛ فالكيان البشرى مفطور على الاختلاف الناشىء عن اختلاف المشارب، وتباين الرؤى والآراء، وتعارض الأفكار، وتقابل العواطف والميول والرغبات:

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١)

فالفصل الحاسم بين المختلفين مرجأ إلى يوم القيامة، حتى يؤتى الاختلاف ثمرته، ويتحقق منه ما أراده فاطر الخلق ـ سبحانه وتعالى ـ من إظهار الحق، ودحض الباطل، حتى لا ينتشر الفساد.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

حرية الأديب وأبعاد الاختلاف فيها

ولقد كانت الحرية من أبرز قضايا العصر التى ثار حولها الخلاف، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ممن أثارها فى أوائل هذا العصر حين دعا إلى طرح ما أدخل على الأمة فى إسلامها من البدع التى لا تمت إلى الإسلام بأى صلة، ونبذ كل ما فرضته المصالح الشخصية لبعض الحكام من أخلاقيات وقيم، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح فى عهد الازدهار الإسلامى الخالص، وتابع ابن عبدالوهاب فى دعوته تلك كثير من التلاميذ الذين تكاثروا وتشعبوا فرقاً، بين ملتزمين بالقيم الإسلامية، ومبالغين فى التطبيق. بيد إنها ظلت حرية تدور فى المحور الإسلامى، ولا تخرج عن إطاره العام.. إلى أن نهضت طائفة من أبناء الأمة أتيح لهم أن يتصلوا بالحياة الأوروبية، وقارنوا بين ما رأوه وما عليه الحال فى داخل البلاد الإسلامية تحت ظلال الحكم القائم على الظلم والعسف والجور تحت مظلة الإسلام، فامتدحوا ما رأوا هناك، وبالغ بعضهم فى الإعجاب بما رأى حتى بلغ درجة الافتتان. فلم يروا الحرية هناك فى أعماقها وشتى أبعادها، وإنما وقفت رؤيتهم عند حدود السطح الزاهر المشرق الجذاب، فقاموا يدعون إليها متوسلين بتصوير الواقع الفرنسى خصوصا الباريسى، وما عليه الناس هناك فى سلوكهم الشخصى، والاجتماعى... إلخ، كما صنع الشيخ رفاعة الطهطاوى، وخير الدين التونسى. ومن هنا نشب الخلاف، وتولدت القضية فى العصر الحديث.

ولم يكن الخلاف فى هذه القضية حول التسليم بحرية الأديب فى تعبيره وعدم التسليم بذلك فحسب، بل امتد الخلاف ليدور حول مدى هذه الحرية ونوعها، وهل هى حرية مطلقة أم مقيدة، ونوع هذه القيود، ومصدرها... إلخ.

والمتأمل المنصف يرى أن ذلك الخلاف لم يكن خلافاً عصرياً، فقد عرف المجتمع الإسلامى هذا الخلاف منذ القرن الأول الهجرى. بيد إنه – فى الغالب – لم يخرج على الإطار الإسلامى العام، وكل ما هنالك أن بعض الاتجاهات تحدُّ من تلك الحرية فى داخل الإطار الإسلامى، وبعضها الآخر يطلقها

(١) يونس «١٩».

(٢) البقرة «٢٥١».

مادامت مقيدة بالإطار العام على نحو ما يراه الدارس فى تاريخ الفرق الإسلامية وفكرها.

وهكذا.. نقل إلى الإسلامية العربية صورة من الصراع المحتدم بين الأوروبيين حول حرية الأديب وعدم حريته لتجد فريقاً ثالثا يتمسك بالحرية الإسلامية، ويدعو إليها، ويدافع عنها.

وفى زحمة هذا الخلاف والصراع تشعبت الآراء، وتعددت الاتجاهات، مع أن الجميع يكادون يلتقون عند نقطة واحدة، ولو أنهم لتحديد المفاهيم، إذن لما وجدوا خلافاً، ولما كان هناك صراع فى هذا الميدان، ولكنه عنف التعصب المثير.

فالذى يعرف أن الأدب نشاط إنسانى - بكل أبعاد هذا النشاط - يدرك أنه لا قيمة للتعبير الكلامى بدون مبدع يقصد أن يعبر بإبداعه عن أحاسيس الإنسان ومشاعره نحو أحداث الحياة، وظواهر الكون ليتفاعل معها، ويعايشها، ويدرك ما تكنه من أسرار، ويسعى لاكتناه ما قد تخفيه عليه من تلك الأسرار.

ويدرك أنه لا قيمة لهذا التعبير إذا لم يكن ثمة إنسان يتلقاه، ويتمثل معاناة مبدعه، ويتلمس مقاصده، ويجد فيه ذاته، أو يتعرف من خلاله على ما يجهل من أسرار الحياة، ودقائق الخلجات النفسية.

فالإنسان - أولا وأخيرا - هو مصدر الأدب ومحوره، وهو مستودعه ومتلقاه؛ بمعنى: أنه المتأثر الذى ينطلق لسانه أو قلمه بالتعبير عما يضطرب فى داخله من الانفعالات، سواء كان الإنسان هو موضوع الأدب أم غير الإنسان.

والإنسان - كذلك - هو غاية الأدب ومتلقاه، ومتوجَّيه ومنتهاه الذى ينتهى إليه الإبداع الأدبى بما حملته رموزه من معان وإيحاءات مشحونة بالقوى الانفعالية والشعورية المتدفقة من ذات الأديب المبدع.

فارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط القائم على التلازم يجعل من الأدب وشيجة قربى تعرف الإنسان بأخيه الإنسان، وتفتح أمامه مغاليق الحياة، وتهديه السبل فى شعاب الحياة ودروبها؛ فتتوطد الصلات بين الإنسان والكون من جهة، وتتوثق الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، فلا مكان للعبثية فى الإبداع، ولا يصح أن يخلو إبداع من مقصد إنسانى يسهم فى الترقى بالإنسان.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - فى إبداعه وفى تلقيه - يفرض على الإنسان أن لا يخرج عن حدود المنعَم عليه تجاه المنعم؛ فلا يصح من الإنسان الأديب أن يركبه الغرور، أو يستبد به التعالى، أو يسيطر عليه التكبر، أو يقوده الانخداع ويغفل عن قيمة النعمة التى منحه المنعم إياها، فيهمل حفظها ورعايتها، أو يغفل عن دور تلك النعمة ورسالتها، والإفادة منها.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - مبدعا ومتلقيا - هو الذى فرض على المبدع أن يراعى مقتضى الحال، وأن يجعل من الفطرة الإنسانية السليمة إطارا يحدد مسار الأدب ونشاطه من جهة، وميزانا يقوّم النتاج الأدبى ويهذبه، ويلزمه بضوابط الحق والجمال والخير من جهة أخرى، حتى لا يتفلت من عناصر الكيان الإنسانى الثلاثة: المعرفة، والوجدان، والسلوك.

إلى غير ذلك من الارتباطات التى تقرر أن الأدب يخدم الإنسان، وليس العكس، وأن على

الأديب المبدع أن لا يغفل عن وظيفة الأدب وأن لا يطلق لنفسه عنان الحرية، محتجاً بشرف الدور الذى يقوم به؛ فشرف الدور الذى يقوم به الأديب المبدع مستمد من حفاظه على ثوابت الفطرة الإنسانية، فمادام محافظاً على تلك الثوابت، دافعاً عنها كل زيف، داعيا إليها، حاضاً على التمسك بها... أقول: مادام المبدع كذلك كان مؤدياً دوره، مستحقا من مجتمعه الحياة والرعاية.

من هذا المنطلق اتسم الخلاف حول أى عمل يصدر عن الإنسان أدبيا كان أو سلوكيا بسمة المطاطية والاتساع، حتى بدا المختلفون حول الأعمال الإبداعية فى هيئة القطيعة، فهذا فى أقصى اليمين، وذاك فى أقصى اليسار، حتى كأن لا التقاء.

حوار حول رواية (وليمة لأعشاب البحر)

ومن هنا.. احتاج المختلفون فى تقدير العمل الأدبى إلى رأى منصف واع يعيد إلى المختلفين توازنهم والتقاءهم على كلمة سواء.

وهذا – فيما أرى – دور المحاور الذى يعيد النظر فيما يقوله كل طرف، حتى يقفنا على المرتكز الخالص الذى يفك الاشتباك، ويقرب إلى الصواب أو يَجْمع المختلفين عليه.

ومن هنا... نهض الدكتور السيد أحمد فرج ليؤدى دور الناقد الصادق – أو الميزان العادل – كى يفصل بين وجهتين متناقضتين كل التناقض؛ إحداهما ترى فى الرواية خروجاً على الجادة، وتفلتاً من عقيدة الإسلام وقيمه وأخلاقياته. والأخرى ترى أن الرواية إبداع فنى يجب أن يترك فيه للمبدع حبله على غاربه، حتى يحلق مع رؤاه الفنية لا يعوقه معوق، ولا يقومه مقوم؛ فالروائى فنان مبدع يجب أن تكفل له الحرية المطلقة حتى يمتع بفنه، ويستكمل بناءه الإبداعى.

والدكتور الذى نهض بعبء هذا الحوار الشاق المضنى ليس متطفلاً على ميدان التحكيم، ولا غريباً عليه، ولكنه واحد من المتخصصين فى الدراسات النقدية الجامعية، فهو أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة المنصورة، وقد قدم دراسته فى كتاب يحتوى على اثنتين وعشرين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، نشر دار الوفاء سنة ٢٠٠٢م، وأقام هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول، وأربعة ملاحق، حاور فيها أصحاب الوجهتين المتقابلتين فى تقويم الرواية.

وقد عمل الدكتور على أن يلتزم فى حواره الحيدة المطلوبة من الناقد الجاد، فاستعرض – فى المقدمة – أبرز صفات طرفى المواجهة، فقرر أن الحوار بدأ بين تيار يمثل التفكير الملتزم بتعاليم الإسلام، وتيار وصف نفسه بتيار المثقفين التنويريين، وأن هذه المواجهة اجتذبت إلى الساحة أطرافاً أخرى، كان لها أثر فاعل فى دعم هذا التيار أو ذاك. وكان فى مقدمة تلك الأطراف الوسيطة أكبر هيئة تشريعية فى البلاد، المتمثلة فى مجلس الشعب ولجنته الدينية، وأكبر مؤسسة دينية إسلامية فى مصر، المتمثلة فى الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، ومجموعة من المفكرين والكتاب الصحفيين وغير الصحفيين ذوى الميول والمشارب المختلفة، أو المحايدين ممن استدعاهم الموقف إلى الإدلاء بدلوهم.

وقرر أن هذا الحوار انتهى بسكوت أكثر الأطراف عن الكلام إلا أصوات ما عرف بجبهة المثقفين التنويريين التى وجهت كل سهام غضبها إلى قلب

الأزهر، تاركين الحديث عن الرواية؛ لإعلان انتهاء دور الأزهر، مُدَّعين أنهم وحدهم من دون الناس هم المثقفون، وأنهم وحدهم من دون الناس القادرون على صنع الإبداع وتقويمه، فأضفوا على أنفسهم خصائص كهنوتية غريبة عن البيئة الإسلامية.

الرواية والراوي وليد ماركسي

وفى الفصل الأول (الرواية : الإنسان والجغرافيا والتاريخ) استعرض الدكتور عناصر الرواية استعراضا شمل الكاتب بتقديره واحدا من عناصرها الأساسية التى تقوم عليها؛ شأن كل عمل فنى، إذ الأعمال الفنية لا تنفصل بأية حال عن مبدعها، فهى انعكاس لأفكاره، ومعرض لآرائه ومعتقداته، وبعض من نبضه الوجدانى.

وكان من أهم ما حدد به معالم الكاتب أنه سورى الميلاد، ماركسى العقيدة، علوى المذهب، خرج من سوريا فراراً من نظام سياسى بغيض، أو رغبة فى العمل بجزائر المليون شهيد، التى تمثلت حلماً فى خيال الشباب العربى، بعد نجاح ثورة التحرير من الاحتلال الفرنسى.

وأنه احتفظ لنفسه بكراهية ضمنية مباشرة، أو إسقاطية للبلاد العربية، ظهرت فى قوله: « فى العراق وسوريا ومصر وسائر البلاد العربية لا يوجد غير السلب والنهب والقتل والأكاذيب، والحكام العرب حلاليف وطغاة وأعداء لشعوبهم ».

وأن ماركسيته بعثته على السخرية من الثورة الجزائرية، وكل الثورات العربية لأنها لم تكن ماركسية، وجعلته يضفى على أبطال روايته الصبغة الماركسية؛ فمهدى جواد يفخر بأنه ملحد يضع الشرف وأخلاق المسلمين فى مؤخرته، و(مهيار الباهلى) شيوعى عراقى، مأخوذ بعصور التنوير اللوثرى وما شابهها، ويسخر من الزكاة.

بل إن تلك الماركسية جعلته يستل (فله بو عناب) من صفوف النضال الثورى الجزائرى ليجعل منها العاهرة المقدسة التى بَاعت كل ما تملك بدءاً من الشرف، وانتهاء بالله والثورة، حتى إن (آسيا الأخضر) المفتونة بأبيها المناضل الجزائرى الشهيد قد انحدر بها الكاتب من سماء النضال، وقوة الإرادة إلى درك العشق والفساد، حيث أصبحت مهبط شهوة الرجال الشبقين، و(منار) أختها تجاهر بحب الفرنسيين، وبغض العرب، والحاج (محمد) نموذج المسلم العربى فى تصور الكاتب لا يعرف من الدين إلا قشورا.

ومن هذا الاستعراض يقرر الدكتور أن شخصيات الرواية منتقاة بعناية مقصودة، وأن الكاتب صنعها على عينيه، وهيأها لإعلان الرفض المطلق للدين، ولكل موروث من قيم وأخلاق، وأهل هذه الشخصيات لرفض أشكال الحكم العربى.

ويقرر الدكتور أن الرواية نوع من الفكر العبثى الذى يؤدى إلى اللاشىء، والذى يطالب بتدمير كل شىء، لإقامة ماركسية لينينية فى الوطن العربى.

ويدعم الدكتور ما قرره فى شأن الرواية بما أضفاه عليها واحد من مشاهير النقاد العرب الماركسيين - وهو محمود أمين العالم - فى قوله: هى رواية « تعبر عن رفض مطلق، بل إدانة مطلقة للأوضاع العربية الراهنة، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية السائدة فيها، والمهيمنة عليها. »

وحياد الدكتور المحاور فرض عليه أن لا يقصر استعراضه على الكشف عن هوية الراوى والرواية،

فأضاف إلى ذلك مايراه مخلصا للراوى من موقفه العبثى التدميرى، فيقول: «لو أن الكاتب أشار إلى السلبيات دون أن يهدم الأشياء والأفكار دون ما غاية أو هدف لأعطى الحق فى أن يقول كلامه، ولكنه صور العالم العربى لا عقلانيا، معطوبا، منهوبا، مستلبا، فى حالة حصار من جهل أهله، وقهر حكامه.»

ولفت الدكتور النظر إلى أن ماركسية الراوى أوقعته فريسة الأسلوب التقريرى، الذى بدا فى حرصه على دعوة العقل العربى إلى اعتناق الأفكار اللينينية التى أضفت عليها من القدسية ما جعل منها كهنوتا، حتى ليخيل للقارىء أن من بين يديه بيانا شيوعيا مطولا يفسر بيان ماركس / انجلز المختصر؛ فبينما يقدس الراوى تعاليم ماركس ولينين الإلحادية، يزدرى العقائد الدينية، ويسخر من الأخلاقيات العربية والإسلامية، وعادات العرب المنبعثة من تعاليم الإسلام فى جميع صفحات الرواية السبعمائة، فيجرفه ذلك إلى الإعلان عن جهله بالقيم الكاثوليكية، متوهما أنها تحض على العهر والشذوذ.

من ثمار الثقافة الوزارية

وفى الفصل الثانى (الثقافة والصحافة والقراءة والنقد وصك البراءة والأزهر الشريف والزيتون) ذكر الدكتور أن دور الثقافة – منذ أصبح للثقافة وزارة ومجلس أعلى – اقتصر على التكرار الببغائى لألفاظ الحداثة والتنوير، وتولى أمرها جماعة ممن فتنوا ببريق الألفاظ الطنانة، واستجابوا لإغراء الغازى المستعمر، فباعوا كل شيء نظير ألقاب لا تخدع إلا الصغار، ومنح لا تدوم.

وذكر الدكتور أن هؤلاء قد سبق إلى وهمهم أنهم - وقد ألبسوا أنفسهم ثوب الكهنوت الثقافى - أصبح فى مقدورهم إصدار صكوك المنْح والمنْع ليجعلوا منها دستوراً يحسم كل أمر يتصل بالثقافة والإبداع؛ وتوَّجوا أنفسهم – بمقتضى ذلك – بتاج الثقافة والتنوير الذى لا يصح أن ينازعهم فيه منازع، وقرروا – كذلك – أنهم وحدهم سدنة الإبداع القادرون على صنعه وقراءته وفهمه، وتحويد من يجوز له الاقتراب من حرم الإبداع، وقرروا – بتلك السلطة – أن علماء الأزهر يجهلون الأعمال الإبداعية، لدرجة العجز عن قراءتها، وفهم سككها، وأن كاتب هذه الرواية – على ما فيها من إسفاف أخلاقى، وتهافت فنى، وانحطاط تعبيرى – من كبار الأدباء.

استنفار التنويريين للدفاع عن الرواية

ورصد الدكتور طرفا من الأحداث التى استغلها التنويريون فى استنفار أعوانهم للدفاع عن الرواية وكاتبها، فذكر أن الاستنفار بدأ عندما نشرت صحيفة (الأسبوع) خبر الوليمة الفاسدة، ولكن النار اشتعلت، والعواصف هاجت عندما نشر الدكتور محمد عباس فى جريدة (الشعب) عن تلك الرواية مقاله الثائر المثير، الذى بدأ أثره فى ثلاث شعب؛ أما الشعبة الأولى فتمثلت فى طالبات وطلبة جامعة الأزهر الذين أهاجهم الأمر، فتظاهروا ثائرين. وأما الشعبة الثانية فتمثلت فى مجلس الشعب الذى عالج الأمر عن طريق لجنته الدينية، ورفع الأمر إلى الأزهر الشريف مرجع الأمة الدينى ليقول كلمة الإسلام فى الرواية. وأما الشعبة الثالثة فتمثلت فى وزارة الثقافة وأجهزتها المعاونة التى انبرت تقرر أن

مؤلف الرواية مؤلف متميز، وأن الرواية قيمة إبداعية عالية، وأنها صدرت فى طبعات كثيرة فى العالم العربى، ويتم توزيعها حاليا فى طبعتها السورية الصادرة فى ٢ / ٥ / ٢٠٠٠، بينما جاء فى بيان الوزير أن الرواية مسحوبة من الأسواق من منتصف نوفمبر سنة ١٩٩٩ أى بمجرد صدورها عن إحدى مؤسسات وزارة الثقافة، وأنه شكّل لجنة برياسة شيخ النقاد المصريين الدكتور عبدالقادر القط لمعرفة الرأى فى الرواية.

ثم ظهر الوزير فى بث مباشر على شاشة القناة الأولى فى التليفزيون فى مساء الاثنين ٨ / ٥ / ٢٠٠٠ ليصرح بأن الرواية تصدر من سنة ١٩٨٣ فى طبعات عربية، وفى مصر الآن لا توجد نسخ منها فى السوق بعد سحبها، وستشكل لجنة من علماء ونقاد، وعلماء دين تدرس الرواية من كل جوانبها، خاصة الجانب الإبداعى، وما يتصل بالدين؛ فنحن لا نقبل التطاول على الدين، أو خدش المجتمع، وسنحدد الموقف بعد تقرير اللجنة.

وفى حديث مع صاحب الرواية نفسه جاء فى (أخبار الأدب فى ٧ / ٥ / ٢٠٠٠) قال: لقد دفعت ثمن جرأتى على الاقتراب من المحرمات كثيرا، فقد تم منع قصصى ورواياتى – وعلى رأسها (وليمة لأعشاب البحر) التى تم منعها من الدخول إلى معظم البلاد العربية لمدة ١٢ عاما... لقد عشت فى بيئة تحاربنى على المستوى الدينى، ويقولون: إننى ملحد.

وهكذا تفجرت التناقضات المثيرة للحيرة والشكوك:

الوزير يظهر مدافعاً عن الدين، وعن التقاليد الاجتماعية الراسخة.

والمسئول عن نشر الرواية يدافع عنها وعن مؤلفها، ويزعم أنها توزع منذ عشر سنوات.

والمؤلف لا يخفى جرأته على الاقتراب من المحرمات الدينية والسياسية والجنسية، واتهامه بالإلحاد، وأنه محل شبهة فى كل بلاد العالم العربى، وأن رواياته ممنوعة من النشر فى البلاد العربية منذ اثنى عشر عاما.

ومع هذا التباين والتعارض الصارخ بين أجهزة الوزارة والوزير والمؤلف.. صدر من الوزارة – بجميع مؤسساتها – صك براءة الرواية، مصرحاً بأن الوزارة لم تجنح إلى الباطل بنشر الرواية، ولكن العيب فيمن لم يتعلموا قراءة الإبداع، وتصدوا لإبداء الرأى فيها.

حتمية الاحتكام إلى الأزهر الشريف

وذكر الدكتور المحاور أن هذا التعارض والاختلاف تطور حتى كاد يصل إلى الاشتباك؛ فمن نعتوا أنفسهم بالمثقفين والتنويريين ينصبون أنفسهم دون غيرهم سدنةً للثقافة، ويتهمون الآخرين بعدم فهم الرواية، حتى تحولت القضية من رفض رواية، ونقد الرفض إلى ساحة سجال غير أدبية إن لم تكن غير أخلاقية، حيث تحول المنعوتون بالمثقفين إلى شتامين بذائين؛ من كل ما دفع المسئولين الرسميين فى الدولة إلى الاحتكام للأزهر الشريف.

فقد سارعت مباحث أمن الدولة بإرسال الرواية إلى مجمع البحوث الإسلامية فى ٦ / ٥ / ٢٠٠٠ لبيان ما بها من مخالفات شرعية، وإبداء الرأى فيها.

ثم أرسل رئيس مجلس الشعب إلى مجمع البحوث الإسلامية كتابا بهذا المعنى فى ١٣ / ٥ / ٢٠٠٠، ولم يكن أمام مجمع البحوث الإسلامية إلا أن يعرض الموضوع على لجنة البحوث

الفقهية لإبداء الرأى، وفى ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠ تم عرض تقريرى اللجنة، والرواية نفسها على مجمع البحوث الإسلامية، مجملا فى التالى :

أولا : إن وزارة الثقافة خالفت ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦٤، وخالفت ما قطعت به الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقرير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات؛ فلم تستطلع رأى الأزهر أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فى الرواية من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة.

ثانيا : أن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر جميع المقدسات الدينية وتهينها بما فى ذلك ذات الله ـ سبحانه ـ وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ثالثا : أن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فادحا، بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ البذيئة بلا حياء.

رابعا : أن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب، ووصفتهم بأقبح الأوصاف.

خامسا : من كل ما سبق اتضح أن ما ورد فى الرواية خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة، والقيم القومية، ويثير الفتن، ويزعزع تماسك وحدة الأمة.. ويضع على عاتق من نشر هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز، والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعيا.

تحويل المعركة لإرهاب الأزهر والأزهريين

ولاحظ الدكتور أن مثقفى وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم من الأزهر لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزييف المضلل؛ أملاً منهم فى أن يسكتوا بذلك صوت الحق، ويكمموا فم الأزهريين، فعلا صراخهم – وليس حوارهم – بالتهديد والوعيد المنطلق من فرض المعايير النقدية التى توافق أهواءهم، وتفرض إبعاد غيرهم، مثل :

١ – تقييم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبى.. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية.

٢ – لا يجوز قراءة جزء من الرواية منفصلا عن السياق العام.

٣ – التنبه إلى العواقب بعيدة المدى لهذا المنهج فى التعامل مع الإبداع الأدبى.

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة فى صحيفة (أخبار الأدب) الصادرة فى ٢١ / ٥ / ٢٠٠٠، فزعموا أن الأزهريين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبى، ولذلك هم – فى رأيهم – لايستطيعون قراءة الإبداع الأدبى ولا تذوقه ونقده، وزعموا أن الدكتور أحمد عمر هاشم – رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب – بإعلانه رأى اللجنة الدينية – قد ساهم فى إشعال المظاهرات. ثم زعموا أن الحكومة وجدت فى هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادى، وفشلها فى علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات، وفرصة كذلك لتتخلص من حزب العمل الذى لا يكف عن إثارة الشغب فى جريدته؛

فحركت الحكومة – بزعم هؤلاء المثقفين – جناحها الدينى بكامل هيئتـه المتمثلة فى شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفى وزارة الثقافة اشتطوا فى تطاولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافى الحقيقة ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوروبا فى القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالت على الأزهر مقالات السب والازدراء، زاعمين أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التى أراد التنويريون طمسها

وأطال الدكتور فى استعراض ترهات مثقفى وزارة الثقافة وأباطيلهم التى عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا – فى نشرها – الصحف القومية وغيرها؛ أملاً منهم فى أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالأباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً فى حواره معهم أسلوب الحوار الجماعى تارة، وأسلوب الحوار الفردى تارة أخرى، معتمدا فى حواره على عرض المزعم الجماعى أو الفردى بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط فى التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط فى الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ فى مناقشة هذا المزعم وتفنيده تفنيدا ثائرا مرة، وهادئا مرات، واضعا صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز معالمها، وكشف نواياهم السيئة، ومقاصدهم الانحلالية المتفلتة من أواصر الخُلق، المتجاهلة قيم الإسلام، فوضح كثيرا من الحقائق المهمة التى أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها؛ ومن أبرزها دورُ الأزهر ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١ – إن الأزهر لم يتجاوز حدودهُ بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداء، ولكن المؤسسات الرسمية فى الدولة هى التى طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء فى كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده، وأهمل واجباته تجاه الدولة وتجاه الأمة.

فالحقيقة الملموسة هى أن وزارة الثقافة هى التى تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية دون استطلاع رأى الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية، ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قررته الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢ – إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر – بجميع مؤسساته – يرفض الكهنوت؛ إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت؛ ولا سيطرة لإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

«يتبـــع»

من مختارات مجلة الأزهر *

فِرْعَوْن

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

بقلم الأستاذ الكبير / فكرى يس **

١ـ أصل اللفظ ومعناه:

قال المسعودى: إنه لايعرف لفرعون تفسير بالعربية. وقال الراغب: فرعون اسم أعجمى، وقد اعتبرت عرامته (شدته وتجبره وصعوبة خلقه) فقيل: تفرعن فلان، إذا تعاطى فعل فرعون. وجاء فى اللسان والقاموس: الفرعنة: الكبر والتجبر، والدهاء والنكر، وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وهو ذو فرعنة: أى دهاء وتكبر. ويقال: فرعون على وزن فعلون، وفرعون (بضم الفاء وفتح العين) وفرعون (بضمهما) وهى لغة نادرة.

وهو ممنوع من الصرف فى قول بعضهم، لأنه لاسمى له، كإبليس فيمن أخذه من أبلس، قال ابن سيده: وعندى أن فرعون هذا العلم أعجمى، ولذلك لم يصرف.

وهو اسم لكل من ملك القبط ومصر فى الزمن القديم، وقيل: هو لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس، وقيصر لملك الروم، وخاقان لملك الترك، وتبع لملك اليمن، والنجاشى لملك الحبشة. وقيل: إنه اسم ذلك الملك بعينه، وهو صاحب موسى ـ عليه السلام.

والإطلاق الأول هو الأظهر، لأنه يتفق وماجرى عليه العرف بين المؤرخين قديما وحديثا من تسمية العصر التاريخى الذى يبتدىء بظهور « مينا » وينتهى بانتهاء الأسرة الحادية والثلاثين بعهد الفراعنة، وتاريخ الفراعنة، ومن عدم إطلاقهم ذلك على أى عصر من العصور التاريخية الأخرى، ولأن الواقع يؤيد أن الدول التى ملكت مصر بعد أيام الفراعنة كانت من سلالات أخرى غير السلالة الفرعونية، وكانت لهم فى الحكم والملك والحضارة صبغة وطابع تخالف صبغة الفراعنة وطابعهم.

(*) عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ.

(**) من كبار علماء الأزهر الشريف.

٢ـ أصل الفراعنة:

هناك آراء كثيرة فى نسب الفراعنة، وأرجح الآراء الحديثة الرأى، الذى أخذ به معظم المؤرخين الحديثين، وهو رأى الأستاذ «برستد» معلم التاريخ المصرى القديم، وتاريخ المشرق بجامعة شيكاغو، وذلك أن المصريين الأولين الذين كانوا يقطنون مصر قبل أجداد «مينا» قوم من سكان أفريقيا المعروفين باللوبيين، أما أجداد «مينا» فقد ثبت أنهم قول ساميو الجنس، قدموا إلى مصر من آسيا، وينسبون إلى سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ويدل على ذلك أن ماوصل إلينا من لغتهم يغلب فيه العنصر السامى على غيره، وقد امتزج العنصران : الأفريقى والأسيوى، واندمجت الولايات الصغيرة تدريجيا، حتى تكونت منها مملكتا الشمال والجنوب، ولماظهر مينا تمكن من ضم المملكتين، وكون منهما مملكة مصرية عظيمة، كان هو أول الفراعنة الذين جلسوا على عرشها. ثم تتابعت الأسرات والملوك إلى أن انقرضت دولة الفراعنة سنة ٣٤٠ قبل الميلاد، بعد أن حكموا وادى النيل نحو ٤٠٠٠ سنة.

٣ـ فراعنة الأنبياء:

ذكر ابن الجوزى أن فراعنة الأنبياء ثلاثة: فرعون الخليل، وفرعون يوسف، وفرعون موسى، وهو فرعون هرون.

وذكر بعض المؤرخين أن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ تزوج بنت أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، وأتى بها إلى مدينة داود. ولعله لم يعد فى فراعنة الأنبياء، لأن الأمر لم يزد بينه وبين سليمان فى حصول تلك المصاهرة، بخلاف ماكان بين إبراهيم ويوسف وموسى وهرون وبين فراعنتهم من حوادث سجلها التاريخ، وعنيت بها الكتب المنزلة.

ونحن متحدثون هنا عن فراعنة الأنبياء بما استطعنا أن نصل إليه بشأنهم، بعد البحث والاستقصاء، وبعد الرجوع إلى أهل الذكر فى هذا الموضوع الغامض الدقيق.

٤ـ فرعون إبراهيم:

يغلب على ظن الجمهور من المشتغلين بتاريخ مصر القديم بحثا وتأليفا، أن ذهاب إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مصر كان زمن أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويحكى بعضهم إجماع العلماء على ذلك، ولكنهم جميعا لم يستطيعوا إلى الآن إقامة الدليل الكافى على تعيين الملك الذى جاء إبراهيم إلى مصر فى عهده.

فذهب بعضهم إلى أنه «أسرتش الأول» ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو الذى أشركه معه أبوه «أمنمحعت الأول» فى الحكم، بقصد تدريبه على إدارة شئون البلاد، ومن أشهر آثاره مسلة عين شمس ، وقد بقى فى الحكم من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٣٥ قبل الميلاد. وذهب آخرون إلى أنه «أمنمحعت الثالث» سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو صاحب أعمال عظيمة، وآثار فخمة، واستمر فى الملك من سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٠١ قبل الميلاد.

والكتب العربية تدعو فرعون إبراهيم « سنان » وتذكر له نسبا يصل إلى نوح ـ عليه السلام ـ وسنتحدث عن قصته مع إبراهيم حين الكلام على إبراهيم ـ إن شاء الله تعالى .

٥ـ فرعون يوسف :

يرجح المؤرخون أن قدوم سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ إلى مصر، وحدوث ماحدث له، كان فى عهد الأسرة السادسة عشرة .

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين أنه لم يبق شك فى أن يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ قد دخل مصر فى عهد الأسرة السادسة عشرة .

أما ملوك هذه الأسرة، فهم من قوم فاتحين، أغاروا على مصر حوالى سنة ١٦٥٧ قبل الميلاد، وهم الذين يدعون باليونانية « هيكسوس » أى الملوك الرعاة، ويسمون فى الكتب العربية بالعمالقة .

ولم يعرف من ملوك هذه الأسرة الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين إلا ملك واحد، يسمى باللغة المصرية القديمة « إبابى » والعرب يدعونه « الريان بن الوليد » والمؤرخ مانيتون يدعوه « أبوفيس » وهو الذى وفدت فى أيامه السيارة التى باعت يوسف بن يعقوب إلى « فوتى فارع » المذكور فى التوراة « قوطيفار » ـ عزيز مصر .

وقد انتهى أمر يوسف مع هذا الفرعون إلى أن جعله أمينا على خزائن الأرض .

٦ـ فرعون موسى :

تحدث القرآن عن فرعون موسى أكثر مما تحدث عن غيره من فراعنة الأنبياء، فذكر قصته فى غير موضع منه، وعرض لها فى كثير من آياته وسوره، ولعل السر فى هذا ـ والله أعلم ـ هو تبيان ماوقع على بنى إسرائيل فى ذلك العهد من ظلم واضطهاد، وما أصابهم من بطش وعنف، وماقاموا به من نضال وكفاح، وتذكير الناس بفضل الله على عباده، ورحمته بخلقه، وتفصيل جهود الأنبياء ومابذلوه من عناء ومشقة فى سبيل تبليغ دعوتهم ، وإيراد هذه المعانى ومايشبهها فى أساليب مختلفة، وعبارات منوعة، ليكون ذلك أعمل فى النفوس، ـ وأملك للقلوب، وأبلغ فى التأثير .

أدرك موسى ـ عليه السلام ـ عهدى ملكين من ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقال للأول منهما : « فرعون الاضطهاد » لأنه اضطهد بنى إسرائيل، وقسا فى معاملتهم، وشدد الوطأة عليهم، ويقال للثانى : « فرعون الخروج » لأن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فى عهده .

فأما فرعون الاضطهاد، فهو رمسيس الثانى، المعروف برمسيس الأكبر، وقد ولد موسى فى زمنه، وتربى فى بيته، بعد أن التقطه آل فرعون من نهر النيل الذى كان قد ألقى فيه بإلهام من الله ـ تعالى ـ لأمه، وكانت قد وضعته فى سفط من البردى، لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أنه يقى من التماسيح وغيرها من الحيوانات الضارة .

وقد شيد رمسيس كثيراً من المبانى فى جميع أنحاء البلاد، ونقش عليها أخبار حروبه وانتصاراته، فأكسبه ذلك شهرة فائقة فى التاريخ، جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه

أعظم ملوك مصر، وبلغ من إعجاب خلفه به؛ أن عشرة منهم سموا أنفسهم باسمه على التوالى.

وكان قد بلغه ماهو مشهور فى بنى إسرائيل يومئذ من أنه سيخرج منهم غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، كما كان يخشى أن ينضم بنو إسرائيل إلى أعدائه ويمالئونهم عليه إن حدثت حرب، خصوصا أنهم صاروا عدداً عظيما، ونموا وتكاثروا، فاضطهدهم، وزاد فى تعذيبهم، وسخرهم فى تشييد المبانى، واستخدمهم فى أخس الصنائع، وأدنأ الحرف، وأمر بذبح أبنائهم، وطرحهم فى البحر، واستحياء نسائهم:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(١).

واستمر فى معاملتهم على هذا المنوال إلى أن مات بعد أن حكم ٦٧ سنة.

ومما يعرف عنه أنه كان جميلا وضيئا، وقد تزوج بكثيرات ولدن له نحو المائتين من الأولاد، وقد دفن فى مقبرة بيبان الملوك، ثم نقل إلى الأقصر، لأسباب غير معلومة، ثم نقل إلى متحف بولاق.

وأما فرعون الخروج، فهو «منفتاح الأول» الابن الثالث عشر لرمسيس الأكبر، وقد أشركه معه أبوه فى الحكم قبل وفاته، وأخذ ولاية العهد وهو مسن، وقد عاصر موسى وهو يتربى فى بيت أبيه.

وكان منفتاح مولعا بتشييد المبانى كأبيه، وكان يمحو أسماء الملوك من الآثار التى شيدوها وينقش اسمه مكانها، وقد فعل ذلك بكثير من آثار أبيه نفسه، ولولعه بتشييد المبانى، ظل مع بنى إسرائيل على الاضطهاد الذى بدأه أبوه، ثم أرسل الله إليه موسى وهرون لدعوته إلى عبادة الله، وأظهرا له معجزاته، فأبى، فخرج موسى بقومه بنى إسرائيل من مصر، بعد استئذان منفتاح فى ذلك، ولكن بعد خروجهم بقليل ندم فرعون على خروجهم، فجمع فرسانه وجنوده، وجدّ فى اللحاق بهم، ليعيدهم إلى الذل والعبودية، فأمر الله موسى أن يضرب البحر، فضربه فانفلق، وعبره هو وقومه حتى انتهوا إلى الشاطىء الثانى، فاتبعهم فرعون وجنوده، فغرقوا فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر، وغشيهم من اليم ما غشيهم، وأضل فرعون قومه وماهدى، وقد أظهر الله ـ تعالى ـ بدن منفتاح على وجه الماء بعد الغرق، ليصدق بنو إسرائيل أنه قد مات.

وقد بنى منفتاح لنفسه قبرا فى بيبان الملوك، ولكنه لم يدفن فيه، ووجدت جثته مع غيرها من الجثث فى قبر أمنتحتب الثانى بالأقصر.

ولقد جاء إظهار بدنه، والعثور على جثته، ووجودها الآن بالمتحف المصرى، متفقا كل الاتفاق مع ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله:

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾(٢)

(١) القصص «٤».

(٢) يونس «٩٢».

حضارة قوم نوح

٢

للدكتور/ على أحمد على

لم تخل الحياة فى قوم نوح من فنون، وهى والصناعة كانتا فنونا يدوية:
فأما العمارة فقد تمثلت - فى حياتهم - فى تلك البيوت التى ابتنوها لسكناهم.
و«نوح» عليه السلام، وهو يتضرع لربنا ـ عز وجل ـ طلبا لمغفرته ورضاه، يقول:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾(١).

وكان فى بيته (تنور) أى فرن، ولم يكن نوح بدعا فى قومه بالبيت والتنور، فقد كانوا مثله، فهى بيوت وتنانير. وإذا، فقد عاش قوم نوح.. أُسَرًا، فى بيوت، لا هملا فى كهوف.

ووجود (التنور) فى هذه المنازل يعتبر إشارة صريحة إلى ما تمتع به القوم من مستوى اجتماعى رفيع أبسطه أنهم عرفوا «الخبز» على شكل ما: من بر أو شعير أو غيرهما مما لا نستطيع تحديده.

على أية حال، لم يكن التنور رفها لا معنى له، وإنما كان ضرورة تؤكد معرفة القوم (للنار) واستخدامهم لها، كما أنه - بالتالى - دلالة واضحة على أن قوم نوح لم يفترسوا اللحم نيئا، بل طعموه منضجا على النار. إن «النار» منزلة حضارية متقدمة جدا فى إقصاء من عرفها عن البدائية، ودلالة على ارتفاعه درجات فى سلم الحضارة كما سيجىء.

ولابد ـ لنا.. كذلك من لفتة إلى بيوتهم، سواء كانت أكواخا، أو أرفع مستوى من الأكواخ، إن القرآن الكريم سمى مسكن نوح (بيتا)، والأنبياء - جميعا - عادة يقطنون بيوتا متواضعة للغاية.

ولانشك فى أن هذه البيوت كانت صالحة للمأوى، تقيهم شر البرد، وشر الحر على سواء، ولقد نكون من السذاجة بدرجة تخذل عقولنا إذا قلنا: إن بيوت أكابر القوم كانت كبيوت فقرائهم من كل وجه، لاسيما وأن القوم قد عرفوا (فن النحت) وبرعوا فيه، وأدنى عطاء لهذه المعرفة أن تتمثل صناعة البيوت لديهم وبناؤها شيئا من الجمال يضفيه عظماء القوم على بيوتهم.

---

(١) نوح (٢٨).

ثم هل كل ما لديهم من عمارة يتمثل فى بيوتهم..؟

نقول: لا ندرى.

وهل كانت معبوداتهم من الأوثان قد أنشأوا لها بيوتا ـ بدورها ـ أم أقاموا أنصابها فى العراء..؟

أمر لا نقطع فيه بإجابة، والأمر محتمل، ولسنا بمستطيعين – فى شأن العمارة – أن نتعدى بيوت القوم، ولكننا نعتبر معرفتهم ببناء التنور درجة حضارية مهمة.

الزراعة: ولقوم نوح نشاطهم الزراعى :عرفوا الزراعة، وعرفوا سقيها، وحصادها بدليل بيان نوح لهم عما فى الإيمان بالله – وحده – من نعمة استكثار الخير فيهم، وزيادة محصولهم من البساتين، وتوالى زيادة الأنهار، يحكى المولى ـ عز وجل ـ كل ذلك فى قول نوح:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٢).

وهذه الآيات الكريمة جمعت أصول الاقتصاد اللائق بحياة القوم فى عصرهم:

فمعرفتهم بالنبات وزراعته: حرفة يدوية – بدورها، تمدهم بوفرة فى المال، وتعينهم على تكوين الأسر لراغبى الزواج وغير ذلك.

أموالهم: وثم جزء من مالهم نعرفه بسهولة، قائم وموجود فى حياة القوم، نعنى به الماشية من الحيوان الأليف، فأما المال من قطع معدنية، فلا سبيل أمامنا إلى إقرار وجوده، فعلمه عند الله – جل علاه – فأما الزرع والأنعام والماشية فهى مُتَمَوَّل ذو قيمة عالية فى المجتمع الزراعى وغير الزراعى على أية حال. ومن البداهة ـ تلقائيا ـ أن يوجد ـ بينهم ـ البيع والشراء، لاستحالة أن نتصور أن أغنياءهم كانوا يكتفون بجمع حصادهم، ثم يحتضنونه حتى يفنى، لاشك كان بينهم مجال لتبادل شىء من هذا الحصاد، يتم فيهم بالطريقة التى يرضونها فى (التبادل السلعى) إذا لم يكن هناك معدنٌ مّا يمثل قطعا نقدية.

ولحياة الزراعة دورات نوعية لابد أن القوم كانوا على وعى بها، وتلك معرفة تضم إلى ما سبق من نشاطهم فى (حرفة البناء).

ثم إن قوم نوح لم يعيشوا عرايا تستر عوراتهم أوراق الشجر، بل من السفه أن نقول ذلك، لقد عرف القوم صناعتى: الغزل والنسيج بشكل ما، بدليل أنهم كانوا يرتدون الثياب وبعضهم كان (يرفل) فيها، ونصر على (رفول) بعضهم فى ثيابه بدليل ما فعلوه استهزاء بنوح ودعوته، ففى شكايته إلى ربه – عز وجل – هذا اللون من استهزائهم، قال –عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾(٣)

ويعنى ذلك أن ثياب هذا الفريق كانت من السعة بحيث يمكنه رفعها وطيها ونشرها حسب

---

(٢) نوح (١٠: ١٢).

(٣) نوح (٥: ٧).

ما يريد ليخفى بها وجهه ضيقا بنوح ودعوته. حتى كأنهم يتقززون من رؤيته.

فما أعظم حلم الأنبياء! وما أكبر قلوبهم..! ونقول -في ثيابهم- ما قلناه فى بيوتهم - فلابد كان هناك شىء ما يعلو بثياب الأغنياء عن أثمال الفقراء.

النحت: ثم ليس كل ما لديهم من حرف مقصورا على: البناء، والزراعة والغزل والنسج وما تتطلبه من أعمال وأدوات، فقد برع القوم فى (فن النحت).. ولازال إلى يومنا هذا فنا يدويا وصناعة غير آلية وبخاصة فى الحجر، وإتقانهم لهذه الخبرة متمثل فيما تركوه من أوثان.

وبداهة: فإن النحاتين - من قوم نوح - لم يصنعوا خمسة تماثيل فقط، ثم اعتزلوا العمل بعدها ولابد أنهم أكثروا من صناعتها لتحتل (نسخ) منها بيوت القادرين.

وصناعة النحت تستلزم، البراعة فى إتقان «النقش» و«التصوير» أعنى إبراز الوثن على صورة جمالية بشكل ما، لاسيما وأن هذه الأوثان كانت صورا لرجال صالحين، فلابد أن تحمل وجها وعينين وأنفا وشفتين.. إلخ، ومن هنا يرتبط فن النحت بفنى النقش والتصوير. وكل ما لا نستطيع الخوض فيه بشأن هذا النحت هو «الألوان»: هل أضافوا الألوان إلى منحوتاتهم أم اكتفوا بصب دماء القرابين الخاصة بها عليها.؟

ومن هنا.. أيضًا.. كان النحت أبغض شىء فى الإسلام؛ لأنه الصناعة الأولى التى مالت بالناس إلى الوثنية وأبعدتهم عن عبادة الله وحده، ولاتزال حرمة النحت قائمة فيما يتخذ معبودا من دون الله - عز وجل.

لنترك أول صناعة عصى الإنسان فيها ربه، واتخذ - من صنع يديه - معبودا دون الخالق - جل علاه - لننظر: هل كان فى القوم صنعة، أو صناعات أخر تضاف إلى ما تقدم..؟

نقول: نعم.!

على كيفية ما، ساذجة ابتداء، ثم تأخذ مكانها شيئا فشيئا من التحسين، فإنه لابد - بداهة - من أدوات للزراعة، تعين وتيسر إمداد الأرض بالماء.

ثم تيسر جمع المحصول باستعمال آلات للحصاد - مهما كانت أولية - تيسر جمع المحصول وتصاحب العمل فيه حتى ينتهى إلى (حبه) ثم استخدام هذا (الحب) غذاء، فقد كان للقوم تنانير يمكنهم فيها صنع طعامهم.

وذلك كله يعنى أن قوم نوح كانوا على علم بشىء من الصناعات الأولية، لاسيما صناعة «النجارة» نقول ذلك حتى لا نميل إلى اعتبار نوح - عليه السلام - هو (النجار) الوحيد فى القوم.

نعم، قد يكون هو النجار الوحيد الذى صنع سفينة عجيبة من طوابق، لكن الحرفة كانت موجودة، ولو تمثلت فى أدنى آلة تذر الحصاد.

ويعطينا القرآن الكريم لمحة تقدمية عن (الحديد) عند نوح - عليه السلام، فقد استخدم «المسمار» فى صنع السفينة، وصناعة السفن الخشبية لا تحتاج إلى المسمار فحسب، نعم، إن المسمار يربط ألواحها بالهيكل، لكن تبقى الشقوق والمساحات المستطيلة بين لوح وآخر، وهى مهما كانت ضئيلة لابد من إحكام سدها بنسيج من خيوط نباتية مفتولة بإحكام تُحشى بها هذه المساحات وغيرها، كيلا ينفذ منها الماء، والمسمار وهذه الخيوط وغيرها أشارت

إليه الآية الكريمة - الخاصة بنجاة نوح والمؤمنين معه، قال تعالى :

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾(٤).

يقول المفسرون : الدسر : ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها : دسار ككتاب ـ أ هـ.

وليس لأحد أن يدعى أن نوحا - عليه السلام - وحده، هو الذى عَدَّن الحديد وصنع المسمار، وأن قومه فراغ منهما.

ومما يثير الانتباه فى حياة قوم نوح أن القرآن الكريم لم يرمهم بمنقصة إلا فى أمرين :

أ- تكذيبهم للرسالة السماوية على يد نوح ـ عليه السلام - أى (كفرهم).

ب- وازدرائهم الفقراء وشموخهم عليهم، أى (كبرهم) وما يؤدى إليه هذا الكبر من بلاء.

وإذا كان للكبر سلوك أثيم يتمثل فى طغيان صاحبه، واستباحته لنفسه العدوان على الضعفاء.. إلا أننا نستطيع أن نؤكد - مطمئنين : أن هذا المجتمع لم يمارس رذيلة ذات فاحشة فشت فى القوم كما فشت رذيلة الجنس المثلى، فى قوم لوط - عليه السلام - أو قطع الطريق والنقصان فى الكيل والميزان اللذين فشوا فى قوم شعيب - عليه السلام.

والعجيب أن الوضع فى قوم نوح يكاد أن يكون هو هو فى قوم عاد ثم قوم ثمود.

وإذا كان مجتمع قوم نوح خلا من ممارسات الفواحش العلنية الأثيمة، فقد يحملنا ذلك على اعتبار أن أسلوب حياتهم اليومية وأخلاقهم وعاداتهم قد اتسم بشىء من الرتابة التى لا يجد الباحث فيها شيئا يلفت النظر، وذلك أمر قاطع الدلالة على أن قوم نوح تمتعوا بحياة اجتماعية أرقى مستوى مما عليه بعض مجتمعات اليوم، هذه المجتمعات التى حوت دساتيرها (نصوصا) صريحة تبيح الفاحشة بل أرادت إحدى الدول من هذه المجتمعات أن تحمل العالم على تطبيقها.

لقد أخذ قوم نوح -عليه السلام - بكفرهم وكان كفرهم مناط عذابهم.

وعن علومهم وآدابهم

تقابلنا - أولا - لغتهم : كانت لغة فصيحة راقية جدا كفيلة بالتعبير عما فى صدورهم، على أى حال أرادته نفوسهم من جد وهزل، من حكمة أو سخرية، وحسبنا - فى ذلك - ما قدمه لنا الخالق - عز وجل - من نماذجها فى حوارهم لنوح - عليه السلام - وبخاصة فى سورة : هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

ونلاحظ - على هذه اللغة - نفس الطابع الذى لاحظه دارسو الفلسفة فى السوفسطائيين عصر سقراط، فقد كانوا أهل بلاغة وفصاحة، بل تصدوا لتعليم الشباب هذه البلاغة بالمضمون الذى أرادوه فاستطاعوا قلب الحقائق، وتسويغ الباطل عن طريق (تعويم) اللفظ بتفريغه عن معناه الموضوع له، ثم تقديمه - بعد ذلك - فيما يشبه « القضايا » لينتهوا به - ليس إلى نتيجة منطقية - بل إلى نتائج مرغوبة، قررتها نفوسهم سلفا(٥).

---

(٤) القمر (١٣).

(٥) راجع لأحمد أمين، وزكى نجيب محمود - قصة الفلسفة اليونانية صـ١٠٥- مطبعة دار الكتب ١٩٣٥

وهذا الطابع هو الذى نجده فى الملأ من قوم نوح، فقد قالوا – لنوح:

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾(٦).

ثلاث مقدمات ينتهون بعدها إلى القول فى نوح وتابعيه: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾(٧).

وأى المقدمات الثلاث لا ينتهى بحال إلى هذه النتيجة:

فتماثل البشرية بين الرسول وقومه لا ينفى أن يكون رسولا، وليس بين أيديهم دليل من عند الله – عز وجل – يعطيهم الحجة على وجوب أن يكون المرسل إليهم ملكا، ولو كانوا هم ملائكة لجاءهم رسولهم ملكا، لقد مضى قضاؤه سبحانه أن يكون رسول القوم منهم، ويتحدث بنفس لسانهم. قال– تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٨)

كذلك لم تحكم البشرية على فقراء الناس بالكذب، فليس كل فقير كاذبا، وليس كل غنى صدوقا، فكما وجدنا (المثلية) فى البشرية لا تمنع الرسالة، فالفقر ـ أيضا ـ لا يمنع صدق الفقير، ولا يمنع أن يكون للفقير رأى ناضج عن روية وإعمال فكر يتبع به صاحب الحق ويؤيده.

ثم متى اشترطت الحكمة على الناس ألا يقبلوا صدق الصادق منهم إلا إذا كان ذا فضل ونعمة عليهم؛ بل المعروف بين الناس أن يغضوا من قيمة متبعى ذى الفضل، لا أن يعظموهم، إذ يرونهم منافقين فى كثير من الأحيان.

لكنها سفسطة قوم نوح.

ألا ما أحلمه عليه السلام

ثم إن لغة بهذا المستوى لابد أن تنتج أدبا، فإن بينهم شباب، وحب، وزواج، ثم هناك أوثان ليس بعيدا أن يكون فى هؤلاء وهؤلاء قصص، وإن كنا لا نعلمه، وإذا كان الأدب صدى المشاعر الإنسانية فى الدرجة الأولى، فإن من التفاهة العقلية أن ندعى فراغ القوم منها.. إننا ـ فعلا ـ لا نستطيع أن نقدم شيئا من أدب القوم، لكننا ـ بيقين ـ لانستطيع أن نحرمهم منه.

فأما علم القوم ـ فى هذا العهد السحيق ـ فرفيع، سواء منه ما علموه من محيطهم أو ما حدثهم به نوح ـ فى دعوته فأعلمهم إياه، وهذا العلم بشقيه يعتبر فى هذا العهد العلم البشرى القياسى بغير شك، فمن ذلك علمهم:

بأطوار الجنين فى رحم أمه، ففى دعوة نوح:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(٩)

وإنه لعلم افتقده كثير من البشر حتى عهد قريب، ثم إن نوحا ـ عليه السلام ـ لينتقل بهم إلى الخلق الأول حيث كان خلق الإنسان من طين موضحا أنهم لم يخلقوا عبثا، بل إنهم مسئولون ومجازون.

---

(٦) هود (٢٧).

(٧) هود (٢٧).

(٨) ابراهيم (٤).

(٩) نوح (١٣، ١٤).

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾(١٠).

ولانجد القوم أنكروا على نوح ما بسطه لهم من آثار قدرته – تعالى – من مثل:

خلق الله – تعالى – لسموات سبع اكتنزت دنياها بالنجوم، وشع بها ضياء الشمس ونور القمر(١١) وصارت السماء مددا للأرض بالسُّقْيا، فازينت الأرض بالنبات والزهر والشجر وأعانتهم نعمة الله على حياة رغدة مطمئنة وحياة آمنة مستقرة فيها المال والبنون:

﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(١٢).

وسبق أن أشرنا إلى علوم لهم اكتسبوها بحكم (الحاجة) فى نشاطهم لحياتهم.

وعن التاريخ

فالقدر اليقينى لدينا يتمثل فى أنهم آخر سلالة، آدمية جمعها كيان مدنى، وحياة مستقرة إلى أن كفرت بنعمة الله – جل علاه – وتمردت على وحدانيته، فورث نوح الذرية من بعدهم.

وهلك قوم نوح. واستبقى – سبحانه – أمرهم – فيمن بعدهم، عبرة وهدى لمن شاء أن يستقيم ولقد سبقت إشارتنا إلى علم عاد – قبيلة هود – بأمرهم، ثم كان من بعد عاد أقوام على علم بهم، ليس – فى محيطهم فحسب، بل انتقل العلم بهم إلى الفراعنة فى عهد موسى.. على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فها هو مؤمن آل فرعون يعظ قومه مذكرا إياهم بمآل الكفر بالله، يقول:

﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾(١٣).

وكم – فى بطون الأهرام – من علم وثيق، دفنه أعداء التوحيد!!

وبعد:

فهذه حضارة قوم نوح سجلناها بقدر ما أفاء – سبحانه وتعالى – علينا من علم اقتبسناه من الوحى الصادق: كتاب الله – تعالى – وسنة رسوله – ﷺ.

ولانزال – بمشيئة الله تعالى – دارسين لأمرها – أمام ما قدمه الغرب من دراسات فى هذا السبيل لنتبين هدى الله، وعنايته بهذا الإنسان منذ خلقه بعيدا عن مفترضات الهوى، وضلال الظنون، فإلى لقاء مع التصحيح.

---

(١٠) نوح (١٧، ١٨).

(١١) راجع الآيتين ١٥، ١٦ من سورة نوح.

(١٢) نوح (١١: ١٣).

(١٣) غافر (٣٠: ٣١).

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟! (٣)

الإبداع الرشدى فى تصور العالم وفى علاقة الفلسفة بالدين

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أما دعوى قدم العالم، التى قال بها « الرشديون اللاتين »، ومن بعدهم كل المدارس الوضعية والمادية، فلسفة التنوير الغربى، فإن ابن رشد يقدم فيها مذهبا يخرجها من هذا الاستقطاب الذى قام إزاءها بين الفلاسفة القدماء وبين المتكلمين الإسلاميين.. فيقول:

« وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين من الأشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعا للاختلاف فى التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء.

وذلك أنهم اتفقوا على أن ها هنا ثلاثة أصناف من الموجودات، طرفان، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا فى تسمية الطرفين، واختلفوا فى الواسطة.

فأما الطرف: فهو موجود وُجِد من شىء غيره، وعن شىء، أعنى عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعنى على وجوده. وهذه هى حالة الأجسام التى يُدرَك تكوّنها بالحس، مثل تكوّن الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات، وغير ذلك. فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع، من القدماء والأشعريين، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شىء، ولا عن شىء، ولا تقدمه زمان. وهذا - أيضا - اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما. وهذا الموجود مُدرَك بالبرهان، وهو الله - تبارك وتعالى - الذى هو فاعل الكل ومُوجده والحافظ له - سبحانه وتعالى - قدره.

وأما الصنف من الموجود، الذى بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شىء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شىء، أعنى عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره.. فهذا الموجود قد أخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقى، ومن الوجود القديم، فمن غَلَّب ما فيه من شَبَه القديم على ما فيه من شَبَه المحدث سماه قديماً، ومن غَلَّب عليه ما فيه من شبه المُحْدَث، أسماه

مُحْدّثاً. وهو فى الحقيقية، ليس مُحْدَثاً حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن المُحْدَث الحقيقى فاسد ضرورة، والقديم الحقيقى ليس له علّة»(١).

فابن رشد، هنا، يقدم ـ فى الخلاف حول قدَم العالم وحدوثه ـ مذهبا ثالثا، فيه حل للخلاف الذى أحدث استقطابا بين الفلاسفة وبين بعض المتكلمين.. وليس قائلا بالقدم الحقيقى للعالم.. وهو مذهب يجعله على النقيض من مذاهب التنويريين، الماديين والوضعيين.. ذلك أنه ينتصر، بهذا المذهب، للفكر الإلهى الذى جعل العالم وسائر الموجودات مخلوقة للخالق الواحد القديم.

علاقة الفلسفة بالشريعة

لقد جعل التنوير الغربى شعاره: «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل».. ولم يكن ذلك لمجرد الانتصار للعقل فى مواجهة اللاهوت الكنسى. وإنما كان ذلك لأن فلسفة هذا التنوير كانت «وضعية ومادية»، تقف عند معارف وحقائق هذا العالم وحده، عالم الشهادة، التى رأت العقل قادرا على أن يستقل بإدراكها دون عون من الوحى والدين.. ولأن هذا التنوير كان وضعيا فى كل الحالات، وماديا فى بعض الحالات، فهو لم يستغن ـ مجرد استغناء ـ عن معارف وحقائق عالم الغيب، وإنما أنكر أن تكون هذه المعارف جديرة بما هو ضرورى للمعارف من الصدق والوثوق.. فهى عنده، طور طفولة العقل البشرى التى تجاوزها إلى الميتافيزيقا، والتى جاء التنوير ليأخذ بيده إلى الوضعية التى تحصر المعارف الحقة فى العالم والواقع، وتقف بسبل هذه المعارف عند العقل والتجربة.. فلا غيب فى مصادر المعرفة، ولا وحى ولا وجدان فى سُبُل اكتسابها..

ولهذه المنطلقات والمواقف الثابتة فى فلسفة التنوير الغربى، كان تقديم الفلسفة ـ وهى ثمرة عقلية ـ على الشريعة الدينية ـ بل، إذا شئنا الدقة، إحلال الفلسفة محل الشريعة، واتخاذها «شريعة عقلية» بدلا من الشريعة السماوية.. والاستغناء عن الشريعة كمصدر للقانون «برد القانون إلى أصول فيزيقية وتاريخية»!..

كذلك أنكر هذا التنوير الخوارق والمعجزات، انطلاقا من مبدأ اكتفاء الطبيعة بذاتها، وإنكاره وجود موجود غير مادى، مفارق للطبيعة، قادر على تبديل القوانين الطبيعية والأسباب الذاتية بالخوارق والمعجزات.

هذا هو موقف التنوير الغربى من العقل.. ومن علاقة الفلسفة العقلية بمبادئ الشريعة الدينية وبالخوارق والمعجزات..

فهل كانت فلسفة ابن رشد ـ عبر «الرشديين اللاتين ـ مؤسسة لهذا التنوير؟! ـ كما يدعى «التنويريون الجدد» فى واقعنا الثقافى هذه الأيام؟!.

---

(١) [فصل المقال] ص ٤٠ – ٤٢.

● إن مفهوم العقل، عند ابن رشد، مخالف لمفهومه عند فلاسفة التنوير الغربى.

فعلى حين يقول «دولباك» [١٧٢٣ - ١٧٨٩م]: «إن الفكر وظيفة الدماغ».. ويقول «كابانيس» [١٧٥٧ - ١٨٠٨م]: «إن الدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء»(٢).. نجد ابن رشد ملتزما بالرؤية الإسلامية التى رأت العقل «ملكة» و«لطيفة ربانية»، وليس عضوا فى جسد الإنسان.. «فالعقل ليس هو شيئا أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة.. إن العقل ليس يُنْسَبُ إلى عضو مخصوص من الإنسان.. وليس يكون قولنا فى الإنسان: إنه عالم، كقولنا: إنه يبصر، فهو يبصر بعضو مخصوص وأما إذا لم يكن للعقل عضو يخصه فَبَيِّن أن قولنا فيه: عالم، ليس من قبيل أن جزءاً منه عالم.. وذلك أنه ليس يظهر أن ههنا عضوا خاصا من عضو من الأعضاء كالحال فى قوة التخييل والفكر والذكر، وذلك أن مواضع هذه معلومة من الدماغ»(٣).

فالعقل ليس «الدماغ»، الذى يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء.. وإنما هو - على عكس التصور المادى لفلسفة التنوير الغربى - كما عند ابن رشد - «ملكة إدراك الموجودات بأسبابها».. وكما عند الشريف الجرجانى [٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م]: «جوهر مجرد عن المادة فى ذاته، مقارن لها فى فعله»(٤).

وإذا كان الغرب قد عاد ويعود - بسبب «الفيزياء الذرية المعاصرة التى نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادى فى القرن التاسع عشر» - عاد ويعود إلى تبنى النظرة الإسلامية لمفهوم العقل.. وقال علماء منه: «فياله من أمر مثير أن نكتشف أن العالم يستطيع، بدوره، أن يؤمن عن حق بوجود الروح.. وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين، فلا شك أن هاتين الملكتين لا تخضعان بالموت للتحلل الذى يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»(٥).

فهل نعود نحن - بالادعاءات - إلى صب ابن رشد فى القوالب الوضعية والمادية، التى يراجعها ويتراجع عنها اليوم كثير من الفلاسفة والعلماء الغربيين؟!.

● وكذلك الحال عند مقارنة الموقف الرشدى من علاقة الفلسفة بالشريعة بنظيره التنويرى الغربى.. فابن رشد لا يحل الفلسفة العقلية محل الشريعة الإلهية - كما يصنع الماديون الغربيون.. ولا يجعلهما متجاورتين ومنفصلتين انفصال الغرف المعزولة - كما يرى الوضعيون - وإنما يؤسس الفكر عليهما معا، بعد التوفيق والمؤاخاة بينهما.. ولهذا المقصد عقد ابن رشد كتابه المنهجى [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال]..

---

(٢) [مدخل إلى التنوير] ص ٥٦، ٦٣، ٦٤.

(٣) [تهافت التهافت] ص ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠.

(٤) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٥) أغروس، جورج ن، ستانسيون [العلم فى منظوره الجديد] ص ٣٩، ٤٢، ٤٣ ترجمة.

وفيه قدم هذا الموقف - الذى لا يحل الفلسفة محل الشريعة.. ولا الشريعة محل الفلسفة.. ولا يفصلهما عن بعضهما - وإنما ينطلق من النظرة القرآنية التى علّمتنا أن الله هو الذى أنزل «الكتاب» و«الحكمة»، أى جعل للإصابة مصدرا جاء به الوحى إلى الأنبياء والرسل.. ومصدرا يستقل به العقل الإنسانى.. فهما - الإصابة فى النبوة.. والإصابة فى غير النبوة - هدايتان من الخالق الواحد للإنسان المُسْتَخْلَف فى إقامة العمران.. فهما أختان رضيعتان، ليس بينهما تناقض أو شقاق.. وفى ذلك يقول أبوالوليد: «إن الحكمة هى صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة.. وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة»[٦].. فهل يجوز أو يسوغ حشر هذا الموقف الرشدى فى قوالب التنوير الغربى المادى والوضعى؟! والإدعاء بأن «ابن رشد يخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل»؟![٧].

الموقف من الخوارق والمعجزات

وإذا كان التنوير الغربى - لوضعيته وماديته - قد أنكر الخوارق والمعجزات، فإنه قد اتخذ هذا الموقف لأنه قد رآها خارجة عن الإدراك العقلى، وهو قد نفى صفات المعرفة والحقيقة والصدق والعلم عن كل مالا يدرك بالعقل والتجربة المحسوسة.. وجعل شعاره: «لا سلطان على العقل إلا للعقل».

أما موقف ابن رشد، من هذه القضية، فهو على النقيض من موقف التنويريين الغربيين، فهو يعلن - صراحة.. وفى الكثير من النصوص، والعديد من الكتب - أن هناك «أموراً إلهية تفوق العقول الإنسانية»، مثل «مبادئ الشريعة» و«المعجزات»، وأن «كيفية وجودها هو أمر إلهى معجز عن إدراك العقول الإنسانية».. وأن واجب الكافة، عامة وخاصة، جمهوراً ومتكلمين وحكماء، هو «التسليم بها والتقليد فيها، والاعتراف بها مع جهل أسبابها».. ومن لا يسلم بهذه المبادئ الشرعية والمعجزات فهو كافر زنديق!.

نعم.. يسوق ابن رشد هذا الموقف الإسلامى - المناقض لفلسفة التنوير الوضعية والمادية - فى نصوص واضحة الدلالات، فيقول:

فالخطأ فى الشرع على ضربين:

إما خطأ يُعْذَرُ فيه من هو أهل النظر فى ذلك الشىء الذى وقع فيه الخطأ، كما يُعْذَرُ الطبيب الماهر إذ أخطأ فى صناعة الطب، والحاكم الماهر إذا أخطأ فى الحكم، ولا يُعْذَر فيه من ليس من أهل هذا الشىء.

وإما خطأ ليس يُعْذَرُ فيه أحد من الناس، بل إن وقع فى مبادئ الشريعة فهو كفر، وإن وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة، وهذا الخطأ الذى يكون فى الأشياء التى تُفضى جميع أصناف طرق الدلائل إلى معرفتها، فتكون معرفة ذلك الشىء بهذه الجهة ممكنة للجميع، وهذا مثل الإقرار بالله - تبارك وتعالى - وبالنبوءات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروى. وذلك أن هذه الأصول الثلاثة

(٦) [فصل المقال] ص ٤٥، ٤٦.

(٧) [تهافت التهافت] ص١٢١، ١٢٢.

تؤدى إليها أصناف الدلائل الثلاثة، التى لا يعرى أحد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذى كُلّف معرفته، أعنى: الدلائل الخطابية، والجدلية، والبرهانية. فالجاحد لمثل هذه الأشياء، إذا كانت أصلا من أصول الشرع، كافر، معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن التعرض إلى معرفة دليلها، لأنه إن كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى» يريد: بأى طريق اتفق لهم من طرق الإيمان الثلاثة».

فالجحد لمبادئ الشريعة كفر، لا عذر لصاحبه من الخاصة كان أو من الجمهور.. وجزاؤه - عند ابن رشد - القتل.. فهل فى هذا المذهب الرشدى تأسيس للتنوير الغربى، الذى استبدل الدين الطبيعى بالدين الإلهى؟!.

والمعجزات التى أنكرها التنويريون، لأن العقل لم يدرك أسبابها.. يراها ابن رشد - كمبادئ الشريعة - مما لا يُعْذَرُ إنسان فى عدم التصديق بها.. وجاحدها، عنده، زنديق يجب قتله.. وفى ذلك يقول:

«أما الكلام فى المعجزات.. فقدماء الفلاسفة يرون أنها من مبادئ الشرائع، والفاحص عنها والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم، مثل من يفحص عن مبادئ الشرائع العامة، مثل: هل الله - تعالى - موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل موجودة؟.. [وعندهم] - أنه لا يُشك فى وجودها، وأن كيفية وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية والعلة فى ذلك أن هذه هى مبادئ الأعمال التى يكون بها الإنسان فاضلا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة، فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التى توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة.. والذى يقول القدماء فى أمر الوحى والرؤيا إنما هو عن الله - تعالى - بتوسط موجود روحانى ليس بجسم، وهو واهب العقل الإنسانى عندهم، وهو الذى يسميه الحذاق منهم العقل الفعّال، ويسمى فى الشريعة ملكا..».

فعلى حين أسس التنوير الغربى العلم على الواقع، المدرك بالعقل والتجربة، مع إنكار معارف الغيب وطرق المعرفة الشرعية.. تحدث ابن رشد عن تسليم الفلاسفة القدماء بمبادئ الشريعة - فى الألوهية.. والنبوة.. والسعادة والشقاء الأخرويين - وبالمعجزات - التى تعجز العقول الإنسانية عن الاستقلال بإدراك كيفية وجودها.. ولذلك فهى تحتاج فى إدراك ذلك إلى الوحى - الذى سلم به الفلاسفة القدماء - بل ورأوه واهب العقل الإنسانى!.

ولأن هذا هو موقف الفلاسفة الإلهيين القدماء، من مبادئ الشريعة، ومن المعجزات.. كان دفاع ابن رشد عن موقفهم هذا فى رده على الإمام الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] - وهو رد

يؤكد على موقفهم هذا من مبادئ الشريعة ومن المعجزات.. قال:

«وأما ما نسبه - [الغزالى إلى الفلاسفة] - من الاعتراض على معجزة إبراهيم - عليه السلام - [تحول النار عندما ألقى فيها إلى برد وسلام] - فشىء لم يقله إلا الزنادقة من أهل الإسلام، فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادى، وواجب على الناظر فى تلك الصناعة أن يسلم مباديها، ولا يتعرض لها بنفى ولا إبطال، كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك، لأن المشى على الفضائل الشرعية هو ضرورى عندهم، ليس فى وجود الإنسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلد فيها، فإن جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة، فالذى يجب أن يقال فيها: إن مباديها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية، فلابد أن يعترف بها مع جهل أسبابها، ولذلك لا تجد أحداً من القدماء تكلم فى المعجزات، مع انتشارها وظهورها فى العالم، لأنها مبادى تثبيت الشرائع، والشرائع مبادى الفضائل، ولا فيما يقال بعد الموت.. فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً بإطلاق، فإن تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين فى العلم، فعرض له تأويل فى مبدأ من مباديها، فيجب عليه أن لا يصرح بذلك التأويل، وأن يقول فيه كما قال تعالى:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[8].

هذه حدود الشرائع، وحدود العلماء»[9].

فمبادئ الشريعة والمعجزات «أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية».. وواجب العلماء الراسخين فى العلم - الذين عقلوا وجود الخالق للأسباب القادر على إحلال أسباب أخرى غير معتادة تؤدى إلى معجزات وخوارق ومُسبَّبَات أخرى غير معتادة - أن يعترفوا ويسلموا ويقلدوا فى هذه الأمور التى لا تستقل العقول الإنسانية بإدراك «كيفية وجودها».. وحتى إذا عرض للراسخين فى العلم تأويل فى شىء من ذلك فواجب أن لا يصرحوا بذلك التأويل.. فليس فرضا على العقول الفحص فيما لا قبل لها بإدراكه.. وإنما فرضها أن تقول كما قال الله - تعالى:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

فهل هناك حد أدنى من الفقه والصدق والعدالة العلمية لدى الذين يضعون هذا الفكر الرشدى فى سلة التنوير الغربى الوضعى والمادى؟!.

---

(٨) آل عمران: ٧.

(٩) [تهافت التهافت] ١٢٤ : ١٢٥.

من أعلام الأزهر

الشيخ محمّد حَافِظ سُليمَان

للأستاذ / حمدى أبو السعود أحمد على

●● الداعية الإسلامى الشيخ محمد حافظ سليمان على مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر سابقاً. أحد الذين كرسوا حياتهم كلها فى الدعوة إلى الله بعلمه وأفقه الواسع فى تحليل القضايا الإسلامية ومنهجه المتميز فى الخطابة على المنبر ومن خلال الندوات واللقاءات الدينية فيجتذب إليه السامع لما لحديثه من بلاغة فى لغته ودقة أسلوبه.

الشيخ/ محمد حافظ سليمان

حياتــــه

● كان الميلاد فى الخامس عشر من شهر سبتمبر ١٩١٤، بقرية أولاد يحيى الحاجر بمركز دار السلام بمحافظة سوهاج، والتحق بمدرسة أولاد يحيى الحاجر «الأولية» ومكتب الدوادية بجرجا حيث حفظ القرآن الكريم وهو فى التاسعة من عمره ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى حيث حصل على شهادتى الابتدائية والثانوية الأزهرية وأثناء هذه الفترة انهمك الفتى على حفظ القرآن بالقراءات السبع فظهرت عليه علامات النبوغ والعبقرية ونهل من كتب التراث فى شتى العلوم اللغوية والدينية والأدبية ما شاءت به قريحته، ويقرأ التفاسير ويقف أمام المذاهب المختلفة ليكون فيما بعد رؤاه الخاصة ومذهبه المستقل المستنير النابع من آيات الله والسنة ومذاهب وفكر الأئمة السابقين. ثم حصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٤٥م، ثم إجازة الوعظ والدعوة، ثم عين بعد التخرج واعظاً عاماً بالأزهر بمراكز

البلينا وجرجا ودشنا، ثم مفتشاً عاماً للوعظ بمحافظة سوهاج عام ١٩٥٢م.

ثم مراقباً عاماً بالأزهر على مستوى الجمهورية عام ١٩٦٤م، ثم مديراً عاماً للوعظ والدعوة عام ١٩٧٠م، وحتى عام ١٩٨٤م، وفى هذه الأثناء عين مستشاراً دينياً للحزب الوطنى وعضواً فى المجالس القومية المتخصصة.

وعن مشواره فى الدعوة الإسلامية قال: «قد كان فضل الله علىّ كبيرا وعطاؤه كريماً أن جعلنى ممن يقومون بواجب الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ قرابة نصف قرن من الزمان وكنت مؤمناً بأن الدعوة الإسلامية فريضة دينية ورسالة كبرى سامية خالدة لا يقدر على حملها المهازيل من الناس ومن فضل الله علىّ أن وفقنى فى كل عمل أسند إلىّ ببركة المرحوم والدى الورع التقى الذى نذرنى لله»

وكان رحمه الله عالماً يمتلك من العلم والبلاغة والحجة ما يجعله عبقرياً والخطابة والمشورة والفضل فى كل أمور الدنيا والدين.

وقدم كماً هائلاً من الأحاديث للإذاعة والتليفزيون وخاصة إذاعة القرآن الكريم فى التفسير والحديث وشتى الأمور الدينية ومقالاته الكثيرة فى الصحف والمجلات الدينية كالأهرام والأزهر ومنبر الإسلام ونور الإسلام حيث كان مديراً لها إلى أن ترك العمل وأحيل إلى المعاش كما انه أصدر كتابيه «عظمة الإسلام» و«الحج والعمرة» وأثناء عمله فى مجال الدعوة، شارك مع علماء الأزهر فى الحوارات التى تمت مع الجماعات الإسلامية فى السجون فى ذلك الوقت وأحدثت صدى واسعاً فى تصحيح المفاهيم الخاطئة.

كما أنه من خلال عمله سافر إلى عدد من الدول منها سوريا رئيسا للبعثة الإسلامية وغزة وكوريا الجنوبية بدعوة رسمية من رئيسها حينذاك واستطاع أن يكون خير سفير لمصر فى تأديته لمهمته فى الدعوة وأسلم على يديه الكثيرون.

كان عضواً بمجلس محلى المحافظة عدة مرات ثم انتخب بمجلس الأمة من عام ٦٤ إلى ٦٩، حيث كانت له بصماته الواضحة حيث تقدم بعدة اقتراحات منها تطوير إذاعة القرآن الكريم وتم تنفيذه لتحمل مشعل التنوير والثقافة الإسلامية إلى العالم أجمع، وتعيين خريجى كلية الشريعة والقانون فى الوظائف القضائية، وتمت الموافقة عليه وكانت له مواقف فى العمل الاجتماعى أظهرت رجولته ونبله أيام السيول: التى اجتاحت دار السلام فتحول منزله إلى غرفة عمليات لمساعدة الأهالى والشد من أزرهم وأشاد به د. محمود الشريف وزير التنمية المحلية حينذاك لموقفه الرائع وجهده الوفير فى احتواء الأزمة ودعمه للوحدة الوطنية فى أحداث الكشح وهكذا تكون معادن الرجال إبان الأزمات.

وانطلق بآفاق علمه بعيداً عن التشدد والمغالاة فى الدين فكان كالسيل المنهمر فى حديثه وإذا كتب انطلق القلم بين أصابعه طلقا سهلا متمتعا بأسلوبه السهل الممتع والقدير.

أعماله

خير الناس أنفعهم للناس من هذا المنطلق أسهم فى إنشاء المعاهد الأزهرية على مستوى الوجه القبلى وخاصة بمركز دار السلام لينتشر العلم بين ربوعها وينهل أبناؤها من علمه الفياض لحمل مشعل التنوير وشاء الله أن يكون فى بلاد شرقى النيل التى تحد غربا بالنيل وشرقا بالصحراء معاهد أزهرية لايخلو منها ناحية ففى قريته، أنشأ عدة معاهد ابتدائى- إعدادى- ثانوى- معهد للفتيات، تكلف ما يقرب من ٢ مليون جنيه ويعتبر معهدا نموذجيا وبجواره مسجد تحفة فنية إسلامية كما أسهم من خلال عمله فى الحد من ظاهرة الثأر فى الصعيد وإتمام الصلح بين المتخاصمين وأن يرفرف السلام على أهلها والعيش فى أمان واستقرار، يقول عنه الشاعر الكبير إبراهيم النجارى:

يا أمة فى العلم كم لك آية
فى الصالحات الباقيات وكم يد
جاهدت للأخلاق تنشر فضلها
وأرحت قومك من شرور المفسد
كم آثم اتخذ الخلاعة ديدنا
وطريد خلق فى الحياة مشرد
وقيته غى الهوى وهديته
سبل الرشاد فكان أسعد مقتدى

يوجز شاعرنا دور هذا الداعية فى بلاغة تعطى الرجل بعضا مما يستحقه فيشبه الشاعر عالمنا بأنه أمة وحضارة تركت من الأثر والآيات الصالحات الكثير مما دعم الأخلاق وفضائلها وهزم المفاسد. مستخدما تعبير (جاهدت) دليلا حيا على الجهد المبذول والنتائج التى تحققت. فهو بعد ذلك يصف ما آل إليه حال الفاسدين الذين بلغ حالهم حد يأس المجتمع منهم ولكنه نجح فيما فشل فيه المجتمع وتحول هؤلاء إلى سعادة الاقتداء بالصالحين.

ويقول عنه الشاعر الكبير « محمود بكر هلال ».

أقبل الشيخ كالشفاء لدى السقيم
وكالأمن فى الفؤاد المجفل
كنت فينا ولاتزال إماماً
عبقرى الحجا خطيبا وفيصل

يصف شاعرنا زيارة هذا العالم الجليل لبلدته موضحا أثر الزيارة وعظمة الزائر وقدره لجهوده العلمية والدينية وقد منحه الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٤م.

وفاته

بعد حياة حافلة بالمواقف والعبر إنتقل إلى رحمة الله فى يوم السابع عشر من ذى الحجة ١٤١٩هـ، الموافق الثالث من أبريل ١٩٩٩م، ودعت سوهاج علما من أعلامها ورمزا من رموزها وشمعة ظلت مضيئة بالنور والدفء والحماس والقدوة وتبقى خصاله وتبقى ذكراه للأجيال القادمة.

رحمه الله عالمنا الجليل وأسكنه فسيح جناته.

● المجلة : نرجو أن تتاح الفرصة لأحد تلامذة الشيخ أن يكتب عن الراحل الكريم بما يوفيه بعض قدره.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقـــــــاً

يا أيهــــا الأمى قــــد علمــــتنا
وهديت فــينا أنفـســـاً وعـــقـــولاً
شـــاء الإله لنا النجــاة فـــخـــصنا
بك هادياً ومــــعلمـــاً ورســـولاً
«علية الجعار»

الهــــمُّ .. بالمعصــية

لم يؤاخذ الله – تعالى – أحداً من خلقه على الهم بالمعصية إلا فى المسجد الحرام:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١)

لأنه المكان المقدس الذى يجب أن يكون فيه الإنسان نقي القلب طاهر النفس، صافى السريرة، خالصاً بكلِّيته لله، فمن ينتهك حرمة الملك فى حماه جدير بالجحيم والعذاب الأليم.

الشـــاعر والمأمــــون

أتى شاعر المأمون فقال: لقد قلت فيك شعراً. فقال: أنشدنيه: فقال:

حـــيـــاك رب الناس حـــيــاكـــا
إذ بجــمــــال الوجــه رقـــاكـــا
بغــــداد من نورك قـــــد أشـــرقت
وأورق العــــود بجــــدْوَاكَــــا

قال: فأطرق المأمون ساعة، وقال: ياأعرابى، وأنا قد قلت فيك شعراً:

حـــيـــاك رب الناس حـــيــاكـــا
إن الذى أمَّـلت أخـطـاكـــــا
أتيت شـخـصـاً قـد خـلا كـيـسـه
ولو حـــوى شــيـــئـاً لأعطاكـــا

فقال: ياأمير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئاً يستطاب، فضحك المأمون وأمر له بمال.

---

(١) الحج «٢٥».

قالــــــــوا...

- عجبت لمن يقنط، ومعه الاستغفار.
- رب قريب أبعد من بعيد، وبعيد أقرب من قريب والغريب لم يكن له حبيب.
- لا تستح من القليل فإن الحرمان أقل منه.
- من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.
- من هانت عليه نفسه، فهو أهون على غيره.
- من سلمت سريرته سلمت علانيته.
- خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم.
- ماأحسن الموت إذا حان الأجل.
- الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم.

الشــــكوى لغيــــر اللـــــه

قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمى وجعاً فى بطنى فنهرنى، ثم قال: ياابن أخى لا تشكُ إلى أحد مانزل بك، فإنما الناس رجلان: صديق تسوؤه، أو عدو تسره.

يا ابن أخى: لا تشك إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن أشكُ إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك.

ياابن أخى: إحدى عينى هاتين ماأبصرت بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة، وما اطلعت على ذلك امرأتى أو أحد من أهلى:

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٢).

كـم فقــار ظــهرك؟

قال رجل لأعرابى: ماأحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة؟

فقال له: فإن عرفت أتجعل لى على نفسك مسألة؟

قال: نعم!!

قال:

إن الصــلاة أربــع وأربــع

ثــم ثــلاث بعـدهــن أربــع

ثم صــلاة الفــجــر لا تضــيع

قال: صدقت.. هات مسألتك.

قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى.

قال: فتحكم بين الناس، وتجهل هذا من نفسك.

اللهم أنت غياثى فبك أستغيث، وأنت ملاذى فبك ألوذ، وأنت عياذى فبك أعوذ، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

---

(٢) يوسف «٨٦».

منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

لذكر الله وتسبيحه منزلة سامية، ومكانة عالية، به تصفو النفوس، وبه ترقى الروح إلى الدرجات العلا فى حب الله والتعلق بذاته والإخلاص فى عبادته، وبه تأنس القلوب فلا تشعر بوحشة، وبه تمتلىء حياة الذاكرين فلا يحسون بفراغ ولا وحدة، وبه تتخلص الأفئدة من التعلق بالدنيا فلا تنشغل بمتاعها الزائل وشهواتها الفانية، فقد وجه الذاكرون جهدهم كله إلى مايحبه الله ويرضاه فى كل وقت وآن آناء الليل وأطراف النهار.

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(١).

ويبين ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ منزلة الذكر وأهميته فيقول: وهى منزلة القوم الكبرى التى منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون.

والذكر منشور الولاية الذى من أُعطيه اتصل، ومَنْ مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذى متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذى يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذى يُطفئون به لهب الحريق، ودواء أسقامهم الذى متى فارقهم انتكَست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعَلاقة التى كانت بينهم وبين علاّم الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم

فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم

(١) النور (٣٧).

النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون... يدع القلب الحزين ضاحكا مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً.

وفى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهى غير مؤقته، بل هم يُؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم فى كل حال قياما وقعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غِراسَها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصِقَالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر فى ذكره استغراقا ازداد المذكور محبّة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوَقْر عن الأسماع، والبَكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زيّن الله به ألسنة الذاكرين كما زّين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده مالم يغلقه العبد بغفلته.

ويطلق الذكر على معان كثيرة منها: الصلاة لله - تعالى - والدعاء إليه، والطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيحه وتحميده وتكبيره والثناء عليه بجميع محامده.

وقيل: الذكر هو: التخلص من الغفلة والنسيان، يقول الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ مايَقْنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان».

وقد وردت كلمة «الذكر» فى القرآن الكريم على معان كثيرة، ذكر أهل التفسير: أن الذكر فى القرآن الكريم جاء على أوجه منها:

أحدها: الذكر باللسان. ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٢).

الثانى الذكر بالقلب: ومنه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾(٣).

وقيل هو الندم.

الثالث: الحديث. ومنه قوله - تعالى:

﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾(٤)، ومثله:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٥).

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾(٦).

---

(٢) البقرة (٢٠٠).

(٣) آل عمران (١٣٥).

(٤) يوسف (٤٢).

(٥) مريم (٤١).

(٦) مريم (٥١).

الرابع : الخبر. ومنه قوله تعالى :

﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾(٧).

الخامس : العظة. ومنه قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٨).

السادس : الوحى. ومنه قوله تعالى :

﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾(٩).

السابع : القرآن. ومنه قوله تعالى :

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾(١٠).

الثامن : التوراة والكتب السابقة. ومنه قوله تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١١).

التاسع : الشرف. ومنه قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(١٢).

العاشر : الطاعة. ومنه قوله تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(١٣).

أى أطيعونى أغفر لكم.

الحادى عشر : البيان. ومنه قوله تعالى :

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١٤).

الثانى عشر : الصلوات الخمس. ومنه تعالى :

﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾(١٥).

الثالث عشر : صلاة الجمعة. ومنه قوله تعالى :

﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾(١٦).

الرابع عشر : صلاة العصر. ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾(١٧)

الخامس عشر : الرسول. ومنه قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا ﴾(١٨).

وهذه الآيات التى استشهد بها لهذه المعانى تحتملها وغيرها.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ جاء الذكر فى القرآن على عشرة أوجه :

الأول : الأمر به مطلقا ومقيدا. وذلك كقوله تعالى :

---

(٧) الكهف (٨٣).
(٨) الأنعام (٤٤).
(٩) الصافات (٣).
(١٠) الأنبياء (٥٠).
(١١) النحل (٤٣).
(١٢) الزخرف (٤٤).
(١٣) البقرة (١٥٢).
(١٤) الأعراف (٦٣).
(١٥) البقرة (٢٣٩).
(١٦) الجمعة (٩).
(١٧) ص (٣٢).
(١٨) الطلاق (١٠، ١١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(١٩).

الثاني: النهى عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾(٢٠).

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته. كقوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢١).

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢٢).

الخامس: الإخبار عن خسران مَنْ لها عنه بغيره. كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾(٢٣).

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له. كقوله تعالى:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(٢٤).

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء. كقوله تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(٢٥)

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها. وذلك كما ختم به الحج في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٢٦).

وختم به الصلاة كقوله:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(٢٧).

وختم به الجمعة كقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٨).

---

(١٩) الأحزاب (٤١، ٤٢).
(٢٠) الأعراف (٢٠٥).
(٢١) الجمعة (١٠).
(٢٢) الأحزاب (٣٥).
(٢٣) المنافقون (٩).
(٢٤) البقرة (١٥٢).
(٢٥) العنكبوت (٤٥).
(٢٦) البقرة (٢٠٠).
(٢٧) النساء (١٠٣).
(٢٨) الجمعة (١٠).

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾(٢٩).

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة كقوله تعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾(٣٠)، وكذلك قرنه بالصيام وبالحج وغيرها.

وللذكر درجات، قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية، فأما ذكر الثناء فنحو «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وأما ذكر الدعاء فنحو

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٣١).

وأما ذكر الرعاية فمثل قول الذاكر: «الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي».

الدرجة الثانية: الذكر الخفيّ. وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

الدرجة الثالثة: الذكر الحقيقي. وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك. وقد سُمي هذا الذكر حقيقيا، لأنه منسوب إلى الرب – تعالى – فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده.

وللذكر دلالات عامة. قال الفخر الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التّفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يَطّلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات. ومنْ ثم سَمى اللهُ الصلاة ذكرا فقال:

﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٣٢).

ونقل عن بعضهم قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء. وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

---

(٢٩) آل عمران (١٩٠، ١٩١).
(٣٠) طه (١٤).
(٣١) الأعراف (٢٣).
(٣٢) الجمعة (٩).

الأُمَوِيُّون وتأكيد هَوِيَّةِ القُدْس الإسلامِيَّة

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

بعد أن آلت مقاليد الخلافة إلى معاوية نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، وكان نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق خيرا على فلسطين التى أصبحت قريبة من مركز السلطة وازدهرت بذلك حضاريا واقتصاديا كما أن معاوية الذى ظل حاكما للشام لمدة تقرب من العشرين عاما كان قد تعلم حب بيت المقدس ورغم حدوث محاولة لاغتياله فى المدينة فقد كان يحرص على زيارتها كلما أتى إلى فلسطين وفيما بعد قام المسلمون بجمع أقوال معاوية فى بيت المقدس.

فقد قال عنها المسلمون فيما قال معاوية: إن المدينة المقدسة ستكون المكان الذى يبعث فيه الناس ويجمعون يوم الحساب، وإنها أيضا مكان يتطهر من يعيش فيه وتضفى عليه القداسة وأن الشام جميعها هى أرض الله المختارة التى سيعود إليها أفضل عباده كما روى - أيضا - أن معاوية قال فى خطبة له فى الحرم ما معناه: إن الله يحب البقعة الواقعة بين جدارى ذلك المسجد أكثر من أى مكان فى العالم، وقيل - أيضا - إن المسلمين الذين يتعبدون فى الحرم القدسى بإمكانهم أن ينقلوا هناك قداسة مكة رغم بعدهم عنها.

وبعد وفاة معاوية استفحل الشقاق فى الإمبراطورية الإسلامية لأن بعض الرعايا المسلمين رفضوا خلافة ابنه يزيد وفى عام ٦٨٠م قاد الحسين بن على حفيد الرسول ﷺ عصيانا ضد الأمويين انتهى بمذبحة بشعة راح هو وأتباعه القليلون المستضعفون ضحيتها فى كربلاء فى العراق وأصبحت كربلاء منذ ذلك الحين مدينة مقدسة للشيعة الذين اعتقدوا أن الأمة يجب أن يحكمها آل بيت الرسول ﷺ ورغم قداسة كربلاء فإن الشيعة كانوا يبجلون الأئمة من نسل سيدنا محمد ﷺ وعلى.

وبعد وفاة يزيد تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ - ٦٨٥م ثم ابنه عبدالملك ٦٨٥ - ٧٠٥م من إرساء قواعد الحكم الأموى فى سوريا وفى انحاء الإمبراطورية فيما بعد وبدأ عبدالملك وكان واليا على قدر عال من الكفاءة، عمليا باستبدال أنظمة إدارية عربية بأنظمة الإدارة البيزنطية والفارسية أى بملكية مركزية.

وبعد أن تمكن من إرساء نوع من السلام والأمن بدأ يولى مدينة بيت المقدس التى كان مولعا بها مثل غيره من الأمويين اهتمامه فقام بإصلاح أسوار وبوابات المدينة التى كانت قد دمرت وبنى دار الإمامة مقر حاكم إيلياء قرب الحرم غير أن أعظم إسهاماته فى المدينة كانت بلاشك قبة الصخرة التى أصدر الأمر بتشييدها عام ٦٨٨م فقد أبرزت أن للإسلام أماكنه المقدسة وكان هناك أيضا الخط العربى ذو القوة والجمال غير العاديين بيد أنه لم يكن لدى الإسلام مبان أو نصب تذكارية وكانت بيت المقدس مدينة تملؤها الكنائس الفخمة، ومن ثم شعر المسلمون بأن هناك ما ينقصهم فى هذا الصدد ولابد أنهم أحسوا برغبة فى أن يبرهنوا للمسيحيين أن لديهم رؤية واضحة بإمكانهم التعبير عنها فقد لاحظ الجغرافى والمؤرخ المقدسى وهو من مدينة القدس وكان يكتب فى القرن العاشر الميلادى أن كنائس بلاد الشام على درجة ساحرة من الجمال وأن قبة «القيامة» كانت من العظمة والروعة بدرجة خشى معها عبدالملك أن تبهر عقول المسلمين ولذا رغب المسلمون فى إقامة ميدان أو نصب تذكارية تصبح أعجوبة العالم ومن هنا أمر عبدالملك ببناء قبة جديدة تتحدى قبة القيامة على التل الغربى وأيضا كنيسة الصعود المرموقة على جبل الزيتون والتى كانت تتلألأ بريقا حينما تضاء ليلا لدرجة أصبحت معها أحد المشاهد الرائعة فى بيت المقدس، ولكى يتأكد أن البناء الإسلامى الجديد سيكون على نفس الدرجة من الروعة وظف عبدالملك حرفيين ومهندسين من بيزنطة ومن المحتمل أيضا أنه أوكل إلى اثنين أو ثلاثة من المسيحيين مهمة الاشتراك فى التشييد غير أنه رغم إسهام أهل الذمة فإن ذلك الصرح الإسلامى الأول العظيم يحمل رسالة إسلامية لا يخطئها أحد.

واختار الخليفة أن يبنى القبة حول الصخرة البارزة من دكة المعبد الهيرودى فى اتجاه الركن الشمالى للدكة.

وأصبح اليهود والمسلمون ينظرون إلى الصخرة على أنها أساس المعبد ومركز العالم ومدخل جنة الفردوس ومصدر الخصوبة وتلك صور ارتبطت جميعها بالأماكن المقدسة للديانات التوحيدية كما أن المسلمين شعروا منذ الأيام المبكرة لبناء تلك القبة أن زيارتهم لها تعود بهم إلى حالة التناغم الفردوسى الأولى.

وكُرست كل النقوش تقريبا داخل القبة والتى تعلو الأقواس والأروقة الداخلية للآيات القرآنية التى تنكر الفكرة القائلة بأن الله اتخذ ولدا وتلك الآيات موجهة لأهل الكتاب

وتحذرهم من الأقوال غير الدقيقة والخطيرة عن الله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(١) .

ولابد أن تلك النقوش القرآنية قد وافقت اليهود فلم يحدث أن نظر اليهود إلى مشروع تشييد ذلك البناء الإسلامى على جبل المعبد الخاص بهم نظرة ذعر بل أن مؤلف « أسرارالحاخام سيمون بن يوحاى » اليهودى عام ٧٥٠م يرى البناء مقدمة للعصر المسيانى لله كما امتدح سيمون الخليفة المسلم لكونه محبا لإسرائيل قام بترميم تصدعات صهيون وتصدعات المعبد فهو ينحت جبل موريا ويقوى منه ويقوم بتشييد مسجد هناك على صخرة المعبد بيد أنه كان لصخرة القبة رسالة أخرى لليهود .

والرسالة المتضمنة هى أن اليهود ليسوا أبناء إبراهيم الوحيدين وعليهم -أيضا- أن يتذكروا أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل كان مسلما .

أما الأمر المؤكد احتمالا فهو أن القبة كانت تأكيدا للهوية الإسلامية ولم يقصد بها كما يقول البعض صرف المسلمين عن الحج إلى مكة التى كانت ماتزال فى أيدى الزبير وكان مؤرخ القرن التاسع العراقى « اليعقوبى » هو أول من افترض تلك النظرية وأخبرنا أن الأروقة الدائرية صممت من أجل الطواف وكما يقول : فقد بدأ الناس يطوفون حول « الصخرة » كما يطوفون حول الكعبة واحتمال صحة هذا القول ضئيلة فممرات القبة شديدة الضيق بحيث لا تسمح بأداء شعيرة الطواف المعقدة بالإضافة إلى أنه لو كان هدف الخليفة استبدال مكة لصار الأمر أكثر يسرا لو أنه شيد بناء يماثل الكعبة بدلا من تجشم مشقة تصميم تلك القبة المعقدة ولا ينسب أحد آخر من مؤرخى تلك الفترة ذلك المقصد غير الورع للخليفة الذى كان لابد وأن يصدم العالم الإسلامى كله كما أن عبدالملك لم يظهر سوى شعور الورع العميق تجاه مكة والكعبة أما اليعقوبى فكان من أشد معارضى الأمويين ولا نملك سوى نبذ تلك النظرية كفكرة دعائية خالصة .

ولو كانت القبة مجرد خدعة سياسية أو قصد بها إحراز فوز على الذميين لما استحوذت على أفئدة الشعب الإسلامى وبدلا من ذلك فقد أصبحت القبة نموذجا لجميع المبانى الإسلامية فيما بعد فحينما كان المتعبدون والحجاج يدخلون ذلك المبنى كانوا يجدون فيه رمزا كاملا للطريق الذى كان عليهم أن يسلكوه ليجدوا الله .

---

(١) النساء (١٧١).

أماالقبة ذاتها، والتى ستصبح ملمحا للعمارة الإسلامية فهى رمز التحليق المتسامى فى اتجاه السماء لكنها أيضا تعكس التوازن الكامل للتوحيد فسطحها الخارجى والذى يتجه صعودا نحو لانهائية السماء هو نسخة مطابقة تماما لبعدها الداخلى وهى تصور بذلك كيف يتوافق الإلهى والبشرى والعالم الباطنى والظاهرى ويكمل بعضهما البعض مثل شقَّى رحى وحدة كلية ويوحى اللون الأزرق فى الفن الإسلامى أى لون السماء باللامتناهى بينما يدل اللون الذهبى على المعرفة والتى هى الملكة التى يصل من خلالها الإنسان إلى إدراك الخالق.

ولقد أقيمت قبة الصخرة فى موقع أولى قبلتى المسلمين وعرفت تلك البقعة مركزاً روحانياً، ومن المعتاد أن يشير المسلمون إلى الأماكن التى قام فيها إبراهيم وداود وسليمان وإلياس بالصلاة فى الكهف أسفل القبة.

الوليد بن عبد الملك وتجديد المسجد الأقصى

ففى عام ٧٠٥م خلف الوليد أباه عبدالملك واستمر فى تصعيد قداسة وجلال الحرم القدسى ومن ثم أمر فى عام ٧٠٩م بتشييد مسجد جديد يحل محل مسجد عمر وأقيم على نفس موقع المبنى الحالى للمسجد الأقصى وخلافا لقبة الصخرة تعرض ذلك المسجد للتدمير مرارا وأعيد بناؤه وأحدثت به تغييرات فقد دمر زلزال مسجد الوليد بعد بنائه بفترة وجيزة ولم يتبق منه سوى القليل ونحن نعلم أنه كان له مقصورة من الرخام وأعمدة وفيما بعد أصبح المبنى موضع انتقادات لضيقه واستطالته بدرجة أكبر مما يجوز، وقام الخليفة أيضا بإصلاح جدران هيرود المساندة وتعلية أطوالها غير أنه لم يستطع مماثلة حجم الأحجار الهيرودية الضخمة كمابنى أيضا صفوفا من الأعمدة تشبه إلى حد ما تلك التى توجد هناك الآن وأخيرا تمت إزالة المناطق السكنية الموجودة إلى جوار الحرم حتى يتسع المكان لإقامة بعض المبانى الملكية الفخمة كما أعيد بناء البوابات التى تقع فى الطرف الجنوبى للرصيف، وشيدت مجمعات من أبنية عامة كان أكثرها روعة قصر ضخم مكون من طابقين صممت جدرانه حول فناء يتوسطه ويصل دور القصر العلوى بالحرم جسر يؤدى مباشرة إلى داخل المسجد الجديد. وامتدت سلسلة من المبانى ذات الأعمدة إلى الغرب والشمال بطول الجدار الغربى المساند وكان هناك نزل للحجيج وحمام عام ومعسكرات وأبنية عامة أخرى وأخيرا تمت إعادة تشييد جسر هيرود القديم المؤدى إلى الحرم من طريق يعرف اليوم بطريق السلسلة وكان ذلك أكبر المجمعات العمرانية التى شيدها الأمويون على الإطلاق.

ومما لاشك فيه أن المدينة جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ - ٧١٧م بدرجة كبيرة وفى هذا الصدد يقول مجيرالدين: إن سليمان كان يخطط للعيش فى بيت المقدس ولجعلها عاصمة ملكه ويا ليته فعل.. وكان ينوى إحضار ثروة ضخمة وعدد كبير من السكان إلى هناك ومثل الملك سليمان الذى سمى على اسمه كان ابن الوليد يحب أن

يستقبل الناس على جبل المعبد بينما يجلس أسفل بناء ذى قبة قرب قبة الصخرة فرش بالسجاد والوسائد والأرائك، غير أن خطته لجعل بيت المقدس عاصمة لم تسفر عن شىء فقد كان موقع المدينة غير ملائم على الإطلاق كمركز لإمبراطورية شاسعة، وتحقق سليمان من ذلك حينما قام بتأسيس مدينة جديدة هى رام الله قرب اللد، والتى أصبحت العاصمة الإدارية لجند فلسطين واستحوذت تلك المدينة على جزء كبير من قوة وازدهار بيت المقدس ونقلت تلك الخصائص المقدسة إلى المدن الساحلية.

فمنذ الأيام المبكرة كان المسلمون يميلون لإقامة عواصمهم بعيدا عن الأماكن الأكثر قداسة فى المنطقة.

فحتى اليهود والذين لم يكن لديهم أية شكوك حول قداسة المدينة فضَّلوا العيش فى رام الله وكانت جماعة اليهود فى رام الله أكبر كثيرا من مثيلتها فى بيت المقدس.

وبدأت الإمبراطورية الإسلامية تعيش فى حالة اضطراب شديد فى منتصف القرن الثامن الميلادى ففى عام ٧٤٤م أغتيل الخليفة الوليد الثانى وتمردت القبائل فى جندى فلسطين والأردن ضد ولده يزيد واستمرت المعارضة لموقفه المتسامح من الذميين بعد قمع الثورة بمدة طويلة كما استمر التمرد فى الشام ضد مروان الثانى خليفة يزيد وحدث أثناءه أن دمر الخليفة أسوار بيت المقدس وحمص ودمشق ومدن أخرى كإجراء وقائى ثم أصاب القدس تدمير أشد حينما تعرض لزلزال أتى على المدينة عام ٧٤٧م وتساقط جدارا قبة الصخرة الشرقى والغربى وكذلك تهدم مسجد الوليد والقصر الأموى وكنيسة قسطنطين نيا وقد قتل فى هذا الزلزال كثير من المسلمين الذين كانوا يسكنون قرب الحرم ولاذ باقى السكان بالتلال لمدة تقارب الأسابيع الستة خوفا من التوابع وكأن الزلزال كان نذيرا بسقوط الحكم الأموى.

ومن المعروف أن أبناء العباس عم النبى ﷺ قد استمروا يتحدون الأمويين مدة طويلة من قاعدتهم فى حميمة عبر نهر الأردن ثم تحالفوا عام ٧٤٩م مع أبى مسلم الخرسانى الذى نجح فى توحيد كل معارضى الخليفة فى حزب واحد وفى يناير الحقت بالخليفة مروان الثانى الهزيمة النهائية على نهر الزاب شرق دجلة وبعد فترة وجيزة حدثت مذبحة لمن تبقى من الأمويين فى انتيباترس فى فلسطين وقتل مروان بن محمد فى مصر وبعدها صار أبوالعباس السفاح أول خليفة عباسى غير أن العباسيين نقلوا عاصمتهم إلى المدينة الجديدة بغداد وكان لذلك آثار خطيرة على بيت المقدس كما سنرى.

وبعد:

فإنه بعد عرضنا لكتاب : القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث لمؤلفته.. كارين ارمسترونج الذى ترجمه إلى العربية د. فاطمة

نصر ود. محمد عنانى ونشر ١٩٩٨ وحين أخذنا فى قراءته ومطالعته راعنا دقة الترجمة العربية فى حسن العبارة وجزالة اللفظ والتحرى الدقيق فى الالتزام بالمصطلحات التاريخية. وتقويم بعض المعانى التى قد توهم القارىء وتوقعه فى حيرة بين التاريخ والقرآن فيفصل بينهما المترجمان تعديلا للفكرة بالتعليق فى الهامش إما من التراث الإسلامى التاريخى وإما بآية من القرآن الكريم وإذا كانت دينية تخص الأنبياء وخاصة عيسى وقضية الصلب. أو التاريخ الإسلامى مع الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الأمويين، إلى ذلك كله رجع المترجمان إلى المرجعية الإسلامية التاريخية، فلهما الشكر على اختيارهم الكتاب وعلى دقة ترجمته على ما تكلفا نصبا فى سبيل التوثيق العلمى لبعض الرؤى الغربية ولاسيما أن قضية القدس خليفية وأزمتها التاريخية بين العرب وإسرائيل ـ كما قدمنا ـ وساسة الغرب، وما يجرى حولها اليوم هو من قبيل المناورات المسكنة والاستفزازات الخشنة الرديئة ولا يصح إدراجه فى باب المفاوضات.

أما صاحبة الكتاب : فقد بذلت جهدا علميا حين اختارت لكتابها موضوع القدس فالموضوع يشكل أزمة بكل معانى الكلمة : تاريخية. وسياسية فى عرض قصة شعب ضائع وكشف لقوى الغدر والخيانة والتسلط والبغى على أمة عزلاء لا تملك شيئا إلا فورة تتميز بالغضب العادل لقضية عادلة أسقطته على جحر تود أن تقده من حطب جهنم لترسله شواظا ونحاسا من نار عليا فلاتنتصر.. ودولة البغى الظالمة التى كانت بالأمس شتيت قطعان ضل راعيها فقابلت ثورة الحجارة براجمات الصواريخ والدبابات والطائرات.

من هنا جاء كتاب القدس يفضح مؤامرات الغرب وبلغت أمانة الكاتبة حد الإنصاف فوقفت مع القضية موقفًا عادلاً؛ ولقد كانت دقيقة فى تحرى مصادرها التاريخية والدينية والسياسية.

وإذا كانت الدعوى بالكمال قائمة فقط مع الله فإن حق الخطأ يلازم كل إنسان فالكاتبة وكتابها لا يتنزهان عن الخطأ والفكر الإنسانى بتقلبه أبدا بين الخطأ والصواب.

لذلك نقول: إن الأخطاء التى صادفها من قبيل النقص الإنسانى وليس من قبيل العمد المنهجى الذى يؤول الأحداث التاريخية وفق رؤى سابقة ومن هنا كان اعتزازنا بالكتاب وعرضه.

***

مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يزعم اليهود الصهاينة أنهم حينما دخلوا فلسطين عام ١٩٤٨ لم يدخلوها محتلين غاصبين، بل فاتحين محررين، مدعين - افتراءً - أن الفلسطينيين هم غرباء عنها، قلباً للحقائق، وتزييفاً لوقائع التاريخ التى تؤكد عروبة فلسطين.

ولم تقتصر مزاعمهم عند هذا الحد، بل تواصل دعاياتهم المضللة إطلاق أباطيلهم، وترويج ترهاتهم، ونشراً أكاذيبهم بأن فلسطين حينما وطأتها أقدامهم، كانت أرضاً بلا شعب، لشعب بلا أرض ليغرسوا، فى أذهان العالم، أن الفلسطينيين ليست لهم جذور فيها. لذلك فإن إسرائيل تسعى، فى خبث ودهاء، منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، واحتلالها الضفة الغربية، وقطاع غزة إلى الترويج لمقولة: « إن إسرائيل ماجاءت لتحتل أرضاً، بل لتسترد حقاً »، وفى هذا الإطار الصهيونى تحاول دولة الكيان الصهيونى أن تبدو - أمام العالم - أنها صاحبة حق فى فلسطين لتضفى نوعاً من الشرعية على وجودها الزائف.

وانطلاقاً من مخطط هذه الدعاوى الكاذبة، سوف ألقى الضوء على عدة مغالطات يهدف الكيان الصهيونى إلى ترسيخها فى ذاكرة الرأى العام العالمى، من خلال آلته الإعلامية التى نجحت إلى درجة كبيرة فى تحسين صورة إسرائيل فى عيون العالم الغربى الذى يدعم الوجود الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة، فى غيبة إعلام عربى متهالك.

المغالطة الأولى: « يزعم قادة إسرائيل أن دولة إسرائيل الآن، هى امتداد لمملكة داود، التى قامت فى القرن العاشر قبل الميلاد، برقعتها الجغرافية الواسعة وبحدودها المترامية الأطراف ».

ولا يسعنى فى الرد على هذا الزعم إلا أن أدع المؤرخين ليكشفوا زيفه، إذ يذكرون أن داود عندما فكر فى غزو القدس « يبوس »، وجه حملة عسكرية بقيادة ابن أخيه « مؤاب »، حاصرت المدينة فترة طويلة إلى أن تم الاهتداء إلى نفق، كان اليبوسيون العرب-

بناة القدس- قد حفروه، فتسللت من خلاله قواته إلى داخل المدينة، وبذلك تم الاستيلاء عليها، وسماها داود «مدينة داود». وبفضل روح المقاومة التى أبداها أهل القدس بقيت هذه المدينة فى أيديهم حتى السنة الثامنة من حكم داود. هذا وقد ظلت القدس اليبوسية محافظة على عروبتها وحضارتها العربية الأصيلة فترة حكم داود القصيرة (١٠١٠ق. م- ٩٧٠ق. م)، التى لم تتجاوز أربعين سنة، منها سبع سنوات فى حبرون (الخليل)، وثلاثة وثلاثون سنة فى القدس (يبوس). واللافت للنظر أن القدس لم تستسلم للغازى الجديد، بل ظلت تقاوم فى شموخ وشمم الغزو العبرانى لها، ويشير المؤرخون إلى أنه عندما استولى داود على القدس (يبوس) كان قد مر على بنائها نحو ثلاثة آلاف سنة، كما كان قد مضى على الوجود اليبوسى العربى فيها حوالى أربعة آلاف سنة، مما يؤكد العديد من الحقائق:

الأولى: أن تاريخ القدس، موغل فى القدم لم يبدأ باستيلاء داود عليها فى القرن العاشر قبل الميلاد كما يدعى اليهود.

الثانية : أن أصحاب القدس الأصليين هم اليبوسيون العرب الذين تسمت القدس باسمهم (يبوس)

والثالثة : أن استيلاء داود على القدس اليبوسية كان احتلالاً لأرض عربية، عمرها،

نموذج هيكل اليهود المزعوم كما تصوروه وأعدوه للبناء فعلاً على أنقاض المسجد الأقصى

وأقام حضارتها، بناتها الأولون اليبوسيون العرب، وهذا فى حد ذاته تأكيد لعروبتها فى عهدها الأول، أما بصدد فترة حكم داود للقدس، وهى أربعون سنة، فإنى أتساءل ماقيمة أربعين عاماً حكم فيها داود حتى يزعم اليهود أن دولتهم اليوم هى امتداد لمملكة داود؟ ويتخذون من ذلك سنداً لدعوى احتلالهم فلسطين، رغم قصر هذه الفترة إذا ماقورنت بثمانمائة عام حكم العرب المسلمون خلالها الأندلس، وخلفوا فيها حضارة عربية زاهرة مازالت ملامحها باقية حتى الآن، ومع ذلك لم يطالبوا بحقهم فى الاستيلاء عليها، كما يفعل يهود إسرائيل فى فلسطين، كما يؤكد المؤرخون أن داود أثناء حكمه كان تابعاً للفينيقيين العرب فى لبنان، وفى أحيان أخرى كان تحت السيادة المصرية. ومن جهة أخرى فإن مملكة داود لم تكن

واسعة المساحة، مترامية الحدود كما يتوهم اليهود بل كانت مساحتها محدودة، تمتد من جبل الكرمل شمالاً إلى الخليل جنوباً، بينما ظل الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة بيد الفلسطينيين تحت حكم مصر. أما شمال عكا فقد كان مع ساحل لبنان موئل الفينيقيين العرب بعيداً عن حكم داود.

المغالطة الثانية: « يزعم يهود إسرائيل أن فلسطين والقدس أرض يهودية، ولا يمكن التخلي عن أى جزء منهما، كما لايمكن تقسيم القدس بينهم وبين الفلسطينيين فى أى تسوية قادمة ».

فى الحقيقة أن هذه المغالطة تفيض كذباً، وافتراءً لأن اليهود يتجاهلون حقائق التاريخ، إذ أن صلة العرب بفلسطين والقدس، هى صلة ضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ بشهادة كتاب اليهود المقدس، الذى بين أيديهم الآن، والذى تبين نصوصه، صراحة، التواجد العربى فى شمال الجزيرة العربية، وبخاصة فى فلسطين، فقد كان للعرب بها دول وممالك، وهذا مايشير إليه سفر أدمياء فيقول: « وكل ملوك العرب اللفيف الساكنين فى البرية »[١].

وجاء أيضاً فى سفر حزقيال إلى مايشير إلى العرب فيقول: « العرب وكل رؤساء قيدار »[٢]. ونقرأ أيضاً فى سفر أخبار الأيام الثانى فيقول: « وكل ملوك العرب وولاة الأرض »[٣]. كما نعقب بالنص التالى بما يثبت أن اليهود كانوا غرباء على فلسطين والقدس فيقول سفر يشوع: « أما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى اليوم »[٤] ومن هذا النص نرى أن القدس (أورشليم) كان يسكنها اليبوسيون العرب قبل اليهود، عندما حاول « بنو يهوذا » اقتلاعهم منها. وجدير بالذكر أن اليبوسيين العرب الذين أشار إليهم سفر يشوع هم بناة القدس الأولون منذ ستة آلاف سنة من الآن، والتى تسمت القدس باسم جدهم الأعلى « يبوس ». وقد ظلت القدس معروفة بهذا الاسم (يبوس) قبل محاولة القبائل العبرية من بنى يهوذا غزوها، فقد جاء فى سفر القضاة مانصه: « وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها فقال له سيده لانميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بنى إسرائيل هنا »[٥] وإذا تأملنا هذا النص، وقرأناه جيداً نجد أنه يكشف العديد من الحقائق:

الأولى: أن القدس (يبوس) مدينة اليبوسيين. الثانية : أن اليبوسيين العرب هم

---

(١) أرمياء ٢٥ : ٢٤.

(٢) حزقيال ٢٧ : ٢١.

(٣) اخبار الأيام الثانى ٩ : ١٤.

(٤) يشوع ١٥ : ٦٣.

(٥) القضاة ١٩ : ١١ ـ ١٢.

أهل القدس اليبوسية، والمقيمون فيها لم يشاركهم أحد من بنى إسرائيل فى سكناها.

الثالثة: أن يبوس (القدس) وصفها سيد الغلام الإسرائيلى بأنها مدينة غريبة بالنسبة إليهما حيث لايسكنها أحد من بنى إسرائيل، مما يؤكد أن بنى إسرائيل غرباء عنها، وفى هذا تفنيد صريح للمغالطة الثانية.

الرابعة أن هذا النص التوراتى شهادة يهودية، لاتقبل الجدل، على أن القدس عربية أرضاً وسكاناً، كما يؤكد عروبتها أيضاً مايذكره المؤرخون من أنه قد تعاقب على حكم القدس وفلسطين فى تاريخها القديم، ملوك وحكام عرب مثل ملكى صادق، وأدونى صادق، وسالم اليبوسى، وعبد خيبا، وكلها أسماء عربية تنهض دليلاً واضحاً على عروبة فلسطين والقدس.

المغالطة الثالثة: «يزعم اليهود فى إسرائيل أن حائط البراق الشريف المسمى عندهم «حائط المبكى» هو البقية الباقية من هيكل سليمان، إذ يعتقدون أن المسجد الأقصى بنى فوقه، وهم يتعللون به لفرض السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسى الشريف، المسمى عندهم «جبل البيت»».

تشير التوراة وهى كتاب اليهود المقدس إلى أن الهيكل الذى بناه سليمان لم تزد أبعاده على ستين ذراعا طولاً، وعشرين ذراعا عرضاً، وثلاثين ذراعا ارتفاعاً فيقول سفر الملوك الأول: «والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً»(٦) أى أن المساحة التى أقيم عليها الهيكل اليهودى لم تكن كبيرة جداً بل لا تعدو أن تكون مساحة لمعبد عادى لايستدعى من إسرائيل هذه الضجة الإعلامية الهائلة التى تثيرها أمام العالم، بالإضافة إلى أن المؤرخين يذكرون أن هذا الهيكل الذى يتذرع به يهود اليوم لم يتم بناؤه داخل الحرم القدسى الشريف، بل خارجه، وهذه نقطة هامة ينبغى الالتفات إليها.

وأود أن ألفت الأنظار إلى أن هذا الهيكل اليهودى «المعبد» قد تعرض إلى الهدم والتدمير عدة مرات، فقد دمره البابليون على يد «نبوخذ نصر» عام ٥٨٦ق.م، وعلى يد «تيطوس» القائد الرومانى عام ٧٠م، وأيضاً على يد «إيليوس هادريان» القائد الرومانى عام ١٣٥م بعد أن حرم على اليهود دخول القدس التى سماها «إيليا كابيتولينا» ومن هذا الوقت صار الهيكل اليهودى أثراً بعد عين. وجدير بالذكر أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ قد أشار إلى خراب الهيكل بقوله: «ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً»(٧) كما أكد السيد المسيح تدمير هذا الهيكل ومحوه من الوجود بقوله: «الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض»(٨) كما نجد «جوستاف

---

(٦) الملوك الأول ٦ : ٢.　(٧) متى ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٨.　(٨) متى ٢٤ : ٢.

لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » يشير إلى أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبة، وأنه ليس هناك ما يدل على وجود ما يسمى بالهيكل. وفى إطار الأطماع الإسرائيلية فى الحرم القدسى الشريف سعت حكومة باراك - عقب محادثات كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠ - إلى دفع أمريكا لتقديم اقتراحها بشأن السيادة على الحرم القدسى الشريف الذى هو من بنات أفكار إسرائيل والذى يقسم السيادة على الحرم القدسى إلى ثلاث سيادات: الأولى سيادة إسرائيلية على حائط المبكى « حائط البراق الشريف »، والحى اليهودى، والفراغات تحت أرض الحرم القدسى التى تدعى إسرائيل - باطلاً - أنها مكان الهيكل اليهودى. والثانية سيادة فلسطينية على المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة. والثالثة ما يسمى بالسيادة لله على ساحة الحرم القدسى الشريف. وهنا نتساءل لماذا تسعى إسرائيل - بدعم أمريكى - إلى تقسيم السيادة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ؟ والإجابة معروفة وهى إعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، رغم أن إسرائيل تعلم جيداً أن حائط المبكى المزعوم « حائط البراق » وهو الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف والساحة التى أمامه المقابلة لحارة المغاربة تؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسى الشريف، وهو ملك إسلامى بموجب قرار اللجنة الدولية عام ١٩٣٠م التى حسمت النزاع فى هذه القضية بأحقية المسلمين العرب فى الحرم القدسى الشريف وأنه ملك لهم. ولكن لماذا تتجاهل إسرائيل قرار هذه اللجنة وهو قرار دولى ؟ لأنها لا تحترم قوة القانون، بل تمارس قانون القوة خياراً وحيداً للاستيلاء على أراضى وممتلكات الغير، إذ لازالت إسرائيل تسعى إلى الاستيلاء على الحرم القدسى الشريف لإعادة بناء الهيكل اليهودى استناداً إلى مقولة صهيونية تقول: « لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل ».

وأختم حديثى بالقول بأن إسرائيل من أجل تحقيق أطماعها التوسعية فى إقامة دولية يهودية من النيل إلى الفرات، تواصل مسلسل أكاذيبها، ومغالطاتها، وإيهام الدنيا كلها بأن ما تقوم به الآن على الساحة الفلسطينية ما هو إلا لحماية نفسها من الإرهاب الفلسطينى الذى يهدد استراتيجيتها الأمنية، وهى بذلك تسوى بين حق الشعب الفلسطينى فى مقاومة الاحتلال الإسرائيلى والإرهاب، وهذه مغالطة أخرى تروج لها لكسب عطف، وتأييد العالم فى عدوانها على الشعب الفلسطينى. لذلك تقع على الجاليات العربية والإسلامية فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة مسئولية كشف زيف هذه المزاعم والدعاوى الكاذبة لتوعية هذه المجتمعات بحقيقة قضايانا العربية والإسلامية حتى يكون لنا أنصار، ومؤيدون فيها، لنصرة حقوقنا العربية والإسلامية فى مواجهة المخطط الصهيونى لتزييف الحقائق.

قصة العدد

الله أكبر ! هلكت خيبر (*) !

خرج النبى ﷺ من المدينة لغزو خيبر فى بقية المحرم من السنة السابعة وفتحها فى صفر

للأستاذ / أحمد التاجى

١

مر « كنانة بن الربيع » على « حيى بن أخطب » سيد بنى النضير فرآه واجما ينكت الأرض بعود فى يده ثم يصعد الطرف بين الفينة والفينة فى حصون خيبر.

فقال كنانة: أرى هذه القرية قد راعتك بحصونها، وحلت من فؤادك محلا. طب نفسا وطابت خيبر!

قال حيى: وكيف تطيب نفسي؟ وها نحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش فى غير أوطاننا مشردين فى الآفاق! ونحن الذين بنينا « يثرب » بأيدينا، فأصلحنا أرضها، وأجرينا ماءها، وغرسنا جناتها، وأقمنا حصونها، وترانا اليوم ننزل فى غير دارنا، ونأكل من غير زادنا، لأن محمدا افتتحها علينا، وأخذها عنوة منا!

لله تلك الأيام العزيزة التى قضيناها هناك أعزاء أشداء!!

كنا نقاتل الأوس بالخزرج، ونقاتل الخزرج بالأوس، ونسعر نيران العداوة بينهما ونمدهما بالأسلحة ويمدوننا بأموالهم فمايزالون فى تناقص وفناء، وما نزال فى نعمة سابغة، وسيادة دائمة.

ولكن جاءنا ذلك الساحر الطريد، ففرقهم عنا، ونفر موالينا ولاندرى كيف جمع بين قلوبهم الفائرة، وغسل أحقادهم الثائرة، وشفى جراحهم الناغرة، وجعلهم أمة واحدة يأكل بهم اليهود والعرب.

قال كنانة: ولكننا أحسن حالا من بنى عمومتنا فلقد أخذنا من أموالنا ما تحمله دوابنا ونزلنا بخيبر هذه القرية ذات البروج المشيدة فأوينا إلى ركن شديد . أما بنو قينقاع فياحسرتاه على ما أصابهم، فعندما أخرجوا من المدينة قصدوا (أذرعات) فتناولتهم أوبئة الشام، فما انقضى

(*) مجلة الرسالة ٤/٣/١٩٤٠.

الحول على نسمة تحت الشمس منهم!

ـ ونسيت «قريظة» إن قلبى ليطفح بالنيران كلما ذكرتهم! ماذا جنوا حتى يحكم محمد السيف فى رقابهم؟ ويح يثرب! خلت من يهود!

ـ وكأنك أنت الذى جنى عليهم يا حيى، حركتهم ليثوروا على محمد وينبذوا له عهده وأطمعك فى ذلك اجتماع الأحزاب عليه، ولكنه سرعان ما خذل الأحزاب، وفت فى عضدهم، وسرعان ما انقلب محمد على بنى عمنا، فشفى غيظه منهم.

ـ أجل: أردت أن يُطعن محمد بخنجرين، أقتلهما الذى يأتيه من وراء ظهره! ولكنى كلما دبرت كيدا أبطله بسحره. وكأنه ملهم يوحى إليه!!

ـ أو تشك فى أنه النبى ؟! وأنت من أهل العلم والكتاب

ـ كلا، ما ارتبت فيه، ولكنه جاءنا من العرب وحسبناه من إسرائيل! كيف نتبعه فيعلو به أجلاف الأعراب على أهل الكتاب؟ لا ورب موسى لا نلقى إليه القياد أبدا، وسنظل على بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك.

ـ أتظن الرجل الذى خضعت قريش له وطلبت منه السلام فى «الحديبية» ينكسر لنا؟ ما أظنه أسكت قريشا إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب، أليس هو الذى يقول:

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة الإسلام فإذا قالوها حقنوا منى دماءهم».

ـ ولكن قريشا لم تقلها.

ـ ستقولها يوم أن يجلب عليها بخيله ورجله، ويخيرها بين الكلمة أو السيف.

ـ ونحن أيتركنا ههنا؟

ـ إخاله سيتعقبنا

ـ أو بلغك نبأ؟

ـ أما من محمد فلا، كيف يدرى الناس من أمره شيئا وهو حول قلب؟ إذا أراد أن يحارب شمالا اتجه جنوبا!

ـ ومن أدراك إذن بما تقول؟

ـ إنها رؤيا رأتها بنتك التى تحتى فأولتها

ـ صفية بنتى! إنها لترى وكأنها ترى بعينيها! ماذا رأت الخبيثة!

ـ كأن قمرا من السماء سقط فى حجرها.

ـ إنه وأيم الحق محمد!

٢

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء تلك ما أبقينا
وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

على توقيع هذا النشيد المطرب، وترجيع صوت الحادى البين سارت قافلة المسلمين تحت ظلال الراية البيضاء تتبع محمد بن عبدالله، ومازالت تصعد وتهبط حتى تراءت للعين حصون خيبر شامخة تشق السماء وقد لفها غلس الدجى، وعلى قيد أميال منها وقف النبى

يتأملها فوقف الركب معه، فرفع يديه يناجي ربه ويقول:

« اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها »

وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها، فلما أصبحوا قام النبى يقول:

« الله أكبر، الله أكبر، هلكت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ».

وانطق المسلمون يكبرون، وكأنهم كلما رفعوا بالتكبير أصواتهم، بالغلوا فى إظهار إخلاصهم لبارئهم، وإن من الجبال لما يهتز لتكبيرهم ودعائهم، وإن منها لما يتصدع من خشية الله.

فقال لهم النبى: « أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم ».

●●●

وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم فراعهم جيش المسلمين فرجعوا إلى أهلهم يصيحون:

ـ محمد والخميس!

وفزعت خيبر وأغلقت أبوابها، وظل المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها، ومن برج مشيد أطل « حيى بن أخطب » على جيش المسلمين فرأى الراية البيضاء فى يمين « على بن أبى طالب » فكأنما رأى ملك الموت يدلف إليه. فقال:

ـ تباً لكم! ألا فتى غير هذا يحمل اللواء؟

والله ما ذقنا العذاب إلا تحت لوائه!

أخرجنا من بيوتنا بيثرب، وها هو ذا جاء يخرب قريتنا!!

فلمحه الإمام يتكلم بصوت خفيض، فقال له:

ـ ماذا تقول يا عدو الله؟!

قال حيى: وماذا تريدون منا ـ معشر المسلمين ـ ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا؟ فجئنا وحططنا رحلنا بهذه القرية، فما كدنا نستنبت ريشنا بعد أن قصصتم أجنحتنا حتى جئتم إلينا بخيلكم ورجلكم، فإلى أى أرض نهرب من شركم؟!

قال على: ألست يا عدو الله الذى جمعت علينا الأحزاب من كل فج، فصرنا فى أضيق من كفة الحابل، ولم تكتف بذلك حتى هجت قريظة فنبذوا إلينا عهدنا فى ساعة العسرة فوقفنا بين شقى الرحى. وحسبت أنك بذلك قضيت علينا، ولكن الله ربنا مشتت شملكم، وكتب على أيدينا قتلكم.

قال حيى: إنكم لن تصلوا إلينا، فأنتم فى الأرض ونحن فى السماء، إن سهمكم لن يخرق حجرا، وخيلكم لن تكون طيرا فامكثوا ما شئتم أن تمكثوا وإن لنا فى كنوزنا وخيراتنا لسعة

قال على: أتحسب أن حصونكم ما نعتكم؟! إن الذى دك الجبل تحت أقدام موسى هو الذى

يخسف بها الأرض. فنلتقى على سواء وكأنى بكم يا بنى النضير بعد ليال، فطاحت رءوسكم، وأصبحتم طعمة للطير والسباع فأسلموا تسلموا.

قال حيي: لن يأخذ منا وعيدكم شيئا

قال على: وأنتم لا تعجزون الله، يا خيل الله اركبى!!

واستمر المسلمون أياما يحاصرونهم، فلما أجهدوهم نزل اليهود إليهم يبارزونهم، فدارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم، وسبيت نساؤهم وذرياتهم.

قال على لحيى وهو مقدم للقتل: أأغنى عنك حصنك شيئا! لولا أويت إلى ركن شديد!

قال: وما هو؟

قال: ربك الذى نسيت، ودينه الذى أنزل! ونبيه الذى أرسل!

قال: خذ رأسى إن كانت لك به حاجة

قال: أجل، إن السيف ليضحك حينما يجز رقاب أعداء الله

●●●

وتقدم « دحية الكلبى » إلى صفية بنت حيى وقال لها:

تعالى يا ابنة حيى! لقد وجدت فيك عروسى التى أنتظرها فأمسك بيدها، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له: ومن تكون أنت؟

قال: رجل من بنى كلب.

قالت: لست هناك! مالك وسيدة قريظة والنضير؟!

قال: ومن تنتظرين؟

قالت: القمر المنير!!

قال: أتطمعين فى رسول الله!؟ لشد ما خدعتك نفسك، وحدثتك الأمانى، أبعد علج من علوج يهود تطمحين إلى الطاهرالطيب؟!

قالت: إن الكريمة كفء الكريم.

وسمع النبى بحديثها فاختارها لنفسه زوجا وجعل لدحية بنت عمها.

وبنى النبى بعد أيام بها، وهو فى طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها. فلما انبثق نور الفجر وخرج النبى لصلاته، رأى « أبا أيوب الأنصارى » متوشحا سيفه قريبا من بيته

فقال له : مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهى امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبى: « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ».

وحدث صفية بذلك فقالت:

والله يا رسول الله لأنت أعز علىّ من أبى وأمى وأنا على دينك.

٣

وباتت قريش بمكة تتسمع أخبار الرسول مع خيبر، وتمنت أن تدور الدائرة على المسلمين، فتكفيهم يهود شر قتالهم، وبينما كانوا يرصدون الطرق لعلهم يقفون على خبر يبل غلتهم، ويطفئ

أوار غيظهم رأوا قادما فى شملة أعرابى من بعيد فتبينوه فإذا هو «الحجاج بن علاط السلمى».

قالت قريش: هذا لعمر الله عنده الخبر!

قال لهم: وما ذاك؟

قالوا: بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز.

ـ بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم

ـ إيه يا حجاج!

ـ هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

فصاحت قريش طربا، وقالوا لأنفسهم، قد جاءكم الخبر! وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم.

قال الحجاح: فأعينونى على جمع مالى بمكة، وعلى غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك.

قالوا: لك ما تحب وترضى، وأعانوه حتى جمع ماله كله فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر جاء الحجاج وهو جازع.

وقال له:

ـ ويحك يا حجاج! ما تقول؟

ـ أكاتم أنت على خبرى؟

ـ إى والله!

ـ فالبث على شيئا حتى يخف موضعى، ثم سار إليه العباس فقال له الحجاج: الخبر والله على خلاف ما قلت لهم، خلفت رسول الله، وقد فتح خيبر، وخلفته والله معرسا بابنة ملكهم، وما جئتك إلا مسلما.

ولكن قريشا تحسبنى لا أزال على دينها فاطو الخبر ثلاثا، حتى أعجز القوم، ثم أشعه، فإنه والله الحق.

قال العباس: ويحك! أحق ما تقول؟

ـ إى والله.

ـ ولكنك كذبت الناس، ودينك لا يسمح بالكذب.

ـ استأذنت الرسول فى أن أقول فأذن، وكانت حيلة لأجمع مالى وأخرج من بين أظهرهم إلى غير رجعة. والآن أذهب

ـ على عين الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت.

قالت قريش: يا أبا الفضل: هذا والله التجلد لحر المصيبة.

قال: كلا والله الذى حلفتم به، لقد فتح محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم، وأحرز أموالهم.

قالوا: ومن جاءك بهذا الذى تزعم؟

قال: الذى جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما، فأخذ ماله، وانطلق لمحمد وأصحابه ليكون معه.

قالوا: يا لعباد الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن أولى له! أنفلت عدو الله!

قال العباس: الله أعلم بعدوه ووليه..!

مغامرات عقبيا

للروائى الصهيونى يهودا بورلا

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

عقبيا فتى يبلغ العاشرة من عمره، أدخله والده «الحيدر» الكتاب اليهودى - بالأناضول حيث كان يعمل حدادا ويصنع أدوات الفلاحين هناك، ولكن المدرس طلب الأب وأخبره بان ابنه فهمه ثقيل والأفضل أن يخرجه من الدراسة كى يساعده فى عمله، وفعلا نفذ الأب وصية المعلم وصحبه معه بين جبال الأناضول، «وكانت تعابير وجه الولد تشير إلى الغرية فهو أحمر الشعر أبيض الوجه فاغر الفم (ص١١)، وكان الفتى يسأل والده عن مواعيد الأعياد اليهودية (ص١٥) وكانت روح الفتى تبدو وكأنها جزء من واقع الخليقة، وأكثر قرباً للصخر والجبل، للذئب والبومة (ص١٦) ويسأل والده أسئلة كثيرة عن الطبيعة وخالقها، ثم يسأله عن الله ومن رآه. فيجيبه الوالد:

- الصديقون الكبار فقط هم الذين يرونه، لأنهم محبوبون فى السماء، وهم الذين يعرفون التوراة المقدسة (ص١٨) وعندما وصل عقبيا إلى سن البلوغ ١٣ سنة، وأصبح مكلفا دينيا، حاول والده أن يعيده للحيدر ولكنه قال له: إننى أحب الجبال وأفضلها على التوراة.

ويقول عقبيا: تعلمت اليهودية وامتلأت دماءُ يهودية (ص٢١) وأقاموا له حفلة التكليف الدينية «برمتسفاه» وسأله الحاخامات عن بعض الأمور الدينية ثم سألوه عن علم إسرائيل فقال لهم: «إن علم إسرائيل مقدس لشعب مقدس لإله مقدس» (ص٢٥).

قراءة فى الأدب الصهيونى

ويكبر عقبيا قويا معافا ولم يحتك الا بنوعين فقط هما الحيات والتيوس الكبيرة، كان يقاتلها حتى الموت سواء بيده أم برأسه (ص٢٦)، ومن لم ير حرب عقبيا مع التيوس لم ير منظرا دراميا مفرحاً فى حياته (ص٣٦) وكان يسأل والده : - متى سيأتى المسيح؟ فقد قال لى الحاخام أبرماجى أن المسيح سيأتى وستكون هناك معجزات كثيرة وسوف تحدث عجائب الرب.... وتقوم حروب كثيرة ونكون نحن المنتصرون وبعد ذلك يأخذنا المسيح إلى الأرض المقدسة (ص٣١). وما أن وصل عقبيا إلى سن العشرين حتى تنصل من والده وتركه فى كبره، وكان يتجول بين الجبال فى بلاد الأناضول ولا يحضر إلى منزل والديه إلا نادرا فى الصيف، جاب جميع الجبال سيرا على الأقدام وقد قلقت الأم على ابنها، لأنه لم يطلب الزواج قط، أما عقبيا فكان لا يعير المرأة أدنى اهتمام، (ص٤٥) حتى لجأت أمه إلى المنجمين اليهود حيث صنعوا له بعض الأعمال وسقته ماءها دون أن يدرى (ص٤٨)، وعلى وجه العموم فقد تقمصت عقبيا روح عكره. واعترف لوالده قائلا : «إن هناك أصواتا تنادينى تتحرك داخلى تطلب منى الخروج باسم الله للبحث، ومغادرة المكان، وعندما سأله والده البحث عن ماذا؟ قال له لا أعرف ولما حاول والده أن يثنيه عن رأيه رفض قائلا : حرفتى فى يدى.. خبزى فى يدى، أعطانى الله مزيدا من القوة والبطولة وبإرادته أثنى الحديد وأحطم الشجر، وأخلع الأشجار من الأرض.... لماذا أخاف (ص٥٥).

وكان قلب عقبيا سليما مع الله ولكنه قد تغير بسبب هذه الحادثة : فقد كان عقبيا فى (بروساه) وذهب لشراء بطيخة من أحد الدكاكين التى يملكها مسلم تركى، فوجد يهوديا ممسكا بطيخة يتفحصها، والبائع التركى ينهره قائلا له : يهودى خسيس!! ثم غرس التركى السكين التى بيده فى بطن اليهودى حيث وقع مدرجا بدمائه وعلى الفور جرى التركى هاربا، وتبعه عقبيا وطارد المسلم ولحق به، ولما رأى الأتراك ذلك طاردوا عقبيا وأخذوا فى الصياح :«امسكوا هذا اليهودى» ضربه كثير من الناس حتى حضرت الشرطة وقبضوا عليه بعد أن سرقوا نقوده.

ومنذ ذلك اليوم تحول البشر فى عينيه إلى حيوانات مفترسة.. إلى ثعابين قاتلة.. حتى الآن لم يعرف ما الذى اقترفه.. وحتى عندما قادوه إلى المحكمة.. وجد القضاة أتراك، افتروا عليه وشهد الجميع ضده، وحكم عليه بالسجن لمدة شهر (ص٥٧-٥٨). ويتعلق قلبه بـ« أنهيط » الأرمنية، والتى لام نفسه كثيرا على حبه لها وقال : كيف أتعلق بامرأة من الأغيار. وبعد هذا التجوال يخرج عقبيا بحكمة لم يتعلمها فى يوم واحد ألا وهى : «إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وأنه لا يسبب الشر للإنسان إلا لسانه» وقد قال لأصدقائه عندما حذروه من قطاع الطرق : لا أخشى اللصوص ولا الشياطين (ص٦٤). وعندما أراد أن يذهب إلى قونيا.. قابله عديد من اللصوص وأخذوا ما معه، فأخذ يقرأ التوراة فى سره ثم صرعهم جميعا (ص٦٧). وكان يعرف المستتر، يفحص الأوانى والقلوب

يؤمن بأن كل شيء مكتوب فى السماء، ورمز الخير فى يديه، وما أسعده أنه وصل إلى هذه البلدة فى (عيد رأس السنة اليهودية) ويصل إلى المعبد مباشرة، وقد اتضح له أن كل ما مر عليه قد حكم به عليه من السماء، فبعد أن قتل ثلاثة من اللصوص فى الجبال، ولم يعرف أحد من قتلهم رأى الجميع يشكرون الله يهودا وغير يهود على من خلصهم من هؤلاء الآثمين، لأنه حتى السلطة لم تستطع النيل منهم، (ص٦٨) ويذهب إلى (نحاس) مثله يصنع الدلاء ويعرف منه قصته، حيث قال له: يا عقبيا بسببك زاد فقرى فقد بعت منذ شهور الدلاء لأهل القرية، ولم أجد من أبيع له، فيحزن عقبيا ويعتذر له ويعطيه الدلاء التى معه ليبيعها ويرزق من مكسبها، ويعرف منه أنه يهودى من أزمير، وفى شبابه تزوج امرأة تركية واعتنق دين (محمد) وبعد ذلك ندم ندما كبيرا وعاد إلى دين آبائه وهو يعول أسرة كبيرة ثم يعطيه ليرة ذهبية ويهم بالرحيل، ولما سأله من أنت؟ مبعوث من السماء؟ فيجيبه عقبيا أنا عصفور السماء أتجول فى البلاد (ص٧٣) ويصفه الأديب قائلا: «كان يشعر بأن هناك خيطا من الفضل والنجاح ممتد من إرادة الخالق على نيته وعمل يديه (ص٧٦).

ويزور أمه بعد بضعة أشهر ويقول لها: إن أحلامى هنا مشوشة، أما أحلامى فى الجبال كاليقظة تماما ويحكى لها حلما: «بأن صحبه.. رجال عجائز تتدلى لحاهم إلى ركابهم كالإنسان القديم وأركباه على ظهر حيوان ربما كان أسداً أو دبا أو ذئباً كبيرا، وصعدوا به إلى الجبال المكسوة بالثلوج حتى فى أيام الصيف، وقالوا له: إنهم يصعدون به إلى جبال (أرارات) بتركيا وقالو له: إنه سوف يرى (نوحا) وهو مستريح لم يمت، وموجوداً مع بشر كثير من أبناء سام وحام ويافث وقد وصل هو قبلهم، لكنه أحس ان البهيمة التى ركبها قد شاخت، وخاف أن تقع، ورفع يده وخبطها خبطة قوية على رأسها وأماتها... حينئذ استيقظ (ص٨٢-٨٣) كان يحس بأن الله فى عونه وأنه يقف بجواره وهو الذى أظهر له محاسن العالم وعيوبه. ولم تمر ليلة إلا ويرى فيها حلما: كما لو كان هناك وميض من روح يوسف (عليه السلام) بداخله فقد كان يفسر الأحلام لكل الناس، وازداد حبه لأنهيط الفتاة الجميلة غير اليهودية وقد وصف (عقبيا) محبوبته (أنهيط) قائلاً: إنها ابنة الله التى نزلت من السماء! (ص١٠٩) ولكنه علم بأن محبوبته فى خطر. ففى مدينة (سموم) شرق الأناضول على شاطىء البحر الأسود يسكن الأغا محمود كاظم وهو ابن عم السلطان عبدالحميد، يبلغ الخمسين من عمره، وهو رجل سيىء السمعة، ويقال: إن السلطان عبدالحميد قد استولى بالخديعة على حق والده فى كرسى الحكم، وكذلك محمد كاظم وأهل بيت أبيه، وأصدر أمرا بطردهم من العاصمة ولكنه أعطاهم أموالا ومقاطعات كثيرة شرق الأناضول، وكان الأغا والذى تسمى المنطقة باسمه رجلا مستهترا طاغيا زير نساء، وكان السلطان عبدالحميد يخشاه هو وأهله. ويقال إن هذا الأغا الطاغية راحت نفسه إلى حليلة

حاكم تركى وأراد أن يتزوجها، فغضب الحاكم وقاضاه لكن الأغا أرسل حراسه وأمرهم بقتله وهكذا أثار الرعب فى البلاد كلها، ولما رأى الأغا (أنهيط) التى أحبها عقبيا، أراد أن يتزوجها، وأرسل ٢٠٠ مجيدة[1] ذهبية لوالدها، لكنه رفض، وحاول الأغا عدة مرات دون فائدة، وأخيرا هدد والدها بأنه سيخطفها، ثم قام والدها بتهريبها سرا، وقد عرف (عقبيا) بأن هذا الأغا الحقير الوغد اعتاد ان يقضى فترة الصيف والربيع فى الجبال (ص ١١٣) ويدور حوار بين عقبيا وصديقه (ورطان)، حيث يقول ورطان :

– لماذا تخضعون وتسكتون أيها اليهود ؟ . . . ألم تشعروا بأنكم مثل الديدان، ألم ينكل الأتراك باليهود؟ وفى روسيا : ألم يذبحوا اليهود .

فيرد عليه عقبيا : حقا إنك تقول الحقيقة .

ويقابل عقبيا أنهيط ويقول لها بأن الله قد اختاره لأمر ما لا يدرى كنهه، (ص١٢٣) وطوال تجواله لم ينس يوم السبت، فقد كان يتحول فيه إلى درويش .

وفى مناجاة لربه يقول : هبنى الصواب وسأفعل ما تريد، لا شىء فى قلبى الآن إلا أنت والفتاة (أنهيط)، لكنها أرمنية (من الأغيار) . . . ضع فى قلبها اليهودية، وأنا سأجعلها يهودية كما ينبغى (ص١٢٤) .

ولكنك ستقول لى : يا عقبيا . . من وضع فى قلبك أن تدخل رأسك بين الأغيار الحمقى؟ ولكنك تعرف، لم أبحث عنها، من أحضرنى إلى هنا . . إلى هذه القرية؟ من رتب الأمور، لماذا جعلت قلبى ينجذب إليها . . أحبها كما أحب أمى، كما أحبك وأكثر ألف مرة (ص١٢٥) ويُقابل (أنهيط) وتقول له بأن الكلب الأغا يبحث عنى، وإن وجدنى سأنتحر ويرد عقبيا قائلا : فليمت ١٠٠ كلب مثله ولا تمس شعره من رأسك (ص١٣٢) وسرت إشاعة بأن الأغا يبحث عن أنهيط فى هذه القرية، وخاف الجميع وطمأنهم عقبيا، وذلك فى عرس أخت صديق عقبيا (ورطان) حيث حضر أربعة فرسان من قبل الأغا يبحثون من (أنهيط) وقد قرر عقبيا الخلاص من الأغا بعيدا عن الأرمن فى مكان كله أتراك (ص١٤٦) .

وقد وصل (عقبيا) إلى خيمة الأغا ورفاقه، وتحدث معهم باللغة التركية، وطلب العمل عندهم فأدخلوه للأغا ولما سأله عن اسمه رد عقبيا : إسمى مصطفى. الست أرمنيا فيرد عليه : مسلم والحمد لله ويسأله : لماذا جئت إلى هنا : لقمة العيش، فأنا يتيم وليس لى أهل ومن صغرى أتجول بين الجبال . . وفى النهاية طبلوا منه العمل عندهم، وبدهاء شديد تفانى فى خدمتهم وأخبرهم بأنه لم ير فى حياته فتاة أجمل من (أنهيط) . . فأبلغوا الأغا بأن مصطفى رأى أنهيط ويعرف مكانها، ويسأله (الأغا) عنها فيصفها لهم، ويخبرهم بأنها تقيم فى مدينة بعيدة عن مكانها الحقيقى . وقرروا السفر فورا وقال الأغا ورجاله « إن عين الله ترعانا » وهى التى أرسلت (مصطفى) كى يخبرنا

(١) نوع من العملة المتداولة فى تركيا آنذاك وهو الجنيه المجيدى نسبة إلى السلطان التركى عبد المجيد.

بمكانها. وبعد وصولهم للمدينة نام الأغا ورجاله فى غرفتين بأحد الفنادق ويتسلل عقبيا إلى محل عطارة ويطلب من صاحبه مساعدته فى عقار يجعله ينام نوما عميقا، وفى اليوم التالى وبعد تناول العشاء المصحوب بالمشروبات غير البريئة، يضع عقبيا كل المسحوق الذى معه للأغا فى كوب القهوة، ولما نام الجميع تسلل عقبيا إلى غرفة الأغا وخنقه وحمله وقذف به من الطابق الثانى وتسلل إلى فراشه، ثم يسود الفندق هرج وصياح، ويوقظونه من نومه المصطنع ويخبرونه فيبكى ويلطم الخدود (ص١٢٩)، وفى الصباح عرف من حاشيته أنهم سينقلوه إلى مدينة (قيسارس) حيث يدفن فى قصره (ص١٥٠) وفى هذه الأثناء حل عيد الغفران اليهودى، فصام عقبيا دون أن يخبر أحداً وكان يشكر الله ويطلب منه أن يغفر له لانتهاكه الأيام المقدسة، وأن كل ما فعله لانقاذ نفس بشرية، وبعد الدفن تظاهر عقبيا بالحزن العميق على الأغا، وأعطته زوجة الأغا خمسة ليرات ذهب.

ويقول الأديب: من أعطاه لسان التملق ليخدع النذل؟ من وضع الإلهام فى قلبه ليخرج فى الظلام ويحمل الجثة، تبارك الله!! تبارك الله الذى أرسل ملاكه أمامه ليكون عونا له فى الضيق.

وبعدها يعلم أن حبيبته سافرت إلى فرنسا وتزوجت ابن عمها الأرمنى الذى يقيم هناك، وتركت له رسالة بأنها أحبته كأخ وخاب ظنه (ص١٥٣).

لقد تناولت هذه الرواية كثيرا من المحاور على غير العادة وكذلك كثيرا من أنماط الصراع وهى رواية (صنعت خصيصا كى تزيد حماس الشباب اليهودى الذين يطلبون المساواة مع الأبطال الأسطوريين) فنحن أمام بطل يهودى يبحث عن مكانه فى العالم، وطريقه مفروش بأعمال البطولة والإنقاذ وشخصيته قريبة من الأبطال الأسطوريين من وجهة النظر اليهودية الصهيونية البحتة، وصورة الأديب على أنه أمى طاهر روحه أكبر من عقله.

إن الشعب اليهودى وهو يرمز للبطولة اليهودية السفاردية والبطولة الجسدية فهو مثل شمشون له جسد قوى. ويقول أكبر ناقد أدبى لديهم ويدعى «جرشون شيكد».

لقد اختار له الأديب خطوطا مسيحانية للبحث عن الله، وفى النهاية نرى خطوط أيوب فبقوة ضميره يناضل لتعديل الوجود حتى أنه يثور على الله ويمدحه الصهيونى المتطرف «يوسف شاه لابان» فيقول:

«إنه الآن وبعد حرب الاستقلال، حيث اندلعت البطولة الإسرائيلية بوضوح مفاجىء نجد أن عقبيا موصوف للشعب اليهودى كبشرى خلاص».

وقد ركز على مفهوم الرب لدى اليهود، فهو خاص بهم وحدهم يساعدهم على قتل غير اليهود وقد أكد الأديب دون وعى منه على أن التملق والكذب والقتل والخسة هى من سماتهم.

ونرى أن البطل الذى اختاره صغيرا وقت كتابة العمل سنة ١٩٣٩ ربما هو نفسه شارون اليوم.

سقوط الأقنعة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تأتى ذكرى مولد النبى ﷺ هذا العام [1] وأمته يلفها سواد العار والهزيمة، سألت نفسى لماذا تنتكس الأمة هكذا؟ ولماذا تقبع الأمة فى ذيل قائمة التخلف والهوان؟.

مع أن الله - تعالى - يقول ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

هل لأن شرط الإيمان تخلف، لو قلت هذا لجأرت حناجر بالشجب والرفض ولكن أقول: هل خلعت الأمة ثوب العزة ولبست ثوب الذلة والهوان طواعية واختيارا أم أنها أكرهت عليه؟ لماذا أصبحنا شعوبا تافهة لا يشغلها إلا كل تافه ولا يثيرها إلا كل مهرج ولا تحركها إلا نزوة أو شهوة؟ انزلقت الأمة وهوت من قمة كانت ملك يديها وهوت إلى قاع يراد لها بفعل أعدائها واستسلمت كأنها رضيت بهذا الهوان فى القاع.. إن الأمة تحرق تاريخها كله واستسلمت ولم يعد لديها صاحب رأى أو عزيمة كأنها فراشات أو جنادب منجذبة تهوى إلى مصدر الضوء تحسب أنه يهديها فى ظلام الطريق وما درت أنه نار تحرقها وتحرق تراثها.

---

(١) ١٤٢٣ هـ.

(٢) المنافقون (٨).

وإننى أعتقد أن الأمة تنوء بإثمها وإثم العالم الضال كله، هى مسئولة بحكم خاتمية الرسالة وعالميتها وشمولها مسئولة عن هداية العالم إلى طريق الحق والهدى. لما كانت تقدر المسئولية وتتحمل عبئها.

لماذا تأخرت وضعفت وأصابها الخوار وترعرع فى قلبها الخوف وما عادت تؤمن أنها صاحبة الريادة فى مواجهة هيمنة الغرب الشرسة لأنها نسيت رسالة سيد الخلق ﷺ.. كان أصحابه يموتون ولا يقبلون الخنى كان الرجل يطوى ضاويا ولا يكذب ولا ينافق.. لماذا أصبحنا نقتات النفاق والكذب ونشرب الهوان فى سبيل الخبز؟ لماذا أصبح طعامنا أعز علينا من مبادئنا ولم يعد منا من يقول: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» ولم تعد لنا حرة ولم تعد لدينا أثداء مصونة؟!

حدث أيام الخليفة الماجد عمر بن الخطاب أن أرسل سعد بن أبى وقاص كنوز الفرس ألقيت بين يديه فى مسجد الرسول ﷺ وصار يقلبها بين يديه وهو يقول: «والله إن قوما أدوا هذا لأمناء» فقال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه وكان يجلس إلى جواره ـ: «لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا» وهذا مقياس النجاح.

هذا هو ديننا وهذه بعض ثمار رسالتك يا سيدى يا رسول الله، فلماذا يراد لنا أن نترك ديننا؟ هل فى هذه المبادىء من عيب؟! تارة باسم الحداثة يريدون أن يقطعوا صلتنا بالصدر الأول، ولماذا وهم يتمرغون تحت أقدام الظلمة والجبارين فى الأرض: بوش وشارون؟

أيها العرب المسلمون إذا لم تهبوا للدفاع الآن فثقوا أنكم لستم فى مأمن لما يحدث للفلسطينيين مهما نأت الديار ومهما قيل لكم إنكم حزتم رضا الجبابرة الفجرة. هل يدرك العالم أن إسرائيل تدبر لعرفات الآن مؤامرة لتقديمه للمحاكمة كمجرم حرب وأنه سند للإرهاب؟ أقول لكم سوف يحدث هذا ويحاكم عرفات كمجرم حرب على اعتبار أنه يساعد الإرهاب! وهكذا أصبح المجاهدون إرهابيين، وعرفات أصبح يساند الإرهاب والذى يدافع عن بلده إرهابيا وقد نصبح يوما ونرى دولا مثل سوريا والمملكة العربية السعودية واليمن وليبيا يقدم رؤساؤها بنفس التهم، حيث إن الطاغوت الأكبر وصفها بأنها دول تساند الإرهاب وبالتالى من الممكن أن تنالها عدالة التضليل السائدة فى العالم اليوم، وأرى أنه ليس للعالم العربى ملجأ إلا الشعوب وليس أمام الشعوب إلا أن تتكاتف من أجل

القضية ولا تطالب بالتصدى للقوة الغاشمة وكل ما نطالب به العرب: «المقاطعة» وهو سلاح سلبى، لا يمكن لقوة أن تجبر العرب على التخلى عنه إن أرادوا هم أن يستعملوه، إن أموال أغنياء العرب التى بخلوا بها على شعوبهم ووضعوها فى بنوك أوروبا وأمريكا هل من الممكن إعادتها؟ ولو أن أمريكا جمدتها وحبست الأرصدة فماذا هم فاعلون؟ ولمن يلجئون، لمجلس الأمن؟! لم يعاد هناك أمن ولا أمان ماذا تنتظرون من الغرب؟ هذه الأمة أمة سيدنا رسول الله ﷺ إنها غيرت وبدلت وتنكبت طريق العزة والكرامة.

تذكرت قول رسول الله ﷺ وهو يصف حوضه يوم القيامة، وقد سبق المؤمنين إليه يعد لهم الدلاء ويهيء لهم المكان ليسقيهم بيده الشريفة، ولكن أناسا يغتالون قبل أن يصلوا إلى الحوض فينادى رسول الله ﷺ: «أصحابى أصحابى» ويسمع الجواب بأنهم ليسوا بأصحاب لأن أساس الصحبة الالتزام بالمنهج وهؤلاء بدلوا وخانوا وسقطوا فى أوحال الكذب والنفاق والجبن والخداع.. يقول النبى ﷺ فيما أخرجه البخارى: «أنا فرطكم على الحوض - يوم القيامة - لَيُرْفَعُنَّ رجالٌ منكم ثم ليختلجن دونى فأقول: يا رب أصحابى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»(٣)، ماذا أحدثوا لقد سقطت الأقنعة عن كل المسلمين والعرب شعوبا وحكاما ولا نملك غير المقاطعة السلبية بالامتناع عن كل ما هو أمريكى طعاما أو شرابا حتى نحس بأننا أمة تتحرك ومازال بنا نبض نحيا به، وهذا كل ما نقدمه اليوم وإلا فسوف تدور الدائرة علينا ولا يتصور واحد أنه سوف ينجو من الطوفان ولا نجاة إلا فى سفينة العزة والكرامة من أجل الحياة.

ولا يقولن أحد مثل ما قال ابن نوح يوم الطوفان سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء فلا عاصم من شراسة الصهيونازية إلا سفينة العزة والكرامة فلقد سئمنا ألقاب الزعامة واللقاءات التاريخية فى المرحلة المصيرية فقد سقطت الأقنعة عن كل الزعماء وتبخرت كل اللقاءات والمؤتمرات اللهم اهد حكامنا إلى مافيه صلاحهم وصلاحنا.

والله ولى التوفيق

---

(٣) أخرجه البخارى (٨، ١٤٨).

حول مصادر التفسير

للأستاذ / توفيق العبقري أبو أروي

الحمد لله الذى أنزل الكتاب وجعله بيننا من أوثق الأسباب الموصلة إلى العزيز الوهاب، والصلاة والسلام على محمد ﷺ علم الهادين وخير من أناب، وبعد:

فلا شك أن العمل التفسيرى - بما هو استنباط لمعانى القرآن ومحاولة لتبين مراد الله - تعالى - منه - قائم على أصول متينة ودعائم ثابتة، ومحكوم بضوابط ومعايير «علمية» تحدد مساره وتضبط مسالكه، وتكبح جماح جياد القول فيه أن تشتط فى ارتياد مراتع محض الرأى وتخرصات الظن وتعسفات الفهم، وبذلك تضمن له سبيل السداد والدقة، وتضفى عليه لبوس المشروعية والقبول.

والمقال -الذى أقدم له الآن- متصل الأسباب بتلك الأصول والضوابط، فى محاولة منه لاستعراض الخطوات التى يتحتم على المفسر انتهاجها فى عمله، حيث يستهدى أثناءها بتلك الأصول المرجعية، وهى الأصول التى جرى الكثيرون على تسميتها بـ«مصادر التفسير»، ولا بد من القول بدءاً بأن طريقة العلماء -علماء التفسير- فى عرض هذه المصادر، وكيفية صياغتهم لها، واختلاف استقراءاتهم لها، كل أولئك يثير حولها غير قليل من الغموض والإشكال، وذلك مايحاول المقال تجليته والوقوف عنده، لايدعى فى ذلك إحاطة أو إضافة، كل ما يرجوه: حسن قراءة فى هذه المصادر، وهو حتى فى هذا ليس بدعا أو بكرا، وإنما هو عمل مسنون وقول مسبوق، وأجدنى بمحل الاضطرار إلى أن أقدم بين يدى العرض كلمات تكون توطئة لمرامه وكشفا عن مجارى القول فيه، وذلك ينتظم النقط التالية:

١- بخصوص التسمية: لم تجر عبارة العلماء فى تسمية هذه المصادر على لفظ واحد، فالراغب[١] يسميها: «الدلالات التى يحتاج إليها المفسر» ويطلق عليها بدرالدين الزركشى[٢]

(١) مقدمة الراغب بذيل تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبدالجبار ص ٤٢٢.

(٢) البرهان ٢/١٥٠، وتبعه على ذلك من المحدثين جمال الدين القاسمى -رحمه الله- فى تفسيره ١/٧.

«أمهات المأخذ» وهى واردة فى كلام الإمام ابن تيمية[٣] فى سياق الحديث عن «أحسن طرق التفسير»، وأدرجها ابن جزى[٤] ضمن ماأسماه «وجوه الترجيح بين أقوال المفسير»، وكما اختلفت عبارات الأولين فى تحديد الاسم لهذه المصادر، فقد تغايرت إطلاقات المحدثين عليها، فالحسين الذهبى[٥] يسميها «مصادر التفسير»، وأوردها الطاهر بن عاشور[٦] ضمن «استمداد عدم التفسير» وأسماها د. محسن عبدالحميد[٧] «الأصول النقلية والعقلية»، وهذا الاختلاف فى التسمية جعلنى أعدل عن تفكيك هذا المركب الإضافى «مصادر التفسير»، والتعريف بجزئيه، على غرار ما يفعل عادة فى مثل هذه المصطلحات ذات التركيب الإضافى، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف لم يكن لفظيا- إذن لهان الأمر، إذ لامشاحة فى الاصطلاح- ولكنه راجع إلى اختلاف فى التتبع والاستقراء لهذه المصادر، ولذلك وجدنا ابن تيمية يقتصر من طرق التفسير على أربعة مصادر: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، أما الزركشى فيقع عنده ترتيب مآخذ التفسير على النحو التالى: النقل عن النبى ﷺ، ثم الأخذ بقول الصحابى ثم الأخذ بمطلق اللغة، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، فابن تيمية لم يعرج فى استقرائه على «التفسير باللغة» و«بالمقتضى من المعنى»[٨]، والزركشى ضرب صفحا عن تفسير القرآن بالقرآن، وبأقوال التابعين -وإن كان قد ذكرها فى كتابه[٩]، وموقفهما هذا يحتاج إلى تفهم، ويثير الاستفسار، وقد مزج الذهبى بين هذين الاستقراءين ليخرج باستقراء جامع شامل هو الذى عليه مسار هذا المقال.

٢- يتم عرض هذه المصادر على نحو تغيب معه «الشخصية العلمية» للمفسر، بحيث يصبح مجرد ناقل جامع لايتصرف فى وجوه المعارف التفسيرية المأثورة، ولاتكون له «مواقف» من الآراء الاجتهادية، وبذلك يتم إغفال عملية التفسير نفسها وكيف تتم وكيف «يوظف» المفسر أثناءها هذه الأدوات التفسيرية[١٠]، ولقد كان هذا سببا فى تداخل «مصادر التفسير» مع «شروط المفسر»، وهو تداخل وإن سوغه ما بينهما من اتصال وارتباط حتى إن كلا منهما يمكن إدراجه ضمن «شروط التفسير»، إلا أن هناك فرقا دقيقا يفصل بينهما، ويمنع من التسوية بينهما، ذلك أن شروط المفسر هى «التكوين الثقافى اللازم للمفسر قبل أن يشرع فى عملية التفسير»، أما مصادر التفسير فهى جملة مايرجع إليه من استكمال «شروط المفسر» أثناء العملية التفسيرية وبعبارة أخرى: فشروط المفسر تفترض موجودة لدى المفسر، وهى التى تؤهله لمزاولة

---

(٣) مقدمة فى أصول التفسير ص٩٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ص٩.

(٥) التفسير والمفسرون١/٢٧٣ وكذا يسميها خالد العك فى كتابه أصول التفسير لكتاب الله المنير.

(٦) التحرير والتنوير ١٨/١.

(٧) دراسات فى أصول التفسير ص١٠٩.

(٨) مقدمة أصول التفسير ص٩٣ وما بعدها.

(٩) البرهان ١٥٦/٢ وما بعدها.

(١٠) دراسات فى القرآن ص١٣٤.

العمل التفسيرى ويتم «توظيف» الشروط أثناء العملية التفسيرية تحت عنوان «مصادر التفسير» ومن هنا، كان الإدماج بين الأمرين غير دقيق ولاسليم[11].

٣- هناك تشابه كبير قائم بين مصادر التفسير، ومصادر التشريع من حيث الترتيب، وكلاهما يجد مستنده فى حديث معاذ المشهور[12] لما بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلى اليمن، وهو حديث على اشتهاره وشيوعه على ألسنة الأصوليين خاصة -قد نص على تضعيفه، وغمز سنده جهابذة كبار من المحدثين، وعلى رأسهم الإمام البخارى، حسبما بسط القول فيه المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألبانى[13] - رحمه الله تعالى- ومهما يكن، فإن القصد إلى القول بأن إيقاع ترتيب مصادر التفسير على وفاق مصادر التشريع كانت له انتقادات فى صيغة طرح هذه المصادر وإقامة بنائها.

ومصادر التفسير - تباعا - مرتبة على مارتبها عليه علماء التفسير وهى: القرآن الكريم، السنة النبوية، أقوال الصحابة، أقوال التابعين، اللغة، العقل الاجتهادى.

وأود طرح ملاحظتين اثنتين تتعلقان ببعض حيثياته وجوانبه فأقول:

١- يلاحظ خلال عرض هذه المصادر تصنيف السنة فى العمل التفسيرى بعد الكتاب وإنزالها منه منزلة الاجتهاد منهما فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص فى الكتاب والسنة، فكذلك لا يلتجأ إلى السنة إلا بعد أن يفتقد الحكم فى الكتاب، وهو تصور فى غنى عن بيان مجافاته للصواب، لما سبق من أن السنة تأتى مفصلة لمجمل القرآن ومقيدة لمطلقه، وغير ذلك من وجوه البيان فلا يلتئم -والأمر على هذا- إرجاء الرجوع إليها إلى حين الانتهاء من الكتاب، بل الواجب على المفسر أن ينظر فى الكتاب والسنة معا نظرا واحدا.

٢- جعل مصدر «العقل» أو «الاجتهاد» مصدرا مستقلا وقسيما للمصادر النقلية برأسه، وهذا يجعل الأمر مستشكلا غامضا وهو ما دفع بعض الباحثين إلى أن يعترض على صيغة هذا الطرح محتجا بأن ذلك يوهم غياب عنصر العقل فى المصادر السابقة، ويصوّر المفسر أثناء استعانته بالمصادر النقلية مجرد ناقل أمين، وجامع حفيظ حتى إذا بلغ هذا المصدر أعمل فكره وأطلق لعقله العنان فى النقد والتمحيص، وهو لاشك تصور أوافق الباحث على استشكاله دون الاعتراض عليه، وظنى -والله أعلم- أن مرد ذلك إلى اعتبار مصادر التفسير بمصادر التشريع فى أن الاجتهاد إنما يصح فى غير مورد النص فكما أنا لانجتهد إلا عند فقدان النص فكذلك لايكون

(١١) مقال الأستاذ زيد بوشعراء بمجلة الهدى ع١٥ السنة ١٩٨٦م.

(١٢) الحديث أخرجه أبو داود فى الأقضية وابن ماجة فى المناسك والإمام أحمد وغيرهم.

(١٣) ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٨٦/٢.

للاجتهاد مجال فى التفسير إلا عند تعذر المأثور من المنقول. وهذه النظرة قاصرة فى تفهم معنى الاجتهاد الذى لاينحصر مجاله فيما لانص فيه، بل يتسع مفهومه ليشمل تعقل معانى النصوص وإشاراتها ولوازمها العقلية وإيقاع التأويل فيما بينها، وعلى هذا فلا يصح جعله مستقلا عن المصادر النقلية طالما كان له حضور فى مختلف مراحل العملية التفسيرية، ولعله قد روعى فى هذا التفكيك الإجرائى والفصل المنهجى بين هذه المصادر الأهمية والأحقية فى التقديم مما لاينفى التداخل فيما بينها، وأن بعضها يأخذ برقاب بعض أثناء العمل التفسيرى، وبذلك يكون ترتيب هذه المصادر قد روعى فيه مكانتها لامكانها فى حيز العملية التفسيرية.

إن هذه المصادر تعتبر أصولا منهجية عتيدة وضوابط علمية ثابتة تنأى بالمفسر عن الخطأ والشطط وتكلأه بعين الرعاية أن يسرح فى تيهاء بيداء من التأويلات المعسوفة والفهومات المنكوسة التى تبتعد بالآيات عن الفهم الصحيح والتفسير السديد وهى بذلك تعتبر ملزمة لكل عمل تفسيرى جاد، وكل حركة تجديدية فى ميدان التفسير تأنس من نفسها الغناء عن هذه المصادر تعتبر غير مقبولة شرعا بل هى داخلة فى متاهات التفسير المذموم، ولكن هذا لايعنى أن يقتصر المفسر على تلك المصادر وحدها بل عليه – خاصة بعد امتداد الزمن وتطاول الأمد وتوالى التأليف فى ميادين العلوم الشرعية والفكر الإسلامى– أن يكون على بينة مما يستجد من مصادر أخرى تعينه على الدقة فى أداء عمله التفسيرى، وأعنى بذلك هذا التراث التفسيرى الهائل، والأعمال التأويلية الجبارة للأسلاف – رحمهم الله – فإن لها أهمية بالغة لما تشتمل عليه من كم هائل للمأثور، ولما لها من قيمة تاريخية كبيرة فى استعراض آراء الأقدمين واختلاف أنظارهم وكل ذلك – لاشك– يساعد المفسر على حسن الفهم والدقة فى إصابة المعنى، كما لايأبى المفسر أن ينظر فى كتب الفقه والعقائد وغيرها من مدونات العلوم التى تختزل عليه كثيرا من مكاره الطريق فى ميدان البحث، وتوقفه على بينة الأمر فى كثير مما وقع الكلام حوله مما له اتصال بتفسير كتاب الله، على ألا يسترسل فى ذلك ويعمد إلى تكديس هذه العلوم والاستطراد بها فى غير ما يحقق غرض التفسير الذى يضع فى أولى غاياته التنبيه على مواطن الهداية القرآنية فى آيات الذكر الحكيم.

وختاماً، فإذا لم يكن لهذا العرض فى مصادر التفسير سوى التوصل إلى دقة صياغة الإشكال بشأنها وحسن طرح الاستفسار حولها، فذلك حسبه وهو مما لايحتقره، ولا يستصغره ويقوى هذا الشعور عنده أن معرفة الإشكال هو فى حد ذاته كسب وأى كسب، وهو يمثل الخطوة الأولى لتجاوز ما أشكل وتوضيح ما أبهم.

والله – تعالى– هو المسئول أن يمنحنا حسن الفهم ويوفقنا إلى سبيل الرشاد، ويقينا معرة الخطأ، ومزالق الشطط، إنه تعالى سميع مجيب.

رسالة .. و .. ردّ

لفضيلة الشيخ / عبد الفتّاح سيّد جمعان

الصلاة على النبى ﷺ

رسالة هذا العدد وردت من القارىء حاتم موسى.. يقول فيها:

مع رسالتى هذه كتاب « دلائل الخيرات » أرسله لكم لتقفوا على ما به من البدع حيث إنه من حيث المضمون اشتمل على كثير من التمجيد والتعظيم المبالغ فيه لسيدنا محمد ﷺ لدرجة كبيرة تقربه عياذا بالله إلى الذات الالهية.

هذا من حيث المضمون أما من حيث الشكل فهو يتشابه إلى درجة كبيرة مع كتاب الله الشريف « يقصد المصحف » حيث إنه مقسم الى أجزاء وأحزاب على شاكلة القرآن الكريم.

لذلك أرجو التنبيه على خطر مثل هذه الكتيبات المجانية التى توزع مع بعض الكتب والمجلات وتحذير المسلمين من أخطارها لانها تؤثر بشكل كبير على القراء ذوى الثقافة الإسلامية المحدودة.

بداية أقول للأخ السائل شكر الله غيرتك على الدين واهتمامك بتنقيته من أى شائبة كما أشكر لك ثقتك فى مجلتك مجلة الأزهر والقائمين عليها فهى كما قلت فى رسالتك منبر من منابر الإسلام الذى يحتاج إليه كافة المسلمين لتبصيرهم وتوعيتهم بمبادىء الإسلام الحنيف لكنى مع ذلك أقول: هون عليك فالأمر أيسر مما تظن فليس فيه بدعة منكرة ولا خروج على الدين وإن كان به بعض المبالغات وسأجعل ردى عليك منحصرا فى أمور:

الأول: فى حكم الصلاة على النبى ﷺ، قال القاضى عياض فى كتابه (الشفا فى شمائل صاحب الاصطفا) ﷺ: (اعلم أن الصلاة على النبى ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله - تعالى - بالصلاة عليه، أى فى قوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

وحمل الأئمة والعلماء له – أى الأمر – على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبرى ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة، ثم قال فى نفس الموضع: قال القاضى أبو الحسن بن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب فى الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتى به مرة من دهره مع القدرة على ذلك، وقال القاضى أبو بكر بن بكر: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها ثم قال: وقال أصحاب الشافعى الغرض منها الذى أمر الله – تعالى – به ورسوله ﷺ هو فى الصلاة «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»[2] واستكمالا للفائدة أسوق إليك يا أخى السائل بعض ما قاله بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

وأكتفى بما قاله القرطبى وهو مفسر مالكى المذهب من القرن السابع الهجرى، قال رحمه الله: هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ فى حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب فى جهته فكرة سوء أو فى أمر زوجاته والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره ثم قال: أمر الله – تعالى – عباده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ دون أنبيائه تشريفا له ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها إلاَّ من لا خير فيه – الزمخشرى – أى نقلا عن الزمخشرى – فإن قلت: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة أم مندوبة قلت: بل واجبة وقد اختلفوا فى حالة وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ﷺ وفى الحديث «من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله» ويروى أنه قيل له: يا رسول الله أرأيت قول الله – تعالى –:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾.

فقال النبى ﷺ هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به، إن الله – تعالى – وكل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله – تعالى – جوابا لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى علىَّ إلا قال الملكان: لا غفر الله لك وقال الله – تعالى – لذينك الملكين: آمين، ومنهم من قال: تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره[3] ومنهم من أوجبها فى العمر مرة كما فى الشهادتين والذى يقتضيه الصلاة عند كل ذكر كما ورد فى الإخبار فى ذلك وجاء فى القرطبى أيضا وروى المسعودى عن عون بن عبدالله عن أبى فاتخة عن الأسود

---

(١) الأحزاب (٥٦).

(٢) شرح الشفا بتحقيق حسنين محمد مخلوف حـ٣ ص٧٢٦ وما بعدها.

(٣) عللوا ذلك بقولهم إن الله – تعالى – يقبل الصلاتين فى أول الدعاء وآخره وهو – سبحانه – أكرم من أن يترك ما بينهما.

عن عبدالله أنه قال: «إذا صليتم على النبى ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قالوا فعلمنا قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ونبيك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وروينا بالإسناد المتصل فى كتاب الشفا للقاضى عياض عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال: عدهن فى يدى رسول الله ﷺ وقال: عدهن فى يدى جبريل وقال: هكذا أنزلت من عند رب العزة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد – وقال القرطبى أيضاً: ثبت عنه ﷺ أنه قال: (من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً وقال سهل بن عبدالله الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات لأن الله – تعالى – تولاها وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه قال: الدعاء يحجب دون السماء حتى يُصلىَّ على النبى ﷺ فإذا جاءت الصلاة على النبى ﷺ رفع الدعاء وقال النبى ﷺ: (من صلى علىَّ فى كتاب لم تزل الملائكة يصلون عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب) وذكر الدار قطنى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين أنه قال: (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم)(٤).

وقال المفسر الألوسى – من مفسرى القرن الثالث عشر الهجرى – فى تفسير الآية نفسها: إنها كالتعليل لما أفاده الكلام السابق من التشريف العظيم الذى لم يعهد له نظير والتعبير بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث هى جملة وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث إنه جملة فعلية فيكون مفادها الصلاة وتجددها وقتا مؤقتا وتأكيدها بـ «إن» للاعتناء بشأن الخبر وقيل لوقوعها فى جواب سؤال مقدر هو: ما سبب هذا التشريف العظيم؟ وعبر بالنبى دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب فى حكايته – تعالى – عن أنبيائه – عليهم السلام – إشعاراً بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر... إلخ ثم ساق الألوسى كثيراً مما ساقه القرطبى(٥).

وأنقل لك – أيضا – بعض ما قاله الشيخ محمود محمد خطاب السبكى فى كتابه الفقهى «الدين الخالص» يقول – رحمه الله: (الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ركن عند الشافعى وإسحاق وروى عن أحمد واختاره ابن العربى المالكى لما فى حديث فضالة ابن عبيد أن النبى ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم

(٤) تفسير القرطبى ط دار الشعب ص٥٣١٤ وما بعدها حتى ص٥٣١٨ بتصرف.

(٥) تفسير الألوسى المسمى روح المعانى حـ٢١ ص٧٥ وما بعدها.

يدعو بما شاء» أخرجه أبو داود والبيهقى وصححه الحاكم والترمذى، وعن أبى مسعود الأنصارى - رضى الله عنه - أن بشير بن سعد قال للنبى ﷺ : أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك؟ قال : «قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم» أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والترمذى وصححه.

وهذا يدل على أن فرض الصلاة عليه ﷺ فى الصلاة كان معروفا عندهم قال ابن قدامه : وظاهر مذهب أحمد وجوبها فإن أبا زرعة الدمشقى نقل عنه أنه قال «كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة واجبة» ا.هـ (٦).

الثانى : بعد أن عرفت أن الصلاة على النبى ﷺ عبادة بل من أجل العبادات كما مر بك فلا يمكن لأحد أن يقول إن الصلاة على النبى ﷺ والتى تضمنها كتاب «دلائل الخيرات» بدعة وقد مر بك ما نقلناه من كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب - رضى الله عنه - وهو من كبار المحاربين للبدع فى العبادات والعادات على السواء وقد تعمدت أن أنقل ما قاله اثنان من المفسرين فى الصلاة على رسول الله أحدهما من القرن السابع الهجرى والثانى من القرن الثالث عشر لأؤكد لك أن هذا أمر اتفق عليه العلماء فى القديم والحديث وفى كل المذاهب على أنى لا أنكر أن هذا الكتاب «دلائل الخيرات» اشتمل على صيغ كثيرة من الصلوات لكن من قال إن الاكثار من العبادة يحيلها إلى بدعة إلا أن تحول بين فريضة ثابتة أو تعطل عن أمر واجب بلا شك، وهذا الكتاب لو قرىء فى أسبوع ما عطل عن شىء بقى أن اعترف بأن الكتاب تضمن أسماء لرسول الله ﷺ غير واردة فى الصحاح وإن كانت مأخوذة من أوصاف له صلوات الله عليه وألقاب ثابتة بالكتاب والسنة وهذا لا يجعله يصنف فى دائرة البدعة، أما الشبهة التى اعترت الأخ السائل وهو أن التعظيم المبالغ فيه لرسول الله ﷺ يجعله قريبا من الذات الإلهية فهذا بعيد كل البعد عن تفكير ووجدان المسلمين فالمسلمون مهما كانت ضحالة ثقافتهم لا يختلط عليهم الأمر بين ذات الله العلية وبين شخصية الرسول البشرية فكل فقرة أو دعوة تبدأ بهذا الدعاء «اللهم صل على سيدنا محمد .. الخ» فكيف يستقيم أن يلتبس أمر الذات الإلهية التى يدعوها الإنسان أن تصلى وتسلم على رسوله بأمر النبى ﷺ الذى ندعو له بالرحمة من الله لأن صلاة الله على نبيه رحمة كما قال العلماء.

أما عن الشق الخاص بشكل الكتاب من حيث التقسيم وأنه يتشابه مع المصحف الشريف فهذا بعيد جداً كذلك لأن من إعجاز القرآن الكريم أنه لا يتشابه مع غيره من الكلام الآخر لا نطقا ولا خطا، أما من حيث النطق فلو سمعه الأمى غير المسلم لعلم أنه قرآن ومن حيث الخط فإن القرآن له خط خاص لا يشتبه مع أى خط آخر وهو المعروف بالرسم العثمانى وله علم خاص يدرس ضمن علوم القراءات والقرآن الكريم، وهو مختلف كل الاختلاف عن الخط العادى والذى تكتب به الصحف والكتب الأخرى فطب نفساً يا أخى واطمئن فلن يأتى من وراء هذه الكتب - إن شاء الله - ضرر على عقائد المسلمين، وختاماً أكرر شكرى لك وسلام الله عليك ورحمته وبركاته.

---

(٦) الدين الخالص حـ٢ ص١٦٧ وما بعدها.

فى أجواء السعادة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ما من مناسبة تزكى فى النفس الإحساس الغامر بالسعادة أكثر من مناسبة مولد الرسول الكريم محمد ﷺ لما أرسى دينه الحنيف على دعائم العدل والمساواة ولما أشاع من مظاهر التكافل الاجتماعى المبنى على أسس متينة من المحبة المتبادلة والمودة المطلوبة بين الإنسان وأخيه الإنسان وهى أواصر ووشائج يدفع إليها ويحفزها وحدة التكوين وأصل المنشأ فكلنا لآدم وآدم من تراب.

وحتى لا تتشعب بنا المسالك نطرح سؤالا هو صلب موضوعنا يقول: ما هى السعادة؟ هل تتمثل فى الحياة والحرية واللهاث خلف المتاع الشخصى؟؟ ومع علمنا الجازم بعجزنا عن الإلمام بكنه السعادة وجوهرها إلا أننا نؤكد أن السعادة لم تكن يوما فى اللذة الحسية ولا فى الترفيه والتسلية كما أنها لا تنحصر فيما يحققه الإنسان من إنجازات أو ما يحرز من نجاحات أيا كان مستواها ولا فى الثروة الطائلة مهما كلس من أموال وحاز من عقارات. وأخيرا فإن ما يحسه الإنسان من نشوى عابرة تعتريه أو ما يستسلم له من خيال مجنح بعيد كل البعد عن السعادة التى يطمح إليها. إن المعادلة القائلة بأن السعادة لا تشترى بالمال معادلة تثبت الأيام صحتها يوما بعد يوم، لكن للعلماء التجريبيين رأى فى السعادة نطرحه حتى ولو اختلفنا معه فهم يرون مثلا أن مقدار هرمون الأدرينالين فى اللعاب يمكن أن يبين مستوى الضغط لدى الإنسان وهو ما يقلل من سعادته كما أن بعض القياسات الكهربية لعضلات الوجه يمكن أن تستخدم - كما زعموا - فى التمييز بين الابتسامة المزيفة وتلك الصافية النابعة من نفس مفعمة بالسعادة الحقيقية وهى استنتاجات تريد أن تخضع السعادة لمقاييس مادية وتحصرها فى قوالب محسوسة تحيد بها عن مسارها الصحيح.

والدرس الذى استخلصته الدول التى حققت الثراء الفاحش هو ما لخصه الشاعر فى قوله:

ولست أرى السعادة جمع مال

فقد ثبت أن كلا من شعوب أيسلندا وهولندا والدنمارك يستشعر أكثر من ٩٢٪ من أفرادها السعادة رغم أن مستواها الاقتصادى يقل كثيرا عن دول مثل أمريكا والمانيا التى يسود أفرادها الاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة كما أن الثروة الطائلة لم تحقق لليابانين والصينين وكل أتباع بوذا وكونفوشيوس السعادة المرجوة ومن هنا أكدت كل التجارب والخبرات أن السعادة شعور خفىّ ينبعث من داخل الفرد نفسه وأنه ينبغى الفصل التام بين المال والسعادة. إذن فأين تكمن السعادة؟؟

لقد اتضح أن كل البشر عرضة للظروف المواتية وغير المواتية وأن السعادة وغيرها من المشاعر أمور متداخلة من الصعب فصل بعضها عن البعض الآخر.

وإليك بعض الأمثلة التى تعينك على توضيح ما ذهبنا إليه فالذين يكسبون جوائز الياناصيب يجتاحهم شعور بالسعادة يفوق غيرهم لكنها سعادة زائفة لأنها لا تدوم طويلا لارتكازها على ما حرم الله ومخالفة ما أودع - سبحانه - فى فطرة الإنسان من بغض الحرام وعدم الاطمئنان إليه، أما ذلك الشخص بعد أن يفيق من وهم أغرقه فى سعادة وقتية مزعومة تراه يصطدم بالواقع بعد أن فشل فشلاً ذريعاً فى التواؤم مع ما شاء من قصور هشة سرعان ما أودت بها رياح الحقيقة العاتية وأمواجها الصاخبة. ومثل آخر تتداخل فيه المشاعر وتختلط ألا وهو الزواج وتكوين الأسرة وتحمل المسئولية فكلها ليست لحظات سعادة خالصة لما يشوبها أحياناً من منغصات ومكدرات سرعان ما تزول وهى أمور لا مناص منها ولا فكاك إذ هى من طبيعة الحياة وكذا ما يحصل الإنسان عليه من ترقيات وما يوكل إليه من تكليفات كلها أمور مردها إلى طبيعة المتلقى الذى إما أن تسعده المسئولية أو يجد فيها عبئاً ثقيلاً يتمنى لو لم يثقله حمله وأما أولئك الذين شاءت لهم أقدارهم أن يعايشوا أنوعا من الإعاقة لا يستطيع أحد أن ينكر ما يغمر الغالبية العظمى منهم من سعادة مبعثها الرضا بقضاء الله والأمل فى المستقبل والرغبة فيما عند الله. بيد أن هناك أمراً أكدت كل الدراسات أنه العامل الأساسى فى هدم السعادة واقتلاعها من جذورها ألا وهو الفراغ المحض وبشكل أكثر دقة البطالة التى لها القدرة التى لا تبارى على أن تلتهم الشعور بالسعادة وتغرق الإنسان فى مآس لا ينجيه منها إلا أن يجد عملا ينفع به نفسه ويفيد به غيره والخلاصة:- أن الكل يحوم حول السعادة فيصيبها أحياناً وأحياناً يخطئها فهل معنى ذلك أن السعادة أمر خاضع للمزاج الشخصى؟؟ تقول دراسات الهندسة الوراثية: إن المزاج الشخصى أمر مهم وقد تم دراسة وقياس مستوى السعادة والانبساط لدى مئات من التواءم وتبين منها أن التواءم تامة التشابه تحس مستويات متشابهة من السعادة حتى ولو لم يكن منشأ التربية واحداً وحتى مع اختلاف مستويات الخبرة التى مر بها كل منهم وبرغم أهمية التركيب الجينى لكل منا إلا أنه ليس الفيصل فى موضع السعادة وأن الكلمة الأخيرة فى هذا الشعور الرائع الجميل لم يقلها أحدا بعد

وأن سعادة الفرد لا علاقة لها البتة بمستواه المادى. فلا الثروة ولا المرحلة العمرية ولا الذكورة أو الأنوثة ولا الجنس أو اللون يمكن أن يحدد درجة سعادة الإنسان وكذا كل النظريات والأطر لن تقدم الجواب الشافى على ماهية السعادة.

لكن هناك مفهوماً للسعادة لم تتناوله الدراسات العلمية المادية للسعادة وطرحه الدين الإسلامى على بساط البحث مؤكدا أنه العلاج الناجع والبلسم الشافى الجالب للسعادة والفاتح بابها على مصراعيه لمن أراد الدخول فيه والانضواء تحت لوائه، إنه ببساطة ودون إسهاب الإيثار وتفضيل الغير على النفس ونكران الذات الذى يقابل أو لا يقابل بالامتنان والشكر والتقدير والإكبار ولقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى الدقيق للسعادة فى مجتمع المسلمين الوليد فى المدينة المنورة التى أسسها الرسول الأعظم ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتى كان مبعثها الراسخ الرغبة فيما عند الله والمثوبة يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

فالأنصار ـ رضوان الله عليهم ـ يعاملون إخوانهم المهاجرين بالحب ويستقبلونهم بالإيثار وتفضيلهم على أنفسهم إنه الإيثار الذى دفع بسعد بن الربيع الصحابى الجليلى أن يعرض على أخيه فى الله عبد الرحمن بن عوف أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها بعد أن تنتهى عدتها ويعرض عليه فى كرم وسخاء أن يقاسمه ماله فيرد عليه بن عوف فى إباء وعزة نفس: بارك الله لك فى مالك وأهلك ويقول: «دلونى على السوق» فيتاجر ويبيع ويشترى حتى يصبح من أكثر المسلمين ثراء وغنى، إنها كما ترى مباراة فى حسن الخلق المستند إلى حسن العمل ثم انظر أكرمك الله إلى الدعوات المخلصة الأمينة التى يتجه بها المهاجرون والمؤمنون عموماً إلى الله حيث يقول سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

ففيها اعتراف بأفضلية من سبقه إلى الإيمان وأن هذا السبق لا ينبغى أن يكون بحال مبعث غلٍ أو حقد أو حسد بل هى المحبة الخالصة لله وفى الله وهى الأساس والمهد الذى تنشأ فيه السعادة الحقة وتترعرع.

إن السعادة الجديرة بإنسانية الإنسان هى إسعاده لغيره وتفضيله لسواه على نفسه إنها الأريحية التى تنتزع الأنانية وتعلى مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، لأنه إن خلصت النيات فلن يكون هناك أدنى تعارض بين صالح الفرد والجماعة فهدفنا جميعا هو عبادة الله وحده وأن يحب كل منا لأخيه ما يحب لنفسه وتلك هى السعادة الحقيقية.

(١) الحشر (٩).

(٢) الحشر (١٠).

بيان القرآن .. عن تكوين الإنسان

للدكتور محمود خطاب (*)

دائما ما انشغل الإنسان - قديما وحديثا - بتساؤلات حائرة مبهمة؛ عن وجوده، وأصل تكوينه، ونهايته، ومصيره بعد الموت ونهاية الحياة الدنيا.

وقد جمع العلماء والفلاسفة؛ هذه المبهمات المحيرة.. فى صورة تساؤلات مستمرة عن قضايا الوجود الكلية.. عن أصل الكون وكل الوجود، وعن نشأة الحياة، وما بعد الموت. أو اختزلوها فى أسئلة تثور دائما فى الوعى الحاضر وفى التراث.. كل حين. مثل: ماذا قبل؟ وكيف؟ ومتى؟ وماذا بعد؟ وأين؟

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرر:

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

وما كان متخذا كذلك أيا ممن خاضوا أو يخوضون فيما لا يعرفون ولا سبيل لهم إلى معرفته، ولا إدراك حقائقه، أو حتى مجرد العلم عنه.. بعيدا عن الوحى المعصوم.

فالعلم بحقائق الأصل والتكوين، ووقائع الماضى الدفين، ولطائف المعاد والمصير والأجل، بل بدقائق الحاضر وكل ما يقع؛ لا يكون إلا من علم عالم الغيب والشهادة، وعن طريق الوحى المحفوظ. وإلا فمبلغ البشر من علم أى شىء هو الظن.

ومن ثم فلا سبيل للإنسان.. رغم البحث. وبعد ذلك إلا من كتاب الخالق المجيد. فهو مصدر الحقيقة عن كل شىء، وعن كل مخلوق، وعن الإنسان، وعن كل ما كان وما هو كائن وما يكون.

فقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأسلوب بليغ وكلام معجز؛ فى آيات محكمات.. أن الإنسان مخلوق من اجتماع أربعة عناصر تكوين متباينة. قد جمعها الواحد فى تركيبة بديعة.. فارق الإنسان بها كل من سبقه من المخلوقات وكل ما سبقه من الخلائق.. إذ خلقه الله فى آخر مرحلة من مراحل الخلق الستة.

(*) الكاتب استشارى جراحة.

(١) الكهف: ٥١.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[٢]

برغم ما يتداوله علماء الإنسان عربا وأعاجم – بعيدا عن هدى القرآن – من أن الإنسان مادة فقط فى أحوال متعددة، أو مادة وحياة، أو روح وجسد، وبرغم الخلط بين مفاهيم النفس والروح والحياة.. والنظر إليها كمترادفات لما وراء الجسد، بل لما وراء المادة والطبيعة. وبرغم زعم الماديين أن هذه كلها؛ ما هى إلا تفاعلات مادة، أو صور لها.. لم تتح للإنسان آلات وأدوات الإحساس بها، أو كشفها والإمساك بها.

وقد وجدت ـ بفضل الله – تفصيل طبيعة هذه العناصر الأربعة جليا واضحا فى آيات القرآن، ونجد ذكرها – عنصرا بعد آخر – سانحا محكما فى كلماته؛ تتأبى على الاشتباه، وتستعصى على الغموض، يجليها الله لمن يتدبر قرآنه.. على النحو الآتى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[٣].

إشارة إلى أصل مادة البدن. ليس بدن آدم فقط.. باعتبار بداية الخلق من تراب، بل بدن كل بشر.. بما فى جسد كل منا من عناصر تراب جسد أبينا آدم، وعلى وجه التحقيق.

وفى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٤].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٥].

إشارة إلى ماء الحياة؛ العنصر الثانى من عناصر تكوين الإنسان. وإشارة إلى الحياة.. أولى قواه. إذ جعل الله من الماء كل شىء حى.. من عوالم النبات والحيوان.. قبل الإنسان.

وفى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾[٦].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[٧].

إشارة إلى دخول عنصر النار إلى الطين الناتج من خليط التراب والماء. لتتغير طينة جسد الإنسان بالنار تغيراً غير معكوس، تفارق به خصائص الطين الظاهرة وصفاته، وخصائص الطين اللازب الذى كان فى المرحلة السابقة على دخول النار.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾[٨].

مع احتفاظ كل بشر بكل من صفات تراب البدن وماء الحياة، برغم استمرار آثار نار التسوية.. لا تفارق تراب الطين وماءه؛ ما بقيت فيه حياة. وإلا فارقته حياته؛ إذا برد البدن، أو قلت حرارته عن حدها الموزون.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[٩].

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[١٠].

---

(٢) السجدة: ٦، ٧. (٣) الروم: ٢٠. (٤) الفرقان: ٥٤.
(٥) الأنبياء: ٣٠. (٦) الحجر: ٢٨، ٢٩. (٧) الرحمن: ١٤.
(٨) الصافات: ١١. (٩) الحجر: ٢٩، ص٧٢. (١٠) السجدة: ٩.

إشارة إلى نفخة النور فى قبضة الطين وخليط الماء والتراب والنار.. فى قطعة الصلصال كالفخار، ثم فى مضغة اللحم والدم والعظم فى كل رحم حى وبطن أنثى البشر.

وبهذه التركيبة البديعة المستحدثة على عوالم الكون؛ تجتمع لكل إنسان.. خصائص النور والتراب والماء والنار. ففى كل منا.. ثلاث قوى، تتواجد بصفاتها وآثارها على استقلال فى تراب البدن. بحيث تضيف كل من قوى الروح والنفس والحياة.. سبع صفات متباينة متفاضلة إلى صفات البدن السبعة؛ المستمدة من تراب الأرض، بما فى جسد كل منا من عناصر الأرض.. حصر العلماء منها أكثر من أربعين عنصرا بسيطا، كالحديد والفوسفور والنيتروجين والكربون والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم، ويمرض الجسد إن حرم من أيها طويلا بل قد يهلك البدن ويموت صاحبه.

ليجتمع للإنسان من صفاته ما يفارق به عوالم المخلوقات الأخرى البسيطة – كالملائكة – أو الأبسط منه تركيبا – كالجن – والأقل منه تعقيدا – كالنبات والحيوان – بسائر الأنواع والأجناس.

إذ نعلم من الوحى كذلك؛ أن عالم الملائكة بأنواعه ومراتبه.. مخلوق من عنصر النور، مجردا عن التركيب والتعقيد والخلط والإضافة. كما فى حديث رسول الله ﷺ[١١]. (خُلقت الملائكة من نور، وخُلِق الجان من مارج من نار وخُلِق آدم مما وصف لكم) ونعلم من القرآن.. أن الجان مخلوق من لهب خالص ونار مخصوصة:

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[١٢].

و ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾[١٣]

ونعلم من كتاب الله استدلالا.. أن عالم النبات مركب من التراب والماء:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[١٤]

إذ أنزل للنبات الماء.. وله منه حياة :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[١٥].

ونعلم أن الحيوان بأنواعه وأجناسه.. مركب من التراب والماء والنار. إذ له من التراب بدن. وبالماء حياة – ككل شىء حى – . وله بالنار نفس حيوانية. وهى حيوية عالية، فارق بها حدود عالم النبات المقيد بصفات الماء والطين. بما للحيوان من انفعالات نفس، وطاقة.. تفوق قوة الحياة. كأنها حياة لكل حيوان بعد حياته النباتية، أو مبالغة فى الحياة التى سلفت فى كل شىء حى، ثم انتقلت بذات صفاتها فى النبات إلى الحيوان ثم إلى الإنسان.

ثم يكرم الله آدم وزوجه وبنيه بنفخة من روح النور، ينشىء الله بها أم البشر، خلقا آخر وعالما فريدا وجنسا فضيلا، جمع الله فيه بين الأغنياء، وألَّف فى كيانه بين الأضداد. إذ أقام من الطين بدنا حيا، ثم نفخ فيه نورا بعدما سواه بالنار.

وتفصل آيات القرآن.. هذه المراحل تفصيلا؛ يراه علماء الأجنة.. إعجازا فى الخلق والبنيان،

---

(١١) رواه: مسلم وأحمد؟ (١٢) الرحمن: ١٥. (١٣) الحجر: ٢٧.
(١٤) الحج: ٥. (١٥) الأنبياء: ٣٠

ويفصل علماء الكلمة والمعنى.. ما فيه من إعجاز البلاغة والبيان..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١٦).

وصفات حياة الإنسان.. هي مظاهر الحياة في كل شيء حي، نجدها بذات ظواهرها في عالم النبات والحيوان.. على تفاوت في الشدة والآثار، لتكون في الإنسان على أكمل وجه وأحسن ما يكون:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١٧).

أما صفات النفس البشرية(١٨).. فهي غرائز حيوية الحيوان، بما في بدنه من عنصر النار، التي تحفظ حرارة البدن مستقرة، بلا مثيل في النبات والأحياء الدنيا. وصفات النفس كذلك.. من جنس صفات عالم الجن.. إذ خلقه الله من مارج من نار.

ويبقى أن نقرر أن صفات الروح.. علوية ملائكية؛ لطبيعة نورها الخالص العالي. وأن الإنسان بهذا التكوين.. ليس شيطانا ولا ملاكا، وما هو بحيوان، ولكنه إنسان.

ولعنصر النور هنا سبع خصائص، هي صفات للإنسان بآثار الروح فيه، ومظاهرها عليه. وبروح النور ألهم الله النفس المسواة تقواها. ومن أجلها أسجد الله لآدم الملائكة، وسخر الله له ولبنيه ما في السموات وما في الأرض. ولهذا البناء الإنساني المعجز.. كرم الله بني آدم وحملهم في البر والبحر وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا – في مرحلة حياة دنيا – قدرها الله عليه.. بلاء بها وابتلاء، قبل دار القرار.

قد يعيش الانسان حياته الدنيا لشهواته.. بغرائز الحيوان؛ محروما من نور الروح، وقد تنحدر به نفسه الأمارة بالسوء – طبعا وجبلة – إلى درك أسفل من بهيمة الأنعام وأشقى من مردة الشياطين.

أو يرقى بروح النور.. إلى ما فوق مراتب الملائكة والروح؛ إن أفاد من نور ربه، وواعظ الله في قلبه.. يهديه إلى الصراط المستقيم، فيمشي على الأرض بنور الله يسمع به ويبصر، ويطاول الملائكة في الملأ الأعلى. ومن أجل ذلك كانت نفخة الروح والتكريم.

وبهذا البيان من رب الإنسان في القرآن.. عن تباين قوى الروح والنفس والحياة وتكامل أدوارها؛ نصبح على أعتاب فهم صحيح لحقيقة الإنسان؛ يفتح باباً أوسع إلى مزيد دراسة، لمعرفتنا بأنفسنا. ومن ثم أدعو إلى استحداث فرع علم يتخصص في بحوث الروح مستقلا عن علوم النفس والحياة. والمسلمون أولى بهذا العلم، بما عندهم من هدى القرآن.

---

(١٦) المؤمنون: ١٢-١٤. (١٧) التين (٤).

(١٨) في النبات إذا حياة فقط بما في بدنه من تراب وماء. وفي الحيوان حياة ونفس بما زاد في تركيبه من نار، وفي الإنسان حياة ونفس وروح. فالإنسان بذلك نموذج الكون الكبير ومجمع الخلائق.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

المقاطعة هى السلاح الذى يملكه كل مواطن بسيط يرغب فى دعم ومساندة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة فى مواجهة العدوان الإسرائيلى الغاشم.

المقاطعة هى السلاح الذى يملكه كل مواطن بسيط يرغب فى القتال ضد إسرائيل وحلفاء إسرائيل.

لقد تطورت أساليب الحرب كثيراً عما ألفناه.. إننا ونحن فى داخل منازلنا نستطيع أن نلحق أكبر الضرر بالكيان الإسرائيلى بمقاطعته ومقاطعة حلفائه بشكل من الممكن جدا أن يجعل العالم كله يبتعد عن إسرائيل خوفا على اقتصادياته وشركاته وأمواله.. فهلا فعلنا؟!

هذا الشهر نتناول الحديث عن موضوع الساعة:

المقاطعة

فى جريدة عقيدتى الأسبوعية، كتب الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر تحت عنوان:

المقاطعة الاقتصادية لأمريكا وإسرائيل واجب دينى

ومما قال فيها: إذا كان الأمر لم يجد صداه على مستوى الحكومات، فإن الشعوب هى القادرة على استخدام سلاح المقاطعة لإسرائيل وأمريكا، ليس بدافع الوطنية فقط، وإنما لأن ذلك واجب دينى، مسئول عنه كل مسلم.

يقول الله – تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

(١) الممتحنة (٩).

وبالتالى فإن من يتعامل مع العدو يكون موالياً له ويكون ظالما حسب تقرير الآية، وإذا كانت إسرائيل تمارس العدوان بالفعل بقتل إخواننا من فلسطين، وإخراجهم من ديارهم فإن أمريكا تظاهر على قتلهم، وإخراجهم، بإعانة الإسرائيليين بالمال والسلاح ثم بإجهاض القرارات الدولية التى تدين إسرائيل، وتحاول منع عدوانهم كما حدث باستخدام أمريكا حق الفيتو ضد قرار إرسال قوات دولية لحفظ السلام فى فلسطين.

(٢٣ / ٤ / ٢٠٠٢م)

● وفى جريدة الحياة اللندنية كتب (داود الشريان):

إن حاجة العرب والمسلمين إلى لجنة «إيباك عربية» أصبحت مطلباً ضرورياً بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر)، والاعتماد على الأسلوب القديم وترك الحوار العربى - الأمريكى مشتتاً فى عشرات المنظمات التى يخضع بعضها لتوجهات دول وأفراد ومنظمات صغيرة، يجب أن يتغير، والبداية الصحيحة لهذا الهدف هى توحيد كل المنظمات العربية والإسلامية فى منظمة واحدة، وإيجاد ائتلاف عربى - إسلامى لمواجهة التدمير الذى تتعرض له صورة العرب والمسلمين، وإيجاد علاقة جديدة مع أمريكا الرسمية والشعبية.

إن رجال الأعمال فى العالم العربى هم الجهة المرشحة لقيادة هذا التحالف، وإقامة تجمع يستند إلى المصالح التجارية هى المدخل الصحيح فى هذه الظروف. وإذا كانت أمريكا تحفظت سابقاً على المنظمات القائمة لخدمة أهداف دينية وسياسية، فإنها اليوم ترفضها تماماً.

٢٤ / ٤ / ٢٠٠٢

● وفى جريدة (الشرق الأوسط) كتب أحمد الربعى محذرا من سياسة مقاطعة المؤتمرات التى تشارك فيها إسرائيل، قال:

إذا كان العرب سيقاطعون المؤتمرات الدولية بسبب وجود إسرائيلى فيها فإن هذا سيجعل إسرائيل منفردة فى الساحة الدولية بدءا بالأمم المتحدة وانتهاء بالمؤتمرات الدولية والإقليمية الكبرى، ونحن على يقين أن وجود فاروق الشرع فى مؤتمر فلنسيا كان أفضل وأكثر فائدة من مقاطعته، وكان باستطاعته، وهو الوزير المحترف، أن يرد على شمعون بيريز وأكاذيبه وكان يستطيع على الأقل أن يبين للأوروبيين وجهة النظر العربية والسورية فى الوضع فى الأراضى المحتلة ويساعد على كشف جرائم إسرائيل.

هناك معركة محتدمة فى المجتمع الدولى، والعرب ـ كل العرب ـ يجب أن يكونوا فى أول الصفوف ويتخلوا عن سياسة المقاطعة،

وإذا كانت لدى سورية اعتبارات أخرى فكان من المفترض أن يكون لبنان فى مؤتمر فلنسيا ليحقق مصالحة مع الأوروبيين ويطرح قضيته السياسية أمام العالم. وليس من مصلحة دمشق ولا بيروت عدم تقدير ظروف كل بلد، فالتطابق فى المواقف قد يضعف بدلاً من أن يقوّى!!

● وفى جريدة آفاق عربية أعدت (شيرين يونس) دراسة ركزت على أهمية دور سلاح المقاطعة الاقتصادية ضد إسرائيل والدول والشركات المتعاونة معها.

ومما جاء فى هذه الدراسة:

يخطىء من يظن أن حديث المقاطعة كان عشية تفجر الانتفاضة الثانية يوم ٢٨ من سبتمبر عام ٢٠٠٠، ولكنه سلاح تم تطبيقه منذ مايو ١٩٥١، عندما اتخذت الجامعة العربية قرارها بإنشاء المكتب التنفيذى للمقاطعة العربية، وأوكلت إدارته إلى مفوض عام مقره الرئيسى فى دمشق.

وكانت مهمة مكتب المقاطعة وضع قائمة سوداء كل ستة أشهر بأسماء الشركات الإسرائيلية، فيما يعرف بالمقاطعة المباشرة أو المؤسسات والبلدان التى تتعامل مع إسرائيل، وهى المقاطعة غير المباشرة، وأثبت هذا السلاح فاعليته وتأثيره، خاصة خلال الخمسينيات، والستينيات.

وجاءت انتفاضة سبتمبر ٢٠٠٠ لتفجر الوضع مرة أخرى وتنادى الشعوب العربية بعودة استغلال هذا السلاح بصورة أكثر فاعلية.

وطبقاً لبيانات المكتب الرئيسى للمقاطعة العربية، فإن الخسائر التى تكبدتها إسرائيل بسبب المقاطعة أخذت فى التراكم حتى بلغت (٩٠) مليار دولار منذ بداية المقاطعة، وحتى عام ١٩٩٩.

كما جاء تأكيد أهمية هذا السلاح فى تقرير لجريدة « الجارديان » البريطانية عن تأثير سلاح المقاطعة الذى رفعته الشعوب العربية منذ اندلاع الانتفاضة فى سبتمبر ٢٠٠٠ حيث انخفضت مبيعات الأغذية والمأكولات الأمريكية بنسبة ٣٥٪ وانخفضت مبيعات شركة « بروكتر اند جامبل » صاحبة منتجات اريال وبامبرز بنسبة ٢٠٪، كما وصلت خسائر شركة كوكاكولا فى مصر إلى ٢٦٠ مليون جنيه العام الماضى، كما انخفضت مبيعاتها فى الإمارات بنسبة ٢٠٪، وقضى هذا السلاح على سلسلة « سينسبرى » فى مصر، حيث سحبت من السوق المصرى بعد خسائر بلغت ١٠ ملايين جنيه استرلينى، كما تراجعت مبيعات محلات الأغذية السريعة الأمريكية (كنتاكى - هارديز - ماكدونالدز - بيتزا) بنسبة تتراوح بين ٥ -

١٠٪، وقررت نقابة الصيادلة مقاطعة منتجات شركة «ليللى» الأمريكية للأدوية عندما كشفت عن دعمها للمستوطنات الصهيونية فى الأراضى الفلسطينية.. بالإضافة إلى ما سبق تتضح أهمية المقاطعة، إذا علمنا أن حجم المبادلات التجارية بين إسرائيل والدول العربية بلغ حوالى ٩٩,١ مليون دولار فى الفترة من يناير وحتى سبتمبر ١٩٩٩م، وذلك مقابل ٩١,٣ مليون دولار حتى نفس الفترة عام ١٩٩٨م.

معاناة الفلسطينيين.. لاتنتهى..!!

وبعيداً عن المقاطعة العربية المأمولة تتواصل معاناة الشعب الفلسطينى البطل، حول هذه المعاناة كتب هشام عبدالرؤوف فى جريدة الجمهورية:

فى كل يوم تتضح وجوه جديدة للمأساة التى يعيشها الشعب الفلسطينى المنكوب بواحد من أبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى التى عرفها تاريخ الانسانية.

وإحدى الفئات التى تعانى بشدة من جراء الاحتلال الاسرائيلى هى فئة المرضى.. والمقصود بهؤلاء ليس الذين يصابون فى الاعتداءات الاسرائيلية ويتركهم جنود الاحتلال ينزفون حتى الموت فهذا موضوع آخر. لكن المقصود هنا هم المرضى بامراض مزمنة او الذين يصابون بأمراض مفاجئة.

يعانى هؤلاء من التعنت الاسرائيلى الذى يمنعهم من التوجه للمستشفيات. وهذا التعنت كان قائما وإن كان بدرجة غير ملحوظة منذ الايام الأولى لقيام السلطة الفلسطينية حيث كانت قوات الاحتلال تمنع بعض المرضى احيانا من عبور الحواجز الى المستشفيات والعيادات الطبية ومنهم من قضى نحبه بسبب سوء حالته.

لكن هذا الوضع تفاقم بشكل خطير منذ بداية انتفاضة الاقصى قبل حوالى عشرين شهرا وتفاقم اكثر واكثر واصبح مأساويا مع بداية العدوان الاسرائيلى الآخير فى التاسع والعشرين من مارس الماضى.

تفاقم الوضع من عدة نواح.. الأولى.. فرض القيود الاجرامية.. وليست الصارمة فقط على التحركات عبر الحواجز ومازالت هذه القيود تظهر عقبة اخرى وهى عدم وجود سيارات إسعاف كافية بعد ان سرقت قوات الاحتلال معظم السيارات المملوكة للهلال الأحمر الفلسطينى او دمرتها وجعلتها غير صالحة للاستخدام.

يؤكد الدكتور مصطفى البرغوثى مدير الإغاثة الطبية الفلسطينية ان عشرات المرضي يموتون يوميا عند الحواجز بسبب القيود التى تفرضها اسرائيل وذلك منذ عدوان التاسع والعشرين من مارس الماضى. ويلخص البرغوثى المشكلة بقوله.. لقد أصيب النظام

الصحى فى فلسطين بالشلل التام.

وهناك عدة قصص توضح عمق المأساة مثل المواطنة فهيمة ابو الرب المقيمة فى قرية جلبون بقضاء جنين حيث اصيبت فى الثانى عشر من ابريل الماضى بجلطة فى المخ وعبثا حاولت اسرتها الاتصال بالهلال الأحمر الفلسطينى وبالصليب الأحمر الدولى فأكد المسئولون فيهما انهم ممنوعون من التحرك ونقل المواطنة الى أحد المستشفيات ووسط هذه المحاولات اليائسة كان الوقت المناسب لتلقى العلاج قد انقضى وتحولت الجلطة الى شلل، هذا رغم ان محل اقامتها لايبعد عن مستشفى جنين اكثر من ١٢ كيلو مترا.

وهناك حالة اخرى للمواطن احمد محمود ابو سيف المقيم بالقرب من نابلس والذى ودع الحياة قبل ايام عن ٥٥ عاما والسبب عدم اجراء جلسات غسيل كلوى يحتاج الى ثلاثة منها اسبوعيا كان يجريها فى جنين او نابلس.

وكان من المفروض ان تجرى له جلسة غسيل كلوى فى اليوم الثانى من اجتياح مدينة نابلس. وعبثا حاولت اسرته الاتصال بالهلال الأحمر الفلسطينى والصليب الاحمر.. لكن الاجابة جاءت واحدة وهى.. نحن ممنوعون من التحرك. وحاولت الاسرة نقله بنفسها فى سيارة مملوكة لها.. لكن قوات الاحتلال منعتها رغم وجود تقرير باللغة العبرية يشرح حالة الأب.

وكم كانت معاناة الاسرة رهيبة وهى ترى الأب المسكين ينتفخ جسده ويتغير لونه الى الأزرق حتى تغير شكله واخيرا جاءت رحمة السماء وصعدت روح الاب المسكين الى خالقها.. ويقول ابنه ان هناك ٤٠ حالة فشل كلوى على الاقل فى المنطقة المحصورة بين نابلس وجنين توفى اصحابها لمعاناة مماثلة.. ولايعرف ما اذا كانوا لايزالون احياء. ام انهم لحقوا بابيه

حالة اخرى صاحبها المواطن محمد ابو الرب الذى اصيب بجلطة مفاجئة فى القلب فى احدى قرى الخليل. وعندما فحصه الطبيب اكد اهمية نقله الى المستشفى بسرعة.. ورغم ان اقرب مستشفى لمحل اقامته يبعد نصف ساعة فقط.. لكنها تحولت الى ساعتين بسبب الحواجز الاسرائيلية وتوفى المواطن اثناء الانتظار وعاد به أهله لدفن جسمانه.

وحتى الطفلة «ليلى» المقيمة فى نابلس والتى لايتجاوز عمرها عاما ونصف العام.. مرضت فجأة ولم يسمح جنود الاحتلال بنقلها الى المستشفى حتى ماتت عند احد الحواجز وعادوا بها ليواروها قبرها.

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعي خفاجة

وصية شهيد فلسطيني

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير من الزميل الفاضل الأستاذ/ السيد عبدالمحكم، الباحث بمجمع البحوث الإسلامية كتابا من تأليفه بعنوان «الشاعر الإسلامى الشهيد - هاشم الرفاعى - حياته وقضية مصرعه».

ثم زارنى الأستاذ المؤلف بعد ذلك عدة مرات متقاربة لم تتسع فى أغلبها لأكثر من السلام، ساعد على ذلك وجودنا للعمل معا فى مبنى واحد، هو مبنى مجمع البحوث الإسلامية، الذى نسأل الله أن يجعله دوما زخرا للأمة الإسلامية.

غير أنى كنت ألمح ظلال ابتسامة تتوارى خلف كلمات التحية والاطمئنان، وكأنه يقول: لقد أهديتك كتابى لتقرأه، لا لتصنفه ضمن زخائر مكتبتك!!

ولما كنت أخشى أن يفاجئنى بسؤال أتوقعه، وهو: ما رأيك فى الكتاب؟

فقد توفرت على الكتاب، أتفحص ما فيه وألم بجوانبه ومراميه.

وقد وجدت فى الكتاب - بحق - جهدا يستحق مؤلفه أن يعتز به، فالواضح أنه لم يألو جهدا ولم يدخر وسعا ليخرج الكتاب فى هذه الصورة القشيبة.

وإذا كان أي عمل لابن آدم لايسلم من النقد حتى من ذاته، إذا عاود مراجعته بعد مرور الزمن، فيجد أنه كان من الأفضل لو ترك هذه النقاط أو أضاف تلك. من هذا المنطلق فإنى لم أجد سببا لما ورد فى ص٦٨ : ٧١ وهو حديث فى داخل الطائرة التى تقل الشعراء المشاركين فى مهرجان الشعر الأول فى دمشق الذى أقيم فى مايو عام ١٩٥٩م وكان بينهم هاشم الرفاعى إلا أن المؤلف لم يقدم فى هذا الحديث شيئا قاله الشاعر «موضوع البحث».

ثم هذا الاستطراد عند ذكر استقبال الشاعرة

السورية طلعت الرفاعى لوفد الشعراء المصرى. حتى أنه نسى هاشم الرفاعى وراح يتحدث عن الشاعرة طلعت الرفاعى على مدى الصفحات من ٨٤ حتى ص٩٠ ذكر فيها شيئا عن الشاعرة ورسالتها الجامعية ثم خوضها الانتخابات ثم الرقية التى حفظتها عن أمها.

وإن كنا لا نقلل أبدا من قيمة هذه المعلومات، إلا أن مجالها كتابا آخر عن الشاعرة طلعت الرفاعى نأمل أن يوفق الله المؤلف إلى تأليفه، فالواضح أنه أثناء جمعه لمادة كتابه عن هاشم الرفاعى جمع معه الكثير عن شعراء آخرين.

وقد جذب انتباهى من بين العديد الجيد من القصائد قصيدة بعنوان «وصية شهيد فلسطينى» جاءت على الصفحات ١٢٨ حتى ١٣٠.

ألقيت فى ندوة الشباب المسلمين لنصرة قضية فلسطين مساء ١٨ نوفمبر ١٩٥٨م. وكأن القصيدة كتبت لنصرة قضية فلسطين عام ٢٠٠٢م وهو ما دعانى لأن أقدمها للقراء الأعزاء

يقول هاشم الرفاعى

أنا يا بنىَّ غداً سيطوينى الغَسَقْ ... لمْ يبقَ من ظلِّ الحياة سوى رمق
وحطامِ قلبٍ عاشَ مشبوبَ القلق ... قدْ أشرقَ المصباحُ يوماً واحترق
جفّتْ به آمالهُ حتى اختنق

فإذا نفضتَ غبارَ قبرى عَن يدك ... ومضيتَ تلتمس الطريق إلى غدك
فاذكرْ وصيةَ لاجىءٍ تحتَ التراب ... سلوبهُ آمالَ الكهولة والشباب
مأساتُنا مأساةُ ناسٍ أبرياءْ ... وحكايةٌ يغلى بأسطْرها الشقاء
حملتْ إلى الآفاق رائحةَ الدماء ... وجريمتى كانتْ محاولةَ البقاء
أنا ما اعتديتْ ولا ادخرتكَ لاعتداء

لكنْ لثأرٍ نبعُه دامٍ.. هُنَا ... بين الضلوعِ جعلتُه كلَّ المنى
وصبغتُ أحلامى به فوقَ الهضاب ... وظمئتُ عمرى.. ثم متُّ بلا شراب
كانتْ لنا دارٌ، وكانَ لنا وطنْ ... ألقتْ به أيدى الخيانَة للمحن
وبذلتُ فى إنقاذه أغلى ثمَنْ ... بيدى دفنت أخاك فيه بلا كفن
إلا الدماءَ، وما ألمَّ بىَ الوهَنْ

إنْ كنتُ يوماً قد سَكبتُ الأدمعا ... فلأنّنى حُمِّلتُ فقدَهُما.. معاً
جرحان فى جنبىّ: ثَكْلٌ واغتراب ... ولدٌ أُضيعَ.. وبلدةٌ رهنَ العذاب
تلك الربوعُ هناك قدْ عرَفتَك طفلاً ... يجنى السنا والزهرَ حين يجوبُ حقْلا
فاضتْ عليكَ رياضُها ماءً وظلا ... واليومَ قد دهمتْ لكَ الأحداثُ أهلا
ومروجك الخضراء تحنى الهام. ذُلاً

همْ أخرجوكَ فعد إلى من أخرجوك ... فهناك أرضٌ كانَ يزرعُها أبوك
قد ذُقت من أثمارها الشهدَ المذاب ... فإلام تتركُها لألسنة الحراب؟

إن جـئـتـهـا يومـاً وفى يدكَ الســلاح وطلعتَ بين ربوعـهـا مـثل الصبـاحْ
فـاهتفْ على سـمعِ الروابى والبطاح إنى أنا الأمسُ الذى ضَمَّد الجـراح
لبـيـكَ يا وطنى العـزيزَ المُستـبـاح

أو لستَ تذكـرُنى؟ أنا ذاك الغـلام من أحـرقـوا مـأواهُ فى جنحِ الظلام
بلهـيبِ نارٍ حـولهـا رقصَ الذئاب لفتْ حـيـاتى بالدخـانِ وبالضبـاب

***

لا تبكينَّ، فـمـا بكتْ عـينُ الجناه هى قـصـةُ الطغـيـان من فـجـرِ الحـيـاة
فـارجع إلى بلدٍ كنوزٍ أبى حَـصـاه قـدْ كنتُ أرجـو أن أمـوتَ على ثراه
أملٌ ذوى، مـا كـان لى أملٌ سـواه

فـإذا نفـضتَ غـبـار قـبـرى عن يدك ومـضـيتَ تلتـمسُ الطريقَ إلى غـدك
فـاذكـرْ وصـيـتـةَ لاجىءٍ تحتَ التـراب سلبـوه آمـالَ الكهـولةِ والشـبـاب

ولننظر إلى المعانى السامية التى قدمها الشاعر والمستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة التى تعطر أركان القصيدة، ولنتأمل قول الشاعر «أنا ما اعتديت ولا ادخرتك لاعتداء» فالمسلم ليس من طبعه العدوان ولا يحث ابنه عليه وهو معنى مستوحى من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

والمعانى والصور التى قدمها الشاعر بصفة عامة قريبة الجنى لا تحتاج إلى مزيد شرح لصدورها عن عاطفة صادقة مفعمة بالإيمان.

فقط أقول ما أشبه اليوم بالبارحة، واذا جاء قول الشاعر عام ٥٨: بيدى دفنت أخاك بلا كفن، فاليوم يدفن شارون أسراً كاملة بلا كفن وبلا مقابر.

وفى نهاية تلك العجالة بقى أن نقدم تعريفاً عن هذا الشاعر الفذ، إنه: السيد جامع هاشم مصطفى الرفاعى الشهير بـ هاشم الرفاعى ولد فى عام ١٩٣٢م – على ما حققه الأستاذ المؤلف – بقرية إنشاص الرمل بمحافظة الشرقية، وتلقى تعليمه الأزهرى بمعهد الزقازيق الدينى حيث التحق به عام ١٩٤٧ ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٥٦م وظل بها حتى لقى مصرعه فى الأول من يوليو عام ١٩٥٩م وقد تبوء الشاعر منزلة رفيعة بين شعراء وأدباء عصره، رشحته لأن يكون ضمن وفد مصر الذين شاركوا فى مهرجان الشعر بدمشق وهو بعدُ لم يزل طالباً .

وأخيراً أقدم الشكر للزميل الفاضل الأستاذ السيد عبدالمحكم الذى أتاح لنا هذه الإطلالة على الشاعر والأعمال الأدبية التى تركها، وجمعها هذا الكتاب الذى لو لم يشتمل إلا على هذه القصيدة ـ التى قدمناها ـ لكفت بياناً لشاعرية كاتبها. وسببا لأن يأخذ الكتاب مكانه البارز فى المكتبة العربية.

إدراك معنى الحياة

من كلمة للقارىء الشيخ / خيرى محمد أبو الروس / إمام وخطيب بكفر الجرايدة - كفر الشيخ نقدم هذه الكلمات :

لكى تتوجه الحياة كلها للإسلام ونعيش له لابد أن ندرك عدة أمور :

أولاً : إدراك الغاية من الحياة كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .

ثانيًا : إدراك قيمة الدنيا كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾

سورة الحديد الآية رقم ٢٠

ولقد روىَ أن الرسول ﷺ « مر يوما على (مزبلة) ونادى أصحابه قائلاً « هلموا إلى الدنيا » ثم أخذ خرقة قد بليت وعظاماً قد نخرت وقال « هذه هى الدنيا » .

رواه الترمذى

ثالثًا : إدراك حتمية الموت كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

سورة الرحمن الآيتان رقم ٢٦ / ٢٧ ولقد رُوىَ عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذكروا هازم اللذات ومفرق الجماعات » .

رواه الترمذى

رابعًا : إدراك حقيقة الإسلام بمعرفة أصوله وفروعه وأحكامه وحلاله وحرامه كما قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سورة الزمر الآية رقم ٩

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

سورة طه الآية رقم ١١٤

خامسًا : إدراك حقيقة الجاهلية بالتعرف على أفكارها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها لنأمن من الانزلاق فيما نهى الله عنه .

اللهم اجعلنا ممن يتأدبون بأدب الإسلام ويسيرون على نهجه . . آمين .

***

دليل وبرهان حى

الدكتور أحمد شوقى عرفة.. يقدم ما جال بخاطره حول قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

العلق: ١

يقول: اقتضت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - أن تكون أولى كلماته إلى محمد ﷺ عبده الله ورسوله الذى اصطفاه لرسالته إلى العالمين:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

أن تحمل إلينا أمورا منها:

١- أن تكون وصيته - ووصيته واجبة التنفيذ- إلى من سيتبعون دينه هى القراءة والعلم والتعلم.

٢- أن تكون دليلاً على أن هذا القرآن هو من كلام الله إذ لا يعقل أن يكون محمد بن عبدالله الأمى هو مؤلف هذا الكتاب كما يدعى المكذبون وأن يبدأ كلامه بكلمة اقرأ وهو من بلد أمى لا يقرأ ولا يكتب إلا فيما ندر.

٣- أنه سبحانه هو الذى خلق الإنسان والكون ولا أحد ولا شىء غيره يخلق شيئًا.

٤- أن هذه الآية وما تبعها من آيات القرآن الكريم هى كلام خالق هذا الكون رب العالمين والمهيمن والمدبر والمسيطر على العالم لا شريك له ولا ولد بدليل صمت الآلهة المزعومة - التى ابتدعها البشر - التى لم تتحرك للدفاع عن مراكزها بالرغم من توالى نزول آيات الكتاب الكريم التى تشير إلى أن الله:

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ و ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾.

وأنه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

وبالرغم من النجاح المتواصل لهذه الدعوة طوال بعثة الرسول (٢٣ سنة) وطوال ١٤ قرنا من الزمان ودخول ملايين البشر ودخول الدول والممالك فى دين الله.

٥- أن هذه الآية الكريمة دليل حى ومستمر ومتواصل على صحة هذا الدين يهتدى بها البشر على مر العصور والأزمان وفى كل مكان وكلما قرأوا هذه الآية الكريمة.

٦- أن تكون القراءة والعلم والتعلم دستورا للأمة الإسلامية وهاديا ونبراسا لها لكى تنشر دين العدل والأمن والأمان فى الأرض.

اقرأ فى العدد القادم بمشيئة الله تعالى

« بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها »

لابن أبى جمرة الأندلسى

من إبداعات القراء

ياســــــيد الدنيـــــــا

يواصل القارىء **أحمد حمدى والى** .. الطالب بمدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة ابداعاته ويقدم فى هذا العدد هذه المشاركة البديعة احتفاء بمولد سيد الخلق - ﷺ .

يا سـيد الدنيا وأنت الأكبر — بك يابن عبدالله نفسى تَفْخَرُ
أنت الذى كنت العظيم بهديه — منك الشمائل والفضائل تظهرُ
يا أيها الأمى علمت الورى — أن المكارم فى رحابك تزهرُ
أنت الذى حُمِّلْتَ أعظم شرعةٍ — فغدت بها أم القرى تتبخترُ
يا أيها المقدام سيفك بارقُ — ورماح جندك فى المعارك تزأرُ
عفواً فقومك فى البداية كذبوا — ولجهلهم بجميع فعلك أنكروا
فالات رمز الشرك أضحت ربهم — ولربى الأعلى بذلك أجدرُ
كانوا بصحراءٍ تفح رمالها بالقيظ — والأجساد فيها تصهرُ
فأتيت والخيرات غيثٌ هاطلُ — فكأنهم من بعد جدبٍ أمطروا
إن كان خوف العار وأد بناتهم — فالعار كل العار فيها دبروا
لما رأى الشيطان دينك غالبًا — أضحى اللعين بغيظه يتفجر
وهب الإله لصحب أحمد عزةً — والنصب والأصنام راحت تُقْهرُ
أنت الحبيب وأنت رمزٌ للعُلا — وبك النجاة إذا تدانى المحشرُ

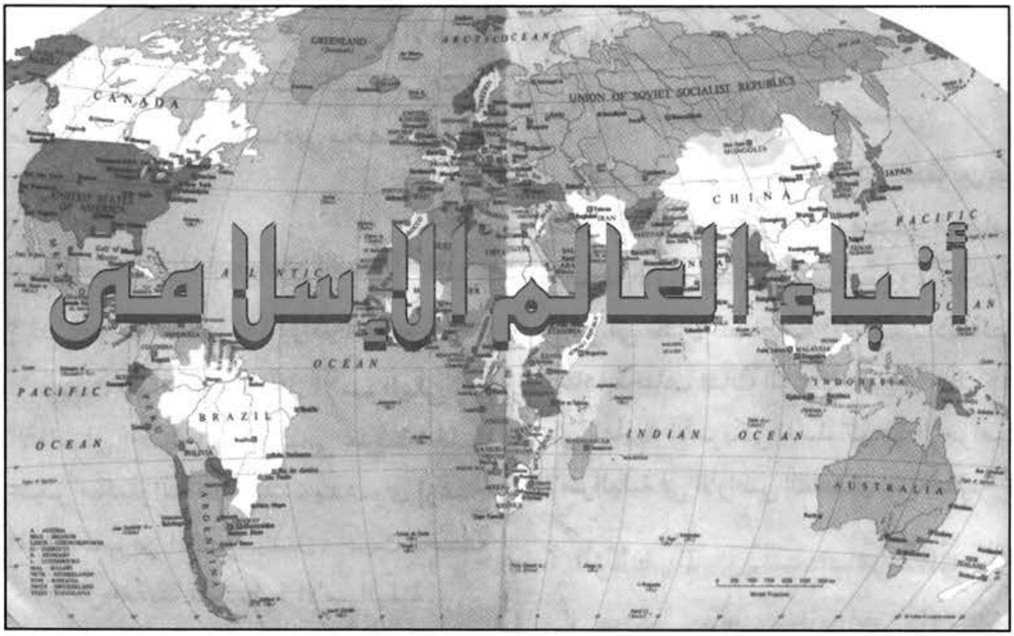

مهاتير محمد ينتقد منظمة المؤتمر الإسلامى ويتهمها بالعجز

اتهم مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزى منظمة المؤتمر الإسلامى بالعجز، وشن هجوما لاذعاً على المسلمين بسبب ما اعتبره تواكلاً وعجزاً عن الفعل المضاد بشأن المجازر الصهيونية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

متطوعون من جنوب أفريقيا يسافرون إلى إسرائيل لدعمها

بدأت أعداد من المتطوعين من يهود جنوب أفريقيا فى التوجه إلى إسرائيل، وذلك استجابة لنداء الحكومة الإسرائيلية لدعمها فى مواجهة ما تدعيه من خطر يواجهها بسبب الإرهاب على حد زعمها.

للأستاذ / محمد الشرقاوى

جدير بالذكر أن من بين المتطوعين عدداً من غير اليهود، وإنما هم من المؤمنين بالفكرة الصهيونية كعقيدة سياسية.

سيقوم هؤلاء المتطوعين بشغل الوظائف والأعمال التى شغرت فى أعقاب استدعاء إسرائيل الاحتياطى، مما أثر بالسلب على العديد من المؤسسات المدنية.

يذكر أن المنظمات الصهيونية العاملة

بجنوب أفريقيا كشفت فى الفترة الأخيرة عمليات جمع التبرعات، حيث نشرت فى مئات المحال والمتاجر صناديق مخصصة لهذا الغرض.

إسرائيل تمنع رفع الأذان فى الحرم الإبراهيمى

منعت قوات الاحتلال الإسرائيلى رفع الأذان فى الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل عبر مكبرات الصوت، بدعوى إزعاج المستعمرين الإسرائيليين، حيث يخضع ٢٠٪ من المدينة للسيطرة الإسرائيلية.

كما تعرضت قوات الاحتلال لأئمة الحرم واعتدت على بعضهم بالضرب.

جدير بالذكر أن الحرم الإبراهيمى يعد ثانى أهم مسجد فى فلسطين بعد الحرم القدسى الشريف، ويعد الإجراء الإسرائيلى بمثابة تصعيد ضد المسلمين بصفة عامة، وأهالى المدينة بصفة خاصة، حيث تواصل سلطات الاحتلال منع المصلين المسلمين من دخول الحرم الإبراهيمى الشريف منذ الحادى والعشرين من أبريل الماضى، وذلك بدعوى إعادة تقييم الإجراءات الأمنية داخل الحرم والقيام بأعمال صيانة، بينما تسمح للمستوطنين بدخول المسجد وتدنيسه.

المستثمرون المصريون يقاطعون الدولار الأمريكى

انصرف معظم المستثمرين المصريين عن التعامل بالدولار الأمريكى مفضلين التعامل بالعملة الأوروبية الموحدة «اليورو» كإجراء يدخل فى نطاق المقاطعة الاقتصادية التى تتبناها مختلف فئات الشعب المصرى حاليا ردا على التأييد الأمريكى للسلوكيات الإجرامية الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

الولايات المتحدة تنسحب من اتفاقية محكمة جرائم الحرب

تخلت الولايات المتحدة عن تعهدها بدعم الاتفاقية الخاصة بإنشاء محكمة جرائم الحرب الدائمة بدعوى تضمن الاتفاقية بعض العيوب غير المقبولة.

ذكر «بيير ريتشارد» المندوب الأمريكى الخاص بجرائم الحرب أن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية التى وقعت عليها قبل عامين لن يؤثر على الهدف من إنشاء المحكمة.

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الولايات المتحدة تخشى من محاكمة مسئولين أمريكيين بتهم تتعلق بارتكاب جرائم حرب.

كما يتردد أن من بين أسباب الانسحاب الأمريكى اعتراضها على فكرة محاكمة

مسئولين إسرائيليين فى مقدمتهم رئيس الوزراء الإسرائيلى «إرئيل شارون» عن اتهامات بشأن قتل الأسرى المصريين فى حرب ١٩٦٧ ، ومجازر صبرا وشاتيلا فى لبنان، والانتهاكات الحالية بالأراضى الفلسطينية المحتلة.

إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين بمصر

تم توزيع إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين فى مصر، والذين تضرروا من عدم وصول تحويلات مالية من ذويهم بالأراضى الفلسطينية المحتلة من جراء الحصار الشديد الذى يفرضه الاحتلال الإسرائيلى.

قام بتوزيع هذه الإعانات المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية.

قوات الاحتلال أعدمت ٣٣ بينهم ست نساء فى جنين

كشف «نادى الأسير» الفلسطينى عن أن قوات الاحتلال الإسرائيلى أعدمت ثلاثة وثلاثين فلسطينيا دفعة واحدة خلال إحدى عملياتها الإجرامية داخل مخيم جنين من بينهم ست نساء.

أوضح النادى فى بيان أصدره ان قوات الاحتلال اعتقلت ٣٣ شخصا من بينهم ست نساء أثناء اجتياح المخيم فى الأول من أبريل الماضى، وقامت بإعدامهم.

أكد البيان ان هذه الحادثة تدلل على جرائم الحرب التى ارتكبت بحق المعتقلين الذين أعدموا بدم بارد وبوحشية لم يسبق لها مثيل.

أوضح البيان ان عددا من المواطنين من بينهم معاقون تم إعدامهم داخل منازلهم بعد هدمها عمدا فوق رؤوسهم، إضافة إلى آخرين تركتهم قوات الأحتلال ينزفون تحت الأنقاض.

ناشد «نادى الأسير» المؤسسات الحقوقية الدولية والمجتمع الدولى بالعمل الجاد والفاعل للكشف عن المزيد من جرائم حرب ارتكبها جنود الاحتلال خلال اجتياحهم للمخيم.

نصف مليون لاجىء.. عادوا لأفغانستان

علنت وكالة غوث اللاجئين الدولية أن عدد اللاجئين الأفغان العائدين إلى بلادهم تجاوز الآن نصف مليون شخص.

نقل راديو لندن عن مصادر الوكالة الدولية القول ان معظم العائدين جاءوا من باكستان حيث شرع فى تنفيذ برنامج العودة الطوعية منذ شهر مارس الماضى فى حين عاد حوالى ثلاثين ألفا من إيران.

من المعروف أن مليونى لاجىء أفغانى مسجلون فى باكستان و١,٥ مليون فى ايران، وتخطط مفوضية الأمم المتحدة العليا لشئون اللاجئين للعودة الطوعية لنحو ١,٢ مليون لاجىء من كلتا الدولتين فى غضون العام الحالى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر:

الإسلام دين الوسطية والاعتدال

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد الطلبة الدارسين بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وهم من جامعة سراييفو بجمهورية البوسنة من كلية الدراسات الإسلامية وكذلك طلبة من طاجكستان وجورجيا، وكوريا الجنوبية، وقد حضروا لمصر لدراسة علوم القرآن الكريم والشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

رحب فضيلته بالسادة الحضور شارحا لهم دور الأزهر الشريف فى حفظ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واللغة العربية، والدراسة فى الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط وإظهار سماحة الإسلام ومعاملاته حتى مع غير المسلمين مسترشدا بآيات القرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة.

كما أوضح فضيلته دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين جنبا إلى جنب مع إخوانهم من الطلبة المصريين حيث يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية التى يسكن بها طلاب من خمس وتسعين دولة لا فرق بينهم وبين الطلاب المصريين حتى يعودوا إلى بلادهم وقد حصلوا على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف ويقومون بعد ذلك بتعليم أبناء بلادهم، كذا يقوم الأزهر الشريف بإرسال البعثات من العلماء والمدرسين على نفقة الأزهر الشريف ليقوموا بتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم ويلقون المحاضرات وخطب الجمعة ويؤمونهم فى الصلاة، وللأزهر معاهد أزهرية فى بلاد كثيرة مثل السنغال وباكستان وجنوب أفريقيا وغير ذلك من البلدان ونرسل لهم الكتب والمناهج والمدرسين من الأزهر فرسالة الأزهر على مدى أكثر من ألف عام رسالة علمية تعليمية عالمية سامية.

وأوضح فضيلته أن الإسلام هو دين السلام يحترم النفس البشرية ويصونها ولا يعتدى عليها، ويحافظ عليها للمسلم ولغير المسلم، للأبيض وللأسود لمن فى الشرق ومن فى الغرب، ومن فى الشمال ومن فى الجنوب.

والإسلام دين الوسطية والاعتدال والسماحة، والأزهر يعلم أبناء المسلمين ويوضح للناس جميعا أن الإسلام ينبذ

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإرهاب والاعتداء على الآمنين كما يبين أن الناس جميعا خلقهم الله من أب واحد وأم واحدة، وطلب منهم أن يتعارفوا ويتعاونوا ويتبادلوا المنافع فيما بينهم قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(٢).

وأوضح أن الإسلام يحرم قتل النفس قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾(٣).

وأوضح أن الأزهر الشريف أصدر بيانا عقب أحداث ١١ سبتمبر أوضح فيه الفرق بين الجهاد والإرهاب، وأن ما بينهما كما بين السماء والأرض، فالجهاد شرعه الله - عز وجل - للدفاع عن الدين والمقدسات وعن الأرض والعرض وعن الحريات وعن الكرامة الإنسانية ودفع الظلم والاحتلال، وأن الإرهاب هو ما تقوم به إسرائيل من قتل للمجاهدين الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وعرضهم وكرامتهم وحريتهم، وما يفعلونه للرئيس عرفات من حصار وإهانة وإذلال فهذا هو الإرهاب بعينه.

كما أجاب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن بعض الأسئلة والاستفسارات التى دارت حول التواجد الإسرائيلى وإحلال السلام ودور الأزهر الشريف فى التصدى لذلك مبينا بأن تواجد إسرائيل منذ المؤتمر الصهيونى الأول واختيار أماكن لإقامة وطن لهم وادعائهم بما يسمى بأرض الميعاد وكانت تلك الأماكن لا تشمل أرض فلسطين مما يثبت زيف ادعائهم بأرض الميعاد، ثم كان الاجتماع الثانى عام ١٩٠٧ واختيار فلسطين لتكون هذه الأرض وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطانى، حيث أعطى الإنجليز أرض فلسطين لليهود، تحت زعم وعد بلفور لتكون وطنا لهم وكان ذلك عام ٤٧ وصدر قرار التقسيم، وقامت حرب ٤٨، وتلتها حرب ٥٦، ٦٧، ٧٣ وخلال تلك الأحداث لم يلتزم اليهود بالعهود ولا بالمواثيق.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر والأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى التصدى لما يحدث من عقد لقاءات مع المؤسسات والهيئات ولجان الحوار وإصدار البيانات التى توضح المفاهيم وتدين الإرهاب وتظهر صورة الإسلام السمحة.. حضر اللقاء فضيلة الشيخ على فتح الله المستشار التعليمى لفضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على مدن البعوث الإسلامية.

---

(١) الحجرات (١٣).

(٢) المائدة (٢).

(٣) الأنعام (١٥١).

الإمام الأكبر يستقبل وفد الحزب العربى الفلسطينى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من الحزب العربى الفلسطينى برياسة السيد / عبدالوهاب الدراوشة، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا لهم بأن الأزهر الشريف شيخه وعلماءه وطلابه وشعب مصر بل وحكومتها ورئيسها يتابعون الأحداث لحظة بلحظة على أرض فلسطين، مبينا أهمية التعاون والتكاتف للتصدى لما يحدث، وأن القوة الظالمة الغاشمة لن تستطيع أن تناصر الحق، وإنما الصمود، وقوة العزيمة والثبات والشجاعة هى السبيل للوصول والحصول على الحقوق التى شرعها الله للإنسان من حق الحرية والكرامة ومن حق تحرير الأرض ودفع الظلم والرسول ﷺ بين أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. ونحن مسئولون أمام الله - عز وجل - أن نقف بجوار إخواننا فى فلسطين وأن نساعدهم ونؤيدهم ونؤازرهم بكل أنواع المساعدة، بل ونتواصل معهم حتى يحصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة.

شكر الحضور فضيلته على دور مصر وأزهرها الشريف وشعب مصر وحكومته الرشيدة ورئيسها الذى لا يألو جهدا فى مناصرة الشعب الفلسطينى المجاهد، وأن تصريحات فضيلتكم لوسائل الإعلام المختلفة وتوضيح أن الجهاد فى الإسلام حق من أجل السلام والحرية وإيضاح معنى الشهادة بقول فضيلتكم «إن كل من يفجر نفسه فى عدوه المغتصب فهو شهيد» فهذا كله يعطينا قوة ويعطى شبابنا ثباتا على الحق وصلابة فى الدفاع عن الأرض والعرض. كما نقلوا تحيات السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية لمصر وأزهرها موضحين بأن اليهود لا يفرقون بين مسجد وكنيسة ولا بين مسلم ومسيحى فالقتل والدمار والتخريب والتعذيب سمتهم وديدنهم، وفى نهاية اللقاء طالبوا بإفساح المجال لأبناء فلسطين للدراسة بالأزهر وزيادة المنح الدراسية لهم، رحب فضيلته بتلبية كل طلباتهم موضحا لهم أن الأزهر يستقبل أبناء فلسطين للدراسة به وهم مع إخوانهم المصريين وقد أشاد فضيلته بمعهد غزة الدينى الأزهرى الذى أنشىء منذ أكثر من سبعين عاما لتعليم أبناء شعب فلسطين الشقيق.

الإمام الأكبر يستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور محمد سيد طنطاوى الدكتور / تى توابا سفير سنغافورة بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وقد أوضح فضيلته للضيف أن الجهاد شريعة الله للدفاع عن الدين والمقدسات والحريات والأموال وهى حقوق مشروعة، فالجهاد دفاع عن حقوق مشروعة حق الرد على الظالمين المعتدين المغتصبين الذين يعتدون على الأموال وعلى الأنفس وعلى المنازل كما

يحدث الآن فى فلسطين، وأن شارون وزمرته وعصابته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويحرقون الأراضى الزراعية ويهدمون البنية الأساسية ويقتلعون الأشجار ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية لمن يحتاج إليها من المرضى والمصابين بل يذهبون إلى المستشفيات ويعدمون الأدوية، ويتركون الجثث فى الشوارع ويمنعون الفلسطينيين من دفنها، فالجهاد فى الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه وهو ما يقوم به إخواننا فى فلسطين، وأما ما يفعله شارون وزمرته فهو إرهاب وأشاد السيد السفير بدور مصر المحورى فى المنطقة، وقال: إن الأزهر الشريف وجامعته لهما دور عظيم فى معالجة القضايا المعاصرة بوسطية واعتدال.

ويستقبل وفد مجلس نواب بلجيكا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مجلس النواب فى بلجيكا برياسة السيد / هيرمان دى كرو والسيد سفير بلجيكا بالقاهرة، وقنصل بلجيكا والوفد المرافق وهو مكون من ممثلى رئيس مجموعة الحزب الاشتراكى ورئيس مجموعة حزب الأحرار، ورئيس مجموعة الاتحاد الشعبى، وعضو الحزب الاشتراكى المسيحى وعضو حزب الخضر، وذلك فى إطار زيارتهم لجمهورية مصر العربية ضيوفا على مجلس الشعب المصرى.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى أزهرها الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة التى تربط بين مصر ودولة بلجيكا والمكانة التى تحتلها بلجيكا فى أوروبا، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم أمور الدين الحنيف وإظهار يسره وسماحته ووسطيته وصلاحيته لكل زمان ومكان، ثم يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه لأبناء بلادهم وذويهم.

وحول سؤال عن دور الأزهر الشريف فى الأحداث الجارية أوضح فضيلته موقف الأزهر الشريف وأنه يحق الحق ويبطل الباطل ويبين للناس أن العدوان على الآمنين الأبرياء لا تقره شريعة الإسلام، وما يحدث فى فلسطين الآن من عدوان على الآمنين واغتصاب للأرض وللعرض وتخريب للمساكن وتجريف للأراضى الزراعية واعتداء على أماكن العبادة سواء كانت للمسلمين أم للمسيحيين، ومحاصرة للسيد الرئيس ياسر عرفات فهذا هو عدوان أثيم ويحدث ذلك تحت سمع وبصر العالم المتحضر، والفلسطينيون الذين يدفعون الظلم عن أنفسهم هم مجاهدون وما يحدث من عدوان من الجانب الإسرائيلى على الفلسطينيين من اغتصاب وقتل وتخريب هو ظلم وعدوان وهو الإرهاب بعينه بكل صوره وأشكاله، وأرى أنه من المناسب الآن أن تأتى قوات دولية، من دول مثل أمريكا وأوروبا وبلجيكا وباقى الدول، المهم أن تكون قوات دولية شرعية تفصل بين الجانبين ولو بالقوة، ثم تأتى بعد ذلك المفاوضات والمناقشات، وطالما حسنت النوايا فلابد من أن يصلوا إلى الحل.

وحول سؤال عن: هل مصر دولة إسلامية؟ أجاب فضيلته: نعم مصر دولة إسلامية ترعى مواطنيها من مسلمين ومسيحيين وكل من يحمل الجنسية المصرية له حق ممارسة الشعائر الدينية فى أماكن العبادة وله حق التعليم وله كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات أيضا ولكن لكل إنسان عقيدته ولا إجبار على العقائد، فالمسلم يصلى فى الجامع، والمسيحى يذهب للكنيسة وهناك مساواة تامة، فلدينا وزراء مسيحيون وقادة بالجيش مسيحيون وتعلمون أن حرب العاشر من رمضان أكتوبر ٧٣ أكبر مثال على ذلك، فقائد الجيش الثانى الميدانى فى المعركة كان مسيحيا، ونحن فى مصر فى البيت الواحد يسكن به المسلم والمسيحى وأنا أتزاور مع البابا شنودة وتربطنا به علاقات أخوية ونحضر معا اللقاءات والحوارات والمحاضرات.

وحول سؤال عن تصادم الحضارات، أوضح فضيلته بأنه ليس مع من يقول بتصادم الحضارات، وإنما الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، وتتكاتف من أجل خدمة الإنسانية، ولكل دولة حضارتها وكل دولة تأخذ من حضارة غيرها وتعطى من حضارتها.

شكر السيد رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ووصفه بأنه رجل دين عظيم فى بلد عظيم.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً إيرانيـًا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ/ السيد حميد المحمدى المستشار القانونى لرئيس رابطة الثقافة والعلاقات بمدينة قم الإيرانية، رحب فضيلته بالضيف فى مصر والأزهر الشريف مشيدا بدولة إيران وبعلمائها وبسعيها الدءوب للتقدم والرقى.

قدم الضيف شكر وتقدير بلاده لمصر رئيسا وحكومة، وشعبا وللأزهر وعلمائه لما يقدمونه للقضية الفلسطينية من دعم ومساندة كما نقل تحيات وشكر آية الله مكارم شيرازى أحد العلماء الكبار الذين لهم حق الفتيا فى إيران وطلب الضيف الاطلاع على مناهج وخطط التدريس والتعليم فى الأزهر الشريف فى كل المراحل ليمكن الاستفادة منها فى إيران.

الإمام الأكبر يستقبل قاضى قضاة فلسطين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبرشيخ الأزهر الشيخ تيسير التميمى قاضى قضاة فلسطين حيث نقل إلى فضيلته شكر وتقدير وتحيات السيد الرئيس ياسر عرفات على الجهد المتواصل والعمل الدءوب من أجل القضية الفلسطينية ومن أجل الشعب الفلسطينى على مدى أربعة حروب من عام ٤٨ للآن.

رحب فضيلته بالضيف قائلا: إن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية لا تدخر وسعا فى مساعدة

ومناصرة أى دولة شقيقة وخاصة شعب فلسطين وحمل فضيلته الضيف التحية والتقدير للسيد الرئيس ياسر عرفات لشجاعته وصموده أمام هذه الاعتداءات الغاشمة والطاغية والغير مسبوقة وقال: إن الشعب الفلسطينى بصموده وثباته لابد أن ينتصر، ونحن معه بكل ما أوتينا من قوة وندعمه ونتعاون معه بكل أنواع المعاونة والمساعدة:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٤)

الدورة السادسة والخمسين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخرج الدارسين بالدورة العالمية التدريبية السادسة والخمسين للأئمة والدعاة الوافدين من دول العالم الإسلامى والتى استمرت ثلاثة أشهر اعتباراً من ١ / ٢ / ٢٠٠٢ وعددهم ٣١ إماما وواعظا من دول: مالى، بنجلاديش، الكنغو الديمقراطية، كينيا، النيجر وقد تلقوا التدريبات على أمور الفتيا والمحاضرات فى العلوم الشرعية والإسلامية واللغوية على أيدى السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة وجههم فيها إلى أن يكونوا قدوة طيبة لأبناء بلادهم حتى يتمثلوهم ويقتدوا بهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تكون مجادلتهم بالتى هى أحسن كقول الله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٥).

وحذرهم من خطورة الفتوى بغير علم وقال: إن الفتوى قد تتغير باختلاف الزمان والمكان والعرف والحال ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة وذلك دليل على سماحة الإسلام وشريعته السمحة، وبين أن هناك أمورا مقررة ثابتة وهذه لا اجتهاد فيها، وإنما الاجتهاد فى الفروع فقط ولمن له حق الاجتهاد وهو المؤهل لذلك الذى تفقه فى الدين عملا بقول الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٦).

مشيرا إلى أن الاجتهاد لا يكون إلا فى الأمور التى تقبل الاجتهاد، فلا يصح فى الأمور الثابتة ولا فى النصوص القطعية الثبوت أو الدلالة أو الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأحد القضاة «ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك

---

(٤) الحج (٤٠).

(٥) النحل (١٢٥).

(٦) التوبة (١٢٢).

وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل».

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير على الخريجين وفى نفس الوقت تم افتتاح الدورة السابعة والخمسين للائمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى تبدأ اعتبارا من ١ / ٥ / ٢٠٠٢ وعددهم ٢٤ إماما وواعظا من دول: أندونيسيا، وكوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، وسيرلانكا، غانا، وبنجلاديش.

حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والسادة سفراء الدول، والسفير نائب مدير الشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية.

معاهد أزهرية جديدة

– افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع الشيخ زايد النموذجى الأزهرى بمدينة الشيخ زايد بالسادس من أكتوبر وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن هذا المجمع الأزهرى يعتبر صرحا من صروح الأزهر الشريف لأنه يحافظ على حفظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية والعربية إلى جانب المواد الأخرى التى يدرسها أبناء التربية والتعليم فى المدارس ويدرس العلوم الحديثة مثل الكمبيوتر ومعامل اللغات مؤكدا على الشعار الذى يقول فيه «ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم» وأشاد فضيلته بدولة الإمارات العربية المتحدة وتعاونها المثمر مع شقيقتها مصر وأزهرها الشريف فى المشروعات التعليمية، ومشيدا بالعلاقات الودية الطيبة بين السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وبين سمو الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وقام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية والتقديرية على الطلبة المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم والمواد الأخرى وعلى شيوخ المعاهد المسئولين عن العملية التعليمية.

ترقيات

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم ٤٣٨ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على إسناد وظيفة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية إلى فضيلة الشيخ/ شوقى حسن نويجى.

● كما أصدر فضيلته القرار رقم ٤٥٦ لسنة ٢٠٠٢ بندب فضيلة الشيخ/ محمود إبراهيم درويش للقيام بعمل وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق.

***

Abu Sufyan told him that he neither tell lies nor betray others. Hercules said: "For what did he call?"
Abu Sufyan told him that he bids people to worship Allah Alone with no associate, and abandon our fathers' beliefs. He orders us to keep up prayer, honesty and maintain strong family ties".(1) The testimony, which the archenemy of the Prophet gave, left Hurcules wonder-struck.

Do you find that there is a testimony greater than this? The situation is critical and the questioner is a king of power and authority asking a spiteful man whose answer reveals the full conviction in the truthfulness of Muhammad's Prophethood. Do you find an ideal messenger greater than the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, and is there a testimony truthful than this? There is no testimony in the history of the great similar to it.

things) they say; yet surely they don't cry lies to you, but the unjust (people) repudiate the signs of Allah﴿.

[Al-Anam (Cattle): 33]

When the Prophet received Allah's command to call his relatives to Islam and warn his kinsmen the nearest kin, he climbed the mountain and called: "O Quraysh, when they gathered he said: "You see, if I were to tell you that there were some horsemen in the valley planning to raid you, will you believe me? He said: "I am: I'm a warner to you before a severe torment". Abu Lahab promptly replied: "Perish you all the day! Have you summoned us for such a thing?" The verses were immediately revealed on that occasion:

﴾Would the hands of Abu Lahab be cut up, and would he be cut up (too)! ﴿ **[Al-Masad (Palm-Fibers):1]**

When the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, sent a letter of call to Hercules, king of Rome. Incidentally, Abu Sufyan Ibn Harb, who by that time had not embraced Islam, was summoned by Hercules to ask him many questions about Muhammad and his call. Abu Sufyan's testimony went as follows:
Hercules asked Abu Sufyan about Muhammad's descendence.
Abu Sufyan told him that he descends from a noble family.

Hercules said: "Did any one of his family assume kingship?"
Abu Sufyan told him that no one of his family assumed kingship.
Hercules said: "What is the character of his followers?"
Abu Sufyan told him that his followers are those deemed weak with numbers ever growing.
Hercules said: "Did he tell lie or betray?"

No one, however, dared to say something regarding his morals or hurl him with treachery or attribute lying in speech or breaking promise to him. Whosoever claimed prophecy and said Allah has revealed to me, he claimed infallibility and innocence from all causes of corruptions and evils. Was not it suffice that Quraysh's reply to the Messenger mentioning matters untruthfully done by the Prophet and testifying that he broke promise or being treacherous in their riches or belying them in something said to them? Quraysh spent their property and sacrificed themselves in fighting him till a lot of them had been killed and wounded, but they couldn't stain or brand his great manners. All the Prophet's conditions, affairs and guidance are apparent and well known to the people, his enemies and lovers and every thing was revealed to them. One day, Quraysh's leaders met together in their council, among them was Al-Nadr Ibn Al-Harith who was a dept and sophisticated and knowledgeable of experiences, then the Prophet was mentioned, and he said to them: "O Quraysh, Muhammad's matter had troubled you, and you failed to make up an opinion regarding him. Muhammad had been brought up among you till he reached maturity of age. He was the most beloved, truthful and honest man to you, so when he displayed his matter on you, you accused him of magic, poetry and insanity. I swear by Allah that there is nothing of what you had mentioned in his speech".

Abu Jahl was an archenemy to the Prophet. He said to him one day: "O Muhammad, I will not say that you are a liar, but I deny what you had come with and called for. Then, Allah revealed this verse:

﴿We already know that surely it indeed grieves you (the

The Real Grace Is The Enemy's Testimony

A part of a lecture delivered (in Arabic) by:

The Islamic caller: S. S. An-Nadwi

I would like to attract your attention to another matter: The messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, didn't spend all his lifetime among his companions. He spent forty years in Mecca before mission. In Mecca, there were the polytheists of Quraysh. The Prophet transacted and dealt with them in all life affairs by day and night. This is the daily life, including give and take, which can reveal one's manners so that people can know its corruption or goodness. It is a life of long way, many curves and rough tracks intercepted by depressions made by man including treachery, breaking promise, eating up the riches of people untruthfully, hurdles of trick, treason, giving insufficient measure, denying rights, and breach of promise.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, transcended all these thorny roads sound and pure not tainted by what afflict the common people, to the extent that they called him the truthful and trustworthy. After the Prophet's mission and claiming prophecy, Quraysh saved their riches and deposits with the Prophet due to their great confidence in him. In realty, you know that when the prophet migrated to Mecca, he left Ali Ibn Abi Taleb in his place to repay deposits to its people. Quraysh was at intense enmity with him and left no stone unturned: They boycotted, repelled him from his path, and threw the entrails of an animal on his back during prayer, throwing him with stones, called him poet and witch, refuting his opinions.

on the day of Badr, blaming them on denying knowledge about the Prophet and inevitably he is triumphant over them and the victory to his religion is imminent, by Allah, you had known that vindicating him is a duty. They justified their situation as that day corresponds to Saturday, chiding them saying: "There is no Saturday for you". Since it had been superceded by the successive Shariah coming after Musa. He recommended as saying: "If I become afflicted, I donate my riches to Muhammad doing whatever he wills". He fought on Uhud's day and was honored by martyrdom, the Prophet attested to him as saying: "Mukhayreeq is the best of Jews".

Part of Inimitability Signs

One of inimitability signs Allah, glory be to Him, guided people to Islam who embraced various sects and creeds, among them were the worshippers of idols, deniers, worshippers of fire and others belonging to the People of the Book (Bible and Gospel). Besides, the difference of tongues, colors, homelands, cultures and races, among them was the Persian, Roman, Sudanese, Abyssinian, Arabian and Israeli. This is the miracle of his call as Allah said:

﴿Surely I'm the Messenger of Allah to you altogether.﴾

[Al-Araf (The Battlements): 157]

The nascent state established a humanitarian community under the banner of the Messenger. People of all races still entering the religion of Allah in troops, and praise be to Allah, The Lord of worlds.

They were scorned by the context of the Qura'n due to their bad course in life, since most them retreated from embracing Islam being proud and envious that the message being in Bani Isma'il Ibn Ibrahim and not in the ancestors of Bani Yaqu'b Ibn Iṣhaq Ibn Ibrahim; this is the devastating pride and killing envy.

Fulfilling covenant and a small piece about the elite

A lot of dignitary and venerable religious leaders from Seeds of Israel fulfilled Allah's covenant, including: Abd Allah Ibn Sallam from the offspring of Joseph, may Allah be pleased with him, who said to his aunt on the day of the prophet's advent, he is the brother of Musa Ibn Imran, Allah pay tribute to him in the Qur'an, since he admonished the Arab polytheists saying you know that he is the messenger of Allah sent to people with the truth in order to deter them from their pride and arrogance, Allah, glory be to Him, said:

﴿Say, "Have you seen that in case it is from the Providence of Allah, and you have disbelieved in it, and a witness from among the Seeds of Israel testifies to its like, and has believed, and you wax proud. Surely, Allah doesn't guide the unjust people.﴾ **[Al-Ahqaf (The Sand-Dunes):10]**

This noble verse included praise to the people of knowledge applying it, and those who are humble for the sake of Allah and comply under the banner of the Messenger, with despising disbelief and aggression and incorrect meditation in pursuit of right.

The generous jurist martyr, Mukhayreeq, one of Bany Thalaba. He is well remembered when he blamed his clan from the Seeds of Israel for not supporting the messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and believing in him when Mecca's polytheists mobilized their power to take revenge

believe in the Arab illiterate Prophet. Every adult male or female has to believe in the prophet, be under his banner, vindicate his religion and follow his Sunnah; whosoever is reluctant, he is from losers.

In the light of glad tidings

In the light of glad tidings, signs and indications, history witnessed a great movement of announcing glad tidings that he is about to appear, the seal of all prophets and messengers. The monks and rabbis started talking about him and looking eagerly to his advent and break his dawn.

Therefore, immense number of the People of the Book came to Syria and parts of the Arabia asking and searching for news and talking about the prophet's near coming, whose name and characteristic of time mentioned in the verses of the Divine revelation.

If dispute intensified between the Seeds of Israel in Yathrib and the adjacent quarters and the Arab poletheists from Al-Aws and Al-Khazraj, they menaced them with the prophet's imminent coming and as soon as he appears, they will believe in him since he is the brother of Musa Ibn Imran, so that they would become impregnable power making them worthy of victory over the Arab polytheists.

Allah mentioned their story in Surat Al-Baqarah (The Cow):

﴿And as soon as a Book came to them from the Providence of Allah, sincerely (verifying) what was with them-and they aforetime prayed for an opening over the ones who disbelieved-yet, as soon as there come to them what they recognized, they disbelieved in it; so the curse of Allah is on the disbelievers.﴾ **[Al-Baqarah (The Cow): 89].**

and kindness, they see for the first time that there is no authority for self over another self, there is no self shall has benefit or harm to another self and there is no self shall be encumbered by the encumbrance of another self. Every man shall be pledged for whatever he has earned and responsible before Allah. Allah needs neither intermediary nor intercessor between him and his servants to be merciful for them. Allah knows their secret and private conference. He sees whatever is overt or covert of their affairs. If the servant said: "O My Lord". Allah will say: "My servant, here! I'm at your service!"
The Islamic conquest was mercy, light and complete blessing.

A Light from Zamzam

Before mission, Khaled Ibn Said Ibn Al-Ass saw a light emanated from Zamzam will lit to him till Yathreb's dates appeared to him. He related it to his brother, Amr, who said to him that the wall was dug after being effaced. This light will issue out from the household of Abd Al-Mutalib.

This light spurred Khaled Ibn Said to embrace Islam. After migrating, he embraced Islam following Abu Bakr. He was ranked as the third, the fourth or fifth among the outstrippers. He migrated with his brother Amr and their wives to Abyssinia, may Allah be pleased with them.

A light from Bible and Gospel

It is the glad tidings about his character, may the blessing and peace of Allah be upon him, that he is about to come and the signs of his birth through the Divine revelation to all Prophets, Messengers and the Heavenly Books including Bible and Gospel.

Allah, The Lord of heavens and earth and The Sustainer of all creatures, took pact with the Prophets and Messengers to

are not called terrorism in his custom! It is wonderful that all these war crimes and atrocities made him in the sight of U.S. president, George W. Bush, a peace man and how the Palestinian president, sieged by troops armed to the teeth and intimidated by launching missiles against his headquarters, be asked to stop terrorist acts.

﴿And definitely let not the ones who have disbelieved reckon that We reprieve them only (because) it is charitable for themselves; surely We only reprieve them that they might increase in vice, and they shall have a degrading torment.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran): 178]

The Sun Of Guidance Lit The Universe

By: A. M. Tahoun

He is the light that shined upon the world and brought as good tidings by Prophets. People were eager to a new dawn as Amina daughter of Wahab said: "When Muhammad was born, there was a light that issued out of my pudendum and lit the palaces of Syria".

Ibn Ishaq said: "A group of the Prophet's companions, may the blessing and peace of Allah be upon him, said to him: "O Messenger of Allah, tell us about yourself?" He said: "I'm the invocation of my father Ibrahim and the glad tidings of my brother Isa, and when my mother was pregnant, she dreamt that a light got out and lightened the palaces of Syria".

This light symbolizes the universality of his message, as Allah has given him the conquest of countries to which the Islamic Caliphate was moved in Bani Omya's era. The callers to Allah and conquest armies flowed from these countries till they reached the Mediterranean shore from the European side, encompassed it from both sides. People were cheerful about the blessings of the call to prayer in Muslim Spain, Sicily, France and Italy. People also knew the light of knowledge and the Qura'n's guidance. They were reassured by justice, humbleness

﴿ Whenever they kindle fire for war, Allah will extinguish it and they endeavour (diligently) in the earth doing corruption; and Allah doesn't like the curruptors﴾ **[Al-Maidah (The Table): 64]**

By Dr. Ibrahim Al-Assil

Genocide war, launched by Ariel Sharon using all kinds of sophisticated weapons, all sorts of killing, mutilation and demolition of houses over the heads of their residents, is directed to armless young men, children, women,and eldrly people. Not only did he use tanks, F 16 fighters, helicopters, mortar artillery, missiles and bulldozers to demolish houses and infrastructure, but also to tear the bodies of martyrs into remainders and bury them in the bowels of earth in order to hide his cruelty.

In addition, he prevents ambulances from performing its humanitarian role towards the wounded and injured, depending on U. S. absolute support. The world views daily on T.V. the demolished buildings over the heads of their owners, mutilating young men, sieging them, including Palestinian authority men, topped by the Palestinian president Yaser Arfat. The siege includes preventing the blockaded from food, water and separating them from the external world.

It is wonderful that all these acts, contrary to the simplest principles of civilization and religions, are encouraged by the majority of the Israeli people, including religious leaders claiming adherence to the Bible texts, about which Allah, glory be to Him, said:

﴿Wherein there is (a) guidance to and a light.﴾

[Al-Maidah (The Table): 44]

Sharon attempts to deceive the world and his people through branding the defense about rights and uprising against occupation and injustice as terrorism, while what he does is not terrorism. Such acts as demolition of buildings, arresting young men blindfolded and severely beaten, leaving the wounded bleeding till death and preventing the sick and the pregnant women from reaching hospitals

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabee'a Awwal 1423 A. H

ENGLISH SECTION

MAy. 2002

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

● فى ذكرى المولد النبوى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ٣٠٦
● مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر
متابعة/ أحمد تقى الدين ٣١٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ٣٥٠
● توجيهات تربوية من القرآن الكريم
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى ٣٥٤
● من طاعة الله وعبادته
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٣٥٩
● مواقف إسلامية
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٣٦٣
● أهديك التحية ضارعًا (قصيدة)
لفضيلة الشيخ/محمد أحمد الطاهر الحامدى ٣٦٧
● لسنا إرهابيين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٣٧٠
● الإسلام وحقوق الإنسان
للأستاذ الدكتور/ عبدالغفار حامد هلال ٣٧٣
● الإسلام يخاطب المستقبل
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٣٧٩
● فلسفة العقوبات فى التشريع الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٣٨٣
● دعوة إلى العرب (قصيدة)
للأستاذ/ كمال النجمى ٣٨٧
● كتاب الشهر
حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
عرض وتقديم ا.د./ إبراهيم عوضين ٣٩٠
● فرعون
للأستاذ/ فكرى ياسين ٣٩٩
● حضارة قوم نوح
للدكتور/ على أحمد على ٤٠٣
● اغتيال إسلامية فيلسوف
للدكتور/ محمد عمارة ٤٠٩
● من أعلام الأزهر:
الشيخ محمد حافظ سليمان
للأستاذ/ حمدى أبو السعود ٤١٥
● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٤١٨
● منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته
لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف ٤٢٠
● الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ٤٢٥
● مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٤٣١
● قصة العدد
للأستاذ/ أحمد التاجى ٤٣٦
● قراءة فى الأدب الصهيونى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٤٤١
● سقوط الأقنعة
لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدى ٤٤٦
● حول مصادر التفسير
للأستاذ/ توفيق العبقرى ٤٤٩
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ٤٥٣
● فى أجواء السعادة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٤٥٧
● بيان القرآن عن تكوين الإنسان
للدكتور/ محمود خطاب ٤٦٠
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٤٦٤
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٤٦٩
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٤٧٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٤٧٨
● القسم الإنجليزى ٤٨٥

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- النص القرآنى هو الفيصل

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

- فى الأصول القرآنية للتربية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

- سماحة الإسلام

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

- هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية .... ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

ربيع الآخر ١٤٢٣هـ - يوليو ٢٠٠٢م - الجزء الرابع - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

النّص القرآني

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾(١).

نقرأ بعض الدراسات التاريخيّة التى تمتُّ إلى كتاب اللّه، إذ تَحدث القرآن عن فحواها، بما يجب أن يكون منطقا فصلاً لا جدال فيه، فلا تجد ما يدل على أن الباحث قد بذل جهده فى إيضاح الحقيقة على وجهها الذى جاء به القرآن الكريم بل تراه وهو المسلم العربى يذكر عدّة روايات تخالف ما جاء فى الذكر الحكيم، ويترك المسألة دون حسم، بل يترك القارئ غير البصير فى حيرة مما يقرأ، لا يدرى إلى أى منحى يتجّه، إذا لم يَكُن لديه من الحصانة الإسلامّية ما يردُّ عنه الأوهام المتخيلة، وأنت تحار فى تعليل ذلك النهج المريب، إذ لو صحّ أن يُسلَك من قوم يضطغنون على الإسلام فإّن اضطغانهم عليه يفضح ما يقومون به من تدليس، أما أن نكتب البحوث التاريخيّة ذات الاتصال الأكيد بنصوص القرآن، ثم نبتر النتائج بترا، أو نلوى المقدمات لياً، لندع القارئ فى مهب الريح، فهذا ما ينكره أسلوب البحث النزيه، لأن حقائق القرآن ثابتة أكيدة، وما عرفنا فى كتاب الله نصا واحدا يجانب الصواب الواضح، حتى نتهرب عامدين من ترجيح النص الكريم، وإبطال ما عداه، لاسيما إذا كان لدينا الدليل الحاسم من الآثار الشاهدة، المنقوشة على الجدران، والتى لم تستطع الدهور المتطاولة أن تطمس حقائقها المتفقة مع ما ينطق به كتاب اللّه، نقول هذا لمن يتردّدون فى التصديق من غير المسلمين، أما الباحث المسلم فلا مجال لديه للانتظار حتى نعثر على أثر قديم، لأنه يعلم يقينا أن كتاب اللّه:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢).

---

(١) النمل: (٢٢).

(٢) فصلت: ٤٢.

ـى هــو الفيصــل

مثـــــل كاشـــف

نعلم جميعا أن سبأ مملكة يمنية من بلاد العرب السعيدة، وأن ملكتها قد زارت سليمان -عليه السلام -وقد حكى القرآن الكريم فى سورة النمل حديث هذه الزيارة وما انتهت إليه من إسلام الملكة بعد اقتناع، إذ تَسلْسَلَتِ الأحداثُ مبتدئةً بغيبة الهدهد عن موضعه، حين تفقد سليمان الطير فلم يجده، فسأل عنه متوعدا، ولكنّ الغائب قد جاء بخبر جديد عن سبأ، إذ رأى الهدهد امرأة تملك الناس، وقد أوتيت من كل شئ حظا، ولكنها كقومها يعبدون الشمس من دون الله، وهذا ما شغل سليمان فبعث إليها بكتابه يدعوها إلى مملكته مسلمة طائعة، ولم تكن بلقيس ذات استبداد وتفرد، فجمعت قومها لتقول لهم : ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، وطبيعى أن يُبدوا استعدادَهم للدفاع، ولكنّ الملكة الحازمة آثرت السّلام فأرسلت بهدية ثمينة إلى الملك الحكيم، ظانة أنها بهديتها، تمنع الشقاق، ولكن سليمان كان يصر على أن ينقذ سبأ من الشرك، فحذر وتوعدّ بجنود لا قبل للقوم بها، فأذعنت لمشيئة الملك، وحضرت إليه لترى وتسمع ما أقنعها بضلالها فقالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣).

هذا بعض ما أشار إليه القرآن من حديث بلقيس، وقد أكدت الآثار السبئية حقائقه بما سنشير إليه بعدُ، وما أظنّ باحثا صادق النّظر، يرى الأثر الشاهد، ثم يلجأ إلى الإنكار، فإذا

(٣) النمل: ٤٤.

كان الباحث مسلما، وألم بالقصّة فى كتاب اللّه، وما بسطه المؤرخون فى الكتب الثابتة، وتأكد مما سجلته النّقوش منذ عشرات القرون، فليس له أن يترك الأمر دون ترجيح.

ولكننا نرى الباحث يذكر الرواية الإسلاميّة، ويصفها بالرواية العربيّة ليقرنها بأسطورة تزعم أن ملكة حَبشيّة جاءت من أفريقيا إلى أورشليم، لتزور سليمان، ومُوجَزُ هذه الأسطورة التى سردها الباحث مَسْرَدَ التاريخ الواقعى الذى لم يُزخرِفْه الخيالُ الواهم، أنّ ملكة إثيوبيا كانت ذاتَ حظ باهر من الجمال، وأنها سمعت من البحّارة الذين يترددون على أورشليم بحكمة سليمان وعظمة سلطانه، وكان لها من ثرائها الطائل وإبلها القوية وسفنها الواسعة التى تُكون أسطولاً بحريًا ضخمًا ما حبب إليها أن تزور سليمان، حاشدةً ما يبهر من الخيول والبغال والإبل محملة بغرائب الهدايا ونفائس الأعلاق، وقد رحّب بها سليمان أبلغ ترحيب، وأفرد لها جناحا خاصا فى قصره، وجعل يكثر من زيارتها متحدثا بما أنعم الله عليه من السلطان إذ عرف منطق الطير، وملك أمر الريح، وسخر الجن والشياطين لبناء هيكله، ثم تزوجها وأنجبت منه ولدا أسمته (منيليك) ومعناه ابن الحكيم وقد شب فى كنف والده فتعلم منه الحكمة حتى إذا اشتد عوده رجع إلى الحبشة ليكونَ ملكاً بعد وفاة أمّه، ومِنْ نَسله جاءت الأسرةُ الحاكمةُ فى الحبشة الّتى كان آخر ملوكها الإمبراطور هيلاسلاسى، وقد جاءَ فى نفس الدستور الإثيوبى - لعهده - أنّهُ من سلالة سليمان الحكيم ابن داود، من سبط يهوذا، وهو الأسد القاهر المختار من الرب، ملك ملوك إثيوبيا!

هذه خلاصة مركزة لما ذكره الباحث، عقب الرواية الأولى وقدْ تَركَ الأمر دون تعقيب!! فهل كان يظن أن الأسطورة المُلَفّقة، تقفُ مع النّص القرآنى فى مستوىً واحد، وإذا جاز لمن كتبوا سير ملوك الحبشة أن يبتدعُوا من الأوهام ما يشاءون، أيجوز لنا أنْ ننظر إلى النص القرآنى وكأنه تأليف بشرىّ يخطئ ويصيب!

ضباب كثيف

على أن ما ملأ به الباحث كتابه من شكوك متكرّرة فى أكثر ما بأيدينا من تاريخ اليمن، يُلقى ضبابا كثيفا يغمر الحقائق الثابتة، فمن الجائز أن تكون المصادر العربيّة لم تستوف هذا التاريخ فى عصوره البعيدة، شأن أكثر التواريخ فى العالم القديم ومن الجائز أن يكون فيما كُتب عن هذا التاريخ البعيد تضارب يقذف بالحيرة الشديدة فى نفس من لم يألف هذا التضارب المتكرّر فى الروايات المتناقضة، ومن الجائز أن يصح قول ابن خلدون فى مقدمة الجزء الأول من تاريخه أن من الأخبار الواهية ما ينقله المؤرخون عن أخبار التبابعة إذ

كانوا يغزون بلاد البربر بأفريقيا، وأنهم امتدوا بالغزو إلى أقصى بلاد الصين، ودوّخوا بلاد الروم، لأن وقوع اليمن بين بحر الهند من الجنوب، وبحر فارس من الشرق وبحر السويس من الغرب، مما يبعد أن تنتقل الجيوش إلى أفريقيا وأقاصى آسيا دون أن تحتل ما تزحف عليه من الممالك، ولم ينقل أحد من مؤرخى هذه البلاد أن التبابعة قد عبروا بها فضلا عن أن يملكوها!

أقول من الجائز أن يكون ما ذكره ابن خلدون(٤)، وأكدّه الأستاذ نيكلسون فيما بعد صحيحا لا لبس فيه، ولكن ذلك كلّه بعيد كلّ البعد عن الحقائق الثابتة فى تاريخ سليمان وبلقيس، وما قامت به الملكة المسلمة من رحلة استكشافية انتقلت بها من الكفر إلى الإيمان، وقد كان انتقالها من سبأ لا من الحبشة حيث يمتد الطريق فى الجزيرة العربيّة بين صنعاء وأورشليم، دون أن توجد العوائق التى أشار إليها ابن خلدون فى حديثه عن التبابعة! وأين حديث التبابعة من حديث بلقيس! فهذا الضباب الذى يثيره الباحث حول التاريخ اليمنى، لا يعصف بالحقائق التى تسطع فى نور الشمس واضحة سافرة، وإذا كان التاريخ فى عصره القديم قد تعّرض لتزيّد، فليس جميعه ملفقا أو حتى القصص الخياليّة، ولكن منه ما يستعصى على الهدم، وما يخضع للشك والتوهين.

ليسوا وحدهم

على أن العرب ليسوا وحدهم الذى دوّنوا تاريخ اليمن القديم، فنحن نعلم أنّ المؤرخ اليونانى استرابون قد كتب فصلا رائعا عن مدن العرب، وهو من أوائل من أسموا بلاد اليمن بالبلاد السعيدة، ذاكرا ما حفلت به قديما من الرفاهية والازدهار الحضارى حتى أن اليمنيين كانوا يحرقون الأعواد الفواحة فى الوقود ذات الرائحة الجذابة بدلا من الأعشاب، كما أن بطليموس المؤرخ الجغرافى قد خصّ هذه الربوع بتفصيل شافٍ لما أجمله استرابون، وتوالى المحدثون من الرحالة الأوروبيين كى يكتشفوا الآثار فى مأرب، ومنهم من نقل كثيرا من الألواح والأحجار لتجد مكانها فى المتاحف الأثرية شاهدة بالحضارة السبئية، وقد تحدث (أرفود) سنة ١٨٤٣ وهاليفى (١٨٦٠) (وجلازر) سنة ١٨٨٠ عن آثار بلقيس، وعن الأودية العظيمة التى قام حولها سد مأرب ليحفظ المياه، إذ رأوا آثار السد، ورسموا موقعه، ووصفوا ما غمره من الأتربة بعد تقادم العهد، وفى متحف (ترمى) بروما كثير من آثار السبئيين، وقد أفردت كتب أوروبية تحدثت عن آثار سبأ، حيث يضيف التالى

---

(٤) الجزء الأول من المقدمة ص١٢.

لسابقه جديدا مما يتمخض عنه الكشف العلمى، إلى أن ظهرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٤ / ١٠ / ١٩٨٣ معلنة عن الكشف الجديد عن معبد بلقيس ناقلة صورتين للمعبد والسّد وذلك تحت عنوان جهير يقول: (آثار سبأ تتأكد بالدليل المادى كما وردت فى القرآن الكريم) وقد أكدت هذه الآثار رحلة بلقيس إلى بيت المقدّس، وعبادة السبئيين للشمس قبل أن يهتدوا لعبادة الله، فماذا عسى أن يقول من يتجاهلون الحقائق، وقد أيدت بالدليل، وإذا كان أباطرة الحبشة يجدون فى انتسابهم إلى بلقيس وسليمان الحكيم، ما يثبت عراقتهم الأصيلة فى حكم أثيوبيا، فيؤكدون أسطورة لا تنهض على أساسٍ ما، أفما يكون من حق المؤرّخ أن يكشف الرغوة عن الصريح.

سد مأرب

يرجّح كثير من المؤرخين والمفسّرين معا أن بلقيس هى التىّ أشارت ببناء سد مأرب، إذ عمدت إلى الجبال المنفرجة ذات الشعب، فأقامت السدود الحائلة دون تدفق المياه وضياعها فى القفار، لتظل زاخرة وراء السدود، وقدْ أقيمت على هيئة أبواب ثلاثة بعضها فوق بعض، فيُفتح الباب الأعلى عند ارتفاع المدّ، ثم يفتحُ الباب الثانى عند توسّطه، فإذا انخفض المستوى فُتح الباب الثالث، فاستمرت المياه بهذا الترتيب على مدى العام، حتّى تسقط الأمطار فى العام التالى فتتكررُ الدورة دون انقطاع، هذه السدود لها آثارها الباقية إلى اليوم، وقد أخذتْ لها المصّورات المتعّددة لتتحدثَ عن تاريخها الغابر، ولولا ما أحدثه السدُّ من ازدهار حيوى ما كانت سبأ فى ماضيها الغابر ذات حدائق ومروج تصديقا لقول الله -عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾(٥).

والجنتان هما الضفتان المتقابلتان على ضفاف السدّ الممتد، فكلُّ ناحية تُعتبر جنّةً قائمة بذاتها، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ثم مضت بلقيس، وتقلّبت الأيام بالسدّ فلمْ يقو على الصّدع المتوالى بقوة المياه الزاخرة، ولو وَجَدَ من أرباب الحكم والعلم من رَأَبُوا الصّدُوع قبل أن تنّهار لدامَ لهذه البلاد عمرانها الزاهر، ولكن ساكنيها قد أعرضوا عن الحق، وأهملوا الرعاية الحافظة فجاءهم سيل العرم ليشردهم فى البلاد النائية أيدى سبأ، ولعّل المناسبة واضحّة جلّية بين هذه الآيات المبتدئة بقول الله – عز وجل:

---

(٥) سبأ: (١٥).

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ .

وبين ما سبقها من حديث سليمان – عليه السلام – إذ قال الله –عز وجل:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾(٦).

إلى قوله عز وجل:

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾(٧).

لأن سبأ المزدهرة العامرة فى عهد بلقيس كانت ثمرة من ثمار نبىّ الله سليمان، حيثُ أنقذهم من عبادة الشمس وهداهم إلى الإسلام، فاستطاعت الملكة المؤمنة أن تؤدى دورها العمرانى واثقةً من فضل اللّه ورعايته، فلَّما تحدثت الآيات السابقة عن سلطان سليمان، توالَى الحديث القرآنى عن سبأ التى سعدت بالإيمان على يده، فازدهرت وأينعتْ، ثم حادت عن السبيلّ بعد أمدٍ ما فلاقت سوء المصير، وهذا ما ينطق به قول الله:

﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(٨).

ولنا بعد هذا كلّه فى حاجة إلى أن نقول إن حديث الملكة الحبشيّة من أساطير الأولين.

د./ محمد رجب البيومي

(٦) سبأ: (١٢).

(٧) سبأ: (١٤).

(٨) سبأ: (١٦، ١٧).

الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف

- كلمة السيد رئيس الجمهورية
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف

إعداد: أحمد تقى الدين

كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وجه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية كلمة إلى الأمة الإسلامية أكد فيها أن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى الرسالة الإسلامية العظيمة وإنها العاصم الوحيد للبشرية من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم الأقوياء للضعفاء.

وفيما يلى نص الكلمة التى ألقاها سيادته:

العلماء الأجلاء

الأخوة والأخوات

فى هذه الليلة المباركة، يطل من جانب الأفق نور وضياء.. حينما تحل على أمتنا وعلى العالم كله ذكرى نبى كريم، بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل منه أسوة لجميع المؤمنين.. ينهلون من سيرته العذبة، ويلتمسون الهداية والرشد بمتابعته فى أحواله كلها.. فى السراء وفى الضراء، وفى اليسر والعسر على السواء.

وقـد اعـتـدنا - نحن المؤمنين بالله وكـتـبـه ورسله - اعـتـدنا أن تكون لنا مع هذه الذكـرى فى كل عـام وقـفـة، تـتـجـدد مـعـالمها بتـجـدد التحديات التى تواجهنا، وتتواصل فيها الآمال الكبيرة التى تملأ عقولنا وقلوبنا فى حياة افضل ملؤها المحبة والإخاء، تقوم على العدل والانصاف والتسـاوى فى الحـقـوق والالتـزامـات، وتسـعـى لتحقيق الترابط بين الأمم والمجتمعات وللحيلولة دون دعـاوى الكـراهيـة والبـغـضـاء، فى إطار من الإيمان الصادق بالرسالة السامية التى حملها لنا رسولنا الكريم، والوعى المتجدد بخصـوصـياتنا الدينيـة والثـقـافـيـة والتـاريخـيـة، التى تـشكل رصيدنا القومى الذى نسهم من خلاله فى إثراء التعاون والتكامل بين أبناء البشرية جمعاء.

وقـد حـرصنا فى كل عـام على أن تكون لنا وقفتان لاتنفصل إحداهما عن الأخرى.. وقفه مع صـاحـب هذه الذكـرى النبى الكريم ﷺ، الذى أدبه ربه فـأحـسـن تـأديبـه، ثم شـهـد له بالكمال الإنسانى فخاطبه قائلاً:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.. ووقـفـة أخـرى مع الرسـالة الإسـلامـيـة العـالمية الخـالدة التى جـاءت رحـمـة للناس وتخفيفًا عنهم، وترشيداً وهداية لمسيرة الإنسانية كلها مصداقا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

تلك الرسالة التى حـملت نداء إلى كل الأمم والشعوب أن:

﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.

كلمة نتعاهد فيها جميعا على الإيمان بالله وكتبه ورسله، لا فرق بين أحد من رسله، وعلى أن نقـيـم العـدل وننشر الرحـمـة، ونجنح للسـلام ونتعـاون على البر والتـقـوى ونقف صـفـا واحـدا ضد الظلم والإثم والعدوان.

فأما النبى الكريم الذى نحتفل بذكرى مولده فحسبنا أن نشير من سيرته إلى أمور ثلاثة:

أولهـا إيمانه بربه واطمئنانه إلى صدق وعده، وثقته التى لاتهتز أبدا بنصره وتأييده حتى فى لحظات الشدة والبأس التى تدعو عامة الناس إلى الشعور بالإحـبـاط واليأس.. فهـا هو ﷺ يريد بقومه خيراً ورشداً فيذهب إليهم مبلغا رسالة ربه ناشـراً دعوتـه الإنسـانيـة الكريمـة، فـلا يلقى منهم إلا صـداً وأذى وإهانة، فيرفع يديه مناجيًا ربه فى ساعة الشدة، شاكيا ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، فيعززه الله بقوة من عنده ويفـتـح له السـبـل والحـيـل لنشـر دعـوته، وينصـره عـلى من عـاداه، ويعـز به دين الإسـلام ويضعه فى أعلى الدرجات.

ومع هذا الصبـر على المحن والشـدائد كـانت العـزيمـة التى لا تلين والإصـرار على الحق الذى يرتفع فوق دواعى الضعف واغراء القوة فقد كان « ﷺ » مثالا للقائد صاحب الرسالة لايقاتل طلبًا لمغنم أو استعراضا لقوة او استعلاء على الآخرين ولذا لـم يـدركـه الـغـرور فى سـاعـات النـصـر فنراه عام الفتح داخلاً مكة التى آذته واخرجته يحف به جيش من عشرة آلاف من المسلمين فيمنح أهل قـريش الأمـان والسـلام ويعلم أصحـابه الا

يصفون هذا اليوم بأنه يوم الملحمة الذى اذل الله فيه قريشا وإنما يصفونه بأنه يوم المرحمة الذى اعز الله فيه قريشا .

وثانى مانشير اليه من أمور أنه « ﷺ » كان نبيا يوحى اليه وكان – مع ذلك – قمة فى الإنسانية تمتلىء حياته بكل ماتمتلىء به حياة سائر الناس من يسر وعسر ومن راحة وعناء ومن حزن وفرح ومن علاقات بأهلة وعشيرته فقدم لنا المثل والقدوة الحسنة وترك لنا دليلاً إن اتبعناه صلحت أمورنا وتعاظم شأننا وتعاظم معه شأن الإسلام والمسلمين .. وبهذه البشرية اقتربت سيرته الطاهرة من عقول المؤمنين برسالته ومن قلوبهم فسهلت عليهم اتباعه والتأسى به ولذلك لاتزال سيرته الشريفة تعيش حية بيننا ولاتزال أقواله وافعاله تمس شغاف القلوب .. فإذا قابلتنا فى حياتنا الصعاب وأحاطت بنا المتغيرات رجعنا إلى سيرته نتخذ منها الأسوة ونجد فى إرشاده القويم الأنس والأمن والسكينة والثقة بالله وبالنفس.

أما الأمر الثالث فى سيرته العطرة أنه كان ميسراً ومبشراً فى الأحوال كلها فلم يأمر أحداً بما يجاوز قدرته أو يزيد عن طاقته .. ودعا اصحابه إلى أن ييسروا ولا يعسروا وأن يبشروا ولاينفروا وعلمهم أن يأخذوا من الأعمال مايطيقون .. وقد جمعت عائشة رضى الله عنها هذا التوجه النبوى الكريم بقولها : « ماخير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما » .. ولعلنا والإسلام من حولنا تشوه صورته وينسب إلى أهله واتباعه التشدد والعنف وإكراه الناس على مالا يريدون لعلنا أن نبرز للناس من حولنا هذه القيمة الإسلامية العظيمة قيمة التخفيف عن الناس والتيسير عليهم حتى نعطى الصورة الصحيحة عن الإسلام ويقبل المسلمون على الحياة برؤوس مرفوعة وقلوب مطمئنة وثقة بالنفس تعزز من وضعهم بين الأمم والشعوب وتعطيهم القوة والمنطق اللازمين لكى تستمر الحضارة الإسلامية فى احتلال مكانتها المرموقة بين الحضارات .

الرسالة الخالدة

أيها العلماء الأجلاء

الاخوة والأخوات

أما الرسالة الخالدة التى أنزلت على صاحب هذه الذكرى فهى رسالة السماء إلى أهل الأرض حملها عبر التاريخ موكب قدسى مهيب من الانبياء والرسل كلهم يقول لقومه أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره وكلهم يأمر قومه بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى وهى أمور عظيمة جمعتها آية قرآنية واحدة صلحت ولاتزال صالحة لبناء مجتمعات انسانية فاضلة تحكمها قيم إنسانية رفيعة.

ومعاذ الله - أيها الأخوة والأخوات - أن تقف هذه الرسالة اليوم فى موقف الدفاع او يقف اتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار .. كيف وهى رسالة تحمل الخير كله وتقيم العدل كله وتنشر السلام كله وتعلم الأولين والآخرين أنهم جميعاً لآدم، وأنهم لايتفاضلون بينهم بجنس أو لون أو مال أو جاه، وإنما يتفاضلون بالتقوى وبما يقدمه بعضهم لبعض من عون.

نحتاج إليها اليوم

وما نظن الدنيا كانت فى يوم من أيام تاريخها محتاجة إلى هذه الرسالة العظيمة حاجتها إليها اليوم، وقد نُسيت كلمات الله، وتجنى عليها الجاهلون، وعمل على تشويه صورتها من لايرقبون فى أحد ذمة ولا عهدا.

وحسبنا أن نضع أمام أنفسنا وأمام الدنيا كلها أن هذه الرسالة الخالدة قد تفردت بأمور ثلاثة هى العاصم الوحيد للبشرية اليوم من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم الأقوياء للضعفاء.

تفردت بإعلانها وحدة الأصل الإنسانى، وإلحاحها عليه فى وجه محاولات الاستعلاء والهيمنة ودعاوى التفوق على الآخرين. وتفردت بإعلانها حقيقة التنوع والتعدد فى الوجود الإنسانى.. فالناس وإن كانوا جميعاً لآدم. فإن الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل، ولو شاء سبحانه لجعلهم أمة واحدة.

وتفردت بأن جعلت هذا التنوع والتعدد سبيلا لغنى التجربة الإنسانية ولثراء الحضارة الإسلامية ، كما جعلت منه سبباً للتعارف والتفاعل والتعاون ودافعا للتنافس والتسابق على فعل الخير وأداء ما ينفع الناس.

وعلينا جميعا فى الأمتين العربية والإسلامية أن نبرز هذه الحقائق الكبرى عن نبينا الكريم، وعن تفرد الرسالة الإنسانية التى حملها للدنيا، والتى لانزال - وسنظل - نحملها من بعده، دعاة للخير وللعدل والسلام، ودعاة للتعارف والتواصل، مؤمنين بأن العالم اليوم فى أشد الحاجة إلى أن يرهف السمع لكلمات السماء، وأن يهتدى برسالات الأنبياء، خاصة وقد استولت على كثير من العقول دعاوى الطغيان الذى لايبرره

دين ولاتقره عقيدة، والذى يقوم على القوة والسلطة والهيمنة على الآخرين، وبعد أن أوشكت كثير من القلوب أن تبتعد عن قيم العدل والسماحة والمساواة، استغلالا لأوضاع وقتية، وتحقيقا لمكاسب دنيوية زائلة لن تلبث أن تزول مع زوال ما يساندها من عرض دنيوى زائف.

السادة العلماء:

لقد كان لنا لقاء مبارك كهذا اللقاء فى ليلة القدر من شهر رمضان الماضى، وكان من حديثى إليكم وإلى من شاركونا ذلك اللقاء دعوة وضعتها أمانة بين أيديكم، لنتأمل معا فى مضمون الخطاب الدينى الذى يتوجه به العلماء والخطباء إلى جماهير الناس وفى أسلوب ذلك الخطاب. ولست فى حاجة إلى أن أؤكد لكم - ولجماهير أمتنا العربية والإسلامية - أن هذه الدعوة تنبع من كوننا وحدنا أصحاب الحق الأول والأخير فى تحديد عناصر ثقافتنا وعقيدتنا وقيمنا استنادا لرؤية واضحة ومعتدلة لديانتنا الإسلامية ولسيرة نبينا الكريم، تبرز خصوصيتنا القومية التى مكنتنا عبر التاريخ من أداء دور إنسانى تنويرى انتفعت به سائر الحضارات، وتزيد من عمق الوعى الصحيح لدى كل مصرى وكل مصرية بالدين وبمقاصده وأهدافه الكبرى التى نزل بها وحى السماء، وتبرز أن اختلافنا عن الغير فى الدين أو الثقافة أو القيم لايعنى تلقائيا معاداتنا للآخرين، بل يعنى أهمية اتباع نهج رسولنا الكريم بالحوار معهم باستخدام العقل والمنطق، دون غلو أو تطرف فى اطار من تسخير التنوع البشرى لدعم قوى التفاهم والتعاون بين الديانات والحضارات.

وبذلك وحده يؤدى الخطاب الدينى الصحيح دوره المنشود فى بناء مجتمع مترابط قائم على التعاون والتكافل تسوده روح السماحة والمحبة ويسهم فى نشر الرسالة الخالدة لديانتنا الإسلامية السمحاء.

أيها الإخوة والأخوات..

فى هذه الليلة المباركة التى نحتفل فيها بذكرى مولد خاتم الأنبياء، ونحتفل معها بذكرى المصطفين الأخيار من رسل الله وأنبيائه عليهم صلوات الله.. نرفع أكفنا بدعاء ينبعث من أعمق أعماق القلوب.. أن يرفع الله من شأن أمتنا الإسلامية.. وأن يعززها فى مواجهة ما تتعرض له من افتراءات وادعاءات.. وأن يظهر الحق ويدحر الظلم والعدوان.. وأن يمنحنا القوة والعزم والإصرار على أداء الرسالة التى حملنا الله إياها يوم اختارنا لنكون من أتباع رسوله الكريم.

كل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير وعز وسلام..

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وفى كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الإسلام يشجع العلم النافع لإعلاء قدر الفضائل، ويرفض استخدامه فى الشر أو إذلال البشرية.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر العرب والمسلمين بالتجمع حول قضاياهم ونصرة دينهم والتعاون بين بعضهم من منطلق أن أهل الباطل يتجمعون دائما حول باطلهم، لذلك فأهل الحق ـ عربا ومسلمين ـ لابد أن يكونوا يدا واحدة خاصة فى ظل العالم الواحد والعولمة.

وقال: إن على المسلمين أن يدركوا طبيعة العصر الذى يعيشون فيه من صراع القوى والقوة، وأن يستعدوا بكل جدية للتعامل مع الغير بالعلم والمعرفة والقوة ـ أيضا ـ حتى يتحقق إعلاء كلمة الدين وتنهض الأمة.

وأكد أنه لا خلاف بين جميع الأنبياء والرسل عبر كل العصور والرسالات والأديان، ولكل دعوة ظروفها، وإذا كان هناك خلاف فهو فى الفرعيات وليس فى الأصول، وأن العقل هو الأداة الرئيسية فى المعرفة من أجل توصيل الرسالة الصحيحة.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر رجال الدعوة الإسلامية باتباع منهج التدرج فى الدعوة فى كل مراحلها وإخلاص العبادة لله، والتحلى بمكارم الأخلاق، وأن يكون ذلك درساً لكل الناس فى حياتهم حتى تصبح مجتمعاتنا الإسلامية خير المجتمعات بالفعل وليس بالقول.

وقال: إن الشباب مطالب بأن يغضب لدين الله والحفاظ على المقدسات وذلك يحتاج منه إلى الفهم، وليس له أن يتعصب لأمر شخصى مستخدما سلاح الباطل.

وإن المسلمين حكاما ومحكومين مطالبون بعرض الإسلام على الدنيا كلها بشكله السمح وجوهره المستنير، وأن يخاطبوا كل مجتمعات الغرب بعقل وحكمة، والرد على تساؤلاتهم، بل واتهاماتهم للدين بوعى وفهم ومنطق وبلغة تناسب العصر.

وطالب فضيلته المسلمين فى كل العالم بالتأسى بالرسول الكريم ﷺ فى القول والفعل، ذلك أنه إذا كان المربى والقائد تقاس عظمته بمقدار تأثيره فى أتباعه، فإن النبى ﷺ قد ربى أتباعه خير تربية جعلتهم بشهادة الله ـ عز وجل ـ خير أمة أخرجت للناس.

لقد ربى النبى ﷺ أتباعه على الصدق، لأن الصدق فى الأقوال وفى الأفعال يدل على القوة فى الذات، وفى السلوك، والصدق صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ وصفة من صفات رسله الكرام، وصفة من صفات الرسول ﷺ، وصفة من صفات الأخيار.

لقد ربى الرسول ﷺ أصحابه وأتباعه على تحرى الحلال، والابتعاد عن الشبهات فضلا عن المحرمات، كما رباهم ﷺ على حسن الظن بالناس وعلى الصفاء والنقاء، كما ربى الرسول أصحابه على تحرى الحكمة فى أقوالهم وفى أفعالهم، لأن الحكمة ضالة المؤمن والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(١)

لقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على أن يجعلوا الأصل فى حياتهم السلام، فإذا ما فرض عليهم رد العدوان ثبتوا ثبات الأبطال، ودافعوا دفاع الفرسان الشجعان، ومن أقواله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاثبتوا».

كما ربى الرسول أصحابه على التعاون والبر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. التعاون من أجل نصرة المظلوم ومن أجل ردع الظالم، التعاون من أجل نشر الفضائل، ومن أجل إماتة الرذائل، كما أن التعاون سجية من سجايا سيدنا رسول الله ﷺ لازمة، فطنت إليها السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ عندما جاءها الرسول الكريم فى مطلع رسالته وقال لها: «زملونى.. زملونى.. لقد خشيت على نفسى» هنا قالت له السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» أى تعين المظلوم وتعين من هو فى حاجة إلى العون.

ويصور النبى ﷺ سلسلة التعاون بينه وبين الرسل السابقين فيقول: «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله وكمله، إلا موضع لبنة ـ أى إلا موضع حجر منه ـ فكان الناس يطوفون حول هذا البيت ويقولون: ما أجمل هذا البيت وما أحسنه، هلا وضعت فيه هذه اللبنة؟! ويقول الرسول: «فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين والمرسلين» فينبغى أن يكون منهج الرسول ﷺ هو منهج الحكام والمحكومين حتى تنهض شعوبنا وتتقدم كما أراد الله – تعالى – لها، فإن التعاون يقوى الأمم الضعيفة، وإن التنازع والتقاطع والتحاسد يضعف الأمم القوية.

والأزهر الشريف يا سيادة الرئيس امتثالاً لقوله الله عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ ﴾(٢)

يتعاون مع كل الوزارات والهيئات والمؤسسات والأفراد والجماعات، والدراسة فيه والحمد لله تمتاز بالاستقامة والاعتدال والتوسط.

---

(١) البقرة (٢٦٩).

(٢) المائدة (٢).

كلمة وزير الأوقاف

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى كلمته خلال الاحتفال أن مصر كانت وستظل سندا قويا ودرعا واقية لأمتها العربية وخاضت من اجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها من أجل استرداد الحقوق العربية.

قال وزير الأوقاف: إن مصر فى ظل القيادة الحكيمة للرئيس مبارك ستظل وفية لقضايا أمتها مدافعة عن حقوقها ولن تتخلف يوما عن التزاماتها العربية مشيراً إلى أن ما يبذله الرئيس من جهود خارقة فى سبيل القضية الفلسطينية لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من أبناء أمتنا العربية وستثبت الأيام للجميع أن رؤية الرئيس الثاقبة كانت هى الرؤية الواعية المدركة لكل الابعاد والمخاطر والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية.

لقد كانت مصر ولا تزال معنية كل العناية بقضايا أمتها العربية والإسلامية، وكان الأزهر الشريف ولا يزال هو الكعبة العلمية للمسلمين بوصفه موطن الفكر الإسلامى المعتدل الذى يعبر عن وسطية الإسلام التى لا تعرف تعصباً أو غلواً أو تطرفاً.

وعندما وقعت أحداث سبتمبر من العام الماضى، كأن لها انعكاسات سلبية على صورة الإسلام فى العالم، على الرغم من أن الإسلام كدين لا يتحمل بأى حال من الأحوال مسئولية بعض التصرفات التى يقوم بها بعض من ينتمون إلى الإسلام ولو رفع أصحابها شعار الدين، تماما كما لا يتحمل أى دين آخر مسئولية ما يرتكبه بعض أتباعه من أعمال لا تتفق مع مبادئه وتعاليمه.

ومن أجل توضيح الصورة الحقيقية للإسلام أقامت وزارة الأوقاف برعاية كريمة من سيادتكم، وبالتعاون مع الأزهر الشريف المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان: «حقيقة الإسلام فى عالم متغير»، وحضرته وفود من أكثر من سبعين دولة ومنظمة إسلامية عالمية. وقد أكدت الرسالة التى تفضلتم بتوجيهها إلى المؤتمر على حقيقة أن جوهر الأديان بصفة عامة، والدين الإسلامى بصفة خاصة، يتمثل فى صلاح البشر وخيرهم وسعادتهم فى دينهم ودنياهم، ونشر المحبة والإخاء والسلام فى كل مكان، ومن هنا لا يمكن أن تكون الأديان بأى حال من الأحوال مصدراً

للتعصب والكراهية والارهاب وترويع الآمنين.

وقد تركزت بحوث ومناقشات المؤتمر على توضيح حقيقة الإسلام، بوصفه دين الرحمة والسلام والتعايش الايجابىّ بين البشر، وبوصفه دعوة للحوار بين الشعوب والحضارات، ودعوة للتعاون الفعال من أجل بناء مستقبل مشرق للبشرية جمعاء.

وفى تكامل مع أعمال المؤتمر أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مجلدا كبيرا اشترك فى تأليفه مجموعة من العلماء المتخصصين يحمل الرد الإسلامى على العديد من الشبهات القديمة والحديثة التى وجهت ولا تزال توجه إلى الإسلام.

ويسعدنا الليلة أن نقدم لسيادتكم أول نسخة من هذا الكتاب الذى سيترجم إن شاء الله إلى عدد من اللغات الأجنبية ليسهم فى تصحيح صورة الإسلام فى داخل العالم الإسلامى وخارجه.

لقد كان للدعوة الكريمة التى وجهها الرئيس فى حفل ليلة القدر فى شهر رمضان الماضى لتجديد وتطوير الخطاب الدينى أثرها العميق فى العديد من قطاعات المجتمع. وتم طرح هذه الدعوة فى العديد من المنتديات الدينية والثقافية والسياسية والاعلامية ايضا من منطلق أن الخطاب الدينى أمر يهم الجميع، كما أنه من ناحية أخرى يسهم فى تصحيح صورة الإسلام فى الداخل والخارج.

وقد كانت وزارة الأوقاف سباقة فى هذا المجال، ليس فقط عن طريق الندوات التى عقدتها والمطبوعات التى أصدرتها، وانما كذلك على مستوى اللقاءات المباشرة مع الدعاة لتطوير أساليبهم فى الدعوة شكلاً وموضوعًا، والخروج من اطار الاساليب التقليدية التى لم تعد تجدى فتيلاً، وضرورة مخاطبة العقل، والارتفاع بالمستوى الثقافى الدينى للجماهير، والتركيز على القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع واعمار الكون من خلال التقدم العلمى المستمر، والتواصل مع كافة الحضارات والثقافات من أجل الوصول إلى أهداف البشرية فى السلام والاستقرار.

إن الدعم الذى توليه الحكومة بتوجيه من سيادتكم لقطاع الدعوة الإسلامية فى مصر وتطويره قد مكَّن وزارة الأوقاف من الاشراف الكامل على أربع وسبعين ألفا وخمسمائة مسجد وزاوية فى كل أنحاء مصر، وبنهاية العام المالى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م ستكون جميع المساجد والزوايا فى جميع المحافظات قد تم ضمها بمشيئة الله لوزارة الأوقاف، وذلك ضمانا لوصول كلمة الإسلام المعتدلة إلى جماهير المواطنين.

ولا شك فى أن ذلك يتطلب الاعداد الجيد للدعاة بالتعاون مع الأزهر وجامعته التى هى المصدر الرئيسى لتخريج الدعاة. وعلى الرغم من أن المسابقات التى تجريها الوزارة لا تأتى

لنا إلا بأعداد قليلة من الدعاة الا اننا فى وزارة الأوقاف سعداءُ بهذه العناصر الجديدة الشابة التى تضخ دماء جديدة فى شرايين جهاز الدعوة الإسلامية فى مصر. وستواصل الوزارة تكثيف الدورات التدريبية للدعاة حتى نقضى على كل السلبيات فى أداء البعض منهم فى وقت قريب إن شاء الله.

إننى ليست هنا فى مقام الحديث عما تم إنجازه فى وزارة الأوقاف، ولكنى أستسمح سيادتكم فى الإشارة إلى إنجاز هام قامت به هيئة الأوقاف المصرية فى الإسهام فى المشروعات القومية الكبرى، فقد أنجزت الهيئة فى زمن قياسى استصلاح واستزراع خمسة آلاف فدان فى شرق العوينات تمت زراعتها بالمحاصيل المختلفة، وتواصل الهيئة استصلاح بقية المساحة المخصصة لها، والتى تبلغ عشرين ألف فدان طبقًا للبرنامج الذى أعدته فى هذا الصدد عن طريق بعض الشركات الوطنية المتخصصة، وكلنا فى شوق لتشريف سيادتكم لهذه المنطقة للاطلاع على هذا الإنجاز المشرف الذى يسهم فى دعم الاقتصاد الوطنى.

لقد كانت مصر وستظل سندًا قويًا، ودرعًا واقية لأمتها العربية، وقد خاضت من أجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها، وأنفقت عشرات المليارات من الجنيهات من قوت شعبها من أجل استرداد الحقوق العربية، وإن ما تبذلونه ياسيادة الرئيس من جهود خارقة فى سبيل هذه القضية منذ قيادتكم الباسلة لنسور مصر فى العبور العظيم، وحتى اليوم على جميع المستويات لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من أبناء أمتنا العربية، وسوف تثبت الأيام للجميع أن رؤيتكم الثاقبة فى هذا الصدد كانت هى الرؤية الواعية المدركة لكل الأبعاد والمخاطر، والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية، وستظل مصر بقيادتكم الحكيمة وفية لقضايا أمتها مدافعة عن حقوقها، ولن تتخلف يوما عن التزاماتها العربية. نسأل الله أن يحقق للأمة آمالها على يديكم، وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، وأن يحفظكم لمصر، ويحفظ مصر بكم.

***

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى –:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٣٥

وقوله – تعالى –: ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ ﴾ أى: لوحتم وأشرتم به. من التعريض الذى هو ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده، ويصلح للدلالة على غير مقصوده، إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وأصله من عرض الشىء – بضم العين – أى جانبه ومن أمثلته

أن يقول الفقير المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك.. وهو يقصد عطاءه.

و ﴿خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ مخاطبة المرأة أو أوليائها فى أمر زواجها.. والخطبة ـ بكسر الخاء كالجلسة ـ مأخوذة من الخطب أى الشأن لأنها شأن من الشئون وقيل من الخطب لأنها نوع ـ مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة. والمراد خطبة النساء اللائى فارقهن أزواجهن.

و ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أخفيتم وأسررتم من الإكنان وهو الإضمار من غير إعلان.

والمعنى: ولا حرج ولا إثم عليكم أيها الرجال المبتغون للزواج فى التعريض بخطبة المرأة أثناء عدتها لتتزوجوهن بعد انقضائها، كما أنه لا إثم عليكم كذلك فى الرغبة فى الزواج بهن، مع إخفاء ذلك وستره من غير كشف وإعلان لأن التصريح بالخطبة أثناء العدة عمل يتنافى مع آداب الإسلام، ومع تعاليم شريعته، ومع الأخلاق الكريمة، والعقول السليمة، والنفوس الشريفة.

قال القرطبى: قال ابن عطية: «أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص فى تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز وكذلك ما أشبهه وجوز ما عدا ذلك. ولا يجوز التعريض لخطبة المطلقة طلاقا رجعيا إجماعا لأنها كالزوجة. وأما من كانت فى عدة البينونة فالصحيح جواز التعريض لخطبتها»[1].

والتعريض فى خطبة النساء أساليبه مختلفة، ومما ذكره العلماء فى هذا الشأن أن يقول الرجل للمرأة: إنى راغب فى الزواج أو أن يقول لوليها: لا تسبقنى بها إلى غيرى.

ومن أساليب التعريض ما فعله النبى ﷺ مع السيدة أم سلمة، فقد دخل عليها وهى متأيمة من زوجها أبى سلمة فقال لها: «لقد علمت أنى رسول الله وخيرته وموضعى فى قومى» فكان كلامه خطبة لها بأسلوب التعريض.

ومنها ما ذكره صاحب الكشاف عن عبدالله ابن سليمان عن خالته ـ سكينة بنت حنظلة ـ قالت: دخل على أبوجعفر محمد بن على وأنا فى عدتى فقال: قد علمت قرابتى من رسول الله ﷺ وقرابتى من جدى على بن أبى طالب، وموضعى فى العرب، وقدمى فى الإسلام.

قالت: فقلت: غفر الله لك يا أبا جعفر! أتخطبنى فى عدتى وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ وموضعى»[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾.

إلخ معطوف على ما قبله فى الآية السابقة لأن الكلام فى الآيتين فى الأحكام المتعلقة بعدة النساء.

و ﴿ما﴾ فى قوله: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ موصولة.

(١) تفسير القرطبى جـ٣ ص ١٨٨.

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٢.

و ﴿ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ بيـان لما، و ﴿ أل ﴾ فى النساء للعهد والمعهودات هن الزوجات اللائى سبق الحديث عنهن فى الآيات التى قبل هذه.

و ﴿ أَوْ ﴾ فى قوله: ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾ للإباحة أو التخيير، ومفعول أكن محذوف يعود إلى ما الموصولة فى قوله: ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾ والتقدير: أو أكننتموه. و ﴿ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ متعلق باكننتم.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

كالتعليل لما قبله وهو قوله:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾ إلخ.. ونهى عما يُردى ويفسد، وإباحة لما لا ضرر فيه.

أى: علم الله أنكم يا معشر الرجال ستذكرون هؤلاء النسوة المعتدات بما لهن من جمال ومن حسن عشرة ومن غير ذلك من شئونهن وأن تفكروا فيهن وتهفوا إليهن نفوسكم، والله ـ تعالى ـ فضلا منه وكرما قد أباح لكم أن تذكروهن ولكنه ينهاكم عن أن تواعدوهن وعدا سريا بأن تقولوا لهم فى السر ما تستحيون من قوله فى العلن لقبحه ومنافاته للشرع.

وقوله: ﴿ إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ استثناء مما يدل عليه النهى لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا، وهى ما تكون بطريق التلويح والتعريض.

وفى قوله سبحانه:

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ بيان لما جبلت عليه النفس البشرية من ميل فطرى بين الرجال والنساء، والإسلام لا ينكر هذا الميل وإنما يهذبه ويقومه ويصقله بآدابه الحميدة، وتعاليمه السامية.

وقوله: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ استدراك على محذوف دل عليه:

﴿ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ أى: فاذكروهن: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾.

قال القرطبى ما ملخصه: واختلف العلماء فى المراد بالسر فى قوله ـ تعالى ـ: «ولكن لا تواعدوهن سرا» فقيل معناه نكاحا، أى لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجينى بل يعرض إن أراد، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألا تنكح غيره فى استسرار وخفية. هذا قول جمهور أهل العلم.

و«سرا» على هذا التأويل نصب على الحال أى مسرين ـ وسمى النكاح سرا لأن مسببه الذى هو الوطء مما يسر ـ وقيل السر الزنا، أى لا يكونن منكم مواعدة على الزنا فى العدة ثم التزوج بعدها. أى لا تواعدوهن زنا. واختاره الطبرى. ومنه قول الأعشى:

فلا تقربن جارة إن سرها
عليك حرام فانكحن أو تأبدا

أى: «فتزوجها أو ابتعد عنها. وقيل السر الجماع»[٣].

والذى تطمئن إليه النفس أن كلمة «سرا» صفة لموصوف محذوف أى لا تواعدهن وعدا سريا، وأن النهى هنا منصب على كل مواعدة سرية، يقال فيها كل ما ينهى عنه أو يستحيا منه فى العلن، لقبحه أو لأن أوانه لم يحن بعد، إذ السرية أو الخلوة بين الرجل والمرأة لا تؤمن مزالقها. وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[٤] وأن المراد بقوله:

﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ ﴾ هو التعريض بالخطبة، وإظهار المودة بطريقة لا تفضى إلى محرم.

قال صاحب الكشاف فى قوله:

﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ ﴾ وهو أن تعرضوا ولاتصرحوا فإن قلت بم يتعلق حرف الاستثناء؟ قلت: بلا تواعدوهن. أى لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة: أى لا تواعدوهن إلا بالتعريض[٥].

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾

العزم: القطع والتصميم، يقال عزم على الشىء إذا صمم وعقد القلب على فعله، وهو يتعدى بعلى وبنفسه فيقال: عزم الشىء وعزم عليه.

وعقدة النكاح: الارتباط الموثق به. وأصل العقد الشد، والعهود والأنكحة تسمى عقودا لأنها تعقد وتوثق كما يوثق بالحبل.

والمراد بالكتاب هنا الأمر المكتوب المفروض وهو العدة التى حدد الله لها وقتا معينا.

والأجل: هو نهاية المدة التى قررها الشرع للعدة.

والمعنى: لا يسوغ لكم يا معشر الرجال الراغبين فى الزواج من النساء اللائى فارقهن أزواجهن أن تعقدوا العزم نهائيا فى أثناء العدة على أن تتموا الزواج بعدها، بأن تحول الخطبة من التعريض إلى التصريح، أو تبتوا فى أمر الزواج بتا قاطعا بمواعدة أو نحوها، إذ العاقل لا يستعجل أمرا قبل حلول وقته، وإنما الذى يسوغ لكم أن تتموا عقد الزواج بعد انتهاء العدة وبعد أن يكون جو الأحزان قد فتر وجفت حدته.

والنهى عن العزم على عقد النكاح نهى بالأولى عن إبرامه وتنفيذه، لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهى عنه كان الفعل أنهى، فهو كالنهى عن الاقتراب من حدود الله فى قوله:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ ﴾[٦].

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد أباحت شيئين، ونهت عن شيئين: أباحت التعريض

---

(٣) تفسير القرطبى جـ٣ ص ١٩٠.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٢ ص٣٨.

(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٤.

(٦) سورة البقرة الآية (١٨٧).

بالخطبة للمرأة أثناء عدتها، كما أباحت إخفاء هذه الرغبة فى الأنفس وحديثها بها. ويشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾

ونهت عن المواعدة سرا إلا أن يقولوا قولا معروفا عن طريق التعريض، أو أن يسار الرجل المرأة بالقول المعروف الذى أباحه الشرع وارتضته العقول السليمة، والأخلاق الفاضلة، بأن يعدها فى السر بالإحسان إليها والاهتمام بشأنها والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض. أما الشى الثانى الذى نهت عنه فهو العزم على عقدة النكاح قبل انقضاء العدة. ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ ﴾

وبعد هذه الأوامر والنواهى ختم الله ـ تعالى ـ الآية بقوله:

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

أى: اعلموا أيها الناس أن الله ـ تعالى ـ يعلم ما يجول فى نفوسكم من خير أو شر، وما تهجس به خطرات قلوبكم من مقاصد واتجاهات، فاحذروا أن تقصدوا ما هو شر، أو تفعلوا ما هو منكر، واعلموا أنه ـ تعالى ـ غفور لمن تاب وعمل صالحا، حليم لا يعاجل الناس بالعقوبة، ولا يؤاخذهم إلا بما كسبوا.

فالجملة الكريمة تحذير وتبشير، وترغيب وترهيب، لكى لا يتجاسر الناس على ارتكاب ما نهى الله عنه، ولا ييأسوا من رحمته متى تابوا وأنابوا.

هذا، وقد أجمع العلماء على تحريم نكاح المرأة فى عدتها، وإذا حدث مثل هذا النكاح ودخل بها فرق بينهما وفسخ النكاح.

ويرى جمهور العلماء أنها تصير محرمة عليه تحريما مؤبدا، ولا يحل له نكاحها كذلك لأنه استحل ما لا يحل فعوقب بحرمانه، كالقاتل يعاقب بحرمانه من ميراث المقتول. وقيل: يفسخ النكاح ويفرق بينهما فإذا انتهت العدة حلت له ولم يتأبد التحريم. ولكل فريق أدلته المبسوطة فى كتب الفقه.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد أرشدت الناس إلى ما يقره الشرع، ويرتضيه الخلق الكريم، ونهتهم عما يتنافى مع تعاليم الإسلام بأسلوب حكيم جمع بين الشدة واللين، والخوف والرجاء، حتى يثوب المخطئون إلى رشدهم ويقلعوا عن خطئهم.

***

فى الأصول القرآنية للتربية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

تستمد الدراسات التربوية العربية الحديثة مصطلحاتها وأكثر مفاهيمها ونظرياتها العلمية من الفكر التربوى الغربى، الذى نعلم جميعا أنه فكر مادى النشأة نفعى الغاية. وقد هم فريق من الباحثين التربويين العرب المعاصرين بدراسة أصول التربية من منظور إسلامى إلا أن كثيرا من دراساتهم لم تحقق أهدافها، فهى تحيط ولا تغوص تدور ولا تعمق، تومىء ولا تتلمس ومن ثم فقد غامت لديها الرؤى وسرعان ما تبخرت ولم يبق منها سوى الذكرى الطيبة والنيات الحسنة. وفى رأينا أى دراسة تربوية إسلامية تحتاج - لكى تحقق لها المصداقية - إلى قواعد منهجية علمية تنطلق من محورين:

الأول: هو القرآن الكريم ممثلا فى دراسات المفسرين العميقة المؤصلة المنقاة من شوائب الإسرائيليات والموضوعات.

الثانى: السنة النبوية الصحيحة ممثلة فى شروطها الأصلية المنقاة أيضا من الدخيل والمدسوس.

وسوف نتناول فى السطور القادمة قضية تربوية من منظور إسلامى بحت، هى قضية المسئولية التربوية للآباء. وقبل أن نشرع فى تناولها نشير إلى أن هناك عدة مسلمات فى القضية هى:

١- أن الكتابات التربوية الحديثة - ذات المنطلقات الغربية المادية - تشير دائما إلى الدور التربوى للأسرة ولا تعلق المسئولية التربوية فى رقاب الآباء وحدهم، وهى فى هذه النظرة تستند إلى واقع اجتماعى مغاير نسبيا لواقع المجتمعات المسلمة التى لا تخرج فيها المرأة للعمل إلا فى أضيق الحدود وللضرورة. انطلاقا من التشريع القرآنى الحكيم الذى أناط المسئولية المادية عن الأسرة بالآباء فى قوله - تعالى:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٢).

٢- إن هذه النظرة الإسلامية للرجل بوصفه مصدر كسب الأسرة ومورد دخلها لا تعنى انتقاصا من قدر المرأة أو حطا من شأنها. فقد حفظ القرآن الحقوق المادية لطرفى الأسرة كاملة غير منقوصة إذ قال تعالى:

(١) النساء (٣٤).

(٢) البقرة (٢٢٨).

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾(٣).

وقال أيضًا:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾(٤)

سعى الآباء إلى الحصول على الولد

إن حب الذرية مفطور فى النفس الإنسانية فقد اقتضت حكمة الخالق ـ عز وجل ـ أن يجعل المال والبنين زينة الحياة وأن يجعل العلاقة الجنسية بين الزوجين هى وسيلة الحصول على البنين، فلا غرابة أن يكون تشريع الزواج هو المنبع الطبيعى للتكاثر البشرى.

وقد بين القرآن الكريم أن من شأن الإنسان دائما أن يسعى للحصول على الولد. فقد قصّ علينا فى سورة مريم كيف دعا نبى الله زكريا ـ عليه السلام ـ ربه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٥).

فلما جاءته البشرى أذهلته المفاجأة فتساءل متعجبا:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾(٦).

وقد توقف بعض العلماء أمام هذين الموقفين العجيبين: فهو يسأل ربه غلاما، فلما جاءته البشارة بالغلام دُهش وتعجب وتساءل عن الكيفية؟ فقال بعض العلماء: كان بين سؤاله وورود البشرى أربعين سنة(٧) وقال بعضهم: بل تساءل عن الطريقة التى سيهبه الله بها الولد؟ هل يهبه إياه فى حالة الشيخوخة أم سيرده إلى حالة الشباب ثم يهبه؟ فهو ليس تساؤلا على سبيل الاستبعاد أو الاستنكار وإنما هو تساؤل التعجب المشوب بالفرح والسرور(٨).

وحتى لا يذهب الظن بعيدا فيتوقع القارىء الكريم أن زكريا ـ عليه السلام ـ حين دعا فقال:

﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ إنما قصد أحدا من الناس فإننا نذكر القارىء بآيات سورة آل عمران التى جاءت صريحة فى تأكيد دعوة زكريا ـ عليه السلام ـ إنما قصد بها الذرية فقد قال تعالى:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(٩).

---

(٣) النساء (٧).

(٤) النساء (٣٢).

(٥) مريم (٤ : ٦).

(٦) مريم (٨).

(٧) بدرالدين بن جماعة «ت ٧٣٣» كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، تحقيق د. عبدالجواد خلف، باكستان: جامعة الدراسات الإسلامية فى كراتشى ١٩٩٠، ص٢٤٦.

(٨) الرازى «محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر ت ٦٦٦» غرائب آى التنزيل. ط٢ تحقيق إبراهيم عطوة، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٨٥م ص٢١٠.

(٩) آل عمران (٣٨).

وقد ذكر القرآن الكريم فى غير موضع أن الإنعام على الإنسان بالذرية الصالحة نعمة كبرى من النعم الجليلة، ومن ثم فقد امتن الله بها على إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾(١٠).

ومن الأدعية التى وردت فى القرآن الكريم:

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾(١١).

فطلب الذرية إذاً فطرة فطر الله الرجال عليها، فالسعى إليها ليس غريبا على النفس الإنسانية لأن البنين والمال زينة الحياة الدنيا كما قال القرآن الكريم، وإحساس الإنسان بأن له أبناء كثيرين يشعره بالقوة والسيطرة لأنه يستعين بهم فى قضاء حاجاته، ويشعر بأن عمره ممتد ببقائهم من بعده.

اهتمام الآباء بمستقبل أبنائهم

إذا وهب الله للإنسان الأبناء فإنه يجتهد فى رعاية مصالحهم ويسعى لتوفير الحياة الكريمة لهم، ويرشدهم إلى ما فيه الخير لهم فى الدنيا والآخرة ويسعد بهم إذا كانوا أقوياء، ويشفق عليهم إذا آنس منهم ضعفا.

وقد حكى القرآن الكريم مواقف كثيرة للأنبياء مع أبنائهم ظهرت فيها هذه المعانى الكريمة. مثل نبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذى دعا الله ـ تعالى ـ أن يورث الإمامة لأبنائه من بعده. قال تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(١٢).

ومعلوم أن الإمامة التى نالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ هى النبوة والشرف العظيم الذى اختصه الله تعالى به. قال الإمام الفخر الرازى:

«إن الله ـ تعالى ـ لما وعده بأن يجعله إماما للناس حق ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الأديان ـ على شدة اختلافها ـ يعظمون إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويتشرفون بالانتساب إليه إما فى النسب، وإما فى الدين والشريعة.. وقال بعضهم: إنه تعالى أعلمه بأن فى ذريته أنبياء فأراد أن يعلم هل يكون ذلك فى كلهم أم بعضهم فأعلمه سبحانه وتعالى أن فيهم ظالما لا يصلح لذلك»(١٣).

وقد تكرر هذا الطلب فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم وابنه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ فقد دعوا الله ـ تعالى ـ أن ينعم على ذريتهما بنعمة الإسلام إحساساً منهما بأن هذه خير دعوة يدعو بها أب لأبنائه. قال تعالى على لسانهما معا:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾(١٤)

قال الإمام القرطبى: «إنه لم يدع نبى إلا لنفسه

---

(١٠) العنكبوت (٢٧).

(١١) الأحقاف (١٥).

(١٢) البقرة (١٢٤).

(١٣) الفخر الرازى «محمد بن عمر ت ٦٠٤هـ» مفاتيح الغيب ج٤ «م٢» ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م، ص٤٤.

(١٤) البقرة (١٢٨).

ولأمته - إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته - لهذه الأمة. وحكى الطبرى أنه أراد بقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ العرب خاصة، قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن دعوته ظهرت فى العرب وفيمن آمن من غيرهم(١٥).

مما سبق يتضح أن:

١- طلب الولد مشروع لكل أب لأنه بوجود الأولاد تصبح حياة الإنسان أكثر سعادة وبهجة.

٢- وأن من طبيعة الآباء أن يدعوا لأبنائهم بالخير ويؤثروهم بكل ما يرون فيه خيرا لهم فى دنياهم وأخراهم.

وقد نص القرآن الكريم على أن الإنسان إذا خشى على أبنائه من بعده أن ينالهم ضيم أو يقطع عليهم ظلم فإن عليه أن يتقى الله حق تقاته وخصوصا فى معاملته للأيتام من غيره فقال تعالى:

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾(١٦)

قال الزمخشرى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يتقوا الله وأن يخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفا على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، وشفقتهم عليهم أن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة»(١٧).

المسئولية التربوية للآباء

وإذا كان الآباء هم الذين يسعون إلى إنجاب الذرية ويجهدون فى سبيل إسعادها، فإن مسئوليتهم عن تربية أبنائهم تصبح واجبا شرعيا عليهم القيام به ويمكننا من خلال نصوص القرآن الكريم - وحدها - أن نستنبط حدود تلك المسئولية ونجمله فيما يلى:

أولاً: النصح لهم:

وذلك ببيان طريق السعادة أمامهم ولفت انتباههم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة كما نرى فى قوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١٨).

وقد تكرر هذا الموقف فى موضوع آخر ذكره القرآن الكريم على لسان إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - فى الآية السابقة على الآية المذكورة قال تعالى:

---

(١٥) القرطبى «محمد بن أحمد الأنصارى، ت ٦٧١هـ» الجامع لأحكام القرآن، ط٣، ج٢ «م١»، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ص١٢٦.

(١٦) النساء (٩).

(١٧) راجع فى اعتراض ابن عطية على الطبرى:

- ابن عطية الأندلسى «عبدالحق بن غالب ت ٥٤٥هـ» المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمى فى فاس، ج١ توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٩٩٢ ص٣٥٩.

- الزمخشرى «محمد بن عمر ت ٥٣٨ هـ» الكشاف عن حقائق التنزيل ج١ بيروت: دار الفكر ١٩٧٧م ص٥٠٣ و٥٠٤.

(١٨) البقرة (١٣٣).

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٩).

ثانيًا: تربيتهم على الفضائل:

من واجب الآباء أن ينشئوا أبناءهم تنشئة صالحة وذلك بتعويدهم على الاستقامة فى السلوك، وبيان طرق الكسب الحلال أمامهم، وتطبيعهم بالطبائع الخيرة كما يظهر ذلك فى وصية لقمان لابنه فى القرآن الكريم قال تعالى على لسان لقمان:

﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٠).

ثالثًا: تعليمهم آداب السلوك:

إن الوظيفة التربوية للآباء تعليم الأبناء آداب السلوك الاجتماعى المقبول ويدل على ذلك قوله تعالى مخاطبا المؤمنين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾(٢١).

ويتصل بهذا أيضا ما فصلته آيات القرآن الكريم مما يتعلق بإبداء الزينة بين المحارم، وتنظيم دخول وخروج الأفراد فى الأسرة.

فإذا خرجنا خارج دائرة الأسرة وجدنا من واجب الآباء التربوى أن يعلموا أبناءهم صلة الرحم والاهتمام بذوى القربى والعطف على المساكين وأبناء السبيل ومن شابههم.

رابعًا: تعليمهم طرق الكسب الحلال:

والمستقرىء لآيات القرآن الكريم يستطيع أن يستنبط من دلالاتها العامة أن على الآباء أن يرشدوا أبناءهم إلى الكسب الحلال حتى تتكون لديهم ثروة يعفون بها أنفسهم عن الحرام ويعيشون بها عيشة راضية فقوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾.

وقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢٢).

خامسًا: رعاية مطالب النمو:

ومن المسئولية التربوية للآباء رعاية مطالب نمو الأبناء جسميا ونفسيا واجتماعيا، وتهيئة ما يتطلبه ذلك النمو من حاجات واستعدادات نفهم ذلك من قوله تعالى:

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾(٢٣).

---

(١٩) البقرة (١٣٢). (٢٠) لقمان (١٧ ـ ١٨). (٢١) النور (٥٨).
(٢٢) البقرة (١٨٠). (٢٣) النساء (٦).

السنة

العدل (*)

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيرى (**)

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل». رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. ذكره الحافظ المنذرى.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور: (١) بيان معنى الحديث إجمالاً. (٢) بيان معنى العدل. (٣) آثار العدل بين الناس، وفضل من عدل.

(١) الغرض من هذا الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من المظالم والاستهانة بالحقوق المنوطة بهم، وإلا كانوا من الظالمين الذين يستحقون العقوبات.

وقوله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلخ» ليس الغرض منه تحديد هذا العدد كما هو معروف من الأحاديث الأخرى؛ فقد وردت أحاديث صحيحة تدل على وجوب العدل مع كل مرءوس ولو كان واحدا: قال ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته». رواه البخارى ومسلم. فهذا الحديث صريح فى أن كل فرد من الأفراد مطالب بتحقيق العدل بنسبة ما يكلف به من الأعمال، سواء كان مع نفسه أو مع غيره ولو كان واحدا. وسيأتى فى تعريف معنى العدل بيان هذا. وإنما اقتصر الحديث الذى معنا على ذكر العشرة لأن هذا العدد كان أقل عدد يرأسه أمير غالبا عند العرب.

(*) من مختارات «مجلة الأزهر»، عدد شهر شعبان ١٣٥٩، المجلد الحادى عشر.

(**) عضو جماعة كبار العلماء.

وقد ورد ما يدل على ذلك فى الأحاديث الصحيحة: فمن ذلك ما روى البخارى معناه فى حديث طعام أبى بكر الذى كان أعده لبعض فقراء أهل الصفة فأكلوا منه ولم ينقص شيئا، فأخبر بذلك النبى ﷺ وكان عنده وفود من قبائل العرب، فأمر أبا بكر بإحضاره وقدمه لهؤلاء الوفود وأجلس عليه كل عشرة مع رئيسهم، فأكلوا جميعا حتى شبعوا. وهكذا، فقد كان عدد العشرة هو أقل عدد يستحق أن يكون له رئيس.

أما قوله: «إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا» فمعناه أنه يؤتى به وهو مقيد بقيد من حديد فى عنقه أو فى يده. يقال: غله غلا بالضم، إذا وضع فى رقبته أو فى يده غلا من حديد.

وقد يقال إن هذا بظاهره ينافى الأحاديث التى تدل على أن الإمام العادل يكون محوطا بعناية الله - تعالى - ومشمولا برحمته من أول الأمر، فقد ورد أن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله» وأول هؤلاء السبعة الإمام العادل؛ فكيف يتفق هذا مع ظاهر هذا الحديث الذى يفيد أن كل أمير عشرة يؤتى به مغلول اليدين والعنق، وفى ذلك من الإهانة والتعذيب مالا يخفى؟.

والجواب: أن معنى الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من الظلم، وحثهم على العدل. فالذى يؤتى به مغلولا إنما هم الظالمون.

ومعنى «لا يفكه إلا العدل»: أن العادلين آمنون من هذه الإهانة، بل هم منعمون من أول أمرهم لأنهم متصفون بالعدل، ومادام العدل ملازما لهم فهم منفكون عن كل ما يصيب الظالمين من جزاء. فالعدل وقاية لهم من كل ما يمس الظالمين من عقاب، ووسيلة للنعيم الخالد وحسن الجزاء.

(٢) أما معنى العدل فهو معروف بين الناس، وهو ضد الجور والظلم، ولكن علماء الأخلاق بحثوا فى معنى العدل بحثا دقيقا، فقالوا: إنه صفة من صفات النفس الخلقية الفاضلة التى يترتب عليها أداء الحقوق المشروعة لمستحقيها كاملة، بحيث لا يظلم أحد فى شىء من الأشياء التى أقرها له الدين وجعلها مقصورة عليه. وهذه الصفة الخلقية الفاضلة تظهر آثارها فى ثلاث قوى نفسية: وهى القوة الشهوية، والقوة الغضبية، والقوة العقلية. ولهذا عرفوا العدل بأنه التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط فى هذه القوى، فمتى اعتدلت هذه القوى كان صاحبها عادلا. مثال التوسط فى الشهوات هو أن يقف معها عند الحد الذى أمره به الدين والعقل، فلا تحمله شهوته على الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم، ولا تذهب به إلى ما يضره فى خلقه أو دينه أو بدنه؛ ولا تحمله على ما نهاه عنه الدين من حقد وحسد وغير ذلك. فمن توسط فى هذه الشهوة سواء كانت شهوة جاه أو مال، أو منصب أو لذة من اللذات البدنية، واقتصر على ما هو مشروع منها، فقد ملك زمام العدل مع نفسه ومع الناس. أما إذا طغت عليه شهوته فحملته على الخروج عما أمره الله به، وزينت له الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وحقوقهم العامة أو الخاصة، فقد باء بأقبح الآثام وكان من الظالمين الطاغين. هذا هو نتيجة الإفراط فى الشهوات، ويسمى عند علماء الأخلاق خلاعا أو مجنونا.

وأما الإفراط فى ترك الشهوات الطبيعية التى خلقها الله - تعالى - لمصالح وحكم، كإهمال الجسم من الغذاء الحلال الضرورى والنظافة وغيرهما، فإنه يترتب عليه

السقم الذى يحول بين المرء وبين أداء وظيفته المطلوبة منه للمجتمع الإنسانى. ومثل ذلك إهمال شهوة الفرج وإماتتها، وهى مودعة فى النوع الإنسانى لغرض التناسل وتكثير سواد الأمة، وإعدادها للقيام بما هو مطلوب منها، إلى غير ذلك من المصالح العامة والخاصة التى تقتضيها الشهوات الطبيعية فى الإنسان. فمن أفرط فى شهوته كان ظالما، ومن فرط فيها كان جامدا، ومن توسط كان عادلا.

ومثال التوسط فى الغضب، هو أن يضبط نفسه ولا يطيع غضبه فى الخروج عما يقتضيه العقل والدين، فلا يغضب إلا إذا انتهكت الحرمات العامة أو الخاصة: بأن يتعدى أحد على دينه أو عرضه أو ماله أو نفسه، أو رأى منكرا من المنكرات التى نهى الله ـ تعالى ـ ورسوله عنها. فالغضب لذلك ممدوح، ولابد منه لبقاء النوع الإنسانى. والتوسط فى الغضب يسمى شجاعة؛ والشجاعة وسط بين الجبن وبين التهور. ومن كان كذلك فإنه يملك نفسه ويصرفها عن إيذاء الناس وظلمهم، والتعدى على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ويحمله على إعطاء كل ذى حق حقه، ويدفع عن نفسه وعن دينه وعرضه عدوان الناس؛ وبذلك ينجو من عار الجبن، وعدم الغيرة على عرضه وماله ودينه.

أما الإفراط فى الغضب فإنه يترتب عليه أسوأ الآثار وأشنعها، فإن الذى يحمله غضبه على الخروج عن الدفاع عن هذه الأمور التى أمر الله بصيانتها والدفاع عنها، يكون ظالما لا محالة، لأنه لا يبالى بأن يؤذى الناس فى أموالهم وأعراضهم، بل وفى أنفسهم، تشفيا وانتقاما بدون مبرر، وذلك شر وبيل لا يقره الدين ولا العقل، ولا يرضاه الله ورسوله.

وأما ترك الغضب فإنه يترتب عليه الجبن وعدم المبالاة بالتعدى على الأعراض والأنفس والأموال، وذلك خروج عما يقتضيه العقل والدين.

ومثال التوسط فى القوة العقلية، هو أن يقف الإنسان مع عقله وتفكيره موقف المتدبر للأمور على ما هى عليه، المتأمل فى أسرار الكون ونظمه وما جاءت به الشرائع الإلهية من حكم واعتقاد. فمن وقف مع عقله هذا الموقف كان متوسطا بين البلادة والغرور. ويشتمل ذلك على ثلاثة أمور: حكمة الاعتقاد، وحكمة العمل، وحكمة الأخلاق. فأما حكمة الاعتقاد، فأولها توحيد الله ـ تعالى ـ وتنزيهه عن كل مالا يليق به. وهذا متوسط بين رذيلتين: الأولى نفى الألوهية رأسا، أو اعتقاد إلهين أحدهما معطل كما تقول الثنوية. وأما حكمة العمل فهى أداء الواجبات بلا إفراط أو تفريط، وهذا متوسط بين ترك العمل رأسا، والمبالغة فيه، كما إذا ترك التمتع بما أباحه الله له من حلال طيب. وأما حكمة الأخلاق فهى كالجود المتوسط بين الإسراف والشح.

فهذا إيضاح ما ذكره علماء الأخلاق من الفلسفة فى تعريف العدل. وقد عرفت أن العدل معروف بين الناس؛ وأن كل إنسان يشعر بما يحيق به من ظلم وإن تفاوتت مدارك الناس فى تقدير الظلم والعدل. فالرئيس الذى يتصرف فى دماء الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم العامة والخاصة، لا يجهل معنى العدل والظلم، وليس فى حاجة إلى معرفة هذه الدقائق. وإذا سألته لماذا يظلم هذا لا يعدم مبررا يبرر به ظلمه. ولكن الواقع أن العدل والظلم لا يخفيان على أحد، وأن الرئيس العادل أو الظالم لا يخفى أمرهما وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

(٣) أما آثار العدل بين الناس، فهي سعادة المجتمع، وصلاح أفراده في كل شأن من شئونهم. فمتى عدل الرئيس القائم على مصالح جماعة من الناس، وحارب العوامل التي تحول بينه وبين إقامة العدل، فإنه يكون قد ظفر بالسعادة هو ورعيته التي يحوطها بدون نزاع. ولهذا كان قوام الدين الإسلامي في صدر الإسلام، على رجاله الذين يقومون بالعدل ويتوخونه في كل صغيرة وكبيرة. فكان الرئيس منهم ينسى شخصه وولده وأعز شيء عليه في سبيل إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه. ولو شئنا أن نذكر أمثلة لذلك من عدل حكام المسلمين الأولين لطال بنا المقام كثيرا؛ ولكن لا بأس من أن نورد شيئا من ذلك عسى أن يكون فيه عظة وعبرة للمسلمين الذين ينالون حظا من الرياسة.

فمن ذلك ما روى عن الحسن قال: «جيء إلى عمر - رضى الله عنه - بمال فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين، فجاءت، فقالت: يا أمير المؤمنين أنشدك حق أقربائك من هذا المال، وقد أوصى الله بالأقربين. فقال: يا بنية: حق أقربائي في مالي، وأما هذا فمال المسلمين؛ غششت أباك، ونصحت أقرباءك، قومى ! فقامت والله تجر ذيلها».

ومن ذلك ما روى من أنه - رضى الله عنه - جمع عماله، وجمع رؤساء القبائل معهم، ثم قال لهم: «إنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم، ويحفظوا دماءكم وأعراضكم، ويقسموا بينكم فيئكم، فمن فعل معه سوى ذلك فليرفعه إلىّ، فو الذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! فوثب عمرو بن العاص أحد الأمراء فقال: يا أمير المؤمنين: أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه ؟ قال: إى والذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم (الغياض جمع غيضة، والغيضة مكان يجتمع فيه الماء ثم يقل فينبت فيه الشجر). وكان - رضى الله عنه - يباشر أحوال رعيته بنفسه ليقيم بينهم العدل بقدر ما يستطيع. وكان يؤثر رعيته على نفسه وولده عند نزول الشدائد والإحن.

وما نحن بقادرين على أن نذكر في هذا المقام ما كان عليه عمر - رضى الله عنه - من عدل شامل لجميع أفراد الرعية. ولكن كان من آثار هذا العدل أن قامت الدولة الإسلامية في عهده على أساس ثابت قد وضعه رسول الله ﷺ من قبل، فقوى الإسلام في عهده، وانهارت الدولتان اللتان كانتا تسودان العالم يومئذ، وهما الفرس والرومان.

وبالجملة، فالدين الإسلامي قد أمر المسلمين بإقامة العدل بينهم أمرا صريحا، وهدد الظالمين تهديدا شديدا، ولعنهم لعنا كبيرا، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾(١).

والله يهدى المسلمين إلى سواء السبيل ؟

(١) النحل (٩٠).

رسول الله صلى الله عليه وسلم في شبابه

للأستاذ/ محمد حسن دراز

شب رسول الله ﷺ، والله - تعالى - يكلؤه ويحفظه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته وبعثته، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم، حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، أكملهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، والسلوك الذى يدنس الرجال.

سموه «الأمين» لما جمع الله عزوجل فيه من الصفات الحميدة، كالحلم والصبر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء. شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث حيث يقول: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر، قال ذلك فى معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم، حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان - قبل أن يسلم -: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله - عزوجل -.

حفظه الله - تعالى - فى صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها وبغضت إليه الأوثان بغضا شديدا، حتى ما كان يحضر لها احتفالا أو عيدا مما يقوم به عبادها، قال ﷺ: «لما نشأت بغضت إلىَّ الأوثان، وبغض إلىَّ الشعر ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله - سبحانه وتعالى - بينى وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء بعدها، حتى أكرمنى الله - عز وجل - برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معى: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة، فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك، حتى جئت أول دار من مكة، أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظنى إلا حر الشمس، ولم أقض شيئا، ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك، مثل ذلك، وكان ﷺ لا يأكل ما ذبح على

النصب، وحرّم شرب الخمر على نفسه، مع شيوع ذلك فى قومه شيوعا عظيما.

ولم يرث – صلوات الله وسلامه عليه – عن والده شيئا ذا بال، بل ولد يتيما عائلا، فاسترضع فى بنى سعد، ولما بلغ مبلغا يمكنه أن يعمل، كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع فى البادية ولما رجع إلى مكة كان يرعاها على قراريط لأهل مكة روى البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه –، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبى إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت؟ قال: «كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».

ولما شب ﷺ كان يتجر، وكان شريكه فى التجارة السائب بن أبى السائب، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى تجارتها، وتضاربهم إياها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل مما كانت تعطى غيره من التجار، فخرج ﷺ فى مالها مع غلامها ميسرة وباع سلعته واشترى ما أراد، فلما قدم على خديجة بما لها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا، وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتد الحر تظله الغمامة.

لما لمست السيدة خديجة بركته ﷺ بعثت إليه: يا بن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك، ووسطتك فى قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت عليه أن يتزوجها، وكانت أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، ذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه، فذهبوا معه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطبها أبوطالب، وخطب فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم – عليه السلام –، وزرع إسماعيل – عليه السلام – وضئضئى معد، وعنصر مضر، وجعلنا سدنة بيته، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخى هذا، محمد بن عبدالله، لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا، وإن كان فى المال قلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مستردة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم «السيدة» خديجة، وقد بذل لها من الصداق «كذا».

ومن مواقفه فى مكة قبل البعثة قصته مع «بحيرى» الراهب، فقد خرج أبوطالب فى ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، صب به رسول الله ﷺ، فرق له، وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقنى، فخرج به معه، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام، وكان بها راهب فى صومعته، يقال له «بحيرى» وكان إليه علم النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به، ولا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا قريبا من صومعته، صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك لأنه رأى رسول الله ﷺ فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا

فنزلوا فى ظل شجرة قريبة منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتجمعت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فأمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم، فقال رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم، ما كنت تصنع هذا لنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ قال بحيرى: صدقت، فقد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه، فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى فى القوم لم يجد الصفة التى يعرفها، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا: يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك، إلا غلاما هو أحدث القوم سنا، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقام رجل فأحضر رسول الله ﷺ وأجلسه مع القوم، فجعل بحيرى يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عمًّا أسألك عنه، فقال ﷺ: لا تسألنى باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له: سلنى عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى قال له: ما هو بابنك، ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حامل به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فخرج به عمه أبوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها، ويهابون هدمها، وقد كانت رضما فوق القامة، فأرادوا تسقيفها، لأن نفرا سرقوا كنز الكعبة، وكان البحر قد رمى بسفينة رجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها وأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطى نجار، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة كل يوم تتشرق على جدار الكعبة، وكانوا يهابونها، فبينما هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تفعل، بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا

عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها، قام أبووهب بن عمرو الزهرى فتناول حجرا من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش اتضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم، وكان شق الحجر لبنى عبدالدار وبنى أسد وبنى عدى.

وهاب الناس هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم إنا لا نزغ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله صنعنا، فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه، حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم – عليه السلام –، فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة، آخذ بعضها بعضا، فأدخل رجل من قريش عتلته بين حجرين ليقع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم أنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فقال أبوأمية بن المغيرة المخزومى وكان عامئذ أسن قريش كلها: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم، فرضوا.

فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فبسط ثوبه، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، ثم اصطفى من كنانة قريشا، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم، ثم اصطفانى من بنى هاشم[(١)]، وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشر ذراعا، وكانت تكسى القباطى، ثم كسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

(١) أحمد ٤/١٠٧.

سماحة التشريع الإسلامي سر انتشاره

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

من أبرز سمات التشريع الإسلامى: سماحته ويُسر أحكامه، فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليُسْر والرحمة، والخير والتبشير. والذى يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها، وأوضح صورها ونماذجها فى العقيدة والعبادة والمعاملة.

السماحة فى العقيدة

فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جَانحةٌ ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومُرّه.

وليس فى عقيدته إيمان بما جاء به البشر، بل إيمان بما أنزل الله على رسوله:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾(١)

وليس فى عقيدته عصبية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به، واحترام لجميع رسل الله - تعالى - وإيمان بهم دون تفريق بين أحد من رسله:

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾(٢).

السماحة فى العبادات

أما فى العبادة: فهى عبادة ميسورة، فى وسع كل إنسان أن يأتى بها، فلا صعوبة فيها، ولم يكلف الله - تعالى - عباده إلا بما هو فى وسعهم:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾(٣).

وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾(٤).

(١، ٢) سورة البقرة (٢٨٥). (٣) سورة البقرة (٢٨٦). (٤) سورة الحج (٧٨).

السماحة فى الوضوء والصلاة

فمن لم يستطيع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو جرح يمنعه من الماء، أو لأنه لم يجد الماء بل فقده، شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر:

﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(٥).

وشرع الله الصلاة وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على القيام أن يصلى من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعا ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها بإشارة رأسه، ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه، ولغير القادر على ذلك.. يجرى أركان الصلاة على قلبه، ولا يتركها مادام عقله ثابتا، لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل التيسير ورفع الحرج، أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٦)

السماحة فى الصوم

فقد رخص الله ـ تعالى ـ للمريض والمسافر سفرا طويلا أن يفطر، ويقضى الصوم فى أيام أخرى قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٧).

وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخرى.

السماحة فى الحج

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة، بل أوجبه الله ـ تعالى ـ مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٨)

السماحة فى المعاملات

إذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى، يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»(٩).

وإقراراً لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، يُنبئنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ثمرة ذلك فى الآخرة، حيث يتجاوز الله – تعالى – عن عباده الذين يتجاوزون، ويتسامحون مع عباد الله، روى البخارى بسنده أن حذيفة – رضى الله عنه – قال: قال النبى ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملْتَ من الخير شيئا؟ قال: كنتُ آمر فتيانى أن ينظروا الموسر، ويتجاوزوا عن المعسر. قال: فتجاوز الله عنه». وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال: «من أراد أن

---

(٥) سورة المائدة (٦).
(٦) سورة البقرة (١٨٥).
(٧) سورة البقرة (١٨٤).
(٨) سورة آل عمران (٩٧).
(٩) رواه البخارى.

تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر»[١٠].

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

كما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[١١]

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا فى دار الإسلام، وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية، حماية لهم وتمكينا لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة.

ولتنظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[١٢].

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه –: (أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم). وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال:

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[١٣]

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[١٤].

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على – رضى الله عنه – درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلا: إنها درعى ولم أبع ولم أهب. فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى قائلا: «ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟»

فقال الرجل: «ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب» فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على – رضى الله عنه – يسأله:

«يا أمير المؤمنين هل من بينة؟» فضحك على وقال: «أصاب شريح ما لى بينة» فقضى بالدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على – رضى الله عنه –: (أما إذ أسلمت فهى لك).

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى،

(١٠) أخرجه أحمد ٢/٢٣.
(١٢) رواه البيهقى.
(١١) سورة الممتحنة (٨).
(١٣، ١٤) سورة المائدة (٥).

مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة.. إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه – جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: (أما إذ أسلمت فهى لك).

إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته، حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس، وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التى يساء فيها إلى الإسلام، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه.

ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلى هذه الحقيقة:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[15] وأيضا لا حرج فيه ولا مشقة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[16].

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[17]

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب، أمورا مطلوبة من المسلمين فى معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر فى دائرة التعاون والتضامن، فلا يسىء إحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد فى الوطن الواحد.

أثر سماحة الإسلام

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم فى دين الله أفواجا، هو منهاجه الربانى، الذى أنزله رب العزة – سبحانه وتعالى – على رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – هذا المنهاج الذى أمر الله – تعالى – فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.

لا إكراه فى الدين

إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا قال الله – تعالى:

(١٥) سورة البقرة (٢٥٦).
(١٦) سورة الحج (٧٨).
(١٧) سورة البقرة (١٨٥).

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾(١٨)

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(١٩)

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذى ادعى الألوهية:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٢٠).

وعندما خافا أن يبطش بهما، بين الله ـ تعالى ـ أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما فى دعوتهما، فالله ـ سبحانه ـ يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذى لا ينفر، فقال ـ تعالى ـ ردا عليهما ـ:

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٢١)

وقد ضرب رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أروع الأمثلة فى التسامح، وكان لين الجانب، طيب المعاملة سمحا فى كل الأمور حتى مع أعدائه الذين حاربوه من قبل، كما حدث مع ثمامة بن أثال الذى عرض عليه الإسلام ثلاث مرات، وكان لا يقبل فى كل مرة، حتى أمر النبى ﷺ بإطلاق سراحه، فكان هذا العفو والتسامح سببا فى دخول الرجل فى الإسلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله... وأقر الرجل بما كان عليه قبل هذه المعاملة السمحة من قبل، من عداوة وكراهية للإسلام فقال: «إنه ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك، وقد أصبح أحب البلاد إلىّ، وما كان من وجه أبغض إلى من وجهك، وقد أصبح أحب الوجوه إلى، وما كان من دين أبغض إلىّ من دينك، وقد أصبح أحب الأديان إلىّ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله» ودخل الإسلام بفضل سماحة النبى ﷺ.

من أجل هذا قاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح ففى الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية»(٢٢) ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب، بل إنه شمل حتى المشركين، فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ﴾(٢٣).

سيادة القانون

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لعهد ذى عهدها، فلست منه وليس منى»(٢٤) وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى، فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا

---

(١٨) سورة النحل (١٢٥). (١٩) سورة البقرة (٢٥٦). (٢٠) سورة طه (٤٤).
(٢١) سورة طه (٤٦). (٢٢) أخرجه أبو داود ٥١٢١، شرح السنة ١٢٢/٣.
(٢٣) سورة التوبة (٦). (٢٤) رواه مسلم.

مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبمراتب مقاومة المنكر التى أخبر بها الرسول ﷺ حين قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٢٥).

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه الشرعية والحق فى ضرب الناس، أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسىء إلى الإسلام وإلى سماحته.

عدالة الإسلام

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لهم كفالة فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل ـ وهو شيخ كبير ضرير ـ فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: «أنظر هذا وأضرابه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم».

وما حدث فى تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة، بل إن حدث أى تجاوز كان يعالجه الإسلام فى الحال، فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والى مصر، عمرو بن العاص الذى لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطى فى السباق، وقال: أنا ابن الأكرمين، أسرع عمر ـ رضى الله عنه ـ بإحضار والى مصر وابنه وأعطى عمر الدرة لابن القبطى وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصرى الأمة من المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى قاضى القضاة أبى موسى الأشعرى قال له: (آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين، حتى ولو كان أحدهما غير مسلم، وقد روى أن يهوديا خاصم سيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى أمير المؤمنين عليا ـ رضى الله عنه ـ بقوله: (قف يا أبا الحسن، فبد الغضب على علىّ ـ رضى الله عنه ـ فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ: أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال على ـ رضى الله عنه ـ: لا، ولكنى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب، فناديتنى بكنيتى، ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى).

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين، بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذيوعه وانتشاره فى ربوع المعمورة.

---

(٢٥) رواه مسلم.

مواقف إسلامية

مجالات التنافس الشريف

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

عن مجاهد: قالت أم سلمة: يارسول الله: (يغزو الرجال ولا نغزو.. ولهم من الميراث ضعفُ مالنا، فليتنا كنا رجالا).

وفى رواية: أتت وافدة النساء إلى الرسول ﷺ وقالت: «ربُّ الرجال والنساء.. واحد، وأنت الرسول إلينا وإليهم، وأبونا آدم وأمنا حواء، فما السبب فى أن الله يذكر الرجال ولايذكرنا..».

فنزلت الآية: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(١).

فقالت: وقد سبقنا الرجال بالجهاد .. فما لنا؟

فقال ﷺ: «إن للحامل منكن أجرَ الصائم القائم.. وإن ضربها الطلق.. لم يدر أحد مالها من الأجر.. فإن أرضعت كان لها بكل مصَّة أجرُ إحياء نفس»(٢).

تمهيد:

قضية المساواة بين الرجل والمرأة قضية قديمة جديدة.

فَعَنْ قتادة والسدى: لما نزل قوله – تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾(٣).

---

(١) النساء (٣٢). (٢) المطالب صـ ١٧٢٠.

قارن بين هذا التقدير.. تقدير الإسلام للمرأة. ومايتفكه به المتاجرون بها من مثل قولهم:

(ولماذا الانتقام من المرأة؟! إن الطبيعة تتولى ذلك عنا: فى الحمل. والولادة والرضاعة والأمومة).

(٣) النساء (١١).

قال الرجال: نرجو أن نُفَضَّل على النساء فى الآخرة.. كما فُضلنا فى الميراث.

وقالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصفَ ماعلى الرجال.. فنحن أحوج.. لأن ضعفاءهم أقدر على طلب المعاش(٤).

وهكذا بدأ الجدل مبكرا ومع بزوغ الإسلام حول حقوق كل من الرجل والمرأة. فكان هذا الحوار غير المباشر بين عنصرى الأمة.. والذى لم يتجاوز إحساس المرأة بحقها فى المغفرة جبرا لخاطرها.. ثم طمعَ الرجال أن يكون التفضيل فى الميراث مقدمةً للتفضيل فى الآخرة.

ثم صار الرجاء مسموعًا.. وعلانية.. عن طريق هذا الاستفسار من قِبل أم المؤمنين.. أمٍّ سلمة - رضى الله عنها والتى تريد فيه توضيحا أكثر لموقف المرأة.. مع التسليم سلفا بحكم الله - تعالى.

ثم انتهى الأمر أخيرا ليكون همًّا اجتماعيا.. شغَل النساء جميعا حتى اجتمعن وقررن إرسال إحداهن إلى الرسول ﷺ.. فكان هذا الحوار الذى يعبر عنه هذا الحديث الشريف: فعلى أى نحو كان هذا الحوار؟ وكيف ارتفع إلى درجة كانت مثلا لكل من أراد أن يتخذ إلى الحق سبيلا؟

وإذا كانت الحكمة تقول:

اعرف فى أى طريق تسير.. لتعلم إلى أية غاية تصير.. فقد عرَفَت النساء طريقهن.. إلى الرائد العظيم.. فهو وحده جهة الاختصاص فى إعادة الطمأنينة إلى القلوب..

وقد ظهرت حكمة النساء فى أمرين:

أولاً: فى قرارهن ألا يذهبن جميعا فيما يشبه المظاهرة التى تثور فيها الانفعالات.. فلا تستبين فيها وجهات النظر.

وثانيًا: فى حسن اختيارهن لممثلتهن الشرعية.. والتى كان اختيارها دليلا على حكمة من اختارها.

وذلك لما ظهر من حكمتها والتى بدت فى:

أ- حسن عرض القضية.

ب- القضية التى تطرحها مدعومة بأدلتها.

جـ- وفوق ذلك كله فهى تسأل مسترشدة لا معاندة.. تسأل عن السبب فى تفضيل الرجال على النساء.. مع أن الجميع متساوٍ فى العقيدة.. والشريعة.. والنشأة.

فما سبب التفضيل؟

الرد الإلهى

ويجئ الرد الإلهى.. اعترافا بالحوار كمبدأ وسبيل إلى الحق.. ثم بما يقضى على توتر الأعصاب.. بفصْل الخطاب.. فقد نزلت الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

(٤) النيسابورى.

(٥) النساء (٣٢).

ومايزال الحوار مستمراً

ومع ذلك.. فقد كان من أمانة ممثلة النساء أن تُصَرِّح بكل مايعتمل في صدرها.. وفاء للحق أولا.. ثم لمن اخْتَرنَها ثانيًا..

وهاهي ذي تقول:

وقد سَبَقنا الرجال بالجهاد.. فَمَالنا؟

الالتزام بالحق

لقد نزلت الآية الكريمة قبل ذلك ناهية عن تمنى نفس ما للغير.. فاستسلمت المرأة لأمر الله – تعالى.

فلما رأت فى الجهاد مايمكن أن يكون سُوقا للخير حُرِمْنَ منه.. وضَّح لها الرسول ﷺ حظ المرأة من الثواب إزاء ماكان للرجل.. إلى الحد الذى لو رضيت فيه المرأة بقَدَر الله – تعالى – لكان لها من الأجر مثلُ ما للعابد.. المجاهد..

لقد تصورت المرأة أنها تصادف فى حياتها آلاما لايعانيها الرجل، ومع ذلك فهى أقل منه ثوابا..

ولكنه ﷺ يكشف لها عن أمور لو عرفتها النساء ماكان بهن من حاجة إلى مؤتمر.. ولا إلى وافدة.. فهى فى حَمْلها فى عبادة من أشق العبادات: الصوم.. والقيام..

وعندما يَضْربُها الطلق.. فإن أجرها عندئذ بغير حساب.. فهو فوْق الحَصر.. وأجزل مما يَتَصوّره البشر..

بل إنها واحدة من محررى العبيد.. وعليها أن تعد كل مصة.. كل مرة ألقمت وليدها ثديها.. لتدرك.. كم أحْيَتْ من نفوس؟

إنه شئ يسابق الخيال.. ويعجز عن تصوره الخيال.

من دروس الموقف

قال المحققون: لايجوز للإنسان أن يقول: اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان.. وزوجة مثل زوجة فلان.

وإن كان هذا غبطة لا حسدا.

بل ينبغى أن يقول: اللهم اعطنى مايكون صلاحاً لِى.. فى دينى ودنياى

والأمر على مايقول تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(٦).

أجل.. للرجال نصيب من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغى أن يرضَوْا بما قسم الله لهم وكذا للنساء.

فلا ينبغى إضاعته بالحسد المذموم، لأن المقصود الأول لِمدبِّر العالم وخالقه هو:

الإحسان إلى عبيده. والجودُ إليهم. وإفاضةُ أنواع الكرم عليهم.. فمن تمنى زوال ذلك.. فكأنه اعترض على الله – تعالى – فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين.

---

(٦) النساء (٣٢).

وأيضاً: ربما اعتقد فى نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضا على الله وَقَدْحا فى حكمته سبحانه)[٧].

فالمفروض: أن يرضى المسلم ابتداء بقضاء الله - تعالى- ولن يُرفع قضاء حتى يُرضى به

أما بعد:

فهل بقيت أمنية النساء - كما قالت أم المؤمنين أم سلمة، هل بقيت كما هى؟

هل ماتزال النساء فى شخصها يتمنين أن يكنَّ رجالا؟!

الجـــواب:

بالعكس، فإن وفرة ثواب المرأة ليثير رغبة الرجل فى مثل ثوابها وحتى التى لاتحمل ولا تلد.. فإن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله.

والحقيقة التى تفرض نفسها بعد ذلك كله.. أنه لا مساواة.. ليست هناك فى الإسلام قضية بين الرجل والمرأة تحمل هذا المصطلح.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾

ومن المساواة.. ألا تكون مساواة.. وأن تبقى العين عينا..، والأذن أذنا..

ولافضل لإحداهما على الأخرى.، ولكن الفضل لمن رضى.. ثم أدى الذى عليه فى موقعه.. وعندئذ .. سوف تحلِّق الأمة بجناحين فى جو السماء.

الثمن الزهيد.. والعائد المفيد

أجل .. إن الفضل لمن رضى.. ثم كان مع ذلك حَصيفا.. يستطيع بقليل من حطام الدنيا أن ينال من الفضل مَا اللّه به عليم:

شتم رجل عليا بن الحسين - رضى الله عنه - فرمى له بخميصة كانت عليه. وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جُمع له خَمس خصال محمودة:

الحلم. وإسقاط الأذى. وتخليص الرجل مما يُبعده عن الله - تعالى - وحملُه على الندم والتوبة. ورجوعُه إلى المدح بعد الذم. اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير.

مجـالات التنافـس الحقيقـى

وإذا كان المسلم يبحث عن سعادته.. فيم تكون.. فهذا حقه.. لكن واجبه أن يَعِيَ هذه الحقيقة:

أن مراتب السعادة إما نفسانية نظرية: كالذكاء . والحدْس. وحصولِ المعارف والحقائق؛ أو عملية: كالأخلاق الفاضلة؛ وإما بدنية: كالصحة. والجمال. والعمر؛ وإما خارجية:

كحصول الأولاد النجباء . وكثرة العشائر والأصدقاء: والرياسة التامة. ونفاذ القولِ. وكونه محبوبا للخلق. حَسَنَ الذكر. مطاعَ الأمر.

فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله - تعالى - وبعضها مما يُظَن أنها كسبيَة.

(٧) الرازى.

وبالحقيقة: كلها عطاء منه تعالى. هذا ماقاله النيسابوى – رحمه الله – ولكنه يعلل هذه النتيجة الأخيرة بما نلخصه فيما يلى:

فعندما يخطر ببالك مشروع ما، فلكى تنجز هذا المشروع.. لا بد من تَيَسُّر أسبابِ حصوله..

ثم تنحيةِ العوائق من طريقه، والذى هيأ لك الأسباب.. ونحّى من طريقك المعاطب.. هو الله – سبحانه وتعالى.

وقبل ذلك .. فهو – سبحانه – الذى أقدرك على الاختيار بترجيح داع على داع.

فالأمر والخلْق له – سبحانه – وتعالى. لكن دور الإنسان هو السعى الدءوب فى إطار هذه الدائرة.. سعيا يبتغى به حسن العاقبة.

وذلك قوله تعالى:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾(٨).

الطبيعة العربية

وحتى إذا لم يكن تديُّن.. فإن العربى بفطرته مشغول بأهدافٍ أكبرَ من مظاهر الدنيا.. حتى لا تكون معركته من أجل لقمة الخبز.. وكفى..

وهو ماينبغى أن يسارع إليه.. مدفوعا بعقيدته، وبفطرته. يقول لسان الدين الخطيب:

«العرب لم تفتخر قط بذَهَبٍ يُجمع، ولا ذُخرٍ يرفع. ولا قصرٍ يبنى. ولا غرسٍ يجنى.

وإنما فخرها: عدو يُغلب. وثناءٌ يجلب.. وجُزُر تنحر. وحديث يذكر. وجود على الفاقة. وسماحة بقدر الطاقة».

فلقد ذهب الذهب.. وفنى النشب. وتمزقت الأثواب. وهلكت الخَيل العُراب.. وكل الذى فوق التراب تراب.

وبقيت المحاسن تُروى وتنقل. والأعراض تجلى وتصقل.

فلنتعلم صناعة الحب

إن الإسلام العظيم حريص على تنقية القلوب من أوشابها.. مانع من أن يكون المسلم باخعا نفسه ليحصل على مايشتهى، فمجال التنافس واسع.. وساحة السباق مفتوحة والمهم أن تبدأ فى سعيك.. إلى أملك.. شريطة أن تُفْرِغ القلب من سلبية الحسد.. ويستوى فى ذلك أن وصلت.. أم لم تصل إن استطعت فكن عالما

فإن لم تستطع .. فكن متعلما.

فإن لم تستطع فأحبَّ العلماء.

فإن لم يطاوعك قلبك.. فلا أقل من أضعف الإيمان: ألا تُبغضَهم!!

وهكذا .. يدعوك الإسلام لتصْعد إلى القمة.. التى تتسع للجميع

فإن لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع.

---

(٨) المطففين ـ ٢٦.

اغتيال إسلامية فيلسوف ؟! (٤ من ٥):

التأويل الرشدي: عربي؟ أم غربي؟!

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

ليس هناك مذهب إسلامي - في الأصول أو في الفروع.. في الفقه أو في الفلسفة وعلم الكلام - لم يقل أعلامه وعلماؤه بالتأويل، على نحو من أنحاء التأويل.. وفي عدد من النصوص - القرآنية، والنبوية - وفي بعض القضايا والمشكلات.

وبعبارة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م].

- الذي بلغ في التقعيد والتنظير للتأويل، وفي التفصيل لمراتبه ودرجاته مالم يبلغه أبو الوليد ابن رشد - والذي كان ابن رشد نفسه مقتديا به في مبحث التأويل - على عكس مايظن الكثيرون ! بعبارة الغزالي، فإنه «مامن فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى» التأويل «فالحنبلي مضطر إليه وقائل به.. وكذلك الأشعري والمعتزلي» على تفاوت بينهم في الاقتصاد والتوسط والتوغل في مواضعه[1] .. ومع اتفاق الفرق علي الدرجات الخمس في التأويل: الوجود الذاتي.. والوجود الحسي.. والوجود الخيالي.. والوجود العقلي.. والوجود الشبهي».. واتفاقهم «أيضا على أن جواز ذلك التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر[1].

وعلى مذهب الغزالي هذا - الذي جعل التأويل «جائزاً» عند «قيام البرهان على استحالة الظاهر».. أي في بعض المواضع، لا في كل الأمور - سار ابن رشد.. فاستشهد على أنه «لايقطع بكفر خرق الاجماع في التأويل» إذا كان الإجماع ظنيا، بآراء الغزالي وإمام الحرمين

(١) [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص٩-١١. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

– الجـــــوينـى – [٤١٩ – ٤٧٨هـ ١٠٢٨ – ١٠٨٥م] . . وأشار إلى سبق الغزالى إلى تحديد مراتب التأويل . .[٢] ونبه على أن للتأويل العربى أى فى اللغة العربية – ضوابط حددتها هذه اللغة، فهو لايجوز إلا فى المواطن التى تتوفر فيها للنص هذه الضوابط اللغوية، وذلك عندما قال: « ومعنى التأويل: هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز، من تسمية الشىء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى »[٣].

كما نبه ابن رشد على الإجماع الإسلامى على أن التأويل جائز فى بعض نصوص الشرع، فلقد « أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل »[٤] . . فما ثبت فيه « الإجماع بطريق يقينى لم يصح » فيه التأويل[٥].

كما نبه على وجود شواهد فى النصوص تعين مواطن التأويل ومواضعه . . فكأن « ظاهر الشرع » هو سبيل من سبل التحديد لمواطن « التأويل » لأنه مامن منطوق به فى الشرع، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر وتصفحت سائر أجزائه ، وُجد فى ألفاظ الشرع مايشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يقارب أو يشهد[٦].

وخلص إلى أن المقصد من التأويل القائم « على قانون التأويل العربى » هو « الجمع بين المعقول والمنقول »[٧].

وليس إحلال المعقول محل المنقول:

هكذا أعلن ابن رشد التزامه بالمذهب الاسلامى فى التأويل:

أ– التأويل « جائز » . .

ب– فى المواطن التى يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر . .

جـ– وبشرط تحقق شروط اللغة العربية فى المجاز – الذى تخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها . .

د– وفيما لم يثبت فيه إجماع يقينى على أن المراد هو ظاهر الألفاظ . .

هـ– وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل فى بعضها.

و– ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول – لا المقابلة بينهما، والانحياز لأحدهما، تجاوز للآخر أو نفيا له ومع كل هذه الضوابط التى أحاط بها ابن رشد قضية التأويل . . رأيناه يؤكد على أن هذا التأويل هو حق للخاصة من الراسخين فى العلم، لا يُصرح به للعامة، ولا يُثْبَتُ فى الكتب الجمهورية – حتى ولو كان تأويلا صحيحا، مستجمعا لشروط التأويل وضوابطه « فهذا التأويل ليس ينبغى أن يصرح به لأهل الجدل، فضلا عن

---

(٢) [فصل المقال] ص ٣٤، ٣٥، ٤٦.

(٣) المصدر السابق. ص٣٢.

(٤) المصدر السابق. ص٣٢.

(٥) المصدر السابق. ص٣٢.

(٦) المصدر السابق. ص٣٢.

(٧) المصدر السابق. ص٣٢.

الجمهور، ومتى صُرِّح بشئ من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها.. أفضى ذلك بالمُصَرَّح له والمُصَرِّح إلى الكفر.. فليس يجب أن تُثْبَتَ التأويلات الصحيحة فى الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة.. وأما المُصرِّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر»[8].

إذن فإقامة الثقافة العامة، والفكر الجمهورى، وتأسيس النهضة الحضارية على التأويل - كما حدث فى التنوير الأوروبى، والنهضة الغربية - هو - فى رأى ابن رشد - كفر من المتأولين أصابوا به من أشاعوا فيهم هذا التأويل؟!..

وفيما يتعلق بعالم الغيب ومبادئ الشريعة، وكل ما لا يستطيع العقل الاستقلال بإدراك كنهه، أوجب ابن رشد أخذه على ظاهره، دون تأويل، لأن هذه المواطن، عنده، مما تُعْلَم بنفسها، بالطرق الثلاث للتصديق: الخطابية.. والجدلية.. والبرهانية.. ولذلك «لم نحتج أن نضرب له أمثالا، وكان على ظاهرة، لا يتطرق إليه تأويل. وهذا النحو من الظاهر إن كان فى الأصول فالمتأول له كافر، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ها هنا ولا شقاء، وأنه قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض فى أبدانهم وحواسهم، وأنها حيلة، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط.. إن ها هنا ظاهرا من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله فى المبادئ فهو كفر، وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة..»[9].

ففى هذا النص يقطع ابن رشد بكفر تأويل الذين قالوا «بالدين الطبيعى»، الذى يهدف إلى «أن يسلم الناس بعضهم من بعض فى أبدانهم وحواسهم» لأن غاية الإنسان، عندهم، «وجوده المحسوس فقط».. وهذا هو عين تأويل فلاسفة التنوير الغربيين؟!..

ولقد حدثنا ابن رشد عن أن تشدده هذا فى ضرورة «الاقتصاد فى التأويل».. وفى جعله «موقفا ذهنيا خاصا لا يصرح به المتأول»، إنما كان مذهب الصدر الأول للإسلام والمسلمين، وأن التخلى عنه قد أصبح بدعة أدت إلى اضطراب أمر الأمة، وإشاعة الفرقة والتكفير وفى صفوفها.. فقال:

«إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل - (التى ثبتت فى الكتاب العزيز) - دون تأويلات فيها، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به.

وأما من أتى بعدهم، فإنهم لما استعملوا التأويل قلَّ تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا. فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة، أن يعمد إلى الكتاب العزيز، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة فى شئ مما كلفنا اعتقاده، ويجتهد فى نظره إلى ظاهرها ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئا، إلا إذا كان التأويل ظاهرا بنفسه، أعنى ظهورا مشتركا

---

(٨) المصدر السابق. ص٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢ . وانظر كذلك ص٥١. و[مناهج الأدلة] ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٩) المصدر السابق. ص٤٧، ٤٨.

(١٠) المصدر السابق. ص٦٥.

فرح انطوان

مراد وهبه

زكى نجيب

للجميع..»(١٠).. ذلك أنه «لما تسلط على التأويل فى هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع، ولا تميز له الصنف من الناس الذى يجوز التأويل فى حقهم، اضطرب الأمر فيها، وحدث فيهم فرق متباينة يُكَفِّر بعضهم بعضا، وهذا كله جهل بمقصد الشرع، وتعدّ عليه»(١١).

ذلك هو مذهب ابن رشد فى التأويل- وهو مذهب أكثر محافظة من مذهب الغزالى فيه- على عكس ما يظن كثيرون من الذين يقابلون بين الرجلين دون فقه لمجمل إبداعهما فى هذا الموضوع-؟!(١٢)

ولقد أدرك حقيقة هذا المذهب الرشدى- فى التأويل- الدكتور زكى نجيب محمود، فقال «إن ابن رشد يريد أن يضيق حدود التأويل بحيث لا نلجأ إليه إلا فيما لا حيلة لنا أمامه إلا أن نؤول ظاهر الشريعة فيه. وحتى فى هذه المجالات الضرورية سنجد فى ظاهر الشريعة مواضع أخرى تؤيد تأويلنا»(١٣).

لكن الذين أرادوا «التستر» بابن رشد لإيهام الأمة المسلمة أن تأويل فيلسوفها المسلم هو ذاته تأويل فلاسفة التنوير الغربى، قد قفزوا على حقائق وضوابط هذا المذهب الرشدى.. فادعى فرح انطون: إن «التأويل الذى لجأ إليه ابن رشد.. باب واسع يسع كل الآراء والتعاليم»(١٤).. وانتقد الدكتور مراد وهبة رأى زكى نجيب محمود، قائلا: «إنه يطمس ملامح التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، فيقضى على مقولة التأويل»(١٥).. وادعى ما ترفضه نصوص ابن رشد - التى سبق وأوردنا طرفا منها.. ادعى أن ابن رشد- على عكس الغزالى- قد «أوجب التأويل فى كل الأمور»(١٦).. فوقف - مراد وهبة - مع فرح انطون بعيداً عن فقه

---

(١١) [مناهج الأدلة] ص٢٤٩.

(١٢) نرجو أن نوفق لدراسة مقارنة بينهما فى هذا المبحث، تبديدا لوهم «عقلانية ابن رشد» و«لا عقلانية الغزالى»!.

(١٣) أعمال مهرجان ابن رشد - الجزائر سنة ١٩٧٨م.. انظر [مدخل إلى التنوير] ص١٢.

(١٤) [فلسفة ابن رشد] ص٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(١٥) [مدخل إلى التنوير] ص١٢.

(١٦) المرجع السابق. ص١٥١.

آراء ابن رشد والغزالى فى التأويل، لأنهما - وهبة.. وأنطون - قد انطلقا من تراث «الرشديين اللاتين» لا من إبداعات الغزالى وابن رشد!..

ويشهد على تلك الحقيقة- حقيقة رؤية «الرشديين اللاتين» بحسبانهم ابن رشد- تلك الأخطاء التى وقع فيها أستاذ الفلسفة الدكتور مراد وهبة- والتى يستغرب وقوعها من طالب فلسفة- من مثل قوله: «إن الغزالى يدخل من بين العوامل الأساسية فى تفسير محنة ابن رشد المتجسدة فى محاكمته ونفيه وحرق مؤلفاته»(١٧).

فابن رشد لم يحاكم.. ومحنته كانت لأسباب سياسية، غلفت بأغلفة فكرية.. ثم، كيف يكون الغزالى من عوامل محنة ابن رشد وإحراق مؤلفاته.. وهو - الغزالى - كان مضطهدا فى المغرب والأندلس - حيث عاش وامتحن ابن رشد - وكتبه قد أحرقت هناك، وظل فكره ممنوعا لسنوات أطول بكثير جدا من سنوات محنة أبى الوليد؟!

وإذا كان ابن رشد قد أفرد كتابه المنهجى (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) لإثبات المؤاخاة بين العقل والنقل.. بين الفلسفة والشرع، اعتمادا على التأويل، الذى سار فيه على القواعد التى أرساها الغزالى.. فمن أين أتى الدكتور مراد وهبة بمقولة: إن (فصل المقال) كتاب «كرسه ابن رشد للرد على الغزالى» مثل: (تهافت التهافت)(١٨).. مما يوحى بغربة الرجل عن هذا التراث الذى يشير إلى عناوين كتبه؟!..

إن الرجل.. عندما كتب قصة الفلسفة- قد اختزل إبداع أمتنا، فى سياق التراث الفلسفى الإنسانى، بأقل من سطرين؟!..

وهو فيما كتبه أخيرا عن ابن رشد كانت عينه على مقولة يريد أن يروج لها، وهى «أن مفهوم ابن رشد عن التأويل قد أحدث تأثيرا فى بزوغ حركتين فلسفيتين فى أوربا، هما الهرمنيوطيقا - (علم التأويل) والتنوير»(١٩).. وذلك ليجعل من تأويل ابن رشد «التأويل التنويرى الوضعى»، الذى ينصب على وجود الله، وعالم الغيب، والنبوات، ومبادئ الشريعة.. والذى يهدف إلى إحلال «الدين الطبيعى» محل «الدين الإلهى».. والذى يلغى «المنقول» لحساب «المعقول».. وصولا إلى إحلال النموذج الغربى فى التقدم والنهوض محل النوذج الإسلامى فى النهضة والإصلاح!..

وهى مقاصد تقطع الطريق عليها إبداعات ابن رشد، التى أشرنا إلى طرف منها فى هذه الصفحات!..

***

(١٧) المرجع السابق. ص١٤٥.

(١٨) المرجع السابق. ص١٤٥.

(١٩) المرجع السابق. ص١٣٨.

حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

للدكتور

السيد أحمد فرج

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

مع حيدة الدكتور السيد أحمد فرج -في حواره هذا- وقفنا على عدة أمور، أهمها:

١- هوية كاتب الرواية، ومدى وقوعه فريسة الفكر الماركسى الذى انطلق الكاتب به يسخر من جميع الثورات العربية، لأنها لم تكن ماركسية المنزع، ويسخر من المعالجات الإسلامية للفقر بفريضة الزكاة؛ لتعارض ذلك مع المعالجة الماركسية، ويرحب بالسلوك الانحلالى، ويبرز مفرداته بالتفصيل المثير.

٢- عبثية الرواية، بما تطالب به من تدمير كل شىء، ورفض مطلق لجميع الأوضاع العربية الراهنة وإدانة لها، وبما تدعو إليه من رفض للقيم الأخلاقية والاجتماعية، والعقائدية السائدة بين أمتنا.

٣- وقوع الكاتب فريسة الأسلوب التقريرى، الذى بدا -أولاً- فى حرصه على دعوة العقل العربى إلى اعتناق الأفكار اللينينية بما لها - فى نفسه- من قداسة، وسلطة كهنوتية. والذى بدا -ثانياً- فى ازدراء العقائد الدينية والأخلاقيات العربية والإسلامية. والذى بدا -ثالثاً- فى الإعلان عن جهله بالقيم الكاثوليكية؛ إذ توهم أنها تحض على الدير والشذوذ.

٤- نهوض مثقفى وزارة الثقافة لمؤازرة الكاتب، والدفاع عنه، والترحيب بروايته، والتهجم الوقح على كل من تصدى للرواية وكشف عوارها، خصوصاً الأزهر الشريف ومؤسساته الذى أدانهم إسلاميا وقانونياً، وكشف خروجهم على مقتضى القانون، وتبديدهم المال العام فى أمور تعارضها الأمة، ويرفضها دينها.

تحويل المعركة لإرهاب الأزهر

وقد لاحظ الدكتور فى أثناء حواره أن مثقفى وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزييف المضلل، أملا منهم فى أن يُسكتوا بذلك صوت الحق، ويكمموا فم الأزهريين؛ فعلا صراخهم -وليس حوارهم- بالتهديد والوعيد، المنطلق من فرض المعايير النقدية التى توافق أهواءهم، وتستلزم إبعاد غيرهم من الساحة، مثل زعمهم:

١-أن تقييم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبى.. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية.

٢- أنه لا يجوز قراءة جزء من الرواية، منفصلاً عن السياق العام.

٣- أن هذا المنهج فى التعامل مع الإبداع الأدبى له عواقب بعيدة المدى.

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة، فزعموا -فى صحيفة (أخبار الأدب) ٢١/٥/٢٠٠٠ بأن الأزهريين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبى؛ فهم -فى زعمهم- لا يستطيعون قراءة الإبداع الأدبى، ولا تذوقه ونقده. وزعموا: أن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب قد ساهم فى إشعال المظاهرات، وذلك بإعلانه رأى اللجنة الدينية. ثم زعموا: أن الحكومة وجدت فى هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادى، وفشلها فى علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات. وفرصة كذلك لتتخلص من حزب العمل

الذى لا يكف عن إثارة الشغب فى جريدته؛ فحركت الحكومة -بزعم هؤلاء المثقفين- جناحها الدينى بكامل هيئته المتمثلة فى شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفى وزارة الثقافة اشتطوا فى تطاولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافى الحقيقة، ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء، تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوربا فى القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالت على الأزهر مقالات السب والازدراء؛ زاعمين: أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف، نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التى أرادوا طمسها

وأطال الدكتور فى استعراض ترهات مثقفى وزارة الثقافة وأباطيلهم التى عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا -فى نشرها- الصحف القومية، وغيرها؛ أملا منهم فى أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالأباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر، وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً فى حواره معهم أسلوب الحوار الجماعى تارة، وأسلوب الحوار الفردى تارة أخرى، معتمداً فى حواره على عرض المزعم الجماعى أو الفردى بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط فى التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط فى الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ فى مناقشة هذا المزعم وتفنيده تفنيداً ثائراً مرة، وهادئا مرات، واضعا صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز معالمها، وكشف نواياهم السيئة ومقاصدهم الانحلالية المتفلتة من أواصر الخُلق، المتجاهلة قيم الإسلام؛ فوضح كثيراً من الحقائق المهمة التى أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها.. ومن أبرزها دور الأزهر. ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١- إن الأزهر لم يتجاوز حدوده بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداء، ولكن المؤسسات الرسمية فى الدولة هى التى طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء فى كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده وأهمل واجباته تجاه الدولة، وتجاه الأمة.

فالحقيقة الملموسة هى أن وزارة الثقافة هى التى تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية، دون استطلاع رأى الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية؛ ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قررته الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢- إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب، ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الأوروبية فى القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر -بجميع مؤسساته- يرفض الكهنوت، إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت، ولا سيطرة الإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

٣- إن المؤسسات التعليمية بالأزهر تعنى بالفنون والآداب وغير ذلك من شعب الثقافة، منذ أصبح مؤسسة تعليمية، وقد تطورت عنايته بذلك فى كل عصر، وفق متطلباته، فكان هو المنارة التثقيفية البارزة فى العالم العربى والإسلامى على امتداد تاريخه. وجميع من تتلمذ عليهم هؤلاء الزاعمون إن هم -فى الحقيقة- إلا من ثمار الأزهر. وفروعُه الجامعية من كليات اللغة العربية، وكليات الدراسات العربية والإسلامية وغيرها من الكليات والمعاهد التى تعنى بدراسة الآداب والفنون فى شتى صورها؛ فليس علماؤه غرباء على الأدب الروائى إبداعاً ونقداً، كما زعم مثقفو وزارة الثقافة. والواقع الماثل -بما يضمه من مبدعين ونقاد أزهريين- خير شاهد على ذلك.

٤- إن اتهام الأزهر بالاسترابة المسبوقة إزاء الأعمال الإبداعية أحد أسلحة الإرهاب الثقافى الذى تمارسه وزارة الثقافة، منذ سيطر عليها الملحدون والماركسيون من أدعياء الأدب والفن. ولا أدل على ذلك من الوضوح الكاشف فى البيان الصادر من مجمع البحوث الإسلامية وغيره من البيانات؛ فلم يؤثر عن علماء الأزهر تحريم حلال، ولا تحليل محرم، وإنما هم يلتزمون بالتعريف بالحكم الشرعى فيما يطلب منهم إبداء الرأى فيه.

٥- إن الزعم أن الأزهر يقبل طلابه بأدنى المجاميع مما أبعد المتخرجين فيه عن الإبداع وأضعف ثقافتهم.. هذا الزعم باطل من كل وجه؛ فالحقيقة أن الكليات غير الأزهرية المعنية بالأدب والفن -والتى تخرج فيها هؤلاء الزاعمون- هى التى تقبل طلاباً فى أدنى قائمة المجاميع وفقاً لقانون العرض والطلب، وليس كليات اللغة العربية والدراسات العربية والإسلامية، فما زالت تلك هى كليات القمة فى جامعة الأزهر، ولم يصبها بعد ما أصاب كليات الآداب ودار العلوم فى الجامعات غير الأزهرية، بل إن أقسام اللغة العربية فى كليات الآداب تقبل أدنى مجاميع ذوى المجاميع الأدنى الذين ألقى بهم فى سلة كليات الآداب.

فالأمر -فى الإبداع ونقده والثقافة عموماً- ليس أمر المجاميع الدراسية الذى ظن مثقفوا وزارة الثقافة أنهم باختراعه وإلصاقه بالأزهر يستطيعون النيل من الإمكانات الإبداعية لدى الأزهريين.. وبالتالى يكملون رسالتهم الإلحادية الساعية لإقصاء كل متدين عن المجالات الثقافية كما هو واضح من تسلطهم المستبد والمقيت على كل المنافذ الثقافية فى مصر ليمنعوا من النفاذ إليها أىَّ مثقف إسلامى. على الرغم من استظلالهم فى أثناء ذلك بظل الدولة التى تدين بالإسلام واقعياً ودستورياً.

٦- إن من يتعمق النظر إلى جميع من استنفروا لتلك الحملة الشنعاء والشعواء ضد الأزهر وعلمائه يقف سريعاً على هوياتهم، ويتبين وسائلهم الإرهابية، ويتعرف على مصادر أسلحتهم، ومن يدعمهم فى العلن وفى الخفاء ليحققوا لهم مأرباً طالما سعوا إليه منذ بدأت الحملات الصليبية، وبذلوا فى سبيله الأموال الطائلة، والمناصب الشامخة، والجوائز العينية، والشهادات الذائعة، والمنح الضخمة، التى تسلب عقول التافهين، وتملك عليهم ألبابهم، فلا يترددون لحظة فى أن يسلسوا لهم القياد، ويضعوا أنفسهم رهن إشارتهم.

شهادات محايدة تدين الرواية ومثقفى الوزارة

ولم يقف الدكتور - بحواره هذا- عند حدود المناقشة الجادة البصيرة، ولكنه أبى إلا أن يدعم

حـواره ذلك بآراء بعض الأعــلام من أهل الفكر والقانون. وغيرهم من المثقفين الأصلاء.

١- فاستعرض ما ذكره الشاعر فاروق جويدة فى مـقــال (الثــقــافــة الجــادة) المنشــور بالأهرام ٧/٥/٢٠٠٠م، حيث نبه إلى وجود أقلام دأبت عمداً على الهجوم على الإسلام، وحذر من الشرك الذى ينصـبــه هؤلاء الذين يربطون بين الإســلام والإظلام، ويحرضون الدولة على الإيمان.

ثم قرر أن هؤلاء الذين نعتوا أنفسهم بالمثقفين هم أخطر على الوطن؛ لأنهم وجهوا اتهامات باطلة إلى علماء الأزهر الشريف، فوصفوهم بالجمود، متصورين أنهم بالهجوم على الأزهر الشريف، وعلى المقدسات الدينية يقصدون إسقاط هيبة المثل العليا التى قادت حركات التحرير الوطنية؛ حتى لا يجد شباب الأمة أسوة يهتدون بها.

واستنكر الشاعر فاروق جويدة أن يكون سب المقدسات الإسلامية إبداعاً، ينشر على حساب الشعب، ومن أمواله، كما استنكر أن تروج الحرية نماذج للشذوذ الفاضح، وحذر مما يجره إعلان الحرب على مقدسات الدولة، ومعتقدات الناس من شرور وعنف واضطراب.

وأوضح الشاعر أن مثقفى وزارة الثقافة وتنويرييها متأثرون بما وصل إليه فكر الغرب الذى تحرر من الدين ومن الروابط الاجتماعية، على الرغم من الاختلاف البيِّن بيْن البيئة الإسلامية والبيئة الغربية التى بنى فيها الفكر على أسس تراكمت فى ثقافة الغربيين، منذ استبدت الكنيسة بالأمر، متذرعة بالدين وسلطانه، مما لم يوجد له مثيل فى البيئة الإسلامية، ولن يوجد.

فإذا كان الغربيون قد تخلصوا من تراثهم الدينى كله، وتراثهم الأخلاقى الملتزم بتعاليم الدين، فإننا لا نقبل -ولن نقبل- التخلص من تراثنا الدينى، ولا تراثنا الأخلاقى، والقيمى الملتزم بالإسلام.

٢- واستعرض ما ذكره الأستاذ فهمى هويدى فى كتاباته المنشورة بجريدة الشعب ١٩/٥/٢٠٠٠ وبجريدة الأهرام ٢٣/٥/٢٠٠٠ مقرراً أن حملة مثقفى وزارة الثقافة تحولت إلى حملة إبادة للتفكير الإسلامى، وترفع شعار التنوير والثقافة بحجة أن التفكير الإسلامى لم يعد صالحاً للعصر.

فلم يعد -بذلك التحول- معترك الجدل قائماً حول (الوليمة) العفنة، ولكنه ارتكز على تقويم التفكير الإسلامى.

ورأى أن وراء هذا التحول تلك المؤسسات والهيئات الدولية التى وقفت من قبل -وتقف- وراء كل من يسعى لتحقيق سلام مع إسرائيل يوافق المفهوم الإسرائيلى والغربى للسلام، وهذه المؤسسات والهيئات تغدق العطاء لكل من يستجيب لها؛ فتمنح الجوائز العالمية، والألقاب المفخمة لمن يسير فى هذا الطريق، وتحجبها عمن لا يستجيب، كما يؤكد ذلك الواقع الماثل.

وطالب بأن يعود الحوار إلى ميدانه الحقيقى، لتناقش الرواية المناقشة النقدية الشريفة، القائمة على الأسس النقدية الجادة، لتبيان ما تضمنته الرواية من ألفاظ وعبارات تزرى بالله - عز وجل - وتزرى بالنبى ﷺ وتزرى بالقرآن الكريم.

ولتبيان مغالطات لجنة الحكم على الرواية المشكلة من قبل وزارة الثقافة، وتكشف ترهاتهم وأباطيلهم وعبثهم وتلاعبهم بالحقائق، حتى قرروا أن غيرهم لا يقدر على فهم (وليمة لأعشاب البحر)؛ لأنهم - على حد تعبيرهم- يقرءونها قراءة دينية، تباين تماماً

قــراءة التـنويـريين الـذين يـرون أن الإيمان بما لا يحس إظلام؛ فترك الإيمان بكل غيبى، والاعتماد على الحس فـقـط هو التنوير والاعـتـمـاد على المادة دون الروح وتحكيم العـقـل المجـرد، دون الوحـى.. تنور، وتنوير، واستنارة؛ مقلدين فى ذلك أعـلام التنوير فى فـرنسا فى القرن الثامن عشر، الـذين كانوا لا يخفون إلحادهم -بل كـانوا يتـبـاهون بـه- لأنهـم تـوهمـوا أن الإنسـان يستطيع أن يصنع عالمه بالعقل وحـده، وبالاعـتـماد على المحسوس المادى، دون الغيبى.

فحرية التـعـبـيـر التى يطالبون بهـا ليست حـرية تعـبـيـر، ولكنهـا حـرية سب المقـدسات الـدينيـة وازدرائها، والتهكـم بها، فإذا عـلا صوت يقول لهم: اتقـوا الله. أخـرجـوه من دائرة المثـقـفين المتنورين إلى دائرة الإظلامـيين المتـآمـرين على الوطـن، والمنظـمين لخلايا الإرهاب.

٣- واسـتعـرض مـداخلة الدكـتـور مـحـمـد سليم العوا- أحد المفكرين القانونيين الإسلاميين المعتدلين- الذى قرر: أن القـضـيـة عـرضـت أمـام أكـبـر مـؤسـسـة تشريعية فى البلاد -وهى مجلس الشعب- وعرضت أمام أكبر جامعة تهتم بأصول الدين وشئونه وعلومه -وهى الأزهر الشريف- وأحيلت إلى القضـاء، وقـال كل من هؤلاء كلمته.

والذى رأى أن الرواية بالغة الطول، وأنهـا وضعت على أساس (أيديولوجى) يؤكد مسئولية كاتبها عن كل كلمة وردت فيـها، سواء فى السرد أو فى الحـوار على لسـان الشخصيات؛ فالمؤلف الشيوعى الشيعى عمد إلى الإعلاء من شأن الفكر الشيوعى، فاختار لها شيوعـيين شيعيين مثله فى المذهب والاعـتـقـاد، فقـد التـزم الكـاتب بذلك ليـسقـط ألزم خـصـوصـيـاته فى نفسه على الرواية، فاختـار عراقيين فروا من العراق إلى الجزائر للعمل بالتدريس، كما إن الكاتب نفسه عمل مدرساً بالجزائر بعد فراره من سوريا.

واسـتـعـرض الدكـتـور العـوا النهـج الفنى للرواية اسـتـعـراضـا مـسـتـفـيـضـاً، وضح منه أن الرواية طويلة بدون داع، وأنهـا قـليلة القـيـمـة، سخـيـفـة الأسلوب، متهالكة فى بنائها اللغوى والدرامى معاً، وأنه لا فرق بين شخصيات الرواية وشخصية الكاتب نفسه؛ فهى تقدم شخصـيـات مسلوبة الإرادة، غارقة فى الجنس والخمر، على نحو ما كشفه (حيدر حيدر) نفسه فى اعـتـرافاته وأحـاديثه الصـحـفـيـة، فمن يقـرأ تلك الأحـاديث ويقـرأ الرواية يجـد قـربى شـديـدة بين الشخصيتين.

ويخلص الدكـتـور العـوا من ذلك كله إلى أن الكاتب مسئول عن كل كلمة وردت بالرواية، سـواء كانت بقلم الكاتب السارد، أو بلسان الشخصيات.

ثم يقرر أن هـذه النصوص تقع تحت طائلة قانون العقوبات التى تجرم التعدى على الأديان والمقدسات، والشعائر الدينية.

٤- وخـتم الدكتور دعم حـواره باسـتـعـراض آراء شيخ كـتـاب الصـحـافة وكـبيـرهم الذين لهم شـهـادة على التاريخ العربى المعاصر وذلك لعدم انـتـمائه إلى أحد التيارين المتخاصمين.

فـذكـر أن الأستاذ مـحـمـد حسنين هيكل نبه إلى الصلة بين كـاتـب تلك الرواية وكـاتـب رواية (آيات شيطانيـة) فى انتـمـائهـمـا إلى المذهب الشـيـعى، ونبه إلى الصلة بين الروايتين فى تضـمـنهـمـا اعـتـداء على مقدسات المسلمين، ونبه إلى الصلة بين المدافعين عن الروايتين؛ فالروايتان يدافع عنهما تيار علمانى يحرسه إعلام قوى فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، ثم بقية دول الغرب.

ولفت النظر إلى أن القوانين البريطانية تسمح لمن يشاء بإنكار الدين، لكنها لا تسمح بإهانة الدين؛ لأن ذلك يخرج عن مبدأ الحرية. وقد حكم القضاء الإنجليزى على رواية (آيات شيطانية) بأنها أهانت المسلمين. والعجيب أن أحداً لم يعترض على حكم القضاء الإنجليزى لا باسم الإبداع ولا باسم الحرية؛ لأنه حكم قضائى.

ثم ذكر الدكتور: أن الأستاذ هيكل خلص فى النهاية إلى أن ما أثير حول (الوليمة) فى مصر لا صلة له بقضية حرية النشر التى يتباهى بها من تلفحوا بالثقافة؛ لأن الرواية صدرت من وزارة مسئولة، لا من دار نشر خاصة، ولو أنها نشرت فى لبنان مثلاً لكانت قضية حرية، ففى لبنان يستطيع أى كاتب أن يكتب، ويستطيع أى ناشر أن ينشر، وأمر الكتابة متعلق بحق الكاتب فى التعبير. أما حق الناشر فى النشر فهو عملية تجارية بحتة، بلغة السوق فى لبنان، لكن هذا لا يلغى حق النقد؛ لأن المجتمع الذى يمنح الكاتب حرية النشر يمنعه من الإساءة إلى الناس الذين يمثلون المجتمع ذاته.

ثم إن نشر هذا العمل بمصر بواسطة وزارة الثقافة يعد قراراً بتزكية (الرواية) عن رغبة فى تعميم محتواها؛ ولذلك تم دعم نشرها مادياً، فقد تكلف طبعها ثلاثة أضعاف المبلغ الذى بيعت به؛ فالمشكلة -كما قال هيكل- ليست فى النشر أو عدم النشر، وإنما المشكلة فى جهاز دولة مسئول عن الثقافة، كُلف بتقديم الأنفع والأرفع، قد قام بتقديم هذه الرواية.

وهكذا -كما يقدر الأستاذ هيكل- أصبح مجرد خطأ طبع رواية ونشرها بواسطة أجهزة وزارة الثقافة أزمة، بل أزمات، أزمة تمثلت فى تطاول الرواية على المقدسات، وأزمة تمثلت فى سوقية أسلوب الرواية وبذاءته، واستغراقها فى الدعارة والخمر والمخدرات، فضلاً عن الأزمة الاقتصادية؛ لأن الوزارة دفعت فيها من المال أضعاف ما جنته منها من أموال فى ظروف كانت البلاد فيها تعانى من أزمة السيولة النقدية.

للأزهر مكانته فى نفوس الأمة

ويخلص الدكتور فى الفصل الرابع من هذا الحوار (الأزهر يَحكم ولاُ يحكم عليه) ليقرر:

١- أن للأزهر الشريف فى القلوب حبًا، وفى النفوس احتراماً؛ فقداسته من قداسة الإسلام؛ لأن علماءه وشيوخه بررة بمن يلتمس ضوءا من علوم الدين، فقد رعوا الأمة الإسلامية بعلمهم وفقههم أكثر من ألف سنة، وتقدموا طلائع النور والتقدم والمدنية على مر التاريخ فى مصر والعالم الإسلامى.

٢- أن الأزهر ليس سلطة تنفيذية، ولا سلطة قضائية، ولكنه عقل اجتهاد الأمة وقلبها؛ يلجأ إليه الحكام والشعب إذا ما التبس عليهم أمر فى شئون دينهم ودنياهم، فيجتهد علماؤه بالرأى الشرعى الموافق لأحكام الشريعة الإسلامية.

وهذا ما كان من الأزهر الشريف فى قضية رواية (وليمة لأعشاب البحر) فقد قرر مجلس الشعب إحالة الأمر إلى الأزهر الشريف فاجتهد علماؤه ليقدموا الرأى الشرعى، وحكم الشريعة الإسلامية فيما تضمنته الرواية من أفكار وعبارات تمس الدين والخلق ومعتقدات الأمة.

٣- أن الأزهر الشريف لم يتجاوز حدود الحقوق الممنوحه له، ولا الواجبات المنوطة به، فهو المؤسسة العلمية التى تعنى بالعلوم الدينية، كما أنه مؤسسة تعليمية تربوية من أهم مؤسسات الدولة، تدرس فيه شتى علوم المعرفة، من الدعوة والإرشاد والإعلام، والتشريع، والقانون، والإدارة، والمعاملات، واللغة

العربية وآدابها، واللغات المختلفة، والفلسفة والمنطق، والطب والهندسة، وغير ذلك من كل ما يهيىء له النهوض بدوره الإسلامى والوطنى المنوط به، ويؤكد أن كلمته وحده هى الكلمة الحاسمة، وأن كلام غيره، لا يسلم من شائبة النقص والضعف، والبعد عن الصواب.

وبعد :

فالدكتور المحاور لم يقف فى حواره عند ذلك الحد من الإجمال والإيماء، بل لقد عزز حواره بالأمثلة الصريحة والكاشفة من الإبداعات والمبدعين، والمرتشين والمخلوعين من أصولهم، المهرولين لهثاً وراء منحة أو جائزة، أوشهادة تنتفخ بها أوداجه.

كما عزز حواره بالاستعراض الموجز لأربع مداخلات مهمة، أوضح بها أبعاد القضية فى توجيهاتها المختلفة.

حيث استنكر فاروق جويدة أن يكون سب الدين إبداعاً، وأن يكون التحلل من قيم الإسلام ومعتقداته حرية.

واستنكر فهمى هويدى تحويل الحوار من ميدانه الأصيل، وجعله حملة لإبادة التفكير الإسلامى، والحجر عليه باسم الحرية والتنوير.

وقرر الدكتور العوا مسئولية الكاتب عن كل كلمة وردت فى الرواية مسئولية قانونية.

وقرر الأستاذ هيكل أن القضية لا صلة لها بحرية النشر، وإنما هى قضية وزارة مسئولة عن أموال الشعب، أنفقت تلك الأموال فى سبيل هدم قيم الشعب ومقدساته وأخلاقياته، فى وقت تعانى فيه الدولة من أزمة اقتصادية طاحنة.

ولقد كان هذا وذاك عاملاً مؤثراً دفع الدكتور المحاور إلى التكرار فى كثير من الأحيان؛ استجابة لتكرار المواقف والأشخاص، مما أثقل كاهل الكتاب، على الرغم من قلة عدد صفحاته، فأجهد القارىء إجهاداً بالغاً، اضطره للعودة إلى ما قرأ المرة بعد الأخرى، حتى يلم بالحوار فى شتى أبعاده.

ولعل حرصه على استعراض مختلف الأقوال والكتابات التى تناولت الموضوع، وإسناد كل قول إلى قائله كان وراء ذلك التكرار.

كما دفعه تحمسه للفصل فى تلك القضية إلى وضوح انحيازه لطرف. مما قد يوحى بأنه انحياز المتعصب.. ولكن المتأمل يجد أنه –فى الحقيقة– ليس انحيازاً، ولكنه أثر من آثار وقوفه على ما فى وجهة مثقفى الوزارة من تضليل وإرهاب.. كسا أحكامه بثوب الانفعال، والخروج على مقتضيات القضاء العادل النزيه؛ فالدكتور –مهما استطاع التحكم فى عواطفه وانفعالاته– إنسان أولاً وأخيراً، لم ولن يحوله كرسى القضاء إلى حجر أصم؛ فالكذب الصراح، والتضليل الذى حملته الصيحات الصادرة من كهنة وزارة الثقافة ومن والاهم.. هو الذى رفع من حرارة انفعالات الدكتور فى حواره لتلك الدرجة الموحية بالتعصب، وإلا لما كان فى حاجة إلى ذكر كل الآراء والمداخلات، وتوضيح وجهة نظر كل فريق.

وكانت وسيلة الدكتور فى التخفيف عن قارئه، والوصول به إلى ثمرة الحوار.. ذلك الأسلوب البيانى الدقيق، الذى التزمه فى حواره من مبدئه إلى منتهاه.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١)

(١) الحج (٤٠).

قصة العدد

الحظُّ السَّعِيدُ

كان أحمد بن دعيم يجلس مع صديقه هارون بن ملول فى أمسية هادئة يتبادلان الحديث، وكلاهما ذو شأن فى الدولة الطولونية فأحمد ممّن تولوا أمور الإدارة فى الدولة، فنهى وأمر، وقرّب وباعد، وهارون من كبار التجار الذين اعتمد عليهم الأمير فى التصدير والإيراد، وكانت جهوده حاسمة حين يشح النيل بمائه، ويقلّ المحصول الزراعى، إذ يساعد الدولة على محاربة الغلاء بيعًا وشراء، وقد نمت ثروته، وانتفع بجاهه وماله كثيرون، ثم مضى أحمد بن طولون إلى ربه، وانتقل الحكم إلى ولده خمارويه، فلم يَرَيَا لديه من الحظوة ما كانا يعهدان لدى أبيه، فآثرا السلامة واكتفيا بما جمعا من عقار يمد أسرتيهما بما تبغيان، ولكنهما يكنّان فى أعماقهما بغضا لخمارويه، فإذا اجتمعا فى مجلس خاص، وأمِنَا استراق السمع، تنفسًا ببعض النقدات فأشاروا إلى ما ينكران من أعمال الحاكم فى استخفاف بقدره، وتهاون بما يأتى ويدع من الأمور.

بقلم / عابر سبيل

قال هارون بن ملّول، لو عاش أحمد بن طولون، ورأى خمارويه يبذل هذه الأموال الطائلة فى غير نفع ملموس، لكان له معه موقف جاد يهديه سواء السبيل، لقد وقفتُ على تشييد مسجد أحمد بالقطائع، وُوكِل إلىّ إعداد ما يتطلب من الصخر والحديد والخشب والصاج، فكنت ألقى محاسبة دقيقة من الحاكم، إذ كان لا يسمح بأدنى تبذير، بل كان يتعقب الأسعار من خلفى، ليطمئن إلى أنى ألزم جانب الاقتصاد، وكلّ ما أقام أحمد من العمائر والخطط كان وليد ضرورة ملزمة تعتمد الصالح العام فى مظهره الطبيعّى، وكان يسير ليلاً لينقد مالا يوافق مشربه، وأذكر أنه عثر مّرة على كومة من الآجر تُركت أسبوعا دون أن تستغل، فدعانى مستفهما فى حدّة، فقلت له: إنّ يومها مدّخر لوقته، حيث ننتفع بها فى السطح الأعلى، فعضّ على شفته وقال: تذكر هذا فقد أقلقتنى! فما ظنك بأحمد؟ إذا علم من وراء الغيب أن ابنه قد أنشأ بالقطائع بستانًا لا عهد

للناس بمثله جمع به من ألوان الزهور وأنواع الورد والزعفران ما خلب وأدهش، وقد كسا النخيل نُحاسا مذهبا، وجعل تحت النحاس ميازيب من الرصاص ينبثق منها الماء بترتيب رائع، وكانت الورود تتخذ فى وضعها سطوراً من الكتابة، بحيث تؤلف جملا يقرؤها الناظر متعجبا، ولها عمّال يقومون على تشذيبها إذا طال غصن، فغيّر موضعه عن حيّزه الطبيعّى، ليبقى المدلول واضحا، وكأنه كتب بالمداد على صحيفة بيضاء! وقد جعل فى جانب كبير من البستان حديقة واسعة للحيوان والطيور، جمعت عشرات الحيوانات المستأنسة، ثم بدا له فأحضر الحيوانات المفترسة من الوحوش الكاسرة، وبنى لها دارا خاصة تعرف لدى العامة بدار السباع، وقد رسمت فى أبنية متصلة الحجرات كل حجرة تستقل ببيت يسع سبعا ولبوته، وله باب يفتح فى أعلاه، وفيه طاق صغير، يدخل منه العامل الموكل بخدمة الأسد، ليجدّد الطعام والماء، وإذا أراد سائس السبع تنظيف المنزل من فضلات ساكنه، رفع الباب من الأعلى، وصاح بالسبع ليخرج إلى القاعة الخارجيّة ثم يغلق الباب، ليهيئ المكان على عهده الأول من النظافة، فيكنس الزبل، ويبدّل الرمل، ويغسل الحوض ويملؤه ماءً، ويضع ألذ طبقة من اللحم، للسبع وأنثاه، ثم يخرج، ويرفع الباب من الأعلى، وحينئذ يتوجه الوحش إلى مقره، وهو يعلم ما يصنع صاحبه من أجله، وقد تستمر الوحوش ساعات فى الطرقات الخارجية تمرح وتلعب فى بهجة، حتى إذا رفعت الأبواب سارعت إلى مكانها المألوف دون تلكؤ، وأنا أعرف أن ما يقدم لها من اللحوم فى يوم واحد، يكفى فقراء المدينة دون استثناء!

قال أحمد بن دعيم: تتحدث عن البستان وحديقة الحيوان وتنسى بيت الذهب، لقد شَاءَ لخمارويه إسرافه المتلاف أن يطلى جدران قصره بالذهب، فقلْ لى بربك كم يتكلف الجدار الواحد، فإذا نظرتَ إلى ما يمتلئ به القصر من التماثيل والنّصب ثم إلى القبة الفسيحة التى تظّلل القصر، وهى أيضا مذهبة كالجدران، ثم أحصيت ما يبذل فى مجالس الطعام والشراب وهى لا تنقطع فى يوم! إذا نظرت إلى ذلك كلّه! فماذا تقول؟!

ضحك هارون بن ملّول ضحكة السّاخر ثم قال: لقد تحدثنا عن الأسود، ولكننا لم نشر إلى أسد (أم آسية) فهل علمت قصتها معه!

قال أحمد: أم آسية قابلة القصر، وصاحبة الأمر لدى نسائه وجواريه، وذات الحظوة البالغة لدى سيدة القصر، بل لدى خمارويه نفسه! أَلَهَا قصة مع الأسود؟ وما علاقتها بدار السباع؟

فقال هارون: لقد تناقل الحراس قصّتها متعجبّين ذاهلين، فقد وقعت بين أنياب الأسد، وطاف حولها رائحا غاديا، ولم يمسسها بسوء! أتراها ولية مباركة كما يدّعون؟!

قال أحمد، فصّلِ الأمر بجميع ملابساته، فأنا أقدّر هذه السيّدة وأريد أن ألم بما كان!

فرد هارون فى تؤده: علمت أنها حملت رسالة إلى خمارويه من سيدة القصر، فعرفت

أنه يتنزه فى دار السباع، وكانت حريصة أن تبّلغ الرسالة فى أسرع وقت، فانطلقت إلى حديقة الحيوان ظانة أن الأمير بحراسّه وبطانته فى مأمن من الوحوش، وإذن فلا عليها أن تذهب، وما كادت تطأ الطريق الأول، حتى وجدت نفسها أمام أسد ضخم، فوقعت مغشيا عليها، ونامت دون حراك، وجاء الأسد فدار حولها، وجعل يتشممها دون أنْ يقربها بسوء! ثم جاء الحارس سريعا، فصحب الأسد إلى مكانه وبعث بنفر من الخدم يحملون الماء، وعصارة الورد، فرشوا وجه السيدة حتى أفاقت! وذهبوا بها لتستريح!

قال هارون: عجيب أمر هذا الأسد، كيف يرى الغذاء الشهّى ويتعفّف عنه! أهذا معقول؟

فعاجل أحمد يقول: لقد تناقشنا فى هذه الحادثة، فقال لنا بعض ذوى الخبرة من خادمى الأسود، إن الأسد بنوع خاص بين السباع، لا يقرب الطعام إلا إذا جاع! فهو لا يهجم على كل فريسة تحين، وقد وقعت أم آسية فى قبضته وهو ملئ مكتظ، فسلمت منه! ولها أجل لم ينقض بَعدُ!

فردّ هارون: أعرف أنّ أم آسية كانت ذات تأثير على قطر النّدى حين اعتزم والدها أن يزفهّا إلى الخليفة المعتضد، وبسياستها الهادئة قربّت الفتاة إلى قلب أبيها بعد جموح.

فقال أحمد بن دعيم، لقد كانت ورطة شاقة واجهت الفتاة وأباها معا، لأن خمارويه رأى أن تزف الفتاة إلى ولىّ العهد (المكتفى) إذ يقاربها فى السنّ والشعور والأمانى، ولكنه فوجئ بأن الخليفة نفسه، يرغبها لذاته، فكانت صدمة أولى، ولكن السياسة لا ترحم!

– نعم يا أخى إن السياسة لا ترحم فقد رأى خمارويه ما عاناه والده فى شقاقه مع بغداد، حين ناوأ جيوش الموفق، وحين أفتَى المفتون بلعنه على المنابر، وحين أعلنوا انشقاقه ومروقه، وأنه يتولى الحكم اغتصابا، وقد اضطر ابن طولون أن يواجه اللعن باللعن وأن يعلن مُروق الموفق، ويجمع الملأ فى مصر على أنه لم يعد وليا للعهد بعد أن حاصر الخليفة وضيق عليه، وكم أرق أحمد بن طولون من ليالٍ طوال يتخوف العاقبة ويحاذر أن تهب الرياح بما لا يود، ثم استقام له الأمر بعد عذاب طويل، وكأن خمارويه قد أحسّ أن الخلافة لا تزال متطّلعة إلى مصر وأنها بسبيل واضح من معاداتها، فأراد أن يوثق الصّلة بالمصاهرة وقد وَجدَ ابنته ذات جمال وأدب وفطنة، فتقرب بها إلى ولى العهد، وما دار بخاطره أن الخليفة وعنده عشرات الجوارى فى قصره، يرغب أن يتزوج من فتاة تصلح أن تكون حفيدته! وما كان لأبى الجيش أن يخالف اتجاه المعتضد، لأنه حينئذ سينسف بكلمة واحدة، كل ما بناه من الآمال، ورسمه من الخطط، وهنا جاء دور أم آسية فى إقناع قطر الندى لترضى بالواقع الشّاق.

فسأل هارون: وأين كانت أم قطر الندى حتى تتولى الأمر امرأة مهما قيل فى

صلاحها وانقيادها ليست من الأسرة الطولونية، بل وليست من ذوات الحسب الأصيل فى البلاد.

فرد أحمد بن دعيم يقول: الذى يظهر من مجرى الأحداث، أنّ زوجة خمارويه ووالدة قطر الندى لم تكن مرحبة بزفاف ابنتها الصغيرة للكهل الكبير، وكأنها نقمت ذلك كلّ النقمة، وإذا لم تستطع إقناع نفسها، فإنها لن تستطيع إقناع الفتاة! وماذا تقول: أترغّبها فى السلطان والمال والجاه! كل ذلك عند والدها فى مصر، ولن تطمع فى أكثر منه! وهنا لجأ خمارويه إلى أم آسية، إذ كانت قريبة من قلب قطر الندى تقوم على رعايتها خادمة مطيعة، ومهما يكن فقد تمّ الأمرّ وزُفّت الفتاة! وبذلت أموال مصر فى عرس مترف، لم يسمع بمثله أحد من قبل إلاّ فى النادر الشّاذ!

فقال هارون: يا أخى ولا فى النادر الشّاذ، هل سمعت أن أحد بنى عشرين قصرا فى الطريق بين مصر وبغداد لتستريح الفتاة فى كل مرحلة، فتجد نفسها أمام قصر جديد أعدّ خاصًا بإقامة يومينْ أو ثلاثة أيام! عشرون قصراً، لكل قصر حجراته وأثاثه وخدمه، وطعامه وشرابه، وغلمانه وجواريه! أهذا عقل أم نزق؟

فرد أحمد قائلا: نرجع ثانية إلى أم آسية فأذكر أنها كانت فى موكب الأميرة، بل كانت فى الصف الأول من حاشيتها، وقد رأت هذه المظاهر البالغة، وتحدثت عنها فى براءة، إذ لا تدرك أن إذاعة مثل هذا الإسراف الطائش مما يوقع الألم فى نفوس من يرون الأموال تهدر فى الريح كالهباء.

لقد قالت أم آسية: إن خمارويه قدّم لابنته أريكة ذهبية مكونة من أربعة مقاعد من التبر الخالص، وعليها قبة من الذهب تتدلى منها عقود لؤلؤية، كما أنها حملت فى الجهاز مائة هون من الذهب الخالص! فإذا كانت معدات المطبخ من الذهب! فما ظنك بالملبس والمضجع والمجلس! مائة هون من الذهب الخالص! بماذا نّسمى هذا يا هارون.

فابتسم هارون وقال: أتسألنى أنا؟ وأنت تعرف أنى تاجر أتعامل بالدانق والقيراط! لقد كدت أخرج عن صوابى يا رجل!

قال أحمد: لقد كدت أضحك وأنا أسمع أن آسية تقول: كنّا فى رحلتنا إلى بغداد مع الأميرة، نعاملها كأنها طفلة فى المهد، نحملها ولا نتركها تسير على الأرض، ونجعلها طوال الطريق كأنها فى قصر أبيها لم تبرحه، لأن الهودج الكبير الذى يقلها كان كأنه حجرة واسعة تحملها عشرة من البغال، تسير الهوينى وفق خطة يرسمها الحادى، فإذا بلغت القصر المشيد، وجدت ما يذكرها بقصر أبيها وكأنها تنتقل فى حجراته دون اختلاف!

فسأل هارون: وماذا قدم الخليفة المعتضد مهرا للفتاة!

فقال أحمد: الحق أنه أصدقها ألف ألف درهم!

فصاح هارون: ثمن ما يضم المطبخ: أليس يضم مائة هون من الذهب الخالص؟!

– فعاجله صاحبه يقول: رويدك يا أخى أتظن هذه الآلات الذهبيّة ستدخل المطبخ لحظة واحدة، إن لها مكانها المهيأ فى خزانة القصر! وهذه أكبر غنيمة ظفرت بها بغداد، وقد علمنا أن الخليفة احتفل بزفافه احتفالاً لم تشهده عاصمة الرشيد من قبل، وقد نزل شيبان بن أحمد بن طولون عم الفتاة أكرم منزل بين أمراء الخلافة، فكانوا يلتفون حوله فى سرور ونشوة، وكأن كل واحد منهم كان يطمع فى زوجة مماثلة، فهو يتزلّف إلى شيبان ليحوز رضاه.

صاح هارون: يتزلّف إلى شيبان! واحر قلبى عليه، أن والده لم يكن ليثق به فى شيء، وإن أخاه يبث حوله الأرصاد، ولا يعطيه أدنى سلطة فى مصر، وحسبه أن يأكل وأن يشرب وأن ينام! بل حسبه أن يكون واجهة مشرّفة إذا لزم الأمر! وها هو ذا قد سار إلى بغداد فى ركب الأمرية نائبا عن أبيها، فالعّم والد، ولولا احتياج الدولة لخمارويه، بل لولا خوفه من أحد معارضيه أن ينتهز فرصة رحيله، فيشق عصا الطاعة عليه لكان فى صدر الموكب دون سواه! ما علينا منه فقد رحل وعاد

قال أحمد: وعاد أكثر من ذهب!

فقال هارون: عاد الأكثر، لم لم يعد الباقون جميعا!

فرد أحمد، علمت من آم آسية، أن منهم من ذهب إلى الحجّ وأن منهم من رأى أن يقيم شهورا بعاصمة الخلافة، وفيهم من أوصاه خمارويه بالبقاء بعيدا عن الأنظار، ليرصد أمور الدولة هناك، ويخبره بما يراه!

ابتسم هارون بن ملول ثم قال: أكثر أخبارك عن أم آسية، فكيف حظيت عندها، حتى تأتى إليك فتعرف عنها أنباء خمارويه وقطر الندّى، وما دق من شئون السفر وطرائف العرس؟

فعجل أحمد يقول: كأنك لا تعرف صلتى بأم آسية منذ كناً صغيريْن! لقد كان منزلانا متجاورين وكنت زميلا لزوجها راشد فى التجارة حتى فرّق بيننا الموت!

فقال هارون: أعرف زوجها راشد وأعرف ما بينكما من صداقة، ولكنّ السرّ العجيب الذى طفر بأم آسية إلى قصر خمارويه لم يأتنى بعد!

صاح أحمد: كيف يا رجل – وهو أمر متعالم مشهور!

فردّ هارون: إنّ كان ما قيل عن عنايتها بسيدة القصر حين وضعت ولدها الأخير، فذلك ما يستغرب!

إذ يستبعد أن يجئ خمارويه بأم آسية لتكون مشرفة على مولد الطفل ويترك الشهيرات من القوابل، ولم يُعرفْ عن أم آسية أنها قابلة من قبل!

قال أحمد: الأمور بيد الله يرفع من يشاء ويضع من يشاء! وقد أتت رفعة أم آسية من أقرب الأبواب، حين أذن الله لها بالإسعاد!

فقال هارون: أريد أن أعرف الأمر كما كان! وعند جهينة الخبر اليقين!

فابتسم أحمد وقال: هى قصّة ذات عبرة لمن اعتبر، ودونك فاسمْع!

حين مات راشد التاجر ترك لأم آسية بنتينْ صغيرتين، ولم يترك من العروض غير ما استنفدته ديونه على الناس، فأصبحت الزوجة ما بين يوم وليلة مسكينة بائسة تكاد تسأل الناس، وقد اجتهدت فى تربية الدواجن، وحملت الأقفاص إلى الأسواق ساعية وراء الرزق، فكانت لا تبلغ القوت إلاّ بالجهد الشّاق وإذا ضاق بها الأمر لجأت إلى أختها (سكينة) زوجة التاجر (نعمان) فجعلت تستعطفها بما تسمح به من عطاء على قلته! وكانت كلّما حفزتها الحاجة واتجهت لسكينة قالت فى أدب: أقْرِضينى يا أختى أرْزا أو خبزا أو عدة دراهم وفق حاجتها، فكانت أختها تعطيها ممتعضة، وكأنها تقول لها: لقد أكثرت من الطلب فلا تحضرى بعد الآن!

وفى ذات ليلة ذهبت أم آسية إلى أختها سكينة، وابتدأت تقول عبارتها الشهيرة (اقرضينى يا أختاه) وكان فى سكينة حدّة فصاحت بها: كلّ يوم تقولين: أقرضينى كأنك ستقومين بردّ ما تأخذين! فمن أين يأتى إليك ما تقومين به عند القضاء! ألا تقولين كلمة أخرى!

فوجمت أم آسية، وقالت: إن الله - عز وجل - قادر على أن يجعلنى أقضى الدين، وله خزائنه التى لا تنفد فصاحت بها سكينة: هذه أحلام الصغار!

وخرجت أم آسية منكسرة الخاطر ذليلة النفس، فقابلت فى الطريق رجلا حزينا يكاد يبكى فقال لها: امرأتى تطلق فى صعوبة، وليس معها أحد، فهل تسمحين بمعاونتها، فتوجهت من فورها إلى المرأة وهى فى أشد حالات الألم، فجعلت تشجعها بما تعودت النساء أن يفعلن فى هذا الموقف، ثم أذن الله فتم الوضع على وجه سريع! فُعّد ذلك من مهارة أم آسية.

كان هذا الرجل من خدم القصر عند (خمارويه) وتصادف أن زوجة الأمير قد تعسّرت فى وضع تالٍ، وأحضر أبو الجيش من المتمرسات من عجزن عن راحتها، فقال الخادم: أنا أعرف امرأة ماهرة هى أم آسية فعجّل خمارويه بحضورها، وسرعان ما جاءت متحيرة ذاهلة لا تدرى ماذا تصنع.

قالت أم آسية [فى حديث يرويه أحمد بن دعيم لصاحبه هارون بن ملول:

« دخلت على سيدة القصر، والناس يستقبلوننى كأننى أفعل المعجزات، فملكت أمرى بعض الشئ ووضعت يدى قارئة الفاتحة على بطنها فسكن ما بها من الألم، فصاح خمارويه، قدومك مبارك يا أم آسية، فقلت: دعوها، واذهبوا، وسيأتى الله بالبشرى.

ثم سقطت من عينى الدموع، وأنا أقول فى سرّى ربّاه لا تفضحنى بين الناس أنا عاجزة إلاّ بك، أنا مستورة فلا تكشف أمرى، ثم توضأت وصليت، وبالغت فى السجود، وكنت لا أستطيع تمام الكلمات لما يغلبنى من الدموع!

وسمعتُ أنين السيدة، فنهضت وأنا استنجد باسم الله، وحاولت معها ما تحاول

القابلات، فأذن الله بالفرج، وهلّ وجه الطفل الجديد، وانتقلت البشرى إلى أبى الجيش، فجاء سريعا كالطائر، فقلت لها: يا سيدتى، أسألك بالله أن تبتسمى فى وجهه ليسر، فلما دخل خمارويه ولمح ابتسام زوجته ورأى، الطفل بين يدىّ، أخذه فقبّله، ثم قال لى: قدومك سعيد يا مباركة! لن تتركى القصر من الآن، وسألنى عن منزلى وعن حالتى فغلبنى الدمع ولم أنطق، وكانت فيه فراسة، فألم بما أكن، وهنا قال: لك منزل خاص بجوارى، وهو مهيّأ بما تريدين من الأثاث والخدم، ولك ألف دينار عاجلة! وما كادت صديقات السيدة وأصدقاء خمارويه يعلمون ما صنعت، حتى جعلت هداياهم تتوافد على الأم وفيها أنفس التحف، وأغلى الجواهر، فجمعت ذلك كله، وقالت هو منى لأم آسية فأنا لا أريد شيئًا، وصاحت بزائراتها: أكرمنها جميعكن.

ذهبت إلى منزلى الجديد، وقد امتلأ بالذخائر، وفيها ما لم أشهده من قبل، بل مالا أعرف قيمته الحقيقيّة إذ لا عهد لى به، وكأن أبا الجيش قد أدرك ما أضمر من الحيرة، فأرسل من يخبرنى تحقيقه ما لدى، فإذا أنا ذات كنوز من الحلّى! وإذا خادم تتبعنى، لتكون خاصّة بالمنزل، وأخرى لتقوم على إعداد الطعام، وثالثة لتقوم على غسل الملابس وحفظها، فتشجّعت وذهبت إلى أبى الجيش شاكرة، وقلت له: سيكون أكثر يومى فى قصرك الكريم، ولست بحاجة إلى خادمات، فتفرسّ فى وجهى قليلا، وقال: لك ما تشائين.

وطار الخبر إلى أختى سكينة فجاءت إلىّ مع المهنئات ولمست ما أنا فيه من إقبال جاوز مدى الظّن فقدمت إليها قطعة كبيرة من الذهب الخالص، وقلت: هذا سداد الدين يا أختاه، لقد قلت لك أقرضينى وأنا أعلم أن خزائن الله لا تنفد، فسكتت كالحائرة، وقالت: كأنك لا تزالين عاتبةً على، فصحت كلاّ ولك عندى مزيد، فإذا احتجت مالاً فهو طوع يمينك، لا قرضا بل هبة، فجلست متخاذلة تحاول الكلام فلا تستطيع وأردت أن أسرى عنها بما يمتع، فقلت: القصر فسيح، وأنا وابنتاى فحسب! فتعالى معى لك طابق خاص ملك يمينك، فنهضت وقبلتنى بين عينىّ!

قال هارون: وما علّة بقائهما فى قصر ابن طولون طيلة اليوم ولها منزل خاص!

فقال أحمد: أصبحت سيدة القصر - لأمر أراده الله - تتفاءل برؤيتها، وانتقل التفاؤل إلى أبى الجيش بتأثير صاحبته، فأخذ يتعهدها بالسؤال ويجد السرور فى وجه زوجته بلقائها فيهشّ وينبسط ولا أدلّ على منزلتها من اختيارها لمصاحبة قطر النّدى لتكون مؤنس الوحدة، ورفيق الرحلة! وما أظنّها أدخرت وسعًا فى قضاء مهمتها، ولولا أن سيدة القصر حتمت عليها أن تعود، لبقيت فى قصر الخلافة ببغداد مع الأميرة الحسناء!

سكت الرجلان هُنَيْهةً، ثم قال هارون: وتزوركم أم آسية ولا تنساكم مع ما انتقلت إليه من جاه وسلطان.

فصاح أحمد: مهلا يا أخى! فإن لها نفسًا شريفة، وخلقًا كريما، وقد جزاها الله أحسن الجزاء.

قِيمَة الكَلِمَة

للدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن (*)

أُقَدِّرُ قِيمَةَ الكَلِمَةْ ** وَكَم أَرْعَى لَهَا حُرْمَةْ
وأعْلَمُ أنَهَا الأخْلاقُ وَالْمِيثَاقُ وَالذِّمَةْ
حَبَاهَا اللهُ للإنسَانِ فَيْضاً ، إنَّهَا نِعْمَةْ
فَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ صَارَتْ ** عَلَى شَفَةِ الْمَدَى حِكْمَةْ
وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ رَفَعَتْ ** عَلَى إيجَازِهَا أُمَّةْ

•••

يُضِيءُ الحَقُ أحْرُفَهَا ** فَتَمْضِى تُشْعِلُ الهِمَّةْ
تَهُزُّ الأرضَ والدُنيَا ** وَتُعْلِى الحَقَّ لِلْقِمَّةْ
تُتَوِّجُهُ وتَنْشُرُهُ ** وَتَرْفَعُ فِى الفَضَا عَلَمَهْ
وتَهْزِمُ بَاطِلاً شَرِساً ** فَتَمْحُو بِالْهُدَى جُرْمَهْ
تُطَهِّرُ مِنْهُ دُنْيَانَا ** وتَطْوِى بِالْفَنَاءِ اسْمَهْ

•••

(*) أستاذ أصول اللغة فى كلية اللغة العربية بالمنصورة.

وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ تَدْعُو ** بِحَبْلِ الله مُعْتَصِمَهْ
فَبِالمَعْرُوف تأمُرُنا ** بِأَمْرِ الدِّينِ مُهْتَمَّهْ
وَتَنْهى الآثِمَ العَاصِى ** لِيَتْرُكَ تائباً إثْمَهْ
وَمَنْ مِمَّنْ دَعَا أسْمَى ** وأوْفَى فِى الهُدَى قِسْمَهْ ؟
وأحْسَنُ فِى الوَرَى قَوْلاً ** يُعَطِّرُ قَلْبَهُ وَفَمَهْ

●●●

وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ جَمَعَتْ ** عِدَى فِى النَاسِ مُخْتَصِمَهْ
تُزِيلُ بِوَقْعِهَا حِقْداً ** وَتُطْفِىءُ فِيهُمُ حُمَمَهْ
وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ مَسَحَتْ ** عَنِ المَحْزُونِ مَا غَمَّهْ
وَكَمْ مِنْ بَائِسٍ رَقَّتْ ** لَهُ تُعْطِيهِ مَا حُرِمَهْ
أَحَسَّ بِدِفْئِهَا طِفْلاً ** يُعَانِقُ بِالمُنَى أُمَّهْ

●●●

وَلَفْظٌ جَائِرٌ تَغْدُو ** بِهِ الأَرْحَامُ مُنْصَرِمَهْ
يُعَكِّرُ صَفْوَ أَفْئِدَةٍ ** وَيَسْفِكُ لِلْوَفَاءِ دَمَهْ
فَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ أَدْمَت ** فُؤادا فَاحْتَسَى أَلَمَه
وَبَاتَ مُؤَرَّقاً سَهِداً ** يُعَانِى بِالأَسَى هَمَّهْ
ولفظ بَثَّ لِى شَهْداً ** وَلَفْظٌ دَسَّ لِى سُمَّهْ

●●●

وَفِـى الـقُــرآنِ آيـاتٌ ** تُـريـكَ فَــوارِقَ الـكَـلِمَـهْ
فَطَـيِّـبَـةٌ لَهـا أصْلٌ ** تُعَـانِقُ لِلْعُـلا نَجْـمَـهْ
وَتلكَ خَـبِـيـثَـةٌ غَـارَتْ ** مِنَ الأكْـوَانِ مُنْعَـدِمَـهْ
فَـبَـوْنٌ شَـاسِعٌ تَلْقَى ** بـه الإصْـبـاحِ والظلمـه
فَـهَلْ نَلْقَى ضِـيـا الكَلِمَـ ** ـاتِ فَجْـراً يَقْـهَـرُ العَـتَـمَـهْ؟!

●●●

أُقَـدِّرُ قِـيـمَـةَ الكَلِمَـةْ ** فَـفِـيـهَـا الأمْنُ والعِـصْـمَـهْ
وَفِـيـهَـا الحُبُ دَفَّـاقَـاً ** وفِـيـهَـا البِـشْـرُ والبَـسْـمَـهْ
فَـإِنْ طَهُـرَتْ فَـقَـدْ أضْـحَتْ ** قُلُوبُ الناسِ مُلْتَـئِـمَـهْ
تُـوَحِّـدُهُم فَـلا تَلْقَى ** صُـفُـوفَ الخَلْقِ مُنْقَـسِـمَـهْ
ولا حَـيْـفٌ ولا غَـدْرٌ ** ولا الأخْـلاقُ مُنْهَـزِمَـهْ

●●●

أُقَـدِّرُ قِـيـمَـةَ الكَلِمَـةْ ** فَـإِنَّ ثِمَـارَهَا جَـمَّـهْ
لَـنَـا مِـنْ حُـلْـوِهـا قَـطْـفٌ ** لنا فِى ظِلِّهَـا النَسْـمَـهْ
وَكَم بِبَـيَـانِهـا دَرْسٌ ** يـبلِّـغ لـلـورى عِـلْـمَـهْ
أداةُ الـكَـاتِـبِ الـعِـمْـلاقِ ** يُطلقُ حَـوْلَهـا قَلَمَـهْ
ويَلْقَى الشَـاعِـرُ المَوْهُـ ** ـوبُ فِـيـهـا الوقْعَ والنَّغْـمَـهْ
فَـيَـرْسِمُ لَوْحَـةً مِنْهَـا ** ومَـا أحْلَى بِهـا رَسْـمَـهْ

الخطابة المثالية في مرآة النقد

١

د. / أحمد محمد منظور (*)

كنت أود الحديث فى هذا المقال عن الخطبة المثالية بين التاريخ والنقد من منطلق أن التراث العربى يحفل بذلك الفن القولى الأثير المؤثر فى حياة الناس، وكان للعرب فيه صولة وجولة ولهم فى مقوماته فكرة ونظرة، ولكنى رغبت فى أن يقتصر الحديث على ما يتصل بهذه المثالية من ناحية النقد وإن كنت أعرج على التاريخ بحثا عن الشاهد، راجيا أن يكون فى هذا الحديث ما ينهض بتلك الإطلالة التاريخية على فن الخطابة، وأن يكون لدى القارىء الحرص على التنقيب عن ذلك فيما يتصل بالخطابة العربية من ناحية الدرس مثل «البيان والتبيين» للجاحظ، و«البرهان فى وجوه البيان» لإسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب و«العقد الفريد» لابن عبدربه، أو النص مثل ذلك الكتاب الجهير الصوت الذى جمع فيه صاحبه الأستاذ أحمد زكى صفوت عيون خطب العرب، والمسمى «بجمهرة خطب العرب».

وبداية أود أن أنبه إلى أن مدخلنا لهذا الحديث ينبع من نقطة فهمنا لفن الخطابة ورسالته؛ من منطلق أن رسالة أى شىء توثر فى طبيعته وتنعكس بدون شك على أدواته ووسائله التى تسعى إلى تحقيق هذه الرسالة، فالخطابة هى: فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته. أو هى فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

وهى بهذا المفهوم تقوم على عناصر محددة، هى: الخطيب، والمستمع، والخطبة، والإلقاء. ويتوج هذه العناصر تلك الغاية التى يهدف هذا الفن إلى إيجادها وهى تحقيق الإقناع والاستمالة. وسنحاول تحديد أوجه المثالية فى هذه الأشياء بما يساعدنا على الكشف بصفة عامة عن طبيعة المثالية التى ننشدها فى الخطابة من الناحية الفنية.

فالخطيب يشترط فيه أن يتصف بعديد من الصفات التى يمكن أن نقسمها إلى صفات:

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية.

خلقية خلقية، وصفات علمية معرفية، وصفات مهارية مكتسبة. وتأتى فى مقدمة الصفات الأولى صفة الموهبة والاستعداد الفطرى فهى النواة التى ماتزال تنمو ونتعهدها بالرى والغذاء وننحى عنها عوامل الضعف حتى تصبح شجرة يانعة وبدون ذلك الاستعداد الفطرى فإنه من الصعب أن يوجد الخطيب الناجح كما أن المعرفة بقواعد الشعر لا تنشىء شاعرا مجيدا، وقديما سأل معاوية بن أبى سفيان صحار بن عياش العبدى بقوله: ما هذه البلاغة التى فيكم، فقال: شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا[(١)].

ومنها: سلامة النطق وجهارة الصوت: وذلك أن أداة الخطيب الأولى هى اللسان الناطق، ووسيلته هى الصوت المعبر، ولذا لزم أن تكون تلك الأداة سليمة وهذه الوسيلة قوية حتى ينجح فى الأداء ويحدث الأثر المطلوب فى نفوس سامعيه، وقد كان العرب يفضلون فى الرجل أن يكون جهير الصوت واسع الأشداق -لا المتشدق- ويصفون المتفوه ذا البيان بأنه أشدق كما شهر بذلك عمرو بن سعيد الأموى، كما كان الخطباء منهم يتعهدون مواطن العيب لديهم فى النطق ويتحاشونها، كما أثر عن واصل بن عطاء أنه كان يتحاشى الكلمات التى بها حرف الراء ويأتى بدلا منها بمرادفها لأنه كان ألثغ فى النطق بها على نحو فاحش شنيع[(٢)].

ومنها: رباطة الجأش وثبات الجنان: فقد نقل أبوعثمان الجاحظ فى البيان والتبيين عن صحيفة الهند بعض آلات البلاغة فى الخطابة، وهى: أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ (جـ١ ص٩٢). وقد كان العرب كذلك يمدحون الخطيب بثبات الجنان، وذلك من منطلق أن الحيرة والدهشة والهيبة تؤدى إلى الإرتاج والإجبال، وتورث الحصر وحبسة اللسان، وتعصف بقدرة الخطيب على الاحتفاظ بالمعلومات[(٣)].

ومنها: الشجاعة الأدبية، ويقصد بها شجاعة الرأى والوقوف فى وجه الطغاة، وشجاعة الاعتراف بالحق والقدرة على التصرف ضد معارضيه، وشجاعة حمل أمانة الكلمة واللسان. وقد بلغ رسول الله ﷺ الغاية فى ذلك، عندما علم بأن أناسا يتحدثون فى شأن عمه العباس - رضى الله عنه - فوقف بينهم خطيباً قائلاً: ألا إن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذانى، وفى مواجهته لموقف الأنصار بعد غزوة حنين، فقد ظنوا أن الرسول أجزل العطاء لقريش لأنهم أهله، فقام فيهم خطيبا ووأد الظن فى مهده حين بين لهم فضلهم ودعا لهم وأخبرهم بأنه ﷺ عائد معهم إلى المدينة[(٤)].

---

(١) البيان والتبيين، أبوعثمان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٥ جـ١ ص٩٦.

(٢) ينظر: السابق ص١٢٣، ص١٤. وممن مدح بجهارة الصوت العباس بن عبدالمطلب - رضى الله عنه.

(٣) ينظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د.عبدالجليل عبده شلبى، دار الشروق ط٢ ص٤٢.

(٤) ينظر: البيان النبوى، د.محمد رجب البيومى، دار الوفاء للطبع والنشر ص٨٨. وسيرة النبى لابن هشام، طبعة دار التحرير، جـ٤ ص٨٤.

ومنهـا: حـسن الخلق، فـالخطيب رائد لسامعيه، وداع إلى الحق والخير والفضيلة، وحسن خلقه كالمقدمة لسامعيه التى تحمل على الاقتناع بقوله، ولذا وجدنا أرسطو يقرر أن أمانة الخطيب ونزاهته لهما أكبر الأثر فى قوة الإقناع. وقد يقول قائل إن حسن الخلق صفة تسبق الخطابة وقد لا يعرف الناس من أمر الخطيب شيئا فيخدعون بطلاقة لسانه وروعة بيانه، وأقول ما قاله زهير:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وسينعكس أثر ذلك على قوله فى خطبته فيطلق لسانه فى الناس وغير ذلك من الأمور الدالة المفصحة عن أنه من أى معين يمتاح.

ومنها: حرارة العاطفة وقوة الشخصية: والمقصود بذلك أن يمتلك الخطيب نفساً مؤمنة بقضيتها صادقة فى الدفاع عنها، راغبة فى النجاح فى مهمتها. وأن يستمد كلماته من قوة نفسه وروحه، فإن ذلك يدفعه إلى أن يهز أوتار قلوب سامعيه وأن يغزو مواطن التفكير فى عقولهم، ويحدث ما أحدثه أبوبكر فى المسلمين فى خطبته بالسقيفة، وقد دلنا على ذلك الحسن البصرى عندما قال لواعظ لم تؤثر به موعظته: يا هذا إن بقلبك لشراً أو بقلبى(٥).

ومن الصفات العلمية المعرفية

الثقافة الواسعة: ذلك أن المعارف الإنسانية تتشابك، والخطيب فى حاجة إلى أن ينمى قراءته لغة وأدبا ودينا، وخلقاً، وعلماً وفناً، ونظرية وتطبيقاً، وتاريخاً وحاضراً، وفكراً وسلوكاً. فإنه متى استبحر فى وقوفه على هذه الأشياء كون لنفسه زاداً من المعرفة والثقافة تغزر به معانيه وتسمو به أفكاره، وتقوى به أدلته ويقدر به على التصرف فى وجوه القول والاستعانة بألوان البيان فى إضفاء الجدة والطرافة على معالجته لموضوعه، ويملك أقطار سامعيه بهذه الإحاطة الواسعة بألوان المعرفة فيأنسون لما يأتى به من فكرة، ويتجاوبون مع ما يدعو إليه من اتجاه.

ومنها: الإلمام الجيد بأبعاد موضوعه الذى يعالجه، وهى صفة أخص من سابقتها وتختلف عنها، فإذا كانت الأولى تمثل المعين الذى يمتاح منه الخطيب دلائل المعرفة العامة فإن هذه تقترب من الموضوع فكرياً لتجعله يلم بحقائقه التى تشكل جوهر المعانى التى يتطلبها، والوقوف على التيارات والآراء التى تتصل بموضوعه، والتعرف على الأشباه والنظائر وما يدخل وما لا يدخل معه فى خطبته حتى يتبلور الخط الفكرى لموضوعه رؤية واضحة ومعالجة مستوعبة متكاملة الأطراف.

ومنها: التعرف على طبيعة الموقف وما يناسبها من وجوه القول والبيان، وتلك صفة تبدو أكثر خصوصية والتصاقاً بالخطبة من سابقتيها، وهى محور البلاغة كما مر بنا قديماً فى تعريفها بأنها: مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وذلك يحتم على الخطيب أن يميز بين ما

---

(٥) فن الخطابة. د.أحمد محمد الحوفى، دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٤ ص٢٦.

يقوله فى المدح والتهنئة، وما يقوله فى الرثاء والتعزية، وأن يفرق بين موقفه باعتباره خطيباً سياسياً يدعو إلى فكرة أو يناهض رأياً آخر، وموقفه وهو خطيب دينى يهذب النفوس وينير البصائر، وألا يخلط بين أن يكون محاوراً مناظراً لخصم أمامه وبين أن يتحدث إلى جمهور كبير فى قضية عامة، فلكل من هذه المواقف المتباينة من الوسائل والأدوات- أسلوباً وفكراً- ما يحقق الغاية المرجوة منها،وبدون معرفة الخطيب الجيدة لذلك تطيش سهامه ويعجز عن الوصول إلى ما يريد.

ومنها: دراسة نفسية السامعين، فمعرفة الخطيب لنفسية السامعين، وميولهم الفكرية، ومستواهم الاجتماعى، تعينه فى التعرف على تلك المفاتيح التى تفتح له مغاليق النفوس وأبواب العقول، وتمكنه من أن يقترب من نفوسهم ويمتزج بروحهم فيقوى على تشخيص الداء ووضع الدواء المناسب لهم، وإذا كان يخاطب قوماً لا يعرفهم فعليه أن يدرك منذ البداية أنه أمام سامعين يتكونون من طبقات شتى ومستويات عدة، ففيهم الكبير والصغير والمتعلم والأمى والفقير والغنى ومن يمكن أن يكون خصماً أو يكون ولياً، ومن ثم فعليه أن يسلك مسلكاً وجدانياً يثير الرغبة فى الاستماع والإحساس بالخطيب، فإذا ما عرف أن من أمامه أسلم له قيادة يأخذ فى الموازنة بين عنصر الإقناع والاستمالة ويتدرج فى غرس أفكاره وقد أيقن أنه أمام تربة صالحة للغرس والإثمار.

ولدينا شواهد كثيرة فى أدبنا العربى تنبىء بأهمية تلك الصفة على النحو الذى تجده فى خطبة أبى بكر الصديق يوم السقيفة حين اعترف للأنصار بالفضل وللمهاجرين بالسبق، وخطبة عدى بن حاتم الطائى فى استنفار قومه لمناصرة على بن أبى طالب حيث أغراهم بخيرى الدنيا والآخرة معاً، وخطبة معاوية فى المناداة بتولية ابنه يزيد من بعده وحسن تمهيده للأمر الذى يريده، وخطبة الحجاج الثقفى بعد مقتل عبدالله بن الزبير فى أهل مكة وقياسه ما حدث لابن الزبير بجوار الكعبة على ما حدث لآدم فى الجنة[٦].

ويتصل بذلك ملاحظة الخطيب لحال سامعيه حتى لا يملوا كلامه ويرفضوه جملة وتفصيلاً، ولذلك قال عبدالله بن مسعود: حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك. (البيان والتبيين جـ١ ص١٠٤).

ومنها: سعة المحفوظات الأدبية من مأثور القول وجيد الكلام عند العرب شعراً ونثراً، وامتلاكه ثروة لغوية وفيرة تمكنه من اصطفاء الكلمات وتخير الألفاظ التى تنهض بما فى نفسه وتأخذ بأقطار سامعيه، والحفظ الجيد لكتاب الله - تعالى - وحديث الرسول ﷺ إن كان فى موقف الخطابة الدينية، فهما الجناحان اللذان لا يستطيع الخطيب الدينى أن يحلق بدونهما أو أن يبلغ شأوه البعيد فى

(٦) ينظر: الخطب والمواعظ، محمد عبدالغنى حسن، دار المعارف بمصر ط٢ ص٢٠.

هذا الميدان، وذلك فضلاً عما ذهب إليه العرب من أهمية أن تزين الخطبة بذكر شيء من القرآن الكريم، وتسميتهم الخطبة التى لم توشح بالقرآن الكريم وتزين بالصلاة على النبى ﷺ «الشوهاء».

ومن الصفات المهارية المكتسبة

– التدريب على سرعة البديهة والقدرة على الارتجال فالخطيب جندى فى ميدانه ومن الواجب عليه أن يكون يقظا قادرا على مواجهة المواقف الصعبة بعقل ذكى وخيال وثاب ولسان طلق وبيان أخاذ، يستوى فى هذا أن يكون ذلك الموقف الذى يجابهه قبل الشروع فى الكلام أو أثناء إلقاء خطبته، أو أن تكون تلك البديهة يستعين بها فى الرد على معارضيه أوربط أجزاء الكلام إن غاب عنه خيط الموضوع حتى لا يبدو مشتت الذهن أمام سامعيه، وفى قراءة تاريخ الخطابة ما يعين الخطيب فى التعرف على وجوه التصرف فى كل موقف. ونضرب مثلا واحداً لذلك تاركين الزيادة للمستزيد بالرجوع إلى كتب التراث فقد روى أن قتيبة بن مسلم كان يخطب فى خراسان وهو يتقدم فى فتوحاته بها فسقط القضيب من يده، فتشاءم أصدقاؤه وتفاءل أعداؤه، وشعر قتيبة بذلك، فتناول القضيب من على الأرض وقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر(٧)

ومنها: القدرة على الحوار والاحتجاج، ذلك أن الخطبة قد تأتى فى صورة لون من المناظرة، وحينئذ فإن الخطيب عليه أن يجيد السماع لحجج الخصم، وأن يستدعى الأدلة والبراهين التى تمكنه من إفحام خصمه، وذلك لن يتأتى له إلا بدراسة سبل الاستدلال وكيفية تفنيد الأدلة، وبالقدرة على الاستنباط والقياس والاستعانة بمرويات التراث وأحداث الحاضر، وقد قطع العقل العربى فى هذا الجانب أشواطاً بعيدة تدل على مكانته فى هذا الجانب، وإذا تتبعنا حركة الذهن عند المعتزلة فى مناظراتهم التى كانوا يجرونها مع خصومهم أو يدربون بها أبناءهم، أو نظرنا إلى مناظرة الخوارزمى لبديع الزمان الهمذانى أو مناظرات الفقهاء للمتكلمين فى العصر العباسى أومناظرة الكسائى وسيبويه فى النحو أو المناظرات الإبداعية التى تخيلها الجاحظ فى رسائله وكتبه نقف على زاد وفير من تلك المادة التى تنمى فينا القدرة على الحوار والاحتجاج.

– ومنها البراعة فى تلوين الأداء الخطابى وفقاً للمقام، وذلك أن الأداء الخطابى كما سنعرف تتلون طرق الإلقاء فيه بين تدفق وإبطاء وحماسة ونجوى، وتقرير وسرد. ومن الواجب تدريب الخطيب ذاتياً أو تعليمياً على التعرف جيداً على تلك المواقف التى

---

(٧) فن الخطابة، السابق. ص٢٤.

يتدفق فيها أو يبطىء، ويحتد أو يسامر، ويقرر أو يسرد، وأن يعطى فكرة جيدة عن الجمل والأساليب التى تعينه فى كل ذلك من كونها قصيرة أو متوسطة، ذات شحنات عاطفية أو فكرية، إنشائية أو خبرية. وأن يعلم أن القراءة الواعية لموضوعه قبل إلقاء خطبته تساعد على التلوين فى الأداء تضخيماً وترقيقاً وسكوتاً ووصلاً ونبراً وتعجباً إلى غير ذلك من الألوان.

ومنها: الإصابة فى القول وعدم التكلف فى التعبير، وذلك يأتى من المتابعة الجيدة للخطيب والنظر فى معالجته لموضوعه حتى يبرأ من الإسهاب وتشعب القول، وقد سئل عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال: «إنك إن أوتيت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على السامعين، وتزيين المعانى فى قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت من الله كثير الثواب»(٨).

٢- وفى عنصر المستمع قد يقول قائل: وكيف يتسنى لنا أن نوجد مستمعاً مثالياً يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾(٩)

والمقام مقام حمل على الإقناع والاستمالة، والخطيب يواجه عقولاً تتباين ثقافتها واتجاهاتها، ونفوساً تتعدد ميولها ورغباتها. ومن ثم تأتى أهمية الجانب المتعلق بالخطيب فى هذا العنصر، إذ هو ربان السفينة وعليه أن يعالج الموقف ببراعة حتى يصل بسفينته إلى مرافىء النجاح، وأن يضع نصب عينيه الحقائق التالية المتعلقة بمستمعيه، وهى: أن سلطان الوجدان أقوى تأثيراً على الجماعة من سلطان الفكر، وأنها يسرى فى تكوينها روحاً عامة تجمع بين أفرادها، وأنها تتطلع إلى ما يتمتع به الخطيب من صدق وإخلاص فى دعوته كى تمنحه التفاعل معه فى خطبته، وأنها فى حاجة إلى أن يجذب انتباهها بمقدمةرائعةتبعث فى نفوسهم الارتباط به منذ البداية، وإلى أن يحرك الخطيب حواسها بما يملكه من أدوات الخيال والتصور والترغيب والترهيب، والتهويل والتشويق، والحيوية والجذب، والاستثارة وبث التأمل فى العقول. وأنها تريده أن يكون يقظاً متنبهاً للغاية التى يريد أن يصل إليها وأن يأتى بناء خطبته قوياً متماسكاً حتى لا يلتوى الحديث به وبمستمعيه فى سراديب الاستطراد المملول، ومن يضمن للخطيب إن كان كذلك أن يجد السامع الذى يصبر عليه حتى يعود إلى محور موضوعه وهو لا يعرف كيف ولا أين ولا متى يعود؟!

«يتبع»

(٨) الخطابة وإعداد الخطيب. السابق. ص٢٧.

(٩) الزمر: ١٨.

لسنا إرهابيين (٣)

ضوابط حرية الاعتقاد في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

حرية الاعتقاد فى الإسلام أمارة قوية تدفع عن الإسلام الاتهام بالعنف والإرهاب، وهذه الحرية ليست مطلقة بحيث يستوى الإيمان والكفر عند الله، لذلك كان لابد من ذكر ضوابط هذه الحرية، لينجلى الحق لذى عينين وفى ما يأتى بيان موجز لهذه الضوابط.

الأول: أن هذه الحرية مقصورة على الحياة الدنيا، أما عند الله، وفى الحياة الآخرة، فإن الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر لا يستويان، ومصير المؤمن غير مصير الكافر، وفى ذلك يقول رب العزة:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(١).

وفى القرآن الكريم آيات يضيق المقام عن ذكرها تفرق بين الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر.

الثانى: أن حرية الاعتقاد فى الإسلام مكفولة بالنظر إلى علاقات الناس بعضهم ببعض، فليس لأحد كائنا من كان، أن يجبر أحدا على اعتناق عقيدة هو بها كافر، ولو كانت عقيدة الإسلام، أما عند الله - عز وجل - فالمؤمن من أهل الطاعة والرضوان، والكافر مغضوب عليه ملعون.

هو عند الله كالأنعام بل هو أضل، وفى ذلك يقول أحكم الحاكمين:

(١) هود (١٠٥ : ١٠٨).

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٢).

الثالث: إن حرية الاعتقاد فى الإسلام فى الحياة الدنيا، مكفولة لغير المسلمين، الذين ورثوا عقائد أخرى غير الإسلام عن آبائهم وأمهاتهم، أما من ولد من أب مسلم، وظل على الإسلام بعد بلوغه سن التكليف فإن حكمه يختلف عن أصحاب العقائد الأخرى، كما هو معروف فى شأن المرتد عن الإسلام، لأنه يُنصح ويعان على دفع الشبهات التى حملته على الارتداد فإن أصر على ارتداده بعد تبيين الحق له. فإنه يقتل، إذ لا عذر له، كما جاء فى الأحاديث النبوية الصحيحة، وفى السنة العملية فى صدر الإسلام الأول.

فالكفر الموروث لا شأن لنا به، وإنما شأننا بالكفر الطارىء عن من كان مسلما فلا حجة إذن لخصوم الإسلام فى قتل المرتد، واعتباره دليلا على إرهابية الإسلام، لأن هذا شأن من شئون الإسلام الداخلية.

والعجيب أن الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب مستندين إلى مبدأ قتل المرتد، ينسون الجرائم البشعة، التى ارتكبوها فى «محاكم التفتيش» ضد من تحوم حوله الشبهات أنه خرج عن عقائدهم، سواء مال إلى الإسلام أم لم يمل. بل يعتبرون أى مخالفة لما تقوله الكنيسة، ولو فى مسألة علمية كونية. خروجا عن الملة يستحق صاحبها أبشع صور التنكيل والعقاب، فقد أحرقوا (برونو) لمجرد أنه تابع جاليلليو فى القول بدوران الأرض حول الشمس. وهى مسألة علمية بحتة، لا صلة لها بأصول الاعتقاد.

وهذا ما حدا برجال الثورة الفرنسية أن يقولوا فى واحد من شعاراتهم الثورية، منذ أكثر من مائتى عام:

«اشنقوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس» رامزين بهذا الشعار إلى القضاء على رجال الكنيسة الذين سيطروا على ضمائر الشعوب، وعلى الملوك الإقطاعيين، الذين سيطروا على أجسام رعاياهم واستعبدوهم.

نسى خصوم الإسلام ذلك وراحوا يكيلون التهم للإسلام بلا ضوابط.

ونسوا ـ كذلك ـ ما كانت تقوم به كنيسة القرون الوسطى فى الغرب، من تعذيب مؤلم لمن تحوم حولهم الظنون، حيث كانت الكنيسة، تحفر حفرة عميقة، وتغرس فيها أسياخا مدببة الرءوس، ثم يلقى فيها الضحايا فتنغرس رءوس الأسياخ المدببة فى أجسامهم، ويظلون فوقها تنزف دماؤهم حتى الموت! أليس هذا إرهابا لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية جمعاء؟!

---

(٢) الجاثية (٢١).

حـــروب الـــردة

ومما يلغطون حوله كثيرا فى هذا الشأن، حروب الردة التى شنها أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ على الذين ارتدوا عن الإسلام عقيب وفاة النبى ﷺ، ويعتبرونها اعتداء على حقوق الإنسان، وحجرا على حرية الناس حينذاك فى الاعتقاد؟

والحق أن تلك الحروب داخلة فى الإطار الذى أشرنا إليه من قبل من التفرقة بين الكفر الموروث، وبين الكفر الطارىء على من كان مسلما ثم ارتد، والذى نضيفه ـ هنا ـ أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ أخلص فى النصح لأولئك المرتدين، قبل من يشن عليهم الحرب، وأنه لم يحاربهم إلا بعد أن تبين أنهم مصرون على كفرهم.

فقد أرسل أبوبكر أحد عشرة جيشا إلى القبائل والعشائر المرتدة وحرر رسالة أو بيانا بصيغة واحدة، وأعطى كل قائد جيش صورة منه، ليتلوها على أسماع القبيلة، التى أُرسل إليها، وفيما يلى فقرات من تلك الرسالة.

« . . .وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه، بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان » .

« وإنى قد بعثت إليكم (فلانا) فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر. . وعمل صالحا قبل منه، وأعانه عليه. ومن أبى أمرت بقتاله على ذلك. . وأن يسبى النساء والزرارى، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام » .

« وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم. والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا يكفون عنكم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم. . وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغى لهم » .

● ونستخلص من نصوص هذه الوثيقة التاريخية ما يأتى :

● أن المرء لا يقاتل ولا يُقتل حتى يُنصح ويدعى إلى الإسلام، ثم يمتنع عن الرجوع إليه.

● إذا رجع المرتد إلى الإسلام قُبِلَ منه، ثم يؤمر بالعودة إلى العمل بشريعة الإسلام.

● إن أبا بكر أمر أن تذاع رسالته هذه مبالغة فى النصح لهم.

● إنه لم يأمر بقتال المرتدين أو قتلهم ابتداء، بل جعل أمرهم بأيديهم فإن رجعوا إلى الإسلام فليس لأحد سلطان عليهم، وإن أبوا كانوا هم الذين اختاروا القتال والقتل، وهذا قمة الإنصاف.

● إن أبا بكر فرَّق بين الكفر الأصلى، والكفر الطارىء بعد حصول الإيمان. وليس بعد ذلك سماحة يمكن أن يلام الإسلام على قصور فى الوصول إليها.

الإسلام وحقوق الإنسان

٢

للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال

حق احترام الحياة الخاصة وصون الأعراض

حرص الإسلام على احترام الحياة الخاصة فمنع دخول بيوت الغير إلا بالاستئذان فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(١).

وأمر باستئذان الخدم ونحوهم والذين لم يبلغوا الحلم من أبنائنا على أهله وعلى غيرهم فى ثلاثة أوقات من قبل صلاة الفجر وحين يضعوا ثيابهم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، كما حرص الإسلام على صون أعراض الناس وعدم كشف أسرارهم بالغيبة والنميمة والتجسس فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(٢).

وإن تناول الأعراض ممقوت فى الإسلام ويعد أفظع من جريمة الربا فقد قال النبى ﷺ يوماً لبعض أصحابه : «أتدرون أربى الربا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم.. قال : أربى الربا عند الله استحلال عرض مسلم»(٣).

ويجب على من ينقل إليه ذم أو تجريح يقال فى حق إنسان ألا يقبله ممن يقوله له بل يعرض عن الإثم والتضليل كما قال تعالى :

---

(١) النور (٢٧، ٢٨). (٢) الحجرات (١٢).

(٣) الترغيب والترهيب ٣/٥٠٥.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾(٤) .

ويقول النبى ﷺ : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . . قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل : أرأيت إن كان فى أخى مأأقول . قال : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته »(٥) وينبه القرآن الكريم على أن المغتاب وصاحب البهتان يتحمل وزرا وإثماً عظيماً ، يقول الله تعالى :

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾(٦) .

ويقول الرسول ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ـ تعالى ـ مايلقى بها بالا يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ـ تعالى ـ لايلقى بها بالا يهوى بها فى جهنم »(٧) .

حق صون المال

قد منع الإسلام الاعتداء على مال الغير ، فمنع أى نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق ، يقول تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٨) .

ويقول الرسول ﷺ ـ فى خطبته العالمية ـ : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد »(٩) . وحرم أخذ الأموال دون رضا أصحابها أو رضا المجتمع الذى يملكها يقول ﷺ : « أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولايحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت اللهم أشهد »(١٠) . قال ﷺ : « من اقتطع مال امرئ مسلم لقى الله ـ عز وجل ـ وهو عليه غضبان »(١١) .

حق كسب المال والاستمتاع به

كانت النظم والمعتقدات قبل الإسلام تنهى الناس عن السعى لكسب المال والتمتع به وبملذات الدنيا لكن عقيدة الإسلام أباحت للناس أن يكسبوا الأموال سعياً فى الأرض ودعوة إلى العمل إذا كان ذلك من طريق حلال مشروع وللإنسان أن ينفق منه فى مأكله ومشربه وملبسه ويؤدى مايجب عليه من حقوق شرعية كالزكاة والصدقات وغيرها ، قال تعالى :

---

(٤) الحجرات (٦).
(٥) سنن البيهقى ١٠/٢٤٧، فتح البارى ١٠/٤٦٩.
(٦) النساء (١٠٨).
(٧) البخارى ٨/١٢٥، وأحمد ٢/٣٣٤.
(٨) النساء (٢٩).
(٩) من خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع.
(١٠) أحمد ٣/٤٢٣.
(١١) البخارى ٩/١٦٢، وأحمد ١/٢٨٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾(١٢)

وقال عز حكمه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾(١٣)

فالحرية فى ذلك مكفولة شريطة ألا يتلف المال بما يفسده أو يطغى به على الآخرين أو يمنع حقوقهم أو ينفقه فى المحرمات قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾(١٤).

وإذا كانت بعض المذاهب والأيدلوجيات كالرأسمالية تترك الحرية مطلقة للفرد يكسب- كما يشاء- ومن أى طريق ويتمتع كما يشاء وينفق كما يريد، فإن الإسلام قد نظم سلوك الفرد فى هذه النواحى بحيث لايتجاوز التصرفات التى تفيد نفسه وتفيد مجتمعه وإخوانه أصحاب الحقوق فى ماله.

وبعض الأيدلوجيات كالاشتراكية تجرده من حقوقه فى التمليك وتجعله جزءاً من الدولة وأن الفرد آلة داخل جهازها الكبير لايملك إلا بعض الأشياء الصغيرة من المتاع والمنقولات، لكن الإسلام حافظ على التوازن بين حياة الفرد والجماعة ونظمها.

ومنع الإسلام نجاسة الأموال، وذلك عن طريق الكسب غير المشروع والحصول على المال الحرام من أى طريق، وحرم الرسول ﷺ مسلك عمه العباس فى جمع المال عن طريق غير شريف- وكان من أثرياء مكة ومرابيها- يقول ﷺ: «إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبدالمطلب»(١٥).

وأباح الإسلام للإنسان حق الإرث والتوريث يقول تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(١٦).

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾(١٧)

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾(١٨).

ويبين القرآن الكريم حب الإنسان للمال:

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(١٩).

وميله إلى جمعه وعدم التوسع فى انفاقه:

---

(١٢) البقرة (١٦٨).

(١٣) البقرة (٢٦٧).

(١٤) الإسراء (٢٧).

(١٥) من خطبته ﷺ فى حجة الوداع.

(١٦) النساء (٧).

(١٧) النساء (١١).

(١٨) النساء (١٧٦).

(١٩) العاديات (٨).

﴿ قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾(٢٠).

حق التكافل الاجتماعى وحق الكفاية

يكفل الإسلام للإنسان مايكفيه من العيش بتهيئة العمل النافع له ومن لايتوافر له ذلك لعجز أو ضيق ذات اليد فإنه لايترك كذلك بل له حق على أهله وذوى قرباه الأغنياء أن يوفروا له مايكفى حياته، (صلة الرحم ونحوها).

وقد شرع الإسلام الزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام لتكون سبيلاً إلى كفاية الفقير مئونة الحياة يقول تعالى عن المؤمنين:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴾(٢١).

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾(٢٢).

فالزكاة فرض:

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(٢٣).

ومن لم يؤدها توعده الله بالعقاب الأليم.

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٢٤).

ومن لم يخرجها مختاراً أخذت منه عنوة.

ويذكر بعض الفقهاء- كالشافعى- وجوب كفاية الفقير طول عمره، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول: «إذا أعطيتم فأغنوا» ومن التكافل الاجتماعى أن يقوم الأغنياء بمساعدة الفقراء بما يكفيهم من منطلق قول الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٢٥). وقوله «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٢٦). ونفى الإيمان عمن يبيت وهو شبعان وجاره جائع.

وإن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل متراحم يمد يده للمحتاجين حتى من غير المسلمين فعمر فرض ليهودى محتاج فى بيت مال المسلمين نصيباً.

---

(٢٠) الإسراء (١٠٠).
(٢١) المؤمنون (٤).
(٢٢) النمل (٣).
(٢٣) النور (٥٦).
(٢٤) التوبة (٣٤، ٣٥).
(٢٥) البخارى ١/١٢٩، ٣/١٦٩.
(٢٦) أحمد ٤/٢٧٠.

حرية الاعتقاد والتكليف فى الإسلام

إن الإسلام لايكره أحداً على الدخول فيه :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(٢٧) .

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢٨) .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾(٢٩) .

وقد جعل الله ـ تعالى ـ للإنسان عقلاً يتأمل فى الشواهد والأدلة، وحواس وقدرة جسمية تمكنه أن يعرف طريق الهدى من طريق الضلال :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾(٣٠) .

والقول بأن الإسلام استخدم السيف فى إكراه الناس على الدخول فيه دعوى زائفة روج لها أعداء الإسلام، وأما قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)(٣١) . فلفظ الناس الوارد فيه ليس عاماً فلا يقصد به الناس جميعاً، وإنما المقصود به أناس بأعيانهم وهم أهل مكة من المشركين- هؤلاء الذين آذوا المسلمين فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم ونهبوهم وطردوهم من ديارهم فقال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾(٣٢) .

لكن الإسلام يطلب ممن لم يدخل فيه ألا يعتدى على أهله بالفعل أو بالقول، فلا يسئ إلى الدين ولاينال من قيمه ومثله العليا إلا رد الإسلام على العدوان .

حق الحرية الاجتماعية

لاشك أن الحرية تدل على قيمة من تعطى له والإنسان كائن اجتماعى كرمه مولاه فأعطاه هذه الميزة، وإذا كانت الأنظمة البشرية تحد من حرية الإنسان فى مناحى حياته الطبيعية فى الإقامة والتنقل والمسكن والمشرب والفكر، فإن الإسلام أعطى الأفراد حرية فى ذلك مع بعض القيود التى تنظم السلوك الفردى حتى ينسجم مع سلوك الجماعة .

والحرية فى الإسلام مكفولة بمراقبة الله ـ سبحانه ـ لابنظريات أشخاص- كأفلاطون أو سارتر- أو مؤسسات- كتلك التى أقامتها الثورة الفرنسية .

والحرية فى الإسلام تسمح للإنسان أن يعبر عن طاقاته وفكره مع الأمانة والمسئولية والإخلاص والضمير، وللإنسان الحق فى الدفاع عن نفسه إذا ماظلم ولكن بشروط وضوابط فلا

---

(٢٧) البقرة (٢٥٦).

(٢٨) يونس (٩٩).

(٢٩) الكهف (٢٩).

(٣٠) البلد (٨ : ١٠).

(٣١) البخارى ١/١٣، ٩/١٣٨.

(٣٢) الحج (٣٩، ٤٠).

يكذب فى شئ ولا يفترى على الآخرين، وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان إذا أتاه خصمان يتنازعان فى حق يقول لهما: «إنما أنا بشر ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فإذا قضيت لأحدكم بشئ من مال أخيه ظلما فإنما اقتطع له قطعة من النار»[٣٣].

وحق الإشهاد ثابت لكلا الخصمين شريطة عدالة الشهود فإن ثبت كذبهم يرجع على الشهود بالحد أو التعزير كما يقول الفقهاء.

وللإنسان حرية العمل والمشاركة فى نهضة الأمة فإذا ترك عملا فلأنه فاسد ضار وإذا عمل عملاً فلأنه صالح مفيد والإسلام يريد أن يكون الإنسان غير مسلوب الإرادة حتى يكون ذا دور فعال فى الحياة لتتقدم وتنهض وليس للإنسان حرية فى الإهمال أو التقصير فى الأعمال أو محاولة الحاق الضرر بالعمل الذى يقوم به مما يضر بالآخرين أو بالأمة أو يؤدى إلى ضياع مقدراتها باسم الحرية فى العمل أو أداء مايستطيعه، فإن مسئولية الإنسان ويقظة ضميره وإيمانه يدعوه إلى عامل الخلق الذى يوجه عمله إلى الاستقامة.

فالإسلام جعل حرية الإنسان قائمة على المبادئ التى ترتكز على التقوى وإحسان العمل «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[٣٤]. فالعقيدة والعمل متلازمان وعلى أساسهما يثاب الإنسان.

وعلى هذا فالقائلون بأننا نعطى من العمل بمقدار مانأخذ من الأجر مخطئون مفارقون لمعنى الحرية الحقيقية وقد جاء الإسلام بهذا واضحاً حينما حدد أن الإنسان حر فى عمله لكنه يتحمل مسئولية التقصير قال تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[٣٥].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٣٦].

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٣٧].

حق المرأة فى التكريم والعمل على قدم المساواة مع الرجل

فهى عنصر من عناصر المجتمع، وهى صنو الرجل والمكمل له، وهما يتقاسمان أمور الحياة ولاتستقيم بدونها وإذا كانت الشرائع والقوانين السابقة قبل الإسلام حطت من شأن المرأة وسلبت منها حقوقها فإن الإسلام كفل لها جميع حقوقها المدنية والاقتصادية والثقافية وغيرها كالرجل تماماً.

وقد أباح الإسلام للمرأة أن تسهم بجدها ونشاطها فى تسيير دفة الحياة وتكتسب خبرات ومهارات فى شتى الميادين وأن تتثقف وتتعلم وأن تعمل فيما يناسبها من الأعمال

---

(٣٣) أحمد ٣٣٢/٢.
(٣٤) مجمع الزوائد ٩٨/٤.
(٣٥) النجم (٣٩ : ٤١).
(٣٦) المدثر (٣٨).
(٣٧) فاطر (١٨).

وقد كانت المرأة فى صدر الإسلام تتولى التعليم والتثقيف، فقد كانت المرأة فى صدر الإسلام تتولى التعليم والتثقيف، فقد كانت امرأة من بنى عدى تعلم السيدة أم المؤمنين حفصة الخط وأصول الكتابة، روى مسلم وأبوداود عن حفصة أنها قالت: دخل علىَّ النبى ﷺ فقال لى: ألا تعلمين هذه الرقية كما علمتك الكتابة»(٣٨).

وكان للسيدة نفسية بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن على بن أبى طالب مجلس علم كان يحضره الإمام الشافعى ويذكر المقرى فى نفح الطيب أن جارية تعلمت النحو واللغة والعروض وفاقت سيدها فى ذلك وكانت تحفظ كتاب الكامل للمبرد والأمالى للقالى وكانت تدرس لطالبى العلم.

وقد دعا النبى ﷺ إلى العناية بالمرأة فقال: «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق وعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد»(٣٩).

حق التفكير والتعليم

خاطب الإسلام العقل ووجهه إلى التفكير فى ملكوت السموات والأرض:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤٠).

وكثيراً مايوجه الخطاب القرآنى إلى العقل الواعى عند ذوى الألباب.

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٤١).

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٤٢)

وفى القرآن الكريم دعوة إلى التفكير:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤٣).

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤٤)

ودعوة القرآن إلى العلم كثيرة:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤٥)

ويقول الحق ـ سبحانه ـ لنبيه ﷺ:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٤٦).

---

(٣٨) أخرجه مسلم وأبو داود. (٣٩) الطبرى ٤/٢١٢. (٤٠) البقرة (١٦٤).
(٤١) آل عمران (٧). (٤٢) الزمر (١٨). (٤٣) البقرة (٢١٩).
(٤٤) الأنعام (٥٠). (٤٥) الزمر (٩). (٤٦) طه (١١٤).

ويقول ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[٤٧]. وقال ﷺ : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[٤٨] وقال : (إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء)[٤٩].

وقال : (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع)[٥٠].

والعلم هنا بمعناه الواسع العلم الدينى والعلم الدنيوى فالدخول إلى العلوم الحديثة أمر إلهى فيؤخذ منها مايفيد المسلمين فى حياتهم الدنيوية.

فالقرآن الكريم يأمرنا بالنظر ومعرفة العلوم المتاحة وألا نتخلى عنها لأنها من صميم مايدعو إليه الإسلام.

ولكن ينبغى ألا نفرط فى الربط بين قضايا العلوم الحديثة وآيات القرآن، لأن ماتصل إليه العلوم الحديثة مجرد احتمال قابل للتغيير والصواب والخطأ، وهذا وإن صح ربط بعضه بالقرآن فلا يجوز أن تقول إن كل مستحدث فى العلم جاء فى القرآن الكريم.

فبعض من يرى وصل العلم الحديث بالقرآن يدعى أن السيارات السبع فى المنظومة الشمسية هى المرادة بالسموات السبع فى القرآن الكريم فكيف يصح ذلك التأويل مع أنهم أدخلوا فى السيارات السبع الأرض؟ ثم قد اكتشفت فلكيات أخرى لم تكن معلومة عند المتقدمين (مثل فلك النجيمات وأرانوس ونبتون وبلوطس وغيرها من المذنبات والشهب ».. ونجد كشوفا أخرى تظهر خطأ هذا الربط.

وقد فسروا الدخان بالسديم فى خلق السموات.

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[٥١]

والنظرية السديمية قال بها « سويدنبرج » وفصلها « لابلاس » وبها فسرت نشأة المنظومة الشمسية من السديم (مادة غازية ملتهبة) وهكذا نشأت النجوم، ولكنها مجرد نظرية محتملة لايقينية. يمكن أن تتعرض للثبوت أو النفى فيما يأتى من الزمان.

ثم إن التفسير العلمى للقرآن ينبغى أن يُتريث فيه ولايدخل مجاله إلا من يملك أدوات المفسر والمجتهد.

---

(٤٧) الطبرانى ٢٤٠/١٠.

(٤٨) اتحاف السادة المتقين ٢٦٨١.

(٤٩) البغوى ٢٢/٧.

(٥٠) اتحاف السادة المتقين ٢٦٤٧، الترغيب والترهيب ١٠٥/١.

(٥١) فصلت (١١، ١٢).

حقوق الإنسان .. رؤية أمريكية

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

قضية حقوق الانسان واحدة من أهم القضايا التى كثر الحديث حولها خلال القرن المنصرم، وحظيت دول الشرق الأوسط وبخاصة الإسلامية منها باتهامات حادة بأن حكوماتها تمارس انتهاكات متعددة لحقوق الإنسان.

وفى فترة من الفترات تركزت هذه الاتهامات على جمهورية مصر العربية حيث تحدثت تقارير متعددة عن انتهاكات لحقوق الأطفال الذين يمارسون أعمالا شاقة تتنافى مع طبيعتهم البريئة، فضلا عن قضية ختان الإناث التى قفزت فى فترة من الفترات لتتصدر اهتمامات منظمات حقوق الإنسان.

وهناك من تحدث عن انتهاكات بحق المرأة - فى مصر أيضاً - فيزعمون أنها لا تحصل على قسط وافر من التعليم.

كما تحدثوا عن أن الإسلام يجيز للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة فى حين أنه لا يمنح نفس الحق للمرأة، وأن الشريعة الإسلامية منعتها من المساواة مع الرجل فى الميراث.

وعقدت مؤتمرات متعددة كلها تكيل الاتهامات للحكومات العربية والإسلامية وتتهمها بانتهاك حقوق الإنسان، وبدأت تظهر دعوات جديدة عن ضرورة تحديث الإسلام وتطويره، ليصبح مواكبا للعصر فماكان يحدث منذ أكثر من ١٤٠٠ عام لا يمكن أن يسمح به اليوم.. هكذا يقولون!! وركز دعاة حقوق الإنسان حملاتهم على مصر باعتبارها مركز الإشعاع الإسلامى فى العالم كله من جانب، فضلا عن ثقلها السياسى الذى يضعها فى مصاف الزعامة وسط الدول الإسلامية من جانب آخر.

وتناسى أدعياء حقوق الإنسان حقائق هامة متعددة يمكن إجمالها فى أن هناك انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان أبشع وأشنع فى شتى دول العالم.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر - والتى اعتقد أنه لا يمكن الجزم على وجه اليقين بمسئولية جهة بعينها عنها - اختفى دعاة حقوق الإنسان تماما من الساحة وأعلن التحالف «الأوروأمريصهيونى» الحرب على الإسلام شعوبا وعقيدة وثقافة.

ووضع الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش حجر الأساس للحملة الصليبية على الإسلام وعلى الشعوب

الإسلامية فقامت قواته بدك مالم يدمره الروس فى أفغانستان وقاموا باقتلاع جذور الحياة منها وحولوا شعبها إلى لاجئين مشردين وسط خرائب أرضهم فى حين واصل الروس حملتهم الشرسة فى الشيشان مستغلين انحسار الضوء عن مأساة الشعب الشيشانى بعد انشغال الرأى العالم العالمى بحادث ١١ سبتمبر.

وفى الجنوب حصل المتطرفون السيخ والهندوس على الضوء الأخضر من حليفهم بوش لإنهاء قضية كشمير وتصفية شعبها بدعوى أنه شعب إرهابى تربطه علاقات مع تنظيم القاعدة!!

بداية أقول أو أتساءل من المستفيد ومن الخاسر من أحداث ١١ سبتمبر؟

وأطرح سؤالا آخر: لماذا لم ينفذ أسامة بن لادن تفجيرات ١١ سبتمبر فى تل أبيب مثلا بدلا من نيويورك؟ أعتقد لو فعلها لكانت أمور كثيرة قد تغيرت لأن إسرائيل لا يمكن أن تتحمل نوعا من هذا الهجوم الذى كان بالتأكيد سيصيب ساكنيها بالهلع ويدفعهم دفعا نحو الفرار من تلك الأراضى التى زعم من زعم أنها ميراث بنى إسرائيل!!

بل لعل بن لادن كان سيصبح حينها بطلا قوميا تتغنى المظاهرات الحماسية باسمه!!

السؤال الرئيسى: لماذا فى الولايات المتحدة تحديدا حدث هذا الانفجار؟ ولماذا تم اختيار بن لادن- الذى ترتب عليه تحميل الشعوب الإسلامية كلها مسئولية هذا الهجوم- وأفغانستان الواقعة بين كثافة إسلامية هائلة حيث تركيا والجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى المنحل وإيران وباكستان وبنجلاديش والهند وإندونيسيا وماليزيا والعراق ودول الخليج البترولية؟

المهم فى الموضوع أن دعاة حقوق الانسان اختفوا تماما لم يعد هناك من يتحدث عن قضية ختان الإناث فى مصر، ولا قضية تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية ولا الظلم الواقع على المرأة المسلمة من جراء عدم مساواتها بالرجل فى الميراث.. لماذا؟

لأن الولايات المتحدة وحلفاءها فى إسرائيل والهند وروسيا قرروا معالجة الأمر بأنفسهم وتصفية هذه الشعوب التى دخل بعضها ضمن التصنيف الأمريكى الشهير «محور الشر».

فبعد ليبيا وسوريا وإيران أصبح البعض يتحدث عن السعودية واليمن. فى حين لم يرصد أحد حتى يومنا هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية أحرزت مكاسب عسكرية هائلة من وراء تفجيرات نيويورك فى مقدمتها تحويل مدينة قندهار الأفغانية بكاملها إلى قاعدة عسكرية أمريكية، بل لعلها أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى العالم كله تراقب من خلالها نشاطات الدول الإسلامية بوجه خاص مثل باكستان وتركيا وإيران خاصة الأولى والثالثة حيث دخلت الدولة الأولى إلى

نادى الدول النووية وتسعى الثالثة إلى نيل بطاقة العضوية العاملة فيه.

أما تركيا فهى نقطة التمفصل بين قارتى أوروبا وآسيا، والولايات المتحدة وباعتبارها زعيمة للتحالف «الأورو أمريصهيونى» لا يمكن أن تنسى أن تركيا فى وقت ما كانت دولة عظمى مرهوبة الجانب وقد تسعى إلى استعادة ماضيها، كذلك تتيح لها هذه القاعدة التجسس على أعدائها التقليديين «روسيا والصين».

وفضلا عن ذلك أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تنفرد بتصنيف الدول إلى دول «شر» ودول «خير» ودول إرهابية ودول متعاونة، وظهر المصطلح الأمريكى الشهير «من ليس معنا فهو ضدنا» وهكذا مطلوب من العالم كله وفى مقدمته العالم الإسلامى أن يكون عالما أمريكيا حتى ينجو من شبهة اتهامة بالإرهاب والشر.

فهل حقا تعرضت الولايات المتحدة لخسائر من جراء هجمات نيويورك المزعومة أم جنت من وراء ذلك مكاسب هائلة؟

ويبدو أن إسرائيل «طفل أمريكا المدلل» أدركت اللعبة وقررت أن تستفيد منها إلى أقصى درجة فحاكت النموذج الأمريكى تماما.

وكما قصف بوش أفغانستان بالقنابل وأفنى الحياة من ربوعها يسير شارون على نفس الدرب فيقوم بضرب الضفة الغربية بالطيران والمدفعية وفى الطريق غزة.

بل أين أسامة بن لادن نفسه؟ هل هو حقيقية أم قصة سينمائية تم تصويرها وإخراجها فى «هوليوود» أين أسامة بن لادن؟ ومن الذى صنعه ودربه على الإرهاب إن كان حقا شخصية لها أصل فى الواقع المحسوس؟ فقط مجموعة من شرائط الفيديو تم بثها عن طريق محطة فضائية ناشئة ذات توجهات أقل ما توصف به بأنها غير مريحة.

كيف تستطيع محطة فضائية ناشئة أن تنجح فيما فشلت فيه الولايات المتحدة: تحديد مكان بن لادن وتصوير حديث له يذاع للعالم كله.

وإذا كان بن لادن هو الذى أرسل الأشرطة فكيف يتسنى له ذلك وسط الحصار والضربات الجوية والبرية والبحرية؟ وما هى أهداف أسامة بن لادن من تسجيل وإذاعة هذه الأشرطة؟ هذه الأشرطة نجحت فقط فى تبرير الضربات الأمريكية على أفغانستان فهى وإن لم تتضمن اعترافا صريحا بالمسئولية عن تفجيرات «١١ سبتمبر» إلا إنها حملت إشادة بتفجيرات نيويورك ومن نفذوها وهو الأمر الذى كان كافيا من وجهة النظر الأمريكية، فى تبرير ضرب أفغانستان، ثم فلسطين فيما بعد.

مراسل مجلة News Week[1] وجه سؤالا

إلى «إيفى إيتام» وهو جنرال سابق فى الجيش الإسرائيلى ومتطرف مغال فى تطرفه «حسب وصف المجلة»: إسرائيل تتعرض لضغوط قوية من الولايات المتحدة للانسحاب هل يمكنكم أن تصدوا أهم حلفائكم؟

رد «إيفى إيتام» بقوله: أنتم «الولايات المتحدة» ركبتم طائرات ب٥٢ التابعة لكم وضربتم كل شئ تحت غيوم أفغانستان، لم تكترثوا بالمدنيين، لم تعيروا أى اهتمام بالبنية التحتية لتلك البلاد، لقد شعرتم بأن بوسعكم القيام بهذا لأنكم شعرتم بأنكم آمنون من الانتقاد الدولى، ولعدة أسابيع لم تسمحوا لوسائل الإعلام بالدخول إلى أفغانستان، وقد احتججتم إلى الوقت، نحو سبعة أشهر، سأقول لكولين باول ألا يكون لديه معيار أخلاقى مزدوج.

والآن توجه إسرائيل الاتهامات إلى المملكة العربية السعودية بدعم الإرهاب ودليلها على ذلك أن المملكة العربية السعودية تقدم معونات لأبناء الشعب الفلسطينى، أبناء المقهورين الذين جرى ذبحهم بشكل جماعى بشع نشرت صوره وكالات الأنباء مثل مذابح مخيم صابرا وشاتيلا، تلك المذبحة التى أكدت تحقيقات لجنة كاهاناه الإسرائيلية مسئولية السفاح الصهيونى أرئيل شارون وزير الدفاع الصهيونى آنذاك عنها.

ولم يتورع السفاح عن تكرار المذبحة فى جنين، ولكن هذه المرة منع الصحفيين ووكالات الأنباء من الاقتراب والتصوير، ومنع لجنة تقصى الحقائق التى شكلتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار لمجلس الأمن من الذهاب لمعاينة المذبحة على الطبيعة، مما يعطى صورة بشعة عن حقيقة الوضع فى مخيم جنين تماما كما فعل الأمريكيون فى أفغانستان..

والآن شارون يتهم المملكة العربية السعودية بدعم أسر شهداء جنين ببضعة قروش تعاونهم على إزالة آثار العدوان، تلك الآثار التى يرغب شارون ألا تزول حتى يصاب الشعب الفلسطينى باليأس والإحباط ولا يكون أمامه إلا أمران لا ثالث لهما إما الخنوع والخضوع والاستسلام، وإما مغادرة الأراضى نهائياً.

تلك هى الرؤية الأمريكية الصهيونية لحقوق الإنسان المسلم بوجه عام والعربى بوجه خاص، وأصبح شعارهم: «هؤلاء القوم يجب أن يخضعوا لنا» ولكن ما لا يعلمه هؤلاء أننا أمة موعودة بالنصر مادمنا مؤمنين شاءوا ذلك أم أبوا، وعدنا الله ولن يخلف وعده:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)

صدق الله العظيم، صدق الله العظيم، صدق الله العظيم.

(١) ٢٣ إبريل ٢٠٠٢ باللغة العربية.

(٢) آل عمران (١٣٩).

لاجئ ينشد وطناً

للشاعر الكبير الأستاذ / خير الدين الزركلي (*)

دُمُوعُ مَنْ تلكَ الّتي تَذْرِفُ؟ ** وقَلْبُ مَنْ، هذا الذي يوجِفُ؟(١)
إنْ كانَ إنْساناً فَهلاَّ صَغى ** إلَيْهِ مَنْ يَرْحَمُ أوْ يَرْأَفُ(٢)
أمْ لَيسَ في النَّاسِ لمسْتَنْصِفٍ ** من ناصرٍ يَعْطِفُ أوْ يُنْصِفُ(٣)
جَرَّدَهُ مِنْ بَأْسِهِ غَادِرٌ ** وسَامَهُ الذِّلةَ مُسْتَضْعِفُ(٤)
أَلْقَتْ بِهِ الأَيَّامُ في هُوَّةٍ ** أيْسَرُ ما يَلْقَى بِها المْتْلَفُ(٥)
يُصَارِعُ الحِدْثَانَ جَيَّاشَةً ** كأنَّهَا في فَيْلَقٍ تَزْحَفُ(٦)
إنَّ رَدَّ مِنها مُوجِفاً خَطْبُهُ ** عَاجَلَهُ مِنْ خَطْبِهَا مُوجِفُ(٧)
هَبَّتْ تُواسِيهِ ذرارِيهُ ** وبَيْنَهَا الهَالِكُ والمُشْرِفُ(٨)
يَقُولُ عانِيهِمْ، وَوَجْهُ الدُّجَى ** كَوَجْهِهِ، مُكْتَئِبٌ مُغْضِفُ(٩)
أَمَا إلى الأفلاكِ مِنْ وَثْبَةٍ ** تُمْحَقُ فيها الشَّمْسُ أوْ تُنْسَفُ(١٠)
مَا أعْدَلَ الذَّرَّةَ صَعَّاقَةً ** تَفْعَلُ مَا لا يَفْعَلُ المُرْهَفُ(١١)

(*) قيلت هذه القصيدة منذ خمسين عامًا وكأنها قيلت الآن، والشاعر الكبير خير الدين الزركلي من كبار الشعراء، وسفير المملكة العربية السعودية بالمغرب سابقًا.

(١) يوجف: يضطرب. (٢) صغى: مال. (٣) مستنصف: يطلب الإنصاف.
(٤) مستضعِف: بكسر العين: يعدّه ضعيفاً. (٥) هُوّة: حفرة، المتلف: الهلاك. (٦) الحدثان: صروف الدهر، فيلق: جيش.
(٧) الموجف: الباعث على الاضطراب الشديد. (٨) ذراريه: نسله، المشرف: القريب من الهلاك.
(٩) مغضف: منكمش. (١٠) تنسف: تكسف. (١١) المرهف: السيف.

لا خَيْرَ فِى الأَرْضِ ومَا أنْبَتَتْ ** ولا بِأَهْلِيها ومَا زَخْرَفُوا[١٢]
الْمُسْتَذَلُّ الحُرُّ، والْمُزْدَرى ** عَالِى الذُّرا، والأَوْضَعُ الأَشْرَفُ[١٣]

●●●

مَعَاشِرٌ عَزَّتْ لَهُمْ أَنْفُسٌ ** تأبى الدَّنِيَّاتِ وتَسْتَنْكِفُ[١٤]
أَنْفُسُ أَحْرَارٍ ثِقالِ الخطى ** إن خَفَّ يَوْمَ الرَّوْعَةِ الخُوَّفُ[١٥]
مَنْبِتُهُمْ عَدْنَانُ أَوْ جُرْهُمٌ ** وأُمُّهُمْ بَلْقِيسُ أَوْ خِنْدِفُ[١٦]
لَمْ يَرتَضُوا بالْهُونِ فى أَرضِهِمْ ** يَأْبَى مَقَامَ الهُونِ مَن يَأْنَفُ[١٧]
خَلّوْا تُراثَ العِزِّ لم يَحْفِلوا ** واسْتَوْدَعُوا الأَقْدارَ ما خَلَّفُوا[١٨]
مَبِيتُهُمْ فِى حُفْرَةٍ قَفْرَةٍ ** تَكَادُ مِنْ لأْوائِهِمْ تُخْسَفُ[١٩]
لاَ عَاصِمٌ إنْ عَصَفَتْ زَعْزَعٌ ** ولاَ وِقَاءٌ إِنْ هَمَى صَيِّفُ[٢٠]
مَصْبَحُهُمْ هَمٌّ، ومَمْسَاهُمُ ** غَمٌّ، ومَضْحَاهُمْ ضَنىً مُدْنِفُ[٢١]
تَوَاطَأَ النَّاسُ عَلَى نَبْذِهِمْ ** كَأَنَّهُمْ دَراهِمٌ زُيَّفُ![٢٢]
كَمْ وُوعِدُوا، ومَا وفَى وَاعِدٌ ** وشَرُّ مَنْ واعَدَكَ الْمُخْلِفُ[٢٣]
لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ لَمَا رُوِّعُوا ** فِيمَ يُراعُ الأَعْزَلُ الأَضْعَفُ[٢٤]
بَيْنَ التَّعِلاَّتِ وبَيْنَ الْمُنَى ** فِى كل يَوْمٍ لَهُمُ مَوْقِفُ[٢٥]
يُثَرْثِرُ السَّاسَةُ مِنْ حَوْلِهِمْ ** هَذَا يُمَنِّيهِمْ وذَا يَلْهَفُ[٢٦]

---

(١٢) زخرفوا: أبدعوا من الزينة. (١٣) المستذل: الذليل، المزدرى: المحتقر. (١٤) الدنيات: الصغائر.
(١٥) الروعة: الفزع. (١٦) يريد بجرهم وبلقيس: قحطان. (١٧) الهون: الذل.
(١٨)خلوا: تركوا، يحفلون: يهتمون. (١٩) لأواؤهم: ما يلقون من الشدة. (٢٠) زعزع: رياح شديدة.
(٢١) ضنى: مرض، مدنف: مسقم. (٢٢) تواطأ: أجمع، زيف جمع زائف. (٢٣) وُوعدوا: قدمت لهم الوعود.
(٢٤) الأعزل: من لا سلاح معه. (٢٥) التعلاَت: ما يموه لهم من الوعود.
(٢٦) الساسة: السياسيون، يلهف: يبلع الحقوق.

كـأنَّهُمْ حَـقْلُ تَجَـاريبِـهِمْ ** ولَيْسَ مِنْ يَانِعـةٍ تُقْطَفُ(٢٧)
أطِبَّـةٌ حَـوْلَ ضَنٍ شَـرَّحُوا ** جُـثْمَـانَهُ وعَـيْنُهُ تَطْرِفُ!!(٢٨)

●●●

ولِلسِّيـاسَاتِ أحَابِيلُها ** لا مُنْصِفٌ فِيهَا ولا مُسْعِفُ(٢٩)
لُغَـاتُهـا غَـيْرُ لُغى نَاسِنا ** وعُـرْفُهـا غَـيْرُ الَّذى يُعْرَفْ(٣٠)
يَـدُورُ مَـنْ حَلَّقَ فِى جَـوِّهَا ** فى فَلَكٍ أنْجُـمُـهُ رُجَّفُ(٣١)
لاَ تُدْرِكُ العَـيْنُ ألاعِيبَـهَا ** ولاَ يُحِسّ السَّـمْعُ مَا تَهْـرِفُ(٣٢)
وأهْلُهَـا إنْ وَاعَـدُوا أخْلَفُوا ** مِيعَادَهُمْ، أوْ عَاهَدُوا لم يَفُوا
الظُّلْمُ فِيهَا، العَـدْلُ فى غَيْرِها ** والمُقْسِطُ المُؤْتَمَنُ المُجْحِفُ(٣٣)
والمُسْتَعَـادُ القَـولِ، مَمْلُولُهُ ** والأحْكَمُ المُسْتَلْهَمُ، الأسْخَفُ(٣٤)

●●●

مَـدَّتْ بِسَاطَ العَطْفِ مِنْ رِفْقِهَا ** واللاجِىءُ المَحْرُوم مُسْتَعْطِفُ(٣٥)
تُطْعِمُـهُ الزَّقُّومَ، كُلْ هَانِئاً ** أمَامَكَ السُّمُّ أمَا تَغْرِفُ(٣٦)
مَوْطِنُكَ الدُّنْيَا.. وإنْ يَبْغِهِ ** فَبَيْتُـهُ قَاعٌ بِهَا صَفْصَفُ(٣٧)
مُشَـرَّدٌ كَـأنّهُ أُكْـرَةٌ ** يَحْبِسُهَا اللاَّعِبُ أوْ يَقْذِفُ(٣٨)
تَنْقُلُهُ الذِّكْـرَى إلى عَهْـدِهِ ** فِى المَوْطِنِ الحَقِّ فَيَسْتَشْرِفُ(٣٩)

---

(٢٧) يانعة: زهرة ناضرة. (٢٨) أطبة: جمع طبيب، ضن مريض. (٢٩) أحابيلها: المراد مكائدها.
(٣٠) عرفها: ما تعارفت عليه. (٣١) حلق: طار. (٣٢) تهرف: تكذب.
(٣٣) المقسط: العادل. (٣٤) الأحكم: ذو الحكمة. (٣٥) مستعطف: يطلب العطف.
(٣٦) الزقوم: مُرّ الطعام. (٣٧) يبغيه: يطلبه، صفصف: خال قفر. (٣٨) أكرة: ما يلعب بها.
(٣٩) يستشرف: يتطلع.

وتَسْـتَـعِـيـدُ الأَمْسَ أَحْـلامُـهُ ** وَهْوَ الرَّضِيُّ العِـيـشَـةِ المُتْـرَفُ(٤٠)

أَيَّامَ نُعْـمَـاهُ، وظِلُّ الحِـمَى ** مُنْبَسِـطٌ، دَانِي الجَنَى، مُـورِفُ(٤١)

●●●

وَيْحَ اللَّيَـالِي.... فِي تَصَارِيفِـهَا ** يَضِلُّ رَأْيُ الأَكْيَسِ المُحْصِفُ(٤٢)

حَمْقَـاءُ يَمْضِي حُكْمُـهَا ضَلَّةً ** كَمَا يَسُوسُ الخُنَّعَ الحُيَّفُ(٤٣)

عَابِثَةٌ إِنْ كَدَّرَتْ أَوْصَفَتْ ** لا بِالْهَوَى ولا الْهُدَى تُوصَفُ

جَرَّعَتِ الْعَلْقَمَ مَنْ نفسه ** عَنّ وِرْدِ غيرِ المُشْتَهَى تَعْزِفُ(٤٤)

وبَاتَ مَنْ طَابَ لَهُ عَيْشُهُ ** وقُوتُهُ الطَّحْلَبُ والحُرْشُفُ(٤٥)

ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا، وكَانَتْ لَهُ ** وانْقَلَبَ الْفُلْكُ الَّذِى يَجْدِفُ(٤٦)

النَّاعِمُ الهَانِىءُ فِي أَمْسِهِ ** يَسْتَرْفِدُ الْيَوْمَ وَيَسْتَرْدِفُ(٤٧)

يُثِيرُهُ الحِقْدُ عَلَى دَهْرِهِ ** ويَنْثَنِي فِي قَيْدِهِ يَرْسُفُ(٤٨)

الجُوعُ والْعُرْيُ يُنِيخَانِه ** والشَّرَفُ الضائعُ يَسْتَوْقِفُ(٤٩)

مَا اسْتَنْطَقَ الأَجْيَالَ مُسْتَرْشِدٌ ** بِمَا طَوَتْ عَنْهُ ومَا تَكْشِفُ(٥٠)

إِلاَّ أَجَابَتْهُ تَجَارِيبُهَا ** كَأَنَّهَا مِنْ غَيْبِهَا تَهْتِفُ(٥١)

مَا لِلتَّصَارِيفِ بَقَاءٌ عَلَى ** حَالٍ، لِكُلِّ مِحْنَةٍ مَصْرِفُ(٥٢)

---

(٤٠) وهو الرضى: الواو للحال أى حال كونه راضياً. (٤١) مورف: ظليل.

(٤٢) المحصف: الحصيف صفة للرأى.

(٤٣) الخنّع: جمع خانع وهو الخاضع، الذليل. الحيف: جمع حائف وهو الظالم.

(٤٤) تعزف: تنصرف. (٤٥) الحرشف: نبات خشن لا يؤكل. (٤٦) يجدف: يسير فى الماء.

(٤٧) يسترفد: يطلب العطاء وكذلك يستردف. (٤٨) يرسف: يمشى مشية المقيد. (٤٩) ينيخانه: المراد يخضعانه.

(٥٠) استنطق: طلب الإجابة نطقاً. (٥١) غيبها: عالمها المحجوب.

(٥٢) التصاريف: صروف الزمن، مصرف: ذهاب.

الشَّرُّ بالشَّرِّ لَمَنْ يَصْطَلى ** والخَيْرُ بالخَيْرِ لمنْ يُسْلِفُ(٥٣)

بَرَاءةُ الجَانى عِقَابٌ لِمَنْ ** لا يَقْرُبُ الإثْمَ ولا يَقْرِفُ(٥٤)

●●●

مَرَرْتُ بالقَوْمِ وقَدْ خَيَّمُوا ** والرِيحُ فِى أبْياتِهِمْ تَعْصِفُ(٥٥)

جَحَافِلٌ مُنْبَثَّةٌ فِى الفَلا ** كأنَّهَا هَيَاكِلٌ تُرْصَفُ(٥٦)

أَخْمَدَ طُولُ السِّغْبِ أَنْفَاسَهَا ** كَالجَمْرِ فِى رَمَادِه يُغْلَفُ(٥٧)

ضَامِرُهَا يُوشِكُ أَلا يُرى ** ضَآلةً، وقَرْمُهَا أَعْجَفُ(٥٨)

إنْ شَاقَهُمْ لَحْنٌ فَأَنَّاتُهُمْ ** تُشْجِى، وأوْتَارُ الحَشَا تَعْزِفُ(٥٩)

لَيْسُوا بأَحْيَاءَ ولكنَّهُمْ ** تُسْمَعُ من أفْوَاهِهِمْ أَحْرُفُ!

شَقَّ علَى التَّوْرَاةِ مَا نابَهُمْ ** وغَضِبَ الإنْجِيلُ والمُصْحَفُ

واضطَرمَتْ آفَاقُ أجْوائِهِمْ ** وخُضِّبَتْ تحتَ اللظَى الأَسْيُفُ(٦٠)

جِيرَتَهُمْ وأَهْلُهُمْ حَوْلَهُمْ ** مَا إنْ لَهُمْ عَنْ نَصْرِهِمْ مَحْرِفْ(٦١)

إنْ يَثْأَرُوا، فَالجُرْحُ دَامٍ، ومَا ** يَمْحُو دماً إلاّ دمٌ يُنْزَفُ(٦٢)

●●●

(٥٣) يسلف: يقدم.

(٥٤) يقرف: يخالط.

(٥٥) خيّموا: نصبوا الخيام.

(٥٦) جحافل: جموع كالجيوش، ترصف: تبنى.

(٥٧) السغب: الجوع، يغلف: يُوارى.

(٥٨) قرمها: بطلها، أعجف: هزيل.

(٥٩) تعزف: تغنى.

(٦٠) خضّبت: كسيت بالدم.

(٦١) محرف: منصرف.

(٦٢) دامٍ: يسيل وينزف.

اليهود فى الإعلام الأمريكى

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تعتمد معظم وسائل الإعلام والاتصال العالمية المسموعة والمرئية، والمقروءة اعتماداً كبيراً فى أخبارها على خمس وكالات أنباء عالمية هى: «رويتر» فى لندن، ووكالة الأنباء الفرنسية فى باريس، ووكالة تاس فى موسكو، ووكالتى الأسوشيتدبرس، واليونايتدبرس إنترناشونال فى الولايات المتحدة الأمريكية، واللافت للنظر أن معظم هذه الوكالات الإخبارية تخضع لهيمنة اليهود عليها، إذ يلاحظ فى الولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة اليهود المشتغلين فى مجال الإعلام تربو على خمس وعشرين فى المائة من إجمالى العاملين فى هذا المجال، سواء كانوا محررين، أو كتاباً ومنتجين للبرامج فى الشبكات الإخبارية وتشير مجلة «فانيتى فير» فى تحقيق صحفى لها فى أكتوبر ١٩٩٤، إلى ملوك صفوة الإعلام من اليهود فتقول: «إن نصف الصفوة الإعلامية وعددهم ١٢ إعلامياً هم من اليهود الذين يمثلون صفوة القوة الإعلامية الأمريكية» وفى هذا السياق نجد «يوجين فيشر» مدير العلاقات الكاثولكية اليهودية بالمجلس القومى لأساقفة الكاثوليك الأمريكان يقول: «إذا كانت هناك قوة يهودية فهى قوة الكلمة، قوة كتاب أعمدة الرأى العام، وصانعى الرأى العام، إذ أن مجتمع اليهود هو مجتمع متكلم، لديه الكثير ليقوله، وإذا كان باستطاعة أى أحد أن يشكل الرأى العام فهو ولاشك قادر على صنع الأحداث أيضا» وفى هذا الإطار توجد مجموعة من الكتاب اليهود البارزين يأخذون على عاتقهم مهمة الدفاع عن اليهود وإسرائيل يأتى فى صدارتهم الثلاثى اليهودى «ويليام صافير» و«إبراهام روزنتال»، من جريدة نيويورك تايمز، و«ريتشارد كوهين» من جريدة واشنطن بوست وثمة مجموعة من المجلات التى تفرد مساحات كبيرة للمسائل ذات الاهتمام اليهودى نذكر منها «نيويوركر»، و«نيويورك رفيو أوف بوكس»، و«ديسنت» وهى مجلات تتناول موضوعات متنوعة تختص بالشئون اليهودية مما يتح لها أن تنقل وجهات نظر الطائفة اليهودية إلى الرأى العام الأمريكى لكسب تأييده.

ومن أشهر الصحف التى يمتلكها اليهود جريدة «نيوريبابليك» التى يمتكلها، ويرأس تحريرها «مارتين بيريز» وهذه الجريدة تحتفظ لنفسها بحق الهجوم على أى جماعة أو أى فكرة باستثناء جماعتين فقط هما إسرائيل والشواذ، وبرغم أن جريدة «نيويورك تايمز» ليست من أكبر الصحف توزيعا فى أمريكا، أو حتى فى مدينة نيويورك، لكنها تكتسب أهميتها من أن قراءها هم من أبرز الشخصيات نفوذاً، وهى من أكبر الصحف ذيوعاً وشهرة فقد اشتراها اليهودى «أدولف أوكس» عام ١٨٩٦، ويعتلى قمتها الآن «أرثر سالزبرج» الذى نشأ فى أسرة من أب يهودى وأم مسيحية، وقد جرى تعميده فى طفولته، ولكنه يؤكد أن ٩٩٪ من الناس يعتبرونه يهودياً.

ومن جانب آخر يؤكد «أرثرسالزبرج» أن جريدة نيويورك تايمز ملكية يهودية ولكنها ليست جريدة يهودية إذ يقول: «نحن أمريكيون من أصول يهودية، ولسنا يهوداً نعيش فى أمريكا» كما يسيطر اليهود على صحيفة (الواشنطن بوست) التى تلى جريدة (نيويورك تايمز) فى المرتبة الثانية من الأهمية، وترجع أهمية هذه الصحيفة إلى انتشارها فى أجهزة الحكومة الأمريكية التى تتحكم فى رسم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كما تمتد الهيمنة الإعلامية اليهودية على جريدة (الديلى نيوز)، و(النيويورك بوست)، و(صن تايم)، جدير بالذكر أن شبكات الإذاعة والتليفزيون الأمريكية يهيمن عليها أيضا أكبر ثلاثى إعلامى يهودى هم «ويليام بيلى» شبكة سى.بى.أس، و«دافيد سارنوف» شبكة إن بى. سى، و«ليونارد جولدنسون» شبكة إيه. بى.سى وقد تحولت هذه الشبكات الإخبارية الثلاثة إلى صناعة إعلامية مرموقة بفضل هذا الثلاثى الإعلامى اليهودى الذى يهيمن على إدارتها، ورئاسة تحريرها،

ولم تقتصر الهيمنة اليهودية على مجال الإعلام الصحفى والبث الإذاعى والتليفزيونى بل امتدت أيضا إلى الإعلام السينمائى، فقد اكتسب يهود هوليود ثقلاً سياسياً فريداً، إذ نجد العديد من الأسماء الإعلامية اليهودية البارزة ذات الثقل السياسى فى مدينة السينما الأمريكية أمثال «ليوفاسر مان» رئيس مجلس إدارة شركة أم. سى. إيه ـ M.C.A، «وباربرا استرايساند» ويؤكد الكثيرون أن اليهود هم الذين ابتكروا صناعة السينما فيقول المؤرخ «نيل جبلر» فى كتابه «إمبراطورية من صنعهم» عام ١٩٨٨ «صحيح أن كاميرا السينما ابتكرها شخص غير يهودى، ولكن حلم صناعة السينما فى هوليود تحقق على أيدى عدد من المهاجرين اليهود، فقد رأوا أن هذه الكاميرا يمكن استخدامها لرواية القصص والحكايات، فبادروا ببناء الأستوديوهات، وابتدعوا نظم

التـوزيع، وأقـامـوا دور السـينمـا فى كل الولايات الأمـريكيـة ويتـصـدر هؤلاء اليـهـود « أدولف سوكر » و« ويليام فوكس » و« صامويل جولدوين »، و« لويس ماير »، و« كارل لاميل » و« ماركوس لوى » والأخوة « وارنر ».

وقد شارك هؤلاء السينمائيون فى تحويل هذا الابتكار التكنولوجى (كاميرا السينما) إلى صناعة سينمائيـة تدر عليـهم بلايين الدولارات، بالإضافـة إلى إسـهامـات هذه الصناعـة الإعـلامـيـة فى خـدمـة أهداف الصهيونية العالمية، وتصوير إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية فى محيط عربى متخلف. وتمدنا بعض الإحصائيات بأن أكثر من ٩٠٪ من المشتغلين فى مجال الإعلام السينمائى الأمـريكى، إنتـاجـاً، وإخـراجـاً وتصـويراً من اليهود لذلك يمكن القول أن صناعة السينما فى أمـريكا هى صناعـة يهـودية فى الدرجـة الأولى لاينازعهم فيهـا أحد وفى الحقيقـة أن اليـهـود بحكم هيـمنتـهـم على الإعـلام السينمائى، استغلوا قضيـة اضطهـاد النازية الألمانيـة لليـهـود والمحارق التى يزعـمـون أنهم تعـرضوا لهـا، فـأنتجـوا العشرات من الأفلام التى تبـالغ فى تصـوير العنف النازى، وشراسته، ومدى الظلم الذى ألحقته النازية الهـتلرية بآبائهـم، وأجـدادهم فى الشـتـات الألمانى، لاستـدرار عطف الرأى العام العـالمى وكـسـب تأييـده لـدولة الكيـان الصـهـيونى، ودعـمـه لهـا، وابتـزاز الألمان لـلحصـول على المزيد من التعويضات، ومن جهة أخرى فإنهم قاموا بإنتاج العديد من الأفلام التى تزعم بأن فلسطين أرض يهـودية، وبأن أراض الضـفـة الغـربيـة وغـزة ليـست مـحتلة، بل هى أراض متنازع عليها لطمس عروبة فلسطين، ولإيهام العـالم من خـلال هذه الأفـلام المضللة أن فلسطين ١٩٤٨ هى أرض مـحـررة لتـضليل الرأى العـام، وتزييف الحـقـائق التـاريخـيـة ويجـدر ذكـر أن اليـهـود قـد اسـتـغلوا أيضًا سيطرتهم على الصحافة السينمائية بهدف الدعـاية التى تمجد دولة إسـرائيل وتثنى على قـيـاداتهـا الحـاكـمـة، فـقـد نشـرت مجلة « فانيتى » الفنية السينمائية نداء يحمل توقيع ١٧١ سينمائياً، معظمهم من اليهود يعلنون فيه عن تبرعهم بمبالغ كبيرة لدعم الحملة الانتخابيـة لعـدد من المرشحين للكونجرس الأمريكى المتعـاطفين مع إسرائيل وقد حـمل هذا النداء العبارات الآتية:

ـ « مـسـانـدة المرشـحين الـذين يؤمنون بإسرائيل قوية لايخدم اليهود فقط، بل يخدم الأمريكيين أيضا ».

ـ « إن أفضل طريقـة للدفـاع عن المصـالح الأمريكية فى الشرق الأوسط هى انتخاب ٥٠ عضواً فى الكونجرس يؤمنون بأن بقاء إسرائيل هو أكبر ضمانة أكيدة لمصالح أمريكا هناك ».

ـ « إن قوة إسرائيل من قوة أمريكا ».

وبالرغم من النفوذ اليهودى المهيمن على

مختلف وسائل الإعلام الأمريكى إلا أن هذه الوسائل لاتولى اهتمامها الكبير بأمور الطائفة اليهودية، وتترك هذه المهمة لما يُعرف «بالصحافة اليهودية» وهى عبارة عن مجموعة صغيرة من الدوريات العرقية والدينية التى تشمل مئات الصحف الأسبوعية، وعدداً من المجلات الشهرية، والربع سنوية، والتى تتولى نشرها الاتحادات والمنظمات اليهودية على الصعيدين الدولى والمحلى فى الولايات والمدن الأمريكية، ونلفت النظر إلى وجود عدد قليل من هذه الدوريات يتميز بالطابع السياسى مثل مجلة «مومنت» الشهرية التى تصدر فى واشنطن، و«جويش بريس» فى بروكلين بنيوريوك، وهى صحيفة يمينية متطرفة، أما الباقى فهى مجلات تمتلىء بأخبار المعابد، وتشيد بإسرائيل وتمجدها.

ويتساءل البعض عن سر انجذاب اليهود إلى الاشتغال بالإعلام، وتأتى الإجابة على لسان بعض الصحفيين اليهود إذ يذكرون أن ثمة عدداً من النظريات تفسر ذلك منها: أن فشل اليهود فى الحصول على اعتراف غيرهم بهم، قد يدفعهم للعمل فى مجال الإعلام ليحصلوا على هذا الاعتراف، والقبول من الآخرين وثمة نظرية أخرى تقول: إن العمل الإعلامى يجد جذوره فى التقاليد الثقافية اليهودية حيث تربى الأسرة اليهودية أطفالها على المهارة اللغوية، والبراعة التصويرية، وهى بالطبع من عوامل النجاح فى العمل الإعلامى، فيقول اليهودى «مورلى صافير» فى هذا الصدد: «إن كل محاولات فهم أسباب هذه الظاهرة تعيد للأذهان «بروتوكولات حكماء صهيون» التي جعلت من نفوذ اليهود فى الحقل الإعلامى صورة نمطية تلتصق بهم دائما إذ يقول البرتوكول الثانى: من خلال الصحافة اكتسبنا نفوذاً، ولكن أبقينا أنفسنا فى الظل» وهذا البرتوكول يشير إلى الهيمنة اليهودية على وسائل الإعلام، ومدى تأثيرها فى تشكيل الرأى العام وتوجيهه الوجهة التى تحقق للصهيونية أهدافها فى تكتم وسرية.

وجدير بالذكر أن بعض الصحفيين اليهود المحايدين قد تعرضوا لبعض المضايقات من جانب القيادات اليهودية فى أمريكا بسبب موضوعيتهم فى عرض قضايا الصراع العربى الإسرائيلى، فقد حدثت أول مواجهة علنية بين زعماء اليهود الأمريكان وإحدى المؤسسات الإخبارية عام ١٩٧٣ عندما قام «روبرت بير بوينت» بتقديم تعليق إخبارى فى شبكة سى.بى.إس عن قوة اللوبى اليهودى أُذيع بعد فترة قصيرة من قيام إسرائيل بإسقاط طائرة ركاب ليبية فوق سيناء قتل فيها ١٠٦ أشخاص مدنيين وقارن «بير بوينت» فى تعليقه بين رد الفعل الأمريكى تجاه هذا الحادث وبين رد الفعل الشديد الذى أظهرته الإدارة الأمريكية عقب حادث

« أوليمبياد ميونيخ » الذى قتل فيه (١١) رياضيا إسرائيلياً، وختم تعليقه الأخبارى بالقول: إن الفارق يوضح المعيار المزدوج الذى تكيل به أمريكا الأمور بين العرب وإسرائيل، والسبب كما يقول المعلق الإخبارى هو النفوذ السياسى لستة ملايين يهودى فى أمريكا وقد أثار هذا التعليق غضباً جارفاً بين قيادات المنظمات الصهيونية، فبادرت على أثر ذلك « لجنة مكافحة تشويه الصورة » بتجنيد أنصارها، وحشد مؤيديها لتقديم الشكاوى لمكاتب شبكة سى .بى . إس، التى أذاعت هذا التعليق الإخبارى، واعتبرته هذه اللجنة اليهودية تجاوزاً للخطوط الحمراء هذا وقد طلب « مؤتمر الزعماء » مقابلة رئيس قسم الأخبار بالشبكة الإخبارية « ريتشارد سالانت » الذى أمر بإجراء تحقيق داخلى مع المعلق « روبرت بير بوينت » إرضاء للدوائر الصهيونية التى تريد إسكات الحق، وقمع كل صوت ينادى بالعدالة ومن ناحية أخرى فقد تدهورت العلاقة بين الصحافة الأمريكية، وقيادات المنظمات اليهودية فى أمريكا لنفس الأسباب السابقة عقب الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، ووصلت هذه العلاقة بين الطرفين إلى ما يشبه الحرب بسبب قيام بعض الصحفيين الأمريكان المحايدين بوصف ما حدث فى صبرا وشاتيلا بأنه مجزرة، فقامت الدنيا لذلك ولم تقعد . وبالرغم من الهيمنة اليهودية على الإعلام الأمريكى بمختلف وسائله إلا أن المذابح الجماعية التى ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية خاصة مجزرة جنين، لم يكن من الممكن التغاضى عنها أو إخفاءها كلية من جانب الإعلام الأمريكى، بعد أن نقلت القنوات الفضائية صورة هذه المذابح التى تعرض لها الشعب الفلسطينى، فكان من الضرورى لبعض الصحف الأمريكية أن تقوم بنشرها ـ برغم ما يؤدى ذلك إلى غضب القيادات اليهودية الأمريكية ـ حتى لاتفقد مصداقيتها أمام الرأى العام واستكمالا لهذا السياق فإننى أختم حديثى بالقول: إن المنظمات اليهودية فى أمريكا قامت بتشكيل لجنة دائمة باسم « لجنة التصحيح الإعلامى » مهمتها مراجعة كل ما تنشره الصحافة الأمريكية، أو تبثه شبكات الإذاعة والتليفزيون من أخبار تتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى، وهى لا تتورع فى وصف كل من ينال اليهود أو إسرائيل بسوء، بمعاداة السامية، وملاحقته حتى لو أدى ذلك إلى قطع مصدر دخله أو اغتياله وهذا ما يتطلب وجود لوبى عربى وإسلامى له صحافته التى تتحدث باسمه للدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، على الساحة الأمريكية حتى لا تنفرد الصحافة اليهودية بالاستحواذ على الرأى العام الأمريكى .

نصوص صريحة

نهاية إسرائيل محتومة

للدكتور/ حمدى فتوح والى

بنفس جريحة، وكبد مقروحة، تابعت المحرقة البشعة، التى أشعلها اليهودى الحاقد وعصابته الملعونة من أحفاد القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.. وتمنيت لو أسعفتنى عينى بالبكاء لتخفف عنى بعض ما أجد من لذعة الألم، وحرقة الكمد. ولوعة الأحزان.

وأمام بشاعة المأساة لم أجد لى مفزعا إلا إلى كتاب الله أقلب صفحاته وأبرد لهب قلبى فى روضاته فكان لى -برحمة الله- ما أردت ووجدتنى أسبح فى ظلال الآيات الأولى من سورة الإسراء فى قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾[1].

وأعدت قراءة الآيات فى تدبر ومهل وتوقفت بعد كل آية كمن يستحلب فى فمه طعما لذيذا يخشى عليه الانتهاء ووقفت عند أول كلمة فى الآيات وهى قوله تعالى: ﴿ **وقضينا** ﴾ فوجدتها فى لسان العرب[2] بمعنى: عهدنا وأنهينا وأبلغنا ومنه قوله تعالى:

(١) سورة الإسراء- الآيات من ٤ إلى ٨.

(٢) لسان العرب جـ٥ ص٣٦٦٥.

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾(٣).

أى أعلمناه فعلمت أن هذا الإقضاء والإبلاغ كان إلى بنى إسرائيل فى كتابهم عن طريق نبيهم موسى -عليه السلام- وهو إعلام لهم بما سيكون من أمرهم فى مستقبل أيامهم.

ورجعت أستأنس بقلم صاحب الظلال - رحمه الله- فوجدته يقول: «وهذا القضاء إخبار من الله -تعالى- بما سيكون منهم، حسب ما وقع فى علمه إلا لهى من مآلهم، لا أنه قضاء قهرى عليهم، تنشأ عنه أفعالهم فالله -سبحانه- لا يقضى بالإفساد على أحد:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾(٤) إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون -بالقياس إلى علم الله- كائن وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد، ولم يكشف عنه الستار ثم يقول صاحب الظلال: «ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين، وأنهم سيعلون فى الأرض المقدسة ويسيطرون وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد، سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا»(٥).

ووجدتنى أمام هذا الكشف الإلهى لما سيقع من هؤلاء القوم فى مستقبل أيامهم، أستروح نسمات الأمل فى عدل الله الذى قامت عليه السموات والأرض وأجد طعم الراحة وبرد اليقين فقد أدركت أن وراء هذا الإفساد والإهلاك والإحراق الذى أوقعه هؤلاء المجرمون بأهلينا فى فلسطين، مصيرا مخيفا قد وصلوا إليه بأيديهم واستوجبوا إيقاعه بهم، ونزوله بساحتهم فكان عزائى عن ألم الثكل ولوعة الحزن والقهر، هو أن هذه المشاهد الرعيبة والأحداث الرهيبة كانت شرطا ضروريا لكى يتحقق وعيد الله فيهم، وينزل بهم عقابه وعذابه.

لكننى أفقت من تلك اللحظة الجميلة المريحة على خاطر يقول لى: لقد كان ذلك تاريخا قديما مضى وتلك أمور قد تحققت وانقضت على مدى تاريخهم الطويل.

وشعرت لهذا الخاطر بانقباضة فى صدرى، ورحت استنطق القرآن واستشهد التاريخ فوجدت القرآن قد حدد الإفساد بمرتين اثنتين: الأولى والآخرة ولم يقل الأولى والثانية لتشعر أن بعدها ثالثة ورابعة. ومن يدقق النظر فى الآيات ويحسن التأمل فى التاريخ يجد أن هذا الإفساد لا يقع منهم إلا بعد علو وتمكين بحيث يمكنهم من قهر غيرهم وتدمير حياتهم بصورة يشعر بها أهل الأرض جميعا ويجدون أثرها ألما فى نفوسهم ومرارة فى حلوقهم وهذا هو المفهوم من قوله تعالى:

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهى الأرض كلها وما كان لبنى إسرائيل أن يوقعوا ذلك الإفساد وهم طوائف مقطعة فى الأرض إذ سيكون فسادهم عندئذ محصورا بحدود إمكاناتهم كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة

(٣) سورة الحجر آية ٦٦.

(٤) الأعراف (٢٨).

(٥) فى ظلال القرآن، سيد قطب جـ٤ ص٢٢١٣ الطبعة السابعة- دار الشروق.

فى تاريخهم كله إلا مرتين اثنتين: المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبى الله داوود ومن بعده نبى الله سليمان –عليهما السلام– بعد محاولات مستميتة قام بها أهل البلاد الأصليون وهم قبائل: الفلسطينيون واليبوسيون وقبائل أخرى كنعانية فى مواجهة «يشوع» غلام موسى –عليه السلام– الذى قاد شعب إسرائيل بعد سنوات التيه التى قضوها فى سيناء عقوبة لهم على جبنهم الفاضح فى مواجهة أهل فلسطين وفى أثناء تلك العقوبة مات هارون – عليه السلام– وتبعه أخوه موسى بعد ثلاثة أعوام ولم يكتب لهما دخول فلسطين وأكمل المهمة بعدهما «يوشع بن نون» الذى تسميه التوراة «يشوع» وقد استطاع «يشوع» بمن معه من بنى إسرائيل أن يوقع هزائم ساحقة بقبائل الكنعانيين من الفلسطينيين واليبوسيين والمؤابيين بسبب انقسام تلك القبائل على نفسها وبسبب استماتة بنى إسرائيل فى القتال واستخدامهم لأبشع الوسائل وأشرس الأساليب بصورة من الوحشية لم تعرف البشرية لها مثيلا إلا فيما نراه اليوم من أفعالهم فى غزوهم الجديد لمدن فلسطين «أما كيف غزا اليهود فلسطين أول مرة فالتوراة تكفينا مؤونة إلقاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودى الفريدة فى التاريخ والتى لا مثيل لهمجيتها وشراستها وحقدها إلا فيما يفعلونه فى غزوهم الجديد لأرض فلسطين فى المرة الثانية فى رام الله وجنين والخليل ونابلس وطولكرم وبيت لحم وغزة وأريحا وغيرها من مدن الضفة وغزة.. ومن قبلها مدن حيفا ويافا وعكا وصور ودير ياسين وكفر قاسم وغيرها من المدن التى شاهدت أبشع المجازر فى التاريخ الحديث، وقبل أن أنقل وصف التوراة لعملية غزو مدن فلسطين قديما أنقل هذا النص التوراتى الذى يخاطب به الرب شعب إسرائيل:

«وحرِّموا «أى أهلكوا» كل من فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها فى خزانة الرب» (٦).

وقد جاءت عملية الغزو تطبيقا عمليا لهذه الأوامر المقدسة فى زعمهم وإليك الصورة كما سجلتها التوراة: «وأخذ يشوع «مقيدة» فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرِّم «أهلك» ملكها وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملك «مقيدة» كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة فدفعها الرب هى أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى «لخيش» ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف، وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش ثم صعدوا إلى حبرون «الخليل» وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها

(٦) سفر يشوع: الإصحاح السادس.

وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شاردا بل قتل كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش يرنيع إلى غزة وجميع أرض جوش إلى جبعون»[٧].

وقد حلل العلامة المؤرخ جو ستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية قائلاً: «إن عدد بنى إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم فى مصر وحرمانهم الهائل فى التيه مما جمع بينهم واقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التى دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن»[٨] وبإمكانك أن تضع أسماء المدن الجديدة اليوم فى الضفة وغزة مكان أسماء تلك المدن القديمة وترى هل تغير أسلوبهم ولك أن تستبدل اسم شارون ورابين وبيريز وبيجن وغيرهم من قادة إسرائيل اليوم بأسماء شاؤول ويشوع وغيرهم من قادة إسرائيل فى المرة الأولى ليتأكد لك بوضوح وجلاء أننا أمام عقيدة عميقة الجذور بعيدة الغور تحرك هؤلاء الوحوش وتدفعهم دفعا ليتركوا بلادهم التى جاءوا منها رغم ما بها من رغد فى العيش وأمان واستقرار ورغم ما يتمتعون به من مناصب عالية ومكانة رفيعة ليستجيبوا لنداء تلك العقيدة الدموية الكافرة.

وبهذا الأسلوب الدموى الوحشى استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم الأولى بعد هذا الغزو الوحشى سنة ١٢٢٠ ق. م لكنهم «لم ينجحوا فى طرد القبائل الوطنية، كما أنهم تركوا بعضها فى أوطانها دون تحرش ولذلك قامت فيما بعد ممالك المؤابين والعونيين والأيدوميين والتى كانت مستقلة بصفة عامة»[٩].

ولم يستطع العبريون إقامة دولتهم على أرض فلسطين إلا على يد الملكين الجليلين: داود وسليمان -عليهما السلام- سنة ١٠١٦ ق. م واستمرت هذه الدولة مدة ثمانين عاما فقط هى المدة التى حكم فيها داود وسليمان. وحيث إن فترة داود وسليمان هى الفترة التى يفتخر بها اليهود، ويدعمون بذكرها دعواهم بأنهم ملكوا كل الأرض «من نهر مصر إلى الفرات» فهى بحاجة إلى إلقاء بعض الضوء، ويكفينا المؤرخ البريطانى «جفريز» مؤونة هذه المهمة فيقول: «لقد حكم داود نحوا من أربعين عاماً من تاريخ سنة ١٠١٦ ق. م وخلفه سليمان وحكم ما يماثل هذه المدة. وبعد هذين انهار كل شىء. ولابد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكى يبلغ أوج سلطانه. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نسقطه عقلا من مجموع فترتى حكم سليمان وداود. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً.. ولم يحدث إلا فى بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على شىء يقرب من ثلثى البلاد»[١٠].

---

(٧) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

(٨) غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، مطبعة الحلبى، القاهرة سنة ١٩٧٠ ص٣٥.

(٩) غوستاف لوبون ص٣٤.

(١٠) جفرين، ج م ن، «فلسطين إليكم الحقيقة» ترجمة خليل الحاج مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربى، القاهرة سنة ١٩٧١ جـ١ ص٤٢.

ولم يكد سليمان يموت حتى انقسمت دولته إلى جزءين يهودا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال، وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان تتخاصمان وتتنازعان فى قتال دائم عنيف. وبعد أن كثر فسادهم وعم شرهم، وتفاقم ضررهم وخطرهم حتى صاروا سبب إزعاج دائم لمن حولهم من الأمم، هجم الآشوريون الدمشقيون عليهم وحاصروا مملكة إسرائيل ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت فى أيديهم فى بداية سنة ٧٢١ ق. م. فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسيا. وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الأشوريون سكانها إلى الشرق واستبدلوا بهم سكانا جدداً، ومن ثم اختفى سكان مملكة إسرائيل من التاريخ، واندمجوا تماماً مع الشعوب المجاورة فى مناطق النفى.

يقول غوستاف لوبون معللاً لأسباب إهلاك تلك الدولة «كانت تلك الدولة مسرحاً لأفظع الفجائع، وما كان يقع فيها من اغتصاب ومذابح واستعانة بالأجنبى، كل ذلك أثار ازدراء الأمم المجاورة دوما، فلم تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك»(١١).

وأما مملكة يهودا فقد دمرت تماما على يد الملك البابلى نبوخذنصر «بختنصر» وأخذ معه إلى بابل ملكها «يواقيم» وعشرة آلاف من أهم السكان، وكان منهم النبى «حزقيال» وحطم القدس نهائيا سنة ٥٩٧ ق. م ويسجل التلمود أن هذا التدمير لم يكن «إلا عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات إرمياه...» ولقد وجه النبى إرمياه كلامه إلى بختنصر قائلا: «لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التى ساقتهم إلى هذا العذاب»(١٢).

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التى لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البينات. من فرق البحر، ومعجزة العصا وتفجير الحجر ـ اثنتا عشرة عينا ـ على عدد أسباطهم ـ ورفع الجبل فوقهم كأنه ظلة ـ وإحيائهم بعد موتهم ـ كل ذلك لم يلن قلوبهم، ويهز أفئدتهم ليعلنوا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلى عبادة العجل:

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(١٣)

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها. وأنزل عليهم كتبه فحرقوها وبدلوها. وأرسل إليهم رسله فكذبوهم وقتلوهم.

(١١) غوستاف لوبون ص٤٠.

(١٢) انظر تاريخ فلسطين القديم ظفر الإسلام خان- دار النفائس ص٥٩.

(١٣) سورة البقرة آية ٩٣.

فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته. قال تعالى يعدد بعض جرائمهم:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾(١٤).

ومصائب هؤلاء المجرمين فى كتاب الله مشهورة معلومة ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوما أشرار سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم. وهم البابليون اتباع بختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة. ولم تجتمع لهم كلمة - ولم تعلن لهم دولة - إلى أن جاء هذا العصر فرأينا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعيهم إلى الأرض المقدسة، مرة أخرى وتهيؤ الأسباب لهم، باجتماعهم وتفرقنا - وقوتهم وضعفنا.. فعلمت أننا أمام قول الحق -سبحانه وتعالى-:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾(١٥) وظهر لى واضحا جليا أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولى - وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا فى الأرض، وأن الله اختار عباداً له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته - وأداة نقمته.

ثم شاء الله -تعالى- أن يتم وعده لكى يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثانى أو المرة الآخرة كما وصفها القرآن الكريم. فهيأ لهم أسباب التمكين ورد لهم الكرة على من حولهم. وقد حدد الحق - سبحانه وتعالى- مظاهر القوة فى تلك الكرة فى عناصر ثلاثة: فى المال والبنين والسلاح.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾(١٦).

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار فى عصرنا هذا، فقد رد الله لليهود الكرة، وسخر لهم من يمدهم بالمال، فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم، ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدى أعدائهم، سواء علموا بذلك أم جهلوا، أرادوا ذلك أم كرهوا. عن طريق بيوت المال العالمية التى أحسن اليهود التسلل إليها، والسيطرة عليها. ولو رأيت براعتهم فى إدارة المال. واستحداث الأنظمة الربوية، حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم - لأدركت مصداق قوله تعالى:

﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ ﴾ وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود وهى تتدفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وغالبهم من الشباب، الذين هم فى سن العمل والإنتاج، والكثرة الساحقة منهم من الرجال ذوى التخصصات الدقيقة والنادرة: كعلوم الذرة، والفيزياء، والرياضيات وغيرها، أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكرى وقدرتهم على صنع أعقد الأسلحة، وأشدها فتكا، وترسانتها النووية التى تباهى بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى:

---

(١٤) النساء (١٥٥، ١٥٦).

(١٥) الإسراء (٦).

(١٦) الإسراء (٦).

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ والنفير كما نعلم هو آلة الحرب.

لكن الجديد الذى نلحظه فى قضية نهاية اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى فلسطين. وأن يكون مجيئهم فى صورة جماعات. وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على قرب نهايتهم، وتحقق وعيد الله فيهم وهو ما نجده واضحا جليا فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾(١٧).

فى لسان العرب: جمع ملتف «مجتمع ملتف من كل مكان» ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير على يد عباد الله يسلطون عليهم، فيقهرونهم ويجبهون وجوههم بالمساءة والذل، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار، ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾(١٨)

وهو ما نراه فى أرض المعراج الطاهرة المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين المخلصين، باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة وأقبلوا على ربهم فى عرس ملائكى طاهر فأصابوا إسرائيل بالذعر، وأوقعوا بقلوبهم الرعب. وأظهر الله على أيديهم المعجزات وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق حديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى: تعال فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود»(١٩).

ولقد كنا نقرأ هذا الحديث ونعجب ونستبعد وقوع مثل تلك الكرامات فى أيامنا هذه حتى طلعت علينا صحيفة «آفاق عربية» بما نصه حرفيا: بتاريخ ٩/٥/٢٠٠٢م من حديث للشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف موجها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية وسمعه مئات الحاضرين: «إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا: حيث إن رجال المقاومة فى «رام الله» ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار فأنطق الله الشجر - حدث والله - وقال لهؤلاء الأبطال: «هذا اليهودى ورائى» ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه.. » ثم يختم الشيخ كلامه قائلا: «إنه حديث رسول الله ﷺ»(٢٠).

ونحن نقول مع الشيخ «صدقت يا سيدى يا رسول الله، وإنا بك لمؤمنون وإنا بحديثك لمصدقون.. وإنا بزوال إسرائيل لواثقون.

---

(١٧) الإسراء (١٠٤).

(١٨) الإسراء (٧).

(١٩) صحيح مسلم، بشرح النووى جـ١٨، المطبعة المصرية ومكتبتها ص٤٤

(٢٠) صحيفة أفاق عربية ٩/٥/٢٠٠٢م.

فــرق .. تســـد

لعبة صهيونية قديمة

بقلــم
الدكتور/ محمد حسن عبدالخالق

مناقشة وتحليل للأدب الروائى الصهيونى

لقد دأب اليهود على تشتيت شمل أى أمة يحلون بها إعمالاً لمبدأ فرق تسد، وهو مبدأ نراه واضحاً من خلال عرضنا لقصة «رؤية بطرس» للأديب الصهيونى «يهودا بورلا» الذى يقول:

فى إحدى القرى الصغيرة فى جبل الناصرة يسكن بطرس المسيحى والذى يمتلك محلاً صغيراً يبيع فيه الساعات ويقوم أيضا بإصلاحها، ومع بداية موسم الشتاء وهطول الأمطار، وفى وقت الظهيرة لمح أهل القرية رجلاً غريباً فى ملبسه يعبر الشارع جيئة وذهابا دون أن يتحدث إلى أحد، ولكن يبدو من مظهره أنه يهودى من إحدى المستوطنات الزراعية الموجودة بالجليل وبخاصة أن كل سكان هذه القرية من المسلمين والمسيحيين وليس بينهم يهودى واحد. وتساءل الجميع ما الذى أتى به إلى هنا؟ فمنذ وقت طويل ومنذ اندلاع أحداث الدماء فى البلاد لم يطأ الشارع رجل يهودى قط؟

فتوجه إليه أحد الرجال البارزين فى الشارع وسأله، فأجابه الرجل بلغة عربية ركيكة، بأنه أتى لزيارة القرية العربية لأنه يحب العرب، وأنهم أخبروه بأن فى هذه القرية محلات تبيع بضاعة جيدة وأنه يريد شراء ساعة قيمة، فقاده ثلاثة رجال إلى محل كتب عليه «بطرس مهون» صائغ وساعاتى (ص٢٦٣)، وعندما دخل إلى المحل، حياه صاحب المحل بالفرنسية كعادته فى مخاطبة الأجانب، وأخذ الإثنان يتجاذبان أطراف الحديث باللغة الفرنسية دون أن يعيرا الرجال الذين صحبوه أى اهتمام، ووقف الرجال كالتائهين، وقبل أن ينصرفوا كانوا يتغامزون فيما بينهم إذ قال أحدهم: إنهم من طينة واحدة، وقال الآخر: إن الطيور على أشكالها تقع، وقد دافع أحدهم عن بطرس قائلا: إنه إنسان خَيِّر (*) وليس هناك أحسن منه فى القرية كلها، وهذا هو الأساس عندى. وأخذ بطرس يعرض ما لديه من بضاعة على المنضدة التى أمامه وميخا اليهودى يحاول أن يمنعه من عرض كل ما لديه وأنه يثق به تماما. وأخبره بأنه يسكن الكيبوتس الذى يقع أسفل الجبل فقال بطرس: إننا جيران ولكننا جيران بعيدين جداً على الرغم أن المسافة بيننا لا تتعدى ساعة ونصف، إننا نرى من هنا كل الكيبوتس مثل كف اليد، إنه «يشاهد كل شىء مزدهراً» زاهر جميل، فلديكم مزارع وحقول، إنكم مجتهدون جدا، فمنذ عشرة سنوات كانت صحراء قاحلة، والآن لديكم كل شىء، لقد حولتم الصحراء إلى جنة عدن وبالمناسبة: كم عددكم فى الكيبوتس؟

وانتظر ميخا اليهودى برهة ولم يرد على سؤاله. فارتبك بطرس وترك الساعة التى فى يده وقال له: آسف، لم أكن أقصد أى شىء حاشا لله، سألت بنية طيبة، ورأى اليهودى ملامح الأسف على وجه بطرس فقال له: لا عليك يا مسيو بطرس ليس فى قلبى شىء ولست أخفى أى شىء (٢٦٥).

فقال له بطرس: اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ وهل تحول المسيو بطرس فجأة إلى جاسوس؟ وأخذ يضحك ثم عاد وقال له إنى شاكر لك ثقتك بى.

فأجابه ميخا: فى الكيبوتس ١٢٣ نسمة.

– يزيد الله فى عددهم ويقويهم، أنا أفهم كيف يعاونكم النساء فى كل الأعمال، لديكم طرق لحياة جديدة.. لقد تفوقتم على اليهود أبناء زمانكم وحتى على المسيحيين الأوائل.

– ماذا تريد أن تقول يا بطرس؟

– أريد أن أتساءل: فى أيام المسيحيين الأوائل.. ألم يتسلل العداء إلى القلوب وكذلك الكره فى أيام المسيحيين الأوائل وخاصة حين زاد العداء بينهم وبين اليهود.. ألم يقل عيسى بنفسه هناك «البكاء والصر بالأسنان» أما الآن فلديكم فى الكيبوتسات الكل مجدد من البداية، من الأساس. نعم أنا أسمع وأراقب كل شىء وطوال الأيام.

– لو سمحت ما قصدك وما الذى تراقبه؟

– أى شىء: نقى، ظاهر، اجتماعى، عام.. ليس دينى، أنا مسيحى، ولكننى مسيحى من

(*) وردت بالعربية.

نوع خاص، مسيحى تقريبا، لى وجهة نظر وآراء خاصة عن المسيحية، أما أنتم فشىء آخر. إنكم شىء جديد.

– مثل ماذا؟ وما هو الجديد فى رأيك؟

– أنتم بأنفسكم تعرفونه، أنا لا أنتظر ملكوت السماء ولا مملكة سماء عيسى، إنكم فى كل صورة تحققون بعمل عظيم روح عيسى لأنها نفس روح اليهودية لأنبيائكم.

– وهل تؤمن بنا إلى هذا الحد وأننا سنصل إلى عظمة كتلك؟

– نعم (أخفض صوته)، إنكم تطلبون من الأمم المتحدة مدينة يهودية لأنفسكم، هنا، فى مكان ميلادكم القديم وهذا هو الأساس. فأنتم محتاجون لحق تقرير المصير السياسى كى تستطيعوا أن تكبروا وترتقوا وتحققوا أهدافكم وغاياتكم. وببساطة كى تحافظوا على وجودكم، كى لا يصبح اليهود لعبة فى أيدى حثالة البشر... فإن بشرا بهذه الأخلاق لابد أن يكونوا أحرارا غير متعلقين بالآخرين.

– اسمعنى يا بطرس، لى سؤال: هل يوجد فى القرية أناس آخرون مثلك يفكرون قليلا أو كثيرا مثلك فى العلاقة بيننا وفى مستقبلنا؟

– هذا سؤال صعب ولا يمكن الإجابة عنه باختصار، وعلينا أن نتحدث بإسهاب، والوقت غير مناسب (فقد دخل عليهما ثلاث نسوة مسلمات محجبات، وقابلوا بطرس ببشاشة الوجه!!)(٢٦٨).

واستأذن ميخا كى يعود إلى الكيبوتس ولكنه وعد بطرس بأن يلقاه مرة أخرى. وقال له: إن هناك شيئا ما يربطهما، وعندما سأله بطرس عن عمله فى الكيبوتس، قال:

– إننى أرعى الغنم.

– إنها حرفة الأنبياء عندكم موسى، وداود ويعقوب، خذ الساعة ولن أحصل على ثمنها الآن لأننا فى بداية اللقاء ويودعه ويفترقان.

وفى نفس اليوم وفى المساء يحكى ميخا لقومه من اليهود ما حدث له مع بطرس المسيحى فنهره أحدهم وقال له: ألا تعلم أنه فى فترة أول هطول الأمطار تعيث عصابات من العرب على وجه الأرض وليس من الضرورى الذهاب إلى قراهم والخروج تجاه المنجمين كما خرجت أنت أيضا تجاه الثعابين.

وقال آخر: إنه إنسان غير محترم، دائما تجده فى المكان الذى لم تزرعه فيه. واختلف الجميع فى تقييم الموقف. واحتج ميخا غاضبا:

لو سمعتم قول الرجل فى كلامه علينا، عن خليقتنا، عن مستقبلنا، ببساطة كنتم تسرعون إليه، واختلفوا بين مؤيد ومعارض، وفى النهاية قال أحدهم: علينا أن ندرس احترامه أو الارتياب فيه، فقد اتضح من عدة حوادث فى هذه الأسابيع أن العصابات العربية تمارس التجسس وهم يعرفون متى يطيب لهم ذلك.

فقاطعهم «ميخا» قائلا:

«إنه رجل طيب، وإن وجدنا لنا عشرة عرب مثله سوف يكونون لنا أساساً للبناء» فاقترحوا عليه ألا يذهب بمفرده كى يدفع ثمن الساعة.

وفى نهاية الأسبوع آلم الكيبوتس حادث الأتوبيس الذى خرج من مدينة الجليل، فقد

هاجمه العرب بوابل من الرصاص وقد طرح كثير من ركابه، وقتل خمسة بينهم طفلان صغيران، وبعد خمسة أسابيع وفى ١٣/١١/١٩٤٧ أرسل ميخا خطابا إلى بطرس يحكى له فيه بالتفصيل المصيبة التى حلت بهم، ويعتذر عن الحضور لتزايد الأخطار فى الطرق... ويطلب منه الكتابة بإسهاب، وأن يجيب عن سؤاله القديم.. هل هناك من يشبهك فى تفكيرك من العرب؟ وكيف يرى مصير اليهود فى البلاد وعن الوجود المكتئب الذى يغلفه؟ وما هى الأفكار التى تحملها فى طلبك عن آمال حياه السلام بين كلا الشعبين فى البلاد: العرب واليهود؟

وعلىَّ أن أقول لك بأننا نحن اليهود على وجه العموم وحزبى على وجه الخصوص نتطلع بكل نية طيبة لحياة السلام والعمل المشترك مع العرب، وأشعر بأن لديك ما تخبرنى به بهذا الخصوص.

ويرسل بطرس رسالة مطولة إلى ميخا يستهلها بعبارة «حبيبى الغالى رجل الحق» السيد ميخا وجاء فى الرسالة ما يلى:

● فليستهتر اللصوص العرب كما يستهترون ففى نهاية الأمر سوف تنتصرون.

● إنى أؤمن فى قرارة نفسى بأن اليهود سوف يخرجون منتصرين.

● بالإضافة إلى حقوقكم، وقوتكم الأخلاقية، لديكم أيضا القوة لمجابهة الأعداء العرب.

● فى اليوم الذى قام فيه رجال جيش الدفاع الإسرائيلى فى وضح النهار باقتحام فندق الملك داود فى القدس فى مكان مركز القيادة العليا البريطانية، ووضعوا القنابل، قلت فى نفسى.. سيكون النصر فى النهاية لليهود ويحكى لليهودى قصة حياته وجاء فيها:

«إن الكوكب لم يشرق على سرير أمى مثلما أشرق على سرير «عيسى» عند ولادته، بل حدثت مصيبة كبرى، فقد ماتت أمى لحظة ولادتى مثل «راحيل» عند ميلاد «بنيامين»... ولم يتزوج أبى بعدها، كان والدى فرنسيا، تعلم فى باريس فى الدير ليصبح قسيسا، ثم ترك الدير وعندما بلغ والدى الثالثة والعشرين من عمره هاجر إلى فلسطين واستقر فى الناصرة.. أما أنا فقد تركت المدرسة فى الثانية عشرة من عمرى، وعلمنى والدى، ساعتين فى الصباح وساعتين فى المساء. درست العهد القديم والعهد الجديد، ثم درست القرآن وكذلك الكتب الفرنسية......» ويشيد بالعهد القديم «التوراه» وينتقد العهد الجديد «الأناجيل» فيقول عن العهد القديم:

«إنه مكتبة تنتصب كفندق فخم، مرتفع، واسع، متعدد الأرجاء أما العهد الجديد: بناء كبير بنيته الخارجية منسيه وحتى الداخلية، ومداخله وبابه ونوافذه مصنوعة من نوع غير منسى».

أما القرآن: «إنه قاعة كبرى، ملاذ لمشردى الصحراء، ظل لمتعبى النفس، وهو مغزول ومنسوج من خيوط مجدولة منتوفة من أجساد حيوانات مختلفة» (٢٧٣).

وبخبث شديد يجرى الأديب على لسان بطله المسيحى هذه العبارات حيث يقول:

«نصحني أبي قائلا: لقد علمتك معارف مختلفة، وقد سبقك علماء كثيرون منذ آلاف الأجيال التي مرت ناقشوا فيها أمور الدين، كي أوضح لك كل ما هو صعب، ولكن فيما يتعلق بأمور الدين والايمان أريد أن تبقى على ما أنت عليه مثلما بقيت أنا، بمعنى أن تجد نفسك بنفسك.. أنا مسيحي بكل شيء وبلا شيء وقد قال لي أبي وهو على فراش الموت:

«إن وصل تفكيرك إلى ما يصل، فأنت حر بأن تؤمن بما تؤمن به ولكن لا تتحدث علانية بأقوال ضد الكنيسة.. وإن أحسست في قرارة نفسك بإضاءة داخلية وسمو وحينئذ تستطيع أن تكتب أفكارك ضد الكنيسة وقد سبق أن قلت لك بأنني كلما أمسكت القلم لا أستطيع الكتابة...» (٢٧٧) وفي بلاد البحر الأبيض المتوسط يوجد عديد من المسيحيين لهم عقول راجحة وروح سامية يشعرون مثلي بطيبة اليهود ومستقبلهم، ولا يستطيعون الإعراب عن رأيهم خوفا من رد فعل المسلمين!!

ويوجد بين المسلمين في كل بلاد البحر الأبيض المتوسط رجال معرفة وشعراء وأدباء وأصحاب شعور أخلاقي ولكنهم كشعب، كأمة، فهم نوع خاص بين الأمم، ليس لأنهم أعداء أو متعصبين لدينهم وإيمانهم، وليس بسبب أمجادهم القومية المتطرفة، ولا لأنهم يتوقون للاحتلال مثلما حدث في أيامهم الأولى لأن هذه الصفات موجودة لدى شعوب أخرى.

أما المسلمون فهم نوع خاص من ناحية الأنانية الخاصة بهم، ليس هناك أنانية بالمفهوم القومي كتلك التي عند العرب المسلمين، والمسلمين بوجه عام. فمن بين حوالي ٧٠ مليون عربي بالتقدير، ١٥٠ مليون مسلم بالتقريب لا يوجد رجل واحد فيه بقية من روح يرفع صوته، صوت واحد من أجل إنقاذ اليهود، أليس هذا واقعا، ولكن هذا هو طابع الأنانية العربية (٢٧٩).... وتعجبت كثيرا بتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، أو دولة يهودية ذات قوميتين، وهذا خطأ كبير كمن يصهر الحديد والزجاج معا أو أن تضع في قفص واحد نمر مع كبش، حينئذ سيكون العداء بين كلا الشعبين (٢٨٠).

أنظر كيف وقف ممثلو كل البلاد العربية كالأسود ضد معظم شعوب العالم لغلق كل الطريق وسد كل ثغرة وتحطيم كل محاولات إقامة دولة اليهود ص(٢٨١).

ويقوم «ميخا» اليهودي بدعوة «بطرس» المسيحي لزيارة المستوطنة، ويشيد بطرس بما رآه في الكيبوتس ويقول: إنه مصنع لإنتاج بشر أصحاء في أجسادهم وعقولهم، كي يقتدي به أبناء البشر.. إنكم جديدون في الشرق، وليس لديكم مفهوم صحيح عن ماهية الإسلام، هل العرب المسلمون والعرب المسيحيون متساوون في أعينكم..؟ إنهما مختلفان تماما، المسيحيون سوف يفهمونكم، إن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد. إن عيسى هو لحمكم وروحه من روحكم.. وسوف يأتي اليوم وتقوم حركات مسيحية داخلية قديرة، تولد نهضة أوروبية ممزوجة بروح اليهودية والمسيحية.. لأنها إنسانية خالصة (٢٨٦).

لكن الإسلام: ما هو المفهوم الروحاني الجديد ـ ولو أقل القليل ـ الذي أتى به، ولم تعرفه اليهودية أو المسيحية من قبل؟

لقد أحضر الإسلام مع البحث الفلسفى الدينى وتفسير آيات القرآن: الخراب، الدم، الانتقام، ولهذا لا تبنوا بناءكم مع المسلمين فليبنوا وحدهم.

ويسأله اليهودى: هل سنبقى للأبد منعزلين عن العالم الإسلامى حتى وإن كنا جيران مرتبطين بهذه البقعة من العالم.

والإجابة: حتى يقوم بين المسلمين أنفسهم نقد ذاتى وألا يصموا آذانهم لكل كلمة نقد واحدة تجاههم، فعن أسفار التوراه كتبت آلاف البحوث النقدية ولكن عن القرآن الذى ليس به أية فكرة إنسانية جديدة.. لم يكتب حتى اليوم على يد عربى مسلم واحد ولا سطر نقدى واحد تجاهه.

وفى النهاية يشكرهم على حُسن الحفاوة ويودعهم.

وبعد شهرين وصل ميخا كرئيس عرفاء فى جيش الدفاع الإسرائيلى مع مجموعة من الجنود ويتوجه إلى محل بطرس، فيجده مقفولا.

ويعرف من جيرانه أن عصابات العرب اغتالوه منذ شهرين فور حضوره من الكيبوتس اليهودى.

تعليق :

عمد الأدباء اليهود إلى الإساءة لكل من هو غير يهودى. حتى وإن اختاروا أبطال أعمالهم من جنس من يتجنون عليه.

وكما هو معروف لدى الجميع فقد عاش العرب طوال أجيال تحكمهم التقاليد العربية الأصيلة والعادات واللغة والآمال والأمانى.. يستوى فى هذا المسلم والمسيحى.

ولحقد الصهيونية وأتباعها، فقد لجأ الأدباء إلى كافة الوسائل لتحقير كل ما هو عربى وفطنوا إلى أن العرب مسيحيون ومسلمون، فحملوا لواء القطيعة بينهم وبثوا بذور الفرقة وذلك طوال الأجيال.

ونحن بصدد أحد هذه الأعمال التى عمد فيها الكاتب إلى اختيار بطله مسيحى يُدعى بطرس وأخذ يجرى على لسانه ما يريد أن يقوله هو، أساء فيه للقرآن الكريم المنزه الذى هو رحمة للعالمين، وأساء فيه أيضاً إلى عيسى - عليه السلام - ثم هاجم الإسلام بخسة ليست جديدة عليهم.

أما الجديد، فزمن كتابة هذه القصة عام ١٩٤٧ قبل قيام دولتهم، وواكبت قيامها وناقش فيه إمكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة، وهل يمكن قيام معاهدة سلام، وموقف العالم المسيحى وتأييده لهم، وعمل صدع بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين. وأفكار وآراء متطرفة على يد بطله المسيحى، بصفاقة غير معهودة والمسيحيون براء منه ومن أقواله.

ولسنا هنا بصدد تذكيرهم بما فعلوه بالمسيح - عليه السلام - وبما فعلوه فى العالم أجمع ويكفى أن أقول لهم: لا تنسوا أن العالم أجمع لفظكم وذقتم الذل والهوان على يديه ولم يسعكم إلا العالم الإسلامى الذى عشتم بين أحضانه، وفى النهاية تنكرتم له، والتاريخ خير شاهد، وشبح أعمالكم السيئة والدنيئة سيلاحقكم إن لم يكن اليوم فغدا وإن غدا لناظره قريب.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

لاشك أن الإسلام يتعرض هذه الأيام لأخطار جسام، وأنا لا أخشى من الأخطار المحدقة بالإسلام بسبب أن خصومه يملكون من أدوات القتل والتدمير ما يملكون. وإنما أوجل أشد الوجل، وأفزع أكبر الفزع عندما أرى المسلمين يتحللون من عهودهم مع الله، وينزعون عنهم لباس التقوى ويروج بينهم الزيف، فأرى كثيراً من الماكرين يتخفى وراء مراسم الدين، وهو فارغ الباطن من حقيقة التدين خصوصاً إذا عرفت أن بعض هؤلاء يرتمون فى أحضان التدين يدارون به عاهات نفسية وعقلية، أو يعوضون نقصا أو حاجة مادية.

وبينما أنا غارق مستغرق فى تأملاتى وأفكارى وهمومى، إذ أبصرت صاحبى يقبل علىَّ بعد طول غياب مرحبا، يقول: ما الذى يشغلك عنى يا صاحبى؟

قلت: كأنى لست فى حاجة إلى تبرير غيابى عن صاحبى، أظن أن ما نعيش فيه ونعانيه من هموم - وهو غير خاف على أحد - كافٍ لانشغال أى منا عن الآخر، بل لانشغال أى منا عن نفسه!!

قال: أى هم ذلك الذى يشغلك عنا أو يشغلك عن نفسك، وأنا أعرف أنك رجل قوى الإيمان بالله، شديد الارتباط به، وأحسب أن الهموم لا ترد ساحتك.

قلت على الفور: يبدو أنك جنحت بعيدا فى فهم ما أقول، حتى لقد خيل إليك أن همومى تنحصر فى دائرة الهموم الحياتية، ولذلك قلت ما قلت.

د. اسامة الباز

قال: نعم. وهل ثمة هم غير هذا يشغلك؟ عجيب أمرك.

قلت والغيظ يملؤنى، وأنا أعالج كتمانه: بل أنت وأمثالك عجيب أمرهم، كيف لا يشغلكم ما يحدث حولكم من أحداث وحوادث تزلزل الجبال؟ أو كيف تشاغلتم عنها؟ وتساءلت فى مرارة: وهل أمثالك كثيرون لا يشغلهم مايصيبنى بهمى، ويثقل كاهلى.

قال فى تثاقل مميت: نعم نحن كثير.

قلت وأنا أتحاشى المواجهة: سامحكم الله، لكن اسمح لى أن أسألك: هل تناولت الأمة مخدرا أفقدها الإحساس بالألم، أم أنها ماتت فلم تعد بين الأحياء.

قال صاحبى: ما الذى دهاك! أنظر ما تقول؟!

قلت: هل رأيت أو سمعت عن أمة فى طول التاريخ وعرضه يُسجن فيها رئيسها، لا بفعل شعبها وذلك - إن كان - فمحمود فى سجل الشرف والنضال. أما إن كان ذلك بفعل عصابة مارقة، تزعم أنها دولة، هل رأيت أو سمعت ذلك؟ دعنى أقول لك: ليتهم قتلوه، لأن القتل أو الاغتيال يقدر عليه أى صعلوك تافه، وهو بعد لا يُذل المقتول ولا يُهينه، أما أن يُحبس رئيس دولة على مرأى من العالم فتلك مهانة لا تحتمل.

نعم، ليتهم قتلوه، ففى القتل راحة له وصون لعزة أمة، وكرامة شعب من هوان يستنزفها، فلا تبقى لها عزة أو تكون لها كرامة، والله - سبحانه وتعالى - يبدل جلود العصاة فى النار حتى يذوقوا العذاب:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾(١).

ولقد نادى العصاة فى نار جهنم مالكا، خازن النار، طالبين الموت، حتى يستريحوا من هذا الهوان الأليم:

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(٢).

فكان الجواب برفض الطلب والرجاء حتى يبقى الهوان والعذاب:

﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾(٣).

يا لشدة العذاب! أن يصبح الموت أمنية بعيدة المنال، كان ذلك فى النار للعصاة، وأحسب أنه اليوم قد يصبح أمنية لأمة المسلمين.

قلت لصاحبى: ألا يصيبك هذا بغم وهم؟! ألا ترى صباح مساء الفلسطينيين يساقون للاعتقال أمام بصر العالم وسمعه، فلا يرمش له طرف؟ قل لى بربك، وقل للعدالة العالمية الكالحة: كيف كان الوضع فى فلسطين عام ١٩٤٧؟ ولمن كانت الأرض، وأين كانت عصابات الصهيونية؟ ألم تغتصب الأرض بمؤازرة بريطانيا ومباركة أمريكا؟ فكيف لو طلب صاحب الحق حقه؟ هل يُلام؟ ولو أنه أُهين وضُرب لو دافع عن نفسه أيسمى إرهابيا؟! هل يعقل أن تسطر بيانات الإدانة للعمليات الفدائية من السلطة الفلسطينية؟ أى عدالة ياربى؟ بل أى هوان نعيشه!!

قال صاحبى متأثرا مشفقا: عافاك الله، أحس كأنك تحترق.

---

(١) النساء (٥٦).

(٢) الزخرف (٧٧).

(٣) الزخرف (٧٧).

قلت : ليس من أجل ذلك فحسب ، لكنها هموم تجمعت ، هذا أحدها ، ولا أستطيع أن أقول إنه أسوأها ، فلست أعرف أيها السيئ ، فكلها شديد السوء ، أما ثانى الهموم ، أنَّا بهذا الميزان الجائر نُصنف كأمة ، وإن شئت فقل : نُحاكم ، فأمام العالم نحن سفاحون ، إرهابيون قتلة ! هل رأيت ؟ والصهيونازى شارون رجل سلام ، هل ثمة ظلم أسوأ من هذا ؟ ! ولعل الأسوأ أن الإسلام ذاته فى مجال الدراسة والتنظير توجه له انتقادات بهذا الميزان الجائر ، ولعل السوء الأقبح والعُهر الفاجر أن يُسمى ما يوجه للإسلام تحليلاً علمياً ، ودراسات منهجية جادة ، تعرض فى ندوات للدراسة وقاعات البحث ، ولك أن تسأل ، أو تبكى ، أو تحزن ، أو تتألم ، وتسأل نفسك : هل هذه عقول منصفة ودراسات جادة حقيقية ؟ أم أنها مسرحيات هزلية ؟

أما أنا فأقول : إنها مسرحيات هزلية فاجرة يُراد لها أن تخدع البسطاء من الناس ، وأن تروج بين جمهور المسلمين .

قال صاحبى : اسمح لى أن أقول لك : أنا لم أعد أفهم عنك ، فما الذى تريد أن تقول على وجه التحديد ؟

قلت : فى مؤتمر جاد عفيف - المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المنعقد فى الفترة من ٣-٤ من صفر ١٤٢٣هـ الموافق ١٦-١٧ من أبريل ٢٠٠٢م - تحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية حديثاً جاداً وعميقاً ونظيفاً ، يستحق الدراسة المتأنية والردود الواعية الهادئة ، والعمل على نشرها بين المسلمين أنفسهم حتى تتضح الحقيقة لذى عينين .

قال : من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض الدوائر دأبت على محاولة النيل من الإسلام ، وتشويه صورته ، وقد تركزت هذه المحاولات أساسا فى الغرب .

وأرجع هذه الظاهرة واستمرارها إلى عدة أسباب :

أولا : التعصب والتحيز ضد كل ما هو مختلف عن الغرب .

ثانيا : الفهم الخاطئ أو السطحى للإسلام والجهل بجوهره، وتعاليمه.

وأخيراً: تقصير المسلمين فى إعطاء فكرة صحيحة عن عقيدتهم، سواء من ناحية الطرح النظرى، أو فى الواقع العملى الذى يعيشه الناس ويلمسونه من المسلمين أنفسهم.

ثم ذكر عناصر هذه الصورة التى يُروج لها الغرب عن الإسلام، فى وعى وجرأة نغبطه عليها، ونحمدها له، ونسأل الله أن تكون فى ميزان حسناته، وأن يكون ما قاله رادعا لضعاف النفوس، كما نرجو أن يكون حافزا للذين يدافعون عن الإسلام ومثله وشعائره، فيرفعون هاماتهم فى فخر واعتزاز ولايطأطئون رؤوسهم كأنهم يبررون سوءات يودون سترها عن الناس.

قال ـ د. اسامة ـ : وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور في الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - خاتم الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.أ.هـ

وسوف نتناول عناصر الصورة التى يروج لها البعض عن الإسلام، عنصرا عنصرا - وهى عشرة عناصر - حتى يظهر الصبح لذى

عينين، ونزيح الغبار الذى يُثار فى وجه الدين الوضاء الحنيف، ونقيم الحجة على المرجفين، وهم كما أشار إليهم الدكتور الباز بحق : إما من غير المسلمين، وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق فى التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، وربما كانوا مدفوعين بالهوى والغرض، والرغبة فى تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى وإن سلكوا فى هذا سبيلا يترتب عليه النيل من الإسلام، والتشهير به، وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

وأول هذه المزاعم الباطلة أن الإسلام دين يقوم على التعصب، وعدم التسامح، ويرفض الاعتراف بغيره، ويُقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين، ويصنفون كأعداء لا يمكن قبولهم أو التعايش معهم، ونحب أن نقول - بادئ ذى بدئ : إن الذين يرمون الإسلام بالتعصب لم يحسنوا إلى أنفسهم كما توهموا، ولم يسيئوا إلى الإسلام كما أحبوا، لأنهم فضحوا أنفسهم بكشف سرائرهم، وما أصابوا الإسلام كما أرادوا.

إن الإسلام برئ من التعصب، ولن نأتى بشاهد من صدر الإسلام الأول، فإن أبغض شئ إلى نفوسهم أن يرتبط المسلمون بفترة صدر الإسلام الأول، فكراً ومنهجا، ولذلك فهم يعملون بكل الوسائل على الحيلولة بين المسلمين وبين هذه الفترة

إن شواهد السماحة قائمة فى تاريخ الإسلام كله، اليوم كما هى الأمس. كما أن شواهد التعصب كامنة فى نفوس أعدائه، بادية فى تاريخهم القديم والحديث، ولن نحكى لهم قصة اليهودى مع سيدنا عمر بن الخطاب عندما كان كهلا يتسول مقدار الجزية، فأمر بأن توضع عنه الجزية، ويصرف له من بيت المال ما يكفى حاجته.

ولن نحكى لهم كيف عمل أهل الكتاب فى بلاط الخلفاء أطباء، وفى بيت المال خزنة وصيارفة، وهم على دينهم، لم يُطلب منهم - ولو بالترغيب أن يتركوا دينهم حتى يحافظوا على مكانتهم أو مكانهم من الخلفاء، لكننا نذكر لهم ما فعلوه بالأمس القريب فى البوسنة والهرسك

مراد هوفمان

من تنكيل بالشعب المسلم، لا لشئ إلا من أجل دينهم، وأن ميلوسوفيتش الزعيم الصربى الذى يُحاكم اليوم كمجرم حرب لم يفعل ما فعله إلا على مرأى من العالم كله بمساعدة أوروبا وأمريكا، بل ماذا لقى جارودى الفيلسوف الفرنسى الشهير بعد أن أعلن إسلامه؟ لقى من ألوان الاضطهاد حتى قُدم للمحاكمة أكثر من مرة، وحُكم عليه بغرامات مالية فوق طاقته، فضلا عن مقاطعة دور النشر لما يكتب، بعد أن كانت تتلهف على مؤلفاته!! لماذا؟ لأنه مسلم، أو لأنه أسلم.

ثم هل يذكر الغرب أو الشرق هوفمان، إنه ألمانى مسلم، كان قبل إسلامه قد تقلد أعلى المناصب، كان سفيرا لألمانيا فى المغرب، ثم سكرتيرا لحلف الناتو، وبعد إسلامه، وإعلانه، ونشر كتابه: مذكرات ألمانى مسلم جُرد من جميع مناصبه، وأُهيل عليه التراب وأردية النسيان.

كل ذلك وغيره كثير، يتضح معه أن دعاوى حرية الفكر وحرية العقيدة للاستهلاك الدعائى، ولشغل أذهان ضعاف النفوس من العالم الإسلامى.

قال صاحبى: حسبك فأنا أحب أن أسألك.

قلت: دعك من الأسئلة الآن، فإن الأمر أخطر وأكبر مما تتخيل، إن الغرب بكل مؤسساته العسكرية والفكرية والاقتصادية يعمل للسيطرة على الشرق الإسلامى بخبث شديد ووقاحة أيضا، أما الخبث فعانيناه ونعانيه، وأما الوقاحة، فإنه برغم القسوة والشراسة التى يتعامل بها مع القضايا الإسلامية فإنه يدعى الحيدة، ويزعم المنطق، وأنه يبغى للشعوب الخير فى كل ما يقدمه.

إن كل ما يفعله الغرب ليس المقصود به إلا تفتيت الشعوب الإسلامية.

يقول الدكتور محمد خليفة حسن : يعتبر مجال العقيدة الإسلامية من أهم المجالات التى اهتم بها المستشرقون، ووجهوا لها النصيب الأكبر فى دراساتهم، وذلك للبحث عن الوسائل والعوامل التى يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها، وتشويه أصولها، فمنذ ظهور الإسلام، وانتشاره فى العالم، اكتشف الغرب أنه خطر يهدد النصرانية فى عقر دارها، وعندما اكتشف الغرب فشله فى المواجهة السياسية والعسكرية مع المسلمين، ولم يتمكن من وقف الإسلام وانتشاره السريع فى البلاد النصرانية . منذ ذلك اتجه إلى دراسة الدين الإسلامى دراسة متعمقة من أجل وضع الخطط لنقده وتجريحه وتخريبه، وتشويه صورته، وتشكيك المسلمين أنفسهم فى دينهم وعقيدتهم، وهذا الجانب، جانب العلوم العقيدى الفكرى عن الإسلام أخذ يتطور مع السنين حتى أصبح علما أو علوما، جعلوا لها مدارس ومناهج، وما الاستشراق ومقارنة الأديان، ومعاهد الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية إلا ثمرة من ثمار الهجوم على الإسلام(٤) .

قال صاحبى - وكأنه يفيق من غفوة - : إذاً المسألة أكبر من مجرد اتهامات .

قلت : إن الغرب حاول بكل الطرق القضاء على الإسلام، والسيطرة عليه بأحط الوسائل، وفى كثير من الأحيان لابد من غطاء دعائى إعلامى للخداع والتضليل، تارة حقوق الإنسان، وتارة الديمقراطية، وتارة لأنه يهاجم أوكار وعصابات المخدرات والإرهاب ، وهو لا يتورع أن يستخدم كل هذه الوسائل القذرة، وينتهك كل المبادئ - إن كانت عنده مبادئ - للسيطرة على البلاد الأخرى، وهى دائما الشرق الإسلامى.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل : «إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مولت عملياتها لسنوات طويلة من تجارة المخدرات، وأن الولايات المتحدة ليست بعيدة عن انتهاك حقوق الإنسان فى مواقع كثيرة من العالم،

---

(٤) آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية للدكتور محمد خليفة حسن، وانظر الفكر الإسلامى الحديث، وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى، وانظر الغزو الفكرى للدكتور محمد عمارة.

وأن بعض أقرب الأصدقاء من واشنطن ليسوا من أنصار الديمقراطية وأحبابها»[٥].

إن حقوق الإنسان والديمقراطية، وغيرها، وغيرها، مسميات وسائل للدخول بها إلى الإسلام، ومهاجمته، وإضعاف المسلمين بكل الحيل، والاستعمار مستعد لتحطيم كل أصنامه، مادام فى ذلك طريق لإضعاف الإسلام، لكنه يتمسك بهذه الدعاوى كحيل تنطلى على بعض المنتفعين منه، لجعلها ذريعة لتفتيت المجتمع الإسلامى، وهو يعمل بكل الوسائل، لتغيير قيم المسلمين، حتى ينشأ جيل يتخذ النموذج الأمريكى مثلا وقدوة، والإسلام هو الدين الوحيد الذى احترم الأديان الأخرى وناقشها، فى كتابه: القرآن الكريم، وأبطل حججهم، وكل ما طالبهم به هو الصدق فى عرض الحقائق التى يعلمونها، فلو أنهم عرضوا الحقائق وأعلنوها لانتهت المشكلة، لكنهم يخفون الحق ويجادلون بالباطل، وطمس الحق عمل برع فيه الغرب الصليبى.

قلت لصاحبى: يجب أن نفرق بين الصليبية والمسيحية، التى هى دين سماوى نؤمن به، كما أن اليهودية دين سماوى أيضا. أما الصهيونية فهى عنصرية مرفوضة.

نقول لأهل الكتاب جميعا كما قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٦].

وإلى لقاء آخر نتتبع فيه التهم التى وجهها الغرب للإسلام وذكرها الدكتور الباز.

---

(٥) مصر والقرن الواحد والعشرون، ورقة فى حوار، ط دار الشروق ١٩٩٤.

(٦) البقرة (٤٢).

قول الحق.. أم.. لغو المفترين

للدكتور/ علي أحمد علي

قدمنا للقارىء في عددي: «صفر وربيع الأول» حديثا مُفصَّلاً في «حضارة قوم نوح» وقد بسطنا القولَ في هذه الحضارة بُغْيَةَ أن نكون -ابتداء- على يقين من ازدهار شتّى ثمارِها في القوم: علما وأدبا وفنا وصناعة، ثم لكي ننطلق -من بعد ذلك- إلى ماوراءهم من قوم آخرين، هم أقرب إليهم نسبا وحالا، كان منهم «الإنسان الأول».

هذا الإنسان الذي كان وثيق الصلة بالكون كله، لنرى:

كيف أبدع الله -تعالى- الكونَ ثم الإنسان، عن خَلْقٍ وعلم ويقين.

وكيف قدمهما التاريخ الطبيعي عن تصور وافتراض دون علم أو يقين.

وفي الحق أننا إذا استثنينا بضعة فلاسفة، نقول:

لقد كان العالم -قبل استقرار عصر النهضة في القرن السادس عشر- مطمئنا إلى اعتقاده بـ« خَلْقِ الكونِ » وبالتالي إلى « خالق » أنشأه.

ولقد يكون للأمم حينذاك، وقبل هذا العصر، معتقدات شتى في « الخالق » جَلَّ عُلاهُ- لكن الإجماع قائم على وجوده، حتى إذا ضاق الملأ من علماء أوربا وفلاسفتُها بالكنيسة وسلطانها، وما بثته فيهم من أساطير -طرحوا « الوحي » كله من علمهم، وازْوَرُّوا عن أي وَحْيٍ أمين كان يمكنهم أن يلتمسوه فيرتاد بهم آفاق علم راشد مستقيم، لكنهم اعتبروا الدينَ كله ذا نبع واحد، لا فرق بينه وبين الكنيسة في شيء.

ومن هنا اختاروا لأنفسهم عِلما ابتدعوه، رأوا -من خلاله- الوجودَ كائنا استمد وجوده من ذاته لذاته[1]. دون ما سبب سابق أنشأَهُ وأَحْياه، ودفع به إلى الوجود، وبذاته أيضا أخذ (يتطور) حتى انتهى إلى ما هو عليه؛ وهكذا:

استبدلوا هذه الذاتية بـ« الخالق » .

واستبدلوا « التطور » بـ« الخَلْق » .

---

(١) راجع إلى جانب قصة الجنس البشرى للدكتور هندريك، تاريخ الإنسان الطبيعي لإلياس الغضبان، ص٢٠ - ٣٠ المطبعة العصرية ط ثانية تقديم مارس ١٩٢٤.

وذلك ما سوف نقرأه سريعا -بمشيئة الله تعالى- على يد متخصص من علمائهم.

وقد طرحوا لذلك كله «فروضا» إلى جانب «التطور» رأوها ضرورة فى إرساء هذا الكيان من علمهم، ونترك للقارىء بعدئذ الحكم على هذه الفروض وما آلت إليه من تطور ووجود.

وإلى القارىء حديث القوم عن «الكون والإنسان» فيما أسموه:

تارة «بالتاريخ الطبيعى للإنسان» أو «قصة الجنس البشرى» أو ما سردته كتب الحضارة فى نفس المقام.

وعن كتاب «قصة الجنس البشرى» نقتبس الحديث مع حرص شديد على الاختصار الجامع للمعنى مع المحافظة التامة على نص اللفظ كما هو فى مصدره، دون أن نقحم نفسنا عليه، أو على مضمونه بحال. ولقد نضطر اضطرارا إلى إضافة ضرورية يجدها القارىء بين قوسين مربعين ليسا من متن الكتاب.

قال مؤلف «قصة الجنس البشرى» د. هندريك ولم فان لون:

«مازال حظنا من العلم ضئيلا، ولكننا بلغنا المرحلة التى تمكننا من التكهن بجملة أشياء تكهناً فيه نصيب من الحقيقة غير قليل.. سأقص عليك -فى هذا الفصل: كيف مهد المسرح لنشأة الإنسان معتمدا -فى ذلك- على أصدق الروايات» [وهذا حديثه فى تلك الفقرات] قال:

١- فى البدء كان الكوكب الذى نعيش عليه.. كرة كبيرة من مادة ملتهبة، أو قُل: غمامة من الدخان، تسبح فى الفضاء.. ثم احترق سطح هذا الكوكب.. حتى همد، وغطته طبقة رقيقة من الصخور، وانهمر المطر على هذه الصخور.. سيولا لا تنقطع حاملة معها الغرين إلى الأودية الكامنة بين الصخور القائمة على الأرض... وأخيرا حانت ساعة بزوغ الشمس، فطلعت على هذا الكوكب، فإذا هو مغطى بقليل من برك موحلة قدر لها أن (تتطور)... فتستحيل إلى المحيطات.. فى مشارق الأرض ومغاربها.

٢- ثم.. انبعثت الحياة مما كان ميتا وطغت[2] «الخلية الحية الأولى» فوق مياه البحر، وظلت هذه الخلية ملايين السنين... تكتسب صفات خاصة تُيَسِّر لها سبيل البقاء على الأرض... وكان بعض الخلايا قد تأصل فى الرواسب الغرينية، ثم أصبح (نباتا).. آثر بعضُـهُ التنقل من مكان إلى آخر (فَنَمَتْ) له (أرجل) وأخذ يَدُبُّ على طول قاع البحر بين النباتات، وكان بعضها مغطى بقشور، ويعتمد على السباحة طلبا للقوت، ثم أخذت تعمر المحيطات بعشرات الآلاف من (الأسماك).

٣- .. رَبَتْ [أى النباتات] وتكاثرت، فتركت البحر كارهة، واتخذت لها مواطن جديدة فى المستنقعات وعلى سفوح الجبال، وتضخمت... وأصبحت (شجيرات وأشجاراً) ثم عرفت كيف تتفتح عن (زهر جميل) اجتذب (النحل) و(الطيور المختلفة) التى حملت معها (البذور) إلى جهات بعيدة فمالبث سطح الأرض أن تغطى بالمروج الخضر.

(٢) هكذا هى، ولعل المؤلف يقصد: (وطافت).. لكنها هكذا فى الأصل. والله أعلم.

[وعن عودة إلى الأسماك المتطورة عن نبات قال]:

٤- على أن بعض الأسماك بدأ أيضا يغادر البحر، وتعلم كيف يتنفس برئتيه، ويطلق على هذه الكائنات (البرمائيات).. فأصبح بعضها (زواحف.. كالعظاية[٣] وتطورت أرجله، ونما حجمه.. وعَمَرَ الأرضَ بمخلوقات هائلة الجثة عرفت بأسماء العظاية الهائلة.. والسمكية.. والراعدة. وبدأ بعض الزواحف يعيش على قمم الأشجار... وكان محتاجا إلى التنقل بسرعة من فنن إلى فنن، فاستعاض بجزء من جلده بشيء يشبه المظلة، وجعل من ذيله أداة توجهه وأخذ (يطير) حتى (تطور) إلى طير حقيقي... وهلكت جميع الزواحف في زمن قصير، ولا نعرف السبب في ذلك.

[وفي الطريق إلى نشأة الإنسان..] قال:

٥- ثم سكن العالم كائنات انحدرت من هذه [الزواحف]، ولكنها كانت بعيدة الشبه عنها، ذلك أن صغارها كانت تتغذى من (أثداء) أمهاتها، أطلق عليها العلم اسمَ (الثَّدْيِّيَات).. كَسَتْ أجسامَها بالشعر.. فكانت الأنثى منها تحمل بيض صغارها داخل جسمها إلى أن تفقس..، ونوع من هذه الثدييات تعلم كيف يقيم جسمه جميعا على قوائمه الخلفية.. وأصبح أقدر المخلوقات على الصيد، والعيش في كل مناخ، ودرج على التنقل جماعات زيادة في سلامته، وتعلم كيف يأتي بصرخات عجيبة، ثم يستخدم هذه الأصوات الخلقية في الحديث.

هذا المخلوق كان أول أجدادك مُن أشباه الإنسان، وإن تعذر عليك تصديق ذلك.

٦- لا نعرف إلا النذر اليسير عن الإنسان الحقيقي الأول. و.. كان السلف الأقدم للنوع الإنساني حيوانا ثدييا سمج المنظر عظيم القبح.. كان صغيرا جدا، ورأسُهُ ومعظم جسده وذراعاه وأرجله مغطاة بشعر طويل خشن، وكانت أصابعه رفيعة جداً، ولكنها قوية مما جعل يديه أشبه شيء بأيدي القردة، وكانت جبهته منخفضة، وفكه أشبه بفك الحيوان المفترس، وكان لا يتخذ له لباسا، ولم ير ناراً إلا لهيب البراكين الثائرة. كان يعيش في ظلام الغابات، [ويأكل] أوراق الشجر وجذور النباتات، وانتزع البيض من براثن الطير يقدمه لصغاره.. قد يستطيع أن يصيد عصفوراً، أو كلبا بريا صغيرا، أو فأراً، ويلتهم صيده نيئا.

ولم يكن الإنسان الأول يدرك معنى الوقت، ولم يكن يشيد بيوتا لسكناه[٤]. اهـ

●●●

هذه هي قصة الكون والإنسان كما أوردها د. هندريك، وهي هي فيما كتبه - بأسلوب أكثر سَرْداً - صاحب تاريخ الإنسان الطبيعي[٥]،

---

(٣) السحلية.

(٤) د. هندريك ولم فان لون -قصة الجنس البشرى ١-٧ إلى ١٢ مطابع الشعب ١٥.

(٥) إلياس الغضبان -تاريخ الإنسان الطبيعي ص١٧-٣٦ المطبعة العصرية ط٢/ ١٩٢٤م.

وتجدها هي هي بأسلوب مختلف لدى كتاب الحضارات من الغربيين.

وبعـــد:

فكم من استفهام يتزاحم في أذهاننا أثناء وعقب مطالعتنا لهذا العرض الذى يصوّر فيه د. هندريك مذهب المؤرخين الطبعيين في نشأة الكون، ويسوقه لنا في مقدمة ماأسماهُ بـ« قصة الجنس البشرى». وهم -جميعا- يصدرون عن تكهن ضرورة فقدان مذهبهم مرجعا وثيق العلم تركه بين أيديهم هذا العهد العتيق، فلا غرابة أن تُشحَن أذهاننا بفيض من الأسئلة التى لا نجد لديهم سبيلاً إلى الإجابة عنها، ولا نجد -في أنفسنا- صبرا في السكوت عليها.

وكيف السكوت إزاء قصورها عن إمدادنا بالقناعة فيما جنحت إليه من تصوّر في الكون أو الإنسان أو غيرهما؟ واكتفت بأن تضع بين أيدينا خيالها في هذا الكون كله، وكأنها تقول لنا: ليس من حق أحد السؤال فيه؛ لكنا يجب أن نقول:

إن القوم في (تكوين) الأرض لم يتوصلوا إلا إلى قياسات «فرضية»[6] كما هو متوقع.

واختلط الأمر حين أرادوا حساب (عُمْرِ الكون) فجعله بعضهم بِلْيُونىْ سنة، وآخرون ما بين عشرة إلى عشرين بليون سنة[7]، والأمر كذلك في ظهور الإنسان على سطح الأرض[8].

فإذا جاوزنا الكون والأرض إلى الإنسان قرأنا شيئا آخر لأولئك العلماء؛ فقد رأى بعضهم أن أول إنسان دبّ على الأرض كان «خنثى» وآخرون رأوه «أنثى» ولم يسأل أى الفريقين نفسه: وأى شيء يمنع أن يكون «ذكرا»[9] ألأن التوراة والإنجيل والقرآن قالوا: كان رجلا[10]؟

يبدو أن الميدان فسيح لمن أراد أن يقول، فيقول ما شاء أن يقول.

لقد كنا -باختصار- أمام عرض يصدم بعنف فطرة الإنسان، تلك الفطرة التى قبع في ضميرها إيمان راسخ بحتمية السبب والنتيجة لكل شيء في الوجود، فلكل نتيجة سبب، ولكل سبب نتيجة، فكيف تتقبل هذه الفطرة إيمانا بخلية تظهر فجأة في الماء، ثم تصير نباتا، ثم ينمو لبعضه أرجل، فيصير أسماكا وزواحف، ثم ينحدر عن تلك الزواحف ثَديِيَّات يرتقى بعضها فيكون إنسانا؟!

فإذا تساءلنا أمام هذا العرض: أين اللهُ، خالقُ كل شيء، والسبب وراء أى موجود؟ لا نجد... لا نجد؛ لأن ذلك مذهب الطبيعيين، وما هذا العرض لهندريك وأشياعه في ميزان الإيمان إلا لَغْوُ المفترين.

ولله الأمر -من قبل ومن بعد- قولُ الحق الذى فيه يمترون.

---

(٦) إلياس الغضبان - مرجع سابق ص١٩.

(٧) راجع للدكتور منصور حسب النبى - الكون والإعجاز العلمى للقرآن ص٣٢٤، ٣٤٩ دار الفكر العربى بلا تاريخ.

(٨) نفس المرجع ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٩) راجع إلياس الغضبان ص٣٤، ٣٦.

(١٠) تكوين - ٧/٢ من العهد القديم.

انظر في الملحقات كورنتوس ١٥/٢٢، ورومية ٥/١٤.

القرآن الكريم -البقرة -٣٠، ٣١.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سياســـة الحجـــاج

كتب الوليد بن عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التى يتبعها فى حكمه، فأجابه بقوله:

إنى أدنيت السيد المطاع فى قومه، ووليت المجرب الحازم فى أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظرى، وصرفت السيف إلى النصف المسىء، والثواب إلى المحسن البرىء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

لأغمـن من أمـرك بهـذا

كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاثة قوائم، فقال: من فعل هذا بها، فقال غلامه: أنا فعلته، قال: ولم؟ قال: لأغمك بها، فقال: لأغُمَّن من أمرك بهذا، اذهب فأنت حر.

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق فى العلوم، فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه، فلما ولى الملك، قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربى يوم كذا وكذا ظلما؟

قال: لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنوشروان: زه [1]

بحـــق ســـوَّدك قومـــك

دخل ضمرة بن أبى ضمرة على النعمان، وكانت به دمامة شديدة، فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمعبدى خير من أن تراه، فقال: أيها الملك: إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: صدقت وبحق سودك قومك.

---

(١) كلمة تدل على الإعجاب، وإذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينارجائزة.

حقيقـــــــة

قـــد ينعم اللهُ بالبلوى وإن عظمت
ويبـــتلى اللهُ بعض القـــوم بالنعم

قالـــــوا..

● العديم من احتاج إلى لئيم.
● لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك.
● الكلام فيما ينفعُك خير من السكوت، والسكوت عما يضرك خير من الكلام.
● إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق واللطف
● من قطع عليك الحديث فلا تحدثه، فليس بصاحب أدب.
● من العجب أن لاترضى عمن ابتغى رضاك، وأعجب من ذلك أن تسخط عليه.
● الحاسد يفرح بزلتك، ويعيب صوابك.
● الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون.

حقـــــا

إن الأمـــور إذا التـــوت وتعـــقـــدت
نزل القـــضـاء من السـمـاء فـحلهـا
فـاصـبـــر لهـا فلعلهـا ولعلهـا
ولعل من عـــقـــد الأمـــور يحلهـا

الزمـــــان

قال الشيباني: أتانا أبومياس الشاعر ونحن فى جماعة، فقال: ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلا الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حللا تـصـــان على رجـــال
وأخــــلاقـــا تـزال ولاتـصـــان
يقـــولون الزمـــان به فـــســـاد
وهم فـسـدوا ومـا فـسـد الزمـان

الرجـــل الثقيـــل

قال رجل لحكيم: مارأيك فى الرجل الثقيل؟ فقال الحكيم: هو أثقل على الروح من الحمل الثقيل، قال الرجل، وأى علاقة بين الروح والحمل الثقيل؟ فقال الحكيم: ذلك لأن الحمل الثقيل تشارك الروح الجسم فى حمله، والرجل الثقيل تنفرد الروح بحمله.

دعاء

اللهم أعنا على الموت وكربته، والقبر وغمته، والصراط وزلته، ويوم القيامة وروعته.

الحياء مظاهره وأقسامه

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

الحياء ملاك الخير، وسنام الفضل، وزينة المرء، يضفى على صاحبه الوقار والهيبة، ويلبسه ثوب الورع والتقوى، ما تحلى به إنسان إلا رفع من شأنه وعلا من قدره، وما فقده شخص إلا حط من شأنه، وهوى فى الحضيض قدره، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال ﷺ: (ما كان الفُحش فى شىء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه)[1].

والترغيب فى الحياء مطلوب، فمن كلام بعض الحكماء: أحْيُوا الحياء بمجالسة من يُستحيَى منه، وعَمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.

وفى الأثر: أوحى الله - عزوجل - إلى عيسى عليه السلام: «عِظ نفسك، فإن اتعظت، وإلا فاستحى منى أن تعظ الناس»[2].

(١) أخرجه أحمد ٣/١٦٥.

(٢) المستدرك ٢/٦١٥.

وقال يحيى بن مُعاذ: «من استحيا من الله مُطيعا، استحيا الله منه وهو مُذْنب»

قال ابن القيِّم فى شرح قول يحيى بن معاذ ـ السابق ـ: «من غَلَب عليه خُلُق الحياء من الله حتى فى حال طاعته فقَلْبُه مُطْرِق بين يدى ربه إطراق مُستحٍ خجل، فإذا واقع ذنبا استحيا الله – عزوجل – من أن ينظر إليه فى تلك الحالة لكرامته عليه.. وأما حياء الرب – تعالى – من عبده، فذلك نوع آخر لا تُدركه الأفهام، ولا تكيّفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجُود وجَلال، فإنه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحى من عبده إذا رفع إليه يديْه أن يردّهما صفرا، ويستحيى أن يُعذب ذا شيبة شابت فى الإسلام».

وللحياء مظاهر وأقسام، قال ابن القيم: قُسّم الحياء إلى عشرة أوجه: حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استحقار النفس (استصغارها)، وحياء، محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيى من نفسه.

١ ـ فأما حياء الجنَاية: فمنه حياء – آدم عليه السلام – لما فرَّ هاربا فى الجنة.

٢ ـ وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يُسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

٣ ـ وحياء الإجلال: وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه.

٤ ـ وحياء الكرم: كحياء النبى ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطوّلوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا.

٥ ـ وحياء الحِشْمة: كحياء على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن يسأل رسول الله ﷺ عن المَذْى لمكان ابنته منه. «قال علىّ: كنت رجلا مذَّاء فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ فأمرت المقداد بن ألأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء»[٣] (مَذّاء: أى كثير المذى وهو البلل اللزج الذى يخرج من الذكر عند ملاعبة النساء، ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، وينقض الوضوء).

٦ ـ وحياء الاستحقار، واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه – عزوجل – حين يسأله حوائجه، احتقارا لشأن نفسه، واستصغارا لها. وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفْسَه. واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثانى: استعظام مسئوله «وهو المولى عزوجل».

٧ ـ وأما حياء المحَبّة: فهو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه فى غيبته هاج الحياءُ من قلبه، وأحس به فى وجهه ولا يدرى ما سببه.

---

(٣) أخرجه أحمد ٨٢/١.

وكـذلك يعـرض للمُـحب عند مـلاقـاته مـحبـوبه ومـفاجـأته له روعـةٌ شـديـدة. ومنه قـولهـم «جـمـال رائع» وسـبب هـذا الحـيـاء والروعـة مما لا يعـرفـه أكـثـر الناس. فـإذا فاجـأ المحبـوبُ مُـحـبَّـه، ورآه بغـتـة، أحس القـلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف.

٨ ـ وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من مـحبـة وخـوف، ومـشـاهدة عـدم صـلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها. فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩ ـ وأمـا حيـاء الشرف والعـزة: فـحيـاء النفس العظيـمـة الكبيـرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان. فإنه يستحيى مع بذله حياء شرف نفس وعزة.

١٠ ـ وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفـوس الشريفـة العزيزة الرفـيعـة من رضاها لنفـسـهـا بالنقص، وقناعـتـهـا بالدُّون، فـيـجـد نفسـه مـسـتـحـيـيـا من نفـسـه، حـتى كـأن له نَفْسَين، يستـحـيى بإحـداهـمـا من الأخـرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء. فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر.

والحـيـاء يتـولد من علم العـبـد بنظر الحق إليـه، فـيـجـذبه ذلك إلى تحـمـل المجـاهدة، ويحـمـلـه على اسـتـقـبـاح الجناية والنفـور من المعصية، ويسكته عن الشكوى. لاستحضاره دائمـاً الآيات الكـريمـة التى تـدل على رؤية المولى - عـزوجل - لعـبـاده: ظواهرهم وبواطنهم، وعلى كونه رقيبا عليهم، وذلك قوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٤].

وقوله عز من قائل:

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٥]

وقوله جل شأنه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٦].

وآيات أخرى كثيرة وردت فى هذا المعنى، وجـاء فىٰ حـديث جـبـريل المشـهـور: «مـا الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»[٧]

وقال ابن القيم فى شرح العبارة السابقة: يعنى أن العبد متى علم أن الرب - تعالى - ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه سبحانه، فيجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة، وذلك كمَثل العبد إذا عمل الشُّغل بين يدىْ سيده، فإنه يكون نشيطا فيه، محتملا لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده، والله - عزوجل - لا يغيب نظره عن عبده، فإذا ما غاب نظر العبد عن كون المولى ناظرا إليه تولّد من ذلك قلة الحياء والقحة، هذا ولاستقباح الجناية الناشىء عن الحياء درجتان أخريان:

(٤) العلق «١٤».
(٥) غافر «١٩».
(٦) النساء «١».
(٧) البخارى ٦/١٤٤.

دنيا: وهى الاستقباح الحاصل على ملاحظة الوعيد.

عليا: وهى الاستقباح الحاصل عن المحبة.

وقد يُطرح سؤال: هل الحياء يمنع صاحبه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟؟ وقد أجاب عن ذلك صاحب «فضل الله الصمد»: فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحيى أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد يحْمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف فى العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخَوَر ومَهانة، وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيها ومجازا، وإنما يكون الحياء حقيقيا حيث يكون قُبح المُستحيا منه حقيقيا، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو فى الحقيقة حَسن، ولا الانقباض عما هو فى الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدى إلى ما هو أقبح منه، مثال ذلك ما يقع من بعض خرعات النساء، يَعْرض لها فاجر فى خَلوة يحاول استكراهها، فتنقبض نفُسها عن أن تستغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يُثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء فى قوله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»[8] هو الحياء الحقيقى.

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشدَّ حياء من العذراء فى خدرها، وهو لنا فى ذلك قدوة، لا يقوم دون غضبه شىء إذا انتُهكت حُرمات الله.

قال الحسن البصرى: «الحياء والتّكرم خَصلتان من خصال الخير، لم يكونا فى عبد إلا رفعه الله بهما».

وقال الفُضَيل بن عِيَاض: «خمس من علامات الشِّقوة: القسوة فى القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل».

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التأسى فى طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء».

***

(٨) البخارى ٨/٣٥، وأحمد ٤/٤٢٧.

خطبة الجمعة

حضارة الذئاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله، عدل وأمر بالعدل والقسطاس، وسوى فى النشأة بين جميع الناس وألغى فوارق الألوان والأجناس:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

« لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى »[2].

نشهد أن لا إله إلا أنت، تنتقم بلا إجحاف، وتكرم بلا إسراف، وأنت العلى الكبير، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، آخى بين العرب والعجم، وألف بين السادة والخدم، فكان رسول الكرامة الإنسانية، وحافظ الهيبة للبشرية، مجدد قيمة الإنسان، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأسرته، والفائزين بشرف صحبته، والمستمسكين بهديه وسننه:

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

يا أتباع محمد ﷺ :

إذا غضب الله على أمة معرضة عنه، تتابعت منها المخازى والسيئات، حتى تبدو شوهاء نكراء، تقيم من نفسها الدليل على خستها، وتقدم البرهان فى ذاتها على أنها لا تستحق الحياة الفاضلة أو التكريم الإلهى، مهما طال التبجح والادعاء بأنها ذات حضارة ومدنية، وهؤلاء الذين أعمى الله بصائرهم فلا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالإسلام، قد أوتوا ما أوتوا من علم وقوة، وسيطروا على ما سيطروا عليه من خيرات وأسباب، وعلوا فى الأرض علواً كبيراً، ومع ذلك ظلوا

(١) الحجرات (١٣). (٢) أحمد ١٤/٥. (٣) البقرة (٥).

منحطين انحطاطاً روحياً شنيعاً؛ وكأن الله ـ سبحانه ـ قد أتاح لهم كل هذه الوسائل والأسباب، بينما حرمهم نعمة الإيمان ليريهم رأى العين أنهم بدون نصره أذلاء، وبدون هديه أخساء، وبدون تأديبه سفهاء:

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤)

ألا تقرأون أيها السادة؟.. لقد نشرت الصحف أن أربعة آلاف من البيض الأمريكيين «المتحضرين المهذبين المثقفين جداً» ثاروا فى إحدى ضواحى «شيكاغو» على عائلة زنجية مسكينة، نزحت إلى هذه الضاحية واستأجرت شقة فيها، وسبب هذه الثورة أن هؤلاء البيض المؤدبين الراقين جداً فى شعورهم لا يريدون أن يعيش بجوارهم أحد لونه أسود، وقد قامت مظاهرات من الآلاف الأربعة استمرت ثلاث ليال كاملة، وأخذ المتظاهرون الأبطال جداً يقذفون مسكن الأسرة الزنجية المسكينة التى كل جريمتها أنها ولدت سوداء البشرة، أخذوا يقذفون المسكن بالمواد المحرقة حتى أشعلوا فيه النار، ثم عمدوا إلى تحطيم نوافذ المسكن كله، وإلقاء الأثاث فى الشارع ثم أحرقوه... وهكذا فلتكن خسة المتحضرين، وهكذا فلتكن مدنية الذئاب وهكذا فليكن رقى الوحوش، وإلا فلا!.. وهؤلاء الوحوش أيها السادة هم مع شديد الأسف القبلة التى يتجه إليها بعض كبرائنا ليستمدوا منهم الثقافة والمدنية وأصول الحرية وقواعد التربية والأخلاق، وهؤلاء مع شديد الأسف هم الذين يضحكون على ذقون سوانا بمساخرهم البهلوانية التى يسمونها هيئة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو الضمان الاجتماعى أو محكمة العدل الدولى أو ميثاق الإنسان والحريات والمساواة بين الناس... وهؤلاء هم مع شديد الأسف أئمة لبعض الناس فى السياسة والأدب والاجتماع!..

أين تذهب هذه الخسة أو تجىء أمام هدى الله المبين، وتكريم الإسلام لقيمة الإنسان، وسحقه لعصبيات الجنس واللون والوطن، وتسويته بين الناس جميعاً لأنهم من أصل واحد ولرب واحد؟ وأين هذا اللؤم الوضيع من سماحة الإسلام وتعظيمه للعبيد والموالى والإماء فالرسول صلوات الله عليه يقول فى مولاه زيد بن حارثة الذى كان عبداً وفى ابنه أسامة: «وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلىّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىّ بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»(٥). ويقول الرسول لأسامة: «أنت أخونا ومولانا»(٦) ويعده من أهله، ويقدمه فى الحب على غيره، ويأمر أهله بحبه ولقد أعطى عمر بن الخطّاب أسامة هذا عطاء أكثر من عطائه لابنه عبد الله، فسأله ابنه: لم فضلت أسامة علىّ، فوالله ما سبقنى إلى مشهد؟ فأجاب عمر: لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول الله منك، فآثرت حب رسول الله على حبى، وكان بلال بن رباح الحبشى الأسود أول مؤذن فى الإسلام، وأخبر عنه الرسول بأنه يمشى أمامه فى الجنة، وأنه سمع صوت نعليه حين مشيه، وعنه يقول عمر: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا – يعنى بلالاً –».

وهذا سالم مولى أبى حذيفة المملوك الفارسى جعله الرسول أحد أربعة هم أئمة الناس فى قراءة القرآن وقال عنه عمر حين طعنه أبو لؤلؤة: لو كان سالم حياً لوليته خلافة المسلمين!. وهذا صهيب العبد الرومى يقول عنه الرسول: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، وهذه أم أيمن مولاة الرسول، الأمة التى ورثها

(٤) الطور (٤٣).

(٥) البخارى ٨/١٦٠.

(٦) البخارى ٣/٢٢٣، وأحمد ١/١١٥.

عن أمه، أعتقها الرسول، وكان يبرها مبرة الوالدة ويقول عنهــا: «أم أيمن أمي بعـــد أمي»[٧]... ثم يصنع الرسول صلوات الله وسلامه فيقول: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»[٨].

وها هو ذا يشاهد صحابياً من صحابته يخاصم آخر ويسبه بقوله: يا ابن السوداء فيغضب الرسول ويقول لصاحبه: «طف الصاع إنك امرؤ فيك جاهلية، كلكم بنو آدم ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح»[٩]... ولا عجب فهو الذى يقول عن المتكبرين من الخلق: «إنه ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»[١٠]، «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[١١].

يا أتباع محمد ﷺ:

هذه هى حضارة الذئاب وهذه هى سماحة الإسلام، فأى الفريقين خير وأهدى سبيلاً؟.. إن كذبة الساسة وطغاة السادة فى الأرض يخدعوننا عن بهتانهم ببريق مظاهرهم وزور حديثهم، ثم يأتون الكبائر فى هضم الحقوق وإهدار الكرامات وإزهاق الحريات، وتسخير الملايين كالعبيد أو الأغنام فى سبيل شهوة مجنونة أو لذة مخبولة، وهم فى سبيل ذلك يصطنعون فروقاً من الدماء والألوان والطبقات لا يقرها الله ولا يعرفها الإسلام، وهذه مثلاً فرنسا التى تتاجر صباح مساء بألفاظ الإخاء والحرية والمساواة، وتدعى أنها أم الثورات الإنسانية، ومثبتة الحقوق البشرية، هى نفسها التى تريد أن تستأصل الملايين من أبناء الجزائر العربية المسلمة، لا لشىء إلا لأنهم يريدون أن يعيشوا عرباً مسلمين، فى حرية واستقلال!.. وقد آن للبشرية الحائرة أن تكفر بكل غدار، وأن تأخذ بعنق كل مفتر كذاب، وأن تهدم بيدها الصالحة المصلحة ما أقامته ذئاب البغى من فخاخ للكرامة الإنسانية وقبور للحقوق البشرية:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١٢]

وآن للمسلمين بصفة خاصة أن يكفروا بكل ميثاق إلا ميثاق الرحمن، وأن يعرضوا عن كل ينبوع إلا ينبوع القرآن، وأن يسخروا من كل تدجيل، ويقبلوا على هدى الرسول، ثم يحملوه إلى الناس قائلين: هذه مضخة الإطفاء وقارورة الدواء وزورق الإنقاذ قد جاءكم من الله نور:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١٤].

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

(٧) كنز العمال ٣٤٤١٧. (٨) البخارى ١٩/٨. (٩) أحمد ١٦١/٥.
(١٠) مجمع الزوائد ٢٦٤/١٠. (١١) أحمد ١٥٣/٣. (١٢) الإسراء (٧٠).
(١٣) النساء (١). (١٤) النحل (١٢٨).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

فى هذا العدد نرد على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء:

الرسالة الأولى من الأخ القارىء الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بكلية الزراعة جامعة المنصورة يسأل فيها عن السبب الذى جعل الشباب هذه الأيام عاقين قاطعين للرحم إلى الدرجة التى صار فيها هذا العقوق ظاهرة اجتماعية ذلك أن شاباً (يبدو أنه صهره أو قريبه) له ست أخوات مات والداهن وقد تركا لهن ثروة كبيرة عبارة عن مشاريع تجارية وعقارات ومحال تجارية، وهذا الأخ يعيش بعيداً عن أخواته يمارس نشاطاته التجارية فى مدينة أخرى وقد استولى على تركة الوالدين مدعياً أن أباه قد كتب له كل الممتلكات قبل وفاته.

ويسأل الأخ إبراهيم: ما حكم الشرع فيما فعله الوالد قبل وفاته. إذا كان قد فعل. وما واجب الابن فى هذه الحالة، ويرجح الأخ السائل أن الأب قد حرر توكيلاً حال حياته للابن لاستعماله فى المشاريع التجارية التى كان يعمل فيها مع أبيه وأغلب الظن أنه استغل هذا التوكيل بعد موت أبيه فى نقل ممتلكاته إليه.

وفى ختام الرسالة التى استغرقت صفحتين (فولسكاب) يقول: أرجو التوضيح حتى يتسنى لهؤلاء البنات أن يقفن على الحقيقة من الوجهة الشرعية.

بداية أقول للأخ السائل: شكر الله لك حسن ظنك بالمجلة والقائمين عليها وبى شخصياً، ولا يسعنى إزاء ذلك إلا أن أقول «اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون» ثم أهمس فى أذنه لقد هجس فى نفسى هاجس أن البنات كن بعيدات عن أبيهن حال حياته خاصة فى السنوات الأخيرة منها إذ لو كن حريصات على وده وصلته ما فعل شيئاً مما فعله - يبدو أنهن فى غمرة الانشغال بأزواجهن وأولادهن نسين كل شىء حتى الوالدين وانى لأرجو أن يكون هذا الخاطر لا أساس له.

وأياً ما كان الأمر فإن ما فعله الوالد - لو كان قد فعل - خطأ جسيم وإثم عظيم لا يقره الشرع بحال

من الأحوال ولا أظن العرف والقانون يرضيان به فهو على فرض حدوثه منه عودة إلى الجاهلية الأولى حيث كانوا يحرمون البنات من الميراث، ويقولون: لا يرث إلا من حمل السيف ودافع عن العشيرة فأبطل الله هذه العادة الجاهلية بقوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(١).

وقد كان السبب فى نزول هذه الآية حادثة تشبه الحالة موضوع السؤال فلما نزلت انتهى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عما نهاهم عنه ربهم ثم عادت الجاهلية تطل بقرونها بعد أربعة عشر قرناً من مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم وذلك لأن المسلمين تركوا الدين فصاروا إلى ما هم عليه الآن من فرقة وذلة وهوان.

ويمكن للبنات الست أن يرفعن أمرهن إلى القضاء العادل ـ الرسمى أو العرفى ـ ويطلبن من الأخ الذى يزعم أن الأب قد باع له أداء اليمين على أنه دفع للأب ثمن ما اشتراه وأين ذهب هذا الثمن، ولى كلمة أوجهها لهذا الابن القاطع للرحم أذكره فيها بقول الله تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴾(٢).

فالإفساد فى الأرض قرين لقطيعة الرحم وهب والديك لم يتركا شيئا أما كان من الواجب عليك أن تصل أخواتك اللاتى ليس لهن أخ سواك أما سمعت قول الله ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى للرحم حين تعلقت بالعرش وعاذت بربها من القطيعة «أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك».

ثم أقول له ما قلته مرة لواحد فعل له أبوه ما فعله أبوك لك وكان له أخوات مثل أخواتك (لم فعل أبوك لك هذا أليس الحب هو الذى دفعه إلى ذلك؟ فقال: بلى فقلت له: وهل تحب أباك كما كان يحبك؟ قال: نعم. فقلت له: إن أباك الآن يعذب فى قبره بسبب فعلته تلك فإن كان حبك له صادقاً ففى إمكانك أن تخفف عنه برد الأمر إلى نصابه واعتبار ما كان كأن لم يكن وإعطاء أخواتك حقهن فى ميراثهن من تركة أبيك) فاستجاب الشاب على الفور وتنازل عن كل ما كتب له أبوه بيعا صوريا وكان شيئا كثيرا وعندئذ اقترحت على الأخوة أعضاء المجلس العرفى الذين كانوا معى أن يعتبر ما فعله أبوه كأنه وصية على رأى من يجيز الوصية للوارث دون الحاجة إلى إجازة بقية الورثة والذى أخذت به المحاكم الشرعية هذه الأيام فأعطيناه ثلث التركة وقسمنا الثلثين الباقيين بينه وبين أخواته وقد كان هذا الشاب الفلاح شهما فأبى أن يأخذ شيئا أكثر من نصيبه الشرعى.

فيا أخ إبراهيم اعرضوا على هذا الأخ هذا الحل فلعله يقبله ويغنيكم عن اللجوء إلى المحاكم ومشوارها الطويل جداً فإن أبى فليعلم أن هذا المال لن ينفعه وسيبدده الله فى الدنيا ولا يبقى له منه إلا المرارة والندم والحسرة والعذاب فى الدنيا والآخرة.

---

(١) النساء (٧).

(٢) محمد (٢٢).

مناجاة قلب

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

إليك يا الله ياذا الجود والعطاء والكرم والسخاء، ياصاحب الفضل والإنعام والمنة والإكرام، يامن أوجدت من عدم وأمددت وأغنيت ذا عُدم ووهبتنا من كل ما سألناك، إليك تتوجه أرواحنا شوقاً وهياماً وشكراً وامتناناً أن حبوتنا ألسناً تشكرك وقلوباً تذكرك تحب بحبك من أحبك وتعادى بعداوتك من عاداك. إليك ياذا القوة والجبروت والعزة والرهبوت ياباريء النسم وشافى السقم ومذهب السأم ياعز كل ذليل وقوة كل ضعيف وسميرى فى الوحشة وأنيسى فى الوحدة هبنا من فيضك كيف نتسامى وفى حبك كيف نتبارى وكيف نخلص لك الدين وكيف نفردك وحدك بالضراعة والابتهال.

أيها الحق الصراح يامن تؤتى الروح من لدنك غذاءها وشرابها القراح وعطرها الفواح يامصدر كل الحقائق ومنبع كل الدقائق يامن أقمت الحياة على أسس العدل وابتدرت خلقك بالفضل والرحمة ألهمنا الإخلاص فى السر والعلن والقصد فى الغنى والفقر وكلمة الحق فى الرضا والغضب والثبات حين تزل الأقدام، و الصمود حين تتداعى الأركان، وامنحنا عند البلاء الصبر والسلوان، يارب يامن وعدت من خافك جنتين واحدة فى الدنيا وثانية فى الآخرة مكافأة على ماوفقت إليه وثوابا لما أرشدت إليه إليك يامن أردت لخلقك أن يعيشوا متحابين متوادين متآلفين متكاتفين، زد خلقك إحساساً بمحبتك يأسوا جراح الإنسانية المعذبة ويكون البلسم الشافى لمشاكلها المتفاقمة، يامن أشربت أرواحنا عبادته وفطرت قلوبنا على اللجوء إليك، ياخالقنا يارازقنا يامدبر أمورنا ومن بيده مصائرنا وبين أصابعه قلوبنا، ثبتنا على اليقين بك والتسليم لك والثقة فيما عندك حتى نكون أوثق بما عندك مما فى أيدينا والاقتناع أنك أنت وحدك الضار النافع.

يارب ردنا إليك رداً جميلاً وحبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة، الهمنا النضج والرشد والفهم والفطنة حتى لايأكل كبيرنا صغيرنا ويوقر صغيرنا كبيرنا مانحن من لاشىء خلقنا نتفاخر به إلا الطين والماء نقف على أعتابك وندنوا رويداً رويداً من رحابك فلا تردنا خائبين واجبر كسرنا وأمح فى حبك خلافاتنا اسمح لأجنحة السلام أن ترفرف ولنسمات الوئام أن تنشر على العالم مايخفف من أعبائه الثقال ويلطف. يارب لقد صنعت خليقتك فى ثوب من الجمال والإبداع وحسن الصنعة والإتقان وأردت لها أن تعيش فى تآلف وانسجام لكن أشباح الظلام سرعان ما أثارت الخلافات ونفثت فى الكون سموم الانقسامات هدفها ألا تترك للسعادة موضعا ولا للهناء موطئا فأدرك عبيدك يارحمن يارحيم، يارب كيف يسوغ للأقوياء الفتك بالضعفاء وقد قال رسولك ﷺ: «أبغونى فى الضعفاء فهل تنصرون وترزقون وتجبرون إلا بضعفائكم» كيف يسوغ لمن تسلط وتشيطن أن يهاجم بكل العنف والقسوة والضراوة أناسا لا شاغل لهم إلا ذكرك ولاهم لهم إلا التفكر فى بدائع صنعك لقد فاق فعل البشر بعضهم ببعض فعل الحمر الضالة والإتن المتوحشة بعضها ببعض فالصراعات طمت والنزاعات عمت والحروب نشبت أما آن لهذه الإنسانية التعسة أن تضمد جراحها وتلملم شعثها وتعيش أفراحها وتدرك منالها ذلك ممكن ويسير بنظرة من رضاك ياحنان يامنان يامن تقابل السوء بالإحسان وتعلم المحبين أن مايثرى الحياة هو البعد عن الجحود والنكران

والإسراع الحثيث إلى العرفان والشكران.

يارب إليك قلوبنا تصبوا وأرواحنا تهفوا وبك أنفسنا متعلقة وفى ظلال دوح عفوك الوارف مطمئنة مستكنة فاسمع تدأب أرواحنا تستغيث بك وتلح فى الرجاء لديك وتدءب فى اللجأ إليك فى صلوات خاشعة بقلوب موجعة وأنفس إليك فزعة وأرواح حولك لاهثة متسارعة متدافعة فليس لنا إله سواك فندعوه، ولارب غيرك فنناجيه يا نصير المظلومين ومعين الفقراء ياعون المساكين ياغاية الملحين أعد للدنيا السلام وامنح أهلها الصفاء والوئام أعنا على أن تخلص منا النيات وتصدق منا ونتسامى بك عن دنى الحاجات ونرتفع إلى عز الكرامات، اللهم وحد صفوف المسلمين وألف بين قلوب المؤمنين ووحد غايات الموحدين أعد للبشرية مافقدت من أخوة وصب فى أخلاقها مابددت من فتوة وبث فى أحشاء سلوكيات أبنائها النخوة والمرؤة، ارفعنا ولاتضعنا أكرمنا ولاتهنا أعطنا ولاتحرمنا كثرنا ولاتقللنا ارفعنا فلانكبوا وذكرنا آلاءك فلا نسهوا ونعمائك فلانلهوا أعطنا من التوفيق وسداد الرأى وصوابه مانتخطى به كل العقبات أغدق علينا من نفحاتك وأسبغ علينا من بركاتك وهب لنا من الأسباب مايجعلنا ننتفع كل الانتفاع بما سخرت لنا من نعم وخولتنا من أعطياتك يارب، أضف من وافر قوتك وعظيم توفيقك إلى ما بأنفسنا من حماس وهى وإرادة هشة ونقى أنفسنا من الخور والوهن واجعلها مترعة بالجرأة والإقدام ولاتحرمنا الشجاعة الأدبية أن نقر ونعترف بأخطاءنا فنصلح من أمورنا مافسد ويعتدل من أحوالنا ما اعوج اجعل بلادنا آمنة مطمئنة فيسخاء رخاء تعيش فى أزدهار وانتصار وترفل فى حلل العز والفخار ارفع رؤوسنا عالية واجعل راياتنا ترفرف فى شموخ وإباء لأنها رايات نسجت من قيم زامنها النبل وكللها حلو الشمائل ورصعها كريم السجايا، يارب بارك جهودنا المتواضعة وحقق لنا الآمال واجعل الخطوة الواحدة منا تربو على كفاح أجيال وأجيال.

يارب لقد قلت وقولك الحق ووعدت وعدك الحق:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(١).

ونحن سلمنا لك الأمور ووضعنا بين يديك الأمانى مشفوعة بصادق العمل وخالص النية فانجز لنا اللهم ماوعدت يامن فجرت الماء تحت قدمى إسماعيل لما استغاثت أمه برحمتك فجر ينابيع الخير تحت أقدامنا فضعفنا ظاهر بين يديك وعوذنا لايخفى عليك يامن سترتنا فيما

---

(١) الأعراف «٩٦».

مضى لاترفع عنا سترك فيما بقى اجعل مستقبل أيامنا مضيئاً مثيراً بمعونتك يارب يسر أمورنا واشرح صدورنا وحقق أهدافنا، وبرحمتك يارحمن أزل العثرات من طريقنا وأسقط إلى الأبد حواجز البغض والكراهية التى تعرقل فيض نهر نقاءنا. يارب امنحنا من صائب البصيرة مايجعل الرؤى لدينا صافية رائقة لايشوبها كدر يارب ألهمنا فى الجهالة حلماً حتى نكون أهلا لما علمتنا من خلق كريم تتسع صدورنا فيه إلى أن نعطى من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا ونحسن إلى من أساء إلينا يامن أنجيت إبراهيم من النيران أنجنا وأجعل ابتلاءات الحياة هينة لينة على قلوبنا ثم كن بنا رءوفا رحيما عطوفا كريماً رضنا بقضاءك حتى لانحب تعجيل ما أخرت ولاتأخير ما عجلت واجعل العدل بيننا شعارا والفضل لنا دثاراً والحكمة مؤلاً، نستعيذ بك فأعذنا ونستغيث بك فأغثنا ونلوذ بجنابك فلاتطردنا، أنت حصننا فكيف نخاف وحرزنا الذى به نتمسك اعتصمنا بحبلك ورجونا رفدك وانخنا رحالنا ببابك وأنت الكريم المفضال والقوال الفعال وصاحب النوال. واحتكمنا لفضلك فعاملنا بالفضل والإحسان وبالحلم لابالعلم وبالجبر لا بالحساب غفرانك اللهم ورضوانك يامن مننت على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان فقلت:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).

ويامن وعدت المؤمنين بالفضل والفوز والرحمة والرضوان أدخلنا تحت لواء نبيك ﷺ واحشرنا فى زمرته ولاتحرمنا رؤيته واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لانظمأ بعدها أبداً وأخرى يارب لاننسى أن ندعوك بها أن تبلغنا أياها فقد قلت:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣).

فاجعلنا من الذين مننت عليهم بالحسنى وهى الجنة والرضوان ومن أكرمتهم بالزيادة وهى النظر إلى وجهك الكريم فمن فاز بمرآك بلغ المنى ونال المراد ونعم بالخلود والنعيم المقيم أمين.

***

(٢) التوبة «١٠٠».

(٣) يونس «٢٦».

بين المجلة... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

افتـــراء عــلى ديننـــا الحـــنيف

● أرسل القارئ م.م.ع.. القاهرة، رسالة حملت الكثير من الثناء لإدارة تحرير المجلة لما وصلت إليه المجلة من ازدهار..... إلخ.

وقد أرفق برسالته رسالة أخرى طلب إبداء الرأى فيها حيث إنها وردت إليه بالبريد، وتنتهى بمطالبة حاملها بتصويرها عشرين نسخة وتوزيعها على الآخرين، حتى يأتيه الخير، وإن لم يفعل فعليه أن ينتظر الشر. ويسأل: هل يصور الورقة ويوزعها أم لا؟

والرسالة المرفقة تحت عنوان « إحدى معجزات القرآن الكريم نقدمها للمسلمين واليهود والنصارى ».

نقدم للقارىء سطورها الأولى ليكون على بينة من الأمر، تقول الرسالة المرفقة:

«إنهيار مركز التجارة العالمى بمدينة نيويورك فى ١١ / ٠٩ / ٢٠٠١م والذى يقع على ناصية شارع « جرف هار » بولاية نيويورك وفى هذا يقول رب العزة قبل ١٤٠٠ سنة وقبل أن يأتى العالم بشارع « جرف هار » ويقام فيه هذا المبنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ سورة التوبة آية ١٠٩[١].

---

(١) أوردت الرسالة أن هذه الآية (١٠٨). والصواب (١٠٩). (٢) هكذا فى الرسالة، والصواب أن يقول: (نجد أن الآية من سورة التوبة تقع).

وبالبحث فى المصحف الشريف نجد أن تقع الآية(٢) من سورة التوبة فى الجزء رقم (١١) يوم الانهيار.

● رقم السورة فى المصحف الشريف (٩) شهر الانهيار.

● عدد كلمات السورة من أولها وحتى نهاية الآية (٢٠٠١) عام الانهيار.

فسبحان الله العلى القدير فهل للملحدين ومن ليس لهم دين أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له الذى أخبرنا بكل الأحداث فى كتابه الكريم منذ ١٤٠٠ سنة على لسان نبيه الأمين محمد ﷺ».

أعزائى المسلمين والمسلمات..

هذا خطاب موجه من المملكة العربية السعودية إلى كل المسلمين فى أنحاء العالم من الشيخ / أحمد خطيب مسجد الرسول ﷺ.

إنه فى يوم الجمعة بعد أن ختم القرآن الكريم «ونام فى منامه رأى»(٣) الرسول «عليه الصلاة والسلام» يقول له فى هذا اليوم مات من الدنيا ٦٠٠٠ مسلم ولم يدخل أحداً(٤) منهم الجنة فالزوجات لا تطعن أوامر أزواجهن والأغنياء لا يساعدون الفقراء والناس لا تؤدى المناسك المطلوبة منها كما ينبغى والمسلمون لا يصلون الصلوات بانتظام ويصلون كل على حده والشيخ أحمد يقول لكم هذا لا يصح إن كنتم مسلمين حقا».

وفى الحقيقة فقد شعرت باستياء شديد عند قراءتى لهذه السطور، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن كاتبها يستخف عقول المسلمين!! بالإضافة إلى ما تحمله تلك الرسالة من افتراء على القرآن الكريم بتحريف معانيه وفقا لهوى مغرض، ولا تخلو ـ أيضا ـ من تقول على رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ الذى لا يأمر عباده إلا بالخير، يقول رب العزة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٥).

وقد حرم الله قتل النفس، وجعل من قتل نفسا كأنما قتل الناس جميعا، قال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٦).

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٧).

فمن حيث المبدأ فإن ما حدث فى امريكا فى الحادى عشر من سبتمبر شىء محزن بكل المقاييس.

وقد تأثرت نفوسنا للأشلاء التى أخرجت من مبنى التجارة العالمى تماما كما تأثرت لأشلاء الفلسطينيين التى أخرجت من جنين!!

---

(٣) الصواب أن يقال: رأى فى منامه.

(٤) الصواب أن يقال: أحدٌ.

(٥) النحل (٩٠).

(٦) المائدة (٣٢).

(٧) الأنعام (١٥١).

وهذه المشاعر النبيلة التي يجب أن تتحرك في كل نفس بشرية علمها لنا رسول الله محمد ﷺ فحين مرت جنازة، قام لها وقام معه الصحابة، فقال أحد الصحابة إنها ليهودى!! فقال - صلوات ربى وتسليماته عليه -: أليست نفسا؟! [٨].

نعم، يا رسول الإنسانية، إنها نفسٌ، ومنك تعلمنا احترامها!

مرة أخرى أقول: إن الذين قتلوا فى مركز التجارة العالمى أنفس لابد أن نتأثر لما أصابها، لأننا مسلمون، وهكذا علمنا رسولنا الكريم!

ونعود للرسالة لنبين ما حملت من افتراء مفضوح لا يمكن أن يصدر بحال من الأحوال من مسلم يحب دينه، وأغلب الظن أنها من مغرضٍ يستخف عقول العامة من المسلمين ويشوه بها صورة الإسلام أمام غير المسلمين.

فقد «أكد السفير ويليام روو رئيس مؤسسة أمريكا - الشرق الأوسط للخدمات التعليمية والتدريبية أن المنظمات الأمريكية الموالية لاسرائيل فى الولايات المتحدة تشن حملات عدائية ضد العرب وتبث معلومات مشوهة للرأى العام الأمريكى عن الشرق الأوسط..»[٩].

ونحن لا نستبعد أن تكون هناك منظمات أخرى من هذا النوع هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين!! وبث معلومات مشوهة ضد الإسلام داخل وخارج الوطن.

والآن نقول: إن كاتب الرسالة استخدم عبارة «جرف هار» ليشير بها الى اسم شارع وهذا كلام لم يقل به عاقل!!

ولنتأمل المعنى، وفقا لما تقتضيه اللغة فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم .... ﴾

وقبل أن نستكمل ما قاله الله تعالى، نجد أن المعنى الذى يتبادر إلى الذهن: أم من أسس بنيانه على غير تقوى من الله.

ولما كان القرآن كلام الله المعجز الذى تحدى به فصحاء العرب، فإننا نجد التعبير القرآنى يقول:

﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

لأن البناء على غير تقوى لابد أن ينهار «وينهار من تلقاء نفسه لا بفعل فاعل» فالأساس غير متين.

وقبل أن نستكمل الرد على هذه الرسالة، نقدم ما قاله أهل العلم والرأى فى تفسير هذه الآية قبل ماحدث بسنين نقلا عن التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر، يقول:

والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس على قاعدة هى

---

(٨) رواه الخمسة ماعدا الترمذى.

(٩) راجع صحيفة المساء الصادرة فى ٢/٦/٢٠٠٢م ص٢.

أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك. وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى.

فإن قلت فما معنى قوله فانهار به فى نار جهنم قلت:

لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى : فطاح به الباطل فى نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجىء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها.

ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل منه على حقيقة الباطل»[١٠].

ومن هنا يتضح للقارىء أن البناء معنوى، وأن مسأله البحث عن اسم للشارع الذى يقام عليه هذا المبنى المعنوى نوع من العبث.

وبقيت إشكالية بسيطة جاءت من البحث فى المصحف الشريف - كما ذكر صاحب الرسالة حيث - ادعى أن الجزء الحادى عشر الذى تقع فيه السورة يشير إلى يوم الحادث. وأن رقم ٩ الدال على ترتيب السورة فى المصحف يشير إلى شهر سبتمبر وأن عدد كلمات السورة من أولها إلى نهاية الآية يشير إلى العام.

وهذا النوع من البحث ينتمى إلى علم الإحصاء، غير أن الباحث استخدم أسلوبا عبثيا لأنه لا يقوم على أساس علمى محدد، وبذلك تسقط نتائجه، لأنه أسس على هوى نفس مغرضة.

وحتى لا نترك ريبة لمستريب نقول:

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين فى الآية ٣٦ من سورة التوبة:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

فالمستقر بالقرآن والسنة أن عدة الشهور عند الله هى الشهور العربية، فبأى منهج استخدم الباحث شهر سبتمبر فى بحثه؟!

نقول: من هنا يسقط الاستدلال بجميع الأرقام التى استخدمها (٩، ١١، ٢٠٠١).

أما مسألة إحصاء عدد كلمات السورة حتى نهاية الآية يجعلنى أتساءل:

هل عدَّ «صاحب الرسالة» حرف الجر كلمة؟ وإن جاءت حروف الجر متصلة بما بعدها وكذلك الضمائر، فكيف قام بعدها؟

فالموضوع ليس مجرد «عد» إنما المنهج هو الأساس!!

هذا هو الجزء الأول من الرسالة، محاولة توفيق، أقصد «تلفيق» لأرقام بعينها لتخدم هدفا فى نفس مغرضة.

فالجزء الأول بعيد عن روح الإسلام وتعاليمه السمحة وبعيد عن المنهج العلمى

---

(١٠) راجع التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر مجلد ٦/٤٠٥ الطبعة الأولى يناير ٩٧، نهضة مصر.

الذى يرتضيه أهل البحث والعلم.

أما الجزء الثانى فهو نوع من الكذب الصراح الذى يكشف نفسه بنفسه.

ففى معرض التأكيد على أن الرسالة صادقة نسبها كاتبها إلى الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول وهو نفس الاسم الذى تحمله مثل هذه الرسائل منذ زمن بعيد وقد قمت بالرد على رسالتين من قبل آخرها منذ عام تقريبا والأخرى تسبقها بحوالى خمس سنوات وكانت مجلة الأزهر قد قدمت ردا قبل ذلك بخمسين عامًا أو يزيد.

وجميع تلك الرسائل تحمل اسم الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول. وكأن خطيب مسجد الرسول لابد أن يكون اسمه «أحمد»!!

والرسالة على ما بها من أخطاء لغوية ونحوية متعددة فى نصفها الثانى، فقد خرجت مرة أخرى عن روح الإسلام وعن الحقائق التى نعيشها، فهو يقول «إنه فى يوم الجمعة......... مات ستة آلاف مسلم ولم يدخل أحد منهم الجنة».

وهذا الرقم يخالف الواقع الذى نعيشه فالمسلمون يبلغ تعدادهم اليوم ما يزيد على ١٢٠٠ مليون نسمة يموت منهم كل يوم بالتأكيد أكثر من هذا الرقم المذكور بكثير!!

وهو يعلل عدم دخولهم الجنة لأنهم لم يؤدوا المناسك المطلوبة «كما ينبغى» وهو بذلك يخرج عن روح الإسلام، فالله تعالى يقول:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[11].

بقى أن نقول: إن الله تعالى يقول:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[12].

والرسول ﷺ يقول:

تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى»[13].

أبعد هذا يحار المسلمون أمام ورقة من هنا أو من هناك..

أيها الناس.. لقد كفيتم

وأخيراً أقول للقارىء م.م.ع: أرجو أن يكون الأمر قد اتضح أمامك، وعلمت أن مسألة تصوير الرسالة وتوزيعها لا يرجى من ورائها غير إضاعة مال المسلمين ووقتهم، وإبعادهم عن صحيح الدين، فديننا دين عقل وعمل، وما ارتقى الأولون بهذه الأمة إلا بالفهم الصحيح للدين وبالعمل، وأخيرا نشكر لك حُسن ظنك بالقائمين على المجلة، والله الموفق.

(١١) البقرة «٢٨٦».
(١٢) المائدة «٣».
(١٣) اخرجه البخارى.

مساجلة أدبية

ثم يتحول بريد هذا الشهر إلى دوحة للشعر نستهلها بهذه المساجلة الأدبية من اختيار الأستاذ هلال الحبشى من برهمتوش - دقهلية، يقول :

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨م فذهب صديقه محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره، فارتجل هذه الأبيات :

يا رَئِيسَ الشعرِ قُلْ لِي ... ما الّذى يَقضِى الرئيس؟
أنت فى الجيزة خَافٍ ... مثلَما تخفى الشمُوسُ
زاهدٌ فى كل شىءٍ ... مطرقٌ ساهٍ عَبُوسُ
قد جَفَوْتَ الشعر حتى ... حَدّثَتْ عنك الطروسُ
وهَجْرتَ الناسَ حتّى ... ساءلوا أين الأنيسُ؟

فأجابه الشاعر حافظ إبراهيم على البديهة أيضًا :

أَنَا فى الجيزَة ثاوٍ ... ليس لى فيها أَنِيسُ
أَنْكَر الأُنْسُ مَكانِى ... ونأى عنى الجليسُ
لَيْس يدرى من رآنِى ... أَطَلِيقٌ أمْ حَبِيسُ

إعلان الفداء

ويشارك الأستاذ / حمدى أبوإسماعيل مدرس بالأزهر بقصيدة نختار منها هذه الأبيات.

حيث يقول :

اليوم أعلن أننى ... قد بعتُ روحى للإله
فالبغى عمَّ الربَا ... والظلم جاوز منتهاه
والقلب لا يرضى بذل ... فالله للعز اصطفاه

لــــــن نركــــــع

ومع تزايد سقوط الشهداء، والشهيدات دفاعا عن القدس ومع مرارة الشعور بضياع الحق كتبت القارئة / **نورا صلاح إبراهيم النجار** - بالثانوية العامة - بمدرسة أطفيح الثانوية تقول:

الحــق المـــوروث يُـضَـــيـــع ... والـظـلـم كـــؤوسٌ تُـتَــجَــرَّعْ
والأقـــصـــى مــــذبـوح بـاكٍ ... والـقـــدس تمـزَّق وتـقـطـعْ
الـطـفـل الـعـــربـى يـنـادى ... بـل يـصـرخ لـكـن مـن يـسـمـعْ؟!
فـتـصـيـب (الدرة) طـلـقـات ... ويـمـزِّق (إيـمـانَ) المدفعْ
و(وفـاء) عــروس الـشـهـداء ... ذهـبـت لـلـمـوت ولـم تـرجـعْ
والمـوت تَـلَـقّـف (تـيـسـيـراً) ... فـألـمَّ بـه حـدثٌ مـفـجـعْ
ويـنـادى (آيـات) جـهـاد ... فـتُـلَـبِّـى قـدراً لا يُـمـنـعْ
شـهـداء الأقـصـى مـنـزلـكـم ... بـالجـنَّـة فـى شـرف أرفـعْ
الـطـفـل غـداً يـحـمـل حـجـراً ... كـى يُـرجـع حـقـا قـد ضُـيِّـعْ
وشـبـاب فـلـسـطـين انـتـفـضـوا ... والـشـعـب يُـروَّع ويُـروِّعْ
الـقـدس تـنـادى فـى ألـم ... تـصـرخ وتـئـنُ وتـتـوجّـعْ
فـلـنـنـهـض هـيـا لـنـجـاهـد ... فـشـمـوس الحـريـة تـسـطـعْ
يـا أهـل الأمـة أن قـومـوا ... فـالـغـفـلـة مـاضٍ لـن يَـرجـعْ
وعـروبـتـنـا صـاحـت هُـبُّـوا ... والمـسـجـد بـاللَّـه تـشـفَّـعْ
يـا طـفـل الأقـصـى يـا ولـدى ... نَـاصِـرُك الـلـه فـلا تـفـزعْ
يـا ولـدى لا تـيـأس إنَّـا ... لـن نـخـضـع أبـداً لـن نـركـعْ
لـن نـخـضـع أبـداً لـن نـركـعْ ... لـن نـخـضـع أبـداً لـن نـركـعْ

إلى طفل من جنين
كان يبحث عن أسرته تحت أنقاض المخيم

ويرسل الأستاذ / **أسامة كامل الخريبى** - عضو رابطة الأدب الإسلامى :

هذه القصيدة التى تفيض بالعاطفة الجياشة، وتتميز بعدم التكلف ولا ينقصها اللفظ الجزل، يقول فيها :

فِي أىِّ بحرٍ من بحار الهَوْل تبعثُ ناظِرَيْك ؟ فى أى موجٍ من دماء القصف تتْعبُ راحتيك
وبأى آذانٍ تواجه ما يُرَوِّعُ مسْمَعَيْك ؟

أَتُراك تبحث فى الركام على أبيكْ ؟ أتراك تسأل فى الحطام على أخيكْ ؟
عن وجه أُمِّك.. عن زميلك.. عن ذويكْ ؟

عن كِسْرةِ الخبز التى حرموك منها من شهورْ ؟ عن قطرةِ الماء التى قطعت عن الشعب الأسير ؟
عن بُقْعةِ الضوءِ التى حُجِبَتْ عن الليلِ الضرير ؟

فَتِّشْ مَلِيًّا يا حبيبى بين أشلاءِ الضحايا فَلَقَدْ تصادف وَجْه أُمِّك أو ذراعا فى البقايا
ولقد تُصادف أُسرةً سُحِقَتْ وصارت كالشظايا

وَرَفَعْتَ شيئاً من ركام البيت كالجُبِّ المخيفْ فرأيتَ مقبرةَ المئاتِ من الضحايا والألوفْ
فَصُعِقْتَ مما قد رأيت وما تسرب للأنوفْ

دفنوا جميعاً تحت أنقاض المنازلِ نائمين وأتت مُجَنْزَرُةُ لِتُكْمل قصة الموت المهينْ
ولكي تُدارى فى الخفاءِ جريمة العصر المُشينْ

أَهيَ القيامةُ.. أم مشاهدها تَبَدَّت فى «جنين» ؟ أهيَ البشاعة قد تَجَلَّتْ فى زحوف الغاصبين ؟
أهى الإبادةُ حين تَسْخَرُ من غُثاء المسلمين ؟

هذا هو النِّفْطُ الذى مَنَّ الإله به عَلَيْنا قد عاد طائرةً من الأعداءِ تهدم ما بَنَيْنَا
قد عاد صاروخاً يُفَجِّرُ فى المخيَّم إنْ أبينا

لا تبك أمَّك أَوْ أَبَاكَ أو العروبةْ وارفع إلى الرحمنِ كَفَّك للضراعةِ والمثوبةْ
إنَّ الذى كتب البلاءَ هو الذى يَمحو كُرُوبَهْ

أريــــدك إنســـــانـاً

ومن الشعر الاجتماعى وردت هذه القصيدة **للأستاذ / حسن شعبان** نقدم منها هذه الأبيات :

لـو أن قـــيـــاس الإنـســـان … بـالمـال وبـالجـــمـع الـفـــانـى
فــبـكـم من مـــلأ خـــزائـنـه … بـالـلـؤلـؤ أو بـالمـرجــــان
فــأنـا فـنـان لا أحـــســـد … وأحـب عـلـوَّ الـبـنـيـــان
لـكـنـى أريـدك إنـســـانـاً … تملـك إحـســـاس الإنـســـان
والدنيـا كـمـا تعلم ليـســت … بـالقـيـمـة عنـد الرحـمـن
فـــاخـلُ مـع ربـك لحـظـات … وتـدبـر آى الـقـــرآن
لا تـيـأس فـالعـمـل الصـالح … يجـعـلك ثـقـيـل الميـزان

مـن الأخطـــاء الشـــائعة

أما الرسالة الأخيرة فيواصل القارىء : إبراهيم نصحى محمد - مدرس أول بالأزهر ديرب نجم، حديثه عن الأخطاء الشائعة فيقول :

١- من الخطأ أن تقول : شجب « فلان » أعمال إسرائيل الإجرامية . **والصواب** : استنكر، لأن الإنكار ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه - راجع مادة « نكر » فى لسان العرب .

٢- من الخطأ : كنس العاملُ المعهدُ بالُمكنسة بضم الميم وأو بفتحها . **والصواب** : مِكْنَسة : بكسر الميم لأنها اسم آلة « على وزن مِفْعَلة » .

٣- من الخطأ : أن تقول : مبروك النجاح . **والصواب** : مبارك . قال تعالى :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ . الأنعام/ ٩٢ .

٤- من الخطأ : هذا البئر واسع .

والصواب : هذه البئر واسعة : قال تعالى : ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ . الحج/ ٤٥ .

٥- من الخطأ أن تقول : زوجة « فلان » صالحة . **والصواب** : زوج بدون تاء . قال تعالى :

﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ . البقرة/ ٣٥ .

● نعتذر إلى الإخوة القراء الذين لم نستطع نشر أعمالهم، ونوالى النشر فى الأعداد القادمة.

من أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذ / محمود الفشنى

● اتخذ مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة يوم الخميس ١٨ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ ـ ٣٠ من مايو ٢٠٠٢م عدة قرارات أهمها :

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « النص المؤسس ومجتمعه ج١، ج٢ » تأليف / خليل عبدالكريم.

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « قضية فكرى عبدالحق » تأليف / محمود بطروخة.

ـ عدم التصريح بالتمثيل مشاهدة أو سماعاً لسيناريو رواية بعنوان « ظلال حطية » تأليف / سمير نوار.

ـ عدم تداول كتاب بعنوان « القرآن الأسلوب والمحتوى » إصدار هيئة الإذاعة البريطانية ـ وهو باللغة الإنجليزية.

● كما اتخذت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية بعض القرارات فيما عرض عليها من بعض المسائل أهمها :

ـ **أولاً** : بشأن اشتراك مصر فى إعادة ترميم الآثار البوذية بأفغانستان قررت اللجنة :

« أن تعاون مصر حالياً على ترميم هذه التماثيل وإعادتها بعد ترميمها إلى ما كانت عليه قد يتجاوز البعد السياسى والثقافى لمصر إلى البعد الدينى ذى الجذور العميقة فى العالم الإسلامى مما قد يكون له ـ إن تم ـ مردوده السلبى على مكانة مصر الدينية العالمية فى العالم الإسلامى فى وقت تزداد فيه الهجمة الشرسة على الإسلام من مختلف الديانات والثقافات ».

ـ **ثانياً** : بشأن طلب الرأى الشرعى فى نثر رفات جثة سيدة بريطانية توفيت بوادى الملوك بالأقصر... قررت اللجنة « أن الإسلام يحرم حرق جثث الموتى ومايتبعه من نثر

للرفات وذلك تكريماً للإنسان فى حال حياته أو مماته » .

ـ ثالثاً : بشأن الاقتراحين المقدمين من عضوين بمجلس الشعب لإصدار وثيقة تأمين شاملة على راكبى وسائل النقل والمواصلات. قررت اللجنة :

أن مشروع القانون المعروض بصيغته الحالية بشأن التأمين على الركاب المستخدمين للمواصلات البرية يمثل فى حقيقته تأميناً تعاونياً بين الركاب وهو من مقاصد الشريعة فى التكافل الاجتماعى.

ـ رابعاً : تدارست لجنة البحوث الفقهية المشروع المقدم من عضوين بمجلس الشعب المصرى، والخاص بعقوبة التلبس بالزنا من أحد الزوجين واقتراحهما تعديل المواد المتعلقة بذلك رغبة منهما فى تسوية العقوبة بين الزوج والزوجة فى هذه الجريمة.

وانتهى رأى اللجنة بالإجماع إلى ما يأتى :

١ ـ إن جريمة الزنا من الكبائر التى حرمها الله – تعالى – بقوله:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾(١)

٢ ـ إن هذه الجريمة تتعلق بالنظام الإسلامى العام وهى من حقوق الله الخالصة ولا عبرة فيها برضا الزوج أو الزوجة أوعدم رضائهما ولا بمكان وقوعها سواء فى منزل الزوجية أو فى غيره.

٣ ـ إن الشريعة الإسلامية تسوى فى عقوبة هذه الجريمة بين الرجل والمرأة وتوقع الحد الشرعى على الزانى والزانية بعد ثبوتها ثبوتاً شرعياً لاشبهة فيه فإن وجدت شبهة فى الثبوت كما قررته الشريعة تركت للقاضى تحديد العقوبة التعزيرية المناسبة.

٤ ـ إن ماجاء فى القانون الفرنسى والمواد المنقولة منه من سقوط العقوبة أو إيقافها إذا طلب الزوج أو طلبت الزوجة ذلك أمر لاتقره الشريعة الإسلامية، ويتنافى مع مقاصدها فى حفظ العرض والنسل ويخالف الدستور الذى ينص في مادته الثانية على «أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع».

وبناء على ماتقدم ترى اللجنة :

عدم الموافقة على الاقتراحات المقدمة لمخالفتها لنصوص الشريعة الإسلامية وترى أن منهج قانون العقوبات يختلف تماماً عن المنهج الشرعى الذى يسوى فى عقوبة جريمة الزنا بين الرجل والمرأة وبين الزوج والزوجة ولايقبل تنازل أحدهما عن حق العقاب لأنه من حقوق الله – تعالى – ولايفرق فى العقوبة بحسب مكان الجريمة أو زمانها.

ولذا فإن الواجب أن تعدل المواد المذكورة بما يتفق مع الشريعة الإسلامية.

والله أعلم

(١) الإسراء (٣٢).

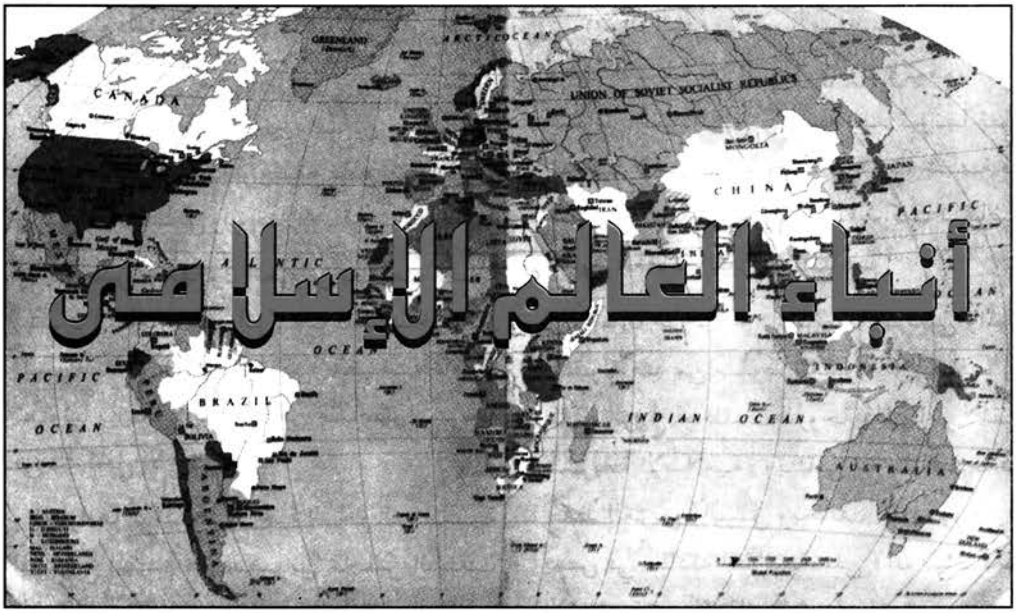

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

حقيقة الإسلام فى عالم متغير

* انعقد المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية « حقيقة الإسلام فى عالم متغير » فى الفترة من ٨ : ١١ ـ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ـ ٢٠ : ٢٣ مايو ٢٠٠٢م.

وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات نصت على :

١ ـ التأكيد على خصوصية القيم والتقاليد الإسلامية وضرورة المحافظة عليها فى مواجهة تيارات العولمة.

٢ ـ يوصى المؤتمر المؤسسات العلمية والفكرية والثقافية والإعلامية فى داخل البلاد الإسلامية وخارجها بضرورة التعريف الصحيح بالإسلام وتعاليمه، وإبراز حقائقه التى تبلغ دعوته وتقيم حجته وترد عنه الشبهات وخاصة الحقائق التالية :

أ ـ تأكيد الإسلام على التكامل بين الجوانب الروحية والمادية فى حياة الإنسان.

ب ـ تكريم الإسلام للإنسان باعتباره خليفة الله فى إعمار الأرض بصرف النظر عن جنسه ولونه وعقيدته. وهذا التكريم ينسحب على الإنسان حياً وميتاً.

ج ـ تفرد الإسلام بجعله التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف فى الملل والشرائع والألسنة والألوان والأجناس سُنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.

د ـ تفرد الإسلام بالتأكيد على حرية الاعتقاد وعدم الإكراه فى الدين،و وجعل هذا الاعتراف عنصراً أساسياً فى صحة عقيدة المسلم.

هـ ـ إقرار الإسلام منذ ظهوره لحقوق الإنسان الأساسية دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية. ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية أن تلتزم فى التطبيق العملى لحقوق الإنسان بأحكام الإسلام.

و ـ التأكيد على أن الدعوة إلى الإسلام بنص القرآن الكريم تتم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

٣ ـ إقرار الإسلام لمبدأ المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى الحقوق والواجبات طبقاً لقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». مع تطبيق قوانين دينهم وملتهم فى مسائل الأحوال الشخصية.

٤ ـ يناشد المؤتمر الدول غير الإسلامية تمكين الأقليات الإسلامية من ممارسة مختلف الحقوق والحريات الواردة فى المواثيق الدولية وتطبيق نظمهم الإسلامية فى الأحوال الشخصية فيما لا يتعارض مع النظام العام فى الدولة.

٥ ـ يؤكد المؤتمر على أن الشرعية الدولية تقرر حق كل الشعوب المحتلة أوطانها فى اللجوء إلى كافة الوسائل المشروعة لتحرير أرضها وتقرير مصيرها والحصول على استقلالها، كما أن الشرعية الدولية تطالب المجتمع الدولى بتوفير المساعدة المادية والمعنوية لحركات التحرير الوطنى.

٦ ـ يؤكد المؤتمر رفضه لكل المحاولات التى تستهدف التسوية بين الإرهاب وممارسة الحقوق المشروعة للشعوب فى تقرير مصيرها والكفاح لتحرير أرضها.

٧ ـ يأمل المؤتمر أن تزول كل الأسباب التى تؤدى إلى الخلاف بين بعض الدول العربية حتى يتم تعظيم إمكانات الأمة الإسلامية الروحية والمادية فى مواجهة التحديات التى تواجهها.

٨ ـ يؤكد المؤتمر على موقف الإسلام الثابت من اعتماد الحوار أساساً للعلاقات بين الدول والشعوب والحضارات والأديان من أجل ترسيخ دعائم الأمن والاستقرار والسلام. ومن هنا يرفض المؤتمر كافة الدعاوى التى تجعل الصراع بين الحضارات ركيزة وانطلاقاً لحملات ضد الإسلام والمسلمين.

٩ ـ يؤكد المؤتمر ضرورة تكثيف الحلقات النقاشية مع العلماء مع غير المسلمين فى سائر بلدان العالم حيث أثبتت تجربة هذه الحلقات أثناء انعقاد هذا المؤتمر فائدتها وأهميتها البالغة فى تمكين كل طرف من الوقوف على رأى الطرف الآخر وتصحيح بعض المفاهيم الخاصة وتوضيح بعض الأمور الغامضة ويوصى المؤتمر بتكوين فريق عمل من العلماء الذين يجيدون اللغات الأجنبية لمواصلة النقاش فى مثل هذه الحلقات فى الداخل أو فى الخارج.

١٠ ـ حتى يكون لحوار الأديان والحضارات فائدة وثمرة مرجوة يوصى المؤتمر بمراجعة المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية فى البلاد الغربية.

١١ ـ يوصى المؤتمر الدول والشعوب والعلماء والمثقفين فى كل مكان فى العالم بالتعاون والتضامن والعمل على تفعيل المبادىء والأسس التى أقرتها الشرعية الدولية وتطبيقها على جميع الدول دون استثناء.

١٢ ـ يناشد المؤتمر كلا من الهند وباكستان تسوية الخلاف بينهما بالطرق السلمية عن طريق الحوار حفاظاً على علاقات الجوار بينهما بما يضمن الأمن والاستقرار فى المنطقة لمصلحة شعوبها.

١٣ ـ يوصى المؤتمر بإنشاء قناة فضائية إسلامية لشرح حقائق الإسلام باللغة الإنجليزية للشعوب الغربية والجاليات الإسلامية فى البلاد الأجنبية.

١٤ ـ يؤكد المؤتمر ما سبق وأعلنه فى المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية خاصاً بالقضية الفلسطينية من دعم وتأييد لانتفاضة الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن النفس وحق تقرير المصير. ويدعو المؤتمر الشعوب الإسلامية إلى مد يد العون لهذه الانتفاضة بكل ما تملكه الشعوب من وسائل حتى يتوقف العدوان وينال الشعب الفلسطينى حقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

كما يدعو المؤتمرون الحكومات والمنظمات الإسلامية والهيئات الدولية إلى التصدى إلى كل محاولات الإبادة والتشريد التى يتعرض لهما الشعب الفلسطينى المجاهد وما تتعرض له المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة من انتهاكات صارخة تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق والاتفاقيات الدولية التى تحمى حقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال. كما يدعون جميع القوى الفاعلة فى العالم وهيئة الأمم المتحدة إلى الإسراع فى اتخاذ الوسائل الكفيلة لحماية الشعب الفلسطينى الأعزل من تلك الأخطار.

بعد فشل حرب الإبادة
الحملات التنصيرية تجتاح البوسنة

حذر الشيخ «مصطفى سيريتش» مفتى البوسنة من تنامى نشاط الجماعات التنصيرية فى بلاده وقال: إنه يوجد فى البوسنة حالياً أكثر من مائتى منظمة تنصيرية تسعى لبث أفكار مسمومة ومغلوطة عن الإسلام بين شعبنا ومحاولة تغيير عقيدتهم إلى معتقدات أخرى.

وأضاف مفتى البوسنة: أن ذلك يأتى فى إطار توظيفهم لكافة الإمكانيات والإغراءات والضغوط لتحقيق مآربهم مما يجعل بعض أفراد الشعب غير قادر على المقاومة أمام كل هذه الظروف خاصة وأننا نعانى من أزمة الخلل الاقتصادى والمعتقدى لدى بعض الناس كنتيجة طبيعية للمرحلة التاريخية القاسية التى مر بها شعب البوسنة من انتهاكات لحقوقه وأعراضه.

وقال الشيخ «مصطفى سيريتش» للأسف الشديد كل هذه الأمور فى مجملها هى الأدوات التى تتحرك من خلالها الجماعات التنصيرية لبث أفكارهم ومحاول إقناع المسلمين بإمكانية تغيير أوضاعهم للأفضل وتحسين مستوى معيشتهم.

وطالب مفتى البوسنة الدول العربية والإسلامية بتكثيف جهودهم وإمكانياتهم

للحفاظ على الهوية الإسلامية لشعب بلاده ومقاومة ضغوط مثل هذه الجماعات التنصيرية التى تتفشى بصورة خطيرة فى مناطق عديدة من العالم.

١٥ ألف مسلم استشهدوا فى الشيشان

أشارت مصادر غير رسمية فى الشيشان أن أكثر من ١٥ ألف مسلم قد استشهدوا فى تلك الجمهورية الإسلامية منذ بدأ الروس حملتهم العسكرية ضد الشيشان.

الجدير بالذكر أن المصادر العسكرية الروسية الرسمية أشارت إلى أن عدد القتلى من الشيشان - الذين أسماهم الروس بالانفصاليين - ١٣ ألف قتيل منذ اكتوبر ١٩٩٩م - كما ذكرت وكالة انترفاكس للأنباء - أما بالنسبة لخسائر الروس فلا تستبعد المنظمات الروسية أن يبلغ عدد القتلى أكثر من ٨ الاف قتيل وآخر رقم رسمى لخسائر الروس يقول أن القتلى الروس حوالى ٣٥٠٠ شخص.

احتفال فى جامعة الأزهر بذكرى العلامة «محمد إقبال»

تحت رعاية الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر عُقدت فى كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر ندوة لإحياء الذكرى الرابعة والستين للعلامة الفيلسوف محمد إقبال وحضرها كوكبة من رجالات الأزهر وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية ولفيف من المحبين والمهتمين بفكر «إقبال» من مختلف الهيئات والنقابات والجمعيات الأدبية والصحفية وطلاب الدراسات الشرقية الإسلامية، فى الجامعات المصرية وعديد من الأدباء والطلاب الأجانب والعرب المقيمين بالقاهرة وأعضاء سفارة جمهورية باكستان فى مصر.

الصين وروسيا تقودان خطة عمل لمحاربة المد الإسلامى

نجحت مجموعة شنغهاى الخماسية فى استقطاب دولة أوزبكستان الإسلامية وبدأت فى تدشين منظمة إقليمية جديدة بهدف محاربة المد الإسلامى فى آسيا الوسطى وتعزيز الروابط التجارية والاستثمارية بين الدول الأعضاء وكانت المجموعة قد بدأت منذ خمسة أعوام بداية متواضعة كهيئة للتوسط فى النزاعات الحدودية وكانت تضم أصلاً خمس دول هى الصين وروسيا وقازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان.

وصرح الرئيس الصينى« «جيانغ زيمين»أن ما أسماه بالستة الطيبين وقعوا اتفاقية لمحاربة التطرف العرقى والطائفى وتعزيز التجارة والاستثمار فى منطقة تتمتع باحتياطيات نفطية كبيرة تسببت فى إحياء منافسات دولية لبسط النفوذ عليها وأضاف الرئيس الصينى أن توقيع اتفاق شنغهاى وضع على حد زعمه الأساس القانونى للتصدى المشترك للإرهاب والنزعات الانفصالية والتطرف ويعكس تصميماً حازماً من جانب الدول الست على ضمان الأمن القومى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

علينا أن نغلق الثغرات التى تحمل للإسلام العداء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / عصام أحمد البشير وزير الأوقاف والإرشاد الدينى بالسودان يرافقه المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقه بالأزهر الشريف ودار الحديث من جانب الضيف حيث قدم التحية لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس / عمر البشير رئيس جمهورية السودان ومن نائبه ومستشاريه وشعب السودان وأنهم جميعا يؤيدون جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين والذى ظهر واضحا فى المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذى استطاع أن يجمع علماء المسلمين من شتى أقطاب الدول ونحن نعتبر الأزهر قبلة المسلمين وقبلة العالم الإسلامى، وقدم شكره على إرسال الأئمة والدعاة والعلماء للسودان خلال شهر رمضان المعظم من كل عام وفى ذلك تواصل وتوحيد للمسلمين فى مواجهة الهجمات الغربية الشرسة، وكذلك إظهار الهدف السلمى للمسلمين لتحقيق السلام الاجتماعى والتعايش للأقليات غير المسلمة طبقا لما كفلته القوانين التشريعية، ونحن نعتبر أنفسنا جنودا للتصدى لما هو حادث من أجل إحياء التضامن وتحريك آليات التعاون والتنسيق لتوحيد الصف العربى.

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء الجنوب ... السودان للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة. كما طلب فتح المجال للدراسات العليا، وإشراك الأئمة والوعاظ والدعاة بالسودان فى الدورات التدريبية لأئمة العالم الإسلامى فى الأزهر الشريف، وأيضا طلب إمداد السودان بالكتب والأبحاث والمراجع التى يصدرها الأزهر الشريف لتكون مرجعا يستفاد بها فى مجال الدعوة الإسلامية.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن مصر والسودان تجمعهم صلات

الأخوة منذ القِدَمْ، والتعاون بينهما قائم ومستمر وممتد، ونحن حينما نصدر فتوى فإنما نراعى فيها كل الجوانب لتكون أفعالنا ذات رؤية مستقبلية، ولابد من تحديد المفاهيم أولاً، وعلينا أن نتعاون ونتكاتف لنتصدى لمن لايملك أدوات الفتوى، ومن يفتون بغير علم، حتى لا تسوء صورة الإسلام أمام الغرب، وعلينا أن نغلق الثغرات التى تحمل للإسلام العداء، وهى حملات ضارة، وإن اجتماعاتنا ومناقشاتنا إنما تكون من أجل إزالة الجمود، والاختلاف فى الرأى القابل للمراجعة مطلوب لإظهار الرأى الراجح الذى يتم من خلال الوصول إلى الآراء المواكبة للتطورات التى يشهدها العصر، ودار الحديث حول القضية الفلسطينية وما أثير حول من يفجر نفسه فى أعدائه واتفق على أنها عمليات استشهادية، دفاعا عن النفس والعرض والأرض. ووعد فضيلته بتلبية طلبات السيد الوزير لدولة السودان الشقيقة، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى القدس

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس والوفد المرافق الذى أشاد بموقف الإمام الأكبر والأزهر الشريف ومصر رئيسا وحكومة وشعبا لوقوفهم ومساندتهم لحق الشعب الفلسطينى المشروع فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، موضحا أن ما يحدث من جرائم إسرائيلية على أرض فلسطين من قتل وتعذيب وهدم للبيوت على سكانها وتجريف للأرض الزراعية وهدم للبنية التحتية لا تستطيع إسرائيل إخفاءه عن أنظار العالم والمجتمع الدولى لشدة جسامته، وقال: إن الشعب الفلسطينى سيظل بمقاومته درعا للأمة العربية والإسلامية.

الشيخ عكرمة صبرى

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة والوفد المرافق له، وقد أكد فضيلته على أن ما يحدث فى الأراضى الفلسطينية يُحرِّك ضمائر ومشاعر الشعوب فى العالم جمع، الأمر الذى من شأنه خلق مشاعر العداء التى تتولد فى الأجيال القادمة للجانبين، وأكد على تأييده التام للشعب الفلسطينى ومقاومته المشروعة ضد المغتصب الغاشم.

تنسيق علمى بين الأزهر وجمهورية اليمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ/ قاسم الأعجم وزير الأوقاف اليمنى يرافقه السيد/ عبدالعزيز الكميم سفير اليمن بالقاهرة حيث دار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف باليمن فى مجال الدعوة والخطابة، والتعاون بين الأزهر الشريف ومعاهد اليمن، وطلب الوزير مناقشة الموضوعات الخاصة بالدراسات الجامعية وتحويلها إلى دراسات عليا، وأكد السيد الوزير على

الاستعانة بخبراء من الأزهر للاستفادة بهم فى إنشاء المعهد الدينى الذى سينشأ باليمن، ويماثل فى دراسته كلية الدعوة بالأزهر ومدة الدراسة به أربع سنوات، بهدف الوصول إلى الفهم الدينى الصحيح لتوصيله للناس بالطرق المعتدلة، نظرا لكثرة المذاهب فى اليمن مؤكدا على أن الأزهر الشريف هو المنارة التى تضىء لنا فى اليمن الطريق منذ أكثر من ١٠٠٠ عام.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال والبُعد عن التعصب الأعمى، والأزهر يدرس جميع المذاهب الفقهية المختلفة بكل موضوعية.

وقال فضيلته: نحن نجزم بأن الكل مسلم، ومستحيل أن يوجد اختلاف فى الأصول وهذه طبيعة العقلاء.

وفى نهاية اللقاء وجه السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة اليمن وهذه رغبة السيد الرئيس على عبدالله صالح رئيس جمهورية اليمن والسادة علماء وشعب اليمن.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ يوسف بن علوى وزير خارجية سلطنة عُمَان ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ومواقفه الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية التى يشهدها العالم اليوم، مشيدا بدور الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامى وسماحته، ويسره، وسهولته وأن الأزهر الشريف له مكانة الريادة الدينية والتعليمية لدى أبناء المسلمين فى العالم.

شكر فضيلته الضيف على التعاون المثمر بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة عمان الشقيقة وتربط البلدين روابط المحبة والتعاون والإخاء.

الإمام الأكبر يؤكد:

علينا أن نتعاون ونتكاتف حتى يكون الله معنا

● كما استقبل فضيلته معالى الدكتور/ عبدالسلام العبادى وزير الأوقاف والشئون الدينية الأسبق بالأردن ودار الحديث حول مكانة الأزهر الشريف قبلة المسلمين العلمية، والمجهودات المبذولة من جانب الأزهر لتوحيد جهود المسلمين لمواجهة الهجمات الشرسة من خلال الأفكار المسمومة الموجهة للمسلمين ظلما وعدوانا.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام هو فى خدمة الإسلام والمسلمين وسيظل عطاؤه مستمرا - إن شاء الله - للرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم المغلوطة وسيظل علماؤه يؤيدون واجبهم ونحو خالقهم ونحو أمتهم، وندعو الله صفوفنا، وعلينا نحن أن ننسق جهودنا، وأن نتعاون وأن نتكاتف وأن نكون جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، حينئذ يكون الله معنا بعونه ونصره.

ستة معاهد أزهرية فى جنوب أفريقيا

● كما استقبل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشيخ/ عبدالحميد خبير رئيس مجلس اتحاد العلماء فى جنوب أفريقيا، والشيخ/ إبراهيم جبريل رئيس مجلس القضاء

الإسلامى بكيب تاون بجنوب افريقيا، ودار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف وجنوب افريقيا، وأشاد الضيفان بدور الأزهر الفاعل فى تعليم أبناء المسلمين فى جنوب افريقيا العلوم الدينية والعربية وعلى رأسها القرآن الكريم من خلال المعاهد المنتشرة والتى أنشأها الأزهر الشريف وعددها ستة معاهد أزهرية تسير على خطط ومناهج الأزهر الشريف فى التعليم، وقدما الشكر للأزهر وعلمائه الذين يؤدون واجبهم بإتقان فى هذه المعاهد من أجل تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم من مصادرها الأساسية القرآن والسنة وطلبا إيفاد اثنين من محفظى القرآن الكريم من الأزهر لأحد المعاهد الدينية بجنوب افريقيا لتحفيظ الطلاب القرآن الكريم وتعليمهم التجويد والقراءات. حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

المخدرات تندرج تحت الفواحش

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووفد الدارسين بالدورة الحادية والثلاثين من البرنامج التدريبى العربى لمكافحة المخدرات الذى ينظمه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية المشارك فيه ضباط الشرطة العاملين فى مجال مكافحة المخدرات، وأمن الموانى، والمسطحات المائية، والقضاء العسكرى، والشرطة العسكرية، وضباط حرس الحدود والسواحل، ومأمورى الجمارك، واخصائى المعامل من الطب الشرعى وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية برياسة الدكتورة/ نادية جمال المشرف على البرنامج وقد ألقى فضيلته محاضرة بعنوان «رأى الدين فى مشكلة المخدرات» وقد أوضح فضيلته أن هذه اللقاءات من شأنها توثيق التعاون من أجل خدمة المسلمين، وأن الشرائع السماوية والرسالات التى أنزلها الله – سبحانه وتعالى – إنما هى لسعادة البشرية وليس لشقائها، وأن الشرائع السماوية جميعها أحلت للناس الطيبات من الرزق وحرمت عليهم الخبائث لقول الله – تعالى:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾(١)

وشريعة الإسلام نهت أن يحل الإنسان ما حرمه الله ـ عز وجل ـ أو أن يحرم الإنسان ما أحله الله ـ عز وجل ـ كما أنها أباحت للناس التمتع بالطيبات من الرزق سواء فى ذلك ما يتعلق بالمأكل والمشرب والملبس لقول الله تعالى:

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾(٢)

كما أنها حرمت الفواحش ما ظهر منها وما بطن فى الأقوال والأفعال وعلى الإنسان أن يستمد كل أموره وأفعاله من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وشرح فضيلته رأى الدين فى مشكلة المخدرات بجميع أنواعها وصورها وأشكالها وكلها تندرج تحت الفواحش، وبين أن الخمر أم الخبائث ويندرج تحتها كل مسكر فهو حرام لما يترتب على ذلك من أضرار مالية وجسدية فهى مفسدة للمال ومفسدة للصحة

(١) الأعراف (١٥٧).

(٢) الأعراف (٣٢).

ومضرة بالعقل وبالنواحى الاجتماعية والخلقية والنفسية، وثبت ذلك بالأدلة من جانب الأطباء المتخصصين.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول حكم شرب الدخان، ومتى يكون القصر فى الصلاة، وحكم الصلاة والفائتة وكيفية قضائها، إلى غير ذلك من الأسئلة التى طرحها أعضاء الوفد.

مسئول يمنى يؤكد:

الأزهر هو المنهل العلمى الوسطى لبلدان العالم أجمع

● كما استقبل فضيلته الدكتور عبدالولى الشميرى المندوب الدائم للجمهورية اليمنية لدى جامعة الدول العربية بالقاهرة وقد رحب فضيتله بالضيف مشيدا بعمق العلاقة بين مصر واليمن الشقيق، وبعلماء اليمن الذين نكن لهم كل تقدير واعتزاز، وأشار إلى أن لليمن حضارة عريقة والأزهر يفتح أبوابه لأشقائه من اليمن لتلقى العلم النافع فى الأزهر الشريف، وقد أثنى الضيف على مصر وأزهرها الشريف قائلاً: نحن نعتبر الأزهر هو المنهل العلمى الوسطى لبلدان العالم أجمع، وأن علماء اليمن وطلاب العلم يكنون كل حب وتقدير واعتزاز لمصر وللأزهر الشريف ويحملون المشاعر الطيبة للأزهر ولشيخه ولمصر وقدم إهداء لفضيلة الإمام الأكبر من ديوانه فى الأدب العربى.

الإمام الأكبر يتلقى دعوة لزيارة الفيلبين

● كما استقبل فضيلته وفداً من وزارة خارجية الفلبين برياسة السيد / لاورو باجا وكيل وزارة الخارجية وبحضور السيد السفير/ شولان بريما ثيرا سفير الفلبين بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف بالقاهرة وتمنى لهم إقامة طيبة، وأشاد فضيلته بالعلاقات الطيبة بين مصر والفلبين وبين الأزهر الشريف وبين المؤسسات الدينية بالفلبين وكذلك وأوضح أن لدى دولة الفلبين بعثة من علماء الأزهر يعلمون أبناء المسلمين فى الفلبين، ويوجد طلاب من الفلبين يدرسون بالأزهر الشريف، وهم حوالى ٤٥ طالبا على منح من الأزهر الشريف، ومن جانبه نقل رئيس الوفد تحيات رئيسة دولة الفلبين وحكومتها إلى فضيلة شيخ الأزهر، كما نقل دعوة رئيسة دولة الفلبين لفضيلته لزيارة الفلبين لما لهذه الزياة من أثر هام وفعال لربط وتقوية أواصر الصداقة بين الشعبين، وخاصة أن للأزهر الشريف دورا هاماً وبارزاً فى مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية، ويظهر هذا واضحا وجليا من خلال الطلبة، الذين يدرسون بالأزهر، حيث ينقلون لبلادنا سماحة الإسلام ويسره وكذلك من خلال السادة علماء الأزهر. وقد طلب الضيف زيادة المنح الدراسية للطلاب فى الفلبين وكذا زيادة التعاون الثقافى والتعليمى. شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة ووعد بدراستها تمهيدا لتلبيتها، كما وعد بزيادة المنح الدراسية.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ أسكار موسينوف سفير كازاخستان بالقاهرة بمناسبة انتهاء مدة عمله كسفير

لبلاده، رحب فضيلته بالضيف وأثنى على جهوده ونشاطه فى الفترة التى قضاها بالقاهرة وتعاونه المثمر مع الأزهر الشريف ودار الحديث حول إنجازات الأزهر الشريف لأبناء كازاخستان الذين يتعلمون بالأزهر على منح، وكذلك الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر للعلماء والأئمة من كازاخستان، وشكر الضيف هدية مصر لأبناء كازاخستان والمتمثلة فى معهد نور مبارك بمدينة كازاخستان الذى يعتبر منارة لتعليم المسلمين الإسلام الصحيح وأمور الدين الحنيف ويعتبر فرعا من فروع الأزهر الشريف وبه معلمون وأساتذة يدرسون المناهج الدينية والعربية مما يوفر فرص التعليم للمسلمين فى كازخستان.

كما قدم الشكر أيضا لفضيلة شيخ الأزهر على مواقفه المعتدلة تجاه القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة والفتاوى التى يقدمها بحكمة واقتدار، وطلب الضيف إمداد المعهد بالكتب الدينية وبالمناهج الأزهرية، كما طلب زيادة حضور العلماء والأئمة من كازاخستان بالدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة شهور، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة كازاخستان وذلك لرغبة المسلمين هناك ولتقوية أواصر المحبة وقد وافق فضيلته على طلبات السيد السفير.

مسئول بالبرلمان الألمانى:

كلمة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد لجنة السياحة فى البوندستاج الألمانى «البرلمان الألمانى» برياسة السيد / ايرنست هنسكن رئيس لجنة السياحة بالبوندستاج وثمانية من أعضاء اللجنة ترافقهم السيدة / فايدة كامل رئيس لجنة الثقافة بمجلس الشعب المصرى والدكتور / محمد صالح عضو مجلس الشعب وعضو لجنة الثقافة، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الودية بين البلدين، وقال: إن عددا كبيرا من علماء الأزهر سافروا إلى ألمانيا وحصلوا على الدكتوراه، ومن جانبه أشاد رئيس الوفد بما لاقاه من ترحيب وأكد على أن لقاء الوفد بفضيلة شيخ الأزهر له معنى خاص ومن شأنه أن يعمق العلاقات وهو جزء من الحوار وقال: إن هدفنا أن نقنع عددا كبيرا من الألمان للحضور إلى مصر هذا البلد العظيم للتعرف على الحضارة المصرية القوية فى مجال الآثار والتاريخ أكثر من أى بلد آخر، وأشار إلى أن كلمة فضيلة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم حيث إنكم تحملون على عاتقكم مسئولية استتباب الأمن والأمان فى هذه المنطقة، وقال: نحن نعقد أمالاً كبيرة على فضيلتكم ونحن كبرلمانيين يهمنا دعم التفاهم بين حضارتينا لأن ذلك يؤدى إلى علاقات أكثر وأكثر، والدين يتوجه إلى روح الإنسان ورغبته فى التعايش بين الأديان، ونحن كأصحاب أديان نؤمن بالله وهو شىء مشترك بيننا.

وقال فضيلة شيخ الأزهر: إن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة

والقـرآن يؤكـد ذلك فى أول آية فى (سـورة النساء) قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾(٣)

وهى الحقيقة الأولى فى الإسلام.

وثانيـاً: أن الله – سبحانه وتعالى ـ أوجد الناس ليتعاونوا والتعاون يولّد الأخوّة الإنسانية والمودة والمحبة

ثالثاً: أن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون ـ نحن فى مصر مسلمين ومسيحيين نتساوى فى الحقوق والواجبات، ونقول: إن الحضارات عند العقلاء تتعاون وتتآزر وتتكاتف، ونؤمن بأن للشرق حضارته وللغرب حضارته، ويجب أن يأخذ كل من حضارة الآخر، والعقلاء يقولون بتعاون الحضارات ولا يقولون بتصادم الحضارات، ونرحب بتبادل الزيارات وبتبادل المنافع فيما بيننا.

وأكد الضيف على أن هناك تشابها كبيراً بين مصر والمانيا، فكلمة الكنيسة مسموعة وعدد المسيحيين ٥٥ مليوناً من الكاثوليك والبروتستانت ويوجد ثلاثون مليونا بدون عقيدة وهى نسبة كبيرة

وطلب الوفد من فضيلة شيخ الأزهر زيارة المانيا للمرة الثانية، كما بارك الوفد خطوات فضيلته فى تصديه للإرهاب الذى هو وباء العصر وهى مسئولية عظيمة

وعقب فضيلة الإمام الأكبر بقوله: إن الإرهاب نكبة دينية ودنيوية ونحن نحاربه لأنه جريمة إنسانية وخلقية، واجتماعية وقانونية بكل المقاييس، ونحن ننشد العدالة بين أبناء المجتمع الإنسانى كله

وقدم الضيف لفضيلته هدية عبارة عن ميدالية البرلمان تحمل صورة البرلمان وصورة النسر.

ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والسيد المستشار محمود أبوالليل محافظ الجيزة معهدا للفتيات بمدينة أطفيح محافظة الجيزة ويضم المراحل التعليمية الابتدائى والإعدادى والثانوى ويتكون من ثلاثين فصلا وبه معمل حديث ومكتبة وأقيم على مساحة أربعة آلاف متر مربع وتكلف مليونى جنيه.

كما قام فضيلته بافتتاح مجمع الخليل الإسلامى بمدينة أطفيح بالجيزة والذى يتكون من ثلاثة طوابق ويشتمل على مسجد ومركز لتحفيظ القرآن الكريم ومستشفى طبى مجهز بأرقى الخدمات الطبية ويقوم المجمع بتوزيع مبالغ مالية على الأيتام بالمنطقة. كما قام فضيلته بتوزيع جوائز مالية على الطلاب من حفظة القرآن الكريم وفى كلمته طالب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بضرورة تبرع القادرين من أبناء الوطن لبناء المدارس والمعاهد الأزهرية ودور العلم للتخفيف عن الدولة ولخدمة أبناء المسلمين كما شهد ندوة دينية أكد فيها أن حفظ القرآن الكريم هو الأساس فى التعليم الأزهرى وشعارنا هو «ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم».

(٣) النساء (١).

﴿So whosoever of you disbelieves after that, then he has readily erred away form the level way. ﴾ [Al-Maidah (The Table : 12]

The result of this great compact and generous promise turned to be unexpectedly terrifying as stated in Allah's words **﴿So, for their breaking their compact, We cursed them and made their hearts hard, they pervert the Wordings from their contexts, and they have forgotten a portion of what they were reminded, and you will not cease viewing some treacherous (act) on their part, except a few of them . Yet be clement towards them and pardon; surly Allah loves the fair –doers﴾** [Al-Maidah (The Table : 13]

Muslims' adherence to Islam, clinging to their Book and believing in the sublimity of their religion: creed, law and system, mean Muslims' completion for the successor nation's components as well as the ability of this nation to handle leadership without taking side with a certain kind, color, language or race except the side of Allah's only path.

Testifying that we are Muslims means inheriting the Book, taking leadership and declaring that Allah is the only Ruler. All this means the beginning of getting the nation ready to shoulder the burdens of leading humanity by Allah's creed. Allah, addressed His Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, as saying:

﴿And (endure) patiently under the Judgment of your Lord, (for) then surely you are under Our Eyes, and hymn with the praises of Your Lord when you rise up﴾. [At-Tur (The Mount): 48]

The Prophet succeeded in bringing people out the darkness into the light so that they became the men of the Hereafter and tomorrow, who wouldn't like exaltation in the earth nor corruption. They became the straight equitableness for people; Allah established them in earth and became a shield of protection for humanity. The Prophet appointed them as his successors and joined the Highest Companion satisfied and delighted at his nation and message. If humanity found who guided it to Allah in the past, then who would be the reformer of the pagan ignorance of this age?

clearly announce the position of Islam among all the laws on earth as stated by Allah and wanted them to be.

Islam ignored by the West that began to fight aggressively aiming at eliminating it in such a hostlile way. Islam ignored by its own people who carry its name as they turn their backs to it and receive the evils of the West thinking that they are blessings. What can Muslims expect to find at people who cut their relations with their Lord and declared war against their Creator? When Allah invited them to believe in Him, they disbelieved; when took compact with them, they betrayed; when entrusted them with His books, they distorted them; and when entrusted them with His law they broke and ruined it. So, they deserved to be driven out of His mercy, deprived of His care and they no more deserve to be entrusted with His trust or deliver His call.

The story of Allah's appointment of the population of the Book as successors is stated in His Book. Allah aimed, by narrating this story, at guiding us to meditate, reconsider carefully and to show His blessings on us; He protected us from what He has befallen on them and warned us from what they have fallen into, namely, replacing belief with disbelief. Allah , glory be to Him says:

﴿And indeed Allah already took compact with the Seeds of Israil, and We sent forth among them twelve chieftains. And Allah said, "Surly I am with you, indeed in case you keep up the prayer, and bring the Zakat and believe in My Messengers and rally to them in assistance and lend to Allah a fair loan, indeed I will definitely expiate for you your odious deeds, and indeed I will definitely cause you to enter Gardens from beneath which Rivers run.﴾ [Al-Maidah (The Table : 12]

This is the text of the compact which Allah, glory be to Him, took with the Seeds of Israel. This clear–termed compact implies a generous promise motivating the right souls to achieve fast and apply well; the generous promise to care for, reward, include in His mercy, eliminate sins and let into His paradise.

However, Allah, in addition to this generous promise, warns them not to disobey Him and threatens whoever doesn't apply with unbearable banishment as stated in His saying:

* **The Successor Nation...And The Glad Tidings Of Establishment**

By: Dr. H. F. Waly

Muslims' present state calls for whoever is able to reinstate their belief in themselves, confidence in their past and hope in future. Muslims are in bad need to whoever is able to reinstate their belief in this religion which they carry its name and ignore its identity and take it by inheritance than by knowledge and assurance.

This need becomes more pressing concerning these aggressive attacks launched against Islam in various shapes and multiple ways all gathered by the intensive desire to eliminate this religion, law, creed and system of life. These attacks are motivated by a new hope, old grudge and the absence of thinking among some Muslim scholars who were upbrought on the Western ideas saturated with its philosophy and educated in its schools. Consequently, the West felt that it is so easy to achieve their task, hold their grip, promote their creed and finish off the remainders of the Islamic law.

The West, since the fall of communism, principles and law, has no law to fear its influence, avoid its danger and possesses all the factors of leadership and superiority other than Islam. To the West, the danger of Islam lies in its tremendous ability in convincing minds, entertaining souls and peneterating easily through hearts. Moreover, it lies in its possession of the sovereignty, leadership and superiority factors despite confusions of the West which failed in addressing minds and pleasing hearts. These reasons distinguishing Islam filled the West's heart with terror and urged it to adopt the strong aggressive attitude towards whatever implies strength, distinction or possessing the leadership factors, material and moral, on earth. Therefore, it puts on an imaginary mask made by cunning to hide this hostility. In addition, it, professionally, prepared for its publicity and cunning made the world's mind ready to accept it so, it began to declare war against terrorism as a pretext and in reality practises war against Islam. Hence, I felt obligated to

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

despite what they are spending of riches and efforts, as Allah says:

﴿Surely the ones who have disbelieved expend their riches to bar from the way of Allah; so they will soon expend them; (and) these will be (a cause) of regret for them, and thereafter they will be overcome.﴾

[Al-Anfal (The Spoils) War Gains): 36]

Islam strengthened the basis of call with principles derived from sociology and psychology, making the path of wisdom an indispensable matter, taking care in Muslims for fear that good qualities in them, including zeal, enthusiasm and love of persuasion, should turn to psychological recklessness, not totally related to Islam, as they are the factors for disappointment and antipathy. The prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered a lot from what he saw of people's adherence to their traditions, stickness to heritage and persistence on asking him for a verse to which their necks subject, Allah knew that all this was nothing but a mere intransigence to right, rather than asking for evidence, so, Allah revealed on His Messenger:

﴿And in case their veering away from you is greatly (annoying) to you, so in case you are able to seek out a tunnel in the earth or a ladder in the heaven , (and) then you would come up to them with a sign – and if Allah had so decided, He would indeed have gathered them to the guidance. So definitly do not be one of the ignorant.﴾ [Al-Anam (Cattle): 35]

Islam asked for taking interest in humanitarian principles even in the state of war, as it demanded Muslims to inform their enemies even if they were obliged to be involved in war. Moreover, Islam commanded them not to be excessive in killing as taking revenge, not to put the injured to death and not to kill whoever surrenders. If they captured a number of the enemy, they have to give them the fairest lodging and show kindness towards them as the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: "I command you to show goodness to your captives".

Did history of human kind witness such a glorious biography and merciful principles?

love of conviction, and the glory of sovereignty are combined together to gain new supporters for the nascent religion. If the adherents of this religion have no religious starting point, all these qualities shall regress and turn to barbarity with no extent quenching its thirsty. Similarly, the callers of the former creeds, even the ones who prohibited carrying arms and self-defence, accompanied the conqueror armies; if the soldiers completed their military act, they would assume the task of making the vanquished enter their religion. If they refused, they would be put to the sword. In this way, not only did they kill millions of nations, but also they annihilated nations entirely. There is an example in America's history.

Though Islam had been destined to inherit all religions, it drew up a religious base, in which its humanitarian principles are reflected. This had a great effect on its spread and making nations love it. The first basis laid down by Islam in this regard is Allah's saying:

﴿Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest. Surely, your Lord is the One (Who) knows best the ones who have erred away from His way and He is The One (Who knows best the right-guided (ones).﴾

[An-Nahl (The Bee): 125]

Allah, commands call to be with wisdom, justice, knowledge, patience and all sound words corresponding to right. If wisdom became of no avail and the called one transmigrated the spirit of arrogance and intransigence, he should be dealt with fair wisdom. If fair wisdom didn't benefit him, then by the debate and using argument in the best ways in sticking to the manners of argument and considering the adversary's dignity.

Some people wonder about this verse regarding the necessity of taking interest in all these high morals towards people not of their religion and who have nothing in their lives urging Muslims to deal with them in such a way.

Don't you see those who use in their call heinous methods such as kidnapping the minors, tempting the patients and the needy, manipulating the ignorant. How does their biography affect their call? Only resulting in nothing but disappointment

Islam Disseminated The Humanitarian Principles

By the great scholar: M. F. Wajdy

Allah, glory be to Him, knows that people, even they agreed in instinct and mind intuitions, the spoiling factors such as straying upbringing, genetics effect, imitation hegemony, ignorance and fanaticism prevent a lot of them from subjugation to unified principles of the right religion. Consequently, nations remain entirely believing in contradictory religions and discrepant creeds. Allah, praise be to Him, knew that the Islamic nation shall be neighboring, dealing, and dominant over these nations, so His wisdom required laying down principles for this state of social life to be applied by Muslims in dealing with them, where He laid down a general principle as He said:

﴿Allah doesn't forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them, surely Allah loves the equitable ones.﴾ **[Al-Mumtahanah (The Women Tested):8]**

That is, Allah doesn't forbid you to deal fairly with non-Muslims, who have no intention of driving you out from your homes or religion, to be just in dealing with them, since Allah loves the just ones.

This is a principle not known to humanity before Islam. The followers of each religion deemed the renegade to be shed with impunity. So, if he fell in their hands, they would kill or enslave him. The Roman nation, succeeded by Muslims in rule, remained not allowing any foreigner to enter its land even for trade, unless he obtained an official license or was under the protection of one of their leaders.

With the advent of Islam, the situation suddenly changed where foreigners enjoyed protection and welfare as Muslims. The tourist and merchant moved safely in the country with no fear on his self and riches. This is the largest reason helping millions of foreigners entering the religion without call, in addition to the truthful human principles under the umbrella of the Islamic State.

The most conspicuous aspect, in which the virtuous principles are reflected, is that of call. The jealousy, enthusiasm,

of magicians' and priests. Then, the ruler remains having power over people through attributing himself to deity.

We stress all this since all the majority of university professors talk about good manners, transaction rules, and human relations as things separated from religion. If this is true for some contemporary religions, Islam is the source and spring of morals to Muslims as the Islamic moral is not a social term changeable in some time and reverted to its first image in another one. As those who believe that civilization methods are enhanced by some morals and reversed by others according to conditions and circumstances since morals in Islam are general circles that include details. These circles have room for virtues while get narrow for vices depending on pure formation of man and the ability to change circumstances and conditions. Moreover, these circles are widening till they embrace all good deeds and beneficence as well as they stand firmly against the calls of decadence and disintegration, and you shall never find any alteration to the enactment of Allah.

Professors, explaining, writing and discussing, have to know that the majority of their learners are Muslim ones. In addition, they have to be aware that the trust of their religion commits them to present Islam's view in all subjects dealt with. It is established that humanities is deeply rooted in the field of scientific authorship. There are many Muslim scholars remarkably contributed in these studies, so why did we neglect their circulating books and focus totally on foreign sources; some opposing Islam publicly and others in secret.

We ask all the authors of humanities in all its various fields to study Islam in its right books then present besides its view, what are they presenting of views. Moreover, the judgment of Islam has to be explicit and conspicuous before Muslim students, since untruthfullnes does not come to it and they have to follow its right path.

certificate, you would have to judge that there is no difference regarding religious knowledge between secondary student joining university and a young man not received any religious study. Where we observe that young man knows by the virtue of his religious surroundings whatever is necessary concerning the observances and morals in general not depending on learning nor making use of guidline.

This student who is not versed in religion joins university to learn humanities as it were learnt adeptly by his professors making Europe's books their only reference. If the student completed university and excelled in the bachelor degree, he would be sent to European college and may continue postgraduate studies at his university then receive the philosophy of doctorate in the field of his specialization. Therefore, he got acquainted with his speech, theories and references within an entire foreign scope not related to Islam then be appointed as a teacher, an assistant professor, then a professor at the university to explain his subject as characterized by the materialistic Europe without seeking Islam's view concerning what is taught to Muslim students. Here comes the disastrous catastrophe, for example, the individual dealing with the origin of religion, will find it in the opinion of sociologists as the result of myths and superstitions imposed by special authorities to be finally as rituals, observances and laws,

The reader shouldn't believe that I exaggerate or make mockery, but I talk about a tangible and painful reality, where I read various college notes, some of which relating to the history of education, others to sociology and others make the history of law. The different notes, related to various sciences, talk about something in man's history known as the religious stage. The different notes clarified this stage saying: "After the flood, man setlled earth. He saw in nature's sights what had terrified him as he heard thunder, saw lightning, the action of fire and the destruction of torrents. All this drived him to believed in gigantic power terrified and frightened him, then he submitted, feared and imagine this enormous and terrifying power as gods. So, thunder, lightning, sun and seas became gods of major power then human figures claimed attribution to these deity assuming power as that

Put The Qur'anic Text First

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

We keen on the progress of social studies as we suggest that the multiple compilations revolving around this subject are useful and beneficial, since any serious study is useful to man. Some serious university studies appeared taking a great deal of interest in purposeful research. We have the right to mention our special impressions around these compilations, but we shan't deal with the names of books and authors as our aim is not to criticize and defame but to attract attention to important aspect ignored by the majority of them, despite its paramount importance.

In humanities, the university student receives the notes of his professors then he understands them very will so that he can succeed at the end of the year. In his superficial point of view, it is entirely right, where one can't imagine that a great professor among the teaching staff publishing a specialized book in his discipline and teaches its chapters, then this book be of view showing only a certain view without dealing with the opposite ones. The presented view may be wrong requiring the neglected aspect to be presented so that a comprehensive and accurate view be established. But what we read in the college notes doesn't offer the right view in tackled studies. So, at the end of the year, the student will have only a limited amount of knowledge, as well as it may be of gross deficiency if it dealt with a serious aspect of the history of the religious creed without guiding to the right path.

First and above, we should declare right publicly without any fear to acknowledge that most writers dealing with humanities, including education, sociology, psychology, civilization and ethics restricted their Islamic knowledge to what they had learned in secondary stage. They only knew about the realities of Islam what is familiar with the secondary student in Arab countries, which is an amount not sufficient to present a truthful idea about Islam. If we added to this that the majority of those people were not examined in the religious education, whereas some regulations in many Arabic countries provide that exam in religious education has to be restricted to the pre-general

Islam: The Religion of Civilization, Modernity and Human Rights.

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At present, a severe war is launched against Islam. This war neglects the essence and cares only about the appearance, because appearance - according to the views of Islam's enemies - deserves care and concern. Those always repeat the slogan of human rights, though there is no religion or positive law that maintained and interested in human rights like Islam. Through their superficial, spiteful and malicious view about Islam, they only see the rights of the criminal and falsify the rights of the victim. To them, putting the criminal on trial is a violation to human rights. Then, they go farther in their slurs and claim that the western civilization is far better than the Islamic one. However, they know better than others that the Islamic civilization is a comprehensive humanitarian one in which knowledge is linked to good manners and belief with freedom and tolerance.

To the West, terrorism is only reflected and represented in Islam. Their declarations exposed what the West bears of hidden grudge and severe hostility. The ongoing campaign - to distort the image of Islam and brand it with weakness and terrorism - motivates Muslims to be aware of what is plotted against them and their religion and to join ranks jointly and collectively to confront this war aiming at eradicating the Muslims' identity and existence. They should not fear enemies' power even if it appears tremendous. Allah, the Al-Mighty said:

﴿How often a little community has overcome a much (larger) community by the permission of Allah; and Allah is with the patient (ones).﴾ **[Al-Baqarah (The Cow): 249]**

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul Akher 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
July 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــرس

● النص القرآنى هو الفيصل «الافتتاحية»
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٤٩٨
● الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٥٠٤
● تفسـير سـورة البقــرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥١٥
● فى الأصول القرآنية للتربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ٥٢٠
● الســنة: العــدل
لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ٥٢٥
● رســول الله ﷺ فى شــبابه
للأستاذ/ محمد حسن دراز ٥٢٩
● سماحة التشريع الإسلامى سر انتشاره
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٣٣
● مجالات التنافس الشريف
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٥٣٩
● التأويل الرشدى: عربى؟ أم غربى؟!
للدكتور/ محمد عمارة ٥٤٤
● كتاب الشهر: حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين ٥٤٩
● قصة العدد: الحظ السعيد ٥٥٧
● قيمة الكلمة «قصيدة»
للدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن ٥٦٤
● الخطابة المثالية فى مرآة النقد «١»
للأستاذ الدكتور/ أحمد محمد حنطور ٥٦٧
● ضوابط حرية الاعتقاد فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ٥٧٣
● الإســلام وحقــوق الإنســان
للأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ٥٧٦
● حقوق الإنسان.. رؤية أمريكية
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٥٨٤
● لاجـئ ينشــد وطــنًا
للأستاذ/ خير الدين الزركلى ٥٨٨
● اليهود فى الإعلام الأمريكى
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٥٩٣
● نهاية إسرائيل محتومة
للدكتور/ حمدى فتوح والى ٥٩٨
● فــرق.. تســد
للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ٦٠٥
● هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦١١
● قول الحق.. أم.. لغو المفترين
للدكتور/ على أحمد على ٦٢٠
● طــرائف.. ومواقــف
لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٢٤
● الحياء مظاهره وأقسامه
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٦٢٦
● خطبة الجمعة: حضارة الذئاب
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٦٣٠
● رســالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ٦٣٣
● مناجــاة قــلب
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٦٣٥
● بيــن المجلــة والقــارئ
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ٦٣٩
● من أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد/ محمود الفشنى ٦٤٨
● أنبــاء العــالم الإســلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٦٥٠
● أنبــاء مكـتب شــيخ الأزهــر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٦٥٤
● القســم الإنجليــزى ٧٧١

مر ١٢
٢٦٢٢٠٢٦
٢٠٠٢
دوريات

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى
مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- الازدواج النفسى فى حياة الفرد
  للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستدمار والنفاق
  للدكتور / عبد العليم عويس
- هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز (٢)
  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- فى عداوة أمريكا وصداقتها
  للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

جمادى الأولى ١٤٢٣هـ - اغسطس ٢٠٠٢م - الجزء الخامس - السنة الخامسة والسبعون

من أمراض المجتمع

الازدواج النفسى

نلحظ أن الأمراض النفسية تزداد انتشارا بتقدم وسائل الحضارة، إذ نرى أبناء هذا الجيل أسرع إلى التوتر، وأقرب إلى الانفعال ممن عاشوا فى الجيل الماضى، بل إن أبناء الجيل الواحد يفترقون صحة وهدوءا بالقياس إلى أماكنهم من القرى والمدن، لأن ساكن القرية أهدأ نفسا، وأروح خاطرا إذا قرن بساكن المدينة، وأمريكا اليوم أكثر بلاد الله رفاهية واستمتاعا، ولكن الأمراض النفسية تنتشر فيها بنسبة تجذب الانتباه، وفى إحصائية عالمية لحوادث الانتحار ما يثبت اشتداد الأزمات النفسية لدى المرفهين من ذوى الثراء، وأذكر أنى قرأت قصة غربية تشير إلى هذا المعنى، إذ كان أبطالها ممن تبرموا بالعيش فى دول المدنية فرأوا أن يهجروا المجتمع الصاخب إلى جزيرة هادئة تقربهم من حياة البداوة الراكدة، وفى ظلال الهدوء الشامل، والحاجات الأولية، الميسرة وجدوا الاطمئنان، وتركوا رفاهية العصر غير نادمين.

وأكبر ما يعانيه إنسان العالم المتحضر اليوم أنه مرتبط بقيود لا يستطيع التخلص منها، وأشد هذه القيود حرجا فى نفسه أنه لا يفصح عن ذاته أصدق الإفصاح، فهو يضطر فى كثير من أحواله إلى أن يقول ما لا يعتقد، وكأنه ممثل يتقمّص على المسرح شخصية سواه، ولسنا نقول: إن جميع الناس يفعلون ذلك، بل نقول: إن كثيرا منهم يضطرون إلى التمثيل على مسرح الحياة، بحيث يعانون آلاما شاقة فى كتمان عواطفهم الحقيقية، فقد يبغض الزميل زميله، ولكنه مضطر إلى أن يتقبل أخطاءه دون تعليق، وقد يفرض عليه رئيسه من الأعمال ما لا يجد مبررا للقيام به، ولكنّه يكبت إحساسه الداخلى متظاهرا بالسرور، وربما اندفع إلى تمجيد ما يكره، فإذا خلا إلى نفسه صلى حربا أليمة من التأنيب والزجر، وبتكرار هذه المواقف تتأزم حياته، ويراها عبئا ثقيلا يود

ـسى فى حياة الفرد

الخلاص منه، وهذا فى محيط العمل الخارجى وحده فإذا رجع إلى منزله لم يسترح من التمثيل وقتا يُعيد الصفاء، بل يضطر إلى مجاملة الزوجة أو ترضية الولد، أو تهدئة الأب بما يعلم أنه كاذب فى تقريره، وهكذا تتوالى الضغوط على كثير من الناس، دون أن يجدوا بعض التنفيس ولابد من الانفجار حين تشتد الضغوط، ويغلى الموقد بالماء.

ازدواج مؤلـــم

إن حالة الازدواج النفسى التى تجعل لصاحبها مظهرين مختلفين، حين يرى فى سريرته رأيا خاصا، يضطر إلى أن يعلن سواه، هذه الحالة تتطلب العلاج الحاسم وأول خطوات العلاج أن يحاول الإنسان تجربة الصدق شيئا فشيئا فهو مضطر إلى أن يخلو بنفسه خلوة عاقلة، تجعله يستعرض ما كان بأمسه من المتناقضات، وليفرض فى هذه الخلوة أنه شخص محايد لا يميل إلى اتجاه دون اتجاه، ثم لينظر ماذا كان سيحدث من الخطر لو أنه التزم الصدق فى أكثر ما يأتى ويدع، ونقول الأكثر لا الجميع كيلا نلجأ إلى اشتداد يتعذر معه الوصول إلى الوضع المريح، إنه يجد من زملائه الذين لا تزيد قدرتهم المادية والاجتماعية عنه فى شىء من لا يسلكون مسلكه الخادع، ولكن أمورهم فى الحياة قد انتظمت على الإخلاص الصريح فلم تتقهقر علاقاتهم الأخوية مع الناس بل عرف عنهم الصدق، فكانوا موضع الثقة من ناحية، ونجوا من الانفعال المتأزم، واللوم النفسى المستمر من ناحية ثانية، لأن كل إنسان فى أعماق نفسه يحترم الفضائل الخلقية، وإن جانبها وسار ضد اتجاهها، لأنه فى هذه المجانبة يعتقد انحرافه، ويرى الإنسان المستقيم أهدى سبيلا، وأرفع منزلة.

وهذه أولى خطوات العلاج، إذ هناك فرق بين إنسان يصر على انحرافه مع علمه بخطئه، وآخر ينقم على انحرافه، ويتلمس خطوات النجاة، فإذا قارن هذا المرائى بين نفسه وبين غيره، متبرما بموقفه، فإنه سيصل إلى تفضيل الاتجاه الصادق وسيأخذ بأسبابه شيئا فشيئا، وتمر الأيام فيعود إلى المسلك المريح، ثم عليه بعد ذلك أن يتخذ صديقا مخلصا يبادله المودة، ويجعله أمينا على أسراره ومشكلاته، ليكون موضع اعترافه ومجال التخلص مما يكتم من الأمور، فمبادلة الرأى فى ثقة وإخلاص بين المتصادقين، تخفف كثيراً من التوتر النفسى وتكون بخارا يتصاعد فيمنع الضغط، ولابد أن لصديقه هو الآخر مشكلاته، وسيأنس إليه فى سره ونجواه، فيطلعه على منغصات أحواله، ويجد الزميلان المخلصان فى تبادل المشاعر وتجاوب الأحاسيس ما يعصف بهذا الكتمان المؤلم، وقد يؤدى فى أكثر أموره إلى خير النتائج السارة، لأن الإنسان يرى الرأى لأخيه مجردا من شتى المخاوف المتوهمة، فيضع أمامه الصورة الحقيقية فى مكانها الصحيح أما صاحب المشكلة نفسه فقد تختلط الرؤية فى عينيه فلا تأخذ مظهرها الواقعى لما يجسمه له الحرص الدقيق من أوهام لا تتمثل فى غير نفسه، وهنا يكون الصديق الأمين ميزانا عادلا للرأى السديد، كما يكون من جهة أخرى موضعا للاسترواح النفسى، وموطنا مطمئنا للبث والإعلان.

ذو الوجهين

على أن ذا الوجهين يغفل ناحية هامة، لو تدبرها تمام التدبر، ما تكلف هذا الرهق الشاق فى تدليس مشاعره، وهى أن الناس أذكياء، ولهم عيون تصل إلى الأعماق الدفينة، فهم يعرفون جيدا من يتخذ الوضوح المريح سبيله فى الحياة فيثقون فيه، ويطمئنون إلى مسيرته، كما يعرفون من يحاول أن يخدع مجتمعه بكتمان حقيقته والظهور بغير مظهره الطبيعى، فيرمقونه بعين البغضاء ويبتعدون عن مجاوبته قدر ما يستطيعون على حين يظن أنه قد أخفى عنهم تياره النفسى الهائج فى صدره، وكأنَّه بذلك لا يخدع غير نفسه، وإذا تمت له بعض وجوه الخديعة فى مفتتح معاملاته فإنه سُرعان ما يتجلى على وضعه السيء فتشيح عنه العيون، وبدل أن يكتسب مزايا التقدير فى نفوس عشرائه فإنه سينقلب إلى عكس ما يأمل.

فالصدق النفسى إذن سبيل الراحة المطمئنة داخلا وخارجا، ففى الداخل يأمن الصادق صراع النفس، وتأنيب الضمير وسهد الليل مفكرا مضطربا وفى الخارج يجد الصادق من أسرته الخاصة بمنزله، والعامة بمجتمعه من يهشون للقائه ويفرحون بمؤانسته، ويمنحونه الثقة التى بها يتملك النفوس، ويأسر القلوب، ولا أنكر أن لدى كل فرد من أموره الخاصة ما يجب أن يكون موضع الكتمان، لأن كشف الجروح المتقيحة فى الجسم للناس، يجلب الامتعاض والزراية لا أن يسعف

بالبرء والشفاء ونحن لا ننقد من يخفى ضرورياته متبعا سنة الحذر، ولكننا ننقد من يعيش طيلة حياته ممثلا، يظهر فى كل أدواره على غير حقيقته فيورث نفسه اضطرابا ويزعزع الثقة فيه بين معاشريه وهى أغلى ما يحرص عليه ذوو الاتجاه القويم، ولن ينقذه مما به غير سلام نفسى يستشعر به برد الراحة، لأن هدوء النفس يعمل على إزالة التوتر، ويساعد على التفاؤل المطمئن فى معترك الحياة، والسلام النفسى ليس كلمة تقال دون جهد جاهد يبعث على تحقيقها، ومن واجبنا أن نتحدث عنه ببعض التفصيل ليتضح لبابه الصريح.

السلام النفسى

وكما يكون السلام فى العالم كله مصدر خير وتقدم ورفاهية، وتكون الحرب مصدر شر وبلاء ومحن، كذلك يكون السلام داخل النفس البشرية مصدر هناء وراحة، وعنوان استقرار وسكينة، ويكون القلق والاضطراب داخل هذه النفس مصدر توتر وانفعال يمنعان الطمأنينة، فالذى فقد سلامه النفسى يكابد حربا أهلية فى صدره، فهو فى نومه يتقلب جنبا إلى جنب وفى يقظته متأزم يعض شفتيه ويفرك يديه ويكلم نفسه، وإذا استمر التأزم أمدا طويلا فإنه يفضى بصاحبه إلى حياة خير منها الموت!

لذلك كان البحث عن السلام النفسى هدف المصلحين من أساطين الاجتماع وعلماء النفس، وله عياداته الصحية وأطباؤه المعالجون ولكن الإنسان قبل كل شىء، هو العامل الأول فى البرء والشفاء، فلابد لكل من يواقع تأزما، أو يعانى توترا أن يكون طبيب نفسه أولا، لأن الأسباب النفسية المسببة للقلق لابد أن يكون المريض مصدرها الأول، وقد تدل الأعراض طبيب الأمراض الجسمية على حقيقتها فى الجسم، فيبادر إلى العلاج وفقا لما يرى بعينه، ويلمس بأشعته وتحليله، أما مريض النفس فلابد أن يساعد طبيبه بإبداء كل ما يحس، والتزام الصدق كل الصدق فيما يقول.

ونحن فى هذا المجال نشير بوجه عام إلى أهم الأسباب التى توجب القلق المتوتر فى النفس والتى نوصى بتجنبها قدر المستطاع، فكما يعرف مريض الجسم بواعث علته فيعمل على تجنبها، فكذلك على صاحب هذا التأزم أن يبتعد عن بواعث القلق والتوتر فتكون الوقاية حينئذ خيرا من العلاج.

الطموح الكاذب

أول بواعث هذا التوتر هو الطموح الكاذب، بمعنى أن يتطلع الإنسان إلى ما فوق قدرته المحدودة، فإذا لم يجد لتطلعاته منفذا للتحقق، تكدر خاطره وعبس وجهه وانتقل إلى التوتر المتأزم يوما بعد يوم، ونحن لا نمنع أن يكون الإنسان ذا أمل مشرق يسعى إلى

تحقيقه، فالأمل مصباح منير يهدى إلى السعادة النفسية فى طريق الحياة، ولكن الأمل أملان، أمل معقول يكون تحقيقه فى مستطاع الإنسان لو واصل السير ودأب على النضال لأن الوسائل متوقعة والعواقب منتظرة، وهذا الضرب من الأمل هو ما يحلم به الإنسان السوى الذى يعيش فى أرض الواقع مفتوح العينين، يقظ الفؤاد.

أما النوع الثانى فهو الأمل الكاذب، الذى لا تتهيأ الوسائل المشروعة إلى تحقيقه بحيث يتطلب قدرات ومعونات لا تتيسر فى منطق الواقع، وهنا يكون الأمل مصدر تعاسة لأن صاحبه خيالى لا عملى، والخيال قد يريح النفس لحظات من زمن ولكنه وهم لا يثمر تحقيق الأمل، فإذا أراد الإنسان أن يكون بعيدا عن التأزم النفسى فليتجنب هذا الطموح الكاذب لأنه بتطلعه إلى ما لا يملك تحقيقه، يشعر بإحساس من فقد شيئا عزيزا كان فى يده، ثم يمتد وهمه فيحس أنه فقد حقه الطبيعى، وإرثه الشرعى، فهو إذن مظلوم مضطهد، وقد وقفت الحوائل المسدودة دون أن ينال حقه المشروع، فإذا تمكنت هذه الخواطر من نفسه، فقد حلت الحرب النفسية محل السلام الهادىء، وقد أصبح صاحبنا برما بالحياة ضائق الصدر، ينظر إلى الناس جميعا وكأنهم غصبوا إرثه المتخيل، واستولوا على حقه المزعوم.

إفــــراط النـــــدم

والباعث الثانى للتوتر النفسى هو الإفراط فى الندم على ذنب ارتكب أو موقف ضاعت فرصته القريبة فلم تسعد بما كان يتوقع والحق أن ظاهرة الندم صحية مفيدة، لأنه فى حقيقته ثمرة مراجعة واعية لما سلف من الأخطاء، وبهذه المراجعة تتضح الصورة فى أوضح قسماتها، فيعرف الإنسان مواضع الضعف والسقوط ويسارع فى تجنبها، فالندم ظاهرة صحية دعت إليها مواعظ الدين، وحكم الأخلاقيين، ولكن الإفراط فى الندم، وهو ما يسميه النفسيون بعقدة الذنب إذا تمكن من الإنسان قلب حياته من صباح إلى مساء، فالذى يستمر على تخطئة نفسه، تخيل ما سيلقى من الشرور فى مستقبله، عليه أن يصحح موقفه سريعا فيعرف أن الخطأ من طبيعة الإنسان وليس من الكارثة أن يقع فيه، ولكن الكارثة كل الكارثة فى الإصرار عليه، ومحاولة العودة إليه، لذلك كانت التوبة بابا جديدا للهدوء ونسيان الماضى، والتطلع إلى غد مشرق وضىء يتسم بالصواب والسداد وقد يكون الفشل فى الماضى، مدعاة ندم متأزم دون أن يقوم الفاشل بأخطاء تسبب إخفاقه ولكن ظروف مجتمعه قد أوقعته فيما لا يد له فيه، وهنا يجب على الإنسان الطبيعى أن يكون سعيدا بينه وبين نفسه لا أن يكون تعسا شقيا، لأن أسباب الفشل لم تأت عن تقصير أو قصور، وإذا ارتطم به فعليه أن ينجو منه ناسيا إياه ومتطلعا إلى أفق بهيج.

المقارنـــــــات العميقـــــة

وأسوأ ما يجلب التأزم للإنسان أن يعقد المقارنات بينه وبين من سبقوه فى مجال التقدم من زملائه، فقد يكون الرجل سعيدا برزقه، مكتفيا بدخله، مطمئنا لوظيفته وفى كل ذلك ما يُطمئن ويقنع، ولكنه يعرف من إخوانه من سبقوه إلى ما يظنه مجال الظهور والارتقاء، فيغمر نفسه بكدر لا مبرر له، وقد يمتد تفكيره فى هذه المقارنة، فينتقل من الصفاء إلى الضجر والضيق، وتعبس فى وجهه مشارق الحياة دون باعث حقيقى على هذا العبوس، وينقلب إلى أهله مريضا أو كالمريض، لا يطيق الكلام المسترسل، ولا يأنس بالحوار المبتسم، فإذا سألته: هل جدّ جديد سبب هذا التأزم؟ لم تجد فى واقعه الملموس أنه انحدر من مكان إلى مكان، أو قوبل بشر يتهدده بعاقبة سيئة، أو فقد عزيزا يحرص على بقائه، ثم هو مضطر فى بعض حالاته أن يخفى سر آلامه كيلا يواجه بالاعتراض من الصديق، أو الشماتة من العدو، فيزداد الأمر بلاء، لأنه مع الكتمان المتأزم يزيد النار لهيبا فى أنحاء صدره، ولا منجاة من هذا كله إلا بالنظر الواقعى إلى أمور الحياة، ومعرفة أنها مجال للشذوذ، والاستثناء فى بعض أمورها وأن الشاذ لا قياس عليه، وأن الاستثناء موضع تصحيح لا موضع تثبيت، وبذلك تنتهى المقارنة بين الزملاء إلى الصفاء لا إلى الشقاء.

هذه بعض بواعث القلق النفسى، وبمحاولة البعد عنها يتحقق السلام الراضى والصفو المريح، وقراءة سير القانعين من علماء السلف، ونبهاء العصر الحاضر، تنتقل بالقارىء إلى القدوة الصالحة، فيهدأ بعد اضطراب، ويرتاح بعد لغوب.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - : ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
(٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧

قوله –تعالى–: ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ أى ما لم تجامعوهن ولم تدخلوا بهن والمس فى الأصل معناه: اللمس، ويقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس ثم أطلق على سبيل الكناية على ما يكون بين المرء وزوجه من جماع ومباشرة وعلى غير ذلك مما يكون فيه إصابة حسية أو معنوية. وهذه الكناية من ألطف الكنايات التى تربى فى الإنسان حسن الأدب، وسلامة التعبير، وتجنبه النطق بالألفاظ الفاحشة. وقد تكرر هذا التعبير المهذب فى القرآن الكريم ومن ذلك قوله –تعالى– حكاية عن مريم:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾(١)

والمراد بالفريضة هنا المهر الذى يفرضه الرجل على نفسه للمرأة قبل الدخول بها والمعنى: لا إثم عليكم أيها الرجال إذا طلقتم النساء لأسباب مشروعة، وبطريقة مرضية، قبل الدخول بهن، وقبل أن تقدروا لهن مهراً معيناً.

ثم بين – سبحانه – ما للمرأة على الرجل فى هذه الحالة فقال:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله –تعالى– : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ أى ملكوهن ما ينتفعن به، ويدخل التسلية والسرور على نفوسهن. وأصل المتعة والمتاع ما ينتفع به الإنسان من مال أو كسوة أو غير ذلك، ثم أطلقت المتعة على ما يعطيه الرجل للمرأة من مال أو غيره عند طلاقها منه لتنتفع به، جبرا لخاطرها، وتعويضا لما نالها بسبب هذا الفراق.

و ﴿ الْمُوسِعِ ﴾ هو الغنى الذى يكون فى سعة من غناه. يقال: أوسع الرجل إذ كثر ماله، واتسعت حاله. و ﴿ الْمُقْتِرِ ﴾ هو الفقير الذى يكون فى ضيق من فقره. أقتر الرجل أى افتقر وقل ما فى يده.

والمعنى: لا حرج عليكم فى طلاقكم للنساء قبل أن تدخلوا بهن وقبل أن تقدروا لهن مهراً معينا، وليس من حقهن عليكم فى هذه الحالة أن يطالبنكم بالصداق، وإنما من حقهن عليكم أن تمتعوهن بأن تدفعوا لهن ما ينتفعن به كل على حسب حاله وطاقته، فالأغنياء يدفعون ما يناسب غناهم وسعتهم، والفقراء يدفعون ما يناسب حالهم.

وقوله: ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى أعطوهن ما يتمتعن وينتفعن به بالقدر المتعارف عليه بين العقلاء، فلا يعطى الغنى ما لا يتناسب مع غناه ولا مع حال المرأة التى طلقها، ولا يعطى الفقير شيئاً تافهاً لا يسمى فى عرف العقلاء متاعاً كما أنه لا يكلف فوق استطاعته، لأن المتاع ما سمى بهذا الاسم إلا لأنه يتمتع به وينتفع به لفترة من الزمان.

وقوله: ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ تأكيد لهذا التمتيع الذى هو من حق المرأة على الرجل الذى طلقها قبل أن يدخل بها وقبل أن يسمى لها مهراً.

(١) سورة آل عمران الآية ٤٧.

أى: هذا التمتيع حق ثابت على المحسنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بامتثالهم لأوامر الله، وبترضيتهم لنفوس هؤلاء المطلقات اللاتى تأثرن بسبب هذا الفراق. فالآية الكريمة ترفع الإثم عن الرجال الذين يطلقون النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر لهن، متى كانت المصلحة تستدعى ذلك، وتبين الحقوق التى للمرأة على الرجل فى هذه الحالة.

قال القرطبى: قوله -تعالى-:

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾.

إلخ هذا أيضاً من أحكام المطلقات، وهو ابتداء إخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض ولما نهى رسول الله ﷺ عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة، وأمر بالتزوج لطلب العصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء قد واقع جزءاً من هذا المكروه، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن»[٢].

وقوله: ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ معطوف على ﴿ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ المنفى، أى لا حرج عليكم فى تطليقكم النساء فى حالة عدم الدخول بهن وعدم تقدير مهر معين لهن.

وقوله: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ إلخ تشريع حكيم وتوجيه سديد، لأن فراق المرأة قبل الدخول بها وقبل تقدير مهر لها ينشىء جفوة ممضة بين المرأة وبين مطلقها، وقد يسىء هذا الفراق إليها وإلى أسرتها، فكان هذا الحق الذى جعله الله للمرأة على الرجل هو التمتيع، تسرية لنفسها، وتعويضا عما أصابها بسبب هذا الفراق، وتلطيفاً لجو الطلاق وما يصاحبه من جفاء وبغضاء، واستبقاء للمودة الإنسانية بين الطرفين، وإزالة لما عسى أن يقوله البعض من أنه ما طلقها من طلقها إلا لشىء.

ولا شك أن إنهاء الحياة الزوجية قبل الدخول فيها، لضرورات اقتضاها هذا الإنهاء، أخف وأيسر من إنهائها بعد الدخول فيها.

قال الجمل ما ملخصه: وقوله:

« ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وفيها قولان: **أحدهما**: أنها لا محل لها من الإعراب بل هى استئنافية بينت حال المطلق بالنسبة إلى يساره وإقتاره.

والثانى: فى محل نصب على الحال وصاحب الحال فاعل متعوهن. والرابط بين جملة الحال وصاحبها محذوف والتقدير: على الموسع منكم.

و ﴿ مَتَـٰعًۢا ﴾ منصوب على المصدر.

و ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ جار ومجرور صفة له.

و ﴿ حَقًّا ﴾ صفة ثانية لقوله:

﴿ مَتَـٰعًۢا ﴾ أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله. وعامله محذوف وجوباً والتقدير: حق ذلك حقاً»[٣].

---

(٢) تفسير القرطبى جـ٣ صفحة ١٩٦.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ صفحة ١٩٣.

هذا، ويرى بعض العلماء أن المتعة واجبة للمرأة على الرجل فى حال مفارقتها قبل الدخول بها وقبل تسمة المهر، لأن الآية الكريمة قد أكدت ذلك وجعلته حقًا ثابتًا لا يجوز التحلل منه قال -تعالى-:

﴿ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ويرى بعضهم أنها مستحبة، لأن التعبير بالمحسنين يدل على أن المتعة غير واجبة وقد رجح المحققون من العلماء الرأى الأول وقالوا: إن الإحسان لا ينافى الوجوب الذى دل عليه الأمر يؤيد هذا قوله:

﴿ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾.

فقد جعل الله المتعة على الفريقين كل فريق على حسب طاقته وقدرته.

والمتعة تختلف باختلاف الأحوال من يسار وإعسار، يقدرها القاضى على الرجل على حسب حالته كما يقدر النفقة.

والصالحون من الناس هم الذين يبذلون المتعة للمطلقة بسخاء ومودة، ولقد أثر على الحسن بن على -رضى الله عنهما- أنه متع امرأة طلقها بعشرة آلاف درهم، فلما تسلمت هذا المال الوفير قالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

ثم بين - سبحانه - حق المرأة فيما لو طلقت قبل الدخول بها وبعد تسمية مهر لها فقال -تعالى-:

﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾

أى: وإن طلقتم يا معشر الرجال النساء من قبل أن تدخلوا بهن وتباشروهن، ومن بعد أن قدرتم لهن صداقًا معلومًا، فالواجب عليكم فى هذه الحالة أن تدفعوا لهن نصف ما قدرتم لهن من صداق، إلا أن تتنازل المرأة عن حقها فتتركه لمطلقها بسماحة نفس، بأن تكون هى الراغبة فى الطلاق، أو يتنازل الذى بيده عقدة النكاح وهو الزوج عن حقه بأن يدفع لها المهر كاملا أو ما هو أكثر من النصف لأنه هو الراغب فى الطلاق.

وجملة ﴿ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾ فى موضع نصب على الحال من فاعل:

﴿ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ ﴾ أو من مفعوله. أى وإن طلقتموهن حالة كونكم فارضين لهن المهر أو حالة كونهن مفروضًا لهن المهر.

والفاء فى قوله: ﴿ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ ﴾ واقعة فى جواب الشرط، والجملة فى محل جزم جواب الشرط، و«نصف» مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فالواجب نصف، أو مبتدأ محذوف الخبر أى فلهن نصف، وقد صرحت الآية الكريمة بوجوب النصف، ولم تصرح بوجوب دفعه، لأنه قد يكون قدم لها المهر كله أو بعضه، فكان التعبير بالوجوب بيانًا للحكم حتى يسترد المطلق ما دفعه زيادة عن النصف إن أراد ذلك، أو يكمل لها النصف إن كان قد دفع أقل منه.

وقوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾

استثناء مفرغ من عموم الأحوال. و ﴿ يَعۡفُونَ ﴾

فعل مضارع والواو فيه لام الفعل، ونونه ضمير جماعة الإناث فهو هنا مبنى على السكون فى محل نصب بأن. ووزنه يفعلن أى: فلهن نصف المهر الذى فرضتموه لهن فى كل حال إلا فى حال عفو المطلقات أى إبرائهن لكم وتنازلهن عن هذا الحق، أو فى حال عفو الذى بيده عقدة النكاح، وهو الزوج المطلق- عند الأحناف والشافعية- لأنه هو المالك لعقد النكاح وحله، والمراد بعفوه أن يزيد على نصف المهر المقرر.

ويرى المالكية أن الذى بيده عقدة النكاح هو ولى المرأة لأنه هو الذى بيده عقدة النكاح ثابتة، وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم فقط.

ويكون المعنى على هذا الرأى: عليكم يا معشر الرجال أن تدفعوا للنساء نصف المهر إذا طلقتموهن بعد أن قدرتم لهن مهراً وقبل أن تمسوهن إلا أن يتنازل النساء عن هذا الحق، إذا كن يملكن ذلك، أو يتنازل أولياؤهن إن كن لا يملكن حق التنازل، كأن تكون البنت صغيرة، أو غير جائزة التصرف.

وقد دل كل فريق على مذهبه بما هو مبسوط فى كتب الفقه.

ثم حبب - سبحانه - إلى الناس التسامح والتعاطف فقال:

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

أى: من حق المرأة المطلقة على مطلقها أن يدفع لها نصف المهر إذا كان الطلاق قبل المباشرة وبعد تحديد المهر، وإذا تنازل أحد الطرفين عن جزء من حقه لصاحبه كان هذا التنازل حسناً. لأن هذا التنازل والتسامح يضفى على جو الطلاق لوناً من المودة والتقارب بين النفوس التى آلمها الفراق بتلك الصورة، فاحرصوا -أيها الناس- على هذا العفو بأن يتنازل كل فريق منكم لصاحبه عن شىء من حقه، ويتسامح معه، فإن ذلك أقرب إلى تقوى القلوب، وصفاء النفوس، ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بالإحسان، وحب الخير وجميل الذكر، فالله -تعالى- بصير بأعمالكم وسيحاسبكم عليها، وسيجازى كل نفس بما عملت.

فالجملة الكريمة توجيه حكيم للناس إلى ما يدفع عنهم التشاحن والتباغض والتخاصم خصوصاً فى حالات الطلاق التى هى من أشد الأحوال دفعاً إلى هذه الرذائل.

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامى صوراً مشرقة لهذا العفو والفضل من ذلك ما ذكره الإمام الزمخشرى من أن جبير بن مطعم دخل على سعد بن أبى وقاص فعرض عليه بنتاً له فتزوجها. ثم طلقها قبل أن يدخل بها وبعث لها المهر كاملا. فقال له: لم تزوجتها؟ فقال: عرضها على فكرهت رده. فقيل له: فلم بعثت بالصداق كاملا؟ قال: فأين الفضل.

وروى أن أحد الصحابة تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول بها فأعطاها الصداق كاملا، فقيل له فى ذلك فقال: أنا أحق بالعفو منها(٤).

وهكذا نرى مبلغ استجابة السلف الصالح لتوجيهات القرآن ووصاياه، فأين المسلمون اليوم من هذه الوصايا والأحكام؟

«يتبع»

---

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٨٦ بتصرف يسير.

السنة

الرَّهْنُ (*)

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيرى
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهونا، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة» وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعاما ورهنه درعه» رواهما البخارى.

يتعلق بشرح هذين الحديثين أمور: (١) بيان معنى الرهن (٢) شروطه (٣) حكم الانتفاع بالمرهون سواء كان أرضا أو دارا للسكنى أو حيوانا أو غير ذلك (٤) لماذا رهن النبى ﷺ درعه عند اليهودى مع أن المسلمين كانوا يومئذ كثيرين وهو كان سيدهم بدون منازع؟

(*) من مختارات مجلة الأزهر ـ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ.

(١) يطلق الرهن فى اللغة على الثبوت والدوام، ومن ذلك قولهم: نعمة راهنة بمعنى دائمة وثابتة، كما يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(١) أى رهن وحبس بكسبها بحيث لا ينفك عنها عند الله ـ تعالى ـ سواء كان خيرا أو شرا. والمراد المبالغة فكأن النفس هى عين الرهن، وقد يطلق على نفس العين المرهونة، فإذا وضع شخص عينا عند شخص آخر لتنوب مناب ما أخذه منه من مال أو غيره فإنه يقال لتلك العين رهن، مثلا إذا اقترض شخص من آخر مائة جنيه ووضع عنده دار لتنوب مناب الجنيهات فإنه يقال لهذه الدار رهن. وكذا إذا أخذ منه ناقة ووضع عنده نورا لينوب مناب ناقته، فإنه يقال لهذا الثور رهن. وأما معنى الرهن فى الشرع فهو: «جعل عين لها قيمة مالية فى نظر الشرع وثيقة بدين بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين». وهذه العبارة معناها ظاهر معروف عند الناس، وإن كان فى بعض ألفاظها خفاء يفهمه طلبة العلم، وذلك لأن الغرض منها أن يستدين شخص من آخر دينا ويجعل له فى نظير ذلك الدين عقارا من أرض أو نحوها، أو حيوانا محبوسا تحت يده حتى يقضيه دينه، ذلك هو المعنى المراد، فمعنى قولهم: وثيقة: شيء متوثق به، مأخوذ من وثق كظرف إذا صار وثيقا محكما، وذلك لأن الدين أصبح بحبس هذه العين محكما لا يسع المدين إلا سداده أو تضيع عليه هذه العين كلها أو بعضها بحسب ذلك الدين. هذا وقد اصطلح الفقهاء على تسمية مالك العين (راهن)، وتسمية صاحب الدين الذى يأخذ الرهن فى نظير دينه (مرتهن)، ومن هذا تعلم أن العين المرهونة قد تسمى رهنا وصاحبها الذى رهنها يسمى راهنا، وصاحب الدين يسمى مرتهنا.

(٢) أما شروط صحة الرهن، فمنها العقل، فلا يصح أن يكون أحد المتعاقدين (الراهن أو المرتهن) مجنونا، وهذا الشرط متفق عليه طبعا، ولابد منه فى جميع العقود. ومنها البلوغ، فلا يصح أن يكون أحدهما صبيا غير مميز، لأنه فى حكم المجنون باتفاق أيضا. أما الصبى المميز فإنه يصح أن يكون راهنا أو مرتهنا لأنه يعرف معنى المعاملة ويدرك ما يترتب عليها من منافع ومضار، ومع هذا فإن عقده لا ينفذ إلا إذا أقره الولى، وفى ذلك من الحيطة مالا يجعل بين عقد وليه وعقده فرقا ما دام المرجع فى النهاية للولى، ولذا اتفق الأئمة على هذا ما عدا الشافعية، فإنهم هم الذين قالوا: إن رهن الصبى لا يصح ولو كان مميزا ولو أذنه وليه. وعلى كل حال فالخلاف فى هذه المسألة هين. ومنها أن لا تكون العين المرهونة غير معينة بحدودها، فلا يصح رهن المشاع سواء كان عقارا أو عروض تجارة، أو حيوانا، أو غير ذلك، وهذا الشرط انفرد به الحنفية، وخالفهم غيرهم، فقالوا إنه يصح رهن المشاع. مثلا إذا كان لشخص دين على آخر، فله أن يرهن له بدينه جزءا من داره المملوكة له مقابل ذلك الدين سواء كان شريكا له فى هذه الدار أو لا، فإذا ملك شخصان داراً فإن لأحدهما أن يرهن نصيبه المشاع لشريكه كما إذا كان يملكها وحده، وكذا إذا كان يملك شخص تجارة من

(١) المدثر (٣٨).

قمح أو عسل أو نحو ذلك، فإن له أن يرهن جزءا مشاعا منها، مثلا إذا كان لشخص محل تجارة (دكان) به بضاعة من قماش أو غيره، فله أن يرهن بعض هذه البضاعة كنصفها أو ثلثها مشاعا، ومثل ذلك ما إذا كان يملك جملا أو حمارا، فإن له أن يرهن بعضه مشاعا، وقد عرفت أن هذا الحكم لم يخالف فيه سوى الحنفية، فإنهم قالوا إنه يجب أن يكون المرهون متميزا، فلا يصح رهن المشاع سواء كان يحتمل القسمة أو لا، وسواء رهنه لأجنبى أو لشريكه، فلو كان لشخص دين على آخر، وكان شريكا له فى داره أو فى أرض زراعية، فإنه لا يصح له رهن نصيبه لشريكه إلا بعد القسمة وفرز نصيب كل منهما، ومنها أن تكون العين التى يراد رهنها موجودة وقت العقد، فلا يصح رهن الثمرة التى لم توجد، فإذا رهن شخص ثمر حديقته قبل وجوده فإنه لا يصح لأن مالكه لا يقدر على تسليمه وقت العقد، وهذا متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة، وخالف المالكية، فقالوا إن رهن غير الموجود فعلا جائز، وإن كان لا يجوز بيعه، على أنهم اختلفوا فى ذلك، فقال بعضهم إذا كان المرهون معدوما وقت العقد بالكلية فإنه لا يجوز رهنه، وذلك كثمر الحديقة قبل بروزه (طرحه)، أما إذا برز ولو كان صغيرا فإنه يجوز رهنه باتفاق. وبعضهم قال: يجوز رهن المعدوم بالكلية. فلو رهن شخص ثمر حديقته سنين كثيرة، فإن الرهن يصح، وكذلك إذا رهن ولد الناقة وهو فى بطنها فإنه يصح. ومحل هذا الخلاف عندهم ما إذا علق الرهن على عقد آخر من عقود البيع أو القرض. مثلا أن يقول شخص لآخر بعتك هذه الناقة بثمن كذا إلى أجل كذا بشرط أن ترهن لى ثمر حديقتك سنتين أو أكثر أو أقل أو يقول له أقرضتك عشرين جنيها بشرط أن ترهن لى ما تنتجه غنمك سنة أو سنتين، فهذا الرهن هو المختلف فى صحته عند المالكية. أما إذا رهن ثمر الحديقة، أو ولد الناقة التى فى بطنها بدون أن يعلقه على شىء آخر فإنه يجوز بلا خلاف عندهم. فإذا رهن ثمر الحديقة قبل أن يظهر صلاحه فإنه يصح، وينتظر حتى ينضج، ثم يأخذه إن لم يرد له دين الرهن.

وقد يقول بعض الناس: ما حكم بيع ثمار الحدائق والنخيل قبل بروزه (طرحه)، فإن هذا الحكم كثير الوقوع بين الناس، وقد اعتاد المسلمون أن يتبعوا فى معاملاتهم القوانين الوضعية بدون نظر إلى ما نقله أئمة الدين من القواعد والأحكام، وفى ذلك من الجراءة على هجر قواعد الإسلام ما لا يخفى والجواب: أنه يجب على المسلمين أن يستمسكوا فى جميع معاملاتهم بقواعد دينهم، ويصرفوا أنظارهم عن القوانين الوضعية التى قد تضرهم أكثر مما تنفعهم. أما حكم بيع الثمار قبل أن يظهر صلاحها أو قبل (طرحها) فإليك بيانه:

اتفق أئمة المذاهب على أنه لا يصح بيع الثمار قبل أن تبرز ويظهر صلاحها، وظهور الصلاح يكون بأمور قد فصلها علماء المذاهب. منها اللون وهو علامة لصلاح البلح والعناب، ومنها الطعم كحلاوة القصب وحموضة الرمان، ومنها النضج ويظهر فى البطيخ والتين فمتى نضج فإنه يظهر صلاحه، ومنها الاشتداد كالقمح والشعير، فمتى قوى حبه واشتد فقد ظهر صلاحه. ومنها الطول والامتلاء كالملوخية والفصولياء واللوبياء. ومنها انشقاق الغلاف كالقطن والجوز. فهذه الأوصاف علامة ظهور الصلاح عند الشافعية. وقد وافقهم المالكية فى كثير منها فقالوا: إن ظهور صلاح البلح والعناب باصفراره أو احمراره، ويلحق به القاوون والحرش والعجور (العبد اللاوى)

والدميرى (الشهد)، وبعضهم يقول : إن هذه الأنواع لا يلزم فيها الاصفرار بالفعل بل يكفى أن تقرب من الاصفرار، والأمر فى ذلك سهل، أما البطيخ فظهور صلاحه يكون بتلون لبه بالأحمرار أو الاصفرار، وعلى هذا فلا يصح بيع البطيخ الذى لونه أبيض إلا إذا كان ذلك اللون طبيعيا له فلا ينافى حلاوته. وبالجملة فظهور صلاح الفاكهة عند المالكية مداره على إمكان الانتفاع بها، ولو بعد قطعها بزمن كالموز فإنه يصح بيعه وهو أخضر لم يستو لأنه يمكن وضعه فى تبن أو نخالة أو نحو ذلك فيستوى، وما ذكروه من تفاصيل العلامات الدالة على ظهور الصلاح فإنما يقصدون منها ذلك. مثلا القمح والحبوب فإنهم يقولون : إن ظهور صلاحه بيبسه وانقطاع سقيه بالماء بحيث لو سقى بالماء لا ينتفع به، وهذا معنى إمكان الانتفاع به لأنه فى هذ الحالة يكون (فريكا) إذا كان قمحا، ويكون حبا ينتفع به إذا كان غير قمح. أما الحنفية فإنهم يقولون : إن ظهور صلاح الثمرة هو أن يؤمن عليها من العاهات والفساد، فمتى اجتازت الثمرة الأدوار التى تكون فيها عرضة للفساد بسبب الآفات الجوية وغيرها فقد ظهر صلاحها وصح بيعها منفردة عن غيرها، أما إذا لم يظهر صلاحها بهذه الحالة فإنه لا يصح بيعها منفردة مطلقا. والحنابلة يقولون : ظهور الصلاح فى الثمر هو أن ينضج ويطيب أكله، وفى الحب هو أن يشتد أو يبيض، وإذا اشترى ثمرة لم يتوفر فيها هذان الشرطان فإنه لا يصح شراؤها إلا إذا اشترط قطعها فى الحال.

ومن هذا تعلم أن أئمة المذاهب قد أجمعوا على أنه لا يصح بيع الثمار والفواكه قبل أن تبرز على أشجارها ويظهر صلاحها بحيث يمكن الانتفاع بها. ومن الأسف أن هذا الحكم مهمل تمام الإهمال فإننا نرى أرباب الأملاك يبيعون ثمار حدائقهم ونخيلهم قبل بروزها ولا يبالون بأحكام شريعتهم مع أنها مطابقة للعقل وموافقة للمصلحة من جميع جهاتها، إذ من الواضح الجلى أن الشجر قد لا يثمر أو قد تتسلط عليه آفة تعدم ثمره قبل أن يشتد وفى ذلك من الضرر على المشترى ما لا يخفى. أما المالك فإنه مكلف عقلا وشرعا بأن يبيع سلعة ينتفع بها المشترى، فليس من قواعد التعامل بين الناس أن يبيع المالك شيئا معدوما أو يبيع شيئا محتمل الوجود والعدم. ولا يقال إن البائع لم يجبر المشترى على الشراء فهو الذى قذف بنفسه فى هذا المضيق، لأنا نقول : إن الشريعة الإسلامية فرضت على البائع أن يتعفف عن التغرير والإجحاف، فإذا وجد شخص مجازف يريد أن يشترى منه ما لا يحل له بيعه فإنه يحب عليه ألا يوافقه على هذا، وبذلك تتوثق صلات المودة بين الناس، وتزيد وسائل الثقة بينهم.

(٣) أما حكم الانتفاع بالمرهون فينبغى أن يكون محل عناية ونظر دقيقين. وذلك لأن علاقته بالربا ظاهرة، فإن الذى يقرض شخصا مقدارا من النقدين بفائدة كالذى يرهن عقارا أو نحوه فى نظير مبلغ ثم ينتفع بهذا العقار، لأن الانتفاع بالعقار هو الفائدة التى يأخذها رب المال على قرض المال. ولهذا منع الشافعية الانتفاع بالمرهون بتاتا، فليس للراهن أن ينتفع عندهم بالمرهون على أى وجه. وفائدة الرهن فى هذه الحالة هى توثيق الدين وضمانه بحيث إذا لم يؤده الراهن فى الموعد المحدد فإنه يجبر على سداده. أما بعض الأئمة فإنهم رأوا أن الانتفاع بالرهن يمكن أن يفارق الفوائد الربوية، فيصبح الانتفاع بالمرهون متى أمكن أن يفارق عقد الربا، وذلك بأن يرهن له العين ويأذن له فى الانتفاع بها بشرط أن لا يذكر ذلك فى عقد الرهن.

ومتى أذنه بالانتفاع فإنه لا يصح له الرجوع بعد ذلك. وهذا هو رأى أكثر الحنفية، وقالوا: إن لذلك نظيرا، وهو ما إذا اقترض من شخص قرضا ثم أهدى له هدية، فإنها إذا لم تكن مشروطة فى العقد كانت جائزة. أما إذا اشترطها فى العقد فإنها تكون مكروهة فقط. وأظن أن فى هذا الرأى سعة، لأن الناس يصعب عليهم أن يتركوا أموالهم بدون استثمار خصوصا فى هذا الزمن الذى غلبت فيه المادة، وقد تقف مصلحة الشخص المالية إذا لم يرهن جزءا من ملكه يسد به حاجته الضرورية. فرأى جمهور الحنفية فى ذلك مناسب لهذا الزمان بدون نزاع. أما المالكية فإنهم أجازوا الانتفاع بثمرة المرهون ونتاجه بثلاثة شروط:

(أحدها) أن يكون الدين بسبب البيع لا بسبب القرض. مثال ذلك أن يبيع شخص لآخر دارا أو أرضا زراعية أو عروض تجارة أو نحو ذلك بثمن مؤجل فيرهن له فى نظير ذلك الدين عينا لها فائدة فإن لصاحب الدين وهو المرتهن فى هذه الحالة أن ينتفع بفائدة هذه العين المرهونة. (ثانيها) أن يشترط المرتهن (صاحب الدين) أن تكون منفعة العين المرهونة له، فإن تطوع له بها الراهن فإنه لا يصح. (ثالثها) أن تكون مدة المنفعة التى يشترطها معينة، وغرض المالكية من ذلك إنما هو الفرار من الربا، وذلك لأنه إذا أقرضه مائة جنيه مثلا، ورهن له بها فدانا وانتفع بغلته، كان ذلك فائدة ربوية لأن الفائدة فى هذه الحالة تكون فى نظير القرض. أما إذا باع له فدانا بمائة جنيه مؤجلة فقد أصبحت المائة جنيه دين بيع لا قرضا. فإذا رهن منه دارا فى نظير ذلك الدين وانتفع به فإنه يكون جائزا لأن المنفعة ليست مقابلة للقرض، وإنما هى مقابلة لدين البيع. وقد وافق الحنابلة المالكية على هذا الحكم، فقالوا: إن كان سبب دين الرهن قرضا فإنه لا يصح الانتفاع بالمرهون، وإلا فإنه يصح.

هذا وقد أجاز الأئمة الإنتفاع بالحيوان المرهون من لبن وركوب ونحو ذلك فى نظير أكله كما هو منصوص عليه فى الحديث الذى معنا.

(٤) أما كون الرهن جائزا فذلك مما لا خلاف فيه، فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. فقد عرفت فى الحديث الثانى أن النبى ﷺ قد رهن درعه عند اليهودى. ومما لا ريب فيه أن رسول الله ﷺ كان قادرا على الحصول على كل ما يمكنه من زخارف الحياة الدنيا وزينتها، وكان قادرا أن يختص بكل ما فيه مظاهر الملك وأبهة السلطان، ولكنه رسول الله حقا، فقد عرف الدنيا حق معرفتها، وقدر ما يترتب على شهواتها وملاذها حق قدره، فرفض من نعيمها الزائل وشهواتها المغرية ما لا فائدة فيه للمجتمع الإنسانى. ولهذا كانت تأتيه الأموال أكواما فيوزعها على مستحقيها بدون أن يأخذ منها كثيرا أو قليلا. ولقد روت زوجه السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنهم كانوا يمكثون الشهر والشهرين بدون أن يوقدوا فى بيتهم نارا، وكانوا يعيشون على الماء والتمر، فلا عجب أن يرهن رسول الله درعه عند اليهودى لغرضين: أحدهما أنه ﷺ قد انصرف عن مظاهر هذه الحياة الدنيا وزخارفها مع أنه هو الذى كانت تهتز لذكره عروش القياصرة، وكانت تجبى إليه الأموال أكداسا مكدسة. ثانيهما للإشارة إلى ما عليه الدين الإسلامى من سماحة وتساهل مع أهل ذمته من الكتابيين، فإنه لا يفرق فى المعاملة بينهم وبين غيرهم حتى فى الأمور الشخصية التى يصح أن تكون مقصورة على المقربين من المسلمين، ولكنه ﷺ أراد أن يكون قدوة للناس فى قوله وفعله. فعليه الصلاة وعليه السلام.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تروى كتب التاريخ قضاءً قضى به عمر بن الخطاب وعقوبة أنزلها بمن ارتكب جرما ؛ هذا القضاء تاج شرف وفخار على رأس الأقضية جميعا، بل هو تاج شرف للإنسانية، بل إن الإنسانية لن تفتخر على الحيوان - إن صح هذا التعبير - إلا بأمثال هذه المعانى الفاضلة التى غرسها عمر وأسسها فى قضائه النبيل.

قضى عمر بن الخطاب بالتعزير على رجل أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع شاته ليذبحها.

وقضى عمر عليه بالتعزير لأنه كان حريا به أن يتحلى بالرحمة فى معاملة الحيوان فلا يحد الشفرة أمامها فإن فى ذلك إيلام للحيوان.

ونحن نعلم أن المستغربين الكارهين لقيم الإسلام ومثله يضيقون بأن تكون شواهد مُثلنا وحياتنا من صدر الإسلام، ويتهموننا بأننا منغلقون جامدون، حصرنا التاريخ فى فترة محدودة ونرفض التطور، نقول لهم: هل قدمتم مثلا يحتذى لم نحاول الأخذ به؟ فلماذا ما دمتم لم تقدموا الأفضل والأمثل - ولا حتى المقارب - تعيبون علينا أن نتعلق بالأفضل والأمثل ؟.

نحن نعلم أنكم تضيقون بفترة الصدر الأول للإسلام لا لأنها قديمة، ولكن لأنها مسلمة محمدية، أما لو كانت يونانية أو سكسونية أو رومانية

لهللتم لها، أما وأنها مسلمة فتلك داهية ومصيبة لا تحتمل. إن عمر بن الخطاب عزر الرجل لأنه كان ينبغي عليه أن يحد شفرته بعيدا عن الشاة المهيئة للذبح، أما وأنه أضجعها للذبح وأمام عينيها أخذ يحد شفرته، فإنه عذبها بما فعل، ففي قانون عمر هو رجل قاس يستحق العقوبة ويستأهل التعزير لأن نبينا ﷺ قال: «إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[1] وقال العلماء الفقهاء في دين عمر: إن إحسان الذبحة أن يحد الذابح الشفرة فلا يذبح بشفرة غير حادة. وقالوا أيضا: إن إحسان الذبحة أن يعرض على الشاة الماء. وقالوا: إن إحسان الذبحة ألا يذبح شاة أمام أخرى معدة للذبح. هذا ليس كلاما نعرضه في مجال الجدل أو للاستهلاك أو للذرائع نبرر به تدخلا سافرا أو فاجرا في شئون أمة إنما هو الواقع في حياة وثقافة أبناء أمتي.

قال صاحبي - وكأنه يريد أن ينبهني إلى الالتزام بالواقع وعدم الإفراط في ادعاء المثالية لي ولقومي: مهلا لا داعي للمبالغة والإفراط، فنحن في مجال البحث والعلم، فأين ما نحن فيه من واقع أمتك وثقافتها؟

ثم أردف مجاملا، ملاطفا: أرجوك لا تغضب مني، فأنا عهدتك تحب صراحتي ونقاشي وترفض المجاملة على حساب الحقيقة.

قلت شاكرا لصاحبي ثقته فيَّ: أسأل الله أن أكون عند حسن ظنك، ثم أردفت: ليس فيما قلته لك مثالية خيالية أو ادعاءٍ يخالف الواقع، إنما هو الواقع بعينه بلا تزيد أو خيال، فتلك ثقافة أصيلة درجنا عليها منذ نعومة أظفارنا، ففي السنة الأولى من المرحلة الابتدائية بالأزهر كانت تدرس هذه المسائل في كتب الفقه في باب «الذكاة» ومعناها الذبح، وليست «الزكاة» زكاة المال فإن هذه بالزاى والأخرى بالذال ففي هذا الباب عرفنا شروط الذبح وآدابه وكيفيته ونحن في المرحلة الابتدائية، فهل اعتبر إذا تحدثت الآن عن إحسان الذبح ما هو وكيف يكون تظن أنني متزيد مجادل أتكلم للاستهلاك.

إنها ثقافة أصيلة نتعلمها منذ نعومة أظفارنا في معهدنا العريق الأزهر الشريف، قد تقول: إن واقع المسلمين الآن يوحي بعكس هذه الثقافة

---

(١) مسلم، كتاب الصيد ١٠٤٨/٣، رقم ٥٧.

الأصيلة وبعكس التعاليم النبيلة ! أقول لك : صدقت فيما تقول، فالمسلمون تركوا تعاليم دينهم والتمسوا المدنية فى ثقافات وحضارات وافدة غير أصيلة. قال صاحبى : أراك تكاد تخرج عن الموضوع، وأحرى بنا أن نعود إلى ما نحن بصدده مما ورد فى مقال الدكتور الباز.

قلت مرحبا : لا بأس فلنرجع إلى مقال الدكتور الباز نتتبع نقاطه التى ذكرها وقد كنا تناولنا فى المقال السابق الادعاء الأول بأن الإسلام دين يقوم على التعصب، ولنعد إلى باقى الادعاءات ونتناول بعضها اليوم على قدر ما يتاح، نسأل الله التوفيق والعون، وكما يقول المثل العربى : «ما أشبه الليلة بالبارحة».

فقد كان أسلافهم ممن كفروا بالتنزيل على سيدنا محمد ﷺ يبررون إنكارهم للرسالة بأنهم لم يشاهدوا ما نزل على رسول الله ﷺ حين نزوله فحكى الله عنهم هذا الضلال المبين وهذه العلة السخيفة فقال :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢).

وقالوا فى عناد أشد سُخفا من سابقه : إن الذى يتلقى عن الله ويبلغ عنه لا يعقل أن يكون بشرا بل لابد أن يكون ملكا. فيدحض الله هذا القول الواهى فى استفهام إنكارى بليغ : لو أنزل الله ملكا هل ترونه ؟.

بل لابد أن يجعله الله فى صورة رجل حتى يمكنكم مشاهدته والأخذ عنه، فكيف يمكنكم أن تعرفوا أنه ملك فى صورة رجل أو أنه إنسان أصلا ؟ يقول الله :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾(٣).

---

(٢) الأنعام (٧).

(٣) الأنعام (٩)

والشُّبه التى نتناولها اليوم من الثانية حتى السابعة نذكرها حتى يكون القارىء الكريم متتبعا لما نتناوله :

ثانيًا : أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير ، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضى ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة فى صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أى رغبة فى تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة بما يحققه المجتمع الإنسانى من تقدم وتحديث «حداثة modernism» ، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور.

ثالثًا : أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة ، وهو ما يؤدى إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها ، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب ، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده ، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التى نحت نحوه ، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص فى موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ويقول بعض الشراح فى الغرب : إن الحكام المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب ، وبذلك يتخلصون من مسئولياتهم أمام الشعب وممثليه.

رابعًا : أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية ، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة ، بل يعاملها كما لو كانت فى نصف مرتبة الرجل ، وهو ما يتبدى من أحكام الإسلام المتعلقة ، بالميراث أو الشهادة :

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(٤).

رجلان أو رجل وامرأتان - هكذا فى الأصل.

---

(٤) النساء (١١)

ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقبع ببيتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خامسًا: أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد فى الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادسًا: أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة فى التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا: قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية:

- القتل.
- والصلب.
- والرجم.
- قطع اليد.
- قطع الأيدى والأرجل من خلاف.

سابعًا: أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص فى القرآن أو السنة الشريفة

ثم قلت لصاحبى أحب أن نتفق على نقاط محددة حتى تكون مناقشتنا مجدية.

أولاً: هل تعتقد أن الغرب يحب شعوب الدول الفقيرة أو ما يسميه العالم النامى، والشعوب العربية والإسلامية بالذات ويرجو لها الخير؟

قال: لا.

ثانيًا: أليس هؤلاء المنكرين الطاعنين على الإسلام هم سلالة المستشرقين «جولد تسيهر» وإخوانه من الحاقدين على الإسلام؟

قال: بلى.

ثالثًا : أليس هؤلاء الطاعنون هم أبناء الدول التى استعمرت بلاد الشرق ردحا من الزمن ولم تترك بلادنا إلا بعد أن نهبت خيراتنا وبعد نضال طويل وكفاح مرير كلفنا الأموال والأنفس، ونحمد الله أن هذا الكفاح تم قبل زمن العولمة البغيض الذى سمى فيه الكفاح إرهابا.

رابعا : أرجو أن تسأل علماء الأخلاق والدراسات الإنسانية : هل القيم الإنسانية تتغير تبعا للظروف أم أن ثمة قيما عليا غير قابلة للتغيير أو التبديل أو التلون تبعا للظروف أو المصالح؟.

مثلاً : الصدق، والعدل، والوفاء، قيم عليا ثابتة أم عملات كاسدة تتأرجح فى زمن العولمة صعودا وهبوطا تبعا للسوق والمصالح؟

واسمح لى أن أقول لك لماذا نحن مجبرون على أن نجارى هؤلاء السفلة عندما يقولون حداثة وديمقراطية ومسميات أخرى ملعونة، لماذا نلون أهدافنا حتى يرضوا عنا؟ لماذا نكون نحن حداثيون وديمقراطيون؟ ومعذرة فى كلمة «السفلة»، لأنى لا أجد ما يناسب أفعالهم إلا هذا؛ لأنهم لا يعتقدون أن شعوبنا تستأهل الحرية والكرامة، ولذلك قال «نهرو» فى رسائله لابنته «انديرا» وهو مسجون فى عصر أسلاف «تونى بلير» : «إن الغرب يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة» فهل تجد يا صديقى كلمة تناسب طباع هؤلاء الناس إلا ما قلته لك؟ على أى حال لماذا يتهجمون على الإسلام ويزعمون أنه يصنف الناس والبلاد إلى : ديار حرب وديار إسلام؟ وبماذا يسمون إذن ما يفعله «بوش» إمبراطور رعاة البقر عندما يصنف العالم والدول إلى دول يسميها محور الشر ودول حليفة وأخرى عدوة؟ وتحت أى بند يكون هذا التصنيف : دول تساعد الإرهاب وأخرى تؤى الإرهاب ومن لم يحارب الإرهاب فهو ضدهم؟ عندما كنا نكتوى بنار الإرهاب المصنوع فى بلادهم وحذر رئيسنا من الإرهاب لم يلتفتوا فلم يكن الأمر يعنيهم فى شىء، أما وأن النيران لحقت ثيابهم فباتوا يصرخون يركضون فى كل اتجاه.

بالله عليك، من قال : إن الإسلام يحول دون انتهاج سبل التحديث والتطوير؟ إنه زعم باطل، إننا نؤمن أن هناك ثوابت فى القيم الأخلاقية لا

تتغير، إنما عندهم العدل يتغير ويتلون، وما كان جائزا ومباحا فى حرب الاستقلال الأمريكية ضد البريطانيين المغتصبين أصبح غير جائز ومرفوض إذا قام به الفلسطينيون ضد المغتصبين اليهود! أى عدالة هذه وأى أخلاق؟!

أما عن التحديث والحداثة فى مجال التكنولوجيا، فنحن لا نرفضه واعترف فعلا أننا متخلفون عنهم، لكن ليس كله بفعل أيدينا؛ لأن أحد أسبابه النهب الاستعمارى البشع لمقدرات بلادنا وثرواتنا بفعل أوروبا وأمريكا.

أما عن «ثالثا»: وهو تداخل الدين بالدولة ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب.

وأيضا «خامسا»: أن الإسلام لا يعرف المواطنة ولا يعترف بالمساواة بين أبناء الوطن الواحد، ونرجىء رابعا لنتناولها مع سابعا.

قال صاحبى: مهلا، الحق أن هذه المآخذ فى حاجة إلى توضيح وإبانة، ليس دفاعا عن الإسلام فقط، لكنها فى حاجة إلى توضيح لأبناء الأمة الإسلامية، حيث إن ما ورد يكاد يكون واقعا إسلاميا نعيشه فعلا.

قلت لصاحبى: إن الأمر فى رأيى قبل أن يكون فى حاجة إلى ردود ومناقشات هو فى حاجة إلى علاج الشخصية العربية المسلمة؛ لأن الشخصية العربية المسلمة أصابها خور وضعف، وإحساس بالدونية، وذلك جد خطير.

أولا: إن الغطرسة الأمريكية تبغى أن تشكل العالم كله وفق هواها وتبعا لمصالحها وهذا ليس خافيا على أحد مسلمين وغير مسلمين وهى تمقت أى حضارة وأى نموذج إنسانى وكرهها للحضارة الإسلامية والنموذج الإسلامى أشد.

فهى تكره أى عادة أو تصرف إسلامى، لكنها تقبل وتبارك عادات الآخرين، وإلا فبماذا تفسر رضاها ولو بالصمت عن عبادة البقر فى الهند، وأكل الكلاب فى كوريا، والسجود لبوذا فى جزء كبير من آسيا،

ومباركتها الطاقية اليهودية رمز التعصب والعدوان ومع هذا يصيبها الذعر لو أن امرأة ارتدت الحجاب الإسلامي.

وقولهم: إن الإسلام لا يعترف بالمساواة هرطقة عرفناها من المستشرقين، وإلا فبالله قل لي: هل كان العالم يعرف عن المساواة شيئا قبل الإسلام؟ أليس المسلم هو الذى يتلو ويردد على أسماع العالم حوله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟

قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٥).

هذا النص المقدس يجعل كل دعوة للمساواة بعده عالة عليه، وإن قول المصطفى ﷺ «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.. كلكم لآدم وآدمُ من تراب»(٦) إن كل حديث عن المساواة يصبح لغوا لا معنى له إن لم يترسم خطى نبى الإنسانية محمد ﷺ.

إن ما تفعله الغطرسة الأمريكية يتنافى مع العدل والديمقراطية المزعومة إلا إذا كانت قيمة العدل قد تغيرت تبعا لقانون الحداثة، ومبادىء الديمقراطية أباحت التدخل السافر فى شئون الغير، وإلا فهل من العدالة والديمقراطية أن يذيع راعى البقر على العالم كله فى غطرسة وصلف: أنه لا يرغب فى رئيس تم اختياره عن طريق شعبه؟! دعنى أقول لك: إن الغرب عندما يتعامل مع العالم الثالث لا يؤمن بمبادىء ولا بأخلاق ولا بعهود ولا بدين.

من الذى قال: إن الغربى مسيحى يؤمن بالله؟ إن الغرب الآن وأمريكا بالذات لا تعترف فى حياتها بالمسيح ولا بالإله، إن الكنائس موجودة فى أمريكا كتراث لبعض المهاجرين.

---

(٥) الحجرات (١٣).

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ٥٧/٧.

أما عن المجتمع الأمريكى ككل فلا أظن أنه يؤمن بالله ولا بالمسيح لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يقبل الخنا.

وعيسى ابن مريم ابن البتول الطاهرة لا يمكن أن يرضى أن تقوم جماعات باسم حقوق الإنسان تدافع عن الشذوذ الجنسى.

ولما ألقت السلطات المصرية القبض مؤخرا على جماعات تمارس الشذوذ الجنسى قامت أكثر من خمسين منظمة تدافع عنهم بدعوى حقوق الإنسان فى الحرية.

ألم أقل لك: إن منظمات حقوق الإنسان وسيلة قذرة للتدخل فى شئون الآخرين.

وأخيراً أرجوك أن تتأمل معى «رابعا» و«سابعا» فى المؤاخذات المزعومة وتأمل التناقض الوقح وهو ما يظهر واضحا فى قولهم: إنه لم يرد بشأن حقوق الإنسان نص فى القرآن ولا فى السنة، فهل يؤمن الغرب بالقرآن والسنة؟ ولو أنا تلونا عليه القرآن كله، فهل يصدق به؟ أم أنها اللجاجة واللدد فى الخصومة، ولماذا ينكر الغرب القرآن فيما نص عليه سبحانه وتعالى فى البند رابعًا ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾(٧) وقوله تعالى فى الشهادة ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾(٨)؟ أم أن هذه النصوص ليست من القرآن؟ إنها اللجاجة واللدد فى الخصومة والغطرسة، ولعل القارئ العربى يذكر قصة الذئب الحقير المستبد، والحمل الصغير الوديع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٩) وأعتقد أن ما ذكرناه فى أول الحديث أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عزر رجلا لأنه أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع الشاة للذبح فهذا هو رفق الإسلام بالحيوان الذى لم يصلوا إليه رغم الدعايات والشعارات البراقة ولو أنهم طالعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأدركوا أن الدين الإسلامى هو دين حقوق الإنسان.

وإلى لقاء قادم إن شاء الله

---

(٧) النساء (١١). (٨) البقرة (٢٨٢). (٩) الشعراء (٢٢٧).

الأمة الإسلامية

بين مرحلتي الاستعمار والنفاق

للدكتور/ عبد الحليم عويس

مع نهاية عصر الاحتلال العسكرى لبلاد الأمة الإسلامية ظن كثير من المسلمين أن المستقبل - فى البلاد الإسلامية على الأقل - للإسلام، وأن (الاستدمار الصليبى) الذى كان يجهل - زوراً - كلمة (استعمار) قد فقد القدرة على القيادة، وأن أهدافه فى تضليل الأمة عن طريقها الحضارى وعودتها لذاتها قد باءت بالفشل، وأن الأمة قد أصبحت مالكة لإرادتها قادرة على استلهام عقيدتها وتاريخها وتراثها وعبور المأزق الحضارى وصناعة مستقبل مشرق مثلما فعل اليابانيون واليهود، الذين لم يشغلوا أنفسهم بهدم عقائدهم وتمزيق صفوفهم بين متمسحين بالماضى وخائنين له، ومتمسكين بالدين ومحرِّفين له، ومُصرِّين على اللغة ومفرطين فيها.. بل انطلقوا - من خلال معادلة حضارية سليمة - متمسكين بثوابتهم صانعين لمستقبلهم دون مهاترات وتمزيقات وخيانات ومعميات!!

لكنْ – من بين الأمم كلها – تقف أمتنا ذليلة منكسرة مبدِّدة الطاقة مشتّتة الرؤى، ممزّقة الفكر والحركة، بين من يريدون (صناعة إسلام) ترضى عنه القوى المعادية اللاّدينية أو اللاّهوتية أو الصهيونية.. وبين من يريدون صناعة إسلام على مزاجهم يُرضى ميولهم العدوانية والتحريفية والتطرفية والجمودية.

– بينما إسلام القرآن الكريم والسنة الشريفة بعيد عن هؤلاء وأولئك..

– وبينما الإسلام السمح الكريم العادل الرحيم المتوازن الحضاريّ الذى قدمه أسلافنا العظماء ونشروا من خلاله – بالفكر والخلق – كلمة الله الخاتمة، حتى أصبحت كلمة الإسلام هى العليا، وأصبحت حواضر الإسلام هى حضارة العلم والحضارة.

– هذا الإسلام – كذلك – بعيد وغير مطروح بالقوة المطلوبة والمطروح فقط هو إسلام المنحرفين المنهزمين.. إنْ يميناً وإنْ يساراً..!!

وفى وسط هذه المحنة تَقَـدَّمَتْ الوثنّيـات بديلاً عن دين التـوحـيـد المطلق.. وظهـرت الأصنام الفكرية والبـشـرية والمادية هنا وهناك تكاد تُعبـد من دون الله، ويُضْفَى عليـهـا من النعوت والألقاب مالا يجوز أن يُضْفَى إلا على الله ـ سُبحانه وتعالى ـ بل قد أصبح بعضهم يتحدثُ عن بعض القيادات البشرية وكأنه يتحدث عن معصوم فوق الأنبياء، بل أصبح بعضهم يُصَرِّح بأنه ينتمى إلى (أيديلوجية الشخص القائد) أو (أيديلوجية الحْزب الرائد).. وقال شاعر منهم فى حزبه الذى يؤمن به شعراً لا يقال إلا فى الله (سبحانه وتعالى عما يشركون)!!

– وبدأتْ النّعرات القومية تستعلى وتكاد هى الأخرى تُعبد من دون الله.. فهناك عبادة للأشخاص، وهناك عبادة للأحزاب، وهناك عبادة للأقوام، وهناك عبادة للتراب والإقليميات.. بل وهناك من يعبد نفسه ومصلحته المحدودة، فتراه اليوم مع الشيوعيين، فإذا ذهبوا إلى الجحيم ونفاية التاريخ لا يستحى أن ينقلب – فوراً – إلى العلمانيين الليبراليين.. ويلبس ثوب (التنوير) و(التحرير) الذى كان يلبسه قبل ذلك باسم (التقدمية) و(الحتمية التاريخية) الماركسية!!

●●●

والمهم أن الأمة الإسلامية، التى يجرّها بعض المنافقين – بإصرار – وإلحاح – بعيداً عن الإسلام، مازالت تضيع العقود والسنوات الطوال، مرةً تحت ظلال المادية الاشتراكية، وأخرى تحت ظلال العلمانية الليبرالية.. وهى هنا وهناك تستحدث أوثاناً وأصناماً، وترفض – ولا ندرى لماذا – أن تعود إلى ربّها ـ سبحانه ـ ودينها الخاتم، وكتابها الأخير الخالد، وتستلهم ذلك كله فى صناعة حضارية لن تكون – بإذن الله – لو صَّحت العزائم وظهر الرجال – أقل من حضارة اليهود واليابانيين فى الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية – أما فى الجوانب الأخلاقية والإنسانية والروحية فهى نسيج وحدها ولا يمكن أن تُقارن بغيرها.. فهى كلمة الله الخاتمة، ووحيه الأخير وآخر كلماته السماوية إلى الأرض، وحجته الباقية!!

●●●

– إننا نملك تجربةً فى التاريخ سيطرتْ بالعدل والحب والرحمة – لأكثر من عشرة قرون.. فلماذا لا نعود إلى مفرداتها نتأملها ونسكبها فى إناء العصر الحديث.

– إننا بالعروبة المؤمنة الإنسانية – لا العنصرية – فتحنا العالم.. وأثبتنا – من خلال أفكارنا وسلوكياتنا أننا – بحق –

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١).

– ونحن – بمنظومة الإسلام العصرية والحضارية – نجحنا فى مقاومة الاحتلال الصليبى – الذى كان يسعى لإبادة العرب والمسلمين، وقد عرف المسلمون حقيقتهُ؛ إذْ

(١) آل عمران (١١٠).

رأوه يُدمِّر مؤسساتهم الإسلامية بل ومساجدهم، ومدارسهم، ويحارب دينهم ولغة قرآنهم ورموز الإسلام من الدعاة والمفكرين، ويفرض عليهم التخلف والجهل والفقر، ومع ذلك يرمى دينهم بالجمود والتخلف، ويستأجر بعض المنافقين الخونة ممن يحملون أسماء إسلامية ليتعاونوا معه على ذلك، بل ليقولوا مالا يستطيع الاستعمار أن يقوله، ويفعلوا مالا يستطيع أن يفعله، وذلك لوضوح انتمائه وعقيدته وأطماعه!!

– ومع ذلك كله، فمع بداية النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى (الرابع عشر الهجرى) كان المسلمون قد بذلوا الغالى من الأنفس والأموال وأخرجوا الاستعمار الصليبى البريطانى والفرنسى والإيطالى والأسبانى والبرتغالى..!!

●●●

– لكن الشيء الغريب الذى يستحق الدراسة المحايدة العميقة، أن هذا الاستعمار الصليبى الذى اضطره المجاهدون المدافعون عن دينهم وعن أوطانهم الإسلامية – أن يَحْمل عصاه ويرحل، كان أذكى وأعمق كثيرا من هؤلاء الذين قَاوموهُ.. بل إنه نجح فى أن يحقق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية بعد خروجه، أكثر مما كان قادراً على تحقيقها أثناء هيمنته على البلاد الإسلامية.. ففى بعض البلاد الإفريقية العربية الإسلامية – مثلا – عجز الاستعمار الفرنسى عن فرض السفور على النساء المسلمات، وكان الشعب المسلم كله يعدّ المرأة المسلمة السافرة متعاونة مع الاستعمار الفرنسىّ متأثرة بغزوه الأخلاقى الإباحىّ.

– ومع ذلك فعندما خرج هذا الاستعمار – عسكريا – خلفه بعض العسكريين الذين فرضوا السفور بقوة القانون (الفرنسىّ) وحرموا المحجبّة من التعليم والوظائف – بطريقة إرهابية عنيفة – لا توجد – ولا يسمح لها أن توجد – فى فرنسا نفسها!!

– ولم تستطع فرنسا – كنموذج آخر – أن تقهر الكتاتيب والمساجد والجامعات الإسلامية، بل بقيتْ هذه المنارات الإسلامية مشاعل تحفظ الإسلام عقيدة وحضارة.

– فلما خرج الاستعمارُ حُوربتْ الكتاتيبُ فى بعض هذه البلاد حتى أصبحت شبه محظورة، ومُنع المصلّون من تولى الوظائف، ووضعوا فى قوائم المشبوهين، وصفّيت بطريقة هادئة بعض الجامعات الإسلامية العالمية لدرجة أن جامعة كبرى إسلامية فى إفريقيا العربية المسلمة يُفْرض فيها السفور فرضاً، وقد تقلص عددها إلى نسبة واحد على ثلاثين من عددها أيام الاستعمار الفرنسى، وحتى مسجد الجامعة الإسلامية العريقة قد اختفى (!!) وأصبحت (جامعة إسلامية) من غير مسجد (!!).

●●●

وما حدث – ويحدث فى بعض بلاد إفريقيا المسلمة – يحدث مثله فى بعض البلاد الإسلامية الأخرى.. لدرجة أن الناس

حائرون.. وبعضهم أصبح يتساءل عن جدوى خروج الاستعمار، بل بعضهم – وهذا خطأ كبير بالطبع – يفضِّل أيام الاستعمار، وبعضهم – ربما لأول مرة – أدرك المعنى العميق الذى جعل الله فيه المنافقين أكثر خطراً على الإيمان من الكافرين، وشراً منهم عندما قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾(٢).

●●●

– إن (عصر النفاق) – فى بعض البلاد الإسلامية – حافظ بضراوة، ربما أكثر من رجال الاستعمار الذين كانوا يخجلون بعض الشىء – على النظر إلى الإسلام على أنه (العدوّ الأول).. وأصبحت هذه استراتيجية ثابتة، ومهما بذل المسلمون المخلصون من توسلاتهم ووساطاتهم وتنازلاتهم من أجل تغييرها، فقد باءوا بالفشل – حتى اليوم..!!

– والسؤال هنا : ما الفرق – إذن – بين عهد الاستعمار، وعهد الاستقلال؟

– وإذا كنا سنضحِّى بديننا ولغتنا وحضارتنا الإسلامية، فلحساب من إذن دفع آباؤنا أرواحهم وأموالهم ثمناً للاستقلال؟

– بل لماذا أخرجنا الاستعمار إذن مادام مفروضا علينا أن نمشى فى دروبه، وأن نساعده على تحقيق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية!!

●●●

– وأخيراً....

– إنّ الظلم ظلم.. داخلياً كان أو خارجياً.. بل إن الشاعر يجعل ظلم ذوى القربى أشدّ إيلاماً على النفوس.. وهو محق فى ذلك، لأن ظلم العدوّ الخارجى واستعلاءه وقهره أمور متوقعة، ولاسيما إذا كان العدوّ بعيداً عن هدى السماء والقيم السامية.

– أمَّا ظلم (الأهل) وشركاء الحضارة والوطن والدين والحاضر والمستقبل.. فهو الأمر الذى يُدْمى النفس، ويحار فى تبريره العاقل الأريب، وبخاصة وأن (السفينة) – فى نهاية الشوط – واحدة، وأن غَرقَها سيقتل الجميع، ويهوى بهم إلى القاع..!!

– وتجربة أعدائنا معنا فى النصف الثانى من القرن العشرين – بعد الاستقلال السياسىّ – أكبر الأدلة على هذا الانحدار العام.. (!!) الذى نراه ونعيش أيامه الكوالح، ونتجرع فى كل يوم كؤوس الهوان، ولا يُسمح لنا حتى بإظهار الأنين، ورفع مظالمنا إلى ديوان الظالمين.

***

(٢) النساء (١٤٥).

لماذا كان القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

القصاص ما هو؟:

القصاص فى التشريع الإسلامى: أن يأخذ المعتدى عليه حقه من المعتدى مماثلا للعدوان الذى وقع عليه، سواء أكان العدوان على النفس أم على الأطراف، فإذا وقع الاعتداء على عضو كاليد أو الرجل أو الإصبع فالمعتدى عليه من حقه القصاص بأن ينال من المعتدى مثل ما وقع عليه هو من اعتداء إلا إذا عفا أو قبل الدية التى هى تعويض مادى محدد للنفس، ولكل عضو من أعضاء الجسم، والأصل أن القصاص حق للقتيل ولكن موته ينقل حق القصاص إلى ورثته.

وعلى الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء أن يعمل على تحقيق أمرين: أحدهما أن يتحرى بكل الوسائل المشروعة ثبوت الحق للمعتدى عليه، والآخر أن يضع سلطته فى خدمة المعتدى عليه حتى يأخذ حقه، سواء بالعفو بعد المقدرة، أو أخذ الدية، أو تنفيذ القصاص، وفى القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾(١)

وأيضا:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾(٢).

فالقاعدة العامة فى التشريع الإسلامى أن الاعتداء المتعمد جزاؤه القصاص بالمثل.

القصاص حق مدنى

والحق المدنى هو الذى يملك المجنى عليه العفو فيه عن الجانى لأنه حقه هو، والحق الجنائى هو الذى لا يملك المجنى عليه فيه العفو لأنه حق الله كما فى التعبير الإسلامى وهو حق المجتمع كما فى تعبير القانون الوضعى، وهو تعبير ليس خاطئا.

ومما قد يبدو غريبا مثيرا للتساؤل: كيف

(١) البقرة (١٧٨).

(٢) المائدة (٤٥).

يحكم الإسلام بأن القتل أكبر جريمة بعد الكفر ثم يجعل عقوبته حقا مدنيا يجوز العفو عن الجانى فيها، بينما يجعل جرائم أقل منه بكثير كالسرقة وشرب الخمر حقا جنائيا لا يجوز العفو فيها عن الجانى حين تثبت؟

والجواب أننا لو ألقينا نظرة تأمل على الموازنة بين الدافع إلى الجريمة فى حالة القتل والدافع إلى جرائم الحدود لسطعت لنا الحكمة فى جعل القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا، فإن الدافع إلى القتل عادة هو نقمة القاتل على المقتول وغيظه منه لسبب صدر من القتيل أو حتى توهم القاتل صدوره منه، فالدافع إلى القتل أصلا هو الرغبة فى الانتقام، وليس نابعا من نزعة شر، فهو إذن سبب شخصى بين القاتل والقتيل وليس من نزعة شر يحملها القاتل بحيث يوجهها إلى غير القتيل، فيقتل كل من يستطيع قتله، فإذا كان القتل بدافع من نزعة شر كالقتل فى حالة قطع الطريق أو للوصول إلى السرقة والنهب خرج حينئذ من باب القصاص إلى باب الحدود ليدخل فى حد الإفساد فى الأرض فلا يملك المجنى عليه العفو عن الجانى.

أما جرائم الحدود فيغلب عليها طابع نزعة الشر، أو الصدور عن نزعة شر، فكل جرائم الحدود فيها تهديد لأمن المجتمع على النفس أو المال أو العرض، فالسرقة مثلا قد تبدأ من الشعور بالحاجة، وقد تبدأ من نزعة أصيلة إلى العدوان على مال الغير والرغبة فى تملكه، وفى كل حال فإن مزاولة السرقة تنبع إما من نزعة شر أو من عادة تتحول إلى نزعة شر، وكذلك فى سائر جرائم الحدود كالزنا وشرب الخمر والقذف، فبعضها ينبع من نزعة شر فى طبيعة الشخص، وبعضها ينبع من تعود يشبه الإدمان، فيدفع صاحبه إلى مزاولة هذه الجريمة دفعا، ومن هنا يكون الخطر على أمن المجتمع، فحتى شرب الخمر الذى يبدو وكأنه سلوك شخصى لايرتبط بالغير، هو فى الحقيقة تهديد لأمن المجتمع، لأن السكران لا يؤمن خطره على المحيطين به، وهكذا فى كل جرائم الحدود، يكون المجتمع فيها مجنيا عليه بطريق غير مباشر، لأن الجانى يكون مهيأ ومستعدا لتكرار الجريمة، أما فى حالة القتل فليس من المألوف أن نجد شخصا لديه نزعة القتل لذات القتل، لأن القتل لا يحدث عادة إلا بصفته رد فعل، حيث يكون انتقاما من القتيل وليس نابعا من نزعة شر.

ويمكن تلخيص هذه الحكمة أو أبرزها فيما يلى:

١- القتل لا ينبع عادة من نزعة شر، وإنما من دافع انتقام، بينما جرائم الحدود تنبع فى أغلب الأحيان من نزعة شر، أو تتحول مزاولتها إلى نزعة شر.

٢- الرغبة فى الانتقام نزعة بشرية عامة، فحينما يقتل شخص سيكون وراءه من يهدف إلى الانتقام، وكثير من المجتمعات فى أنحاء

العالم تدين بعادة الثأر، فيحدث شقاق وعداء فى المجتمع بين المتعصبين للقتيل والمتعصبين للقاتل، وكثيرا ما تستمر سلسلة الثأر بين الجانبين إلى آماد طويلة، وكلما طال الأمد اتسع نطاق الشر والتخاصم.

والمعنى الذى يسيطر على المطالبين بالثأر عادة هو أنهم يشعرون بأن القاتل اعتدى على كيانهم الاجتماعى، ولا يشفى نفوسهم حينئذ إلا أن يشعروا بأنهم يملكون الانتقام من القاتل، وكون القصاص حقا مدنيا يحقق لهم هذا الشعور، حيث يجدون أن قتل القاتل حق لهم، يملكون طلب تنفيذه، ويملكون العفو عنه، فهذا الشعور يريح نفوسهم، ويجعلهم مهيئين حتى للعفو عن القاتل فى بعض الأحيان.

وقد كان من أهم أسباب فشل القوانين الوضعية فى علاج عادة الثأر أنها لا تراعى مشاعر أولياء الدم «أقارب القتيل» فتجعل العقوبة حقا جنائيا ليست لأولياء الدم صفة أصلية فيه، فيحاولون الانتقام بأنفسهم، ولذلك يتردد على ألسنة طالبى الثأر دائما قولهم: إنهم يريدون أن يأخذوا حقهم بأنفسهم، والتشريع الإسلامى يريح نفوسهم بإعطائهم هذا الحق وهو أن يأخذوا حقهم بأنفسهم ولكن من خلال السلطة الشرعية.

٣- لو كان القصاص حقا لله كما فى جرائم الحدود لوجب قتل القاتل فى كل الأحوال، فبدل أن تكون حالة القتل واحدة تصبح حالتين، هما القتيل والقاتل، والحكمة فى القصاص أنه شرع لمنع إراقة الدماء، كقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٣).

ولكن كونه حقا للعباد يتيح فرصة فى كثير من الأحيان للعفو عن القاتل أو قبول الدية، فتنقذ حياة القاتل نفسه مع حسم المشكلة اجتماعيا، لأن العفو لابد أن يصدر من أولياء الدم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، ويبقى عقاب القاتل عند الله.

وإذا كان أعداء الإسلام فى العالم ينشرون أن الإسلام هو دين إراقة الدماء ويتخذون من تشريع القصاص دليلا على ذلك، فلا أدرى هل يجهلون أم يتجاهلون ما يسلكه التشريع الإسلامى من وسائل عديدة لإنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت جريمة القتل عليه، وذلك فى إطار هدف معين هو المحافظة على أمن المجتمع وحسن الصلات بين أفراده، ومن هذه الوسائل دعوة أولياء الدم إلى العفو، حيث يجب على القاضى أن يعرض عليهم العفو ويرغبهم فيه بكل وسائل الترغيب، فإذا رفضوا عرض عليهم التعويض المادى وهو الدية، فإذا أصر أولياء الدم على الانتقام فإن القصاص حينئذ يكون هو الحسم للقضية اجتماعيا، مع مراعاة ما سبقت الإشارة إليه من أن القتل لا ينبع عادة من نزعة شر وإنما

(٣) البقرة (١٧٩).

من نزعة انتقام، حيث يكون القتيل فى أغلب الأحيان هو السبب الأصلى فى الجريمة والدافع إليها، ولكن القاتل أخطأ فى وسيلة استرداد حقه فلجأ إلى الجريمة.

وسائل الإثبات

نتيجة للأهمية الشديدة التى يوليها التشريع الإسلامى لجريمة القتل نجده يسلك فى علاجها أسلوبا غير مألوف فى أية جريمة أخرى جنائية أو مدنية، حتى لقد يبدو فى ظاهر هذا العلاج شئ من تناقض، ومن ذلك أنه يلجأ إلى وسائل غير مألوفة لمحاولة إثبات الجريمة كوسيلة القسامة، ولكنه مع هذا الحرص على إثبات الجريمة نجده يحاول بعدة وسائل إنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت الجريمة عليه، ولكن هذا اللبس أوالتناقض الظاهرى يتبدد حينما نعلم أن الهدف الأول للتشريع الإسلامى هو صلاح المجتمع واستقرار الأمن فيه، وكلا الأمرين، إثبات الجريمة ومحاولة إنقاذ حياة القاتل إسهام فى ذلك الهدف، ووسائل الإثبات هى:

١- الوسائل العادية للإثبات، وهى محصورة فى نوعين، أحدهما الاعتراف، والآخر الشهادة، بأن يشهد شاهدان ممن تقبل شهادتهما على الجريمة، وهما الموصوفان بالعدالة، بمعنى أنه لا يعرف عنهما انحراف خلقى أو سلوكى يخل بكرامتهما فى المجتمع، ويمكن أن تنوب امرأتان عن أحد الشاهدين.

٢- القسامة، وهى إحدى وسائل الإثبات الخاصة بجريمة القتل، وهى أسلوب كان العرب يستخدمونه قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فاعترف به رغبة فى سلوك كل الوسائل التى تحسم جريمة القتل حتى لا تتحول فى المجتمع إلى سلسلة ثارات.

والقسامة مأخوذة من القسم وهو حلف اليمين، وذلك بأن يوجد قتيل فى مكان ما وتشير بعض الملابسات إلى أن قاتله من هذا المكان أو هذه المنطقة ولكن القاتل غير معروف فإذا قام هذا الاتهام فى نفوس ورثة القتيل فإن القاضى يمكنهم من أن يختاروا خمسين شخصا من المنطقة التى يتهمون أهلها بأن القاتل منهم، وعلى هؤلاء الخمسين أن يحلف كل واحد منهم يمينا بالله أنه لم يقتل هذا القتيل، ولا يعلم قاتله، فإذا لم يكمل عدد المختارين خمسين أعيد تحليفهم حتى تكتمل الأيمان خمسين يمينا.

والقسامة تحسم الموقف، فإن أقرباء القتيل هم الذين يختارون الخمسين شخصا، ولا يعقل عادة أن يجتمع خمسون من صفوة أى مجتمع على باطل، فهذا يريح نفوس أولياء الدم.

تضييق نطاق الجريمة

كان العرف السائد فى المجتمع العربى، وفى كل مجتمعات الثأر عدم الاهتمام بشخص القاتل عند الثأر، فكثيرا ما يقتلون غير القاتل، وكثيرا ما يقتلون أكثر من شخص، ولكن التشريع الإسلامى حصر الجريمة فى نطاقها الصحيح كما يلى:

١- يجعل التشريع الإسلامى مراحل إثبات الجريمة، وكذلك تنفيذ العقاب بيد الحاكم أو نائبه كالقضاء، وليس بيد أولياء الدم وهم ورثة القتيل، حتى لا تدفعهم شهوة الانتقام إلى تجاوز حقهم.

٢- يغلق التشريع الإسلامى باب العصبية القبلية وذلك من جهتين:

أ- إحداهما أنه يجعل القاتل وحده هو المسئول عن جريمة القتل، بعد أن كانت قرابته أوقبيلته كلها مسئولة، بحيث يجوز فى العرف لقبيلة القتيل أن تقتل أى شخص من قبيلة القاتل.

ب- يجعل التشريع الورثة الشرعيين للقتيل فقط هم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، بعد أن كان حقا لقبيلة القتيل كلها.

ولكن التشريع الإسلامى يوصد كل هذه الأبواب البدائية، ليقيم التشريع العادل الذى يجعل المجرم وحده هو المسئول عن جريمته، ويجعل التشريع ممثلا فى السلطة هو الذى يملك محاسبته ومباشرة العقاب، ويظل الحق فى تنفيذ العقاب أو عدم تنفيذه يرجع إلى ورثة القتيل.

٣- يمنع التشريع الإسلامى ما يشيع فى المجتمعات البدائية من القتل بالظنة أو مجرد الاتهام، بل لابد من ثبوت الجريمة على المجرم.

التنفيذ ووسائل العقاب

التشريع الإسلامى يوجب على القاضى فور ثبوت جريمة القتل العمد ما يلى:

١- إشعار أولياء الدم وهم الورثة الشرعيون للقتيل بأنهم أصحاب حق، وأن القاتل نفسه أصبح ملكا لهم يتصرفون فيه بالانتقام منه، أو بالعفو عنه، أو بقبول تعويض مادى هو الدية عن قتيلهم، وإشعار أولياء الدم بملكيتهم هذا الحق أمر فى غاية الأهمية لعلاج الأثر الاجتماعى للجريمة، فإن شعورهم بملكية هذا الحق يطفئ فى العادة جذوة الغضب وشهوة الانتقام فى نفوسهم، ويجعلهم مهيئين نفسيا لقبول التفاوض، ومن المعروف فى مجتمعات الثأر أن كل جرائم الثأر تنبع من هذا المعنى، فلو حكم القضاء بإعدام القاتل فإن هذا لا يشفى نفوسهم، لأنهم يريدون أن يشعروا بأنهم ينتقمون بأنفسهم، فالقانون الوضعى يتجاهل أولياء الدم أقارب القتيل فى كل مراحل القضية ولا يجعل لهم أية صفة وهذا مما يزيد فى نقمتهم، بينما التشريع الإسلامى يجعل علاجه النفسى لهذه النقطة الجوهرية محور الموضوع، من حيث جعله القضية من أساسها حقا مدنيا لأولياء الدم يملكون التصرف فيها ملكية كاملة، بل يجعل القرآن هذه الملكية سلطانا فى قوله تعالى:

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾(٤).

---

(٤) الإسراء (٣٣).

ولذلك كان التشريع الإسلامى أنجح تشريع فى محاربة عادة الثأر، بحيث لا توجد عادة الثأر فى مجتمع تطبق فيه الشريعة الإسلامية.

٢- من الرد على ما يشيعه أعداء الإسلام من دموية الإسلام أن التشريع الإسلامى يوجب على القاضى أن يبدأ أولا بعرض العفو والترغيب فيه على أولياء الدم، وكل آيات القصاص فى القرآن ترغب فى العفو عن الجانى، ومن ذلك:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾(٥).

وتعبير «أصلح» إشارة إلى أهم أهداف العفو وهو إصلاح المجتمع بحسم الخصومة بين الطرفين بالتراضى.

٣- إذا رفض الورثة العفو يجب أن تعرض عليهم الدية وهى قدر كبير معروف من شأنه أن يجعل من يحصل عليه غنيا، وفى هذا إغراء لورثة القتيل.

٤- من روائع الأدلة الواضحة على نفور الإسلام من إراقة الدم ولو كان دم القاتل نفسه أن الذين يملكون العفو أوالدية أو القصاص هم الورثة الشرعيون للقتيل يملك كل منهم من العفو أوالعقاب بمقدار نصيبه فى تركة القتيل، فإذا عفا أحد الورثة عن القاتل أوقبل نصيبه من الدية ولو كان أصغر نصيب فى التركة يسقط القصاص وجوبا، ويخير باقى الورثة بين العفو أو الدية أو لا شئ لهم.

والتعليل لذلك أن الحياة أولى من الموت، فإذا عفا صاحب أصغر نصيب أوقبل الدية فمعناه أنه قرر حياة نصيبه فى القاتل، ونصيبه الداعى إلى الحياة مهما صغر فهو أولى من كل أنصبة الداعين إلى الموت.

ومن الناحية الواقعية قد يكون بين الورثة من هو فى حاجة ملحة إلى المال، وقد تكون للقتيل أرملة تعول أولادا، وقد لا تكون من أقارب القتيل الذين تسيطر عليهم الرغبة فى الانتقام، فتؤثر الدية على الانتقام، أوغير ذلك من الدواعى التى يسقط بها القصاص وهى غير قليلة.

٥- إذا انعدمت كل الوسائل السابقة يصبح القصاص هو الحل الوحيد لشفاء نفوس أولياء الدم وكبح جماح نزوعهم إلى الثأر والانتقام.

وفى كل الأحوال فإن القصاص هو الحل الوحيد الذى لا منافس له ولا بديل عنه فى علاج عادة الثأر التى تعانى منها مجتمعات كثيرة أمر المعاناة.

---

(٥) الشورى (٤٠).

مواقف إسلامية

من ذكريات امرأة بدوية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تمهيد:

بينما كان «الحجاج» مع «الوليد بن عبدالملك» أرسلت زوجة الخليفة جارية تقول له: (لماذا تجلس مع هذا الأعرابى المسلح. وأنت فى ثيابك المنزلية بغير سلاح ولا حراسة).

ولما أدرك الحجاج ذلك قال لأمير المؤمنين: (دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول. ولا تطلعهن على سرك. ولا خططك مع عدوك. ولا تشغلهن بغير زينتهن. وإياك ومشاورتهن فى الأمور. فإن رأيهن إلى هلاك. وعزمهن إلى وهن. ولا تسمح لواحدة منهن بأن تملك من الأمور ما يجاوز نفسها. ولا تطمعها فى أن تشفع لغيرها عندك. ولا تطل الجلوس معهن. فإن ذلك أوفر لعقلك. وأظهر لفضلك)(١).

وإذ يجرد «الحجاج» المرأة من كل فضل. وإذ يحرمها من كل حلية. إلا حلية الذهب والحرير.

وحين يطردها من ساحة العمل الإيجابى لتكون قعيدة البيت.. إذا كان هذا رأى الحجاج فيها.. فإن موقف اليوم رد على هذا الادعاء.. بما حققته أسماء ـ رضى الله عنها ـ من قيم.. كانت هى أصدق عنها تعبيرا.. وأشد تأثيرا..

بقدر ما أثبتت قدرة المرأة العربية المسلمة على تخفيف الهموم.. وتجفيف الدموع..

وذلك إجمال يفصله الموقف الآتى:

عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ قالت: تزوجنى الزبير. وما له فى الأرض من مال ولا مملوك. ولا شىءٍ. غيرُ ناضح. وغيرُ فرسه.

---

(١) مروج الذهب للمسعودى.

فكنت أعلف فرسه. وأستقى الماء. وأخرز غربه -دلوه- وأعجن. ولم أكن أحسن أخبز. وكان يخبز جارات لى من الأنصار. وكن نسوة صدق.

وكنت أنقل النوى من أرض الزبير -التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى. وهى منى على ثلثى فرسخ. فجئت يوما والنوى على رأسى. فلقيت رسول الله ﷺ. ومعه نفر من الأنصار.

فدعانى. ثم قال: إخ إخ -كلمة تقال للبعير لينيخه- يحملنى خلفه.

فاستحييت أن أسير مع الرجال.

وذكرت الزبير وغيرته -وكان أغير الناس-

فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت. فمضى. فجئت الزبير فقلت:

لقينى رسول الله ﷺ. وعلى رأسى النوى. ومعه نفر من أصحابه. فأناخ لأركب. فاستحييت منه. وعرفت غيرتك. فقال:

والله حملُك النوى كان أشد علىَّ من رُكوبك معه.

قالت: حتى أرسل إلىَّ أبوبكر بعد ذلك بخادم تكفينى سياسة الفرس. فكأنما أعتقنى](٢).

البقاء للأصلح.

هذا موقف فريد: تحطمت ألف وخمسمائة سنة.. وهو باق.. وماتت القرون.. ومازال حيا فى ضمائرنا..

وهو رسالة إلى بعض زوجات اليوم.. (عبرة للنساء. وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات. وإثبات لمن يحتقر النساء: أن المرأة قد تكون أعقل وأنبل من الرجال.. وبيان لمن لا يريد بالمرأة إلا أن تكون متعة، لا هم لها إلا زينتها وتبرجها.

إنها قد تترفع عن زخارف الأزياء. وألاعيب النساء. حتى تكون ركنا فى بناء الأمة. وعونا على تحقيق مثلها العليا)(٣).

وقد كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ كذلك:

لقد كانت ناعمة العيش فى بيت أبيها.. فلم يبطرها الغنى..

ثم عانت من شظف العيش مع زوجها.. فلم يوئسها الفقر.. فكانت بهذا الثبات سيدة عظيمة:

سيدة أبوها عظيم. وزوجها عظيم. وابنها عظيم. وهى عظيمة فى مواقفها ومواهبها.. عظيمة فى نفسها وفى أعمالها. سيدة ذات مبدأ وفت له. وثبتت عليه، سيدة شاركت فى أجل الأحداث، فى السلم، وفى الحرب. سيدة كانت ربة بيت. صبرت على مره. ولم تبطر بحلوه. سيدة كان لها من نبل القلب. وكبر العقل. وثبات الأعصاب. مالم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال)(٤).

مفتاح الشخصية

إن مفتاح شخصية الإنسان يبدو من نوعية اختياره، ذلك بأن الهمة على قدر الاهتمام.

وقد كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ مولعة بالمبادىء.. لا بالمظاهر.. وهى تعلن ذلك فى قولها:

---

(٢) البخارى. الفتح ٩/ ٥٢٢٤.

(٣) رجال من التاريخ «على الطنطاوى»/٢٦.

(٤) نفس المرجع والموضع.

(تزوجني الزبير. وما له في الأرض من مال. ولا مملوك. ولا شيء. غير ناضح وغير فرسه..)

لقد كان هناك فتيان أغنياء.. ولكنها رضيت بمن لا يملك في الأرض على سعتها شيئا مما تزدحم به!

لقد كان قائدا عسكريا.. برتبة فارس..

وإذ لم يملك مما في الأرض شيئا.. لكنه كان يملك ما هو أقوى وأغلى مما عليها:

كانت له هيبة.. تكسر غرور عدوه
وعزيمة ماضية.. تفل سيفه

وإذا كانت بعض الفتيات تطلب الأجمل.. لا الأكمل.. والأغنى.. وليس الأعقل.. فإن أسماء - رضى الله عنها - تطلب الأكمل والأعقل.. منطلقة من يقينها بأن الزواج ليس فقط متعة أو لذة.. وإنما هي الصحبة المباركة مع رفيق العمر.. والتي يتحقق بها معنى السعادة كما ينبغي أن تكون:

إن السعادة ليست «أصباغا».. ليست شباكا نصطاد بها الآخرين.. كما وأنها ليست ثيابا ملونة.. وإنما هي التجانس الودود. الذي ينعكس على الحياة فإذا هي أجمل مما يتصور المترفون.

المترفون.. الذين يعبرون إلى «الحبيب» المزعوم ألف نهر.. لكنهم لا يصلون إليه.. بينما «أسماء» - رضى الله عنها - كانت تلك الفلاحة البسيطة، التي تجعل من الرضا وطنها، فإذا الحياة من حولها بستان وارف الظل.. حافل بالثمار، إذا أرادت أن تشجي سمعها.. فهناك تغريد الطيور.. وإذا أرادت أن تمتع بصرها.. فهناك الأشجار والأزهار.. كلها مزهرة.. والنجوم كلها مضيئة!

الزوج السعيد

وإذا كانت هناك في ردهات «القصور» من تقول لزوجها نفاقاً:

لم أعش يوما واحداً.. قبل ظهورك..

وإذ يبادلها العشق الموهوم قائلاً:

لا تقل دارها بشرقي نجد
كل نجد للعامرية دار

إذا كان هناك من يخدر الإحساس بهذا الزور من القول.. فإن أسماء كانت تملك من الوفاء.. ومن التضحية.. ومن الرؤية المستنيرة ما تعطى زوجها.. وهي أضعف ما تكون.. تعطيه أضعاف ما يريد!

وليت شعرى كيف يكون «الزبير» عندئذ فقيرا.. وهو يملك هذا الوفاء.. وهذا اليقين؟!

كيف.. وإلى جانبه من تركت المال.. والسلطان.. ثم رضيت به زوجا.. هو أثقل في الميزان من كل هذا..

وإذا كانت هناك من نشأت مثلها في «بيت العز» وتريد السعادة بلا تعب.. فقد قررت هي أن تدفع ثمنها أولا.. مؤكدة أننا أحيانا لا ينقصنا العلم.. ولكن ينقصنا أن نجعل من علمنا واقعا ملموساً.

لقد كانت بزوجها.. غنية..
وكان هو بها أيضا غنيا..

ولم يكن غناها في ثروتها.. لم يكن غناها في أنها ملكت كل ما تشتهي.. بل لأنها زهدت فيما تشتهي.. وآثرت القائد العسكري.. المؤمن.. والذي كان بعظمته يعيش خارج عصره!

ويا لذات الدين.. عندما تكون نعم القرين!

إنها الصادقة التى لا تلتفت.. إلا إلى زوجها..

إنها قاصرة طرفها على من اختارته.. وتلك هى السعادة.

وهو معنى يذكرنا بهذا الذى سار وراء رائعة الجمال.. فقالت له: انظر لأختى.. فهى أجمل منى.. فلما التفت قالت له:

لو صدقت.. ما التفت..

ولقد صدقت أسماء عندما آثرت الرجل.. على الدنيا.. فظفر هو.. وظفرت هى.. بالكنز الثمين..

بينما يتدحرج عشاق الدنيا.. عند السفح.. فكانوا كتلك «النملة» التى أحبت الجمل..

فلما قادته إلى جحرها.. ودخلت هى.. ولم يدخل هو. قال لها:

إما أن تجهزى لى دارا على قدى.. وإما أن تطلبى من فى مثل حجمك!!

ويبقى أصحاب المبادىء فى القمة دائما.. وإن تنكر لهم الزمان:

ما شاب عزمى ولا حزمى ولا خلقى
ولا وفائى ولا دينى ولا كرمى
وإنما اعتاض رأس غير صبغته
والشيب فى الرأس غير الشيب فى الهمم

ثمن الانتصار

الكرام من الناس يبذلون الدماء.. حين يستنصَرون..

ويعطون المال.. حين يستقرضون..

وقد كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ رائدة من رواد هذه المدرسة:

لقد انتقلت إلى بيت الزوجية.. وكان البيت على ما وصفت.. بسيطا.. إنها إذن مشكلة..

ولكن ما هو الحل؟:

إن بعض الناس لا يعالجون المشكلة جذريا.. وإنما ينظفون فناء الدار.. لكن السقف مثقوب.. يصب سيلا من المشكلات، ولكن الزوجة هنا.. بدل أن توسع مدى المشكلة بالأنين والشكوى.. قررت أن تقتحم المشكلة بالحل العملى.. فشمرت عن ساق الجد.. متحملة مسئولية إدارة البيت.. ليتفرغ الفارس لمهمته فى حماية البلاد..

وإذا كان هناك من الناس أذلاء، يرغبون فيمن زهدوا فيهم.. وإذا كان هناك فارغون يزهدون فيمن يرغبون فيهم.. فقد حسمت «أسماء» القضية.. وقررت أن تشكر بالعمل نعمة الاقتران بمن ترغب فيه.. ويرغب فيها..

وكان شكرها فى أعلى مستوياته حين جعلته عملا دءوبا.. لا ينهض به إلا أشداء الرجال.

ولقد كانت جديرة بهذه الشهادة:

(إن لم تصل المرأة إلى مثل ما وصل إليه الرجل. فلها فضل إمداده وعونه).

أبعاد الشخصية المؤمنة

كانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ تستمد عظمتها من إيمان قوى. وعقل ذكى.. وإرادة ماضية..

ولقد مكنها ذلك من رؤية الواقع كما هو.. ثم التعامل معه. بإلهام البصيرة. دون استسلام لخداع البصر.

وإذا كانوا يقولون: إما أن تكون بناء.. أو مناولاً.. فقد كانت ـ رضى الله عنها ـ تقوم بعمل الإثنين معاً.

تستقى الماء.. تخيط الدلو.. ثم تعلف الفرس.. والذى كانت سياسته أشق أعمالها جميعا، إنه فرس: مكرٍّ.. مفر.. كثير الحركة.. فإذا حبس.. كان لديه حنين إلى أرض المعركة.. فلم يكن يقدر على رعايته إلا الصابرون.. ثم هى مع ذلك مسئولة عن عمل البيت كربة منزل..

ولاحظ قيمة الصراحة التى حملتها على الاعتراف بأنها لا تحسن إلا العجن.. أما الخبز فلم تكن تحسنه. وكان اعترافها على نحو لا يتوفر لكثير من النساء اللائى يخفين عجزهن.. فرارا من الإحراج.. ثم إنها تملك من الشجاعة الأدبية ما يدفعها إلى الشهادة لنساء الأنصار اللاتى كن يكفينها مئونة الخبز..

إنها الزوجة العاملة الآملة.. والتى لا يصدأ جوهرها بالعمل أبدا:

إن السكين المستعملة هى التى تقطع..أما المهملة.. فيعلوها الصدأ الذى يتنامى بطول الإهمال. وهى تلك المرأة العصرية التى لا دور لها.. ومن ثم يعلوها الصدأ. لتكون عبئا على المجتمع بدل أن تكون عونا له.

وبضدها تتميز الأشياء.

وأين من أسماء ـ رضى الله عنها ـ تلك المرأة العصرية الملول..

لقد كانت أسماء بكفاحها علامة من علامات الحضارة.. جعلت منها ملكا للإنسانية كلها.. بينما المرأة العصرية اليوم.. يقتلها الملل.. والبرود، فى بلد أوروبى يدق جرس الهاتف. فترد السيدة. فإذا خادمها يقول لها:

كل شىء على ما يرام يا سيدتى

إلا أن كلبك العزيز.. مات!!

ولكن .. كيف مات؟

لقد قفز من النافذة..

ولماذا قفز العزيز من النافذة؟

لما شب حريق أتى على القصر كله!!

ويعنى ذلك أن حياة الكلب أعز عليها من كل ما تملك!!

وهى واحدة من رواد مدرسة تقول لك:

إذا شب حريق فى حجرة.. وكان بالحجرة: تمثال.. وطفل صغير.. وكان بالإمكان إنقاذ أحدهما.. فبادر إلى إنقاذ التمثال.. لأنه لا يعوّض!!

أما أسماء ـ رضى الله عنها ـ فكانت تملأ يومها بما تعمل ـ وعلى تنوعه وصعوبته ـ فلم يكن هناك وقت لتربية الكلاب.. ولم يكن هناك بال مشغول إلا بالبيت.. ورب البيت..

ثم أين منها تلك المرأة التى يسمونها.. المرأة الحديدية.. لأنها استطاعت الهروب فى غفلة الحراس!!!

لم تكن أسماء ـ رضى الله ـ عنها كتلك المرأة هناك باردة.. جليدية!

كما لم تكن كهذه المرأة هنا حديدية..

بل كانت فوق ذلك. وأعز من ذلك.. من خلال هذه الصورة الحية والتى رسمتها بعملها فى بيتها..

ولك أن تتصور « الغرْب » وهو الدلو الكبير المصنوع من جلد الثور.. ثم تصوّر الزوجة الكادحة المفلحة وهى تعالجه ليعود كما كان.. وحبات العرق تبرق من جبينها الطهور.. وهى سعيدة بما عملت مما يسعد زوجها.. ثم بما وفرت على ميزانية البيت حين باشرت الإصلاح بنفسها.. ولم تدفعه إلى الصانع خارج الدار.

يعينها على ذلك كله أن رب البيت لا يقتل الوقت هناك فى « النادى » وإنما هو مقاتل شريف.. ثورى.. يحرس الحدود.. حتى لا يؤتى الإسلام من قبله.

الامتحان الأصعب

ولكن مباشرة الأعمال المنزلية هذه.. قد تهون، فاستحضار الماء.. وخرز الدلو.. والعجن.. كل أولئك يحقق لها مصلحة شخصية مع كل من فى البيت.

ثم هو عمل مستور داخل البيت. ولو رآها الناس لما كان فى ذلك إحراج..

أما الإحراج حقا فهو فى تلك المهمة التى فضلتها بعد ذلك:

١- لقد كانت تجمع النوى.. فى هجير الصحراء.

٢- ثم تحمله فوق رأسها..

٣- ماشية على قدميها مسافة طويلة.

٤- ثم إذا عادت إلى البيت.. باشرت دقَّه.. وبيدها.. لا بيد عمرو!

وما يلقى ذلك العنت إلا اللائى صبرن.. بل اصطبرن على مشقته ولأوائه!

الزوجة الواعية.. الوفية

ولقد كان يكفيها ذلك العناء سببا لتركب مع الرسول ﷺ.. ولا حرج.

فهو أولاً رسول الله ﷺ

وهى ثانيًا: أخت زوجته.

وزوجة ابن عمته الزبير.

ونكاد نحس لهفة نفسها إلى الركوب.. لكن تقديرها لزوجها.. واحترامها لمشاعره.. غلب كل هذه العوامل.. وتراجعت فى اللحظة الأخيرة.. معتذرة عن الركوب..

ولا بأس أن يتعلم الرجال والنساء اليوم.. أن يتعلموا على يد امرأة واعية وفيه دروسا فى الوفاء والولاء.

إن الرسول ﷺ.. لم يتبرم بقرارها.. ليعلم الناس من بعده إلى أى حد يجب أن يكون الاحتياط.. وبخاصة أولئك الذين يتساهلون اليوم.. مع ما يسمى « بصديق العائلة » وما يترتب على ذلك من ويلات..

ومازلت أذكر ذلك الفلاح الذى قيل له:

امرأتك تجلس مع أصدقائك على حافة النهر هناك.. فقال:

لا أخاف عليها.. امرأتى رجل!

ولم يكن هذا الزوج صادقا مع نفسه:

فهو أول من يعلم أنها « امرأة » وليست رجلاً؟!!

ثم هو ثانيا إذا لم يكن يغار عليها.. فهو « ديوث » يقر فى أهله الخبث وهو ذلك الجمل المستنوق.. الذى يقول أمام الناس ما يريد، لكنه يعمل ما يملى عليه! ولسوف تظل زوجته بين

الرفاق امرأة.. ولن تخدع النملة لو كتبت على «حق السكر» هذا ملح أجاج!

ولقد قدرت الزوجة هنا غيرة زوجها، وهذا التقدير مردود إلى:

أ – ذكائها الذى درست به شخصية زوجها. وما يحب وما يكره.

ب– ثم زكاؤها.. باحترام طبعه. وما هو مقتنع به.

والعجيب أن «غيرة» الزوجة لم تكن تصرفا تدافع به عن نفسها إزاء زوجها الذى قد يكون منصرفا عنها..

ولكنها كانت «غيرة» الزوج نفسه.. والتى يجب أن تظل حقا له مصونا مكنونا.. وبخاصة فى غيابه.

موقف الزوج

قال الزبير – رضى الله عنه: (والله لحملك النوى كان أشد علىّ من ركوبك معه)

كانت وجهة نظر الزوجة العاقلة هى:

أنه مع عظيم تقديرها للرسول ﷺ.. إلا أنها:

أ – خافت من مزاحمة الرجال –بدون قصد طبعاً–

ب– وقد ينكشف منها حالة السير ما لا تريد انكشافه..

ولكن هذا كله كان أخف على أعصاب الزوج مما حدث فعلاً:

١– لأنها تبذلت لما حملت النوى على رأسها.

٢– ومن مكان بعيد.

٣– (ولأنه قد يتوهم خسة النفس. ودناءة الهمة، وقلة الغيرة).

وفرارا من هذه الشبهات كان عليها أن تركب معه ﷺ..

أضف إلى ذلك أن السبب الحقيقى لتبذلها هنا لم يكن مردودا إلى تساهل الزوج أو بخله، وإنما كان مشغولا بالجهاد.. واحتراما لأوامر الرسول ﷺ.

ومن أجل ذلك لم يتفرغ الأزواج للاشتراك فى عمل المنزل. ولضيق أيديهم أيضا.. فانحصرت الخدمة فى النساء اللاتى قمن بالوظيفة خير قيام.. ليتفرغ الأزواج لمهام الجهاد.. ولم يكن العرف يعتبر ذلك عارا.

من ثمرات الحديث

يقول علماؤنا: (وفيه: أن المرأة الشريفة إذا تطوعت بخدمة زوجها بشىء لا يلزمها.. لم ينكر عليها ذلك أب ولا سلطان).

ونقول نحن: وإذا أنكر الوالد الشاغل مركزا مرموقا اليوم.. إذا أنكر على ابنته أن تخدم زوجها.. فليأت لها بخادم.. كما فعل أبوبكر هنا حين تبرع بخادم لابنته.. تقديرا لظروف الزوج.. وعطفا على فلذة كبده التى لا يغنيها أن نمضغ الكلام.. ونردد الملام.. وإنما هى التضحية التى نجنى ثمارها نحن الآباء.. أمناً وسلاماً.

ومن ثمرات الحديث ما قرره علماؤنا:

(أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز أو طحن أو غير ذلك.. أن ذلك لا يلزم الزوج، إذ كان معروفا أن مثلها يلى ذلك بنفسه.

بدليل أن فاطمة – رضى الله عنها– لما سألت أباها ﷺ الخادم.. لم يأمر زوجها بأن يكفيها ذلك: إما بإخدامها خادما. أو باستئجار من يقوم بذلك.. أو بتعاطى ذلك بنفسه.

ولو كانت كفاية ذلك إلى عليّ.. لأمره به.. كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول)[٥].

ولقد تحملت أسماء ـ رضى الله عنها ـ ما تحملت صابرة محتسبة على ما كان فى عملها من مشقة بالغة عبرت عنها بقولها:

(وكان له فرس. وكنت أسوسه. فلم يكن من خدمته شيء أشد عليّ من سياسة الفرس.

(كنت أكفيه مأونته، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه).

ولقد كان أمرها على ما يقول الشاعر:

ولو كان هما واحدا لاحتملته
ولكنه هم. وثان. وثالث

وقد تحملت مسئوليتها مع أنها ابنة الصديق.. ثانى اثنين إذ هما فى الغار..

ولكن النفوس الكبيرة تقصد إلى الإحسان.. ولا تكتفى بالعدل..

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

ويعنى ذلك أن للمرأة دورا فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية.. وإن كان المفروض أن يكفيها الزوج ذلك.

يقول الدكتور «عيسى عبده» تفسيرا لقوله تعالى فى سورة طه:

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[٦].

يقول: إن العمل فى سبيل تدبير المعاش.. للرجال. دون المرأة. إذ تقع على المرأة واجبات أخرى بحكم إعدادها «الفسيولوجى».

وليس معنى ذلك أن مفهوم النص القرآنى يمنع المرأة من العمل فى سبيل القوت. ولكن معناه أن الأصل هو: أن يسعى الرجل سعيا حثيثا. متصلا. لتدبير معاشه. ومعاش أسرته.

أو كما يقول الزمخشرى ما معناه: (إن العمل معصوب برأس الرجل).

وإذا تبدو الأم على الشاشة هكذا عاملة آملة.. فإنها تمارس دورها فى التربية بالقدوة.. لا بالكلام.. وسوف تخرج ابنتها من بين يديها مثلها.. ربة بيت ناجحة:

إنه إذا كانت القاعدة تقول: والأذن تعشق قبل العين أحيانا.. فإن الأمر فى الطفولة يختلف: فالطفل يسمع بعينيه.. قبل أن يسمع بأذنيه!

موقف أهل الزوجة

تقول أسماء ـ رضى الله عنها ـ (حتى أرسل إليّ أبوبكر بخادم تكفينى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى!)

إن مشكلة المشكلات اليوم.. راجعة إلى شكوى الزوجة إلى أهلها من إرهاق العمل.. وتكليفها بما لا يطاق.. وبدل أن يدلى الأهل بدلوهم.. ينحازون للبنت انحيازا، يتجاوزون به الاختلاف.. إلى القطيعة.

ولكن أبابكر ـ رضى الله عنه ـ يتطوع فيتبرع بخادم لا تكفى ابنته فقط سياسة الفرس.. وإنما يكف بها بأس الشيطان الذى ينتهزها فرصة مواتية لينزغ بين الفريقين!!

---

(٥) مسلم بشرح النووى/ ٦٠٥ – ٧-٥.

(٦) طه (١١٧).

مـــن دروس التربيـــــة

ولاحظ من دروس التربية هنا أمرين:

ان أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ يرسل خـادمـا «أنثى» وليس غلاما!

وقد كانت هذه الإشارة البليغة كافية.. قبل أن يترخص ناس اليوم حين يختارونه غلاما.. ليحدث من الفساد ما تضج به أنهار الصحف! ثم هو لا يرسله مع الأثاث ليلة الزفاف.

وإنما يرسله بعد أن تتحرس «أسماء» بالكفاح.. وتعايش مجموعة من القيم تعدها للحياة الجادة بعيدا عن الدلال!! لتخرج العلاقة بعد ذلك من البوتقة ذهبا خالصا..

ولقد كانت تجربة «أسماء» صعبة حقا.. وذلك ما يشير إليه قولها: «فكأنما أعتقنى»!

ومع ذلك فلم يتوقف نشاطها داخل البيت!

وتظل «أسماء» ـ رضى الله عنها ـ رمزا للمرأة العاملة.. البريئة من أمراض الملل والترهل.. بريئة من إشراف الطبيب عليها فور التأكد من الحمل كما يحدث اليوم.. وما يترتب عليه من ضغوط على ميزانية البيت!

وتبقى «البدوية» دائما: سليمة الجسم.. قادرة على تجاوز العقبات بما منحتها الحركة من بركة فى ذاتها.. وفى بيتها.

يقول أحد الباحثين: أنا لا أزال فى دهشة من أمر الأعرابيات فى حملهن وولادتهن.. إنها لفى شهرها التاسع وهى أشد ما تكون ثقلاً وعناء بجنينها، وهى من هذا أشد ما تكون إمعانا فى عملها أو ترحالها فى الصحارى والقفار، حتى إذا جاءها المخاض، تنحت عن الطريق قليلاً فولدت وقطعت حبل السره لوليدها بالحجر، ثم لفَّته وألقتْه على ظهرها وتابعت السير، كأن شيئا لم يحدث، ولا يعلم أحد ممَّنْ فى الركب من أمرها شيئا، ونساؤنا المدنيّات تُحشَد لولادتهن القابلة أو الطبيب، والمساعدة من ممرضة أو قريبة، وتُسعَف أثناء المخاض بكل ما وصل إليه الطب الحديث من وسائل التيسير وتخفيف الآلام، وتعقيم الأدوات والآلات والأربطة والعلاجات، فإذا ولدت ظلت فى فراشها فى البيت أو فى دار التوليد أياماً لا تغادر سريرها إلا لماما، وتظل بعد ذلك أياماً أخر لا تأتى من أعمال البيت إلا بأيسرها إلا لماما، وتظل بعد ذلك أياماً أُخر، لا تأتى من أعمال البيت إلا بأيسرها وأخفها.

والكل يشفقون عليها أن تنزعج أو ينزعج الوليد مدة نفاسها، خشية أن ينالها ما لا تحمد عقباه. فما السر فى هذا الفرق العجيب بين المدنيات والبدويات؟! أهو ترف الحضارة الذى يُضعف فى الجسم المقاومة؟ وخشونة البداوة التى تقوِّى فيه المناعة والقدرة على تحمل المشاق؟ فإن كان هذا هو سر الفرق بين الوالدتين، فما هو سر الفرق بين الوليدين بعد ولادتهما، مما يحتاجون معه إلى عناية الطبيب وسهر الأم أو الحاضنة؟

أما بعد: فقد كان هذا الموقف حجرا.. حجرا كريما.. نحاول أن نرمى به فى البحيرة الراكدة اليوم.. فلعل الغافلات أن يتنبهن.. وأن يعدن حساب الربح والخسارة فى حياتهن مقارنة بحياة البداوة وما تثمره من صحة النفس والجسم معاً!

وإذ يكتب الكتاب سيرتهم اليوم.. بالمداد.. وعلى الورق.. فإن قصة أسماء ـ رضى الله عنها ـ تكتب قصتها، وبعرق الجبين..

وسلام عليها فى الخالدين.

بحوث اجتماعية

الوسط في الميزان الخلقي لدى المسلم

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

إذا كانت الفضيلة وسطاً بين طرفين.. أحدهما الإفراط والآخر التفريط فإن الفاضل هو الذى يشكل المحور الثابت العنيد الذى لا يتلاشى على الإبعاد !!!

ولأن كل الدعوات صياح ضائع فى القفر ما لم تتخذ من الإنسان محوراً لها مستوعباً وناقلاً.. فقد انحنت جميعها فى تعاطف وثير على صياغة هذا الإنسان المؤهل لدوريه: الاستيعاب.. والنقل وكانت للقرآن العظيم فى هذا الصدد فلسفته الخاصة التى استطاع بها أن يصنع أنماطاً من البشر تستعصى على الذوبان والتفتيت وتصمد فى معارك التحدى إلى نهاية الشوط غير عابئة كثيراً بما يتناثر على جبينها من جراح.

ولقد كانت فلسفة القرآن فى صياغة الإنسان على هذا النحو قائمة على أساس وضعه فى المنتصف الإيجابى محوراً لكل شيء ونقطة ارتكاز لكل شيء وقاعدة انطلاق لكل شيء فهو على المستويات الخلقية والخلقية والسلوكية وسط قاصد منضبط بين التدلى غير القادر على النهوض والتحليق غير القابل لمعايشة الواقع الحياتى.

ومع وقوفنا العابر مع آيتين من آيات القرآن الكريم نتبين ملامح هذا المنهج القرآنى فى ائتلاق وروعة واقتدار.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾(١).

---

(١) الفرقان (٦٧، ٦٨).

فهنا حملة على الإسراف «وحملة مقابلة على التقتير» حتى إذا أمكن وضع الإنسان فى المنتصف العادل والعاقل. انطلق القرآن لتعزيز هذه الوضعية الرائعة بتخليص إنسانها من العبودية لما سوى الله.. وحياطة وجوده الذاتى ضد كل ما هو مدمر وقاتل.. كل ما هو متدل وجانح للهبوط.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾.

إن الإسراف المبدد لا يمكن أن يسفر عن شىء غير انهيار الخلفية الاقتصادية للفرد والمجموع مما يهدد المجتمع الإسلامى بالإفلاس والجدب، والإحباط العاجز عن كل محاولة للتصدى فى مجالات الصراع.. ومن هنا كانت رعاية الإسلام «للمال» رعاية حميمة وكانت حملته الضارية على كنزه وتأليهه أروع روعة وأهدى سبيلاً.. إن المال عصب هذه الأرض.. ولكنه ليس غايتها أبداً إنه وقود القاطرة التى تشق طريقها فى الزحام.. لكى تصل بالملايين إلى محطة الوصول التى عندها تشرق الشمس، ويقبِّل الصديق صديقه فى مودة واعتناق..

ولعل مقارنة سريعة بين الإسلام – كدعوة يجب أن تهيأ لها مجالات العمل فى بلد مهيض اقتصادياً وبلد ناهض من هذه الناحية، تؤكد لنا أن «المال» سلاح يجب أن يتوافر للدعوة حتى تتمكن معه من مزاولة دورها الحضارى، وإشعاعها الرسالى فالمسلم الذى لا يشغله البحث الكادح عن الرغيف يمكن أن يشغله البحث الكادح عن أرض جديدة يزرع فى رحابها إسلامه، وعن قلوب كافرة يطوّعها لإيمانه، وعن قوافل فارغة من الداخل يضىء غسقها المر، ويثرى جدبها العقيم، فإذا تخطينا إطار الفرد للدولة، وإطار الانتشار إلى إطار الدفع والذود عرفنا أن للمال دوره الخطير فى تصفية كل الجيوب المغيرة، والتصدى لسلاحها الفاتك بأسلحة أخرى أفتك

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٢).

إن القرآن الكريم بعد أن يلقى الضوء على ما أبدع الله فى الأرض من جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه يهتف فى أتباعه فاتحاً أحداق عيونهم على هذه الحقيقة:

﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٣)

والقرآن لا يعطل فينا حاسة البهجة، ولا يصادم فينا طبيعة الحب للحياة ولا يكره للإنسان أن يفتح للوجود ذراعين أرحب من الوجود ولكنه فقط يدعونا إلى لون من ألوان التعقل والالتزام:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٤).

والقرآن يحرص على البذل ويدفع إلى امتلاك ناصية الخير ولكنه يحذر من الإسراف والخرق هادفاً من وراء ذلك إلى تربية الجماهير المسلمة على خلق القصد فى كل شىء:

(٢) الأنفال (٦٠).
(٣) الأنعام (١٤١).
(٤) الأعراف (٣١).

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[٥].

وعلى هذا المنهج القرآنى الراشد فى تربية الأفراد والجماعات سلك النبى القائد ﷺ طريقه إلى صياغة الجموع من حوله فهو القائل فى تأكيد عميق: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[٦]. وهذا وهو القائل فى إصرار «اليد العليا خير من اليد السفلى»[٧].

هذا جانب من حملة القرآن على «السرف» المفضى إلى الإجداب فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر الذى أعلن فيه حملته القاسية على «التقتير» فى إطار هذه الآية:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

راعنا هذا الدمج فى موطن واحد بين النقيضين حتى لا يفرغ الإنسان من شىء قبل أن يهيأ للامتلاء بشىء آخر. إن «الإسراف» جريمة! نعم ولكن مقابله الذى هو «التقتير» جريمة أخرى وحتى لا ينزلق الفرد أو تنزلق الجموع من هاوية الإسراف إلى حضيض التقتير قرن القرآن هذه بتلك. ليقيم المسلم على صراط لا خرق فيها ولا شح وإنما قوام بين ذلك «وحملة القرآن على التقتير لا تنحصر فى دائرة الشح المادى وحده وإنما تنساح لتشمل التقتير فى البذل المادى والتقتير فى العطاء الفكرى والتقتير فى الثراء النفسى، لأن المقتر فى البذل المادى يصيب نفسه ويصيب المجموع من حوله بالضمور والانكماش، وبديهى أن موارد الدولة الإسلامية وكفايتها قائمة أساساً على «التعاون» المفضى إلى القوة وعلى بذل «ما فرض» من الزكاة، وغير الزكاة، فإذا وجدت العناصر المقترة التى منها يتكون الكل فى إطار الدولة كانت نتيجة ذلك اهتزاز العلائق فى المجتمع، واضطراب الموازين فى الدولة وغياب الأساس الصامد الذى ينهض عليه البناء، مما يوحى بانهيار مرتقب لا تقف بوائقه عند حد.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[٨].

ولأن المقتر فى بذل «العطاء الفكرى» يشكل قوة جذب شريرة إلى الوراء وحاجزاً على طريق التقدم يعيق عن المضى والانطلاق، لقد نبه القرآن إلى خطورته وضراوة مسلكه ولفت إليه فى إعجاز معجز عاقداً بين تقتيره وتقتير الباخل بماله ما يشبه الصلة الحميمة فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[٩].

---

(٥) الإسراء (٢٦، ٢٧).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه أحمد والطبرانى.

(٨) التوبة (٣٤، ٣٥).

(٩) الإسراء (١٠٠).

إن التعبير القرآنى العظيم «بخزائن رحمة ربى» يغطى الجانب المادى والجانب الفكرى على السواء لأن هذين الجانبين ينضويان بالضرورة تحت مفهوم «الرحمة» التى عناها القرآن الكريم..

ولأن المقتر فى بذل «الثراء النفسى» هو الآخر يهدم ما بناه الله فيه من استعداد طبيعى لحب الأغيار، والتلاحم المصيرى بالآخرين فقد ألمح إليه القرآن فى أكثر من موضع:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١٠)

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾(١١).

والرسول ﷺ يعطى الموقف وضوحاً رائعاً فى حديثه مع الأعرابى الذى وجده يدعو ربه قائلاً: اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً.. فقال له النبى ﷺ: «لقد حجرت واسعاً يا أعرابى»(١٢). إن هذا الإحياء لمناطق حب الآخرين داخل النفس كان منهج القرآن ورسوله العظيم.. مما يوحى بأن لزوجة النفس المقترة فى شتى مجالات هذا التقتير شىء يرفضه الإسلام وتأباه طبيعة المسلم!!!

لأن المسلم كما أراده الله عاقلاً لا يركب غوارب التبديد والسرف وسمحاً لا يتردى فى كهوف التبلد والإقتار.. وكان بين ذلك قواماً!!!

ويبدو التلاحم العنصرى بين الآيات القرآنية المعجزة فى انتقالها الفورى إلى الآية التالية:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

إن قضية المال التى أثارها القرآن الكريم فى الآية السابقة توحى من حشد ما توحى بأن بعضاً من الناس قد يؤلهون «المال» فهو يحرضهم على التحليق فوق غباء هذا المنطق وإلى تمحيض العبودية لله بدءاً وختاماً فإذا فعلوا ذلك كان آحاداً فى قوافل أولئك الراشدين الذين يرتفعون بأنفسهم إلى قمة الحق وهذا منضو تحت قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾.

وفوق ما تسوقه الآية بصدد «القصاص» فى النفس

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

تشع كلماتها الإلهية معانى أخرى، فليس القتل فقط أن يعتدى إنسان على آخر، وإنما هو كذلك اعتداء الإنسان على نفسه باليأس القانط المتشائم، أو بالجريمة الخانقة المدمرة، أو بالجهل المغلق الهابط أو بالعزلة المريضة الصفراء أو بالكراهية للحياة وللأحياء على السواء.

وجميل أن يجىء التعبير القرآنى فى قوله:

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴾ بعد القتل مباشرة أليس الزنا قتلاً هو الآخر؟ أليس يقتل عفاف الحرة المسلمة؟ أليس يذبح شرف الزوج الغائب ربما فى صراع مع الحياة من أجلها.. ومن أجل أطفاله الأبرياء؟ أليس يخنق نبض الإنسانية فى علاقاتنا بالنوع؟ أليس تمهيداً لخلق مجتمع لقيط تتفتح فيه أحداق الطفولة اللا شرعية على نوازع التدلى وهواتف الهبوط؟ هذه محظورات ينبه إليها القرآن:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾!!

---

(١٠) التغابن (١٦).

(١١) آل عمران (١٨٠).

(١٢) رواه البخارى.

أمثلة من النقد العلمى

إنصاف محدث كبير

ابن شهاب الزهرى

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى(*)

مما أذكره عن أستاذى الجليل الدكتور أحمد الشرباصى الأستاذ بكلية اللغة العربية، والعالم الشهير بفضله وكثرة نتاجه العلمى أنه كان يتحدث لنا فى بعض محاضرات الكلية عن السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، وهو الذى اختاره الدكتور الشرباصى مجالاً لبحثه فى رسالة الدكتوراة، فأحاط إحاطة تامة بآثارة الأدبية والعلمية، وقد قال الشرباصى ـ رحمه الله ـ إن أغرب ما رآه من صنيع بعض الباحثين أن ينقل من تفسير المنار أقوالا لا ينسبها للسيد محمد رشيد رضا مع أن صاحب المنار ذكرها ليرد على خطئها، وبين ما فيها من العوار، فكان يتعجب كثيراً لهذا التسرع الذى لا يليق من باحث علمى تفترض فيه الدقة والنهل، إذ أن من الخطورة العلمية أن نحمل على الرجل قولاً لا يرتئيه.

ثم استطرد الدكتور الشرباصى فقال: إن شيئا من ذلك وقع للأستاذ الجليل الدكتور على حسن عبدالقادر المؤلف الشهير والبحاثة المعروف، حيث كان يلقى بعض دروسه فى كلية أصول الدين على الطلاب فنقل أقوالاً للمستشرق المجرى جولد زيهر تسىء إلى العالم الفقيه محمد شهاب الزهرى، ورد عليها بالمنطق الفحم، ولكنه فوجىء بعد أيام

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر.

بمن يعزو آراء المستشرق إلى الدكتور حسن عبدالقادر ويبالغ فى نقده.

ثم قال الدكتور الشرباصى: فكتبت فى أوائل الأربعينيات كلمة بمجلة الرسالة للدكتور حسن عبدالقادر استوضحه الرأى فيما نسب إليه فسارع بالرد الشافى معلنا أنه كان يرد على المستشرق وأن الذى ينقل عنه غير أمين.

الدكتور/ أحمد الشرباصى

الشيخ/ محمد رشيد رضا

كان هذا منذ سنوات تزيد على ربع قرن. ثم قرأت منذ شهر بمجلة تصدر فى بعض الدول العربية حديثاً عن محمد بن شهاب الزهرى ـ رضى الله عنه ـ يزعم فيه كاتبه أن الأستاذ الدكتور على حسن عبدالقادر أكد ما ينسب إلى ابن شهاب من زور وبذلك جعل التهمة ملصقة بابن شهاب والدكتور على حسن عبدالقادر معا. وقد قال أنه أحد تلاميذ الدكتور حسن عبدالقادر بالقاهرة.

هنا تذكرت ما قاله أستاذى الجليل أحمد الشرباصى، وأخذت أبحث فى مجموعة الرسالة من أوائل الأربعينيات لأنصف الرجلين معا. وأنصف العالم والحجة ابن شهاب الزهرى والبحاثة الفاضل الدكتور حسن عبدالقادر وإذا كانت الأعمال بالنيات فقد وفقنى الله إلى العثور على خطاب الدكتور الشرباصى ثم رد الدكتور حسن عبدالقادر عليه فى عدد تال، وإنى أجتزىء ببعض ما فى السؤال والجواب ليعلم القارىء أن الحقيقة بنت البحث وأن من الظلم أن نقطع الكلام عن سياقه. وأن ننسب إلى العالم ما لم يقل، وفى ذلك دعوة إلى التؤدة فى البحث والتثبت من القول قبل أن تزل الأقدام.

من خطاب الدكتور الشرباصى

نشرت مجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٠ من يونيه سنة ١٩٤٠ خطابا للدكتور الشرباصى موجها إلى الدكتور على حسن عبدالقادر قال فيه:

سمعنا وقرأنا فى غير صحيفة أن الدكتور ألقى منذ حين على فريق من طلبة كلية أصول الدين درسا فى مصطلح الحديث فعرَّض من خلال هذا الدرس بالتابعى الجليل والمحدث الصادق الإمام ابن شهاب الزهرى ووصفه بالاختلاق والكذب على رسول الله ﷺ. وبأنه كان ممالئا للأمويين وبذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم ومن ذلك أن الزهرى لما رأى عبدالله ابن

الزبير يستقل بأمر الحجاز . وأن عبدالله ابن مروان يستولى على بيت المقدس ويرفع فى المسجد الأقصى قبة الصخرة ليصرف الحجيج إليه لما رأى الزهرى ذلك اخترع أحاديث شتى فى فضل بيت المقدس، ومن ذلك قوله على لسان رسول الله ﷺ : «لا تشد الرحال إلا إلى : المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»(١) .

قال الدكتور ذلك مع إجماع العلماء على أمانة الزهرى، وصدقه وورعه ومع أن التاريخ يروى أن عبدالملك بن مروان سأل الزهرى ذات يوم عن المعنى بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) .

فقال الزهرى : هو عبدالله بن أبى بن سلول . فقال عبدالملك : لا، بل هو على بن أبى طالب، فاشتاط الزهرى غيظا، وقال له : لا أبا لك : أعلىّ تفترى أم على الله؟

ونحن نرجو أن يتفضل الدكتور بكلمة توضيح فى هذا الموضوع .

رد الدكتور على حسن عبدالقادر

وفى العدد التالى من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ ١٧ من يونيه سنة ١٩٤٠ كتب الدكتور على حسن عبدالقادر رداً قال فيه :

«إنى كنت فى محاضراتى عن تاريخ علم الحديث أُعنى بتعريف الطلاب طريقة البحث الحديث فى نقد الأحاديث، وأضرب لهم فى ذلك الأمثال، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين وهو جولد زيهر للإمام الزهرى وأحاديثه التى رواها فى فضل الشام وبيت المقدس وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهرى كانت له صلات وروابط بالبيت الأموى، وأن عبدالملك بن مروان كان قد منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير فبنى عبدالملك الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ثم أراد أن يبرز عمله هذا فوجد فى الزهرى ومقامه معروف آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور «لا تشد الرحال إلا لمسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» .

هذا رأى المستشرق - لا رأى الدكتور عبدالقادر - الذى يقول، ولكن المستشرقين أنفسهم قد فندوا هذا الرأى الخاطىء بشدة، وأعلنوا أن فيه مخالفة واضحة لحقائق التاريخ، فقد قال المستشرق فينسنك فى ذلك وزعم بعضهم - يعنى جولد زيهر - وضع حديث لا تشد الرحال وهو حديث مذكور فى جميع كتب السنة المعتبرة، وذلك لكى يحل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة، ولكى يحمى الخليفة عبدالملك فى حربه ضد ابن الزبير الثائر عليه بالبلاد المقدسة، ولكن هذا الاتهام لمثل هذا المحدث

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٢/٦٦.

(٢) النور (١١).

الكبير تسقطه الأدلة التاريخية فإن خروج ابن الزبير كان فى مسنة لا تسمح للزهرى بأن يكون مفتيا لأنه كان شابا لا أهمية له، ولم يكن قد بلغ شهرته فى الحديث، وكان سعيد ابن المسيب الذى روى عنه الحديث لا يزال حيا، وبالطبع لا يمكن أن يسمح سعيد بأن يستعمل استعمالا سيئا، خصوصا إذا علمنا أن الزهرى لم يكن وحده هو الذى روى الحديث عن سعيد.

ثم يقول الدكتور على عبدالقادر، فهل ترانى بعد هذا أشك فى ثقة الإمام الزهرى بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء. وتضافرت على إمامته الأبحاث القديمة والحديثة. أم ترى أن ما نقل عنى قد حرف تحريفا أبرأ إلى الله منه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾(٣)

هذا، وقد أشار الدكتور الشرباصى كما أشار الدكتور على حسن عبدالقادر إلى أن الإمام الزهرى ثقة قد وثقه السابقون واللاحقون من أئمة الحديث، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أنقل عن بعض هؤلاء ما قالوه فى حق هذا الإمام الجليل، وهى نقول مشتهرة أحسن الأستاذ ناجى الطنطاوى العالم التقى جمعها فى بحث له مستفيض عن الإمام الزهرى ومما كتبه تحت عنوان (منزلته بين العلماء).

نقول عن الزهرى

١- يقول الليث بن سعد قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة فذكر سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبدالله بن مسعود، ثم قال: وأعلمهم عندى جميعا ابن شهاب الزهرى لأنه جمع علمهم إلى علمه.

٢- وقال أيوب المصرى أحد أئمة الحديث: ما رأيت أحداً أعلم من الزهرى فقال له صخر ابن حدير، ولا الحسن (يريد الحسن البصرى) فقال: ولا الحسن.

٣- وقال سعيد بن عبدالرحمن بن حنبل: لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن.

٤- وقال الإمام مالك: بقى ابن شهاب، وماله فى الناس نظير، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها.

وتلمذة الإمام مالك لابن شهاب الزهرى ذائعة مشتهرة وقد تحدث عنها الأستاذ «أمين الخولى» فى الجزء الأول من كتابه (مالك بن أنس ترجمة محررة) وقال عنه ناسبا القول إلى مالك:

لما قدم ابن شهاب إلى المدينة كنا نزدحم على درج سلم بابه، وكان لبابه عتبة حسنة، فكان مالك وزملاؤه يتدافعون على العتبة حتى يسقط بعضهم على بعض، وقد جاء يوم

(٣) الحجرات (٦).

العيد، فقلت فى نفسى هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب لنفسه، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته من بالباب؟ فقالت مولاك الأشقر مالك. قال أدخليه. فدخلت. فقال: ما أراك انصرفت إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئاً؟ قلت: لا. قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لى فيه، قال: فماذا تريد؟ تحدثنى. فجعل يحدثنى.

كرمه وسخاؤه

قال الإمام (كان الزهرى من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال (يريد أنه أنفقها على الفقراء) قال له مولى له يعظه، وقد رأيت ما مر بك من الضيق والشدة. فانظر لنفسك، وأمسك عليك مالك فقال له ويحك: الكريم لا يخضع للتجارب.

وقد نزل يوما على ماء ليستقى. فقال له أهل هذا الماء: إن لدينا ثمانى عشرة امرأة عجوز ليس لهن خادم، ولم يكن مع الزهرى شيء من المال فاقترض ثمانية عشر ألفا من الدراهم، وأعطى لكل امرأة ألفا لتشترى به من تخدمها وتستعين على معاشها. فقيل له: إن الناس يعيبون عليك كثرة الدين، فقال: وكم دينى؟ فقيل عشرون ألفا؟ فقال عندى أكثر من ذلك. ولا يرثنى إلا أخى!

بحوث جولد زيهر

أحسن الظن بمؤلفات جولد زيهر نفر من أساتذة الأزهر الشريف، فقاموا بترجمة كتابى «العقيدة والشريعة»، و«مذاهب التفسير الإسلامى» ومن هؤلاء من لا يجهل مكانهم العلمى، وغيرتهم الحماسية على الإسلام مثل الدكاترة: محمد يوسف موسى، وعبدالحليم النجار، وعلى حسن عبدالقادر، وعبدالعزيز عبدالحق، وقد اعترفوا بما يتضمن من أخطاء صارخة مبعثها الغرض، وحاولوا الرد على بعضها فى هوامش الصفحات، وأنا أرى أن الأمر كان يستدعى الرد على جميع الشبهات لا على بعضها، ليسلم القارىء غير المثقف من مكايد المؤلف الداهية، ولا أجدنى موافقا للأستاذ الدكتور عبدالحليم النجار حين قال فى مقدمة ترجمته لكتاب مذاهب التفسير الإسلامى.

لا يحط من قيمة الكتاب اشتماله على قليل من النزعات التى لا يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يمليها عليهم إلف ملازم، أو قصد جائر، ولو اعتمدنا ذلك سببا فى إطراح هذه الكتب وإهمالها لفاتنا خير كثير.

وقد كان جدير بنا أن ننبه على ذلك لولا العزوف عن الإطالة ولولا أن أعجلنى انتدابى

لتدريس التفسير والحديث بكلية الآداب ببغداد.

فهذا القول يحمل أدلة نقضه، لأن السكوت عن رد المفتريات يؤكدها لدى العامة وبعض الخاصة وإذا لم تتح المدة للمترجم أن يقوم بذلك فعليه أن يوكل من زملائه من يشاركه العمل. وتأتى الهوامش حافلة بالردود.

ومن الحسن أن نذكر أن المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالفتاح القاضى قد وضع مؤلفا ينقد ما جاء بكتاب التفسير من المفتريات كما أن الأستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالى قد وضع كتابا قيما فى نقض ما جاء بكتاب العقيدة والشريعة فألفت لهما الأنظار.

ختـــام

وأختم مقالى بما قاله الإمام محمد زاهد الكوثرى عن مؤلفات جولد زيهر منقولا عن المقدمة الحافلة التى كتبها الشيخ محمد الغزالى فى صدر كتابه.

قال الإمام الكوثرى:

ومن أخطر هذا الفريق المموه «جولد زيهر» المجرى الدم، اليهودى النحلة العريق فى عداء الإسلام الماضى فى هذا السبيل طول حياته.

الشيخ/ محمد الغزالى

وهو من رجال أوائل القرن الميلادى الحاضر[٤]، وله دراسات فى القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وكتب المتكلمين، ولكنه محتال ماهر فى توليد ما يشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا فى تحميلها مالا تحتمل من المعانى عند أهل البصيرة، ومتجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر فى الثقة والتعويل.

لكن ترجمة تلك الكتب بمعرفة بعض الأزهريين من غير عدة كافية، ونشرها بدون ردود وافية، وعرض شكوك أولئك المتشككين من أعداء الإسلام لأنظار أهل الضاد تكون نيابة عن هؤلاء الفاتنين، وهذا ما لا يرضاه الأزهر معقل الإسلام الأوحد فيما نرى.

هذه كلمة تنصف الحق قبل أن تنصف المفترى عليهم من شيوخ الإسلام الثقات.

***

(٤) يقصد القرن العشرين.

اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)

هل قال ابن رشد بحقيقتين: دينية.. وفلسفية؟

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فى مارس سنة ١٢٧٧م أصدر أسقف باريس «اتين نامبيه» مرسوما كنسيا حرم فيه عددا من القضايا الفكرية لتيار «الرشديين اللاتينيين»، منها «قولهم بحقيقتين مختلفتين، وفى ذات الوقت صادقتين، إحداهما دينية إيمانية، والأخرى فلسفية عقلية».

وكان القول «بالحقيقتين»، وليس «بوحدة الحق والحقيقة»، هو التعبير عن منهاج الفلسفة الوضعية الغربية من الدين، وعلاقته بالعلم.. فهذه الفلسفة الوضعية ترى أن المعارف الدينية «قلبية وجدانية»، لها دورها النفعى بالنسبة للعامة من الناس، الذين لا تضبطهم الفلسفات العقلية.. بينما المعارف العلمية عقلية برهانية، تخضع للفحص والاختبار اللذين لا تحتملهما المعارف الدينية القلبية الوجدانية، وأن من النافع وجود حقيقتين، متجاورتين، تجاور الغرفتين المستقلتين، لكل منهما نظامها ومعاييرها وجمهورها.. فالحقيقة الدينية اللاعقلية واللاعلمية صادقة بالنسبة لجمهورها، والحقيقة العقلية الفلسفية صادقة، أو هى وحدها الصادقة، بالنسبة للخاصة المدركة لها.

تلك هى الفلسفة الوضعية الغربية، فى الحقيقتين، التى بشر بها «الرشديون اللاتين» فى مواجهة احتكار اللاهوت الكنسى لحقائق عالم الشهادة وعالم الغيب جميعا.. وهذا القول بالحقيقتين هو الذى ورد النص عليه فى مراسيم التحريم الكنسية لفكر «الرشديين اللاتين».

(١) (مدخل إلى التنوير) ص١٣٨.

لكن الزعم بأن ابن رشد هو القائل بثنائية الحقيقة، لا بوحدة الحق[1] .. هو الادعاء الذى تنقضه وتفنده إبداعات فكر هذا الفيلسوف العظيم.. فالتأويل عند ابن رشد - كما سبق وأوردنا نصوصه فيه - هو سبيل إلى وحدة الحقيقة، وليس إلى تعددها، لأنه موقف من تعدد طرق ومستويات الناس فى التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس سبيلا لإثبات ثنائية الحق والحقيقة.. وله فى ذلك عشرات النصوص التى لا لبس فيها ولا غموض.

● فهو يؤكد على وحدة الحقيقة، فى الذات الإلهية..وفى الشريعة الإلهية وفى المخلوقات كلها.. مع تعدد وتنوع طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، تبعا لتعدد جبلات وطبائع الناس - جمهورا.. وحكماء.. ومتوسطين بينهما - فيقول: «إنا نعتقد معشر المسلمين، أن شريعتنا هذه الإلهية حق، وأنها التى نبهت على هذه السعادة، ودعت إليها، التى هى المعرفة بالله - عز وجل - وبمخلوقاته، فإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق، وذلك أن طباع الناس متفاضلة فى التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية. وشريعتنا قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث.. ولذلك خُصّ عليه الصلاة والسلام بالبعث إلى الأحمر والأسود، أعنى بتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله - تعالى - وذلك صريح فى قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3]،[4].

فالحق واحد.. والتعدد هو فى طرق التصديق بهذا الحق الواحد.

● ولأن الحق واحد فى ذاته، والمعانى واحدة فى نفسها، ضربت للجمهور مثالات ليدرك هذا الحق الواحد وهذه المعانى الواحدة، دون تعدد للحق أو المعنى.. فالمثالات سبل لإدراك الحقيقة الواحدة، التى يدركها البرهانيون دون مثالات.. «وأنت إذا تأملت الشرع وجدته، مع أنه ضرب للجمهور فى هذه المعانى المثالات التى لم يمكن تصورهم إياها دونها، قد نبه العلماء على تلك المعانى أنفسها التى ضرب مثالاتها..»[5]

فالمعانى واحدة، والحق واحد، والمثالات طرق وسبل للتصديق بالمعانى نفسها، التى يدركها الراسخون فى العلم ويصدقون بها ذاتها دون مثالات.

● والتمايز بين الناس - حكماء - وجمهورا.. ومتوسطين بينهما - ليس فى تمايز الحقائق والمعانى التى يدركها فريق عن الآخر.. وإنما هو فى «القدر والنصيب» الذى يستطيع إدراكه كل فريق من ذات الحقيقة الواحدة.. «فالطريقة بالشرعية التى دعا الشرع منها جميع الناس، على اختلاف فطرهم، إلى الإقرار بوجود البارى - سبحانه - والتى نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدتها الصحابة.. تنحصر فى جنسين: دليل العناية، ودليل الاختراع.. ولقد تبين أن هاتين الطريقتين

---

(٢) المرجع السابق. ص ١٣٥، ١٣٨، ١٥٠، ١٥١.

(٤) (فصل المقال) ص٣٠، ٣١.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٥) (مناهج الأدلة) ص١٩١.

هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعنى بالخواص العلماء، وطريقة الجمهور. وإنما الاختلاف بين المعرفتين فى التفصيل، أعنى أن الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان، أعنى من العناية والاختراع، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الذى أدرك العلماء من معرفة أعضاء الإنسان والحيوان هو قريب من كذا وكذا آلاف منفعة. والعلماء ليس يفضلون الجمهور فى هذين الاستدلالين من قبل الكثرة فقط، بل ومن قبل التعمق فى معرفة الشىء الواحد نفسه. فإن مثال الجمهور فى النظر إلى الموجودات مثالهم فى النظر إلى المصنوعات التى ليس عندهم علم بصنعتها، فإنهم إنما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط، وأن لها صانعا موجودا. ومثال العلماء فى ذلك مثال من نظر إلى المصنوعات التى عندهم علم ببعض صنعتها وبوجه الحكمة فيها.

أما مثال الدهرية فى هذا، الذين جحدوا الصانع سبحانه، فمثال من أحس مصنوعات فلم يعترف أنها مصنوعات، بل ينسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذى يحدث من ذاته »(٦).

فالحقيقة فى طرق معرفة الذات الإلهية واحدة بالنسبة للجميع، جمهورا وعلماء، والتفاوت هو فى تفاصيل معارف كل فريق من الحقيقة الواحدة – دليلى العناية والاختراع.. كما أن حقيقة أعضاء جسم الإنسان والحيوان واحدة، والتفاضل بين مستويات العارفين بها هو فى كثرة أو قلة ما يدرك كل فريق من هذه الحقيقة الواحدة.. ففى الكثرة، والتعمق يكون التفاوت والتمايز لدى الفرقاء «فى معرفة الشىء الواحد نفسه» – بعبارة أبى الوليد.. القاطعة بوحدة الحقيقة مع تفاوت طرق إدراكها، والنسب المدركة منها، وعمق الإدراك لها.

● وابن رشد عندما مايز فى تآليفه بين الكتب التى توجه بها إلى الجمهور – مثل ـ «مناهج الأدلة» ـ والتى وجهها إلى الحكماء – مثل «فصل المقال» – لم يصنع ذلك لتعدد الحقيقة واختلافها باختلاف المخاطبين بهذه الكتب – كما فهم الكثيرون من عباراته.. وإنما أراد ـ «فى مناهج الآلة» – مخاطبة الجمهور المعتقد ـ خطأ ـ مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهذا الجمهور أصول الشريعة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الحكمة.. كما أراد ـ فى «فصل المقال» ـ مخاطبة المنتسبين إلى الحكمة، المعتقدين – خطأ – مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهم أصول الحكمة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الشريعة.. فاختصاص كل كتاب بالتوجه إلى فريق من الفرقاء، والبدء معه بعرض الأصول التى ينحاز إليها، نابع من تحيز كل فريق – أحدهما لأصول الشريعة، والثانى لأصول الحكمة – مع توهم التعارض بينهما – وذلك وصولا، بالفريقين، كل من نقطة انحيازه، إلى إثبات الحقيقة الواحدة، وهى تآخى الحكمة والشريعة دائما وأبدا.

وفى نص حاسم لهذه المسألة التى لعبت دورا كبيرا فى شيوع قول ابن رشد بتعدد الحقيقة

(٦) المصدر السابق. ص.١٥٠، ١٥٣، ١٥٤.

باختلاف الجمهور، وتميز الكتب التى يخاطب بها كل فريق.. يقول ابن رشد: «فالصواب أن تعلم الفرقة من الجمهور التى ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة، أنها ليست مخالفة لها. وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها، من الذين ينتسبون للحكمة، أنها ليست مخالفة لها وذلك بأن يُعَرَّف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة، أعنى لا على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة، وأن الرأى فى الشريعة الذى اعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأى إما مبتدع فى الشريعة لا من أصلها، وإما رأى خطأ فى الحكمة، أعنى تأويل خطأ عليها.. ولهذا المعنى اضطررنا، نحن، فى هذا الكتاب - «مناهج الأدلة» - أن نُعَرِّف أصول الشريعة، فإن أصولها إذا تُؤْملت وجدت أشد مطابقة للحكمة مما أوّل فيها. وكذلك الرأى الذى ظُن فى الحكمة أنه مخالف للشريعة يعرف أن السبب فى ذلك أنه لم يحط علما بالحكمة ولا بالشريعة. ولذلك اضطررنا نحن أيضا، إلى وضع قول، أعنى «فصل المقال فى موافقة الحكمة للشريعة»[7].

فمعنى أن كتاب «مناهج الأدلة» موجه إلى الجمهور، هو أنه رد على شبهات الجمهور المعتقد مخالفة الشريعة للحكمة، بعرض أصول الشريعة، ليثبت أنها لا تخالف الحكمة.. ومعنى أن كتاب «فصل المقال» موجه إلى المنتسبين إلى الحكمة، أنه رد على شبهاتهم التى حسبوا بسببها مخالفة الحكمة للشريعة، وذلك بعرض أصول الحكمة، وإثبات أنها غير مخالفة للشريعة.

والحقيقة واحدة.. والحق لا يتعدد، فى كل الحالات، وعلى اختلاف أصناف فطَر المخاطبين.

●●●

● فالقصد من «التأويل» عند ابن رشد، هو «الجمع بين المعقول والمنقول»[8] لأن الحقيقة فى المعقول والمنقول واحدة.

● «والسبب فى ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطَر الناس وتباين قرائحهم فى التصديق، والسبب فى ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين فى العلم على التأويل والجامع بينها»[9].. فالظاهر والباطن لاختلاف الفطَر فى طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس لتعدد الحقيقة، والتأويل جامع بين الفطَر وليس معددا للحقيقة.

● و«إن مبادىء الشريعة.. مثل الإقرار بالله، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروى، تفضى جميع أصناف طرق الدلائل - الخطابية، والجدلية، والبرهانية - إلى معرفتها، فتكون ممكنة للجميع[10].

● «ولا يجوز التأويل فى مبادىء الشريعة - «لأن التأويل هو عمل العقل فى الانتقال بدلالة اللفظ من الحقيقة إلى المجاز - وفق قوانينه» وهذه «المبادىء أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية.. وواجب كل إنسان أن يسلم بها ويقلد فيها» -

---

(٧) المصدر السابق. ص١٨٤، ١٨٥.

(٨) (فصل المقال) ص٣٢.

(٩) المصدر السابق. ص٣٣، ٣٤.

(١٠) المصدر السابق. ص٤٥. ٤٦.

فحقائقـهـا لا تتـعـدد، لإدراكـهـا بجـمـيع أصناف طرق الـدلائل.. ولعـجـز العـقـول عن أن تدرك «كيفية وجودها، لأن هذا الوجود أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية» لا تستطيع أن تدرك فيه غـيـر مـا يدركـه الجـمـيع «بأصناف طرق الدلائل»(١١).

تلك هى حقيقة «الرشدية الإسلامية»، التى عـبّرت عنهـا إبداعـات فكـر ابن رشـد، إذا نحن قـارناها «بالرشـدية اللاتينيـة»، التى أُلصـقت مقولاتها، زورا وبهتانا، بفيلسوفنا الإسلامى إبان الصراع الذى خاضـتـه الكنيسـة الأوروبية ضـد «الرشديين اللاتين».

وإذا كان التزوير، الذى استظل باسم ابن رشـد ـ فى القرن الثالث عشر الميلادى ـ لينسب إليه نقيض فلسفته، إنما يعد «اغتيالا لإسلامية فيلسوفنا».. فإن هذا التزوير يعود اليوم على يد دعاة التنوير ـ الوضعى والمادى الغربى ـ محاولا «اغتيال إسلامية فلسفة ابن رشد» مرة أخرى، وذلك عندما يزعمون أن «الرشـدية اللاتينيـة» هى حـقـيـقـة فلسـفـة ابن رشـد، وأنه هو المؤسس للتنوير الوضـعى العلمـانى اللادينى، الذى تبلور فى الغرب بالقـرنين السـابع عـشر والثامن عـشـر.. فـهـم يتوسلون «بالتـزوير» لنبتلع طعم «التنوير الغربى»، الذى يريدون إحلاله محل الخيار الإسلامى فى التقدم والنهوض!..

●●●

وإذا كـانت هذه الصفحـات قد أبرزت تناقض «الرشـدية الإسـلامـيـة» مع مـقـولات «الرشـدية اللاتينيـة»، فلعل فى الإشارة إلى معـالم مـقـولات التنوير الغربى الوضعى والمادى ـ التى استخلصناها من كتابات فلاسفته ـ كما عرضـها دعاته ـ ما يشـهـد على زيف دعواهـم تأسيس ابن رشـد لهـذا التنوير.

إن من أبرز مقالات التنوير الغربى:

١ـ «إن الإنسـان حيوان طبيعى ـ اجتمـاعى، فهو جزء من الطبيعة، وهى التى تزوده، فهو أقرب إلى الحـيـوان، منه إلى الله ـ فليس خليـفـة لله، خلقه، وكرّمه بأن نفخ فيه من روحه، وفضّله على سـائر المخلوقـات وسـعـادة هذا الإنسـان دنيـوية مـحـضـة، يجـدها فى العـاطفـة والشـهـوة وحدهما»..

٢ـ «وحصـر الاهتـمـامات الإنسـانية بقضـايا العـالم الراهنة، والطبيـعـية المحسوسـة، لا العـالم الآخر، أو ما وراء الطبيعة»..

٣ـ «والوقـــوف، فى الديـن، عند «الـدين الطبيعى»، الذى هو إفراز بشرى من صنع العقل، لا «الدين السماوى»، المتجاوز للطبيعة.. واعتبار الشعور الدينى مزيجا من الخوف الخرافى والرغبة فى تغيير ظروف مؤلمة»..

٤ـ «وتحرير العقل من سلطان الدين، وإعمـال العـقـل دون مـعونة من الآخرين، وجعـل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده».

٥ـ «وإحلال العلم محل الميتـافزيقا.. وعدم تجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة «النقلية» و«الوجدانية».

(١١) (تهافت التهافت) ص١٢٤، ١٢٥.

٦- «واعتبار الفكر وظيفة الدماغ.. فالدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء. وليس هناك نفس فى الإنسان».

٧- «وإثارة الشكوك فى مشروعية المطلق، فالإنسان هو مقياس المطلق».

٨- «واستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية.. وحصر علاقتها بالسعادة واللذة، لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية.. مع جعل الأولوية للإحساسات الفزيقية على المفاهيم الأخلاقية والعقلية فالأخلاق من صنعنا ومن ثمرات خبراتنا، وهى مستندة إلى الحالة الفزيقية»..

٩- «وإحلال الاجتماعية» محل «الدينية» سبيلا لتحقيق السعادة الدنيوية - بالعاطفة والشهوة - فالطبيعة هى التى أوجدت الإنسان، والمجتمع هو المسئول عن سعادته».

١٠- «ورد القوانين إلى أصول فزيقية وتاريخية.. وتحرير التاريخ من السنن الإلهية، وتفسيره بمفاهيم طبيعية، أو مفاهيم خلقية نابعة من الطبيعة الإنسانية» [١٢].

●●●

تلك هى «الوصايا العشر» للتنوير الغربى، الوضعى العلمانى.. كما صاغها فلاسفته، وعرضها دعاته الذين يجددون اليوم محاولات أسلافهم «اغتيال إسلامية الفلسفة الرشدية»، ليتسللوا بهذا «التنوير - اللادينى» إلى عقول الأمة المسلمة، تحت ستار اسم الفيلسوف المسلم، والمتكلم، والفقيه، والقاضى، والطبيب أبى الوليد ابن رشد. [١٣]

فهل من علاقة حقيقية يدركها عقل نزيه، بين فكر أبى الوليد - الذى وفق بين الحكمة - وهى الإصابة فى غير النبوة - وبين الشريعة - التى هى الإصابة فى النبوة - انطلاقا من أن الله - سبحانه وتعالى - هو مصدر الكتاب والحكمة جميعا؟.. والذى فلسف علم الكلام الإسلامى، وبرهن بالنظر العقلى على صدق الإيمان الإسلامى؟.. كما فلسف - كفقيه مالكى - اختلاف اجتهادات الفقهاء المسلمين؟.. وقاضى القضاة، الذى عاش حياته يقضى بين الناس بشريعة الإسلام؟!..

هل من علاقة حقيقية، أو حتى متخيلة، يمكن أن تقوم بين فكر أبى الوليد وبين الخيار الحضارى الغربى المؤسس على التنوير الوضعى العلمانى؟!..

أم أن الموقع الفكرى لفيلسوف قرطبة، هو كما رآه بحق الإمام محمد عبده: «فيلسوف إلهى، ومذهبه مذهب إلهى، قاعدته العلم..»؟..

نأمل أن تكون هذه الصفحات قد حملت الإجابة الشافية والموضوعية عن هذا السؤال.. وأن تكون المكانة الفكرية - البارزة.. والراسخة - لابن رشد فى النسق الفكرى الإسلامى قد نفضت عنها غبار المتغربين وشبهات أصحاب الشبهات!..

---

(١٢) (مدخل إلى التنوير) ص٢٥ - ٧٠.

(١٣) المرجع السابق. ص١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١.

الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

لقد أقام الإسلام خير أمة اخرجت للناس على قواعد متينة وأنشأ الحضارة الإسلامية الكبرى على ركائز رصينة لا يكتفى فيها بجوانبها المادية والإنسانية، ولكن ربط حضارته بالله قيوم السموات والأرض وبتوجيهات رب العزة - سبحانه وتعالى - فى القرآن الكريم وبتوجيهات أطهر من مشى على الأرض سيدنا رسول الله ﷺ، ومن هنا فاقت هذه الحضارة الإسلامية الكبرى كل الحضارات وأخذت كل الدول التى كانت فى باكورة حياتها فى ثبات عميق تقتبس من حضارة الإسلام وتنقل عن طريق الترجمات والرحلات كل ما فيها فأضاءت حضارة الإسلام هذا العالم أجمع وكانت توجيهات رب العزة - سبحانه وتعالى - ألا يكتفى المسلمون بما هم عليه، بل عليهم أن يسابقوا الزمن وكان يحثهم على ما سيطلعهم عليه وما سيريه للعالم أجمع من أسرار هذا الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١).

وأولى آيات الوحى الإلهى دعوة للقراءة والعلم والمعرفة والحضارة:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(٢) وأشار القرآن إلى ما سيكون فى الغيب وأنهم سيعلمون نبأه بعد حين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾(٣) وسيرون ما فى هذا الكون من أسرار أودعها الخالق العظيم، وأمر أن تقوم تلك الحضارة على إعداد القوة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٤) فقامت

(١) فصلت (٥٣).
(٢) العلق (١).
(٣) ص (٨٨).
(٤) الأنفال (٦٠).

الحضارة الإسلامية على أسس علمية ومادية وإنسانية تتوثق فيها روابطها وركائزها بالله قيوم السموات والأرض، وفى كل مجالاتها لا تكون معتديه ولا يكون المسلمون معتدين أبدا:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾(٥)

ويحرم الإسلام - حتى فى الحروب - الاعتداء على من لم يحارب وعلى كبار السن والمرأة والأطفال وعلى المنشآت وعلى الزروع وإنسانية الحضارة الإسلامية وارتباطها بالله - سبحانه وتعالى - يجعلها كل يوم فى تقدم ويدخل فى الإسلام بسبب هذه المعانى الإنسانية مئات يعتنقون هذ الدين لأنهم رأوا رأى العين إلى أى مدى وصل الإسلام فى عظمته، أنه يحمى حق الإنسان فى الحياة وحرمة الإنسان:

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾(٦).

ويحمى حرمة الإنسان غير المسلم كما يحمى حرمة الإنسان المسلم بل إن رسول الله ﷺ عندما مرت أمامه جنازة وقف لحرمة الميت وقيل له: يارسول الله إنها جنازة رجل يهودى! قال: «أو ليست نفساً؟»(٧).

أنظروا إلى أى مدى كانت إنسانية الإسلام بل إنه لم يكتف بصيانة حرمة النفس المسلمة بل صان أيضاً حرمة النفس غير المسلمة ما دام صاحبها لم يحارب ولم يعتد:

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(٨)

ولم يكتف بالحفاظ على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة بل صان نفس الحيوان والطير:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾(٩).

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها)(١٠). يشير إلى هذه الآية:

﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾. وينبه كيف دخل رجل الجنة وغفر الله له لأنه سقى كلباً شربة ماء وكيف دخلت امرأة النار لأنها حبست هرة أفحضارة مثل هذه بما لها من معان ومبادئ تنهض عليها حضارة الإسلام على هذا النحو الذى يصون حرمة النفس المسلمة وغير المسلمة والطير والحيوان وكل ماله نفس وكل ذات كبد رطبة أفمثل هذه الحضارة ترمى بأنها تتراجع؟! أفمثل هذا الدين وهذه التعاليم، يُرمى بأنه دين إرهابى؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

إن رسول الله ﷺ، حين أسس خير أمة أخرجت للناس أسسها على الإيمان، والعدل، والحق، ونشر

---

(٥) البقرة (١٩٠).

(٦) النساء (٩٣).

(٧) رواه الخمسة ماعدا الترمذى.

(٨) الممتحنة (٨).

(٩) الأنعام (٣٨).

(١٠) أحمد ٥/٥٤ : ٥٦.

الفضيلة، ومحو الرذيلة، أسسها على السلام والأمان والتسامح بين الجميع أسسها على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى وحدة جامعة للأمة تجمعها ولا تفرقها أسسها على جوهر رسالته التى بعث بها والتى تتلخص فى كلمة واحدة : « هى الرحمة » التى خاطب بها رب العزة، ووضح أنه لم يرسل إلا ليكون رحمة للجميع للمسلم وغيره وللإنسان وغيره من سائر المخلوقات، فقال سبحانه :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[11] هذه هى حضارتنا وهذه هى تعاليم عقيدتنا التى دعت إلى التراحم بين البشر جميعاً وإلى صيانة حرمة النفس البشرية وصيانة كل ذى كبد رطبة، هذه تعاليم هذا الدين الحنيف الذى يحاول أعداؤه أن يرموه بالتناقض أو التراجع أو الإرهاب، والإسلام لا يقر الإرهاب أبداً، بل على العكس يدعو إلى حماية حق النفس الإنسانية ويدعو إلى حرمة النفس الإنسانية فإن بعض الأئمة يرى أن « قاتل النفس ليس له توبة » . مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :

"أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة »[12] . وهو لهذا يؤكد على حرمة النفس الإنسانية ويؤكد على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة، وما انتشر الإسلام بالسيف ولا بالإرهاب ولا بالعدوان ولكن انتشر بسماحته العظيمة وبمبادئه القويمة حتى إن رسول الله ﷺ كان يتعامل بهذه السماحة مع أعدائه ومع غير المسلمين وحتى إنه لما جاء زيد بن سعنه وطالبه بهذا الحق فى حدة وشدة وأخذ بمجامع ثيابه وقال على ملأ من أصحابه : إنكم يابنى عبد المطلب قوم مُطْل أى تُسوّفون فى الحقوق وراح عمر يريد أن يؤاخذ الرجل فنهاه الرسول ﷺ وقال له : « لا ياعمر أنا وهو أولى منك بغير ذلك تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء، لم يأت موعد حقه، ولكن قم وأعطه حقه الآن . فقام عمر ليعطيه حقه، فقال النبى ﷺ : « زد الرجل على حقه شيئاً » قال : لماذا يارسول الله؟ قال : « لأنك روعته وأفزعته » فلما راح ليزيد قال : أنت زيد بن سعفه؟ قال : ما الذى دفعك على ما قلت على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ وفعلت ما فعلت مما لا يليق بمقامه؟ قال : والله ياعمر لأصدقنك القول أنى رجل من أهل الكتاب وحبر قرأت الكتب القديمة وعرفت أوصاف آخر نبى يختم الله به الرسل وعرفت هذه الأوصاف فى محمد سوى وصفين كنت أبحث عنهما فما وجدتهما أن يسبق حلمه جهله وألا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً على حلم وقد أردت بما صنعت أمامكم من صنيع أن أختبره إن كان نبى آخر الزمان أم لا وقد وجدته حقاً ووجدت كل أوصاف النبوة الخاتمة فيه فأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله » . ودخل الرجل فى الإسلام، ما دخل الإسلام بإكراه ولا بعنف ولا بسيف ولا بقوة ولكن دخل الإسلام باقتناع بسماحة الإسلام وبحسن معاملة رسول الإسلام ﷺ، هذا هو ديننا الحنيف ياكل مجتمعات الأرض يا من ترمونه بأنه دموى أو إرهابى أو أن حضارته تتراجع كلا وألف كلاً فهو الدين العالمى الذى ختم به الله أديان السماء

(11) الأنبياء (107).

(12) الأحاديث الصحيحة رقم 689 .

وشرائعها واختار رسوله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج ليكون إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين، إعلاناً لعالمية الدين وإعلاناً للتعايش السلمى بين أتباع جميع الأديان على ظهر الأرض وهذا ما تدعو إليه شريعة السماء، إنها تدعو إلى السلام العالمى، وإلى التعايش السلمى، حتى لا تُقصف دول أو مدنيون تحت مسمى الإرهاب وحتى لا يُعتدى على دول عربية أو إسلامية أو مدنين تحت مسمى الثأر للإرهاب، فالجانى يأخذ عقوبته أما الذين لم يجنوا ولم يعتدوا فمن الظلم والعدوان أن يتهم دين أو أمة أو شعب والله - سبحانه وتعالى - رقيب وإن ربك بالمرصاد ولا يظننّ أحد أن قوته تحميه أو أنه يعصف بمقدرات دول أو شعوب كما يريد، فالله فوق كل القوى وفوق كل الدول وفوق كل الأسلحة مهما بلغ تفوقها، فإن فوقها رباً قادراً على كل شئ يقول للشئ كن فيكون، فهو القادر الذى يغير ولا يتغير، القادر على كل شئ، ولكن علينا أن نوثق صلتنا به ونصطلح مع الله وأن نعلم أننا حين نكون مع الله يكون الله معنا وحين ننصر تعاليم السماء وشريعة الله ينصرنا الله فهذا هو القانون الربانى.

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١٣).

إن أمتنا الإسلامية والعربية، بل إن العالم أجمع يمر فى هذه المرحلة بمنعطف خطير بعد تداعيات بعض حوادث الإرهاب فى المنطقة وبعد التربص ببعض الدول والشعوب مما يستوجب علينا أن نكون على قلب رجل واحد وأن تصيخ جميع الدول وجميع الحكام والشعوب إلى نداء العقل الذى أطلقه القائد والزعيم الرئيس / محمد حسنى مبارك من فوق منبر مصر من أرض الكنانة من بلد الأزهر حامى الإسلام والعروبة أطلقها مدوية صريحة إلى ملتقى عالمى إلى مؤتمر دولى يرأب الصدع يجمع الشمل يصفى جيوب الإرهاب فى كل مكان وليس بالعنف وليس بالقصف ولكن بالعقل والحكمة ليأخذ الجانى عقوبته:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(١٤). ونحن إذ نرى فى هذه الدعوة المخلصة الحكيمة العاقلة ما ينسجم مع شريعة السماء ومع كل شرائع السماء ندعو من فوق منبر الإسلام جميع الحكومات والرؤساء وجميع المسئولين فى كل الأرض.

حرام عليكم أن تشتعل نيران الحرب وتعود حروب عالمية مرة أخرى تأكل ملايين البشر من عباد الله ظلماً وعدواناً لغطرسة سياسية معينة أو لبلطجة عنيفة أو لعربدة الصهيونية العالمية على أرض القدس، إننا نناشد كل المسئولين فى كل الأرض أن يصغوا إلى نداء العقل والحكمة وأن يأتوا إلى كلمة سواء حتى يحل السلام العالمى والتعايش السلمى.

اللهم إنا نسألك أن تجمع أمتنا على الحق وأن تؤيدنا بالحق وتؤيد الحق بنا إنك سميع مجيب.

اللهم أيد قائد مسيرتنا السيد الرئيس مبارك وأيد سائر ولاة أمر المسلمين فى كل مكان إلى ما تحبه وترضاه يارب العالمين.

---

(١٣) محمد (٧).

(١٤) الأنعام (١٦٤).

بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى

تأليف
محمد تقى الأمينى

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

لعل من أبرز خصائص الحياة فى القرن العشرين.. تلك الحيرة التى أصابت إنسان هذا القرن، فملكت عليه كل أقطاره، حتى غدا ريشة تلعب بها رياح تلك الحيرة التى واصلت اشتدادها، حتى صارت إعصارا مدمرا.

فإنسان هذا القرن - وقد ورث بواكير الفتوح العلمية الجليلة التى حققها الأسلاف فى القرن التاسع عشر وما سبقه - اعتقد أنه مع القرن العشرين سوف يطرح وراء ظهره حياة القلق والتعب والشقاء، ليعيش فى جنات الخلد التى طالما حلم بها وتمناها، والتى وعده العلم الحديث بقفزاته السريعة أن يكفلها له.

ولكننا ننظر اليوم إلى هذا الإنسان – وقد نفذنا إلى القرن الحادى والعشرين – فنرى القلق والتوجس والاضطراب والخوف تنبض به كل خلية من خلايا جسمه، على الرغم مما حققه له التطبيق العلمى (التكنولوجيا) من يسر، وترف، ووفرة، وثراء، فها هى الأرقام تقرر، والإحصاءات تعلن أن الإنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى الدول الأوروبية الغربية – خصوصا فى الدول (الاسكندنافية) – قد تحقق له أغلى دخل فى العالم، وأنه قد توفرت لديه كل أسباب التنعم بماديات الحياة، من أجهزة معاونة، ووسائل اتصال، هيأت له تحقيق كل ما يريد، دون أن يبذل أى عناء، بل دون أن يتجشم أية حركة.. حتى توهم كثيرون أنه قد أصبح بمقدور هذا الإنسان أن يقول للشىء: كن فيكون.

وتتوالى الأنباء – فى الوقت نفسه – عن ارتفاع أعداد المنتحرين فى هذه المواطن، وازدياد الهاربين من الحياة بإدمان المخدرات والخمور، وانتشار جرائم القتل الفردى والجماعى فى المدارس والجامعات، وتفاقم ممارسات الرذائل فى شتى صورها، حتى كادت الرذيلة تصبح هى القاعدة السلوكية العامة بعد أن كسيت ثوب الحرية الشخصية، فلم يعد للخجل من الوصم بالشذوذ مكان.. حتى اتسع صدر المجتمع هناك للاحتفال المعلن بزواج رجل من رجل، بل اتسع لقبول التظاهر المعلن دفاعا عن الشواذ بزعم أنه دفاع عن الحرية، والتظاهر المعلن للدعوة إلى مؤاخذة من يعترض هؤلاء، ولحض المجتمعات غير الأوروبية على قبول الشذوذ، بدعوى التسامح والتحديث التى حملت لواءها المؤتمرات المنسوبة قهراً إلى الأمم المتحدة، دون حياء أو خجل. حتى فوجىء الناس بتلك الجرأة الوقحة التى تدعو إلى تحريم الزواج الطبيعى فى السن المبكرة، وتحض على السماح بالممارسات الشاذة للرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة دون تحديد بسن.

أبرز مقاصد الكتاب

فلم تعد حيرة إنسان القرن الحادى والعشرين نابعة من تلك التناقضات الحادة فى الحياة الغربية فحسب، بل زاد من عنفها ما يمليه الغرب على الأمم غير الغربية من نظم وأفكار وسلوكيات وأخلاقيات غريبة على فطرة الإنسان، وليس لها فى هذه المواطن ما يبررها ولا ما يسيغها سوى التبرؤ من رفض الآخر، حتى أصبح إنسان القرن الحادى والعشرين بين أمرين أحلاهما مر، فهو إما

أن يكره نفسه على تقليد الآخر ومتابعته وإما أن يوصم بوصمة رفض الآخر.

وهكذا.. انحدر الإنسان في القرن الحادي والعشرين إلى هوة العجز الفتاك، على الرغم مما تحقق له من قوة وثراء، وقدرة، فلم تقدم له الفلسفات والأفكار المعاصرة ما قدمته له الانتصارات العلمية الحديثة. فلم يكن إلا أن يقع فريسة الحيرة والعجز.

وأمام هذه الحيرة المتراكمة المركبة سعى العلامة الهندي محمد تقي الأميني لتبديد شيء من ركام تلك الحيرة بإشعاعات من ضوء الحقيقة المغيبة، أملا في أن يوضح للإنسان طريقه، لعله يسعى لتعديل مساره، وينتشل نفسه والآخرين من ركام الضلال والحيرة، فقدم كتابه هذا (بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي).

أما العلامة الأميني، فهو محمد تقي الدين عبدالحليم الأميني المولود في ٥ من مايو سنة ١٩٢٦، والمتخرج في المدرسة الأمينية في دلهي، حيث تتلمذ على طائفة من جلة علماء الهند، وعمل بالتدريس في دار العلوم بندوة العلماء (بلكنو)، وغيرها من دور العلم في الهند، حيث انتهى به المطاف في جامعة (عليكرة).

وأما الكتاب فقد ترجمه من الهندية إلى العربية الدكتور مقتدى حسين ياسين، رئيس تحرير مجلة الجامعة السلفية ببنارس (الهند)، ووكيل الجامعة، والحاصل على الماجستير من جامعة الأزهر، والدكتوراه من جامعة (عليكره) الإسلامية.

وراجع الترجمة الدكتور عبدالحليم عويس من مصر، وهو أستاذ التاريخ المغربي والأندلسي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونشرته دار الاعتصام سنة ١٩٨٢ في تسع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة للمراجع وعشرة فصول والكتاب - فيما أرى - تفسير مفصل لقوله تعالى:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١)

أو هو تعليل لما أصاب الإنسان من تيه وضلال، على الرغم مما حققه من كسب في شتى مجالات الحياة المادية كفل له تفوقا علميا لم يسبق إليه - على ما يصوره له تقديره - ومكن له من استغلال الطاقات الكثيرة الكامنة في الأرض، والمبثوثة في السماء، وزوده بقدرات جاب بها الأرض من أقصاها إلى أقصاها في أقصر وقت يخطر على البال، حتى اعتقد أن زمام الأرض أصبح في حوزته، واقتحم بها كواكب الفضاء، كوكبا بعد آخر، حتى توهم أنه يكاد يسيطر على الكون كله.. يحدوه في كل ذلك الأمل في أن يحقق للإنسان في الدنيا جنة تغنيه عن جنة الآخرة، وتقر في عقله: أن لا إله، ولا آخرة، ولا حساب.

الغرور المضل

ففي الفصل الأول (الحقيقة الإنسانية بين المذاهب الحديثة والتصور الإسلامي) أوضح المؤلف أن الإنسان - بما فطره الله عليه من طبائع

(١) الروم (٤١).

لازمة لوظيفة الخلافة – تجاوز حدوده الطبيعية، فلم يكتف بتغيير ملابسه، بل حاول أن يغير أشواق القلب وتوجهات الفكر التى كانت تنمو فى كيانه، كما حاول طمس المعالم التى كانت تدل على أبعاد المكانة الإنسانية، فتحول – بذلك – عن نهج الحياة الفطرية وتطورها، متوهما أنه لم يعد فى حاجة إلى مرشد يستهدى به، فقد تصور أنه – بعلمه وعقله – أصبح قادرا على ترويض الكون المحيط به، وتسخيره لما يريد.

وليس من شك فى أن الإنسان لم يصل إلى هذا التصور والتوهم مرة واحدة، بل لقد تنقل إلى ذلك فى خطوات متتالية تدفعه فيها عوامل عديدة، من أبرزها:

١- إخفاق النصرانية – بلونها الجديد بعد حركة (مارتن لوثر) – فى لمس أسلاك الحياة، وإيجاد التوازن بين عنصريها الأساسيين – وهما العقل والعاطفة – مما ترتب عليه انعزال الدين عن الحياة الاجتماعية والحضارية من جهة، وتسيد العقل، مع إهمال القلب من جهة أخرى.

٢- توهم عدم الحاجة إلى الوجدان وغيره من سبل الوصول إلى الحقيقة، مما صرف الإنسان عن التعرف على طرائق الإيمان، بل صرفه عن الإيمان نفسه.

٣- اضطرار حركة الإصلاح إلى الإسراف فى استيراد أمور عديدة من الحضارة الإغريقية والرومانية – بمفهومها القديم نفسه – مثل حرية الفكر والضمير، وسيطرة الفكر المادى، والإحساس الذوقى بالجمال، حتى أدى الإسراف فى استخدامها إلى نتائج مؤسفة.

٤- خلو الساحة من القادة المهرة الذين يستطيعون قيادة عملية الحياة، والذين يحسنون استخدام هذه القوة، والذين يقدرون المشاعر والعواصف تقديرا سليما.. أفقد القادة الموجودين استطاعة وضع الدليل أو الكتاب الإرشادى للحياة من موضع مرتفع عن المستوى الموجود الذى يمكن أن تسعد به الحياة.

وبتأثير هذا الوهم القاتل اعتقد الإنسان أن بمقدوره وضع نظريات بديلة تقوم بدور الإرشاد، فحولت هذه النظريات مسار الإنسان من الملأ الأعلى إلى الملأ الأسفل، كما نرى فى نظرية القومية التى جعلت الوطنية الهدف الأصلى للإنسان، وكما نرى فى نظرية التطور التى جعلت المادة هى الأساس الأصلى للإنسان، وحسبت الروح والعقل والشعور وغيرها من صور المادة أو من آثارها. وكما نرى فى نظرية الجبلة التى جعلت طبيعة الإنسان تتضمن الطبائع الحيوانية فحسب. وكما نرى فى نظرية الجنسية التى جعلت الإنسان فى عداد البهائم التى تخضع لحكم الهوى. وكما نرى فى نظرية الاشتراكية التى جعلت الإنسان آلة مصنوعة من المادة، إذ يرى الاشتراكيون أن طبيعة الإنسان تتغير بتغير الأحوال المادية فقط، ولا أثر للحاجات الروحية.

وهكذا.. اندفع الإنسان – بتأثير هذه النظريات – ليحل الدين السياسى محل الدين الحقيقى، وليصبح على يقين أن أصله بهيمى بعد أن كان روحيا، ولتتغلب على الإنسان الطبيعة الحيوانية، فيحل التهور والاندفاع الجنسى محل العفة والشرف.

فلم يبق الإنسان ذلك الإنسان الذى يقاس بأمانته وشرفه وعدله، بل تحول إلى نوع تتباين أهدافه، وتتناقض بدايته مع نهايته.

فالإنسان الصالح لم يعد ذلك الإنسان الذى يتحلى بالسمو الخلقى والعملى، بل صار ذلك الإنسان الذى يبقى ويرتقى بالانتصار والتغلب. أما الإنسان الفاسد فهو الذى يفشل ويخيب، ولو كان يشبه الملائكة فى الخصال والأوصاف والأخلاق.

دوافع الغرور المضل

ويذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى هذا المعترك المتصارع الخالى من الأمان والاستقرار حتى بين الفرد وأفراد أسرته، بل بين الفرد وأهوائه ورغباته.. يذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى هذا إلا حين سود العقل وحده، ولم يعترف بأى طاقة أخرى وراء العقل أو معه.

ولأن سيادة العقل وحده تقود إلى هذا الصراع الدائم، وفقدان الأمان.. لهذا تكفَّل خالق الإنسان بأن يدعم العقل ويحميه من الانحراف، ويحمى الإنسان من استبداد هذا العقل، وأن يزوده بتوجيهات متوالية، تناسب مراحل الحياة فى تغيرها وتطورها، وذلك عن طريق الرسل المتتابعين.

وهذه التوجيهات الإلهية تختلف عن الوثائق القديمة، إذ التوجيهات الإلهية دستور كامل للحياة، وميثاق منضبط لها، تقوم على العدل المطلق، والتوازن الدقيق، فلا ترجح فى الإنسان جانبا على جانب، ولا تحتمل أى تغيير، ولا تميل - فى الكون كله - نحو طائفة على حساب طائفة أخرى، على ما نبه إليه الخالق جل وعلا فى قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾(٢).

وحاملو هذه التوجيهات ليسوا تجارا، ولا زعماء سياسيين، فهم لا يراعون مصالحهم الخاصة، ولايرجون من الناس نفعا، بل هم دعاة وقادة فوضوا أمرهم إلى الله - تعالى - وأوتوا من العلم والحكمة ما يؤهلهم لقيادة الحياة.

ولكن الفلاسفة والمفكرين الخاضعين لسلطان العقل وحده يصعب عليهم فهم هذه المكانة، إذ يرون الإنسان بطبيعته لا يسعى إلا وراء مصالحه الخاصة، فجميع أعماله إنما هى لجلب نفع ذاتى، حتى إن حب الوالدين - فى تقديرهم - لا يخلو من القصد إلى النفع الشخصى.

ولو أن هؤلاء الفلاسفة والمفكرين تلفتوا حولهم لوجدوا فى التاريخ خير شاهد على أن هؤلاء الهداة قد غيروا عوالم القلوب والأرواح، وبلغوا بالإنسان منزلة العظمة والرفعة التى لا يستطيع العالم المادى أن يتصورها.

فاطر الكون يوفر للإنسان أسباب الأمان

وخالق الإنسان إنما تكفل للإنسان بذلك، لعلمه الأزلى بمكانة هذا الإنسان، ودوره الخلافى الذى جعل له، فالإنسان ذو مكانة متميزة رفيعة، تتجاوز الحدود التى يعرفها العقل، بل إن تلك

(٢) الأنعام (١١٥).

المكانة تبدأ من حيث تنتهى حدود العقل، بل من حيث تنتهى حدود تطلعاته.

فالإنسان – دون غيره – قد تم خلقه بيد خالقه، ونفخ فيه من روحه، وهو ليس صورة متطورة للحيوان، بل هو مخلوق متفرد يفوق الحيوان. وهو عمل خالد يدل على إبداع الخالق:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٣)

والطاقات التى أودعت فى الإنسان ليقوم بدور الخلافة ليست نتيجة لتطور الغرائز الحيوانية، بل هى أثر لنفخة خالق الكون فيه من روحه.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾(٤).

ومواهب الإنسان فى الابتكار والتنسيق قد أودعت فى طبيعته من أول يوم ولد فيه، لأنه ولد على الفطرة، وليست هذه المواهب نتيجة مراحل الارتقاء، بل هى:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(٥).

والتى هى الدستور الطبيعى.

وخالق الإنسان – إلى كل ذلك – أودع الإنسان ثروات روحية متنوعة، يتغلب بها على مقتضيات الحيوانية والشهوانية:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾(٦).

أى طريقته التى جبل عليها.

وهذا يعنى: أن خلق الإنسان قد تم على طريقة عالية جدا من ناحية الظاهر والباطن، ومن يهبط به عن تلك المنزلة، إنما يناقض حقيقته، ويتحدى كرامته.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٧).

فأصل الإنسان فى نظر الإسلام أصل روحى، والإنسان بفطرته يتطلع إلى خالق الكون، لا إلى شىء من أشياء الكون مهما كان رفيعا.

ولهذا.. فإن خالق الكون قد أكرم هذا الإنسان بعلم لم يوهب لغيره من المخلوقات – وهو علم حقائق الأشياء –:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾(٨).

ووهب هذا الإنسان وسائل تحصيل هذا العلم، من محسوسات ومعقولات ومغيبات. وخصه من دون المخلوقات بوسائل الحصول على ذلك العلم.

ويظهر فضل هذا العلم وشرفه فى أن الملائكة الذين يعملون فى الكون قد أقروا بجهلهم به، واعترفوا بعجزهم عنه، فقالوا:

﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٩).

وباكتمال هذا التعليم، وإتمام هذا الإعداد سلم

---

(٣) الانفطار (٦ : ٨).
(٤) السجدة (٩).
(٥) الروم (٣٠).
(٦) الإسراء (٨٤).
(٧) التين (٤).
(٨) البقرة (٣١).
(٩) البقرة (٣٢).

الله إليه خلافته فى الأرض وديعة وأمانة، بعد عرضها على جميع المخلوقات وإقرارها بالعجز عن حملها. وقد أدرك الإنسان أنه – بما أوتيه من مواهب علمية – قادر على حملها.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾(١٠).

وعلى هذا النحو جاء الإنسان لتسلم منصبه فى هذا العالم، وهكذا.. قام بأداء مسئوليته، ولا يزال.

ونظراً لأهمية شأن المنصب ومنزلته.. أمر خالق الكون الإنسان بالعمل فى مجالين عظيمين متكاملين.

أولهما: مجال معرفة الله.

وثانيهما: مجال الكون كله.

وتكامل المجالين يعنى: أن إهمال أحدهما يؤدى إلى إفساد العمل، وينتهى بالدمار والهلاك.

وحتى لا يهمل الإنسان أحد المجالين.. احتاج إلى التوجيه التفصيلى القائم على الأحكام الصريحة، والقوانين الواضحة، المتمثلة فى الشريعة الإلهية التى يبعث بها الأنبياء – عليهم السلام.

فالأنبياء ينشئون المصانع العظيمة لبناء الشخصيات بالتعليم والتربية. ولكنهم – بمعجزاتهم – يكتفون بإشارات كلية تدل على الإمكانات الهائلة لتسخير الكون، تاركين بقية الطريق للعقل والخبرة والمعاناة.

وفى هذه المصانع تخرج المسلمون الذين عُنوا بدراسة الكون، واستمروا فى تسخير عناصر العلوم حتى إنهم جعلوا أوروبا تنهض فى تأسيس نهضتها الحديثة.

وعلى الرغم من أن أوروبا قبلت توجيهات الإسلام الخاصة بالكون.. نرى أنها انصرفت عن توجيهاته الحكيمة، المؤثرة الخاصة بالإنسان، واستمدت نظرتها للإنسان من سياسة الدين المسيحى المعارضة للحياة، والمعادية للإسلام عداء شديدا صرفها عن التصالح معه فى تلبية حاجات الحياة.

ومع انصراف أوروبا عن توجيهات الإسلام كانت الأمة الإسلامية التى حملت الإسلام للناس قد جاوزت عصر الشباب إلى الضعف، فلم تتمكن من تجلية هذا الدين، مع سموه وتقدمه وحيويته وكماله.

وبذلك حرم العالم الحديث التعرف على العلاج الناجع، فاكتفى باللجوء إلى الدين السياسى، ثم إلى المذاهب المادية المختلفة؛ فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار، واستبدت سيطرة العقل التى حولته إلى الغرور المضل، فظن أن بمقدوره الاستغناء عن توجيهات فاطره، فوقع فى بركان نارى مخيف، وانجرف إلى مصطرع فرض عليه أن يختار أحد طريقين:

١ – فإما أن يقضى عليه بركان العقل بهزة عنيفة – متوقعة ليلا أو نهارا – يفقد معها كل ما ادخر وشيد، كما يؤكد ذلك مسار التاريخ البشرى، منذ رصدت أحداث التاريخ على اختلاف الأمم والمواطن، فهى فى جميع الأحوال أحداث متشابهة فى مجملها، ولكنها فى الآخر نهاية واحدة.

---

(١٠) الأحزاب (٧٢).

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾(١١).

٢– وإما أن تتراءى له الفطرة الإنسانية فى هيئتها الإسلامية، فيتخلص بها من سطوة الغرور، ويعود إلى مكانه ومكانته الصحيحة، فيهتدى بهدى فاطره، لينظم دنياه ويعمرها بما يحقق له خيرى الدنيا والآخرة.

وأقول: لقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك فى أكثر من موطن، محذرا من الانخداع فى امتداد السلطان، وقوة البطش، والتمكن المادى المثير، لافتا النظر إلى وقائع الحياة، وما تغص به من أمثلة ونماذج، فقال:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١٢).

ولم يكتف القرآن بالتنبيه العام، بل لقد خص فذكر اسم بعض من أصابته لعنة ذلك الغرور، مثل قارون الذى:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾(١٣).

ولم ينظر إلى من تقدمه:

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ ﴾(١٣).

وأنه كان أضعف من أن يحمى نفسه، وأخذل من أن يجد له نصيرا.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾(١٤).

النفس قطب الإنسان الأصيل

وذكر المؤلف أن علماء النفس وخبراء الاجتماع اتفقوا على أن النفس البشرية لا تتغير بتغير الأحوال والأوضاع ولا تتطور بالتطور الثقافى والاجتماعى والاقتصادى.

وأورد تحليله للنفس فى ضوء القرآن الكريم، فذكر أن النفس تقوم على نوعين من الأسس هما: الأسس الروحية، والأسس المادية، وأن الأسس الروحية تنبت من الفطرة العالية، والأسس المادية تنبت من العناصر المادية أو الأخلاط المركبة. وبامتزاج هذين النوعين من الأسس تتكون الشاكلة، وبهذا الامتزاج يمتاز الإنسان، ويسمو على سائر الأحياء والخلائق.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾(١٥).

وبهذا الامتزاج هيىء الإنسان لجعله خليفة فى الأرض.

وذكر: أن الغرائز التى تنشأ بالأسس الروحية تتمثل فى الخير والبر والرحمة

(١١) يونس (٢٤).
(١٢) الروم (٩).
(١٣) القصص (٧٨).
(١٤) القصص (٨١).
(١٥) الإسراء (٨٤).

والتعاون والإخاء والمودة والحب والصدق، والعدل، وغير ذلك من القيم والفضائل، وأن الغرائز التى تنشأ بالأسس المادية (الحيوانية) تتمثل فى الجوع والعطش، والنشاط الجنسى، وغير ذلك من الأنشطة المادية والجسمية الأخرى، التى يتفق فيها الإنسان مع الحيوان من حيث الدوافع والشهوات، وأن الناس كلهم سواء فى الغرائز الروحية، لكنهم ليسوا سواء فى الأسس الجوهرية والغرائز المادية، بل يختلفون باختلاف الخواص والتأثيرات، من اللهفة والتمهل، ومن القتامةوالصفاء.

وأن تفاوت الناس فى درجات النشاط إنما يظهر وفقا لانسجام الأسس المادية بعد امتزاجها بالأسس الروحية، وليس فى تكوينها الأصيل، وفطرتها النبيلة.

ويخلص المؤلف من ذلك إلى أن الغرائز قسمان: غرائز حافلة بالتجاذب والتزاحم، وغرائز حافلة بالتصالح والتفاعل.

وأن هذه الجبلة فى صورة التجاذب والتزاحم، وفى صورة التفاعل والتصالح تنقسم فى كل صورة أربعة أقسام، بحسب التردد بين العلو والقوة أو السفول والضعف.

ففى حالة التجاذب والتزاحم تتمتع الجبلة - التى تكونت بامتزاج الغرائز الروحية العالية والغرائز المادية القوية - بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤدية للمناصب العليا، والمرشحة للقيادة والسيادة، والإمامة والنبوة، والعزيمة الجبارة والجرأة والجسارة فى تحقيق المقاصد النبيلة، والغايات البعيدة فإذا تكونت الجبلة بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية القوية، فإن تلك الجبلة تتمتع بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤهلة للأمور التى تحتاج إلى الحمية والغيرة، والشجاعة والشهامة، والمخاطرة بالنفس والتحامل عليها.

وإذا تكونت الجبلة بامتزاج الغرائز الروحية العالية، والغرائز المادية الضعيفة فإن تلك الجبلة تتمتع بقلة الاكتراث بالأمور التى تحتاج إلى العزم والجرأة والنضج، والاستقرار والثبات، وتتوافر لدى هؤلاء الإرادة لترك الدنيا ابتغاء وجه الله إن سنحت الفرصة.

أما إذا تكونت بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية الضعيفة، فإن تلك الجبلة تتمتع بالكسل والملل والبطء والهوان والعجز، والتنازل عن الحقوق كلها.

فالنفس - فى الرؤية الإسلامية - موجودة من بدء الحياة، وليست ثمرة للارتقاء والتطور.

«يتبع»

***

قصة العدد

مصرع ابن القاسم

بقلم / عابر سبيل

جلس فى المسجد النبوى خارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبدالله بن عمر، وكلاهما من فقهاء المدينة الأعلام، وممن يمتّون إلى صحابة رسول الله بأقرب الوشائج، فأولهما ابن زيد، وثانيهما ابن عبدالله، جلسا يتحدثان عما جدّ - بعد تولية سليمان بن عبدالملك - من ظلم فادح لحق أبطالا مغاوير، فتحوا البلاد، ونشروا دين الله فى الشرق والغرب، وبدل أن يلاقوا ما يلاقيه أبطال النصر من التقدير التام، والحظوة المكافئة، قوبلوا بمثل ما يُقابل الفجرة من قطّاع الطريق، قال سالم بن عبدالله: ومن الذى سيرضى أن يقود الجيوش، ويواصل الجهاد، وهو يرى أن ثمرة النصر فى المعارك الساخنة، وعقبى الظفر فى المواقع الرهيبة قتل ونفى وتشريد، إن الذين لم يفارقوا دمشق من أبناء مروان يرفلون فى المطارف الزاهية، ويسكنون القصور العالية، وتموج خزائنهم بالذهب والفضة، والذين جاهدوا فى سبيل الله وأدوا كلمة الحق فى أقصى البلاد لاقوا أذل مهابط الهوان، ومنهم من سال دمه بتدبير دنىء، ليقال إنه أجرم فعوقب، والله يعلم المفسد من المصلح !.

فقال خارجة: وأعجب ما نراه، أن تسكت الألسنة عن الجهر بالحق، ثم تبجل من سعى فى الأرض بالفساد، وتريه من مظاهر الطاعة، وتسمعه من عبارات الثناء ما يجعله

يعتقد أنه محق فيما أجرم، أين عهد جدّك عمر بن الخطاب يا سالم، بل أين جدّك نفسه، ليرى ما يشيب له الولدان!.

قال سالم: من أدهش المفارقات أن يفرح الوثنيون فى الهند، والمجوس فى بلاد ما وراء النهر، والنصارى فى ربوع الأندس بنكبات محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير كما يفرح الآن أمير المؤمنين، وحاشيته فى قصر الخلافة بدمشق، فيكون الشعور واحدا بين الكافر، وخليفة الله، بل إن سليمان أهدى لهؤلاء ما برّد جوانحهم، وأضاء البسمة فى وجوههم، حين جعل المخلصين من أبناء الإسلام يتحرقون غيظاً، ويلتهبون حفيظة، ولا يدرون ماذا سيفاجئهم القدر به من أهوال بعد أن تنكب حكامهم صراط الله القويم!.

فرد خارجة يقول: لقد فكّرت فيما ارتكبه هؤلاء الفاتحون من جرائر يحسبها عليهم سليمان ابن عبدالملك، فإذا جميعها تنتهى إلى أمر واحد، هو أنهم كانوا بناة الدولة فى عهد أخيه الوليد ابن عبدالملك، ولو كان هذا التسرّع العجول بعيد النظر لعرف أنهم سيواصلون جهودهم الباسلة إذا تركهم فى ميادين القتال، فيعود عليه من المجد الحافل ما عاد على الوليد على أيديهم من فتوح! ولكنه تذكر أنهم طاوعوا أمير المؤمنين على البيعة لوالده، ثم شاء الله فلم تتم البيعة، وما كان لهم أن يشذوا وهم فى ساحات القتال، فتتفرق الكلمة وينقسم الجيش على نفسه، وبدل أن يقاتلوا الأعداء يقع بأسهم الشديد بينهم، فيكونون فريسة سهلة للأعداء هذا ما حذروه وخافوه فآثروا الطاعة دون المروق!.

وما انتهى خارجة من قوله حتى وجد عامر الشعبى تلميذه الفقيه العالم المتمكن، يتقدّم إلى مجلسهما محييا، وقد سارع فقبّل كفى خارجة وسالم فى أدب يعهد أنه فيه، ثم أخذ مجلسه منهما فى وقار وحياء! فقال سالم: ما وراءك من الأنباء يا عامر، فأنت تلابس الناس، وتفد إليك الأخبار من أقاصى الأرض دون حجاب!.

فأطرق عامر الشعبى إلى الأرض، وهو يقول، رحم الله عبدالملك بن مروان، فقد كان رجل بنى مروان الأوحد، وما رأينا بعده من بلغ مداه!.

فصاح سالم: نعرف أن عبدالملك كان يجالسك يا عامر، وكنت عنده ذا حظوة، وقد أوفدك إلى ملك الروم لتتحدث باسمه، وها أنت ذا تحفظ له الجميل، وتترك أحداث اليوم لتفيض فى أنباء الأمس، وما تمت كوارث اليوم إلا بناء على تدبير عبدالملك؟.

فرفع عامر رأسه مندهشاً، وقال فى حيرة: كيف تمت كوارث اليوم بتدبير خليفة غاب عن الناس، وترك الأمر لسواه، أيكون قد أرسل من قبره خطابا، يعجّل بالتنكيل بأبطال الجهاد؟! إن

الله ـ عز وجل ـ يقول :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(١) فكيف يتحمل أمير المؤمنين عبدالملك وزر ولده سليمان؟!.

قال سالم : أراك تحاول التجاهل يا عامر ، ومثلك فى نباهة المتيقظ ، لا يفوته ما أعنيه ، فأنت تدرى أن عبدالملك قد جعل العهد للوليد ثم لسليمان من بعده ، وتطلّعت نفس الوليد إلى بيعة ولده دون أخيه ، فلو أن عبدالملك لم يجعل العهد إلا للوليد تاركا أمر الغد لتدبير الله ، ليئس سليمان ، وما اشتعل غضباً على من وافقوا أمير المؤمنين الوليد ، فارتضوا بيعة ولده دون أخيه .

قال عامر : تلك سنة سنّها مروان بن الحكم ، إذ أخذ العهد لولده عبدالملك ثم لولده عبدالعزيز من بعده ، فعبدالملك مسبوق بمن حاكاه !.

قال خارجة ، وقد حدج ببصره عامر الشعبى : كأنك ترى يا عامر أن الخطأ يبرر الخطأ ، وسيجىء من الخلفاء من ينكل بأبطال الإسلام ، فيقول قوم قد سبق إلى ذلك سليمان بن عبدالملك فهو مسبوق بمن حاكاه ! أهذا رأى الشعبى العالم الفقيه؟!.

فتراجع الشعبى يقول : أنا عالم فقيه بين العامة ، أمّا لديكما فلتميذ أتعلّم ، وها أنتما تصحّحان ما أقع فيه من أخطاء ، ولا أجد ما أردّ به غير التسليم ! وإنّها لمأساة !.

فقال سالم : أخبث ما فى هذه المحنة أن سليمان بن عبدالملك ، كان صريحا فى مجابهة قتيبة وموسى بن نصير بذنبيهما إذ قال للأول : قد بايعت لابن الوليد ، وقال للثانى : حملت الغنائم للوليد ، ولكنّه أعلن أن مصرع القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى كان جزاء لاعتدائه على امرأة ، وهى فرية لم يقم على ثبوتها دليل واحد ، وقد وجد من الرعاع من أيّده وحبّذ منحاه !.

قال خارجة : جاءتنى أقوال مضطربة ، لم تستقم على نهج واضح حول هذه الفرية ، وأحب أن أقف على دقائقها بالتفصيل ، فماذا عندك من أمرها يا عامر؟!.

قال الشعبى : إن الذى تحققته عن يقين ، أن سليمان كان يكنّ للحجاج بن يوسف أشدّ قوارص البغض ، ويراهُ يد أخيه وسيفه ، وبمجهوده الجبار سيصبح ولده ولىّ العهد ، ولكن الحجاج مات قبل أن يدرك سليمان ثأره منه ، فانتحى بعقابه إلى كل ثقفى له صلة بالحجاج ، وإذا كان محمد بن القاسم بن محمد الثقفى من أقرب الأقرباء للحجاج ، وقد أخذ قيادة الجيش بتدبيره ، فلابد أن يكون موضع الانتقام الجائر ! ولكن البطل الفاتح قد ملك قلوب المسلمين بما غنم من مجد ، وفتح من حصون ، وضم من ربوع .. فكيف يجرؤ على اغتياله ، والمسلمون جميعا يرددون اسمه بالثناء ،

---

(١) فاطر (١٨).

لابد إذن من اختلاق فرية، والحق أن أمير المؤمنين لم يدبر الفرية بنفسه، بل فعلها سواه ! تزلفا إليه، إذ لمس هواه فى الإطاحة بالبطل الشهيد.

قال خارجة: هذا مجمل يحتاج إلى تفصيل، فهات كل ما لديك !.

فردّ الشعبى يقول: لقد عزل سليمان محمد بن القاسم لأول عهده بالخلافة وولى مكانه يزيد ابن أبى كبشة، فذهب إليه بالهند ليضع الأغلال فى قدمه وكفه، ثم تعاون مع صالح بن عبدالرحمن على اختلاق فرية مسمومة تسىء إلى البطل الشهيد، إذ اتفقا على اختيار أميرة من بيت «الراجه داهر» الذى صرعه ابن القاسم فى حربة، وبدد ملكه، لتأتى إلى دمشق فى رعايتهما، وتحدّث أمير المؤمنين عن انتهاك ابن القاسم لحرمتها، والأميرة موتورة لمصرع أبيها، وذهاب ملكه على يد البطل الفاتح، وتريد أن تشفى غليلها بأمر يعود عليه بالوبال ! فاستجابت لما طلب منها بتدبير الخبيثين الحاقدين، وجاءت إلى دمشق، لتسمع سليمان ما يرضيه، فأمر بالانتقام العاجل وصدر الأمر بقتل البطل دون أن يسمع له ردا على اتهام.

قال سالم: هذه فرية مفضوحة، لأن الأميرة قد وقعت سبيّة فى الأسر، ولو أرادها ابن القاسم لنفسه، لحلّت له دون أن يوصف بانتهاك محرم، ولو كانت الأميرة فى قصر والدها المنتصر واغتصبها البطل كما يدّعون لقبلت الفرية، ولكن الفتاة أسيرة، وأمثالها يُحسبن بالمئات !، فهل فرغ ابن القاسم من مشكلات الحرب وأعباء النضال فى بلد غريب، ليصبح فارسا للحسان؟!.

قال عامر: وقد علمت الأميرة أن أمير المؤمنين قد قتل ابن القاسم متأثرا بما قالته ، فثار عليها ضميرها، وأذاعت أنها أُرغمت على أن تقول الكذب، وقد وعدها من دبّر الإفك بأن المُلك سيرجع إلى أهلها لو وصمت ابن القاسم بالعار، ثم اتضح لها أن صالح بن عبدالرحمن، وابن أبى كبشة، قد خدعاها بالأباطيل، وجاء النبأ إلى سليمان، فقيل إنه ندم !.

قال خارجة: ولات حين ندامة، فقد سبق السيف العزل.

فرد سالم: لو تحقق ندمه لبادر بعقاب من توليا المكيدة وأهون مظاهر العقاب أن يعزلهما عما بيديهما من الأمر، ولكن ابن أبى كبشة قد ولى الأمر فى الهند بعد البطل، ومازال متمكنا من إمارته دون أن يزيد شبرا واحدا للإسلام فى أرض الهند، وصالح بن عبدالرحمن يقوم على أمر الخراج بالعراق، وقد اشتط فى جمع ما يرضى الخليفة ثم مازال ناهضا بأمر الخراج ! فأين الندم إذن يا عامر؟.

قال عامر: لقد تحدثت بما سمعتُ، وذكرت أن ندم الخليفة قول لم أتحققه، وهأنذا أسمع من الدلائل على لسان شيخى وسيدى سالم ما أبان وجه الصواب.

قال سالم: أنا أعلم أن جدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد نهى عن غزو الهند، فحين كتب إليه عامله على البحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى يستشيره فى غزو الهند، هدّده قائلا: يا أخا ثقيف، لقد حملت دودا على عود، وإنى أحلف بالله لو أصيب عدد من جندك لأخذت من قومك بمثلهم.

فرد خارجة: كانت حروب الفرس والروم حينئذ مشتعلة بينهم وبين المسلمين، فرأى ابن الخطاب ألاّ يهاجم الهند، فيفتح ميدانا ثالثا فى وقت واحد، وتلك فراسة منه، وقد تغير الوضع بعد هدوء المعارك فى فارس وبلاد الشام، فتتابعت الغارات الإسلامية على جزر الهند وسواحلها، وأخذ رجالها يستوطنون أماكن مختلفة دون أن يقوموا بمعارك حربية تذكر ثم استهيج الحجاج بما استفزّه، فقرر الغزو بقيادة محمد بن القاسم.

قال سالم: كيف أستثير الحجاج بما استفزه يا خارجة؟ فقال سالم: هذا أمر مشتهر فكيف يغيب عنك، ألست تعرف ذلك يا عامر؟ قُله إذ علمت؟.

قال عامر: قبل أن أتحدث عن استفزاز الحجاج، أذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أرسل واليه على العراق، وهو عبدالله بن عامر ليستكشف الهند، مع نفر من جنوده، فلما عادوا، توجه منهم حكيم بن جبلة إلى المدينة ليخبر عثمان بما رأوه، فقال حكيم: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولقها بطل، إن قل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا.

فقال عثمان على البديهة: أخابر أم ساجع؟! ثم انثنى عن الغزو.

ضحك سالم وقال: تأتى بالطرائف الأدبية دائما يا عامر، فتحدث عمّا تبع ذلك؟

قال الشعبى: حين ولى الإمام على - كرم الله وجهه - إمارة المؤمنين، اتجه ببصره إلى الهند، فأرسل جيشا بقيادة الحارث بن مرة العبدى فوصل إلى الجزر الهندية عن طريق خراسان، وظفر وأصاب مغنما، ثم انتكس الأمر عليه فقتل هناك فى مؤامرة دبّرت له، وعاود معاوية الكرة فأرسل جيشا بقيادة المهلب بن أبى صفرة، ومعه أهله من الأزد، فأبلوا بلاء حسنا فى أرض «بتّة» بين كابل والملتان، وفيهم يقول الشاعر:

ألم تر أن الأزد ليلة بيّتوا
«ببتّة» كانوا خير جند المهلب

ثم عاد المهلب ليصلى معارك أخرى أشاد بها معاوية فخلفه عبدالله بن سوار، وجاهد جهادا ميمونا، حيث ضرب المثل فى المروءة والكرم والشجاعة ثم لقى الله شهيدا فى مؤامرة ثانية، وتتابعت الكتائب للاكتشاف، إذ لم ينقطع الاستطلاع فى أرض الهند، حتى جاء الحجاج فأولى

المسألة اهتمامه البالغ، وأرسل محمد بن هارون إلى جزيرة الياقوت، فوجد بها نساء مسلمات من بقايا جنود الغزو التى بدأت منذ عهد الإمام على، وأراد ابن هارون أن يبعث ببعضهن إلى العراق كما أردن، فساق سفينة محملة بهنّ، ولم تكد تمر بميناء الديبل حتى هاجمها فريق من الجند، وصرخت امرأة من يربوع منادية باسم الحجاج، وطار الخبر إليه، فبعث إلى «الراجه داهر» أمير الديبل يطالبه برفع الاعتداء، وردّ المسلمات مكرمات، ولكنّ الأمير الهندى استهان برسالة الحجاج، وقال فى رده: «قد استولى اللصوص على السفينة بمن فيها ولا أعلم شيئا» هنا كان استفزاز الحجاج، ومن هنا بدأ عزمه الأكيد على تأديب هذا المستخف، بل على غزو الهند جميعا، وأعد العدّة الكافية لما يريد.

قال خارجة: لقد كنت مؤرخا يا عامر، ولكن صورة الحجاج فى مرآتك مشرقة كريمة.

فرد عامر يقول: أنا يا سيدى خرجت على الحجاج فى حربه مع ابن الأشعث، إذ كنت وجماعة من الفقهاء نناصبه العداء، وحين تم له النصر، عفا عمن اعتذر، وكنت أحد هؤلاء المعتذرين، فللرجل مظالمه التى دعتنى إلى الانضمام لابن الأشعث ما أنكر هذه المظالم ولا أستطيع، ولكن له مزاياه القيادية الباسلة، ومواقفه المشرفة فى انتشار الإسلام بخراسان وما وراء النهر، وجزر الهند، وسواحل قزوين! يجب أن ننصف فلا نحجب حقا، ولا نتكلم بباطل، لقد كان الحجاج صاحب الخطوة الجريئة الواثبة فى فتح الهند، وما كان من قبله فهو تمهيد محمود لا يبلغ مبلغ الغزو المفضى إلى النصر النهائى، وقد تم على يد البطل الفاتح محمد بن القاسم الثقفى، وبذخيرة الحجاج، وحسن تدبيره، ويقظته الكاملة لما يتطلب القتال من أعباء!.

سكت عامر بعد أن أجاب، وسكت صاحباه بعض الوقت، وكأنهما كانا يتأملان ما قاله الشعبى، فلم يجدا به ما يُعاب، ثم قال سالم بن عبدالله: كيف أسلم الحجاج قيادة الجيش لمحمد ابن القاسم، وهو فتى فى السابعة عشر من عمره؟ ومن أين له أن يعلم ما أحرزه من نجاح قبل أن يتحقق؟ أتراه كان يرى بعين الغيب؟!.

فقال عامر الشعبى مبتسما: أأقول ما لدىّ؟ فرد سالم: ما ذكرت سؤالى إلا لأستمع الرد فيها.

قال عامر: إن الحجاج لا يهزل فى أمر خطير كهذا الأمر، فالحرب ليست ميدان لعب ولهو، ولكنها حومة مشتعلة اللهيب، والفتى الثقفى ابن عم الحجاج، وقد أرسل من قبل إلى فارس غازيا، فجاءته الأنباء عنه بما رفع قدره فى نفسه، وحين صمم على الغزو بعث يستدعيه من خراسان ليواجه العبء الكبير، وقد أمره أن يتخير من جنوده بفارس من

سيكونون أعوانه، حتى إذا قدموا عليه بالعراق كان قد أعدّ الخطة بنفسه، إذ تتجه الكتائب إلى الرى، ثم تنتظر بشيراز، لتلحقها كتائب أخرى أخذ يستدعيها على بعد، وهى فيالق من خير جنود الشام انتخبهم الحجاج عن تجربة، وكانوا أكثر من ستمائة فارس، والغريب من أمر الحجاج أنه أشرف على المؤونة الغذائية للجيش بقدر ما أشرف على العدة الحربية فجهزه بكل ما يحتاج إليه، حتى الخيط والإبرة، وقد علم أن الخل يساعد على تبرئة الجراح سريعا، فاحتال حتى أتى بالقطن المندوف وغمسه فى ماء الخل المكثف، ليتشبع به، فإذا احتاجوا إلى الخل جاءوا بالقطن وغمسوه فى الماء ليرشح منه أعذب الخل وأجوده! أقول ذلك لأصوّر مدى اهتمام الحجاج بنفقات الجيش ومؤونته، لأن الذى يهتم بالإبرة والخيط، ويعمل على صيانة الخل بأدق الحيل لا يفوته شيئ.

قال خارجة: فى الحجاج يقظة ونباهة، فقد عرف أن الحملة الهندية محسوبة عليه أمام أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، وأن إخفاق محمد القاسم الثقفى لو تم سيحدث تأثيرا فى قصر الخلافة، إذا يقول القائلون: لقد حابى فتى مراهقا من أبناء أسرته فجعله رئيسا لجيش يغزو الأعداء، وفيه من القادة الأكفاء، ومن ذوى الدربة المحنكة فى القتال من لا يبلغ محمد بن القاسم مبلغهم كفاية ومراسا واحتيالا لقد عرف الحجاج ذلك، فأعد كل شيء بنفسه، وصنعه على عينه، مع اعترافنا بأنه لمس كفاءة ابن عمّه، وأحاط بها عن برهان، فأراد أن يفسح له مجال التألق، ولا نعيبه فى اختياره، إذ صدقت الأيام ظنه فنجح القائد الشاب نجاح الشيوخ المحنكين.

قال سالم: نريد أن نعرف كيف تمّ الأمر لهذا البطل الشهيد، فحقق ما حققه من اكتساح، تكلم يا عامر؟!

فرد الشعبى: لقد نُفّذت خطة الحجاج كما رسمها بقصره، فسار الجيش إلى مكران وكانت بأيدى المسلمين فانضم إليه من بها من الجنود، ثم زحفوا إلى مدائن قنزبور وأرمائيل والديبل، فوقعت الأوليان فى أيدى المسلمين دون جهد، أما مدينة الديبل فقد كانت من الحصانة المنيعة، والجيش المدافع، والتصميم الجاد على رد المغيرين، بحيث استدعت أعنف الجهود، لأنها فوق مناعتها القوية كانت محلا لصنم وثنى خطير يسمى «البد» يبذل الهنود أرواحهم دونه، ويردون فى سقوط الديبل محوا أكيدا لهذا الصنم المقدس، وقد عرف محمد بن القاسم قوة اعتقاد الهنود فى «البد» فصمم على أن يرميه بالمنجنيق، حيث زوّده الحجاج به، وسماه العروس، وقد بلغ من ضخامته أنه كان يحتاج إلى قوة خمسمائة رجل من الأشداء ليقذف بصخوره الضخمة إلى المدى البعيد، وقد طارت هذه الصخور صوب «البد»

فسرعان ما تهاوى، وسقطت رايته الحمراء التى كانت تدور مع الريح فى الاتجاهات الأربع، ويظن الهنود أن الهواء مُسخر لها، يصدر عن أمرها فى الهبوب! وقد فوجىء الهنود بسقوط البد، فكان هزيمة معنوية سرت إلى نفوسهم فزعزعت إيمانها به! وحين تلاقى الجمعان تم النصر المبين! وقد سهل الأمر بعد ذلك فى المواقع الأخرى ومن أعنفها موقعة «مهران» التى جمع «الراجه داهر» بها كل قوته، لتكون نهاية العراك، وقد اعتمد على قوة الفيلة التى لم تكن بين العدة القتالية للمسلمين، ولكن ارتماء الصخور من العروس فوقها، قد أحدث بها ما أحدث من الرعب، مع صواعق نارية أخذ المنجنيق يرسلها فى إصابة موفقة، ففرت الأفيال هاربة ومن ورائها فلول الجنود، إذ رأوا أن الدائرة قد دارت عليهم، ولم يبق من أمل فى النصر، وبخاصة وقد لاقى «الراجه داهر» مصرعه، فانتشر من بعده نظام الجيش أباديد.

قال سالم موجها حديثه لخارجة: هذا هو محمد بن القاسم الذى صُرع بسيف الحقد، ولاقى جزاء سنمار، ممن كان من واجبه أن يبوئه أرقى الدرجات!.

قال عامر: لقد كان فى استطاعة ابن القاسم أن يعلن العصيان فى مكانه النازح، حين جاءه الوالى الجديد ليضع فى يده وقدمه الحديد، ولكنه اعتقد أن كفاحه البطولى سيشهد له أمام الخليفة، فرأى أن يسير إليه، ليعلم عن يقين أنه بطل من أبطال الدولة، أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!.

ابتسم خارجة سافرا، وقال: أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!! كأن ابن عبدالملك يعنيه أن ينتشر الإسلام! ولو كان هو القائم على أمره! قل غير هذا يا عامر!.

قال سالم: أرى نفسى تمتلىء من الغيط، وكنت أوثر من قبل أن أسمع من الشعبى مأساة قتيبة بن مسلم بطل الإسلام وفاتح بلاد ما وراء النهر، ولكن أحشائى ستتمزق لو أصغيت إلى حديث النكبة الثانية، فلنا الله يا خارجة.

قال خارجة:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٢).

ثم استأذن الشعبى ليتركهما فى أسف عميق.

---

(٢) إبراهيم (٤٢).

بين الشرق والغرب

للشاعر الأستاذ / محمود الخفيف (*)

مَا شَاءَ فلْيَسخَرْ بِىَ السَّاخِرُ ** بالغَرْبِ، ما عِشْتُ، أنا الكافِرُ
يَزيدُنى الْحَقُّ جُحُوداً بِهِ ** ما زَوَّرَ الحقَّ بِهِ فَاجِرُ(1)
إلاَّ نُجُوماً فِيهِ رَجَّافَةً ** يَكَادُ يَخْفَى لَمْحُها الحَائِرُ(2)

●●●

يَاشَرقُ كَمْ غَرَّتْكَ بيضُ الوُعُودْ ** أَلِفْتَهَا حَتَّى أَلِفْتَ القُيُودْ(3)
تَخْطِرُ فى الْقَيْدِ عَلى ذِلَّةٍ ** تَلُوكُ فى الأَغْلاَلِ مَجْدَ الجُدُودْ(4)
إهْنَأْ بِماضِيكَ وفَاخِرْ بِهِ ** ولُكْهُ يا مِسْكِينُ حَتَّى يَعُودْ(5)

●●●

يَا ظَامِئاً يَطْلُبُ مَاءَ السَّرَابْ ** اشْرَبْ عَلَى الغُلَّةِ مُرَّ العَذَابْ(6)
يا حَالِماً أَغْرَاهُ طيبُ الْكَرَى ** أَبْشِرْ مَعَ الصُّبْحِ بِسُوءِ المَآبْ(7)
يَالاَهِياً وَيْكَ أَمَا تَتَّقِى ** النَّابُ والمِخْلَبُ طَبْعُ الذِّئَابْ(8)

●●●

(*) من مجلة الرسالة العدد ٧٥٧ والأستاذ محمود الخفيف من كبار رجال التربية والتعليم بمصر وهو مؤلف تاريخى وأديب باحث توفى سنة ١٩٦١م.

(١) جحود: كفر. (٢) لمحها: ضوؤها. (٣) غرتك: خدعتك.

(٤) تلوك: تمضغ. (٥) لُكْه: امضغه. (٦) الغلة: الظمأ الشديد.

(٧) المآب: المرجع. (٨) ويك: دعاء يراد به الحث.

قَومُكَ بالْمَوْتِ أَعَزُّوا الْحَيَاةْ ** وأفْزَعُوا بالبَأْسِ بَغْيَ الطُّغَاةْ
فى السَّيفِ والْمُصْحَفِ بُرْهانُهمْ ** تَعْنُو لهُ فى العَالَمِين الجِبَاهْ[٩]
لا السَّيْفُ ظَلاَّمٌ عَتِيٌّ ولاَ ** يُروِّعُ المُصْحفَ عَاتٍ عَصَاهْ[١٠]

●●●

فَاوَتَ بَيْنَ النَّاسِ خَوْضُ الرَّدَى ** يا شَرْقُ هَلْ أَصْرُخُ أَيْنَ الفِدَا ؟[١١]
رِدُوافَقَدْ جَدَّ بِكُمْ دَهْرُكُمْ ** أوْ فَارْتَضُوا الخَسْفَ لَكُمْ مَوْرِدا[١٢]
مَا مِنْ قُلوبٍ أَلِفَتْ قَيْدَهَا ** إلاَّ غَدَتْ تَعْبُدُ مَنْ قَيَّدا[١٣]

●●●

دِينُ العُلاَ إنْ كُنْتَ لاَ تَعْلَمُ ** دِينُكَ يا بنَ الشَّرْقِ يَامُسْلِمُ
دِينُكَ بَيْنَ النَّاسِ سَوَّى فَمَا ** بَالُكَ لِلطُّغْيَانِ تَسْتَسْلِمُ!
دِينُكَ إنْ عُدْتَ لأَحْكَامِهِ ** حَكَمْتَ لاَ دِنْتَ لِمَنْ يَحْكُمُ[١٤]

●●●

عَقِيدَةُ دِينُكَ لاَ تُغْلَبُ ** لاَ تَعْرِفُ الْبَطْشَ ولاَ تَرْهَبُ[١٥]
شَرِيعَةٌ خَالِدَةٌ فُصِّلَتْ ** دُسْتُورُها الخَالِدُ لا يُسْلَبُ
رُوحٌ مِنَ اللَّهِ سَمَاوِيّةٌ ** شَرْقِيَّةُ الْمَطْلَعِ، لاَ تَغْرُبُ

●●●

يَا شَرْقُ حَتَّامَ تَلُومُ القَدَرْ ** ولا تَنِى تَرنُو إلى مَنْ غَبَرْ ؟[١٦]
أنْتَ الْمَلُومُ اللائِمُ الْمُشْتَكِى ** كَمْ صَرَخَتْ حَوْلَكَ شَتَّى العِبَرْ[١٧]
رَضِيتَ، لَوْ أَنْكَرْتَ مَا تَشْتَكِى ** مِنْهُ، تَهَاوَى عُمْرُهُ واحْتُضِرْ[١٨]

●●●

---

(٩) برهانهم: دليلهم، تعنو: تخضع.
(١٠) عاتٍ: ظالم.
(١١) فاوت: خالف.
(١٢) رِدُوا: أمرٌ مِنْ ورد.
(١٣) تعبد: تعنو وتخضع.
(١٤) دنْتَ: خضعت
(١٥) عقيدة: خبر مقدم، دينك: مبتدأ مؤخر.
(١٦) لاتنى: لاتزال، غبر: مضى.
(١٧) العبر: العظات.
(١٨) احتضر: مات.

إلامَ يا شــرْقُ حَــيَــاةَ الْجَــسَــدْ ** فى ذُلِّهَــا طَالَ عَلَيْكَ الأَمَــدْ[١٩]
يَا مَــوْطِنَ الرُّوح أَمَــا هِزَّةٌ ** تُشْــعِلُ مِنْ أَرْوَاحِنَا مَــا خَــمَــدْ؟
وَيْحَكَ يَا عَــانِى أَمَــا غَــضْــبَــةٌ ** لَشَــدَّ مَــا تُذْعِنُ إِذْ تُضْطَهَــدْ![٢٠]

●●●

يَا أُمَّــةً تُهْــضَمُ أَوْطَانُهَــا ** ولاَ يَنِى يَمْــرحُ فِــتْــيَــانُهَــا[٢١]
أَتَرْتَضُــونَ الذُّلَّ؟ مَــا خَطْبُكُمْ ** ذَلَّتْ نُفُــوسٌ مَــاتَ إِيمَــانُهَــا[٢٢]
تَاللهِ مَــا الْبَــعْثُ سِــوى رَجْــفَــةٍ ** يُمَــحِّصُ الأَنْفُسَ بُرْكَــانُهَــا[٢٣]

●●●

وَا أَسَــفَــا كلُّ حِــمىً مُــسْــتَــبَــاحْ ** هَيضَ الحِــمَى مُنْذُ فَــقَــدْنَا السِّــلاَحْ[٢٤]
يَا فِــتْــيَــةَ الشَّــرْقِ أَلاَ خَــالِدٌ ** وَقَــدْ تَدَاعَى قَــوْمُنَا، أَوْ صَــلاحْ؟[٢٥]
حِطِّينُ هَذَا وَقْــتُــهَــا فَــاحْــشُــدوا ** أَبْطَالَكُمْ، هَذَا أَوَانُ الطِّــمَــاحْ[٢٦]

●●●

أَمَــا يَهُــزُّ الشَّــرْقَ بَغْىٌ عَــتَــا ** بَعْــدَ خَــفَــاءِ سَــيْــفَــهُ أَصْلَتَــا؟[٢٧]
الطَّــمَعُ الغَــاصِبُ بُعْــداً لَهُ ** كلَّ فُــؤَادٍ لُؤْمُــهُ أَعْنَتَــا[٢٨]
مَــتَى أَرى الشَّــرْقَ لَظىً حَــوْلَهُ ** وَيْلاَهُ! كَمْ تُلْهِبُ صَــدْرِى مَــتَى!

●●●

أَيَّــةَ نَــارٍ أَوْقَــــدَ الطَّــامِــعُ ** وأىُّ بَــغْــىٍ ذَلِــكَ الــدَّافِــعُ
مَــا أَوْضَعَ الإِنْسَــانَ إِنْ لَمْ يَعُــدْ ** فى نَفْــسِــهِ عَنْ غِــيلَةٍ وازِعُ[٢٩]

---

(١٩) الأمد: الزمن.
(٢٠) عانٍ: خاضع.
(٢١) تُهضم: تُظلم.
(٢٢) خطبكم: شأنكم.
(٢٣) يمحّص: يكشف ويبين.
(٢٤) هيض الحمى: ذلّ وضعف.
(٢٥) خالد وصلاح الدين البطلان الشهيران.
(٢٦) حطّين موقعة انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين، الطماح: الطموح.
(٢٧) عتا: ظلم، أصلتت: سلّ.
(٢٨) كلَّ فؤاد: مفعول به مقدم لأعنتا، أعنت: أتعب وضيّق.
(٢٩) وازع: زاجر.

بِيعَتْ فِلَسْطِينُ فَيَا مَوْطِناً ** فى عَلَنٍ غَاصِبُهُ الْبَائِعُ !

●●●

بِيعَتْ وَمَا أَعْجَبَ بَيْعَ الشُّعُوبْ ** فِيمَا وَعَى التَّارِيخُ أَدْهَى الْخُطُوبْ(٣٠)

سُوقٌ بِهَا السُّوَّاس كَمْ زَاوَلُوا ** نَخَاسَةً هَانَتْ إِلَيْهَا الْحُرُوبْ(٣١)

كَمْ أَعْتَمَ الْغَرْبُ وَفِى أُفْقِهِ ** كَمْ بَهَرَ الأَبْصَارَ بَرْقٌ كَذُوبْ !(٣٢)

●●●

قَائِمَةٌ مِنْ عَهْدِهَا الأَسْبَقِ ** حَرْبُ الصَّلِيبِيِّينَ فِى الْمَشْرِقِ

لَمْ يَفْتُرِ الْغَرْبُ وَلَمْ يَأْلُنَا ** مِنْ حَرْبِهِ أَوْ كَيْدِهِ الْمُرْهِقِ(٣٣)

لاَ تَلُمِ الْغَرْبَ عَلَى بَغْيِهِ ** اللَّوْمُ لِلْمُسْتَسْلِمِ الْمُوثَقِ(٣٤)

●●●

اللَّوْمُ لِلْجَاثِمِ فِى كِنِّهِ ** فِى مَيْعَةِ الْقُوَّةِ مِنْ سِنِّهِ(٣٥)

يَضِنُّ بِالْمَالِ عَلَى وَفْرَةٍ ** وَيَرْتَضِى الأَغْلاَلَ فِى ضَنِّهِ(٣٦)

إِنْ شَحَّ بِالْمَالِ أَمَا حَفْنَةٌ ** لِلْغَاصِبِ الْوَاغِلِ مِنْ ضِغْنِهِ ؟(٣٧)

●●●

بَاعَ فِلَسْطِينَ حُمَاةُ الأُمَمْ ** أَهْلُ الْمَوَاثِيقِ رُعَاةُ الذِّمَمْ

الْكَاشِفُونَ الضُّرَّ عَنْ أَرْضِنَا ** حِينَ تَغَشَّى النَّاسَ فِيهَا الظُّلَمْ(٣٨)

الْكَارِهُونَ الْبَغْىَ مَنْ أَنْقَذُوا ** بِالنَّارِ حُرِّيَّاتِهِمْ وَالْقَلَمْ(٣٩)

●●●

بِالذَّهَبِ الْبَاغِى اشْتَرَتْهَا يَهُودْ ** وَعُصْبَةُ الأَمْنِ عَلَيْهَا شُهُودْ(٤٠)

الأَمْنُ؟ مَا الأَمْنُ سِوَى غَايَةٍ ** تُنْمَى إِلَى أَحْلاَمِ هَذَا الْوُجُودْ

---

(٣٠) وعى: سجّل وحفظ. (٣١) السوّاس: الساسة، نخاسة: تجارة الرقيق. (٣٢) أعتم: أظلم.

(٣٣) لم يألنا: لم يقصر فى أذانا. (٣٤) الموثق: المقيد. (٣٥) كنّه: جحره.

(٣٦) ضنه: بخله. (٣٧) ضغنه: حقده وكيده. (٣٨) تغشّى: غمر، الظّلم : جمع ظلمة.

(٣٩) أهل أوروبا الذين نالوا حرياتهم بالنار والكلمة الصادعة.

(٤٠) عصبة الأمن: يريد مجلس الأمن الذى حابى إسرائيل.

قُلْ لِرُعَـــاةِ الأَمْنِ سُـــحْـــقــاً لَكُمْ ** النَّارُ لاَ تُلقُـوا إليـهْـا الوَقُــودْ[٤١]

●●●

فى الأَرْضِ مَلْعـــونونَ مَـــا طَوَّفُـــوا ** كَمْ بَخَسُـــوا الْكَيْلَ وكَمْ طَفَّـفُـوا[٤٢]
فـــى كُـــلِّ رُكْـــنٍ لِـــلـــرِّبَــا آكــلٌ ** بَـاغٍ وفى كلِّ حِـــمىً مُـــسْـــرِفُ
تَـالـلـهِ لَـنْ يُـفْـلِـحَ كَــــيْـــدٌ لَـهُـمْ ** مَـا أَشْـعَلُوا الفِـتْنَةَ أَوْ أَرْجَـفُـوا[٤٣]

●●●

قُلْ لِبَـنى المَشْــــرِقِ مِنْ وَاجِـــدِ ** يَبْكى ومِنْ مُـسْـتَـصْـرِخٍ جَـاهِد[٤٤]
قُلْ لِرُعَـــاةِ الشَّــرْقِ مِنْ عِلْيَـــةٍ ** تَشَـاوَرُوا فى مَـجْلِسٍ حَـاشِـدِ[٤٥]
خُـوضُـوا المَنَايَا الحُـمْـرَ أَوْ فَـاقْـعُـدُوا ** مَـا مِنْ طَرِيقٍ غَـيْـرِها قَـاصِـدِ[٤٦]

●●●

صُــبُّــوا عَلى النَّارِ هُنَاكَ الدِّمَـا ** لا تَبْـتَـغُـوا غَـيْـرَ الرَّدَى مَـغْنَمَـا[٤٧]
جَـدَّ العَـدُوُّ الْيَـوْمَ فى بَغْـيِـهِ ** فَـأَطْفِـئُـوا النَّارَ التى أَضْـرَمَـا[٤٨]
مِنْ دَمِكُـمْ إِنْ صَـالَ أَعْـداؤكُـمْ ** وصَـمِّـمُـوا فـالحُـرُّ مَنْ صَـمَّـمَـا[٤٩]

●●●

يا ابْنَ الكُـمَـاةِ الغُـرِّ جَـدَّ الزَّمَنْ ** واسْـتَـصْـرَخَ الْيَـوْمَ بَنِيـهِ الوَطَنْ[٥٠]
يا ابْنَ الأُلى النَّجْـدَةُ كَـانَتْ لَهُمْ ** دِيناً وَكَـانُوا عُـصْـبَـةً فى الْمِحَنْ[٥١]
أَفِقْ عَلى الصَّـيْـحَـةِ طَالَ الْكَرَى ** شَـرٌّ مِنَ الأجْـدَاثِ هَـذَا الْوَسَـنْ[٥٢]

●●●

فـى الأُفُـقِ الـشَّـرْقِـيِّ لَـوْنُ الـدَّمِ ** مُـنَـوِّرٌ بَـعْـدَ الـدُّجَـى المُـعْـتِـمِ[٥٣]
أَفِقْ عَلى الإِصْـبَـاحِ وانْشُـدْ لَهُ ** لَحناً إِلى مَـجْـدِ الرَّدَى يَنْتَـمى[٥٤]
وانْـهَـضْ إِلـى المَوْتِ وخُضْ لُجَّـهُ ** مُـبْـتَـسِـمـاً فى وَجْـهِـهِ الأَقْـتَمِ[٥٥]

---

(٤١) سحقاً: بُعداً. (٤٢) بخسوا: غبنوا، المطفف: الذى يأخذ حق غيره فى الوزن والكيل.
(٤٣) أرجفوا: مشوا بالشائعات. (٤٤) واجد: حزين، مستصرخ: طالب للنصرة. (٤٥) علية: رؤساء.
(٤٦) قاصد: معتدل. (٤٧) الردى: الموت. (٤٨) أضرم: أوقد وأشعل.
(٤٩) صمّموا: اعزموا. (٥٠) الكماة: الشجعان، استصرخ: دعا إلى الجهاد. (٥١) عصبة: يد واحدة، المحن: الخطوب.
(٥٢) الكرى: النوم، الأجداث: القبور، الوسن: النوم. (٥٣) المعتم: المظلم.
(٥٤) ينتمى: ينتسب. (٥٥) الأقتم: المظلم.

عداوة أمريكا وصداقتها

١

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى

قال العميد الأنصارى، وأقول:

ملخص:

«أؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر فى مناهجنا التعليمية»؟!

«ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء»؟!

«نرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»؟

«ما المانع أن تدعو أمريكا باكستان لتغيير مناهج مدراسها الدينية»؟!

«على السعودية أن تبادر لإعادة النظر فى مناهجها التعليمية الدينية»؟!

«يجب منع طباعة كتاب إحياء علوم الدين والكبائر بسبب إساءتهما للإسلام وللمرأة»؟!

«بوش أكثر رئيس أمريكى احتراما للإسلام، ودعا شعبه لاحترام أتباعه»؟!

«نعم، أمريكا منحازة لإسرائيل، ولكن ماذا نستفيد من عداوتها»؟!

«أرفض الإسلام الذى يفرخ الإرهاب، ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية»؟!

هذا الكلام «الغريب» الذى صدرنا به هذه «الرسالة» كان محرر صحيفة «الراية» القطرية، السيد «أنور الخطيب» قد كتبه فى مقدمة حوار أجراه مع الأستاذ الدكتور عبدالحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

وأشهد أننى فزعت وأنا أقرأ هذا لأول مرة، والدكتور الأنصارى كما عرفت- عزيزى القارئ- ليس رجلا من «سقط المتاع»، ولكنه رمز من رموز الثقافة العربية المعاصرة، صعد سُلَّم العلم والمعرفة إلى أقصى درجاته، وتولى منصبا أدبيا رفيعا فى الحقل الجامعى فى بلده، ولو كان هذا الكلام الغريب صدر عن غيره من متعاطى الكتابة لما حرك لأحد ساكنا، لأننا تعودنا فى هذا العصر على تهافت فى الفكر والرأى ممن ليست لهم أهمية فى مجال الفكر والرأى، أما حين يصدر

الكلام الغريب المفزع من عميد كلية للشريعة والقانون فى أى بلد عربى أو إسلامى فهنا الوضع يختلف كل الاختلاف.

ولنبدأ بالفقرات التى استخلصها المحرر فى مقدمة الحوار الذى دار بينه وبين الدكتور العميد. إنه يؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر فى مناهجنا - نحن العرب والمسلمين - الدينية.

إن دعوة أمريكا هذه مرفوضة شكلا، ومرفوضة موضوعاً: مرفوضة شكلا، لأن أمريكا ليست وصية علينا فنحن أمة لها سيادة على أرضها، وفى سائر شئونها فمن الذى أعطى أمريكا هذه الحقوق يا ترى هل الدول العربية والإسلامية أصبحت ولايات أمريكية تتلقى الأوامر والنواهى من الرئيس الأمريكى جورج بوش؟ أليس هذا تدخلا طفيليا من أمريكا بوش، أو بوش أمريكا؟ وأما موضوعا فلأن التعليم الدينى فى العالم العربى والإسلامى هو عرض الأمة وينبثق من قيم ومبادئ دينها القويم الذى رسمه كتاب الله العزيز، وسنة الرسول الكريم، وليس للأمة مصدر سواهما يجب عليها طاعته:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾(١).

طاعة الله باتباع كتابة، وطاعة الرسول فى اتباع هدية، وهما طاعتان منصوص عليهما، وإن كانت طاعة الرسول من طاعة الله.

أما طاعة أولى الأمر، وهم العلماء والأمراء، فهى طاعة مقيدة لا مطلقة، مقيدة بأن يدعونا إلى طاعة الله ورسوله، فإن دعونا إلى معصية الله ورسوله فلا طاعة لهم علينا ولذلك قال عز وجل: «وأولى الأمر»، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر، فدمج طاعتهم فى طاعته وطاعة رسوله، يعنى ليست لهم طاعة مستقلة عن طاعة الله ورسوله.

ومن هم أولو الأمر يا ترى؟ إن قوله -عز وجل-: «منكم» يحدد بكل دقة المراد من أولى الأمر فى الإسلام، لأن الضمير فى منكم عائد على المخاطبين فى صدر الآية: «يا أيها الذين آمنوا»، وهم المؤمنون من المسلمين. فهل الرئيس الأمريكى «جورج بوش» فرد من أفراد المخاطبين من أهل الإيمان الإسلامى، حتى يندرج فى هذا الخطاب، فيكون أحد ولاة أمور المسلمين، بل ولى أمر المسلمين الأوحد حتى على الملوك والرؤساء والأمراء فى جميع العالم الإسلامى؟

ماذا يقول الدكتور عميد كلية الشريعة فى هذا. أليس عمداء كليات الشريعة فى العالم الإسلامى هم حماة الشريعة بحسب مناصبهم؟ والدكتور العميد واحد منهم.

إن هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(٢).

ترسم للأمة منهجها الحكيم الذى تسير عليه فى الحياة - جامعا مانعا- حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) النساء (٥٩).

(٢) النساء (٥٩).

فهل فى مقدرة الدكتور العميد أن يأتينا بدليل تحنو له الأعناق، يبيح أو يوجب علينا الخروج عن شريعة الله المحكمة؟ أو يعترف بأن ما قاله زلة يجب الرجوع عنها.

وقال الدكتور الأنصارى: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء». إلى هذا الحد يدافع الدكتور العميد عن جرائم «بوش أمريكا»، أو «أمريكا بوش»؟

لقد شهد العالم كله الجرائم الفظيعة الشنيعة التى ارتكبتها «أمريكا بوش» فى حق الشعب الأفغانى المسلم بصفة خاصة، وفى حق الإنسانية بصفة عامة. شهدناها وعشناها عبر القنوات الفضائية. وكان ضحية تلك الجرائم هم الحفاة العراة من مسلمى أفغانستان، التى هدمت الغارات الأمريكية المجنونة منازلهم على رؤوسهم، ورأينا الجثث تنتشل من تحت الأنقاض لشيوخ ونساء وشباب وأطفال!

ورأينا مساجد تحطم، ومستشفيات تتساقط على المرضى والأطباء والممرضات.

وإلى الآن الحرب مستعرة فى أرض كان لها تاريخ عريق فى الإسلام، حتى الكلاب والطيور رأيناها تفزع من وحشية بوش ورجال إدارته، ورأينا جثثا مفحمة ملقاة على الأرض. ورأينا كل شئ عرضة للتدمير فى بلد أنهكته الكوارث قرابة قرن من الزمان.

برغم هذا كله يقول الدكتور العميد: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب»، والله هذا الكلام. وإذا لم يكن هذا إرهاباً فما هو الإرهاب يا سعادة العميد؟

سؤال نتركه بلا جواب. إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ثم يقول الدكتور العميد: «ونرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»، هذه العبارة أوهن من نسج العنكبوت الذى ضربه الله مثلا فى الضعف والوهن، وصدورها عن أستاذ دكتور عميد لكلية شريعة إسلامية، يملأ المشاعر استغراباً، والعقول استنكاراً، لأن معناها فى واد، والواقع فى واد آخر فهل يتصور أن يكون الدكتور العميد معزولا عن واقع الحياة الراهنة؟ لا أظن وإنما هو لم يستمد شيئا فى حواره مع الراية القطرية من الواقع، بل من وحى الخيال، أو من وجهة نظر مفصومة عن آمال الأمة وآلامها.

وأنا على يقين لو أن جهة ما من جهات استطلاع الرأى وزعت هذا السؤال على البالغين الراشدين فى الوطن العربى، لأمكنها أن تحصل على الإجابة الإجماعية بذكر الأدلة المائة من سلوكيات الإدارات الإمريكية فى غضون ٢٤ ساعة من الزمن، أذكر مائة دليل على أن أمريكا أو الإدارة الأمريكية أخطر عدو لنا.

إن خمسة وعشرين دليلا من هذه الأدلة المائة تتمثل فى خمس وعشرين مرة استخدمت أمريكا فيها حق الفيتو فى الأمم المتحدة لحماية إسرائيل ضد العرب والمسلمين، ولولا خشية الإطالة لذكرى الـ٧٥ دليلا الباقية بلا توقف أو استعانة بأحد.

ومع هذا كله يتهم الدكتور العميد شعوب الأمة كلها بل وقادتها بأنها تظلم أمريكا إذا اعتبرناها عدوة لنا يا سبحان الله؟!

ونحن لم نعتبر أمريكا عدوة لنا، بل أمريكا نفسها متمثلة فى إدارات حكوماتها المتعاقبة هى التى أملت علينا بكل قوة وحسم أنها وحدها من دول الغرب عدو لدود لنا.

وإذا كان الدكتور العميد مصرا على موقفه هذا فإننا نطرح عليه هذه الأسئلة الحديثة الوقوع راجين منه الإجابة عنها بما يدعم رأيه هو، ويقوض موقف الأمة جمعاء..

بم تفسر القائمة التى أصدرها الرئيس بوش بالدول التى سيضربها بحجة أنها تؤوى الإرهاب وهى خمس وستون دولة كلها شرقية إسلامية إلا دولة واحدة أوروبية.

وبم تفسر تركه الحبل على الغارب لإسرائيل شارون فى تدمير الشعب الفلسطينى، وما وطئته قدماه، وما ملكته يداه، وفى الوقت نفسه يعتبر فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية جماعات إرهابية يجب إبادتها فى حروب مكافحة الإرهاب.

وبم تفسر تدخل الرئيس بوش فى شئون البنوك الإسلامية زاعماً أنها تساند الإرهاب وتدعمه، لأنها توزع أموال الزكاة على فقراء المسلمين؟

أنت عميد كلية شريعة إسلامية، وتعلم علم اليقين أن إخراج الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة فهل تصرف بوش هذا حفظ للإسلام أم ضياع له؟

وبم تفسر أن أمريكا بعد إسقاط كابول فى أيدى قوات التحالف وأتباعهم سارع الأمريكان، ومؤيدوهم بفتح محلات للكوافير النساء، كى تلقى المسلمات الأفغانيات الحجاب، ويصففن شعورهن، ويضعن المساحيق على وجوههن وخدودهن، ويرتدين الملابس الأوروبية الملونة الشفافة والضيقة؟

كما سارعوا إلى فتح دور السينما والملاهى ومحلات الحلاقة الرجالى لحلق اللحى.

هلا سارع بوش إلى إعادة بناء المساجد التى سواها بالأرض؟ أو المدارس التى هدمها بين عشية وضحاها أو دار الإذاعة التى أحالها أنقاضا، أو المستشفيات التى هدمها على من فيها من مرضى وأطباء وممرضات؟

بم تسفر هذا كله يا سعادة الدكتور العميد؟

وبم تفسر الرشوة التى قدمها بوش لباكستان، لإعادة النظر فى مناهج مدارسها وجامعاتها الدينية.

وبم تفسر طلبه من الدول الإسلامية والعربية بمراقبة خطباء المساجد الناشطين وعزلهم من أعمالهم.

وبم تفسر طلبه من الدول العربية والإسلامية بإغلاق مدارس ومعاهد وكليات التعليم الدينى؟

وبإعادة النظر فى تفسير القرآن الكريم؟

ماذا أنت قائل يا سعادة الدكتور العميد: إننا لم نقل إن أمريكا عدوتنا افتراء عليها، ولكن ملف أمريكا الأسود معنا- نحن العرب والمسلمين- هو الذى حملنا على هذا الاعتقاد. ولو لم نقل إن أمريكا عدوتنا لأصبحنا فى عداد المذهوبى العقول، ولسخر منا الصديق قبل العدو. وحسبك هذه التساؤلات فما أردنا إلا مجرد التمثيل.

ثم يقول الدكتور العميد: ما المانع أن تدعم أمريكا باكستان لتغير مناهج مدارسها الدينية؟

ونقول: ليس ما تقدمه أمريكا لباكستان لتغيير مناهج مدارسها الدينية دعما. بل هو رشوة، ومناهج أية دولة إسلامية، خاصة المتصلة بالدين شأن خاص بها وفريضة هى وحدها المسؤولة عن تأديتها، وأمريكا تعرف أن تلك المناهج خرجت علماء أعلاما فى العلوم والفكر الإسلامى. وهذا الدعم كما يسميه العميد، أو الرشوة كما ينبغى أن تسمى، من شأنها أن تدعو الدكتور العميد للتنازل عن رأيه، الذى شذ به عن إجماع الأمة من أن أمريكا ليست عدوة لنا، وإلا لماذا تركز إدارة أمريكا على وأد شئوننا الدينية تحت بريق دولاراتها الملوثة؟ لماذا لم تدعم أمريكا باكستان أو أى دولة إسلامية لتطوير مناهجها فى علوم فقه الحياة: أسلحة- تجارة- صناعة- طب- علوم الفضاء- علوم البحار- علوم الطاقة؟

لماذا إزالة التعليم الدينى الإسلامى؟ أمريكا رأت بعينها هدير وثورات الأحزاب الدينية قبل نشوب حربها الظالمة على الحفاة العراة من مسلمى أفغانستان فهى- إذن- تريد أن تقضى على روح الجهاد الإسلامى ليطول بقاؤها فى أفغانستان؟ ومن يدرى ما هى مطامع أمريكا التى لم تفصح عنها فى المنطقة حتى الآن.

ثم يقول الدكتور العميد: على السعودية أن تبادر لإعادة النظر فى مناهجها التعليمية الدينية.

ونقول: هذا رجم بالغيب من الدكتور العميد، ويبدو أنه لم يعرف شيئا عن مناهج التعليم الدينى فى السعودية.

فقد عشت فى السعودية ١٢ عاما. وكان معى أبنائى، وهم دون التعليم الجامعى. وبعضهم درس مناهج التعليم الدينى من «أولى ابتدائى» حتى حصلوا على الإعدادية، ومنهم من درس المناهج الدينية حتى حصل على الثانوية العامة السعودية، وكنت أتابع معهم المواد الدينية والعربية والإنسانية بكل دقة واهتمام.

أما التعليم الجامعى وما تلاه فى مرحلة الدراسات العليا بقسميها: الماجستير، والدكتوراة، فقد قمت بتدريسها طوال الـ١٢ عاما فى البنين والبنات، ومن خلال هذه التجربة الطويلة العميقة أقول:

إن السعودية لا تعلم تلاميذها ولا طلابها فى التعليم الدينى إلا ما أنزله الله، وبلغه رسوله المعصوم ﷺ (الكتاب والسنة)، فهل يراد منها أن تدير ظهرها لكتاب الله وسنة رسوله؟ وماذا يبقى لها، وهى مهبط الوحى الأمين ومنشأ رسوله الكريم، ماذا يبقى لها من الإسلام إذا استجابت لمطالب بوش ودعوة الدكتور العميد؟؟

وإذا كانت هذه هى رؤية الدكتور فى مناهج التعليم الدينى فى السعودية، فلماذا لم يسبق بدعوته مطالب بوش؟

أما كان عليه أن يتقدم بهذه الدعوة إلى ولاة الأمر فى السعودية منذ تولى سعادته عمادة كلية الشريعة، أو على الأقل قبل أن يتطفل بوش ويزج بأنفه فى الشئون الداخلية لدولة ذات سيادة، لها فى الإسلام تاريخ عريق؟

أما كان أحرى بالرئيس بوش أن يدعو إلى إعادة النظر فى مناهج التعليم الخلقى والثقافى فى

بلاده؟ وهى – بحق– جديرة بإعادة النظر! أم أن الأمر كما قال الشاعر:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه
ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

ثم يقول الدكتور العميد: يجب منع طباعة كتابىّ: إحياء علوم الدين للغزالى« والكبائر للذهبى»، لأنهما أساءا إلى الإسلام وللمرأة.

ونقول: إن كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى هو كتاب من طراز فريد فى فلسفة التربية والأخلاق فى الإسلام وفى غير الإسلام، وليس له نظير فى موضوعه، ثم إنه نموذج فريد فى هندسة التأليف والتنظيم العقلى، والأفكار التى تضمنها مبتناة على كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وهو موضع تقدير عند علماء المسلمين وعند المستشرقين، ولأهمية هذا الكتاب منح الإمام الغزالى لقبا رفيع المستوى وهو «حجة الإسلام» صحيح إنه وردت فيه بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد قيض الله لهذا الكتاب «الحافظ العراقى» فخرج أحاديثه وبين درجاتها، فأصبح الكتاب خالصا من العيوب، وتحدث فيه الإمام أبو حامد الغزالى عن أركان الإسلام الخمسة: كلمة التوحيد، والصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد، مع موضوعات أخرى مهمة.

ولسنا ندرى ما هى العيوب التى أساءت للإسلام وللمرأة فى كتاب الإحياء حتى يطالب الدكتور العميد بحظر طبعة إلى الأبد؟

أما كتاب الكبائر للإمام الذهبى، فموضوعه أن مؤلفه جمع فيه المعاصى المغلظة، المسماة فى القرآن وفى السنة بالكبائر والإمام الذهبى نفسه إمام من أئمة الإسلام الأعلام، ومحدث لا يشق له غبار وله فى خدمة الحديث النبوى– رواية ودراية– جهود لم تعرف لمحدث سواه، ويأتى فى مقدمتها موسوعته الضخمة «سير أعلام النبلاء» ٢٥ جزءا ضخما فكيف يتأتى من هذا العالم الثقة ما يسئ للإسلام أو المرأة؟

هذا الكلام لا ساق له ولا قدم، بل هو اتهام عشوائى مرفوض، وعلى الدكتور العميد أن يبرهن للأمة على صحة دعواه الجوفاء، أو يعتذر لها عن هذا التشويه المنكر.

أوَلم يقرأ الدكتور العميد قول الشاعر فى أدب المناظرة:

والدعاوى ما لم يقيموا عليها
بينات، أبناؤها أدعياء

فعلى الدكتور العميد أن ينسب دعواه هذه إلى والد وإلا ظلت – وهذا شأنها– مجهولة النسب.

ويقول الدكتور العميد: «مناهج كلية الشريعة متطورة ومنفحتة، لذا لم تجد طالبا فى قطر خرج مؤيدا لابن لادن».

ونقول: الدكتور العميد يتحدث فى هذه الفقرة عن كلية الشريعة التى هو عميد فيها ولنا على هذا الكلام ملاحظتان:

الملاحظة الأولى:

إنه يحصر ما حدث من أمريكا فى أفغانستان فى مسألة فردية تتعلق بابن لادن. وهذا تقليص مجحف إلى أبعد مدى لحجم الكارثة التى صنعتها أمريكا – بوش فى كل أفغانستان

وباكستان، وما تنوى أمريكا– بوش القيام به ضد العالم العربى والإسلامى. أفغانستان دمرت، وباكستان أفقدها الرئيس بوش إرادتها، أو نومها تنويما مغناطيسيا، ثم راح يملى عليها ما يريد، إن حصر جرائم أمريكا فى هذا الحجم تجاهل مفضوح، وعور ظاهر، يراه حتى فاقدو الإبصار.

والملاحظة الثانية:

إن هذا المشهد السلبى، الذى وصف به الدكتور العميد طلاب وشباب دولة قطر الشقيقة ليس موضع فخر ولا مباهاة، فالجرائم الشنيعة التى حلت بالحفاة العراة فى أفغانستان، هزت المشاعر الإنسانية كلها، وكادت تؤثر فى الكتل الصخرية لفظاعتها، حتى ولو كان الشعب الأفغانى ليس مسلما، فالظلم شديد المرارة كيف وقع، وأين وقع؟

إن الدكتور فى هذه المقولة يدعو إلى بلادة الحس واللامبالاة إزاء أحداث تذيب الحديد الصلب وتفتت الصخور، ويهيئ من خلال أفكاره هذه الطريق لإزهاق روح التماسك بين مشاعر الأمة. التى صورها رسولنا ﷺ فى بعض أحاديثه. كقوله ﷺ:

«مثل المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٣).

ويقول الدكتور العميد: بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراما للإسلام. ودعا شعبه لاحترام أتباعه؟

ونقول: الدكتور العميد بدا غير واقعى حتى مع نفسه فى هذه العبارة، لأنه قال ما يعلم أنه ليس له قبول عند المخاطب فى الوطن العربى والأوطان الإسلامية جميعا، لأن ما أصاب الإسلام والمسلمين على يد الرئيس بوش بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لم يسبق له نظير من رئيس أمريكى سابق، وتوخيا للإيجاز، نحيل القارئ إلى ما تقدم ذكره من قائمة التساؤلات التى وجهناها للدكتور العميد من جرائم الرئيس بوش، والتمسنا منه أن يفسرها تفسيراً يقنع الأمة بأن أمريكا ليست عدوا لنا. أما الجديد الذى نقوله هنا، وفى إيجاز فهو:

ألم يصرح الرئيس بأن حربه ضد الإرهاب التى كان سيبدأها ولمدة عشرين عاما حملة صليبية جديدة؟ والمفهوم التاريخى للحرب الصليبية أنها حرب ضد الإسلام. أم أن الدكتور العميد يسقط دلالات التاريخ من فكره؟ صحيح أنه حاول أن يتخطى هذه العقبة بأن الرئيس بوش عاد واعتذر عن هذه المقولة الحمقاء. وهذا لا يفيد الدكتور العميد فى كثير أو قليل، لأن العبرة بأعمال بوش لا باعتذار لسانه، فقد خالفت أعماله أقواله «الاعتذارية» بعد ذلك بقليل. وبوش كان مكرها لا بطلا حين اعتذر، لأنه كان يطمع فى دخول العالم الإسلامى فى تحالفه المشئوم، الذى دعا إليه فى حربه المسماة «ضد الإرهاب» أو على الأقل ليضمن وقوف الدول

(٣) أخرجه أحمد ٤/٢٧٠.

الإسلامية مكتوفة الأيدى أمام حروب الإبادة التى سوف يشنها ضد الإسلام والمسلمين بادئا بالحفاة العراة فى أفغانستان المسلمة.

وبعد اعتذاره أعلن أنه سيضرب خمسا وستين دولة، لأنها تؤوى الإرهاب.

ثم تعرض العرب والمسلمون فى أمريكا، وكل ما يتصل بالإسلام هناك لحملات اضطهاد واحتقار لم يسبق لها مثيل فى التاريخ.

ثم تتابعت التدخلات البوشية الدنيئة فى الشئون الدينية الداخلية فى العالم الإسلامى.

فطلب من السعودية تخفيض الوقت الأسبوعى لتدريس المواد الإسلامية من عشرين ساعة فى الأسبوع إلى أربع ساعات فقط. بشرط أن تقتصر الدراسة فى فرع العبادات دون غيرها؟ يا سبحان الله!

وطلب من اليمن أن يتعقب خطباء المساجد الناشطين الذين لهم تأثير قوى فى التوعية، وتقدمهم إلى بوش باعتبارهم من أفراد تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن.

وطلب من مصر إلغاء المعاهد الدينية (الأزهر)، وإعادة النظر فى تفسير القرآن الكريم؟ ولا ريب أن مطالب مشابهة لبوش إلى جهات إسلامية أخرى حدثت، وإن لم يكشف عنها الغطاء.

ناهيك عن الحملات الإعلامية الشرسة فى كل وسائل الإعلام المحلية هناك، والعالمية ما تزال تصب كؤوس حقدها على الإسلام.

وكاتب هذه الرسالة تلقى شخصيا تهديدا من أمريكى فى مطلع هذا العام ٢٠٠٢م بهدم الكعبة، ثم إبادة المسلمين جميعا على أيدى أمريكا، التى ستتخذ- كما يقول صاحب التهديد- من ضرب العالم الإسلامى تجربة ناجحة لأسلحتها الثقيلة المخزونة فى تراساناتها الآن؟

فهل بعد هذا، وغيره كثير يقال إن الرئيس بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراما للإسلام؟

وأى الرؤساء الأمريكيين قبل بوش احترم الإسلام حتى يكون هو - أعنى بوش- أكثر احتراما للإسلام من غيره.

الإسلام لم ير من بوش خيرا قط، ولو رأينا شيئا من ذلك لقدرناه له، ولشكرناه عليه. وما تقوم به أمريكا من قروض أو معونات لبعض الدول العربية أو الإسلامية ليس دليلا على احترامها للإسلام- كما يدعى الدكتور العميد- بل إن أمريكا لها أغراض أخرى من ورائها، يمكن الإشارة إليها فى الآتى:

إنها تريد فرض ولائها وهيمنتها على من تحسن إليهم، وهذا يتناسق تماما مع مبدأ العولمة التى طرحتها أمريكا بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، ولست أدرى هل كان الدكتور العميد يعلم؟

أو لا يعلم أن أمريكا بعد توقف الحرب فى البوسنة والهرسك وجاء دور بذل المعونات، لإعادة إعمار البوسنة، من الدول المانحة عام ١٩٩٨م كانت أمريكا هى الدولة المانحة الوحيدة، التى اشترطت على البوسنة والهرسك تخفيض تسعين ألفا من قواتها المسلحة حتى تعطيها أمريكا المعونة المتفق عليها!

بم يفسر ذلك الدكتور العميد؟ إن أدنى وأظهر تفسير له أن أمريكا تريد إضعاف القوة الدفاعية لدى أى دولة إسلامية أو عربية؟

ومن حسنات أمريكا عند الدكتور العميد أنها لولاها ما كانت مصر استعادت أرضها سيناء؟

حفظ العميد شيئا وغابت عنه أشياء. ومما غاب عنه أن إسرائيل احتلت سيناء، وغيرها من الأراضى العربية بالقوة عام ١٩٦٧م. وسيناء أرض مصرية معترف بها دوليا فى قرار تقسيم فلسطين. ونسى العميد أو تناسى أن احتلال أراضى الغير بالقوة محظور حظرا باتا فى مواثيق الأمم المتحدة. وأن على من احتل أرض غيره بالقوة أن يخرج منها بلا قيد ولا شرط.

هذا، وقد صدرت قرارات من هيئة الأمم تحتم على إسرائيل الخروج من الأراضى العربية التى احتلها بالقوة، لكن إسرائيل بمساندة أمريكا ضربت بقرارات هيئة الأمم عرض الحائط.

لذلك صممت مصر على خوض معركة مع إسرائيل لاستعادة أراضيها بالقوة فكانت حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م.

ثم حدثت تداعيات فجرت مصر إلى طاولة المفاوضات بزعامة أمريكا. وكانت النتيجة أن اعترفت مصر بإسرائيل كدولة آمنة ذات سيادة، وتم تبادل التمثيل الدبلوماسى بين مصر وإسرائيل، وفتحت أبواب مصر الموصدة أمام إسرائيل وهو أمر ما كانت تحلم به أمريكا ولا إسرائيل.

فأمريكا لم يكن لها فضل على مصر حتى يذكرنا به الدكتور العميد، وإنما كان لها فضل على إسرائيل، حيث أوجدت أمريكا لإسرائيل كيانا معترفا به من الشرعية الدولية. فإذا كان الدكتور العميد يرى فى ذلك فضلا فليذكر به إسرائيل، لأن إسرائيل هى الكاسبة لا مصر.

ثم ما تزال إسرائيل تحتل أراضى سوريا وفلسطين، التى احتلتها بالقوة المدعومة من أمريكا عام ١٩٦٧م، متحدية المجتمع الدولى كله وقراراته.

فأين فضل أمريكا علينا فى هذا كله؟

ولماذا لم يذكر العميد ما حدث من أمريكا فى أثناء حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، حين أفزعها جيش مصر البطل بتحطيمه خط بارليف فى ست ساعات وتوغل فى أرض سيناء.

ألم تمد أمريكا جسرا جويا بالأسلحة المتطورة لدعم إسرائيل قتاليا، وأن أرتال الدبابات الأمريكية خرجت من المخازن الأمريكية «لنج» لم تستعمل قط، إلا بدءا من المطار الذى هبطت فيه إلى ميدان القتال، لإجهاض الزحف القتالى المصرى، أهذا كان فضلا من أمريكا على مصر، أم إجهاضا لحربها التى أرادت منها تحرير أرضها؟

أغابت هذه الحقائق الصارخة عن الدكتور العميد؟ أم هى حاضرة فى مخيلته؟ حتى ينسحب عليه قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدى المساويا

«يتبع»

الجيتو.. الجدار الإسرائيلى وعقـــدة اليهـــود

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

تابع العالم أجمع الأحداث المؤسفة التى قامت بها حكومة شارون مدعمة بجيشه لإبادة شعب أعزل، صاحب قضية عادلة، على مرأى ومسمع من العالم كله اهتزت له مشاعر الجميع دون أن يحرك أحد ساكنا.

وكل ما سمعناه لسنوات طويلة وعود براقة عن قيام الدولة الفلسطينية وفقاً لحدود ١٩٦٧م واتفاقيات دولية لم تنفذ إسرائيل منها أى بند يُذكر.

والمذابح مستمرة فاقت أضعاف ما فعله النازى بهم، وهى سوابق إجرامية ليس لها مثيل فى بشاعتها، وقد شملت كل المدن الفلسطينية، وكان أبشعها فى « سوق جنين »، وقد صرح مبعوث الأمم المتحدة « بأن ما رآه فى جنين من جرائم يفوق الخيال » وتتذرع إسرائيل بعبارات جوفاء لا معنى لها مثل الأمن أولاً.

وجاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر فزادت الطين بله، ووجدت إسرائيل الفرصة سانحة واستغلتها لصالحها. كى تكون ضربة قاسمة للإسلام والمسلمين، فتحت عبارة « مكافحة الإرهاب »، يباد شعب وهى العبارة التى تسعد أمريكا وتدفع لإسرائيل من أجلها الملايين وتبارك مذابحها، والآن أصبح اللعب على المكشوف، أمريكا تزود إسرائيل بأحدث الأسلحة لإبادة الفلسطينيين وتطلب من عرفات وقف المقاومة رغم حصاره.

وآخر ما تمخض عنه الفكر الشارونى عبارة «الطريق المحتوم» فعادت لاحتلال جميع مدن الضفة الغربية وإلغاء الإدارة الفلسطينية - وهو ما صرح به (عاموس يارون) مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية، ضارباً عرض الحائط باتفاقات أوسلو ١٩٩٢ وما بعدها وقد تطلع العالم العربى ومعه الشعب الفلسطينى إلى نتيجة خطة «بوش» لحل المشكلة حلاً نهائياً وسعى الكثيرون إلى معرفتها من كونترول البيت الأبيض قبل إعلانها وإن كان واضحاً منذ البداية أن النتيحة لن تكون فى صالح الفلسطينيين حتى بعد أن أوصى قادة العالم العربى الرئيس بوش بأن تكون النتيجة متوازنة.

وكانت الدلائل تشير إلى موقف بوش المتشدد من الفلسطينيين، وكانت تصريحاته المتوالية تُفصح عن مكنون صدره والتى كانت مستفزة لمشاعر العالم العربى مثل: «شارون رجل سلام». «من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها». «إنَ ما يفعله شارون هو تصفية للجيوب الإرهابية».

وكان جُرح أحداث الحادى عشر من سبتمبر لا يزال يدمى، ويُحمل الشعب الأمريكى الرئيس بوش تَبعته.

وقد عمل اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة جاهداً على قلب الحقائق مدعماً بوسائل إعلامه للتأكيد على أن الجماعات الإسلامية والتى اتفقوا على تسميتها بالجماعات الإرهابية هى السبب فى كل ما يحل بالعالم من خراب ودمار ويجب إبادتها، كما وصفوا أعمال المقاومة الفلسطينية المشروعة بأنها أعمال إرهابية، وتغاضوا عن طائرات الأباتشى الأمريكية والدبابات والمصفحات التى تبيد الأخضر واليابس والطفل والشيخ والمريض وتحصد خيرة الشباب الفلسطينى. والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو عدم قيام دولة فلسطينية ذات سيادة، وكان ما يتسرب من أخبار فى دهاليز الإدارة الأمريكية لا يبشر بخير.

وأُعلنت النتيجة مبتورة فى سابقة غير معهودة، وتوالت توابع النتيجة المعلنة لشن هجوم كاسح على ياسر عرفات، حيث يقول «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكى: لقد طلب بوش صراحة تنحية عرفات لأننا لم نر منه ما يكفى!! وكم كانت فرحة إسرائيل بالنتيجة المعلنة. وأصبح واضحاً للعيان هدف أمريكا وإسرائيل، هو القضاء على رمز الدولة الفلسطينية. رمز المقاومة. رمز الثورة القضاء على ياسر عرفات مرة بحصاره فى مقره وأخرى بالتهديد بإقصائه.

وبعد ذلك التهديد بعدم قيام دولة فلسطينية إذا أعاد الشعب الفلسطينى انتخاب عرفات.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشكً أن شارون مجرم حرب، لا يعرف غير لغة المدافع، ولا ينظر تحت قدميه، وليس له رؤى سياسية على وجه الإطلاق، وقد ألقى بالورقة الأخيرة فى جعبته، وليس لديه ما يفعله أكثر مما فعل إزاء قرى فلسطينية بأكملها، مذابح جماعية، انتهك حرمة المساجد والكنائس وكل ما فعله وما ارتكبه جيشه من وحشية وإجرام كان تحت شعار «الأمن الإسرائيلى» أى أمن!! وهل حقق الأمن لشعبه؟ لا على وجه الإطلاق.

واعتقد أنه أحس بهذا، فراح يجتر العقدة الأبدية لليهود «الجيتو» وتمخض فكره المريض عن بناء أسوار عالية وتزويدها بأحدث تكنولوجيا

العصر من كاميرات تصور فى الظلام وأسلاك مكهربة.. ألخ أى تحويل دولتهم إلى جيتو حديث، « جيتو مودرن ».

وهو يعلم جيداً أن شعبه سيرقص فرحا، فحياة الجيتو قد توارثوها عبر الأجيال وأصبحت من المكنونات الدفينة فى النفس اليهودية.

وفى استطلاع للرأ ى نشرته جريدة « معريف » فى عددها الصادر ٢١ / ٦ / ٢٠٠٢م أن ٦٩٪ من الإسرائيليين الذين شملهم الاستطلاع يؤيدون إنشاء جدار أمنى على طول الخط الأخضر الذى يفصل إسرائيل والضفة الغربية، لأن هذا الجدار سيسمح بوضع ٨٠٪ من المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية تحت إشراف إسرائيل.

ونرجع إلى الوراء قليلاً فقد تتلمذ شارون على يد أستاذه الكاتب والمفكر الصهيونى « أشر جينبرج » والذى اشتهر باسم « أحاد هعم » بالعبرية وهى تعنى (واحد من الشعب) والذى كان يدعو إلى بناء جيتو روحى جديد للصهيونية « على أساس الجيتو الروحى القديم أى « اليهودية » . ومن أقواله : ليس اليهود وحدهم هم الذين هجروا الجيتو، فاليهودية هى الأخرى قد هجرت الجيتو، وانصراف اليهود عن الجيتو قد تم فى نطاق البلدان التى يعيشون فيها أما تداعى اليهودية فقد حد ث عندما اصطدمت بالثقافة المعاصرة التى تقوض اليهودية من الداخل، وعلى ذلك فاليهودية لم تعد قادرة على الاستمرار فى عزلتها ومواصلة حياتها الخاصة...

وإن اليهودية عندما تخرج من الجيتو تتعرض لخطورة افتقاد ذاتها أو على الأقل افتقاد الوحدة القومية اليهودية وعند ذلك ستتحول اليهودية إلى مختلف الأشكال المنفصلة المستقلة فتنتهى إلى التشتت الذى انتهى إليه اليهود »(١).

وهذا أبلغ دليل على أن اليهودية ثقافة « هشة ليس بها أى حضارة قط وهو بهذا يوجه دعوة صريحة لليهود للعودة إلى الجيتو مرة أخرى لأنه يرى به المكان الوحيد لحفظ الروح اليهودية والديانة اليهودية وهو الملاذ والأمان فى الدنيا والآخرة. فى الدنيا حافظ على روحه وفى الآخرة حمل معه اليهودية النقية التى تدخله الجنة. وكما هو معلوم لقد عاش يهود الغرب « الإشكانيزم » فعلاً فى الجيتو المغلق.

وشارون هو سليل هذا الجيتو، وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن أفكارهم نتاج ردود فعل لحياة الجيتو وتركيبهم النفسى انعكاس لنفسية الجيتو الذى يتسم بالشعور بالاضطهاد والخضوع والإذلال ولذلك يلجأ إلى العزلة لحماية ذاته وأصبح « مركب الخوف » هو المركب النفسى السيكولوجى الموروث من تجارب الاضطهاد لدى اليهود(٢).

ونرى هذا واضحاً حيث يقول الشاعر اليهودى « حاييم نحمان بيالك » فى قصيدته :

« حقا إن الشعب لعشب »

- حقا إنه لشعب ضائع مشتاق إلى العار والخزى

---

(١) يورى غيفانوف: إحذروا الصهيونية ص٥٠ عام ١٩٦٨م.

(٢) د. حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص٥٩.

– لا أساس لأعماله ولا شرعية لأفعاله

– عاشوا آلاف السنين حياة التشرد وتحملوا الكثير من العبودية

– أصابتهم الحيرة والربكة وسط الشعوب الغريبة

– تعلموا بالعصا والسوط حتى وإن كانوا يشعرون بالألم(٣).

ومهما أوتو من قوة فهم يشعرن بالدونية وقد أثبتت الأبحاث التى قام بها المتخصصون أن الشعور بالاضطهاد هو العنصر المميز للتكوين السيكولوجى الإسرائيلى.

وقد ورثوا الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين طوال وجودهم بالجيتو وقد صور (برنر) هذا الشعور فى كثير من أعماله الأدبية وفى أحد أعماله يصور هذا الشعور من جانب أسرة تجاه أسرة يهودية أخرى أما الأسرة الأولى فقد انتحرت ابنتها عندما تركها حبيبها وتزوج بأخرى ولما رأت الأم أن الأسرة تغنى وترقص ولا تهتم بمشاعرها الحزينة، أخذت تبكى وتنتحب وتقول:

أواه، آلامى كبيرة.. هناك حياة وسعادة، ونحن متعففون... إنهم سعداء، وابنتنا الملاك تعففت فى القبر(٤).

والسؤال الذى يطرح نفسه كيف تحولت هذه الشخصية اليهودية الضعيفة المضطهدة المغلوبة على أمرها إلى وحش دموى كاسر؟

يرجع علماء النفس هذا التحول على أحداث المذابح النازية ضد اليهود «الهولوكست» حيث إن تفسير أى سلوك إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين أى نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد فى نهاية الأمر إلى ما يطلق عليه «هوية الذات» أو هوية الأنا وأن هوية الذات هى نتاج عملية التوحد بالآخرين.

بمعنى أن الصبية اليهود ومن كان منهم فى أول شبابهم والذين قبض عليهم وعلى آبائهم فى أوروبا وأُودعوا معسكرات الاعتقال النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أفرج عمن بقى منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازيين، أنهم توحدوا بجلاديهم النازيين»(٥).

وقد تولدت داخلهم نتيجة الخوف وتوهم الاضطهاد والتوحد بالمعتدى شعور عدائى تجاه العرب، وعليهم أن يقتلوهم ويبيدوهم ويسفكوا دماءهم وإلا سيكونون هم وفى وضع المعتدى عليهم، وسوف يعودون إلى حياة الماضى والذل والتنكيل.

وفى التراث الدينى اليهودى أن مسيح اليهود لم يأت بعد ومازالوا ينتظرونه، وأنه سينقلهم إلى أرض الميعاد على نسر من حديد.

وقد عبر «حاييم نحمان بيالك» عن فقدان الأمل واليأس الشديد الذى انتاب اليهود لتأخر

(٣) حاييم نحمان بيالق: كل أشعاره. إصدار دافير – تل أبيب.

(٤) د/ مصطفى عبد الشافى: يوسف حاييم برز ص١٣٠.

(٥) سناء عبد اللطيف صبرى: الجيتو اليهودى. ص٣٦٠.

المسيح لينقذهم من الذل الذى يعيشون فيه، فى قصيدة بعنوان «آثار المسيح».

– لم يأت المسيح بعد.

– ولم يقترب يوم خلاصنا.

– لقد نفذ الدرهم الأخير من جيبنا.

– ونفذت أنفاسنا وصرنا جميعاً أمواتاً.

– لقد تحطمت كل النبوءات.

– التى نطق بها الحكماء وتنبأ بها الأنبياء.

– هل تحدثوا بالباطل وبثوا الأكاذيب.

– وإلا فلم إذن تأخر المسيح؟(٦).

وقد أخذت الصهيونية على عاتقها هذه المهمة، والمتدينون اليهود يرفضون هذا الطرح، وكانوا يتمنون أن يأتى مسيحهم ويحضرهم إلى فلسطين وكان خلاصهم على يد الصهيونية، أما دراهمهم التى نفدت من جيوبهم، فقد ملأتها أمريكا ذهباً.

وما يفعله شارون سليل الجيتو الأوروبى، لم يأت من فراغ ومهما بنوا من أسوار أنفقوا عليها المليارات الأمريكية، فلن يشعروا يوماً بالأمان والأمن. بل ستطاردهم أشباح قتلاهم الأبرياء وسيعودون إلى حياة الجيتو مرة أخرى حتى وإن كان مُكيفاً. وبه كل وسائل الترفيه وإذا نظرت إلى الجندى الإسرائيلى تراه يعيش داخل جيتو فى ملبسه، فى خوذته، فى سلاحه على دبابته وحتى إذا أراد أن يقتل عربياً أعزل اختبأ خلف جدار ورغم حذر اليهودى سوف ينطق الجدار ويشير إلى من خلفه كما وعد المصطفى ﷺ. والحق سوف ينتصر إن لم يكن اليوم فغدا، وهناك ظواهر إيجابية إنسانية يشترك فيها البشر جميعاً وبدأت الأصوات المتعاطفة مع الفلسطينيين تعلو فى المحافل الدولية، حتى وإن كانت قليلة التأثير فهى مفيدة.

والغريب فى أمر هؤلاء القوم أنهم يكذبون حتى يصدقوا أنفسهم.

فيطلقون على هيكل سليمان الأول الذى بنى حوالى ٩٤٠ ق.م.

العبارة العبرية «هبيت هريشون» أى الهيكل الأول ق.م.

ويطلقون عبارة «هبيت هشينى» أى الهيكل الثانى ق.م الذى بنى حوالى ٥٢٠ ق.م.

ويطلقون عبارة «هبيت هشليشى» أى الهيكل الثالث ق.م كناية عن دولة إسرائيل التى أسست عام ١٩٤٨.

ومن يدرى ما تحمله الأقدار فقد يُدمر كما دمر الهيكلين السابقين، فلننتظر ماذا سيحل بهذا الهيكل الثالث

والسؤال الأخير:

هل استفدنا من التجربة؟ هل وعينا الدرس؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٧)

---

(٦) عبد الوهاب المسيرى: اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص٢٠٤.

(٧) الرعد (١١).

القوى الدينية في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

فى الحقيقة أن ثمة خطوطاً أساسية ثلاثة تحدد الملامح المميزة للمجتمع الإسرائيلى، وهى الخط الدينى الذى يمثله المتدينون الذين يشكلون ٢٠٪ من سكان إسرائيل مقابل العلمانيين الذين تبلغ نسبتهم ٨٠٪ من سكان إسرائيل والخط الإثنى الذى يمثله اليهود الشرقيون (السفارديم) مقابل اليهود الغربيين (الاشكناز)، والخط الوطنى السياسى الذى يمثله المتطرفون التوسعيون مقابل المعتدلين.

والمعروف فى إسرائيل أن الطائفة الدينية اليهودية الرسمية هى طائفة المذهب الأرثوذكسى. ويقسِّم بعض اليهود «الأرثوذكسية» إلى أرثوذكسية ذات ميول صهيونية وأخرى متشددة. فالأولى تنسحب على اليهود الأرثوذكس الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل، وغالبيتهم من أنصار «الصهيونية الدينية»، ويمثلهم حزب «المفدال»، وهو الحزب الدينى القومى. والثانية هى «الأرثوذكسية المتشددة» وتُطلق على غلاة اليهود الأرثوذكس الذين لا يعترفون بالصهيونية، ويمثلهم حزب «أجودات إسرائيل» وحزب «شاس»، وحركة «نطورى كارتا» أى حراس المدينة، وهى تمثل الأصولية اليهودية. ومنذ عام ١٩٤٨ تنقسم المؤسسة الحاخامية الرئيسية إلى حاخاميتَيْن يرأس إحداها حاخام أكبر لليهود الشرقيين، والأخرى حاخام أكبر لليهود الغربيين، وقد اقتصرت سلطة الحاخام الأكبر على القضايا المتعلقة بإعفاء الفتيات من التجنيد، وطقوس تهويد من تحوم الشكوك حول يهوديتهم من المهاجرين الجدد، وأيضاً الإشراف على منح شهادات «كوشير» المتعلقة بالأطعمة، ومدى حليتها أو حرمتها وفقاً للشريعة اليهودية، بالإضافة إلى النظر فى مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق. وفى هذا الإطار يوجد حاخام أكبر للجيش الإسرائيلى وله صلاحيات كاملة فيما يختص باعتماد إعلان المفقودين - بعد فترة من غيابهم - كقتلى. كما تُعتبر الحاخامية العسكرية إدارة مستقلة تتبع رئيس الأركان مباشرة، وهى تقوم بدور إعلامى، سواء بتبرير أى عدوان لإزالة أى شعور بالذنب، قد يشعر به الجندى الإسرائيلى تجاه المدنيين الذين يتعرضون

للقتل دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم. وقد لوحظ – أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ – قيام الحاخام الأكبر فى الجيش الإسرائيلى بتقديم نسخة من التوراة إلى قائد القوات المعتدية على سيناء، وخاطب جنود الاحتلال بقوله: «إنكم تطأون تراباً مقدساً، لأن فى هذه الأرض تلقَّى مُعلِّمُنا موسى الكتاب». وقد لعبت الحاخامية العسكرية دوراً مماثلاً فى حرب ١٩٦٧ من خلال وجود حاخام خاص بكل كتيبة فى الجيش الإسرائيلى. واللافت للنظر أنه برغم علمانية دولة إسرائيل فإن للأرثوذكسية اليهودية فى إسرائيل نفوذاً كبيراً إذ تعبر عن هذه القوى الدينية أربعة أحزاب دينية هى حزب شاس، وحزب المفدال، وحزب ميماد، وحزب أجودات إسرائيل، وهى تشكل الذراع السياسى لها، بالاضافة إلى انتشار عدد من المستعمرات الدينية، ووجود أكثر من سبعة آلاف معبد دينى أرثوذكسى، وتهيمن المؤسسة الحاخامية الرئيسية على توجيه الشئون الدينية فى إسرائيل، وتشرف أيضاً على المحاكم الحاخامية، وعلى أغلب المجالس الدينية فى المدن، والكيبوتسات (المزارع الجماعية)، والموشافات، وهى المستعمرات التعاونية، إلى جانب سيطرتها على منظومة كاملة من النظام التعليمى الدينى، وأيضا إسهامها فى إنشاء العديد من «اليشيفوت» أى المعاهد الدينية التى يلتحق بها أبناء المتدينين. وجدير بالذكر أن المؤسسة الحاخامية الرئيسية هى مقر الأرثوذكسية الدينية فى إسرائيل، وترفض الاعتراف بشرعية المؤسسات الدينية التابعة للطائفتين الإصلاحية والمحافظة، كما لا تكترث بالأحكام الصادرة منهما. وفى هذا السياق تمارس دار الحاخامية الأرثوذكسية سلطاتها على جميع اليهود فى إسرائيل بلا استثناء، وترفض الخضوع لمراقبة السلطات القانونية والقضائية فيها، وتأبى الاستجابة لما تصدره محكمة العدل العليا من أحكام بدعوى أنه لا يحق للمحكمة العليا التدخل فى مسائل هى من اختصاص الشرع الدينى وحده.

وفى هذا الإطار يمكن رصد ثلاثة توجهات داخل الأرثوذكسية اليهودية وهى:

التوجه الأول: يدعو إلى المحافظة على الأرثوذكسية نقية خالصة، والالتزام بتعاليم «الهالاخاة» أى الشريعة اليهودية، ويمثل هذا التوجه حركة «نطورى كارتا» أى حراس المدينة، التى ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل وتنكر الصهيونية وتعتبر أن اليهودى الصالح لا يمكن أن يكون صهيونيا، كما أن الصهيونى لا يمكن أن يكون يهودياً صالحاً، وهذه الحركة تمثل الأصولية اليهودية فى تشددها وتطرفها الدينى، ويُقدَّر عددها بثلاثة آلاف نسمة حسب المصادر الإسرائيلية، ويعيش غالبية أعضائها فى حى «مائة شعاريم» أى حى المائة باب، وتهدف هذه الطائفة المتشددة إلى غسل إسرائيل وتنضيفها من شوائبها الصهيونية والاتجاه بها إلى «حكم التوراة».

التوجه الثانى: يسعى إلى تأكيد وحدة الشعب اليهودى، مع المحافظة فى نفس الوقت على أن تظل الأرثوذكسية، وتعاليمها لها اليد الطولى فى توجيه المجتمع اليهودى فى إسرائيل، ويمثل هذا التوجه حزب «أجودات إسرائيل» الذى شارك فى العديد من الحكومات الائتلافية خاصة مع اليمين الصهيونى (الليكود) بعد عام ١٩٧٧، برغم عدائه السافر للصهيونية.

التوجه الثالث: يعترف بشرعية دولة إسرائيل، ولا يعارض الصهيونية، وقد تلقى هذا التوجه المساندة من جانب الحركة الصهيونية، ويمثل الآن حزب «المفدال» وهو الحزب الدينى القومى الذى يُعَبرٍّ عن «الصهيونية الدينية»، وهو متعاطف مع الاتجاهات العلمانية لدولة إسرائيل، وشارك بفاعلية فى الحياة السياسية فى إسرائيل، ويعرف هذا الحزب بأنه حزب المستوطنين المتطرفين الذين يرفضون أى تنازل عن الأراضى الفلسطينية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن الملاحظ أن هذه التيارات الدينية الأرثوذكسية لا تهدف إلى تحويل إسرائيل إلى «دولة شريعة» لأن دولة الشريعة اليهودية لن تتحقق – فى نظرهم – إلا بمجيء المسيح المخلِّص ليقيم مملكة إسرائيل، ولكنها تطالب الآن بإلحاح باحترام الدولة للشريعة اليهودية، وتحاول فى نفس الوقت استغلال دولة إسرائيل لدعم مشاريعها الدينية والتعليمية والثقافية والاقتصادية. وتجدر الإشارة إلى أن المتدينين المتشددين فى إسرائيل يمثلون شريحة دينية أكثر تطرفاً، ويبرز هذا التطرف على العديد من المستويات، فقد يسعى اليمين الدينى اليهودى فى تطرفه إلى إقامة «إسرائيل الكبرى» بحدودها التوراتية مع حرصه على أن تسمو التوراة على القانون. وقد يبلغ هذا التطرف فى شدته إلى درجة عدم الاعتراف بدولة إسرائيل، تأسيساً على رفضه للصهيونية، وأيديولوجيتها التى تحكم توجهات المجتمع الإسرائيلى. وربما قد يصل التشدد مدى أبعد برفض السلام مع العرب، والتهرب من عملية السلام.

لكن هذه القوى الدينية، إدراكا منها لاتجاهات اللعبة السياسية عقدت العزم على اقتحام العمل السياسى، بمحاولاتها المشاركة فى تشكيل الائتلافات الحكومية لفرض مطالبها فيما يتعلق بتطبيق الشريعة اليهودية فى المجتمع الإسرائيلى بالاضافة إلى الحصول على تمويل لأنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية.

ويمكن لنا أن نرصد نتائج انتخابات الكنيست (البرلمان) فى الفترة من ١٩٩٢–١٩٩٩ كمؤشر على بيان تصاعد التيار الدينى، واتساع نفوذه، وتغلغله داخل المجتمع الإسرائيلى كما يبدو ذلك فيما يلى:

– ففى انتخابات الكنيست الثالث عشر عام ١٩٩٢، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٢,٤٠٩,٠١٥ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٣٤٥,١٧٧ بنسبة ١٤,٣٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ١٦ مقعداً فى الكنيست البالغ عدد مقاعده ١٢٠ مقعداً.

– وفى انتخابات الكنيست الرابع عشر عام ١٩٩٦، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٣,٩٣٣,٢٥٠ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٥٩٨,٦٣٨ بنسبة ١٥,٢٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٣ مقعداً فى الكنيست.

– وفى انتخابات الكنيست الخامس عشر عام ١٩٩٩، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٤,٢٨٥,٤٢٨ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٦٦٢,٨٥٦

بنسبة ٥ر١٥٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٧ مقعداً فى الكنيست. وقد حصل حزب شاس المتطرف دينيا على ١٧ مقعداً بمفرده أما المقاعد العشرة الباقية فكانت من نصيب الأحزاب الدينية الأخرى وهى المفدال وميماد، وأجودات إسرائيل.

ويجدر ذكر أن المتدينين اليهود ينظرون إلى شارون على أنه الأفضل على ساحة العمل السياسى حيث أعلن فى برنامجه الانتخابى عام ٢٠٠١ عن عدم تقسيم القدس، وبقائها موحدة، وإعلانها العاصمة الأبدية لإسرائيل، لذلك سعت الأحزاب الدينية فى انتخابات ٢٠٠١ إلى حشد مؤيديها، وتعبئة أنصارها لانتخابه إذ صوَّت أكثر من ٩٠٪ من المتدينين ضد «باراك»، فقد أدى مشروع «الثورة المدنية» - الذى طرحه «إيهود باراك» فى الشهور الأولى لاعتلائه رياسة الحكومة عام ١٩٩٩ - إلى انخفاض شعبيته فى أوساط المعسكر الدينى، وصار هذا المشروع هو الورقة الرابحة التى استغلها «أرييل شارون» لصالحه، بعد أن وعد المتدينين من الناخبين أنه فى حالة فوزه فى الانتخابات بإلغاء مشروع الثورة المدنية الذى سبق أن طرحه «باراك». هذا وقد اعتبرت المؤسسة الدينية الأرثوذكسية هذا المشروع تهديداً لسلطتها، وتأييداً لليهود الإصلاحيين والمحافظين، ويمثل فى نفس الوقت دعماً للأحزاب العلمانية (العمل، الليكود، ميرتس، شينوى)، إذ يدعو هذا المشروع إلى سن قانون يراعى الأمور التالية:

- توحيد مناهج الدراسة فى المدارس.

- فرض الخدمة العسكرية على الذين لا يؤدونها من المتدينين.

- إباحة الزواج خارج إطار المؤسسة الدينية الأثوذكسية.

- إلغاء وزارة الأديان.

- السماح بتشغيل المواصلات العامة والطيران الإسرائيلى أيام السبت.

لذلك بدأ بروز الانشقاق الدينى العلمانى الذى يعانى ويلاته المجتمع الإسرائيلى، خاصة مع تعاظم نفوذ الأحزاب الدينية مثل شاس، والمفدال، وأجودات إسرائيل، وميماد، وتلهف الحزبيْن الكبيرين «العمل والليكود» على كسب ودها، والتلويح بالتحالف معها للحصول على أصوات أنصارها من المتدينين، وهذا ما أفرزته نتائج انتخابات ٢٠٠١، التى وصل فيها «شارون» إلى السلطة، فقد حصل حزب شاس السفاردى الأرثوذكسى المتشدد برياسة الحاخام «عوفيديا يوسف»، على خمس وزارات فى حكومة شارون الحالية، وهى وزارات الداخلية، والعمل والرفاة، والأديان، وشئون القدس، والصحة. وبذلك يمثل حزب شاس القوة الحزبية الثالثة بعد العمل والليكود فى إطار المنظومة الحزبية الإسرائيلية.

وأخيراً يمكن القول على وجه العموم أن هذه الأحزاب الدينية هى اللسان المُعبرٍ عن القوى الدينية على المستوى السياسى، والتى يتنافس مرشحوها، سواء لعضوية الكنيست الإسرائيلى، أو رياسة الحكومة، على إرضائها بشتى الوسائل لنيْل تأييدها، خاصة أن هذه القوى الدينية تهيمن على قطاع كبير من سكان إسرائيل، بفضل تأثيرها الدينى والروحى، الذى يفرض احترام الجميع لها.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصـــــيحة

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: إذا رأيتم أخاكم ذا ذلة فقوموه، وسددوه وادعو الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم.

لعنه الله.. كثير الأسماء قليل القيمة

حكى أن أعرابياً اصطاد سنوراً، فرآه شخص، فقال: ماتصنع بهذا القط؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الخيدع؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الخيطل؟ ولقيه آخر فقال: ماتصنع بهذا الهر؟ قال: أبيعه، قال له: بكم؟ قال: بمائة درهم، فقال له: إنه يساوى نصف درهم. فرمى به، وقال: لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته.

سبعة لاينبغى لصاحب لب أن يشاورهم

جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى، فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائى واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأى له فى غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته.

النـــــاس فى الخيـــــر

الناس فى الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعله اقتداءً، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم من يتركه استحساناً. فمن فعله ابتداءً فهو كريم، ومن فعله اقتداءً فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقى، ومن تركه استحساناً فهو دنئ.

لأى حكمة خلق الله الذباب؟

كان المنصور جالساً فألح عليه الذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من بالباب من العلماء؟ فقالوا: مقاتل بن سليمان فدعا به، ثم قال له: هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، قال: صدقت. ثم أجازه.

قلت ذلك حين سكتت

شهد رجل عند ابن شبرمة، فرد شهادته، وقال: بلغني أن جارية غنت، فقلت لها: أحسنت فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ فقال: حين سكتت، قال: إنما استحسنت سكوتها أيها القاضي.

رسالة

كتب سفيان بن سعيد إلى محمد بن عبدالرحمن- رحمهما الله- رسالة جاء فيها: (سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله، فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً، فعليك بتقوى الله).

لا تلمه

قال محمد بن الحنفية: لا تلم من لا قوت له على طلب قوته، فبعدمه عدم عقله، وضجر نفسه وملّه أهله، وكان أكثر كلامه عليه لا له، فإن كان عالماً جهلوه، وإن كان أديباً نبذوه، لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، ويبغضه أهله وجيرانه.

صديق إبليس

قال إبليس – لعنه الله –: ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه: من استكثر علمه، ونسى ذنبه، وأعجب برأيه.

حقا

شتم بعض السفهاء «سقراط» فاستأذنه تلامذته فى جوابه فقال: ليس بحكيم من أذن فى الشر.

دعاء

اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لاتخلف الميعاد. ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

الحِلم والصفح

من صفات الرسل والأنبياء

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

الحلم من أجل صفات الفضائل وأعظمها، وأعلاها منزلة وأسماها قدراً، لأنه يدعو صاحبه إلى التحكم فى غضبه وانفعاله، ويهديه إلى التفكير بروية فى اتخاذ قراره، فيكون لباس السكينة والوقار، والرزانة والرصانة، وبذلك يحافظ الحليم على سلامة العشرة، وعلى بقاء صلة المودة بينه وبين الناس، وينجح فى استقطاب عدوه وتوجيه سلوكه إلى ترك الشر وفعل الخير الذى يرتد أثره وينعكس على صلاح نفسه وصلاح المجتمع...

وإذا كان التحلى بصفة الحلم أمر مطلوب للإنسان على وجه عام، لأن الحلم يرفع من شأن صاحبه، ويعلى منزلته، ويعمل على انتشار الحب فى المجتمع، ويعمم حسن المعاملة بين الناس، فإن الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا قدوة حسنة، ومثالاً طيباً، ونموذجاً يحتذى فى التحلى بصفة الحلم، وكانت تلك الصفة بالنسبة لهم عاملاً أساسياً من عوامل نجاح مهمتهم فى أداء رسالتهم التى كلفهم الله ـ عز وجل ـ بها.

يقول الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

(١) التوبة (١١٣، ١١٤).

فيصف القرآن الكريم سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه كان حليماً، ويؤكد تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة توكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة»، قال الآلوسى ـ رحمه الله ـ: قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ أى لكثير التأوه، وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله الحزين... وهو عند جماعة كناية عن كمال الرأفة، ورقة القلب، وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن عبدالله بن شداد قال: قال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع الكثير الدعاء».

وقد بينت هذه الآية الكريمة السبب الذى حمل سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الاستغفار لأبيه، ثم على ترك هذا الاستغفار بعد ذلك، لأن استغفاره له إنما كان بسبب وعد من سيدنا إبراهيم لأبيه، كما جاء فى القرآن الكريم من قوله له:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾(٢)

وقوله:

﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣)

فلما أصر ـ آزر ـ أبو سيدنا إبراهيم على كفره، ومات مشركاً بالله تبرأ سيدنا إبراهيم منه ومن عمله، وترك الاستغفار له.

وفى سورة أخرى من سور القرآن الكريم يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾(٤).

فتؤكد هذه الآيات ـ مرة أخرى ـ وصف سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه كان حليماً، وتؤكد ـ أيضاً ـ تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة التوكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة».

ووصف سيدنا إبراهيم بالحلم فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾

بيان للدواعى التى حملت سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على مجادلة الملائكة فى شأن إهلاك قوم لوط، لأن الحليم هو: الصبور على الأذى، الصفوح عن الجناية، المقابل لها بالإحسان، والأواه هو: الذى يكثر التأوه من خشية الله، والمنيب هو: السريع الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ بالتوبة والاستغفار، أى أن إبراهيم لصبور على الأذى، صفوح عن الجناية، كثير التضرع إلى

---

(٢) مريم (٤٧).

(٣) الممتحنة (٤).

(٤) هود (٦٩ : ٧٦)

الله، سريع الرجوع إليه فى كل ما يحبه ويرضاه، وبسبب ذلك جادل سيدنا إبراهيم الملائكة وحاورهم فى شأن إهلاك قوم لوط طالبا إمهال عقوبتهم.. غير أن رد الملائكة كان الطلب من سيدنا إبراهيم بالإعراض عن هذا الجدال فى أمر قوم لوط، وفى طلب إمهال عقوبتهم لأنه قد جاء أمر ربك بإهلاكهم بسبب إصرارهم على ارتكاب الفواحش، وهذا الأمر غير مردود لأن قضاء الله لا يرد عن القوم المجرمين.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر(٥): وقد ذكر الشيخ القاسمى بعض الفوائد والأحكام التى أخذها العلماء من هذه الآيات فقال: قال بعض المفسرين لهذه الآيات ثمرات وفوائد:

منها: أن حصول الولد المخصص بالفضل نعمة، وأن هلاك العاصى نعمة - أيضاً - لأن البشرى قد فسرت بولادة إسحق لقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ وفسرت بهلاك قوم لوط، لقوله:

﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

ومنها: استحباب نزول المبشِر - بالكسر - على المبشَر - بالفتح - لأن الملائكة أرسلهم الله - تعالى - لذلك.

ومنها: أنه يستحب للمبشر أن يتلقى البشارة بالشكر لله - تعالى - على ما بشر به، فقد حكى عن الأصم أنه قال: جاؤوه فى أرض يعمل فيها، فلما فرغ غرز مسحاته وصلى ركعتين.

ومنهـا: أن السلام مشروع، وأنه ينبغى أن يكون الرد أفضل لقول إبراهيم «سلام» بالرفع وهو أدل على الثبات والدوام.

ومنها: مشروعية الضيافة، والمبادرة إليها، واستحباب مبادرة الضيف بالأكل منها.

ومنها: استحباب خدمة الضيف ولو للمرأة، لقول مجاهد: وامرأته قائمة: أى فى خدمة أضياف إبراهيم.. وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق

ومنها: جواز مراجعة الأجانب فى القول، وأن صوتها ليس بعورة.

ومنها: أن امرأة الرجل من أهل بيته، فيكون أزواجه ﷺ من أهل بيته.

ومنها: كما يقول الإمام ابن كثير - استدل على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحق، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق، لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فيكف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه؟، فيمتنع أن يؤمر بذبح إسحق والحالة هذه، فتعين أن يكون الذبيح إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه.

ويستمر القرآن الكريم فى وصف الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالتحلى بصفة الحلم، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على كمال صفة الحلم، وعلى حث الإسلام على التخلق بتلك الصفة الحسنة الجميلة.

يقول الله - تعالى -:

---

(٥) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٢٤٤.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٦) .

كان النبي - ﷺ - إذا ذكر شعيب - عليه الصلاة والسلام - قال: « ذلك خطيب الأنبياء »(٧) لحسن مراجعته لقومه، وقوة حجته، وقدرته على النصح والإرشاد، وتحمله سخرية قومه منه، وتحليه بصفة الحلم وسعة الصدر.

ففى الآيات الكريمة نجد سيدنا شعيباً - عليه الصلاة والسلام - يبدأ دعوته بأمر قومه بعبادة الله - تعالى - وحده، فإنه لا إله لكم على الحقيقة سواه، فهو الذى خلقكم، وهو الذى رزقكم، وهو الذى إليه مرجعكم..، ثم ينهاهم عن أبرز الرذائل التى كانت منتشرة فى مجتمعهم وهو نقص المكيال والميزان عند الأخذ وعند الإعطاء، فيخاطبهم: لا تعطوا غيركم أقل من حقه إذا بعتم، ولا تأخذوا منه أكثر من حقكم إذا اشتريتم، ثم يبين الأسباب التى حملته ودعته إلى أمر قومه بعبادة الله والإيمان به، وإلى نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان، وإلى طلبه منهم التزام العدل فى معاملاتهم - مستعملاً أسلوب الترغيب والترهيب - فيقول لهم: إنه يراكم بخير تملكون المال الوفير، وتعيشون فى رغد من العيش، وفى بسطة من الرزق... ومن كان كذلك فمن الواجب عليه أن يقابل هذه النعم بالشكر لواهبها وهو الله - تعالى - وأن يستعملها استعمالاً يرضيه، وأن يعطى كل ذى حق حقه..، ثم يخوفهم ويرهبهم - إن هم استمروا فى كفرهم بالله وظلمهم الناس فى معاملاتهم - من عذاب يوم أهواله وآلامه شاملة لكل ظالم لا يستطيع أن يهرب منها، ولا يجد له ملجأ ولا مهرباً....، ثم ينهاهم نهياً عاماً عن الإفساد فى الأرض، ويحذرهم من البطر والغرور، واستعمال نعم الله فى غير ما خلقت له... ويرشدهم - مستعملاً أسلوب الترغيب مرة أخرى - إلى أن ما عند الله خير وأبقى مما يجمعونه عن الطريق الحرام، وأن الرزق الحلال مع الإيمان والاستقامة خير لهم من المال الكثير الذى يجمعونه عن طريق الفساد والظلم وبخس الناس أشياءهم، ثم ينبههم على أن الالتزام بتنفيذ هذه الخيرية، وإبقاء الله على نعمه لهم لا يتم إلا مع الإيمان والتصديق برسالته....، ثم يعود - مستعملاً أسلوب الترهيب مرة أخرى - فيحذرهم من مخالفة دعوته بأنه ليس عليهم بحفيظ بعد أن أدى ما عليه من بلاغ.

ولكن ماذا كان رد قوم شعيب عليه؟

« يتبـــــع »

(٦) هود (٨٤ : ٨٨).

(٧) المستدرك ٢/٥٦٨.

الإسلام .. والحياة

للدكتور / حسين عباس الأنصارى

الإنسان برغم ما وهبه الله من نعمة العقل والفكر والقدرة على الاختيار، إلا أنه قاصر عن توجيه نفسه بنفسه إذ لا بد من قوة عالمة عليا تنير له الطريق، وتضع له منهج حياته، وقد وضع هذا منهج فى رسالة الإسلام. فالإسلام هو عقيدة أنبياء الله ورسله جميعا، وعقيدة الصالحين، وهو صفة أهل الجنة وشرط لدخولها.

فأبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يحكى عنه القرآن. وعن ابنه إسماعيل عليهما السلام:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(١).

ونوح - عليه السلام- يقول لقومه:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

ويوسف - عليه السلام - يحكى عنه القرآن قوله:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٣).

وموسى - عليه السلام - يرشد قومه كما يحكى القرآن:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٤).

وسليمان - عليه السلام - مع ما كان عليه من ملك لم يؤته أحد من بعده حيث سخر الله له الرياح والجن وعلمه منطق الطير كان سلماً ويتجلى ذلك واضحاً فى قول ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥)

(١) البقرة (١٢٨). (٢) يونس (٧٢). (٣) يوسف (١٠١).
(٤) يونس (٨٤). (٥) النمل (٤٤).

وسيدنا – عيسى عليه – السلام المبشر برسولنا ﷺ هو من المسلمين أيضا حيث يقول القرآن العظيم:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

والجنة هى جزاء المسلمين، لأن معنى الإسلام هو الانقياد لله والتسليم بأمره ونهيه وعدم الشرك به سبحانه، لأن الشرك بالله يحبط الأعمال مهما كانت تحمل فى ظاهرها من خير. يقول سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾(٧).

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(٨)

ويقول:

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾(٩).

هذا هو الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لجميع خلقه وجعل الفوز فى الآخرة معلقا به، فهو سفينة النجاة، لأنه يحمل لبنى البشر كل ما يسعدهم فى الدنيا والآخرة. يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١٠).

ويقول سبحانه:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١١)

هذا هو قضاء رب العزة وحكمه، فهو منزل الرسالات ومرسل الرسل ولأنه واحد متفرد فلا بد أن تكون العقيدة التى يرتضيها للناس واحدة فهى ليست دين إبراهيم، ولا دين يوسف، ولا دين موسى، ولا دين عيسى، ولا دين محمد– عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم– ولكنها عقيدة الإسلام المتمثلة حاليا فى الرسالة الخاتمة العامة التى أنزلت على محمد ﷺ النبى الخاتم. وهى جماع الرسالات كلها. فما هى أهمية الإسلام لحياة الناس؟ هذا ما سنحاول الإجابة على بعضه فى السطور التالية بحول الله وقوته.

العقيــــــدة

العقيدة أو الاعتقاد أو التدين أمر فطرى وهام فى حياة الإنسان لكن هذه المعانى وتصوراتها تختلف من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى. ولن يستطيع العقل البشرى أن يصل إلى العقيدة الصحيحة من تلقاء نفسه، لكنه قد يقترب منها إذا كان حسه صافيا وفطرته على سجيتها.

ومن هنا كان إرسال الرسل ضروريا لتوجيه الناس نحو القضية الصحيحة وتعريف الخلق بخالقهم، وهو الواحد الأحد، حتى يتجهوا نحو التوحيد الخالص.

وهكذا رسالات رسل الله جميعا جاءت لتوجه الناس إلى الإيمان بالله الواحد الذى لا

---

(٦) آل عمران (٥٢).
(٧) الزخرف (٦٩ . ٧٠).
(٨)الفرقان (٢٣).
(٩) الزمر (٦٥).
(١٠) آل عمران (١٩).
(١١) آل عمران (٨٥).

شـريك لـه ولا مـثـيل، والذى يتـصـف بجـمـيع صفات الكمال، ويتنزه عن كل صفات النقص. وكـيف يكون إلها، خالقا، رازقا من يتصف بأى صـفـة من صـفـات النقص، مثل الجهل والعمى والعجز والموت والفناء. وكل من عُبد من دون الله من ملك أو جن أو إنسان أو حيوان أو جماد كان متصفا بجميع صفات النقص وليس ببعضها. وبما أن رسالة الإسلام هى الرسالة الخاتمة وهى تشمل جميع الرسالات السماوية فى جوهرها، فهى تركز على هذه الحقيقة - حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد وتُكوِّن العمود الفقرى فى منهجها. وأول آية نزلت فى الدستور الإسلامى هى قوله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾(١٢).

فهى تلفت الأنظار والعقول إلى المعبود بحق ﴿ رَبِّكَ ﴾ وأنه هو الخالق، ولا خالق سواه. وسورة الإخلاص أو سورة التوحيد توضح رسالة الإسلام بلا لبس وقد نزلت حينما سُئل رسول الله ﷺ عن الله:

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾(١٣).

فهذا هو جوهر رسالة الإسلام وهى تنفى عقائد تعدد الآلهة، كما كان فى بعض المعتقدات القديمة، حيث كان هناك إله للخير وإله للشر وإله للحب وإله للريح والمطر إلى آخر هذه العقيدة الفاسدة. كما أنها تنفى النفع والضر لغير الله. كما أن هذه السورة العظيمة التى تعدل ثلث القرآن كما أخبر بذلك ﷺ تنفى عقيدة التثنية أو التثليث فى ذات الله فهو واحد أحد لم يلد لأنه واحد ليس له صاحبة، ولم يولد لأنه أزلى وليس بحادث.

هذه هى عقيدة التوحيد فى رسالة الإسلام والتى تمثل جوهر الرسالات السماوية كلها، فما هو أثر هذه العقيدة فى حياة الفرد والأمم؟؟

حينما يؤمن الإنسان بوجود إله واحد متصف بجميع صفات الكمال والجلال والجمال، وأنه لا يرى هذا الإله بعينيه وإنما يراقب وجوده بقلبه فإنه لن يخشى سواه، وبذلك يصبح حائزا لحريته الإنسانية. كما أرادها له خالقه، فهو ليس مستعبداً لأحد لأنه يعلم أن الله هو الرازق وهو النافع الضار وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وبذلك ينطلق فى الحياة نافعاً لنفسه ونافعاً لغيره من بنى جنسه وإخوته فى الإنسانية، ينتج ويبدع لأن ذلك يرضى عنه ربه ويجعله يستمتع بحياته دون خوف أو قلق.

كما أن المؤمن بالله الواحد يُحسن عمله ويتقنه فى مجالات حياته، سواء كان ذلك فى بيته أو فى مصنعه أو فى حقله لأنه يؤمن أن الله يراه.

وإذا ما أتقنت الأعمال بوازع من عقيدة الإنسان فلن تجد مجتمعا أسعد من ذلك المجتمع.

كما أن صاحب العقيدة لا يظلم أحدا ولا يقبل أن يظلمه أحد دون وجه حق، سواء كان هذا الظلم فى النفس أو المال أو العرض.

---

(١٢) العلق (١).

(١٣) الإخلاص.

وبذلك يوجد المجتمع الآمن المتحاب الذى يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة، فالمؤمن يُحسِّن دنياه لتكون آخرته حسنة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١٤).

والعمل لا يكون إلا فى الدنيا، أما جزاء هذا العمل فهو فى الأخرى حينما تقف الخلائق بين يدى رب العالمين. وكما قال سبحانه:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١٥).

فهذه أعمال أدوها فى الدنيا ابتغاء وجه الله وشكرا له على بعض نعمه فجزاهم عنها سبحانه بالجزاء الأوفى.

ولولا العقيدة الثابتة ما هاجروا وتركوا أوطانهم وقبلوا الإخراج من ديارهم، ولما قبلوا الإيذاء الذى منعهم من الاستمتاع بالحياة الدنيا بعضا من الزمن، ولما أجهدوا أنفسهم فى القتال وعرضوا أرواحهم للهلاك دفاعا عن الحق ودفاعا عن حرية الآخرين فى الاعتقاد الصحيح، لكنهم فعلوا كل ما فعلوا طاعة لبارئهم وإيمانا بعدله وطمعا فى فضله، ولولا هذه العقيدة الراسخة لتشبثوا بهذه الحياة الدنيا لأنها هى عالمهم الضيق فهم لا يرجون بعثا ولا نشورا ولا يعتقدون فى ثواب أو عقاب كما هى عقيدة الملحدين.

فالعقيدة الحقة التى جاء بها الإسلام وجاءت بها جميع الرسالات السماوية السابقة هى سر الصلاح والفلاح، وهى التى تنشئ المجتمع السعيد.

وإذا نظرنا إلى عالم اليوم فإننا نجده عالما مليئا بالأحقاد والأضغان كما أنه مليء بالظلم والجور تطغى عليه أطماع المادة التى بسببها تنشب الحروب وتسيل الدماء وتخرب الديار ويتكاثر عدد الجوعى والمرضى تكاثرا رهيبا فى عالم اليوم، وما ذلك إلا لغياب العقيدة الصحيحة التى وجه الله الناس إليها ووضع أسسها فى رسالة الإسلام. فالعقيدة السليمة تعمل عملها فى النفوس وينصلح بها أمر الدنيا والأخرى على السواء.

***

(١٤) الزلزلة (٧، ٨).

(١٥) آل عمران (١٩٥).

أضواء علمية على شَعيرة إسلامية:

حكمة الإسلام فيما حرَّم من الطعام

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى (*)

الطعام هو مادة بناء أجسامنا وأجسام غيرنا من الكائنات الحيّة، كما أنه هو الوقود مَصْدر الطاقة التى تدور بها عجلة الحياة فى كل كيان فيستمر سريان روح الخالق فيه.. ومهما اختلفت صور الأطعمة فإن مكوناتها لن تخرج عن عناصر الماء والتراب الأرضى التى نعلم عن يقين أنها هى أيضًا مادة الأساس فى بناء أجسامنا وأجسام ما نأكله من نبات وحيوان.. ولعل هذا التجانس المادّى بين الطعام والمطعوم هو أحد أسباب الانسجام الذى يكمن وراءه سر الاشتهاء، وهو غريزة يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، ولكن الذى خلقهما وأودع فيهما هذه الغريزة فضَّل الإنسان على الحيوان.. وهذا التفضيل هو جوهر تكريم الله للإنسان بأن منحه شرف التكليف، وأوّل مظاهره أن حرم عليه بعض ما تنازعه إليه نفسه من مطالبها المباحة أصلا فيأتيه فيقطع بذلك الخيط الرفيع بين الحلال والحرام.

حرّية الفكر: أحد جناحىّ الإسلام

● من مظاهر تكريم الله للإنسان وتفضيله على غيره من المخلوقات: أنه - سبحانه - قد استخلفه فى الأرض وسخرها له بما فيها من ثروات وكنوز ومصادر قوة، وأَمَرَهَ بأن يمشى فى مناكبها ويأكل من طيبات رزقه الذى أودعه فيها.. ثم ابتلاه. بأن حرَّم عليه بعض ما تدفعه إليه [نفسه] والرغبة فى التملك وغيرهما من الغرائز.. وفى مقابل ذلك أعانه على النجاح فى هذا الامتحان - الذى أعفى منه الحيوانات - بأن وهبه العقل ليميز الخبيث من الطيّب، وسلّحه بالإرادة ليختار ما يشاء، ومنحه القدرة على التحكم فى غرائزة

(١) كاتب المقال: أستاذ علم الحيوان بكلية العلوم بجامعة المنصورة، وخبير لجنة علوم الأحياء والزراعة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وتوظيفها وفقا للإرادة العليا – إرادة الله الذى خلقه وخلقها فيأخذ ما أحل الله له ويجتنب ما حرَّم عليه.. ليكون فى النهاية جديرا بشرف الاختلاف فى الأرض، وأهلا لعبادة مستخلفه بكل جوارحه وجوانحه: عبادة تستمد تكاملها من تكامل الدين الذى بعث الله به أكرم رسله، وارتضاه لأفضل الأمم حيث يقول سبحانه:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١).

● ويتصور مُسَطِّحو الفكر أن أعماق الإسلام كديانة تنتهى عند مستوى ما يوحى به هذا اللفظ فى أذهانهم من معانى الاستسلام بما يتضمنه من تعطيل للفكر والتدبّر ونكوص عن تقصّى الأسباب.. وهم فى ذلك غافلون – أو متغافلون – عن حقيقة أن القرآن – الذى أنزل على نبىّ الإسلام حافل بالآيات التى تحث على – إعمال العقل والمنطق فى تدبّر كل القضايا وفى مقدمتها قضية الإيمان ذاتها. ولهذا فالمسلم الحق إنما هو مؤمن عاقل يحتم عليه إيمانه استعمال أعز ما وهبه الله – وهو العقل – فى تدبّر ما يقرأ من آيات الله – سبحانه: سواء فى كتابه المسطور – وهو القرآن – أم فى كتابه المنظور وهو الكون.. على أن تقصّى حكمة الله فى التحريم يجب أولا أن يكون مقرونا بالتسليم بحتميته وثانيا: محكوما بالنص القرآنى الذى نزل بشأنه، وبهذا الالتزام تيقّن الراسخون فى العلم من أن الحكمة فى التحريم تبدو لنا ذات أقطار متفرقة ولكنها جميعا تلتقى فى مركز الدائرة حيث يكمن إخلاص العبودية لله.

تمحيص الإيمان: أعداداً لحمل الأمانة

.. وهذا ثابت من أول حالة تحريم فى تاريخ البشرية: تلك التى نهى الله فيها آدم وزوجه عن الاقتراب من شجرة معينة دون غيرها من أشجار الجنة، كما تخبرنا بذلك الآية رقم ٣٥ من سورة البقرة حيث يقول أصدق القائلين:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

* ولقد كان تكرار ورود هذا الحدث التاريخى فى الكتب السماوية عامة وفى القرآن الكريم خاصة حافزاً أغرى كثيرا من المستشرقين من أبناء الغرب والمستغربين من أبناء الشرق (ومنهم من ينتمى للإسلام) أغراهم بالتحليل والتأويل حول طبيعة هذه الشجرة وعلاقة الأكل منها بكشف العورة وإيقاظ الغريزة الجنسية ونشأة القدرة التناسلية وغير ذلك مما يوجب على كل مؤمن أن يربأ بفكره عن الانسياق وراءه أو الخوض فيه.. والأكرم لنا هو الالتزام بجوهر القضية وبالحقائق الثابتة التى لا يختلف عليهما اثنان من المفكرين أيا كانت عقيدتهما، ونكتفى بحقيقتين:

الحقيقة الأولى: هى أن الطعام المنهىّ عنه فى جميع الكتب السماوية لم يكن صيدا ولا ذبيحة، بل كان من خارج عالم الحيوان: كان شجرة مما تنبت الأرض، ومعنى ذلك أن النوع البشرى قد بدأ حياته على الأرض نباتىّ التغذية، وهذه الحقيقة التى أوحى بها إلى نبى الإسلام فى القرن السابع الميلادى لم يهتد إليها علماء التاريخ الطبيعى إلا بعد ذلك بألف ومئتى عام.

(١) المائدة (٣).

* **والحقيقة الثانية**: هي خلو الكتب السماوية من أية إشارة إلى نوعية الشجرة المحرمة أو طبيعتها أو علاقتها بما نتج عن أكلها، مع أن الله - سبحانه - قد علم آدم ما لم يُعَلِّمه ملائكته، وأمرهم بالسجود له، ولكنه شاء أن يُخفي عنه هذا السر ليمتحن صدق إيمانه الغيبيّ، وقدرته على ردع نفسه عما نهى الله عنه ومخالفة عدوّهما إبليس الذى حذره الله من وسوساته التى ظل ينفثها فى صدره وصدر زوجه (وقد جعل الله بينهما المودة).. وإذن فالحكمة من التحريم هى تنقية معدن عبوديّتهما لله وتمحيص إيمانهما به، بإدخالهما فى امتحان يعلم الله نتيجته قبل إجرائه، ولكنه شاء أن يعطى عبده الفرصة ليختبر نفسه بنفسه ويتعلم بطريقة تنفع ذريته من بعده (وهى طريقة المحاولة والخطأ)، وأن يمارس المعصية، ويعايش الشعور بالندم عليها، ثم يتذوق حلاوة التوبة بعد أن يقبل الله استغفاره الذى أوحى به إليه.. وكل هذه كانت خطوات لما نسميه الآن «دورة تدريبية» لإعداد كيان الإنسان إعداداً يؤهله لرسالة استخلافه فى الأرض، وتكليفه بعمارتها بوصفها مزرعة للآخرة.

تلوّث الطعام نتيجة للتلوث العقائدى

* وعلى الأرض تناسل آدم وحواء، وذريتهما من بعدهما جيلا وراء جيل.. وباستمرار التناسل لم تعد الموارد الغذائية تفى باحتياجات بنى آدم برغم انتشارهم فى مختلف أنحاء الأرض، فبدأوا البحث عن موارد إضافية، واتجهت أنظارهم إلى المصادر الحيوانية للتنويع، وبهذا عرف الإنسان الصيد واستئناس الماشية.. وفى رحلات الصيد كان الرجال يتعرضون للمخاطر، ويشعرون بالخوف من الرعد والبرق والنار والرياح.. فتصوّروا وجود أرواح شريرة قوية وراء هذه الظواهر، وزين لهم الشيطان (ذرية أبليس الذى كان قد لازم أبويهم فى الجنة وطرد منها ليلحق بهم فى الأرض).. زين لهم تجسيد هذه القوى الخفية على هيئة تماثيل يرفعونها على أنصاب (منصّات) ليتقربوا إليها ملتمسين رضاها، واتخذ هذا التقرب صورة مادية هى تقديم القرابين (حيوانات تذبح على الأنصاب) مع (الدعاء) بالأسماء التى أطلقوها على هذه التماثيل التى جعلوا منها آلهة ثم عبدوها من دون الله أو مع الله.. وهكذا وُلِدَت الوثنية فى حجر الشرك، وتتابعت إلى أن جاء نبى الإسلام بأكمل رسالة بلغت بها دعوة التوحيد مرحلة النضج العقائدى فشرع تطهيراً للعقيدة تحريم الأكل من أى طعام تلوَّث بممارسة طقوس الوثنيّة أو بطقوس الشرك.. فأما التلوث الوثنى فمصدره الذبح على النصُب (المنصة المرفوع عليها الوثن أى الصنم).. وهذا الطعام محرَّم بنص الآية الثالثة من سورة المائدة، وأما التلوث بطقوس الشرك فمصدره التهليل على الذبيحة بذكر اسم معبود غير الله، والأكل من هذه الذبيحة محرّم بنص الآية ١٤٥ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزَّة:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾

* وتحريم ما ذُبح على النَّصب وما أهل لغير الله به تحريم قطعيّ مطلق بمعنى أنه ينطبق على الذبيحة حتى ولو كانت قبل ذبحها بريئة من جميع شبهات التحريم الأخرى وفى هذا تأكيد للهدف التعبدى الذى يتضاءل إلى جانبه أى هدف ظاهرى تدركه أفهامنا كاجتناب أن تسرى عناصر الطعام المحرم فى دماء من يأكلونه وتدخل فى بناء مادة أجسامهم.

تحريم بعض الطيبات تأديبا للبغاة

* والبغاة هنا هم المارقون من بنى إسرائيل الذين نجّاهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده أمام أعينهم، ومع ذلك تبجح بعضهم بقولهم: إنهم لن يؤمنوا لدعوة نبيّهم حتى يروا الله عيانا، وانتهزوا فرصة غيابه لميقات ربه وصنعوا من حُليّ نسائهم تمثالا على صورة عجل وعكفوا على عبادته، ولم تردعهم الصاعقة ولا رفع جبل الطور فوق رؤوسهم ولا مسخ بعضهم إلى خنازير وقردة، ولم يقنعوا بأطيب طعام ساقه الله إليهم بلا جهد وطلبوا العدس والبصل، فحجب عنهم الذى هو خير وأعطاهم الذى هو أدنى، وزاد أن حرم عليهم بعض الطيبات، وهى مذكورة فى الآية ١٤٦ من سورة الأنعام حيث يقول الحكيم الخبير:

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾

* والظفر – علميا – هو الجزء الصلب الذى يغطى طرف الأصبع ويمتد منه، وهذا معروف جيداً فى الإنسان، ويقابله فى الحيوانات الحافر والظلف غير المشقوق والمخلب (وهو معروف أيضا فى الطيور) وبناء على هذه الحيقة العلمية تتسع دائرة التحريم لتشمل كل ما طاب لحمه، وأحل أكله من الطيور (كالنعام والأوز) كما تشمل الإبل والماشية باستثناء البقر والغنم (وهى مشقوقة الظلف).. وحتى هذين النوعين ضيّق الله على اليهود فيهما فحرم عليهم شحومهما (الشحم علميا: هو الدهن الحيوانى) إلا من مناطق صغيرة ومحددة فى الآية (والحوايا هى الأمعاء بدء من نهاية الإثنا عشر وحتى المبعر).. والدهن فى هذه الأجزاء قليل يصعب استخلاصه كما أنه منخفض القيمة الغذائية.. بينما أطيب الدهن وأنفَسُه فإنه يتراكم فى ذيول الأغنام عل شكل كتلة ضخمة تُسَمىّ «اللّيَة» وهو مشمول أيضا بالتحريم على اليهود، يمتد إلى ذريتهم من بعد موسى وإلى آخر الزمان، فقد كان فى علم الله أنهم سيقتلون أنبياءهم، ويقولون على القديسة مريم البتول زورا وبهتانا عظيما ويناهضون دعوة ابنها النبى الذى أرسله الله لتصحيح مسار العقيدة اليهودية.

* وقبل الانتقال إلى الموضوع التالى يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن التحريم المنصوص عليه فى الآية ١٤٦ من سورة الأنعام مقصور على اليهود أما أمة محمد ﷺ فلم يحرم عليهم – إلا ما نصت عليه الآية الثالثة من سورة المائدة والآية ١٤٥ من سورة الأنعام

موقف الإسلام من الطعام المجهول الهوية

والمقصود هنا بالطعام المجهول الهوية: لحم الذبيحة البريئة من كل موجبات التحريم الواردة فى الآيتين المذكورتين، ولكنها لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح فهى فى نظرى أشبه بخطاب غفل من التوقيع، أو بلاغ من مجهول لا يتلفت إليه - رغم افتراض صحة مضامينه وحكم هذا الطعام منصوص عليه فى الآية ١٢١ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزة:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾

* وفى هذه الآية ما يستحق وقفه، فقد استعملت فيها صيغة النهى بدلا من لفظ التحريم الوارد بشأن ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به وغيرهما من المحرمات وعلى الرغم من أن الدلالة واحدة فى كلتا الحالتين (وهى عدم الحلّ) إلا أن اختلاف اللفظ إنما هو دقة فى التعبير عن فرق فى طبيعة عِلّة التحريم بينهما، فالعلة فى الحالة الأولى إثم وقع ولا يمكن الرجوع فيه، أما فى حالتنا هذه فهى تجاوز عن شرط يمكن تداركه، وهذا هو ما أمر به نبى الإسلام - الذى لا ينطق عن الهوى - عندما سأله أعرابى: إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذُكر اسم الله عليه أم لا. فقال: ﷺ «سموا عليه أنتم وكلوه»(٢)

ومعنى هذا أن ذكر اسم الله مكمل لشروط حل الطعام المأخوذ من مصدر حيوانى توفرت فيه كل شروط الحل الأخرى (وفى مقدمتها التذكية الأصلية بإراقة الدم والمنصوص عليها فى آية سورة المائدة)، وأن نسيان هذا الشرط عند الذبح لا يقضى بتحريم الذبيحة كما أنه لا يعفى من شرط استيفائه ولو قبل الشروع فى الأكل.

● وهكذا نرى أن صيغة النهى فى الآية ١٢١ من سورة الأنعام قد تركت باب التيسير مفتوحا أمام السنَّة المحمدية - وهى مكملة للقرآن - وأن الاستفادة من هذا التيسير لم تكن مقصورة على المسلمين الذين عاصروا نبيهم، ولكنها شملت التابعين الذين هم أشد حاجة إلى هذه الرخصة لأنهم جاءوا فى عصور لاحقة لم يعد فيها الآكلون هم الذابحين، وربما استحال التواصل بينهما للتأكد من النطق باسم الله عند الذبح.. وهذا التيسير هو من أفضال الله على أمة نبى الإسلام، إذ يمكن استيفاء هذا الشرط بالتسمية قبل الشروع فى تناول هذه اللحوم، بل وبعد البدء فيه لمن ينسى، ولئن كانت التسمية، مطلوبة قبل الشروع فى أى عمل، فإنها عند تلبية حاجات البدن واجبة لما فى ذكر اسم الله من صرف للشيطان عن الناطق به الذى يكون أشد حاجة إلى التحصّن من الشيطان عند مباشرة ما يغلب أن تلهيه به شهوته عن ذكر الله.

---

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد ١٠٤/٧.

الاهتمام بأدب الطفل في الإسلام

للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم يونس (*)

إنّ الاهتمام بأدب الطفولة فى مجتمعنا العربى والإسلامى يجب أن لا ينفصل عن الاهتمام بتكوين الطفل وتنشئته تكوينا صحيحا فى ظل الأصول والمفاهيم الأخلاقية التى حددها الإسلام، حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانهُ مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية «سلوكا وتعليماً وتربية ومشاركة مسئولة فى ميادين الحياة العملية»، وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهى كتابة تفتقد الرؤية الصحيحة، وتكتفى بالتسلية الوقتية للطفل، ولا تعنى بصنع مستقبله ومستقبل أمته.

وحين نتأمل موقف الإسلام من الطفولة نعثر على ملامح الرؤية المستقبلية لا لأدب الطفل فقط، ولكن لحياة هذا الطفل المستقبلية بكل أبعادها ومكوناتها النفسية والشعورية والعقلية والحسية التى تنمى فى الإنسان القدرات والمهارات المرتبطة بحركة الحياة.

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.

فـقـد اهتم الإسـلام بتكوين الطفل وعُنى بمستقبله حتى وهو جنين، حيث حرم الإسلام إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، ويعاقب من يسقطه بدفع الدية الشرعية وتسمى «الغُرَّة».

وقد حكم الله ـ عز وجل ـ على القاتل بالخسران والسفه والضلال فقال سبحانه:

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(١).

وقد هيأ التشريع الإسلامى للجنين كل سبل الرعاية والعناية، وهيأ من حوله للحفاظ على هذه الحقوق. يقول تعالى:

﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(٢)

ورعاية من الدين الإسلامى للجنين، نجد أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وضع عن «الحبلى» الفرائض والقربات وإذا كان فى هذه الطاعات إضرار للجنين أو الطفل بعد الولادة، فوضع عن الحبلى والمرضع الصوم ـ ولو كان صوم فريضة ـ إن كان ذلك يؤذى الجنين أو الطفل أو الأم، وجعل قضاءه بعد زوال السبب؛ وينبه المصطفى ﷺ إلى ضرورة الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة؛ حرصا على مستقبل الطفل ونشأته فيقول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٣). فهل هناك حرص على مستقبل الطفل وحياته أعظم من هذا التوجيه النبوى الراشد.

وعناية من الإسلام بمستقبل الطفل أمر الآباء بحسن رعاية أبنائهم، والقيام على تربيتهم وفق مفاهيم الإسلام، وأرشد الآباء إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التى تجعل منه رجلاً قوياً ثابتاً متزناً فى مستقبله وفى عهد الشباب والفتوة، وكان المصطفى ﷺ هو القدوة والنموذج فى ذلك، حيث كانت طفولته فى صورتها المضيئة إعداداً لمستقبل حافل بالمسئوليات الجسام، وللقيام بأعباء الدعوة الإسلامية، فقد أرسل إلى البادية ليتلقى اللغة العربية صافية من الشوائب واللكنات والتحريف، ويتعود على حياة الصحراء وما فيها من كفاح وتقشف وتحمل، ويتشرب تقاليدها التى تبرز قيم الصحراء ورحابتها والانطلاق فيها على فطرة الإنسان، وحيث يكون لكل فرد دور بناء يقوم به لخدمة نفسه ومجتمعه.

ويقول عمر بن الخطاب: «علموا أولادكم السباحة والفروسية، وأرووهم ما سار من المثل وحَسُن من الشعر» ووصية عمر تؤكد على تنمية الذوق الأدبى والمهارات اللغوية عند الأبناء، وهذه رؤية مستقبلية لارتباط الأطفال بلغة أمتهم وتراثها، ويحرص «الفاروق عمر» على منهج الانتقاء فيما يُرْوى للطفل المسلم «الأمثال السائرة النافعة والمفيدة والممتعة، وكذلك الشعر الحسن التربوى والأخلاقى».

ويقول هشام بن عبدالملك لمعلم ولده:

«وأول ما أوصيك به، أن تأخذه بكتاب الله،

---

(١) الأنعام (٣١).

(٢) الطلاق (٦)

(٣) العراقى ٢/٤٢.

ثم أروه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به فى أحياء العرب، فخذ من « صالح شعرهم » وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازى » .

والمنهج التربوى السديد، والرؤية المستقبلية المستنيرة فى هذه الوصية الرائعة تقوم على عدة أسس؛ لتكوين مستقبل الطفل المسلم نفسياً وجسدياً وعقلياً وشعورياً، وأدبياً وهى :

أ) الاتكاء على التعاليم القرآنية فى المنهج السلوكى للطفل، وهذا ليس اختيارا، ولكنه ضرورة وواجب، والنص يؤكد ذلك أن يأخذه بكتاب الله والأخذ هو « الإلزام بالأمر » . والقرآن دستور المسلمين، وسرّ حضارة الأمم . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على العناية بالولد ورعايته، وآيات أخر تذكر لفظ الطفل صراحة، وتنبه إلى ضرورة التكوين المستقبلى للطفل، فقد أقسم الله تعالى « بالولد والوالد » فى سورة البلد، وذكر الطفل فى سورة النور وسورة الحج، ومَنَّ على الناس أن أمدهم بالبنين فى أربع سور مباركات، وهى الإسراء والمؤمنون ونوح والمدثر وعدّ الأبناء زينة الحياة « الدنيا » فى سورة الكهف، وهم « قرة أعين » فى سورتى الفرقان والقصص .

ب) تقويم لسان الطفل وتبصيره بتراث العرب المضىء، والنافع المفيد من الشعر العربى وهذا مدخل صحيح لتربية ملكة التذوق الأدبى عند الناشئة وأطفال المسلمين .

جـ) الترحل والتنقل ومشاهدة الآثار والاختلاط بأصحاب الخبرات الثقافية والعمرانية والتربوية من أسس أدب الطفولة، ومن أسس التكوين الوجدانى المستقبلى للطفل، إذ يقول هشام بن عبدالملك لمؤدب ولده : ثم تخلل به فى أحياء العرب، فخذ من « صالح شعرهم » .

د) الحرص على التربية الدينية السوية، والسلوك الإسلامى السديد، وهذا المنهج يكون فى ظل مراعاة سن الطفل، ومدركاته وحاجاته، وإشارة هشام بن عبدالملك ولفتته التربوية الدقيقة تبدو بجلاء وذكاء فى قوله « وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازى » .

فالهدف ليس التلقين ولكن « التبصير » والتوعية .

ومن وسائل التيسير وأدواته « الخطب والمغازى » وهما مدخلان قويان للدخول إلى مستقبل أدب الأطفال، أبناء الإسلام وعلماء المستقبل وقادته، ويمكن ان تُعرض خطب الأقدمين الآن فى صور مشوقة مشروحة مصحوبة بما يلائم العصر وما جد فيه من ظروف وملابسات، وكذلك أخبار « المغازى » والفتوحات الإسلامية، على امتداد التاريخ الإسلامى المشرق المجيد الزاخر بالبطولات الفريدة، رجالاً ونساء وأطفالاً .

هذا التصور السديد، وهذا الاهتمام الرشيد بالتكوين الكلى للطفل فى مبادىء ديننا الحنيف، وفى ضوء سلوك علمائنا وأولى الأمر وتوجيهاتهم فى الدولة الإسلامية يجعلنا أمام تأملات وتساؤلات كثيرة تحيط بواقعنا الأدبى بعامة، وبواقع أدب الطفل بخاصة فى حركتنا الأدبية المعاصرة .

ولنتساءل، ونحن نبحث عن ملامح مستقبلية لأدب الطفل :

أولاً: كـيف نكتب للطفل الآن؟ وما سلبيات الظاهرة؟ وما إيجابياتها؟ وما الوسائل والأدوات المقترحة لتجاوز الأزمة؟ ويندرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر وممارسات لابد من إثارتها، ومعالجتها فى ميدان الكتابة للطفل أو عن الطفل، وهى:

أ- ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العابث!

ب - ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشوية الذاكرة!

جـ- ظاهرة قصص الخيال العلمى وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعى مشوق بعيد عن الإسفاف والابتذال.

د - البرامج التليفزيونية وخطورة ألعاب الكارتون على التكوين الإدراكى للطفل.

ثانيًا: التراث العربى والإسلامى وخصوصيته فى تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى فى مجال ثقافة الطفل وأدب الأطفال، وهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التى تثرى عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعهم، وتصبح بديلا عن الألعاب الكرتونية القائمة على الحيل والخدع، والتى لا تؤدى إلا دور التسلية والمتعة الوقتية وتسحر قلوبهم وعقول الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربوية توجههم إلى السلوك الإيجابى فى الحياة، وإنما تدرب الأطفال على العنف، وعلى الحيل الخادعة والميول العدوانية، وتتنوع هذه المادة التراثية - كما يقول د. نجيب الكيلانى - « وعلى كتاب أدب الطفل أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يرونه ملائماً من وسائل التعبير، والمشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية والتليفزيونية، وهذه المادة تتكون من المنابع التراثية التى تتشكل من فيوضاتها حضارة الأمة العربية والإسلامية وهى:

١- قصص الأخبار والمغازى والمثل وحكايات الأبرار والصالحين وهذا قصص واقعى تاريخى ووصية « هشام بن عبدالملك » لمؤدب ولده تشير إلى ذلك المصدر المهم.

٢- ما ورد فى القرآن الكريم من قصص وأمثال، وتقديم هذه القصص يتم فى إطار الالتزام بالمفاهيم الإسلامية، والبعد عن التفاصيل التى لا سند لها من التاريخ.

٣- ما ورد فى الأحاديث النبوية من قصص، وهو يحمل المغزى الإصلاحى والتكوين الاجتماعى والنفسى.

٤- قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى - غير العربية - التى تم فتحها ونشر الإسلام فيها، والقصص الشعبى.

٥- قصص الأسفار والتجار والرحلات.

٦- بعض قصص الجن والملائكة والسحر، وتعرض فى أسلوب تربوى يبصر الطفل بهذه العوالم، وينزع من نفسه الخوف التقليدى، ويطرد عنه الأوهام.

وفيما قدّمناه ما يرسم خطوطا للتأليف التربوى الصحيح.

سبحانك بديع السموات والأرض

للدكتور/ على أحمد على

سبحانك بديع الكون كله، وصانعه الذى أتقن كل شىء خلقه.
وهذا قول الحق بعد لغو المفترين.. لقد مضى حديث د/ هندريك الذى صور فيه مذهب الطبيعيين فى نشأة الأرض.. وتطور الحياة.. إلى نشأة الإنسان.. والذى قدم له بقوله: ومازال حظنا من العلم ضئيلا، ولكننا بلغنا المرحلة التى تمكننا من «التكهن» بجملة أشياء.[1]
وكانت الكهانة حديثه الذى أشرنا إليه.

وقد آن أن نتحدث عن الأرض كما صنعها الله ـ عز وجل ـ ونقصر حديثنا عليها فقط، فليس للقوم كهانة تخص السموات السبع، فى حديث هندريك، فلا لهم إليها هُدى، ولا لها منهم دين.

وتحملنا الأمانة على الإقرار بأن ما نسطره فى هذا المقال هو عين ما فهمناه من التنزيل العزيز بقدر ما شاء المولى ـ عز وجل ـ أن نستفيد.

وإذا أخذنا بمنهج الله ـ تعالى ـ فى الخلق، وقلنا: إنه ـ سبحانه ـ خالق السموات والأرض، بل خالق الكون كله، فقد تلاشت ـ تماما ـ كل الأسئلة التى ألحت على أذهاننا، ونحن نقرأ تكوينات هندريك، سواء منها تلك الأسئلة التى كانت تطالبه بين سطر وآخر بالسؤال عن «الفاعل» أو بتلك الأسئلة المتعلقة بثغرات من حديثه جاوزها ـ برغم ضرورة جوهرها فى الموضوع ـ كقوله ـ مثلا ـ عن نبات البحر:

(١) انظر عدد ربيع الآخر ١٤٢٣هـ من مجلة الأزهر ص ٦٢٠ وانظر الأصل فى قصة الجنس البشرى للدكتور هندريك ص٧ كتاب الشعب ٣ – ١٩٥٧.

إن بعضه آثر التنقل من مكان إلى آخر فنمت له أرجل.. وأخذ يدب هنا وهناك.. الخ.

وإذا أتى عرض الخلق ـ عن الخالق ـ جل علاه ـ كان الإيمان بقدرته المطلقة سدا على كل ما طرأ علينا من سؤال فى عرض الكون بلا خالق.

●●●

وفى البداية لخلق السموات والأرض ـ شاء الخالق ـ جَلَّ عُلاهُ: ألا يَحْضُرَ هذا الْخَلْق أحدُ مِمَّنْ خَلَقَ، فما عَلِمَ مخلوق: كيف خلق الله السموات والأرض، قال ـ تعالى:

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[٢].

لقد استأثر الله ـ تعالى وحده ـ بعلم هذه البداية.. فما رأى أحد مادة الخلق ولا كيف خلق. ثم شاء ـ بعد ـ أن يدفعنا لاكتشاف مادة الأرض، وشيئا بعد شيء أخذنا نعلم بعض ما حوت من «عناصر» و«مكونات» فمن بسط لنفسه الحديث عن هذه النشأة، فهو ـ حقا ـ كاهن مضل.

يقول ـ تعالى ـ:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣].

وفى أكثر من آية يقول ـ سبحانه:

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤].

وإبداع الشيء كَفَطْرِه سواء: يعنى إنشاؤه بلا نظير له، ولا مثيل سبقه، أى أنه لم تكن هناك سماوات أو أرض.. قبل خلق هذه السموات وتلك الأرض.

و(الأرض) فى هذا القول الكريم تعنى: سَبْعَ أَرَضِين، لا أرضا واحدة، فهن سبع ذكرهن الصانع ـ جلَّ عُلاهُ ـ فى قوله:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[٥].

وعلى ذلك، فكل ما نذكره من أمر الأرض، لا يخص كوكبنا، بل كوكبنا والأراضى الست بعده فيه سواء وكذلك «الأرض» فى كل ما ورد بالتنزيل العزيز إلا أن يصحب لفظها قرينة تجعلها أرضا خاصة بكوكبنا أو جزءا منه:

فقد حكى المولى ـ عز وجل ـ من حديث يوسف ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يخاطب مَلِكَ مِصْرَ بقوله:

﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾[٦]، وقول بنى إسرائيل لموسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾[٧].

---

(٢) الكهف «٥١».

(٣) البقرة «١١٧»، الأنعام «١٠١».

(٤) الأنعام «١٤»، فاطر «١».

(٥) الطلاق «١٢».

(٦) يوسف «٥٥».

(٧) البقرة «٦١».

وقوله ـ سبحانه ـ للمعاندين من أهل مكة:

﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٨).

فالأرض فى كل ذلك من كوكبنا.

وليس الأمر كذلك فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾(٩).

فالأرض ـ فى الآية الكريمة ـ تعنى الأَرَضَين السبع، فهن مُسَبِّحَات.

●●●

وعن بدء النشأة يقول ـ تعالى ـ فى السموات والأرضين جميعا: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾(١٠).

أى جسما واحدا، كتلة ملتحمة غير متميز بعضها عن بعض، كتلة لا نقب فيها ولا ثقب، ففتقها ـ عز وجل ـ فجعل منها السموات السبع والأرضين السبع.

ومع استيعاب معنى «الرَّتْق» لغة، لابد أن نعتبر هذه الكتلة الواحدة، هى ـ نفسها ـ مجموعة من أجزاء تضامت وصارت كتلة قبل أن يحدث لها الفتق الذى فصلها إلى مجموعتى: السموات والأرضين، أى أن كل رتق سبقه فتق أو فتوق، وهو ـ فى الآية ـ أعقبه فتق أيضا.

ذلك أننا نقول ـ لغة ـ عن ثقب خِطْنَاهُ بثوب أو جورب: رتقت الفتق، أى ضممت أطرافه فارْتَتَق، قال ابن كثير ـ فى تفسير «الرَّتْق»:

«كان (الجميع) متصلا بعضه ببعض، متلاصق، متراكم، بعضه فوق بعض فى ابتداء الأمر، ففتق هذه عن هذه، فجعل السموات سبعا والأرضين سبعا»(١١).

وخلق الله ـ عز وجل ـ السموات والأرض ﴿ سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، سبعا من هذه، وسبعا من تلك، وذكر الأيام الستة فى سبع آيات بالكتاب العزيز (١٢) ـ بصيغة واحدة، لا تحمل إحداها أدنى إشارة إلى مجاز فى تقدير اليوم على غير ما هو معروف لنا، وهذا التكرار «المتحد» كاف ـ وحده ـ فى إرادة المعنى المعروف لليوم أنه يومنا هذا المساوى أربعا وعشرين ساعة فقط دون سواه، ذلك أن القرآن الكريم إذا ذكر لفظا له أكثر من معنى أصْحَبَهُ ما يحدد معناه، فمثلا لفظ «اليمين» له معان كثيرة لكننا أبدا لن يغمض علينا المراد منه فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾(١٣)

فذات اليمين فى الآية هى جهة اليمين بدلالة: (وذات الشمال) قال الإمام المحلى: لئلا

---

(٨) النحل «٣٦».

(٩) الإسراء «٤٤».

(١٠) الأنبياء «٣٠».

(١١) تفسير ابن كثير فى الآية ١٧٦/٣ طبع عيسى البابى الحلبى.

(١٢) الأعراف ٥٤ - يونس ٣ - هود ٧ - الفرقان ٥٩ - السجدة ٤ - ق ٣٨ - الحديد ٤.

(١٣) الكهف «١٨».

تأكل الأرض لحومهم. وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾(١٤).

هى يده ـ عليه السلام ـ الأكثر قوة من الشمال عادة.. وهكذا.

ولهذا، ما كان لى أن أعدل إلى رأى يُلقى بى إلى لقاء بفكر الطبيعيين فى تكوين الأرض حيث رأوا قشرتها فقط «ظلت منصهرة ملايين السنين قبل أن تتجمد»(١٥).

ترُى لو أن الأمر كذلك:

كم كان الزمن الذى ييبس فيه قعر البحر ليمر موسى ـ عليه السلام ـ ومن معه فوقه آمنين..؟ لكن موسى ما إن ضربه بعصاه حتى انفلق ويبست الأرض وقام الماء جُدرانا كالصخر ومر موسى وقومه فى سلام. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾(١٦).

وكم كان الزمن الذى يستغرقه نقل عرش «ملكة سبأ» من مقره باليمن إلى قصر سليمان ـ عليه السلام ـ بالقدس من فلسطين، هذا الزمن ذكره التنزيل العزيز بقول ربنا ـ تعالى جده:

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾(١٧).

فوجده سليمان ـ عليه السلام ـ بين يديه، فقال: هذا من فضل ربى.

إن من أعجب الأمور مجاراة هذا الفكر الذى يقر أصحابه بأنه كهانة، وهو ـ فعلا ـ كهانة ـ يؤكدها القرآن العزيز.

أفكان شىء يعجز المولى ـ عز وجل ـ أن يخلق الأرض بكل «مكوناتها» و«عناصرها» فى أربعة أيام هى ست وتسعون ساعة تصلح بعدها لكل شىء أراده.. حاش لله.

وأعجب من ذلك كله أن يصادر أحد المفسرين نظر الناس فى الآيات محتميا أنها ـ أى هذه الأيام «لا نستطيع تقدير اليوم فيها بألف سنة أو بخمسين ألف سنة أو بأكثر من ذلك، حسب سنة «التطوير» التى أراد الله فى تكوينها» ثم زاد:

«وحيث أمسك القرآن والسنة عن بيان مقدار اليوم فى خلقهما، فعلينا أن نمسك عن الحدس والتخمين»(١٨).

---

(١٤) الصافات «٩٣».

(١٥) راجع للدكتور منصور حسب النبى – الكون والإعجاز العلمى للقرآن ص ٣٣٦ دار الفكر العربى.

(١٦) طه «٧٧». (١٧) النمل «٤٠».

(١٨) التفسير الوسيط ـ الحزب السابع والأربعون ص٦٨٢.

والحمـد لله، ليس بنا من حدس ولا تخمين، إنما نتبع بدهيات القرآن الكريم وخطابه الحريص على إرشادنا دون غموض أو التواء بما لا يصعب علينا فهمه، وحسب الكاتب أن يجارى «التطوير».!

ثم - بعد هذا كله: أين يغيب عنا قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(19).

فهل يومنا هذا بألف سنة، أو بخمسين ألف سنة.؟ خَزِينا - والله - وخسئنا - إن ذهبنا نؤول ونستسيغ!!

قال الإمام النيسابورى - غفر الله له - عن هذه الشهور:

«.. إن ذلك العدد واجب وثابت فى علمه فى أول ما خلق الله العالم»(20).

فى الحق أن الكرة الأرضية لم تكن كطبق حار من حساء يلزم لفتوره وقتا من ملايين السنين، أين غابت عنا آية التوبة، أو أين غابت عنا نيران إبراهيم - عليه السلام - وقد قال لها خالقها:

﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(21).

لكن الأمر - فى بساطة - ليس من حساب الله - تعالى فى شىء، بل هو من حساب هندريك وشركاه. والله المستعان.

وكم أرجو أن نراجع - فى أناة - «يوما كألف عام»، و«يوما كخمسين ألف سنة» فى موطن كل منهما فى التنزيل العزيز والحديث النبوى الصحيح، لنعلم المراد منهما على الوجه الصحيح، ولا ننزع أيا منهما انتزاعا عما يراد به، ثم نخلطه بـ«يوم ذى قار» و«يوم خزازى» و«يوم حليمة» وغيرها من أيام العرب، ونذيب كل ذلك فى خليط نطلى به وجه الأيام الستة فتختفى حقيقتها، وتصبح بلا زمن محدود، لاسيما، ونحن - إذا التزمنا بمعنى خلق الأرض - وحدها - فى أربعة أيام من أيامنا لن تفقد شيئا من مكوناتها، ولن يفسد شىء من عناصرها، وستظل - كما هى - بُكَرويّتها ومائها وجبالها ووهادها وطبيعة فصولها، لا ينقص من أمرها شىء، فكل شىء عنده - تعالى - بمقدار.

●●●

ونخلص إلى ذات الأرض وجسمها:

وفيه حديث التنزيل العزيز بسورة فصلت حيث قال - عزوجل - فى الآية التاسعة:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(22)

---

(19) التوبة «36».

(20) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - 10/78 بهامش الطبرى.

(21) الأنبياء «69».

(22) فصلت «9».

وتعنى الآية الكريمة بخلق الأرض فى يومين: خلق جسدها الكروى المعروف على استدارة تأخذ منتهى الاتساع عند خط الاستواء حتى يصير قطرها نحوا من (١٢٧٥٦) ك م، ثم تنقص تلك الاستدارة شيئا فشيئا شمالا وجنوبا حتى إذا انتهت إلى القطبين صار قطرها نحوا من (١٢٧١٤) ك م.

وهيأها ـ سبحانه وتعالى ـ لسكنى البشر، فكان (يابسها) قرارا يمنع من يدب عليها أن يغوص فيها، و«فراشا» يمكنه الاستقرار عليها، و«ذلولا» يعمر فيها ما شاء كما شاء لا تستعصى عليه و«بساطا» يعين من يسعى لرزقه عليها. ثم قال ـ تعالى :

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[٢٣].

وجاءت هذه الآية تحدثنا عما أوجده ـ عز وجل ـ فى الأرض ـ فى اليومين التاليين لخلقها، فتم أمرها فى أربعة أيام متساوية تامة كاملة علما للباحثين السائلين عن خلق الأرض.

فى هذين اليومين أنشأ الله ـ تعالى ـ الجبال ثوابت فى الأرض تحفظ توازنها، وتعادل بين ثقلها فلا تضطرب فتخر عن فلكها، كذا أشار أهل التفسير، ورأى الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى بحوثه المتقدمه: الجبال تحفظ الغلاف الهوائى المحيط بالأرض، وتكفى الناس شر ٱلْقَدْرِ المؤذى من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية، ورأى لارتفاعات بعضها دخلا فى احتفاظ الأرض بجوها واستمرار الحياة عليها، كما أن وجود الجبال بالأرض عامل هام فى جعل جاذبية الأرض كافية فى الاحتفاظ بطبقة هوائها[٢٤].

و(بارك فيها) فأكثر خيرها، وجعله مباركا أى دائم الثمرات، دائم الإنتاج، فخيرها كثير برا وبحرا ونهرا

(وقدر فيها أقواتها) فأوجد فى الأرض أنواع الخيرات المختلفة من نبات وحيوان وطير ومعادن، وخص أماكن بأنواع منها ليست فى غيرها، فغمرت الأرض، وصار فى اختلاف ثمارها ومعادنها وطيرها وحيوانها مستراح ومعاش وحاجة مطلوبة هنا وهناك، ليكون بين الناس علاقات نافعة وسياسات حكيمة طالما أسعدت البشر إذا نشدوا العدل والسلام.

●●●

وفى «نبات الأرض» كله آية واحدة جامعة تحدد مصدر حياته الذى أراده المولى لها. قال ـ تعالى ـ:

(٢٣) فصلت «١٠».

(٢٤) دكتور محمد أحمد الغمراوى - الإسلام فى عصر العلم. راجع ص٣٣٥، ٣٣٦ نشر دار الكتب الحديثة.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٢٥).

فلا نبات فى بر ـ مهما كانت أرضه ـ أونهر، أوبحر إلا من ماء عذب أ٤ى أن نبات البحر لم يستثن من هذه الكلية . . « نبات كل شىء » . فهذا النبات البحرى زوده الله ـ تعالى ـ بخاصية تمكنه من استخلاص الماء العذب وطرد المالح عن طريق آليات موجوده فى أنسجته وخلاياه مثله فى ذلك مثل بقية الكائنات البحرية .

وتكون النتيجة أنه لا نبات قبل الماء العذب . . ماء المطر . . بحال . . وهذا المطر يهبط ـ فى أى الجهات ـ على برها وبحرها على سواء، فلا يسبق إلى البحر قبل البر لينمو نبات البحر قبل نبات البر . . ثم يتطور حتى تكون له أرجل . . ثم يضيق بالبحر . . الخ مقولة هندريك فى العدد السابق .

وبعـــد :

فلقد أودع الله ـ عز وجل ـ الأرض كل أسباب الحياة والنماء لساكنيها من الناس والأنعام والنبات . . صنعة الله الذى أتقن كل شىء، فعمرت الأرض بأزواج من نبات شتى، وحدائق ذات بهجة، ونخيل وزيتون، وجنات وعيون . . ليظل للأرض خيرها، وتدوم فيها أرزاقها .

وانتهت أيام الخلق الستة دون أن يعيا المولى ـ عز وجل ـ بخلقها، وقد خاب وافترى من زعم أن الله استراح فى اليوم السابع . . حاش لله . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾(٢٦).

وقال – عز من قائل :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(٢٧)، (٢٨).

***

(٢٥) الأنعام «٩٩».

(٢٦) الأحقاف «٣٣».

(٢٧) اللغوب: التعب، واللفظ تصحبه (من الابتدائية) يفيد نفى أدنى لغوب.

(٢٨) ق «٣٨».

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

سنرد بمشيئة الله - تعالى - فى هذا العدد على عدة رسائل :

● الرسالة الأولى : من القارئ مشهور مصطفى غزال من بلبيس . محافظة الشرقية .

وهى رسالة تفيض أسى ولوعة وحسرة على ماوصل إليه حال الأمة الإسلامية من فرقة وضعف وهوان واستخذاء الأمر الذى أطمع فيهم أخس أجناس البشر اليهود فصاروا يستقوون عليها لضعفها وليس لقوتهم لأن الأمة أصبحت فى حالة من الضعف كأنها ميتة فصارت كما قال الشاعر : مالجرح بميت إيلام .

وأنا مع الأخ القارئ فى كل ماقاله لكنه ينحى باللائمة كلها على العلماء وحدهم ولا شك أنه بهذا يعرب عن ثقته فى العلماء .

وليسمح لى الأخ مشهور أن أقول له إن العلماء لم يعودوا وحدهم المؤثرين على جماهير الأمة فهم يمثلون جزءاً قليلاً من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ، ومايتاح لهم فى هذه الوسائل أقل القليل ولست بهذا أتنصل من مسئولية العلماء فى توجيه الأمة وإرشادها لكنى أريد فقط أن أضع الأمر فى نصابه وأضع النقط على الحروف ، فهب أن العلماء جميعاً أدوا واجبهم فى هذا الأمر وقاموا به على الوجه الذى يتمناه كل غيور على الإسلام والمسلمين ثم تركوا الجماهير للإذاعة والتليفزيون ومافيهما من تمثيليات وكرة وأغان وأفلام فماذا سيبقى فى عقولهم وقلوبهم من الكم القليل جداً الذى استفادوه من العلماء أمام هذا الكم الهائل مما أشرنا إليه وكما يقول علماء الاقتصاد : العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، أو كما يقول الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ولست أنكر أن بعض العلماء مقصرون فى هذه الناحية لكن الغالبية العظمى بحمد الله يقومون بواجبهم على الوجه الكامل، إن لم يكن الأكمل، وهؤلاء المقصرون لهم عذرهم فى معظم الأحيان.

وأنت ياأخ مشهور قد أشرت فى رسالتك إلى واحد من أفاضل العلماء هو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى وكتابه (علماء فى وجه الطغيان) الذى جمع فيه نخبة من علماء الأمة منذ القرن الأول الهجرى إلى هذا القرن الأخير منذ التابعى الجليل سعيد بن المسيب إلى علماء الأزهر الأجلاء: الجبرتى والعدوى والطويل والنواوى والإمبابى والإمام الشيخ محمد عبده.

أليس هذا العالم الجليل نموذجاً من العلماء الأجلاء الذين يؤدون الواجب على أكمل وجه ولم (يكتفوا بالجلوس على الكراسى الفارهة والمكاتب شديدة الرفاهية) على حد قولك فى رسالتك.

ولو رجعت إلى مقدمة هذا الكتاب لعلمت السبب فى تأليفه كما يقول أستاذنا الدكتور هو صدور مسرحية الكاتب الكبير توفيق الحكيم «السلطان الحائر» التى تحتوى على مواقف بطولية رائعة لسلطان العلماء العز بن عبدالسلام الذى تحدى الظلمة من سلاطين المماليك ولايعنينى هنا ماذكره مؤلفنا الكريم من دهشة بعض المثقفين من بطولة العز – رضى الله عنه – ولكن الذى يعنينى أنه كان فى القرن الماضى من الكتاب المشاهير من يجرؤ على كتابة هذا اللون من المسرحيات الهادفة وهذا فى حد ذاته يشجع العلماء على كلمة الحق.

ولا أحب أن أضع القلم وأنهى الرد على هذه الرسالة قبل أن أحاول تبديد اليأس الذى سرى إلى نفس الأخ مشهور مع جماهير الأمة الإسلامية كلها بسبب الضربات المتلاحقة التى وجهت إلى الأمة من أعدائها الظاهرين والمستخفين وهذا اليأس إذا استسلمت له النفوس «قتل فيها الهمم وخدر العزائم ودمر الطموحات» على حد تعبير الداعية الكبير الدكتور الشيخ القرضاوى فى كتابه (المبشرات بانتصار الإسلام) وهذه المبشرات التى يريد بها فضيلته أن يبعث الأمل فى نفوس المسلمين ويهزم اليأس الذى تسرب إلى نفوسهم تتمثل فى نصوص من الكتاب والسنة كما يستمد بعضها من التاريخ الإنسانى العام وبعضها من الواقع الذى يعيشه البشر، وأخيراً يذكر المؤلف أن سنن الله فى خلقه إحدى هذه المبشرات أما المبشرات من الكتاب الكريم فمثل قوله – تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(١).

---

(١) التوبة (٣٢، ٣٣).

ومن المبشرات فى السنة الشريفة قوله ﷺ «ليَبلغَن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» وهذا الحديث يدل على أن الإسلام سيعم كل الدنيا وذلك لم يأت بعد وسيأتى لا محالة حيث إنه إخبار ممن لا ينطق عن الهوى.

ومن مبشرات السنة انتشار الرخاء والأمن وفيض المال وعودة الخلافة على منهاج النبوة وانتصار المسلمين على اليهود حتى يخبر الشجر والحجر عمن خلفه من اليهود (وكل ذلك لم يأت بعد وسيأتى إن شاء الله) أما مبشرات التاريخ فقد عودنا الله على مر التاريخ كله أن النصر لا يتنزل على المسلمين إلا حيث يكونون محتاجين إليه أشد الاحتياج كما حدث فى الهجرة وفى بدر والأحزاب وحنين حين تنقطع أسبابهم العادية وتغلق كل الأبواب أمامهم إلا باب الله - تعالى - فيلجئون إليه داعين مضطرين فيجيبهم ولا يخيب رجاءهم وصدق الله العظيم:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٢)

- أما مبشرات الواقع فتبرز فى حركة الإحياء والتجديد الإسلامية المتنامية فى كل بقاع الأرض ودخول ملايين من الشرق والغرب فى الإسلام وكذلك القوى الهائلة التى تملكها الأمة الإسلامية من بشرية ومادية وجغرافية وروحية وإن لم تكن قد استغلت بعد فسوف يأتى اليوم الذى تستغل فيه هذه القوى أحسن استغلال.

أما المبشرات من سنن الله فى الخلق فمنها قانون المداولة أو التداول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(٣).

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(٤).

ومنها سنة أو قانون التغيير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٥)

وأظنك ياأخى السائل بعد هذه اللمحات السريعة من كتاب أستاذنا الشيخ القرضاوى قد تبددت غيوم اليأس والإحباط من نفسك وأضاء الأمل فى قلبك على حد تعبير الشيخ أطال الله فى عمره.

● **والرسالة الثانية**: من الأستاذ/سمير عبدالكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية والتقارير العلمية بالمجلس الأعلى للآثار بطنطا، وهى رسالة أكثر قتاماً وسواداً من سابقتها وتسمى العرب كلهم أعراباً وتصفهم

---

(٢) يوسف (١١٠).

(٤) الطلاق (٧).

(٣) آل عمران (١٤٠).

(٥) الرعد (١١).

بالكفر والنفاق انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾(٦) ويقول الأخ فيها: إن المسلمين خالفوا أمر الله فاتخذوا اليهود والنصارى أولياء وذهبوا إليهم ليحلوا لهم مشاكلهم ويختم رسالته بحكاية طريفة فقد ذهب أهل قرية إلى حكيم يسألونه كيف يصلحون الفساد الذى عم فى قريتهم فسألهم الحكيم كيف حال العدل فى قريتكم فأجابوه: لا يوجد عدل فقال: إذن فكيف الإصلاح ثم يذيل رسالته بقصيدة من شعره يبدأها بقوله:

ياسماء أمطرينا بحجارة

لإيماء جزاء وفاقاً

يأرض غيضى بمائك

لا تتركى جدولها رقراقاً

ورغم مافى القصيدة من تجاوزات فنية ولغوية إلا أنها تعبر عما فى نفسه تعبيراً دقيقاً، وأقول للأخ القارئ هناك فرق بين العرب والأعراب فالعرب سكان المدن والبيوت المبنية، والأعراب سكان البدو والخيام.

ثم إن القرآن الكريم لم يصف كل الأعراب بالكفر والنفاق، بل قال بعد هذه الآية مباشرة:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٧).

لأن القرآن لا يعرف التعميم فى الأحكام فالناس ليسوا متساوين:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٨).

ألم يقل ربنا فى نفس السورة:

﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾(٩).

والمدينة كما نعلم جميعاً حصن الإسلام التى يأرز إليها..، ولكل هذه الآيات أسباب نزول لم تعد موجودة وبناء على قانون عدم التعميم وهو إلهى اجتماعى أقول لك: إن المسلمين جميعاً ليسوا سواء ولا يستحقون كلهم أن تمطرهم السماء حجارة لا ماء فالخير باق ولو بنسبة قليلة فى أمة محمد ﷺ ولعلك لو أمعنت النظر فى ردى على الرسالة السابقة لاسترحت كثيراً.

● **والرسالة الثالثة**: فى هذا العدد من القارئ الأخ طاهر محمد نصر من شارع

---

(٦) التوبة (٩٧).

(٧) التوبة (٩٩).

(٨) هود (١١٨، ١١٩).

(٩) التوبة (١٠١).

الجيش بكفر الدوار ـ بحيرة يقول فيها: المسجد الذى أصلى فيه يقوم بجمع تبرعات يأخذ منها المفتش مبلغا كل شهر كما يأخذ مبالغ أخرى من المساجد التى يقوم بالتفتيش عليها وأنا أقول لهم: إن هذا حرام فيقول لى الإمام: ليس حراماً لأننا ندرأ عن أنفسنا أذى هذا المفتش، ثم إنهم يقيمون فى المسجد حفلات فى بعض المناسبات الدينية كالمولد النبوى يوزعون فيها الحلوى والجاتوهات فهل هذا جائز شرعاً أفيدونا أفادكم الله..؟

وقبل البدء فى الإجابة عن هذا السؤال أشكر المسلمين الذين يتبرعون بأموالهم للإنفاق منها على المسجد وهذه المبالغ لا يجوز لأحد من العاملين بالمسجد إماماً أو مفتشاً أو عاملاً أن يأخذ منها شيئاً إلا إذا كان محتاجاً إليها وعندئذ يحل له أن يأخذ منها بقدر حاجته، أما موضوع أخذ المفتش فأنا استبعده أولاً فإذا كان ماجاء فى السؤال صحيحاً فهو سحت يأكله فى بطنه أو ماعلم هذا المفتش أن المرء إذا قذف اللقمة الحرام فى جوفه ظل أربعين يوماً لا يتقبل منه صلاة ولا دعاء ولا أى عمل صالح!؟ أو تراه يعرف هذا جيداً ويعلمه للناس فى مواعظه وخطبه ودروسه شأن علماء بنى إسرائيل الذين قال الله – تعالى– لهم:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٠).

والأدهى مما يفعله هذا المفتش ـ إذا كان يفعل ـ تبرير الإمام لهذا الفعل المحرم وهو أنه وأمثاله من الأئمة يدْرأون عن أنفسهم أذى المفتش بهذه الأموال.

وليقل لى هذا الإمام بربه أى أذى يدرؤه؟! أتراه يعنى غيابه عن المسجد وإغماض العين عن غيابه وغياب أمثاله من الأئمة وترك المساجد لمقيمى الشعائر والعمال ورواد المساجد المواظبين عليها من أهل الحى الذين يحسنون صلاة الجماعة.

إذا كان الأمر كذلك فلا غرابة ألا يجد الدعاة صدى لدعوتهم فى نفوس الجماهير ولا غرابة إذا قوبلوا بعدم التوقير من هذه الجماهير فأين هم من سلطان العلماء الذى أفتى ببيع حكام المماليك وتم تنفيذ هذه الفتوى على يديه؟!

***

---

(١٠) البقرة (٤٤).

الخطابة المثالية في مرآة النقد

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد حنطور

يمتد الحديث عن الخطبة ليشمل مايتعلق بها تكويناً وبناءً وخطة، أى أن الخطبة الناجحة تستمد المثالية فيها من وجود هذه المقومات الثلاثة، أعنى: التكوين أو الإعداد الداخلى، وتخير عناصر البناء، وإجادة الخطبة.

والمقصود بالإعداد الداخلى أن يعايش الخطيب محور موضوعه ويجيله فى نفسه حتى يتبلور فى ذهنه رؤية واضحة وإطاراً فنياً محدداً، وهدفاً لا يخطئ الوصول بالسامع إليه، وسبيل ذلك فيما نرى يتمثل فى طريقين هما: الانفعال والتفكير، وذلك أن انفعال الخطيب بموضوعه يمنحه سبلاً متنوعة للإبداع فى معالجته، والتحليق بفكره وخياله بحثاً عما يحقق له النجاح فى مهمته، والتفكير فيه يحقق له ثلاثة أمور ضرورية فى بناء خطبته، وهى: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، وتدرج الأفكار وصولاً إلى الغاية المرجوة من الخطبة، ويتيح له النظر فى طبيعة العبارات والأساليب التى تتواءم مع موضوع خطبته وتبرز ماتقوم عليه فكرته.

وقد عرف دارسو الأدب العربى أهمية ذلك فى إطار ماأسموه بخاصية الإعداد فى الخطبة، على النحو الذى يفهم من قول عثمان بن عفان عندما استغلق عليه الكلام فى خطبته فقال: «إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام وخطيب، وستأتيكم الخطب على وجهها، وتعلمون إن شاء الله». أو من قول عبدالملك بن مروان عندما قيل له: عجل عليك الشيب ياأمير المؤمنين فقال: وكيف لا يعجل علىَّ الشيب وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين»(١).

(١) أدب السياسة فى العصر الأموى. د. أحمد محمد الحوفى. دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٢، ص٣٣٩.

ـ وأما عناصر البناء فهى تلتقى فى نظرنا مع مانذهب إليه فى فن المقال من أنها تتمثل فى أمور ثلاثة هى: المادة الثقافية، والأفكار، والأسلوب(٢).

ـ والمقصود بالمادة الثقافية: الخبرات الذاتية والتجارب المفادة من أحداث الحياة، والمعارف الإنسانية والمعلومات التى تتكون لدى الخطيب من التراث الإنسانى فى شتى نواحى الحياة، وثقافة العصر وتياراته الفكرية المتعددة. حيث يتفاعل الخطيب مع هذه الأشياء ويكون فى عقله وقلبه تياراً متدفقاً من المعرفة النافعة يمتاح منه مادة خطبته وتتداعى إليه منه الأشباه والنظائر والدلائل والشواهد التى تمكنه من إثراء خطبته وتضوئ جوانبها بشذرات ثقافته الجادة المفيدة.

ـ والمراد بالأفكار: الحقائق الفكرية المتعلقة بموضوع الخطبة، أو العناصر المعنوية التى من لبناتها يقيم الخطيب محور خطبته وتتآزر فى تشكيلها الفكرى. وبقدر مايتاح للخطيب من خصب الفكر وعمق النظرة لموضوعه يتحقق لديه الاقتناع به، وتتردد أصداؤه فى نفسه فتذكى لديه الإحساس به والتفاعل معه على نحو يمكنه من إثارة فكر سامعيه وتحريك مشاعرهم.

وفى عنصر الأفكار تتجلى قدرة الخطيب على إحكام موضوعه والنظر فى أجزائه المتدرجة التى تكون هيكله الفكرى وتجعل له تخوماً محددة الأبعاد حتى لا يوسم بالاستطراد الممل أو التقصير المخل. وفى النظر إلى البناء الفكرى للخطبة مايمكننا من التعرف على موقف الخطيب من هذا العنصر ومدى اهتمامه به، وكيفية استشهاده بمأثور القول، والتماس السبل المنطقية للإقناع بفكرته، ومدى ماتتسم به أفكاره من صحة واستقامة وجدة وطرافة. ومن ثم انعكاس ذلك كله على تقويم خطبته.

ـ ويعنى بالأسلوب مظهر القول الذى ينجم عن اختيار وسائل التعبير. هذه الوسائل التى تحددها طبيعة الموضوع ومقاصد المتكلم وطريقة الخطيب فى التعامل مع اللغة، فطبيعة الموضوع إن كان إقناعياً أو حماسياً، جدلياً أو تهذيبياً، نجوى أو محاورة. ومقاصد المتكلم فى تغليب أى من عنصرى الغاية فى خطبته على الآخر وهما: الإقناع والاستمالة، وطريقة الخطيب فى التعامل مع اللغة وكيفية بنائه لعباراته وصوغ سفارته المفصحة عما بداخله بما يقف وراء ذلك من عوامل التكوين الفكرى والنفسى، ورؤيته للفن وقدرته البيانية وثروته اللغوية، كل ذلك يقفنا على ألوان متعددة من الأساليب الخطابية التى تتواءم مع هذه الأشياء.

وهذه الأساليب فى تعددها وتلونها يجب أن تتسم ببعض السمات العامة التى تلتقى مع طبيعة الفن، وهى: الوضوح والقوة والجمال، بما تقتضيه من كلمات لا تلتبس معانيها، وتجمع فى مادتها وصياغتها بين الحسن والجزالة والسلاسة والعذوبة وقوة الإيقاع، بما تتطلبه

---

(٢) ينظر فى بيان ذلك: فن المقال فى الأدب المصرى الحديث. د. أحمد محمد على حنطور. التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفست. القاهرة ص٩٧.

من تخير الألفاظ التى تسهل فى النطق ويقوى أثرها فى النفس وتعهد الجمل التى يتوافق إيقاعها فى السمع. وإثارة الشعور وامتاع العقل، وذلك باستعمال الأساليب الإنشائية والاستعانة بالقياس والبراهين. وقصر الجمل وتكرار العبارات، ففى قصر الجمل مايعين السامع على الإحاطة بأبعاد المعنى، وفى تكرار العبارات مايعمق ذلك المعنى فى نفسه.

ويعنى بالخطة طريقة السير فى معالجة موضوع الخطبة بما تتطلبه من تحديد أجزائها وترتيب هذه الأجزاء وكيفية الانتقال بينها بما يحقق للخطة تسلسل المعانى وتواصل الأفكار وتتابع المقدمات والنتائج حتى يتم للخطيب الغاية المرجوة من إلقاء خطبته، وتتكون الخطة من أربعة أقسام هى: المقدمة، والعرض، والبيان، والخاتمة.

١ ـ فالمقدمة تعد مدخلاً طبيعياً للموضوع وتهيئة لذهن السامع وجذباً له نحو الاستماع لما يلقيه الخطيب، ومن ثم يشترط فيها أن تكون متخيرة اللفظ مشرقة الديباجة ناصعة البيان، وأن تكون موجزة مركزة ، وأن تدل على طبيعة الموضوع وتوحى بالاتجاه الفكرى الذى يسلكه الخطيب فى معالجته، وأن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الخطبة.

وتتنوع المقدمات تبعاً لنوع الخطبة. فالخطبة الدينية تبدأ بالحمد والاستعانة والاستعاذة والاستغفار والتوبة والشهادة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وفى غير ذلك من الخطب قد تكون المقدمة ـ بعد البسملة والتحية ـ كلمة جامعة أو خاطرة معبرة، أو بيتاً سائراً، أو حقيقة مقررة، أو طرفة نادرة، وللخطيب أن يتخير من هذه المقدمات مايشاء شريطة أن تتسم بالتواؤم مع طبيعة الموضوع الذى يعالجه فى خطبته، وذلك مايجب عليه أن يراعيه مرة أخرى عند بيان موضوعه فيتخذ من وسائل التوضيح والتدليل والتفنيد مايحقق له النجاح فى مهمته.

٢ ـ والمقصود بالعرض: ذكر عناصر الموضوع الأساسية التى يعالجها الخطيب فى موضوعه. وتأتى أهميته من ناحية أن الخطابة فن مسموع، والمستمع فى حاجة إلى من يحدد له ضفاف الموضوع منذ البداية فإن ذلك أجدى له فى المتابعة وحسن الإدراك لأبعاده، والخطابة ليست فناً مقروءاً كالمقالة ـ التى لا تحتاج إلى هذا العرض ـ حيث يتمكن القارئ من تروى النظر فى الوقوف على محاور المقالة الفكرية.

وإذا كان ليس ثمة ضرورة لهذا العرض فى الخطابة المحفلية أو السياسية أو القضائية فهى من الأهمية بمكان فى الخطابة الدينية، وذلك لما تقوم به المقدمة فى تلك الخطابة بدور الافتتاحية القائمة على عناصر ثابتة تدخل فى مقومات الخطبة الدينية. ومن الواجب أن يتسم العرض فى ماهيته بالتماسك والحيوية والجذب، وفى عرضه بالتحديد والترتيب والاستيعاب، وأن يكتفى فى بنائه بالإيجاز دون الإطناب حتى لايتكرر القول فيه مع مايأتى فى عنصر البيان، وبالإشارة دون التصريح حتى لا يرمى باتجاهه منذ البداية فى معالجته لموضوعه وهو لا يعرف موقف المتلقى من هذا الاتجاه.

٣ ـ البيان، والمقصود بالبيان: الكشف عن حقائق الموضوع والتدليل على صحة مايدعو إليه الخطيب فى خطبته، وهو بمثابة عمود البناء الفنى للخطبة، وفيه تتجلى قدرات الخطيب على كيفية المعالجة والبراعة فى التناول والنفاذ إلى عقل ووجدان المستمع بمواهبه وأدواته. ونحن نرى أن لهذا البيان عوامل تحقق جودته، ووسائل يستعان بها فى إقامته.

فمن عوامل جودة البيان وحدة الموضوع والتجانس الفكرى بين مفرداته، وترتيب أجزاء الموضوع وفق ماجاء فى عرضه، وترابط الأفكار وتواليها فى تواؤم وانسجام، ووضوح الأدلة والبراهين التى يستعين بها الخطيب فى معالجته، وإثارة الحماس بما تتضمنه من مثيرات القول والفكر والإلقاء.

ومن وسائل البيان التى يستعين بها الخطيب: التوضيح والشرح للجوانب المعنوية فى موضوعه بما يتطلبه من عمق تحليل وقوة تأمل وحسن استبصار. والتدليل على صحة مايدعو إليه بما يقتضيه من معرفة بألوان القياس والاستنتاج والاستنباط، وإلمام بالأدلة المنطقية والشواهد اليقينية، ووقوف على البراهين الخطابية والحقائق الظنية المقبولة التى تسعفه حين يعوزه الموقف عن الوصول إلى الحقائق الثابتة المطلقة. ثم التفنيد لحجج الخصم والمناوئين لدعوته وعدم التسليم لهم بما يستلزمه من قدرة على تتبع هذه الحجج والإتيان بما ينقضها ويهدمها من الحقيقة والواقع، وبراعة فى التماس نقاط الضعف فى مقدمات ونتائج تلك الحجج، والاستدراك على أفكار الخصم بالتساؤلات والاعتراضات التى تعصف بها قيمة وتماسكاً، «وأن يكون الخطيب متنبهاً يقظاً إلى كل مايعتمد عليه خصمه من دليل، وأن يكون فى رده عليه واضحاً، معلناً أن الغرض والوصول إلى الحق لا الغلبة والسبق، وألا يحيد عن الاعتصام بآداب اللياقة وحسن الأخلاق»[(٣)].

٤ ـ والخاتمة هى نهاية المطاف التى ينتهى إليها الخطيب فى معالجة موضوعه، والنتيجة التى يريد أن يصل إليها فى خطبته، ولأهمية الخاتمة ومكانتها فى نفس السامع يجب أن تتوجه إليها عناية الخطيب وأن يكون حريصاً على أن تتحقق فيها السمات الآتية:

ـ التلخيص الأمين لعناصر الموضوع والتركيز الوافى للحقائق الفكرية التى تتضمنها الخطبة.

ـ الالتقاء مع الروح العامة التى عاش فيها المستمع خلال الخطبة وشدته إليها المقدمة.

ـ التأكيد على لب الحقيقة فى بيان الموضوع وعدم التأسيس لأدلة جديدة حتى لا تضيع الخاتمة وتتميع المعالجة.

ـ قوة التعبير والإلقاء حتى تهز مشاعر المستمعين وتجعل صوتها يتردد صداه فى نفوسهم.

ـ أن تكون قصيرة قاطعة أشبه بفصل الخطاب فى الموضوع حتى تثبت فى عقل ووجدان المستمع.

---

(٣) الخطابة: أصولها، تاريخها فى أزهى عصورها عند العرب. الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربى. ط٢ ص١١٦.

وللتمثيل لذلك فإننا نفترض أن خطيباً يريد أن يتحدث عن الأخوة فى الإسلام. فإنه يبدأ حديثه بمقدمة وعرض يقول فيهما:

ـ الحمد لله رب العالمين خلق الخلق وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله الذى كان حريصاً على بذر الود بين أصحابه ليتآلفوا، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(٤).

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الداعى أتباعه إلى الخير بقوله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تنابذوا ولا تناجشوا وكونوا إخواناً»(٥). صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منحهم الله نفوساً كبيرة فآثروا إخوانهم على أنفسهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم أن يلقى الناس ربهم، وبعد:

ـ فالأخوة فى الإسلام معنى جميل يربط بين الناس برباط وثيق.

ـ والأخوة فى الإسلام خلق نبيل دعا إليه الذكر الحكيم وحث على التحلى به الرسول الكريم.

ـ والأخوة فى الإسلام واقع عاشه الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ.

ـ والأخوة فى الإسلام أساس كثير من الصفات النبيلة التى يتحلى بها كل مسلم.

ـ والأخوة فى الإسلام لها دور كبير فى علاج كثير من أدواء الأفراد والجماعات.

ـ ثم يأتى بعد المقدمة والعرض إلى بيان هذه النقاط الخمس بالتوضيح والتدليل، فهما من أكثر الوسائل ملاءمة لطبيعة الموضوع. ويتردد فى التوضيح بين مخاطبة العقل والوجدان، وينتقل فى التدليل بين المنقول والمعقول، وفى الاستشهاد بين الماضى والحاضر، وذكر آثار الحضور والغياب لتلك الصفة.

ـ وفى الختام يأتى إلى ثمرة الموضوع ليؤكد على أن الأخوة فى الإسلام ليست دعوة نظرية يدعو إليها وأمنية خيالية يتطلع نحوها، وإنما الأدلة والشواهد التى ذكرها تنطق بضرورة أن تكون مسلكاً خلقياً تهفو النفس المؤمنة إلى أن تراه روحاً سارية فى الناس تجمع بينهم وتؤلف بين قلوبهم.

ـ والإلقاء هو: فن نطق الكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه، فهو ليس مجرد أداء قولى، وإنما أداء فنى يكشف عن طبيعة الألفاظ وحقائق المعانى التى تحملها هذه الألفاظ، ونحن نرى أن الإلقاء الخطابى ليس نمطاً واحداً، وإنما هو يتنوع تبعاً لعلاقته بالخطيب من ناحية، وتبعاً لطبيعة الموقف من ناحية ثانية. وعلى جودة الإلقاء يحدث التأثير المنشود، حيث يصل إلى السامع من طريق جيد مشوق.

(٤) الحجرات (١٠).

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح ٧/٢١.

خطبة الجمعة

الإسلام ضد الإرهاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - وزن الأمور بتقديره، وأضاء الصدور بنوره:

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(١)

أشهد أن لا إله إلا الله، العدل دينه، والاستقامة طريقه:

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾(٢). **وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، إمام البشرية، فى كل خير، وهاديها إلى كل بر، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:**

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ : الإسلام دين الفطرة :

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وهذه الفطرة التى برأها الخالق - جل جلاله - وزكاها، تهدى صاحبها بتوفيق الله وعنايته إلى سواء السبيل، فتقوده إلى طرق الحق والعدل، والخير والبر، والإيمان والإحسان، وهذه

(*) ألقيت بمسجد الرفاعى فى يوم الجمعة ٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٥م.

(١) الأنعام (١٠٤). (٢) طه (١١١).

(٣) فاطر (١٨). (٤) الروم (٣٠).

الفطرة الصافية الزاكية تعلم صاحبها أن التدين المستقيم ينشأ من النظر فى ملكوت السموات والأرض، والتدبر فى آيات الله وآلائه، وهذا يهدى إلى الشعور بوجود الخالق، وجلال البارىء المبدع، ويتساند القلب مع العقل فى التعرف إلى شواهد الإيمان ودلائل اليقين، فإذا الإنسان عبد من عباد الله المخلصين بلا قسر ولا إكراه ولا إرغام. وإذا جاز لنا أن نتصور الإكراه موجوداً فى ناحية من نواحى الحياة، فإن هذه الناحية ستكون بعيدة عن حقيقة التدين والإيمان، لأن التدين شعور ووجدان، ولأن الإيمان يقين ينبعث عن اقتناع وتصديق، والقرآن الكريم يؤكد هذا بوضوح حيث يقول:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٥)

وحيث يقول:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(٦).

وحيث يقول:

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ ﴾(٧).

وليس فى المسلمين أعلى شأنا أو أرفع مكاناً من رسول الله ﷺ، فهو رحمة الله للعالمين، وهو البشير النذير، وهو السراج المنير، ومع ذلك يحدثنا القرآن بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ طالب نبيه بأن يكون بعيداً عن معانى الإكراه والإرغام والتسلط، لأنه داعية إلى عقيدة، ورائد إلى الطريق، فعمدته البيان والتذكير والإقناع، فقال له:

﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾(٨)

وقال له:

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾(٩).

ورسم له طريق دعوته، ومنهج تبشيره، وأسلوب تبليغه، فلم يجعل عماد ذلك الغلظة أو الفظاظة أو الإرهاب، وكيف وهو الذى قال له:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾(١٠).

بل جعل طريقته متمثلة فى قوله:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١١).

وقد أمر الله عباده بأن يكونوا أمثلة للرقة والملاطفة حين الدعوة، حتى مع المخالفين لهم فى الدين، فقال:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١٢)

---

(٥) البقرة (٢٥٦).

(٦) الكهف (٢٩).

(٧) فصلت (٤٦).

(٨) الغاشية (٢١، ٢٢).

(٩) يونس (٩٩).

(١٠) آل عمران (١٥٩).

(١١) النحل (١٢٥).

(١٢) العنكبوت (٤٦).

وأمر الله - تعالى - نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لمخالفيه فى الاعتقاد، متلطفاً فى الحوار:

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(١٣)

والإسلام فى دعوته الواضحة وطريقته الصريحة دين لا يعرف التخفى فى الظلام، ولا يعرف الالتواء والإبهام، إنه دين يمشى فى وضح النهار، ويضىء طريقه بالعشى والإبكار، وهذا هو القرآن يخاطب الرسول قائلاً:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾(١٤)

فهو يدعو على بصيرة، ويدعو على نور، ويدعو بلا استتار أو ائتمار، ويدعو إلى طريق الاستقامة وحسن المعاملة وكريم المسالمة، فالرسول يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمن الناس بوائقه»(١٥)، أى أمنوا من اعتدائه عليهم فى حواسهم أو نفوسهم. والإسلام يعادى المناجاة الباطلة الشريرة فيقول:

﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾(١٦).

ويحمل القرآن على النجوى الظالمة الآثمة التى يكون فيها شر أو معصية أو عدوان، فيقول:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾(١٧)

ويقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(١٨).

والميل إلى الإكـــراه والإرهاب يؤدى إلى العدوان على الغير فى حسه أو نفسه أو ماله أو أشيائه، والإسلام يقف فى وجه الاعتداء على الغير بكل صرامة وقوة، فهو يحرم تهديد الناس فى حياتهم أو أمنهم أو ممتلكاتهم أو معتقداتهم، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»(١٩). بل أخبر النبى أن حرمة الإنسان المؤمن عند الله أكبر من حرمة الكعبة الحرام التى جعلها الله - تعالى - قياماً للناس وقد كرر القرآن الكريم النهى عن الاعتداء على الغير بمثل قوله عز من قائل:

﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(٢٠)

والميل إلى الإكراه والإرهاب يدعو صاحبه

---

(١٣) سبأ (٢٤).

(١٤) يوسف (١٠٨).

(١٥) البخارى ١/٩، ٢٧/٨.

(١٦) النساء (١١٤).

(١٧) المجادلة (٨).

(١٨) المجادلة (٩، ١٠).

(١٩)) أبو داود رقم ٤٨٨٢.

(٢٠) البقرة (١٩٠).

إلى التحريف والتضليل حتى يتلمس لنفسه حسب زعمه وهواه مستنداً يعلل به عدوانه وبغيه، فينحرف فى التأويل، ويعتسف فى التعليل، وقد يفسر النصوص الدينية على غير وجهها ومرماها، والقرآن الكريم يهدد ويتوعد من يحرف أو يضلل أو ينقل عن الله - تعالى - ما لم يأمر به، أو يقول فى الدين ماليس منه، وهذا هو كتاب الله - عز وجل- يقول فى طائفة لم تسلم وجهها لله، ولم تؤمن الإيمان الحق، وادعت أنها على الحق تسير:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢١).

يا أتباع محمد ﷺ: إن الدين الإلهى نعمة ورحمة، وسلام ومحبة، وإيمان وإحسان، ومعاملة واستقامة ودعوة بالحكمة، وإقناع بالحجة:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٢)

وإن المسلم الحق هين لين، وإلف مألوف، كما يقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، والله - تعالى - يصوّر عباده الأبرار بصورة شفافة جميلة فيقول:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(٢٣)

وهو القائل لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٢٤)

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

***

(٢١) آل عمران (٧٨).

(٢٢) المائدة (١٥، ١٦).

(٢٣) الفرقان (٦٣).

(٢٤) البقرة (٢٠٨، ٢٠٩).

اتقوا الله فى خير أجناد الأرض

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

أخرج البخارى فى صحيحه: حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

منذ ما يقرب من ١٤٠٠ عام هجرى شهدت مكة المكرمة حدثاً جللاً، إذ اقتحم الحجاج بن يوسف الثقفى قائد الجيش الأموى مكة المكرمة بعد ضرب الحصار حولها أمداً أمطرها فيه بالمنجنيق ليقتحمها على عبدالله بن الزبير ثم يقتله ويصلبه، ويمثل بجثته فى أول واقعة من نوعها فى تاريخ الإسلام، أن يقتل المسلم مسلما ويمثل بجثته ويعرضها للناظرين.

واليوم ظهر للحجاج حفيد أخرج أمرءا مسلما من قبره ليعرض جثته على الناظرين.

صورة بشعة شنيعة نشرتها احدى الصحف المصرية -للأسف- للبطل الراحل محمد أنور السادات وهو مسجى، عارى الجسد تماما، وقد امتلأ جسده برصاصات الغدر والخيانة.

والجريدة المذكورة ليست من صحف الصف الأول، ولا الثانى، ولا الثالث، ولا الرابع، بل لعلها لا ترد إطلاقاً ضمن اهتمامات القارىء المصرى، ومعنى أن تصل مثل هذه الصورة إلى هذه الصحيفة أن الحصول عليها سهل ميسور بالنسبة للصحف الكبرى المصرية والعالمية، ولكن أياً منها لم يقم بنشرها، احتراما لحرمة جسد ميت بالدرجة الأولى، ولذكرى بطل فذ قل أن يجود الزمان بمثله.

ولم تكن هذه الجريدة هى الوحيدة التى حاولت النيل من بطل مصر، فقد شاركها آخرون، ولكنها ضربت المثل فى بشاعة الأسلوب.

هل يختلف معنا أحد فى أن السادات إنسان يجب أن يحظى باحترام من أجل كونه إنسانا والإنسان قال عنه الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(١) هذا البطل قاتل من

---

(١) الإسراء (٧٠).

أجل تحرير شعبه من نير الاحتلال الغاشم وكان ضمن ضباط الصف الأول فى ثورة ٢٣ يوليو، وكان ثانى اثنين أعلنت أسماؤهم عشية قيام الثورة، الأول هو اللواء محمد نجيب بوصفه رئيساً لها، والثانى هو السادات نفسه بصفته الوحيد الذى جرؤ على إعلان بيان الثورة فى الإذاعة المصرية قبل أن يتأكد نجاحها ليصبحا معاً كبشى فداء فى حالة الفشل، ناهيك عما تعرَّض له من قبل من اعتقال ومحاكمة وتشريد وعزل من الوظيفة العسكرية لثبوت تهمة الكفاح الوطنى ضد نظام الحكم القائم فى ظل احتلال غاشم.

وقبل ٢٣ يوليو كان له جهاده العسكرى المشرف ضد إسرائيل فى حرب ١٩٤٨ بصحبة أبطال مصر العظام: محمد نجيب، وأحمد عبدالعزيز، والضبع المصرى، وجمال عبدالناصر، وعبدالحكيم عامر.. قاتلوا وصمدوا صمود الأبطال فى معركة الفالوجا الشهيرة التى كانت وبحق أول مشاركة عسكرية عربية ضد إسرائيل، ناهيك عن أنها أول ظهور قوى للجيش المصرى منذ معركة التل الكبير بقيادة البطل أحمد عرابى، بل هى رابع معركة كبرى فى تاريخ العسكرية المصرية كلها، وكانت -برغم الهزيمة- بمثابة البعث من رقدة الموت.

وهنا يحضرنى حديث رسول الله ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا من أهلها جندا كثيفا فإنهم خير أجناد الأرض»[(٢)].

تأملوا معى لقد شاءت إرادة الله أن يتغير شكل نظام الحكم تماما فى مصر عقب اعلان قيام دولة إسرائيل منذ ١٩٤٨ وبعد أقل من أربع سنوات وحتى اليوم تولى حكم مصر ضباط مصريون هم: محمد نجيب، جمال عبدالناصر، محمد أنور السادات، محمد حسنى مبارك ليقف هؤلاء الضباط العظام فى مواجهة العدوان الإسرائيلى ومحاولاته للهيمنة على الأمة العربية والإسلامية ويكون شغلهم الشاغل هو أن يبقى جيش مصر للأمة العربية والإسلامية درعاً واقياً وسيفا مسلطاً فى مواجهة ما يراد بها من دسائس ومؤامرات.

وعند الحديث عن السادات لا يمكن اغفال جمال عبدالناصر فالرجل ناله نفس ما لحق بالسادات بعد وفاته، قالوا فيه الكثير والكثير، واتهموه بكل نقيصة، بل وُجد من جرَّده حتى من رحمة الله، وكأنه تعالى قد أطلعهم على غيبه، وانتشرت أحاديث الزيف بلا سند ولا دليل، اللهم إلا أقاويل مرسلة.

ألم يكن جمال عبدالناصر يستطيع الاكتفاء بكونه رئيسا لأقوى وأغنى دولة عربية وإسلامية فى ذلك الوقت بدلاً من أن يندفع مقاتلاً ضد كل قوى الاحتلال ذات النزعة الصليبية التى لا تخفى على أحد كما حدث فى الجزائر مثلاً عندما وقف مؤيدا لثورتها جاعلا من القاهرة مركزا لحكومتها المؤقتة ماداً لها يد العون بالسلاح والعتاد ضد الاحتلال الفرنسى.

---

(٢) كشف الخفا ٢/٢٩٤.

ألم يكن يستطيع أن يركن إلى الراحة والدعة داخل حدود دولته بدلاً من أن يعلن تأميم قناة السويس ليؤلب عليه قوى الشر التى احتشدت لعدوان ١٩٥٦ وكادت تطيح به هو شخصيا ولكنه احتفظ برباطة جأشه وملك القلوب من حوله بخطبته المدوية فى الجامع الأزهر والتى استهلها بقوله: «الله اكبر.. الله اكبر».

وفى حرب ١٩٦٧ يعلم القاصى والدانى أن عبدالناصر كان قد أعد العدة للحرب ضد إسرائيل لتحرير فلسطين، ولكن حدثت أمور حالت دون ذلك.

وينتقل جمال عبدالناصر إلى جوار ربه، ويخلفه السادات ليعاهد الله بأنه لن يسلم الراية إلا عالية خفاقة، وأعلن ذلك مرات ومرات، وجعل شغله الشاغل هو حرب إسرائيل.

ويقف السادات على الضفة الغربية لقناة السويس متأملاً خط بارليف الحصين.. أقوى خط دفاعى عسكرى فى التاريخ، ويعد العدة ليوم المواجهة حتى يوم السادس من أكتوبر لعام ١٩٧٣م، ويمن الله بالنصر على خير أجناد الأرض.

وتتوالى معارك السادات مع اليهود ولا تنتهى ليقوم بزيارة مفاجئة للكيان الصهيونى فى تل ابيب.. زيارة مدوية عقدت الألسنة وألجمت الأفواه، حتى الصهاينة صعقوا وذهلوا، وعجزوا عن التعامل مع هذه الضربة المذهلة كانوا يدّعون أن العرب لا يريدون السلام والآن السادات جاء إليهم.

وتمر الأيام ويوقع السادات اتفاقية كامب ديفيد ويستعيد كل سيناء بدون حرب ليقلّص المساحة المغتصبة، حتى إن رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت مناحم بيجين كان يصر على وجود الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى كل مراحل التفاوض قائلاً له: «لا تتركنى لهذا الرجل، إنه سيجعلنى أبيع له إسرائيل» جملة ذات مغذى تناقلتها الصحف العالمية ووكالات الأنباء.. ولكن ليت قومى يفقهون.

واليوم تصر إسرائيل على رفض أى وجود لأى مفاوض مصرى مع الجانب الفلسطينى، لأنهم لا يرغبون فى التوصل لاتفاق جديد مثل كامب ديفيد يقلّص مساحة الأرض المغتصبة مرة أخرى ويدمر حلمهم فى دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

فى يوم من الأيام قال السادات لوزير خارجيته (محمد إبراهيم كامل) الذى كان يفضل نجاح حزب العمل الإسرائيلى فى الانتخابات بدلاً من الليكود، قال له: «لا فرق فى إسرائيل بين حمائم وصقور» وها هى الأيام تثبت صحة كلام السادات، فها هو بيريز حمامة حزب العمل وزيرا للخارجية فى حكومة صقر الليكود الجامح (ارئيل شارون) ومن قبله كان (إيهود باراك) رئيس وزراء إسرائيل السابق وهو من حزب العمل أول من استخدم القوة العسكرية المفرطة من دبابات وطائرات ومدافع وصواريخ فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

وعندما قرر السادات أن يختار نائبا له

اختـار جنديا من جند مصـر، خيـر أجناد الأرض، اختـار رجـلا قـال منذ أيام قـلائل فى مواجهة الهجوم الغربى على الإسلام: «معاذ الله أن تقف رسالة السماء موقف الدفاع أو يقف أتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار». اختـار رجـلاً يواصل المسيرة فى قيادة خيـر أجناد الأرض:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٣]

يوم السادس من اكتوبر عام ١٩٨٠ فى نفس يوم انتصاره، يموت البطل برصاصات غادرة ليلقى ربه وهو يستعرض جيشه فى ذكرى يوم انتصاره، يموت وهو يُذكر شعبه بيوم النصر ينزع منه أى احساس بالخوف من عدو قهروه.

أجل يموت البطل وهو يستعرض قوة جيشه يُرهب بها العدو:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٤].

يموت البطل فى ثياب الحـرب وعسى أن يصدق فيه حديث رسول الله ﷺ: «إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها»[٥].

يقول شراح الحديث: «الثياب» كناية عن العمل الذى يموت عليه ويختم له به يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ «يبعث العبد على ما مات عليه»[٥].

رحل السادات له ما له وعليه ما عليه، وأحسب أن يصدق فى مثله حديث رسول الله ﷺ: «المؤمن مكفر»[٦].

قال الخطابه: معناه أنه مُرَزَّأ فى نفسه وأهله، وأنه لايزال ينكب، وتصيبه المكاره، فتكون كفارة لذنوبه[٧].

قد أكون منحازا إلى السادات، ولكن لى عذرى فقد نشأت وأنا أرى شعور الكآبة على الوجوه نشأت وأنا اسمع دوى صفارات الإنذار، وفجأة علت البشاشة الوجوه يوم السادس من أكتوبر. ولن أنسى ما حييت يوم جلس السادات على منصة مجلس الشعب وعن يساره موبوتو سيسى سيكو رئيس جمهورية زائير وعن يمينه العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية وقد امتلأت القاعة بقادة الحرب وأبطالها خير أجناد الأرض: أحمد اسماعيل على- محمد حسنى مبارك- محمد عبدالغنى الجمسى- محمد على فهمى- أحمد بدوى.. وغيرهم كثير جدا.

رحم الله السادات وأسكنه فسيح جناته.

---

(٣) الشعراء (٢٢٧).

(٤) الأنفال (٦٠).

(٥) أبوداود ٣/ ١٩٠.

(٦) الخطابى، غريب الحديث ١/ ٦٩٠.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/٥٨.

غريب الحديث ١/ ٦٩٠.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ/ محمود الفشني

افيقــــوا
الحرب الإعلامية ازدادت خطورتها

كيف تكون المواجهة مع الإعلام الصهيونى المُشَوه للعالم الإسلامى.

وهاهى إسرائيل تطالعنا بقناة فضائية لبث أفكارها المسمومة وعداءها المستمر للعرب والمسلمين فماذا نحن فاعلون؟

المحرر

الإسلام أمر بالحوار بين الأديان وليس التصادم بينها

وهذه الإجابة رد على الصهيونية الغربية والنظام العالمى يقدمها محمد الطحلاوى فى مجلة أكتوبر فى عددها الصادر فى ٧/٧/٢٠٠٢ قال فيه: بداية نؤكد أن من يغمض عينيه دون النور إنما يضير عينيه ولا يضير النور.. فالمتتبع لتاريخ الإنسانية منذ نشأتها الأولى فى العصور السحيقة، حتى وقت غير طويل فى العصر الحديث، يجد أن الظلم والاستغلال والاستعباد كان هو السمة السائدة فى مسيرة الجماعة الإنسانية، باستثناء فترات غير طويلة، نعم فيها العالم بالعدل أثناء فترة تطبيق الإسلام والتمكين له فى عصر نهضته وازدهاره، باستثناء ومضات أشعت على العالم على فترات متباعدة، ومبادرات فردية، لم تستطع أن تشكل التاريخ وتبرز المساواة كمعلم إنسانى، وكمبدأ دستورى واجتماعى.. لذلك يبدو غريباً ومدهشاً لكل منصف، تلك الهجمات الشرسة التى يتعرض لها الإسلام والتى زادت حدتها وخطورتها هذه الأيام، والتى تُصور الإسلام على أنه خطر على الغرب والنظام العالمى، نذكر منها ما أعلنه كلايس السكرتير العام لحلف الأطلنطى، الذى يرى أن الخطر الجديد الداهم هو الأصولية الإسلامية القادمة من العالم العربى والشرق الأوسط، وهو على حد زعمه من أخطر التحديات التى لا ينبغى التقليل من شأنها، وهذا هو النطق المغلوط الذى يردده الغرب عن الإسلام الأصولى، قاصداً تشويه الإسلام، وتزييف الوعى لإعادة تشكيل الضمير العالمى وتعبئته ضد الإسلام والمسلمين.. حول هذه القضية المهمة جدا والمطروحة الآن على الساحة الإسلامية

والعالمية كان لقاؤنا مع الدكتور محمد الشحات الجندى عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة حلوان.

قلت لفضيلته: الإسلام الآن فى مأزق، والاتهامات تكال له من كل اتجاه، والأمر يحتاج أكثر من أى وقت مضى إلى همة العلماء لتوضيح قيم ومحاسن دين الإسلام، وعلى رأس هذه القيم علاقة الإسلام بمخالفيه.. ترى ما رأى فضيلتكم فى هذه المسألة على وجه الخصوص؟

قال: الإسلام يقيم علاقاته مع غير المسلمين على أساس من الحق والعدل والقضية ويضع لأتباعه منهجا فى هذا الصدد هو التعارف، والتفاهم، والتعاون على ما فيه خير ومصلحة الإنسانية جميعا، ميثاق عالمى يتمثل فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

وبهذا الميثاق صارت الأخوة الإنسانية هى الرباط الجامع بين نوعى الإنسان الرجل والمرأة – فى نطاق التقسيم السياسى والجغرافى للأمم والشعوب، وبغض النظر عن نوع الاختلاف ومداه، فإن ذلك لا يؤثر على الحقيقة القرآنية المجسدة لحقائق الاجتماعى الإنسانى، ومادام الأمر كذلك، فإن التعايش والتفاهم والتقارب يجب أن يكون غاية الجميع لما فيه الخير والمصلحة، فى إطار التعددية الإنسانية، والخصوصية الثقافية، والهوية الخاصة لكل جماعة إنسانية.. وسندنا على تلك الحقيقة، هى مبادىء الإسلام نفسه، التى هى حاكمة لأى اجتهاد وملزمة له، نسوق منها قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٢)

وفى تعامله مع هذا الواقع الذى تجسده أحداث الزمان والمكان منذ بدء الخليقة حتى يوم الدين، إذ ينبه على أسلوب الحوار مع المخالفين له فى آيات عديدة منها قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٣).

فى الآية الكريمة دعوة إلى الحوار بين الأديان، وليس التصادم بينها، وفيها الحفاظ على الهوية الإسلامية والتسليم بحق الغير فى الخلاف.

● هذا هو الإسلام المفترى عليه.. يتعامل مع مخالفيه تعاملا حضاريا غير مسبوق.. ويعرف الرحمة واللين، واحترام كرامة الفرد وحقوقه.. دين ملئ بالإنسانية حتى فى أوقات الحرب، فالمسلمون ممنوعون من الغدر بغير المسلمين، ومنهيون عن الغلول أى الخيانة، ومنهيون عن التمثيل بجثث الأعداء

---

(١) الحجرات (١٣).

(٢) هود (١١٨).

(٣) آل عمران (٦٤).

وقتل المدنيين والمرضى والصبيان والنساء والعميان والمقعدين والشيوخ الكبار ورجال الدين، إذا لم يشاركوا فى الحرب برأى أو تحريض، وجيش المسلمين منهى عن قطع الأشجار والتحريق، واجتياح الأخضر واليابس وقتل الحيوان، واستخدام الأسلحة الكيماوية كالغازات السامة والقنابل الحارقة، ناهيك عن أسلحة الدمار الشامل والقنبلة النووية وغيرها من الأسلحة التى تستخدم فى إبادة الجنس البشرى، وذلك قياساً على ما ورد من نصوص تنهى عن التدمير والتخريب ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾(٤).

خطوطنا الدفاعية

وها هو الدكتور محمد داود يحذر وينبه فى جريدة اللواء الإسلامى قائلا فى عددها الصادر فى ٤/٧/٢٠٠٢.

● فى عصر الأقمار الصناعية والبث الفضائى ومحاولة الغرب فرض ثقافته وسلوكياته على العالم الإسلامى إنى أرى أن هناك خطراً على المسلمين.

– الغرب يعلن الحرب على الإسلام– والغزو الثقافى لديار المسلمين مستمر ومع انتشار الوسائل الحديثة والنفسية فى علوم الاتصال فالغزو يزداد قوة ولابد من المواجهة، مواجهة هذا الغزو بكل قوة فكرياً وعقدياً وتربوياً.

● إن خطوطنا الدفاعية مهددة من الداخل من قبل العلمانيين والشيوعيين والمستغربين الذين يريدون ثقافة وفكر الغير أن يتحكم فينا.

● إننى أشعر وأحس أن خطوطنا الدفاعية مهددة من خلفها– وأن المؤامرات تحاك على الإسلام من كل جانب وأمة الإسلام غافلة وأن هذه المؤامرات أخذت أبعاداً جديدة.. لقد وهنت قوى المسلمين بسبب الضربات الشديدة التى وجهت إلى العالم الإسلامى– ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية.

ومع ذلك سيبقى الخير فى هذه الأمة بإذن الله.

● والبعض يرى أن هذا العقد من هذا القرن شهد انحساراً للصحوة الإسلامية وهناك من قال إن الصحوة الإسلامية فى حالة جزر..!!

● هذا كلام غير صحيح فإذا كان هناك من يتخيل أن الصحوة الإسلامية فى حالة جزر، فهم واهمون فإن الأمل فى المسلمين ماداموا متمسكين بعقيدتهم.

● وقرن الحضارة الإسلامية قادم بعد نهاية الشيوعية وبداية تفكك المادية والرأسمالية ونقولها مرة أخرى قرن الإيمان قادم.

يقول تعالى:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٥).

(٤) البقرة (٢٠٥).

(٥) الفرقان (١).

التطرف ومزايدات الإعلام

وهذا الموضوع يقدم سلبياته الدكتور منصور حسن عبدالرحمن فى مجلة « روزاليوسف » فى عددها الصادر فى ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٠ قائلاً : اخترق التطرف كل بيت مصرى من أقصى يساره إلى أقصى يمينه عن طريق وسائل الإعلام فى حقبة هيمنة الفضائيات الموجهة إلينا تبث علينا الثقافات والعادات المتطرفة التى أتى بها المصريون معهم بعد عودتهم من هجرة جماعية بحثا عن عمل خلال ربع القرن الأخير.

وحاول الإعلام المصرى مواجهة التطرف بأسلوب المزايدة غير المدروسة، مما ضاعف من خطورة ما أصاب العقل المصرى وثقافة المجتمع ونسيجه، ولقد وجد التطرف بيئة خصبة وآذانا صاغية وعقولا منقادة مسلوبة الإرادة والأكثر خطورة بين أوساط المثقفين والمهنيين ونقاباتهم والأكاديميين وتجمعاتهم، وكذلك بين الطلاب واتحاداتهم للأسباب التالية :

١- أوضاع المؤسسة التعليمية المتدنية وحيث أصبح دور المدرسة والجامعة هامشيا فى العملية التعليمية والغياب الجماعى الذى أصبح أشبه بالعصيان المدنى وتحول التعليم فى المدارس والجامعات إلى دكاكين الدروس الخصوصية وانعدام الأنشطة المدرسية والجامعية وانصراف الأساتذة إلى أعمالهم الخاصة فى مكاتبهم وعياداتهم وتجارتهم أو بيع الكتب والمذكرات الركيكة كرها وإذعانا لطالباتهم وطلابهم وأصبح تواجد الأستاذ لا يذكر فى عمله الفعلى والمسئولية والمساءلة منعدمة ولا محل لها من الإعراب، مما جعل الباب مفتوحا لاختراق التطرف للمؤسسة التعليمية.

٢- القصور الشديد فى الأندية والملاعب والساحات الرياضية ووسائل الترفيه وخاصة فى المناطق المكتظة بالسكان، وكذلك فى المكتبات العامة والتى تزود الشباب بالثقافة والفكر المستنير.

٣- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتباينة وتفشى البطالة والتفاوت البين فى الدخول وربما بين العاملين فى داخل المؤسسة الواحدة ومستويات الأجور والتى لا تتماشى على الإطلاق مع احتياجات ومتطلبات الحياة اليومية.

٤- تناقض الإعلام وتخبطه وعدم وجود رؤية واضحة استراتيجية على أصول علمية.

٥- ضعف الممارسة الديمقراطية فى مصر وسلبية المواطن وعزوفه عن المشاركة فى القضايا العامة ووجود أحزاب هامشية إسمية وقصور أنشطة وفاعليات مؤسسات المجتمع المدنى.

٦- الشعور بالإحباط والعجز العربى فى مواجهة إسرائيل وردعها ضد ممارساتها العدوانية الإجرامية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل وحقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة، وكذلك لتهديدها لجيرانها والانحياز الأمريكى المطلق لإسرائيل.

إذا سارت الأمور فيما عليه فهذا هو طريق طبيعى إلى نمو الأفكار الفاشية FASCISM الهدامة فى ثالوث الإيمان والطاعة ثم الهجوم (TO BELIEVE, TO OBEY, TO COMBAT) والتى هى الأشد دمارا وخطرا على لاستقطاب الشباب.

شجب

* واخيراً يجب فك الأيادى المغلولة التى لا تملك سوى الشجب والمناشده وهذا على لسان السيد الغضبان فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى ١/٧/٢٠٠٢: عاش العرب زمناً يواجهون العدوان على أراضيهم وانتهاك كرامتهم واغتصاب حقوقهم بإصدار بيانات «الشجب» بعبارات نارية وتهديد بالثأر الذى لا يحدث أبداً!! وبدأت مرحلة ما بعد «كامب ديفيد» وعقد معاهدة الصلح المصرية – الإسرائيلية ليتخلى العرب نسبيا عن بيانات «الشجب» لتحل محلها بيانات «المناشدة» و«والتوسل» إلى أمريكا لتحميهم من العدوان الصهيونى ولتضغط على إسرائيل لتخفف من عدوانها مراعاة «لخاطر» أمريكا!!

فى المرحلتين كانت إسرآئيل تمضى فى تنفيذ مخططاتها دون أن تلتفت إلى «الشجب» والتهديد الأجوف بالثار!! أو المناشدات والتوسلات الموجهة لأمريكا لم تتوقف إسرائيل فى الحالتين عن التحرك بثبات لتحقيق أهدافها معتمدة على تقدير سليم لقدراتها الذاتية وقدرات العرب، مدركة أن العرب تشغلهم فى المحل الأول صراعاتهم التى تستنفد قدراتهم على القيام بأى فعل مؤثر، وينشغل حكامهم بقهر شعوبهم لضمان استمرارهم الأبدى على كراسى الحكم!! إسرائيل تعرف هذه الحقائق فلا تلقى بالاً «للشجب» أو «المناشدات»!!

وهذا هو الفرق بين موقفين، موقف العرب الذى يتسم بالسلبية المطلقة وموقف إسرائيل التى حدد قادتها منذ عشرات السنين أهدافهم وسعوا لتحقيقها بكل الوسائل المتاحة ولم يصبهم اليأس وأحلامهم تتعثر ومشروع دولتهم يواجه العقبات، فعرفوا مواطن الضعف فى حركتهم وأسباب الفشل فعالجوا القصور فى كل مرحلة وعملوا بكل دأب دون كلل أو يأس حتى حققوا أحلامهم ومازالوا يواصلون طريقهم بنفس الإيجابية.

أما العرب فمازالوا على حالهم من السلبية والتشتت، ولا يملكون سوى تقديم «التنازلات» حتى رضوا بالعيش الذليل وبالهوان الذى يسلبهم كل نخوة أو كرامة وكل أمنياتهم أن يقبلهم السيد الأمريكى عبيداً فى بلاطه وأن يهبهم بعض «العطف» الذى يبذله لحيواناته المدللة!!

رغم ذلك فإننى اتطلع إلى ميلاد عربى جديد يخرج من رحم العمليات الاستشهادية، وإلى جيل يتعلم الدرس ويعيه ويفخر بانتسابه إلى أبطال العمليات الاستشهادية هذا الجيل يعرف أن الحقوق لا تسترد «بالشجب» أو «بالمناشدة» أو «بالاستجداء» بل تسترد بالتضحيات الجسام وبالإصرار على استخدام كل وسائل القوة المتاحة ضد أمريكا وإسرائيل ثانيا. هذا هو الطريق.. طريق الشعوب الحرة.

***

الجــــــار
حقوق وواجبات

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

خلق الله البشر ورسم لهم طريق السعادة والهناء وجعل حسن الصلة بالجار معلما هاما من معالم المحبة والألفة. وكان رسول الله ﷺ هو القدوة فى توثيق عرى المودة بينه وبين جيرانه، وتأسست معاملاته على حسن الخلق ودماثته، فأكرم به من جارا ﷺ.

ونظرة شاملة على بعض ما ورد من نصوص فى القرآن والسنة تجلى لنا الأمر وتبين أن الإسلام الحنيف أرسى من قواعد التحضر والتمدن فى معاملة الجيران ما يعد بحق مأثره لا تدانى وفخرا لا يُبارى.

ونبدأ بآية كريمة أُطلق عليها العلماء «آية أصحاب الحقوق العشرة» يقول الله سبحانه:

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(١).

وهى آية ـ كما نرى ـ جامعة لأصحاب الحقوق، ومن نافلة القول الخوض فى تفسيرها وبيان المراد منها فهو أمر واضح لا لبس فيه ولكن كان إن للمرء من تعليق فليكن على ختام الآية التى وصفت المعرضين عن تنفيذ ما نصت عليه بالخيلاء والفخر الذى يخيل إليك أنه فى غير موضعه وأخرجت أولئك العصاة من دائرة محبة الله. كما نرى فيها دعوة من طرف خفى إلى التواضع والتواصى بالبر والخير واجتناب كل ما يشى بصفة من صفات الكبر وفى الكبر ما فيه من المفاسد والمضار ـ سلمكم الله ووقاكم ـ أما التواضع فهو الباب المفتوح على مصاريعه إلى التعاون والتآلف والوحدة ولم الشمل وبهذه الفضائل يتحقق الأمن والأمان والرخاء وترفرف السعادة بأجنحتها فى سماء الدنيا وتبسط العدالة سلطانها فى معزوفة رائعة من كريم السجايا وحميد الخصال.

ولا يتحقق كل ذلك إلا بأداء الحقوق والواجبات، ترى إذن ما أنواع الجيران الذين انتدبنا الشرع الحكيم إلى الإحسان إليهم؟

أولا: الجار ذو القربى: وهو الذى قرب جواره أو منزله مع الجوار قرب أو اتصال بنسب أو الذى قرب مكانا أو دينا أو نسبا.

ثانيا: الجار الجنب: وهو الذى بعد جواره أو الجار الذى لا قرابة له أو الجار البعيد مكانا أو دينا أو نسبا إضافة إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق فى الطريق وقد فصل الحديث الشريف القول فى تصنيف الجار فقد روى البخارى بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق. فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».. بل إن حق الجار كاد أن يصل إلى مظنة التوريث فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» فى الصحيحين وغيرهما.

(١) النساء (٣٦).

فما أعظمه من دين ذلك الذى يرفع من شأن الجيرة ويعلى من قيمة العلاقات الاجتماعية والحقوق المدنية.

فإذا انتقلنا إلى مظاهر نتمثل فيها بجلاء حقوق الجار رأينا عجبا وأثلج صدورنا حديث نبوى يعد دستورا لكل زمان، إذ يكاد لا يترك شاردة ولا واردة إلا عدها ونظمها فى عقد بديع الألوان متناسق متناغم يوشك أن يجعل من الدنيا جنة يعيش الإنسان فى وارف ظلالها فاقرأ بعين بصيرتك قبل بصرك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ـ أى غشمه وظلمه ـ أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت إليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستظل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها وإن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده» تلك عشرة حقوق للجار فتعالوا نستعرضها فى إيجاز غير مخل ونلقى عليها بعض الضوء:

١- معاونة الجار المنبعثة من المبدأ القرآنى:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٢).

والمستمد من المبادىء النبوية التى بينت أن الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه تلك المبادىء التى تنادى بتبادل المنافع فى إطار يتوخى الحلال المباح ويتحاشى الحرام بكل صوره وقد لخص الرسول ﷺ قيمة الإنسان فى جملة تقول: «خير الناس أنفعهم للناس».

٢- إقراض الجار إن طلب القرض وكانت ظروفك تمكنك من ذلك فمد يد العون واجب تحتمه النخوة والمروءة قبل أن يأمر به الدين وتحض عليه الشرائع والقرض هنا أخى المسلم ـ وفقك الله ـ مقدم على الصدقة فقد أخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ضعفا فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة فقال: لأن السائل يسأل وعنده وأما المستقرض فلا يستقرض إلا من حاجة» والقرض الحسن هو الذى يراعى فيه المقرض

(٢) المائدة (٢).

مشاعر المقترض ولا يؤذى أحاسيسه بمن ولا أذى مبتعدا عن الربى واستغلال الظروف واستثمار حاجة المقترض.

٣- مواساته بالمال فى حال العسر فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وتفريج كرب المؤمن طريق المغفرة فى الدنيا والآخرة.

٤- زيارة الجار فى أثناء مرضه للتخفيف من معاناته ومشاركته فى آلامه وأن تدعو له بالشفاء قائلا: لا بأس عليك طهور إن شاء الله وأنت حين تؤدى ما عليك من واجب تجاه جارك المريض أهل للبشرى التى جاءت على لسان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ حينما قال: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له طريق فى الجنة» أى ثمر يجنيه متلذذا بأطايبه متمتعا بحلو مذاقه.

٥- التهنئة فى المسرات من نجاح وتخرج ولد أو حصوله على وظيفة أو شهادة عالية أو زفاف أو ولادة أو ختان وغير ذلك من المناسبات السعيدة التى ندعو الله أن يكثر منها وإن بنى بيتا أو اشترى عقارا هنأته قائلا: هنيئا لك ما أنعم الله عليك وذكرته بحقوق الله فى الوكيرة وذلك فى أسلوب ينم عن الفرح والسرور بما أفاء الله عليه من نعمة ولم لا والرسول ﷺ يذكرنا صباح مساء قائلا: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٦- ولأن الحياة لابد وسر صفوها فقد كان الأمر بالتعزية أمرا لازما والإيجاز بالصبر من عزم الأمور كل ذلك فى إطار من الموعظة الحسنة التى لا يشتم منه بحال رائحة الشماتة فالأيام دول. والأجر فى التعزية مضمون فعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من عزى مصابا فله مثل أجره».

٧- واتباع جنازته أمر واجب وهو أن تشيعه حتى يدفن وثوابك عند الله جزيل يقول ﷺ: «من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد» فى الصحيحين وغيرهما وعندما يعلم الصحابى بذلك يعلق قائلا: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة.

٨- عدم الاستطالة عليه بالبنيان خشية أن نمنع عنه نسائم الصيف مثلا إلا بإذنه وهو احترام متبادل فيه الحفاظ على المصالح المشتركة فإنه لا يتعمد إيذاء جاره، إذ القانون السماوى يقول: «لا ضرر ولا ضرار» وفى هذا المجال ابتكرت المدنية الحديثة من الاختراعات ما يمتع أصحابها متاعا شكليا بالهواء الرطب صيفا

والدافىء شتاء غير عابئين بما يرسل كل منهم إلى جاره من سموم الصيف وزمهرير الشتاء عن طريق أجهزة التكييف فأين المحدثون من كياسة الإسلام وحرصه الشديد على عدم إيذاء الآخرين.

٩- عدم إيذاء مشاعر الجار بما يصدر من مطبخك من روائح الأطعمة التى يسيل لها اللعاب إلا أن تغرف له من ذلك الطعام حتى تجتث ما قد يدور بنفسه من مشاعر الحقد وتستأصل الحسد. ولعمرى أن المحدثين ليفعلون عكس ذلك تماما حين يقوم كل منهم بتركيب ما يعرف بالشفاط فى المطابخ وهو جهاز يقوم بطرد الروائح من البيت ونشرها إلى الخارج وقد تكون روائح أغذية شهية تنتشر إلى الشقق المجاورة. ولا يراعى أصحاب تلك الأجهزة حالة الجار الذى قد لا يذوق الطعام المطهى إلا لماما. أين هؤلاء من دعوة الرسول الكريم إلى السخاء والجود وعدم البخل.. وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة» رواه الطبرانى. وعن أنس عنه ﷺ قال: «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم».

وأوصى ﷺ أبا ذر الغفارى بقوله: «إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك» فى رياض الصالحين فى باب الجار.

١٠- الإهداء له من الفاكهة التى اشتريت فإن أبيت فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده مراعاة للأحاسيس والمشاعر، سمو خلقى ليتنا نفهمه ونطبقه فما بالنا اليوم بأناس كثرت الأموال فى أيديهم من حلال وحرام يؤذون بها عباد الله فى إسراف مقيت وسنة مرذولة نحن فى غنى عنها وكان الأولى بتلك الأموال أن تشبع بها من اكتوت أكبادهم بسياط الجوع وأن تكسى بها أجسام كادت ملازمتها لمن ارتدوها طويلا أن تنفضها ثائرة معترضة على طول مكثها لديهم وبقائها عندهم وانتهاء عمرها الافتراضى أو تعالج بها أمراض وعلل أخذت من المبتلين بها كل مأخذ إذ لم يجدوا ثمن العلاج الشافى الذى يؤذن بانتهاء المعاناة.

وبعد يا أخى المسلم ترى ما مدى التزامك بتلك الوصايا الخالدة؟

إن هناك بعض السلوكيات التى تتنافى مع تلك التعاليم. ماذا نقول مثلا لجار يقيم العرس فى منزله وفى الشقة المقابلة له ميت فى انتظار الدفن؟ ماذا نقول لجار أطلق لتلفازه العنان وملأ الدنيا صراخا عديدة وهو يشاهد مباريات كأس العالم غير مهتم ولا مبال بإخوة له وأخوات يؤدون

امتحانات تتحدد على أساسها مصائرهم وينبنى عليها مستقبلهم؟ وماذا نقول لمن أقض مضاجع الناس وزاد فى معاناة المرضى بمكبرات الصوت يطلقها فتشق صمت الليل الهادىء وتحيله إلى سوق لا يسمع فيه البائع صوت المشترى ماذا يمكن أن نقول لمن استغل وقت القيلولة فشغل أدوات النجارة والخراطة وآلات الهدم والبناء وأطلق العنان لأبواق الصخب فى مظاهر القصد منها إقلاق راحة من هم فى مسيس الحاجة إلى قسط منها يعينهم على مواصلة الكدح وماذا نقول لمهاويس كرة القدم المشغولين بتوافه الأمور المجاهدين بالألفاظ النابية والأفعال السوقية هداهم الله.

أختاما فإن نظرة على تراثنا التليد وسلوكيات سلفنا الصالح ترينا مدى التزامهم بمعالى الأمور وابتعادهم عن سفسافها فهل تعلم ـ سدد الله على طريق الهدى والخير خطاك ـ أن المفسر الأشهر الزمخشرى صاحب كتاب الكشاف كانت كنيته جار الله استئناسا واستبشارا بجواره عز وجل وأن امرأة فرعون هى أول من أرست مبدأ «الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار» حينما دعت ربها فيما سجله القرآن فى الآية ١١ من سورة التحريم ففى قولها «عندك» تحديد لجوار الله وذلك قبل طلبها ﴿ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ فماذا تفيد الجنة إن لم تكن فى جوار الله عز وجل وقصة الإمام الأعظم أبى حنيفة مع جاره الإسكافى الذى كان يسهر حتى الصباح يغنى ويعربد قائلا:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وشديد بأس

وظل على مجونه حتى جاء يوم لم يسمعه الإمام ليلا فخشى أن يكون قد أصابه مكروه رغم ما كان يسببه للإمام من إزعاج أثناء قيام الليل فلما علم الإمام أن الشرطة قد اعتقلته وأودع السجن توسط له عند السلطان حتى تم الإفراج عنه فلما لقيه الإمام سأله ملاطفا هل أضعناك يا فتى فشكر له الإسكافى مقابلة السيئة بالحسنة وعاهده على أن لا يعود إلى مجونه ابدا وتاب وحسنت توبته فالخلق الخلق يا عباد الله مع جيرانكم.

***

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

البشاشة سلوك ودين

مازال يتردد فى سمعى صدى تلك الكلمات منذ استمعت إليها من صديقى العائد من اليابان وهو يصف مشاعر الناس هناك.. كم كان جميلاً ذلك الوصف من رجل أعمال تفيض مشاعره بالإنسانية...

وكان سؤالى عن انطباعاته وأهم ما لفت نظره وشد انتباهه.

فجاءت الإجابة التى مازال يتردد صداها فى سمعى، قال: الناس يعيشون فى مظاهرة حب!!

فمازحته قائلاً: وماذا كانت تحمل لافتاتهم من كلمات؟!

قال: لافتاتهم، هى تلك الوجوه، وما كتب عليها، هى تلك الابتسامات التى لا تفارقها.

واستطرد صديقى قائلا: لقد ظننت فى بداية الأمر أن هذه الابتسامات لمرافقى من أهل البلدة وأنه يعرف هؤلاء الناس الذين يبتسمون له بقدرٍ كبيرٍ من المودة..

غير أنى لاحظت أن النطاق الذى تحركنا فيه يزداد اتساعاً، ولاتزال الابتسامات تصاحب وجوه الناس فعلمت أن الناس يعيشون مظاهرة حب كبيرة تضمهم جميعاً.

أسعدتنى تلك الكلمات، وأسعدتنى أيضا نظراته التى تتشوف لمثل هذه المودة والبهجة أن تملأ شوارع قاهرة المعز.

منذ ذلك الوقت وأنا لا أطيق مدافعة تلك الرغبة فى تفحص وجوه أهل بلدى من حولى، فما وجدت غير وجه غارقٍ فى التفكير.

أو مهموم لم تترك له هموم الحياة فرصة ليتبادل النظر مع الآخرين أو وجوه حيادية الملامح كأن أصحابها يخشون إذا ما تبسموا لمن لا يعرفون أن يرميهم الناس بالسذاجة طاف بخاطرى تساؤل: هل لمظاهرة الحب تلك أثر

فى تقدم مسيرة هذه الشعوب؟ ووجدتنى أجيب: هى بلا شك كذلك، فشعب هذا حاله لابد أن يتفرغ للإبداع والإنتاج ودفع مسيرة التقدم للأمام.

ولم لا تكون مظاهرة الحب تلك نتيجة التقدم والحضارة لدى هذه الشعوب؟

ثمَّ، لم لا نجعلها مطلباً نسعى إلى تحقيقه وبين أيدينا وملىء مسامعنا حديث نبينا الكريم محمد - ﷺ - الذى يقول:

«ولا تزهدن فى المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك»(١).

وقوله - ﷺ - :

«تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة...»(٢)

أى أن إظهار البشاشة والبشر لأخيك إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة.

وقال بعض العارفين: «التبسم والبشر من آثار أنوار القلب.

وقال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين، وجه طليق وكلام لين.

وهذا عبد الله بن المبارك يقول عن حسن الخلق أنه: بسط الوجه، وبذل المعروف وكف الأذى.

وسئل سلام بن معيط عن صاحب الخلق الحسن

فأنشد شعراً فقال:

تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذى أنت سائلُه
ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائلُه
هو البحر من أىِّ النواحى أتيته
فلُجَّتُهُ المعروف والجود ساحلُه

وقال اسحاق بن راهوية: حسن الخلق هو بسط الوجه وأن لا تغضب.

هذا بعض ما قاله وفعله السلف الصالح اقتداءً برسول الله الكريم

وبعد...

فكم نتمنى أن نعود نتحصَّن بديننا فى كل ذهابنا وإيابنا وفى كل مناحى حياتنا لنحقق الأنموذج الإسلامى المتفرد الذى يتمنى أن يحتذيه كل إنسان متحضر يحب الخير والحق!!

لا أن نكتفى برؤية صورتنا فى مرآة الشعوب المتحضرة.

- ترى كم بقى من الوقت حتى نحقق تلك الصورة المفقودة، صورة المسلم الذى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ حتى تشهد ديار المسلمين مثل هذ المظاهرة من الحب والرحمة والود التى نتشوف إليها والتى عاشها السلف الصالح اللهم مددك.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٩٧١٦.

(٢) الترمذى، وابن حبان، عن أبى ذر.

كيف نقى أنفسنا من القلق

ورد من القارىء **محمد عباس محمد عرابى** هذه الكلمة عن كيفية دفع القلق، ولعل فى دفعه عن النفس ما يعين الإنسان على مواجهة الحياة، فيلقى أخاه هاشا باشا.

وفى رسالة الأستاذ محمد عباس:

يقول «ديل كارنيجى» صاحب الكتاب الشهير «دع القلق وابدأ الحياة»: لقيت «هنرى فورد» قبل وفاته، فتوقعت أن أرى عليه سيماء رجل منهك القوى من فرط الجهد الذى بذله فى إنشاء مؤسسة تجارية من أضخم المؤسسات فى العالم، غير أنى فوجئت حين وجدته على درجة كبيرة من الرزانة والهدوء، وكأنه آية فى الاتزان والطمأنينة. برغم بلوغه الثامنة والسبعين من عمره. فلما سألته: هل عانى من القلق شيئا؟ أجاب: كلا، فإنى أعتقد أن الله - سبحانه - قدير على تصريف الأمور، وأنه - تعالى - فى غير حاجة إلى نصيحة منى، ولهذا فأنا أترك له تصريف أمورى بحكمته (جل شأنه)! فعلام إذن يتولانى القلق؟؟

هل كان «فورد» زميلا لابن عطاء الله السكندرى فى هذا المنطق الممتلىء بالتسليم والثقة فيما تجىء به الأقدار؟

إن كان المستر «فورد» لم يعرف ابن عطاء الله ولم يأخذ عنه، فإليك خلاصة لكلام هذا العالم المسلم تلمح فيه قوة الشبه بين المنطقين، على تباعد الديار والأعصار!!!

قال ابن عطاء الله يحض على التسليم لله، ويحصى آداب التجرد:

الأول:- علمك بسابق تدبير الله فيك، وذلك أن تعلم أن الله كان لك، قبل أن تكون لنفسك!!! فكما كان لك مدبِّراً قبل أن تكون ولا شىء من تدبيرك معه، كذلك هو سبحانه مدبر لك بعد وجودك! فكن له كما كنت له، يكن لك كما كان لك.

الثانى:- أن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها.

الثالث:- علمك بأن القدر لا يجرى على حسب تدبيرك، بل أكثر ما يكون هو مالا تدبِّر، وأقل ما يكون ما أنت له مدبر...!!!

الرابع:- علمك بأن الله (تعالى) هو المتولى لتدبير مملكته، علوها وسفلها، وغيبها وشهادتها، وكما سلمت له تدبيره فى عرشه وكرسيه، وسماواته وأرضه، فسلم له تدبيره فى وجودك بين هذه العوالم..!!

وسيثبُ إلى الذهن حتماً بعد الاستماع إلى هذه النصائح أن الإنسان لكى يتم يقينه يجب أن يتجرّد من حَوْله وطَوله وأن ينخلع من قواه، وأن يهمل الأسباب، وأن ينتظر من تدبير الله بعدئذ أن يقضى له ما يشتهى!! وهذا خطأ محض، وما إليه قصد ابن عطاء الله، ولابه عمل «مستر فورد».

فإن شعور الإنسان بحوْله ضرورة. ونهوضه للأسباب المعتادة حقٌّ!

ولذلك يستدرك ابن عطاء الله بعد كلامه السابق فيقول «إن التَسَبُّب لا ينافى التوكُّل».

أخطـــــاء شـــائعة

● **يواصل القارىء / إبراهيم نصحى محمد - المدرس بالأزهر الشريف حديثه عن الأخطاء الشائعة يقول :**

– من الخطأ أن تقول : « للأسف مات الضمير وانعدمت القيم »

والصواب أن تقول : (ياللأسف) لأن من المواضع التى لا يصح فيها حذف الحرف (يا) المنادى المتعجب منه .

– ومن الخطأ أن تقول : قصارى الحديث أو القول .

والصواب : خلاصة الحديث أو القول . لأن قصارى تعنى : الغاية

– ومن الخطأ : قد لا أحضر الامتحان .

والصواب : قد أغيب أو قد أتغيب . لأن (قد) حرف يختص بالفعل المثبت المتصرف الخبرى، المجرد من الناصب والجازم والسين وسوف كما لا يفصل بين (قد) والفعل إلا بالقسم مثل : قد والله أتمكن من أداء الامتحان .

– من الخطأ : حضر فلان افتتاح (المَعْرَض)

والصواب : مَعْرِض بكسر الراء . لأن إسمى المكان والزمان من الثلاثى على (مَفعل) إذا كان الفعل صحيح الآخر مكسور العين .

ومن الخطأ : وقع فلان فى مَأْزَق بفتح (الزاى)

والصواب : مأزِق : وهو الموضع الضيق ويجمع على (مآزِق) .

من صـــفات المؤمنيـــن

● **ويرسل القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس هذه الكلمة التى يوضح فيها الملامح والصفات التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم - يقول :**

لكى أعيش للإسلام لأبُدَّ أن تتسم حياتى بسمات تُميزها عن حياة سائر الناس ومن هذه السمات الآتى ذكره :

أولاً : التزام عملى بالإسلام :– فالإيمان ليس بالتمنى ولكن هو ما وَقَرَ فى القلب وصدَّقه عمل الإنسان كما قال تعالى فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » سورة البينة الآية رقم (٧)

ثانيًا : تقصى مصلحة الإسلام لقوله ﷺ « ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار » رواه الحاكم .

ثالثًا : الاعتزاز بالحق والثقة بالله – جل جلاله – وهى صفات المؤمنين كما قال تعالى فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سورة المنافقون الآية رقم (٨)

ورُوى أن المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة فِراراً بدينهم دخلوا على النجاشى فابتدرهم من عنده أن اسجدوا للملك فقام سيدنا جعفر بن أبى طالب – رضى الله عنه – وقال كلمته المشهورة « ننحن قومٌ لا نسجُد إلا للهً تعالى » .

رابعًا : التزام العمل للإسلام حيث إن انتمائى للإسلام يفرض عَلَىَّ العمل له .. وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واتباع الحلال والابتعاد عن الحرام والجهاد فى سبيل الله تعالى والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان كما قال – تعالى – فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

سورة المائدة الآية رقم (٢)

رعايــــة الأيتــام فى الإســـلام

وعن الاهتمام باليتيم وردت رسالة القارىء محمد محمود العطار من كفر الشيخ يقول فيها :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾

سورة البقرة الآية (٢٢٠)

حقاً لقد اهتم الإسلام باليتامى حيث كفل لليتامى نصيباً من الميراث ليحافظ على حياتهم الدنيوية وحث على حسن معاملتهم بحيث تكون المعاملة كريمة وتحافظ على كرامتهم وإنسانيتهم ولقد روى عن عبد الله بن المبارك عن النبى – ﷺ – أنه قال « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار بأُصبعيه الوسطى والسبابة » أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة .

ولقد حذر الإسلام من أكل مال اليتيم أو عدم إعطائهم حقوقهم وكذلك من محاولة تعرضهم للإساءة من جانب الآخرين: قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

سورة النساء الآية (١٠)

ولقد أكد الإسلام على ضرورة توفير الاحتياجات الضرورية لهم من مأكل وملبس وإيواء، قال تعالى :

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

سورة الفجر، الآيات ١٧ ، ١٨ .

من ابداعات القراء :

شهيد الأقصى

بقلم/ متولى بصل

دعانى الموت يا أمى
فلا تبكى
فإن الموت مكتوب
على الأحياء
***
وإن أبصرت جثمانى
فضمينى
وصلى وافرحى إنى
مع الشهداء
***
وإن قالوا غدا عنى
شهيد المسجد الأقصى
فقولى
ليت لى عشراً من الأبناء
***
فإن القدس يا أمى
محاصرة
تدنسها عصابات
من الجبناء
***
مساجدها محرقة
مآذنها محطمة
تهدمها يد الأعداء
***
وإخوانى وأهلى
فى شوارعها
هم الجرحى
هم القتلى
هم الأشلاء
***
ودور القدس قد صارت مهدمةً
وتحت حطامها جثثٌ
ونهر دماء
***
فلا تبكى
إذا ما مت يا أمى
بل ابتهجى
فموتى لن يكون هباء
***
فإنى
وهبت للقدس الشريف دمى
وسوف أكون
للأقصى الحبيب فداء
***
أموت أنا
لكى تحيا انتفاضتنا
أهون أنا
ولا تذهب كرامتنا
أموت أنا
لتصعد فى سماء القدس رايتنا
وتبقى راية التوحيد فى العلياء

تحية إلى شعب فلسطين

شعر / جابر عبد العليم مصطفى

يا أيهـــا الشـــعبُ الأبىُّ تحــيَّـــة ** ولـكـل طـفـلٍ فى الخـلـيـل ســـلام
ولـكـل أُمٍّ قـــد تمزّق قلبـــهـــا ** ولكل شـــيخ فى العـــذاب يســـام
ولأهـل جـــينين الكرام تحـــيـــة ** ولـكـل من حـــرم الأمـــان وســـام
مـــاذا أقـــول لوصف شـــعب صـــامـد ** أنثى وطـفـل كـلـهـم ضـــرغـــام
حـــملوا الحـــجـــارة فى أكُـفٍّ آيةً. ** تشـــوى الوجـــوه كـــأنهـــا ألغـــام
يـا أم دُرة والحـــيـــاة مـــريرة ** بئس الحـــيـــاة يعـــمـــهـــا الإظلام
لا تحـــزنى فـــدمـــاء دُرَّة قـــد زكت ** وتـعـطـرت أرض بـهـــا ورغـــام

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

حماس تتوعد بالانتقام لمقتل صانع الاستشهاديين

توعدت المقاومة الإسلامية « حماس » الكيان الصهيونى وآلته العسكرية بالثأر لمقتل المهندس « مهند الطاهر » القائد العسكرى لكتائب عزالدين القسام الجناح العسكرى لحركة حماس فى نابلس والملقب بصانع الاستشهاديين فى الوقت الذى أشادت فيه دولة الكيان بمقتل الطاهر واعتبرته انتصارا كبيرا بعد أن قالت إنه وجماعته مسئولون عن مقتل أكثر من (١١٧) صهيونيا فى سلسلة تفجيرات كان أهمها العملية الاستشهادية الأخيرة فى ١٨ يونيو الماضى بالقدس المحتلة والتى أدت إلى مقتل ما يزيد على ١٩ قتيلا وإصابة ٥٠ آخرين، وأكدت كتائب عزالدين القسام فى بيان لها أنها تزف الشهيد القائد المهندس « مهند الطاهر » و« عماد دروزة » اللذين رفضا تسليم نفسيهما للقوات الصهيونية وأصرا على مواصلة الجهاد حتى الرمق الأخير.

وأكد البيان أن كتائب القسام أودعت خبرات مجاهديها وما توصلت إليه عقولهم لدى الآلاف من المخلصين والشهداء الأحياء حتى تستمر مسيرة المقاومة والجهاد ويندحر الغزاة.

يذكر أن « مهند الطاهر » المهندس الرابع فى كتائب القسام بعد المهندس « يحيى عياش »، « عادل عوض الله »، « محمود أبوالهنود » وهو من مواليد ١٩٧٦م كما أنه كان طالبا بجامعة النجاح فى نابلس وزميلا للاستشهادى « محمد نزار » صاحب عملية القدس الأخيرة.

سكان جزر « فانواتو » منسيون من العالم الإسلامى

جزر « فانواتو » تقع فى المحيط الهادى قرب « استراليا » وفيها عدد من المسلمين وقد قام مدير مكتب رابطة العالم الإسلامى فى استراليا بزيارة لجزر « فانواتو » بشرق آسيا والتقى برئيس وأعضاء الجمعية الإسلامية فى العاصمة « بورت فيلا » بحث معهم نشاطات الجمعية فى المرحلة القادمة فى مجال نشر الدعوة الإسلامية لكى تشمل باقى جزر « فانواتو » إضافة إلى مناقشة إنشاء مسجد للمسلمين فى مقر جامعة جنوب الهادى فى العاصمة وتزويد الجامعة بالمراجع الإسلامية فى القانون والفقه الإسلامى وتخصيص منح دراسية لعدد من أبناء الجزر.

ومما يذكر أن « فانواتو » بلد مكون من (٨٠) جزيرة تقع فى جنوب غرب المحيط الهادى ومساحتها (١٢٫٢٠٠) كيلو متر مربع وأكبر الجزر فيها هى : « اسبوتيو »، « سانتو »، « مالا كيولا »، « اينيت » وعدد سكانها خمسة عشر ألف نسمة وحكمت انجلترا بالاشتراك مع فرنسا تلك الجزر من عام (١٩٠٦) إلى سنة (١٩٨٠) حيث نالت استقلالها.

ودخل الإسلام الجزر بعد أن اختارت الكنيسة الكاثوليكية رجلا من السكان الأصليين من الجزيرة يدعى « نابانا » وأوفدته إلى الهند لتعلم الديانة المسيحية وبدلا من تعلمها هداه الله إلى الإسلام واعتنقه وعاد إلى العاصمة وقام بتأسيس مركز للدعوة الإسلامية بدعم من ماليزيا وبعد وفاته تولى أبناؤه مهمة الدعوة الإسلامية وأسسوا أول جمعية إسلامية فى العاصمة « بورت فيلا » وتسجيلها لدى السلطات الحكومية ويبلغ عدد المسلمين حاليا حوالى ثلاثمائة أسرة يتركز خمسون منها فى العاصمة والبقية ينتشرون فى جزيرة « ناتالا ».

مسلمات هولندا يدعمن الانتفاضة بالذهب

تشهد حملات جمع التبرعات لدعم الانتفاضة ومساندة الشعب الفلسطينى انتعاشا ظاهرا بين مسلمى هولندا وخاصة بين النساء اللاتى تبرع العديد منهن بحليهن الذهبية بينما لم تجد أخريات سوى اقتطاع جزء من مصروف البيت لتقديم العون للفلسطينيات اللاتى يعانين تحت الاحتلال الإسرائيلى، فقد جمعت مجموعة من عضوات إحدى الجمعيات الإسلامية فى هولندا تسعة آلاف يورو لصالح الانتفاضة الفلسطينية بينما تمكنت مجموعة صغيرة أخرى من الطالبات المسلمات من جمع مبلغ ثلاثة آلاف يورو.

وتواصل مجموعة ثالثة من الطلبة المسلمين فى الجامعات الهولندية نشاطا خيريا طيلة الأشهر الماضية لجمع تبرعات لأبناء الشهداء الفلسطينيين فى إطار صندوق دعم مالى أطلق عليه اسم « صندوق أيتام فلسطين ».

ومن جهة أخرى تواصل العديد من الجمعيات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية التابعة للأقلية المسلمة فى هولندا تنظيم مظاهرات شعبية للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى ومقاومته للاحتلال الإسرائيلى.

السلطات اليونانية تنتهك حقـــــوق المســـــلمين

تبحث مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامى قضية الأقلية المسلمة باليونان ضمن قضايا الجماعات والأقليات المسلمة فى الدول غير الأعضاء التى تتعرض فيها حقوق الجماعات والأقليات المسلمة للانتهاك باستمرار وفى هذا الصدد صادقت المؤتمرات الإسلامية على قرارات تهدف إلى احترم الحقوق المدنية والدينية للأقلية المسلمة فى « تراقيا » الغربية وتنظم اتفاقية « لوزان » التى وقعت بين تركيا واليونان عام ١٩٢٣ العلاقة بين السلطات اليونانية والأقلية المسلمة هناك وقد نصت هذه الاتفاقية خاصة المادة (٤٠) على حق المسلمين هناك فى استخدام لغتهم التركية وممارسة شعائر دينهم واختيار ممثليهم فى الشئون الدينية والوظائف العامة بكل قرية، كما نصت الاتفاقيات على استثمار أموال الأقلية المسلمة بما يخدم مصالحهم دون أية ضغوط أو قيود وعلى إمكانية تبادل السكان بين البلدين وبالفعل تم استبدال عدد من المسلمين المقيمين فى « تراقيا الغربية » بالأقلية اليونانية المسيحية المقيمة فى استانبول بتركيا وتنص اتفاقية « أثينا » الموقعة سنة ١٩١٣ على أن الأقلية التركية المسلمة هى التى تنتخب زعماءها الدينيين - رجال الإفتاء - غير أن السلطات اليونانية تتجاهل التزاماتها الدولية بموجب هذه الاتفاقية تجاه الأقلية المسلمة وتنتهك حقوقها انتهاكا كاملا وبصفة مستمرة.

إذ لا تعترف الحكومة اليونانية بالمؤسسات الإسلامية التى يختارها المسلمون فى « تراقيا الغربية » وحسب التقرير الذى أوردته وكالة الأنباء الإسلامية فقد أصدرت الحكومة اليونانية قانونا يحرم المسلمين من حقهم فى انتخاب أى مسئول أو ممثل لهم وماتزال السلطات القضائية اليونانية تصر على الحكم الذى قضى بسجن مفتى « اكسانتى » المنتخب السيد / محمد أمين أغا وفقدت الأقلية المسلمة حقها فى إدارة الأوقاف التى يديرها الآن أشخاص تعينهم السلطات اليونانية وعينت السلطات اليونانية مجموعة من الأشخاص فى مجلس إدارة شئون الأوقاف فى « كومتين ».

أنبـاء مجمـع البحـوث الإسـلامية

ريـــاض الصـــالحين

● قامت الإدارة العامة للمطبوعات بإصدار الجزء الرابع من كتاب « شرح رياض الصالحين » شرح وتحقيق فضيلة المرحوم الشيخ / الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق.

وأيضا قامت الإدارة بإصدار كتاب « الأخلاق فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية » لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر.

وتوالى الإدارة عملها فى طبع أمهات الكتب لكبار العلماء.

المفقود ميت بعد مضى سنة ميلادية من تاريخ فقده

رأت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية فى جلستها المنعقدة بتاريخ ١٤ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٦ من مايو ٢٠٠٢ .

بالنسبة لكتاب السيد / محمد محمد جويلى - رئيس لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب إلى فضيلة المفتى بشأن اقتراح بتعديل المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدل بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م باعتبار المفقود ميتا بعد مضى سنة ميلادية من تاريخ فقده رأت اللجنة :

أنه لا مانع من تعديل الفقرة الثانية من المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدلة بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م وذلك بإضافة عبارة « الحوادث الجسيمة التى يغلب فيها الهلاك » بحيثة يصبح نص المادة كالآتى :

« يحكم بموت المفقود بعد مضى سنة من تاريخ فقده فى حالة ما إذا ثبت أنه كان على ظهر سفينة غرقت، أو كان فى طائرة سقطت، أو فى حالات الحوادث الجسيمة التى يغلب فيها هلاكه، أو كان من أفراد القوات المسلحة وفقد أثناء العمليات الحربية » .

وقد استندت اللجنة فى الموافقة على مدة السنة على أساس أن الحكم الاجتهادى الذى يقضى باعتبار المفقود ميتا بعد مضى أربع سنين من فقده كان مستندا للظروف والحالات الموجودة فى العصر الذى صدر فيه هذا الاجتهاد دون نص قطعى أو ظنى بهذا التحديد . . ونظرا لتغير الظروف والأحوال ووسائل الاتصالات والمعرفة فإنه لا مانع من مواءمة ما استجد من هذه الظروف وتغيير الاجتهاد بتغيير الزمان وما استجد فيه وذلك أمر مقرر شرعا . . وهو مراعاة الظروف والمستجدات .

وأخيراً حظر بيع وتداول وشرب الخمر فى مصر

عقدت لجنة البحوث الفقهية بالمجمع جلستها فى ٢١ من ربيع الأول ١٤٢٣ الموافق ٢ من يونيه ٢٠٠٢م، والخاصة بالكتاب الوارد من السيد الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب إلى فضيلة المفتى بشأن اقتراح قانون مقدم من عضو المجلس حسين أحمد إبراهيم بشأن تعديل أحكام القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٦ بحظر شرب الخمر .

رأت اللجنة :-

- بعد دراسة هذا المشروع أن الشريعة الإسلامية تحرم بأدلة قطعية الثبوت والدلالة تناول الخمر ولذلك :

فاللجنة تطلب من مجلس الشعب الموافقة على ما اقترحه مشروع القانون بتحريم وحظر شرب الخمر وبيعها وشرائها وفتح محلات لبيعها وتداولها أما تفصيلات العقوبات وغيرها مما ورد بمشروع القانون فتشكل لجنة من أعضاء مجلس الشعب، ورجال القانون، وبعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية لتحديد العقوبات وما يتعلق بذلك .

التعاون بين مجمع البحوث الإسلامية والجامعـــــــــة

أوصت لجنة التعاون بين المجمع والجامعة فى جلستها المنعقدة بتاريخ ٧ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ – ١٩ من مايو ٢٠٠٢م عند مناقشتها للمادة (١٥) من القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ بشأن علاقة المجمع بالجامعة بالآتى :

(١) يضم إلى لجنة الدراسات العليا بكل كلية عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بداخل الكلية وفى الكلية التى ليس بها عضو من أعضاء المجمع يتم اختيار أحد أعضاء المجمع ليمثل المجمع فى هذه اللجنة.

(٢) مهمة اللجنة وضع خطة للدراسات العليا واختيار الموضوعات التى يسجل فيها رسائل الماجستير أو الدكتوراه.

(٣) فى حالة تعدد الكليات المناظرة فى الجامعة يكون مقر اللجنة وتشكيلها من اختصاص أقدم الكليات وتكون قراراتها ملزمة لجميع الكليات.

(٤) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية من داخل كل كلية إلى مجلس كل الكليات الإسلامية والعربية وسائر الكليات المتخصصة فى العلوم الشرعية، وفى حالة خلو الكلية من أحد أعضاء مجمع البحوث يتم اختيار عضو من بين أعضاء المجمع يكون ذا صلة وثيقة بتخصص الكلية المراد ضمه إلى أعضاء مجلسها.

(٥) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية حسب التخصص فى لجان الإشراف والحكم والمناقشة على رسائل الماجستير والدكتوراة.

(٦) تكون لجنة للتقيم والتطوير على مستوى الجامعة لنفس الغرض على أن يمثل فيها مجمع البحوث الإسلامية بعضوين.

الـــرد علـى المزاعـم والمفتريـــات التـــى يتعـــرض لهـا الإســــلام

عقدت لجنة التعريف بالإسلام بمجمع البحوث الإسلامية جلسة بتاريخ ٢٨ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ – ٩/٦/٢٠٠٢م لمناقشة كلمة الأستاذ الدكتور أسامة الباز مستشار السيد رئيس الجمهورية للشئون السياسية أمام مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر والتى حدد فيها المخاطر التى تواجه الإسلام من خصومة فى الوقت الحاضر وقد أوصت اللجنة بما يلى :–

أن يستعرض كل ما صدر عن مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ويؤخذ منه ما يرد على هذه النقاط، كذلك مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وجمع ذلك كله فى كتيب، ثم يترجم باللغات العالمية ويقدم من الأزهر الشريف كهدايا لدول الغرب وهيئاته المختلفة ويوضع عدد من هذه الترجمات لدى الملحقين الثقافيين فى السفارات وتنشر متتالية بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة وعلى رأسها « الإنترنت » على موقع الأزهر الشريف.

لأن هذا سوف يبرز للأجانب حقيقة الإسلام وسماحته.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

الإمام الأكبر فى الجزائر

● بدعوة شخصية من السيد الرئيس / عبدالعزيز بوتفليقة رئيس جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية لفضيلة الإمام الأكبر د/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجزائر الشقيقة قام فضيلته بهذه الزيارة حيث شارك فى تكريم حفظة القرآن الكريم وتوزيع الجوائز على الفائزين فى هذه المسابقة مؤكدا على أن حفظ كتاب الله هو أول ما ينبغى الحفاظ عليه وأول ما يعطى لحفظته الجوائز القيمة المجزية للطالب وللمحفظ أيضا حتى يكون هناك التنافس على حفظ وتعليم كتاب الله - عز وجل - وتعليم القرآن الكريم منذ الصغر يقوم اللسان ويزكى النفس ويطهر القلب، وتعليم أحكام القراءة من الأمور الهامة حتى تكون القراءة صحيحة وتؤتى ثمارها الطيبة.

كما شارك فضيلته فى الندوات التى نظمتها وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجزائر وقد استقبل فضيلته السيد الرئيس الجزائرى وناقش معه سبل توحيد الصف والتضامن بين جميع القيادات لتجاوز الأزمة التى تعيشها الجزائر، ودفعها نحو التقدم مشددا على ضرورة الابتعاد عن العنف موضحا بأنه لا فرق بين الأحزاب سواء أكانت تحسب على التيار الإسلامى أو غير باعتبار أن الأهم والمطلوب هو أن يعمل الجميع على خدمة البلاد ومصالح الأمة كما بحث فضيلته مع سيادة الرئيس الجزائرى القضية الفلسطينية وضرورة توحيد الصف العربى والإسلامى لدفع القضية لتحقيق السلام، حتى يحصل إخواننا فى فلسطين على حقوقهم المشروعة، كما تم بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الجزائر الشقيقة فى النواحى الدينية والثقافية والعلمية والتعليمية وأعلن فضيلته أن الأزهر على استعداد تام لاستقبال أعداد كبيرة من الأئمة والوعاظ والعلماء من دولة الجزائر لحضور الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر ويشرف عليها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، وقد استقبل الأزهر الشريف علماء من الجزائر فى دورات سابقة، كما استقبل فضيلته أيضا السيد / على بن فليس رئيس وزراء الجزائر وأشاد بالدور الفعال والإيجابى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى نشر قيم الإسلام الحقيقية والصحيحة المبنية على

التسامح والوسطية، ونبذ العنف والعصبية، وطلب تنسيق الجهود للتصدى للمناورات التى تهدف إلى المساس بالإسلام والمسلمين، حتى تتضح وتظهر الصورة الطيبة الحسنة للإسلام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد القضاء العسكرى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاء العسكرى برياسة السيد المستشار أحمد صبرى المستشار بالمركز القومى للدراسات القضائية، حيث قام فضيلته بشرح وتوضيح وتعريف القضاء للدورة الحادية والأربعين للقضاء العسكرى، وقال: إن القضاء من الأعمال السامية التى وضعها الله - عز وجل - فى أعناق الصفوة من عباده لإحقاق الحق وإعلاء شأنه وإبطال الباطل وبين أن مهمة القاضى هى الفصل بين الناس بالحق، وهى الحكم العادل بين الناس حتى يأخذ كل ذى حق حقه فيأمن الناس على أنفسهم وعلى أموالهم فيعيشون فى أمان وفى اطمئنان وبذلك يتفرغون للعمل والإنتاج، وحين يشيع الأمن والأمان والاطمئنان بين الناس يسعد الأفراد وتسعد الأمم وترقى وتنهض والحكم العادل ينبع من ضمير القاضى قبل أن ينبع من القوانين واللوائح، لأنه بخبرته يستطيع إلى جانب الأدلة أن يميز بين الحق وبين الباطل، بين العدل وبين الظلم، والقاضى حينما يحكم بين الناس إنما يضع الأمور فى مكانها الصحيح بضمير القاضى ولا يخشى أحدا إلا الله - عز وجل - وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد التى دارت حول معاملات البنوك موضحا الفرق بين الوديعة والقرض والاستثمار والصور المتعددة للتعاملات البنكية من الناحية الشرعية والأحكام المتعلقة بشأنها، كما أجاب فضيلته على أسئلة حول عمل المرأة وتوليها المناصب وأعمال القضاء.

وفى نهاية اللقاء شكر السادة القضاة العسكريين فضيلته عن المعلومات القيمة التى حصلوا عليها والمعرفة الحقيقية من منابعها الأصلية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الإسلامى بجنوب تايلاند

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن عبدالصمد رئيس المجلس الإسلامى ورئيس جمعية الإيمان الخيرية ومدير مدرسة دار القرآن الكريم فى ولاية ناراتيوان جنوب تايلاند والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف معربا لهم بأن الأزهر الشريف دائما فى خدمة أبناء المسلمين وطلاب العلم فى شتى بقاع الأرض، ويقدم لهم العون والمساعدة والخبرات فى مجال التعليم الدينى وهى رسالة الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام، يرسل العلماء والدعاة إلى كل الدنيا لينشر دين الله فى الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة ويبين ويوضح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته عن طريق التعليم فى المعاهد الأزهرية الدينية، وعن طريق خطبة الجمعة بالمساجد وعن طريق الدروس الدينية والندوات فى المحافل وفى المناسبات المختلفة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة وأبلغه تحيات المسلمين التى تبلغ نسبتهم فى جنوب تايلاند ٨٠٪ من إجمالى المسلمين البالغ عددهم ١٠ ملايين مسلم وتعيش تلك النسبة فى ثلاثة ولايات فى جنوب تايلاند وهى ولايات: ناراتيوات وولاية فطانى وولاية جالا، والمجالس الإسلامية هى التى تقوم بتنظيم أحوال المسلمين، والأحوال الشخصية، كما تشرف على المساجد حيث توجد فى ولاية نارايتوات ٥٨٢ مسجدا، وفى ولاية فطانى ٦٣٠ مسجدا، وفى ولاية جالا ٤٢٠ مسجدا، وعدد المدارس الإسلامية الأهلية ٢٦٥ مدرسة، وطلب الضيف تخصيص عدد من المنح الدراسية السنوية من الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى جنوب تايلاند للدراسة بالأزهر الشريف، كما طلب استمرار التعاون مع المجالس الإسلامية فى جنوب تايلاند فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر لعلماء وأئمة ووعاظ العالم الإسلامى كل ثلاثة أشهر، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباتهم على أن يتم تقديم هذه الطلبات عن طريق السفارة المصرية وبالطرق الدبلوماسية.

الإمام الأكبر:

الإسلام حث على العمل البناء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ على ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن السابق والرئيس الحالى للمركز العربى للدراسات الاستراتيجية، حيث أكد الضيف على أهمية دور الأزهر الشريف فى المنطقة العربية، والإسلامية بل العالم أجمع، وأعرب عن تقديره لمواقف الأزهر وشيخة المشرفة تجاه القضايا التى تحدث على الساحة، ويشارك فيها الأزهر بفاعلية واقتدار، وأوضح سيادته أن هناك العديد من القضايا الخليجية التى يتبناها المركز العربى للدراسات لوضع الحلول الاستراتيجية لها من أجل دفع عجلة التنمية بالدول الخليجية، مشيرا إلى أن المركز عبارة عن مؤسسة علمية مستقلة تم تأسيسها عام ١٩٩٥ بهدف دراسة القضايا الاستراتيجية التى تتصل بواقع المنطقة العربية ومستقبلها على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويساهم المركز فى إحياء التراث العربى والإسلامى وإظهار ملامح الشخصية العربية، ووضع استراتيجيات وسياسات تنموية لصالح المنطقة العربية، كما أوضح الضيف بأن المركز الرئيسى مقره بالجمهورية العربية السورية ويتبعه مراكز فى القاهرة والجمهورية اليمنية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وقد رحب فضيلته بكل الأنشطة التى تهدف إلى توثيق التعاون الإسلامى العربى من أجل خدمة المسلمين فى شتى أنحاء العالم مشيرا إلى أن الإسلام حث على العمل البناء الذى يهدف إلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ليعيش المجتمع الدولى فى أمان وسلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ السيد عبدالله عبدالرشيد عمدة محافظ شينجيانغ الإسلامية بجمهورية الصين الشعبية والوفد المرافق له، وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر والأزهر الشريف

شارحا لهم نظام التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة مشيرا إلى أن أبناء الصين الذين يتلقون العلم فى الأزهر على منح دراسية يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويصل عددهم إلى ١٠٨ طلاب وقال فضيلته إن الأزهر على استعداد لاستقبال أعداد أخرى من أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف ورحب فضيلته باستقبال عدد من أئمة ووعاظ وعلماء الصين للدراسة بالدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر، إضافة إلى الذين حضروا هذه الدورات.

شكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء موضحا بأن الصين بها قوميات كثيرة، وأن محافظة شينجيانج يبلغ عدد سكانها ١٨ مليون نسمة منهم ٦٠٪ من أبناء الأقليات القومية، وأن عدد سكان المقاطعة من المسلمين ١٠ ملايين نسمة يتمتعون بالحرية الكاملة، فى إقامة شعائرهم الدينية طبقا للقانون الصينى، كما أن بالصين ٢٤ ألف مسجد وأكثر من ٣٤ ألفا من رجال الدين الإسلامى ورجال الدين فى شينجيانج تلقوا العلم بالمعهد الإسلامى فى المحافظة وفى بكين العاصمة، وهناك الكثير من أبناء الصين تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف إلى جانب إخوانهم المصريين، وقال: إنه جاء لزيارة الأزهر الشريف لتوطيد التعاون وتطوير العلاقات وزيادة المعرفة المتبادلة وتوسيع مجالات التعاون بين مصر ومنطقة شينجيانج ذات الحكم الذاتى.

الإمام الأكبر يستقبل المفوض السامى للأمم المتحدة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / رود لوبرز المفوض السامى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين يرافقه الفنان / عادل إمام سفير النوايا الحسنة للمفوضية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن معاونة المحتاجين ورعاية حقوقهم أمر أقره الإسلام والقرآن الكريم بين لنا على أن الناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة وهى حقيقة ثابتة.

وأولى الناس بهذا التعاون وتقديم العون لهم هم اللاجئون لأنهم جماعة من الرجال أو النساء أو الأطفال أخرجوا من ديارهم بغير حق، ويجب على الإنسانية جميعا أن تتكاتف من أجل تقديم ضروريات الحياة لهؤلاء اللاجئين حتى يعيشوا كغيرهم، وهى مسئولية رئيسية لمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وأن عمل المفوضية السامية لشئون اللاجئين هى مسئولية سامية والأزهر الشريف يؤيدها كل التأييد، وقد أشاد رئيس الوفد بهذا اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والكلمات الطيبة الحكيمة التى سمعها والوفد، وأنه والوفد يقدر هذه الكلمات، وأوضح أن هدف المفوضية منذ إنشائها هى مسئوليتها عن اللاجئين فى فلسطين، ولبنان، والأردن وسوريا، والاتفاق على أن يكون لكل شعب وطن يعيش فيه، ويدل على هذا انتهاء عهد الاستعمار، وأن

المفوضية تهتم بشئون حوالى ٢٢ مليون شخص، وإيجاد الحلول لهم للعودة إلى بلادهم، وأشاد بدور الإسلام الفعال وتعاليمه التى تسير عليها المفوضية فى مساعدة المحتاجين وتقديم العون لهم وحماية الأفراد ومساعدتهم للعودة لبلادهم ويعمل بالمفوضية، عدد كبير من المسلمين، ونأمل أن يكون للمفوضية دور أكبر لخدمة الإسلام والمسلمين، ونحن نؤمن بأن الإسلام والدين الإسلامى يجب أن يساعدنا للاهتمام بما نقوم به، وعلى الجميع أن يتعاونوا لتحقيق الأهداف المشتركة لخدمة اللاجئين وحقهم فى العودة لوطنهم، ونطلب من الأزهر وشيخه الجليل أن يدعو لنا للمضى فى تحقيق أهدافنا ودعم جهودنا.

وأشاد الفنان عادل إمام بصفته مواطن مصرى بإعجابه بمواقف فضيلة الإمام الأكبر الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية، أما بصفته سفيراً للنوايا الحسنة فأثناء زيارته لمعسكرات اللاجئين فى جنوب اليمن ومشاهدته لما يلاقيه هؤلاء المواطنين من صعوبات وقسوة رغم منحهم قطعة أرض من الحكومة اليمنية يعيشون عليها إلا أنهم فى حاجة ماسة إلى التعليم والرعاية الصحية، وتوفير سبل المعيشة الكريمة، وهناك المساعدات المالية من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية ولكننا نرجو من فضيلة شيخ الأزهر الإمام الأكبر حث الدول الإسلامية للمشاركة الفعالة حتى يعيش هؤلاء عيشة طيبة كريمة شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف والوفد والفنان عادل إمام على زيارتهم لتلك البلاد ومعاونتهم لهؤلاء اللاجئين

وقال: إنه عمل إنسانى طيب وعظيم ويجب أن نتعاون جميعا لمعاونة هؤلاء وطالب فضيلته كل مسلم قادر أن يقدم العون لهم، لأن الدين الإسلامى يعتبر الناس جميعا إخوة، القوى يساعد الضعيف، والغنى يساعد الفقير والأزهر يتعاون فى إنجاح تلك المهمة الإنسانية السامية، وهى مهمة دينية وسياسية وقانونية واجتماعية.

الإمام الأكبر:

من لا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا أن يفجر نفسه فهو شهيد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد الكتاب الصحفيين الأمريكيين والكنديين أعضاء المؤتمر الوطنى لكتاب الصحفيين الذين يمثلون أوسع الصحف انتشارا بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وعددهم ٢٥ فردا من لوس أنجلوس، شيكاغو، دالاس، ديترويت، تريبيون، أوتاوا، هارتفورت كاونت.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مؤكدا على أن شعب مصر يعيش فى سلام وأمان ورضاء، وأننا كمسلمين ومسيحيين نعيش متساوين فى الحقوق والواجبات، ولكل إنسان الحرية فى اختيار عقيدته لأن العقائد لا إكراه عليها والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونحن نعلم أن الله أوجدنا من أصل واحد لنتعاون ونتعارف، والتطور العلمى الذى نعيشه الآن جعل العالم كله كقرية صغيرة ما يحدث فى الشمال يعرفه من فى الجنوب، وما يحدث فى الشرق يعرفه من

فى الغرب فى ثوان معدودة، والتعاون والتعارف ينفع الجميع، ويشعر الناس بالراحة والطمأنينة، أمـا الحـروب فكلهـا دمـار وخـراب، والأديان السماوية جميعها تدعوا إلى السلام، والقرآن الكريم يعتبر الاعتداء على النفس الواحدة كأنه اعتداء على الإنسانية كلها، والله أوجدنا لنعمر الأرض لا لنخربها، ولكل دولة حضارتها، والحضارات كأمواج البحر تنمو وتزدهر فى الدولة التى يكثر فيها عدد العقلاء، والعلماء، وتضمحل وتتلاشى الدولة التى يكثر فيها عدد الجهلاء. والحضارات عند العقلاء لا تتصارع وإنما تتعاون وتتآزر، والقوة عند أهل الحق والعدل تستخدم فى نصرة المظلوم ونصرة الحق والعدل، وعند أهل الغدر والظلم تستخدم فى التخريب وفى قتل الأبرياء وفى كل ما نهى الله عنه، والأديان السماوية ترحب بكل قوة عاقلة عادلة، حتى يأخذ كل ذى حق حقه وترد الظالم حتى ينـدحر، وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول رأى الدين الإسلامى فى تعذيب الأسرى والسجناء، قال فضيلته: إن الدين الإسلامى أمرنا بإكرام الأسير وعدم الاعتداء عليه بل يجب أن يقدم له كل ما هو فى حاجة إليه من ضروريات الحياة وأن يعامله معاملة حسنة.

وحول سؤال عما إذا كان هناك فصل بين الدين والدولة والسياسة وهل يؤثر ذلك على المجتمع، أوضح فضيلته، بأن هناك ما يسمى بالتخصص فكل إنسان يتكلم فى تخصصه، فالجوانب الدينية يتحدث عنها أهل الدين، والجوانب الاقتصادية يتحدث عنها أهل الاقتصاد، والسياسية يتحدث عنها السياسيون وهكذا.

وحول سؤال عما إذا كانت قرارات المسئولين السياسية تتعارض مع الدين، قال فضيلته: إن الدولة حينما تضع أى قرار فإنه يتم عرضه على جهة الاختصاص لتقول رأيها فيه، فمثلا حينما طرح قانون الخلع عرض على الأزهر الشريف لدراسته، ثم بعد ذلك صدر القانون، وحول سؤال عن الذين يفجرون أنفسهم ويقولون بأنهم شهداء؟ قال فضيلته: إن من يدافع عن نفسه وأرضه المغتصبة وعن ماله وعن عرضه وحريته ولا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا أن يفجر نفسه فى المعتدى فإنه شهيد فى الإسلام، أما الذى لا نقبله ولا نرضاه شرعا ولا خلقا أن يفجر نفسه فى الآمنين الذين لا صلة لهم بالحرب ولا بالعدوان.

وشرح فضيلته الفرق بين الجهاد فى الإسلام والإرهاب قائلا: إنه كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد فى الإسلام شرعه الله ـ عز وجل ـ للإنسان للدفاع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وحقوقه التى أعطاها الله له، أما الإرهاب: فهو عدوان سافر على النفس والعرض والأرض والمال وعلى الآمنين، واغتصاب حقوق الغير، وحول سؤال عن مساعدة أسر الذين يفجرون أنفسهم أوضح فضيلته بأن هذه ناحية إنسانية، والشرائع السماوية والقانونية الوصفية، تؤكد ذلك والتسامح مطلوب لأنه ربما يأتى بنتائج أفضل، أما التسامح الذى يزيد العدو فجورا، وعدوانا، فهنا لا يحق التسامح بل يجب أن يعاقب.

between any of them and believe in their Books. This is considered by Allah as the basis of belief in order to make it a global religion. He, the Al-Mighty, says :

Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Ismai'l, and Ishaq and Ya'qub and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims". [Al-Baqarah (The Cow):136]

No one can deny, after this clarification, that this religious basis which Islam came with is an organic structure calls for embracing one religion and brotherhood among religions. No doubt that this is a glorious far beyond miracle matter and that it ill put Islam in its intended position; the religion sent down to all people.

corrupted by misleading instructions. This nature, free from any blemish including illusion, imitation, love and education, is Islam itself,

This situation needs a guiding standard since people differ in natural instincts and genetic features ; careful and hasty, far-sighted and short-sighted, knowledgeable and ignorant and etc,… So it was necessary to resort to a standard agreed upon by all people, namely, reason. Since the existence of reason is crucial for obligations and its being the element of differentiation between right and wrong, it has to be up to this grave task. So, Allah, the True, urged us to complete and perfect it through mediating in His creation to be able to face whatever emerges and be able to recognize wrong in its all different forms.

The combination of the modified nature and the perfect intellect is the religious basis to which the last Prophet, Muhammad, is sent in order to establish and disseminate among nations; to embrace one religion and creed as they are in their humanity, nature and intellect.

The English professor, Beckon, the founder of the scientific constitution, succeeded – three centuries ago – in unifying science all over the world through basing it not only on observation, experiment, analysis and construction but also through getting rid of all opinions and suppositions from its material. So, if Beckon deserves the world admiration, Islam deserves respect and admiration more than what can be imagined for its revelation to the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, with this religious constitution.

Since Islam aims at unifying nations for a new period for humanity, its principles of belief depended on this comprehensive standard; Islam ordered those who apply it to believe in all the messengers of Allah, not to differentiate

them, being inequitable among themselves. And whosoever disbelieves in the signs of Allah, then surely Allah is swift at the reckoning. **[Al-Imran (The Household of Imran) : 19]**

Is it possible that the cosmic science is the same everywhere; its principles are identical all over the world, and that religion, concerning its principles, has different aspects contradicting and encroaching upon each other? Islam's guaranty for eternity depends on two matters: The human nature and the perfect authority of intellect. All people share the common requisites of nature; what man sees by nature as good is seen by all people as good and vice versa unless nature is being corrupted by the parents and educators. So, Islam stipulated that nature should remain free from any blemishes deviate it from the prescribed way.

As for the perfect authority of intellect that can't be dispossessed of by any authority on earth, it is a blessing and gift from Allah. The previous religions tried, for generations, to efface it ; they severely punished whoever tried to use and resort to it. However, Allah guarded it against these wrongful forces aiming at fighting it. Allah, glory be to Him, kept its essence clear and free from any harm and it is regarded today as the element of differentiation between good and bad applied all over the world. Islam dependence on these two matters is similar to that of the building depending on two pillars as Allah, the Al-Mighty, says:

So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know. **[Ar-Rum (The Romans):30].**

Allah, the Creator, states to people that religion is what souls originated upon of the Divine nature provided that it is not

Islam's Mission In The World

By the great scholar:M. F. Wajdy.

People have lived, for a long period, in opposing factions and contradicting principles. The human mind was still naïve as it regarded this factionalism and contradiction as two strong factors to widen the human division. Moreover, people regarded religions as motives to continue this dispute until the means of communication among people were established that led to a vital need to exchange benefits. As a result, unprecedented feeling among nations emerged; the necessity of establishing a connection between them aiming at solidarity in life to perform integrity and perfection in great as well as simple needs.

Allah, glory be to Him, wanted – during this period – to turn this imaginary feeling into reality. So, He legislated Islam and ordered it to be disseminated all over the world. All nations had been urged to believe that religions are all fake and false except their own. So, it was impossible for all nations to embrace one religion. This was regarded as a rational impossibility. How did Islam solve this dilemma regarding the area of reason and logic? This is considered to be a miracle by a religion declares that it is the last Heavenly religion and the comprehensive religion to all humanity. After its signs and evidence being clarified in souls and everywhere, it will be the only religion that has no equal.

In its principles of belief, Islam declares that it is the first religion revealed to Noah and messengers following him. If people see different religions before them, concerning these principles, the reason behind this is their being distorted. Allah says:

Surely the religion in the Providence of Allah is Islam; and in no way did the ones to whom the Book was brought differ (among themselves) except after the knowledge came to

operations, for many years, from dealing in drugs. The United states of America is not far from violating human rights as happening in many places all over the world." He added that some of Washington's closest allies do not support or advocate democracy.

Human rights, democracy, etc., are nothing but mere slogans to touch and attack Islam as well as weakening Muslims by all possible means. Imperialism is ready to destroy all its idols if this is the only way to weaken Islam. Islam is the only religion that discussed and respected the other ones. All that it demanded is the truth in their display of facts. If they displayed the facts and declared them in a right way, the problem would be over. Nevertheless, they hide and confound truth with untruth. So, we say to all the population of the Books as Allah, glory be to Him, says:

And do not confound the Truth with the untruth and do not keep back the Truth and you know (it). [Al-Baqarah (The Cow) :42].

Does the west or even the east remember Hoffman, a German Muslim? He held high posts before embracing Islam; an ambassador for Germany in Morocco, then a secretary for the ***NATO***. After embracing and declaring Islam and publishing his book "*A German Muslim Memoirs*", Hoffman was degraded of all his ranks and totally forgotten.

The west aims, by all its actions, at nothing except destroying the Islamic Nations.

Dr. Mohamed Khalifa Hassan says: " The Islamic creed is considered to be one of the most important topics tackled by the orientalists as they directed most of their studies in search for means and factors to be developed to destroy and eliminate this creed and distort its principles. The west discovered, since the emergence of Islam and its dissemination all over the world, that it is considered as a threat to Christianity. The west, failed politically and military to overcome Muslims and to stop Islam's spread in the Christian countries, began to study the Islamic religion deeply to draw plans aiming at criticizing, abusing and distorting its image and to drive Muslims themselves to suspect their religion and creed. Moreover, the science of studying the Islamic creed began to develop as schools and methods were established. In addition, orientalism, religions comparing and orient-related Institutes in the western universities are nothing but an attack against Islam."

The west, in order to get rid of Islam, resorts to use media as a cover such as human rights, democracy or attacking drug dealers and confronting terrorism under which it can practice deceit and delusion. The west does not hesitate to resort to all the disgusting means or violate all principles to gain power over the other countries; always the Islamic east.

The Egyptian famous writer, Mohamed Hassanein Hekkal says: " ***CIA*** *(Central Intelligence Agency)* has funded its

as they imagined nor abuse Islam as they wished. However they exposed themselves and their hidden intentions.

Islam is void of fanaticism and we won't come with a proof from the first era of Islam as they hate most that Muslims be related, in thinking and method to this era so, they use every means to separate Muslims from this era.

The evidence on tolerance is magnificent in all the history of Islam today and yesterday. However, the evidence on fanaticism is hidden in the hearts of its enemies in their ancient and modern history. We won't narrate to them the story of the Jewish with our master, Umar Ibn Al-Khattab as he was an elderly man who used to beg the money of the tribute, so Umar ordered him to be relieved of the tribute. In addition to this, Umar assigned enough amount of money to be paid to him from the Muslims' public treasury.

Moreover, we won't mention how the population of the Books worked as doctors in the court of the Caliphs and as money-changers and treasurers in the public treasury while keeping to their religions without being asked even through persuasion to give up their religion in order to maintain their positions and ranks at the Caliphs. But we will state what they have done in the near past at Bosnia including tormenting and torturing the Muslims for nothing but being Muslims. The Serbian leader, Millosovich, being now accused as a criminal of war, did what he had done on public by the assistance of Europe and the United States. What happened to the famous French philosopher, Jarodi, after declaring being a Muslim? He was persecuted even he was presented before trials many times and sentenced to pay unbearable fines. In addition to this, publishing houses refused to deal with him after being enthusiastic of what he has been writing. Why? Due to his embracement of Islam.

[1]*Comments

on the words said by Dr. Ussama Al-baz.

By the dignified Sheikh : At-Taher Al-Hamidy.

At the twelve conference of the Islamic Research Academy at Al-Azhar held from 3 to 4 Safar for the year 1433 A.H. corresponding to 16 to 17 April for the year 2002 A.D., Dr. Ussama Al-Baz, the political advisor of the Republic's President, made a serious, deep and clear speech deserves careful study and quiet mindful responses and working to disseminate it among Muslims themselves to make the truth evident for those who have eyes. He said: "One of the old and new features is that some circles are unceasing and continuing in an approach to discredit, degrade and distort the image of Islam. The center of those wrongful approaches is the west.

He mentioned that the reasons behind this phenomenon and its continuity are the following:

First: fanaticism and partiality against whatever is different from the west.

Second: their wrong or superficial understanding of Islam as well as their ignorance of its essence and instructions.

Third: Muslims' failure, on the theoretical and practical level, to provide a right image of their creed.

The first of these wrong allegations is that the Islam is a religion based on fanaticism and intolerance as it doesn't approve any other religion and divides people as believers and polytheists and classifies them as enemies can't be accepted or lived with. So, first of all, we would like to say that those who accuse Islam with fanaticism neither satisfy, honor themselves

---

[1] * **An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.**

Abyssinian constitution that he belonged to the dynasty of Sulayman.

This is a very compacted summary to what is mentioned by the researcher following the first narration and the matter left without commentary. Did he think that the fabricated story stands on an equal footing with the Qur'anic Text? If it is permissible to the writers of biographies about the kings of Abyssinia to devise illusions, is it lawful to consider the Qur'anic Text as a compilation doing right and wrong.

The researcher's book, fraught with frequent suspicions regarding the history of Yemen, shed a lot of ambiguity on the established facts. The Arabic sources may not assimilate this history in its ancient times as similar to the history of the ancient world. What is mentioned by Ibn Khaldoun may be true regarding the weak transmitted narrations about Al-Tababi'ah who invaded the Berbers in Africa till they reached China.

All this is entirely far away from the established facts related to the history of Sulayman and Belqis. As this cloudy fog, raised by the researcher, doesn't hit shiny facts since some parts of history are difficult to be demolished and not subject to suspicion and weakening.

﴿Lord! I have done injustice to myself, and I (now) surrender with Sulayman to Allah, The Lord of the worlds.﴾

[An-Naml (The Ant): 44]

This is a part of what is mentioned in the Glorious Qur'an concerning the queen Belqis. The Saba'ian traces confirmed these facts as we'll discuss later.

I don't think that a sound-judging researcher sees clear evidence before him, then denies. If the researcher is a Muslim, familiar with the story in Qur'an and what has been mentioned by historians in reliable books and makes sure of the recorded inscriptions centuries ago, he won't leave this matter undecided.

However, we see the researcher mentioning this Islamic story and describes it as an Arabic narration to compare it to a legend claiming that an Ethiopian queen came from Africa to Juraslem to visit Sulayman. In brief, this story, as narrated historically by the researcher, which is not confounded with illusional imagination, says: " The queen of Ethiopia was of a fascinating beauty. She heard from the sailors who come to Jerusalem about Sulayman's wisdom and great sovereignty. Her unbelievable fortune, strong camels and spacious ships enabled her to establish a great fleet which motivated her to pay a visit to Sulayman, taking astonishing horses mules and camels loaded with fancy presents. Sulayman welcomed her greatly and assigned a special suite in his palace to be accommodated for her. He kept visiting her a lot and talking about Allah's blessings, as Allah endowed him with the language of birds, controlling wind, and subjected to him the Jinn and Satans to build his temple, then he married her off and she brought a child called Manyalik. When he reached maturity of age and learned wisdom from his father, he returned to Abyssinia to assume power following the death of his mother. Out of his offspring, the ruling dynasty came in Abyssinia. It was stated in the

have the decisive evidence from the established traces, inscribed on walls, where the consecutive times couldn't erase their realities in conformity with the Book of Allah. We state that for the non-Muslims hesitating in belief.

But the Muslim researcher has no room for waiting an old trace to be found, since he certainly knows that the Book of Allah is:

﴿Untruth does not come up to it before it nor from behind it; a successive sending down from (One) Ever-Wise, Ever-Praiseworthy.﴾ [Fussilat (Expounded): 42]

We all know that Saba' is a Yemeni kingdom from merry Arab countries, its queen visited Sulayman, may the peace of Allah be upon him, as Allah mentioned their story in the Glorious Qur'an. In this story, the sequence of events started from the absence of the hoopoe when Sulayman reviewed the birds, then he threatened it, but the absent bird brought a new tiding from Saba' where the hoopoe saw a woman ruling people and she has been brought much of every thing, but she as her people worshipping the sun apart from Allah. This is the matter in which Sulayman was interested so he sent a book to her calling her to come to his kingdom as a Muslim and by accord. The queen, Belqis, wasn't despotic or tyrannical as she gathered her people for telling them: "In no way have I affirmed a command until you bear witness".

It is, of course, apparent that they'll show their willingness for defense, but the judicious woman favored peace, so she sent a precious present to the prudent king. She supposed that her present will prevent dissention and dispute, but Sulayman persisted on releasing Saba' from polytheism and he threatened and menaced them with troops they can't face. As a result, she complied with his will and attended to see and listen to what proved her errancy, as she said:

Islam, sublime and dignified. Their selected commerce – upon faith in it and belief in its acquirements – won when Allah, glory be to Him, said: **"O you who have believed, shall I indicate to you a commerce that shall deliver you from a painful torment? You believe in Allah and His Messenger, and strive in the way of Allah with your riches and your selves. That is most charitable for you, in case you knew".**

[As-Saff (The Ranks): 10-11].

The Qur'anic Text Is The Decisive Criterion

By: Dr. M. R. Al-Baiomi.

﴿Yet he stayed (a while) without being far away, then said, "I have encompassed that which you haven't encompassed, and I have come from Saba to you with a tiding of certitude﴾. **[An-Naml (The Ant): 22]**

We read some historical studies related to the Book of Allah, where the Qura'n talked about its purport in unquestionable decisive logic. You never find anything indicating that the researcher did his best to clarify the fact as it is mentioned in the Noble Qur'an, regardless of his being an Arab Muslim, and mention various narrations in contrary to what is mentioned in the Glorious Qur'an. Not only did he leave the question undecided, but also leave the reader at confusion, unaware of any way he follows due to his lack of a sufficient amount of the Islamic immunity to encounter these imaginary delusions. You will be perplexed regarding accounting for this dubious method as it is true that following people bearing grudge against Islam will expose what they are doing of swindle. What is denied by the method of fair researched is writing the historical researches that are certainly related to the Texts of the Qur'an, then to remove the results, or wrench the introductions to leave the reader at confusion.

We never knew of a text contradictory to the explicit truth to consider as a cause to deliberately evade from making the Qur'anic Text the only preponderant evidence, especially if we

﴿Say, "Surely I am only a mortal the like of you: It is revealed to me that surely your God is only One God. So whosoever hopes for the meeting with his Lord, then let him do righteous deed (s), and not associate anyone in the worship of his Lord.﴾ **[Al-kahf (The Cave): 110]**

The Messenger's Humanity

By Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, was a practical application to the principles of Islam. He was a human Messenger who eats food, walks in markets and liable to anything that might occur to mankind; sometimes sad and sometimes happy, healthy or ill. He was never proud when his army gained victory nor disparate when defeated. Moreover, he was forgiving and merciful when people were subjugated to him. He, may the blessing and peace of Allah be upon him, was never proud to claim that he was far beyond being a human nor resorted to overtransggression; destroys and tyrannizes. Furthermore, he never assumed a role not drawn up to him, which is obviously reflected when he joined the Highest Companion as some of the companions were astonished upon his death as they believed that he was immortal and far reach from death. The truth came in Abu Bakr's words as he said: ***"Whoever worships Muhammad, Muhammad is dead and whoever worships Allah, Allah is Ever-Living".*** Some one came to the Prophet and was terror-stricken owing to his great character, may the blessing and peace of Allah be upon him. The prophet said: "Take it easy, brother, I'm just the son of a woman used to eat jerked meat in Mecca".

The Messenger knew very well his status and taught this to his companions; he commanded them not to distinguish him from anyone of them as he said: "Don't stand when I come like the non-Arabs do". For the above mentioned, the call came void of the causes of polytheism and was far from the ideological exaggeration and deviation. The Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, first extended his call to his kinsmen the nearest kin and surrounding neighbors. He did not intend to exploit class divisions, political motives or economical conditions, but he focused on calling the polytheist, then he undertook whoever responded to his call by education and teaching, so he was the cause behind the graduation of men like the lofty steady proud mountains who loved Allah and Allah loved them. They established the nation of

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadah Alula 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
August 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

● الازدواج النفسى فى حياة الفرد (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٦٧٤
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٨٠
● السنة: الرهن
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٦٨٥
● هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦٩٠
● الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستدمار والنفاق
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم عويس ٦٩٩
● لماذا كان القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٧٠٣
● مواقف إسلامية
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠٩
● الوسط فى الميزان الخلقى لدى المسلم
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٧١٨
● ابن شهاب الزهرى
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ٧٢٢
● اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)
للدكتور/ محمد عمارة ٧٢٨
● الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٧٣٤
● كتــاب الشـــهر:
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د/ إبراهيم عوضين ٧٣٨
● قصة العدد: مصرع ابن القاسم
بقلم/ عابر سبيل ٧٤٧
● بين الشرق والغرب (قصيدة)
للشاعر الأستاذ/ محمود الخفيف ٧٥٥
● عداوة أمريكا وصداقتها (١)
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٧٦٠
● الجيتــــو
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٧٦٩
● القوى الدينية فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٧٧٤
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٧٨
● الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٧٨٠
● الإسلام.. والحياة
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى ٧٨٤
● حكمة الإسلام فيما حرم من الطعام
للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ٧٨٨
● الاهتمام بأدب الطفل فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم يونس ٧٩٣
● سبحانك بديع السموات والأرض
للدكتور/ على أحمد على ٧٩٧
● رســـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٨٠٤
● الخطابة المثالية فى مرآة النقد
للأستاذ الدكتور/ أحمد حنطور ٨٠٩
● خطـــبة الجمـــعة
الإسلام ضد الإرهاب
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٨١٤
● اتقوا الله فى خير أجناد الأرض
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ٨١٨
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٨٢٢
● الجار.. حقوق وواجبات
للأستاذ/ مجدى بشير ٨٢٧
● بيـــن المجلـــة والقـــارىء
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٨٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٨٣٩
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٨٤٤
● القسم الإنجليزى ٨٦٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الإمام الأكبر
- الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم
  للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب
- هوامش على كلمة الدكتور / أسامة الباز
  لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
  للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى
- الأقلية العربية فى إسرائيل
  للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢م - الجزء السادس - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

مصر عرفت التوحيد

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

سورة يوسف: ٣٩، ٤٠

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾

غافر: ٣٤

«نشرنا من قبل ما يؤكد الرجوع إلى القرآن الكريم فى الحديث عن التاريخ، وهذا المقال ينحو هذا النحو، وقد نشر من قبل فى مجلة الهلال منذ سنوات عديدة فلقى اعتراضات كثيرة ممن صرّحوا بأن الآثار الفرعونية هى أهم وثيقة مهما خالفت القرآن، وهو كلام لا يصدر عن محقق ملتزم، لذلك أعيد نشرة ليعصف بكل ما توهموه من أراجيف»

حين كتب الأوربيون تاريخ مصر القديم، لم يدر بذهنهم أن يفكروا فيما جاء بالقرآن الكريم خاصاً بالعهد الفرعونى، ونحن لا نؤاخذهم على ذلك لأن كتاب الله ليس من مصادرهم المعتمدة، بل إن التوراة نفسها كانت بمنأى عن استشهادهم فى كثير مما يتعلق بسيرة موسى - عليه السلام - وقيامه بالدعوة إلى التوحيد فى وجه فرعون! وإنما نؤاخذ من كتبوا هذا التاريخ من المسلمين» ولم يفكروا بعض التفكير فى الرجوع إلى كتاب يعلمون أنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! ومن العجيب أنك تقرأ ما كتبه هؤلاء عن رمسيس الثانى وولده منفتاح فلا تجد إشارة إلى ما تضمنه كتاب الله بشأن موسى وفرعون، مع أن قصة موسى قد كررت فى سور كثيرة من سور القرآن حتى

ـــد من قبل إخناتون

أصبحت معروفة مشتهرة لدى العامة قبل الخاصة، وكل ما يتفضل به من ألفوا الكتب المدرسية لطلاب المدارس الثانوية أو المذكرات التاريخية لطلاب الجامعة أن يقولوا في جملة واحدة هذه العبارة، أو ما يدل عليها « ويقال إن هذا الفرعون كان فرعون موسى » أما ما فعل موسى حين قال لفرعون فيما حكى الله عنه حين قال جواباً عن سؤاله :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

سورة الشعراء ٢٣ إلى ٢٨

أما هذا القول في سورة الشعراء ونظائره الكثيرة في شتى السور القرآنية فلا يلتفت إليه مؤرخ مسلم يتحدث عن فرعون لتلاميذ مسلمين يؤمنون بالكتاب، ولايزنون به أطنان الكتب المستوردة من الأثريين مشرقا ومغربا! وما إلى موسى -- عليه السلام -- قصدت في هذا المقال ولكنى جعلته تكأه للحديث عن الوحدانية المنسوبة لإخناتون!

يوســـــف والتوحيـــــد

● لقد اشتهر بين الكاتبين جميعا،حتى كاد يعد من المسلمات البدهية أن إخناتون أول من دعا إلى التوحيد في مصر، وقد عد ذلك مصدر مباهاة بهذا الفرعون إذ اتجه إلى ما لم يخطر على بال سواه من قبل، وأنت تعلم أن الملك إخناتون كان من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، هذا ما أجمع عليه الأثريون شرقاًوغربا دون أن يختلف في ذلك أحد! كما تعلم

أن يوسف – عليه السلام – كان وزيراً لملك الهكسوس فى إحدى الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، وقد كان ملك الهكسوس لمصر مابين سنتى ١٧٢٠، ١٥٧٠ قبل الميلاد، وملك الأسرة الثامنة عشرة قد جاء بعد ذلك، فإذا كان يوسف – عليه السلام – قد عين وزيرا للمال فى مصر وقد هتف بالتوحيد الصريح قبل إخناتون بأمد طويل حين نطق بما عبرالله عنه عز وجل فى قوله:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

سورة يوسف ٣٩، ٤٠

ومن قبلها قال – عليه السلام – فيما رواه كتاب الله:

﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾

سورة يوسف ٣٨،٣٧

أقول إذا كان يوسف – عليه السلام – قد هتف بالتوحيد، وقال للملأ حوله:

﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ فكيف يكون إخناتون أول من دعا إلى التوحيد فى مصر؟

وقد جعل يوسف من دعائه المشتهر قوله:

﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

يوسف ١٠١

ألا تستوقف هذه النصوص ألباب من يكتبون تاريخ مصر فى عهدها البعيد؟

قد يقول قائل إن يوسف قد آمن بإله واحد فى مصر ولكنه لم يقم بالدعوة إليه، وهو قول مخطىء ينكره النص الصريح فى كتاب الله إذا جاء فى حوار مؤمن آل فرعون الذى سجلته سورة (المؤمن) ما يؤكد أن قوم فرعون يعلمون حقيقة يوسف ومجيئه بالبينات

داعياً إلى ربه، يقول الله عز وجل على لسان هذا المؤمن الشجاع مخاطبا فرعون المتغطرس وحاشيته الممالئة:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ المؤمن ٣٤

وإذن فالدعوة إلى التوحيد فى مصر قد سبقت إخناتون بأجيال وعلى الذين يكتبون تاريخ إخناتون أن يرجعوا إلى كتاب الله فيما يقولون، أوعلى الأقل، أن يذكروا رأى الاثريين مقارناً بما جاء فى القرآن، ليتركوا للقارىء حرية التمييز بين قول وقول، وإذا كان القارىء مسلما فلن يتردد فى تصديق كتاب الله! وكيف لا؟.

هذا ملحظ أول، أما الملحظ الثانى فهو البعد الشاسع بين دعوة إخناتون إلى التوحيد، ودعوة يوسف – عليه السلام – فى جوهرها الإيمانى الخالص، لأن توحيد يوسف كان اتجاها إلى فاطر السموات والأرض وحده دون أن يرمز إليه بأثر مادى، أما إخناتون فقد رمز إلى إلهه بالشمس وجعلها وحدها المسيطرة على الكون فتوحيده «وثنى مادى» وقد يأتى من الملوك من يبحث عن كائن آخر يكون فى نظره أعظم خطراً من الشمس فيجعله إلها ويترك الشمس! وإذن فقد انتفى التوحيد البرىء فى دعوة إخناتون، واحتاج مذهبه الوثنى إلى تصحيح! وهو بهذا التقهقر المتراجع يعتبر ارتداداً عن دعوة يوسف، وقد كانت شائعة زائعة بين المصريين حينئذ وامتدت شهرتها إلى بلاط فرعون، إذ لم يقل أحد «من الذين حضروا مجلس المؤمن الداعية من يوسف هذا؟ وماذا كانت دعوته؟ بل غشيهم السكوت؟

إن بعض المتآمرين من كتاب اليهود قد أفردوا الصحف للحديث عن «إخناتون» لا باعتباره سابقا عن وجود موسى كما هو الواقع المؤكد دون لبس ، بل باعتباره قد جاء بعده، وتأثر بدعوته إلى التوحيد فهتف بها فى مصر، وهذا ما كشفته مجلة الهلال حين نشرت مقالا تحت عنوان (إخناتون والصهيونية الثقافية» قال فيه كاتبه الأستاذ حمدى خضرى وفا بعد أن تحدث عن سرقة اليهود للتراث الفرعونى بشهادة الدكتور هنرى برستيد وايلمار من الغربيين وسليم حسن وأحمد بدوى من المصريين: قال الكاتب: وأنا أربأ بمثقفينا أن يكونوا أدوات طيعة فى خدمة الحركة الصهيونية الثقافية الحديثة فيعملوا بحسن نية أو باسم الاجتهاد التاريخى على ترسيخ النظريات الزائفة التى يحاول الصهاينة الجدد تأصيلها تاريخيا ومنها محاولة إثبات أن حكماء القدماء من المصريين ومنهم إخناتون هم الذين سطوا على التراث التوراتى لليهود، وذلك عن طريق إثبات أن وجود موسى التاريخى يسبق وجود كل حكماء المصريين ومنهم إخناتون» فإذا كنا نرى هذا

التزييف السافر لدعوة إخناتون ومحاولة انتمائها إلى التوراة التى نزلت بعده بأجيال، ألا يكون من الرد المقنع أن نقول إن التوحيد قد سبق إخناتون وموسى مما فى أرض مصر منذ هتف به نبى الله يوسف، ودعا إليه، وهو وزير الدولة الذى جعله الله قائما على خزائن الأرض يتبوأ منها حيث يشاء وقال له مليكه الهكسوسى

﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾

يوسف: ٥٤

وأنا أعلم أن من المؤرخين من أثبت أن إدريس – عليه السلام – كان مصريا، وقد جاء بالتوحيد الخالص، كما أن زيارة إبراهيم – عليه السلام – لمصر وهو مسلم موحد مما دون فى تاريخه، ولكنى أترك هذين النبيين الكريمين مع سبقهما الزمنى البعيد لأن القرآن لم يتحدث عن وجودهما بمصر وإن أثبتته المصادر الأخرى، ليكون الحديث مقصورا على ما جاء فى الذكر الحكيم. .مع احترامى لما جاء فى سنة رسولنا الكريم.

إيمـــــان آدم وأولاده

إن الذين يتحدثون عن نشأة الأديان فى الأرض يتخبطون فى عمياء حين ينكرون أن الإنسان الأول قد نشأ موحدا مؤمنا، وأن آدم وأولاده قد سكنوا الأرض موحدين مؤمنين بفاطر السموات والأرض وموقنين بالثواب والعقاب وفقا للعمل الصالح والسيىء، وقد قال هابيل لأخيه:

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

سورة المائدة ٢٨، ٢٩

وإذن فالعصور الأولى كانت مؤمنة موحدة، ثم طغت الأوهام، وغلبت الخرافات، فجعلت الرسل تتوالى لهداية الناس ورجوعهم إلى الدين الصحيح، ينكر الذين يتحدثون عن نشأة الأديان من الماديين هذه المقررات التى تتفق مع الفطرة الإنسانية المنجذبة تلقائيا إلى الإيمان بخالق رازق محيى مميت، ويتلمسون الأوهام المتخيلة لإيجاد أدوار متصلة تترقى فيها العقيدة من طور إلى طور، فالإنسان القديم فى منطقهم– مصرياً أو غير مصرى– قد اضطر إلى تأليه ظواهر الطبيعة من شمس ومطر ونجوم، حين وجدها مصدر الرزق كما اضطر فى ظرف آخر إلى تأليه البرق والرعد والنار حين وجدها مصدر الرعب، حتى انتهى الأمر فى عصر إخناتون إلى عبادة الشمس باعتبارها كيانا واسع النفوذ رغبة ورهبة.

رغبة، حين تبعث الدفء وتنمى الثمر والزرع، ورهبة حين ترسل شواظها الحارق فيشوى الجسوم هكذا يلفق الذهن البشرى أوهامه المتخيلة دون سند صحيح، غير الاعتزاز بالجحود المطلق لأراء الدين الصحيح ولنا أن نقول لهؤلاء الذين يرسمون الحلقات المتتابعة لتسلسل الآلهة الكونية؟ إنكم تجمعون على أنكم لاتعلمون شيئا من أحوال الإنسان قبل أن يهتدى إلى الكتابة بالرموز، وقد اهتدى إليها خلال القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، فماذا كان دينه قبل هذا الاهتداء فى عصور لا تعلمون عن عبادتها قليلا أو كثيرا باعترافكم الصريح! لقد قرأتم المدونات على سطوح الرق والبردى وكسر الحجارة الرقيقة، فدلت على تعدد الآلهه ! وهذا لا ينكره احد، لأن اختلاف الأفكار وسيطرة الأوهام بتوالى العصور أدى إلى الوثنية، ولذلك جاءت الرسل لتنقذ الإنسانية من ضلالها المبين، وقد قال الله – عز وجل – فى تأكيد ذلك:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

سورة البقرة ٢١٣

والواضح الصريح من هذا النص الكريم أن الناس فى نشأتهم الأولى كانوا أمة واحدة فى الإيمان، ثم اختلفوا فبعث الله الرسل لهدايتهم، وما اختلف من هؤلاء غير أولى البغى مع وضوح البينة، فضلوا وأضلوا، ولكن الله هدى المؤمنين إلى الصواب، ولك أن تواجه هؤلاء المنكرين لحقيقة الإنسان الأول المتشبعة بالإيمان بهذا السؤال: لماذا كان البعث الأخروى والثواب والعقاب عقيدة خالصة بنيت بتأثيرها الأهرام، وكيف نبتت فكرة الخلود فى مصر إذا كانت لم تتصل من قبل بدين سماوى كان الناس فى اتباعه أمة واحدة؟ إن الذين شيدوا الآثار والمعابد، ونحتوا أبا الهول من الصخر، وأنشأوا النظم الدقيقة فى التحنيط وحفظ الأجساد، وصيانة المأكل والمشارب فى المقابر لتصلح للغذاء بعد النشور لم يفعلوا ذلك دون تأثير من وحى إلهى، ومن إله واحد، أفكانت الشمس والرعد والبرق والنار مما يصلح أن يكون مصدراً لتأكيد فكرة الثواب والعقاب، والخلود الدائم فى حياة بعد هذه الحياة، هذا ما لا يكون؟

على أن أصحاب هذا المنحى التطورى فى نشأة العقيدة الدينية ليسوا وحدهم الذين تذرعوا بأساليب البحث العلمى ليصلوا إلى ما يريدونه من النتائج فبإزائهم

ماكس موللر

فريد وجدى

نفر من أئمة البحث العلمى قد تحدثوا عن الفطرة الأولى ذات الإلهام الدينى الصحيح بما يدحض آراء معارضيهم عن إقناع تؤيده الحجة، ويسنده البرهان، يقول الأستاذ العلامه محمد فريد وجدى بهذا الصدد:

أما أن الأمم فى دور طفولتها لا تستطيع بحكم قصورها العقلى أن تدرك وحدة الذات الإلهيه وأنه لا محيص من أن تمضى فى أول أدوارها الوثنية،فهذا القول سقط عن المرتبة العلمية بعد أن أثبت الأستاذ الألمانى الكبير (ماكس موللر) عمدة الباحثين فى الأديان البشرية القديمة ومناشئها وتطورها، أن الناس كانوا فى أول عهودهم موحدين للذات الإلهيه لا معددين للآلهه، عاشوا على ذلك التوحيد دهرا طويلا، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين، فقد سولوا لهم تعدد الآلهه ليسهل قيادهم فى أيديهم، وليصرفوهم فيما يشتهرون، ويرتفعوا فى نظرهم إلى مرتبة خزنة الأسرار الإلهيه، ومهبط العلوم العلوية ثم قال الأستاذ وجدى - رحمه الله - هذا رأى العالم اليوم، والأستاذ ماكس موللر، لا هو من رجال الدين، ولا من العلماء الاعتقاديين، وإنما هو بحاثة فى تاريخ الأديان القديمة ومناشئها، وقد وقف على هذا الاكتشاف الأثرى الخطير من طريق تتبع سلسلة الأديان، بالاعتماد على الآثار والنقوش والكتابات، لا من طريق التوهم والظن». ولنا أن نقول بعد هذا: إن مصر قد عرفت التوحيد فى عصورها الأولى قبل زمن الأسر الفرعونية ثم طغى الضلال على فريق من الكهنة فضلوا وأضلوا... وجاء من دعاهم من الأنبياء إلى عبادة الله وحده، ومنهم يوسف بن يعقوب الذى امتد صيته الدينى إلى ما بعد عصره فعرفه إخناتون وعرفه أصحاب فرعون حين ذكرهم به هذا المؤمن الصريح! فهل لا تزال تردد فى مناسبة وغير مناسبة أن إخناتون كان أول داعية بمصر للتوحيد؟

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله – تعالى :

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ
(٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة : ٢٣٨ – ٢٣٩

أورد القرآن آيتين كريمتين تأمران بالمحافظة على الصلاة وبالمداومة على طاعة الله والملازمة لذكره ولعل السر فى توسط هاتين الآيتين بين آيات الأحكام التى تحدثت عن الطلاق، والعدة والرضاع والخطبة.. إلخ، لعل السر فى ذلك أن هذه الأمور كثيراً ما تكون مثار تنازع وتخاصم وتقاطع بين الناس، فأراد القرآن بطريقته الحكيمة، وبأسلوبه المؤثر أن يقول للناس: إن محافظتكم على الصلاة، ومداومتكم على طاعة الله وذكره كل ذلك سيعرض فى نفوسكم المراقبة له – سبحانه –، والخشية من عقابه، وسيعينكم على أن تحلوا قضاياكم التى تتعلق بالطلاق وغيره بالعدل والإحسان والتسامح والتعاطف، لأن من

حافظ على فرائض الله وأوامره، انصرفت نفسه عن ظلم الناس، وعاملهم معاملة كريمة حسنة. وقد بين القرآن فى كثير من آياته أن المحافظة على الصلاة بخشوع وخضوع لله - تعالى - وأن المداومة على ذكره، والملازمة لطاعته كل ذلك من شأنه أن يمنع الإنسان من الوقوع فيما نهى الله عنه، قال - تعالى -:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(١).

وقال - تعالى -:

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾(٢).

وقال - تعالى -:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٣)

فكأن الله - تعالى - يقول للناس: لقد أمرتكم بالمحافظة على الصلاة، وبالمداومة على طاعتى وذكرى خلال حديثى عن أحكام كثيراً ما تكون هذه الأحكام مثار تنازع بينكم، وذلك لكى تحلوا التسامح والتواصل والتقارب محل التشاحن والتدابر والتجافى، لأن من شأن المحافظة على هذه العبادات، أن تهدى إلى أكمل الأخلاق والصفات.

فسبحان من هذا كلامه، ومن تلك إرشاداته وتوجيهاته ووصاياه.

وقوله - تعالى -: ﴿ حَٰفِظُوا۟ ﴾ من الحفظ بمعنى ضبط الشىء، وصيانته عن كل تضييع، وهو خلاف النسيان. والخطاب لجميع المكلفين من أفراد الأمة.

والمعنى: حافظوا يامعشر المسلمين والمسلمات على أداء الصلوات فى أوقاتها بخشوع وخضوع وإخلاص لله رب العالمين، وحافظوا بصفة خاصة على الصلاة الوسطى، لما لها من منزلة سامية، ومكانة عالية.

فقد أمر الله - تعالى - عباده بالمحافظة على الصلوات بصفة عامة، وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر تفخيماً لشأنها، وإعلاء لقدرها من بين أفراد جنسها. والمسلم يكون محافظاً على الصلاة إذا أداها فى وقتها مستوفية لآدابها وسننها وشرائعها وخشوعها وكل ما يتعلق بها، أما إذا قصر فى شىء من ذلك فإنه لا يكون محافظاً عليها تلك المحافظة التامة التى أمر الله بها.

وفى قوله - تعالى -: ﴿ حَٰفِظُوا۟ ﴾ تنبيه إلى أن الصلاة فى ذاتها شىء نفيس ثمين تجب المحافظة عليه، لأن هذه الكلمة تدل على

---

(١) العنكبوت «٤٥».
(٢) البقرة «٤٥».
(٣) هود ١١٤.

الصيانة والضبط بجانب دلالتها على الأداء والإقامة والمداومة.

قال الإمام الرازى: وقوله: ﴿حَٰفِظُواْ﴾ بصيغة المفاعلة التى تكون بين اثنين. للدلالة على أن هذه المحافظة تكون بين العبد والرب. فكأنه قيل: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذى أمرك بها. وهذا كقوله:

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ وفى الحديث «احفظ الله يحفظك»[(٤)]. أو أن تكون المحافظة بين المصلى والصلاة. فكأنه قيل: «احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة بمعنى أنها تحفظك من ارتكاب المعاصى، وتشفع لمصليها يوم القيامة»[(٥)].

وللعلماء أقوال فى المراد بالصلاة الوسطى التى أفردها الله – تعالى – من بين الصلوات فجمهور العلماء يرون أنها واحدة من بين الصلوات الخمس المفروضة، وأن الوسطى مؤنث الأوسط أى الشيء المتوسط بين شيئين، فالصلاة الوسطى هى الصلاة المتوسطة بين صلاتين إلا أنهم اختلفوا فى تعيينها.

فأكثر العلماء على أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، لأنها تقع فى وسط الصلوات الخمس، إذ قبلها اثنتان وبعدها اثنتان، ولأنها وسط بين صلاتى النهار، وصلاتى الليل، فمعنى التوسط فيها واضح، ولأنها مظنة التقصير لمجيئها بعد وقت الظهيرة الذى يكون فى الغالب وقت كسل.

وفضلاً عن ذلك فقد صرحت بعض الأحاديث بأنها صلاة العصر، وقد ساق الإمام ابن كثير عدداً من هذه الأحاديث ومنها ما جاء فى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى «صلاة العصر» ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً»، ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء، وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر».

وقد خصت صلاة العصر بمزيد من التأكيد، وبالأمر بالمحافظة عليها، وبالتحذير من التقصير فيها، مما يشهد بأنها هى الصلاة الوسطى، فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أى: سلب من أهله وماله فبقى وحيداً بدونهما.

وقال بعضهم المراد بالصلاة الوسطى «صلاة الصبح»، وقيل صلاة الظهر، وقيل صلاة المغرب، وقيل العشاء، وقيل الجمعة، وقيل غير ذلك من الأقوال التى لا تبلغ فى قوتها مبلغ قول القائلين بأنها صلاة العصر، ولذا قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال فيها

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده (١/٢٩٣، ٣٠٧).

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ٦ ص ١٥٧. بتلخيص.

ضعف بالنسبة إلى التى قبلها، ومعترك النزاع فى الصبح والعصر، وقد أثبتت السنة أنها العصر فتعين المصير إليها - أى إلى أن المراد بالصلاة الوسطى « صلاة العصر »(٦).

ومن العلماء من اتجه فى بيان المراد من الصلاة الوسطى اتجاهاً آخر فهو يرى أن المراد بالصلاة الوسطى « الصلوات كلها »، وأن الوسطى ليست بمعنى المتوسطة بين صلاتين، وإنما هى بمعنى الفضلى لأن وسط الشىء خياره وأعدله وأفضله فالمقصود بها فعلها أو أداؤها بطريقة سليمة كاملة. والمعنى على هذا الرأى: حافظوا يامعشر المسلمين على الصلوات كلها، وحافظوا على أن يكون أداؤكم لها بطريقة وسطى أى فاضلة بأن تؤدوها فى أوقاتها كاملة الأركان والسنن والآداب والخشوع.

قال ابن كثير: « وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر وفى صحته نظر. والعجب أن هذا القول قد اختاره الشيخ أبوعمر بن عبدالبر إمام ما وراء البحر، وإنها لإحدى الكبر، إذ اختار مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر».

ومن العلماء المحدثين الذين استحسنوا هذا الرأى الشيخ محمد عبده - رحمه الله - فقد قال: « ولولا أنهم اتفقوا على أنها - أى الصلاة الوسطى - إحدى الخمس لكان يتبادر إلى فهمى من قوله: « الصلاة الوسطى » أن المراد بالصلاة الفعل وبالوسطى الفضلى أى: حافظوا على أنواع الصلاة وهى الصلاة التى يحضر فيها القلب وتتوجه بها النفس إلى الله - تعالى - وتخشع لذكره، وتدبر كلامه لا صلاة المرائين ولا الغافلين »(٧).

والذى نراه أن ما عليه الجمهور من أن الصلاة الوسطى هى واحدة من بين الصلوات الخمس، وأنها صلاة العصر هو أقوى الآراء، لأنه - أولاً - يتفق مع أصحاب الاتجاه الثانى الذين يقولون بأن أداء الصلاة يجب أن يكون بطريقة تامة الأركان والسنن والخشوع وما قال أحد منهم بأن تحديدها بصلاة العصر ينفى أداء بقية الفرائض بكمال واطمئنان. ولأنه - ثانياً - قد امتاز عن رأى أصحاب الاتجاه الثانى بأنه أعمل النص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ بأن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، ولا شك أن إعمال النص أولى من إهماله أو من تأويله تأويلاً ضعيفاً.

وقوله: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ مؤكداً لما قبله من المحافظة على أداء الصلاة. والقنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع والخشوع. أى قوموا فى الصلاة مطيعين لله - تعالى - مؤيدين لها

(٦) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٩١ وما بعدها.

(٧) تفسير المنار جـ٢ ص ٤٣٨.

على وجهها الكامل فى خشوع وخضوع واطمئنان.

والفاء فى قوله:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ للتفريع أى: حافظوا على الصلاة فى كل وقت، وأدوها بخشوع واطمئنان، فإن كان بكم خوف من عدو فى حال المقاتلة فى الحرب أو من غيره لسبب من الأسباب، فصلوا راجلين أى ماشين على الأقدام، أو راكبين على ركائبكم بإيماء، سواء وليتم وجوهكم شطر القبلة أولا.

و(رجالاً) جمع راجل. وهو القوى على المشى برجليه. يقال: رجل الإنسان يرجل رجلاً إذا لم يجد ما يركبه ومشى على قدميه، والركبان جمع راكب للجمل أو الفرس أو غيرهما.

وجواب الشرط محذوف والتقدير: فإن خفتم فصلوا راجلين أو راكبين، وهذان اللفظان أى - رجالاً أو ركباناً - حالان من الضمير فى «فصلوا» المحذوف.

والآية الكريمة تدل على شدة عناية الإسلام بشأن الصلاة، فقد أمر الله - تعالى - عباده بأن يحافظوا عليها فى حالتى الأمن والخوف، والصحة والمرض، والسفر والإقامة.

وقد بسط هذا المعنى الأستاذ الإمام محمد عبده فقال ما ملخصه: وقوله - تعالى-:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ هذا تأكيد للمحافظة على الصلاة، وبيان أنها لا تسقط بحال، لأن حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر فى الترك كما يكون السفر عذراً فى ترك الصيام.. والسبب فى عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبى، وإنما فرضت تلك الأعمال الظاهرة لأنها مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات، وهو تذكر سلطان الله - تعالى - المستولى علينا وعلى العالم كله، ومن شأن الإنسان إذا أراد عملاً قلبياً يجمع فيه الذكر أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل.

ولا ريب أن هذه الهيأة التى اختارها الله - تعالى - للصلاة هى أفضل معين على استحضار سلطانه فإن قولك «الله أكبر» فى فاتحة الصلاة وعند الانتقال فيها من عمل إلى عمل يعطيك من الشعور بكون الله أكبر وأعظم من كل شىء ما يغمر روحك، ويستولى على إرادتك.. وكذلك الشأن فى سائر أعمال الصلاة.

فإذا تعذر عليك الإتيان ببعض تلك الأعمال البدنية، فإن ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية التى هى روح الصلاة وغيرها، وهى الإقبال على الله - تعالى - واستحضار سلطانه، مع الإشارة إلى تلك الأعمال بقدر الإمكان الذى لا يمنع من مدافعة الخوف الطارىء من سبع مفترس، أو عدو مغتال، أو لص محتال.. فالآية تعلمنا أنه يجب أن لا

يذهلنا عن الله شيء في حال من الأحوال . . »[8].

وقال الإمام ابن العربي : قوله – تعالى – :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أمر الله – تعالى – بالمحافظة على الصلاة في كل حال من صحة ومرض، وحضر وسفر، وقدرة وعجز، وخوف وأمن، لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يتطرق إلى فرضيتها اختلال . وقد قال ﷺ : « صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب »[9].

والمقصود من ذلك أن تفعل الصلاة كيفما أمكن، لا تسقط بحال حتى لو لم يتفق فعلها إلا بالإشارة بالعين للزم فعلها كذلك إذا لم يقدر على حركة سائر الجوارح، وبهذا المعنى تميزت عن سائر العبادات، فإن العبادات كلها تسقط بالأعذار، ولذلك قال علماؤنا : إن تارك الصلاة يقتل، لأنها أشبهت الإيمان الذي لا يسقط بحال، ولا تجوز النيابة فيها ببدن ولا مال »[10].

ثم قال – تعالى – :

﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

أي فإذا زال خوفكم وصرتم آمنين مطمئنين، « فاذكروا الله » أي فأدوا الصلاة تامة كاملة مثل ما علمكم إياها ربكم على لسان نبيكم ﷺ وقد منَّ الله – تعالى – عليكم بهذا التعليم الذي كنتم تجهلونه فضلاً منه وكرماً .

وعبر – سبحانه – « بإن » المفيدة للشك في حالة الخوف، وبإذا المفيدة للتحقيق في حالة الأمن، للإشعار بأن حالة الأمن هي الحالة الكثيرة الثابتة، وأن حالة الخوف هي الحالة القليلة الطارئة، وفي ذلك فضل جزيل من الله – تعالى – على عباده يحملهم على شكره وطاعته، حيث وهبهم الأمان والاطمئنان في أغلب أوقات حياتهم .

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد أمرتا المسلم بأن يحافظ على الصلاة محافظة تامة، إذ في هذه المحافظة سعادة للإنسان، ودافع له على أداء الحقوق لأربابها، وزاجر له عن اقتراف . ما نهى الله عنه .

« يتبع »

***

(8) تفسير المنار جـ2 ص 443 .

(9) أخرجه أبو داود (952).

(10) أحكام القرآن لابن العربي جـ1 ص 227 .

الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

لا مراء فى كون القرآن الكريم معجزاً، هذا ما اجتمعت عليه كلمة علماء البيان العرب قدامهم ومحدثيهم. ولكنهم تماروا قليلاً أو كثيراً فى تحديد القدر المعجز من القرآن الكريم؛ أيتحقق الإعجاز بسورة كاملة؟ أم بآية؟ أم بكلمة؟ أم بحرف؟ أم أن الإعجاز لا يتحقق إلا بالقرآن كاملاً أو بعشر سور منه؟ ومرد هذا الخلاف إلى تلك الآيات التى أنزلت فى مناسبات مختلفة تحدياً لأولئك المشركين الألداء الذين تصدوا للدعوة الإسلامية فى مهدها وزعموا أن بإمكانهم أن يأتوا بمثل

وعلى مر القرون منذ بدأ التأليف العربى فى العلوم اللغوية والشرعية، جهد العلماء كثيراً فى استنباط وجوه للإعجاز متعددة حتى وقفت مباحثهم فى عصرنا الحاضر عند حدود الإعجاز العلمى، وهاهم أولاء يحاولون الآن مسايرة التقدم البحثى فى علوم الحاسوب فيدرسون (الإعجاز الرقمى).

غير أن المتتبع لمباحث الإعجاز على مر تلك القرون يلحظ ملحظاً مهما جديراً بالنظر: ألا وهو خلو تلك المباحث من مجال لم يكن للتأليف العربى به عهد فى عصوره الزاهية القديمة. ونعنى به الجانب التربوى وما ذلك إلا لأن العرب لم يكونوا ينظرون إلى (التربية) بوصفها علماً مستقلاً كما هو الحال الآن بفعل شيوع فكر التخصص وتفتيت العلوم. فقد كان شأن التربية فى مفهوم العرب القدماء شأناً عاماً، إذ كان ينظر إليها فى سياق الأخلاق الاجتماعية التى لم تكن تعلم (بضم التاء وتشديد اللام المفتوحة) وإنما كانت تمارس (بضم التاء وفتح الراء) فى الحياة بصورة فطرية أو مكتسبة حسب نوعيتها.

ومن ثم، كان العرب يستخدمون لفظ (التأديب) ومشتقاته بديلاً لما نعنيه فى لغتنا العصرية بلفظ (التربية). وقد جاء الذكر الحكيم باللفظ الثانى فى قوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1].

وجاء فى حديث ضعيف لفظ (التأديب) بمعنى (التربية والتنشئة) وبذلك يكون اللفظان قرينين فى الدلالة على توجيه السلوك الإنسانى

(١) الإسراء «٢٤».

الوجهة المقبولة. أما (التربية) فلم تعرف بوصفها علماً مستقلاً إلا فى العصور الحديثة. وكانت لأول عهدها مقصورة على ما يعرف الآن بطرائق التدريس والوسائل التعليمية. فكانت تدرس فى القرن التاسع عشر الميلادى بهذه المثابة فى معاهد إعداد المعلمين أى بوصفها مادة مساعدة على فهم ما يدرس للناشئة من مواد تعليمية. ثم اتسع نطاقها وتولدت عنها علوم مختلفة حتى أصبحت تضم فى الوقت الراهن عديداً من التخصصات منها: الأصول الاجتماعية للتربية، والأصول الفلسفية للتربية، والتربية المقارنة، والإدارة التعليمية، والمناهج، وطرائق التدريس، والوسائل التعليمية، والصحة النفسية، وعلم نفس النمو، والإرشاد النفسى، والفروق الفردية وتعليم الكبار، وعلم النفس التربوى وقد أدى الولع بالتفريع والإسراف فى الفصل بين التخصصات بالتربية- شأن غيرها من العلوم- إلى المبالغة فى التعمق فى تلك الفروع المتقاربة حتى أصبح للبحث التربوى مناهجه الخاصة، التى باعدت نسبياً بينه وبين شقائقه من العلوم الإنسانية المساعدة كعلوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة وعلم النفس والتاريخ من جهة، وحولت بعض بحوثه من جهة أخرى إلى طلاسم تعنى بأخص المختص وأدق الدقيق من جزئيات العملية التربوية، بحيث أصبحت فنيات التعليم- بمعنى التدريس- هى الشغل الشاغل للبحوث التربوية، العصرية وتراجعت المفاهيم المرتبطة بمعانى التربية الخلقية (التأديب والتهذيب) بصورة ملحوظة.

الإعجاز التربوى فى القرآن

وإذا كان العقل والوجدان العربى والمسلم قد استساغا أوجه الإعجاز المتعددة للقرآن الكريم، لاسيما إعجازه العلمى، فلا بد من بذل الجهد لتلمس مظاهر وآفاق الإعجاز التربوى للقرآن الكريم. ولا يتأتى ذلك بعقد الموازنات بين نظريات التربية الحديثة وما ورد فى القرآن الكريم من قيم تربوية. فهذا خطل فى التفكير، وخطأ فى النظر وقع فيه الكثيرون من الباحثين التربويين العصريين الذين غلبتهم الحماسة، وحركتهم النيات الحسنة. فشتان بين ما جاء به بشر مغموزو السيرة، شائنو السلوك من أمثال جان جاك روسو، وجون ديوى، ووليم جيمس وغيرهم ممن يلوك ناشئتنا فى كليات ومعاهد التربية أسماءهم منذ سبعين عاماً ويفتنون بما قاءت قرائحهم المريضة، أقول؛ شتان بين هذا الغثاء الغث، وبين ما احتواه الذكر الحكيم من سمو فى التوجيه، وروعة فى الأداء تبلغ حد ما أسماه القدامى بالإعجاز.

وفى رأينا أن التربية القرآنية- بما هى تنزيل من عليم خبير- تمتاز بالإعجاز على مستوى الجملة، والآية بل والكلمة الواحدة.

الإعجاز التربوى بالكلمة

إن اختيار كلمة بعينها- دون سواها- فى سياق آية تشريعية أو قصصية قد يحمل فى تضاعيفه كنوزاً من قيم التربية الإلهية السامية فمن ذلك مثلاً كلمة ﴿ تَجِدُوا ﴾ فى قوله تعالى:

---

(٢) النور «٢٨».

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا ﴾(٢)

كان من الممكن أن يستعمل القرآن الكريم بدلاً منها كلمة أخرى مثل (فإن لم يكن) غير أن هذا الاستخدام يغلب عليه الجمود ولا دور للمخاطب فيه. أما استخدام فعل يكون المخاطب هو فاعله مثل ﴿ تَجِدُوا ﴾ ففيه حركة وفاعلية. والمقام مقام تهذيب وتأديب وتعليم أحكام شرعية تتعلق بالزيارات- فإشراك المخاطب وهو فى حال التعلم- فى العملية التعليمية هو غاية ما انتهت إليه نظريات التعلم التى تدرس الآن فى كليات التربية.

فانظر إلى إعجاز القرآن الكريم: كيف أدى هذا المعنى بعفوية تعبيرية رائعة فى سياق أفعال مضارعة تراوحت بين النفى:

﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا ﴾ - ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾

والإثبات ﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾(٣) ﴿ وَتُسَلِّمُوا ﴾(٤)

وجميعها مسندة إلى المخاطب المعبر عنه هنا بواو الجماعة لأن الخطاب موجه إلى جماعة الذين آمنوا فى مطلع الآية. وهو- من الوجهة الشرعية- يخاطب به كل فرد من المؤمنين على سبيل الإلزام.

ووجه آخر للإعجاز التربوى فى هذه الكلمة ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾ يتجلى فى أن البيوت المقصودة بالأمر الإلهى هى البيوت المأهولة- عادة- بالسكان الذين لا يبرحونها إلا لضرورة. وعلى ذلك فإن معنى ﴿ لَّمْ تَجِدُوا ﴾ قد يتسع ليشمل حالة ما اذا كان السكان موجودين بالفعل فى داخل البيت ولكن ظروفهم لا تسمح بالإذن للطارق أو أنهم لا يرغبون فى استقباله لأسباب تتعلق بهم أو به أو بالوقت الذى جاء فيه مستأذناً. وكل هذه المعانى لا يؤديها السياق لو كان نصه (فإن لم يكن بها أحد) أو (فإن لم يوجد بها أحد) مثلاً.

وقد ذهب الكاتبون فى التربية الحديثة ممن تخصصوا فى علوم الصحة النفسية وعلم النفس التربوى إلى أن تصويب السلوك الشائن الذى يبدر من المتعلم قد يتخذ صوراً مختلفة منها العقاب البدنى كالضرب والجلد ومنها العقاب النفسى كالحرمان والنبذ والإهمال، ولكنهم اتفقوا على أن الغاية من ذلك كله واحدة وهى: التنفير من السلوك الخاطئ ودفع المتعلم إلى نبذه والتخلص منه. ويعبرون عن ذلك بقولهم (خلق اتجاهات إيجابية نحو كذا أو كذا) وهو ما يسمى باللغة العربية السليمة (الترغيب والترهيب).

وفى القرآن الكريم أمثلة متعددة أدت فيها كلمة واحدة هذه الوظائف التربوية مجتمعة. ففى قوله تعالى:

﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾(٥).

---

(٣) النور «٢٧».

(٤) النور «٢٧».

(٥) التوبة «٣٨».

أدت كلمة: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ معاني: تقاعستم، تكاسلتم، قصرتم، تجاهلتم، وغيرها. إلا أن أيا من تلك الأثقال لم تحمل ما حمله الفعل (اثاقل) من معانى الخمول والخيبة والإخلاد إلى الأرض. فإذا استمع المسلم إلى هذه الآية تتلى عليه أقشعر بدنه وهو يتخيل صورة بعض القادرين على الجهاد المخاطبين به وهم يتثاقلون ويودون لو لم يسمعوا الأمر الإلهى الصارم بالجهاد فى سبيل الله. ففى الكلمة إعجاز تربوى بما توحيه- بحكم بنيتها الصرفية وقيمتها الدلالية- من ترغيب فى الجهاد وترهيب من القعود عنه. أو بلغة التربويين العصريين: بما تخلقه من اتجاهات إيجابية نحو الجهاد. واتجاهات سلبية نحو الكسل والخمول والخوف من لقاء العدو.

إن الشحنة النفسية المشبعة فى الفعل ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ تفعل فعلها فى التربية والتهذيب. فالكلمة- بذاتها- تحمل كل ما يمور فى النفس الإنسانية المحجمة عن الجهاد من خوف وتردد بين الإقدام طاعة لله، والإحجام حرصاً على الدنيا وحباً للحياة، وما يموج بداخل هذا الإنسان المتردد من صراع عنيف بين الرغبة فى تلبية الأمر، والإشفاق من نتائج هذه التلبية فما إن يهم هذا المتردد بالقيام حتى يتلبسه خوفه من الموت أو الأسر أو إشفاقه على أمواله وأسرته فيقعد به عن القيام وهكذا يتعالى الصراع النفسى الداخلى العنيف حتى يبين أثره لا فى وجهه المتردد فقط بل وفى يديه ورجليه وسائر بدنه حتى يبدو وكأنه عاجز عن القيام وما هو بعجز. كل تلك المعانى يؤديها القرآن الكريم بكلمة واحدة ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾.

ومثال آخر للدور التربوى المعجز الذى تقوم به الكلمة فى السياق القرآنى نجده فى قوله تعالى:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(٦).

فقد يظن المتعجل أن كلمة ﴿ بِأَفْوَاهِكُم ﴾ لم تضف جديداً بعد الفعل «تقولون» إذ القول لا يكون إلا بالأفواه. غير أن القارئ المتأنى الذى يقرأ القرآن بتدبر يرى أن هذه الكلمة أفادت فائدة عظمى إذ أوضحت أن ترديد الإشاعات- والآية خاصة بحادثة الإفك- إنما يكون فى غيبة العقل وغفلة القلب. فلا عمل فيه إلا للألسنة، ولو تدبر مروجو الإشاعات فيما يرددونه وأعملوا عقولهم لاستبان لهم فيما يقولون خطأ كبير أو مبالغة ممقوتة أو كذب أعرج.

والتربويون العصريون فى مباحثهم فى مجال فلسفة التربية عندما يتحدثون عن نظرية المعرفة، يحددون مصادر المعرفة فيجعلون منها (ما يقوله الآخرون- والعقل- والحواس- إلخ) ويتشككون كثيراً فى المعرفة التى لا تخضع للعقل لا سيما تلك التى ينقلها المتعلم عن الآخرين.

وقد أغنت هذه الكلمة (بأفواههم) غناء كبيراً فى هذا الصدد. وحفلت بكثير مما ينتاب مروجو الإشاعات من الغفلة والاستسهال وعدم التفكر فيما يمكن أن يصيبوا به الأبرياء من ألسنتهم ولو عقلوا ما يقولون لانتهوا عنه.

والله أعلم

---

(٦) النور «١٥».

السنة

كسب الحلال والحرام

لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(1)
وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾(2).
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» رواه مسلم والترمذى، ونقله الحافظ المنذرى.

(*) من مختارات مجلة الأزهر «رمضان ١٣٥٧هـ».

(١) المؤمنون «٥١». (٢) البقرة «١٧٢».

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه

(٢) بيان أن الرسل مكلفون بعمل الصالحات كغيرهم

(٣) ما المراد بالطيبات من الرزق؟

(٤) بيان أن أكل الحرام وشربه ولبسه يحول بين العبد وخالقه.

١ ـ أما معنى هذا الحديث إجمالا فهو أن رسول الله ﷺ يحث أمته على البر ومكارم الأخلاق، فى كل شأن من شئون هذه الحياة الدنيا. ومما لا ريب فيه أن خير البر وأنفعه للمجتمع الإنسانى هو أن يسلك كل فرد من الأفراد المكلفين سبيل العفة والعدل فى كل ملاذه وشهواته، فيتجافى فى مطعمه ومشربه وملبسه ووسائلها كل بغى وعدوان، فلا يأكل إلا حلالا، ولا يشرب إلا حلالا، ولا يستمتع إلا بالحلال.

وقد يخيل للإنسان أن ملاذ الحياة الدنيا ومطالبها كثيرة لا تنتهى إلى غاية ولا تقف عند حد، فيساق بعوامل هذه الملاذ إلى النضال الدائم والجهاد المستمر فى سبيل تحصيلها والوصول إلى أقصى حد ممكن منها، ولكن العاقل حقا إذا أمعن النظر فى شهوات هذه الحياة الدنيا وملاذها يجدها منحصرة فى دائرة ضيقة لا تستلزم الخروج عن السبل القويمة التى أمر الله عباده بسلوكها فى تحصيل هذه الشهوات، ولا تحتاج إلى ذلك الصراع الذى كثيرا ما يذهب بكرامة الإنسان ومروءته وهو غافل لاه. ويمكن حصر مهام لذات الحياة الدنيا فى شهوتى البطن والفرج وما يستلزمانه من مال وجاه وذرية وغير ذلك. وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾(٣).

فهذه الآية الكريمة تدل على أن معظم الشهوات التى يفتتن بها الناس فى حياتهم الدنيا هى هذه الشهوات، فهى محببة إلى الإنسان بطبيعته، ومع ذلك فهى مزينة له بعوامل مختلفة، ولذا لم تصرح بالفاعل الذى زينها لأنها متنوعة بتنوع تلك الشهوات. مثلاً: شهوة النساء قد حببت إلى الإنسان بفطرته، ولكن لا يزينها له ولا يدفعه إلى تحصيلها إلا ما يراه من جمال المرأة،واستعدادها لقضاء تلك الشهوة، فلو عاش الرجل بعيدا عن النساء لا يكون لتلك الشهوة سلطان عليه. وكذلك شهوة المال محببة إلى الإنسان، ولكن لا يزينها له إلا ما يترتب على المال من قضاء مآرب وغايات لا يمكن الحصول عليها إلا بالمال. وهكذا جميع الشهوات اللازمة لطبيعة الإنسان، فهى محببة إليه بفطرته، ومزينة له بعامل قوى يسوقه إليها. ثم إن كانت هذه العوامل مشروعة يقرها الدين كانت هذه الشهوات ممدوحة، وإلا كانت من شر الآفات المذمومة.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن هذه الشهوات المحبوبة للإنسان بفطرته متاع الحياة الدنيا وزينتها،

(٣) آل عمران «١٤».

ومهما بلغ من أمرها فإنها منقطعة لا تدوم، بل هى متاع قليل إذا قيست بالنعيم الدائم الباقى يوم القيامة، كما قال سبحانه فى آية أخرى:

﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾(٤).

فينبغى للعقلاء أن يقفوا عند الحد المباح لهم، ويعلموا أن الخروج عن ذلك الحد موجب للشقاء والحرمان من النعيم الخالد الذى أشار الله إليه بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٥).

فالميزان المستقيم العادل الذى لا يختل أبدا هو اتباع أوامر الدين، واجتناب نواهيه فى متاع الدنيا وشهواتها.

ولقد بين لنا الحديث الذى معنا أن شهوة البطن واللباس وما يستلزمانه من مال وبيع وشراء يجب أن تكون مقصورة على الحلال الطيب، فلا يحل لأحد أن تدفعه شهوته الزائلة إلى عصيان الله والخروج على النظم الاجتماعية الصالحة التى أمر الله بها عباده على اختلاف درجاتهم، فإن من تطغى عليه شهوته وتدفعه إلى الاعتداء على الناس فى أموالهم وأرزاقهم بدون حساب كان مصيره إلى الهلاك العاجل، والعذاب الدائم، والحرمان من النعيم الخالد. وقوله: يطيل الرجل السفر إلخ كناية عن إظهار الزهد ابتغاء رضوان الله.

٢ ـ أما كون الرسل مكلفين بعمل الصالحات كغيرهم من الأفراد، فذلك مما لا نزاع فيه، بل هم معصومون عن الموبقات والكبائر قبل البعثة وبعدها على الصحيح، لأن الكبائر إما أن تكون شركا وهو أكبر الكبائر، وإما أن تكون غيره كالقتل والزنا والسرقة ونحوها. ولا ريب فى أن الأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه لا يصح أن يدنسوا بشىء من هذه القاذورات، لا قبل البعثة ولا بعدها. أما بعد البعثة فالأمر ظاهر، لأنهم بعثوا لإرشاد الناس، والمرشد الذى ينصبه الله قدوة لعباده لابد أن يكون طاهرا مطهرا، فلا ينهى الناس عن خلق قذر ثم يفعله هو، فإن ذلك موجب لانصراف الناس عنه، وفشله فى وظيفته التى بعثه الله من أجلها لا محالة. وأما قبل البعثة فلأن المرشد الذى له ماض شائن يحتقره الناس ولا يصغون إلى دعوته، ويقولون له: ما شأنك وأنت منغمس فى الخصال التى تأمرنا بالكف عنها ؟! فلذا كان من الضرورى أن يعصم الله رسله الذين يعلم أنه سيرسلهم كما قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٦).

نعم: قد ورد فى القرآن ما يفيد ظاهره أن بعض الأنبياء قد عصى ربه، ولكنها جميعها لا تخل بمقامهم الكريم، بل هى فى الواقع صغائر صدرت منهم عفوا، وقد مجدهم الله فى كتابه

---

(٤) النساء «٧٧».

(٥) آل عمران «١٤، ١٥».

(٦) الأنعام «١٢٤».

تمجيدا يدل على أن كل ما صدر منهم كان أمرا صوريا، ومن ذلك ما قصه الله علينا من عصيان آدم حيث قال:

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾(٧).

فالغواية والتوبة يدلان على أنه ارتكب كبيرة مع كونه رسولا. والجواب عن هذا ظاهر: وهو أن آدم - عليه السلام - فهم أن أمره بالكف عن الأكل لم يكن للوجوب، وذلك لأن أكل الثمر من جنة ملكه الله إياها ليس نقيصة فى ذاته، وإنما وصفه بالعصيان، ووصف استغفار آدم بالتوبة، لأن اللائق بمقام الأنبياء أن لا يخالفوا أمر الله - تعالى - ولو كان للندب. والواقع أن آدم قد فعل ما ترتب عليه نظام الله فى الخليقة، فكان عمله لازما لابد منه، وإنما نهاه الله فى الظاهر للإشارة إلى أن النوع الإنسانى سيكون على هذه الحال: من عصيان ربه تارة، والرجوع إليه تارة أخرى، وأنه سبحانه يقبل من يرجع إليه ويجتبيه ويغفر له عصيانه، فما وقع من آدم إنما هو حكاية لصورة حقيقية لذلك النوع، وتمثيل صادق لما سيقع منه فى حياته الدنيا، وذلك أمر لابد منه قد سنه الله - تعالى - فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. فآدم وإن خالف الأمر فى الظاهر، ولكنه فعل ما لابد منه فى الواقع، ولذا قد امتدحه الله بعد ذلك فقال:

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾.

أما ما وقع من موسى - عليه السلام - من قتل القبطى فإنه كان خطأ لا شك فيه، لأن الوكز باليد مرة لا يراد به القتل حتما. وعلى هذا القياس فى كل ما ورد من ذلك مما لا محل لذكره الآن. فالأنبياء مكلفون كغيرهم، بل كان رسولنا الأعظم ﷺ مكلفا أكثر من أمته، فكان مفروضا عليه قيام جزء كبير من الليل، وكان يعبد الله أكثر من أصحابه، حتى قال له بعض أصحابه: إنك تعبد الله أكثر منا مع أن الله قد غفر لك ما تقدم وما تأخر، وهموا أن يفعلوا مثله، فنهاهم عن ذلك، وقال: «إننى أعلمكم بعظمة الله، وأشدكم خشية له»(٨)، وذلك من أكبر العوامل الباعثة على العمل بدون مشقة ولا ملل، فإذا قلدتمونى مللتم العمل وضعفتم عن القيام به.

٣ - أما المراد بالطيبات من الرزق، فهو كل مالم تحرم الشريعة الاستمتاع به من أكل وشرب ولبس وغيرها، على أن تسكن إليه النفس وتطمئن به، كما قال ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم عكس هذا»(٩).

على أن الفقهاء قد بينوا ما يحل أكله ولبسه وشربه وبيعه وشراؤه وإجارته ونحو ذلك بيانا تاما، فشرحوا الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ فى البيع والشراء والإجارة ونحوها أحسن شرح، واجتهدوا فى فهمها اجتهادا يدل على مالهم من ذكاء وفطنة فى فهم معانى القول وإدراك ما يلزم لتطبيقه على أحوال الأمم، وأبانوا ما يحل أكله وشربه ومالا يحل، على وجه صالح مناسب للناس مع تفاوت حالهم واختلاف طبائعهم.

فأحل المالكية أكل كل شىء طاهر لا تعافه

(٧) طه «١٢١، ١٢٢».

(٨) فتح البارى (١٥١/٤).

(٩) أخرجه أحمد فى مسنده (٢٢٨/٤).

النفس ولا يضر بالبدن، إلا بعض أشياء قد اختلفوا فيها، منها الحمر الأهلية والخيل والبغال، فالمشهور عندهم تحريمها لما ورد فيها بخصوصها. وبعضهم يقول: إن الحمر الأهلية والبغال مكروهة، والخيل مباحة. وذلك هو المشهور عندهم. وبعض المالكية يقول: إن جميع الحشرات من الخبائث لا من الطيبات، فلا يحل أكلها. وبالجملة فالمالكية توسعوا فى معنى الطيبات من الرزق، فأحلوا كل طاهر لا يضر أو يتعلق به حق الغير، واختلف علماؤهم فى الحشرات ونحوها. على أن الظاهر يؤيد من يقول بتحريمها لأنها من الخبائث جزما عند ذوى العقول السليمة.

أما الحنفية فقد حرموا أكل كثير من الحيوانات قالوا إنها من الخبائث، ومنها سباع البهائم كالسبع والنمر والضبع ونحوها، ومنها سباع الطير كالحدأة والغراب الخ، وأحلوا أكل الخيل بدون كراهة. ومن أراد أن يعرف ذلك مفصلا فى المذاهب فليرجع إلى أول مباحث الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

٤ ـ كل من عرف الشريعة الإسلامية وآدابها، ونظر إلى أحاديث رسول الله ﷺ نظرة صادقة صحيحة، لا يسعه إلا أن يجزم بأنها مرتكزة إلى إله عليم خبير لا تخفى عليه من أحوال عباده خافية، فقد اشتملت على كل ما فيه صلاح الإنسان فى معاشه ومعاده فى جميع أطواره، فعنيت بمحاربة الشهوات الفاسدة وطغيانها عناية عظيمة، ووضعت لما يترتب عليها من آثار ظالمة حدودا فاصلة واضحة، ولم تترك نوعا من الأنواع اللازمة لحياة المجتمع إلا وضعت له حدودا صالحة، وحرمت مجاوزة تلك الحدود والخروج عنها تحريما غليظا، فكانت منار هداية للنوع الإنسانى فى كل زمان ومكان. على أننا ذكرنا فيما مضى أن العقوبات التى وضعت فى تأديب العصاة والمجرمين الخارجين على حدود الله تنقسم إلى أقسام، فمنها ما هو محدود، ومنها ما هو متروك لحالة الأمة واختلاف طبائع أفرادها، ومنها ما هو متروك للعقوبات الأخروية التى هى أشد وأنكى من عقوبات الدنيا. وهذا الحديث الذى معنا دلنا على نوع آخر من العقوبات قد يخفى أمره على كثير من الناس. وهو أن الجرائم التى يفلت صاحبها من الحد والتعزير فى الدنيا قد لا يفلت من عقوبة الله العاجلة فى الدنيا أيضا، فقال لنا: إن الذى يأكل الحرام ويشرب الحرام ويلبس الحرام لا يستجيب الله دعاءه فى الدنيا، فإن أكل الحرام يترتب عليه قسوة القلب وغفلته عن عظمة خالقه، وذلك ينافى الخضوع اللازم للدعاء، فمن أراد أن يناجى إلهه القاهر فوق عباده ويقف مستحضرا عظمته وقدرته على كل شىء، فإنه يجب أن يكون خاليا من الأقذار التى نهاه إلهه عنها، ولذا قال بعضهم: إن من شروط قبول الدعاء أن يكون المرء سليما من أكل السحت، فمن تعمد أكل الحرام أو لبس الحرام أو شرب الحرام فإن ذلك يحول بينه وبين خالقه، ومن أراد أن يقبله الله ويستجيب له فليتب من ذنوبه توبة صادقة ثم يقف بين يديه خاشعا خاضعا تائبا نادما، فإن الله ـ تعالى ـ يقبله ويحبه، لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

قبس من سيرة المصطفى ﷺ

دعوة الإسلام إلى حب الأوطان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان، فما شرع الجهاد فى سبيل الله إلا دفاعا عن العقيدة والأوطان، وردا للظلم والطغيان، وتأمينا لدعوة الإيمان، ونشرا للسلام والأمان. ومما لا شك فيه أن فى الجهاد بذلا للمهج والأرواح فى سبيل الدفاع عن الدين والأوطان.

وقدوتنا فى حب الأوطان هو سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعندما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية ثم قال مخاطباً مكة المكرمة، بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومنزل الوحى وقبلة المسلمين: «والله إنك لخير أرض الله، وإنك أحب أرض الله إلى الله، ولو لم أُخرج منك ماخرجت»[(١)].

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء: «الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى.

رب المستضعفين، وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل علىَّ غضبك وتنزل بى سخطك، وأعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خيرما استطعت، ولاحول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

---

(١) أخبار مكة للازرقى ١٥٦/٢، إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٥٠٢/١.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٤/٢)، (٨٣/٥).

وفى قـولـه ﷺ لمكـة: «إنك لاحب أرض الله إلىّ..» مايدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضـرورة، ولذلك لما خرج علـيه الصـلاة والسـلام من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾(٣)

قال: إلى مكة.

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا ﴾(٤).

والناس يحبـون أوطانهم فـفـيـهـا حـيـاتهم ونشأتهم وبها تعلقت عواطفهم، وفيها تواصل الأرحـام والإحـسـان إلى أهل الوطن من فـقـراء ومحـتـاجـين، وفى كل جـزء فى الوطن عـاطفـة للإنسان ترتبط به ولا تفرط فيه.

وإذا كانت مكة الوطن الأول لرسول الله ﷺ فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثانى الذى هاجر إليه، ودعا للمدينة ولأهلها ودعا بالبركة فيها حيث قال: «واجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة»(٥)، وتتجلى محبته صلوات الله وسلامه عليه للمدينة، ومحبة أهل المدينة له فى استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة، كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له بعد أن فتح الله ـ تعالى ـ عليه مكة وفرح بالفتح فرحا عظيما، وكان حفيا بالكعبة المشرفة وبالمسجد الحرام... وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسـول الله ﷺ فى مكة، ولا يرجع إلى أهل المدينة فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، ورأفة بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فـأوحى الله إليـه بما جـرى، فـذهب رسـول الله صلوات الله وسلامه عليه إليهم، فأخبرهم بما قالوا: فـأقروا، فطمـأنهم قـائلا: «كـلا إنى عبـد الله ورسـوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ماقلنا الذى قلنا إلا الضنّ بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

هذا هو النموذج الأمثل فى حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة التى تدعو إلى حب الوطن والانتمـاء إليـه، وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون له، ويضحون بالنفس والنفيس فى سبيله وتكون خيانته أو التفريط فى حقه فى الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى التى تورد صاحبها موارد الهلاك.

إن حب الوطن، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان، أن يكون وفيا لتراب الوطن الذى نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولادين لمن لا عهد له.

إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعـراضـهم بل يكون اسـمـه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين ويكون فى جواره الأمن والطمأنينة.

وإن الإسـلام حين يدعـو إلى حب الأوطان ونشـر الطمأنينة فيها والأمان إنما يقرر المبدأ الإسلامى الذى يجب أن يسود فى الأرض وهو مبدأ الحرية والسلام والأمن والاستقرار، بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار،

(٣) القصص (٨٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢/٩٩٤).

(٤) البقرة (٢٤٦).

ومبدأ الأمن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا. فلا تمتد يد بسوء إليه.

فقد كانت السيدة أم هانيء بنت أبى طالب زوج هبيرة بن أبى وهب المخزومى قد أجارت بعض أقارب زوجها، بعد الفتح وهما: الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى، فدخل عليها أخوها على بن أبى طالب – رضى الله عنه – يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانيء، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ، وهو فى مكة، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «مرحبا بك وأهلا يا أم هانيء» ماجاء بك؟» فقالت: يانبى الله كنت أمنت رجلين من أحمائى فأراد علىٌّ قتلهما، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء»(٦).

فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عونا للإسلام وأهله، وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام فى دعوتها إلى الأمن والاطمئنان، وحب الأوطان، ولله در القائل:

بلادى وان جارت علَىّ عزيزة

وأهلى وإن ضنوا علَىّ كرام

معنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلده، وحتى لو فرض وأنها جارت عليه، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب، فإنها مع هذا عزيزة على الإنسان لايرضى لها الضياع ولا الهوان ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه وبحضاراته وخيراته، لا تكون هذه الأشياء هى الجائرة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون، فلا يصح أن يكون هذا مسوغا للإنسان أن يكره الوطن برمته ولا أن يكون حربا عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه.

كما أن أهل الإنسان وعشيرته قد يبخلون عليه، فلا يكون بخلهم أو بخل أحدهم على الإنسان مسوغا له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها وبسببهم خير كثير، فقد تربى بخيرهم ونشأ فى جوارهم وإن ضنوا عليه فى جانب، فقد كانوا كراما فى جوانب أخرى.

ومن هذا تغنَّى الشعراء بحب الأوطان وبالتفانى فى سبيل رفعتها وسؤددها.

وطنى لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه ويظل وفيا له، منافحا عنه وعونا لأهله فى السراء والضراء يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد أهله مهما كانت الأحوال.

دم الأهل والقربى وإن كان ظالما

عزيز علينا أن نراه يسيل

إن الإنسان المؤمن، محب لوطنه، وفىٌّ له متعاون مع أهله مدافع عنه يعز عليه عنت الوطن أو شقاؤه أو ترويعه أو إرهاب أحد بنيه، بل يحب له الخير والسلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

روى الدينورى، عن الأصمعى قال: قالت الهند: «ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف من الحيوان: الإبل تَحِنّ إلى أوطانها، وإن كان عهدها بعيدا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً».

وعن الأصمعى قال: سمعت أعرابيا يقول:

«اذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه؟ وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على مامضى من زمانه».

---

(٦) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣٠٢/١، ٨٩٦/٣، أخبار مكة للازرقى ١٦٢/٢، شفاء الغرام ١٥١/٢.

مواقف إسلامية

لحظة تفضل العمر

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

قالت أم سلمة لأبى سلمة، رضى الله عنهما: «بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة وهى من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده.. إلا جمع الله بينهما فى الجنة وكذلك إذا ماتت المرأة، وبقى الرجل بعدها فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدى، وألا أتزوج بعدك.

قال: أتطيعينى؟

قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك.

قال: فإذا مت.. فتزوجى! ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يحزنها ولا يؤذيها.

قالت: فلما مات أبوسلمة قلت: من هذا الفتى الذى هو خير لى من أبى سلمة؟! فلبثت ما لبثت، ثم جاء رسول الله ﷺ»(١).

تمهيـــد

من مظاهر الحياة فى القرية.. زمان.. أنهم كانوا يحدون على الميت بتحريم ألوان من الطعام حزنا عليه.. وكنت أقول لهم:

لماذا لا تحرمون على أنفسكم استنشاق الهواء.. وهو أغلى من الغذاء.. وأدل على الوفاء؟!!

(١) الطبقات الكبرى ج٨/٨٦.

الوفاء المشئوم

وهى صورة من الوفاء الأعمى يستمد وجود من الجاهلية الأولى.. والتى كانت الزوجة فيه تضيف إلى تحريم الطعام.. الامتناع عن الكلام!.. والبعد عن أولادها الأيتام سجينة فى كهف مظلم. بل قد تدفن الزوجة مع زوجها المتوفى.. تدفن حية.. لتكون إلى جواره تؤنسه كما كانت من قبل.. بل قد تحرق حية.. لتكون معه فى الجو هباء، ومن بقيت من بعده حية.. قد تجعل من عموده الفقرى عقداً تزين به جيدها فى المناسبات الكبيرة!

ولكن.. ما هى الثمرة العملية لهذا الوفاء السلبى ؟

لا شىء..

ولكن.. أم سلمة - رضى الله عنها - تعتصم بالوفاء الإيجابى عن طريق مشروع معاهدة هى : أن يضرب الطرف الثانى عن الزواج بعد رحيل صاحبه!

أولاً: رعاية للأيتام.. حتى لا يضيعوا فى الزحام.

وثانياً : ليكون ذلك الوفاء رسالة إلى المجتمع تؤكد له أن ما يربط الزوجين أعظم من مطالب الجسد وأن هناك ما هو أبقى وأتقى.

وثالثاً : إثبات قدرة الإنسان على ضبط نوازعه حين يربطها بمثل أعلى.. يغنيه عن كل عرض.

ورابعاً : أن الوفاء ليس حفلات تقام، وإنما هو قبل كل شىء تضحية تجعل منه قيمة باقية، ووفاء بلا تضحية لا جدوى منه، وإنما هو لقاء دورى تلقائى لا يعبر عن عواطف صادقة ثابتة.

من الحب.. إلى الود

إن العلاقة التى تربط الزوجين هنا هى علاقة : الود، والفرق هائل بين : الود والحب.

يقول بعض الباحثين :

[تأملت الآية الكريمة التى تقول :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢) .

فتفكرت فيها وقلت : لماذا لم يقل الله - سبحانه وتعالى - « وجعل بينكم حبا وهياما »؟

ذلك أن عاطفة الحب متقلبة. قابلة للزوال. وأن المودة والرحمة هما الأبقى. والأكثر دوما واتصالا. ثم اكتشف الباحث حكمة الله - تعالى - التى خفيت على العقول فى الزواج وهو أن يبنى على الأسس القابلة للدوام. وليس على الأسس الواهنة. المعرضة للانهيار.

ثم قال : « إن من يشكون من تغير أحوال الحب بعد الزواج.. لو تأملوا حكمة الله قليلا لأدركوا أن الحب لم يخمد، وإنما تحول إلى العاطفة الأبقى وهى : الود. « ولو أنه بقى على نفس طبيعته السابقة على الزواج لظل قابلا للتغيير والزوال فى أية مرحلة من مراحل العمر »(٣).

---

(٢) الروم «٢١».

(٣) ذكرت هذا لطلابى منذ أربعين عاماً وهو ثابت فى بعض كتبى لكننى أذكره هنا.. ليتأكد للقارىء الكريم إلى أى حد يكون توارد الخواطر وأذكر أننى ألحقت بهذا : إيثار السنة المطهرة لفظ «الطيب» على العطر لما فى هذه من إثارة.. وما فى الطيب من وقار.

وفى ضوء ما تقدم.. يمكننا أن نقول : إن عاطفة الحب مهما كانت عراتها.. فلن تغنى عن هذا الود الوقور.. الذى جمع بين الزوجين فى لحظة جمع الزمان مكانها.. مؤكدا كيف تكون الحياة صحراء جرداء بلا رفيق ! وصدق القائل : أوفر ما يكون من الدواب لا بد له من سوط وعصا. وأعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن مشورة ذى عقل. وأعقل ما يكون من النساء.. لا غنى لها عن زوج. هذا الزوج الذى تناجيه واحدة ممن فاتهن قطار الزواج فتقول :

أرى روضة قد حان منى قطافها

ولست أرى الجانى يمد لها يدا

فوا أسفى : يمضى الشباب مضيعا

ويبقى الذى ما إن أسميه مفردا !

ولقد كانت.. أم سلمة – رضى الله عنها – أعقل النساء.. عندما لم تعلن عن حاجتها فقط إلى زوجها، بل كانت تعبيرا عن الحقيقة القرآنية التى تجعل من الزواج ميثاقا غليظا.. ممتدا.. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٤).

أجل كان موقف أم سلمة معبرا عن وفاء الزوجية كما أرادها الإسلام علاقة أبدية تتخطى الزمان والمكان، لتكون فوق الزمان، وفوق المكان، لا كما تفعل بعض المتسرعات المهرولات اليوم.. تكتفى – بالإحداد – على زوجها أياما، ثم ينتهى كل شىء.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس

ولم يسمر بمكة سامر

ولكن الإحداد من بعده :

تربى أولاده.. وتدعو له.. ثم تترسم خطاه.. مجددة بالقدوة ذكراه.

ولاحظ أنها صاحبة مبادرة الوفاء الذى دل على أنها تحب زوجها مرتين : مرة لأنها تحبه، ومرة لأنها تغار عليه. إنها بنص الآية الكريمة : لباسه..

وما أكثر اللاتى يتخذن من اللباس زينة ودلالا.. وتفاخرا.. ولكنها لم تفهم من معانى اللباس هنا : أن كل واحد من الزوجين لباس لصاحبه.. لباس : موصول بالعروق.. وليس ستارا واقيا فقط.. لباس منسوج من وجيب القلب. وتفكير العقل.. ومن أجل ذلك فهو غير قابل للانفصام مهما تقلبت الأيام.

لقد كانت تحب أبا سلمة حبا ملك عليها كل أقطار نفسها.. فاقترحت عليه أن يكون كذلك.. وعلى رجاء أن يلتقيا فى جنات عدن. فلا يفترقان.. فكانت بهذا الوفاء تلك الزوجة التى عناها الشاعر القائل :

وزوجة المرء عون يستعين بها

على الحياة.. ونور فى دياجيها

مسلاة فكرته : إن بات فى كدر

مدت له لتواسيه أياديها

فى الحزن فرحته تحنو فتجعله

ينسى بذلك آلاما يعانيها

كم زوجة ذات عقل غير مسرفة

تدبر الدار تدبيرا ينجِّيها

---

(٤) غافر : ٨.

وجهة نظر أبى سلمة

وقد اعتذر أبوسلمة - رضى الله عنه فلم يوافق على الفكرة هذه الفكرة التى أسعدته كزوج يرى من زوجته هذا الوفاء الممتد والعميق. وقد كان لاعتذاره ما يسوغه.

أولاً : ما سمى الإنسان إلا لنسيانه والمرء قد يحزن إلى الحد الذى يوشك الغم أن يفلق كبده ولكنه ومع مر الغداة وكر العش ينسى كل شيء، لا يستثنى من ذلك أحد!

ثانيا : أن الغريزة باقية.. وقد يشتد ضرامها بالفراغ، ومن واقعية الإسلام أن تفسح لها الطريق فرارا من تداعياتها المرة لو كبتناها.

والتاريخ شاهد بحقية ما سبق :

أ- «أم هشام بنت عبدالله بن عمر :

تزوجها عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو وكان يحبها حبا جما فأوصاها فى مرض موته ألا تتزوج بعده. وقد أقسمت على الوفاء له. ثم تزوجها عمر بن عبدالعزيز فعير رجل بذلك قائلا :

تبدلت بعد الخيزران جريدة

وبعد ثياب الخز.. أحلام نائم

ولما حاول عمر - رضى الله عنه - الدفاع عنها تدخلت هى فدافعت هى عن نفسها، وكانت لها رفيقات على ذات الطريق لم يهدأن حتى عثرن على الرفيق!

وثالثا : كان «أبوسلمة» رضى الله عنه - ملتزما بالسنة التى كان يحتكم إليها مؤيدا وجهة نظره : فقد روى الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ خطب «أم مبشر» بنت البراء بن معرور فقالت : إن شرطى لزوجى ألا أتزوج بعده.

فقال ﷺ : «إن هذا لا يصلح»(٥).

أجل لا يصلح.. وهذا ما تشهد به التجربة الإنسانية المؤكدة عرامة غريزة الجنس، والتى قد تسكت يوما تحت ضغوط الأحزان.. لكنها أبدا لا تموت.

جمال الواقع

أحيانا يضيق الإنسان بواقعه وما يضج به من متناقضات، وعندئذ قد يبحر فى أحلام يقظة فى عالم من الخيال أو الخبال يصنعه لنفسه حتى يرى فى هذا الخيال من الجمال ما لايراه فى واقعه الصارم..

وتلك سلبية تأباها إيجابية المؤمن الذى لا يفر من واقعه بل يحاول أن يطوره لصالحه.. وعندئذ يصبح الواقع - بالإيمان- أجمل من الخيال.

وما قدمناه من موقف الزوجين إنما هو ذلك الواقع الماثل.. وليس هو الخيال الجانح.. أو الجامح.. الواقع الذى يتراءى للمتوسمين على مدار الزمان يؤكد ماذهب إليه علماء النفس أخيرا :

[إن السعادة هى ذلك الشعور المستمر بالطمأنينة والبهجة، هذاالشعور السعيد يأتى نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات والحياة والمصير. وللوصول إلى هذا الإحساس الإيجابى فعلى الزوجة أن تتجنب القلق والتفكير المستمر فى السعادة. والذى يؤدى بالضرورة إلى التفكير فيما كان من قبل. وفيما يكون

(٥) نيل الأوطار ج٦/١٥٤.

من بعد. وهذا فى حد ذاته يفسد الشعور بالسعادة، إن السعادة حقا هى : الرضا بالواقع.. ثم بتكيف النفس طبقا للظروف الواقعة]

مع ابن القيم

ونستأنس بما قاله ابن القيم وهو يتحدث عن هذه اللحظات التى يعيشها الزوجان خارج الزمن.. وكأنهما معا فوق السحاب.. فوق تصور العوام [ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب.

يعنى : أن حقيقة المحبة وسرها لا يفهمه من المحب إلا محبوبه. وذلك لشدة الاتصال الذى بينه وبين محبوبه فى الباطن : فروحه أقرب شىء إليه. وأما الغير.. وإن علم أنه محب بظهور أثر المحبة عليه وقيام شاهدها لكن لايدرك تلك اللطيفة التى يدركها المحبوب من محبة لموضع الاتصال بين الزوجين. ولاسيما إذا كانت المحبة من الطرفين. فهناك المعجب والمناجاة والملاطفة والإشارة والعتاب والشكوى.. وهما ساكنان لا يدرى جليسهما ما شأنهما على حد قول القائل:

تشير.. فأدرى ما تقول بطرقها
وأطرق طرفى عند ذاك.. فتعلم
تكلم منا فى الوجوه عيوننا
فنحن سكوت والهوى يتكلم !

رد الجميل

فقد كان جميلا أن يرد الزوج إلى زوجته ذلك الوفاء بأجمل منه، دعوة مخلصة : أن يرزقها الله – تعالى – زوجا خيرا منه لا يحزنها، ولا يؤذيها. ولقد أجيبت الدعوة على نحو لم يكن يخطر على بال، حيث كان هذا البديل هو خير البشر ﷺ..

إن قصارى ما يطلب من الزوج وهو يودع الحياة.. أن يسكت فلا يرضى لزوجته أن تكون من بعده تحت رجل غيره.. ليحكم دولة كان فيها السيد المطاع..

ولكن «أبا سلمة» رضى الله عنه – وبلا حساسية – يفترض أن يكون لها زوج يرث ما كان يملك.. ولا يرى غضاضة فى أن يكون خيرا منه.. وتتحمل أعصابه قسوة هذا الموقف ولكنه الوفاء سبيلا إلى حسن الجزاء.. وأجمل بلحظة مباركة.. يظللها الإخلاص بين الزوجين وقد أوشكت أيام العمر أن تنصرم إنها «حبة الفاكهة» تلك الفاكهة التى يضاعف الله – تعالى – حلاوتها.. وقبل سقوطها !

أزواج اليوم

وإذ تبدو الزوجة هنا سماء لا تطاولها سماء، ولا يسعى لها على قدم، فإن على زوجة اليوم أن تقارب وتسدد.. وإذا لم تصل.. فإنها تقترب.. فما لا يدرك كله.. لا يترك جله.. ومسئولية الزوج عن صلاح الأسرة وتوثيق العلاقة الزوجية مسئولية مباشرة. فينبغى للعاقل أن يكون له وقت معلوم، يأمر زوجته بالتصنع له فيه ثم يغمض عن التفتيش ليطيب له عيشه. وينبغى لها أن تتفقد من نفسها هذا.. فلا تحضره إلا على أحسن حال. وبمثل هذا يدوم العيش.

فأما إذا حصل منها التبذل.. بانت بها العيوب فنبت النفس وطلبت الاستبدال. ثم يقع مع الزوجة الثانية مثل ما وقع فى الأولى.

وكذلك ينبغى له أن يتصنع لها.. كتصنعها له ليدوم الود بحسن الائتلاف.

ومتى لم يجر الأمر على هذا فى حق من له أنفه من شىء تنبو عنه النفس، وقع فى أحد أمرين : إما الإعراض عنها وإما الاستبدال بها. ويحتاج فى حالة الإعراض.. إلى صبر عن أغراضه وفى حالة الاستبدال إلى فضل مئونة. وكلاهما مؤذ.

ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب له عيش فى متعة.. ولم يقدر على دفع الزمان كما ينبغى](٦).

زوجة واحدة.. تكفى

وليت شعرى، إنها زوجة واحدة.. ومع ذلك فقد ملأت حياة زوجها أنساً.. بوفائها.. وحسن تبعلها.. فما لهؤلاء الذين يحاولون تجديد الفراش.. كلما هفت نفوسهم إلى التجديد.. وما فيهم من رجل رشيد وفيهم يقول ابن الجوزى حين يقول:(٧)

[كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول على المنبر : والله لقد بكيت البارحة.. فبقيت أنا أتفكر وأقول : أى شىء قد فعل هذا حتى يبكى؟ هذا رجل متنعم! له الجوارى التركيات، وقد بلغنى أنه تزوج فى السر بجملة من النساء، ولا يطعم إلا الغاية من الدجاج والحلوى، وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض والإفضال على الناس. وقد حصل طرفا من العلم، واستعبد كثيرا من العلماء بمعروفه، وراحته دائمة الندى.. فما الذى يبكيه ؟!

فتفكرت.. فعلمت أن النفس لاتقف عند حد بل تروم من اللذات ما لا منتهى له وكلما حصل لها غرض.. برد عندها.. وطلبت سواه.. فيفنى العمر ويضعف البدن ويقع النقص ويرق الجاه ولا يحصل المراد. وليس فى الدنيا أبله ممن يطلب النهاية فى لذات الدنيا.. وليس فى الدنيا على الحقيقة لذة إنما هى راحة من مؤلم.

ولكن من هو السعيد حقا فى هذه الدنيا ؟ يجيب ابن الجوزى : [السعيد من إذا حصلت له امرأة أو جارية.. فمال إليها.. ومالت إليه.. وعلم سترها ودينها.. أن يعقد الخصر على صحبتها.. وأكثر أسباب دوام محبتها ألا يطلق بصره.. فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه فى غيرها.. فإن الطمع فى الجديد ينغص الخُلق وينقص المخالطة.. فتميل النفس إلى المشاهد الغريب.. ويتكدر العيش مع الحاضر القريب.. ثم تصير الثانية كالأولى.. وتطلب النفس الثالثة.. وليس لهذا آخر](٨).

ثم يقول فى موطن آخر:(٩)

ومن أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء، إنه أولا : يتشتت همه فى محبتهن .ومداراتهن وغيرتهن والإنفاق عليهن. ولا يأمن إحداهن أن تكرهه وتريد غيره. فلا تتخلص إلا بقتله].

هذه هى التجربة بدرسها المفيد، ولكن بعض الأزواج، يكره حين يكره.. ويحب حين يحب لا لعيب فى الأولى ولا لمزية الثانية.. وإنما هو متبع هواه

فلا ذكاء.. ولا زكاء. لا قريحه وقادة.. ولا طبيعة منقادة! وإنما هو عذاب الهيام.. أو السباحة فى بحر من الأوهام، لايموت فى نار الشهوة

ولا يحيا! ثم صار أمره على ما قيل:

فأصبحت كالهيماء: لا الماء مبرد
صداها.. ولا قاض عليها هيامها

---

(٦) صيد الخاطر ـ ٢٣٨.

(٧) نفس المرجع/٣٨٩.

(٨) صيد الخاطر: ٢٨٩-٢٩٠.

(٩) نفس المرجع ص٣٨٩.

هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز

الجزء الثالث والأخير

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

قد يكون من الأمور الصعبة أن تقنع خصما برأيك ومهما تكن من صعوبة فى إقناعك له فإنه ممكن على أى حال، لكن الأكثر صعوبة أن تقنع حاقدا أو ظالما مستبدا فإن الحاقد مهما كانت حجتك قوية فإن حقده عليك أكبر من أى حجة وأقوى من أى برهان، أما الظالم المستبد فإن ظلمه واستبداده يُعميانه عن النظر والتسليم بأى حجة فإن من طبيعة الظلم الاستبداد ومن طبائع الاستبداد التشفى، ونحن إذ نناقش أعداء الإسلام الحاقدين عليه الكارهين لمبادئه نعلم ـ سلفا ـ أن حقدهم طمس على قلوبهم وأن استبدادهم ألهب مطامعهم فباتوا لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة.

قال صاحبى: ويحك من تجادل إذا؟ ولمن تفند ما زعموه حججا ومطاعن على الإسلام وأهله؟ قلت: رعاك الله إنه لكلام جيد واستفهام رشيد حيث إنى أناقش الحجج وأفند المزاعم لا من أجل أن يقتنع هؤلاء الناس فأنا أعلم سلفا أن الحقد أعمى قلوبهم وأن الإحساس بالقوة وطبيعة الاستبداد فى نفوسهم أعمتهم عن كل حق وباتوا لا يرون فى أمم الأرض وأجناس البشر إلا حشرات ضارة يجب أن يتخلصوا منها وفى أحسن الأحوال خدم يجب أن يعملوا فى المصانع والحقول لكى يعيش السادة وينعموا بالخيرات.

والحق أنى لا أناقش هؤلاء فلست أرى أملا فيهم إنما أناقش وأفند الحجج حتى لا يُرَوَّجَ لهذه الأباطيل فى بنى قومى فإن كثيرا منهم إما غر ساذج مخدوع

بدعايات الغرب وزخرف المدنية الغربية أو صنيعة للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم يروجون لأفكارهم. لا نتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا يتنزهون عنها فنحن لا نبغي إلا المحافظة على الشباب الغر الساذج نجلو له الحق ونبين له وجه الصواب وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية للجميع وعلى نفس المنهج الذى اتبعناه فى تناول المزاعم نتناول ما بقى من هذه الأباطيل. وحيث كنا قد انتهينا من الزعم السابع يبقى لنا من الثامن حتى الثالث عشر وهو آخر الأباطيل، وهى كما وردت فى مقال الدكتور الباز بنصها على النحو التالى نذكرها حتى يكون القارىء الكريم معنا فيما نحن بصدده قال:

«**ثامنًا**: أنه أى الإسلام دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلا من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار.

تاسعًا: إنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين.

وهكذا نجد كثيرا من المفكرين والمسئولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى»، ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعا عن النفس أو سعيا لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقا من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصرة الأمة الإسلامية.

مثال حديث: أسامة بن لادن والمبررات التى ساقها لتفسير عدائه للغرب وخاصة الولايات المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين.

عاشرًا: غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية».

حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متسمة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية.

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة.

ثالث عشر: انه نظراً لصرامة وجسارة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيرا ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هُوة سحيقة بين القول والعمل، والمظهر والمخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصا زائدا على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوسا غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين» انتهى بنصه.

ورداً على الزعم الثامن نقول:

الواقع أن من يتهم دين الإسلام بالاتكالية لم يفهم مبادىء الإسلام ولا فلسفته وثمة فرق واضح بين ما يسمونه بالاتكالية وبين إيمان المسلمين بالغيب. والغرب - فى تصورى - لا يمكن أن يفهم معنى الإيمان بالغيب، وفرق واضح بين الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام وبين التغييب والمغيب وما تحمله مادة غاب فى مفهوم الغرب المسيحى إذ أن الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام جاء نتيجة الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبأنه - سبحانه - أرسل رسولا صادقا أمينا أخبر بأمور غيبية لا يمكن لبشر أن يتكلم فيها أو يعيها، فإنها غالبا خارج نطاق العقل البشرى بمعنى أن العقل البشرى لا يمكن أن يدرك على وجه اليقين أبعادها الحقيقية، إنما يصدق بها لأن الذى أخبر بها هو الصادق الأمين: مثل أمور الآخرة وما يحدث فيها من حساب وميزان وحشر.

وذلك بعيد عن التصور الغربى المعاصر الذى يحصر هذه الأشياء كلها فيما يسميه ميتافيزيقا «أى ما وراء الطبيعة» وتصوره عنها هلامى غير واضح، جُله من أساطير وأوهام، والذى يزعم غير هذا مضلل أو مدعٍ.

وعقيدة المسلمين فى اليوم الآخر واضحة الأبعاد والمفاهيم ولا يسبق إلى

الوهم أن عقيدة المسلمين تتشابه أو تتطابق مع تصور المصريين القدماء فى اليوم الآخر، فإننا نعتقد أن بعض الصواب فى تصور الفراعنة إنما كان من أديان سماوية سابقة اختلطت ببعض اجتهادات شخصية لبعض الفراعين.

وإن ما ينسب إلى إخناتون من أنه نادى بالوحدانية فهو وحدانية وثنية، لا تمت إلى عقيدة الإسلام الواضحة عن الألوهية واليوم الآخر.

بعد هذا نقول: إن اتهام الغرب للإسلام بأنه عقيدة غيبية اتكالية ناتج من عجز اللغة وعدم الإدراك الحقيقى لمفهوم النبوة والرسالة والعصمة.

وتلك آفة نتحمل نحن المسلمين منها نصيبا كبيرا، فأنا أقصد بعجز اللغة عجز المسلمين عن تقديم ترجمة واضحة تنقل إعجاز المجاز القرآنى وإعجاز جوامع الكلم النبوى فإن أغلب الترجمات فيما يبدو لى كانت تتم بطريقة معجمية سطحية وقد لمست ذلك بنفسى أثناء انعقاد أحد مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية فقد شاء الأزهر أن يتم تكريم «جارودى» أثناء فترة المؤتمر ودعى الرجل فى احتفال مهيب داخل قاعدة الإمام محمد عبده وتكلم بالفرنسية عن تجربته وإسلامه إلا أن الترجمة تمت بواسطة من يجيدون لغة معجمية صماء ولا يدركون روعة الأسلوب النبوى وسموه ولا إعجاز القرآن وبلاغته وكانت النتيجة استياءً لم يستطع الحاضرون كتمانه حيث إن أغلبهم من الطلاب المتحمسين لسماع الرجل العظيم. وتفلت الاحتفال من أيدى القائمين عليه والداعين له وانقلب الأمر إلى هجوم وفوضى وتدارك الأمر مفكر نبيل رحمه الله هو الدكتور رشدى فكار وقام بالترجمة بوعى لغوى وحس إسلامى فجذب الانتباه وعم الهدوء وساد صمت تجلى فى إصغاء الحضور خصوصا طلاب جامعة الأزهر وعم الإعجاب الذى عبر عنه تصفيق الطلاب ومقاطعة الدكتور رشدى فكار أكثر من مرة وانفرجت أسارير «جارودى» نفسه.

هذا مثال أقدمه لعجز اللغة نتحمل تبعته نحن وهو يتسبب فى فهمٍ سيئٍ للغرب عن الإسلام أو على أقل تقدير تبرير معقول فى مواجهة إنكارنا عليهم.

فمثلا نرى فى تاسعا يُتهم الإسلام بأنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف وبتنا نسمع عما يسمى بالإرهاب الإسلامى فإن من الفهم الخاطىء أو المتعمد أننا نسمع من يقدم دليله على أن الإسلام دين الإرهاب قول الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]

ويفهم كلمة « ترهبون » على أنها دليل الإرهاب مع أن هذا المعنى لا يفهمه أى مسلم ينطق بالعربية إذ أن المعنى الواضح والمستقر فى أذهان المسلمين وضمائرهم أنه الاستعداد للردع وهو من الأمن الوقائى وليس من الإرهاب كما يزعمون[2]. لكن الغرب يتعامل مع المسلمين بسياسة الذئب والحمل حيث إنه بيت النية سلفا على الفتك بالحمل، ولم يبق إلا المبررات الساذجة غير المقبولة والتدخل الوقح فى شئون الغير.

فمثلاً عاشراً نراه يلوم المسلمين على غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام الإسلامى طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله.

وأمام هذا الادعاء القبيح أرانى مضطرا أن أُذَكِّرَ بكلمة « نهرو » وهى أن الغرب فى تعامله مع العالم الثالث يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة. فإذا كان الغرب يؤمن بالديمقراطية والتعددية ويلوم على الإسلام أنه لا يتعامل بها « فهل من الديمقراطية والمساواة ما ابتزت به أمريكا مجلس الأمن لإصدار قرار لتأجيل سريان قرار المحكمة الجنائية على جنود أمريكا - المشاركين فى قوات حفظ السلام الدولية والذين ارتكبوا بعض الجرائم - لفترة عام من المسائلة أمام المحكمة الجنائية الدولية »؟ أليست هذه نازية أمريكية جديدة؟.

أما عن زعم أن الحاكم يستمد سلطته من الله تعالى فى النظام الإسلامى فهذا ناتج عن سوء نية بالإضافة إلى قصور فى اللغة كما سبق أن قلت.

فإن عبارة المسلمين عن أن الحاكم ظل الله فى الأرض التى وردت فى بعض الأدبيات الإسلامية لا تعنى المعنى الحرفى أبدا إنما تعنى أنه مسئول عن تنفيذ شرع الله وإلا فليست العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ وإلا لما قال أبوبكر فى أول يوم تولى فيه الخلافة: « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » وكما قال الخليفة الثانى

---

(١) الأنفال/ ٦٠.

عمر نفس المعنى حتى قرت عينه بعبارة أحد المسلمين لما قال له « والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا ».

فهل وصلت ديمقراطية الغرب إلى هذا المستوى أو تقاربه أكاد أقول إن حضارة الإسلام وثقافته عالمية وارفة يتفيؤ العالم ظلالها ربما كانت هى الينبوع الذى استقى منه العالم رشده وصلاحه.

أما حادى عشر وهو أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد الخ، هذا التعبير وهو قفل باب الاجتهاد نقيصة اتهم بها الغرب الإسلام وروج لها أتباعه زمنا رغبة فى تغيير كثير من أحكام الإسلام بحجة الاجتهاد ولم أجد تحجرا فكريا أكثر من هذا التعبير الذى ردده كثير من مثقفى مصر بعضهم للأسف الشديد نكن له احتراما كبيرا فإننى مهما تصورت الاجتهاد فى مجال الفقه أو الشرع فإننى لا يمكن أن أتصوره باب موصد فلا يلجه أحد.

قد ينعدم الاجتهاد فلا يوجد مجتهد، وما ذلك إلا لانعدام الذين تؤهلهم دراستهم وفكرهم إلى بلوغ هذه المنزلة. عندئذ ينعدم الاجتهاد أما أن يكون الاجتهاد باباً يغلق فلا يسمح بدخوله لأهله فهذه مغالطة فكرية لا يمكن أن نسلم بها. إنما انعدم الاجتهاد أو كاد لعدم وجود المؤهلين له ولانعدام أهله وفى غفلة من الزمن – كما يقولون – طفا على السطح علمانيون عاجزون عن فهم الفكر التشريعى فى الفقه الإسلامى – أو عامدون – بقصد التحلل من قواعد الشرع فباتوا يهرفون بما لا يعرفون.

ومهما يكن من أمر فإن الاجتهاد له قواعد وأصول يفهمها المتخصصون الدارسون المهتمون بهذا المجال ولا يمكن أن يكون كلأً مباحا لكل من هب ودب ممن يبغون التحلل من الإسلام عقيدة وشريعة باسم الاجتهاد.

وثانى عشر المفتريات أن الإسلام عقيدة عدوانية يحض أتباعه على قتل أى كافر يلتقى به.

نقول لو سلمنا جدلا بأن الإسلام عقيدة عدوانية وأنه يتخذ العدوان طريقه – لو سلمنا بذلك جدلا – فإن ما تفعله أمريكا اليوم من تدمير وتخريب وعدوان وتدخل سافر ومستتر فى شئون الأمم والأفراد هذا كله

فاق ما فعله المسلمون - إن كانوا قد فعلوا - إن الإجرام العالمى المقنن باسم الأمم المتحدة ومجلس الأمن لهو أفظع من العدوان نفسه لأنه تعد وتدمير وتغطرس بموافقة مجلس الأمن ورغم قسوة ما يعانيه العالم من نظام العولمة الظالم فإننا نؤمن بأن نهاية أمريكا قريبة وأنها تحفر قبرها بأفعالها لأن عدالة الله فى أخذ الظالمين قائمة وباقية.

وأمريكا باستبدادها وظلمها تستوجب عقاب الله وأخذه للظالمين إن أخذه أليم شديد يقول تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾(٣).

ويقول:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾(٤).

فإن الظلم من الأسباب التى تستوجب عقاب الله تعالى:

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٥).

أما آخر الملاحظ وهى ثالثة الأثافى(٦) - كما يقولون - الزعم بوجود هوة سحيقة بين القول والعمل والمخبر والمظهر بسبب تعاليم الإسلام! وفى مواجهة هذا الخبث الماكر والخداع باسم المبادىء فإنى أحب أن أسأل هل يحرص الغرب على أن نكون مسلمين صادقين نلتزم بالدين ظاهرا وباطنا؟ وهو لذلك يلوم علينا أننا أوجدنا هوة سحيقة بين القول والعمل وهو أحرص منا على أن نطبق مبادىء الدين الحنيف قولا وعملا؟ يا للعجب فلماذا يحرص على نشوز المرأة ولا يفتأ يترك فرصة على تحريضها بكل وسائل المغريات، ولماذا لا يمل من العمل على تفتيت الأسرة الإسلامية

---

(٢) راجع الأهرام مقال د/عبدالله الأشهل ترجمة معانى القرآن وتحديات الحوار مع الغرب ٨يوليو ٢٠٠٢.

(٣) الكهف/٥٩. (٤) يونس / ١٣.

(٥) الشعراء/٢٥.

(٦) مثل عربى قديم والأثافى هى الضلع الثالث فى الموقد الذى يوضع عليه القدر، وأصبح مثلاً يضرب لكل أمر سىء يلحق بسابقه فى السوء.

التى أمر الدين ببنائها وتماسكها ولماذا يحارب العفة فى المجتمع الإسلامى ويدعو إلى الخلاعة والمجون ويحارب باسم ما يسميه الحداثة كل من يأمر بالفضيلة وينهى عن السفور بل لماذا يحرض على سن القوانين التى تجرم زواج صغيرات السن مع أن الزواج عمل مشروع ولم نسمع فى الوقت ذاته أنه حرك ساكنا من أجل أفعال الشذوذ الوقحة حتى مع الأطفال الصغار بل هو يحارب الذين يستنكرون هذه الأفعال، وبدعوى الحرية الشخصية يندد بالأسوياء سليمى الفطرة والطباع الذين يقاومون الشذوذ ويرفضونه إن ما يزعمه الغرب ضد الإسلام أراجيف تنطوى على حقد لا يغيب عن ذى فطنة وليست حججا ذات منطق يناقش.

وأجد من المناسب أن أنهى كلمتى بما ختم به الأستاذ الدكتور الباز كلمته حيث قال: ـ وهو موفق كل التوفيق ـ طالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة ـ يقصد ظاهرة الافتراء على الإسلام ـ فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام – هو خاتم الرسالات – هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.

والله الموفق والهادى إلى الصواب

عداوة أمريكا وصداقتها ٢

إسرائيل هى أمريكا الصغرى وأمريكا هى إسرائيل الكبرى

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

يواصل الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى الحوار الذى نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

يقول الدكتور العميد : نعم، أمريكا منحازة إلى إسرائيل، ولكن ماذا نستفيد من كسب عداوتها؟

ونقول : إن حريات الشعوب ثمنها غال، وسلم الصعود إليها شديد الوعورة، واسترجاعها إذا سلبت يبذل فيه كل غال ورخيص.

وإلى هذه المعانى أشار أمير الشعراء أحمد شوقى بقوله :

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

ونحن لم نشتر عداوة أمريكا، ولم نكن مختارين لها، وإنما هى رد فعل قهرى لما تصنعه أمريكا معنا، ليس فى وقت دون وقت، ولكن فى جميع الأوقات منذ أن تبنت أمريكا حماية إسرائيل، وحتى هذه اللحظة سيرة أمريكا معنا، تشير إلى حقيقة لا تقبل الجدل وهى :

إن أمريكا تعاملنا معاملة العدو اللدود لها، سواء قلنا نحن : إن أمريكا عدوة لنا، أو قلنا : إن أمريكا صديقة، أعنى أن كلا موقفينا من أمريكا لا يغير من سلوكها نحونا شيئا، وما دام الأمر كذلك، فمن المفيد لنا أن نجاهر بأنها عدوة لنا... ولماذا؟

لأن ذلك سيترتب عليه احتمالات :

منها، ربما راجعت أمريكا موقفها منا فى يوم من الأيام فتصلح فى المستقبل ما أفسدته فى الماضى والحاضر.

ومنها ألا تحسبنا أمريكا أغبياء لا نفرق بين من يحسن إلينا وبين من يسىء إلينا، وهذا قد يطمعها فينا أكثر وأكثر.

* تبصير شبابنا وأجيال المستقبل بموقف أمريكا منا، حتى لا تجرفهم كوارث الغفلة فى المستقبل القريب أو البعيد، وبقيت ملاحظة مهمة على عبارة العميد الآنفة الذكر «نعم أمريكا منحازة لإسرائيل».

إن هذه العبارة وإن شارك فى ترديدها آخرون غير العميد، لا تصور حقيقة العلاقة العنصرية بين أمريكا وإسرائيل، وإنما الذى يصور حقيقة تلك العلاقة الحميمة جدا أن يقال:

«إسرائيل هى أمريكا الصغرى، وأمريكا هى إسرائيل الكبرى».

فليست المسألة إذن مسألة انحياز أمريكى لإسرائيل بل هو تركيب عضوى شديد الحساسية، مثل تركيب الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

إن كل شىء تصنعه أمريكا مع إسرائيل يؤكد هذه الحقيقة ومن الأمثلة على ذلك:

* اعتزام أمريكا نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية وهى تعلم يقينا أنها مدينة فلسطينية تاريخا وحاضرا.

* إن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى تقف عقبة كئودا أمام إرسال قوات دولية، تحول دون الاعتداءات المستمرة من إسرائيل شارون على الشعب الفلسطينى الأعزل.

* لا يتحرك لأمريكا ساكن من غارات إسرائيل المستمرة على مقدرات الشعب الفلسطينى، وإذا قام بعض الفلسطينيين بعملية ردع ضد إسرائيل اهتزت أعصاب الإدارة الحاكمة فى أمريكا، وصرحت بأن إسرائيل من حقها الرد على هذا الإرهاب.

* فى أعقاب أى عمل إسرائيلى تدميرى واسع النطاق على المدن والقرى الفلسطينية - لا تندد أمريكا بوحشية إسرائيل، وإنما تسرع بإمدادها بالمال والسلاح وفى إحدى المرات منحت أمريكا إسرائيل ثلاثة مليارات دولار مكافأة لإجرام إسرائيل ومجرميها؟!

* يرفض الرئيس الأمريكى مقابلة الرئيس ياسر عرفات إذا ذهب إلى أمريكا.. وإذا حضر شارون أخذه الرئيس بوش بالأحضان.

* لا تعتبر أمريكا ما تقوم به إسرائيل من جرائم وحشية ضد فلسطين إرهابا، وإذا فجر شاب فلسطينى نفسه فى حافلة إسرائيلية علت أصوات أمريكا بإدانة هذا الإرهاب.

* إن أمريكا تضع العرب والمسلمين تحت أقدامها من أجل حماية إسرائيل، وتضع أمريكا إسرائيل أمام ناظريها لحمايتها من كل ما يعكر صفوها، لذلك نقول: «إن إسرائيل هى أمريكا الصغرى، وإن أمريكا هى إسرائيل الكبرى.

* ويقول الدكتور العميد: «أرفض الإسلام الذى يفرخ الإرهاب؟ ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية».

ونقول: على رسلك أيها الدكتور العميد، انظر ماذا تقول؟ إنك قلت منكرا من القول وزورا، فليس لدينا إسلام يفرخ الإرهاب. وإنما لدينا إسلام يدعونا أن نكون دائما أقوياء، ندفع العدوان عن حرماتنا ومقدساتنا وحرياتنا وديننا. وهذا هو ما يفعله الخطباء يعبئون الأمة لرد الخطر عنها، لا لتعتدى هى على غيرها. نحن لا يسمح لنا ديننا بظلم أحد وإن كان ملحدا، كما أنه لا يسمح لنا أن نكون جبناء مستعبدين فى الأرض، يسومنا الأعداء سوء العذاب.

وكتاب الله العزيز يأمرنا ويقول:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(١)

فهل الله إرهابى ياسعادة الدكتور العميد؟

إن السبيل الوحيدة لدرء الأخطار المحدقة بالأمة الآن هى الوحدة الجامعة، وأفضل عناصر توحيد الأمة هى المساجد، ولولا المساجد لانحسر الإسلام بعد عصر الخلفاء الراشدين، ولما بقى منه شىء فى الوجود الآن.

وإذا تحققت وحدة الأمة هانت كل العيوب التى توجد فيها. وإذا غابت وحدة الأمة فلن يصلح شأن الأمة شىء سواها.

واستبعاد دور الدين فى تجميع صفوف الأمة وتوحيد كلمتها ضرب لها فى أقتل مقاتلها، وكل محاولة نحاولها لوحدتها الجامعة - بعيدا عن الدين لا يحقق للأمة رغبتها فى التحرر والبقاء، لأنها بمثابة مسكنات لا تقضى على الآلام ومسبباتها، ولكن تفقدنا مجرد الإحساس بها، وسريعا ما يزول مفعولها. ومتعاطى المسكنات يخدع نفسه، يظن أنه برأ من دائه، والداء كامن فيه، يفتك بكل قواه وهو لا يدرى، ورسولنا الكريم يقول مرغبا لنا فى الوحدة والحفاظ عليها: «من جاءكم وأمركم جمع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا رأسه بالسيف كائنا من كان»(٢)، والتاريخ خير شاهد، على أن الأمة لا يجمعها إلا الدين، ولم تحقق انتصاراتها إلا بالدين. وممن لاحظ هذه الحقيقة ابن خلدون فى مقدمته المعروفة.

إن إسكات أصوات المنابر سوف يصيب ألسنة الدعوة بالبكم، ويلقى قيمها ومبادئها فى كهوف الظلام.

إلى هنا فرغنا من مناقشة أفكار الدكتور العميد، التى أبرزها محرر «الراية» فى مقدمة الحوار الذى أجراه مع سعادة الدكتور العميد، عبد الحميد الانصارى عميد كلية الشريعة والقانون، بدولة قطر الشقيقة، وبقيت له أفكار أخرى لم يبرزها المحرر الاستاذ أنور الخطيب - أفكار جديرة بالمناقشة، وليس فى وسعنا استقصاء الحديث عنها كلها، لكثرتها، لذلك آثرنا قصر الحديث عن بعض منها فى الآتى:

* سأل المحرر الدكتور العميد:

دعوتك لإعادة النظر فى المناهج التعليمية فى العالم العربى هذه الدعوة ترافقت مع الدعوات الأمريكية بعد أحداث سبتمبر

---

(١) الأنفال «٦٠».

(٢) مسلم، باب الإمارة (٥٩).

الماضى لإعادة النظر فى المناهج الإسلامية هل كان ذلك مصادفة..؟

وقد جاء رد الدكتور العميد فى فقرات نذكرها مفرقة مع مناقشة كل فقرة منها.

الفقرة الأولى:

«أنا من المهتمين بإعادة النظر فى المناهج الإسلامية، وإزالة ما بها من بذور تورث الكراهية. ضد الآخرين. ضد المرأة، ضد المختلف معنا فى الدين أو المذهب.

هذا قوله، ونقول:

إن ما ورد فى هذا الشأن من كتاب الله وسنة رسوله لا يدعو إلى كراهية أحد بل على العكس يدعو إلى التسامح، ومعاملة المخالف لنا فى الدين بالقسط، ويأمرنا كتاب الله بأن نبرهم ونحسن إليهم، ولكن بشرط ألا يكونوا حربا علينا، ولا يظاهروا عدوا لنا على قتالنا فى الدين، أو إخراجنا من أرضنا.

وهذا لا ينطبق على أمريكا التى يدافع عنها الدكتور العميد، لأنها تقاتلنا فى الدين (...)، وتظاهر من يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا (إسرائيل).

والإسلام جعل العلاقة بين المسلمين وغيرهم علاقة سلام لا علاقة كراهية وحرب - إلا من طعن فى ديننا أو نقض عهده معنا وآذانا.

١- والله دعانا إلى السلام فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٣)

هذا هو أصل العلاقة. «أما إذا حمل غيرنا السلاح علينا فليس له عندنا إلا التصدى لرد العدوان».

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٤)

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾(٥).

فالقتال فى الإسلام لا يكون إلا فى مقابلة قتال بدأنا به العدو وهذه الآية:

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٦).

توضح المعنى الذى تضمنته الآيات المذكورة، وتزيد عليه مبدأ المعاملة بالمثل» وهو مبدأ دستورى عام فى كل النظم، حتى الوضعية منها.

***

أما أن فى الإسلام ما هو ضد المرأة، فهذه كبوة فى فهم العميد لموقف الإسلام من المرأة: فى جميع مراحل حياتها بنتا، وزوجة، وأما، ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد قول الله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(٧).

---

(٣) البقرة «٢٠٨».

(٤) البقرة «١٩٠».

(٥) التوبة «٣٦».

(٦) البقرة «١٩٤».

(٧) البقرة «٢٢٨».

وهى درجة الرعاية والكفاية والحفظ والتوجيه (القوامة) وقوله:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٨)

وقال صاحب الرسالة - ﷺ - فى خطبة حجة الوداع:

«استوصوا بالنساء خيرا»(٩).

وقوله:

«النساء شقائق الرجال»(١٠).

وكفى المرأة تكريمًا فى الإسلام أنه انتشلها من الهوان الذى كان يمارس ضدها فى حضارات الأمم الغابرة، الفرس والروم وعرب الجاهلية.. وهذا أمر شرحه يطول. ومن نماذجه أنها كانت توأد بعد ولادتها وهى حية أو تحرق إذا مات زوجها قبلها، لأنها تصبح غير ذات قيمة بعد مماته! أو تورث ضمن التركة بعد موته، أو تحرم من الميراث من والديها. وبعض الديانات الكتابية تعتبرها شرا خالصا لا خير فيها.

ثم جاء الإسلام فكرمها وجعلها هى والرجل سواء فى الحقوق والواجبات، وأعفاها من كثير من الأعباء الثقال، التى لا تناسبها، وألقى بها على كواهل الرجال.

فأى شىء يراه الدكتور العميد ضد المرأة فى التعليم الدينى الإسلامى يا ترى؟

هل نعكس محاسنه سيئات، ومزاياه قوادح، ثم نتيح الفرصة للإسلام أن يقول كما قال الشاعر.

إذا محاسنى اللائى أدل به
عدت ذنوبى فقل كيف أعتذر؟

وما أفظع أن يظلم الإسلام على أيدى بنيه، بل على أيدى النابهين من بنيه.. وظلم القريب أشد إيلاما لقريبه من ظلم البعيد.

وفى هذا قال شاعرنا الحكيم قديما:

وظلم ذوى القربى أشد مرارة
على النفس من وقع الحسام المهند

وقال الدكتور العميد فى فقرة أخرى:

«وجهودى فى هذا المجال جزئية ضمن جهود مصلحين كانوا قبلى، الشيخ محمد الغزالى والشيخ محمد عبده».

ونقول للدكتور العميد: إنك تظلم الشيخين محمد عبده والغزالى إذا سويت بين جهودهما الإصلاحية فى مجال الفكر والعلم؛ لأن جهودك فى واد وجهودهما فى واد آخر مع بعد الشقة بين الواديين.

الشيخ محمد عبده كان تلميذا للشيخ جمال الدين الأفغانى، وجمال الدين هو الذى قال لمسلمى الهند تحت الاحتلال الإنجليزى، وكان عدد مسلمى الهند إذ ذاك أربعين مليونا، قال لهم جمال الدين: «لو كنتم أربعين مليون ضفدعة لألقيتم بالإنجليز فى قاع المحيط الهندى»!

---

(٨) النساء «١٩».

(٩) البخارى (٤/١٦١)، (٧/٣٤).

(١٠) كشف الخفا (٢/٤٥٣).

يحثهم على الجهاد لا الإرهاب، لطرد الإنجليز من بلادهم. وهذا هو الشيخ محمد عبده يحذو حذوه، ولكن من طريق آخر، هو إحياء روح الأمة وربط حاضرها بماضيها لتفض النوم عن عينيها، وتقف أمام عدوها صفا واحدا، واتخذ من التربية الإسلامية وبث المعارف الدينية طريقه فى الإصلاح.

لذلك ضيق عليه الإنجليز الخناق ونفوه من بلده اتقاء لشره - فى نظرهم - وتأديبا له.

والذى ينبغى أن يعرف عن الشيخ محمد عبده أنه مر بمرحلتين من حياته العلمية المحفوظة للكافة.

- مرحلة ما قبل النفى الذى حدث له من الاحتلال الإنجليزى فى مصر، وكان فى هذه المرحلة مناضلا إسلاميا لا تلين له عريكة فى نصرة الإسلام كما أنزله الله، ومن أجل هذه ضاق به الإنجليز ذرعا، ونفوه إلى خارج الديار المصرية.

- ومرحلة ما بعد العودة من النفى، وفى هذه المرحلة أصاب منهج الشيخ شىء من الليونة، وحدث بينه وبين رموز الاحتلال تقارب، كان من ثماره محاولة الشيخ فرض بعض أنماط الحضارة الغربية على واقعيات الإسلام، والميل إلى الفكر الغربى فى كثير من اجتهاداته وفتاويه وتفسيراته لبعض آيات القرآن الكريم.

وربما كان الدكتور العميد ينظر إلى الشيخ محمد عبده، من هذه النافذة المعتمة فى حياة الأستاذ الإمام - على حد تعبير تلميذه الشيخ رشيد رضا صاحب «المنار».

وأيا ما كان الشأن فإن جهود الشيخ محمد عبده فى الإحياء والإصلاح، لا تماثل، بل ولا تشابه بينها وبين جهود الدكتور العميد، التى عرض نماذج وافرة منها فى حواره مع محرر جريدة «الراية» القطرية - الأستاذ أنور الخطيب فى أوائل يناير من هذا العام (٢٠٠٢).

أما الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - فقد عايشناه فى حياته الزاخرة بالعطاء الفكرى الفياض. وقد عاش الرجل قرابة الستين عاما حاملا راية الجهاد، نصيرا للإسلام بوعى وحكمة حاملا هموم أمته فى قلبه، معبرا عنها بلسانه وقلمه السيال الذى فقدناه.

وجهوده فى مجال الدعوة يمكن - تواضعا - حصرها فى محورين:

المحور الأول: التصدى لكل ما يقال عن الإسلام من الداخل والخارج، وتبيين افتراءات الخصوم، وإحلال حقائق الإسلام الناصعة محل تلك الافتراءات.

المحور الثانى: محاولات موفقة لبعث الأمة الغافية من جديد، وحثها على أن تأخذ بأسباب القوة، وتفجير كل الطاقات المتاحة، لتمتلك من فقه الدنيا وإعمارها مثل ما تمتلك من فقه الدين وقيمه الرفيعة، ومقاصده الشامخة حتى تنتج ما تحتاج إليه فى حياتها المادية، لأن الذى لا يملك دنياه لا يملك دينه.

ومن يقرأ كتبه:

ظلام من الغرب، فى موكب الدعوة، كفاح دين، لماذا تأخر العرب والمسلمون، الإسلام المفترى عليه، معركة المصحف فى العالم، عقيدة المسلم، خلق المسلم، ركائز الإيمان، حصاد الغرور، الزحف الأحمر، مع الله، هموم داعية، من هنا نعلم، كيف نتعامل مع القرآن، الأصول الخمسة.

من يقرأ له هذه الكتب وغيرها من نتاجه الفكرى الغزير يدرك أنه - رحمه الله - كرس حياته كلها لإيقاظ الأمة من سباتها العميق، لتأخذ مكانها بين الأمم، مرهوبة الجانب، عالية الرأس، وتحقق العزة التى كتبها الله لذاته، ولرسوله وللمؤمنين.

فالشيخان: محمد عبده والغزالى، أبصرا فى الأمة أمراضا وعللا، فاجتهدا فى علاجها بما هداهما الله إليه من أدوية استمداها من منابعها الصافية (كتاب الله وسنة رسوله) وأنت يا سعادة العميد، أبصرت فى الأمة أمراضا وعللا واجتهدت فى وصف علاجها منها. فالمبدأ عندهما وعندك واحد. أما المنتهى فمختلف كل الاختلاف: هما حاولا شفاء الأمة بالأدوية حقا أما أنت فقد حاولت شفاء الأمة من أمراضها وعللها بأمراض وعلل أشد فتكا، وأسرع إهلاكا من الأمراض التى أردت طب الأمة منها؟

وليتك سلكت مسلكهما فى دعوة الأمة للأخذ بأسباب القوة، لتكون ندا لمن يريد بها السوء. ومقتل الأمة الآن - بعد تمزقها وتفرقها - فى تخلفها فى فقه الدنيا، فهى لا تزال عاجزة عن صنع الآلات والأجهزة، وبخاصة الأسلحة، وما تحتاج إليه من مخترعات التكنولوجيا الحديثة فصارت مستهلكة لحضارة الغرب الحديثة.

هذا هو مركب النقص فى حياة الأمة الآن. وهذا هو الفرق بين أفكار الشيخين الإصلاحية، وبين أفكارك أنت - موضوع الحوار - والبون شاسع جدا بينهما وبينك، لأن الأفكار التى تضمنها الحوار ليس لها من معنى، إلا الدعوة للاستسلام المخزى، أمام قوة غاشمة، لا ترى لنا معها وجودا على ظهر الأرض، إلا أن نكون عبيدا لها.. وهيهات هيهات لما يتصورون.

الفقرة الثانية:

قال الدكتور العميد: «ويجب أن نوضح مفهوم الإسلام للجهاد من أن الجهاد لم يشرع - يعنى فى الإسلام - إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر، والقرآن يقول:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(11)

ونقول: إن هذا المفهوم الذى ذكره الدكتور العميد للجهاد فى الإسلام، مفهوم غامض غير مفهوم، وحتى إن أمكن فهمه، فليس هو مفهوم الجهاد فى الإسلام. ويبدو

(11) الكهف «29».

من كلام العميد أنه يريد أن يبين سبب الجهاد (القتال) فى الإسلام. فإن كان هذا مراده، فما قاله غير سديد.

إن السبب الرئيسى للقتال فى الإسلام هو رد العدوان، وآيات القرآن التى ذكرناها من قبل نصوص صريحة فى تقرير هذا السبب.

والإسلام لم ولن يضيق بمخالفيه فى العقيدة، ولو عاشوا مع المسلمين فى شبر واحد من الأرض، والكفر المجرد ليس سببا فى مشروعية القتال فى الإسلام. ولم يحدث هذا فى تاريخ الإسلام قط، لكن الاعتداء على المسلمين قولا أو عملا أو قولا وعملا هو السبب المؤذن فى القتال، إذا لم تفد وسيلة أخرى فى كف الأذى ودحر العدوان. وفى ذلك يقول عز وجل:

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[١٢].

ورسول الله ﷺ، لم يقاتل أحدا لأنه كافر، بل إن ربه أمره أن يقول لكفار قريش:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[١٣].. وحتى فى أثناء القتال: إذا بدر من العدو عدول عن القتال فعلى المسلمين التوقف الفورى عن قتال ذلك العدو:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[١٤].

وعلى هذا فإن قول العميد: «الجهاد لم يشرع إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر» فهم مغلوط، لا صلة له بالواقع التشريعى فى الإسلام.

وبقيت ملاحظة: وهى أن العميد حذف من الآية مقطعا مهمًا جداً، حيث لم يذكر قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾[١٥] بعد قوله عز وجل:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[١٦].

وهذا الحذف يؤدى إلى فهم مرفوض، حيث يفهم منه التسوية التامة بين إيمان من يؤمن وكفر من يكفر، وهذا غير صحيح، لان الإيمان والكفر وإن استويا فى حرية الاختيار فى الدنيا - إذ لا سلطة لأحد على أحد فى إجباره على الكفر أو الإيمان - فإنهما مختلفان فى المصير الأخروى عند الله - عز وجل.

وربما كان هذا الحذف من عجلة العمل الصحفى، وعلى كل، فإن لفت النظر إلى آثاره السيئة واجب وأمانة فى عنق كل الدعاة.

«يتبـــــع»

***

(١٢) النساء «٩٠».

(١٣) الكافرون «٦».

(١٤) الأنفال «٦١».

(١٥) الكهف «٢٩».

(١٦) الكهف «٢٩».

عثرات الماضى والعبور إلى المستقبل

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● بدرجة ما.. وفى إطار جماعات معينة.. يمكن أن يكون صحيحاً مايقدمه بعض أعداء الإسلام والمسلمين من اتهامات تتصل بقضية انسحابهم من مواجهة أعباء الواقع الحاضر والمستقبل المستشرف، وانغماسهم - أى بعض المسلمين - فى مشكلات الماضى لايريدون أن يقلعوا من موقعها، وأن يعتصموا بحبل الله مع المسلمين، لمواجهة التحديات المعاصرة... مع الإفادة من دروس الماضى بطريقة إيجابية بناءة...!!

● ويُعَدّ من أغرب ماوقع فيه بعض المسلمين حقد بعضهم على الأسلاف.. وجعل هذا الحقد مذهباً وموقفاً ثابتاً. مع أنهم لم يشهدوا هذا التاريخ، ولربما طويت منه صفحات، أو كانت هناك مؤامرات لم يكشفها التاريخ، ولربما كانت هناك ظروف لم ندرس كل أبعادها... نعم.... نحن نحكم على طرف بأنه مخطئ وطرف آخر بأنه مصيب.. وجمهور الأمة المسلمة من طنجة إلى جاكرتا تؤمن بأن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ومن معه كانوا على صواب. وبأن معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – كان ومن معه على خطأ... وهى تؤمن – مع ذلك – بأن الطرفين اجتهدا وكانا – معًا – (طائفتين مؤمنتين) بَغَتْ إحداهما على الأخرى، ووَقَعَتْ بين الطرفين ملابسات وضبابيات جعلت صحابياً ورعاً شريفاً بإجماع الأمة هو (عبدالله بن عمر) يتوقف فى الأمر، ولايتحيّز لطرف ضد آخر... إن الأمة تؤمن بكل ذلك، بل إن قلب الأمة المسلمة كلّه – إلاّ من شذّ – مع على بن أبى طالب وأبنائه وآل البيت جميعًا، لدرجة أنه يشاع عن شعب كالشعب المصرى بأنه شعب (يحب آل البيت حُبًّا جمًّا) إلا أنه لايتمذهب بمذهب التشيع!!

● ويرى جمهور الأمة أن الأمر يجب أن يقف عند هذا الحدّ، وأن نستفيد من درس هذه الفتنة أو المؤامرة، وأن يكون مثلنا الأعلى هو الآية الكريمة:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

(١) البقرة (١٣٤).

وأن نحفظ لجيل الصحابة كرامته التي تليق به، ولاسيما وقد نهانا الرسول الكريم ﷺ نهياً صحيحاً قاطعًا عن التجرؤ عليهم. فقال لنا فيما أخرجه البخارى: (لاتسبّوا أصحابى، فوالله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).

● وقد وقع فى كثير من النهضات والثورات كثير من الخلافات، ومع ذلك فإن أصحابها يبجّلون رموزها، ويعتبرونهم قمما تاريخية وصناع حضارة.. وماوقع بين الصحابة كان دفاعا حقيقيا عن وجهة نظر كل منهم، وعن قيمة أساسية من قيم الإسلام، - فهؤلا يدافعون عن حق الأمة وخليفتها الشرعى - أوّلاً - فى ممارسة سلطانه.. وأولئك يدافعون عن (حق دم خليفة) قتل ظلماً حتى تستتبّ الأمور على رضا عام وقواعد سليمة!!

- ولسنا نريد أن نثير القضية أو نؤجّج نارها - استغفر الله - وإنما نريد القول: إن هذا الموقف نتيجةٌ طبيعة لبداية مرحلة جديدة كانت تمرّ بها الأمة المسلمة، وهى تواجه قوى العالم القديم بما درب عليه من مكائد وأساليب سياسية، وتواجهه - من جانب آخر - بكل مايطرحه من نقلة حضارية تخرج بالمسلمين من طبيعة الجزيرة بمنهجها البسيط الواضح إلى دنيا الحضارة الفارسية والرومانية بمنهجها السياسىّ المركب.... فكانت الفتن الكبرى أو المؤامرات الكبرى مأزقا كنا نتمنى أن ينجح جيلٍ الصحابة العظيم فى عبوره بأسلوب أكثر أناة وسلماً..

- ومع ذلك فهو دِرس.. ويجب أن يبقى درسا يُعالَجُ بمنهج العلم والتاريخ والحب..!!

- لكن طائفة - أو شرائح من طوائف - تَنْسب نفسها إلى الولاء لآل البيت قد عالجت الأمر بمنهجية مختلفة.... وقد حوّلته إلى مذهب.. وهذا المذهب يصرّ على أن نعيش عند هذه النقطة ولانتجاوزها، وأن نضخّمها مااستطعنا، وأن نؤلّف فيها مئات الكتب، ونقيم لها فى كل عامٍ احتفالات تُلطم فيها الخدود وتشقّ فيها الجيوب، ويضرب بعضهم بعضا بالسلاسل الحديدية، ويقيمون أو يقيم جماعة منهم - مؤتمرات خاصة بلعن أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - فضلاً عن اللعّن الثابت لمعاوية، وبنى أمية، وبنى العباس... أى لتاريخنا الإسلامى كله... لأن موقفهم من العثمانيين أيضا موقف عدائى... ودولة الصفويين الشيعة قد أوقفت زحف العثمانيين أيضا على أوربا، وطعنتهم من الخلف وشغلتهم بها عن أوربا .

انظر فى هذا الاعتراف من المفكر الشيعى د.على شريعتى فى كتابه (العودة إلى الذات).. فكانت الكارثة التى انتهت بأن تحول العثمانيون إلى رجل مريض!! فلماذا هذا كله؟

- ومالجدوى منه إذا كنا جميعا مسلمين؟

- ولماذا لاندرس الدرس دراسة علمية محايدة، ونتجاوزُه، ونُبصر التحديات المتراكمة التى انتهت بأمتنا إلى هذه الصورة الشائهة حضاريا، والتى وَصَلَتْ إليها فى القرن الخامس عشر للهجرة والقرن الذى قبله. ونخشى أن تستمرّ لقرن قادم مالم تدركنا رحمة الله؟

● وعلام هذه الشحنات الدافقة الولود من الأحقاد على أبرارٍ أطهارٍ لم يستطع التاريخ البشرى أن يجود بمثلهم من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان؟

- ولنفترض أن معاوية وأحفاده، وأبا جعفر المنصور وأحفاده قد ارتكبوا أخطاء..

-فهل هم معصومون؟ وأيضاً: أليست لدولهم حسنات؟ ولماذا لا يكون ميزاننا إسلامياً عادلاً؟ بل لماذا لا نلتمس الأعذار ونستفيد من دروس التاريخ على أساس من الولاء لتاريخنا وعدم الوقوف مع أعداء الإسلام في جهودهم لتشويهه.. وبالتالي نميل إلى الحب.. وإلى النظر إلى المساحة الواسعة البيضاء؟

● وهل من الإسلام أن يخون الصفويون الإسلام هذه الخيانة الكبيرة ويتعاونوا مع أوروبا في إسقاط آخر خلافة إسلامية؟

إن كل الأمم تتغاضى عن بعض أخطاء عظمائها.. وإن عظماءنا ملائكة بالنسبة لعظماء هذه الأمم، وما وقعوا فيه إنما هو من قبيل (البشرية الحاكمة).. وهي أخطاء قد يكون من حقنا أن نقيسها بمقياس إسلامنا العظيم، ومسئوليتنا في تقديم أفضل النماذج للبشرية، لأننا خير أمة، ولأننا الأمة الباقية الشهيدة على الناس.. لكن ليس من حقنا أن نجعلها- وحدها- هدفنا، ومجال اهتمامنا، وأن نظلم حضارتنا، فنتجاهل بقية المساحة القيمة الإيجابية التي انتظمت حياة هؤلاء، ونحن- مع هذا- ضد كل خطأ ارتكبه أسلافنا.. فلا أحد معصوم، ولا محاباة على حساب الحق!!

● لكننا لسنا ضد أشخاصهم العالية الزكية.. إنهم ليسوا هدفنا الذي نسعى إلى تشويهه وتجريحه، وإنما هدفنا أن نبصر الخطأ ونصحح المسار، ونعرف كيف نتجنب ما وقعوا فيه، ونعمق ما أحسنو فيه- وهو كثير-!!

● فإذا كانت طبيعة عصورهم لم تضغط عليهم ليستحدثوا مؤسسات ثابتة ودائمة للشورى فإننا نأخذ عليهم ذلك.. ومع تقديرنا الكبير لما أورده المسعودي الذي لا يمكن اتهامه بموالاة معاوية ولا بني أمية من أن معاوية – رضي الله عنه- كان يأذن للناس خمس مرات في اليوم والليلة بلقائه.. كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى، ثم يصلي أربع ركعات، ثم يخرج من مجلسه (...) ثم يؤتى بالغداء وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء (...) وينادي بالمغرب فيخرج فيصليها، ثم يصلي بعدها أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة خمسين آية (...) ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية. (المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٤٠).

وبعد أن انتهى المسعودي من سرده الذي ذكرنا بعضه، (ونحيل إليه لروعته..) يعقب على البرنامج اليومي لمعاوية- (رجل الحكم العظيم) فيقول: وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبدالملك ابن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأني للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم (٣ / ٤٢). والمسعودي معروف بولائه لآل البيت!!

● ومع تقديرنا لهذا كله إلا أننا كنا نتمنى أن ينجح أسلافنا في استحداث مؤسسات ثابتة للشورى، تجمع عقول الأمة وخبراتها، وتكفل لتاريخنا مساراً أزكى وأرقى..

-لكننا- مع ذلك- لا نحول هذا الخطأ إلى حقد عام، واتهامات جزافية، ثم نستمر في تجاهل قيمة (مؤسسات الشورى) التي تفرضها علينا- بكل صور الفرض- تحديات عصرنا.. والتي لو وجدت لحالت دون ثورات كثيرة، وخلافات مدمرة.. كلا فلنقرر الحقيقة.. فهذا هو الدرس..

قومى بين الشرق والغرب(١)

للشاعر الكبير/ محمود غنيم

قـومى، لأنتم عـبـرةُ الأقـوامِ هل تنتسبون ليافثٍ أو سامِ؟(٢)
أبناءُ عمى من نزارَ ويعرب ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسَّمون الغربَ حتى يُوشكوا أن يعبدوه عبادة الأصنام(٣)
ما قلدوهم مبصرين؛ وإنما تَبِعُوا نظامَهمو بغير نظام
للغرب عاداتٌ مسَمِّمَةُ، سرت فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام
إنىَ رأيت جيوشه لم تغزُنا فى الحرب، بل فى مشرب وطعام
لا تأمنوا المستعمرين؛ فكم لهم حربٌ تَقنَّع وجهُها بسلام
حربٌ على لغة البلاد وعادها ليست تُشَنُّ بمدفع وحسام(٤)
والشعب إن سَلِمت له أخلاقه ولسانه، لم يخْشَ قطع الهام(٥)
ما صاغَ ربك من نضار خالص شعباً، وشعباً من حصى ورغام(٦)
هى محضُ أوهام! أعيذ الشرق من أم تعيش أسيرة الأوهام
إنى أعيذ الشرق من متمسِّح بالأجنَبِّى، لقومه هدَّام!
إن لامه الغربىُّ فى أوطانه أنحى بلائمه مع اللُّوَّام
وإذا رنا نحو الغريب، فإنما يرنو بمجْهَر راصِد الأجرام(٧)

---

(١) يعنى الشاعر - فى هذه القصيدة على بعض الشرقيين افتتانهم بكل ما هو غربى، وعلى من يتعلمون فى أوروبا تنكرهم لأوطانهم بعد عودتهم إليها. (نشرت فى مجلة الرسالة ١٧ من مارس سنة ١٩٣٩).

(٢) يشير إلى: ما تشير إليه الخرافة من: أن العرب من نسل سام بن نوح، والفرنجة من نسل يافث.

(٣) ترسمه: اقتفى أثره.

(٤) العاد: جمع عادة.

(٥) الهام: جمع هامة وهى الرأس.

(٦) النضار: الذهب. الرغام: التراب.

(٧) المجهر: المنظار المكبر، والمراد بالأجرام: الأجرام السماوية.

وإذا أعـــــار بـنـى أبيـــــه نـظـرة فـبـــمـــقلة الأعـــمى أو المتـــعـــامى
والعــــيـن تـخــــدَعُ ربَّـهــــا ، ولـربما خلقت عــمـــــالقــــة من الأقـــزام[^8]
وإذا تـنـكَّـر لـلـحــــــــمى أبـنـاؤه فـهــــمـــو أضــرُّ له من الأخـــصـــام

***

مـــا بالُ بـحــــرِ الروم من يجـــتــــازُهُ يومــــا تناسـى ســـــالفَ الأيام؟
فـــإذا به خَـلقٌ جـــديد مـــا مـــضى من عـــــمــــره حُـلمٌ من الأحـــلام
تـتـغـــيــر الدنيـــا عليــــه ، فكلُّهـــا فى عـــــينه نقصٌ بغـــيـــــر تمام
هل تـغــــرق العــــاداتُ من أربابـهــــا فى ذلك البـــحــــر الخِـــضَمِّ الطامى؟[^9]
مــا اجــتــاز شـرقىٌّ عـجـاجـة مـوجـه إلا وَعَـــــــاد مــــــــزودا «بمدام»
إن التكافـــؤ فى الدمـــاء فـــريضـــةٌ وســــوَانهـــــا لم تأت فى الأحكام
وهـو القــــــران إذا تـخــــــالف أهلُه جـــســـا ، فــعــقــدته لغـيــــر دوام
كـم زيجـــةٍ مــــازال يدمَى جـــرحـــهـــا ومـن الجـــــــــروح : ذوابلٌ ودوامـى!

***

لا أعـــــرفُ العــــربىَّ يكشفُ رأســـــه نحـــو المجـــالس مُــومــئـــاً بســـلام[^10]
إنْ زِيرَ ، تَـخْـــرجُ عِـــرسُــــهُ من دُونِه للزائرين بـشــغـــرها البـــســـام[^11]
بـــدوارس الأطـــلال يُـلحقُ أمَّــــــه ويـــرى أبـــاه رابـــعَ الأهـــرام[^12]
يعص الإله ، فـــإن أشــارت عِـــرسُــــهُ بإشـــارة ، فـــالقـــولُ قـــولُ «حـــذام»[^13]
ويـكـاد يسلخ نـفـــســــه من قــومـــه لو تســـتطاع قطيـــعـــة الأرحـــام
ويـكـاد يمـــسخ خلقــــه ، لو كــــان فى يمناه قَلْبُ مـــعــــالم الأجـــســـام

***

[^8]: (٨) العمالقة: جمع عملاق، والأقزام: جمع قزم؛ وهما ضدان؛ الأول: الطويل، والثانى: القصير.
[^9]: (٩) الخضم: الواسع. والطامى: الفياض الممتلىء.
[^10]: (١٠) مومىء: اسم فاعل من أومأ بمعنى أشار.
[^11]: (١١) زير: ماض بنى للمجهول بمعنى زاره زائر، والعرس - بكسر العين -: الزوجة.
[^12]: (١٢) دوارس الأطلال : الآثار البالية، ورابع الأهرام: كناية عن العتق والقدم.
[^13]: (١٣) «القول ما قالت حذام»: مثل مشهور، يضرب لمن لا يعارض له قول.

لا أعــــرف العــــربى يلوى فكَّه ... إن هـمَّ يـومـــــا فكَّـه بـكـلام

إن فــــاه، تـســـمعُ لكنةً ممقـــوتة ... من فـيـــه «سكســـونيَّـــةَ» الأنغـــام

لفظا من الفـــصـحى، وآخـــرَ نابيـــا ... كـــالقـــار ممزوجـــا بكأس مُـــدام

لغـــة إذا قـــرَعَت بجندل لفظهـــا ... أذنَ الســـمـــيع، شكت من الآلام

لهـفى على الفصحى! رماها معـشـرٌ ... من أهلِهَـــا . شَلَّت يمـــينُ الرامى

لم يهـتـــدوا لكنوزها؛ فـــإذا همـــو ... يرمـــونهـــا بالفـــقـــر، والإعـــدام

الدر فـــى طـــىِّ البحـــور مـخبـــأ ... والتـبـــرُ - إن تنشـــدْهُ - تَحْت رغـام

لن يسـتعـيـد العُـرْبُ سالف مجدهم ... ولســـانهم غـــرضٌ لكل سِـــهَـــام[14]

إن يرفـــعـــوا مـــا انقضَّ من بنيـــانهم ... فـــالضـــادُ أولُ حـــائطِ ودعـــام

***

أبنـى نزارَ ويعـــربٍ، أوصـــيكمـــو ... بذخــــيـــرتين: الضـــاد، والإســـلام

المسلمـــون - على شـتـــات ديارهم - ... فـــرضَ الإلهُ خـضـــوعـــهم لإمـــام[15]

الله بالجـــمـــعـــات وحَّـــد بينهم ... وبحجِّ بيت فى الحـــجـــاز حـــرام

دين ابن عـــبـــدالله دينٌ باســـمـــه ... قـــبض الرشـــيـــدُ على الورى بزمـــام

هو دولـةٌ كـــبـــرى، وملكٌ شـــامخٌ ... لا مـــحضُ تكبـــيـــرٍ، ومـحـضُ صـيـــام

***

إن يُزهَ شـــرقىٌّ بغـــيـــر العُـــرْب من ... أجـــــــداده الأتـــراك، والأروام

فـــأنا الفـــخـــورُ بأننى: لا ينتـــمـى ... للغـــيـــر أخـــوالى، ولا أعـــمـــامى

إن تســـألوا عنى: إلى من أنتـــمـى؟ ... فـــإلى رعـــاة النوق والأغـنـام

أبغـــيـــر مـــجـــد بنى نزارَ ويعـــربٍ ... يُزهـى عـــراقىٌّ ويفـــخـــر شـــامى؟

***

(١٤) غرض السهام: هدفها.

(١٥) يشير فى هذا البيت وما بعده إلى: ما فرضه الإسلام على اتباعه من مظاهر الوحدة، التى تكون منهم دولة ذات قوة ومنعة، وإلى أن الإسلام ليس دينا لاهوتيا محضا.

حوار حول فلسفة ابن رشد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أرسل إلينا الأستاذ/ محمد محمد طه الولى. من لبنان رسالة موضوعية رقيقة مهذبة أبدى فيها ملاحظات على الحلقة الثالثة من مقال الدكتور/ محمد عمارة نشرت فى الجزء الثالث السنة الخامسة والسبعين. عدد ربيع الأول ١٤٢٢ هـ. يونيو ٢٠٠٢ عن ابن رشد «الحفيد» تحت عنوان «الإبداع الرشدى فى تصور العالم».

وأرسلت المجلة خطابه إلى الدكتور/ محمد عمارة الذى وافانا برده الموضوعى الجيد. ونحن إذ نشكر الأستاذ/ محمد طه الولى على رسالته نحمد الله أن أتاحت لنا مكنوناً كان خافياً علينا من علم الدكتور/ محمد عمارة فى فلسفة ابن رشد وفلسفة الغزالى.

وأتاحت لنا الاطلاع على الفلسفة المستنيرة للعقل الإسلامى التى تتمثل فى رحابة الصدر واتساع أفق علماء المسلمين وأنهم أصحاب مدنية حقيقية وعقول وقلوب صافية وسوف يعرف القراء ذلك من خلال الرد الجميل.

لقد بدأت اهتماماتى بابن رشد وفلسفته منذ مرحلة طلب العلم بكلية دار العلوم، قبل ما يقرب من نصف قرن.. عندما درست كتب أستاذى المرحوم والدكتور محمود قاسم: (الفيلسوف المفترى عليه: ابن رشد) و(نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى).. وكذلك دراسته وتحقيقه لكتاب ابن رشد (مناهج الأدلة فى عقائد الملة)..

ثم تزايدت اهتماماتى بدراسة الآثار الفكرية لابن رشد، وماكتب عنه ضمن اهتماماتى ببعث تراث العقلانية الإسلامية المؤمنة، المتميزة عن العقلانية الغربية الوضعية والمادية ـ اللادينية ـ حتى لقد هممت أن أجعل ابن رشد موضوعاً لرسالتى للماجستير ـ فى ستينيات القرن العشرين ـ.. فلما عدلت عنه إلى «مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة»، واصلت الاهتمام به ـ كجزء من مشروعى الفكرى ـ فحققت كتابه المنهجى (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، وألّفت حول فلسفته كتابين هما: (المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد) و(ابن رشد بين الغرب والإسلام)..

ولقد نشرت لى مجلة «الأزهر» ـ مشكورة ـ دراسة فى خمس حلقات عن محاولات المتغربين اغتيال إسلامية ابن رشد وفلسفته، وذلك بالسطو على هذه الفلسفة، وتأويلها

تأويلاً قسرياً فاسداً، كى تؤصل للمادية التى بها يبشرون، وللإلحاد الذى له يدسون..

وإذا كان المرء يسعد بالقارئين لأبحاثه ودراساته، فإن سعادته تزداد بالقراءة المتأملة، التى تقف وقفات متفكرة أمام هذه الأبحاث والدراسات، بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف بين الكاتب والقراء.. ولقد كان هذا هو شعورى عندما أحال إلىّ الأخ الفاضل الشيخ محمد الطاهر الحامدى - مدير تحرير مجلة «الأزهر» - الرسالة التى وردت إلى المجلة من الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولى، تعليقاً على الحلقة الثالثة من دراستى حول فلسفة ابن رشد - والتى كان عنوانها: «الإبداع الرشدى فى تصور العالم وفى علاقة الفلسفة بالدين»..

وها أنا أثبت نص الرسالة كاملاً.. ثم أتبعه بعدد من الملاحظات.. لنقدم للقراء الأعزاء فى هذا الحوار العلمى نموذجاً للحوار الفكرى اللائق بالعلم والعلماء، وبمجلة «الأزهر».. والذى يحمل المزيد من الرؤى المعمقة حول فكرنا الإسلامى بصفة عامة، وحول فلسفة ابن رشد على وجه الخصوص..

نص رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولى

«الحمد لله رب العالمين - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

إلى فضيلة الشيخ الطاهر الحامدى مدير تحرير مجلة «الأزهر» الغراء:

لقد لفتتنى فى عدد ربيع الأول ١٤٢٣ - يونيه ٢٠٠٢، الجزء ٣ من السنة (٧٥) من مجلة الأزهر مقالة للدكتور محمد عمارة (ص ٤٠٩) عن ابن رشد الحفيد تحت عنوان الإبداع الرشدى فى تصور العالم، ما كنت أظنها تنشر لولا كثرة أشغالكم وأشغال المشايخ الكرام المسؤولين عن المجلة حفظكم الله، ذلك أن فى المقالة المذكورة مدح وتسويغ لما قاله ابن رشد فى مسألة بدء الخلق وما ذكره فى ردّه المعروف بتهافت التهافت على الإمام الغزالى الذى نقل فى تهافت الفلاسفة إجماع المسلمين على وجوب تكفير الفلاسفة القائلين بقدّم العالم، والتأويل فى مثل هذه المسائل كما هو معلوم لجنابكم غير نافع إذ إن من أساسيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة أن الله - عز وجل - كان ولم يكن معه شىء غيره كما هو لفظ حديث البخارى، وأن الله أحدث الأشياء من العدم إلى الوجود لا من علة تقدمت وجود هذا العالم، سواء سميت هذه العلة هيولى أو غير ذلك كما بينه الإمام أبو منصور عبدالقاهر ابن طاهر البغدادى فى كتابيه أصول الدين والفرق بين الفرق، لا كما ذكر المقال من أن هناك «واسطة بين طرفين أولهما الله، والطرف الآخر الماء والهواء والأرض والحيوان وغير ذلك»، مضيفاً - أى المقال - أن «الواسطة بين

الطرفين هو العالم بأسره الذى أخذ شبهاً من الوجود الكائن الحقيقى ومن الوجود القديم فمن غلب ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث أسماه محدثاً وهو فى الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً، فإن المحدث الحقيقى فاسد ضرورة، والقديم الحقيقى ليس له علة »، انتهى بلفظه.

وقد رد جواز مماثلة شيء لله - تعالى - بأى وجه من الوجوه الشيخ العلامة محمود خطاب السبكى - رحمه الله - فى كتابه « الدين الخالص »، وهو ما قد بينه إمام أهل السنة الإمام أبو الحسن الأشعرى فى كتابه اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع وفيه ما نصه: « فإن قال قائل لم زعمتم أن البارى - سبحانه - لا يشبه المخلوقات؟ قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه فى الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها فى كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً، وقد قال الله - تعالى - :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(١) وقال تعالى:

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٢). انتهى بنصه وحروفه.

ومثل ذلك قال الإمام أبو منصور الماتريدى فى كتابه التوحيد مستدلاً على ذلك باستحالة اجتماع حدوث وقدم بمعنى الأزلية فى شيء واحد، فعلم مما تقدم أنه لا يجوز أن يشبه الله - تعالى - بشيء من خلقه ولا شيء من خلقه به فى أى وجه من الوجوه. على أن فى المقالة المذكورة تناقض واضح، إذ إنه بعد أن يذكر اتفاق جميع الفرقاء على أن أحد الطرفين وهو المحدث المخلوق « هو الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، إلا أنه يعود فيقول: إن « الصنف من الوجود الذى بين هذين الطرفين هو العالم بأسره »، فلا أدرى كيف يستثنى العالم بأسره فى كونه واسطة وفيه من شبه القديم تعالى، من سائر المخلوقات التى هى « الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك » والتى هى محدثة مخلوقة، وهذا استثناء للشيء من نفسه، فماذا عساه يكون « العالم بأسره » غير « الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك »، كما هو نصه وكلامه؟؟ إن هذا كلام لا يقبله العقل السليم بل هو كمن يمزج الماء بالنار، ولا شك فى أن الإسلام لا يقبل أن يكون لله شريك فى الأزلية، ولا يقبل أن يكون لله شبيه فى وجه من الوجوه، إذ لو أشبه الله - تعالى - شيء من وجه من الوجوه لجاز على الله - تعالى - الحدوث من حيث

(١) الشورى (١١).

(٢) الإخلاص (٤).

أشبهه هذا المحدث، ولجاز على الله ما يجوز على هذا المحدث كما تقدم عن الأئمة الإعلام - رضى الله عنهم - فالله وحده هو الأزلى وما سواه محدث له ابتداء، أحدثه الله من غير حاجة إلى واسطة ولا إلى غيرها، إذ الحاجة علامة الحدث تعالى الله عن ذلك، والإسلام لا يقبل إلا تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة أى من خلقه فى الذات والصفات والأفعال كما لا يخفى على جنابكم حفظكم الله - تعالى.

وفى كتاب تشنيف المسامع للإمام بدر الدين الزركشى شرح جمع الجوامع لتاج الدين بن الإمام تقى الدين السبكى (ج ٢ ص ٢٣٩ طبع دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ - بيروت) عند قول المتن: فليجزم عقده بأن العالم محدث، ما نصه: « وهذا العالم بجملته، علويه وسفليه، جواهره وأعراضه، محدث، أى بمادته وصورته، كان عدماً فصار وجوداً، وعليه إجماع أهل الملل، ولم يخالف إلا الفلاسفة ومنهم الفارابى وابن سينا، قالوا: إنه قديم بمادته وصورته، وقيل قديم المادة محدث الصورة..، وكل هذه الأقوال باطلة وقد ضللهم المسلمون فى ذلك وكفروهم، وقالوا: من زعم أنه قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقاً لله - تعالى »، ثم يقول الزركشى: إن الخلاف مع الفلاسفة مبنى على مأخذين: أحدهما أن القديم لا يجوز افتقاره إلى مؤثر عندنا لأن الافتقار من لوازم الحدوث، فهو لا يجتمع مع القدم الواجب لله، أما عندهم فلا يمتنع افتقار القديم إلى المؤثر؛ وثانيهما أن البارئ - تعالى - عند المسلمين فاعل بالاختيار أى بالإرادة، أما عند الفلاسفة فهو فاعل بالذات، وقالوا: إن صدور العالم عن الله كصدور ضوء الشمس من الشمس، فقالوا: إن العالم قديم وإن كان المؤثر فيه هو الله - تعالى - ثم يقول الزركشى ما نصه: « وهذه العقيدة الفاسدة أصل لمسائل كثيرة ضلوا فيها وموَّهوا بها على من لا قدم له راسخ فى الإسلام، نسأل الله - تعالى - العافية »، انتهى بنصه وحروفه من تشنيف المسامع (ص ٢٣٧ إلى ٢٤١).

فضيلة الشيخ الحامدى: لا حاجة إلى التطويل أكثر مما ذكرت فأنتم أعلم منى بما تقدم، واعتقادى بكم هو كل خير حفظكم الله، إلا أننى وجدت أنه لابد لى من أن أكتب ما تقدم لأكون أخاً فى الله صادق الأخوة، إذ لا نفع من أخ لا يبذل النصيحة حيث تجب خاصة وأن « الدين النصيحة ».

وفقكم الله ورعاكم ونفع بكم وبمشايخ الأزهر الكرام المسلمين فى شرق الأرض وغربها، على أنى أرجو التكرم بنشر مقالتى أعلاه فضلاً منكم وكرماً، مشكورين مأجورين إن شاء الله تعالى.

(انتهت رسالة الأستاذ محمد طه الولى)

حـــــــوار.. وملاحظـــــات

إن مجلة «الأزهر» تسعد بهذا اللون من القراءة، التى تقف وقفات فكرية عميقة أمام ما ينشر فيها من دراسات وأبحاث.. وترحب بالتعليقات على ما ينشر فيها، سواء اتفقت هذه التعليقات مع المادة المنشورة أم اختلفت.. بل إن ترحيبنا يكون أكثر بالنقد والإضافة منه بالتقريظ والإطراء.. فالرؤى النقدية هى التى تثرى الفكر، وتحرك الماء الراكد فى المناخ الثقافى الذى يعانى منه الكثيرون..

وفيما يخص التعليق الذى كتبه الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولى على الحلقة الثالثة من دراستى عن ابن رشد - الحفيد - فإننى أسوق بعض الملاحظات المنهجية حول ما حملته رسالته الكريمة من أفكار..

أولها: ليس غريباً أن تأخذ فلسفة ابن رشد مكانها على صفحات مجلة «الأزهر».. فابن رشد أحد كبار فقهاء المذهب المالكى، وأحد كبار القضاة - بل وأحد كبار الذين تولوا منصب «قاضى القضاة» - فى تاريخ الإسلام.. وواحد من أبرز المتكلمين والفلاسفة المسلمين، الذين تباهى بهم حضارتنا الإسلامية غيرها من الحضارات..

وحياة ابن رشد وفلسفته وآثاره الإبداعية.. بل وشروحه على «أرسطو» (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) تأخذ مكانها فى مناهج الدراسة بالأزهر الشريف، مثلها كمثل غيرها من الآثار الفكرية لعلماء الأمة وأئمة المذاهب الإسلامية وتيارات الفكر الإسلامى، على ما بين هذه المذاهب والتيارات من اختلافات أثمرتها الاجتهادات فى الفروع..

يحتضن الأزهر الشريف - ومناهجه - مذاهب السلف والخلف، ويدرس هذه المذاهب جميعها، بروح نقدية واعية، مع المقارنة بينها وبين إبداعات الفكر فى الحضارات الأخرى..

والمعيار الذى يحتكم إليه الأزهر الشريف، وهو يفتح الأبواب للإبحار بين مختلف التيارات، هو نفس المعيار الذى أجمع عليه سلفنا الصالح: العصمة للبلاغ القرآنى، وللبيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى.. وبعد ذلك فكل فكر يؤخذ منه ويُرد..

وثانيها: أن تصنيف فلسفة ابن رشد بحسبانها فلسفة مغايرة لمذهب أهل السنة والجماعة، والقول بأنها فلسفة مادية، تقول بقدم العالم - على النحو الذى يقول به الماديون - هو ادعاء غربى، تبناه المتغربون فى بلادنا، محاولة منهم «لسرقة» رموز الفكر الإسلامى، وتأسيس تراث لماديتهم فى تراث المسلمين.. ولقد كان الأزهر الشريف واعياً بهذه المحاولات، منذ أن رد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) على فرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠-

١٨٧٤ - ١٩٢٢م) الذى نقل هذه الدعوى عن الفيلسوف الفرنسى «أرنست رينان» (١٨٢٣هـ ١٨٩٢م)[٣].. ويومها كتب الأستاذ الإمام - فى مجلة «المنار» - دراسته الفلسفية الكلامية، التى ختمها بقوله: «.. فابن رشد - رحمه الله - لم يخرج فى آرائه عن الملّيين، فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه..»[٤].

عبدالرحمن بيصار

محمد عبده

فرح انطون

ولقد تولى مشيخة الأزهر من كانت رسالته للدكتوراة: (فى فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود) - وهو المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمد عبدالرحمن بيصار (١٣٢٦ - ١٤٠٢هـ ١٩٠٨ - ١٩٨٢) ففلسفة ابن رشد ليست غريبة على الأزهر الشريف، حتى تكون غريبة على مجلته!..

وثالثها: أن ابن رشد لم يقل بقدم العالم، ولم يكن خصماً للذين قالوا بحدوثه.. وإنما كان صاحب منهج يقول: إن هذا الخلاف إنما هو خلاف وهمى، نشأ عن خطأ استخدام مصطلحات لم يستخدمها الشرع - هى مصطلحات «القدم» و«الحدوث» - ونشأ عن قياس «الغائب» على «الشاهد» ومحاولة معرفة حقيقة الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها - وعالم الغيب - بمضامين ومفاهيم المصطلحات اللغوية، العاجزة - بحكم نسبيتها - عن التعبير عن كُنه هذه المعارف المطلقة وحقائقها، لأن النسبى لا يستطيع التعبير عن كنه المطلق وحقيقته..

وينبه ابن رشد على منهجه هذا عندما يلفت الأنظار إلى أن الشرع لم يستخدم مصطلحات «القدم» و«الحدوث» فى الكلام عن خلق الله للعالم «وإنما أطلق عليه لفظ الخلق ولفظ الفطور لأن حدوث العالم ليس هو مثل الحدوث الذى فى الشاهد[٥].. والعقل الإنسانى قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل..»[٦].

فهذا الخلاف، الشهير والمزمن، عند ابن رشد، هو خلاف وهمى، سببه استخدام مصطلحات غير شرعية فى قضية شرعية، ومحاولة فهم الفعل الإلهى - الذى يفوق قدرات الإدراك العقلى للإنسان - بمعانى مصطلحات اللغة القاصرة والعاجزة عن إدراك كُنه الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها..

(٣) فرح أنطون (ابن رشد وفلسفته) ص ٢٣، ٣٧ . طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(٤) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ ص ٥٢٤ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٥) ابن رشد (مناهج الأدلة فى عقائد الملة) ص ٢٠٦ . دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٦) ابن رشد (تهافت التهافت) ص ١٠٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

ولذلك، فابن رشد لا ينكر خلق العالم من العدم.. بل يرى أن هذا هو مذهب الفلاسفة الإلهيين، المتفق مع مذهب المتكلمين المسلمين.. فيقول: إن هؤلاء الفلاسفة «يعتقدون أن البارىء - سبحانه - منفصل عن العالم، وهو فاعل، ليس بمعنى الفاعل الذى فى الشاهد.. وهو فاعل هذه الأسباب، مخرج الكل من العدم إلى الوجود، وحافظه على وجه أتم وأشرف مما هو فى الفاعلات المشاهدة.. ويجب أن لا تكون خلقة هذه الأجسام ومبدأ تكوّنها على نحو تكوّن الأجسام التى ههنا، وإن العقل الإنسانى يقصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل، وإن كان يعترف بالوجود، فمن رام أن يشبه الموجودين أحدهما بالآخر، وأن الفاعل لهما فاعل بالنحو الذى يوجده الفاعلات ههنا، فهو شديد الغفلة عظيم الزلة..»[7]... ففى هذا النص يعلن ابن رشد أن الله - سبحانه - هو «مخرج الكل من العدم إلى الوجود..»

وبهذا المنهج الرشدى - الذى يحرر «المطلق» من سجن «المصطلحات النسبية»، التى تواضع عليها «العقل الإنسانى» - نسبىّ الإدراك - والذى يحرر «عالم الغيب» من أسر مفاهيم «عالم الشهادة»، إذ ليس بينهما سوى الأسماء والمثالات التقريبية للأذهان البشرية - بهذا المنهج عالج ابن رشد - أيضاً - الخلاف الشهير حول العلم الإلهى.. وهل يعلم الله - سبحانه وتعالى - «الجزئيات» مع «الكليات»؟ - كما قال المتكلمون -.. أم يعلم «الكليات» دون «الجزئيات؟ - كما هو منسوب إلى الفلاسفة الإلهيين.

فلم يقل ابن رشد بأى من هذين الرأيين، وإنما كشف عن خطئهما معاً، لأن القائلين بأى منهما قد قاسوا العلم الإلهى - الكلى والمطلق والمحيط - على العلم الذى نعرفه نحن، والذى فيه كلى وجزئى.. بينما كل فرقاء هذا الخلاف قد غفلوا عن أن العلم الإنسانى هو معلول للموجودات، بينما العلم الإلهى هو علة لهذه الموجودات.. فقياس الغائب على الشاهد هو الذى أوقع فرقاء هذا الخلاف فى الخطأ الذى طالهم جميعاً - كما حدث مع الذين تمترسوا عند المضامين اللغوية لمصطلحات «القدم» و«الحدوث».. عالج ابن رشد - بمنهجه العبقرى هذا.. والذى رجع فيه إلى استخدامات الشرع للمصطلحات - عالج قضية العلم الإلهى أيضاً، وذلك عند ما قال - ضمن ما قال -: «والذى ينحل به هذا الشك عندنا، هو أن يعرف أن الحال فى العلم القديم مع الموجود خلاف الحال فى العلم المحدث مع الموجود، وذلك أن وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا، والعلم القديم هو علة وسبب للموجود.. وإنما أتى هذا الغلط من قياس العلم القديم على العلم المحدث، وهو قياس الغائب على الشاهد، وقد عُرف فساد هذا القياس.. وهذا هو غاية التنزيه الذى يجب أن يُعترفْ به.. فواجب أن يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يُكَيَّف، وهو العلم القديم، سبحانه..»[8].

---

(٧) المصدر السابق. ص ٤٢، ٥١.

(٨) ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) - ضميمة فى العلم الإلهى ٣. ص ٧٥، ٧٦ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

ولو أننا استخدمنا هذا المنهاج الرشيد فى النظر إلى كثير من الخلافات الشهيرة والمزمنة فى المسائل الكلامية، لاكتشفنا زيف أسباب هذه الخلافات.. ومنها مسائل: القرآن: قديم؟.. أم مخلوق؟.. ومسألة الخلاف حول رؤية الخلق للخالق فى يوم ليس فيه من دنيانا إلا الأسماء والمثالات - مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ولا قدرة للغات على التعبير عن كنه ما فيه !!

ورابعها: أن حقيقة الخلاف بين ابن رشد وبين حجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١م) - والذى تجسد فى كتاب ابن رشد (تهافت التهافت) رداً على كتاب الغزالى (تهافت الفلاسفة) - لم تكن دفاع ابن رشد عن الفلاسفة فى المسائل الثلاث التى كفّرهم بسببها الغزالى - وهى: قدم العالم.. وعلم الله بالكليات دون الجزئيات.. وعدم بعث الأجساد.. وإنما كان جوهر الخلاف هو نفى ابن رشد أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بهذه المسائل الثلاث أصلاً..

فالغزالى - فى (تهافت الفلاسفة) - كان يجادل الفارابى (٢٦٠ - ٣٣٩هـ ٨٧٤ - ٩٥٠م) وابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ٩٨٠ - ١٠٣٧م) فى هذه المسائل الثلاث، بحسبان أنهما قد نقلاها عن الفلاسفة القدماء فجاء ابن رشد فى (تهافت التهافت) - لينفى أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بذلك، وليرجع الخطأ إلى الفارابى وابن سينا عندما نسبا هذه الآراء إلى الفلاسفة القدماء.. فالخلاف، فى جوهره، ليس بين ابن رشد والغزالى، فهما متفقان فى الرأى حول هذه المسائل، وإنما الخلاف حول نسبة هذه المسائل إلى الفلاسفة القدماء.

وهكذا نجد القراءة الواعية، وغير المتحيزة مسبقاً، تكشف عن « منهاج رشدى » يعود بكثير من القضايا الخلافية، التى نشأت بفعل « شغب » نفر من المتكلمين والفلاسفة، ثم تكرست بفعل التقليد لهذا « الشغب ».. يعود « المنهاج الرشدى » بهذه المسائل الخلافية إلى المصطلحات الشرعية - لا الكلامية أو الفلسفية.. وإلى مبدأ التمييز بين « عالم الغيب » و « عالم الشهادة »، ورفض قياس « الغائب » المطلق على « الشاهد » النسبى.. نجد فى هذا « المنهاج الرشدى » سبيلاً لتصفية علم الكلام الإسلامى من كثير من « الشغب » غير الموضوعى وغير المبرر.. كما نجد فيه الطريق إلى اكتشاف عظم مساحة الاتفاق بين تيارات الفكر فى تراثنا الإسلامى..

ولعل هذا المنهاج هو الذى استخدمه الإمام محمد عبده فى تجريد علم الكلام الإسلامى من « شغب القدماء » عندما كتب كتابه النفيس (رسالة التوحيد)..

وأخيراً.. فإننا - قبل الإبحار فى كتب التراث، والاستشهاد بنصوص الأئمة والأعلام بحاجة ماسة إلى منهاج للتعامل مع اجتهادات هؤلاء الأعلام..

إن بعض الإسلاميين، عندما يناقشون قضية من القضايا، يرون الحق، مطلق الحق وكامل الحق، مع إمام من الأئمة، أو مذهب من المذاهب، أو فرقة من الفرق، مجردين الآخرين، كل الآخرين، من أى حق أو صواب.. صنع ذلك ويصنعه كثير من الذين قرأوا (تهافت الفلاسفة) للغزالى، فرأوا فيه كامل الحق، وجردوا ابن رشد - وكتابه (تهافت التهافت) - من الحق والصواب...

وفى مقابل ذلك، نرى كل العلمانيين والمتغربين، يرون الصواب والحق مع ابن رشد، حتى ليزعمون أنه آخر المبدعين فى العقلانية والتفلسف بتاريخ الإسلام، مع الإدعاء بأن الغزالى قد مثل نكبة العقلانية ومقبرة التفلسف فى تراث الإسلام!..

ولو قرأ الفريقان تراث الغزالى وابن رشد، قراءة الباحث عن الحق، وعن أصول المسائل وثوابت القضايا، لرأوا مساحة الاتفاق الكبيرة - بل والمدهشة - بين الرجلين، حتى فى القضايا التى يحسبون أنها موضوع الخلاف - وفى مقدمتها العقلانية.. والتأويل.. ورفض أن يكون كامل الحق وقفا على مذهب من المذاهب أو اجتهاد من الاجتهادات.

فالمنهاج الإسلامى فى التعامل مع الموروث، هو الإيمان بأن الحق المطلق والكامل إنما هو فى الإسلام المعصوم، متمثلاً فى البلاغ القرآنى وفى البيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى.. أما مذهب الإسلاميين ومقالاتهم واجتهادات الأئمة، فإن الحق موزع فيها، دون أن يكون وقفاً على واحد منها، ومحجوباً عمن عداه، لأن هذه المذاهب هى ثمرة للاجتهادات النسبية غير المعصومة، بينما العصمة والإطلاق هما للمنابع المقدسة فى الإسلام..

وإذا كان هناك من يرتاب فى هذا الذى نقول - من الذين يتخندقون فى كتاب من الكتب أو مذهب من المذاهب - ولا يراجعون مواقفهم إلا «بالنصوص»، فإننا نقدم لهم نصاً منهجياً، كتبه إمام كادت الأمة أن تجمع على أنه «حجة الإسلام» - هو أبو حامد الغزالى - الذى كتب - فى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) - يعيب على من يظن أن الحق محصور فى مذهب واحد، حتى ولو كان هذا المذهب هو «الأشعرية» - الذى هو أحد أئمته وأعلامه! - أو فى اجتهاد إمام بعينه - حتى ولو كان إمامه أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م)!! - كتب الغزالى ليعلمنا هذا المنهاج الإسلامى فى التعامل مع المذاهب والاجتهادات المختلفة والمتعددة.. فقال:

«.. فمن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعرى أو مذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم، فاعلم أنه غرٌّ بليد، قد قيَّده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيِّع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة فى إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه، إذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً. ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعرى، ويزعم أن مخالفته فى كل ما ورد وصدر كفر من الكفر الجلىّ، فاسأله: من أين ثبت له أن كون الحق وقفاً عليه حتى قضى بكفر الباقلانى إذ خالفه فى صفة البقاء لله - تعالى - وزعم أنه ليس هو وصفاً لله - تعالى - زائداً على الذات، ولم صار الباقلانى أولى بالكفر بمخالفته الأشعرى من الأشعرى بمخالفته الباقلانى؟ ولم صار الحق وقفاً على أحدهما دون الثانى؟ إن كان ذلك لأجل السبق فى الزمان؟ فقد سبق الأشعرىَّ غيره من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه، أم لأجل التفاوت فى الفضل والعلم؟ فبأى ميزان ومقدار قدّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل فى الوجود من متبوعه

ومقلده؟ فإن رخص للباقلانى فى مخالفته، فلم حجر على غيره؟، وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسى والقلانسى وغيرهم؟، وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟ وإن زعم أن خلاف الباقلانى يرجع إلى لفظ لا تحقيق وراءه.. فما باله يشدد القول على المعتزلى فى نفيه الصفات، وهو معترف بأن الله ـ تعالى ـ عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات، وإنما يخالف الأشعرى فى أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة، فما الفرق بين الخلافين؟ وأى مطلب أجل وأخطر من صفات الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى النظر فى نفيها وإثباتها؟ فإن قال: إنما أكفر المعتزلى لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة، وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة، فما باله لا يستبعد من الأشعرى قوله: إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله ـ تعالى ـ ومع كونه واحداً هو توراة، وإنجيل، وزبور، وقرآن، وهو أمر ونهى وخبر واستخبار، وهذه حقائق مختلفة؟ وكيف لا وحدُّ الخبر: ما يتطرق إليه التصديق والتكذيب، ولا يتطرق ذلك إلى الأمر والنهى، فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق إليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق، فيجتمع النفى والإثبات على شىء واحد؟.. ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر، فلأنه نزله منزلة النبى المعصوم من الزلل، الذى لا يثبت الإيمان إلا بموافقته، ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته، وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر، وأن لا ترى فى نظرك إلا ما رأيت، وكل ما رأيته حجة، وأى فرق بين من يقول قلدنى فى مجرد مذهبى وبين من يقول قلدنى فى مذهبى ودليلى جميعاً، وهل هذا إلا التناقض؟..»[9].

هكذا تحدث حجة الإسلام أبو حامد الغزالى.. فقال: «إن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب».. لأن هذا المجتهد ليس النبى المعصوم.. ولأن اجتهاد المجتهد ليس ملزماً للمجتهد الآخر.. وجواز النظر فى حقه لا يحجر النظر عن غيره.

وبهذا المنهج فى التعامل مع الموروث، تنفتح آفاق رحبة تخرجنا من التخندق وضيق الصدر عندما نتعامل مع الاختلافات.. حتى ولو كانت اختلافات حقيقية، غير موهومة!..

وختاماً.. فالشكر الجزيل للأستاذ محمد محمد طه الولى، على قراءته المتأملة.. وعلى رسالته التى كانت سبباً فى تقديم هذه الملاحظات، التى نرجو أن تكون إضافات تلقى المزيد من الأضواء على فلسفة أبى الوليد ابن رشد.. التى هى كغيرها من إبداعات علماء الإسلام.. خاضعة للمزيد من الدراسة.. وللاتفاق والاختلاف.. وللقبول والرد.. فلا عصمة إلا للبلاغ القرآنى، وللبيان النبوى لهذا البلاغ.

والله الموفق إلى سبيل الرشاد

---

(٩) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٣، ٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

وبدأ خلق الإنسان من طين

للدكتور / على أحمد على

وبهذه الآية الكريمة ننتهى إلى ختام الحديث عن الكون والإنسان.

كنا قد بدأنا عرضه عند الطبيعيين، ثم عرجنا إليه بتفصيل فى خلق الأرض، وها نحن نختمه بالحديث عن «الإنسان» فى قول الحق رداً على خيال الكاهنين.

قال - تعالى - فى خلق الإنسان بعد ذكره خلق الكون:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ **السجدة - ٧**

والإنسان - فى الآية الكريمة - واحد فقط، هو الإنسان الأول.. آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، و«الخلق» فى الآية تناوله - وَحْدَهُ - دون نسله، ذلك أن لنسله سبيلا آخر، قال - تعالى - عنه:

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ **السجدة - ٨.**

وشاء - جلَّ وعَلا - أن يؤكد أن الطين طين، فلا ينصرف المجاز إليه بحال، فتناوله - جلَّ عُلاه - من بدايته: (ماء وترابا) حتى كان طينا لازباً (أى لزجاً) إلى أن جَفَّ فصار صلصالا كالفخار[1].

وَإِذْ أراد النبى ﷺ أن يذم الكبر وأهله، وأن يُحط منه ومنهم – قال:

«إن الله – عز وجل – قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[2] الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقى، وفاجر شقى، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب» الحديث[3].

وهكذا نشأ أول إنسان فى الوجود، من طين: تراب وماء، فما كان نتاجا لسلالة سالفة، ولا

(١) راجع الآيات: آل عمران – ٥٩، الأعراف – ١٢، الحجر – ٢٦، الإسراء – ٦١، الحج – ٥، المؤمنون – ١٢ – الروم – ٢٠، فاطر – ١١، الصافات – ١١، غافر – ٦٧.

(٢) الكبر والفخر.

(٣) أبو داود ٢/٦٢٤ – ط. أولى مصطفى البابى الحلبى ١٣٧١ – ومثله مسند أحمد ط أولى ٢/٣٦١

« تطورا » عن حيوان سابق، وتَمَّ على الطين خلقه، فاستحال – كذلك – أن يتطور إلى غيره، فإنه :

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ الروم – ٣٠ .

لم يتطور الإنسان الأول (آدم) عن حيوان ثَدْيِيّ كما تخيلته كهانة هندريك .

ولا كان – في الأصل – قرداً، كما رآه شركاء هندريك .

وفي الحق أننا – حين نُمعنُ النظر – في رؤية هندريك نجدها هي القرد في الرؤية الأخرى عند غيره، وإنما احترز لنفسه بذكره (الثَّدْيِيَّات) ليكون على ركن أوسع من سلالة بعينها من القرود، فإن كثيرا من الباحثين – وهذا سأذكره – ينفي أن تكون القردة المعروفة لنا هي أصل للإنسان؛ فألقى هندريك بـ (الثدييات) لوجودها فيما نعرف وما لا نعرف من سلالات القرود، وغيرها .

كذلك لا يخدعنا – في المقام نفسه أن يقرر (د.آشلي مونتاجيو) « أنه ليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأي »(٤) أي ظهور الإنسان عن قرد .

يقول ذلك، وهو في أعماقه يؤمن بالتطور إيمانا جازما؛ بل يؤمن بأنه سوف يعثر على القرد الذي يعتبر الحلقة المفقودة بين الإنسان وبقية القرود، لذا مضى يقرر أن الإنسان « يشبه القرد إلى درجة أعظم جدا مما يشبه أيا من الحيوانات » وذهب يلتمس وجه الشبه فيما أسماه : القردة العليا : (الجيبون والأورنجوتان والشمبانزي والغوريلا) فافتقد فيها ما يريد، وارتد حسيرا ليبحث عن غيرها معتبرا إياها مما يتعذر أن يُوضع على الخط المباشر لتسلسل أسلاف الإنسان .

ومضى د. أشلي إلى النهاية مع قرود أفرد لها فصلا كاملا بعنوان « أسلاف الإنسان » فمضى إلى أعلاها قاطبة، وقد أطلق عليه اسم : « الأسترالوبيثيسينات » أي قردة الجنوب التي اكتشفت هياكلها العظمية في جنوب أفريقيا في العشرينيات من القرن العشرين .

وفيها – أيضا – لم يجد ضالته، وإذْ أحبط قال : « لكن هذا لا يعني استحالة أنها كانت أسلافا للإنسان، أو أنها وثيقة القرابة بمجموعة القردة العليا التي كانت هي الأسلاف المباشرة للإنسان » .

إنه لم يسعه إلا أن يعتبر كل ما هو موجود من القردة لا يمكن أن يأتي بإنسان، فلجأ إلى القول بوجود حلقة مفقودة في نوع بعينه من القردة لم يعثر عليه بعد، هو الأصل للإنسان وأفرد لهذه الحلقة المفقودة فصلا وضع فيه تفصيلا لما ينبغي أن يتوفر فيها من صفات لتكون هي الأصل المنشود بيقين – ثم قال : « والبحث عن الحلقة المفقودة لم يتم بعد »(٥) .

فهل يمكن اعتباره مؤمنا بما قاله في صدر بحثه : « وليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأي » ؟

(٤) أشلي مونتاجيو Ashley Montagu – المليون سنة الأولى من عمر الإنسان ترجمة د/ رمسيس لطفي – نشر مؤسسة سجل العرب – انظر ص ٢١.

(٥) راجع على التوالي الصفحات: ٢١، ٤٣، ٤٤، ٤٥ لآشلي.

ولقد كان ينبغي أن نتجاوز العبارات الإحصائية لوزن (المخ) وغيره بين هذه القردة والإنسان، فإن المقال لا يحتملها، كما أن النتائج المطلوبة ليست بحاجة إليها، فليرجع إليها من شاء.

وخلق الله – عز وجل – آدم وأنشأه إنشاءً من طين رجلاً ذَكَراً تام الرجولة، لا أنثى، ولا خنثى، وأقسم – سبحانه – في تكوينه، فقال :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٦)

و(أحسن تقويم) في الآية قبس يحمل كل ما نتصوره من جمال وجلال في هذا الرجل وذريته، لكنا نقتصر القول فيه على ما أبدعه قول المفسرين، فهو مستقيم القامة، غير منكب على وجهه، يأكل بيديه، متناسب الأعضاء، جميل الوجه، حسن الصورة، قوى الإحساس، سليم العقل، لطيف الذوق، مزين بالفكر، فصيح اللسان، قوى المنطق، مؤديا للأمر، مهذبا بالتمييز، هو العالَمُ الأصغر، فكل ماكان من جمال جُمع فيه.

نقل القرطبي عن « ابن العربي » في تفسير الآية :

« ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله – سبحانه – خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً.

وهذه صفات الرب سبحانه، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله : (إن الله خلق آدم على صورته) يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها، وفي رواية (على صورة الرحمن) ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة؟! فلم يبق إلا أن تكون معاني.. »(٧) .

وشاء الله – عز وجل – أن يَعُدَّ لآدم الإنسان الأول حفلاً طيباً كريماً يغبطه به عند نفخ الروح فيه، حفلاً حضره الملائكة، وقال – سبحانه وتعالى – فيهم :

﴿ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

ص ٧١ – ٧٢

وَسَرَت الروح في آدم، ونظر، فإذا الملائكة سجود بين يديه تكريماً من الله – تعالى – له – لقد كان حفلاً بهيجاً رغم كآبة إبليس التي جَنَتْ عليه، فمنعته السجود، وقال – لخالقه – في جحود :

﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾

الأعراف – ١٢

﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

الإسراء – ٦١

على أن كآبة إبليس لم يفت آدمُ الإنسان الأولُ أن يعلم بسببها أن إبليس خلق من النار، فعرف آدم النار مع بداية خلقه – عليه السلام. كما كانت ضمن ما أعلمه الله به، إذ قال – سبحانه :

(٦) سورة التين – الآيات ١ –٤

(٧) انظر تفسير القرطبي في الآيات – سورة التين

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾

البقرة – ٣١

فارتقى آدمُ بعلمه فوق مستوى علم الملائكة.

وصارت النار – فى شريعته – آيةَ صدْق تدل على قبول الله قُرْبان عبده، فإذا تقدم المؤمن بقربان لله صادقاً مخلصاً نزلت عليه النار فالتقمته، وفى حياته ﷺ كانت واقعة قربان ولَدَيْه: قابيل (قايين) وهابيل(٨).

وتوالت النِّعمُ على آدم، فما أن غَفَا غَفْوَةً بعد هذا الحفل الكريم، فأخذته سِنَةٌ من النوم حتى استيقظ، فإذا بجواره خَلْقٌ رائع الجمال.. حواء الزوجة التى أراد الله تعالى لآدم أن تصحبه حياته.. كانت – عليها السلام – جزءاً من ضلعه فكانت كجزء من قلبه، سعد بها وسعدت به، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾

النساء – ١

وأنزلهما اللهُ – تعالى – الجنة – حيث نعما بالإقامة واللباس، وما شاءا من طعام وشراب:

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾

البقرة ٣٥

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴾

طه ١١٨ – ١١٩

وكانت تلك هى الفترة الأولى من حياته، وهى أشبه بـ (شهر العسل) فيما نطلقه اليوم.

ثم كانت الفترة الثانية والأخيرة حيث أمضى حياته على الأرض، فقد أراد الله له ولذريته من بعده أن يعمروها، وهنا توالت نِعَمُ الله – تعالى – عليه، جاء فى فى الحديث الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه « موقوفاً » برواية الطبرى، مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ فى رواية أحمد – قال: « إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض عَلَّمَهُ صنعة كل شىء، وزَوَّدَهُ من ثمار الجنة »(٩). أى أن آدم نزل إلى الأرض غير ضائع، مشمولاً برحمة الله – تعالى مزوداً بالعلم الذى يوالى به عمارتها، وبين يديه وزوجه من الطعام الطيب ما يكفيه، ثم هو سوف يجد فى حراثة الأرض والزرع، فإنه مستقر آمن. ويعنى ذلك أن الزراعة والصيد نشئا معاً فى وقت واحد فى حياة الإنسان الأول.

ذاك هو آدم بين يدى الله الرحمن الرحيم، وتلك آيات الإبداع فيه.

وقدم الطبيعيون آدم أسوأ تقويم، إذ اعتبروهُ:

---

(٨) انظر – فى المائدة – الآيات ٢٧ – ٣١، وانظر فى آل عمران – ١٨٣.

(٩) وهو الحديث الوحيد فى بابه – انظر تفسير الطبرى – طبع دار المعارف بمصر. المجلد الأول ١/٣٩٣ الحديث رقم ٥٣٧ رواه الطبرى مرفوعاً حكما موقوفا لفظا ورواه أحمد مرفوعا إلى رسول الله ﷺ صراحة.

حيواناً ثديياً، سمج المنظر، عظيم القبح، صغير الحجم جداً، رأسه ومعظم جسده وذراعاه وأرجله كُلٌّ مغطى بالشعر الخشن الطويل، يداه أشبه بأيدى القردة، ذو جبهة منخفضة، أى لا ترتفع فوق حاجبيه عمودياً أو شبه عمودى ولو قليلاً، بل تنسحب إلى الخلف مكونة شبه كرة خلفه، له فك أشبه بفك الحيوان المفترس، يعتمد على أسنانه اعتمادنا على الشوكة والسكين.. وفى البداية من تعلمه الكلام كان يأتى بصرخات عجيبة تطورت بعد مئات الآلاف من السنين إلى أصوات يستخدمها فى الحديث.

ولم يتخذ لنفسه لباساً، وقد اكتشف النار بعد حين، يأوى – إذا هبط الليل – بزوجه وولده فى جوف شجرة أو خلف صخرة ضخمة حفاظاً على نفسه وولده من الوحوش المفترسة.. إلخ(١٠).

لم يكن آدم بدائياً كما أراد له هؤلاء الطبيعيون، ولم تكن هناك من ضرورة تقتضى أن ينشأ بدائياً، ثم يَتَحضَّر، وما كان ذلك ليكون إلا فى خيال هؤلاء الطبيعيين وكهانتهم.

ثم ليس من شك فى أن «البدائية» مرحلة وقعت فى حياة الإنسان، لكنها لم تكن أولى مراحله، بل كانت مرحلة تابعة. ولازال للحضارة قانون حيوى تقوم بوجوده، وتندثر بعدمه، وقد قدم «ديورانت» هذا القانون – فى موسوعته – فإذا هناك ثلاثة عشر عاملاً – على الأقل تطيح بالحضارة إذا حَلَّت ـ أو بعضُها ـ بقطر أو إقليم هنالك «جاز للمدنية أن يتقوض أساسُها» أى فتفسح الطريق لبدائية آتية، قال – بعد أن ذكرها واحدة بعد واحدة.

«هذه هى بعض الوسائل التى قد تؤدى إلى فناء المدنية، إذ المدنية ليست شيئاً مجبولاً فى فطرة الإنسان، كلا، ولا هى شيء يستعصى على الفناء»(١١).

وهناك حقيقة ينبغى أن نلتفت إليها، فقد مضى القرن التاسع عشر، وَأَهَمُّ العلوم الإنسانية الحيوية لا علم له بها مما أتاح لأولئك الطبيعيين أن يمرحوا فساداً: «خَلاَ لَكِ الجوُ فبيضى

---

(١٠) راجع – هندريك – قصة الجنس البشرى ص ٨ – ١٠ .

(١١) وهذه هى العوامل القاهرة للحضارة.

– انقلاب جيولوجى خطير.
– أو وباء يفلت من الناس زمامه.
– أو زوال الخصوبة من الأرض.
– أو تغير مفاجىء شديد.
– الموت الأسود الذى زال بسببه العهد الاقطاعى.
– أو فساد الزراعة بسبب طغيان الحواضر على الريف.
– أو استنفاد الموارد الطبيعية فى الوقود والمواد الخام.
– أو تغير فى طرق التجارة ببعد أمة من الأمم عن الطريق الرئيسى للتجارة فى العالم.
– أو انحلال عقلى أو خلقى ينشأ عن الحياة فى الحواضر.
– أو انهيار قوة الأصلاب لسبب اضطراب الحياة الجنسية.
– أو فلسفة تحفزهم على ازدراء الكفاح.
– أو ضعف الزعامة بسبب عقم يصيب الأكفاء أو بسبب القلة النسبية فى أفراد الأسرات..إلخ.
– أو تركز الثروة تركزاً محزناً بأيدى أفراد قلائل ينتهى بالناس إلى حرب الطبقات والثورات الهدامة والإفلاس المالى.. الخ.

واصفرى» فلما توالت البحوث وتجمعت الحقائق، وانقشع الضباب عن حياة الإنسان فى بقاع الأرض، وجدنا البدائية فى أبشع صورها تعيش جنباً إلى جنب بجوار الحضارة، كذلك ليس يعنى وجود البدائية انعدام الحضارة، وقد أبت الحضارة ولازالت تأبى – أن تطارد تلك البدائية، بل اتخذ كثير من أغنياء الغرب عبيداً فى بيوتهم «واصطبلاتهم» ليكونوا نماذج تعكس غناهم وحضارتهم فى إذلالٍ انعدم تماماً بين البدائيين الأوائل.

ولازال بين القبائل فيما أسماة «ديورانت» بالشعوب الفطرية قومٌ «يلتقطون القمل، بعضهم من رءوس بعض ويأكلونه مستمتعين بما يأكلون وإذا ما تجمع من القمل عدد كبير أقبلوا عليه يلتهمونه، وهم يصيحون صيحات الفرح باعتباره عدو الإنسان».

إن البدائية لم تختف من كوكبنا، منذ نشأت من بعد الأسر الطيبة لآدم عليه السلام.. فهما قرينان إلى أن أكل أهل الدنمارك لحوم البشر فى القرن الحادى عشر من الميلاد ثم إلى يومنا هذا(١٢).

وإذا كان لى أن أتحدث عن «البدائية الأولى» فى حياة الإنسان، فإنما أتناولها عن اجتهاد محض، قد يكون خطؤه أكثر من صوابه إلا أن يشأ الله – تعالى – له صواباً.

لست أرى لهذه البدائية إلا حادثاً أليماً وقع بتلك الأسرة الإنسانية الأولى، ذاك حادث النزاع المقيت بين قابيل (قايين) الممارس للحرث والزراعة، وأخيه (هابيل) الراعى صاحب الغنم، وكلاهما وَلَدُ آدم لصلبه، فلما اشتد النزاع رأيا – قضاء للحق – أن يتقرب كل منهما بقربان لله – عز وجل – فأيها أكلته النار كان الحق مع صاحبه دون أخيه، فأكلت النار قربان هابيل، فأثار ذلك من حفيظة قابيل فعزم على قتل أخيه فقتله. وما أن قتله حتى فَتَرَ غضبه، وأحس بشناعة جرمه، وَقَرَّ فى نفسه أن رحمة الله – تعالى – ناءت عنه، وأن بركته – سبحانه – زالت، ولم تكن هذه الأسرة الآمنة قد تُوفِى لها أحد من قبل، فلذلك لم تمارس غُسْلاً لميت أو تكفيناً له، ولم يستطع قابيل أن يعود للأسرة، فقد قرَّ فى نفسه أنه لا مكان له بينها، وأَنَّى يكون؟ فحمل قتيله، وساح به، حتى كان من لطف الله بالقتيل أن أَرْشد قابيل إلى دفنه فدفنه، ويبدو أنه استطاع أمام فرصة سنحت أن يختطف زوجته فاختطفها وهام بها فى الأرض، يأكل وإياها من صيده، وولت عنه حضارة والديه.

أليس ذلك كافياً فى إحداث البدائية الأولى؟!

---

(١٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – المجلد الأول – الجزء الأول ص ٧.

مع ملاحظة أن ديورانت يستخدم كلمتى (مدينة وحضارة) بمعنى واحد . انظر تعليق المعرب بالحاشية الأولى ص٣ – نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع ص ١٩.

(١) راجع فى القرآن الكريم – المائدة – ٢٧ – ٣١.

وتفسير ابن كثير للآيات

والعهد القديم – سفر التكوين ٤/ ٣– ١٥.

بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى

تأليف
محمد تقى الأمينى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بعد أن عرف المؤلف بالنفس الإنسانية فى الرؤية الإسلامية من خلال ذلك الاستعراض التحليلى المستفيض أعلن أنه يسعى من وراء هذا الاستعراض للتعرف على الغرائز وخواصها وتأثيراتها؛ للاستدلال على أن النشاط المادى والمعنوى والجسمى والروحى يمنحنا إشارة بارزة إلى أن نشأة الإنسانية وسموها، وارتفاع ملامحها يتوقف على تزكية الغرائز وتربيتها.

وبناء على هذا لم يختر الله ـ تعالى ـ لأحد أن يستأصل الجذور النفسية العميقة، ولا أن يمزق أوصالها الغائرة فى الحياة الإنسانية.

كما أعلن أن خواص النفس وتأثيراتها وأنشطتها موجودة كلها من بدء الحياة، وليست ثمرات للارتقاء من أدنى حالة إلى أعلى. وأن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(١)

ولكن للعقل المنحرف رؤية أخرى

ويستعرض المؤلف أبعاد الضلال عن حقيقة النفس الذى أدى إليه انحراف العقل حين استبد به الغرور مع التقدم الصناعى.

فهذا (داروون) لا يجد فرقا بين الإنسان وغيره من الكائنات المادية، لأن أصل الإنسان ـ فى رؤية العقل ـ حيوان فى طراز جسمه ونفسه. والخصائص الوجدانية والإنسانية ليس لها منهل فذ تستقى منه، اللهم إلا تلك النتائج والثمرات التى تنشأ عن استخراج الجبلات الحيوانية بمحاولات الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى.

وبناء على هذا فإن أصل الإنسان الأعلى، والتيار الرئيسى المحرك له مادى. أما الجوهر الروحى، والأشواق العليا فليسا بموجودين فى أصله، وإنما هى فى جبلته التى تكون النزعات الطبيعية والخلقية أولا، ثم تنشىء ـ بعد ذلك ـ القوى الفكرية بواسطة النزعات الطبيعية والخلقية نفسها.

وهذا التحليل الميكانيكى للإنسان يعنى أن الجبلة الحيوانية فقط هى مصدر الأسس النفسية، والنزعات الطبيعية والخلقية، وسائر الخصائص الوجدانية والإنسانية، وجميع الأفكار والحركات التى تقوم عليها الحياة.

وهذا (فرويد) جعله انحراف عقله يرجع الحركات الإنسانية إلى الشعور واللاشعور. أما الشعور فيعنى به الطاقات التى زود بها الإنسان، من التفكر والتدبر، والتصرفات العقلية وغيرها. وأما اللاشعور فهو الذى تنبع منه العواطف والتخيلات والأوهام كلها، والعلاقة بين الشعور واللاشعور كالعلاقة بين الزبد والبحر.

ومن هذه الرؤية ينطلق (فرويد) مقررا أن فطرة الإنسان ـ أو ما هيته ـ ليست بجوهر مستقل، يمكن أن يكون له نشاط أرفع من العواطف الجنسية، والشهوات الحيوانية.

---

(١) الشمس (٧: ١٠).

ومقررا أن الإنسان شقى وسيء الحظ من بداية خلقه، وهو عبد للحاجات المخزية الحيوانية من أول يومه، لأن اللاشعور ـ فى تقدير فرويد ـ هو الينبوع العميق للخصائص الإنسانية والقيم الأخلاقية.

وهذا يعنى: أن نشاط الإنسان فى العلم والإبداع والفلسفة والأخلاق، وغير ذلك ليس نشاطا أصيلا له مكان مستقل وأساسى فى الفطرة الإنسانية، بل هو مجرد متاع للتنفيس عن الشهوات المستوردة والمكبوته رغما عنها.

ويعنى: أن الدين ليست له حقيقة معنوية أساسية فى الفطرة الإنسانية، بل إن الإنسان قد اخترعه من وحى الخيال، فأصول الأخلاق والأفكار العالية حواجز صناعية اخترعها المجتمع لئلا يلحق الضرر بالشهوات الجنسية الماجنة.

كما يعنى: أن الخير والشر والتفريق بينهما لا حقيقة له فى الواقع، بل هما من مبتكرات الإنسانية ومخترعاتها.

ومن هنا.. يقرر المؤلف أن رؤية العقل المنحرف للنفس الإنسانية تباين من كل وجه رؤية الإسلام لها، فبينما ينكر العقل المنحرف وجود الأسس الروحية للإنسان. نجد الرؤية الإسلامية لا تنكر وجود الأسس المادية له، بل إنها لتحمل على الاعتراف بامتزاج الأسس الروحية بالأسس المادية، وتفرض أن الأسس المادية تتطهر وتسمو بامتزاج الأسس الروحية بها.

ويقرر: أن هذا التباين بين الرؤيتين لا يتضح فحسب من الموازنة الفكرية أو الذهنية، ولكنه ـ إلى ذلك ـ يتضح من الموازنة الواقعية والتطبيقية، حيث يظهر أثر كل وجهة على الإنسان فى تكونيه، وفى سلوكه الفردى والجماعى، وفى سائر مناحى الحياة.

الاندفاع إلى القلق والاضطراب

وبعد أن أوضح المؤلف ـ بالموازنة الفكرية والمنطقية ـ التباين بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى أخذ فى استعراض مظاهر هذا التباين فى حياة الإنسان.

فقدم صورة للإنسان الصناعى فى مقابلة الإنسان الطبيعى، فأخذ فى كشف النقاب عن أثر الهيمنة المادية على سلوك الإنسان حيث أرانا المادة تسرى فى جميع مظاهر حياة الإنسان الصناعى الشخصية ومقوماته، لأن القوى المنطلقة منه، والطاقات الكامنة فيه، والاستعدادات المذخورة فى كيانه.. كلها قوى وطاقات مادية أصيلة، وليست ممتزجة بالطاقات الروحية فى ذاتها، ولا هى متعلقة بواجبات الإنسان فى ما هيتها، حتى لقد انحصر المثل الأعلى له فى الحوائج الدنيوية ومتطلباتها، فلم يعد الهدف الصالح لطاقاته وجهوده إلا الغذاء والكساء، والإشباع الجنسى. أما القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية فلم يعد لها قيمة حقيقية، بل هى عنده تابعة للنتائج والأرباح على المستوى الميكانيكى، فإذا تغيرت هذه المنافع تغيرت القيم والفضائل معها.

فالقيم الأخلاقية التى تضبط المكاسب الدنيوية هى التى يتعاظم نفوذها، كالأمانة فى التجارة والانضباط فى الأعمال الشاقة، والالتزام بالوقت، وحب الوطن، إلى غير ذلك من القيم التى تتوافق مع المكاسب المادية.

أما القيم الأخلاقية التى لا تتفق مع المكاسب الدنيوية فإن نفوذها ليس عظيما، وذلك كقيمة العفة والشرف، والحياء والأدب، والحب، وصدق النية، والإخلاص، بل إن الأخلاق المضادة لها هى التى تسيطر، كالوقاحة والفاحشة والأنانية، وقسوة القلب، والنفاق، والظلم، ونحو ذلك.

وعلى هذا يصبح الرجل الصالح الناجح فى مجتمع الإنسان الصناعى هو الذى يكون أوسع نفوذا وقوة، وإن كان كالحيوان المفترس.

ومع أن هذا الإنسان الصناعى - بما يبذله من جهد - قد كشف كثيرا من الأسرار المادية فى الكون، وبلغ بالحضارة المادية شأوا بعيدا.. مع هذا نراه قد دمر القيم الأخلاقية والروحية، فلم ينل مكانا تطمئن فيه القلوب والأرواح، فاستبد به القلق والاضطراب، وتمكنت منه الحيرة، حيث يجد نفسه - على الرغم مما يملك - مازال مجهدا معنى، بل ازداد إجهادا وعناء، وخوفا ورعبا.

وما ذلك إلا لأنه حصر نفسه وحياته فى دائرة المادة، فأفقدها الروحانيات، بما تحققه للإنسان من رؤية متوازنة، تجعل الحياة عنده غير محدودة بالدنيا، بل هى موصولة بما بعد الموت، وتوجهه إلى أن يغترف من معين الوحى الإلهى، كما يغترف من معين العقل المادى، فلا ينحصر ارتقاؤه فى المجال المادى الدنيوى، بل يرتقى بجوهره إلى أعلى نواحى الحياة، فتنمحى القلاقل والاضطرابات من حياته، ويجد السكون والراحة.

نعم.. إن تمكن القيم المادية من الإنسان الصناعى ملأته بالغرور، فظن أنه لم يعد فى حاجة إلى أحد غير كفاحه وعمله، وبالتالى: لم يعد فى حاجة إلى الأسرة والتزاماتها، فصار بين الناس كائنا منعزلا، لا يستشعر أنساً ولا مساندة، ولا مواساة من أحد، إذ نضب معين العواطف الإنسانية فى كيانه، حتى تلاشت، أو كادت تتلاشى.

ولذلك.. نجد قصارى ما يصنعه لأولاده - إن فرضت عليه الظروف أولادا - اختراع ما يسمى بمأوى الأطفال يلحق به أطفاله ودور المسنين يلحق بها الآباء والشيوخ والأمهات العجائز، حتى يخلص لنفسه فى مهاويها المادية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن اندفاع الإنسان الصناعى فى هذه السبل المادية، قد دفعه فى كثير من المواطن إلى أن يرى فى الزواج وزرا أو قيدا ثقيلا، فانطلق فى سبيل الإشباع غير المقنن الذى هيأ له الدعارة أحد مظاهر الحرية، فسادت الفوضى والتحلل والانحلال.

المرأة بين الإنسان الفطرى والإنسان الصناعى

ومن هذا المنطلق المتباين - فى تقدير الأسرة - بين الإنسان الملتزم بقوانين الفطرة (الطبيعى)، والإنسان الخاضع لصنعة الرؤية المادية البحتة (الصناعى).. من هذا المنطلق تختلف حقيقة المرأة ودورها، ومكانتها فى نظريهما.

فبينما نجد الإنسان الطبيعى يقدر المرأة حق قدرها، فيكفل لها مساواة تامة، من حيث الحقوق الإنسانية والدينية والروحية ويوزع المسئوليات بينها وبين الرجل ليقوم كل بدوره الذى هيىء له فى تكوين الأسرة والحفاظ عليها، دون جور أو إهمال، انطلاقا من الدستور السماوى الذى يصرح بذلك فى قوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٤).

ولذلك فارتباط الرجل بالمرأة لابد من أن يقوم على أسس وقواعد، تتحقق بها وظائف كل منهما، فالزواج أساس الرعاية والقوامة، وهو ينبوع السعادة والهناءة، ولذلك عده الإنسان الطبيعى أقدس عقد فى الوجود، تتكون به المودة والألفة، وتهدأ به الميول والشهوات، وتستقر به النزعات والرغبات، ويصان به الشيوخ من الانقباض والاستيحاش.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٥)

أى إن هذا الارتباط الوثيق بين الرجل والمرأة يقوم على الحب والتضحية، والقيم العالية، والفضائل الروحية، لأن الإنسان الحقيقى يراعى - فى هذا الارتباط - الجانب المعنوى المحقق لتجنب المحرمات، وحسن الطباع.

أما الإنسان الصناعى فإن كان رجلا وأراد اختيار زوجة لم يجذبه إليها إلا المظهر المادى، فغالبا ما يختارها من المسارح والملاهى والمتنزهات، حيث تبدى من مفاتن الجسم ما يثير ويغرى.

وإن كانت امرأة لم تقبل إلا على الرجل الجسيم أو الثرى، أو الذى ينمق الكلام، ويخفى السم فى العسل.

فالرجل الطبيعى يرتبط بالمرأة لإعفاف النفس، وتحقيق الألفة والسكن، والحفاظ على النوع، ولذلك نفر من العزوبة التى يدعو إليها الإنسان الصناعى، ويحض عليها.

ولذلك أحاط الإسلام المرأة برعاية عائلية كبيرة، وبسياج من الحماية متين وكريم، وأقام الأسرة على دعائم من الرعاية، والقوامة، والمودة والرحمة، تهيىء لكل فرد أن ينطلق فى أرجاء الحياة آمنا من عوائق الواقع، ومجاهيل المستقبل، بما تنشئه من تكافل وتآزر وتعاون.

أما العقل المادى فلا يعترف بشىء من ذلك، إذ يجعل الإنسان (الصناعى) لا يشعر إلا بوجوده وحده، حيث قوض هذا العقل فى نفسه بناء الأسرة واقتلع جذور المجتمع، فصارت أحاسيس الاغتراب تطارده، فيهرب منها إلى المزيد من الأثرة والأنانية، حتى أصبح كالظمآن الذى يطلب الرىَّ فى الماء المالح، فلا يزداد إلا ظمأ، ويضطر إلى شرب مزيد من الماء المالح، فالعلاقة المادية والاقتصادية التى تبنى على المصالح الفردية المجردة والمنافع الشخصية البحتة تثير الأنانية البغيضة، والنفعية الانتهازية، والصراع الدائم

---

(٢) النساء (٣٢).

(٣) النساء (٣٤).

(٤) البقرة (٢٢٨).

(٥) الروم (٢١).

العنيف، وتجعل الهدف الأسمى : (كل وعش)، وتحبب إلى النفوس عبودية القوة المادية، وعبودية العقل المادى، الذى لا يدرك الصورة السليمة للإنسان .

ومن هنا . . حاول الإنسان أن يزيل عن نفسه ما ألم به من قلق وإجهاد، فالتجأ إلى خلق أشكال وأوضاع ألهبت فيه نيران الشهوات، وهيجت نوازع الجنس، وشجعت الدعارة والفاحشة التى تحولت بها المرأة إلى سلعة تعرض للاستمتاع فقط . وبالغ فى الخوف فأطلق على كل ذلك وصف الحرية .

الاقتصاد بين الأثرة المادية والإيثار الفطرى

ولأن المادة شعار الإنسان الصناعى ومقصده . . قامت الغايات الاقتصادية عنده على تلبية الحوائج البدنية، والاقتضاءات الحيوانية فقط، من غذاء وكساء، ومتاع حسى، وإشباع جنسى .

والإنسان الصناعى - فى مسعاه لتحقيق تلك الغايات - قادته قدماه - أوعقله - فى طريقين متباينى المظهر، وإن اتفقت بهما الغاية .

١- فهو إما أن يطلق للفرد حريته فى السلوك الاقتصادى، فلا يعيب جشع الجشع، بل يحضه عليه ليستولى على ما يقدر من ثروات ومصادر إنتاج، دون اكتراث بما يؤدى إليه ذلك من إخلال بالتوازن، وصراع يجعل الناس طبقتين متنافرتين، إحداهما ضعيفة، تبذل كل طاقاتها، ولا تحصل إلا على الكفاف . والأخرى قوية، تتحكم فى كل شىء، وتستغل ضعف الضعيف لتستمتع بكل ما تريد، دون نظر إلى ما يترتب على ذلك من إهدار كرامة الإنسان وشرفه، وإفساد خلقه وضميره، وإشاعة الحقد فى النفوس .

٢- وإما أن يستغل حقد الحاقدين على الأثرياء، فيثير ثائرتهم، ويهيج أحقادهم، ويواصل خداعهم بدعوى أن كل أسباب الترقى الإنسانى تقوم على العوامل الاقتصادية، فهى وحدها التى تبنى عليها حياة الإنسان ومكانته، ومقوماته، أما القيم الروحية فما هى إلا مخدر اخترعه الأثرياء ليبقوا الضعيف على ضعفه، فلا ينهض لينازعهم حول ما اغتصبوا من الثروات، ولا ينافسهم فى السعى وراء المزيد .

ولذلك . . نراه يدعو هؤلاء الضعفاء المعوزين إلى التخلص من تخدير تلك القيم، ونبذ هذا الأفيون المسمى بالدين السماوى، والثورة على الأغنياء وانتزاع ما بين أيديهم ليعاد توزيعه من جديد .

فالطريقان - على اختلافهما الظاهرى - يتفقان حول جحود العقيدة الربانية، وإنكار العوامل الروحية وآثارها . وما الفرق بينهما فى الحقيقة إلا كالفرق بين المنافق والكافر الصريح، فهما يقومان على تمجيد المادة، بيد إن أحدهما سخر الفرد فى التنسك لها، والآخر سخر الجماعة فى ذلك .

أما الإنسان الطبيعى، فلأن شعاره الإيمان بما وراء المادة، فهو يبنى نظامه الاقتصادى على أساس يجمع بين النفع المادى، والطاعة لله الخالق، حتى إن تصرفاته الاقتصادية تسلك فى ضمن عبادته لله، وطاعته إياه، ولذلك نراه يقيم بناءه الاقتصادى على كل ما يدور داخل هذا الإطار الإيمانى :

١- فلا يحق لفرد - باسم الحرية - أن يهيمن على كل مصادر الرزق الأساسية، لأنها عامة مشاعة، ومسموح للجميع أن يفيدوا منها، لكل قدر ما يبذل من طاقة . ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٦)

(٦) البقرة (٢٩).

٢ـ ملكية الأشياء ـ بالأصالة ـ لله وحده، وملكية الأفراد إنما هى بالإنابة، ليعين بعضهم بعضا على صيانة الحياة وتنميتها ورقيها.

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٧).

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(٨).

٣ـ لذلك.. فإن النواحى الاقتصادية فى الإسلام تقوم على القيم العالية. والمثل الروحية، فلا يصح أن يتوسل بالخداع والغش فى تحصيل المال، فهو ـ لذلك ـ أنهى ممارسة الربا والقمار، والميسر والغش، والاحتكار، وغير ذلك من الوسائل الشاذة.

وما يملك المرء ليس كله خالصا له، وإنما فيه حقوق للآخرين. يجب عليه أن يؤديها لهم، كالزكاة والصدقات.

٤ـ لا يجوز أن يحرم فرد من ضرورات الحياة والمعاش فى حال من الأحوال، فالفرص متاحة لكل فرد حسب استعداده ومؤهلاته. وعلى كل فرد أن يبذل قصاراه فى اكتساب ما فوق الضرورات الأساسية، ملتزما بقيم الإسلام.

﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾(٩).

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(١٠)

ففى ظل الاقتصاد الطبيعى (الإسلامى) يجب على الدولة أن تؤدى واجباتها الاقتصادية نحو الأمة أفراداً وجماعات، ولها أن تسن من التشريعات ما ينظم الثروات والملكيات داخل الإطار الإسلامى، كى تكفل تحقيق تلك الحاجات الأساسية.

مكان الأخلاق والقيم من السياسة

وفى الفصل التاسع [النظام السياسى بين الإنسان الطبيعى والصناعى] يقفنا المؤلف على دور التجرد المادى فى نظم الحكم وسياسة البلاد، فيذكر أن الإنسان الصناعى قاده خلوصه المادى إلى الاسترشاد بفكر (ميكافللى) الذى حطم فى الإنسان القيم العالية، والفضائل الإنسانية، وحولته إلى آلة صماء جافة تضحى بكل شىء فى سبيل غايتها، وتصنع كل شىء ترى أنه يحقق ما تريد، وتسلك كل طريق يقودها إلى مبتغاها، فالدولة ـ كما قال ميكافيللى ـ سياسية فقط، لا أخلاقية، ولا قانونية، فكل كذب وخداع واضطهاد مباح مادام يشبع رغبة قومية، أو يمكن من توسيع حدود دولية، أو يمكن من إحكام سلطة سياسية.

ومن هنا.. اتخذ هذا الإنسان الصناعى شتى الوسائل التى تمكنه من غايته المنشودة.. تدفعه قوى النفعية والانتهازية والأنانية البغيضة، فاستباح لنفسه كل شعار يتمكن به من تحقيق مآربه، فاتخذ من الديمقراطية ـ التى هى أروع مظاهر التآزر الاجتماعى، وأرقى أشكال الحكم ـ شعارا يخدع به الآخرين بما يلفه من إبهام وغموض يجعل منه نظما عديدة، لاتقف عند حد، فالديمقراطية التى يعتنقها الإنسان الصناعى تستغل نسبة الحاكمية للشعب والجمهور الذى يقوده الرغبات والعواطف الرديئة، بل إنه ليفوض إلى هذا

---

(٧) الحديد (٧).

(٨) النور (٣٣).

(٩) الملك (١٥).

(١٠) هود (٦).

الجمهور - بوضعيته المادية السافلة - حق التشريع، وتحديد الخير والشر، والتمييز بين المعروف والمنكر.

بل إن اعتماد الإنسان الصناعي - في السياسة - على ما تفرضه المادة من قيم يقوده إلى جعل العقل وحده مصدر التشريع ووضع برامج الحياة، على الرغم من أن تجارب الحياة اثبتت أن هذا العقل تتغير رؤاه بتغير الأحوال التي يمر بها الإنسان، فما يحلم به اليوم، ويسعى إليه قد يطرأ عليه ما ينفره منه ويبغضه فيه، لأنه خلق هلوعا، إذا مسه الشر يصير جزوعا، وإذا مسه الخير يصير منوعا، فلم - ولن - يوجه عقل يدرك غوامض الحياة الإنسانية في أبعادها.

وفي المقابل يقدم المؤلف النهج السياسي الذي يلتزمه الإنسان الطبيعي، حيث يعتنق فكرة الإيمان بالسيادة الكاملة والحاكمية المطلقة، والنفوذ الأعلى لله - تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١١).

ويتحرك إلى غاية واضحة محددة. هي العبودية لله - تعالى، وإقامة الحق والعدل.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(١٢).

ويدور في محور الدستور الأساسي له، وهو كتاب الله خالق الإنسان الذي لا تبديل لكلماته

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١٣).

ومن هنا.. يقيم الإنسان الطبيعي نظامه السياسي على:

١- الخلافة العمومية، لا الحكومة المستقلة، ولا السيادة المتجبرة التي يقودها الهوى.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(١٤).

٢- العدالة الشاملة التي لا يخل بميزانها الحب أو البغض، ولا تغير قواعدها المودة والشنآن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(١٥).

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٦).

٣- التشاور مع أهل الحل والعقد، مع المرونة في التطبيق وفقا للظروف والمتغيرات.

---

(١١) الزخرف (٨٤).

(١٢) الحج (٤١).

(١٣) فصلت (٤٢).

(١٤) ص (٢٦).

(١٥) النساء (١٣٥).

(١٦) المائدة (٨).

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١٧).

٤ـ المساواة الإنسانية فى الإكرام، وحفظ النفس والعرض والمال، وحرية الفكر والدين.

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(١٨).

٥ـ إقامة العلاقات الدولية على السلام والوفاء بالعهود.

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١٩)

٦ـ الاجتهاد المتصل والدائر فى داخل الإطار القرآنى مع أهل العلم والخبرة فى استنباط الأحكام المتعلقة بما يجد من الأمور.

فالإنسان الطبيعى ـ فى سياسته ـ متوازن، لا يميل إلى التضييق فى الأمور، ولا يسمح بتكلف الاتساع إلى درجة تتعدى حدود الله.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢٠).

وبعـــد:

فالكتاب ـ فى مجمله ـ يقدم مضمونا يسهم فى كشف ما وقع فيه الإنسان فى العصر الحديث، حين خدعه التقدم العلمى الهائل الذى قاد إليه العقل البشرى، وحين فتنته القوة المادية الجبارة التى أوصله إليها هذا العقل، فوجد أنه قادر على تذليل كثير من ماديات الحياة، فأغفله كل ذلك عن حقيقة كينونته، وتوهم أنه بهذا العقل يستطيع أن يهمل الجانب الروحى والوجدانى للحياة، فاعتقد أن بيده وحده تنظيم حياته، وأنه ليس فى حاجة إلى الإيمان بوجود إله خالق، ينظم للإنسان حياته، ويحاسبه على ما قدم فى الحياة الآخرة. فالعقل المادى هو إلهه الذى لا يخضع إلا له.

ومع يسر أسلوب المؤلف. ووضع عباراته.. نرى أنه اندفع وراء تحمسه وانفعالاته، فلم يكن دقيقا فى ترتيب فصول الكتاب، فجاء الفصل السادس (التعليم ومعاييره بين الإنسان الحقيقى والصناعى) فاصلا بين الفصلين الرابع والخامس، ويتعلقان بالحياة الشخصية والأسرية والمرأة، وبين الفصل السابع (المسئولية الاجتماعية بين الإنسان الحقيقى والإنسان الصناعى)، كما أنه لم يلتزم نهجا محددا فى كل فصل، فمرة يبدأ بالإنسان الصناعى، وأخرى يبدأ بالإنسان الطبيعى، وقد اضطره ذلك إلى الوقوع فى التكرار المثقل.

أيا ما يكن.. فإن تلك الملاحظات إن هى إلا ملاحظات جانبية، لا تنتقص من أهمية الكتاب، خصوصا فى ظل الدعوة العارمة إلى العولمة الأمريكية بمفاهيمها المادية المتسلطة بخدعها وأوهامها، فالرجل يهتف بما هتف به شعيب عليه السلام فى قومه:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(٢١).

---

(١٧) آل عمران (١٥٩).

(١٨) البقرة (٢٥٦).

(١٩) الممتحنة (٨).

(٢٠) المائدة (٣).

(٢١) هود (٨٨).

قراءة نقدية فى كتاب

عَلمُ المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990

281

تاريخ الطب

من فن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا

ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

عرض وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا(*)

١

تمهيد : إن الحملة على الإسلام ومصادره لم تهدأ منذ بزغ نوره، ومحاولات التهوين من دوره فى تشييد صرح الحضارة الإنسانية تتخذ أشكالاً مختلفة وأساليب متنوعة منذ ظهور الاستشراق الذى كان فى الأغلب - ولايزال - يشكل الجذور الحقيقية لتغذية عمليات التبشير، ويوفر المناخ الفكرى الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الاسلامى، والذى كان فى الأغلب - ولايزال - يعمل فى المقام الأول بكل مالديه من أدوات وأساليب من أجل أن يحول بين العقل الأوروبى وبين معرفة حقائق الإسلام.

وإذا كانت التيارات المعادية للإسلام قد دأبت على التشكيك فى أمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها، وسعت جاهدة إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام بتأويل نصوصه المقدسة

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة القاهرة.

والبحث عما يدعم حجتهم من أحداث شاذة فى التاريخ الإسلامى ليس لها صفة العموم، إلا أن عدداً من المنتمين لبعض هذه التيارات لجأ بخبث خلال العقود الأخيرة إلى مهاجمة الإسلام دينا وحضارة، متخذاً من العلم الحديث ومنهجه رداءً خادعاً لكى تبدو مزاعمه وكأنها نتاج منطقى للمعرفة العلمية وتعبير حقيقى عن الواقع الإنسانى وزاد من ضراوة هذه الحملة المسعورة فى السنوات الأخيرة ماوفرته تقنيات الاتصال والمعلومات من منافذ لإثارة العديد من الشبهات ضد الإسلام وحضارته فى مقابل الأدبيات العديدة التى ظهرت لتحذر من خطر الإسلام على أى نظام عالمى جديد يستبعد الدين من دائرة التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا واستدعاء العلم وحده لكى يقوم بهذا التأثير.

إننا ننبه هنا إلى وجود نوع جديد من الاستشراق لايكتفى بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه، ولكنه يهدف أيضا ـ باسم العلم ومن خلاله ـ إلى بث أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين باختراق الثقافة الإسلامية ذاتها . وعرضنا لمثل هذه القضية ـ التى نستمليها من لسان الحال فى عصر العولمة والمعلومات، ويؤيدها العلماء المستشرقون أنفسهم بلسان المقال، يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية . . وهذا بدوره يمثل جزءاً من الإجابة عن سؤال أعمّ وأخطر هو: كيف نريد لمستقبل أمتنا الإسلامية أن يكون؟!! . .

دعـــــاوى مفنـــــدة

كان آخر ماقرأت فى الأسابيع الماضية كتاب «تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص»، تأليف أستاذ الطب الفرنسى جان – شارل سورنيا وترجمة د. إبراهيم البجلاتى، وهو إصدار مايو ٢٠٠٢ من سلسلة عالم المعرفة التى يشرف عليها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت. ويعرض هذا الكتاب لسيرة علم الطب منذ ماقبل التاريخ، مروراً بالعصور الوسطى وعصر النهضة الأوربية الحديثة، ووصولاً إلى عصر انفجار المعرفة والتقنيات. وقد لاحظت منذ البداية تحيز المؤلف لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بالرجوع إلى ما أسماه «التراث اليهودى المسيحى المشترك»، وهو اتجاه سبقه إليه عدد من المؤرخين والمستشرقين غير المنصفين الذين يتعاملون مع التاريخ وفق منهج انتقائى يختارون من أحداثه وحقائقه مايخدم ميولهم التعصبية. وظهور هذا الكتاب الذى انبثق من قلب الثقافة الغربية يرتبط هذه الأيام ارتباطا وثيقا بالجدل الدائر بين المثقفين حول طبيعة العلاقة بين الحضارات والثقافات، حيث ينقسم المفكرون شرقا وغربا بشأن هذه القضية إلى تيارين كبيرين: أحدهما ـ وهو الأعلى صوتا والأضعف حجة ـ يؤسس هذه العلاقة على مبدأ «الصراع الداروني» الذى يحدد البقاء للأقوى، والآخر – وهو الأخفض صوتا والأقوى حجة وإقناعا – يؤسسها على مبادئ الحوار والتكامل والتفاعل والتواصل.

صفحة من مخطوط «المنصورى فى الطب» لأبى بكر الرازى
(من مقتنيات دار الكتب المصرية).

(١) وقد تبنى الكتاب الذى أشرنا إليه دعاوى وافتراءات عدة فى حق الإسلام والحضارة الإسلامية، منها «أن المؤمنين فى بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبى على «الطب النبوى» (ص٨٤)، وأن «كتاب القانون فى الطب لابن سينا ركام غامض لانستطيع أن نستخرج منه أى استنتاج ذى فائدة عملية للمرضى»، فالمؤلف يؤكد تقديره لابن سينا كفيلسوف، ولكنه يحتفظ بإعجابه للرازى كطبيب (ص٨٩) وهو بهذه العباراة يحاول أن ينفى صفة التجريبية عن واحد من رواد العلم الإسلامى التجريبيين. ولو كان مؤرخا منصفا لعلم أن الأطباء فى عصر الحضارة الإسلامية ينقسمون - فيما يرى جورج سارتون - إلى مجموعتين: الأولى مجموعة الممارسين الذين اهتموا فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج معتمدين على الملاحظات والمشاهدات، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ الغاية، ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازى الطبيب الفيلسوف.. أما الفريق الثانى فهو فريق المدرسيين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لاغنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقى، ولهذا أطلق عليهم «الفلاسفة الأطباء» ويمثلهم الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب «القانون» الذى جمع خلاصة الفكر اليونانى واحتوى على غاية ماوصلت إليه الحضارة الإسلامية فى مجال الطب تجربة ونقلا وتصحيحا وابتكاراً. والواضح أن كلا الفريقين

من الأطباء يتبع المنهج التجريبى فى البحث الطبى ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية.

وكيف لايكون ابن سينا طبيبا تجريبيا وهو الذى يؤكد على أهمية اتباع المنهج التجريبى والتريث قبل استخلاص النتائج ، فيقول: «علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية: أن يكون البول أول بول من المريض، أى بول الصباح، على ألا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة أو أكل مايمكن تلوين بوله كالزعفران. كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة أو يتبع نظاما على غير عاداته. لأن كل هذا يؤثر كثيرا فى تركيب البول.. إذن فالنتائج التى نصل إليها من تحليلنا لبول تعتمد على لونه وكثافته.. ومدى صفائه أو تعكره وعلى رائحته ورغوته..» وعن الاستدلال على المرضى من البراز قال ابن سينا أقوالاً مشابهة لما قيل فى الاستدلال بالبول.، فهو يرى أن البراز يدل بلونه ومقداره وقوامه ورائحته ووقته.

نعم.. كيف يكون ابن سينا فى نظر مؤلف كتاب «تاريخ الطب» مجرد فيلسوف وهو الذى اكتشف داء الفيلاريا والجمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية، ووصف بدقة تقيح التجويف البلورى، وميز بين الالتهاب الرئوى الحاد والالتهاب السحائى الحاد، وفرق - فيما ذكر المترجم فى الحاشية - بين المغص الكلوى والمغص المعوى، وبين شلل الوجه الناشئ عن سبب مركزى فى المخ ومانيشأ عن سبب موضعى. واكتشف ابن سينا طفيلية الانكلستوما ووصفها بالتفصيل لأول مرة فى الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابة «القانون فى الطب» وسماها «الدودة المستديرة» وتحدث عن أعراض المرض الذى تسببه، وأعاد «دوبينى» اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م، أى بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريبا، وقد أخذت بهذا التصحيح مؤسسة «روكفلر» الأمريكية التى تعنى بجمع كل مايكتب عن هذا المرض.

(٢) لم ير أستاذ الطب الفرنسى «جان - شارل سورينا» فى كتاب «القانون» لابن سينا أى فائدة عملية للمرضى، ولم يعترف به كطبيب مثل الرازى.. بينما شهد مؤرخو العلم وفلاسفته بأن كتاب القانون نموذج رائع فى فن التأليف من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة، مما يعكس الخبرة الطبية لمؤلفه.. فالكتاب يبدأ بالتشريح، ويثنى بعلم وظائف الأعضاء، ويتبع ذلك بعلم طبائع الأمراض، أو الباثولوجيا، وأخيراً ينتهى بعلم العلاج.، ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون هذا المنهج فى مقدمة كتاب القانون - وشرح الطابع الفلسفى لهذا المنهج ومحاولة تطبيق الاعتبارات الفلسفية كوسيلة لبلوغ الغاية الطبية، بقوله: «رأيت أن أتكلم أولاً فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمى الطب.، أعنى القسم النظرى والقسم العملى. ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم

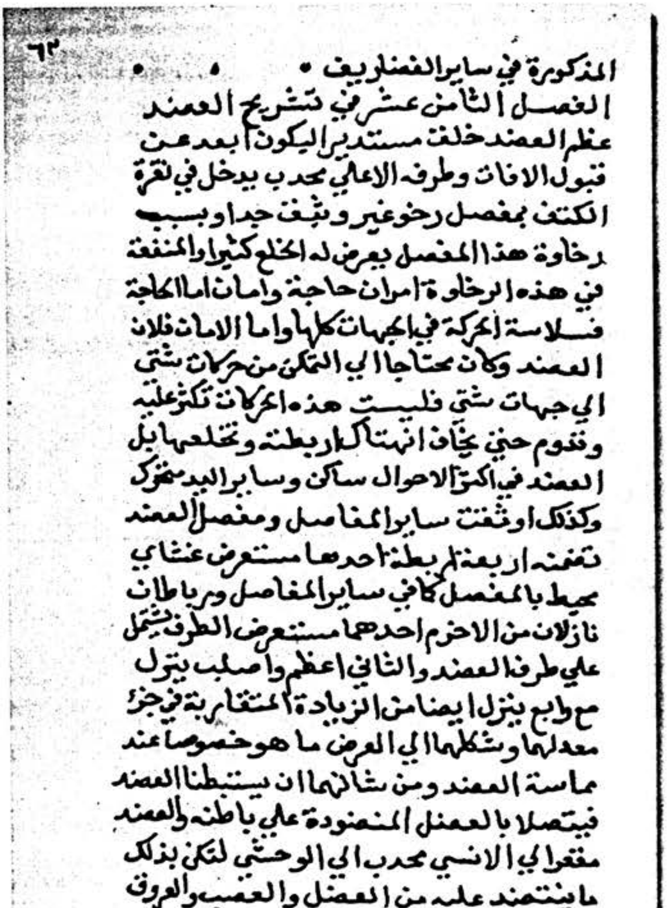
٦٣
المذكورة في ساير الفصل الرابع •
الفصل الثامن عشر في تشريح العضد
عظم العضد خلق مستديرا ليكون ابعد من
قبول الافات وطرفه الاعلي محدب يدخل في نقرة
الكتف بمفصل رخو غير وثيق جدا وبسبب
رخاوة هذا المفصل يعرض له الخلع كثيرا والمنفعة
في هذه الرخاوة امران حاجة وامان اما الحاجة
فسلاسة الحركة في الجهات كلها واما الامان فلان
العضد وكان محتاجا الي التمكن من حركات شتي
الي جهات شتي فليست هذه الحركات تكثر عليه
وتدوم حتي يخاف انهتاك اربطته وتخلعها بل
العضد في اكثر الاحوال ساكن وساير اليد متحرك
وكذلك اوثقت ساير المفاصل ومفصل العضد
تضمنه اربعة اربطة احدها مستعرض غشاي
يحيط بالمفصل كما في ساير المفاصل ورباطات
نازلان من الاخرم احدهما مستعرض الطرف يشتمل
علي طرف العضد والثاني اعظم واصلب ينزل
مع رابع ينزل ايضا من الزيادة المتقاربة في جزء
معدلها وشكلها الي العرض ما هو خصوصا عند
مماسة العضد ومن شانهما ان يستبطنا العضد
فيتصلا بالعضل الممدودة علي باطنه والعضد
مقعر الي الانسي محدب الي الوحشي لتكن بذلك
ما يتمدد عليه من العضل والعصب والعروق

صفحة رقم «٦٣» مخطوط «القانون فى الطب» لابن سينا
(من مقتنيات دار الكتب المصرية).

جزئياتها ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو: ابتدأ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى.. فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى أكثرها أيضا على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله. ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية».

واشتهر كتاب القانون فى اوروبا شهرة عظيمة، وطبعت ترجمته كاملا إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر. أما الطبعات التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه فهى كثيرة ويصعب حصرها لأنها تتجاوز التصور عددا . وطبع «القانون بالعبرية فى نابلى عام ١٤٩٢م، كما طبع بالعربية مرتين .. الأولى بروما عام ١٥٩٣م والثانية بالقاهرة عام ١٨٧٧.. كان هذا حظ «القانون» لابن سينا، فى الوقت الذى لم تنل فيه مؤلفات اليونان الطبية إلا قدرا ضئيلا من الحظوة يتمثل فى الأقوال المأثورة عن أبو قراط وجالينوس.

«يتبع»

التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية

تأليف: نفتالى فيدر

ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

(١)

قصة ترجمة الكتاب

هذا عنوان بحث أصدره الباحث اليهودى نفتالى فيدر باللغة العبرية فى أكسفورد ١٩٤٧م.

عالج فيه أثر العبادة الإسلامية على العبادة اليهودية مثل: غسل الرجلين، اغتسال المجانب، إلغاء صلاة السر، اصطلاحات جماعة الحسيدين (الناسكين) فى الصلاة، السجود، جلسة البارك، استقبال القبلة أثناء الجلوس الاصطفاف، بسط اليدين................. إلخ.

قام بترجمته أستاذ اللغات السامية د. محمد سالم الجرح، ومن العرفان بالجميل فقد صدره الأستاذ المترجم بتصدير أعرب فيه عن شكره للأستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فهو الذى طلب ترجمة هذا السفر الذى يتحدث بإنصاف منهجى بالغ عن علاقة العبادة اليهودية بالدين الإسلامى يقول فى تصديره: الحق أنه ينبغى أن أهدى هذه الرسالة عن «التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية» إلى الذكرى الخالدة لفقيدنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد، فلولاه ما أعرت هذه الرسالة أو موضوعها أى اهتمام. لقد أصدر الباحث اليهودى Naphtali Wieder بحثا باللغة العبرية بهذا العنوان فى أكسفورد عام ١٩٤٧م. وخرج الكتاب يحمل على غلافه الخلفى العنوان الإنجليزى Islamic Influences on the Jewish Worship ووقعت عين الأستاذ العقاد على هذا العنوان الشيق فى إحدى قوائم الكتب التى كان المغفور له لا يكف عن فحصها، فطلب الكتاب لفوره وفوجىء عند وصوله أنه باللغة العبرية

وليس فيه ما حرر بالإنجليزية غير صفحة العنوان الخلفية، فترك الكتاب جانبا بعد أن أحس دون شك بقدر كبير من الأسف لعجزه عن الإلمام بوجهة نظر الباحث فى مثل هذا الموضوع الهام.

ومضت السنون، وجاءنى فى نهاية صيف ١٩٦٢ أحد أصدقائى من تلامذة الأستاذ العقاد، هو الزميل الأستاذ أحمد حمدى إمام، يقترح علىَّ أن أقوم للأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب العبرى إلى اللغة العربية، وقبلت مغتبطا ولكنى لم أكد أبدأ العمل فيه حتى جد موضوع سفرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل محاضرا زائرا فى الدراسات العربية والسامية بجامعتها ودفعنى حرصى على إرضاء المرحوم الأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب من جهة، وعلى خدمة الوطن والعلم بالتأهب للرحلة إلى أمريكا من جهة أخرى أن أنتدب لمساعدتى فى ترجمة الكتاب أحد طلابى النجباء وهو الأستاذ عرفة حسين مصطفى الذى كان قد تخرج فى آداب عين شمس بدرجة الليسانس فى اللغة العربية وآدابها بجدارة وتفوق. وأنجزنا ترجمة البحث، وأعدت الأصل والترجمة إلى الأستاذ العقاد وطرت إلى أمريكا فى نوفمبر سنة ١٩٦٢، وخلت أن صلتى بهذا البحث قد انتهت ربما إلى الأبد، وخلال إقامتى بالولايات المتحدة، وقيامى بالتدريس فى جامعة بنسلفانيا بمدينة فيلاديلفيا نمى إلىَّ خبر وفاة الأستاذ العقاد ولم تكد تتخلى عنى قليلا موجة الآسى على فقدنا لهذا الأديب الكبير حتى وقع فى ذهنى ذكر هذا البحث وترجمته، وأحسست أنهما قد يقبعان تحت غبار النسيان بين الأكوام الهائلة من الكتب التى تضمها مكتبة الأستاذ العقاد دون خلاص أو إنقاذ فبدأت لفورى أفتش عن نسخة أخرى من البحث العبرى لأقتنيها، ولكن نسخه جميعا كانت قد نفدت، فاستعرت النسخة الخاصة بالدكتور S.D Coition الأستاذ بجامعة بنسلفانيا، وكان عليها إهداء المؤلف له وقمت بتصويرها، ثم انتهزت فرصة وجودى بين كثيرين ممن يجيدون اللغة العبرية فى جامعة بنسلفانيا، فطلبت من أحدهم أن يسجل البحث على شريط، وبدأت مستعينا بهم وبالصور الشمسية والشريط المسجل للبحث أعيد النظر فى ترجمته وأعلق على ما يستدعى التعليق من فقراته.

ثم يتحدث عن دوافع سعيه لنشره فيقول:

والذى يجعلنى أسعى لنشر هذا البحث باللغة العربية هو طرافة موضوعه واتخاذه فى عرض العلاقة بين اليهودية والإسلام اتجاها مضادا لما درج عليه الباحثون من اليهود خاصة، والمستشرقين عامة، من التصدى فى أبحاثهم لتأثير اليهودية على الإسلام[1] اعتمادا منهم على أنه مادام ظهور اليهودية على مسرح التاريخ أقدم من ظهور الإسلام، فإنه لا مفر من أن يؤثر السابق فى اللاحق. وقد فندنا نحن خطأ هذا الزعم فى أول حاشية لنا على مقدمة مؤلف هذه الرسالة[2] أما هذا البحث فإنه يتعرض للاتجاه المقابل فيوضح كيف تأثرت

---

(١) ـ من أحدث ما ظهر فى هذا الموضوع كتاب Judaism in Islam للباحث اليهودى Abrahab J.Katsh نيويورك ١٩٥٤ ويضم فى نهايته قائمة طويلة بما سبقه من أبحاث لليهود والمسيحين فى نفس الموضوع.

(٢) ـ انظر ص٩ هامش١ من هذه الرسالة

مظاهر العبادة فى الديانة اليهودية بالنظم الإسلامية، ومن ثم تأتى طرافة هذا البحث من الناحية العلمية من جهة وأهميته لنا كمسلمين من الجهة الأخرى. وصحيح أن البحث يتناول جزيئات قد لا تعبر عن تأثير جذرى للإسلام على اليهودية ولكن الباحث وهو يهودى يكرر خلال بحثه أن ظهور التأثير فى هذه الجزيئات لم يكن عرضا مظهريا لتأثر قادة اليهود وزعمائهم فى الدولة الإسلامية بروح الإسلام وفلسفته واتجاهات مبادئه إلى النظافة والنظام فى المظهر وإلى الزهد والإخلاص فى النفس بل إنه كثيراً ما يسمى التأثير الإسلامى الذى أدخله قادة اليهودية إصلاحا[٣].

أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية

يبدأ الأستاذ نفتالى بحثه عن أثر الإسلام فى اليهودية من نقطة الاستشراق الأساسية التى تحكم عمل الاستشراق فى بحوثهم عن الإسلام وهى التى عبر عنها الأب «روبير كاسبار» بقوله «لا شك أن للديانة اليهودية تأثيرا كبيرا واضحا على نشأة الدين الإسلامى وتطوره، فكثيرا من أسس هذا الدين ترتد إلى مصدر إسرائيلى فضلا عن أن كثيرا من معتقداته كانت قد نبتت فى تربة اليهودية أولا واتسمت بطابعها[٤].

إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته بل ولم يحاول ذلك مطلقا وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال «يوحنا الدمشقى، تيودور أبى قره» لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته التى تتمثل فى السمو إلى الله الواحد. ولعل ذلك يرجع أساسا إلى أن الغرب المسيحى قد اكتفى لعدة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسساته بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة.

فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام وقد تمت بناء على مبادرة «بطرس المبجل» وتمت تحت إشراف أسقف دير كلونى ولابد لنا من إضافة أن هذه الترجمة وكل الترجمات التى تمت بعدها لم يكن لها أى هدف سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الاتهامات ضد القرآن وتلك الاتهامات التى امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء[٥]، وكان أركون شديد الحذر من أن يغلب عليه مناهج الاستشراق فيقع فى أخطائه وهو يعالج كتابه الفكر الإسلامى «نقد واجتهاد» فنراه يقول:

---

(٣) ـ يقول المؤلف فى مقدمته مثلاً: (إن الديانة اليهودية تأثرت تأثرا عظيما بالبيئة الإسلامية فقد أدت التيارات الروحية التى غمرت هذه البيئة طوال مئات السنين إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود المقيمين فى الأصقاع العربية...... وقد عظم هذا التأثير أولا وقبل كل شىء فى ميدان الفكر الدينى والنظر الفلسفى..... إلخ..... يتكرر هذا المعنى خلال صفحات بحثه كله.

(٤) ـ يرجع المؤلف نواحى الشبه بين اليهودية والإسلام إلى تأثير الديانة الأولى على الثانية نظرا لأن الأولى أسبق فى التاريخ ومن الممكن مناقشته بأنه مادام مصدر الأديان السماوية واحداً وهو الله، ووسيلة تبليغها للبشرية واحدة وهى الوحى والرسل، وهدفها واحد وهو بث الخير بين البشر، وحتى بيئتها الجغرافية واحدة وهى الموطن السامى فلا يكون من الغريب أن تتفق فى كثير، ولا ينبغى أن يعزى كل اتفاق بينها إلى تأثير السابق فى اللاحق (الجرح).

(٥) ـ دفاع عن القرآن ضد منتقديه باللغة الفرنسية د. عبد الرحمن بدوى ترجمة كمال جاد الله.

«آمل ألا أكون فى الصفحات التالية قد استسلمت للمماحكات الجدلية أو انسقت إليها أقول ذلك على الرغم من أن بعض الأحكام المسبقة الشائعة والرازحة بعناء فى المجتمعات الأوروبية تجاه العرب والإسلام تبرر أحيانا تقديم الأجوبة الحادة، ليس فقط من أجل التنديد بالجهل العام، وإنما من أجل التنديد بالموقف السائد للفكر الغربى تجاه الثقافات الأخرى التى يتحكم مسارها وتطورها عن طريق فرض نماذجه وقوالبه عليها[٦].

لكن بعد الدراسات المتأنية لدى بعض المستشرقين الأكاديميين صورة أخرى للإسلام ناصعة غير ما كانت عليه من قبل، فبعد ما كان الإسلام صورة مشوهة لليهودية والمسيحية، غدا الإسلام نظاما له أصوله وله عقيدته وله شعائره المتميزة وذلك ما قام به البروفيسور نفتالى فيدر فى بحثه الذى نعرض له، وشأن الدراسات المنهجية قام الباحث بعرض موجز تتبع فيه أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية فيقول:

والمعروف من الجانب الآخر أن الديانة اليهودية تأثرت تأثيرا عظيما بالبيئة الإسلامية، فقد أدت التيارات الروحية التى غمرت هذه البيئة طوال مئات من السنين - إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود المقيمين فى الأصقاع العربية؛ إذ أن المسائل الدينية التى قتلتها المدارس الإسلامية بحثا عرفت طريقها إلى مدارس أحياءاليهود، وقد عظم هذا التأثير أولاً وقبل كل شىء فى ميدان الفكر الدينى والنظر الفلسفى حين شعرت المراكز الثقافية اليهودية بالحاجة إلى حل المشكلات الدينية الفلسفية التى صارت موضوع نقاش وبحث، بسبب ما وقع فيها من تضارب فى الآراء بين الفرق الإسلامية المختلفة.

ومن الناحية الشكلية اتخذ اليهود لأنفسهم مناهج العرب العلمية فى فروع الدين، والأخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس.

بل حتى فى ميدان الشريعة فإن كتاب MISH nah Totah [٧]. الذى يبهرنا ببنائه وترتيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقا للنظام الذى وضعه علماء الفقه المسلمون[٨].

وليس هذا فحسب بل إن كبار المشرعين لم يتحرجوا من أن يستخدموا فى تأليفهم أفكار وخواطر مأخوذة من التأليف فى الإسلام وفلسفته. وكثيرا ما توغل هذا التأثير حتى فى استعمال كلمات نجدها حيث لم نكن نتوقعها تماما، ويكفى ذكر شاهدواحد هو هذه العبارة:

« y wrnw rbnw wshkhrw kfwl mn hshmym ».

« فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف فى السماء » فهذه العبارة التى اقترنت طوال مئات السنين

---

(٦) ـ الفكر الإسلامى نقد واجتهاد د. من أركون ترجمة هاشم صالح دار الساقى.

(٧) ـ كتاب وضعه موسى بن ميمون الحكيم اليهودى الذى توفى بمصر عام ١٣٠٤م ومعنى عنوانه «تثنية التوراة» وهو بحث منظم عن الفقه والتشريع اليهودى استمده وألفه من التلمود وشروحه وهوامشه، وقسمه إلى أربعة عشر كتابا عبر اللاحقون به عن إعجابهم ـ بها عندما أطلقوا عليها Ydhhzqh «يد القوة» والقيمة العددية للكلمة الأولى هى ١٤ أى عدد الكتب التى يضمها هذا المؤلف.

وقد جاء فى كتاب إسرائيل ولفنسون «موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته» ص٤٥ وما بعدها عرض لهذا المؤلف «الجرح».

(٨) ـ انظر جولد تسهير SDMG XXXV, 774 -775.

بالأسئلة التى كانت تعرض على الجاؤنم رؤساء الطائفة اليهودية ومن خلفهم – مصدرها هى الأخرى من الخارج.

اليهودية والمسيحية والإسلام

يعرض نفتالى فى بحثه للإسلام والمسيحية وعلاقة اليهودية بهما ويقدم به للموضوع لجدارته بالدراسة فهو لم ينل ما يستحقه من البحث ولا يزال يحتاج إلى كثير من الدرس العلمى الصحيح وكانت قضية التأثر والتأثير بين اليهودية والمسيحية والإسلام دائما كان الإسلام هو المدان لأنه الأخير زمانه لكن نفتالى قلب القضية وأقامها على رأسها حين رأى أن ظاهرة التأثير قد تغلغلت أيضا إلى قلب العمل الدينى والعبادة الدينية، كما ظهر فى شعائر الصلاة فى الكنيس.

وهذه الظاهرة تنطوى على تجديد زائد؛ فإن اليهودية منذ القدم شادت من حول حدود العمل الدينى سورا عاليا كى تمنع تسلل التيارات الخارجية، والعقيدة الكامنة فى وصايا التوارة « هى لا تقلدوا عادات الأمم » فمثل هذه العقيدة لم تنشأ إلا لتكون سدا فى وجه المؤثرات الخارجية. وعلى الرغم من كل هذا فالمعروف عن الديانة اليهودية أنها لم تسلم من المؤثرات. وفيما يتعلق بدين العرب فقد تضافرت عوامل عدة على تهيئة القلوب لقبول تأثيره وارتضائه: الأخوة فى الأصل واللغة، والتقارب فى الطباع، ثم قبل كل شىء التوحيد الشريف الذى امتاز به ذلك الدين، الأمر الذى أدى إلى استثناء عدد من الجاءونيم « أى رؤساء الدين » للمسلمين من بقية الأمم فيما يتصل بالقوانين الخاصة المنصوص عليها بحسب حكم التلمود. وتبعهم أيضا الحبر موسى بن ميمون، فالدين الإسلامى وحده لا يعد فى نظره دينا وثنيا تماما.

ثم سار ابنه الحبر إبراهيم الميمونى خطوات أبعد من ذلك فجاء فأخرج المسلمين من القاعدة القائلة « لا تقلدوا عادات الأمم » وأفتى بأن ذلك يحاكى عاداتهم لا يعد مستبيحا لما حرمته القاعدة. ولا شك أن مثل هذا الموقف المتسامح كان يهدف إلى فتح ثغرة أكبر من رأس الإبرة ينفذ منها التأثير الأجنبى على العادات اليهودية.

غسل الرجلين

ظهر هذا التأثير أساسا بطريقتين:

أولاً: باستيعاب عادات تختص بالعبادة لا أساس لها فى التقاليد الإسرائيلية.

ثانيا: بإحياء عادات قديمة قد اندثرت من عند اليهود تحت تأثير أسباب معينة.

وهنا يجدر بنا أن نشير على وجه الخصوص إلى ظاهرة هامة وهى أن العادات التى هجرها اليهود بدافع العزلة والابتعاد عن النصرانية ارتدت ثانية إلى اليهودية بتأثير من الدين الإسلامى. وعلى أى حال فليست الغاية من هذا البحث استقصاء الموضوع والإحاطة به من كل جوانبه بل فتح باب البحث فيه.

كان ذلك التشريع الوارد فى « تثنية التوراة » والذى يقضى بغسل القدمين قبل صلاة الصبح SH hryt فى نظر الحبر إبراهيم بن داود لغزا لم يجد له حلا « لست أدرى لماذا رجليه؟ » ولم يجهر بمثل هذه الكلمات

ليخالف الحبر موسى بل أتى ليعبر عن دهشته: «من أين جاء بمثل هذا الفرض؟ وما أصله؟ وما مصدره؟». وقد تعب شراح الحبر موسى ومفسروه فى أن يميطوا اللثام عن هذا التشريع ويكشفوا عن مصدره. وهناك حقيقة تنطوى على فائدة جليلة، وهى أن ما عثروا عليه بعد البحث والتنقيب فى التلمود هى الفقرة التالية، غير أن شرحهم على هذه الفقرة لا يثبت أمام النظرة الناقدة :-

فممن خفيت عليهم كلمات الحبر موسى بن ميمون فى هذا الصدد الحبرعزائيل هيلد سهيمر الذى عثر على نص فى «هلخوت جدلوت» مخالف للنسخة التلمودية المتفق عليها وهو «من يريد أن يأخذ على عاتقه ثقل السماوات والأرض فليتوجه ويغسل يديه ورجليه» فلم يستطع أن يقدم أى تفسير لهذه الكلمات الزائدة «ورجليه» سوى أن تكون خطأ من الناسخ. ومنذ عدة سنوات وجد جاكوب مان - فى إحدى قطع الجنيزة[٩] «سفر الأعمال لبناء فلسطين» الذى يرجع إليه الفضل فى نشره وفيه وجوب غسل الرجلين. فنبه إلى أنه لم يعثر على ما يدعم ذلك فى الوقت الحاضر.

نشأت هذه الحيرة بسبب الحقيقة القائلة بأن هذه العادة التى نحن بصددها ليس لها أساس فى الشريعة التلمودية من ناحية، وبسبب قلة المصادر عن وجودها بين الأقطار الشرقية - من ناحية أخرى، والمصادر التى نذكرها تدل على سعة انتشار هذه العادة وأنها شملت تقريبا فى كل الأقطار الإسلامية «سفر الأعمال لأبناء فلسطين».

إن عادة غسل الرجلين قبل الصلاة مأخوذة من العبادة الإسلامية وعندما تتمثل أمام أعيننا الأهمية البالغة التى انفرد بها الوضوء فى الإسلام تتكشف لنا حقيقة قبول هذه السنة وانتشارها العظيم بين اليهود فى الشرق. وكان لأهمية الوضوء البالغة أن أطلق عليه فى واحد من الأحاديث النبوية عبارة «نصف الإيمان» وليست ماهية هذا الوضوء كماهية الوضوء اليهودى. فيتحتم فى الوضوء الإسلامى بالإضافة إلى غسل اليدين إلى المرفقين غسل الرجلين إلى الكعبين، ومسح الرأس، ومسح الأذنين وما خلفهما، والمضمضة. والاستنشاق... إلخ.

وإزاء هذا الفارق الكبير لم يتمكن اليهود أن يدفعوا الشعور بالاستياء الذى لحقهم من جراء وضوء المسلمين البالغ العناية، بل كانوا يشعرون بالضعة لأنهم يتسرعون فى عبادة الله إذا قيسوا بجيرانهم المسلمين. وتعجب اليهود من سبق العرب لهم فى هذا المضمار وهم فى رأيهم أدنى منهم مرتبة. ونحن نجد تعبيرا عن هذا الشعور لدى الشاعر الصوفى. مناحيم دى لونزانو الذى حض على العناية بغسل الرجلين بقوله:

لا يكن العربى أكثر منك طهارة...........

الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء فى الفجر، وظهرا وعشية.

(٩) وجدت بكنيسة الشاميين بالفسطاط - بقرية كنيسة بربرة التابعة للأقباط الأرثوذكس مخطوطات كثيرة يرجع بعضها إلى العصر الذى سبق ظهور المسيحية ومعظمها يرجع إلى العصر الفاطمى والأيوبى وهذه المخطوطات تعد من أنفس المصادر وأقدمها فى تاريخ اليهود فى مصر والبلدان المجاورة باسم أدب الجنيزة - والجنيزة hgnyzh كلمة عبرية تعنى الكنز أو الدفين وتطلق على مخزن فى المعبد تدفن فيه الأوراق المهملة ولذا أطلق اسم أدب الجنيزة على ما وجد مدفونا من أوراق.

وحتى فى الليل؛ بينما يشتد البرد ويسقط الثلج.

وفى ضوء الحقائق التالية تتضح أيضا قوة التأثير الذى صدر عن البيئة الأجنبية فقد كانت مسألة الوضوء قبل جميع الصلوات بصفة عامة وغسل الرجلين فى حالات خاصة نقطة الخلاف بين الفرقتين الدينيتين الإسلاميتين أعنى الشيعة وأهل السنة، فنادى أصحاب مذهب أهل الشيعة استنادا إلى نص القرآن بوجوب الوضوء قبل كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بينما اكتفى أصحاب السنة بوضوء واحد لسائر الصلوات ما دام لم يأت فى غضون ذلك ما يوجب التطهر من جديد من قضاء حاجة أو نوم.... إلخ، وقد احتدم الجدل فى العالم الإسلامى حول هذه المسألة إلى الحد الذى اتهم فيه السنيون بمحاولة تزييف نص القرآن حتى يتفق ونظامهم.

ونشب خلاف آخر أشد عنفا حول مسألة أخرى. فإزاءالشروط الثقيلة لغسل الرجلين أجازت المذاهب الأربعة المسح على الخفين بدلا من غسل القدمين ولكن فقهاء الشيعة عارضوا هذه الرخصة. ومما أجج نار الخلاف اعتبار علماء السنة أن رخصة المسح على الخفين تمثل أصلا من أصول الدين وأن من لا يقره يكن زنديقا.

ومما يدل على هذا التأثير أن تطهير الرجلين لم يكن وحده هو الذى صادف هوى وقبولا بين اليهود، بل اقتبسوا أيضا سائر أركان الوضوء نحو غسل الذراعين وما وراء الأذنين ومسح الرأس والاستنشاق. وهذه الظاهرة التى يستنكرها الحبر إبراهيم بن داود تستحق تأكيدا خاصا. لأنها تلقى كثيرا من الضوء على عظمة التأثير الإسلامى فى العبادات اليهودية.

ويأخذ بهذا الرأى أيضا الحبر القانت إبراهيم بن رامبام الذى سنجده فيما بعد يدخل الإصلاحات على شعائر الصلاة طبقا للعبادة الإسلامية وقد خصص للمسألة التى نحن بصددها شبه ملحق خاص فى كتابه «كفاية العابدين» ويجد بنا هنا أن نذكر كلماته بحذافيرها؛ فهو يقول فى معرض كلامه عن غسل اليدين، وكتب فى الملحق:

والذى يجب أن نضيفه إلى وجوب تطهير الرجلين، هو أنه إذا كان غسل اليدين ضروريا لا يمكن التخلص منه فالمستحب والمفضل هو غسل اليدين والرجلين معاً، وليس هذا فقط.

الصلوات بالمقارنة إلى التقربات تعتبر تنظيمات، ولأن الصلوات تحل محل الصلوات القرابين ولأن التوراة قالت «.... أو عند اقترابهم إلى المذبح يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا.. إلخ» فمن الضرورى أن يحرص على غسل يديه ورجليه عند كل صلاة وألا يكف عن فعل ذلك حتى لم تجد ضرورة لأننا استندنا إلى قول دواود: «أغسل يدى فى النقاوة» نستند أيضا إلى الآية: «ويغسلون ... إلخ. لأن هذا مماثلة عبادة «بيت المقدس».

والذى يمعن فى هذه الكلمات يرى أنها تبدأ بالوصية وبالثناء على التوسع فى غسل الرجلين عند كل صلاة وتنتهى بالدفاع عن هذا الغسل عموماً.

وهذه الظاهرة، أعنى ما رآه الحبر إبراهيم يحتم عليه أن يدافع عن هذه العادة القديمة تفيدنا أنه كان فى أيامه من يعارضها. ولا يبتعد عن جادة الصواب إذا فرضنا أن هذه المعارضة قامت من بين الأوساط التى ناوأت إبراهيم الميمونى من جراء إصلاحاته والتى يجب أن نعتبر منها طلبه غسل الرجلين قبل كل صلاة.

الأقلية العربية في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تمثل الأقلية العربية فى إسرائيل، بقية الفلسطينيين من «عرب ١٩٤٨» الذين ظلوا يعيشون، حتى الآن، فى فلسطين التاريخية، وقد ألجأتهم ظروف الاحتلال الإسرائيلى لأرضهم عام ١٩٤٨ إلى حمل الجنسية الإسرائيلية وصاروا، تبعا لذلك، من مواطنى إسرائيل التى أطلقت عليهم اسم «عرب إسرائيل».

ويبلغ عدد هذه الأقلية الفلسطينية الآن ما يزيد على مليون نسمة، وهم يشكلون حوالى ٢٠٪ من سكان إسرائيل، الذين يبلغ عددهم ٦٫٣ مليون نسمة. وتنقسم هذه الأقلية العربية إلى عدة فئات، أكبرها الأغلبية المسلمة التى يصل عددها إلى ٧٥٠ ألف نسمة، ويمثل البدو العرب ١٠٪ من هذه الأقلية وكان معظم هؤلاء البدو من الرعاة الرحل الذين يقيمون الآن، فى المناطق الجنوبية حول بئر سبع، ثم يليهم المسيحيون العرب فى المرتبة التالية من حيث عددهم، وهم ينتمون إلى الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية أما الدروز فيعيشون فى ٢٢ قرية ومدينة، ويبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ نسمة، وهم يمارسون حياتهم فى نطاق ثقافى واجتماعى خاص.. وتأتى الفئة الأخيرة التى تصنفها إسرائيل فى إطار الأقلية العربية وهم «الشراكسة» الذين يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ نسمة، وهم ينتمون إلى المسلمين السُنة، إلا أنهم ليسوا من أصول عربية. واللافت للنظر أن إسرائيل تعفى أبناء الأقلية العربية من الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى، إذ ترى فيهم أقلية معادية، وخطراً على أمن الدولة، باستثناء الدروز والشراكسة، ولذلك فإن هاتين الفئتين تتمتعان بمكانة خاصة متميزة فى المجتمع الإسرائيلى.

وفيما يتعلق بوضع الأقلية العربية داخل إسرائيل، وطبيعة العلاقة بدولة الاحتلال فيمكن رصد تيارين سياسيين رئيسيين: التيار الأول يدعو إلى استمرار الاندماج من جانب الأقلية العربية فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى إسرائيل على أساس جديد يحقق

عزمى بشارة، لم تحمه عضويته بالكنيست الإسرائيلى من الضرب والإهانة عندما احتج على أوضاع العرب داخل إسرائيل

مساواة أكبر. ويأتى على رأس الجماعات الداعية للاندماج العربى «الحزب الاشتراكى الإسرائيلى» المعروف باسم «ماكى» وحلفاؤه فى «الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة» وأيضاً حركة التجديد العربية التى يرأسها عضو الكنيست العربى «أحمد الطيبى». وكل هذه الجماعات والأحزاب السياسية تجد نفسها فى صراع دائم مع القوى المهيمنة من الصفوة اليهودية الإسرائيلية الحاكمة، التى تخطط لعزل الأقلية العربية عن الدوائر السياسية والاجتماعية فى إسرائيل، وحرمانها من نصيبهم فى الرفاه الاجتماعى والاقتصادى. وقد عبرت الحركة المطالبة بالاندماج عن معارضتها لإنشاء برلمان عربى إسرائيلى، لكن على الرغم من ذلك، فإنها أكدت على أهمية المشاركة الإيجابية فى الكنيست الإسرائيلى خاصة فيما يتصل بالتشريعات المتعلقة بالمساواة المدنية، ومنح العرب حقوقهم الوطنية كأقلية قومية معترف بها. وفى هذا الإطار يؤكد الداعون للاندماج على تعزيز التعاون مع العناصر المتعاطفة فى المجتمع اليهودى، إذ يعتبرون هذه العناصر هى الحليف الطبيعى مع الأقلية العربية فى نضالهم للحصول على المساواة الفردية، والاعتراف بهويتهم القومية، ودعم مبدأ تسوية الصراع الإسرائيلى الفلسطينى على أساس دولتين لشعبين. أما التيار الثانى فيدعو إلى الانعزال عن المجتمع الإسرائيلى العام، إما على أساس علمانى وطنى، أو دينى إسلامى. ويمكن تقسيم الحركات المطالبة بالانعزال إلى فرعين أساسيين: الأول الفرع العلمانى الوطنى، ويمثله الأئتلاف الوطنى الديمقراطى الذى يرأسه عضو الكنيست العربى «عزمى بشارة» والثانى الفرع الأصولى الإسلامى الذى تمثله الحركة الإسلامية التى تتألف من جماعتين ترأسها الجماعة الأشد تطرفاً بزعامة «رائد صلاح» عمدة مدينة أم الفحم.. وتعارض الحركتان العلمانية والإسلامية فكرة اندماج العرب فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى إسرائيل حيث يرون هذا الاندماج بأنه عملية «أسرلة» كما يرى المطالبون بالانعزال أن عضويتهم فى الكنيست

هى شر لابد منه من أجل حماية حقوقهم فى مواجهة حكومة إسرائيل المعادية، بالإضافة إلى أن تواجدهم داخل الكنيست قد يسمح لهم بوضع خطة لتسوية إشكالية انتماء الأقلية العربية فى إسرائيل، كما يضع المطالبون بالانعزال خطوطا فاصلة بين قضية المساواة المدنية على المستوى الفردى والتى يمكن تحقيقها بتحويل إسرائيل إلى « دولة لكل مواطنيها »، وبين موضوع اليهودية القومية الجماعية إذ إن هناك بالفعل شعبين منفصلين، يعيشان فى نفس الدولة هما الشعب اليهودى، والشعب الفلسطينى، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن ثمة عدداً من المسلمات الرئيسية التى تحكم سياسة الحكومة الإسرائيلية حيال الأقلية العربية فى إسرائيل ان تنظر دولة إسرائيل إليهم باعتبارهم طابوراً خامساً، وأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم، كما تعتبر حاجات، ومطالب القطاع العربى غير مشروعة، وليست ملحة كحاجات القطاع اليهودى، فنجد طوال سنوات الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨ أن هذه الرؤية المتعصبة هى التى تحكم سياسات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تجاه القطاع العربى فى إسرائيل. هذا وقد ترتب على هذه الرؤية التمييزية ضد العرب فى إسرائيل ما يلى:

- وجود عشرات القوانين المنحازة ضد السكان العرب انحيازاً واضحاً، بما فيها القوانين المنظمة لمكانة الوكالة اليهودية، واتحاد نقابات العمال اليهود « الهستدروت ».

- وجود الكثير من الأنظمة التى كرست مصادرة الأراضى والأملاك العربية من قبل الدولة، وتحويلها إلى أملاك يهودية.

- استخدام القوانين والأنظمة التى تميز بين العرب، واليهود على أساس فوارق شكلية تحت مسميات خادعة منحازة مثل « مهاجر جديد »، أو « متخرج من الجيش ».

- التمييز فى مخصصات الميزانية فى غير صالح الأقلية العربية فى مختلف المجالات كالتعليم والرفاه، والشئون الدينية.

- قد يتمتع العرب فى إسرائيل بالحقوق مادامت لا تتعارض مع النصوص الصهيونية التى تعلن « أن إسرائيل هى فى الأساس دولة الشعب اليهودى ».

- المعاملة القاسية التى يعامل بها الجيش والشرطة الإسرائيلية الأقلية العربية، أثناء الاضطرابات والتظاهرات، مثلما حدث فى أكتوبر ٢٠٠٠ عندما ثار عرب الناصرة، وأم الفحم فى تظاهرة وطنية تضامناً مع أبناء الضفة الغربية وغزة فى انتفاضتهم ضد العدوان الإسرائيلى، فقد قتل فى هذه المواجهة مع الشرطة وحراس الأمن الإسرائيلى ١٣ فلسطينيا من عرب ١٩٤٨، بالاضافة إلى إصابة ما يزيد على ١٠٠٠ فلسطينى.

ومما يجدر ذكره ان ما حدث فى أكتوبر ٢٠٠٠، قد كشف النقاب عن التفصيلات الملموسة المتعلقة بالمظالم التاريخية التى مازالت الأقلية العربية تعانى من جرائها فى إسرائيل.

ومنذ عام ١٩٤٨، وهو عام النكبة، وحتى الآن، فإن إسرائيل تتابع تنفيذ « المشروع

الصهيونى» بتغريب الأقلية العربية فيها من خلال منظومة من السياسات الحكومية التمييزية، وأساليب مصادرة الأراضى العربية، ونقل ملكيتها من العرب إلى اليهود، وقد أصبح الصندوق القومى اليهودى، والوكالة اليهودية، وإدارة أراضى إسرائيل أدوات أساسية لتحقيق أهداف المشروع الصهيونى فى الاستيلاء على أراضى العرب. ومن المعروف أن اليهود عام ١٩٤٨ كانوا لا يمتلكون بصورة شرعية إلا نحو ٥٪ - ٧٪ من أراضى فلسطين التاريخية ولكن بسبب أساليب المصادرة للأراضى العربية صار العرب الفلسطينيون فى إسرائيل اليوم لا يملكون أكثر من ٣,٥٪ من الأرض. وأحب أن ألفت الانتباه إلى أنه فى حين تم إنشاء أكثر من ٧٠٠ مستعمرة يهودية فى إسرائيل منذ اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨، فإن القطاع العربى لم يشهد إنشاء بلدة عربية واحدة حتى الآن. ومن جهة أخرى فإن القرى العربية التى تم الاعتراف بها من جانب السلطات الإسرائيلية مثل قرية «عين حوض» و«عرب النعيم». مازالتا محرومتين من وجود شوارع وكهرباء ولا يسمح لسكانها بالحصول على تراخيص للبناء بسبب عدم الانتهاء من التخطيط الهيكلى لهاتين القريتين. ولا يفوتنى أن أشير إلى أن ٦٧٪ من البيوت التى يسكنها العرب فى المدن المختلطة تعود ملكيتها إلى الحكومة الإسرائيلية بموجب قانون نزع الملكية العنصرى عام ١٩٤٨ إذ أن هذا القانون يسمح لحكومة إسرائيل أن تستولى على ما تبقى من هذه البيوت، وتحويلها إلى شقق سكنية للمهاجرين اليهود الجدد، ولايزال المواطنون يعانون من سوء الأوضاع فى المدن المختلطة. وحول البطالة التى يقاسى منها الوسط العربى فى إسرائيل يشير أحد التقارير الصادرة من الحكومة الإسرائيلية فى أغسطس ٢٠٠٠ أن نسبة البطالة على المستوى القومى هى ٨,٥٪، بينما تراوحت فى الوسط العربى بين ١٢٪ - ١٥٪، بل تجاوز التمييز فى مجال العمالة إلى عدم تشغيل العرب فى مؤسسات الدولة، والشركات الحكومية مثل «شركة بيزك للاتصالات العامة». و«شركة الكهرباء القطرية» وإلى الآن لم يتم توظيف أى عربى، برغم محاولات جادة ومتكررة لأعضاء الكنيست العرب سن قوانين تسمح بتشغيل العرب داخل هذه المؤسسات والشركات. كما تشير الإحصاءات إلى أن فرص العمل أمام النساء العربيات محدودة للغاية، فنجد أن نسبة عمل النساء العربيات هى ٢٤,٧٪ مقابل ٤٧٪ من النساء اليهوديات. كما يتميز الاقتصاد الإسرائيلى بتقسيم عرقى للعمل، فاليهود يهيمنون على معظم مهن «الياقات البيضاء» فى التجارة والشئون المالية، بينما العرب يشكلون نصيب الأسد فى مهن «الياقات الزرقاء» خاصة فى البناء والزراعة ومن المفيد أن أشير إلى أن قوة العمل العربية هى فى الغالب الأعم فى الأعمال الخشنة مثل النسيج والمعادن والمطاط، بينما اليهود يشكلون السواد الأعظم فى الصناعات المتطورة التى تحتاج إلى رأسمال ضخم، وتكنولوجيا متقدمة. أما فى مجال التعليم فنجد المدارس العربية تعانى من نقص الاعتمادات

المالية، وقلة التجهيزات الضرورية للعملية التعليمية، بالإضافة إلى العنصرية الواضحة من وزيرة التعليم الإسرائيلى « ليمور ليفانت »، وإهمالها للمدارس العربية، مما دفع القادة العرب فى إسرائيل فى أغسطس عام ٢٠٠١ إلى التهديد بمنع ما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ طالب عربى من الذهاب إلى مدارسهم.

كما تشير الإحصاءات إلى وجود فجوات فى التعليم بين اليهود والعرب فى إسرائيل، فنجد فى عام ١٩٩٦ ان نسبة اليهود الذين حصلوا على الثانوية العامة هى ٦٧,٤٪ مقابل ٤٩,٤٪ فى الوسط العربى، لكن المعيار الرئيسى الذى يُجسِّد هذه الفجوة بين العرب واليهود هو مستوى التعليم العالى فى الوسطين اليهودى والعربى، إذ تشير الإحصاءات إلى أن نسبة الحاصلين على الليسانس والبكالوريوس فى القطاع العربى هى ٧٪ ونسبة الحاصلين من العرب على الماجستير هى ٣٪، ونسبة الحاصلين من العرب على الدكتوراة هى ٢,٥٪ فقط. لذلك يناشد بعض رجال التربية الحكومة الإسرائيلية إنشاء جامعة عربية، على أن تكون فى نفس مستوى الجامعات القومية الإسرائيلية، على أن تنال العناية الفائقة، حتى لا تتحول إلى « جيتو ثقافى » للتعليم العالى العربى.

ولم تعد المشكلة تتوقف فقط عند الفجوات فى المنجزات التعليمية، والتمييز فى المخصصات المالية، بل هى مرتبطة أيضاً بإنكار حق رجال التربية والتعليم العرب فى المشاركة الفاعلة فى تحديد برامج التعليم فى القطاع العربى، إذ أنه بالفعل لم تجد نداءات التربويين العرب أذانا صاغية، أو استجابة تُذكر من جانب وزارة التعليم الإسرائيلية للسماح لهم بالمشاركة بصورة عملية فى تشكيل مضامين برامج التعليم العربى بالشكل الذى يعكس الهوية القومية والثقافية للأقلية العربية، ولا يفوتنى أن استرعى الانتباه إلى أن التشريع الإسرائيلى العنصرى، مازال قائماً، لم يراع مطالب، وحاجات العرب فى إسرائيل، وأخص بالذكر « قانون حق العودة »، الذى بموجبه يحق لكل يهودى فى العالم العودة إلى إسرائيل، والتحول تلقائياً، إلى مواطن إسرائيلى، فى نفس الوقت الذى لا يسمح فيه للفلسطينيين الذين هُجِّروا بالقوة من فلسطين التاريخية، بالعودة إلى أرضهم، واستعادتهم لممتلكاتهم المغتصبة. وذلك يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك أن إسرائيل ماضية فى سياسة التمييز العنصرى حيال الأقلية العربية فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. على أن ما يجب التأكيد عليه، فى الختام، أن مسألة المواطنة المتساوية بين العرب واليهود فى إسرائيل لن تجد الحل المقبول، ما لم يتم السعى إلى تغيير طابع الدولة العنصرى المناهض لأبسط المبادىء الديمقراطية بتحويل إسرائيل من « دولة يهودية ديمقراطية » لجميع مواطنيها عرباً ويهوداً على السواء، مما يهدد السبيل لتغيير سياسة العداء تجاه الأقلية العربية، والاعتراف بهم كأقلية قومية لها حقوقها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية التى تقرها المواثيق والمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق الأقليات بصفة خاصة.

عودة ابن بطوطة

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى، رحالة مشهور عرف باسم (ابن بطوطة) ولد فى طنجة بمراكش، فى سابع عشر رجب الخير سنة ٧٠٣هـ لأسرة ميسورة الحال، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره خرج قاصدا حج بيت الله الحرام، ليبدأ رحلته التى بدأت يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام ٧٢٥هـ وانتهت بعودته إلى فاس ليلة عيد الأضحى سنة ٧٥٤هـ أى ما يقرب من ثلاثين عاما زار خلالها الجزائر، وتونس، وطرابلس، ومصر، ، والشام، والحجاز، والعراق، والهند، والصين، والأندلس، وبلاد السودان، (إفريقيا) ورأى فى رحلته مشاهد أدهشت العقول والألباب، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته: «ورد بالمغرب لعهد السلطان أبى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بـ ابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة (دهلى) حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو (فيروزجوه) وكان له منه مكان واستعمله فى خطة القضاء على مذهب المالكية فى عمله ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبى عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتى فى أحواله بما يستغربه السامعون، مثل ان ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل فى يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به، وينصب أمامه فى ذلك الحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه، وأمثال هذه الحكايات فتناجى الناس بتكذيبه..»(١).

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافى، (٥٦٥/٢) الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة.

ويكلف السلطان المغـــربى (أبى عنان) وزيره الأديب محمد بن جزى بأن يكتب ما يمليه عليه ابن بطوطة من مشاهداته فى رحلاته وأسفاره ففرغ من كتابتها فى ثالث ذى الحجة عام ٧٥٦هـ وأسماها «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»(٢).

أتدرون لماذا اخترت ابن بطوطة ورحلته مادة لمقال هذا الشهر؟ لعلكم تجدون الإجابة فى رائعة على محمود طه:

أخى جـــــاوز الظالمون المدى

فــحق الجــهـــاد وحق الفـــدا

وأنا لا أملك من عدة الجهاد سوى القلم.. لاتسخروا.. ولاتستنكروا.. ولاتشجبوا.. بل لاتستهينوا.

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل هدم الصهاينة ما يقرب من ١٢٠٠ مسجد، وقاموا بتحويل ما يقرب من خمسة وثمانين مسجدا ومقاما أثريا إلى حظائر للخراف والأبقار، ومحطات للوقود، ومخازن، ومطاعم، وخمارات، ومواخير، وكنس ومعابد لليهود.

وفضلا عن ذلك منع أحفاد القردة والخنازير الآذان فى المساجد وأحرقوها وقصفوها ودمروها، كما حدث فى مسجد عمر بن الخطاب فى بيت لحم، ومسجد آل سعد فى جنين، ومسجد طولكرم، ومسجد الخضر فى نابلس، ومسجد النور فى رفح، ومسجد بلال بن رباح فى بيت لحم.

وقبل هذا كله لازال المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة الشريفة والمسجد الإبراهيمى، لازالت هذه المساجد مغلقة فى وجه المصلين لايرفع منها الأذان، يعيث فيها اليهود فسادا.

ويوما بعد يوم يمضى بنو صهيون قدما نحو إزالة الطابع الإسلامى لفلسطين الحبيبة، فلسطين السليبة، ولكن لن ينجحوا.. بَعُدَ وهيهات أن يكون لهم ذلك.

من أجل ذلك نستحضر على صفحاتنا اليوم رائدا من رواد الحضارة الإسلامية ليحدثنا عن فلسطين ومشاهداته فيها نستضيف اليوم (ابن بطوطة) محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم

---

(٢) طبعت فى لندن للمرة الأولى سنة ١٨٢٩م عندما قام (القس صموئيل لى) بترجمة قسم كبير منها إلى اللغة الإنجليزية.

ثم قام العالمان الفرنسيان (دى سلان) و(إدوارد ديلوريه) بترجمة جزء كبير منها نشر فى المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٣ ـ ١٨٤٧ باللغة الفرنسية.

ثم طبعت باللغة اللاتينية سنة ١٨٨١م عندما عثر المستشرق (كوسفارتن) على أسفار منها توضح رحلات ابن بطوطة إلى بلاد افريقية، وفارس، وبلاد التتر، والجزائر.

ثم عثر المستشرقان (دفريمرى) و(سانجونتى) على نسخة كاملة من الكتاب باللغة العربية فقاما بترجمتها إلى اللغة الفرنسية ونشرها فى أربعة مجلدات.

كما ترجمها المستشرق الألمانى (مزيك) إلى الألمانية سنة ١٩١١، ونشرها فى هامبورج.

وترجمت كذلك إلى اللغة التركية باسم (تقويم وقائع).

أما الطبعة العربية الأولى منها فصدرت فى القاهرة مترجمة عن الطبعة الفرنسية فى مجلدين سنة ١٨٧١م، ثم صدرت منها طبعة ثانية سنة ١٩٠٤م. (انظر مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة للمرحومين الأستاذين: أحمد العوامرى، ومحمد أحمد جاد المولى).

اللواتي الطنجي، فإذا كان بنو صهيون يستندون في ادعاءاتهم في أرض فلسطين إلى خرافات وأساطير فنحن نستند إلى تاريخ وماض لاينكر.

قلت: مرحبا بك يابن بطوطة في مجلة الأزهر.

ابن بطوطة: الأزهر! أنا إذن بمصر، أم البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة[٣]، المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر.

سألته: نشأت في بسطة من العيش، وسعة من الرزق، ثم خرجت من مدينة طنجة وأنت في الثانية والعشرين من العمر بادئا رحلتك، فما هو دافعك من وراء هذه الرحلة وماذا كان شعورك إزاءها؟

ابن بطوطة: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس، الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث في نفسي شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن، فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطير للوكور وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة.

قلت: حدثنا عن رحلتك.

وبدأ ابن بطوطة حديثه الشيق، فقال: قمت بثلاث رحلات، الأولى استغرقت خمسا وعشرين عاما، انتهت يوم وصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة إلى حضرة فاس.. أما الثانية فكنت توجهت إلى مدينة سبتة فأقمت بها أشهرا، وأصابني بها المرض ثم عافاني الله، فأردت ان يكون لي حظ من الجهاد والرباط، فركبت البحر من سبتة فوصلت إلى بلاد الأندلس، وقضيت بها زمنا أتنقل بين مدنها حتى عدت إلى حضرة فاس حرسها الله ـ تعالى ـ نهاية عام ٧٥٢هـ أما الثالثة فبدأت يوم سافرت إلى بلاد السودان وانتهت بعودتي إلى حضرة فاس يوم الأضحى من عام ٧٥٤هـ.

قلت له: حسبك.. أريد تلك التي زرت فيها الديار الشامية وبالتحديد فلسطين.

ابن بطوطة: أنت إذن تعود بي إلى بداية الرحلة.. حسنا ولكن خبرني أولا: لم فلسطين تحديدا؟

قلت: فلسطين سقطت فريسة في أيدي عصابة مجرمة تدعى (إسرائيل) وهؤلاء ارتكبوا جريمة كبرى، حيث طردوا أهل البلاد الفلسطينيين، وصادروا أرضهم، وقتلوا رجالهم، ويتموا أطفالهم ورملوا نساءهم وهدموا المساجد، وعاثوا فسادا، وارتكبوا جرائم عديدة، وهل هناك جريمة أشد من طرد الإنسان من الأرض التي ولد عليها وأكل من خيرها، وشرب من مائها، واستظل بظلها، ولعب وشب بين ربوعها.

(٣) (أرِضَتِ) الأرضُ والروضةُ - أَرَضا، كثر نبتها، وحسن مرآها. أنظر المعجم الوسيط (١٤/١) الطبعة الثالثة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

هل تصدق أن أحفاد القردة والخنازير أضرموا النيران فى المسجد الأقصى ودمروا منبر البطل صلاح الدين وجعلوه أثراً بعد عين(٤)؟ فى يوم من الأيام قتلوا تسعة عشر مصليا داخل المسجد الأقصى(٥) هل تعلم أنهم دمروا القصور الأموية المقامة قرب الجهة الجنوبية من المسجد أثناء حفرهم أسفله؟

هل تصدق أنهم قتلوا خمسة وثمانين رجلا دافعوا عن المسجد وحرمته(٦)؟

هل تصدق أنهم ألقوا رأس خنزير فى ساحة المسجد الأقصى المبارك وارتكبوا فيه أعمال مشينة ومنذ سنوات أحرقوا باب الغوانمة(٧)؟

بل هل علمت أنهم هدموا حى المغاربة(٨)؟

هؤلاء الفجرة الكفرة قام أحدهم بقتل ستين مصليا داخل الحرم الإبراهيمى وجرح المئات(٩)

ابن بطوطة: حسبك يارجل حسبك لقد أوجعتنى إنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: بل ما قلته لك هو أقل القليل.. ماذا عساك أن تقول لو رأيت جثث الضحايا تفترش الأرض على مساحات شاسعة من الأراضى تنهشها الكلاب والغربان؟!

ابن بطوطة: رحماك ربى.

قلت: فلسطين عربية.. فلسطين إسلامية، ولكنا ابتلينا بمن ينكر هذا.. أريدك أن تساعدنى، احك لنا ما شاهدته فى فلسطين فى زمانك الجميل، احك لنا حتى تعلم الأجيال، ويعلم الذين ينكرون حق العرب فى بلادهم وليت قومى يفقهون!!

ابن بطوطة: حبا وكرامة، أحدثك عن فلسطين ومدنها ومساجدها ومزاراتها وأهلها.

قلت: تفضل.

ابن بطوطة: كانت أياما رائعة، تجردنا للسير وواصلنا الجد، وأصابتنى الحمى، فكنت أشد نفسى بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف وكانت مدينة (قوص) هى أبعد ما زرت بالديار المصرية ومنها عدت بعد مسيرة ثمان إلى مصر، فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك فى منتصف شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة فوصلت إلى مدينة (بلبيس).. ثم وصلت (الصالحية) ومنها دخلنا (الرمال)(١٠) ونزلنا منازلها مثل (السوادة) و(الورادة) و(المطيلب) و(العريش) و(الخروبة)...

ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة، وهى أول بلاد الشام مما يلى مصر، متسعة الأقطار كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد الكثيرة، والأسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن، والمسجد الذى تقام الآن به الجمعة فيها، بناه الأمير

---

(٤) ٦٩/٨/٢١.

(٥) ٩٠/١٠/٨.

(٦) ٦٩/٩/٢٤.

(٧) ٩٨/٥/١٣.

(٨) بعد حرب ١٩٦٧.

(٩) هو المجرم (باروخ جولدشتاين) والجريمة حدثت فى صلاة الفجر يوم الجمعة، الخامس عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/٢/٢٥م، وقد برأته المحكمة الإسرائيلية بحجة أنه مريض نفسى ولا يُسأل عن أفعاله، وأوصت بإيداعه إحدى المصحات.

(١٠) يقصد سيناء.

المعظم (الجاولى) وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض.

سألته: وماذا عن علمائها؟

ابن بطوطة: قاضى غزة بدرالدين السلختى الحورانى، ومدرسها علم الدين بن سالم، بنو سالم هم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضى القدس.

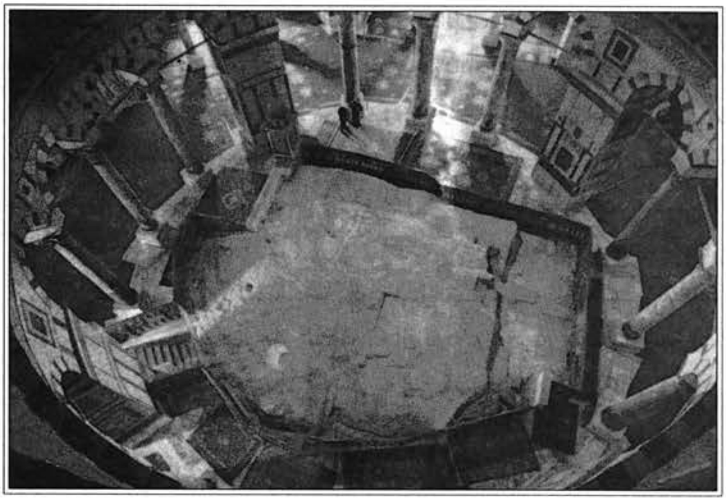

الصخرة المشرفة بمسجد قبة الصخرة

قلت: هل زرت الخليل؟

ابن بطوطة: نعم، سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وهى مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، فى بطن واد، مسجدها أنيق الصنعة محكم العمل، بديع الحسن، سامى الارتفاع، مبنى بالصخر المنحوت، فى أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا، ويقال: إن سليمان عليه السلام ـ أمر الجن ببنائه.

وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب – صلوات الله على نبينا وعليهم – ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور زوجاتهم.

وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل، إلى مسلك ضيق، يفضى إلى ساحة مفروشة بالرخام.

وكان هناك مسالك فى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هناك، ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى الذى سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب) أسند فيه إلى أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بى إلى بيت المقدس، مرَّ بى جبريل على قبر إبراهيم، فقال: انزل هاهنا فصل ركعتين، فإن ها هنا قبر أبيك إبراهيم ثم مر بى على بيت لحم، فقال: انزل فصل ركعتين فإن ها هنا ولد أخوك عيسى ـ عليه السلام ـ ثم أتى بى إلى الصخرة[11] وذكر بقية الحديث.

ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعفرى أحد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين سألته عن

---

(١١) أخرجه السيوطى عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبى عروة، عن قتادة، عن زرارة بن أبى أوفى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ اتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق الدكتور أحمد رمضان ص١٦٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

صحة كون قبر الخليل ـ عليه السلام ـ هنالك، فقال: كل ما لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور.. قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ على نبينا وعليهم السلام ـ وقبور زوجاتهم ولايطعن فى ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه.

ويذكر ان بعض الأئمة دخل إلى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ، فقال له: أى هذه القبور هو قبر إبراهيم؟ فأشار له إلى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار إليه، ثم دخل صبى، فسأله ـ أيضا ـ فأشار له إليه، فقال الفقيه: أشهد أن هذا قبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ لاشك، ثم دخل إلى المسجد فصلى به، وارتحل من الغد.

ويضيف: وبداخل هذا المسجد ـ أيضا ـ قبر يوسف ـ عليه السلام ـ وبشرقى حرم الخليل تربة لوط ـ عليه السلام ـ وهى على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام، و على قبره أبنية حسنة وهو فى بيت منها حسن البناء مبيض، ولاستور عليه وهناك بحيرة لوط، وهى أجاج[١٢]، يقال: إنها موضع ديار قوم لوط.

وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه، ولايجاورها إلا دار واحدة يسكنها قيمه.

وفى المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض فى حجر صلد قد هيىء فى صورة محراب لايسع إلا مصليا واحدا، ويقال: إن إبراهيم سجد فى ذلك الموضع شكرا لله ـ تعالى ـ عند هلاك قوم لوط، فتحرك موضع سجوده وساخ فى الأرض قليلا.

وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على ـ رضى الله عنها ـ وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع: «بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة والبقاء، وله ماذرأ وبرأ، وعلى خلقه كتب الفناء، وفى رسول الله أسوة، هنا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين ـ رضى الله عنه».

وفى اللوح الآخر منقوش: «صنعة محمد بن أبى سهل النقاش بمصر» وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه
بالرغم منى بين الترب والحجر
ياقبر فاطمة، بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة، بنت الأنجم الزهر
ياقبر، مافيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر.

سألته: وماذا عن القدس؟

ابن بطوطة: سافرت من هذه المدينة إلى القدس، فزرت فى طريقى تربة يونس ـ عليه السلام ـ وعليها بنية كبيرة ومسجد.

وزرت أيضاً بيت لحم موضع ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ وبه أثر جزع النخلة، وعليه عمارة كثيرة، والنصارى يعظمونه أشد التعظيم، ويضيّفون من نزل به ثم وصلنا إلى بيت المقدس ـ شرفه الله ـ ثالث المسجدين الشريفين فى رتبة الفضل، ومصعد رسول

(١٢) يقصد البحر الميت.

الله ﷺ تسليما، ومعرجه إلى السماء، والبلدة كبيرة منيفة، مبنية بالصخر المنحوت، وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب ـ جزاه الله عن الإسلام خيرا ـ لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها، ثم أتم الملك الظاهر هدمه خوفا أن يقصدها الروم[١٣] فيمتنعوا بها، ولم يكن فى هذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء فى هذا العهد الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق.

قلت: وماذا عن المسجد الأقصى ؟

ابن بطوطة: هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا، وله أبواب كثيرة[١٤] فى جهاته الثلاثة وأما الجهة القبلية منه، فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذى يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء غير مسقوف إلا المسجد الأقصى فهو مسقوف، فى النهاية من إحكام العمل، وإتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة وفى المسجد مواضع سواه مسقوفة.

وعن قبة الصخرة يقول ابن بطوطة:

هى من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلا وقد توافر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهى قائمة على نشز[١٥] فى وسط المسجد يصعد إليها فى درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام ـ أيضا ـ محكم الصنعة، وكذلك داخلها، وفى داخلها وباطنها من أنواع التزويق، ورائق الصنعة، ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك موشى بالذهب، فهى تتلألأ أنوار وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها فى محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفى وسط مسجد قبة الصخرة الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار، فإن النبى ﷺ عرج منها إلى السماء وهى صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة فى مقدار

(١٣) يقصد الصليبيين.

(١٤) أبواب المسجد الأقصى: تقوم فى جهات الحرم القدسى الشريف الأربعة: أربعة عشر بابا، منها عشرة أبواب مفتوحة، وزعت فى جهته الشمالية والغربية، وأربعة مغلقة منذ فتح صلاح الدين الأيوبى، وهى فى الجهة الشرقية والجنوبية، وكان هناك ما يزيد على العشرين بابا فى العصور الإسلامية المبكرة.

والأبواب الحالية للحرم: من الجهة الشمالية: باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء. ومن جهة الغرب: باب الغوانمة، بابا الناظر، باب الحديد، باب القطانين، باب المطهرة، باب السلسلة، باب المغاربة

أما أبواب الحرم المغلقة فهى: باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

(١٥) (نَشَزَ) الشيءُ نَشْزاً، ونُشوزاً: ارتفع، والمعنى أنها قائمة على مكان مرتفع، المعجم الوسيط (٢/٩٥٩).

بيت صغير ارتفاعه نحو قامة ـ أيضا ـ ينزل إليها على درج، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها، أحدهما ـ وهو الذى يلى الصخرة ـ من حديد بديع الصنعة والثانى من خشب، وفى القبة درقة[16] كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس تقول: إنها درقة حمزة بن عبدالمطلب ـ رضى الله عنه ـ

وهناك بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف فمنها بعدوة[17] الوادى المعروف بوادى جهنم، وفى شرق البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال: إنها مصعد عيسى عليه السلام ـ إلى السماء، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية (منسوبة إلى البادية)، وهى خلاف رابعة العدوية الشهيرة.

وفى بطن الوادى المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون: إن قبر مريم ـ عليها السلام ـ بها وهناك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهناك موضع مهد عيسى ـ عليه السلام ـ يتبرك به.

سألته: وماذا عن علماء القدس؟

ابن بطوطة: منهم القاضى العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى وهو من أهل غزة وكبرائها.

ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى، ومنهم المحدث المفتى شهاب الدين الطبرى، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبوعبدالله محمد بن مثبت الغرناطى نزيل القدس، ومنهم الشيخ الزاهد أبوعلى حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبوعبدالرحيم عبدالرحمن بن مصطفى، من أهل أرز الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعى صحبته ولبست منه خرقة التصوف.

قلت لمحدثى: حديثك ممتع يابن بطوطة ولكن خبرنى بربك، أنت فى كل ما ذكرت لم تتحدث عن أثر يهودى واحد، واليهود فى زماننا يزعمون أن هذه البلاد أرضهم من قديم.

ابن بطوطة: كذبوا والله.. لايوجد لهم فيها أثر واحد ولكى أكون دقيقا لم أعثر لهم على أثر واحد يدل عليهم وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه لم يتناولهم بالحديث عندما كتب عهد الصلح المشهور باسمه الذى كتبه لصفرونيوس بطريرك النصارى يوم فتح المسلمون القدس صلحاً.

قلت: شكرا لك على هذا الحديث ونفع الله المسلمين بعلمك.

ابن بطوطة: أنا الذى أشكرك أن تذكرتنى وعسى أن تكون كلماتى عونا لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١٦) ما يُتوقّى به، يُقال: تدرَّق به: احتمى به. المعجم الوسيط (١/ ٢٩٠).

(١٧) العُدْوَةُ: المكان المرتفع، وفى التنزيل «إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى». المعجم الوسيط (٢/ ٦١٠).

نعمة*

رواية لـ: يهودا بورلا

عرض وتعليق الدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

تتحدث الرواية عن مجموعة من الشباب اليهودى الذين جاءوا من أكثر من دولة وكل منهم يحمل أفكاراً مغايرة للآخرين جمعهم الأديب فى فلسطين والرواية تتحدث عن الفتاة اليمنية اليهودية «نعمة» التى تتمتع بجمال فائق بالإضافة لكونها مثقفة ذات نفس متطلعة للمعرفة... للانطلاق والحرية، وهى شخصية إيجابية طوال الرواية ويقول الأديب عنها: ربما كانت هذه هى الصورة اليهودية القديمة التى حفظت بين جبال اليمن، ولم تبعثر أو تفقد بمرور الأجيال (ص٣٧). وبرغم فقرها فقد حافظ الأديب على عفتها، ويعترف قائلاً: لأن لها ضميراً دينياً قوياً «لتأثرها بالعالم الإسلامى الذى كانت تعيش بين أحضانه بالإضافة إلى تراثها الشرقى الأصيل» (ص٥٤).

وتموت أمها وهى صغيرة ويخرجها والدها من المدرسة كى تعمل خادمة فى منازل يهود الغرب «الاشكنازيم» وقد وصفت حياتهم وقارنتها بالحياة التعسة التى تحياها، ووجدت خلاصها فى الالتحاق بالكيبوتس «المستوطنة الزراعية» وتقع فى حب العامل المثقف الروسى: «يوسيفون» الذى كان يحاضر فى «قيمة العمل» وتتشرب منه ميثاق ماركس أما هو فلم يكن يبادلها الحب.

وكما هو معروف أن السقوط الطبقى يفضى إلى السقوط الأخلاقى ولا سبيل إلى القفز فوق الجدار بمحاولة فردية تنتهى حتماً بالفشل اختياراً أو اضطراراً مهما بدت المحاولة مشروعة ومهما عانى بطل القفزة من آلام(١).

(*) بنستار «أو بنجله» وتعنى فى السر والعلن، رواية للأديب الصهيونى يهودا بورلا إصدار متسفه – تل أبيب.

(١) عباس عبدالجبار: فى النقد القصصى. منشورات وزارة الثقافة بالعراق ١٩٨٠ ص٦١

وإن كان الأدب العبرى غير محدد لهذا الخط فى اليهودى اليمنى الذى لم يحظى بفرص التعليم ولكنه يتطلع للثقافة الغربية كى يزهو بنفسه وبقدرته على النمو السريع فى مواجهة المجتمع الاشكنازى.

وقد أوضح الأديب شخصية «يوسيفون» وهى شخصية إيجابية طوال العمل يرضى عنها الأديب: فهو مثقف، خبير بالاقتصاد يحاضر فى قيمة العمل. قوى الإرادة: لأنه ترك أهله فى روسيا وهاجر إلى فلسطين ولم تنفع توسلات حبيبته «قلارة» ابنة الرِّبى التى ركعت تحت قدميه كى تثنيه عن عزمه ص (٣٧).

وكذلك حبيبته الثانية «ويراه» وكل هذا لأجل فلسطين ص (٣٨).

بالإضافة إلى أنه لم يترك لقلبه أن يتأثر بنعمة.

وعندما سألته نعمة عن أخويه الموجودين فى روسيا قال: «لم يكتبا لى ولم أكتب لهما.. لأنهما مخلصان للحكم الروسى ولم يؤمنا بالصهيونية.. وحتى حبيبته «رفقه» التى أنجبت منه طفلاً غير شرعى[2]. تركها هى الأخرى - حيث يقول:

افترقنا بسلام. وضعت روسيا نصب عينيها ووضعت أنا إسرائيل نصيب عينى (ص٥٠).

وعندما سألته نعمة: هل تتوق نفسك إلى ابنك.. أجاب: لا وفى خبث ودهاء شديدين نراه رغم تخبطه فى روسيا بين الدراسة والحب والزواج الغير الشرعى. يصبح مثالياً فور وصوله فلسطين ولم تصدر عنه أية أعمال شائنة. وقد أحبته نعمة لمثاليته الزائدة وقالت عنه «ليس تصرفه كتصرف سائر البشر.. إنه يسمو على العديدين - ص٥٣» وهى دعوة بين السطور لحث اليهود بشتى انتمائتهم على الهجرة.

والشخصية الثالثة: هى شخصية «ميخائيل سولار» الاشكينازى الأمريكى والذى يقول عن نفسه «أعرف نفسى جيداً شاب منطوى. لست بجميل. فاشل رغم ثرائه بعد أن ورث أموالاً طائلة من عمه الذى توفى بأمريكا».

فهو شخصية سلبية طوال الرواية. أحب «نعمة» رغم علمه بأنها تحب يوسيفون الروسى.

والشخصية الرابعة: هى شخصية «يوحنان» اليهودى اليمنى وهذه الشخصية يرى فيها المؤلف شأنه شأن بقية الأدباء أنها الجيل الثالث.

وكالعادة الجيل الأول يمثل الجد يعيش فى جهل وتخلف الماضى، ولابد من قتله وموته أو إلحاقه بمستشفى للأمراض النفسية، والجيل الثانى الذى يمثل الأب فهو جيل مزعزع.

والأمل المنشود لدى كافة الأدباء العبريين هو الجيل الثالث وما يليه من أجيال أعدت جيداً لأهداف صهيونية محددة ويعقد عليه الآباء الأمل فى تحمل المسئولية ولابد من مد يد العون

---

(٢) ويسمى بالعبرية (مِمَزير) وبالعربية «نغل» وهو ثمرة علاقة غير شرعية أو زواج غير قانونى. فالنتائج المترتبة علي هذا من الناحية الدينية اليهودية أنه لا يدخل ضمن جماعة الرب. ويحرم زواج اليهودية من (مِمَزير) واليهودى من «ممزراه» أى نغلة

ELON menachem: The Principles of Jewish Law (mamzer)

له وقد صور الأديب قصة كفاحه فى صفحات عديدة كنموذج يحتذى بِهِ هذ الجيل برغم فقره ويتمه، حتى إنه يترك المستوطنة ويسافر تاركاً رسالة يقول فيها إنه لن يعود حتى يحقق ما يريد من علم ومعرفة وثقافة ٨٠/١٤.

ولعقدة فقره التى لازمته منذ البداية، ولتطلعه لحياة أفضل بعد حصوله على شهادة دراسية وتقلده إحدى الوظائف، ولحبه الجارف لنعمة سعى جاهداً للزواج منها وقد ظفر بما يريد.

ويثقل القدر كاهل «يوحنان» بعد إنجاب طفلين ويمد يده للمال العام ويحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ولكنه يموت بعد أسبوعين. وينقل للمقابر على حساب الطائفة. ص ٩٦

وهذه النتيجة غير متوقعة، فكيف يرضى عنه الأديب ثم يشوه صورته ويقتله، إنه فكر صهيونى، يخلص منه أن على اليهودى اليمنى ألا يعتمد على يهودى يمنى آخر لأن الإثنان فى حاجة إلى مساعدة، وحتى عندما تقدم «ميخائيل سولار» لخطبة نعمة فرح والدها وحاول معها كثيراً بلا جدوى حيث كان يقول لها «لن تجدى من يحبك أكثر من السيد ميخائيل سولار الذى ترك كل البنات الثريات وجاء يطلب يدك. ص ١٢٦.

وإن كان الموقف الذى يرمز إليه هنا هو التفاعل على المحور الطبقى «الفقر والثراء» وهناك من يرى أن والد نعمة هو المقياس الذى يستخدمه الأديب لقياس مدى تطور نعمة لأنه لا يمكن تحليل شخصية نعمة إلا من خلال والدها وهى قضية خلافية وحتى عندما ذهب «ميخائيل سولار» ليطلب يدى نعمة من والدها فرح كثيراً وقال «إنها معجزة أن يأتى رجل مثله ويطلب يد ابنتى ص ١٢٣.

وكانت نعمة طوال الأيام تكتب مذكراتها يومياً فى سجل كبير دونت فيه أفراحها وأتراحها لحظة بلحظة وكما هو مفهوم فقد تشرب يهود اليمن كثيراً من العادات والتقاليد العربية الأصيلة وقد نجح الأديب إلى حدً كبير فى تأكيد هذا المفهوم سواء عن وعى منه أو لا فبعد أن عصفت الأقدار بنعمة وتوفى زوجها عادت إلى الخدمة فى المنازل مرة أخرى واستأجرت غرفة بسيطة تعيش فيها مع طفليها وكان الصراع بالنسبة لها هو صراع صاعد أى متدرج فى بطئ طوال العمل الأدبى فقد ابتدأت حياتها خادمة ثم عادت للخدمة مرة أخرى وطوال هذه الفترة لم يخبُ صراعها الداخلى.

وقد صور الأديب صراعها بين الخير والشر المفروض عليها ثم صراعها الداخلى بين التراث الدينى والحاجة حتى إنها فكرت فى بيع جسدها ولكنها تراجعت فى النهاية وتكالبت عليها الهموم وقررت الانتحار وكتبت فى مذكراتها أن الحياة أصبحت بلا معنى ولا هدف وأنها ستلحق طفليها بملجأ للأيتام ثم تذهب لتلقى بنفسها فى البحر وفى هذه الأثناء كان «ميخائيل سولار» الأمريكى يبحث عنها ويتمنى الزواج منها ويصل إلى غرفتها ويتصفح مذكراتها ويعلم مكان انتحارها فيهرع إليه ويراها وهى تلقى بنفسها فى الماء فيلقى بنفسه خلفها وينقذها فى اللحظة الأخيرة وجاء الإنقاذ

على يد الأمريكى القبيح حتى وإن حدث هذا زمن كتابة الرواية عام ١٩٣٤ أى قبل قيام الدولة، والصراع فى الرواية يبدأ مع بداية الحبكة وينتهى بنهايتها وبداية الصراع ونهايته هما قطبا الحبكة وما يجرى بين هذين القطبين يكون تطوراً للأحداث والبطلة تناضل من أجل الخلاص وإن كان مفهوم الخلاص هنا هو الخلاص القومى من فكرة الاضطهاد التى تعرضوا لها فى المجتمعات الخارجية وأن الصهيونية قد أعطته هذا الخلاص عندما انتقل إلى فلسطين وأن حياته فى اليمن (الغربة) كفقير أولاً ثم بعد ذلك مواطن من الدرجة الثانية حسب ما كانوا يعتقدون هو ما دفعه إلى الصهيونية كحل لا بديل له لأنه يحلم أيضاً بخلاصين وعلى الصهيونية إيجاد الحل له كى يصبح مواطناً من الدرجة الأولى ثم بعد ذلك الخلاص من مأساة التخلف الحضارى والطبقى.

والسؤال الذى يطرح نفسه:

ماذا فعلت له الصهيونية؟ وهى الفكرة الأساسية فى الرواية وكما هو مفهوم فإن التجربة الصهيونية هى صراع ومزج بين ثقافات مختلفة جمعت على معيار الأرض والدين وأن الأدب والصحافة هما أعظم أداة للسيطرة الفكرية فقام الأديب بهذه التجربة واختار نعمة من اليمن و« يوسيفون » من روسيا « وميخائيل سولار » الاشكنازى الأمريكى فأمامنا عناصر متباينة أصلاً فى وضعها الطبقى وفى نفس الوقت متصارعة فوضعهم فى بوتقة الأرض الغير ممهدة « فى هذه الفترة » كى يستخلص النتائج الأولية لأنه يؤمن من البداية بأن هذه الأطراف سوف تلتقى إن عاجلا أم آجلاً وتتسارع على الأرض بعد تمهيدها فأشعل فتيل الصراع وترقب النتائج هل سيحدث صهر ودمج أم سيحدث تقارب أو تنافر ومن خلال النتائج يمكن تحديد العقبات وكيفية حلها وهى الرسالة التى حملها الأديب على عاتقه.

والرواية بها جميع أنواع الصراع وهو المحور الذى تعيش عليه إسرائيل أمس واليوم وغداً فالصراع هو الوقود الذى يغذى وجودها وإلا كُتب عليها الفناء وكلما اتسعت دائرة الصراع كلما أحست بوجودها وقوتها وما يفعله شارون اليوم من تأجيج هذا الصراع ولو على حساب الأبرياء العُزل، فهو بالنسبة لهم بطل أسطورى يأجج الصراع حتى وإن كان بجيش مدجج بأحدث تكنولوجيا العصر فى صراع مع أطفال عُزل فى عمر الزهور شاء قدرهم أن يدافعوا عن أرضهم بعد فطامهم بحبات من الحصى يقذفون بها آلة عسكرية لا تبقى ولا تذر.

والصراع والتقريب فى العمل الأدبى الذى نحو بصدده هما قطبا الحبكة الروائية بالإضافة إلى صراع الأجيال والصراع الداخلى فى نفوس الشخصيات والصراع الخارجى والصراع العاطفى وحتى الصراع الفكرى.

إنها سيناريوهات جاهزة التحضير حتى قبل قيام الدولة والبطل القومى لديهم من يغتنم الفرص وينفذ أكبر عدد منها حتى وإن خيل للبعض أن فى قدرتهم أن يقذفوا بهم فى البحر فإن البطل الأمريكى القبيح مستعد لإلقاء نفسه وإنقاذهم وأتمنى - نحن العرب - أن نعى الدرس جيداً!!

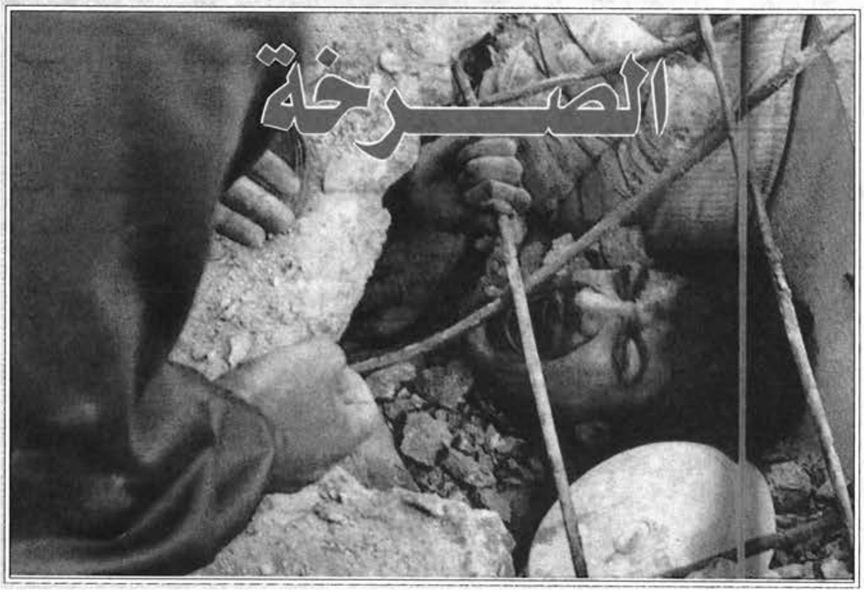

الصـــرخة

شعر/ محمد فهمي سند

اصـــرخْ عـــسى أنْ يســـمع الصَّنَمُ

اصـــرخْ فـــهـــذا الجـــرح مُـــتَّـــهَمُ

اصـــــرخْ فنحـن نئنُّ مـن زمنٍ

لـمْ تســـــتـــجبْ لأنيننـا الأُمم

اصـــرخْ فـقلْبُ جُناتِنا صـــخـــرٌ، وأعـــينهُم أصـــاب ضـــيـــاءَها الْعَـتَمُ

اصـــرخ فـــعـــدْل الظالمين تكاثرتْ

أَرْجــــاسُــــــه، والأرض تـضـطرم

اصرخْ بوجه الرِّيح حتى يستفيق الكون،

أو تَـلْـهـــــو بـه الـرِّمَـمُ

اصـــرخْ، وسـلَّ الـســـيف،

وابعث من حـجـارة أرضك النيـرانَ تحْـتَـدِمُ

اصرخْ أخي، فدماؤنا مسفوحةٌ

ونـنام فـوق الذُّلِّ نختصم

مُنْذُ انفـرطْنا في يد الشيطان،

يأخذنا، ويرمينا، ويبتسم

مُنْذُ انْكفأْنا فوق جرح الضَّيْم،

نلعقه ولا برءٌ ولا نَدَمُ

* * *

هذا زمان الكيل بالأهواء،

قلبٌ للبغاة تحوطه الظُّلَمُ

وهوًى يرى أنَّ الحضارة وثبةٌ

تعدو على حقٍّ فتَلْتَهِمُ

وهوى يرى شُذَّاذ إسرئيل بُغْيَتَهَ،

ونار الحقد تضطرم

العالم الهمجيُّ مُنْقَادٌ كما تنقاد خلف كباشها الْغَنَمُ

فتصير أرض الله تحت نعالهم جُثثاً تُدَاس فتُصرع الذمم

لكنَّنا يا عصبة الظُّلاَّم نَدْعُو للِسَّلاَم لِتَسْعَدَ الْأُمم

إنَّا نرى الإسلام حصن العدل سوف يطهر الدنيا ويختتم

فاصرخ فقد أهداك ربُّ الكون وَعْد النصر تحمله وتنتقم

واصرخ فسوف تُفَجِّر الأنهار، والأحجار، والأطفال، والْعدمُ

التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق في المجتمع الإسلامى

للأستاذ الدكتور
محمد الدسوقى

(١)

تمهيـــد:

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن ظاهرة الطلاق فى المجتمع الإسلامى المعاصر، تعد من أهم عوامل التفكك الأسرى، والتمزق الاجتماعى، لقد أضحت هذه الظاهرة غير طبيعية، لأنها تجاوزت النطاق الذى ينبغى أن تظل فى إطاره، ومن ثم أزعجت فقهاء الشريعة وعلماء التربية والاجتماع، فقد مثلت خطراً داهما على استقرار الأسرة، ومتانة العلاقة بين أفرادها، وقيامها برسالتها كما ينبغى أن تكون.

ولأهمية الأسرة ورسالتها المقدسة جاءت الشرائع الإلهية بالقواعد والمبادئ، التى تؤسس عليها الأسرة، وتكفل لها الترابط والتراحم والحماية والوقاية، حتى تظل لبنة قوية فى بنيان المجتمع، تشد أزره، وتدفع عنه أسباب الضعف والانهيار، وحتى تظل كذلك بيئة صالحة لتربية الأجيال الصاعدة تربية قويمة تجعل منهم قوة الغد التى تواصل حمل الرسالة وأداء الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

والشريعة الإسلامية وهى خاتمة الشرائع السماوية ومهيمنة عليها وضعت للأسرة أمثل التشريعات التى تحقق لها الاستمرار والاستقرار، والتى لا تبيح انفصام رابطة الزوجية إلا بعد استفراغ كل وسائل العلاج والإصلاح ويصبح من الخير للزوجين أن يتفرقا ويغن الله كلا من سعته.

والناظر فى تشريعات الأسرة فى الإسلام نظرة دقيقة فاحصة يقرر أن هذه التشريعات تعبر عن تدابير وقائية للحفاظ على الأسرة ورعايتها ودفع كل ما يتهددها من مخاطر، أو تتعرض له من مشكلات.

على أن تشريعات الأسرة فى الإسلام جزء من التشريعات الإسلامية التى جاءت صالحة للتطبيق الدائم، والتى تقود الحياة الإنسانية فى شتى مجالاتها، وتطبعها بطابع العبودية الخالصة لله رب العالمين، ولهذا لا يجوز أن ننظر فى تشريعات الأسرة دون ربطها بسائر التشريعات الإسلامية كلها، فتعاليم الإسلام وحدة متكاملة ومن يفرق بينها فى الالتزام بها يكون كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. ويقتضى تفصيل القول فى التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق الحديث عن القضايا التالية :-

أولاً: طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق.

ثانياً: التدابير الوقائية قبل العقد.

ثالثاً: التدابير الوقائية بعد الزواج.

رابعاً: التدابير الوقائية بعد الفراق.

خامساً: التدابير الوقائية عن طريق التحصين الثقافى والقوانين العلاجية.

أولاً : طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق :

ليس المراد بالحديث عن طبيعة عقد الزواج تعريفه، أو بيان أهدافه والصفة الشرعية له من وجوب أو ندب أو كراهية أو حرمة، وإنما الإشارة الى مدى عناية الإسلام به، وذكر أهم خصائصه، حتى تتضح أهمية هذا العقد، ووجوب الوفاء به، والحفاظ عليه، وعدم التفريط فيه.

أما عن مدى عناية الإسلام بعقد الزواج فيبدو من خلال سنة الله فى كونه، هذه السنة التى تبين أن الكون كله يقوم على التزاوج فيما نعلم وفيما لا نعلم قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وقال سبحانه:

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

وكون التزاوج هو السنة التى يقوم عليها الكون فى أنفسنا وفى غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحى إلينا بخطر شأنه وجلال قدره، وبأن ننظر إليه نظرة جادة، ونعتبره ركنا أساسيا فى الحياة لاغنى عنه، ولا ينبغى أن نرتكب ما يزلزله، أو أن نستهين بأحد طرفيه وهما الذكر والأنثى.

إن الإنسان لمنزلته فى الكون ورسالته فى الحياة لم يترك أمر التزاوج بالنسبة له دون ضوابط أو قواعد كما هو الحال بالنسبة للحيوان الأعجم، لأن العلاقة بين الذكر

(١) الآية: ٣٦ فى سورة يس.

(٢) الآية: ٤٩ فى سورة الذاريات.

والأنثى يجب أن تحكمها أصول ومبادئ تكفل بناء أسرة سعيدة، وإرواء غريزة فطرية على نحو من السمو والاعتدال والفضيلة، ولذا أحاط الإسلام الزواج بكل المبادئ والقيم التى تحفظ عليه منزلته وأثره فى الحياة البشرية، فيغدو وحده السبيل لبناء الأسرة كما يغدو كذلك السبيل المستقيم لإشباع الغريزة الجنسية.

ومن شواهد أهمية عقد الزواج وجلال قدره أنه يختلف عن غيره من العقود من حيث موضوعه ووجوب إشهاره، والاحتفاء به، وأن الأصل فيه التنجيز والتأبيد.

إن موضوع عقد الزواج هو الإنسان، والإنسان أكرم المخلوقات، وقد سخر الحق ـ تبارك وتعالى ـ له كل الكائنات، ولهذا تميز ذلك العقد بموضوعه تميزا يضعه على قمة العقود التى يمارسها الإنسان من حيث المنزلة والأهمية.

إن كل العقود التى تتم بين الناس- ما خلا عقد الزواج- لا يخرج موضوعها عن قضايا التعامل المالى، فهى عقود تيسر للناس وسائل العيش، وتبادل المنافع، وتحقيق التكامل والتكافل فى المجتمع، بيد أن عقد الزواج يمثل ارتباطا مشروعا بين الرجل والمرأة، ارتباطا قوامه الرغبة المشتركة والمودة المتبادلة، ارتباطا يسمو بالغريزة الجنسية إلى أفق طاهر يثاب عليه الإنسان، ارتباطا يثمر بقاء النوع البشرى على الوجه الأفضل الى أجل معلوم، فلا غرو أن سماه القرآن الكريم ميثاقا غليظا، وأرشد إلى مقدمات له، حتى يظل هذا الميثاق حيا قويا، يعبر عن علاقة الامتزاج الكامل بين الزوجين، فهما به أصبحا كفرد واحد.

وإذا كان عقد الزواج أهم عقد فى حياة الإنسان فإن من دلائل هذه الأهمية وجوب إشهاره للناس والاحتفاء به بالطعام والشراب والسرور والحبور والدعاء للزوجين بالخير والبركة، فنكاح السر فى الشريعة باطل، لأن العلاقة الزوجية المشروعة ينبغى أن تتم فى النور، وعلى معرفة ومشهد من الناس حتى لا تحوم شبهة الارتياب حول هذه العلاقة الطاهرة، وما يترتب عليها من الآثار.

وإشهار عقد الزواج قد يكون فى رأى الجمهور بوجوب الإشهاد عليه وقت إنشائه، أو بإعلان أمر الزواج والإخبار عنه قبل الدخول، أو فى يومه كما يرى بعض الفقهاء.

وعقد الزواج فضلا عما أومأت اليه آنفا لا يعرف التعليق أو التأقيت، وإنما يقوم على التنجيز والتأبيد، وذلك لأن تعليق صيغة هذا العقد يجعلها غير معبرة عنه تعبيرا يتلاءم مع أهميته ورسالته، بل قد يوحى هذا التعليق بلون من الاستهانة أو العبث والمخاطرة والمقامرة بعقد الزواج وعدم الجدية فى إنشائه..

وقد أثار الفقهاء وهم يتحدثون عن

التنجيز فى صيغة العقد ما قد يشترطه أحد العاقدين من شروط فى صالحه غالبا، فالصيغة تقع منجزة، ولكن يقرنها أحد العاقدين بشرط له فيه منفعة، وقد اختلفت آراؤهم حول هذه الشروط ومدى تأثيرها فى صحة عقد الزواج، ولكنها مع هذا تلتقى عند إلغاء كل شرط دل على بطلانه دليل شرعى، كأن يشترطا التوارث مع اختلاف الدين، أو يشترطا عدم التوارث مع اتحاده، فإن الإرث وعدمه من الأحكام الشرعية التى يقتضيها العقد ولا دخل لأحد المتعاقدين فى ايجادها(٣).

فإن كان الشرط منافيا لمقتضى العقد فإنه يصح ويلغو الشرط، لأنه لا عتبار له كما لو اشترطت المرأة على الرجل أن يسكنها فى بيت أبيها، أو اشترط عليها ألا نفقة لها ولا مهر، فقبل كل منهما ما اشترطه الآخر.

أما إذا كان الشرط صحيحا فإن العقد يصح، وكذلك الشرط.

وكما لا يصح فى صيغة العقد التعليق أو اقترانها بشرط مناف لمقتضاه، لا يصح أن تكون هذه الصيغة دالة على تأقيت العقد بمدة محددة ينتهى بعدها، فوظيفة الأسرة فى المجتمع ورسالتها المقدسة فى الحياة تقتضى أن يكون عقد الزواج مؤبدا، فضلا عن أن التأقيت فى هذا العقد يجرد العلاقة الزوجية من معانى المودة والرحمة، والأبوة والأمومة، ويحصرها فى نطاق الغريزة الجنسية وكأن العلاقة بين الذكر والأنثى فى عالم الإنسان كالعلاقة بينهما فى عالم الحيوان. وفى ذلك إهدار للكرامة الإنسانية، وتدمير للأسرة، التى هى عماد المجتمع والتى بقوتها يقوى ويشتد، وبضعفها يضعف وينهار(٤).

وما دام لعقد الزواج تلك المنزلة والأهمية ومادامت له تلك الخصائص التى تميزه عن غيره من العقود، فما الأصل فى مشروعية الطلاق الذى ينهى هذا العقد؟.

لقد اختلف الفقهاء فى الأصل فى مشروعية الطلاق، فبعضهم يرى أن الأصل فيها المنع حتى توجد حاجة أو ضرورة، لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾(٥).

أى إذا أطاعت المرأة زوجها فى جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له

---

(٣) انظر الزواج فى الشريعة الإسلامية للأستاذ على حسب الله ص٤٤.

(٤) يذهب الشيعة الإمامية إلى أن زواج المتعة مباح، بل هو من القربات، ولكن حرمة هذا النكاح لاخلاف عليه بين أهل السنة قاطبة وكذلك الشيعة الزيدية (وانظر نكاح المتعة فى الإسلام حرام للشيخ محمد الحامد).

(٥) الآية: ٣٤ فى سورة النساء.

عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، ومن باب أولى ليس له طلاقها دون حاجة، فالطلاق فى هذه الحالة بغى عليها، وظلم لها، واتخاذه سبيلا للفراق الظالم حمق وجحود بنعمة الزواج.

وجاء ختام الآية تهديدا للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فلا يجوز أن يستعلى الرجل على امرأته، فالله بالمرصاد وهو العالى الكبير ينتقم ممن ظلم وبغى(٦).

ومن الفقهاء من يذهب الى أن الأصل فى الطلاق الإباحة، ويحتج بقوله تعالى:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾(٧).

ونفى الجناح معناه نفى الإثم، وذلك يقتضى الإباحة، كذلك يحتجون بأن أصحاب النبى ﷺ كانوا يطلقون ولا يُسألون عن وجه الحاجة(٨).

والراجح أن الأصل فى الطلاق الحظر، وأن الإباحة مقيدة بالضرورة، والدليل على ذلك أن الطلاق علق بإذا الشرطية فى قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾(٩)

وفى هذا إشارة الى أن الطلاق خلاف الأصل فى العلاقة الزوجية، فالزواج أبدى لازم، ومالم تكن هناك ضرورة ملجئة للفرقة بين الزوجين كان المنع من الطلاق هو الأصل.

وما استدل به القائلون بغير ذلك يُرد عليه بأن نفى الجناح فى الآية منصب على الطلاق قبل التسمية وقبل الدخول، فالقيد هو الملاحظ، لأن نفى شئ مقيد بقيد يكون القيد ملاحظا فى النفى.

إن الفقه الواعى بأهمية عقد الزواج وخصائصه، والإدراك السليم للأصل فى مشروعية الطلاق يأتى على رأس التدابير الوقائية فى الشريعة الإسلامية، تلك التدابير التى تحمى الأسرة من التفرق والتمزق، وذلك لأن من يتمتع بهذا الفقه والإدراك لن يقدم على التلفظ بكلمة الطلاق إلا إذا أمست العلاقة الزوجية أوهى من بيت العنكبوت وكانت الفرقة بين الزوجين هى العلاج الأمثل لمشكلة عجزت كل محاولات الإصلاح عن علاجها أو حلها.

«يتبع»

***

---

(٦) أنظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية جـ٤ ص ٤٧ ط قطر.

(٧) الآية: ٢٣٦ فى سورة البقرة.

(٨) أنظر الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٤٨.

(٩) الآية الأولى فى سورة الطلاق.

قصة العدد

قبل انبثاق الفجر

للأستاذ/ محمد سعيد العريان

- «أبى!»

- «سلمان!»

- «ما أريد يا أبى أن أكون بعد اليوم قطين النار!»

- «وى! ما تقول يا بنى؟ لقد نذرتك للنار قبل أن تخرج إلى الحياة فأنت هبة الرب إلى أبيك، وأنت وفائى للرب بما نذرت.

أضلالاً بعد هدى، وكفراً بعد إيمان...؟»

- «إن روحى لتتمرد على هذه العبودية؛ فما أرى هذه النار المعبودة تملك لى نفعا أو تمنعه؛ إننى أنا أوقدها وأذكيها، ولو شئت لصببت عليها ذنوباً من ماء يردها رماداً رطبا!»

- «أى بنى، إنه دينك ودين آبائك. أى نازية نزت بك فتمردت على ربك؟»

- «هيهات منى ما تريد يا أبى، وبرغمى هذا العصيان! إن فى السماء إلها يقتضينى حقه من العبادة والتقديس، وإن صوته ليهتف بى فى سدفة الليل، وفى وحدة القلق، وفى ظلمة اليأس، فما أجد لى طاقة على الإفلات من صوت الله...!».

جثا الشيخ الأصبهانى بين يدى ربه مطأطئاً رأسه فى ذلة وانكسار، وبسط ذراعيه إلى النار فى ضراعة واسترحام يسأل الهدى لولده الذى يؤثره بالحب من دون ما يتمتع به من زينة الحياة. وراح اللهب المتراقص يعكس على وجهه المتغضن أضواء تكشف عما يعتلج فى نفس الشيخ من حسرة وأسى.

وعلى مقربة من مجلس الشيخ جلس فتاه الأمرد «سلمان» معتمداً رأسه بين راحتيه وسبح فى أحلامه. كان ما يزال يرن فى أذنيه صدى تلك الأنغام الندية التى سمعها منذ قريب فى معبد المسيحية على أطراف المدينة، فشغل بها عما أرسله أبوه لقضائه من حاجته.. وهفت نفس الفتى إلى زورة ثانية لرهبان المعبد، يستمتع فيها بما استمتع منذ ليال من عذب الأناشيد وحلو النغم، وبما يسمع من أحاديث الرهبان عن الرب الموجود فى كل مكان ولا تراه العين..

وغدا الفتى مع الصبح على الكنيسة، يشهد مع الرهبان صلاتهم ويستمع إلى أناشيدهم. لقد عاش قطين النار فى المجوسية بضع عشرة سنة لم يحس فيها بمثل هذا الجلال الروحانى الذى يغمره وهو يستمع إلى أناشيد النصرانية بين جدران هذا المعبد القائم على حدود الصحراء. فما فرغ الرهبان من صلاتهم حتى دلف الفتى إلى كبيرهم يسأله أن يعقد بينه وبين هذا الدين آصره...

وربت الراهب على كتف الفتى وهو يقول: «لله هذا الإيمان فى فتى مثلك ريان العود لم تفتنه مباهج الحياة عن معرفة الرب الأعظم.. ما اسمك يا فتى؟».

- «سلمان الفارسى!»

- «ليباركك الله يا سلمان وليمنحك التوفيق والهدى!»

واعتنق سلمان النصرانية عن إيمان وتقى؛ ولكن الفتى لم يقنع بما أفاء الله عليه حتى يعرف أين أصل هذا الدين فيسعى إليه.

وفارق الفتى أصبهان وخلف وراءه مولده ومَرْباه، وأبا له جاه وسلطان ومال، لم يكن أحد أحب إليه من ولده. وتلفت الفتى إلى وراء، فتحدرت على خديه دمعتان وهو يقول: «وداعاً يا بلادى الحبيبة، وداعا لا أدرى متى ألقاك إلا أن يأذن الله..!» وتلاشت آخر كلماته فى زفرة حزينة، ثم طأطأ رأسه ومسح دمعته واستأنف سيره إلى دمشق، إلى حيث يعرف أصل هذا الدين..

●●●

والتقى سلمان وأسقف الكنيسة فى دمشق، فلزمه يستمع إليه ويأخذ عنه ويصلى معه؛ ولكن سلمان لم يجد فى الأسقف ما كان ينتظر أن يجد فى رجل نذر نفسه لله؛ لقد كان رجل سوء يأمر بالصدقة ويرغب فيها، فإذا اجتمع إليه شئ منها اكتنزه لنفسه فلا يتصدق به، فإن المال عنده لأكداس، وإن المساكين لعلى الأبواب يستندون الأكف ويبيتون على الطوى!

وضاقت نفس الفتى بما وجدت فلم يجد حيلة لنفسه مما يرهق نفسه، لقد فر من المجوسية إلى دين البر والرحمة والسلام، فما وجد عند أهله شيئاً من البر والرحمة والسلام، وعاد التمرد إلى الفتى وشغلته أشجانه فما يستبين طريق الرشاد..

- «أى ربى، إنك لتسمع دعائى، وإنى لأراك فى قلبى، ولكنى لا أجد سبيلاً إليك.. فى بيت النار سلخت بضعة عشر عاماً من الشباب التمس الزلفى إليك بين البخور واللهب فما بلغت إليك، وفى معبد المسيحية بين الهيكل والصليب وتماثيل القديسين ركعت التمس الزلفى إليك فما بلغت.. تنزهت يا رب أن تأمر بعبادة النار وإنها لجمر ودخان، وتقدست يا إلهى أن تكون عبادتى لك سجوداً للتصاوير وركوعاً للصليب، وخشوعاً لتمثال العذراء، وحرصاً على جمع المال فى القلال ليحرم منه الفقير والمسكين..!»

«ربى سألتك الهدى فأنر سبيلى!»

●●●

وكانت الفتنة تعصف عصفها فى كل مكان، والشهوات يتسلط سلطانها على كل نفس، والناس فى الشرق والغرب، فى فارس وقسطنطينية، وفى دمشق، وفى الحبشة وبلاد العرب، تعيش عيش البهم: لا وازع من دين، ولا حرج من ظلم، فلم ينج من فتنة الشهوات إلا من عصم الله.. والفتى «سلمان» من أشجانه فى هم ناصب، يتوزعه الشك واليقين، يتعاوره الإيمان والكفر، ويراوح القلق بين نفسيه فى وحدته واجتماعه، فما يجد له مناجاة من أشجانه إلا الصبر والاستسلام حتى يجد لنفسه فرجاً من ضيق..

وكان ثمة أربعة من الرهبان جمعتهم على دين الرب عقيدة راسخة، وقلوب عامرة، وإيمان بالله وطيد، وكان لهم فى كل عام مزار يجتمعون إليه أياماً ثم يذهب كل إلى واديه. كانوا من الصلاح والخير وصفاء النفس بقية من الحواريين المخلصين، عرفوا دين السلام عرفان الحق، فأقاموا على هدى المسيح خالصاً يعبدون الله لا شريك له، فاطمأنت نفوسهم على قلق الحياة، واستراحت قلوبهم على شغب الفتنة، فأصموا آذانهم عما ابتدع الرهبان فى الدين وما زادوا ونقصوا، فبقوا على المسيحية الأولى حنفاء لله، يدعون إلى الله ما قدروا على الدعوة، أو يلزمون صوامعهم لتسبيح الديان.

●●●

واستجاب الله دعاء «سلمان» فوصل بهم حبله ليهدوه سبيل الرشاد.

كانوا أربعة تفرقت بهم البلاد: فراهب فى دمشق، وراهب فى الموصل، وثالث فى نصيبين، ورابع فى عمورية من أرض الروم. قد تقدمت بهم السن حتى أشرفوا على الآخرة، ولكنهم جد حراص على الحياة، لأن لهم فى الحياة أمنية موروثة يستشرفون إليها من بعيد.

ولقى «سلمان الأصبهانى» أولهم فى دمشق فلزمه، فلما صفا بينهما المورد جلس الراهب يتحدث إلى فتاه:

- «أى بنى، إنها فتنة الحياة للأحياء، ولكن صبراً صبراً يا بنى؛ إن شعاعة من النور تلوح من بعيد، وإنه ليوشك أن يشرق بعدها صبح أزهر. هنا من هذه الصحراء سينبثق النور الأعظم الذى يغمر الدنيا ويشرق بالخير والسلام على البشرية كلها، إنه نبى قد أظل زمانه.. يا ليتنى فيها جذع..!»

وانتفض الفتى وقد غمرته موجة من السرور فهزت أعطافه فمال على الراهب وقد أمسك بكلتا يديه يهزهما فى فرح ونشوة، وهو يقول:

«.. نبى قد أظل زمانه؟ من هذه البادية؟ حدثنى يا أبى إن حديثك لينفذ إلى قلبى بكل مسرات الحياة:»

وابتسم الراهب وربت على ظهر الفتى وهو يقول: «صبراً، صبراً يا بنى.. إن حديث هذا النبى لمسطور فى فؤادى، وإنى به لمؤمن قبل مبعثه، إنها لأمنية الحياة يا بنى أن أعيش حتى أراه..!»

ولكن الراهب الشيخ لم تمهله المنية حتى يحقق أمله، فلم يلبث أن ذهب إلى ربه!

عـاد السـلام والأمن إلى قلب الفـتى الفارسى، وتقشعت ظلمات الشك والحياة فى نفسه، ولكن الأمل الجديد الذى بعثته فى نفسه كلمات الشيخ لم تدع له أن يستقر، فقرر رحلة ثانية من دمشق لعله يعرف جديداً من راهب الموصل عن النبى الذى أتى وقته ليرسم للإنسانية الضالة حدود سعادتها فى معانى البر والرحمة والمساواة!

فـتى لدن العـود غض الإهاب، يهـاجـر هجـرتين فى سبـيل الله، من أصبهـان إلى دمشق، ومن دمشق إلى الموصل، وليس معه مـال ولا زاد، إلا الإيمان والتقى وقلب عامر بمحبـة الله، وقـد خلف وراءه المال والأهل والسيـادة، وأبا لم يكن أحد أحب إليه من ولده!

●●●

– « سيدى »

– « ممن أنت يا فتى؟ إن فى وجهك لنضرة أبناء الدهاقين والسادة، ولكن عليك من عناء السفر مثل أبناء السبيل! »

– « سيدى!... »

– « سمعاً يا بنى! »

« أنا رسول (فلان) إليك – يرحمه الله – أفتأذن لى أن أقيم عندك لآخذ عنك من أمور دينى..؟ »

– « سـهـلاً وكـرامـة يا ولدى، بارك الله عليك! »

– « أبى، إن الفتنة لتعصف عصفها، وإن شهوات الناس لتبلغ بهم مبلغ الحيوان، أفترى للانسـان منقـذاً من ضـلالهـا يهـديهـا سـواء السبيل؟ »

– « أراك تعـرف بعض مـا أعـرف يا بنى، وإنك لتستشرف إلى أمل قريب.. إن نبيا قد أظل أوانه، إن لم يكن فكأن قد.. ياليت لى فسحة فى العمر حتى أراه فأومن به! إن موجة الاصلاح ستـمـد مـدها عـمـا قريب من هذا الجـزيرة العـربيـة حتى تفيض على البشـرية جميعها من برها خيراً ورحمة، وستغسل هذه الموجة أدران البشرية وتمسح على قلبها بالطهر القدسى حتى يمتلئ العالم سلاماً ومحبة.

« سيمتد بك العمر يا بنى – إن شاء الله – حـتى ترى هذا النبى، فـلا تتلبث فى اتبـاع دعـوته، إنه يدعـو إلى خيـر الدنيـا وخيـر الآخرة.. أتراك ستعرفه يا بنى حين تلقاه إن وصفت لك من خبره...؟ »

وآثر راهب الموصل جـوار الله، وخلـف الفـتى الفـارسى وليس مـعـه إلا ربه، فـأزمع الرحلة الثالثة إلى نصيبين.

وأقام « سلمان » عند راهب نصيبين ما شاء الله أن يقيم، لا يشغله من دنياه إلا ذكر الله، وأمل جياش يخفق به قلبه الكبير، أن يرى ذلك النبى الكريم الذى تنميـه الصحـراء لينشـر الخصب والرخـاء فى ربوع البشـرية ويغسل نفوس الإنسانية من أدران الشهوات.

ثم هاجر هجرته الرابعة إلى عمورية بعد ما فارق صاحب نصيبين إلى جوار ربه..

« .. أى بنى، والله ما أعلم اليوم أحداً على مـثل مـا كنا عليـه من الناس آمـرك أن تأتيـه

بعدى، ولكنه قد أظل زمان نبى، وهو مبعوث بدين إبراهيم - عليه السلام - يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..»

وأقام سلمان بأرض عمورية ما شاء الله وهو يعمل لمعاشه، وإن الأمل العذب فى لقاء النبى العربى ليداعبه فى يقظته وفى أحلامه، واجتمع له مما يعمل بقرات وغنيمة، فظل يتربص حتى مر به نفر تجار من العرب، فساومهم أن يعطيهم بقراته وغنيمته ويحملوه إلى بلاد العرب.. وسار الركب منطلقاً إلى الصحراء يحمل سلمان إلى أرض الميعاد..!

يا للفتى مما احتمل فى سبيل الله!

خمس رحلات بلا زاد ولا مال، وليس له من أمل فى دنياه إلا ربه، وكل شأن من شئون الحياة يتصاغر فى عينيه حتى أهله ووطنه وجاه أبيه...!

العثير تثيره الرياح إلى الحلقوم والخياشيم، وذرات الرمال الساخنة تلطم الوجه بمثل أطراف الإبر، والشمس الحارة ترسل من أشعتها سهاماً من نار تشوى الوجوه والأقفاء، والماء فى القرب يوشك أن يجف من حر الصحراء، والحادى يحدو البُعْران فى طريق لم يزلل بعد للأسفار، والفتى على بعيره شارد الفكر مذهوب اللب.

هذه رحلته الخامسة فى سبيل الله، وقد خلف الدنيا كلها وراءه لا يقيم لها وزناً ولا تخطر له على بال، لأنه مقبل على مهبط الوحى وأرض النبوة.. والحادى يحدو وفى نبراته حنين، وفى نغماته حزن وأسى، فهتف الفتى وقد هاج الحداءُ ذكرياته:

«يا لأبى الشيخ المسكين! يا لوطنى الذى فارقته منذ سنوات ولا أدرى متى أعود اليه.. رب، فى سبيلك هجرتى وإليك وجهت وجهى، فاكتب لى الكرامة والظفر بلقاء نبيك المختار، وأسبغ رحمتك يارب على أصبهان. إن فى أصبهان أبى. وإن لى بأصبهان هوى الحبيب إلى الحبيب...!»

●●●

ومضى الركب إلى غايته، فلما بلغ وادى القرى، همس الركب بعضهم إلى بعض يتآمرون على الفتى الفارسى، فباعوه من رجل يهودى عبداً..!

لقد بلغوا بالفتى حيث أراد ولكنهم جعلوا غُلاً فى رقبته، والفتى راض صابر، لأنه مؤمن بقضاء الله، لأن له أملا يريد أن يبلغ إليه فلا عليه مما يناله فى سبيله.. رحمة الله له!

وأرسل الفتى أذنه وراء كل اثنين يتهامسان، لعله يسمع نبأ عن النبى العربى.. وبلغ فى النهاية ما أراد: هذه هى الأرض الموعودة، أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، إنها هى، فأين هو؟ فإنه لفى رأس عزق يعمل فيه ذات يوم لسيده بعض العمل، وسيده جالس تحته، إذ جاءه النبأ:

هذا رجل قادم يتحدث إلى سيده حديثاً ذا بال: «إن بنى فلانة مجتمعون اليوم بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبى..!»

يا للبشرى أيكون هو النبى الموعود؟

وسمعها الفتى فانتفض انتفاضة أوشك منها أن يسقط على سيده، فما هو إلا أن تمالك حتى نزل عن النخلة يستمع النبأ.

- «ماذا تقول يا رجل؟»

هكذا أقبل سلمان على القادم يستنبئه وإن سيده ليشهد. فما إن سمعه يسأل حتى غضب فلكمه لكمة شديدة وهو يقول:

«مالك ولهذا؟ أقبل على عملك!»

قال سلمان: «لا شئ، إنما أردت أن أستثبته عما قال!» ثم دار على عقبه ليخفى عبرة تنحدر على خده، وإن صدره ليجيش بعواطف شتى. فلما كان المساء جمع شيئاً من طعام كان له ثم ذهب إلى محمد بقباء:

«سيدى، إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم..!»

وتناول النبى الكريم من يد الفتى الفارسى ما قدم إليه، فدفعه لأصحابه لم يأخذ شيئاً منه. وتحققت للفتى أمارة..

ثم انصرف الفتى فجمع شيئاً وعاد إلى رسول الله يقول: «سيدى، إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها...!»

فمد النبى إليها يده فأكل وأكل أصحابه معه. وتحققت أمارة..

وطغى شعور الفرح على سلمان حتى أنساه قيد الرق وذل الإسار، فسار خلف النبى يتبعه لينظر منه شيئاً قد بقى من أمارات النبوة. فإن النبى ليمشى إذ انحسر رداؤه عن ظهره فرأى..

وتحقق الوعد المأمول فما تلبث الفتى حتى أكب على النبى الكريم يقبله ويبكى..

وآمن سلمان الفارسى بأن محمداً رسول الله ﷺ وانبثق الفجر الذى كان يرقب شروقه منذ سنوات وسنوات، وأضاء فى قلبه النور الذى غمر البشرية كلها فحدد لها حدود سعادتها ورسم لها غايتها. ولم يمت سلمان حى انتشر الصبح وأشرق على ربوع فارس وأصبهان، وانتظمتها الدولة الإسلامية فصارت جزءاً من الوطن الإسلامى الذى يعيش فيه سلمان الفارسى.

ومازال النور ينتشر وينتشر حتى عم أقطار الأرض. ومات محمد بن عبدالله ولكن شريعته ظلت باقية تمد مدها ذات اليمين وذات الشمال، حتى عبرت المحيط، وجازت الجبال، وحطمت الحدود، وأزالت السدود، ورسمت حدود «الدولة الإنسانية» التى مازال المصلحون يعملون جاهدين ليبلغوا إلى تحقيقها كى يعم السلام الأرض وينتشر الأمن والرخاء، ولن يبلغوا إلى تحقيق هذه «الوحدة الإنسانية» إلا أن يعملوا على شريعة محمد. حينئذ تـمَّحى الجنسيات، وتزول العصبيات، ويذهب الطغيان، ويعيش الناس إخواناً متحابين كما ينبغى أن يعيش أبناء الإنسانية.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أذكر يوم الأذان

دخل رجل في جماعة من الناس على سليمان بن عبدالملك وهو جالس للعامة، فقال: يا سليمان أذكرك يوم الأذان، فارتاع لما دعاه باسمه، وقال: ويحك، وما يوم الأذان؟ قال: قول الله - عز وجل -:

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١)

فبكى سليمان، وقال: ما حاجتك؟ فقال: أنا جار في ضيعتك الفلانية، وقد ظلمني وكيلك، فأضر ذلك بي وبعيالي، قال: قد وهبت لك الضيعة، وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه.

حقاً

إحرص على ود القلوب من الأذى
فرجوعها بعد التنافر يعسر
إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

نصيحة

قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر، وقال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال آخر:

يد المعروف غنم حيث كانت
تحملها كفور أم شكور
ففى شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ما كفر الكفور

لأنك تابع

عدا كلب وراء غزال، فقال الغزال: إنك لن تلحقنى، قال الكلب: ولم؟! قال الغزال: لأنى أعدو لنفسى، وأنت تعدو لصاحبك.

(١) الأعراف ٤٤.

هــذا أشــعر النــاس

من لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة، وقد نمى خبر المهدى أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته: **مات الخليفة أيها الثقلان.**

فقالوا: هذا أشعر الناس، فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجن فى نصف بيت، ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال:

فكأننى أفطرت فى رمضان

قال: فضحك الناس وصار شهرة فى الحمق

نادرة للعز بن عبد السلام

حكى أن شخصا جاء إلى الشيخ العز بن عبد السلام الشافعى سلطان العلماء، فقال: رأيتك فى المنام تنشد:

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال: فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة، فإن هذا الشعر لكثير عزة، وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة، فإنى سنى وهو شيعى، وأنا طويل وهو قصير، وشاعر ولست بشاعر، وأنا سلمى وهو خزاعى، وشامى وهو حجازى، فلم يبق إلا السن فأعيش مثله، فكان كذلك.

الناس ثلاث طبقات

قال أنو شروان: الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات؛ طبقة هم خاصة الأبرار نسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة هم خاصة الأشرار نسوسهم بالغلظة والعنف، وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة، ولا يبطرهم اللين.

قالوا..

من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون، ومن تتبع مساوىء العباد فقد نحلهم عرضه قال الشاعر:

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا

فيكشف الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا

ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

دعاء

اللهم يا أبصر الناظرين، ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين: أغثنى بالعلم وزينى بالحلم، وأكرمنى بالتقوى، وجملنى بالعافية.

الحلم والصفح

من صفات الرسل والأنبياء

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

لقد كان رد قوم شعيب عليه هو: عدم استجابتهم لما يدعوهم إليه، بل كان ردهم طافحا بالاستهزاء به والسخرية منه، فقد قالوا له: يا شعيب إن كانت صلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأصنام، وتأمرك أن نترك ما تعودنا على فعله فى أموالنا من التطفيف فى الكيل والميزان فصلاتك فى نظرنا لا قيمة لها ولا وزن عندنا.. وزيادة منهم فى السخرية منه، والاستهزاء به والتهكم عليه - عليه الصلاة والسلام - قالوا له: إن ما تأمرنا به من ترك عبادة الأصنام، ومن ترك النقص فى الكيل والميزان لا يتفق ولا يطابق حالك وما اشتهرت به بيننا من أنك الحليم الذى يتأنى ويتروى فى أحكامه، الرشيد الذى يرشد غيره الى ما ينفعه!! أى أن هذين الوصفين لا يليقان بك ما دمت تأمرنا بذلك، مع علمك اليقينى بأن هذين الأمرين قد بنينا عليهما حياتنا، وإنما اللائق بك أن تتصف بأضدادهما: أى تتصف بالجهالة والسفه.. فعكسوا صفاته الحقيقية ليتهكموا عليه..

ولكن مع كل هذه السفاهة التى قوبل بها شعيب من قومه، نرى شعيبا - عليه الصلاة والسلام - «لأنه الحليم الرشيد حقيقة» يتغاضى عن سفاهة قومه، لأنه يدرك جهلهم وعنادهم، وفى الوقت نفسه يؤمن بقوة الحق الذى أتاهم به من عند ربه، فيوجه حديثه إليهم بأنه لا يريد إلا إصلاحكم وسعادتكم، ومادمتُ أستطيع ذلك وأقدر عليه فلن أقصر فى إسداء الهداية لكم، ثم يفوض الأمور كلها بعد ذلك إلى الله، فهو وحده الذى عليه أتوكل وأعتمد فى كل شئونى، وهو وحده الذى إليه أرجع فى كل أمورى..

ثم توضح آيات القرآن الكريم ـ التالية لهذه الآيات الكريمة - معاودة شعيب -

عليه الصلاة والسلام – مخاطبة قومه بأسلوب مهذب حكيم، ناصحا لهم، منشطا لذاكرتهم بأن يتذكروا مصارع السابقين من أقوام سبقتهم كذبوا رسلهم : ما أصاب قوم نوح من غرق، وما أصاب قوم هود من ريح دمرتهم، وما أصاب قوم صالح من صيحة أهلكتهم.. فإذا لم تتعظوا بذلك فاتعظوا بما أصاب قوم لوط من عذاب جعل أعلى مساكنهم أسفلها، وهو حدث قريب منكم في الزمان والمكان « فزمن لوط ـ عليه السلام ـ كان غير بعيد من زمن شعيب ـ عليه السلام ـ وديار قوم لوط كانت قريبة من ديار قوم شعيب ».. فاتحاً لهم باب الأمل فى التوبة والاستغفار..

غير أن القوم كانوا قد بلغوا من الفساد نهايته، ومن الجهل أقصاه، ومن التحدى والتكذيب ما لا يؤمل فيهم رجاء، ومن الاستهانة بشعيب، وإظهار ضعفه ما يؤكد غرورهم وبطرهم، فيقولون له بكل كبر وتعال : إنه لولا عشيرتك التى هى على ملتنا وشريعتنا لرجمناك بالحجارة حتى تموت، ولكن مجاملتنا لعشيرتك التى كَفَرت بك هى التى جعلتنا نُبقى عليك، وما أنت علينا بمكرم، أو عزيز، أو محبوب، أو قوى، حتى نمتنع عن رجمك، بل أنت فينا الضعيف المكروه..

وهنا نجد شعيبًا – عليه السلام – يغير فى أسلوب مخاطبته لهم، فيهددهم بوقوع عذاب الله – الذى نزل عليهم بعد ذلك – على النحو الذى ورد فى القرآن الكريم فى بقية الآيات السابقة. « سورة هود الآيات من ٨٩ – ٩٥، وما ورد فى سورتى : الأعراف والشعراء »...

وتنتقل آيات القرآن الكريم إلى سورة أخرى من سوره لتحكى لنا عن نبى آخر من أنبياء الله – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – وصفه القرآن الكريم بصفة الحلم، وهو سيدنا إسماعيل، يقول الله ـ تعالى ـ على لسان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(١).

فتصف لنا هذه الآيات الكريمة سيدنا اسماعيل – عليه الصلاة والسلام – بصفة الحلم، وسيدنا اسماعيل هو الذى استجاب الله لدعاء أبيه سيدنا ابراهيم بأن يهب الله له ولدا صالحا يستعين به فى نشر دعوة التوحيد، فبشره الله على لسان ملائكته بغلام ذَكَر من صفاته أنه يكون حليما.

وعندما نتابع الحوار الذى دار فى هذه

---

(١) الصافات (١٠٠ : ١٠٩).

الآيات الكريمة فى شأن تنفيذ رؤيا الذبح، بين سيدنا ابراهيم - الرجل الكبير الطاعن فى السن الذى تمنى الولد على كبر فحقق الله له هذه الأمنية ثم يؤمر بأن يذبحه بيده - وبين ولده اسماعيل - الذى هو فى أولى مراحل الشباب فقد كان سنه فى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة، ونقرأ بتفكر وتدبر وإمعان رد اسماعيل - الصريح الواضح - على أبيه بالامتثال لأمر الله، وطلبه من أبيه أن يفعل ما أُمر به، وانه سيجده إن شاء الله من الصابرين المستسلمين لقضاء الله وقدره، الذين يتحملون البلاء بثبات إيمان، ندرك معنى ربط بشارة سيدنا ابراهيم بأن الله سيهب له ولدا، واتصاف هذا الولد بصفة الحلم.

وقد ذكر المفسرون آية اسماعيل - عليه السلام - لما هَمّ أبوه بذبحه قال له : يا أبت أشدد رباطى حتى لا اضطرب، واكفف عنى ثيابك حتى لا يتناثر عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن، وأسرع مَرّ السكين على حلقى ليكون أهون للموت علىّ، فإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا، ومثلا طيبا، وقدوة حسنة فى التحلى بالحلم والصفح، وقد حفلت السيرة النبوية بالكثير من أقواله وأفعاله التى تنطق بأنه ﷺ بلغ فى التحلى بالحلم والصفح مرتبة لا يدانيها بشر، ولن يتسع المقام لبيانها تفصيلا، ولذا سأشير الى بعضها كأمثلة، ومن رغب فى المزيد فليرجع الى كتب السيرة النبوية فسيجد فيها ما يروى ظمأه ويشفى صدره وتقربه عينه ويطمئن به فؤاده..

عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضْتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل فلم يُجْبنى إلى ما أردت، فانطلقت. وأنا مهموم على وجهى، فلم أسْتَفِق إلا وأنا بَقرْن الثعالب، فرفعتُ رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظَّلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وماردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال : يا محمد، فقال : ذلك فما شئت، إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخْشَبَين، فقال النبى ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : أستأذن رهط من اليهود على النبى ﷺ، فقالوا : السَّام عليك. فقلتُ : بل عليكم السَّامُ واللّعنة، فقال : ياعائشة أن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال : «قلتُ : وعليكم»[2].

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أنه

(٢) البخارى (٨/١٤، ٧١، ١٠٤)، (٩/٢٠).

قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشيةُ البرد من شدة جذبته ثم قال : يا محمدمُرّ لى من مال الله الذى عندك، التفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»(٣).

وقد أراد الرسول ﷺ أن يُعَلِّم أصحابَه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس والحلم والصفح : فروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه الرسول ﷺ ثم قال له : أحْسَنتُ إليك؟ قال الأعرابى : لا، ولا أجملتَ !! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار ﷺ إليهم أن كُفُّوا.. ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئا، ثم قال له : أحسنتُ إليك؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له الرسول : إنك قلت ما قلت آنفا، وفى نفس أصحابى من ذلك شئ، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلت بين يدىّ حتى يذهب ما فى صدورهم عليك !! فقال الإعرابى : نعم، فلما كان الغد جاء، فقال النبى ﷺ : إن هذا الأعرابى قال ماقال فزدناه، فزعم أنه رضى، أكذلك، - موجها حديثه الى الإعرابى - قال : نعم فجزاك الله خيرا من أهل وعشيرة خيرا...

فقال رسول الله ﷺ : «مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس - جروا خلفها - فلم يزيدها إلا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم : خَلُّوا بينى وبين ناقتى، فإنى أرفق بها منكم وأعلم.. فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض، فردَّها حتى جاءت واستناخت، وشدَّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»(٤).

إن الرسول الحكيم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر، فقد عرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة فى التعبير والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم - ولما كانت ظلما - ولكن فى الوقت نفسه لن يسلم من عاجلوا بالعقوبة بعد ذلك من النقد والتجريح والذم.. وقد تتفاقم الأمور وتتدخل فيها العصبيات والقبليات وتسفك بسبب ذلك الدماء.

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم وحلمهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم إلى الخير، ويطلقوا ألسنتهم تلج بالثناء.

وهكذا الرسل والأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام يلهمهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى جميع مراحل حياتهم ما يجعلهم فى أعلى درجات السمو النفسى، واليقين القلبى، والكمال الخلقى.

---

(٣) فتح البارى ٦/٢٥١.

(٤) إتحاف السادة المتقين ٧/١٣٨.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الرسالة الأولى فى هذا العدد وردت من قارئ لم يذكر اسمه وأرسل مع رسالته القصيرة صفحات مصورة من كتاب الفقة على المذاهب الأربعة للشيخ الجزيرى من كتاب «النكاح» فى الجزء الرابع الذى يذكر فيه حكم النكاح قائلاً (النكاح ترد عليه الأحكام الشرعية الخمسة: الوجوب والحرمة والندب والإباحة والكراهة ويُفصل ذلك كعادته بذكر آراء المذاهب فيما أجمل.

ويقول السائل فى رسالته الموجزة: ما المقصود أولا: بالكسب الحرام هل هو كسب الزوج فقط أو يدخل فيه كسب والدى الزوجين، ثانيًا: عندما يكون الزواج حرامًا هل يكون الزواج - يقصد العقد - صحيحا أم لا؟)

وإجابة على السؤال الأول فى هذه الرسالة أقول وبالله التوفيق:

لعل السائل يقصد بالمال هنا المال المدفوع مهراً للزوجة وما جهزت به لتأثيث بيت الزوجية.

وبداية أقرر أن من مفاخر الإسلام وحسن رعايته للمرأة واحترامه لها أن أعطاها حقها فى التملك بعد أن كانت فى الجاهلية مهضومة الحق لا يدع لها وليها فرصة التملك قبل الزواج ولايدع لها زوجها هذا الحق بعد الزواج.

فجاء الإسلام الحنيف وفرض لها المهر وجعل لها نصيبا فى الإرث قال تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(١).

أما المهر فهو فرض بنص الكتاب الكريم قال تعالى:

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾(٢).

(١) النساء «٧».

(٢) النساء «٤».

ولم يجعل الإسلام حداً أقصى للمهر قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٣).

وهذا المهر المفروض إلى جانب أنه يحقق الذمة المالية للمرأة يجعلها طيبة النفس راضية بقوامة الرجل عليها قال تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٤).

وبداهة نقول: إن هذا المهر مطلوب من الزوج للزوجة فلا تكلف المرأة بشئ من المال في الزواج حتى نفقتها، فقد قرر العلماء أن المرأة ولو كانت غنية تجب نفقتها على زوجها لقوله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾(٥). وقول الرسول ﷺ «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»(٦). والنفقة المفروضة للزوجة على الزوج تشمل الطعام والشراب والكسوة والمسكن والخادم والدواء.

مما سبق يتبين أن المرأة لاتكلف بشئ من مالها فى الزواج لاقبله ولابعده، وعليه فالمراد بالمال الحلال مال الزوج، أو مال وليه، ومع ذلك يجب أن يراعى أن يكون مال الزوجة من حلال فربما طابت نفسها عن شئ منه لزوجها أو أطعمت بعض أولادها منه فيكون ما أكله هو وأولاده حلالاً.

وبالنسبة للإجابة عن الثانى نقول: إن الزواج المحرم الذى ذكره الشيخ الجزيرى فى كتابه كما ذكره غيره من العلماء فى كتبهم هو الذى يكون الزوج فيه غير قادر على أعباء الزواج من جماع ونفقة وخاف إن تزوج أن يقع فى المحظور كأن يجد نفسه مضطراً إلى كسب رزقه من طريق غير مشروع ،فإنه يحرم عليه الزواج فى هذه الحالة ويجب عليه ألا يقدم على الزواج صيانة لدينه حتى تتوافر له أسبابه أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً عملاً بقول الرسول ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٧). والباءة تكاليف الزواج وأعباؤه ومع أن هذا الزواج محرم لكن إذا أقدم عليه الزوج أو الشخص الذى حالته كذلك وتم الزواج بشرطه من ولى ومهر وإيجاب وقبول وشاهدين، فالزواج صحيح وتترتب عليه آثاره الشرعية، ويجوز للزوجة حينئذ أن تطلب الطلاق فإن أبى الزوج أن يطلقها جاز لها أن تطلب التطليق من القاضى بسبب عدم القدرة على المعاشرة

(٣) النساء «٢٠».
(٤) النساء «٣٤».
(٥) الطلاق «٧».
(٦) البخارى ٣/٧.
(٧) شرح السنة ٣٢٤/٩.

الجنسية أو بسبب عدم القدرة على الإنفاق والله أعلم.

والرسالة الثانية في هذا العدد وردت من القارئ الذي يرمز لاسمه بـ «و.ع» من منوف محافظة المنوفية يقول فيها: لقد تخرجت في إحدى الكليات النظرية ولم أتمكن من الحصول على عمل، وأشار على البعض باللجوء إلى أحد الاشخاص الذى يستطيع تعييني في وظيفة حكومية مقابل الحصول على مبلغ من المال وقد فعل هذا مع الكثيرين فهل هذا الأمر جائز شرعاً، أم أنه يقع في نطاق الرشوة؟ وعليه فهل أقبل هذا العمل أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله.

– وقبل أن أجيب الأخ السائل عن سؤاله أود أن أقول له: إن الحصول على الشهادة من كلية أو أي جامعة ينبغي أن لاتكون وسيلة إلى الوظيفة بل المفروض أن يكون التعليم غاية لا وسيلة.. غاية للتنوير والتثقيف، فإذا سلك المتعلم الذى حصل على شهادة سبيل العمل أيا كان نوعه أعانه ذلك على الإتقان فيه والتبريز والتجويد ولعلك يا أخي سمعت عن قمم العلماء الذين كانوا ينسبون إلى حرف وأعمال لاتمت إلى العلم الذى نبغوا فيه بأى صلة كالقفال والنجار والحداد وما إلى هؤلاء العلماء الأفذاذ، لكن الشباب في مصر تعودوا على أن من حصل على شهادة يجب أن يعمل بها وإلا فلا فائدة لهذه الشهادة، عملا بالحكمة التي ورثناها من أجدادنا من قديم الزمان (إن فاتك الميري تمرغ في ترابه).

والآن جاء دور الإجابة عن سؤال الرسالة وقل لي بربك: إن لم يكن ما يأخذه منك هذا الشخص من مال لتعيينك رشوة فماذا يكون؟! وهل يفعل هذا مع كل الناس بلا مقابل؟! طبعاً لا، وإذن فأنت الراشي وهو المرتشي والشخص الذى دلك عليه هو الرائش بينكما أو الوسيط وقد جاء في الأثر «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما»(٨).

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٩)

قال كثير من المفسرين: إن المراد بقوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ هو أموال الرشوة التي يقدمها الراشي إلى الحاكم أو غيره ليحصل على ماليس له.

فإذا كنت مضطرا إلى هذا العمل ولاسبيل لك إليه إلا هذه الطريقة فالحرمة تقع على المرتشي وحده بشرط ألا تحصل على عمل هو من حق غيرك، هذا والله أعلم وبه التوفيق.

---

(٨) ابن عدى ٥/٢٠٠٩.

(٩) البقرة (١٨٨).

من أصول تربية النشء

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

تربية النشء مهمة دقيقة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم ولهذه التربية أصول مرعية وآداب شرعية أدركها سلفنا الصالح بثاقب رأيهم وبعيد نظرهم وبصيرتهم التى تستقى من الكتاب والسنة ما يوائم كل عصر.

ونقدم فى هذه العجالة أمثلة ثلاثة تربى فيها النشء على الجرأة المهذبة والشجاعة الأدبية التى تنأى عن التهور والاندفاع فى أسلوب يتخذ من كريم السجايا وحميد الخصال دستورا لا يحيد عنه فقد روى الإمام مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقدح فيه شراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال الغلام لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحدا فتله رسول الله ﷺ فى يد الغلام أى وضعه فى يده فانظر رعاك الله كيف يستأذن الرسول ذو المقام الرفيع من الغلام الصغير وكيف يرد الغلام فى أدب جم.

وأما المثل الثانى فيتضح فيه شفقة الأب وحبه لولده بالإضافة إلى فقه الابن وحرصه الشديد على رضا أبيه فى أسلوب يشى بتربية خلقية رفيعة فقد دمعت عين عمر بن عبدالعزيز وهو يرى ولده عليه ثوب خرق فى يوم عيد انه منظر يثير الشفقة والتحسر فرآه ولده على هذه الحال فقال ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذه الثوب الخرق البالى فقال يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى راضيا عنى رضاك فما أشد حرصهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته فى الأعمال الدنيوية والأخروية.

وأما المثل الثالث فتظهر فيه مقارعة الحجة بالحجة واستخدام المنطق بكيفية لا تخالف الذوق السليم وتصطبغ كياسة وذكاء وفطنة نحس منها استيعاب المخاطب لما يقول فقد دخل وفد المهنئين على خامس الخلفاء الراشدين فى أول خلافته فتقدمهم غلام صغير لم يتجاوز عمره إحدى عشرة سنة فقال عمر ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام أيد الله أمير المؤمنين، إنه افتتاح جميل يعطى كل ذى قدر قدره ثم يواصل الغلام فيقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه إنه يذكرنا بقول الإمام على المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه ثم يستطرد الغلام قائلا فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام.

إنها مسوغات منطقية وحجج عقلية مقبولة تمهد لما يلى من الكلام حيث يقول الغلام، ولو أن الأمر بالسن لكان فى الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا ويقبل أمير المؤمنين فى رضا وتواضع نعم أليس هو عمر بن عبدالعزيز!

وبعد: فإن تربية النشء على الأخلاق الفاضلة مهمة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم وأدرك أن التربية السليمة أساس كل تقدم حضارى.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

فى غزة

إسرائيل تضرب الأطفال بالطائرات

هذا ما تحدث الأستاذ عنه عباس الطرابيلي رئيس تحرير الوفد فى افتتاحية يوم الخميس ٢٥/٧/٢٠٠٢ حيث قال:

واضح أن إسرائيل عجزت عن اصطياد الرجال.. ففكرت فى اصطياد الأطفال.. وإذا كانت إسرائيل تشكو لطوب الأرض من نسف أتوبيس أو ملهى ليلى أو محطة باصات، فإن إسرائيل لم تعد قادرة على مواجهة رجال فلسطين.. ففكرت فى أن تواجه أطفال فلسطين.

وما بين الرضيعة دنيا رامى مطر «شهران» والصبية إيمان شحاتة «١٤ عاما» كان أطفال فلسطين هم الهدف العسكرى الذى وجهت إسرائيل أبشع أسلحتها وهى الطائرة المقاتلة «إف ـ ١٦» ولم ترتكب إسرائيل هذه المجزرة برشاشات هذه الطائرة المرعبة ولكنها نفذت من خلال قنابل زنة الواحدة ١٠٠٠ كيلو جرام.. وتخيلوا قنبلة بهذا الوزن وما تحدثه من دمار فى الحصون.. وعدد شظاياها الرهيبة وما تحدثه فى بيوت من طوب وأسقف من صفيح.. وكان أن اختلطت دماء الأطفال بطعام العشاء فى سكون الليل فى أزقة مدينة غزة، التى تعد من أكثر مدن العالم فى كثافة السكان.

●● هى إذن حرب ضد أطفال فلسطين أعلنها السفاح شارون وتابعه اليعازر، ذلك اليهودى العراقى الذى كان يحمل اسم فؤاد حتى تجاوز عمره العاشرة.. وإلا فماذا نسمى عملية غزة الأخيرة؟!.

لقد سقط فيها أطفال صغار: أيمن ١,٥ سنة ومحمد الحويطى ٣ سنوات وشقيقه الأكبر محمود ٤,٥ سنة. وأحمد الشوا ٣ سنوات ودنياه ٥ سنوات ومحمد ٤ سنوات أبناء الشهيدة إيمان حسن مطر الذين سقطوا فى أحضانها ضحية نذالة جيش إسرائيل.

ويستمر مسلسل الأطفال الذين أرهبوا إسرائيل فأرادت أن تحرمهم من الحياة، لأنها تخشاهم عندما يبلغون الحلم. ولم تفرق ترسانة شارون بين صبى وصبية.. لم تفرق بين إيمان الحويطى «١٠ سنوات» وآلاء مطر «١١ سنة» أو

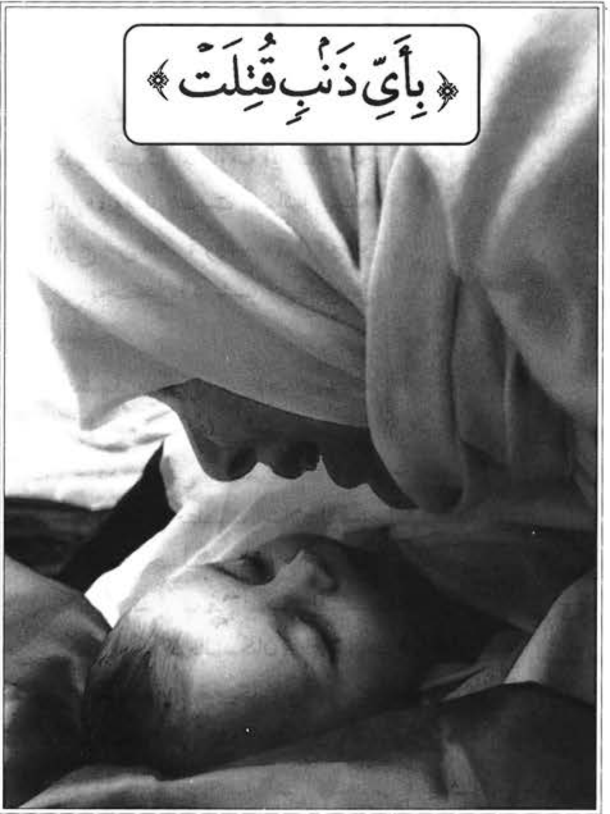

إيمان شحاته « ١٤ سنة ».. ولم تفرق بين الأطفال والأمهات، وبات واضحا أن إسرائيل تخشى أطفال فلسطين.. تماما كما تخشى أمهات فلسطين الولودات.. فقررت إسرائيل أن توجه أسلحتها إلى أمهات وأطفال فلسطين.. وهذه هى شجاعة المقاتل الجبان الذى يقاتل من وراء جدار أو متدرعا بالدبابات والمصفحات.. أو قاصفا من أعلى حيث لا يستطيع أحد أن يناله، خصوصا فى بهيم الليل.

مَنْ يُحاكم إسرائيل على فظائعها

وعلى صفحات الأهرام كانت هذه الصرخة للأستاذ ابراهيم نافع نقيب الصحفيين

فى افتتاحية الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٢٦

ارتكبت إسرائيل جريمة نكراء ضد أبناء الشعب الفلسطينى، تضاف إلى سلسلة فظائعها وجرائمها، التى لم تنقطع، منذ أن أعلنت كدولة على جزء من أرض فلسطين بموجب قرار التقسيم. والجريمة الإسرائيلية الجديدة وقعت حين حلقت طائرتان هجوميتان من طراز « إف ـ ١٦ » الأمريكية المتطورة، وأطلقت إحداهما صاروخا باتجاه مبنى سكنى وسط حى مدنى، وفى ثوان معدودات، تحول المبنى المكون من طابقين إلى كتلة من الحطام، وانهار بالكامل فوق رءوس السكان النائمين.

وقد أسفر هذا الهجوم البربرى عن استشهاد ثمانية عشر فلسطينيا، من بينهم ثمانية أطفال أصغرهم طفلة عمرها شهران فقط، كما أصيب فى الغارة أكثر من مائة وخمسين فلسطينيا كلهم من المدنيين الأبرياء.. فأى وحشية وأى همجية بربرية ممن تزعم أنها الدولة المتحضرة التى تحارب الإرهاب وتتهم الفلسطينيين المكافحين!!

وكان هذا التعجب للأستاذ أحمد بهجت فى الأهرام قال فيه:

لم نسمع عن جيش خرج يطارد شخصا إلا فى زماننا بغرائبه وأعاجيبه، إن الغارة التى قامت بها القوات الإسرائيلية على غزة كانت تستهدف فى

الأساس مجاهدا فلسطينيا هو صلاح شحادة (٤٩ سنة) مؤسس وقائد كتائب عزالدين القسام، الذراع العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية « حماس »، وقد ضربت إسرائيل بيته بصاروخ من طائرة (إف ـ ١٦) وهو صاروخ يحمل أكثر من طن من المتفجرات.

واستشهد مع زوجته وإحدى بناته الست، ولم يعثر على جثته لأن الصاروخ دمر المبنى المستهدف ودمر خمسة منازل مجاورة، واختلطت أشلاء الشهداء بعضها ببعض، كما اختلطت بقطع الحجارة والملابس والأثاث التى تناثرت فى المكان المستهدف وهو حى سكنى مكتظ بالسكان، وتم التعرف على الشهداء بصعوبة بالغة بعد أن تحولت أجسادهم إلى شظايا صغيرة من اللحم المحترق والممزق.

وهذه هى المرة الثانية التى تقصف فيها مقاتلات إسرائيلية من طراز (إف ـ ١٦) منازل سكنية بهدف اغتيال المجاهدين، وهؤلاء تعتبرهم إسرائيل من الإرهابيين، وتسمح لنفسها بقتلهم دون محاكمة أو اتهام.

ماذا نحن فاعلون

وكتب يقول أحمد صالح فى جريدة الأسبوع فى ٢٩ / ٧ / ٢٠٠٢ صارخا ومستنجدا ماذا نحن فاعلون؟

حينما قامت طائرات (الـ اف ـ ١٦) بقصف منازل الفلسطينيين ليلة الثالث والعشرين من يوليو كنا نتابع فى نفس الوقت احتفالات مصر بثورة ٢٣ يوليو المجيدة وبينما كانت الأغانى والأفلام التى تمجد الثورة تصدح من على ضفاف النيل كانت يد الغدر تغتال براءة تسعة من الاطفال ورجلين أحدهما قائد الجناح العسكرى لحركة المقاومة الفلسطينية حماس صلاح شحادة ومساعده وزوجته وابنته ذات الاثنى عشر عاما وتصيب ١٥٠ آخرين بعدما هدمت طائرات العدو أربعة منازل على من فيها إضافة إلى ورشة صغيرة.

المذبحة لم تكن عابرة، وتوقيتها لم يكن عشوائيا والأدوات المستخدمة فيها صفعت الوطن العربى من المحيط إلى الخليج على وجوههم فمشهد جثث الأطفال الطرية وهى تخرج من تحت ركام المنازل كان موجعا، والأذرع والأرجل التى استخلصها أقارب الشهداء وهى ملوثة بالتراب، أهالت على كرامتنا وعزتنا الوحل، وخزتنا المناظر.. التى تثبها الفضائيات من كل حدب وصوب فى عيوننا وأدمت قلوبنا ويالرهافة احساساتنا ونحن نبعد أطفالنا ونساءنا عن متابعة المشاهد، لم نخش جرح مشاعرهم، ولكننا لم نكن نملك إجابات.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

حبــــة القمــــح

كلما تمر السنون يزداد الإنسان شوقاً لأيام خلت ويجــذبه الحنين لتلك الذكــريات، وبخاصة تلك الذكريات التى صاغها رجال أحبوا العمل لوجه الله الكريم.

أذكر من هذه الذكريات قصة حكاها لنا أستاذنا، ونحن لم نزل بعدُ فى مرحلة الطفولة ولعل هذه السن المبكرة هى التى حــدت بأستاذنا أن يتبسط فى سرد حكايته، بل ويدعمها بوسيلة للإيضاح.

ذلك أن أستاذنا ـ نسأل الله أن يرحمه ويرزقه الجنة بفضله ـ جاءنا فى اليوم المخصص للقصة، يحمل صرة متواضعة الحجم، وضعها أمامنا فى حرص شديد، ليلفت انتباهنا، ثم شرع يحكى لنا قصة دارت حول أهمية العمل للإنسان، حيث خرج بطل القصة سعياً وراء رزقه بعد أن صلى الفجر ودعا الله أن يرزقه لقمة عيشه.

وتوجه الأستاذ إلينا بالسؤال، يستفسر عن معنى لقمة العيش؟!وهكذا كان يفعل، ليدربنا على معرفة المترادفات ولم تخرج إجاباتنا عن قولنا: لقمة الخبز، ولاشك أن أستاذنا كان يعلم تماماً أننا سنجيب بهذه الإجابة التى تناسب أعمارنا الصغيرة، ولم يكن يريد منا أكثر من هذه الإجابة التى جعلها نقطة انطلاق لهدفه، الذى أعد له عدته، فقد أتى بالصرة التى كان قد وضعها أمامنا وفتحها، ومرَّ بيننا جميعا لنرى ما بداخلها، ولم يكن من الصعب علينا أن نتعرف على حبيبات القمح التى بداخلها، وكم كان صبوراً عندما وزع على كل واحد منا حبة، وطلب منا أن يحافظ كل منا على حبة القمح فى يده واستمر كلامه عن أهمية العمل للحصول على لقمة العيش، وأفاض فى توضيح أهمية تلك القمحة التى فى يد كل واحد منا وأنها أساس لقمة العيش، ثم أهمية العمل للحصول على

تلك اللقمة. ويومها قال ـ ما شاء الله له أن يقول ـ موضحا الجهد البالغ الذى بذله الفلاح حتى منَّ اللهُ عليه بهذه الحبوب وضرورة الحفاظ عليها وعدم التفريط فيها!!

وأنهى سرده لقصته الجميلة الشيقة التى كنا ننتظرها كل أسبوع وكنا نحب المدرس من أجلها كثيراً، وأنهى كذلك تعليقاته على القصة وأسئلته التى كانت تؤكد على بعض المعانى وتلقى عليها الضوء.

ولعله كان يرمى من وراء ذلك أن يعلمنا: أهمية الصلاة، ضرورة الاستيقاظ المبكر، أهمية العمل، توضيح الدور الذى يبذله الفلاح الذى زرع القمح من أجلنا.. إلخ.

غير أن درسا آخر وجد طريقه إلى نفوسنا حينما مرَّ بيننا ليجمع حبات القمح مرة أخرى وقد علت على وجهه ابتسامة، وهو يردد مع كل حبة قمح يأخذها: «حافظ على لقمة العيش» بالإضافة إلى عبارات أخرى تؤكد أن هذه الحبة الصغيرة فيها من الخير الكثير.

●●●

لقد استطاع أستاذنا النابه، والمحب لعمله أن يزرع بداخلنا حب العمل، والصبر، والتعلق بالخير والحرص عليه مهما كان صغيراً بسيطاً.

فلما مرت السنون علمت أن أستاذنا ما قصد بحبة القمح إلا الرمز لكل ما يأتى به السعى من رزق أو العمل الذى يتوصل به الإنسان إلى رزقه الذى قسم الله له.

عادت إلى ذكراتى هذه القصة حينما رأيت أحد رجال البلدية يلقى بعربة أحد الباعة الجائلين، وما عليها فى عرض الطريق، لتتناثر ثمار البطيخ – التى كانت على تلك العربة – متهشمة لتختلط برمال الطريق.

لقد تجاوز واجبه القانونى حيال إنسان، ربما كان مخطئا بعدم حيازته ترخيصا أو ما أشبهه من أمور لابد أن رجل البلدية يحفظها عن ظهر قلب، وهو مخطىء ـ بكل حال ـ بإلقائه بنعمة الله تعالى فى عرض الطريق، وإثارة غضب المارة.

وقد تعالت همهماتهم، وتداخلت، فمنهم من يقول: رجل غليظ القلب، ليس عنده رحمة. ومنهم من يقول: هذا حسن، لابد أن يكون الطريق على اتساعه ليعطى سهولة فى المرور.

ومن بين العديد من الكلمات المتداخلة التى تشابه وتحاكى اختلاط الناس وازدحامهم.. استطاعت بعض الكلمات أن تجد طريقها إلى سمعى بوضوح برغم خروجها متعثرة من ذلك الشيخ العجوز: «ماذا يفعل هذا المسكين؟ هل يسرق بعد أن ألقوا لقمة عيشه على الأرض؟»

أعادت كلمات العجوز إلى ذكراتى حبات القمح التى حرص المدرس أن يجمعها منا بحرص شديد، ولم يتركنا نرمى بها على الأرض ـ برغم أن كل منا لا يحمل غير حبة واحدة ـ ومع نظراتى لتلك الثمار التى تهشمت واختلطت برمال الأرض.. تمنيت لو أن رجل البلدية هذا كان معنا فى الفصل يضم يده فى حرص على حبة قمح.. إذاً لوعى الدرس، ولما فعل هذا!!

فليرحم الله ذلك المدرس وأمثاله الذين آمنوا بأن التعليم رسالة.

وليرحم ـ كذلك ـ مدرسى هذا الجيل الذين يعانون من غلاء ضاغط لم يجعل لهم سبيلاً لاقتفاء آثار الصالحين من سابقيهم.

أيـــن الثقافـــة السياســـية

مـا أجـمل أن يعـايش الـشـاب قـضـايا بلاده ويهـتم بهـا حـتى يعـرف أين مـوقـع بلاده – بموضـوعـيـة – من الدول الأخـرى، ومـا الذى يجب عليـه أن يعـمله حتى يرتقى ببـلاده إلى حـــيـث يحب أن تكون، وعن هـذا يقــــول القـارىء: أحـمـد مـحـمـد خلف / سـمـالوط. المنيا.

هالنى ما رأيته من عدم معرفة الشباب أسماء الوزراء ولا المسئولين حتى فى مجالسهم المحلية فهم لا يعرفون اسم المحافظ ولا رئيس مجلس المدينة وقد سألت بعض الطلبة الزملاء فى المرحلة الثانوية فإذا بهم لا يعرفون وزير الخارجية السيد / أحمد ماهر وإذا بأحدهم يفكر ويطيل التفكير ليقول – الرجل الذى جاء بعد عمرو موسى وزير الخارجية السابق – فإذا كان وزير الخارجية بهذا القدر من المنصب الدبلوماسى الخطير، والحيز الإعلامى الذى يشغله، لا يعرفه الكثير من الشباب، فما بال الوزراء الآخرين.

– لقد استمعت فى برنامج «منتدى الشباب» إلى إحصائية عن معرفة الشباب بالوزراء، حيث وصلت معرفتهم برئيس الوزراء إلى نسبة ٧٠٪ ووزير الإعلام ٦٥٪ ووزير التربية والتعليم ٥٥٪ ووزير الشباب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشعب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشورى ١٥٪ وهذه النسب ضئيلة جداً فكيف يكون الحال بالنسبة لوزراء مثل وزير التنمية المحلية ووزير التنمية الإدارية ووزير البيئة؟ بالتأكيد ستكون نسبة المعرفة بهم أقل من سابقيهم. وأما عن رؤساء ووزراء الدول الكبرى فحدث ولا حرج.

– وأنا أرجع هذا الحال المتردى من الثقافة السياسية – وإن كنت لا أعتبرها سياسية بقدر ما هى «معلومات عامة» – إلى عدة أسباب منها:

١– النظام التعليمى: الذى يعتمد على الحفظ والتلقين حيث يكب الطالب على الدراسة ليحفظ الأسئلة والأجوبة فإن اشترى بعض الصحف التى بداخلها وريقات بها بعض الامتحانات فإنه يرى الامتحانات دون النظر إلى ما تبقى من أوراق الصحيفة وهذا عن الطالب المتميز.

٢– أما الطالب الكسول فقد انشغل بما تقدمه بعض الفضائيات الغربية من أفلام وأغانٍ هابطة تعين على الفاحشة والمنكر ومعصية الله وهكذا يكون قد استجاب للغزو الفكرى الغربى الذى حرص على أن يدمر هذه الأمة أخلاقياً وعلمياً.

٣– كان ما سبق عن الشباب الذين ما يزالون فى المراحل التعليمية المختلفة، أما الذين أنهوا دراستهم فهم إما يبحثون عن وظيفة – منشغلين بهذا الأمر وليس على بالهم ما يدور من أحداث خارجية أو داخلية.

أو يعملون فى وظيفة وقد شغلتهم الحياة ومتطلباتها وليس لديهم وقت لمشاهدة البرامج السياسية أو حضور الندوات.

● ويقع الدور على الحكومة فى تنشئة جيل يعرف قدراً من الأحداث التى تدور حوله وتوفير

ذلك له، فمثلاً وزارة التربية والتعليم عليها أن ترسل للطلبة بعض المتخصصين لشرح ما يجرى فى الدولة من أحداث هامة وتطورات الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية، قبل أن ينشأ جيل لا يستطيع أن يرد على الأباطيل التى يرددها الإعلام الغربى ضد الإسلام والمسلمين والعرب ولا يستطيع أن يقرع الحُجة بالحجة لأنه خاوٍ من الثقافة السياسية.

– وعلى وزارة الإعلام أيضا تخصيص مواعيد متقدمة للبرامج السياسية والاجتماعية والدينية على أن تكون نهاراً أو مبكراً عن مواعيدها الحالية حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاهدين مشاهدتها والاستفادة منها.

– لقد قال الدكتور/ محمد مندور [إن المواطن الذى لا يهتم بسياسة وطنه، ولا يبدى فيها رأياً ولا يتخذ حيالها وضعاً، هو المواطن الفاسد بل الكائن الطفيلى الذى لا يحق له أن يتمتع بخيرات وطنه وشرف انتسابه له] (د. محمد مندور: الديمقراطية السياسية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة).

– فعلينا أن نُنْشِئ جيلا يعرف ما يدور حوله من أحداث حتى يكون قادراً على تحمل أعباء المستقبل!

الموهبة والإبداع فى الشعر

أما القارىء/ على اسماعيل درويش / الطالب بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

فقد أرسل هذه الكلمات الطيبة عن الإبداع فى الشعر نقدمها لكثير من القراء الذين يظنون أن كتابة الشعر مجرد قوالب وأوزان.

يقول القارىء:

لأى عمل شعرى متطلبات يجب على المبدع أن يعيها جيداً والأمر الأول هو الموهبة والموهبة موضوع حديثنا.

ولابد لهذا الأمر – الموهبة – أن يسرى فى جسم صاحبه ويجرى منه مجرى الدم فى العروق حتى يلهبه ويوقد فيه جذوة الحمية التى بها تجود خاطرته بأعذب الألفاظ وأنقى العبارات تكون هى الرابطة الوطيدة بين المبدع والمتلقى. وعلى ذلك فإن الموهبة إذا انعدمت فى شخص وراح بدونها يصطنع العمل الإبداعى فهو كأعرج يتكىء على عصا مكسورة وليس خليقاً أن يكون لعمله أثر فى نفس المتلقى وسرعان ما تذوب شاعريته كما يذوب الليل فى أنفاس الصباح. أما الموهوب فإن عمله يهطل على المتلقى كهطول الأمطار على الأرض العطشى لتخضر أرجاؤها وتكسوها روائح الفل والياسمين.

– ولقد تنبه الجاهليون لهذا العنصر واقتصر قول الشعر فيهم على من وجد فيه الحس الأدبى المرهف والمشاعر الجياشة حتى سموا بعض الشعراء بالنوابغ منهم من نبغ فى الشعر وهو صغير السن والآخر قال الشعر وهو كبير.

ولعل أجدرهم وأقواهم شعراً هو النابغة الذبياني الذى إليه احتكم العرب ونصبوه على مائدة القضاء الإبداعي يشهد لشعرائهم بالجودة والنقاء.

وأشعار الجاهليين شاهدة على ذلك وقلما أن نجد فيهم شاعراً ركيكاً مسفاً حتى فى الشاعرات منهم فقد اتسمن برصانة العباراة وجزالة الأسلوب بعد أن سيطرت عليهن الموهبة الشعرية وملكت عليهن كل فؤادهن.

* (فالخنساء) مثلاً تئن وتتوجع وتصرخ فى شعرها لفراق أخيها صخر قائلة..

فلا والله لا أنساك حتى
أفارق مهجتى ويشق رمسى
فقد ودعت يوم فراق صخر
أبى حسان لذاتى وأنسى
فيالهفى عليه ولهف أمى
أيصبح فى التراب وفيه يمسى

فنرى الخنساء تصور نيران الحزن المتأججة فى صدرها فى قوالب شعرية لا يمتد أثرها إلى الإنسان فحسب بل يسرى إلى الجمادات حتى إن الصخور الصماء تكاد من شدة أثرها تبكى.

* وها هى الأخرى (جليلة بنت مرة) تدافع عن نفسها أمام أخت زوجها بعد أن قتل أخوها زوجها (حساس كليب بن ربيعة) وهذا موقف يحتار له الحكماء ويتوقف من شدته فكر أولى الألباب فالقاتل أخ والمقتول زوج ولكن الملكة الشعرية تنضح بما يختلج فى نفس هذه الشاعرة وما يصوره فكرها لينصدع لها أهل زوجها فتقول لأخت زوجها:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنتِ تبينتِ الذى
يوجب اللوم فلومى واعزلى
إن تكن أخت امرىء ليمت على
شفقٍ منها عليه فافعلى

وتصور لها هذا الحادث الجلل الذى ألم بها فتقول..

يا قتيلاً قوض الدهر به
سقف بيتىَّ جميعاً من علِ
هدم البيت الذى استحدثته
وانثنى فى هدم بيتى الأولِ
ورمانى قتله من كثبٍ
رمية المصمى به المستأصلِ

وأخيراً تفوض الأمر إلى بارئها فتقول..

اننى قاتلة مقتولة
ولعل الله أن يرتاح لى

والمتأمل فى هذه الأبيات يرى فيها دقة التصوير والجمال الفائق الذى طغى عليها.

إذن فالموهبة عنصر ضرورى فى العمل الشعرى كى يخلد ذكراه ويطول أثره لأن الإبداع الشعرى ليس شيئاً مصطنعاً يتكلفه المتشاعرون، وإن تكلفوه رك شعرهم وصال فى دائرة الإسفاف لأنهم ليسوا موهوبين.

والموهبة مثلها مثل أى كائن حى تحتاج إلى رعاية فتولد صغيرة تحبو فى مهدها الأول ينثنى عليها صاحبها ويرعاها ويضفى عليها زيادات تجعلها فتية شابة.

وكذا تحتاج من صاحبها الاندماج فى حومة مجتمعه فإن فحول الشعراء أمثال الفرزدق والمتنبى وشوقى قد فرضوا أنفسهم على الساحة الشعرية وتربعوا على عرشها لأنهم عايشوا الناس أفراحهم وأحزانهم وهذا ما جعل المتنبى يقول..

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صممُ

* أزيد على هذا قائلاً: إن التنقل من بيئة إلى أخرى تضفى على الموهبة تغيرات عدة فالبيئات هى مصدر الإلهام للشعراء وخير مثال على ذلك الشاعر البدوى الذى أراد أن يمدح فلم تجد قريحته إلا أن يصف محاسن ممدوحه بقوله..

أنت كالكلب فى حفاظك للعهد
وكالتيس فى قراع الخطوب

فذلك الشاعر لم يَرِ إلا الصخور الصماء والطبيعة الخشنة التى أثرت على قريحته. وانظر إليه عندما انتقل إلى بغداد وعايش الحضارة والمدنية، انهمرت على جعبته الفيضانات العذبة وخالطت الرقة فيه شعوره فتغزل وقال..

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأخيراً فإن الموهوب دائماً يهتبل كل فرصة تواتيه لإخراج إبداعاته القيمة فهو يعشق الجمال وينأى عن الردىء.

لبن العصفور

أرسل القارىء/ محمد ناجى أحمد صابر.. كلية التربية – جامعة عين شمس يقول كنت أظن أن «لبن العصفور» لا وجود له، حتى قرأت هذه الكلمة فى مجلة العلم العدد ٣٠٩ ص ٥٢ حيث ورد بها:

«كثيراً ما نسمع عن لبن العصفور فى أمثالنا الشعبية فهل للعصفور لبن؟ والاجابة: نعم للعصفور لبن لا يختلف فى جوهره وتركيبه عن لبن أى حيوان من الكائنات الحية.. فهو يحتوى على مادة بروتينية تسمى «كازينوجين» ودهن وسكر اللاكتوز وهى نفس مكونات اللبن الطبيعى المعروف لنا جميعا.. إلا أن لبن الطيور بصفة عامة يختلف عن لبن الحيوانات الأخرى فى بعض الخواص الطبيعية.. لأنه ليس سائلاً ولكنه على هيئة فتات أبيض اللون هش سريع التكسر أشبه بما يكون بفتات الجبن الأبيض – وللعلم أن لبن الطائر تفرزه حويصلة الأنثى والذكر على السواء، ولذلك يشترك الذكر والأنثى معاً فى إطعام أفراخهما الصغيرة وعندما تضع العصفورة منقارها فى فم أفراخها الصغار فإنها فى الواقع تطعمهم لبناً حقيقياً.. ومن هنا فلبن العصفور حقيقة علمية وليس خرافة».

وإنى أرجو أن تخصصوا جزءاً، وليكن تحت عنوان قرأت لك، أو من مطالعات القراء، تنشرون فيه الطريف أو الجديد فى دنيا العلم. فكم هو جميل أن نتابع ما يصل إليه العلم لنعرف أن العالم مليء بالأسرار فنقول: «سبحان الله».

● **المحرر**: مرحباً بك يا أخ محمد وأحب أن تعلم أن القراء كتبوا من قبل تحت هذا العنوان، ولكنهم توقفوا فأهلاً بك لتكمل المسيرة.

دعابة شعرية

رزق الأديب السورى أمين تقى الدين ولداً سماه (حافظ) إعجابا بحافظ إبراهيم، ودارت حول ذلك مساجلة أدبية رصدها الأستاذ هلال الحبشى من برهمتوش بقلمه الفاحص النقّاب يقول:

رزق الشيخ أمين تقى الدين الأديب السورى بمولود سماه حافظاً وقال فيه:

لى ولد سميته حافظاً ...
تيمنا بحافظ الشاعر

فقال حافظ:

كحافظ إبراهيم لكنه ...
أجملُ خلقاً منه فى الظاهرِ
فلعنة الله على (حافظٍ) ...
إن لم يكن بالشاعر الماهرِ
لعل أرض الشام تزهى به ...
على بلاد الأدب الزاهرِ
على بلاد النيل تلك التى
تاهت بأصحابِ الذكا النادرِ
(شوقى) و(مطران) و(صبرى) ومَن
سميته فى مطلعى الباهرِ

فقال الشيخ أمين:

وا خجلتى إن لم يَجىء شاعراً ...
ينسى آباهُ حكمة الناثر
شعرٌ نظمناه ولولاَ الذى
رزقته ما مرّ بالخاطرِ

فقال حافظ:

فيا وَليدى كُن غداً شاعراً ...
وابدأ بهجو الوالد الآمِرِ
فالذنبُ ذنْبى وأنا المعْتدى ...
هل يسلم الشاعر من شاعِرِ

يا مسلمون تذكروا

للقارىء / عبدالرحمن حمدى والى - الطالب بمدرسة الهدى والنور بالمنصورة:

اشتد بى ضيق الكروب
وتمزقت منا القلوب
وشرعت أمضى فى طريقى
هائما بين الدروب
الحق ودع راحلاً
والشمس كاسفة تغيب
والكفر يهتف فى جحود بين رايات الصليب
والنار تأكل مصحفاً وتبث فى الكون اللهيب
والحائرون بكل درب يهتفون ولا مجيب
بلدانا بين الممزق والمدنس والسليب
فرجالنا عشقوا التخاذل والتقاعس والنحيب
القدس تصرخ تستغيث.. وتستجير.. ولا مجيب
يا مسلمون تذكروا، وتدبروا هدى الحبيب

أنباء العالم الإسلامى

إسرائيل استخدمت قنابل زنة طن فى غزة

نقلت صحيفة « هاآرتس » عن وزير الدفاع الإسرائيلى « بنيامين بن أليعازر » اعترافه بأن الجيش الإسرائيلى استخدم قنابل زنة طن « ٤٧ مرة » فى ضرب أهداف فى الأراضى الفلسطينية قبل المذبحة الأخيرة فى غزة جاء اعتراف بن أليعازر أمام أعضاء لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست فى جلسة لبحث الإدانات الدولية للمجزرة التى أودت بحياة ١٥ فلسطينيا.

المحرر: ٤٧ طن من المتفجرات ألقيت على الأراضى الفلسطينية فهل لنا أن نتصور مدى الدمار والخراب الذى أحدثته هذه الأطنان الهائلة من المتفجرات بالشعب الفلسطينى الأعزل، ترى من الإرهابى الحقيقى الفلسطينيون أم اليهود؟!

للأستاذ / محمد الشرقاوى

بشهادة مسئول إسرائيلى المستوطنون ارتكبوا مذبحة فى الخليل

نقلت صحيفة « هاآرتس » الإسرائيلية عن أحد مستشارى وزير الداخلية الإسرائيلى « عوزى لاندو » وصفه للممارسات الهمجية التى قام بها المستوطنون فى مدينة الخليل « بالمذبحة » وقال مستشار « عوزى » ويدعى « موسى جيفاتى » إن المستوطنين ارتكبوا مذبحة بحق مواطن الخليل – أثناء جنازة مستوطن – بدون أى استفزاز من جانب الفلسطينيين حيث اقتحموا المنازل وحطموا نوافذها وقتلوا صبية فلسطينية عمرها ١٤ عام.

مؤتمر دولى لرابطة الأدب الإسلامى العالمية

تقيم رابطة الأدب الإسلامى العالمية مؤتمرها الدولى السادس فى الفترة من ١٥ أغسطس ولمدة أربعة أيام وقال الدكتور / عبدالمنعم أحمد يونس – رئيس مكتب الرابطة بالقاهرة إنه سيناقش تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامى بالإضافة إلى أبحاث مقدمة يشارك فيها أدباء من (١١) دولة عربية وإسلامية وعدد من رموز الفكر والأدب والشعر.

مخيمات صيفية فى روسيا لتعليم مبادىء الإسلام

قامت اللجان الدينية بالجمهوريات الإسلامية الروسية بالاستعداد لإقامة ثلاثة آلاف مخيم صيفى إسلامى فى المدارس الدينية والمساجد المنتشرة وذلك فى إطار اهتماماتها التى تهدف إلى تعليم أطفال المسلمين الروس مبادىء الدين الإسلامى الحنيف وأحكام القرآن الكريم ومطالعة السيرة النبوية وتستمر حتى الأول من شهر سبتمبر المقبل.

ففى مسجد « زاكاباتيا » بمدينة « أبلابوخا » الواقعة شرق جمهورية « تتارستان » تقرر بدء المهرجان والمخيم الإسلامى الصيفى بمسجد الجامعة كما افتتحت فى مدينة « قازان » عاصمة جمهورية « تتارستان » (٥٧) مخيما صيفيا بهدف تعليم الطلاب مبادىء الإسلام وتفقيههم فى أمور دينهم فضلا عن تعلم أحكام قراءة القرآن الكريم حيث أكد مدير مسجد « المرجنى » أن الأطفال من الجنسين سيدرسون اللغة العربية وبعض سور القرآن الكريم.

كما سيتم افتتاح عدد من المخيمات الإسلامية الأخرى بمدن « بينزا » و« تولا » و« ينجنى » و« فارتوفسك » و« سامارا » و« مخاشاكلا ».

عائلة يهودية تعلن إسلامها

أعلن مواطن يهودى يدعى « يوسف كوهين » وجميع أفراد عائلته إسلامهم وانتقلوا للعيش فى القدس الشرقية.

وقالت صحيفة « يديعوت أحرونوت » الإسرائيلية إن « يوسف كوهين » البالغ من العمر ٣٤ عاما من سكان مدينة « نتيفوت » كان من أتباع تيار يهودى متعصب وقدم إلى إسرائيل قبل أربع سنوات من الولايات المتحدة وقبل بضعة شهور قرر إعلان إسلامه وغير اسمه ليصبح « يوسف خطاب » وغيرت زوجته اسمها وكذلك أولاده الذين يتعلمون حاليا فى مدرسة إسلامية.

الإسلام.. الدين الأول فى « أمستردام » و« لاهاى »

أحدث الإحصائيات السكانية الهولندية تشير إلى أن الإسلام أصبح الدين الأول فى العاصمة « أمستردام » متقدما على الكاثوليكية والبروتستانتية الإصلاحية واليهودية.

صحيفة « مترو » الهولندية أشارت إلى أن هذا يرجع إلى كون ٥٩٪ من سكان العاصمة « لادينيين » بالإضافة إلى تراجع تأثير الكنائس بمختلف طوائفها على الهولنديين.

ولأن الكنائس والمؤسسات الدينية الأخرى أغلقت أبوابها وباعت ممتلكاتها نتيجة لضعف المترددين عليها.

المسلمون أكدوا أن الإسلام هو الدين الأول فى مدن « روتردام » و« لاهاى » و« أوتروخت » وأن كل اثنين من أربع ولادات فى هولندامسلمين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الدكتور / عصام البشير وزير الأوقاف السودانى والوفد المرافق لسيادته، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف، وقد ناقش السيد الوزير مع فضيلته بعض الأمور التى تتعلق بالجانب الدينى بين مصر والسودان والتى تدور حول توفير عدد من المدرسين المتخصصين من الأزهر الشريف لتعليم أبناء السودان ولتدريب الدعاة والأئمة، كذلك الموافقة على انشاء معهد أزهرى فى السودان تدرس فيه المناهج والكتب الأزهرية، وتوفير عدد من الوعاظ والأئمة يذهبون إلى جنوب السودان وذلك فى شهر رمضان المعظم من كل عام، كذلك زيادة عدد المنح الدراسية سنوياً من الأزهر وجامعته على أن يخصص النصيب الأكبر منها لأبناء جنوب السودان وذلك حفاظاً على وحدة السودان، وأيضاً يتبادل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ومجمع الفقه الإسلامى بالسودان الكتب والمطبوعات والقرارات والدراسات والأبحاث للاستفادة منها، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذه الطلبات فوراً وتم إبرام اتفاقية وقعها فضيلته، كما وقعها السيد الوزير هذا إلى جانب طلاب السودان الذين يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته وهم كثيرون كما يحضر فى كل دورة تدريبية يعقدها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر عدداً كبير من الأئمة والوعاظ وكما يرسل الأزهر كل عام عدداً كبيراً من السادة الوعاظ فى شهر رمضان المبارك للتوعية الدينية كما هو الحال فى معظم الدول.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

● كما استقبل فضيلته الدكتور باقر منان رئيس المحكمة العليا بأندونيسيا والدكتور / توفيق نائب رئيس المحكمة العليا، والدكتور شمس الهادى رئيس شئون المحاكم الشرعية يرافقهم الدكتور محمد نور عبدالصمد المستشار الثقافى لسفارة أندونيسيا بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيداً

بالعلاقة القوية والقديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة.

ومن جانبه شكر الدكتور باقر منان فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وإتاحة هذه الفرصة وتلك الزيارة التى سعد بها هو والوفد المرافق ولتواجده فى هذا الصرح العظيم ومع شيخ الأزهر الجليل، مؤكدا على ان أبناء أندونيسيا من خريجى الأزهر الشريف يشغلون المناصب العليا فى الدولة فى مجال التدريس وفى مجال الدعوة الإسلامية، وأوضح ان الدستور الأندونيسى يسمح بتطبيق الشريعة للمسلمين.

وفى نهاية اللقاء شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الطيب والتعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا، حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات.

● واستقبل فضيلته الدكتور / محمد قريش شهاب سفير أندونيسا بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف الكبير مشيداً بدوره الفاعل مع الأزهر الشريف خلال فترة عمله بالقاهرة لخدمة أبناء بلده أندونيسا الذين يدرسون فى الأزهر الشريف وعددهم ٤٨٨ طالبا وطالبة وكان دائماً له تواجد وحضور وكان على صلة بالأزهر الشريف وبطلاب أندونيسا موفرا كل سبل التعاون حيث كان يلتقى بهم محل إقامتهم بمدن البعوث الإسلامية يحاضرهم ويقف إلى جانبهم ويتباحث مع الأزهر من أجلهم حتى يتفرغوا لطلب العلم النافع ولينهلوا منه بكل جد ورغبة ونشاط ليعودوا إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه إلى أهليهم فى بلادهم، وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة البالغة قائلاً: بأنه قضى أوقات شبابه فى الدراسة بالأزهر الشريف وختمها بفترة توليه منصب السفير لبلاده فى القاهرة معربا عن حبه لمصر ولأزهرها الشريف وبأنها من أسعد أيام حياته، وقد تمنى له فضيلة الإمام الأكبر كل تقدم ورقى وسعادة، كما التقى سيادته بفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ودار الحديث حول الفترة التى قضاها فى مصر وكان التنسيق بينهما قائم على الحب والإخلاص فيما يعود بالنفع على الطلاب أبناء أندونيسيا وذلك لتوفير سبل الراحة لهم أثناء دراستهم بالأزهر الشريف وتذليل كافة الاحتياجات لهم فى مدن البعوث الإسلامية حيث إقامتهم، ومما يذكر ان السيد السفير كان يشغل منصب مدير الجامعة الإسلامية بأندونيسيا ثم وزيراً للأوقاف ثم سفيراً لبلاده فى القاهرة وقال إنه سيعود إلى الجامعة الإسلامية بأندونيسيا يعمل مدرسا.

● كما استقبل وفدا قضائيا من دولة أندونيسيا برئاسة السيد المستشار شمس الهادى نائب رئيس المحكمة العليا، وتأتى هذه الزيارة فى إطار استضافة وزارة العدل المصرية للدورة التدريبية لعدد ٣١ من قضاة أندونيسيا وقد رغب الوفد فى زيارة الأزهر ولقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حيث رحب فضيلته بالوفد قائلاً: ان صلة الأزهر بدولة أندونيسيا صلة قديمة.

وأشار إلى ان القضاة فى كل دولة هم صمام العدل، ووظيفة القضاء إقامة العدل بين الناس، وإذا سادت فضيلة العدل فى أمة سادها الأمان والاطمئنان والسلام والرخاء، والله تعالى أمرنا بالعدل فى الأقوال وفى الأحكام وعند أداء الشهادة، والعدل مع الصديق ومع العدو، ومع الغنى ومع الفقير، ومع القوى ومع الضعيف، وأولى الناس بإقامة العدل وتحقيقه هم

القضاة، وشريعة الإسلام تقوم على الحق وعلى العدل واعطاء كل ذى حق حقه، شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن استقباله للوفد وأضاف ان تعداد أندونيسيا ٢١٠ مليون نسمة منهم ٨٦٪ من السكان ينتمون إلى الإسلام وأن فتاوى شيخ الأزهر الشريف لها أثر كبير فى نفوس الاندونيسيين وتطبق فى بلادهم ويوجد فى اندونيسيا سبعة آلاف قاضٍ، وحكومة اندونيسيا أعطت لبعض المحافظات الحق فى تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة، وسيتم تطبيقها فى المحافظات الأخرى فيما بعد، وقد استمع فضيلته إلى أسئلة واستفسارات الوفد وأجاب عنها فضيلته.

● والتقى فضيلته مع وفدٍ من قضاة ألبانيا برئاسة السيد / برهان الدين ماليفى القاضى بالتفتيش القضائى بوزارة العدل الألبانية، وقد أشاد فضيلته بالعلاقة الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة ألبانياووصفها بأنها علاقة قديمة ووثيقة وان عدداً كبيراً من الطلاب الألبان فى مصر يتلقون العلم النافع فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة حيث ان الدراسة فى الأزهر الشريف تتسم بالوسطية والاعتدال وهى تجمع بين علوم اللغة والشريعة والعلوم الأخرى، وهناك رؤساء للجمهوريات ووزراء فى بعض الدول تخرجوا من الأزهر الشريف وقد تخرج من الأزهر مئات من الطلاب الألبان خلال السنوات السابقة، وشهادة جامعة الأزهر معترف بها فى فى كثير من دول العالم، وتناول الحديث النظام القضائى فى مصر وانهم فى دولة ألبانيا يتلقون النظام القضائى فى مصر ويحاولون تطبيقه.

● والتقى فضيلته مع السيد / ادوارد توارميتا مستشار رئيس جمهورية الفلبين والسيد / سولان بريما فيرا سفير الفلبين بالقاهرة فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق، وشرح دور الأزهر الشريف فى توصيل رسالة العلم إلى الطلاب وارسال الأزهر بعثات من العلماء إلى الفلبين للتعاون فى تعليم أبناء الفلبين وحتى تتقارب الصلة بين المسلمين ببعضهم البعض لأن الأزهر يمتاز فى تعليمه وعلومه بالوسطية والاعتدال.

وقد أوضح السيد المستشار إلى انه من أبناء الفلبين الذين قاموا بعرض وجهة نظر المسلمين والمسيحيين حتى يتم التقارب بينهم ويعود الإسلام والوئام بين الشعب الفلبينى وحتى يعيشوا فى سلام وأمان وتدريس اللغة العربية فى الفلبين ليس قاصراً على المسلمين وحدهم ولكن يتعلم المسيحيون أيضاً اللغة العربية حتى يتسنى لهم فهم الدين الإسلامى وتعاليمه السمحة.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ان بعثة الأزهر الشريف التى أرسلت للفلبين إنما هى لتوطيد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين وعودة السلام إلى الفلبين، وأوضح السيد المستشار فى حديثه بأن ندوةً ستعقد للعلماء والأساقفة للتفاهم وشرح العقيدة الإسلامية والمسيحية للشعب الفلبينى حتى يتعاون الشعب الفلبينى كله فى بناء دولته فى جو من الحب والإخاء، وقد أعرب السيد المستشار عن رغبة بلاده بأن تكون هناك جامعة أزهرية فى الفلبين وأن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة الفلبين، حيث إنها رغبة رئيس الفلبين، وقد أرسلت شكرها وتحياتها وتقديرها لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد حمل فضيلته تحياته وتحيات الأزهر إلى رئيس وحكومة وشعب الفلبين شاكراً لهم الزيارة والدعوة ووعد

بتلبيتـهـا فى الوقت المناسب، حضـر اللقـاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

● استـقـبـل فـضـيلة الإمـام الأكـبـر شـيخ الأزهر الشريف الدكتور المطران / ماركو دينو بروجى بمناسبة تعيينه كسفير للفاتيكان بالقاهرة حيث قدم الضيف تحيـات قداسـة بابا الفـاتيكان وتهـانيه لفـضـيلة الإمام الأكـبـر شيخ الأزهر الشريف، وقـد رحب فـضـيلتـه بالضـيف مؤكـداً على أهمـيـة الحوار البناء فى تـقـريب المفـاهيم والتـأكـيـد على توطيـد العـلاقـة بين الأزهر والفـاتيكـان، فى ظل توقـيع اتفـاقـيـة الحوار بين الأزهر والمجلس البابوى للحوار فى الفاتيكان، وقال ان الأزهر الشريف به لجنة للحوار واللقاءات تتسم بصـفـة تكاد تكون دورية فى الأزهر والفاتيكـان، وهى تؤدى دورها على نحو طيب وان الأزهر قلبه مفتوح للحوار دائماً، والدراسـة فى الأزهر الشـريف تؤكـد على الجـوانب الإسلامية المعتدلة المتسامحة لأننا جميعاً جئنا من أب واحد وأم واحدة ولابد أن نتعاون من أجل سعادة بنى البشر جميعاً وهذه هى مهـمتنا كرجال دين، وأكد الضيف على أهمية زيادة دعـم الحوار بين الجانبين لما له من أثر فـعال فى التـقـارب بين الشـعـوب، خـاصـة وان الأزهر الشريف له مكانته ومنزلته لدى المسلمين عامة لأنه يمثـل الوسطية المعتدلة للإسلام، والتى تنال تقدير واحترام جـمـيع الأديان الأخرى، كـمـا أشـار سيادته إلى انه سيعـمل على توثيق هذه العلاقة فى المستقبل، وان اختياره شخصياً ليكون سفيراً للفاتيكان بالقاهرة، كان مقصوداً وذلك لخبرته السابقة ولعمله فى القاهرة قبل ذلك، وقـد أكـد فـضـيلة الشـيخ فوزى الزفـزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر على ان الحوار فى الأمور المتفق عليها بين الأديان جـمـيـعـاً وهى الفـضـائل كـالعـدل والأمـانة والصـدق والرحـمـة والوفـاء بالعـهـود إلى غيـر ذلك من الأمور التى تتفق فيها الأديان، أما الأمور العقائدية فلا حوار حولها، ولكل إنسان عقيدته، حضر اللقاء فضيلة الشيخ عـمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

● كـما استـقـبل السيـد / لويس فراخـان (محـمـد فرقـان) زعـيم المسلمين بالولايات المتحـدة الأمـريكية، رحب فضيلته بالضـيف والوفد المرافق له بمصر وأزهرها الشريف، وقـال السيـد مـحـمـد فرقـان انه جاء لمنطقة الشرق الأوسط لمهـمة كـبيرة ولمسعى عظيم وهو وقف أعـمـال العنف من الجانبـين الإسرائيلى والفلسطينى، وقد اقترح فترة ١٢٠ يوما تبدأ بعدها أعمال المفاوضات من أجل احياء عملية السلام والأخذ بالمبادرة السعودية التى وافقت عليهـا الدول العربيـة، وحتى يشعـر الجـميع بالاطمئنان والسلام، وأن تتوقف إسرائيل عن بناء ذلك الحائط الذى تتولى بناءه، وأن تسحب كـافة قواتها من الضـفـة الغربيـة، وقـال أيضـاً انـه حضـر إلى مصـر لمقابلة فضيلة الإمام الأكـبر شيخ الأزهر الشريف للاسـترشاد بآرائه وطلب النصح والارشاد من فضيلته وقد شكره فـضـيلة الإمـام الأكـبـر شـيخ الأزهر على هذه الزيارة الكريمة، وأيد مساعيه وجهوده وجهود الوفد المرافق له فى نشـر ودعـم السـلام، وأوضح فـضـيلتـه أن شـريعـة الإسلام انما تقوم على الحق وعلى العدل والمساواة ونبذ العنف والعـدوان، وتدعو إلى السـلام وإلى التعاون على البـر والتـقـوى لا على الإثم والعـدوان، كـمـا تدعـو إلى نشر الفضائل والخيرمن أجل الإنسانية عامة، كـما دعا فضيلته للوفد أن يبارك الله خطاهم ويكلل مساعيهم فى خدمة الإسلام والمسلمين وفى خدمة السلام، وفى توضيح صورة الإسلام الحقيقية الصحيحة التى تدعو إلى كل خير وتنبذ كل شر، وأن يكون السيد / محمد فرقان وجماعته فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى

عموم أمريكا خير نموذج وخير مثال طيب يحتذى للإسلام والمسلمين ونحن نعلم ان وراءه الآلاف بل الملايين من المسلمين.

● واستقبل فضيلته السيد / جون ساورس سفير انجلترا بالقاهرة، رحب فضيلة شيخ الأزهر بالضيف مشيداً بعمق العلاقات والتفاهم بين مصر والمملكة المتحدة، وبين الأزهر الشريف ورئيس أساقفة كانتر برى، والسيد تونى بلير رئيس وزراء انجلترا، وقد أشاد السيد السفير بموقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تجاه الأحداث التى شهدتها وتشهدها الساحة الآن، كما أعرب الضيف عن القلق الذى تعيشه المنطقة الآن وطلب النصح من فضيلته للقيادات الدينية لخدمة السلام.

وقال فضيلته إن ما تشعرون به نحن نشعر به وان القيادات الإسلامية ليست وحدها التى تؤثر، بل ان جميع القيادات الدينية الأخرى سواء كانت مسيحية أو غيرها مسئولة، وأرى أن الكل متفق على أن الحل هو عن طريق التفاوض والشرائع السماوية كلها تتفق على ان أفضل طريقة للوصول إلى الحل فى أى مشكلة انما يكون عن طريق الحوار والتعاون والتقارب وأن تكون هناك من الداخل رغبة قوية فى الحل إلى جانب القلب المفتوح والعقل المفتوح أيضاً، ومراعاة الظروف والابتعاد عن المطامع، والاتجاه للسلام، والبعد عن التشدد والتعصب الأعمى، وعندما توجد النية الطيبة سيكون هناك الوصول للحل، ولعلكم سمعتم ما قاله السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، يقول: ان القوة لا تحل المشاكل، وإذا أصر الخصم على استخدام القوة وظن ان القوة توصله إلى ما يريد فهو مخطىء، لأن هذا يولد غل القلوب، والمعتدى عليه لا ينس العدوان، وإذا نسيه اليوم لا ينساه فى الغد، وإذا نسيه الأب لا ينساه الابن.

وقد أعرب السيد السفير عن موافقته لآراء فضيلة الإمام الأكبر الراجحة التى يعهدها العالم كله، وقد تساءل السفير عن الوضع فى مصر والاستقرار الذى تشهده، وعدم وجود أفكار متطرفة على الساحة، ورغم ذلك هناك بعض الحركات المتشددة من المسلمين وتساءل عن سبل مواجهتها، وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ان الكون منذ أوجده الله والناس مختلفون فى مقاصدهم واتجاهاتهم وأفكارهم، وكل دولة فيها العقلاء وغير العقلاء، وكل ما نتمناه أن يكون عدد العقلاء أكثر من غيرهم، ومصر بفضل الله وبحكمة رئيسها، وبوجود الأزهر الشريف بها، وبطبيعة شعبها السمح الطيب تستجيب للخير والعدل والرخاء، ومادامت هناك الرؤية الواضحة، وعدم التستر على الجريمة، ومادام الشعب يرى بعينه وبموضوعية وقناعة فإنه يعيش فى سلام وأمان ورخاء وهذا هو السلام ونحن نؤمن بالتخصص الدقيق فكل يعمل فى مجاله، والحياة كأمواج البحر ترتفع تارة وتنخفض أخرى، وهذا ما ينطبق على العالم كله، والحكماء هم الذين يسلكون السياسة العادلة القائمة على الصدق والواقع بدون تزيد أو نقصان، مما يولد الثقة عند الشعب مما يجعل الأمور فى نمو وتقدم، وفى نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام، وقد أبلغه فضيلة الإمام تحياته إلى السيد / كبير أساقفة كانترى برى والسيد تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا وإلى الشعب البريطانى، حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر الشريف للإعلام والعلاقات.

certain amount of money (pension) for this non-Muslim from Treasury (***Baitul mal***).

﴾And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah dose not love transgressors﴿.

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

The order not to transgress in the last verse encompasses all these orders in this code of ethics in war.

By comparing what is happening in Palestine to this Islamic code of ethics, we cannot keep ourselves from admiring this code and hope other parties will adopt it.

Truly Islam is the religion of peace and mercy. The teachings in the Holy Qur'an and the traditions of the Messenger of Islam command Muslims to act honorably. These ethics would lead to happiness in this life and in the Hereafter.

﴾And in no way have We send you except as a mercy to the world﴿. **[Al-Anbiya' (The Prophet): 107]**

Truly the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, was sent by Allah to our world but as a mercy for all creatures, man and animals. He was sent for all races, colors and followers of all religions. This code benefits the non-Muslims who oppose Muslims and fight them.

Moreover, it should not be for personal gains or seek of leadership, wealth or bravery. A Muslim fighter should not take booties for himself even as cheap as a sandal.

In Jihad, the Muslim army offers, to his enemy, three choices; embracing Islam, paying of tribute or war. When fighting starts, and the enemy resorts to peace, the Muslim army stops fighting at once. In Jihad, Muslim fighters do not kill those who do not participate in war such as children, women, old people or those who are wounded in the battle.

Prisoners of war should not be killed; on the contrary they should be treated kindly. They should be given food and clothes. For those captives and in order to win their freedom, they can teach ten Muslims how to read and write.

Muslims respect places of worship of other religions and do no desecrate them. Moreover, they should not consider its treasures as booty. When the second Caliph Umar went to restore Jerusalem from its patriarch, he signed a treaty whereby all Christian churches should be preserved as well as their crosses. It happened that when noon prayers approached and Umar wanted to pray, the patriarch offered him a place inside the church. Umar refused and went to pray outside the church. He was keen not to pray inside the church lest Muslims, later on, should take him as a model in this context and pray in places of worship of other religions.

Muslim fighters were commanded to buy their food from the local people. They should not resort to confiscation of food materials as many armies usually do.

Tribute ***(Giziah)*** was only collected from able men. Once, Caliph Umar saw an old non-Muslim man begging so, he ordered that old non-Muslim not to pay *Giziah.* Then he ordered paying a

Islamic Code Of Ethics In War

By

Dr. A. S. Arafa

Islamic code of ethics controls every action or deed in Muslim's life. Relationship between people, whether Muslims or non-Muslims, is ruled by ethics particularly in Islam. Muslims take great care to follow them. In doing so, they hope to win the satisfaction of Allah in order that they may be admitted to the Gardens on the Day of Judgment. Fighting is one of these dealings. Fighters have to observe the Islamic code of ethics for war in particular.

Fighting in Islam is described as Jihad. It is ordained by verses of the Glorious Qur'an.

﴿The ones who are (drawn into) fighting are permitted (to defend themselves) for that they are unjustly (attacked); and surely Allah is indeed certainly able to give them victory. Who have been driven out of their homes untruthfully except that they say, "Our Lord is Allah"﴾.

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 39:40]

Those who have been expelled from their homes have the right to fight back. Also other Muslims should come to their aid. Muslims who have been oppressed can fight for their lives, land, houses or wealth. Also those who have been prevented from performing rites or from spreading the word of Allah have the right to fight.

Since this Jihad is in the sake of Allah, those who are killed during this fight are martyrs, and have been promised the Gardens of Eden at Heaven.

The sole aim of fighting – that is ordained by Allah in Islam – should be for the sake of spreading the word of Allah and in defending the Muslim and in self-defense. It should not be for any other purpose such as the spoils of war, seeking honor or fame.

Moreover, the orientalists alleged that the majority of the Arab tribes didn't accept Islam especially the Jews and Christians. This allegation resulted from ignorance and inattention since the established fact stated that all tribes undergone a struggle between Islam and disbelief; some of the families of each tribe believed while the others kept to the religion of their fathers.

From the darkness of the orientalists' allegations, two more allegations resulted. One of them states that the Islamic nation was confined in the center of the Arab Peninsula. As for the other, it states that the Islamic nation lacked centralism as it was based on the ancient tribal regime. Concerning the first allegation, they disregarded that the Islamic nation – at its beginning – was an urban state and began to extend gradually everywhere as a result of the first missions, treaties, the Prophet's biography, battles and invasions. With regard to the second allegation, they disregarded that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established a military, civil and financial system. He was the supreme commander in the army where he transferred the responsibilities of the army to his selected deputies. In civil system, he divided it into a coherent regional and central regime. The government affairs were conducted in coordination with the local and regional officials and central government officials under the supervision of the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and upon the instructions of the Glorious Qur'an.

Undoubtedly, precision and accuracy in system were the result of Islam's being a religion and state at the same time.

obtain political distinction. They classified tribes into lists including the immigrants of Mecca and their families, dropping a lot of men and women's names, as though they never acknowledge their presence and vital role.

The purpose of the orientalists was to prove the allegation of the weakness of Islam's spread at the Meccan stage. From here, they paid no attention to many other tribes embraced Islam such as Khuza'h and Azad Shono'ah. Most importantly, they disregarded the Islam of the majority of the Medina's people. They disregarded that Islam honored them, where the majority of Al-Aws and Al-Khzrag embraced Islam before migration from Mecca. All this confirmed that the all-out success is a fruit of the Prophet's struggle at Mecca.

Islam as a Religion and State

The orientalists confined themselves to the narrow concept of religion to which they accustomed in Europe since they lack the historical sense as Islam is based on no differentiation between the religion and this world. Being knowledgeable of the Prophet's life at Al-Medina, we can decide that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established the nation and regulated the Islamic government according to what is mentioned in the Ever-Glorious Qura'n, making the political behavior characterized by the religious flavor. As well as we can decide that all the invasions and battles made by the Prophet were for the purpose of strengthening Islam.

In addition to this or that and during the Prophet's political and military struggle, he didn't halt exerting efforts to proclaim and propagate Islam whether by calling the Jews to Islam at Al-Medina or sending callers to proclaim religion everywhere.

But the misleading bias blinded the orientalists to find out the reality and turned them away from understanding the nature of the Prophet's policy and its variables.

Though the orientalists encountered difficulty in proving their handed down allegations and thoughts, they totally disregarded all the transmitted Islamic biographies and turned a blind eye to what is mentioned in the Bible including evidence and testimonies, they interpreted it in conformity with their misleading purposes.

In addition to this or that, the orientalists turned down all that signifying the universality of the Islamic Message in its humanity, despite the presence of the huge communities embracing Islam, varying in nationalities and residences, that acknowledge the Prophet as a Messenger for all people in addition to the preservation of the Qura'n up till now including the various inimitable proofs. All this proves that those orientalists are totally deviated from the established scientific methods and the old and modern research rules as well as they are soaked in arrogance, persistence and disregarded all facts and established evidence.

The orientalists – on the way to enhance the false delusions – underestimated the extent to which Islam spread in the Prophet's era. They mentioned that Islam's spread in the Prophet's era was at a very narrow scale, alleging that the success of the Prophet's life in Mecca was very limited, and the Prophet at Al-Medina couldn't perform proclamation since he was obliged to be involved in war with Quraysh and other tribes.

To support these allegations, some orientalists divided the Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, into two parts: A Meccan Messenger and a Medinian one. Then they decided that he started in Mecca as a Messenger, while started as a Caesar and political ruler at Al-Medina where he brought the Message into an end, invalidated the proclamation of religion, spent the greater part of his life at war, and established the political regime. Even such tribes as Hawzan and Ghatfan embraced Islam to

*The Purposeful Attacks against the Islamic History

By: Dr. M. Y. Siddiqi. & Dr. I. Awadin

When orientalists and their followers, inimical to Islam, realized the danger of interconnection among Muslims and their heritage void of blemishes, their sharpest weapon for turning Muslims and non Muslims away from the Islamic religion was the relentless efforts to distort the image of Islam whether presenting its components and values in a disgusting way or its legacy in a disgraceful way making the Islamic figures lose their powerful influence and the Islamic thought be superficial and has no vital role in drawing up a true image about Islam and its contribution to culture and civilization.

Consequently, Muslim and non-Muslim intellectuals and historians deeply concerned themselves with detecting this distorted and false action by which the Islamic history was afflicted since the beginning of the Crusade Wars, keeping to clarify the fact and believing that this is necessary in contribution to rejuvenate the Islamic revival and enable Muslims to perform their essential role in life.

Rejecting The Universality Of The Islamic Message

Concerning the evaluation of the Prophet's Message, the orientalists depended on allegations contrary to the historical fixed points, disregarded the Islamic Texts and paid no attention to the logical resolutions.

They claimed that Muhammad was only a Messenger for the Arabs and his Message was restricted to the region in which he lived and confined to his time. They alleged that the Prophet's Message was a revolution, since the Arabic society was thirsty to this social and moral revolution, and when the society found the potentialities of the coming revolution in the form of Islam, it welcomed Islam.

An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

pulpit, evil and wrong shake and a war without quarters between right and its opposes starts. However, among all this, Al-Ezz, always gets out victorious and stronger. For the above-mentioned reasons, sultan of Damascus, Al-Ashraf Musa Ibn Al-Adel, became angry with him. So, the great man left to *Misr* 'Egypt' preceded by his glory and juristic opinions so he was received by the scholars with great ovation and honor. Egypt's great orator, Al-Hafez Al-Monzery, abstained from giving *fatwas* due to his great respect concerning Al-Ezz's rank. The man perceived how much he was honored by the sultan, Al-Salih Ayoub; appointed him as an orator at Amr Ibn Al-A's mosque and the judge of Egypt and the Southland. He resumed his way; commanding beneficence and forbidding maleficence. In addition, he took his new pulpit as a new microphone by which he could spread opinions, advices and arguments.

﴿Whosoever perished might perish by a clear evidence, and whosoever lived might live by a clear evidence﴾.

[Al-Anfal (War Gains): 42].

Historians stated that Al-Ezz – during the battle between the Egyptian army and the crusade's and while the wind was blowing against the Egyptian fleet – raised his hands to heaven saying: *"O, Allah, turn the direction of wind from the way of Your Muslim bondsmen"* while pointing to the direction of the enemy. Immediately, matters changed and the wind started to blow against the enemy's fleet. That attitude of Al-Ezz was a source of good fortune and blessing.

Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam
Scholars' Sultan

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

Jurists, contemporary to his age, agreed unanimously that he is the sultan of scholars. He was highly versed in all different fields; wrote many compilations in jurisprudence, principles, deity, interpretation, Hadith and eloquence. Moreover, he participated scientifically and practically in Sufism and practiced asceticism. Not only Al-Ezz was the sultan of scholars, but also he was the sultan of the entire state including kings and princes.

In addition, he was known at his age as a person who commands to beneficence and forbids maleficence. His fearlessness, concerning right, was the object of amazement and admiration. He confronted many tyrants while proud of his righteousness. Moreover, fear and threat did not stop him. He suffered the darkness of imprisonment many times, however this filled him with confidence; he kept fighting darkness until all around him subjected to his will and he became the man of country and sultan of people.

This jurist was born at Damascus so he was taught at the hands of its leaders as Fakhr Al-Din Ibn Asakker, Gamal Al-Din Al-Khorasany and Seif Al-Amdy then he left to Baghdad and met its scholars and attended its jurists. Consequently, he returned to his country having tremendous knowledge and wide experience. All this led to be highly versed in jurisprudence till he reached the degree of *Ijtihad* 'practicing one's opinions'. Moreover, many jurists deposed themselves from delivering legal opinions '*fatwas*' – like Al-Hafez Al-Monzery – justified by his opinions and judgments.

In Damascus, he was appointed as an orator so he considered his position as a means to launch war against wrong injustice and evil, eliminate innovated actions and superstitions and face tyrants until he caused panic and grew more weighty. The one who considers his fearless attitudes has to admire his strong faith that turned him into a furious lion feared by rulers; when he roars on his

Monotheism (of Allah) is
The Slogan of all Messengers

From a book of the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, the Grand Shiekh of Al-Azhar, entitled "Religious Address and how it should be".

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

Allah, the Al-Mighty, says in His Ever-Glorious Qur'an:

﴿And in no way did We send (any) Messenger even before you except that We revealed to him, (saying), "There is no god except I; so worship Me" ﴾. **[Al-Anbiya' (The Prophets): 25].**

In this verse, Allah, the Most High states clear evidence about the monotheism of Allah, glory be to Him, as well as the obligation of offering loyal worship to only Him.

Parables are set to show the covert meaning, link reason to matter and present the absent thing in a form making it clear. Allah, the Ever-Truthful, says:

﴿And those similitudes We strike for mankind, that possibly they would meditate﴾. **[Al-Hashr (The Mustering) : 21].**

The Glorious Qur'an likens the disbeliever worshipping many gods to a slave owned by opposing people; each one of them has a demand contradicts the others'. So, their slave is distracted and helpless as stated in Allah's Words:

﴿Allah has struck a similitude: a man in whom associates are at variance with each other, and a man wholly submissive to (one) man. Are the two equal (in likeness)? Praise be to Allah; no indeed, (but) most of them do not know﴾. **[Az-Zumar (The Hordes) : 29].**

However, it likens the believer to a slave owned by one master so he is a source of comfort and peace of mind to his master. Then, the Ever-Glorious Qur'an presents the end of the disbeliever in a horrifying form as it says:

﴿And whosoever associates with Allah (anything), then it is as though he has collapsed from the heaven, and so the birds snatch him away, or the wind sweeps down him into a far off place﴾.

[Al-Hajj (The Piligrimage) : 31]

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal Akhera 1423 A. H.

ENGLISH SECTION

Aug. / Sep. 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

- مصر عرفت التوحيد قبل إخناتون
لفضيلة أ. د. محمد رجب البيومى ٨٦٦
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى ٨٧٣
- الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم
أ. د. مصطفى رجب ٨٧٩
- كسب الحلال والحرام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ٨٨٣
- دعوة الإسلام إلى حب الأوطان
أ. د. أحمد عمر هاشم ٨٨٨
- لحظة تفضل العمر
أ. د. محمود محمد عمارة ٨٩١
- هوامش على كلمة د. أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٨٩٧
- عداوة أمريكا وصداقتها (٢)
أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٩٠٥
- عثرات الماضى والعبور إلى المستقبل
أ. د. عبدالحليم عويس ٩١٣
- قومى بين الشرق والغرب (قصيدة)
للأستاذ محمود غنيم ٩١٦
- حوار حول فلسفة ابن رشد
أ. د. محمد عمارة ٩١٩
- وبدأ خلق الإنسان من طين
للدكتور/ على أحمد على ٩٢٩
- كتـــاب الشــــهر
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د. إبراهيم عوضين ٩٣٥
- قراءة نقدية فى كتاب تاريخ الطب
عرض وتعليق أ. د. أحمد فؤاد باشا ٩٤٤
- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٤٩
- الأقلية العربية فى إسرائيل
للأستاذ/صلاح عبدالرحيم ٩٥٦
- نعمة «رواية ليهودا يورلا»
عرض وتعليق د. محمد حسن عبدالخالق ٩٦٩
- الصــــرخة (قصـــيدة)
شعر الأستاذ/ محمد فهمى سند ٩٧٣
- التدابير الوقائية للحد من الطلاق
أ. د. محمد الدسوقى ٩٧٥
- قصة العدد «قبل انبثاق الفجر»
للأستاذ/ محمد سعيد العريان ٩٨٠
- طـــرائف ومواقــــف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٨٦
- الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٩٨٨
- رسالة .. ورد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان ٩٩٢
- أصـــول تربيـــة النشء
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٩٩٥
- بيـــن الصـــحف والمجـــلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٩٩٦
- بيـــن المجـلة والقـــارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ٩٩٩
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٠٠٦
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ١٠٠٨
- القسـم الإنجليـزى
إعداد د. إبراهيم الأصيل ١٠٢٣